وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

المظاهر البديعية وأثرها الأسلوبي في التعبير القرآني

(القسم الأول)

رسالة تقدمت بها الطالبة

هدى صيهود زرزور العمري

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة ديالى
وهي جزءٌ من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

أ.د. إياد عبد الودود عثمان الحمداني

١٤٣٤هـ ٢٠١٣م

الإهـداء

إلى أهل القرآن، أهل اللهِ وخاصَّتِهِ

إلى كُلّ ذي فضْلٍ ولم يبخلْ بفضلهِ

إلى مَن كان صَدرُهُ رَحباً لعزلتي ووحدتي مع البحث

أُسرتي ...

الباحثة

إقرار المقوم العلمي

أشهد أني قد قرأت الرسالة الموسومة بـ((**المظاهر البديعية وأثرها الأسلوبي في التعبير القرآني**)) التي قدمتها الطالبة (**هدى صيهود زرزور العمري**) إلى كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة ديالى، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، ووجدتها صالحة من الناحية العلميّة.

التوقيع :
اللقب العلمي : أستاذ
الاسم : د. بشرى البشير
التاريخ : / /٢٠١٤م

إقرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهد أننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ((**المظاهر البديعية وأثرها الأسلوبي في التعبير القرآني**)) التي قدمتها طالبة الماجستير (**هدى صيهود زرزور**) وقد ناقشنا الطالبة في محتوياتها وما له علاقة بها ووجدنا أنها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بتقدير (**امتياز**).

أ.د. فاضل عبود خميس
رئيساً
/ /٢٠١٤

أ. د. إبراهيم محمد محمود
عضواً
/ /٢٠١٤

أ.م.د. باسم محمد إبراهيم
عضواً
/ /٢٠١٤

أ.د. إياد عبد الودود الحمداني
عضواً ومشرفاً
/ /٢٠١٤

صدقت من قبل مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة ديالى بتاريخ / /٢٠١٤

أ.م.د. نصيف جاسم محمد الخفاجي
العميد / وكالة
/ /٢٠١٤

المحتويات

الموضـوع	الصفحة
الإهداء	
شكر وتقدير	
المقدمة	١ – ٦
التمهيد : المظهر البديعي، محاولة تأصيلية	**٧**
أولاً: المظهر/ الماهية والمعايير	٨ – ١٩
ا–المظهر في اللغة والاصطلاح	٨ – ١٢
ب–المعايير الافتراضية للمظهر الأسلوبي	١٢ – ١٩
ثانياً : مصطلح (المظهر البديعي) بين الأصالة والتبعية	١٩ – ٢٨
ا–دلالة المصطلح في الموروث البلاغي النقدي	١٩
ب–البديع من منظور الدراسات الأسلوبية، نظرة تجديدية	٢٥
الفصل الاول : مظاهر التناسب والتوازي	**٢٩**
أولاً: مفهوم التناسب : القيمة والمعادل الموضوعي	٣٠ – ٣٦
ثانياً : اوجه التناسب البديعي وأثرها في النظم القرآني	٣٦ – ٣٧
ثالثاً : (التوازي Parallelism) أو التوازن البديعي/ دلالته النظمية والإيقاعية	٣٧ – ٣٩
المبحث الأول : المطابقة (مولِّد دلالي)	٣٩
أولاً: مدارات الطباق المعجمية والاصطلاحية	٣٩ – ٤١
ثانياً : دالات المطابقة وتناسبها مع الدلالة	٤١ – ٤٢
أولاً: الطباق باعتبار طرفيه	٤٢
أ– الطباق الحقيقي	٤٢
١–ان يكون الطباق بين اسمين	٤٢ – ٤٥
٢–ان يكون الطباق بين فعلين	٤٥ – ٤٧
٣– ان يكون الطباق بين حرفين	٤٧ – ٤٩
٤–الطباق بين طرفين مختلفين في النوع	٤٩ – ٥٢
ب– الطباق المجازي/ العدول عن الدلالات المتضادة بذكر لوازمها	٥٢ – ٥٩
ثانياً : طباق التدبيج	٥٩
الاول : تدبيج الكناية	٥٩ – ٦١
الثاني : تدبيج التورية	٦١ – ٦٢
ثالثاً : طباق الترشيح	٦٢ – ٦٤

الموضـوع	الصفحة
المبحث الثاني : المقابلة (معنى ومبنى)	٦٤ – ٨٩
أولاً: مفهوم التقابل، حدودهُ وأبعاده	٦٤ – ٧٠
ثانياً: الفروق الأسلوبية بين الطباق والمقابلة	٧٠ – ٧٤
ثالثاً: أنماط التقابل وتشكيلاته الأسلوبية	٧٤ – ٨٩
١– مقابلة سورة بسورة تسبقها أو تليها	٧٤ – ٨١
٢– مقابلة فاتحة السورة وخاتمتها	٨١ – ٨٢
٣– المقابلة المطلقة في السورة الواحدة	٨٢
أ– التقابل التصويري/مقابلة حركة السوق الجماعي	٨٢ – ٨٧
ب– مقابلة المستقبل الغيبي بالماضي اليقيني	٨٧ – ٨٩
المبحث الثالث : مراعاة النظير وتشابه الأطراف	٩٠ – ٩١
أولاً: ائتلاف اللفظ مع اللفظ	٩١ – ٩٦
ثانياً : ائتلاف اللفظ مع المعنى	٩٦ – ١٠٠
ثالثاً : ائتلاف المعنى مع المعنى	١٠٠ – ١٠٣
رابعاً : إيهام التناسب وأثره الدلالي في السياق	١٠٣ – ١٠٥
خامساً : تشابه الأطراف	١٠٥ – ١١١
سادساً : التعانق	١١١
القسم الأول : اقتباس أوائل اللاحق من أواخر السابق	١١١ – ١١٤
القسم الثاني : اقتباس الركائز	١١٤ – ١١٦
المبحث الرابع : الارصاد والتسهيم	١١٦
أولاً: الاسلوب الرصدي، مفهومه، وأنواعه، ووظيفته في التعبير	١١٦ – ١٢٢
ثانياً : المظاهر الاسلوبية في سياق الأسلوب الرصدي	١٢٢ – ١٣٠
ا–الذكر والحذف	١٢٢
ب–قضية الجهد المبذول	١٢٢
ج–تقديم وقوع العذاب وتأخيره	١٢٢
د–قضية التحويل والإعادة	١٢٣
هـ–دلالة التهديد والوعيد	١٢٣
و–مناسبة الاقتران للأمور المتخيلة الوقوع	١٢٣
ز–مناسبة فاصلة الآية لمضمونها/مراعاة النظير	١٢٤
ح–تقديم المطعوم على المشروب	١٢٤ – ١٣٠

الموضـوع	الصفحة

ثالثاً : أنواع الإرصاد ووظيفتها في التعبير	١٣٠
النوع الأول : الإرصاد اللفظي	١٣٠ – ١٣٣
النوع الثاني : الإرصاد المعنوي	١٣٣ – ١٣٥
المبحث الخامس : منجز الفاصلة في التعبير القرآني	١٣٥
أولاً: (السجع والفاصلة – جدلية التسمية)	١٣٥ – ١٤٠
ثانياً : معايير جودة السجع في الميزان النقدي والبلاغي	١٤٠ – ١٤٢
ثالثاً : صور السجع وأبعاده الدلالية والصوتية	١٤٢
أ–السجع المطرّف	١٤٢
ب–السجع المتوازي	١٤٣
ج–السجع المرصّع	١٤٤ – ١٤٦
رابعاً : البنية النسقية للفاصلة القرآنية وإمكاناتها التعبيرية	١٤٦ – ١٤٧
أولاً: الفواصل المتقاربة	١٤٧ – ١٤٨
ثانياً : الفواصل المتماثلة	١٤٨ – ١٥٣
ثالثاً : الفواصل المنفردة	١٥٣ – ١٥٥
خامساً : مظاهر أُسلوبية في مبنى الفاصلة (فرضية المراعاة)	١٥٥ – ١٥٦
أولاً: ظاهرة التقديم والتأخير	١٥٦ – ١٥٨
ثانياً : مظهر الحذف والزيادة	١٥٨ – ١٦٢
ثالثاً : ايثار صيغة على أُخرى	١٦٢ – ١٦٨
رابعاً : احلال صيغة محل أُخرى على سبيل المجاز العقلي	١٦٨ – ١٧٠
خامساً : ظاهرة الجمع بين المترادفات بالعطف	١٧٠ – ١٧٣
سادساً : ظاهرة المغايرة والتفرد	١٧٣ – ١٧٤
المبحث السادس : مواضع التأنق والبراعة في التعبير القرآني	١٧٤
مدخل	١٧٤ – ١٧٥
الاسلوب الأول : حسن الإبتداء وبراعة الاستهلال	١٧٥ – ١٨٠
أولاً: المطالع والافتتاحيات الحرفية	١٨٠ – ١٩٠
ثانياً : المطالع والافتتاحيات الشرطية	١٩٠ – ١٩٩
الاسلوب الثاني : حسن التخلص وعفوية الانتقال	١٩٩ – ٢١١
الاسلوب الثالث : حسن الختام	٢١١
١–الختام بالأدعية والوصايا	٢١١ – ٢١٣
٢–الختام ببيان الفرائض وحقوق الأحياء	٢١٣
٣–الختام بتعظيم الله والثناء عليه	٢١٣ – ٢١٤

الموضــوع	الصفحة
٤-الختام بمدح الرسول ﷺ والثناء عليه	٢١٤ – ٢١٥
٥-الوعد بالجنة والوعيد بالعذاب	٢١٥ – ٢١٦
الصورة الاولى : تشبيه المؤمنين بالزرع	٢١٦- ٢١٧
الصورة الثانية : وصف حال أهل الجنة ونعيمها	٢١٧ – ٢١٨
الصورة الثالثة : وعد الصادقين لصدقهم بالرضا	٢١٨
٦-الختام بالحث على الجهاد في سبيل الله	٢١٨ – ٢١٩
٧-الختام بالوعد والتذكير بالوحدانية	٢١٩ – ٢٢١
الفصل الثاني : مظاهر الإيهام والتخييل	**٢٢٢**
أولاً: مفهوم الإيهام والتخييل في اللغة والاصطلاح	٢٢٣ – ٢٢٧
ثانياً : مفهوم النظرية التخييلية عند عبد القاهر الجرجاني والقرطاجني	٢٢٨ – ٢٣١
القسم الاول : القسم العقلي	٢٣١ – ٢٣٢
القسم الثاني : القسم التخييلي	٢٣٢ – ٢٣٣
الضرب الأول : التخييل المقابل أو التشبيه بالحقيقة	٢٣٣ – ٢٣٤
الضرب الثاني : التخييل الموهم بالنظير في الصفة	٢٣٤ – ٢٣٥
الضرب الثالث : التخييل المعلل أو (حسن التعليل)	٢٣٥
الضرب الرابع : التخييل غير المعلل	٢٣٥ – ٢٤٠
ثالثاً : الوظيفة الأُسلوبية للإيهام والتخييل	٢٤٠ – ٢٤٨
المبحث الأول : أُسلوب التورية	٢٤٨
أولاً: مفهوم التورية في اللغة والاصطلاح	٢٤٨ – ٢٥٠
الاولى : تسمية الإيهام	٢٥٠ – ٢٥١
الثانية : تسمية التوجيه	٢٥١ – ٢٥٤
ثانياً : أقسام التورية وصورها	٢٥٤
القسم الأول : التورية المرشّحة	٢٥٥ – ٢٦٣
القسم الثاني : التورية المجرّدة	٢٦٣ – ٢٧٦
ثالثاً : الفروق الأُسلوبية بين :	٢٧٦
أولاً: التورية والتوجيه	٢٧٦ – ٢٧٧
ثانياً : التورية والإستخدام	٢٧٧ – ٢٧٨
المبحث الثاني : أُسلوب التجريد	٢٧٨
أولاً: مفهوم التجريد في اللغة والاصطلاح	٢٧٨ – ٢٨٠

الموضــوع	الصفحة

ثانياً : أقسام التجريد وصوره	٢٨٠
القسم الأول : التجريد المحض	٢٨٠ – ٢٨٢
القسم الثاني : التجريد غير المحض	٢٨٢ – ٢٨٨
ثالثاً : فاعلية التعبير بالتجريد في المظهر البديعي	٢٨٨ – ٢٩١
رابعاً : أنماط التجريد وأثرها في التعبير القرآني	٢٩١ – ٣٠١
المبحث الثالث : أُسلوب حسن التعليل	٣٠١
مفهوم التعليل في اللغة والاصطلاح	٣٠١ – ٣٠٩
الوقفة الأولى : الوقفة (التأملية)	٣٠٩ – ٣١٠
الوقفة الثانية : (المشاهد التصويرية)	٣١٠ – ٣١٣
الوقفة الثالثة : عينات من الرصد الأُسلوبي	٣١٣
أولاً: نمط من التناسب والتقابل الدلالي	٣١٣ – ٣١٦
ثانياً : نمط من الايهام والتخييل	٣١٦ – ٣٢٩
المبحث الرابع : أُسلوب الجناس	٣٢٩
أولاً: مفهوم الجناس في اللغة والاصطلاح	٣٢٩ – ٣٣١
ثانياً : أنواع الجناس وأقسامه	٣٣١
النوع الأول : الجناس التام	٣٣١ – ٣٣٧
النوع الثاني : الجناس غير التام	٣٣٧ – ٣٣٨
ثالثاً : بنية الجناس وقيمته البلاغية	٣٣٨ – ٣٤٢
المبحث الخامس : أُسلوب رد الأعجاز على الصدور	٣٤٢
أولاً: بنية التصدير وإحكام المعنى	٣٤٢ – ٣٤٧
ثانياً : التنوع في أُسلوب التصدير	٣٤٧
النوع الأول : توافق آخر الفاصلة مع آخر كلمة	٣٤٧ – ٣٤٩
النوع الثاني : توافق أول كلمة مع آخر كلمة	٣٤٩ – ٣٥١
النوع الثالث : توافق بعض كلماته مع بعض في أي موضع كان	٣٥١ – ٣٥٨
المبحث السادس : أُسلوب تأكيد الفكرة بما يشبه تقرير ضدها	٣٥٩
أولاً: النشأة والتنوع	٣٥٩ – ٣٦١
النوع الاول : تأكيد المدح بما يشبه الذم	٣٦١ – ٣٦٥
النوع الثاني : تأكيد الذم بما يشبه المدح	٣٦٥ – ٣٦٧
ثانياً : الأثر الأُسلوبي لمظهر تأكيد الفكرة بما يشبه تقرير ضدها	٣٦٧ – ٣٦٨
المبحث السابع : أُسلوب المشاكلة أو الازدواج اللفظي	٣٦٨
أولاً: مفهوم المشاكلة في اللغة والاصطلاح	٣٦٨ – ٣٧٤

الموضــوع	الصفحة
١-المشاكلة بلفظ الخداع	٣٧٤
٢-المشاكلة بلفظ السخرية	٣٧٥
٣-المشاكلة بلفظ العقوبة	٣٧٥
٤-المشاكلة بلفظ الإستهزاء	٣٧٦
٥-المشاكلة بلفظ السيئة	٣٧٦
٦-المشاكلة بلفظ الاعتداء	٣٧٧
ثانياً : ضربا المشاكلة	٣٧٧
الضرب الأول : المشاكلة التحقيقية	٣٧٨ – ٣٨١
الضرب الثاني : المشاكلة التقديرية	٣٨١ – ٣٨٢
ثالثاً : بلاغة المشاكلة وأثرها في التعبيرالقراني	٣٨٢ – ٣٨٥
الفصل الثالث : مظاهر الإجمال والتفصيل	**٣٨٦**
مقدمة : مفهوم الإجمال والتفصيل في الدرس النقدي العربي	٣٨٧ – ٣٩٤
المبحث الأول : أُسلوب الإجمال والتفصيل	٣٩٤
أولاً: اجراءات الإجمال والتفصيل من منظور الدراسات المعاصرة	٣٩٤ – ٣٩٥
الاجراء الأول : الايضاح بعد الإبهام	٣٩٥ – ٣٩٩
الاجراء الثاني : التوشيع	٣٩٩ – ٤٠٣
دلالة التفصيل المنفصل باستحضار الخطاب القراني	٤٠٣ – ٤٠٩
دلالة التفصيل المنفصل باستحضار البيان النبوي	٤٠٩ – ٤١١
١-مقام الوصف بالايجاز	٤١١-٤١٢
٢-مقام التصوير والتشبيه	٤١٢-٤١٣
٣- مقام تفسير مشاهد من القيامة	٤١٣-٤١٦
٤- مقام ضرب الأمثال التصويرية	٤١٦ – ٤١٨
الاجراء الثالث : الإجمال بعد التفصيل	٤١٨
١-مجيء التفصيل قبل الإجمال في سورة واحدة	٤١٨ – ٤٢٠
٢-مجيء التفصيل قبل الإجمال في سورتين مختلفتين	٤٢٠ – ٤٢١
الاجراء الرابع : التكرير وقيمته الدلالية	٤٢١ – ٤٢٧
النوع الأول : تكرار القصص والأخبار	٤٢٧ – ٤٢٩
النوع الثاني : تكرار الألفاظ والأدوات والتراكيب	٤٢٩
ثانياً : أبنية الاجمال والتفصيل ومستوياتها المتغايرة	٤٢٩

الموضـوع	الصفحة
أولاً: البنية الثنائية	٤٢٩
المستوى الاول : المستوى الافرادي	٤٣٠ – ٤٣٢
المستوى الثاني : المستوى التركيبي	٤٣٣
١- التقابل بين أصحاب الجنة وأصحاب النار	٤٣٣ – ٤٣٥
٢- التقابل بين صورة المؤمنين وصورة الكافرين	٤٣٥ – ٤٣٧
ثانياً : البنية المتعددة	٤٣٧ – ٤٣٨
المستوى الأول : الإفرادي	٤٣٨ – ٤٤١
المستوى الثاني : التركيبي	٤٤١ – ٤٤٤
المبحث الثاني : أسلوب الجمع	٤٤٤
أولاً: مفهوم الجمع في اللغة والاصطلاح	٤٤٤ – ٤٥٢
ثانياً : أسلوبية الجمع وعلله المنطقية	٤٥٢ – ٤٥٧
المبحث الثالث : أسلوب التقسيم	٤٥٧
أولاً: مفهوم التقسيم في اللغة الاصطلاح	٤٥٧ – ٤٦٠
ثانياً : إطلاقات التقسيم وضوابطه الموضوعية	٤٦٠ – ٤٦٢
الإطلاق الأول للتقسيم : تقسيم اللّفّ والنشر	٤٦٠ – ٤٦١
الإطلاق الثاني للتقسيم : التقسيم المُذيل	٤٦١ – ٤٦٢
ثالثاً : أنماط التقسيم وعناصره الإجمالية	٤٦٢ – ٤٦٦
رابعاً : الاحتجاج على طريقة التقسيم	٤٦٦ – ٤٧٩
خامساً : أسلوب التفريع وأثره في الدلالة القرآنية	٤٧٩ – ٤٨٦
المبحث الرابع : أسلوب التفريق	٤٨٧
أولاً: مفهوم التفريق في اللغة والاصطلاح	٤٨٧ – ٤٩٤
ثانياً : الأثر الأسلوبي للتفريق في التعبير القرآني	٤٩٤
١- أثر التفريق بين الفعلين	٤٩٤ – ٤٩٦
٢- اثر التفريق بين الفاعلين	٤٩٦ – ٤٩٨
٣- أثر التفريق بين الجزآين	٤٩٨ – ٥٠٠
المبحث الخامس : أساليب جمع المتفرقات	٥٠٠
أولاً: أسلوب الجمع مع التقسيم	٥٠٠ – ٥١٢
ثانياً : أسلوب الجمع مع التفريق	٥١٢ – ٥١٩
ثالثاً : أسلوب الجمع مع التقسيم والتفريق	٥١٩ – ٥٢٨
المبحث السادس : أسلوب اللّفّ والنشر	٥٢٨

الموضـوع	الصفحة
أولاً: مفهوم اللّفّ في اللغة والاصطلاح	٥٢٨ – ٥٣٢
ثانياً : أنماط اللّفّ والنشر	٥٣٢
الضرب الأول : اللّفّ والنشر التفصيلي	٥٣٢
أحدهما : أن يكون النشر على ترتيب اللّفّ	٥٣٢ – ٥٣٥
ثانيهما : أن يكون النشر على غير ترتيب اللّفّ	٥٣٥ – ٥٣٨
الضرب الثاني : اللّفّ والنشر الإجمالي	٥٣٨ – ٥٤٢
ثالثاً : فاعلية أسلوب اللّفّ والنشر	٥٤٢ – ٥٤٤
الخاتمة	**٥٤٥ – ٥٥٦**
ثبت المصادر المراجع	**٥٥٧ – ٥٨٥**
الملاحق	**٥٨٦ – ٦٢٨**
الملخص باللغة الانكليزية	**I - III**

الملاحـــق

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	رقم الصفحة
الفاتحة	
١	٤٠٥ و ٤١١
٣	١٦٥
٣ – ٤	١٤٧
٤	٤٧٦
البقرة	
١	١٨١
٢	١٨٧
١ – ٢	١٨٥ و ١٨٩
١ – ٥	٥٢٢
٦ – ٧	٣٣ و ٥٢٤
٨	١٦٢ و ٣٨١
٨ – ٩	٥٨
١٤ – ١٥	٣٨٠
١٥	٣٧٦
١٦	١٠٢
١٩	٢١٧
٢٥	٣٩٦
٢٦ – ٢٧	٢٤٤
٢٩	١١٠
٣٠ – ٣٨	٤٢٢
٣٧	٤٢٠
٤٠	٤٠٦
٥٠	٤٨٧
٥١	٤٢٠

٥٤	١٠١
٥٧	١٣٣
٥٨	٤١٢ و٤٨١
٥٩	٣٠٦ و٤٨٠
٧٤	١٦٦
٧٩	٥١٨
٨٠	٤٨١
٨٩	١٦٧
٩٨	١٦٨ و٣٠٧
١٠٤	٢٦٥
١٠٩	٣٥٥
١١١	٥٣٨
١٢٠	٣٦٢
١٣٨	٣٧٧ و٣٨٠ و٣٨١
١٤٥	٢٦٤
١٥٢	أ
١٥٣	١٣٣
١٦٤	٤٥٥
١٧٩	٤٥ و٥٧
١٨٥	٢٧١ و٥٤٣
١٨٧	٦٠ و٣٥٧ و٣٥٨
١٩٠	١٣٣
١٩٣	٣٧٠
١٩٤	٣٧٠ و٣٧٧ و٣٧٩ و٣٨٠ و٣٨٣
١٩٥	١٣٣ و٣٤٩
١٩٦	٤١٩
٢٠٩	١٠٣

٢١٤	٥٤١
٢٢٥	٥٧
٢٢٩	٣٧٧
٢٤٥	٤٠٧
٢٥٢	٥٢٢
٢٥٤	١٦٧
٢٥٧	٤٧١
٢٥٩	٢٨٨
٢٦٠	٤٩ و٢٨٧
٢٦٤	٢١٧
٢٧٧	٣٩٢
٢٨٦	٤٨ و٢١٢
آل عمران	
١ – ٢	١٨٩
٢	١٦٥
٣	٥٢٧
٤	١٦٥
٦	١٦٥
٧	٥٢٦ و٥٢٧
٨	٣٤٤ و٣٤٩
١٣	٤٧١
١٤	٤٥٦
١٨	١٦٥
٢٦	٤٥ و٦٣
٢٧	٤٥ و٦٢
٢٩	١٠٣
٣٠	٣٧٩
٣١	١٦٥

٣٣	١٣٣
٤٣	١٦٥
٤٨ – ٤٩	١٤٣
٥١	٤٨٥
٥٤	٣٨٠
٦٩	٣٥٥
٩٢	٢٦٨
١٠٦ – ١٠٧	٦١ و٦٣ و٤٦١ و٤٧٥ و٥٣٥
١١٠	١
١١٧	١٣٣ و٢١٧
١٤٧ – ١٤٨	٥٤٠
١٤٨	٥٣٦
١٩٠	٢٩٠
١٩٠ – ١٩١	٤٦٩ و٤٧٥
١٩٢ – ١٩٤	٤٠٩
١٩٦	٤٨٣
٢٠٠	٢١٣
النساء	
١	١٧٧
٣	٢٧٣
٢٢	٣٦٨ و٥٠٦
٢٤	٥٠٦
٤٣	٢٧٢
٤٦	٢٦٥ – ٢٦٦
٦٤	٣٠٧
٨٠	٣١٢
٨٣	٦٣
٩٤	٢٧٤

٩٥	٤٩٦ و٤٩٧
١٤١	٣١٠
١٤٢	٣٧١ و٣٧٤ و ٣٨٠
١٥٥ – ١٦١	٥٠٣
١٥٥	٥٠٤
١٥٩	٥٠٤
١٦٠	٥٠٤
١٦٤	٣٤٩
١٧٢ – ١٧٣	٥٠٩
١٧٤ – ١٧٥	٥١٠
١٧٦	٢١٣
المائدة	
١	١٩٨
٢	٩٣
٣	٤٠٣
٥	٣٥٧
٧	٤٠٧
١٢	٤٠٦
١٧	٣٢٨
١٨	٣٢٥
٢٠ – ٢١	١٩٥
٢٥	٣٨٧
٢٨	١٩٦
٣١	٢٤٨
٣٣	٥٣٠
٥٢	٣١٠
٥١	٣٦٢
٥٤	٥٤ و٣٦٢ و٤٦٢

٥٧	٣٦٢
٥٩	٣٦٢
٨٩	١٣٠
٩٠	٤٥٠
٩٦	٣٤٩
١١٦	٥٧ و١٩٦ و٣٧٩ و٣٨٠
١١٨	١٠٢ و١٠٩
١١٩ – ٢٠	٢١٨
الأنعام	
١٠	٣٥١
٢١	٣٠٨
٢٣	٤٠٨
٣٠	٣٢٦
٥٢	٣٥٧ و٣٥٨
٥٩	٢٤٣
٦٥	٤٤٠
٧٦	٣٢٥
٨٠ – ٨٣	٣٢١
٨٣	٣٢٦
٩١	٣٢١
٩٥	٦٣ و٢٩١ و٣٩٨
١٠٣	٥٦ و١٠٢
١٢٢	٤٩
١٢٨	١٦٥
١٤٥	١٦٥ و٤٠٤
١٥١	٣٩٧
١٦١ – ١٦٢	٢١٢
١٦٥	١٦٥

الأعراف	
٣	٥٧
١٦ – ١٧	٤٣٩
٢٠	٩٩
٢٢	٢٠٨
٢٣	٤٢٠
٢٦	٢٠٨
٢٧	٢٠٨
٣٤	١٣٣
٤٠	٢٧٦
٥١	٣٨٠
٧٧	٣٢٠
١٠٠	١٢٤
١٠٩ – ١١٧	٤٢٣
١١١ – ١١٢	٤٢٥
١١١ – ١٢٥	٤٢٢
١٢٦	٣٦٧
١٢٩	٤٠١
١٣٣	١٠٥
١٣٦	٤٠٢
١٣٧	٤٠٢
١٤٢	٤١٩
١٤٣	٥٧
١٥١	٤٢٠
١٧٠	١٦٨

١٧٥	٤٣٨
٢٠١ – ٢٠٢	١٤٩
٢٠٥	٢١٩
٢٠٦	٢١٤
الأنفال	
٧ – ٨	٣٥٣
٨	٣٠٥
١٢	٢٧٤
١٧	٥٧ و٥٨
١٩	٣١٠
٢٣	٣٢٦
٢٤	٤١١
٣٠	٣٨٠
٣١	١٢٤
٣٨	٧٨
٦٣	١٦٥
٦٧	١٦٥ و٣٠٤ و٥٤٠
٦٨	٣٠٤
٧٠	١٦٥
٧١	١٦٥
٧٥	٢١٨
التوبة	
١	١٧٩
٥	١١٦ و١٦٥
١٧	٤٩٥

١٩	٤٩٤
٢٠	٩٢
٢٤	٩٢
٢٧	١٦٥
٢٨	١٦٥
٣٤	٩١ و ٩٢
٣٥	٩٣
٣٦	٤٠٠
٣٧	٤٠١
٤٠	١٦٥
٤١	٩٢
٤٤	٩٢
٥٥	٩٢
٦١	٣٨٠
٦٧	٨٠ و ٣٨٠
٦٩	٩٢
٧٠	١١٨ و ١٣٣
٧١	٨١
٧٤	٣٦٦
٧٩	٣٧٥
٨١	٩٢
٨٥	٩٢
٨٨	٩٢
١٠٣	٩٢
١١	٩٢

١٢٧	٣٧١ و ٣٨٠
١٢٨ - ١٢٩	٢١٤
يونس	
١	
١٢	٦٩ و ٤٧٠
١٩	١٣٠ و ٣٠٦
٢١	١٣٠ و ١٣١ و ٣٨٠
٣١	٣٥٨
٧١	٤٣٩ - ٤٤٤
٩٢	٢٦٤
١٠٤ - ١٠٩	٢٢٠
١٠٧	١٦٥
هود	
١	١٣٩ و ١٦٥ و ١٧٥ و ١٨٧
٢	١٦٥
٥	٤٦
٩	١٦٥
١٩ - ٢٤	٥٣٦
٤٤	٤٥ و ١٢٥ و ١٩٩
٤٥	١٧٧
٧٥	١٦٥
٤٥	١٧٧
٧٥	١٦٥
٨٢	٤٤٢
٨٥	٧٢

٨٧	٧١
٩١	٣٠٥
٩٥	٢١٠
١٠٣ – ١٠٥	٥٢٥
١٠٥ – ١٠٨	٤٧٤
١٠٥	٤٩١
١٠٦ – ١٠٧	٥٢٥
١٠٦	٤٩٢
١٠٧	٤٩٢
١٠٨	٤٩٢ و٥٢٦
١١٣	٩٧
١٢٣	١٧٧
يوسف	
٤	٢٠٥
١ – ٥	٢٠٤
٥ – ٨	٢٥٧
٨	٢٥٧ و٢٥٨
٢١	٢٥٩
٢٣	٢٥٩
٢٦ – ٢٧	٣٥٨
٣٠	٢٥٧
٨٥	٩٥
٨٨	٣٣٦
٩٤ – ٩٥	٢٥٦ و٢٥٧
٩٥	٢٥٧

١٠٠	١٦٥
١١١	٢٠٦
الرعد	
٤	٣٢٣
٧	١٥٩
٨	١٩٧
٩	١٥٩
١١	١٥٩
١٢	٤٥ و٦٢ و٤٥٧ و٤٧٥
١٤	٥٧
١٦	١٦٥
١٧	٥٤١
١٩	٤٩٦
٢٨	٤٦٩
٣٣	١٥٩
٣٤	١٥٩
٣٨	١٥٩
٣٨ – ٣٩	٢٧١
إبراهيم	
١	١٨٧ و٣٥٦
١٣	٧٨
١٨	٢١٧
٢٢	٥٧
٢٤	٤١٥

٢٧	٤١٥
٣١	١٦٦
٣٤	١٥٨ و ١٦٤
٣٧	٤٠٩
٣٨	٤٦ و ٤٠٩
٤١	٤٠٩
٤٦	١٣٢
٤٨	١٩١ و ٢٩٥
٥٢	٢٢٠
الحِجر	
١	١٨٧
٩	١٥٦
٢٦	٤٢٢
٢٦ – ٤٤	٤٢٢
٢٩	٢٣٩
٤٤	٤٢٢
٨٧	٤١١
النحل	
١	٢٧٢ و ٣١٨
٦	٤٦
١٤	٤٩٠
١٨	١٦٤
٢٣	٤٦ و ١٤٩
٣٨	٣٠٨
٣٩	٣٠٨

٤٤	٤١٠
٥٨	٦١ و٤٦٦
٨٩	٣٥٤
١٢٦	٣٧٠ و٣٧٥
١٣٦	٣٨٠
الإسراء	
١	٤٧ و٢٠٢
٢	٢٠٢
١ – ٣	٣٠١
١٢	٥١٣ و٥١٦ و٥١٧
٢١	٣٥١
٢٣	٥٧
٢٩	٤٥ و٥٣٣
٣٠	٤٦
٣١	٣٩٧
٤٣	٢٠٢
٤٤	١٦٥ و٢٠٢
٤٥	١٦٨
٦١ – ٦٥	٤٢٢
٦٤	٤٤٠
٦٥	٤٢٢
٧٦	٧٨
٧٨ – ٧٩	٢١٠
٨١	٣٤٩
٨٤	٣٦٨

٨٨	٤٤
١٠٨	٢٠٢
٢٥٧	٤٥
الكهف	
١ – ٢	٣٣٩
٧	٤٤٨
١١	٤٠٢
١٦	٧٩
١٨	٤٣
٢٥	٤٠٣
٢٦	٤٠٣
٣٠	١٦٨
٣٧	١١٤
٤٤	٤٤٨
٤٦	٤٤٥ و٤٤٦
٥٠	٤٢٢
٦٤	٤٧٠
مريم	
١	١٥٠
١ – ٢	١٨٧
٦	٢٩١ و٣٠٠
١٥	٨٣
١٦	١٨٨
٣٣	٤٦ و٨٤
٣٦	٤٨٥
٣٧	٤٨٦
٣٩	٤١٣
٤١	١٨٨

٤٥	٩٦
٥١	١٦٥ و١٧١ و١٨٨
٥٤	١٧١ و١٨٨
٥٦	١٨٨
٦١	١٦٩
٦٢	٣٦٣
٦٤	٤٧٠
٩٧	١٨٨
طه	
١ – ٣	٣٦٤
٢ – ٣	٣٦٥
٥	٢٤٠ و٢٥٠ و٢٦٣
١ – ٦	١٤٨
١٧ – ١٩	٤٢٧
٣٩	٤٦
٥٥	٤٦
٥٧ – ٦٩	٤٢٤
٦١	٣٥١ و٤٨٢
٦٦	١٥٧ و٢٢٤
٦٧	١٥٧
٦٨	١٥٧
٧١ – ٨٥	٤٢٢
٧٨	١٧٣
٧٩	٤٦ و١٦١
١٠٨	٤٩٢
١١٥ – ١٢٧	٤٢٢

١١٧	١٦٥
١١٨ – ١١٩	٤٦ و٨٠ و١٠٤
١٢٠	٩٩
١٢٧	٧١ و٤٦٩
١٣٠	١٣٣
١٣٢	٩٨
الأنبياء	
٢١ – ٢٢	٣٢٨
٢٢	١٧٨ و٣٢٤
٣٧	٣٥١
٦٦	١٧٣
٨٧	٣٤٧
١١٢	٢١٣
الحَج	
١	١٧٨
٢	٣٥٣
٤	٥٥
٥	٥٨ و٤٧٨
١ – ٧	٣٢٦
٥ – ٧	٣٢٦
٩	٤٠٥
١٤	١٩٨
٢٣ – ٢٤	٤٠٥
٤٠	١٦٥ و٣٦٣
٦٠	٣٨،٤٥

٦١	٣٨٠
٦٤	١٠٢
٧٣	٢٤٥
٧٧	١٠٠
المؤمنون	
١	٧٤
٢	٥٠٦
٤	١٥٨
١ – ٥	٥٠٥
٧	٥٠٦
٨ – ١١	٥٠٦
٩	٥٠٦
١٢ – ١٣	٤٧٨
١٢ – ١٤	١١٤
١٥ – ١٦	٥١
٧٢	٣٨٠
٩١	٣٢٦
١١٧	٧٤
١١٨	٢١٣
النور	
٢٠	١٦٥
٣٥	١١١
٣٩ – ٤٠	٢١٧
٤١	٤٤ و ٥١ و ٣٣٦

٤٢	١٥٧
٤٣	٣٣٦
٤٣ – ٤٤	٣٣٥
٤٤	٣٣٦
٤٥	٤٧٠
٤٨ – ٥٠	٤٧٥
٥٩	٤٧٨
الفرقان	
٢٢	١٦٩
٢٣	٢١٧
٢٥	٢٩٤
٣٢	٣٨٨
٥٣	٤٩٣
٥٤	٤٣١
٥٩	٢٩٦
٧٠	٤٣
٧٤	٢٩٢
الشعراء	
٤	١٦٦
٢٩ – ٣٠	٤٢٧
٣٦	٥٧
٣٤ – ٤٥	٤٢٥
٦١	٥٧
٦٩	٤٣٩
٧٢ – ٧٣	١٥٨ و ١٦٠

٩٤ – ٩٥	٩٨
١١٩ – ١٢٠	٤٦
١٥٥	١٥٦
١٦٨	٣٤٤ و ٣٤٩
النمل	
١٠	٤٢٦
٢٢	١٤١
٥٩	٢٠٦
القصص	
٣	٤٣٩
١ – ٣	٤٢٥
١٢	٢٦٧
٣١	٤٢٧
٥٧	١٦٩
٦٨	١٩٨
٦٩	٤٦
٧١ – ٧٢	٥٥ و ١٠٦
٧٣	٤٣ و ٥٤ و ٦٣ و ٥٣٢
٧٧	٣٥٠
٨١	٤٤٢
العنكبوت	
١ – ٢	١٨٧
٦	٢١٩
١٨	١٥٦
٤٠	١١٨ و ٤٤١
٤١	١٣٣ و ٢٤٥

٤٥	١٨٨
٤٧	١٨٨
٤٨	١٨٨
٤٩	١٨٨
٥١	١٨٨
٥٥	٤٤٠
٦٢	٤٦
٦٩	٢١٨
الروم	
١ – ٢	١٨٧
٣ – ٤	١١٣
٦	١٢٣
٦ – ٧	٥٧ و١١٢
٩	٣٣٢
١٧	٤٦
١٧ – ١٨	٤٧١
٢٣	٥٣٩
٢٧	٣٢٤ و٣٢٦
٢٩	١٥٨
٣٠	٤١٥
٤٣	٣٣٩
٥٥	٣٣٤
٥٨	١٨٨
٦٣	٣٤٤

لقمان	
١٣	٤٨٦
١٤	أ
١٣ – ١٦	٢٠٩
٢٠	٤٦
٢٢	١٥٨
السجدة	
٦	٥٢٢
٢٦ – ٢٧	١٠٨
٢٨ – ٢٩	٣١٠
الأحزاب	
٤	١٥٩ و ٣٢٢
٧	٣٢٠
٢١	٢٩٣
٣٤	٤١٠
٣٥	٤٥٥
٣٧	٣٤٣
٦٧	١٦٢
سبأ	
١٥ – ١٦	٣٨٠
١٦	٣٨٣
١٧	١٣٣
١٨ – ١٩	٢٦٩
٢٤	٤٨
٢٨	٢٤٩
٤٩ – ٥٠	١٤٧

فاطر	
١	٤٠٥
٩	١٥٨
١١	٤٧٨
١٢	٤٨٩
١٣	٦٣ و٣٥٨
١٩ – ٢٢	٤٢ و٤٩٩
٢٣ – ٢٤	٤٠٥
٢٥	٧٨
٢٧	٦٠ و٦٣ و١٧٠
٣٢	٤٥٨ و٤٥٩ و٥١٠
٣٣ – ٣٤	٤٠٥
١٢٢	٥٧
يس	
١٥ – ١٦	٥٢
٣٧	١٣٤
٤٠	٣٣٦
٥٦	١٥٨
٦٦	١٢٤
٧٨	١٦٥ و٣٢٤
٧٩	٣٢٤ و٣٢٦
٨٠	٣٢٤
٨١	٣٢٤ و٣٢٦
٨٣	٣٢٦
الصافات	
٧٧	١٣٣

١١٨	١٤٥
١٨٠ – ١٨٢	٢١٤
ص	
٢٦	٣٢٦ و٣٢٧
٣٠	٢٠٧
٤٥	٢٠١ و٢٠٧
٤٦	٢٠٧
٤٧	٢٠٧
٤٨	٢٠٧
٤٩	٢٠٧
٤٩ – ٥٠	٨٨
٥٣	٢٠٧
٥٤	٢٠٧
٥٥	٢٠٧
٥٨	٣٦٨
٧١ – ٧٦	٥١٥
٧٦	٥١٥
١ – ٨٨	١٤٧
الزمر	
٩	٥٧ و٤٩٦ و٤٩٧
٤٢	٥١٤
٥٦	٢٤٠
٦٧	٢٤٠ و٢٥٠
٧١	٨٦
٧٣	٨٦
غافر	

٤	٤٨٢ و٤٨٣
٥	٤٨٢ و٤٨٣
٧	٥٠٧ و٥٠٨
٢٨	٤٦٧
٤١	٤٥
٦٠	٢٩٢
٦٧	١١٤ و٤٧٧
٧٩ – ٨٠	٤٤٩
٨١	٤٩٠
فُصلت	
٣	١٣٩
١١	١٦٦
١٤	١٢٤
٢٨	٢٩٤
٢٨ – ٢٩	٢٨٥
٣٧	١٥٧ و٤٩٠
٣٩	٤٩٠
٤٣	٥٠٨
٥١	٧٠
الشورى	
٥	٥٠٧
١١	٤٥٣
٢٨	٢٦٠
٤٠	٣٧٠ و٣٧٦ و٣٧٨ و٣٨٣ و٣٨٤

٤٨	٤٦٣
٤٩ – ٥٠	٤٦٢
الزخرف	
٤	١٦٩
١٢	١٦٢
٢٥	١٦٨
٦٠	١٢٤
٦٣ – ٦٥	٤٨٤ و٤٨٥
٨١	٣٢٦
الدّخان	
٤	٤٨٧
٥١	٢١٧
٥٦	٣٦٣
٥٩	٢١٧
الجاثية	
٣ – ٥	٤٩٠
٧ – ٩	٥١٨
٩	٥١٩
١٠	١٥٦
٢٠	٤٥٤
٢٨ – ٣١	٤٣٣
٣٠	٤٣٣
٣٤	٣٨٠
الأحقاف	
١	٢١٣
٣٣	٢١٣

الآية	الصفحة
محمد	
٤	٢٧٤ و٣١٣
٧	٣١٣
٣٥	٣١٤
الفتح	
١	٣١٠ و٣١٣
١ – ٣	٣٠٨
٤	٣٠٨ و٣٠٩ و٣١٣ و٣١٧
٥	٣٠٩ و٣١٤ و٣١٧
٦	٣٠٩ و٣١٤
٩	٣١٧
١٠	٢٤٠ و٢٦٤ و٣١٢ و٣١٦
١١	٣٢٠
١٤	٥٥ و٣١٤
١٧	٣١٤
٢٩	٤٥ و٥٣ و٢١٦ و٣١٠ و٣١٤ و٣١٧ و٣٢٠
الحُجرات	
١٣	٢٣١ و٤٦٦
١٤	٣٥٢
ق	
٢٢	٧٠
٢٣ – ٢٥	١٤٧
٢٩	١٦٣
٣٧	٢٩١ و٣٠٠
٣٩	١٣٣
٤٥	٢١٦
الذاريات	
٤٠	٤٤٢

٤٧	٢٤٠
الطور	
٣٤	١٠٣
٤٩	٢١٣
النجم	
٣ – ٤	٤١٠
١٥	١٥٨
١٩ – ٢٢	١٦٣
٤٣ – ٤٤	٤٦
٥٠ – ٥١	٤٤٢
القمر	
١٤	٢٣٩
١٦	٤٢٨
١٧	٤٢٨
١٨	٤٢٨
٢١	٤٢٨
٢٢	٤٢٨
٣٠	٤٢٨
٣١	٤٤٢
٣٢	٤٢٨
٤٠	٤٢٨
٥٥	٢١٦
الرحمن	
٥	٩٤
٥ – ٦	١٠٣ و٤٥٢
١٠ – ١١	١٥٠
١٤	٤٧٨
١٩ – ٢٠	٩٤
٢٢	٩٤
٣٧	٢٩٤

٣٩	٩٥
٤١	٩٥
٤٦	١٦٦
٤٧	٢٤٠
٥٨	٩٥
٦٠	١٣٣
٦٢ – ٦٤	١٥٤
٦٨	٩٥ و٤١٢
الواقعة	
١	١٩٣
٨ – ٩	١٦٨
٧ – ١٠	٤٧٢
١٠	٤٧٣
١١ – ١٢	٤٧٣
٢٥ – ٢٦	٣٦٢
٢٦	٤٧٦
٢٧	١٦٨
٢٧ – ٣٢	٤٧٣
٢٨ – ٣٠	١٤٤
٣٩ – ٤٠	٤٧٣
٤١ – ٤٢	٤٧٣
٥٦	٤٧٣
٥٨ – ٥٩	١٢١
٦٣ – ٦٥	١١٩ و٤٧٥
٦٨ – ٧٠	١٢١

٦٩	١٢١
٧٢	١٢١
٨٩	٣٣٩ و٣٤٠ و٣٤٤
الحديد	
٣	٨ و٤٣
١٠	٤٩٧
١٨	٤٠٧
٢٣	٧٧
٢٦	٤٣٢ و٤٧١
٢٩	٢١٦
المجادلة	
١٨	٤٠٨
٢٢	٢١٦
الحشر	
٧	٤١٠
٩	٢٦٨
٢٠	٤٩٨
٢٤	١٠١
الممتحنة	
١٠	٣٥٧
الصف	
١٣	٣١٧
الجُمعة	
١ – ١١	٦٦
المنافقون	
٨	١٩٥
التغابن	
١٥	٤٥٦
١٧	٤٠٧
الطلاق	

١١	٢١٧
التحريم	
١٢	١٦٥
المُلك	
٣	٤٠
١٣	٤٥
١٩	٥٠
القلم	
١	١٨٩
٢ – ٣	١٤٩
٩	٣٤٤ و٣٥٤
الحاقة	
١ – ٢	١٤٢
١ – ٣	١٦٨
٤ – ٦	٤٦٠
٦	٤٤٢
١٦	٢٩٤
١٨ – ١٩	٤١٤
١٩ – ٢٠	١٦١
١٩ – ٢١	١٦٩
٢٧	١٦١
المعارج	
١	٢٩٧
١ – ٤	٢٠٨ و٢١٠
٦ – ٧	٦٣
١٩ – ٢١	١٥٥
نوح	
١٠	٣٤٤ و٣٤٩
١٣ – ١٤	١٤٣
١٩ – ٢٠	١٧١
٢٥	٥٢ و٤٤٢

٢٦ – ٢٨	٢١٢
الجن	
٩٠	١١٦
المُزَمِل	
١ – ٦	٢١٠
١١ – ١٩	٢١٥
٢٠	٤٠٧
المُدّثر	
٣	٣٣٧
١٧	٢١٥
٢٢	١٧٢
٢٦ – ٢٨	١٧٢
٢٦ – ٣٠	٢١٥
القيامة	
١	٦٦
١ – ٢	٥٧
٣	٤٣٠
٢٣	١٥٨
٢٩ – ٣٠	١٤٨
٣١ – ٣٢	٣٦٥
٣٤ – ٣٥	١٤٢
٣٦ – ٤٠	٤٣٠
٣٦	٤٣٠
٣٧ – ٣٩	٤٣٠
٣٩	٤٦٦
الإنسان	
٨	٢٦٨
٩	٢٦٨
المُرسلات	
١ – ٢	١٥١ و ١٥٢

النبأ	
٦ – ٧	١٤٣
٢١	١١٦
٢١ – ٣٠	٢١٦
٢٤ – ٢٥	٣٦٥
٣٨	٤٩٢
عَبَسَ	
٣٨	٤٣٦
٤٠	٤٣٦
التكوير	
١	١٩٠
٣ – ٤	١٥١
١٤	١٩٢
١ – ٢٢	١٩١
الإنفطار	
١ – ٤	١٩٣
١٣ – ١٤	١٤٤
١٤	١٤٥
المطففين	
١٤ – ١٥	١٥٤
الإنشقاق	
١	٢٩٤
١ – ٥	١٩٣
١ – ٢٥	٦٦
٦ – ١٢	٤٦١
٧	٤٦١

٧ – ٨	٤١٤
١٠ – ١٢	٤٦١
١٩	٤٠
البروج	
١ – ٢	١٤٧
٨	٣٦٢
الطارق	
١ – ٣	١٤٧
٥ – ٦	١٦٩
٦ – ٧	٢٦٣
الأعلى	
١١ – ١٢	١٥١
١٩	٢١٦
الغاشية	
١ – ١٦	٤٣٥
٨	٤٣٦
١٣ – ١٤	١٤٣
١٣ – ١٦	١٣٧
١٥ – ١٦	١٤٣
٢٥ – ٢٦	١٤٤
الفجر	
١ – ٣٠	٦٦
٤	١٥٩ و ١٦٠
١٤	١١٦
٣٠	٢١٦
البلد	
١٤	٤١٩

الشمس	
١ – ٨	٦٣
١ – ١٥	٦٦
الليل	
١ – ٢١	٦٥
٥ – ١٠	٦٦
٧	٦٧
١٠	٦٧
١٢ – ١٣	١٥٨
٢١	٢١٦
الضُحى	
١ – ٣	١٦١
١ – ١١	٦٦ و١٤٢
٦ – ٨	٥٣٤
٦ – ١١	٥٣٤
٩ – ١٠	١٤٤
٩ – ١١	٥٣٤
١١	١٧٣
التين	
٣	١٦٩
العلق	
١ – ١٩	١٤٢
القدر	
١ – ٥	٦٦
البيّنة	
٤	٤٥٣
٥	٤١٨
٦	٤٥٢
٨	٢١٦
الزلزلة	

١	١٩٣
١ – ٢	١٩١
٦ – ٨	٤٧١
٧ – ٨	١٥١
العاديات	
١ – ١١	١٤٧
القارعة	
١ – ٣	١٦٨
٥	١٩١
٦ – ٧	١٦٩
التكاثر	
٣ – ٤	١٤٢
٨	٢٩٧
العصر	
١ – ٣	٦٦ و ١٤٢
الهُمزة	
٨ – ٩	٨٩
الماعون	
١ – ٧	٧٤
الكوثر	
١ – ٢	١٥٢
١ – ٣	٧٤
٢	٧٥
٣	٣١٥
النصر	
١ – ٣	٢١٤
الإخلاص	
١ – ٤	١٤٨

الناس	
١ – ٣	١٦٨
١ – ٦	١٤٢ و١٤٩
٤	٩٩

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

طرف الحديث	الصفحة
١- أعددتُ لعبادي الصالحين	٨٨ – ٨٩
٢- من ترك صفراء أو بيضاء	٩٣
٣- لا توكي فيوكي الله	٩٣
٤- مَن أتاه الله مالاً	٩٣
٥- إنَّ خلقَ أحدكم	١١٤
٦- اقتتلت امرأتان من هُذيل	١٣٨
٧- أسجعاً كسجع الكهان	١٣٨
٨- لقد أُنزلت عليَّ الليلة سورة	٣١٠
٩- إنَّ لله تسعاً وتسعين اسماً	١٨٣
١٠- إنَّ العبدَ إذا أذنبَ ذنباً	١٥٤
١١- أصبحَ من عبادي مؤمن بي وكافر	٢٦١
١٢- هادٍ يهديني السبيل	٢٦٤
١٣- لولا أخاف أن أشقَّ على أُمتي	٣٠٦
١٤- الظلمُ ظلماتُ يوم القيامة	٣٤٤
١٥- أنا أفصحُ العرب بيد أني	٣٦٠
١٦- يهرم ابن آدم ويشب منه	٣٩٩
١٧- لا يزال قلب الكبير شاباً	٣٩٩
١٨- ولك الحمدُّ على كُلِّ حال	٤٠٥
١٩- أنا من ماء	٢٦٣
٢٠- اللهم أعني عليهم بسبعٍ	٢٦٠
٢١- مَن نوقش الحساب عُذب	٤١٤
٢٢- خذوا عني مناسككم	٤١١
٢٣- صلوا كما رأيتموني أُصلي	٤١١

٢٤- لتأخذوا مناسككم	٤١١
٢٥- لأعلمنك سورة هي أعظم السور	٤١١
٢٦- الحمدُّ لله ربِّ العالمين	٤١١
٢٧- قيل لبني إسرائيل	٤١٢
٢٨- يؤتى بالموت كهيئةِ كبشٍ	٤١٣
٢٩- ليس أحد يُحاسب يوم القيامة	٤١٤
٣٠- ما من مولود إلاَّ يولدُ على الفطرة	٤١٤
٣١- كُلُّ عبادي خُلقت حنفاء	٤١٥
٣٢- المسلم إذا سُئل في القبر	٤١٥ – ٤١٦
٣٣- إنَّ من الشجر شجرةً	٤١٦
٣٤- إنَ مثل الإيمان كمثل شجرةٍ	٤١٧
٣٥- من أبطأ به عمله	٢٣١
٣٦- الخمرُ من هاتين الشجرتين	٤٥٠
٣٧- كُلّ الناس يغدو	٤٦٢
٣٨- لا مدٌ ولا تجريد	٢٧٩
٣٩- الطهورُ شطرُ الإيمان	٤٦٢
٤٠- حديث الشفاعة الطويل	٤٩٢
٤١- استقيموا ولن تحصوا	٥٠٦
٤٢- بِعْ الجمعَ بالدراهم	٥١٢

فهرس الأبيات الشعرية

صدر البيت	الشاعر	الصفحة
١- هُم ساعدُ الدّهرِ الذي يُتقى بهِ	الأشهب بن رميلة	٢٠
٢- فتىً كالسحاب الجون تخشى وترتجى	أبو الطيب المتنبي	٦٢
٣-ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا	أبو دُلامة	٧٦
٤- أزورهم وسوادُ الليلِ يشفعُ لي	أبو الطيب المتنبي	٧٦
٥- آلُ المهُلب جَذَّ اللهُ دابرهم	جرير	١٦٦
٦- لو لم تكن نيّةُ الجوزاء خدمتهُ	دون نسبة	٣٠٢
٧- ما بهِ قتلُ أعاديهِ ولكن	أبو الطيب المتنبي	٣٠٢
٨- والصدقُ أبلجُ لا يُخيل سبيله	دون نسبة	٢٢٤
٩- فلستُ بنازلٍ إلاَّ المتْ	رجل من بُحتر	٢٢٤
١٠- حملناهم طُراً على الدُّهم بعدما	دون نسبة	٢٢٥
١١- لولا التَّطير بالخلافِ وأنَّهم	عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع	٢٢٦
١٢- لقضيتُ نحبي في فنائك خدمةً	عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع	٢٢٦
١٣- وقفتُ بها من بعد عشرين حجةً	زهير بن أبي سلمى	٢٢٧
١٤- هلْ غادرَ الشعراءُ من مُتردِم	عنترة بن شدّاد	٢٢٧
١٥- ويصعدُ حتى لظنَّ الجهول	أبو تمام	٢٢٩
١٦- لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى	أبو الطيب المتنبي	٢٣٢
١٧- وكُلُّ أمرئٍ يولي الجميلَ مُحببٌ	أبو الطيب المتنبي	٢٣٢
١٨- لا تنكري عطلَ الكريم من الغنى	أبو تمّام	٢٣٣
١٩- وبَدا الصباحُ كأنَّ غُرتّهُ	محمد بن وهيب الحميري	٢٣٤
٢٠- كأن السحاب الغُرَّ غيبن تحتها	أبو تمّام	٢٣٥
٢١- ألا أن صبري من عزائي بلاقعُ	أبو تمّام	٢٣٥

٢٢- ولا تجعل الشورى عليك غضاضة	بشار بن برد	٢٤٢
٢٣- من مبلغ افناء يعرُبَ كُلَّها	أبو تمّام	٢٤٥ و٣٧٨
٢٤- يشلهم بكُلِّ أقبّ نهدٍ	أبو الطيب المتنبي	٢٥١
٢٥- وكلّ أصمٍ يعسل جانباه	أبو الطيب المتنبي	٢٥١
٢٦- خاط لي عمرَو قباء	بشار بن برد	٢٥١
٢٧- قلت شعراً ليس يدري	بشار بن برد	٢٥١
٢٨- يغادر كل ملتفتٍ إليه	أبو الطيب المتنبي	٢٥٢
٢٩- صلب العصا بالضرب قد دَمّاهَا	أبو العلاء المعري	٢٥٢
٣٠- إذا أرادت رَشداً أغواها	أبو العلاء المعري	٢٥٢
٣١- أيها المنكحُ الثريا سُهيلاً	عمر بن أبي ربيعة	٢٥٥
٣٢- هي شاميةً إذا ما استقلت	عمر بن أبي ربيعة	٢٥٥
٣٣- إذا نزل السَّماءُ بأرض قومٍ	مختلف النسبة	٢٦٩
٣٤- فسقى الغضا والساكنيه وإن هُمُ	البحتري	٢٧٠
٣٥- كم بالكثيب من اعتراض كثيب	البحتري	٢٧٠
٣٦- ودعْ هُريرةَ إنّ الركب مرتحل	الأعشى	٢٧٨
٣٧- قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل	أمرؤ القيس	٢٧٨
٣٨- لا خيلَ عندّك تُهديها ولا مالُ	أبو الطيب المتنبي	٢٧٨ و٢٨٢
٣٩- إلامَ يراك المجد في زيٍّ شاعرٍ	الحيص بيص	٢٨٠
٤٠- كتمت بعيب الشعر حلماً وحكمة	الحيص بيص	٢٨٠
٤١-حننت إلى ريا ونفسك باعدت	الصمة بن عبد الله	٢٨١
٤٢- فما حسن أن تأتي الأمر طائعاً	الصمة بن عبد الله	٢٨١
٤٣- وأذكرُ أيام الحمى ثم أنثني	القشيري	٢٨١
٤٤- بنفسي تلك الأرض ما أطيب الرُّبا	القشيري	٢٨١

٤٥- أما وأبيك الخير إنك فارسُ الـ	الحيص بيص	٢٨١
٤٦- وإنك أعييت المسامع والنهى	الحيص بيص	٢٨١
٤٧- وأجز الأمير الذي نعماه فاجئةٌ	أبو الطيب المتنبي	٢٨٢
٤٨- أقول للنفس تأساءً وتعزيةٍ	أعرابي	٢٨٣
٤٩- كلاهما خلفٌ من فُقد صاحبه	أعرابي	٢٨٣
٥٠- فلئن لقيت لأرحلن بغزوةٍ	قتادة بن مسلم الحنفي	٢٩٦
٥١- هلا سألت الخيل يا ابنة مالك	عنترة بن شداد	٢٩٨
٥٢- يا خير من يركب المطي ولا	الأعشى الكبير	٢٩٩
٥٣- وشوهاء تعدو بي إلى صارخِ الوغى	دون نسبة	٢٩٩
٥٤- لو لم تكن نية الجوزاء خدمته	دون نسبة	٣٠٢
٥٥- ما به قتلُ أعاديه ولكن	أبو الطيب المتنبي	٣٢٥
٥٦- لكل امرئٍ نفسان : نفسٌ كريمةٌ	الفرزدق	٣٢٥
٥٧- ونفسك من نفسِك تشفع للندى	الفرزدق	٣٢٥
٥٨- أظن الدمعَ في خدي سيبقى	أبو تمام	٣٤٤
٥٩- ليس له عيبٌ سوى أنّهُ	ابن الرومي	٣٦٠
٦٠- ألا لا يجهلِن أحدٌ علينا	عمرو بن كلثوم	٣٦٩
٦١- نحن بنو ظبة أصحابُ الجمل	عمرو بن يثربي الضبي	٣٨٨
٦٢- بي محنتان ملامٌ في هوى بهما	ابن أبي الاصبع المصري	٣٩٩
٦٣- لولا الشفيقان من أمُنية وأسىً	ابن أبي الاصبع المصري	٣٩٩
٦٤- إذا أبو قاسم جادت لنا يده	ابن الرومي	٤٠٠
٦٥- وإن أضاءت لنا أنوارُ غُرّتِه	ابن الرومي	٤٠٠
٦٦- وإن نضا حدّه أو سلَّ عزمته	ابن الرومي	٤٠٠
٦٧- من لم يبت حذراً من سطو سطوته	ابن الرومي	٤٠٠
٦٨- أفاد فجاد وساد فزاد	امرؤ القيس	٤٤٤
٦٩- قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخهُ	ابن الرقعمق	٣٧٨

٧٠- إذا لم يشاهد غير حُسن شياتها	أبو الطيب المتنبي	٣٤٠
٧١- من مبلغ افناء يعرب كُلّها	أبو تمام	٣٧٨

فهرس المأثورات والمُلح

القول المأثور أو الملحة	الصفحة
١- لصُّها بَطَلٌ	١٣٧
٢- ماؤها وَشَلٌ	١٣٧
٣- الحيلةُ تركُ الحيلةِ	٣٤٤
٤- سائلُ اللئيم يرجع ودمعه سائل	٣٤٤
٥- من يُمن المرأة تبكيرها بالأُنثى	٤٦٦
٦- من يسمع يخلْ	٢٢٣
٧- اتخذ فلانٌ الليلَ جملا	٣٨٧
٨- ما من مفتاح إلاَّ له أسنان	٣٨٤
٩- يأتيك بالأمرِ من مفصلهِ	٣٩٢

شكر وتقدير

الحمدُ لله القائل ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ **[البقرة:١٥٢]**، اللهم لك الحمدُ كلُّهُ، ولكَ الشكرُ كُلّه أنتَ المنعم والمتفضل، وإن من تمام شكرهِ امتثال أمرهِ، وقد أمر بشكر الوالدين في قوله : ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ **[لقمان:١٤]** اللهم بارك فيهما، وأمد في عمرهما في نعمةٍ وعافيةٍ، وحسن عمل.

ثم أُزجي الشكر لكُلِّ من كان لهُ فَضْلُ دعاءٍ وتوجيهٍ ورعاية من قريب أو بعيد، بدءاً بأساتذتي الأفاضل في قسم اللغة العربية الذين تشرفّتُ أن تتلمذتُ على أيديهم الكريمة، ونهلت من فيض علمهم الواسع.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الخالص لمديرة مكتبة الملك فهد بن عبد العزيز، السيدة فوزية الجابري، والأخوات العاملات على ما أبدوه من اهتمام كبير ومد يدّ العون؛ ولولا رعاية فاقت المعتاد لما استقام البحث على سوقه وقدر له أن يظهر بهذه الصورة.

دون أن أنسى عائلتي الكريمة، زوجي الدكتور خالد حامد العلي، وأولادي، حواري، ومارية، وإسلام، وعمر، وطيبة، وسرور، وعلي، فحقهم أعظم من أن يعبر عنه بيان أو يسطره بنان، فجزاهم الله خير الجزاء، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الغرّ الميامين.

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقدمـة

نستروحُ عبقَ الإيمان، وبحمدهِ وتسبيحهِ نستمطرُ العَونَ والتوفيق والرِّضوان، وبالصَّلاة والسَّلام على مَنْ أوتي جوامعَ الكَلِم، ونوابغ الحِكم، نعطِّر جوَّ الزمانِ والمكان، الحمدُ للهِ الذي جَعلَ الحمدَ مفتاحاً لذكره، وسبباً لمزيد فضلهِ وامتنانهِ، حمداً يرضيهِ، وشكراً ننالُ بهِ المزيد من فضلهِ، وتوفيقاً يبعدُنا عن خطل القول، ويقربنا إلى دروب الحق، وصلاةً وسلاماً دائمين مُتصلين إلى أن يرث اللهُ الأرضَ ومن عليها، على نبينا وحبيبنا محمد الصادق الأمين، وعلى آلهِ الطيبين الطاهرين، وصحابته الغرّ الميامين، ومن اقتفى أثرهم، وعمل بهديهم، ودأب على خدمة هذه الأمة الرائدة الهادية التي قال فيها ربُّ العالمين: ◆❸⬀❷⌧⌘ ⬀☠←☝☪➚✍ ﴿

⬂□✍□✡■✍♑ ⇳💣⌧♉▩❷⬃⌘⬆📖 ⛣□□✌⬆📖
⬃✍□⬉❷⬃➔⌧☺⬂♑✍✍⌦✉ ♦♌□⬇❺←☟▫✋♦✍
▩❷⌧⌛☪←☺⬂♑✍✂ ⬃♊♦⬉ ♒♍⬀□⌧♑⬃✡♦✍◆❒
﴾▤ ★✏✍✍⌦✉ ♦♌□⬉☪♑✌⬃♦➔✍◆❒

[آل عمران: من الآية ١١٠].

وبَعْد :

فيشهدُ تاريخ البلاغة العربية خلال قرون عديدة مضتْ وإلى يومنا هذا تطوراً ملحوظاً، وانعطافات فنية تباينت ضيقاً واتساعاً، تحديداً وتخصيصاً، انطلاقاً من أن البلاغة منذ نشأتها وعلى اختلاف مباحثها تعمل متضافرة في نظم الكلام على نحوٍ يسبغ عليه نعوت الجمال، ويرتقي بالتعبير إلى تصيّد معاني الدلالات وتقديمها في قوالب لفظية تستثير إعجاب المتلقي بما تحمله من إبداعٍ فني؛ وعلى الرغم من تعدد المتغيرات الحاصلة في التراث العربي، فإنها بلاغة جوهر وحقيقة وفاعلية دُعمت منذ نعومة أظفارها فآتتْ أُكلها في الكشفِ عن القيمة الفنية للأعمال الإبداعية، وأثبتت قراءات منهجية منسجمة مع روح العصر، ففيها نضجت النظريات، وتحددت الاتجاهات، وتبلورت منازع العلماء في رفد التراث المعرفي وترسيخ خطوطه العامة وتأصيل جذورهِ.

ولا يخفى على الدارسين والمتخصصين إسهامات أسلافنا المفكّرين والعلماء، فقد حقق البلاغيون الأوائل نجاحاً فكرياً في إرساء قواعد علوم البلاغة على وفق منهجية تعتمد الإفادة من المتاح في العلوم الأُخرى، كالنحو من خلال رصد الظاهرة الصرفية النحوية، وتأكيد أثرها في البلاغة العربية، وكذا علوم القرآن فهي أساس كل علمٍ من علوم العربية وآدابها؛ ولهذا جاءت أصول البلاغة نتيجة لعملٍ شاقٍ طويلٍ، وما زالت مجالات كثيرة فيه بكراً تحتاج إلى وقفات مُغايرة تتجاوز التقليدية في حدود المرحلة التي نبحث فيها، تجاوباً مع توجهات المعاصرين.

إنَّ البحث في إجراءات البلاغيين واستقصاء طرائقهم في التحليل يُعد سبباً مهماً في إنتاج قيم البلاغة الأصيلة، وإبراز فاعليتها في إمكانية توظيفها على مستوى الشاهد والمثال؛ مما لا يخل بغاية البلاغة الأولى وهي البحث في القيم العُليا للأداء، فقد أدرك النقد العربي ضرورة أن يكون المعنى الأدبي من الحقائق الإنسانية التي تحرك الذهن وتهز الوجدان وتثير في المتلقي غريزة السيطرة على حلِّ المعضلات؛ وهذا لا يتم إلاَّ بتحقيق الوضوح المطلوب ليس في مُجاراة المعروف من المعاني والأفكار، وإنما بأصالة المعاني العميقة التي تبعث المتعة والفائدة عند إدراكها، واجتماع علوم البلاغة الثلاثة لتأديتها مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

وقد حاول البحث – في أثناء التنظير – إثبات أصالة المصطلح البديعي بوصفهِ ملمحاً أسلوبياً، وإنكار فكرة التقسيم الثنائي المندرجة في هيكليته، ونفي قصور وظيفته الفنية على التحسين، ومعاينة عطاءاته ورصد فاعليته الأُسلوبية في إنتاج الدلالة، والإتجاه بألوانهِ ومظاهره نحو الابتكار؛ لارتباط بعضها مع بعض بمستوٍ شعوري حسّي تفرضه علاقات ترابطية وصوتية، وتركيبية، ودلالية لا يمكن إغفالها، مُتخذاً التعبير القرآني ميداناً رحباً لتطبيق عملية الرصد والتحليل، باستحضار المجسّات الأُسلوبية الهادفة إلى بيان نوع المعالجة وخصوصية التناول، فجاء العنوان: (المظاهر البديعية وأثرها الأُسلوبي في التعبير القرآني)؛ ليؤكد أن هناك جانباً مضيئاً في النظم القرآني يحتاج إلى طرائق جديدة في الرصد المنهجي تتفاعل لاستكمال ما جاء به أُستاذنا الدكتور فاضل صالح السامرائي –حفظه الله– الذي كان معنياً بجانب التراكيب النحوية وأثرها الأسلوبي في التعبير القرآني.

أثار مصطلح (البديع) جدلاً وتبايناً شديداً في الأوساط النقدية والبلاغية نتج عنهُ اختلافات عديدة في وجهات النظر حول مسائل مهمة كان أولها : الاختلاف حول إطلاق التسمية على فنون (البديع) فمنهم من آثر لفظ (المحاسن) أو (المحسّنات) ومنهم من أختار لفظ (الأصول) ومنهم من تعامل معها على أنها أصباغ أو ألوان أو أشكال تزينية؛ لذا جاء عنوان الرسالة متفرداً بمصطلح (المظاهر البديعية)؛ لخصوصية المعالجة الأُسلوبية في التعبير القرآني، أما المسألة الثانية: فتكمن في نسبة تقنين الحدود النهائية العامة لهذا الفن، وهذا ما مهدّ له البحث ووجد فيه ضالته الأولى من خلال متابعة المسار التاريخي للبديع، والكشف عن مظاهر الإعجاز الصوتي والدلالي واللغوي في القرآن الكريم.

وترتبط المسألة الثالثة بتحديد وظيفة علم (البديع)، ومن خلال القراءة المتفحصة في رؤية البلاغيين أطلق البحث أحكاماً مهمة يحسبها ذات أهمية في النتائج، وفقاً لما جاء عليه التأصيل النظري بغية الإيضاح والتبين بأن تقسيم البديع إلى محسنات لفظية وأُخرى معنوية تبعاً لثنائية اللفظ والمعنى التي شغلت النقاد ردحاً من الزمن، يُركن هذا العلم بعيداً عن مسار أخويه في المشاركة الإبداعية التقويمية؛ لذا لا يمكن إجرائياً الفصل بين الشكل والمضمون.

أما المسألة الرابعة (الأخيرة) فتبحث في مسألة تقعيد (البديع)، وسيطرة الغاية التعليمية على منهجِهِ، وتداخل مصطلحاته في كثير من المؤلفات البلاغية، فقد شغلت التعريفات والتصنيفات والأقسام النقاد عن الوقوف أمام المظهر البديعي وإبراز معطياته الفكرية والنقدية واللغوية، وأصبح الطابع التعليمي ولغة الخطاب الإنشائي السِّمة البارزة، فتوسع ميدان هذا الفن إلى حدِّ أثقل كاهلهُ، وألحق به من الأضرار أشدّها؛ لذا عَمَد البحث في منهجيته إلى الابتعاد عن التفريعات التي لا طائل منها؛ إيماناً منه بأن المظاهر البديعية إنما هي أدوات ووسائل لتطوير الأداء. تداعت كُلّ هذه البواعث على اقتناعي بقيمة الفكرة التي أوجد بذرتها أُستاذي المشرف : الأُستاذ الدكتور إياد عبد الودود الحمداني، وأكدَّ أهميتها في ميدان البحث الأسلوبي، فانعقد الهدف على تجلية مسائل علم البديع، ببيان أثره في التعبير القرآني؛ لذا كان هدف البحث واضحاً في تتبع المظاهر البديعية التي كشف علماء السلف عن جوانب مهمة

منها في عدد غير قليل من مؤلفاتهم، ثم الوقوف على طرائقهم في الإشارة إليها وتحليلها، وتأكيد فاعليتها في لغة التعبير القرآني.

وقد أسلمني تحقيق غايتي في البحث إلى اتباع المنهج التحليلي الذي يميل إلى الوصف، عن طريق استقراء النصوص في سياقها، ثم تحليلها تحليلاً أُسلوبياً يُبين موقعها من الصوت، والتركيب، والدلالة، كما أفضى بنا ذلك إلى اعتماد مصادر ومراجع متنوعة في اللغة ومعاجمها، والتفسير والبلاغة والنقد ومعاني القرآن، والفقه والقراءات وتوجيهها، فمن كتب اللغة مثلاً : كتاب سيبويه، والخصائص لابن جني، ومن كتب التفسير : جامع البيان للطبري، والكشاف للزمخشري، والبحر المحيط لابن حيان، ومن كتب معاني القرآن وإعرابه : معاني القرآن للفرّاء، ومعاني القرآن للزجّاج، ومعاني القرآن للنحّاس، ومن كتب البلاغة والنقد : كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، وكتابا دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، ومفتاح العلوم للسكاكي، والإيضاح للقزويني، زيادة على شروح التلخيص وغيرها، هذا وقد طفق بعض المعاصرين يلفتون النظر إلى أثر البديع في تأكيد المعاني وإثراء الدلالة، وبيان صلته بالإعجاز البلاغي القرآني؛ بيد أن محاولاتهم لا تتعدى الإشارة أو التمثيل أو النقل، وتكرار المقولات القديمة، فلم يُعقد للبديع القرآني دراسات مستقلة به تلمّ شتاته المتفرق هنا وهناك، وهكذا انفردت دراستي بتحقيق الهدف الذي قصرت عنه الكثير من الدراسات السابقة واللاحقة، فجاءت صياغة العنوان للدلالة على هذا الهدف ونتيجة حتمية لما توصل إليه بلا لَبْسٍ أو إيهام، فاتسعت واستوعبت المظاهر البديعية المتعددة من خلال جمعها بعلاقاتٍ تفترضها فاعلية المظهر البديعي.

ومما لا يخفى على القارئ ما تواجهه مثل هذه البحوث من صعوباتٍ جمة أهمها :

أولاً : إنَّ التعبير القرآني ميدان واسعٌ وخطير لمن يحاول أن يرفد من منهله للمرة الأولى؛ لذا استنفد مني وقتاً وجهداً واضطرني إلى إطالة البحث، حتى وصل عدد الشواهد القرآنية المدروسة بعد إسقاط المكرر منها إلى ما يقارب الثمانمئة شاهد قرآني.

ثانياً : من المعلوم أن مظاهر البديع ينقصها التنظيم والترتيب والتبويب؛ لذا فإنّ مسألة تقسيم فصول البحث وفقاً لهذه المظاهر شكلت عقبة أساسية، فقد عَمَدَ البحث إلى إقصاء العديد منها مما لا يتلاءم مع خصوصية التعبير القرآني منها على سبيل المثال : تجاهل العارف أو (سوق المعلوم مساق غيره) أو (الإعنات)، ولزوم ما لا يلزم، والاقتباس، والتضمين والسرقات، والإيغال، والتشريع، والإلغاز والتعمية وغيرها.

ثالثاً : الاختلاف والتباين الدقيق بين آراء العلماء في تحديد ماهية المصطلح البديعي ودلالته في الاصطلاح.

وقد اقتضت منهجية البحث التركيز على مجموعة من مظاهر البديع وزعت على فصولٍ ومباحث، استهل كل فصل بمقدمة تمهيدية تهدف إلى بيان المصطلحات والمفاهيم التي أختيرت عنوانات لهذه الفصول، والكشف عن مدى علاقتها بالمظاهر المندرجة تحتها، فجاء الفصل الأول : مظاهر التناسب والتوازي؛ ليؤكد أن بنية التناسب والتوازي تستوعب كثيراً من مظاهر البديع، فهي تعكس الوظيفة الفنية التي تحققها، تأسيساً على مبدأ المصاحبة المعجمية وعلاقات السبك والتماثل والتقابل والإرصاد والتسهيم ومراعاة النظير ومواضع التأنقِ في التعبير، وقد رحّبَ هذا الفصل بشيءٍ من التفصيل والإطالة وشغل حيزاً كبيراً من الدراسة؛ نظراً لكثرة المظاهر التي تحقق غاية التناسب والتوازي، فتنوعت الروابط اللفظية والمعنوية تبعاً لتنوّع مادته التي قُسّمَتْ إلى ستة مباحث.

واهتم الفصل الثاني بإجراءات الإيهام والتخييل فجاء عنوانه : مظاهر الإيهام والتخييل؛ ليبين أن النص القرآني لم يتقيد بنوعٍ معين من البديع لمناسبة معينة؛ بل جاء لإنتاج الدلالة في كل سياق يتطلبه خلافاً للدراسات الحديثة التي أُزهق فيها روح البديع فجاءت باردة مكرهة تفوح منها رائحة التعقيد والتكلف، وقد قُسِّم هذا الفصل إلى سبعة مباحث.

أما الفصل الثالث فقد عُني بمظاهر الإجمال والتفصيل التي سعت إلى إجراء ضبط دلالي لمظاهر البديع المرتبطة بعلاقات الإجمال والتفصيل وما يلحق بها من أبعادٍ، مُعززاً رؤيته المنهجية بغاية مفادها توخي إزالة الخفاء والإبهام الحاصل من

قرع الكلام على مسامع المتلقي، معللاً مجيء الكلام على هذا الأسلوب يوقع السامع في حيرةٍ وتفكر واستعظام، فيشد الذهن إليه بالترقب طلباً للإيضاح والتفسير، ورغبةً في التوصل إلى المعنى المنشود، وقد ضمَّ هذا الفصل ستة مباحث، كما اقتضت منهجية البحث تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأبيات الشعرية عند ورودها في نصوص المفسرين، ثم جاءت الخاتمة لتفصّل في أهم النتائج والملاحظات العلمية التي توصل إليها البحث؛ مُشيراً إلى عدد من التوصيات، وألحقت الرسالة بفهارس مفصَّلة تنسجم مع طبيعة المادة وطولها؛ لتسهل القراءة المنهجية وتحقيق قدر ملائم من الفائدة.

ولا يسعني بعد ذلك إلاَّ أن أتقدّم بخالص شكري لأُستاذي المشرف الأستاذ الدكتور إياد عبد الودود عثمان الحمداني، شكراً عجز منطقي عن الإفصاح عنهُ، فقد غمرني سيادته بفضلهِ وعلمهِ ودماثة خلقه، وأحاطني برعايتهِ وتوجيهه في حبٍّ ونزاهةٍ وموضوعية يَعزّ إيجادها هذه الأيام؛ حتى استقام البحث على سوقه، وكادت كُلُّ فكرة طيبة تنطق باسمه وتلهج بالثناء عليه، فله مني تقديرٌ وعرفان، ولهُ من الله خير ما يجزى به العلماء العاملين المخلصين.

إن هذه الرسالة بموضوعها القرآني نعمة أشكر الله الذي هداني إليها، وهي تمثل خطوة أولى على طريق المعرفة، وهذا جهد المقل، أضعه بين أيدٍ أمينة يحدوني أمل في تصويبه، لا أدعي فيما كتبته الكمال، ولا السلامة من زلاّت البيان، فإن كنت من المقصرات فقد يستصوب للمرء اجتهاده، ويُعذر في تقصيره، ومن رحمة الله بطالب العلم أن جعل الله للحق وجوهاً يرى كل فريقٍ منها وجهاً؛ ولهذا اختلف العلماء واتسعت أبواب العلم الواحد، أسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه، وأن ييسره لغيري، وأن ينفع به، ولا يحرمني أجره.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

التمهيد
(المظهر البديعي - محاولة تأصيلية)

أولاً : المظهر الأسلوبي / الماهية والمعايير

١- المظهر في اللغة والاصطلاح.

٢- المعايير الافتراضية للمظهر الأسلوبي

ثانياً : المظهر البديعي بين الأصالة والتبعية.

١- دلالة المصطلح في الموروث البلاغي العربي.

٢- البديع في منظور الدراسات الأسلوبية، نظرة تجديدية.

أو لاً : المظهر/ الماهية والمعايير :

اقترن مصطلح (المظهر) بإجراءات التحليل الأسلوبي؛ بوصفه شحنة لافتة تستقطب العلاقات السياقية التي يبحث فيها علم اللسانيات، والمصطلح البديعي أو البياني أو التركيبي يحفّز التأمل تجاه تلك العلاقات اللغوية داخل نسيج (النص)؛ وقد يتعامل المظهر الأسلوبي مع المقطوعات والمشاهد بوصفها نصوصاً؛ لأن منظومة المصطلحات التي يظهرها النمط البلاغي بمستوياته الثلاثة: (المعاني، البيان، البديع)، لا يمكن أن يشكل مظهراً في كلّ الأعمال الإبداعية؛ بل تحقق منجزاً أسلوبياً لرصد عدد من المصطلحات تشتغل في منظومة التعبير؛ لتحقق ما يعرف بـ (المظهر).

أ- المظهر في اللغة والاصطلاح :

اجمعت معاجم اللغة العربية على ارتباطِ مادةِ (ظَهَرَ) بدلالة الوضوحِ والبيانِ الذي لا خفاء فيهِ، على الرغم من تعدد معانيها، وإلى ذلك أشار الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) حين أكدَّ أنَّ الظهور يحيل على معنى ((بدو الشيء الخفي، إذ يُقال ظَهَرَ الشيء يظهرهُ فهو ظاهرٌ، إذا انكشف وبرز، فهو يجمعُ بين البُرُوز والقوة))[١]، ويلحظُ مما سبقَ أن (الظَّاء، والهاء، والرَّاء) أصلٌ صحيحٌ يدلّ على قوةٍ وبروزٍ[٢]، وكلُ شيء ظاهرٌ خلافٌ للباطنِ[٣]، ويُقال ظَهَرَ في القرآنِ واستظهرهُ أي: بيّنهُ وأوضحهُ[٤]، وهو ما ذهب إليهِ الجوهري (ت ٣٧٠هـ) والفيروزآبادي أيضاً[٥].

وقد جاء في التنزيل العزيز أن الظاهر من أسماءِ اللهِ عزَّ وجلَّ :

⇖❷⬂⌘☞⍓✍✈◆❑ ⇖✌❑❑☞❀✍✈ ◆❑➔♎⸙
☎ ⇐♊♋☪✍♦⌨⍂♒◉✍✈◆❑ ⇖❷⍃♑⏲⍓⇢♒◉✍✈◆❑
⸙⬊☹⬈⍃⍝♦⬊ ☮⬈⬄✏⌧★ ✍♏⍆⬈⍰⍃✉ ◆❑➔♎◆❑

---

(١) كتاب العين : مادة (ظَهَرَ).

(٢) ينظر : جمهرة اللغة : مادة (ظَهَرَ)، مقاييس اللغة : مادة (ظَهَرَ).

(٣) ينظر : مجمل اللغة : مادة (ظَهَرَ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : ٢ / ٣٨٧.

(٤) أساس البلاغة : مادة (ظَهَرَ).

(٥) ينظر : الصحاح : مادة (ظَهَرَ)، القاموس المحيط : مادة (ظَهَرَ).

[الحديد:٣]، وكذلك أورده ابن منظور (ت ٧١١هـ) بقولِهِ : ((هو الذي ظَهَرَ فوقَ كُلِّ شيءٍ وعلا عليه بآثارِهِ وأفعالِهِ وأوصافِهِ))[١]، ويشير المعجم الوسيط إلى أن المظَهر هو ((الصورة التي يبدو عليها الشيء والجمعُ مظاهر، وأظهرته على الأمر اطلعتهُ عليه))[٢]، ففي اللغة المحدثة تدل الظاهرة على الأمر الناجم بين الناس، الذي يبرز ويشتهر في مجال الاقتصاد أو السياسة أو الاجتماع أو غير ذلك من المجالات المختلفة[٣].

بذل الدكتور صلاح فضل جهداً ليس باليسير في محاولة ضبط المصطلح في سياق حديثِهِ عن الأشكال البديعية والمظاهر ودورها في تحديد الأسلوب، بعد أن عاب على البلاغيين القدماء كيفية توظيف هذه المظاهر وتحليلها وتصنيفها، وشرح مواقف أدائها الأسلوبي، مؤكداً أن كلمة الشكل البلاغي أو المظهر تطلق على ((الصيغة الكلامية التي تتسم بحيوية أشدَ من اللغة العادية، وتهدف إلى جعل الفكرة محسوسة عن طريق المجاز، كما تلفت النظر بدقتها وأصالتها))[٤] وبذلك تركت البلاغة العربية القديمة إرثاً هائلاً من المظاهر والأشكال التي تتماز بقيمة جمالية أو تعبيرية خاصة ((وبعض هذه المظاهر يعود إلى اللفظ مثل الجناس، وبعضها يعود إلى الجمل والعلاقات النحوية مثل القلب ورد العجز على الصدر، وآخر يعودُ إلى الدلالة))[٥] وهذه الأشكال بمجملها ليست زينة سهلة يسيرة تلون الأسلوب، ولا شاقة عسيرة تعقده وتكلفه؛ بل هي أدوات إجرائية ترتقي بمستوى الأسلوب إلى الإبداع اللغوي والأدبي.

يؤكد تعبير الدكتور صلاح فضل أن مصطلح (المظهر) في علم الأسلوب يساعدنا على فكِ شفرة النص، وادراك كيفية أدائه الوظيفي؛ لأنه يشير إلى الملمح التعبيري البارز الذي يؤدي وظيفة دلالية تفوق مجرَّد دورهُ اللغوي، ويبدو واضحاً أن

---

(١) لسان العرب : مادة (ظَهَرَ).

(٢) المعجم الوسيط : مادة (ظَهَرَ).

(٣) ينظر : المعجم القرآني : مادة (ظَهَرَ).

(٤) علم الأسلوب، مبادئهُ وإجراءاتهُ : ١٤٩–١٥٠.

(٥) علم الأسلوب، مبادئهُ وإجراءاتهُ : ١٥٠.

المعنى اللغوي ينسجم مع المعنى الاصطلاحي، وهذا يؤكد أصالة المصطلح وفاعليته في التعبير.

أما الدكتور نفيد كرماني* فيرى أن مفهوم المظاهر الفنية يتقارب مع تركيبات الرموز اللغوية أو ما يعرف عادةً بـ(الأسلوب) أو (النظم) في الاصطلاح العربي القديم، مما يولد انفعالاً جمالياً في وعي المتلقي ((يحدث عموماً من خلال إعادة تشكيل لغة الخطاب بوعي تام، أي من خلال حركة التوازي بين الجمل، وأنواع القوافي، والتكرار، والإحالة على عنصر متقدم في النص وما شابه ذلك))[1] وقد اشترط للمظهر ضرورة إحداث تغيرات ناتجة عن الإيقاع اللفظي، وغرابة المعنى، وإخراج الكلام عن مقتضى الظاهر، واستعمال عناصر مشوقة في التعبير، وبذلك يؤكد أن للملمح نسبة ورود عالية في النص تجعله يتميز عن نظائرِهِ في المستوى والموقف الأدائي.

وقد اقترح الدكتور نفيد كرماني تعريفاً للمظهر استناداً إلى ما قاله المعجم وتودروف يؤكد فيه ((أن المظهر مستوى من الصياغات البلاغية التي يمكن للمتلقي أن يتلقاها ويتفاعل معها))[2].

فالظاهرةُ أو المظهر هي ((أن يستفيضَ أسلوبٌ معين في عملٍ أدبي حيث يتميز عن الأساليب المشابهة لهُ في ذلك العمل، وساعد تتبعهُ على تحليل بنية النص وفهمها فهماً دقيقاً))[3]، ومن هنا يتأكد أن مصطلح (المظاهر) من المصطلحات الحديثة التي كشفت عن حظوة الدراسات النقدية والبلاغية؛ ولا سيّما في السنوات القليلة الماضية بمعطياتٍ جديدة حاول الدارسون ربطها بركبِ آثارهم والبحث عن ما جَدَ في ميدانها من مفاهيم تبلورت حتى شملت بموضوعية علميةٍ كُلّ ميادين العلومِ والمعارفِ.

---

* ولد عام ١٩٦٧، درس الاستشراق والفلسفة والمسرح في جامعة كولونيا، القاهرة وبون، نشر العديد من الأبحاث المعمقة، وكتب في كبريات الصحف الألمانية والمجلات المختصة، نشر العديد من الدراسات والقصص، ينظر : بلاغة النُّور، جماليات النص القرآني : ٥، وهذا الكتاب في الأصل أطروحة دكتوراه تقدم بها الباحث إلى جامعة بون بألمانيا عام ١٩٩٧م.

(١) بلاغة النُّور، جماليات النص القرآني : ١٣٢.

(٢) المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (عليه السلام) : ١٩.

(٣) ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين : ٤١.

وعت الدراسات الأسلوبية الحديثة مفهوم المظهر من زوايا متعددة استناداً إلى أنماط التفكير والآراء المتنوعة؛ وصولاً إلى فهمٍ جامعٍ يمكن في ضوئه التأطير لدراساتٍ موسَّعة تستوعبُ أساليبَ التحولِ في الأداءِ الفني ضمن مستوياتهِ المختلفة، فمرتكز الدراسات الأسلوبية بشكلٍ خاص هو إبراز الدلالات الجمالية وتأثيرها على النصِ ((وذلك عن طريقِ النفاذ في مضمونهِ وتجزئةِ عناصرهِ بالتحليل الذي يمهد الطريق للناقدِ ويمدّه بمعايير موضوعية يستطيع على أساسها ممارسة عمله النقدي وترشيد أحكامهِ، ومن ثمَّ قيامها على أسُس منضبطة))[1].

ويبدو واضحاً أن الدراسات البلاغية القديمة لم تغفل هذا الجانب، وإن كان تناولها لهُ مُقيداً بحدود المعرفةِ القديمةِ التي تهدف إلى تجاوز الطابع التجزيئي للأساليب البلاغية وما يكتنفها من تقسيماتٍ فرعية من خلالِ الاستيعاب النظري والتطبيقي للمظاهرِ الأسلوبية، ورصدِ أهم الملامحِ التعبيرية وما تؤديهِ من أثرٍ في صياغةِ التعبير، ليسَ في حدودِ التحرك البلاغي وحسب؛ بل فيما يتعدّاهُ إلى البحثِ في اللغةِ المعبِّرة عن دلالة اللفظةِ في نصِ الكاتبِ لاستكشافِ عناصرِ الجمالِ فيها، وهذا يؤكد أن الدراسات الأسلوبيةِ تختلف عن الدراسات اللغوية في أنها لا تعتمدُ على اللغةِ فقط؛ بل تتجاوزها إلى كيفية الاستعمال خدمةً لأفكارِ المبدع وآرائهِ فتخرج عن حيز اللغة الاعتيادية إلى اللغة الرمزية؛ ومن هنا لا يمكن تجاهل الأسس الأولى التي وضعها البلاغيون القدماء في اعتماد مستويات التحليل فهي بؤرة أساسية في الدراسات، إذ تشكل حلقة وصلٍ بين الأسلوبية الحديثة والبلاغة العربية القديمة.

إن لكُلِّ مظهر من المظاهر الأسلوبية تأثيرَهُ وأبعادَهُ الخاصة المتميزة، يتجلى ذلك التأثير في توليد صور ذهنية ونفسية تحاكي إدراك المتلقي، وتعمل على إقامة علاقاتٍ بين الصيغ التعبيرية فهي ((تعالج النص الأدبي من خلالِ عناصرهِ ومقوماتهِ الفنية، وأدواتهِ الإبداعية، متخذةً من اللغةِ والبلاغةِ جسراً تصفُ به النص، وقد تقوم أحياناً بتقويمهِ من خلالِ منهجها القائم على الاختيار والتوزيع))[2]؛ لذا فإن دراسة المظاهر والأساليب وعي فني يعملُ من أجلِ

(١) الأسلوبية، مدخل نظري ودراسة تطبيقية : ٣٥.

(٢) البلاغة والأسلوبية (يوسف أبو العدوس) : ١٨٤.

الكشفِ عن الإبداعِ بمستويين : الأول هو اللفظ، والثاني هو المعنى ((فالأسلوبية تتَّجه إلى الألفاظ باعتبارها ممثلة لجوهر المعنى))[1]، وهذا يتطلب الخوضَ في ميادين متنوّعة تتحقق عندها مستويات من الابتكار، وتبعدها قدر المستطاع عن اللغة الإحصائية، بتحويل النص إلى جدولة تفرغ فيها المعلومات المطلوبة وإنتاج معادلات رياضية مرقمة تفقد النص جوهره، وبذلك تنشط منطلقات البحث بإخراج ما اكتنزه من ملامح أسلوبية وفقاً للتشكيلات اللغوية التي تنطوي عليها.

ومن هذا المنطلق يمكننا التأكيد على أن مصطلح (المظهر) ذو قيمة معرفية تضعهُ في بودقة المفاهيم الأسلوبية الدالة على مستويات الأداء الفني استناداً إلى مؤثراتٍ ذات صلة بالمبدعِ أو المتلقي، وهي ((مؤثرات تتحول وتتبدل وتنحرف أحياناً عن مجراها في الاستعمال المألوف؛ لتكون في النهاية تنوعاً فردياً أو جماعيا))[2]، وهذا يعني استحضار الصور الذهنية وتهيئتها لدى المتكلم قبل البدءِ بعملية التوصيل القائم على أساليب إبداعية للمتلقي، مما يؤكد اخضاع جميع ألوان التعبير لقوانين عامة وثابتة تؤدي المعنى المقصود.

ب- *المعايير الافتراضية للمظهر* :

وُظِفَ مصطلحُ (المظهر) في الكثير من الأعمال الإبداعيةِ بمستوياتٍ معروفة تستدعي حضوراً جمالياً للكلام وفنونهِ يتناسبُ مع حضور الظاهرة اللغوية متخذاً منهج التحليل الأسلوبي مساراً لهُ؛ إذ إنه ((يسعى إلى الانضباطِ والضبطِ، الانضباط بترسمهِ مستويات التحليل اللساني الصارم، والضبط بأن يخضع موضوعهُ للأدوات الإجرائية التي توحد شتاته وتنسق عناصره))[3]، إن خلق صلات متجددة في الصياغة وعدم الاكتفاء بالصور الوظيفية الجاهزة يجعل الباحث يرصدَ الكثير من المظاهر الأسلوبية وفقاً لأساليب التعبير وتفريعها إلى اتجاهات متخصصة قائمة على أساس وصفي وعدم حصرها عند جدلية الشكل والمضمون، وبذلك يقترن استعمال مصطلح (مظهر) في الدراسات الحديثة بكلِّ ما يمكن أن يكون مثار

---

(١) البلاغة والأسلوبية (د. محمد عبد المطلب) : ٢٠٧.

(٢) المصدر نفسه : ٢٨٩.

(٣) المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية : ٥.

إعجاب في الصياغة الفنية لتأكيدها على قيم الابتكار والجدة والوضوح، فأصبحت ذات طابعٍ شمولي يُزيل الحواجز بين اللغةِ والأدبِ ويُتيح للناقد قراءة النص قراءة لغوية نقدية يتجاوز فيها عملية التحليل المستند إلى التعليل والتبرير؛ ليمثل مرحلة الكشف عن علاقات بناء الكلام الأدبي على التماثلِ وتحقيق الغرابة التي هي جوهرهُ مميزاً عن الكلام الاعتيادي الذي يرتكز على خاصيةِ التباين والاختلاف؛ حتى يمكنهُ أداء وظيفته التواصلية، من دون الاعتماد على قوانين مسبقة جاهزة، وهذا يعني أن كل تفاعل دلالي هو ناتج عن علاقات معاني الالفاظ من جهة، ومعاني النحو من جهة أخرى[١].

ويبدو واضحاً أن مصطلح (مظهر) موازٍ لكثير من المفاهيم والمصطلحات القديمة التي أثيرت على الساحة النقدية والبلاغية العربية كالفنون، والأنواع والألوانِ والمحسنات، والأقسام، وبما أن التأثير الذي ينشدهُ المبدع لا يتحقق إلاَّ إذا توافر لمعانيهِ الوضوح والجلاء، واستطاع المتلقي أن يفهم ما اشتمل عليه العمل الأدبي من ملامح بارزة؛ لذا كان حرّياً بالمبدع أن يختار لتعابيره ما يظهر فيه أثر الإبداع المؤثر في النفوس، ويشعر بأنها أمام جديدٍ لا تستعملهُ في تعبيراتها المعهودة، وفي ذلك استحسانٌ للمعنى العميق الذي يثير التأمل، ويحدث المتعة والفائدة في آنٍ واحدٍ عن أي ممارسة فنية أدبية؛ لذا فإن هذا المصطلح بما يحمله من ملامح أسلوبية، لا يكتفي بتوخي الأشكال التعبيريةِ للفنون بل يتجاوزه إلى الكشفِ عن معطيات النصوص وتعميقها في ضوء المناهج النقدية الحديثة، وبما أن الأسلوبيةِ تمدَّ الأعمال الأدبيةِ بالجدة والتفرد من خلال ما تمنحهُ من طرائق وأساليب متجددة، وأدوات قادرة على إستخراج كنوز الآثار بموضوعية قائمة على اللغة، فإن ذلك يقتضي ضرورة الاحتكام إلى معايير تظهر القدرة الإبداعية في النتاجات الأدبية.

فالمظاهر الأسلوبية تكشف عن طاقات النص التعبيرية والتشكيلات اللغوية فيه، وتأسيساً على ذلك فإن النص كيانٌ خاصٌ مستقل محكومٌ بعلاقات لها قوامها الفني واللغوي الذي يرسم ملامحه المميّزة عن غيره من النصوص، من دون إغفال

(١) ينظر : مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء : ١٥٣.

المبدع والمتلقي في عملية التأثير مستنداً بذلك إلى المظاهر الأسلوبية؛ فهي جزء لا يتجزأ من هذا الكيان لارتباطها بصميم اللغة؛ بيد أن هذه اللغة ((لا تتحقق إلاّ بتفاعل الأنساق اللغوية المختلفة، منها ما يخص المرسل، ومنها ما يخص المتلقي من أهل اللغة، كما لم تغفل نسق المحتوى والمضمون، زيادةً على قناة الإرسال))[1] وكل ما يتعلق بالتركيب وسماته الصورية من تآلف الكلم على وفق قواعد التركيب والنحو.

ومن الملاحظ أن المظاهر الأسلوبية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمقاييس متعددة منها :

أولاً- المقاييس الصوتية :

يشكل المقياس الصوتي عُنصراً أسلوبياً مميزاً للولوج إلى النص وفهم قيمهِ الجمالية بوعيٍ ودقة، فالمكون الصوتي هو الوحدة الأساسية للغة التي يتشكل منها النص الأدبي ويشمل هذا المكون الأصوات (الصوامت والصوائت) على وفق ضوابط إجرائية تتحقق من خلالها فعالية التوازن الصوتي بوصفها إجراءات جائزة أو مؤهلات صوتية تستثمرها الأسلوبية، لتتوصل إلى ((كلّ ما يحدث إحساسات عضلية سمعية متمثلة في الأصوات المتميزة))[2]، والدراسة الأسلوبية تعالج على وفق منهجية توزيعية تلك التكوينات الصوتية وصولاً إلى دلالة (المعنى الصوتي) من أصواتٍ وإيقاعاتٍ خارجية وداخلية وتنغيم ونبر؛ لما تحدثه من أثرٍ على المتلقي للنص الأدبي، فإذا سيطر النغم على السامع وجدنا لهُ انفعالاً حزناً حيناً أو بهجةً وحماسةً حيناً آخر))[3]، ولابُدَّ من التأكيد على أن المعايير الصوتية ليست حِكراً على الشكل الإبداعي في النص القرآني؛ بل تتعداهُ إلى ((الكشفِ عن العناصرِ التي تهيئ ذهن المتلقي بما تظهره من تخييبٍ لتوقعهِ وتوليدٍ لحالةٍ من التوتر بينهُ وبين

---

(١) علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي : ١٢٨.

(٢) قراءات بلاغية : ٨٠.

(٣) موسيقى الشعر : ١٤.

النص))[1]، وهذا يؤكد ارتباط الشكل بالمضمون الدلالي الذي يقصد لهُ السياق بما يحدثهُ من عدولٍ أو مغايرةٍ أو مخالفةٍ صوتية[2]، وبما أن النص المُعْتَمَد في هذه الدراسة هو النص القرآني، فإن البحث في إمكانية توافر مظاهر صوتية في التراكيب اللغوية أمرٌ ليس باليسير؛ ((لأن موسيقى القرآن لا يمكن حصرها بحركاتٍ وسكناتٍ أو مقاطع طويلة أو قصيرة، ولا يمكن ضبطها بنبراتٍ أو أوتارٍ ونقراتٍ؛ لأنها موسيقى النفس والروح، وإيقاع الترسّل والاتّساق، وحالات التنغيم والترقيق والغنة، انها أصوات الحروف في تآلفها وتجاورها، لا أصوات النطقِ في تصريفهِ وتوقيعهِ، وما يستدعيه هذا اللحن وما يتطلبهُ من نغماتٍ راعشة))[3]، وبذلك يولد الانسجام الصوتي (Harmony) في لغة القرآن الكريم علاقة ذات نظامٍ خاصٍ تكمن في آلية عمل اللغة العربية الإبداعية وتعاملها مع منظومة الأداء الصوتي، والموسيقي، والتركيبي، والدلالي وغير ذلك؛ لاسيما الإيقاع والتوازن في نهايات الفواصل وما يترتب عن ذلك من أثرٍ في إحداث الموسيقى الداخلية للمقاطع الصوتية المتضامنة مع السياق الواردة فيهِ، وقدرته على استيعاب الشحنات الدلالية بوصفها متغيراً أسلوبياً.

إنَّ المقياس الصوتي وما يرافقهُ من مظاهر التكرارِ والهمس والجهر، والشدة والرخاوة، والتفخيم والترقيقِ والنبر، والتنعيم، له أثرهُ البارز والمميّز في التعبير القرآني؛ نظراً لما تحدثهُ أصوات الحروف من علاقاتٍ تناغمية تبعاً لمتطلبات المستوى التركيبي والدلالي في النص القرآني إذا ما عددنا أن الوحدات الصوتية فيه محكومة بوظيفة ومصاحبة صوتية تتحقق وتظهر في النسق الأدائي المنتظم لأصوات اللغة؛ فهي ((مجموعة من الأواصر داخل سياق السلاسل الكلامية التي يجري عليها النطق، تظهر في بنية السطح على هيأة ملامح تمييزية، لها نواتج قيمية

---

(١) الفاصلة وبنية الانسجام الشكلي في سورة الإنسان (بحث)، أ.م.د. إياد عبد الودود الحمداني، م.د. خيري جبير الجميلي، مجلة ديالى للبحوث العلمية والتربوية (مجلة علمية محكمة)، تصدرها كلية التربية – جامعة ديالى، ع٢٣، س ٢٠٠٦م، ص ٢٣.

(٢) ينظر : الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي : ٢٣.

(٣) ثلاث قضايا حول الموسيقى في القرآن (بحث)، نعيم اليافي، مجلة التراث العربي، دمشق، ع ١٧، س١٩٨٤م، ص ٩٦.

توجه منظور السياقات التركيبية))[١]، وبذلك تحقق إسهاماً فاعلاً في الكشفِ عن معطيات اللغةِ ودلالتها الهادفة نحو التأثير، من خلالِ علاقاتِ تلازمية بين مؤثرات الصوتِ، وإيقاعاتهِ النغمية وبين المتلقي عِبْرَ سُبُلِ المُغايرة،[٢] وهي وسائل إبداعية ذات تشكيل جديدٍ للمعنى على وفق رؤية أسلوبية واضحة.

ثانياً- المقاييس التركيبية :

تتآلف في لُغة النص القرآني مقاييس هيكلية معجمية، على وفق نظام معجزٍ يشكل نمطاً لهُ صياغتهُ وإطارهُ الدلالي الخاص الذي يُسهم في إبراز الطاقة الإيحائية وما تتضمنهُ من أبعادٍ فنية وجمالية فالمقاييس التركيبية، هي المتعلقة ببنية الجملة، إذ تغدو القرائن النحوية الوسائل الكاشفة للمعنى التركيبي حين تنبثقُ من تآزرها وائتلافها دلالات تركيبية ((مرشدة إلى دلالات سياقية إثر انخراطها؛ بل انصهارها في سلك السياق والموقف الذي ترد فيه))[٣] وهذا يعني أن اللغة تقتضي مطلب لساني قائم على أساس التكامل بين النحو والدلالة، ((فدورة التكامل والتفاعل لوحدات التركيب ووظائفها وعلاقاتها السياقية هي الكفيلة بتحديد الدلالة النحوية))[٤]، وهذا يستوجب ضرورة الانتباه إلى (النص) بنية قد تخترق منظومتها التركيبية اللغوية مجموعة من المتغيرات والتحولات ((التي تطرأ على النمط النواتي التوليدي من التحريك الأفقي، تقديماً وتأخيراً لوحداته أو إعادة ترتيبها ترتيباً جديداً))[٥]، وكل ذلك يقتضي علاقة الدالِ بمدلولهِ؛ ولأن نظم القرآن في وصفٍ رصين ((لفظٌ حاملٌ، ومعنى به قائم، ورباطٌ لهما ناظِم))[٦]، فاللغة بهذا المفهوم رصيدٌ من الاختيارات الشامل للألفاظ والمعاني والتراكيب وما يعتورها من انزياحاتٍ تفرضها طبيعة الموقف ومقاصد الخطاب

(١) علم اللسانيات الحديثة : ٣٤٠.

(٢) يُنظر : التصوير بالفاصلة القرآنية (بحث)، أ.د. إياد عبد الودود عثمان الحمداني، مجلة المهرة، (مجلة علمية محكمة) تصدرها كلية التربية، جامعة حضرموت، ع٣، س ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، ص٦٢.

(٣) تجليات الدلالة الإيحائية : ٢٥١.

(٤) المكان نفسه.

(٥) المصدر نفسه : ٢٦٩.

(٦) بيان إعجاز القرآن (الرماني) : ٢٧.

بالخروج والابتعاد عن الطابع المألوف للغة العادية وإحداث مفاجأة للمتلقي بإبعادهِ عن التقليد إلى ما هو مبتكر، خلال إجراءاتٍ يفرضها النسق الترتيبي لوحدات التركيب من حذفٍ وزيادةٍ وتوسعٍ وتفصيل وقصرٍ وإيجاز وما إلى ذلك من أساليب تركيبية تُسهم في إبقاء المعنى عالقاً في الذهنِ مصحوباً بقرينة مؤكدة للدلالة المقصودة، وبذلك تُسهم المعايير التركيبية وما ينجم عنها من انزياحاتٍ موضعية أو بيانيةٍ في تحقّق عناصر دلالية جديدة ذات إيحاءاتٍ في تعميق الصور المعبّرة التي تستجيب لها النفس الإنسانية فتقوم بفعل الوظيفة الدالة.

ثالثاً- المقاييس الدلالية :

يمثل المعيار الدلالي نقطة الارتكاز وقطب الرّحى في الدراسات الأسلوبية الحديثة عامة والدراسات القرآنية بشكلٍ خاصٍ؛ لأنه ((أخطر موضوعاتها وأشدها تشابكاً مع الخلفية الكلامية والعقائدية للدارسين))[١]، وما ينّتج عن ذلك من تنوعٍ دلالي في الكشف عن أبعاد النصِ، وإجراءاتهِ المرتبطة بالبنى العميقة والسطحية المتشكلة من الأصوات، والاشتقاقات الصرفية والعمليات النحوية إذ إن ((عملية الكلام لها جانبان: أحدهما مادي (Physicol) وهو الأصوات المنطوقة، والآخر عقلي (men'al) وهو المعنى المقصود، وعلى هذا يجب أن يسير التحليل في خطين متوازيين))[٢] :

الخط الأول: يمثلهُ المستوى الصوتي، في حين يمثل المستوى الدلالي الخط الموازي الثاني، حيث تظهر العلاقة واضحة بينهما من خلال التطابق والتكامل بما تستدعيه بعض الدلالات من أصواتٍ معينة قد تعبّر عن نوع معينٍ من الدلالات تخرج تصوراً واضحاً عن البنية الكلية للنص بإدراكها من خلال السياق والموقف الكلامي.

تسعى المعايير الدلالية في مظاهر التعبير القرآني إلى ((الكشف عن البنى المولدة للمعنى : الوجه المتقدم للغة، الكاتب ورؤاه))[٣] وبيان جمالية النظم

---

(١) المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية : ١٥٧.

(٢) دور الكلمة في اللغة : ٣٣.

(٣) قراءات بلاغية : ٩٣.

والتركيب، وحسن توظيف الأنساق اللغوية الكبرى من خلال التركيز على أهمية السياق في تحديد المعنى، فاللفظة في حدٍّ ذاتها لا قيمة لها؛ إلاَّ إذا أكتسبت موقعها في النصِ وعلاقتها ببقية عناصر الجملة، وهذا يؤكد اشارة عبد القاهر الجرجاني، لهذا المعنى فيقول : ((وهل تجد أحداً يقول هذه اللفظة فصيحة، إلاَّ وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟))[١].

يتبين من ذلك أن للسياق (context) مفهوماً شمولياً يتضمن اللفظة والألفاظ المجاورة، والجملة، والجمل المجاورة لها، ويمتد ليتداخل مع ((معايير اجتماعية معينة تطابق في الاستعمال، وتُقاس في الكلام، ومن ثمَّ تصطبغ بصبغة ظاهرة الصوغ القياسي Analogic creation))[٢]، وباجتماع تلك المعاني نتلمس الدلالات الإيحائية والضلال المشعة من الكلمة القرآنية التي تتوافق بدقةٍ مع متطلبات الموقف ومجريات السياق ((الذي يوضح ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنها تعبير موضوعي صرف، أو أنها قصد بها – أساساً – التعبير عن العواطف والانفعالات))[٣] بطريق الحقيقة أو المجاز أو الترادف أو الاشتراك اللفظي مما يُكسِب الألفاظ درجة عالية من الحجةِ والبرهان للدلالة على المعاني وإبرازها، وذلك يعودُ إلى طبيعةِ اللغة المتطورة ودخول اللفظ في الاستعمال المجازي مع ضرورة المحافظة على العلاقات الترابطية والتبادلية لتلك المعاني في بناء النص، والدقةِ في مطابقةِ اللفظِ للمعنى من خلالِ حُسن الاختيارِ الذي يتمثل في النص القرآني، وهنا يتأكد أن أسلوبيةِ الدلالة المتمحورة حولَ خصوصية النص القرآني تحفل بالوضوحِ والدقةِ والحقيقة في مسارها العام مما عَمّق مجرى الفائدة، ورسخ رعاية المعنى الموصول بمتلقيهِ إقناعاً وتأثيراً وترهيباً وترغيباً[٤].

---

(١) دلائل الإعجاز : ٤٤.

(٢) اللغة بين المعيارية والوصفية : ٣٩، وينظر : اللغة والأسلوب (بحث) : د. سلمان داود الواسطي، مجلة لغة الضاد، منشورات المجمع العلمي، ج٦، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، ص١٠٩.

(٣) دور الكلمة في اللغة : ٦٣.

(٤) ينظر : المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية : ٢٠٦.

وباستيعابِ تلك المعايير الأسلوبية وتطبيقها على مظاهر الدراسات القرآنية يتوصل الباحث إلى قراءة منهجية مُعاصرة مرتكزة إلى مستويات الصوتِ، والإيقاع، والدلالة، والتركيب، تنطلق من مفاهيم منسجمة ومتكافئة تحافظ على الموروث وتحقق أصالة إجراءاتِهِ انطلاقاً من أسلوبية القرآن الكريم، وهي ((أسلوبية نصية تتآلف فيها العناصر؛ لخدمة النص وتتابع المقاييس في وصف المكونات المتراتبة خدمة لإعجاز نصٍ يُعجِزُ بكلِّهِ أكثر من إعجازه بجزيئاتهِ))[١].

وجملة تلك المعايير تصف ما برز في التعبير القرآني من مظاهر لفظية ومعنوية وتحيط بأهمِ أبعادِ الخطاب القرآني بوصفه رسالةً ودعوةً وحجةً ودليلاً.

ثانياً : مصطلح (المظهر البديعي) بين الأصالة والتبعية :

أ- دلالة المصطلح في الموروث البلاغي العربي.

في خضم تَقَلّبات كلمة (البديع) في اللغة نجد أن لمادة (بَدَعَ) معانٍ متقاربة تستمدُ مفاهيمها من الاختراع والجدة والحداثة والابتكارِ على غير مثالٍ سابقٍ[٢]، في أمورٍ ماديةٍ ومعنوية ذات صلة واضحة وانسجام تام مع المعنى الاصطلاحي الذي تباينت دلالتهُ ضيقاً واتساعاً، تعميماً وتخصيصاً، حين حُدد لعلم البديع مفهومٌ يُميزهُ عن علم المعاني وعلم البيان، وهذا المفهوم هو ((العلم الذي يعرفُ به وجوهُ تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقهِ على مُقتضى الحال ووضوح الدلالة))[٣]، وبهذا التحديد والتقنين أصبحَ البديع علماً ثالثاً يتقاسمُ موقعهُ الثلاثي بين علوم البلاغة العربية.

لكنّ المسألة اللافتة تتمركز حول أولوية وضع اللبنات الأساسية الأولى لمصطلح (البديع) بمعناه الفني، التي شكلت نقطة خلافٍ عند الكثير من علماء البلاغةِ الأوائل الذين اشتغلوا بذكرِ التعريفات والأقسام البلاغية المتعددة مما شغلهم عن الوقوف أمام المظهرِ البديعي وبيان مكنوناتهِ الجماليةِ، وبالتالي توسع ذلك إلى إحاطة البديع بجفوةٍ عزلته عن التأثير في النفوس فأصبح مجرد حليةٍ تحسينيةٍ يُزين بها الكلام بعد أن تحقق فيه مراعاة المطابقةِ ووضوح الدلالة.

---

(١) المصدر نفسه : ٢٨٤.

(٢) ينظر : مادة (بَدَعَ) في : كتاب العين، وتهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، ومجمل اللغة، ولسان العرب، وتاج العروس.

(٣) الإيضاح : ٢٥٥.

وعلى الرغم من التلازم الذي قام في الأذهانِ بين مصطلح (البديع) وبين ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) على مستوى التنظير؛ بوصفه صاحبَ الريادة في التأليف فيه، فإنَّ الحقيقة تنفي ذلك إذ تبدأ مرحلة التحديد والتخصيص بإشارة الجاحظ[١] (ت ٢٥٥هـ) في غير موضعٍ من كتابه (البيان والتبيين) إلى أن الرواة أول من أطلقوا وصف البديع على ما يتميّز من الشعر بجمالِهِ وصياغتهِ، وتمثل بقولِ الأشهب بن رُميلة[٢] :

هُمُ ساعدُ الدَّهرِ الذي يُتَّقى بهِ ... وما خير كفٍّ لا تنُوءُ بسَاعِدِ

وقد عَلَق الجاحظ على البيت قائلاً : ((هم ساعدُ الدَّهرِ، إنما هو مثل، وهذا الذي تسميه الرواة البديع))[٣].

ومن أهم فنون البديع التي تناولها الجاحظ وكانت شائعة في عهده :

حُسن التقسيم وجودتهِ، وأسلوبُ الحكيم، وحُسن الابتداءِ، وحسن التخلصِ، وحُسن الانتهاءِ، والمذهب الكلامي، والكناية، وهذه المظاهر البديعية تعكسُ الجدة في طرائق التعبير الفني؛ لأن البديع مفهوم عام لا يختص بظاهرة بلاغية دون أُخرى[٤].

أما ابن المعتز فقد جاء كتابهُ (البديع) محاولةً منهجية دقيقة لحصرِ المظاهر البلاغية التي يوصف الكلام من أجلها بأنه بديع، ويبلغ مستواً خاصّاً من حيث الصياغة الفنية المنظمة في هذا الميدان، فكان تأليف الكتاب تأصيلاً لظاهرة البديع أولاً، وسبباً لما شاع في عصرهِ من عنايةٍ بالقيم الصوتية : جَرْساً وإيقاعاً ثانياً، ويشكل عنوان البديع ((تسمية عالية ذات دلالةٍ على مضمونِ الكتاب وغايتهِ))[٥]، وهنا تبدو مرحلة الاتساع والعموم.

---

(١) ينظر : البيان والتبيين : ٤ / ٥٥.

(٢) ينظر : البيان والتبيين : ٦٦/٣ و٢١١، والأشهب شاعر إسلامي مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، أسلم ولم تعرف لهُ صُحبة ولا اجتماع بالرسول ﷺ؛ لذا أورده ابن حجر في قسم المخضرمين من الإصابة، ورُميلة أسم أمه، فهو ممن نُسب إلى أمه من الشعراء، وكان الأشهب ممن هاجى الفرزدق، ينظر : كتاب الحيوان : ١ / ٣١٥، الإصابة في تمييز الصحابة : مج١/ج١١٠/١، وينظر : ترجمة الأشهب في خزانة البغدادي : ٣٠/٦.

(٣) البيان والتبيين : ٤ / ٥٥.

(٤) ينظر : البديع وفنونه : ١٥.

(٥) البديع، دراسة في البنية والدلالة : ١٧.

ويلاحظ الباحث في تقسيم ابن المعتز لفنون البديعِ الاختلاط والتمازج، والتوسع في عرضِ أصنافِ البديعِ بذكرهِ الاستعارة، والكناية، وحسن التشبيه[1]، على أنها مما يتوصل به الأديب إلى التجديد والتصوير المبتكرِ، فالبديع عندهُ واسعٌ يشمل البلاغة كلها، وقد ترك ابن المعتز الباب مفتوحاً للاجتهادِ والتطوير والابتكارِ أمام البلاغيين والنقاد، وقد تأثر أغلبهم بمنهجه العام الشمولي، وهنا بدأ التنافس في هذا الميدان لرصدِ أكبر عدد من المظاهر البلاغية، رغبةً في التوصلِ إلى الوانٍ بديعية جديدة، حتى أتسعَ مجال هذا الفن اتساعاً لا حدَّ لهُ، مما أثقلَ كاهلهُ، وألحق به من الأضرارِ أشدها[2]، ومما سبقَ يمكننا التأكيد أن رَصَدَ جذور مظاهر البديع في القرآن الكريم والحديث واللغة والشعر العربي القديم المتمثل بكتاب (البديع)، هو تأصيل لتلك المظاهر وإقرارٌ بجهدٍ مفتوحٍ يترقب تطوراً وتجديداً نحو الأفضلِ.

ومن معاصري ابن المعتز مَن وَسَّعَ مدلول مصطلح (البديع) مثل قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ)، إذ اهتدى إلى ألوانٍ جديدة من البديعِ تصل إلى أربعة عشر نوعاً هي : الترصيعُ، الغلوّ، صحة التقسيم، صحة المقابلات، صحة التفسير، التتميم، المبالغة، الإشارة، الإرداف، التمثيل، التكافؤ، التوشيح الإيغال، الالتفات، في حين يردد القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت ٣٩٢هـ) ما صرّح به من سبقه في دلالة البديع على (الجديد في بلاغة الشعر) مُشيراً إلى بعض الألوان البلاغية المندرجة تحت هذا العلم.

ويُلمح مدى الاتساع في مفهوم البديع بإضافة أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) تُزاد على ما أورده السابقون حتى بدا مصطلح البديع مرادفاً للبلاغةِ بمفهومها العام[3]، وينعكس هذا الاتساع في المفهوم البديعي وتشعب مظاهرهِ عند الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) بعقدهِ فصلاً (في ذكر البديع من الكلام) أدرج تحته ما يربو على خمسة وعشرين نوعاً بلاغياً مع التمثيل؛ لكن توسعه في النظر إلى البديع لا يوصله إلى معرفة (إعجاز القرآن)؛ لأن ((ليسَ فيه ما يخرق العادة، ويخرج عن

---

(١) ينظر : البديع (ابن المعتز) : ٣ و ٦٤ و ٦٨.

(٢) ينظر : البديع، دراسة في البنية والدلالة : ٢٠.

(٣) ينظر : كتاب الصناعيين : ٢٣٩.

العرف؛ بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدّرب به والتصنّع لهُ))[١]، وهنا لابُدَّ من التنبيه على أن الدرس الأسلوبي الحديث كشف عن وجهة نظر الباقلاني حول مفهوم (البديع) بتفصيل دقيق، ومن أبرز الدراسات التي يُعتد بها في هذا الميدان دراسة الأستاذ الدكتور فاضل عبود التميمي، فقد أثبت جملة من المسائل أهمها[٢] :

١- إنّ مصطلح البديع عند الباقلاني يضم فنون البلاغة كلّها، وليس العلم الثالث من علومها.

٢- لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من فنون البديع التي ذكرها علماء العربية.

٣- البديع الذي يمكن بوساطته معرفة إعجاز القرآن ليس مما يقدر البشر على التصنع له والتوصل إليه.

٤- البديع وجه بلاغي يقع في المرتبة الثانية من مراتب الأساليب البلاغية، وأنه ظاهرة شكلية لا علاقة لها بجوهر الخطاب يمكن تجاوزها، والتحكم في أبعادها.

٥- البديع عند الباقلاني واحد؛ ولكنّه من منطق العارف بلغة القرآن الكريم وتركيبها فرّق ما بين البديع في اللغة المعتادة، وبين البديع القرآني، بمعنى أن (البديع) يتمظهر بمستويات، منها: ما هو في سياق خاص، ومنها: ما هو في سياق إنساني محض[٣].

٦- كشفت الدراسة عن مدى أهمية (البديع) في إيضاح أسرار الإعجاز؛ لكن ذلك لا يكون إلاَّ في دائرة النظم القرآني المجمل.

٧- أكدت الدراسة أن الشواهد التطبيقية التي أوردها الباقلاني للبديع القرآني، وسعت دائرة الحرية المطلقة للقارئ من أجل الإمساك بالإعجاز، مُشيرةً إلى أن مصطلحات البديع المتعلقة بالإعجاز القرآني عامة[٤].

---

(١) إعجاز القرآن (الباقلاني) : ١١١.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن للباقلاني منهجه ومسائله–وإشكالية بديعه (د. فاضل عبود التميمي) : ٨١–٨٣.

(٣) ينظر : إعجاز القرآن للباقلاني (د. فاضل عبود التميمي) : ٧٦.

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٧٣.

وبالعودة إلى تراثنا القديم فقد اهتم ابن رشيق (ت ٤٦٣) بالتفريع والتناسل والنحو في مظاهر البديع حتى أوصلها إلى تسعة وسبعين نوعاً حُظيت بنصيبٍ وافرٍ من البحثِ والدراسةِ، والتفريق بين البديع كفنٍ بلاغي وبين المخترع من الشعر[١].

ولا يخفى على الدارس المتضلع في علم البلاغةِ دورُ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) الذي سعى إلى ترسيخ معايير تطبيقية لتمييز فنون البديع عن غيرها من ملونات التحسين اللفظي والصناعة الشكلية، مقرراً بذلك أهمية هذه الفنون، ومحدداً سُبل تحقيقها وتجنب الإفراط في اعتمادها[٢]، ثم يعود المصطلح ليتسع من جديد في كتاب (قانون البلاغة) لأبي طاهر البغدادي (ت ٥١٧هـ)، وكتاب (البديع في نقد الشعر) لأسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ) اللّذين أبرزا التداخل والجمع والخلط بشكلٍ ملحوظٍ لمحاسن البديعِ ومساوئهِ، وبهذا القول نؤكد أن مؤشرات البديع تكمن في ما يؤديهِ من دورٍ يُلائم فيه المعنى وينسجم مع اللفظ بلا إكراهٍ، على الرغم من محاولات الاتساع والتجديد لمظاهرهِ وفنونهِ.

ومن غير الممكن إنكار دور السكاكي (ت ٦٢٦هـ) الاستثنائي، الذي يبرز على الساحةِ البلاغية، متصدياً لهذا الفن بمنهجية تكاملية تاركةً أثرها العميق في تقسيم علوم البلاغة وبيانها، تقسيماً أُجحف فيه علم البديعِ لالحاقهِ بعلمي المعاني والبيان، وتقسيمه الجامد على قسمين : قسم يرجع إلى اللفظِ، وقسمٌ يرجع إلى المعنى، وهو أولُ تقسيم يُصبح فيه البديع على يدِ السكاكي تابعاً مكملاً، وأن ما جاءَ بعده من دراسات وتلخيصات، يمكن عدّها مظهراً لما وصلت إليه البلاغة العربيةِ من الجمودِ والولوعِ بالتقسيماتِ والتفريعاتِ فقد أُزيح البديع عن موقع السيادة والهيمنة ونُقل إلى الهامش بعد أن كان يتمتع بها أربعة قرون مع ابن المعتز الذي وسع دائرة نفوذه البديعي ليشمل كل صور التعبير ووجوهه اللسانية.

وهنا تتأكد حقيقة تأطير مفهوم البديع بتميز عن البلاغةِ بمفهومها العام في رؤية السكاكي البحثية، واستقلالهِ بالبديع في قسم ثالثٍ يُصار إليه؛ لقصدِ غايةٍ

---

(١) ينظر : العمدة : ١ / ٢٥٦.

(٢) ينظر : عبد القاهر الجرجاني، بلاغته ونقده : ١٢٣.

تحسينية ترتبط بنقدِ بعض المفاهيم المؤسسة لعلوم البلاغةِ ((لأنها لا تنفصل بحالٍ من الأحوالِ عن البعد الجمالي))[1].

إنَّ الوقوف على الغاية التحسينية في فن البديع، وبيان أصالته وابتعاده عن الشكلية يتطلب النظر ملياً في تباين الآراءِ والمناقشات التي أثيرت على الساحة النقدية والبلاغية حول ذاتية مظاهر البديع وعرضيتها، ففي الوقت الذي رعى فيه القزويني (ت ٧٣٩هـ) علم البديع رعايةً مزدوجة تبدو في شقها الأول دالة على علم المعاني، وفي شقها الثاني دالة على علم البيان حين حدّه بقولهِ : ((العلم الذي يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقهِ على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة))[2]، وقسَّم المحسِّنات البديعية قسمين : معنوية جعلها قرابة ثلاثين نوعاً، ولفظية : جعلها سبعة أنواع، ثم ألحق بها السرقات الشعرية وما يتصل بها من تضمين واقتباس[3]، وبهذا يستقر مفهوم مصطلح (البديع) عند حدودِ تحسين الكلامِ على الرغم من المحاولات الجادة التي نهض بها البلاغيون القدماء للربط بين المستوى الشكلي المحسوس والمستوى الباطني غير المحسوس في ميدان التطبيق البديعي[4]، باعتماد بعضهم على المعنى من دون اللفظِ، واعتماد بعضهم الآخر اللفظ من دون المعنى، كمحاولةِ السكاكي التحويلية ذات البعد الأسلوبي الواضح لربط المستوى اللفظي بالمعنوي في قوله : ((وأصلُ الحسن في جميع ذلك أن تكون الألفاظ توابع للمعاني لا أن تكون المعاني لها توابع، أعني : أن لا تكون متكلفة))[5].

والسكاكي في تعاملهِ مع مظاهر البديع وملاحظاته المسجلة عنها يُشير إلى نظرتهِ المتقاربة مع من سبقه في دراسة الظواهر الفردية بمعزل عن الدلالة، وهكذا فـ((إنَّ النظر في المبحث البديعي – في مجمله – يؤكد أن رجال البلاغة قد أهمهم تحسس بناء الجملة بوصفهِ الوحدة الصغرى للخطاب اللغوي، واعتمدوا في ذلك على

---

(١) محاضرات في علم البيان : ٢٣٥.

(٢) الإيضاح : ٢٥٥.

(٣) ينظر : الإيضاح : ٣٠١

(٤) ينظر : البديع، دراسة في البنية والدلالة : ٢٢.

(٥) مفتاح العلوم : ٥٤٢.

توصيف عناصر الجملة توصيفاً يبدأ من الحرف المعزول عن الدلالة، وصولاً إلى التركيب بكل مكوناته الإفرادية، بكل علاقاته النحوية))[١].

ب- البديع من منظور الدراسات الأسلوبية، نظرة تجديدية :

في ظل ما سبق من جهودِ بلاغيينا العرب القدماء يتأكد أن البلاغة العربية بعلومها الثلاثة، دُعمت بعلوم اللغة منذ نعومةِ أظفارها، فآتت أُكلها في الكشفِ عن القيم الجمالية داخل النص وتوظيف موضوعات البلاغة؛ لِتفسير النصوص وتتبع لغتها الفنية، فأسست بذلك لدراساتٍ أسلوبية تتناول أوضاع اللغة داخل النصِ على وفق معاييرِ ثابتة، ((تسعى إلى (قراءة) مصطلح البديع على وفق ما يمتلك اليوم من تحولات أسلوبية اتجهت به من الرؤية البلاغية (التحسينية) إلى مستوٍ جديد))[٢] يمنح النص قدرة تعبيرية من خلال توسيع مساحة المعالجة وطرائق تقديم المعاني، وبما أن للبديع علاقة بمكونات التعبير بوصفه ((أداة تعبيرية يعتمد المفارقة الحسية والمعنوية لغة بذاتها، كما يجعل من الإيقاع التكراري خاصية بذاتها، كل ذلك يمثل عملية تنظيم لأدوات التعبيرية التي كان الإلحاح عليها وسيلة لقبولها أولاً، ثم الإعجاب بها ثانياً))[٣] فإن التحولات في اللغة وانحرافها، تشكل منعرجاً حاسماً في سياق البديع، وعلى الرغم من المزاعم الموجهة إليه بتناول قضايا الشكل من دون المضمونِ، فإنَّ الأشكال البديعية هي أكثر الظواهر اللغوية التي يمكن أن تقدم للمبدع هذا الثراء والتنوع، على أن يؤخذ بالحسبان دائماً الابتعاد عن التكلف والاعتساف، ((على معنى أن تكون الأشكال البديعية دعماً للقدرة الإبداعية، التي يتم التعامل معها لتكون مكوناً أساسياً في البناء الشكلي والمضموني، وهو ما يجعل من الأسلوب ظاهرة خارجية وداخلية على صعيد واحدٍ، إذ يصعب الفصل بين ما هو أساسي في البنية، وما هو إضافي تحسيني، وهو ما يدفع بالأسلوب إلى منطقة الأدبية الحقيقية))[٤].

---

(١) البلاغة العربية، قراءة أخرى : ٣٤٨.

(٢) قراءات بلاغية : ٦٤.

(٣) البلاغة العربية، قراءة أخرى : ٣٨٤.

(٤) البلاغة العربية، قراءة أخرى : ١٧.

ومن تتبع مظاهر البديع وحركتها في نصٍ ما كالطباقِ والمقابلة والتورية واللفّ والنشر، ومراعاةِ النظير، إلى غير ذلك من فنون البديع، نتلمس العلاقات العميقة التي تجمع بينها وهي علاقات حتمية تفرضها طبيعة اللغة التي يستخدمها منشئ النص وما يرافقها من تحولاتٍ في المعنى والدلالة، فعلى سبيل المثال يأتي الطباق نوعاً من التقابل في المعنى، من خلالِ توظيف مفردات متقابلة في الدلالة ومن الممكن توظيف هذه الظواهر في إنتاج نوعٍ من الإيقاعية التكرارية، سواءٌ أكان ذلك في منطقة السطح الصياغي، أم في منطقة العمق الدلالي، وهذا هو أساس التكرارية التي تكاد تسيطر على مجموع البنى البديعية[١]، لما لاحظهُ البلاغيون من إمكانية إنتاج بنية (التطابق) أو (التقابل)، ومعنى ذلك أن التركيز في معالجات مظاهر البديع من الزاوية الأسلوبية يرصِد قضية لغوية تحدد علاقات توزيعية مترابطة بالمعنى مع الدلالة داخل النص والتي يمكن تشخصيها باعتمادِ منهجية وإجراءاتِ (نحو النص)[٢].

وقد حَدَّدَ الدكتور جميل عبد المجيد الصفة القارة في النص المعتمد ((وهي صفة الاطراد أو الاستمرارية (Continuity)، وهي صفة تعني التواصل والتتابع والترابط بين الأجزاء المكونة للنص))[٣]، ومن خلال هذا التحديد لابُدّ من إعادة النظر في ما ارتبط بالبديع من وظيفة جمالية يتحدد بها جوهر الأسلوب وتقويمهِ على أنه ركنٌ أساسيٌ من مقومات النص غير منحصر بغاية تحسينية تزينية تلحق بالكلام بعد استيفائهِ لشروط البلاغة. بمعنى أن الدراسات الأسلوبية الحديثة تثمن قيمة المظاهر البديعية وفقاً لأدائها في ((إنتاج الخطاب وبنائهِ جمالياً ودلالياً، وتنتفي – في إطار هذه النظرة – التفرقة المفترضة بين محسناتٍ لفظية ومحسناتٍ

---

(١) ينظر : المصدر نفسه : ٣٥٤.

(٢) وهو مصطلحٌ بلاغي نقدي يعالج علاقات فيما وراء الجملة : بين الجمل والفقرات والنص بتمامهِ، وذلك على المستوى المعجمي، والمستوى النحوي (الصرف، والصوت، والتركيب)، والمستوى الدلالي، ينظر : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ٦٨.

(٣) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ٧٦.

معنوية))[١]، وهنا تحتم الدراسة الأسلوبية فرضَ نظرتها إلى التحسين المنوط بالبديع على أنه قيمة جمالية جوهرية ذات أثر محكوم بعدد من العلاقات والمعايير المنهجية التي بإمكانها استيعاب النص بشموليةٍ الدرس البلاغي القديم، والدراسات اللغوية الحديثة.

إنّ أساليب البديع المُعْتَمَدة في التحليل الأسلوبي ترتكزُ أصلاً على عفوية التعبير، وفقاً لمستويات القياس الأسلوبي اللفظية والدلالية وطرائق تقديم المعنى فمثلاً استخدام أسلوب (الجناس) أو (السجْع) أو (المقابلة) في نصٍ ما يعكس علاقات التكرار وإجراءاتها المرتبطة بغاية الإقناع محاولةً لتقريب المعنى المقصود، وهذا ينطبق أيضاً على أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم ((ويلاحظ في هذا الشكل وجود علاقة جامعة بين الصفتين، كما أن حضور المتلقي إلى رحاب الصياغة أمر ضروري لإنتاج البنية لبلاغيتها، لأنه بمتابعتهِ للصياغة يتوهم بداية أن الصفة الثانية صفة ذم، فإذا بها تفاجئه بانتمائها إلى الجملة الأولى المادحة))[٢]، وتتعكس أيضاً علاقاتُ التحول والعدول والمغايرة في أسلوب بديعي كالتجريد وحُسن التعليل حين تعتمد بنية الانتقال التي تستمد أثرها الأسلوبي من ((المخالفة السطحية بين المنتقل عنه والمنتقل إليه؛ ولكن البلاغيين يعيدون الانتظام لهذهِ المخالفة بالنظرِ في المستوى العميق وإيجاد نوع من التوافق والانسجام بين الطرفين))[٣].

وكل تلك الأساليب البديعية تشكل ظواهر أسلوبية جديدة داخل النص بما تفرضهُ من تغيراتٍ وتحولاتٍ في المعنى والدلالة إلى جانب تحولات اللغة التي يبرز أثرها الأسلوبي جرّاء قيمتها العدولية المتولدة عن الطبع والعفوية، وتوظيف مستوياتها الجمالية بالقفز على وعي المتلقين وإثارتهم، ومن هنا يفهم أن (البديع) بمظاهرهِ المتنوعةِ رغم شدة إقتضاء الحال واستحضار المقام لجملة فنونهِ؛ إلاّ أنه يرجع عند كثير من البلاغيين على الكلام بالتحسين العرضي، وهذا ما يرفضه البحث بشدة؛ لأن الواقع أنه ليس مظهر ترف في الأُسلوب متى كان جارياً مع الطبع وإنما هو على حدّ تعبير الدكتور إبراهيم محمد محمود الحمداني ((مصطلح نقدي معياري

---

(١) البديع وفنونه : ٦٥.

(٢) البلاغة العربية، قراءة أُخرى : ٣٨٩–٣٩٠.

(٣) البلاغة العربية، قراءة أُخرى : ٣٩٢.

يعمل على كشف مواطن الجمال في النص الأدبي، ويعتمد الذوق الفني الرفيع، فضلاً عن كونه أداة في الكشف عن المعنى والتركيب الجديدين)) وبذلك يعكس التأنق في رؤية المعنى وحسن تأديته(١).

وهنا يتأكد أن المظاهر البديعية إنما هي تقانات فنية ترتقي بالتعبير إلى تصيّد المعاني والدلالات لتقديمها في قوالب لفظية تستثير إعجاب المتلقي؛ لما تحمله من إبداع فني يتمثل في الأسلوب الأعمق الذي يتصل بالفصاحة المعنوية زيادةً على سعيه لضبط جهات الحسن في الكلام، وبذلك يشارك أخويه في تحقيق الحسن البلاغي بعد تحقيقه رعاية المطابقة لمقتضى الحال، ووضوح الدلالة مع احتفاظه باستقلاله الوظيفي في نوعية المعالجة، وخصوصية التناول التي تقتضي تمايزاً بين علوم البلاغة الثلاثة.

---

(١) أكد الدكتور إبراهيم محمد محمود مصطفى الحمداني في كتابه المصطلح النقدي في كتب الإعجاز القرآني حتى نهاية القرن السابع الهجري ((أن البديع بهذا الوصف يعني الجدّة والابتكار والسبق إلى المعنى المستظرف الجديد))، المصدر المذكور : ١٢٠.

الفصل الأول
مظاهر التناسب والتوازي

أولاً : مَفْهُومُ التناسبِ : القيمة والمُعَادِل الموضوعي :

تفرض قضية تحرير المصطلح سلطتها العلمية على الباحث والناقد، وصولاً إلى فهمٍ جامعٍ محدّد يرصدُ به مديات التشابه والاختلاف في المفاهيم، ومن ثم المناقشة المنطقية التي تُسفر عن نتائج دقيقة يتوخاها البحث.

فمفهوم التناسب من المفاهيم العربية النقدية القديمة، التي تجمع على رَصدِ آلياتِ الترابط والانسجام العضوي والموضوعي بين أجزاء النظم القرآني، والكشف عن ميادين إعجازهِ وبيانهِ، وفقاً لإجراءاتٍ تجميعية تتحدّد من خلالها طبيعةُ المصطلح ووظيفتُهُ وكيفية التعامل مع مستوياته وأنماطه، ومحدداتٍ تفرضها طبيعة اللغة وخصوصية الظاهرة البلاغية المدروسة.

إن الحديث عن مفهوم التناسب القرآني والاستدلال بمظاهرهِ على بديع النظمِ بوصفهِ ((علمٌ دقيقٌ يعتمدُ على العقلية ذات التفكير الكلي))[1]، من الأمور البالغة الأهمية، التي تتطلبُ إعمالاً للفكرِ، وغوصاً في تدبر دقائق أسرارهِ، تأكيداً على ضرورة التعامل مع القرآن الكريم بوصفه وحدة واحدة متماسكة الأجزاء.

فالمناسبة في اللغة تُحيل على معنى المشاكلة أي : المشابهةِ والمماثلةِ والموافقةِ[2]، ((والتشابه لا يتم إلاَّ بوجود أمرٍ رابطٍ بين الشيئين أو يقارب بينهما))[3]، وهذا يؤكد مفهومه الاصطلاحي الدال على معرفةِ علل ترتيب أجزاء القرآن وعرضها على العقول بما يُلاقى بالقبول، غير متكلفة ولا مصطنعة[4]، حتى تكون اجزاؤهُ كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني[5]، بمعنى أن التناسب الذي يقصده البحث قائم على أساسِ إيجادِ علاقاتٍ ترابطية منطقية تجمعُ مظاهر الجمال في

(١) علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن : ٤٣.

(٢) ينظر : مادة (نَسَبَ) في : معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، والقاموس المحيط، وتاج العروس، والمعجم الوسيط.

(٣) علم المناسابات وأهميته في تفسير القرآن : ٦.

(٤) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ١ / ٣٥، نظم الدرر : ١ / ٧.

(٥) هذا حدُّ التناسب عند القاضي أبي بكر بن العربي (ت ٤٦٨ – ٥٤٣هـ)، وهو : محمد بن عبد الله المعافري، الأندلسي، أبوه من فقهاء اشبيلية، سمع من علماء بغداد، والتقى بأبي حامد الغزالي بالشام ثم عادَ إلى المغرب وتوفي بفاس، قاضٍ من حفاظ الحديث، بلغ رتبة الاجتهاد في الفقه، من مؤلفاته : (أحكام القرآن) و(الناسخ والمنسوخ) و(قانون التأويل)، ينظر : أبجد العلوم : ٣ /١٤٩، طبقات المفسرين (الأدنروي) : ١٨٠، الأعلام : ٦ / ٢٣٠.

لطائف القرآن، المودعة في الترتيبات، بآلية تحكم محددات الاكتمال التركيبي والدلالي لوحدات اللفظِ والمعنى.

ومن خلال متابعة التعريفات الاصطلاحية لمفهوم التناسب نلحظ الآتي :

أ- الترابط الوثيق بين مصطلحي التناسب والبلاغة، فالتناسب هو (سرُّ البلاغة) على حدٍّ تعبير البقاعي؛ لتأديته تحقيق مطابقة المعاني لمقتضى الحال[١]، وهو عند البلاغيين ترتيب المعاني المتآخية[٢]، وصولاً إلى علل ترتيب الأجزاء، في حين أن البلاغة من المنظور ذاتهِ تعني التناسب، حين تجتمعُ فيها صفات القوة على البيان مع حُسنِ النظام وصولاً إلى أن ((أبلغ الكلام ما حُسن إيجازهُ، وقل مجازه، وكثر إعجازه، وتناسبت صدوره وأعجازه))[٣]، ونظراً لتمتع بنية التناسب بخصوصية تحقيق التلاؤم والانسجام والتكافؤ بين أجزاء القول، عدّها بعض البلاغيين من أسرار الفصاحة، ومن ثم لم يكن غريباً أن تأتي تسمية (المناسبة) عند أهل الاختصاص مرادفةً لمصطلح (التكرير المعنوي)، حين يرد تعبير (النقيض) ضمن أنواع أربعة للمناسبة[٤].

ب- انشغال كثير من البلاغيين والمفسرين بمعالجة قضية النظم داخل الآية القرآنية الواحدة، وعلاقتها بالآيات المتجاورة، متخذين من فكرة (الترتيب) مرتكزاً أساسياً يجمعُ بين التناسب والوحدة العضوية أو الموضوعية، على أساس أن هناك ترتيباً خاصاً في الكلام مؤداه تناسق المعاني في النفس أولاً، ومن ثمة إطلاق الألفاظ مرتبةً مقصودةً وفقاً لمعانيها[٥].

---

(١) ينظر : نظم الدرّر : ١ / ٦.

(٢) ينظر : نهاية الأرب : ٩٠/٧.

(٣) نَسَبَ ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) هذا القول لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، العمدة : ١ / ٢٤٦.

(٤) التناسب أو المناسبة هي (سرُّ الفصاحة) عند ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ)، حين قسمها إلى ضربين : الأول : مناسبة بين اللفظين عن طريق الصيغة وتضم صوراً كـ(السجع، والأزدواج، وتوازي الألفاظ)، والثاني : مناسبة بين اللفظين عن طريق المعنى وتضم صوراً كـ(تناسب التقارب، وتناسب التضاد)، ينظر : سرُّ الفصاحة : ١٦٩ و١٩٩.

(٥) ينظر : دلائل الإعجاز : ٥٤.

ج- إن مرجعية التناسب تتجلى في مراعاتهِ السياق؛ فهو من أهم الأسس الموضوعية التي اعتمدها المفسرون في الترجيح بين الأقوال في كثير من الآيات، مؤكدين عدم جواز صرف الكلام عما هو في سياقهِ إلى غيرهِ إلاَّ بحجةٍ مُسّلمَةٍ أو دلالةٍ ظاهرةٍ[1].

ولعلهم بهذهِ الظاهرة أي (التناسب) يقفون غير بعيدٍ من مُتجه الدراسات الأسلوبية، التي جعلت لمفهوم السياق مُعادلاً موضوعياً يتمثل بألفاظ منها (المقام، ومقتضى الحال، والمقتضى، والتأليف، والنظم القرآني) لدلالتها جميعاً على معنى السياق المقصود، وهذا يجعلنا نشير إلى أن هناك مفارقات بين بلاغيي العرب وعلماء لغة النص، نوجزها باتجاهين يقوم الأول: على معالجة ظاهرة (التناسب) – عند البلاغيين العرب – معالجة بلاغية صرفة يُنظر فيها التركيز على النص القرآني من جانب إعجازهِ، والوقوف على مستوى الشاهد، بينما عولجت هذه الظاهرة – عند علماء لغة النص – من منظورٍ لساني صرفٍ يتجاوز النص بتمامهِ، ويقوم الثاني: على توجّه البلاغيين العرب في التعامل مع التناسب بوصفهِ أصلاً من أصول البديع في سياقٍ بلاغي عام، كما هو الحال عند ابن سنان الخفاجي، والسجلماسي[2]، على سبيل المثال، في الوقت الذي فَصّلَ فيها أصحاب اللسانيات الحديثة العلاقات الترابطية الناتجة عن هذهِ الظاهرة، وأدخلوها تحت مسمياتٍ مختلفة، نظراً لأبعادها التركيبية، ومستويات تنظيمها وتشكيلها في المقولات المعجمية، وبحضور القرائن اللفظية والمعنوية وبيان وظيفتها في النسق الدلالي عموماً[3].

د- تستوعب بنية التناسب كثيراً من مظاهر البديع وفنونه؛ لأنها تعكس الوظيفة التي يحققها هذا الفن، القائم على أساس ظاهرة المصاحبة المعجمية Collocation في الدراسات الأسلوبية، حيث تتجلى في هذه الفنون علاقات السبك المعجمي Lexical cohesion، التي تُحققُ ضرباً من ضروب التماثل Identity، أو

---

(١) ينظر : جامع البيان : ١٠٩/١.

(٢) ينظر : سرُّ الفصاحة : ١٦٩، والمنزع البديع : ٤٧٧.

(٣) ينظر : الأصول (تمام حسان) : ٣٧٥.

التكافؤ Equivalence[١]، ومن أبرز تلك المظاهر (التقابل، والتطابق، والإرصاد أو التسهيم، ومراعاة النظير، ومواضع التأنق في الكلام)، وسنأتي على تفصيلها في المباحث الخاصة بهذا الفصل.

هـ- من خلالِ مراجعة السُلم التاريخي لظاهرة التناسب، نجدُ ثراء مكتبة التناسب القرآني البلاغي، ووفرة التأليف فيه قديماً وحديثاً، وبذلك نخالف رأي باحثةٍ مُعاصرة صرحت بأنَّ ((التناسب علمٌ قلَّ اعتناء الباحثين به))[٢]، وأعربت في رأيها أن المؤلفات في هذا العلم قليلة ونادرة، مُطالبةً أهل الفهم الواعي والعلم الواسع على حدِّ تعبيرها، إغناء هذا الفن بالبحوث والمؤلفات، في حين أننا نؤكد خلاف ذلك، إذ إن أول وأقدم إشارة لموضوع التناسب، وفقاً للترتيب الزمني :

١- شيخ المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري[٣] (ت ٣١٠هـ)، حين ربط الآية بالسياق البعيد، دلالةً على فطنتهِ وتدبرهِ، في أثناء وقوفهِ على قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [البقرة: ٦-٧].

ويظهر التناسب البديعي في موضع آخر من سورة آل عمران في الآيتين الثالثة والثمانين، والرابعة والثمانين، على الرغم من عدم تصريحه بلفظ التناسب، فقد أظهر العلاقة بين الآيتين، ومستوى العدول في الكشف عن الكلامِ المُقدر المحذوف لدلالة الظاهرِ عليه[٤].

---

(١) ينظر : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١٠٩.

(٢) أثر النظم في تناسب المعاني (رسالة ماجستير) : ٧-٨.

(٣) ينظر : جامع البيان : ١ /١٠٩.

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٣ / ٣١٨ – ٣٢٠.

٢- أبو بكر النيسابوري[(١)] (ت ٢٣٨ - ٣٢٤هـ)، هو أول من أظهر علم المناسبة ببغداد، وكان يُزري على عُلمائها عدم علمهم بالمناسبة، باحثاً في سرِّ الحكمة الإلهية في وضع آيةٍ جنب آيةٍ أو سورةٍ جنب أُخرى[(٢)].

٣- وقد سبق الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ثُلةً من كبار علماء البلاغة وأئمة التفسير، في التأسيس للترتيب، على الرغم من عدم نصهِ صراحةً على مفهوم التناسب؛ إلاَّ أنه ربط نظرية النظم بالإعجاز الحقيقي للقُرآن الكريم[(٣)]، ومن أشهر من تلاه الإمام الزمخشري[(٤)] (ت ٥٣٨هـ)، والقاضي أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ)[(٥)]، والإمام الفخر الرازي[(٦)] (ت ٦٠٦هـ)، وكمال الدين الزملكاني[(٧)] (ت ٦٥١هـ)، وأبو جعفر بن الزبير[(٨)] (ت ٧٠٨هـ)، والمفسر الفقيه المعروف بابن المنفلوطي[(٩)]

---

(١) هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل النيسابوري، المحدث، الفقيه الشافعي، كان إمام عصره من الشافعية بالعراق، ينظر : الأعلام : ٤ / ١١٩.

(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ١ / ٣٦.

(٣) ينظر : دلائل الإعجاز : ٣٩.

(٤) هو محمود بن عمر بن محمد أبو القاسم الزمخشري، النحوي اللغوي المعتزلي المفسر، الملقب بـ (جار الله)؛ لأنه جاور مكة زماناً، من مؤلفاته : (المفصل في النحو)، و(الرائض في الفرائض)، و(أساس البلاغة)، و(المنهاج في الأصول)، و(تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل). ينظر : أبجد العلوم : ٣٠/٣، طبقات المفسرين (الأدنروي) : ١٧٣.

(٥) ينظر : ص ٣٠ من البحث هامش رقم (٥).

(٦) هو محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي (٥٤٤ – ٦٠٦هـ)، المفسر المتكلم، تتلمذ على يد البغوي، من مؤلفاته : (البرهان في قراءة القرآن)، و(المصنف في إعجاز القرآن)، و(التفسير الكبير)، ينظر : طبقات المفسرين (الأدنروي) : ١١٥.

(٧) هو عبد الواحد بن عبد الكريم الأنصاري، الزملكاني، ولي القضاء، ودرس مدة ببعلبك، له : (التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن)، و(نهاية التأويل في بيان أسرار التنزيل)، ورسالة في (الخصائص النبوية). ينظر : أبجد العلوم : ٣/ ١٥٥، الأعلام : ١٧٦/٤.

(٨) هو أحمد بن إبراهيم الغرناطي، النحوي المقرئ المفسر المؤرخ، كان محدث المغرب كلهُ في زمانه، له (تعليق على كتاب سيبويه)، و(شرح الإشارة في الأصول)، و(سبيل الرشاد في فضل الجهاد)، و(ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التأويل)، ينظر : طبقات المفسرين (الأدنروي) : ٣٩٧، والأعلام : ١ / ٨٦.

(٩) هو محمد بن أحمد بن إبراهيم ولي الدين الملوي الشافعي، المعروف بابن المنفلوطي، برع في التفسير، والفقه والأصول، والتصوف، وكان كثير العبادة، ترجم له ابن حجر في كتابيه : (إنباء الغُمرُ بأنباء العُمر)، و(الدرر الكامنة)، ينظر : إنباء الغمر : ٤٦/١، ونظم الدّرر : ١ / ٨.

(ت ٧٧٤هـ)، والإمام الشاطبي[١] (ت ٧٩٠هـ)، والإمام بدر الدين الزركشي[٢] (ت ٧٩٤هـ)، والإمام برهان الدين البقاعي[٣] (ت ٨٨٥هـ)، والإمام جلال الدين السيوطي[٤] (ت ٩١١هـ)، والإمام عبد الحميد الفراهي[٥] (ت ١٣٤٩هـ).

وقد أعرب هؤلاء عن موقفهم الواضح إزاء الوحدة العضوية للقرآن جميعه، مُصرّحين غير مرةٍ بلفظ التناسب، ومتعمقين في البحث والتأمل لإيجاد عناصر الترابط والانسجام وكأنه ((شبكة الجهاز العصبي الرابط لأجزاء البدن، والمحكم لحركاته وتناسقها، حتى يصبح الجسد كعضو واحدٍ))[٦]، وقد انشغل هؤلاء بالوقوف على علل الترتيب للجمل والآيات والمعاني، وتناسب الفواصلِ مرسخين الاعتقاد بإعجاز النظم القرآني فقد كانت نسبة هذا الفن من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو[٧].

ومن أبرز الباحثين في هذا الميدان في مجال الدراسات الحديثة والمعاصرة؛ حتى أصبحوا أساساً جوهرياً في علم التفسير الموضوعي في عصرنا هذا، وفتحوا آفاقاً واسعة لدراسة كتاب الله المجيد نخص بالذكر منهم :

---

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، المجتهد الأصولي، المعروف بالشاطبي، لهُ : (الموافقات في أصول الفقه)، (الاعتصام)، (أصول النحو)، وهو ممن وصُفوا بأنهم العلماء المستقلون في هذه الأمة (ثلةٌ من الأوَّلين وقليلٌ من الآخرين)، ينظر : الإعتصام : ، مج١، ج١، ص٦، الأعلام : ١ / ٧٥.

(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٦١/١، عَدَّ التناسب واحداً من أهم علوم القرآن، وأفاض في الحديث عن وجوههِ.

(٣) ينظر : نظم الدّرر : ٧/١، تحدث كلّ تفسير عن جميع أوجه التناسب في ما أسماهُ بـ (ردِّ المقطع على المطلع، بالنسبة للسورة وجارتها، ونظيرتها، على أساس أن القرآن وحدة واحدة.

(٤) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٢ / ١٠٨، وله أيضاً : (معترك الأقران في إعجاز القرآن)، و(تناسق الدرر في تناسب السور).

(٥) لهُ كتاب : دلائل النظام، نبه فيه لأهمية علم المناسبة وجعلهُ علماً شريفاً، ينظر : دلائل النظام : ص٧٥.

(٦) علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن : ٤١.

(٧) ينظر : نظم الدرّر : ١ / ٦.

الدكتور محمد عبد الله درّاز (ت ١٩٥٨م) في كتابه (النبأ العظيم)، والشيخ محمد عبده (ت ١٣٢٣هـ)، الأستاذ محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) في كتابه (تفسير المنار)، الأستاذ محمد شلتوت (ت ١٩٦٣)، والأستاذ سيّد قطب (١٩٠٦ – ١٩٦٦م) في كتابه (التصوير الفني في القرآن)، وتفسيره (في ظلال القرآن)، والدكتور محمد أحمد يوسف القاسم في كتابه (الإعجاز في ترتيب آيات القرآن الكريم وسورِهِ)، وعبد الله محمد الغماري في كتابه (جواهر البيان في تناسب سور القرآن)، والأستاذ سعيد حوى في كتابه (الأساس في التفسير)، والأستاذ مصطفى صادق الرافعي (ت ١٣٥٦هـ) في كتابيه (تاريخ آداب العرب)، و(إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)، والدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) في كتابها (التفسير البياني للقرآن الكريم)، والدكتور عناية الله أسد سبحاني في كتابيه (إمعان النظر في نظام الآي والسور)، و(البرهان في نظام القرآن في الفاتحة والبقرة وآل عمران)، والدكتور محمود البستاني في كتابيه : (عمارة السورة القرآنية)، و(التفسير البنائي للقرآن الكريم) والدكتور محمد محمود حجازي في كتابه : (الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم)، وكثير من المؤلفات التي لا يمكن حصرها، التي أردنا بذكرها أن ننفي الإهمال المنسوب لهذا العلم من المفسرين قديماً وحديثاً ونؤكد أن الدقة في التعبير أمانةٌ علمية، أي أنَّ البراعة في هذا العلم نادرة؛ ولا سيما في الأعصر الأولى لعمقهِ ودقته؛ ولعدم تمهيد سبيله، فهو من العلوم التي تتقبل مداخل سياقية تنسجم مع ذائقة العصر، والتطور الحاصل في التوجّهات والإجراءات.

ثانياً : أوجهُ التناسب البديعي وأثرها في النظم القرآني :

مما سبق نؤكد أن الأساس الذي انطلقت منهُ حقيقة التناسب عند أئمة علماء التفسير والبلاغة يرتكز على قاعدةٍ متينةٍ مؤداها ((أن السورة القرآنية في بنائها اللغوي وتكوينها التعبيري، قائمة على الاتساق الكامل والاعتلاق الوثيق بين جميع عناصرها))[١]، وبذلك تتنوع وجوه التناسب البديعي في النظم القرآني تبعاً لتنوع الروابط العضوية والموضوعية ودلالاتها، سواءٌ كانت عامة أو خاصة، عقلية أو

(١) المنهج البياني في تفسير القرآن : ٨٠.

حسية أو خيالية أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني[١]، وتبعاً لذلك كان إجماعُ العلماء على ترتيب الآيات في السورة القرآنية توقيفي[٢]، يمنح كل سورةٍ احتواءً لمجموعةٍ من المعاني المتلاحقة ضمن شبكة من العلاقات الرامية إلى غايةٍ محددة تتناسبُ فيها الالفاظ والدلالات فتشكل نظاماً من البديع القرآني المُعجز.

إن البحث في التناسب القرآني وربطهِ بالمظاهر البديعية نابعٌ من أن التناسب واحدٌ من أبرز آليات بناء أي نصٍ لغوي على مستوى الوحدات المكونة له (معجمية، صوتية، دلالية) وهذه نفسها معايير البديع، وفقاً للمنهجية الأسلوبية التي تتبعها البحث في سعيها لإعطاء صورةٍ إجمالية عن القرآن الكريم فهو وحدة متناسقة متماسكة تشكل بلاغة أسلوبهِ ونظمهِ.

ثالثاً : (التوازي **Parallelism**) أو التوازن البديعي/دلالته النظمية والإيقاعية :

التوازي ظاهرة لغوية دلالية تُسهم بفاعلية في تشكيل متواليات إيقاعية وفق منظومةٍ بلاغية متناسقة، متناغمة، تُعدُّ جزءاً من المعنى، من خلال الكشف عن ((البنية المسؤولة عن توزيع العناصر اللغوية والفنية والدلالية داخل العمل الأدبي))[٣]، وهذا المفهوم يؤكد الدلالة المعجمية لمادة (وزي) التي تجمعُ معاني المقابلة والمواجهة والمماثلة[٤]، مما يؤكد وجود أطراف أو عناصر داخل النسق[٥] الواحد، تتفاعل فيما بينها أو تتكرر محدثة ترديداتٍ صوتية لها فاعليتها الدلالية في السياق العام، وتختلف بإختلاف البنيات التشكيلية والمقاطع النغمية، والمواقع الوظيفية الخاصة بها.

ولعلَّ في التراث البديعي من الثراء والخصوبة ما يفتحُ آفاق البحثِ والدراسة الجادة لإيجاد علاقاتٍ توازنية، تستنطقُ مظاهر البديع، وتُعيد تشكيلها من منظور

---

(١) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٣٥/١، الإتقان في علوم القرآن : ١٠٨/٢.

(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ١ / ٣٨/ الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم : ١٥٣.

(٣) البديع والتوازي : ٧.

(٤) ينظر : مادة (وزي) في : معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، والقاموس المحيط.

(٥) النسق : هو ((نظام ينطوي على استقلال ذاتي، يشكل كلاً موحداً، وتقترن كليته بآنية علاقاته التي لا قيمة للأجزاء خارجها))، عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو : ٢٩١.

الدراسات الحديثة، بالتركيز على دقائق العلاقات الترابطية بين تلك المظاهر، وبذلك يكون التوازي أحد أهم العلاقات الجامعة بين فنون البديع، يكشف عن وظيفتها من خلالِ توسيع نطاقها الترابطي التماثلي في النص بتمامهِ[١].

وقد أفادت هذه الدراسة من محاولات رومان جاكبسون R. Jakobson، وجيمس فوكس James J. fox[٢]، في الكشف عن العلاقات الرابطة بين مفهوم التوازي؛ بوصفهِ ملمحاً يخضع لمتطلبات السياق، كالوزن، والقافية، والسجع، والفاصلة، وبين البديع في مظاهره الفنية الخاضعة لمعطيات علمية منظمة، وموسيقى صوتية ذات محتويات دلالية قيمة؛ لأن ((العلاقة بين البديع والتوازي علاقة أخذ وعطاء، فكلاهما يتصل بالآخر، والمعبر لهذه الصلة، هو التنسيق الصوتي))[٣]، وبذلك يؤدي التوازن والتعادل نوعاً من الإنسجام الإيقاعي الصوتي، الدلالي داخل منظومة العمل الأدبي.

تُحقق ظاهرة التوازي/التوازن، نوعاً من التكرار للبنية على مستوى التركيب النحوي Syntax، الذي ينتج عنهُ حتماً توازناً صوتياً Phonological Recurrence، والمعول في هذا التوازن هو تكرار أوزان بعددٍ مُعين وثابتٍ يُشكل ما يُعرف بـ (النظام العروضي) Prosodi system، وقد أوجز ديبوجراند وديسلر القول في التوازي بوصفه مستواً أدائياً قائماً على ((إعادة البنية مع ملئها بعناصر جديدة))[٤]، ويمكننا بذلك تحديد وجه المفارقة بين التكرار والتوازي، فالتكرار يتطلبُ تماثلاً فقط، في حين تستلزم بنية التوازي التعادل والتماثل في آنٍ واحدٍ، وبهذا يصبح التوازي أعمُّ من التكرارِ[٥]، متخذاً من علاقاتِ التشابه والتغاير أساساً لتوزيع الثوابت والمتغيرات وقابلية التمييز بينهما.

---

(١) ينظر : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١٤١.

(٢) **Fox, James, J. ((Roman Jakobson and The comparative study of parallelism,)) p. 73, pp.59-81.**

(٣) البديع والتوازي : ٥٤.

(٤) **De Beaugrand and Dressler : Introduction to text linguistics, P 49.**

(٥) ينظر : البديع والتوازي : ١٨.

وفي ضوء ذلك يؤكد البحث عدم جدوى دراسة علم البديع بعيداً عن منظومة التوازي؛ لاعتبارات شكلية ترتكز على الترديدات الصوتية أو (التنغيم)(١)، واعتباراتٍ دلالية تتخذ من التطابقِ والتعادل والتماثل اللغوي أساساً للتمايز بين البنى التركيبية، حين تؤدي مظاهر الإيقاع الدلالي وظيفتها المعنوية عن طريق التوازي المبني على التضاد أو التقابل بين الألفاظ والجمل المركبة، ومن ثم فإن للتوازي إيقاعٌ خاص تظهره التشكيلات الأسلوبية مجتمعةً لتكسب التراكيب القرآنية وفق دالاتٍ لغوية أو نحوية أو بلاغية، إيقاعاً خاصاً يتمثلُ بالفواصل القرآنية، أو التجنيس أو ردّ الإعجاز على الصدور.

ولعلَّ أولُ المظاهر البديعية المتشكلة على وفق علاقات التناسب والتوازي هو مظهر (المطابقة).

المبحث الأول : المطابقة، (مولِّدٌ دلالي) :

أولاً : مدارات الطباق المعجمية والاصطلاحية :

قبل الحديث في الأثر الأسلوبي لفن الطباق، نقفُ أولاً عند بيانِ مفهومهِ اللغوي والاصطلاحي؛ ليكون سبيلاً للوصولِ إلى الفهم الدقيق عند إجراء عملية التحليل الأسلوبي والرصد لمظاهرهِ وأنواعهِ وبلاغته.

يعدُّ أسلوبُ الطباق رُكناً من أركان البناء اللغوي والبياني، الذي زخرت به النصوص العربية شعراً ونثراً، وليس مجرد شكلٍ من أشكال الزينةِ والحشو الذي يُرهق النص بما لا فائدة ولا جدوى منهُ، فالعرب لا تأتي بالمتضادات والمقابلات؛ إلاَّ إذا كان المخاطب بحاجةٍ إلى تأكيد دلالةٍ خلقاً للتوافق المعنوي.

الطباقُ مصدرٌ مشتقٌ من الأصل الثلاثي (طَبَقَ)، وهذا الأصلُ يُشير إلى معانٍ عديدة، تقتربُ من بعضها دلالياً، فمن معانيه اللغوية : وضعُ طبقٍ على طبقٍ، كوضعِ غطاءِ القِدْرِ منكفئاً على فم القدر حتى يُغطيهِ بإحكامٍ، ومنهُ إطباقُ بطْنِ

---

(١) التنغيم أو موسيقى الكلام، وهي ظاهرة لها دورها الفاعل في اللغة العربية، من خلال التفريق بين المعاني المختلفة للجملة الواحدة، وتعد من أهم القرائن التي تميز الكلام في طرائق استعماله، ينظر : دور التنغيم في تحديد معنى الجملة العربية (بحث)، د. سامي عوض، عادل علي نعامة، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، مج: ٢٨، ع ١، سنة ٢٠٠٦م، ص ٩٠.

الكفِّ على بَطنِ الكفِّ الآخر، تقول : طابقتُ الشيءَ على الشيء مُطابقةً وطباقاً، أي : أطبقَهُ عليه[1]، ومن معانيه أيضاً : طابق البعير، أي : وَضَعَ رجلهُ موضِعَ يده؛ لذا قال الأصمعي (ت ٣١٣هـ) : ((المطابقةُ أصلها وضعُ الرِّجل موضعَ اليدِ في مشي ذواتِ الأربع))[2]، ومن معاني الطباق : ((جعل الشيء فوق الآخرِ بقدرِهِ، وفيما يوافق غيره كسائر الأشياء الموضوعة لمعنيين، ثم يُستعمل في أحدهما دون الآخر، كالكأس والرّاوية ونحوهما))[3]. جاء في النظم القرآني قوله تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك:٣]، أي : بعضها فوق بعضٍ.

وقوله تعالى : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق:١٩]، أي : مشقةً بعدَ مشقةً، إشارةً إلى أحوال الإنسان في الدنيا[4]، ومن مجمل المعاني اللغوية المتقدمة، يتبينُ أن مدار الطباق في محورين رئيسين هما :

المحور الأول : التطابق.

المحور الثاني : التضاد.

أما المعنى الاصطلاحي للطباق، فقد كان متفاوتاً في التسمية عند أصحاب المصنفات البلاغية ما بينَ تطابقٍ، وتطبيقٍ، ومطابقةٍ، ومجاورةِ أضدادٍ، وتكافؤ، وتناسب بين المعاني[5]، وقد أجمعَ عددٌ غير قليل من البلاغيين على مصطلح (الطباق)[6]، والطباقُ في اصطلاح البلاغيين هو الجمعُ في العبارة الواحدةِ بين معنيين متقابلين بالضدِّ أو غيرهِ، ظاهراً كان الجمعُ أو خفياً، وبالإيجاب في الطرفين

---

(١) ينظر : أساس البلاغة : مادة (طَبَقَ)، لسان العرب : مادة (طَبَقَ).

(٢) العمدة : ٢ / ٦.

(٣) المفردات في غريب القرآن : ٣٠٤.

(٤) المفردات في غريب القرآن : ٣٠٤.

(٥) يسميه ثعلب (ت ٢٩١هـ)، (مجاورة الأضداد)، فهو عنده ذكر الشيء مع ما يعدم ووجوده، أما المطابق عنده فهو تكرير اللفظ بمعنيين مختلفين، ينظر : قواعد الشعر : ٥٨، أما ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) فينكر هذا الرأي، وينقل عن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، مفهوم الطباق تأسيساً على فكرة التضاد ويسميه (المطابقة)، ينظر : البديع : ٣٦، في حين شذَّ قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) عن تعريف البلاغيين للطباق عند إطلاقه مصطلح (التكافؤ) بدلاً من المطابق؛ لكون الثاني عنده ((ما اشترك في لفظةٍ واحدةٍ بعينها)) نقد الشعر : ١٦٢.

(٦) ينظر : كتاب الصناعيين : ٢٧٦، وإعجاز القرآن (للباقلاني) : ٨٠، والعمدة : ٢ / ٥، وسرُّ الفصاحة : ٢٠٠، والمثل السائر : ١٤٣/٣، وبديع القرآن : ٣١، وتحرير التحبير : ١١١/١، والطراز : ٣ / ٣٥٦.

أو في أحدهما، على سبيل الحقيقةِ، أو على سبيل المجازِ، ولو إيهاماً، ولا يُشترط في اللفظين الدالين على الطباق أن يكونا من نوعٍ واحدٍ، (اسمان أو فعلانِ أو حرفان)، فالشرط التقابل في المعنيين فقط، وللتقابل المعنوي وجوهٌ منها :

١- تقابلُ التناقض[١].

٢- تقابلُ التضاد.

٣- تقابل التضايف[٢].

ويبدو أن الطباق من أوضح مصطلحات التقابل، إذ يرتكز على الجمع بين المتضادات والمعاني المتقابلة في الكلام، وعلى الرغم مِن اختلافِ وجهات النظر بين البلاغيين حول إثبات المناسبة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي لفن الطباق ونفيها، فإننا نُرجحُ ارتباط المعنيين بطريقةٍ جديدة من التناسب والتلاؤم، فكأنما هذا التناسب الظاهر في دلالة المطابقة لغوياً يؤكد أهمية الأضداد في توليد الأثر الفني.

وأهمّ ما يلفت النظر في المطابقة، توليدُ المعاني في التراكيب وبيان مدى الاتصال بينها، فالضدُّ أو المقابل يجلبُ إلى الذهن ضدَّهُ أو مقابله مباشرةً؛ لأنهما متضايفان يستند بعضهما إلى بعض؛ ولتحقيق عملية الاستناد التقابلي في الدلالة لابُدَّ من استحضار المعاني الغائبة في الكلام، وتمكينها من الذهن بذكرِ ما يُضادهما تناسباً مع الموجودات المتناقضة سلباً أو إيجاباً.

ثانياً : دالات المطابقة وتناسبها مع الدلالة :

لكُلّ مظهر من المظاهر البلاغية تقنية دلالية خاصة تتناسب مع الآليات التي يعمل بها، لإفراز دلالات تقود إلى فهم الجوانب الجمالية وتمكينها من النفسِ من خلال الكشف عن الإجراءات الأسلوبية وعلاقاتها السياقية داخل نصٍ ما، وحتى نستطيع أن نُدرك دالات المطابقة واتحادها مع دلالاتها؛ لابدّ من رصدِ أهم صورها، وبيان تطبيقاتها على النصوص القرآنية – موضوع الدراسة – والقيام بعملية مسح

---

(١) النقيضان : ((هما اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان، أما الضدان : فهما اللذان لا يجتمعان؛ لكن يمكن أن يرتفعا، كالأبيض والأسود، وارتفاعهما يكون بوجود لون اخر، كالأحمر والأصفر)). البلاغة العربية (الميداني) : ٣٧٧/٢.

(٢) التضايف : ((هو أن لا يدرك كلّ من الأمرين إلاّ بالقياس إلى الآخر. كالأبوة والبنوة))، الكُلِّيات : ٣١١.

دقيق لواقع استعمال الطباق في هذه النصوص، وتتعدد صور الطباق باعتباراتٍ مختلفة :

أولاً : الطباق باعتبار طرفيه قسمين :

أ- الطباق الحقيقي : وهو ما كان طرفاه بألفاظ الحقيقة، إما من نوع واحدٍ من أنواع الكلمة : (إسمان، فعلان، حرفان)، وإما من نوعين مختلفين (اسمٌ وفعل) ودالات الطباق الحقيقي أربعة هي :

١- أن يكون الطباق بين اسمين :

قال تعالى : ﴿ ❏◆✎◆✍ ❽✍❏◆✌⬄❍❏④

✂✍❀☜⇖⇧☺⌧❻▤ ❏◆✂✍✑⌂⌨◆⏲❷❸⬅ ✍✍⛐✍

❏◆•• ✂✍✑➔⚇❐➔☺⌧⏲☼❸➔ ❏◆••

✂✍✑☪❻❏❻⬇ ✍✍✈✖ ❏◆•• ✂✍✑➔✍✍❻ ❏◆••

✂✍✑⌨⚓◆❏❷⇖❏❻⬇ ✍✍✈✖ ❏◆✎◆✍ ❽✍❏◆✌⬄❍❏④

✂✍❀☜❍⇧⓿◆✍✎⬀⬇ ❏◆•• ✂✍❀☜✎⚓❏◆⏲✞⓿ ▤

❏♌❀⓿ ✂✍✎⬀ ④⬅❍⬄☺❀⬈⬅ ♊◆✎ ④❏⊕◆✍✎⬀⬇ ☎

❏◆✎◆✍✎ ⚇❏☼❸⚈ ✍❀☺⬅❍⬄☺❀⬈✇ ✎❏♊ ✖❀❼

✂✍✑☚❀◐➔⌨⬅❏❻ ✍✍✖✖✍ ﴾ [فاطر: ١٩ – ٢٢].

تسهم التشكيلات التجميعية المتضادة والمتلاحقة في تعضيد الدلالة التي ينتجها الطباق الظاهر بالإيجاب، فقد جمعت الآيات القرآنية الواردة في سورة فاطر، الأنساق البنائية للألفاظ (الأعمى والبصير)، (الظلمات والنور)، (الظلّ والحرور)، (الأحياء والأموات)، وكل نسقٍ تعبيري يقفُ في مواجهةِ النقيضِ على سبيل المعارضةِ والتناقض؛ لتبين عناصر دلالية ذات بُعدٍ جماليّ قادر على إيصال المعنى والكشفِ عن إيحاءاتهِ بالتضاد الإيجابي، وهو أمرٌ لفظيٌ ظاهرٌ بتقابل الطرفين على وجه الضدية الحقيقية؛ ((فالدلالة المضادة يستدعيها الذهن وفق مفهوم اللاشعور تارةً، أو أن اللفظ المقلوب قد يردُّ في موضعٍ ما من النص القرآني؛ ما يستدعي ذكر اللفظ المضادِ المقلوب لهُ في الموضعِ الآخرِ تارةً أُخرى))(١)، وهذا يعني أن للطباق أثراً أسلوبياً على النص الواردِ فيه، بإخراجهِ من رتابة التشابه والتكرار إلى دلالات أعمقِ بتوسيع مساحة العنصر الجمالي الكامن في المتضادات؛

---

(١) التقابل الجمالي في النص القرآني : ١٥٨.

فالألفاظ (أعمى وبصير) تحمل دلالة إيحائية يتنَبهُ لها الذهن باستحضار العناصر المكافئة لها؛ لإثبات الدلالة المطلوبة وهي (الكافرُ والمؤمن)، في حين تدّل الفاظ (الظل والحرور) على معنى الجنةِ والنارِ، وكذا الفاظ (الأحياء والأموات) الدالّة على المؤمنين والكافرين، وهذا مثلٌ ضربه الله تعالى للمؤمنين وهم الأحياء، وللكافرين وهم الأموات، وقد وردت هذه الحقائق في سياق (المطابقة) التي أظهرها الزمخشري(١) واضحة تجلي المكامن الخفية وتهيئ الأذهان للمقارنة؛ وصولاً للدلالة المقصودة.

إن إدراك الطباق هنا واضحٌ لا خفاء فيه، فلا يحتاجُ إلى تأملٍ وطولِ وقوفٍ عنده، فالتقابل بين تينك الوحدات تمَّ إجراءهُ في قياس هندسي لزوجٍ من المفردات، أحدثت أثراً دلالياً قائماً على التنسيق البنائي الذي يُنتجُ نوعاً من التوازن الصوتي الواضح في دقةِ التقسيم، والاختيار المؤتلفِ مع المعنى، متوخياً التأثير المطلوب في النفس الذي يقتضي الموالاة أو التعاقب بين طرفي الطباق؛ لإبرازه وتجسيده.

تأمل إجراءات الطباق في التعابير القرآنية الآتية :

أ- قوله تعالى : ﴿ ... ﴾ [الكهف:١٨].

ب- قوله تعالى : ﴿ ... ﴾ [الحديد:٣].

ج- وقوله تعالى: ﴿ ... ﴾ [الفرقان:٧٠].

د- وقوله تعالى : ﴿ ... ﴾

(١) ينظر : الكشّاف : ٣ / ٦٣٠.

[illegible] [القصص:٧٣].

تُظهر أساليب المطابقة والتضاد في التعابير القرآنية نوعاً من العلاقات المتبادلة بين الدلالات اللغوية، حيث يَقفُ كل دال/مدلول منسجماً مترابطاً بين وحداتهِ في مواجهةِ الآخرِ، بمقتضى ما يحكم تلك الوحدات من تناقضٍ وتعارضٍ، فالتناقضُ يُحيلها على ضديات متقابلة في حين يحيل التعارض فيها على أنساق متكافئة متناسبة، وهذا يعلل نظرة البلاغيين القدماء إلى الطباق على أنه تكافؤٌ أو تناسبٌ بين المعاني بطريقة ما[1].

هـ- ولا يمكننا في هذا المقام أن نغفل أسلوب الطباق الظاهر على وفق مفهوم الحقيقةِ بمعيار الدلالة الواضحة في قوله تعالى : [illegible] [النور:٤١].

و- وقوله تعالى : [illegible] [الإسراء:٨٨].

لقد برز أثرُ الطباقِ في هذه الآيات، متجاوزاً النظرة التجزيئية التي تقصرهُ على التزويق الشكلي، فيتضحُ الأثر المعنوي من خلال ارتباط الدالِ بالمدلولِ محدثاً

---

(١) أدرج قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) مفهوم الطباق تحت باب التكافؤ، ينظر : نقد الشعر : ٣١٥، أما ابن الأثير (أبو الفتح نصرُ الله بن أبي الكرم)، الملقب بضياء الدين (ت ٥٥٨هـ – ٦٣٧م)، فقد نحا بأسلوب الطباق منحى ابن سنان الخفاجي حين أورده تحت مسمّى (تناسب الألفاظ عن طريق المعنى)، ينظر : المثل السائر : ٣ / ١٤٣، وسرّ الفصاحة : ١٦٩، وأرجع العلوي (يحيى بن حمزة بن علي العلوي اليمني)، (ت ٧٤٩هـ) مفهوم الطباق إلى التكافؤ وحاصلهُ الإتيان بالنقيضين والضدين، ينظر : الطراز : ٣ / ٣٥٦.

فاعليةً في النصِ بحركةٍ ذهنيةٍ يمكنُ وصفها بأنها : ((تحطيمٌ مقصودٌ لكيانات الإدراك الحسي المعتاد، وتصديعٌ لمقولات الفهم المنطقي، وتنميةٌ بواسطة الخيال لحركة تتجاوز بنيتها قانون الاتجاه الواحد))[1]، فتعالقُ لفظ (السموات) بـ(الأرضِ) و(الانس) بـ(الجن)، لا ينحصرُ في الجمع بين متضادين اثنين، بقدرِ ما هو عدول عن المعنى المذكور إلى المتضمن بآلية التناقض والتضاد وتطبيقات هذا النوع من الطباق لا حصر لها في التعبير القرآني[2].

٢- أن يكون الطباق بين فعلين :

كما في قولهِ تعالى : [illegible]

[آل عمران:٢٦].

لعبت البنية التركيبية للأفعال المضارعة (تؤتي، تنزع، تُعز، تُذل) دورها الأسلوبي في تعزيز الدلالةِ، والكشف عن أنماط التناسب المنطقية في ثنائيات متطابقة، أثبتت بما لا يقبل الشك تمجيد الله –تعالى– والثناء عليهِ بسلطانهِ المُطلق، وملكهِ التام للكون وما فيهِ، وقدرتهِ على التصرفِ في الموجودات والأقدارِ كما يشاء، فهو جلَّ شأنهُ القادر على الشيء وضده معاً، دون مُنازعٍ له؛ لذا جاءت خاتمة الآية تقريرٌ بقدرتهِ –تعالى– على كل شيء، [illegible]، وقد أفرز أسلوبُ الطباقِ بين الأفعال المتضادةِ الهيمنة المطلقة على النصِ وذلك بالكشفِ عن العلاقات المتبادلة بين التراكيب وبين مدلولاتها ((بذكر الأضداد التي هي أقدرُ على تمييز الأشياء

(١) البديع وفنونه : ٢٠٧.

(٢) ينظر على سبيل المثال لا الحصر : سورة البقرة : ١٧٩، وسورة الحج : ٦١، وسوة غافر : ٤١، وسورة الفتح : ٢٩، وسورة هود : ٤٤، وسورة الإسراء : ٢٩ و٢٥٧، وسورة آل عمران : ٢٧، وسورة الرعد : ١٢.

وتجليتها))[١]، وهذا يُحيلنا على ضرورة الالتفات إلى العامل النفسي؛ لأن المتلقي يُفاجأ بالضدِّ من المعنى، بعد إذعانهِ وتسليمهِ للمعنى الأول.

ومثيلُ ذلك قوله تعالى : ﴿❒◆🕮❒·⬁❸❿❒✁☎
☎✁❒⬉❷⍓♑⇳♉✍✁ ☒❒❒🕮 ⬀☠⬈▤⬧♐⬀❒⬧♎
♎☠✁☒⓿♐✉ ⌨⚐❿♐⬛◆⬊ ⏀⬅❍✸✡♐◗ ☎ ▦⏀♎❍♐✉
✁✍♐⬧⏀❺❾⬅❒❻☒﴾ [الملك:١٣].

أظهر أسلوبُ الطباقِ في أفعال الأمر (أسروا واجهروا) عِلم الله –تعالى– بالخفاءِ والعَلنِ من الأمرِ، وجيء بصيغةِ الفعل (أسرّوا) مُقدمةً على دلالةِ الجهرِ المتمثلة بصيغة فعل الأمرِ (اجهروا)؛ لأن العلم به أدلُ على كمالِ علمهِ تعالى وإحاطتهِ بكافةِ المعلومات[٢]، زيادةً على ما يُضفيهِ ملمحُ الطباقِ من ترابطٍ منطقي يفترضهُ التركيب، فالسرُّ ضد الجهر مُطابقة أساسية، يمكننا توليد بنية مُغايرة لهذه المُطابقة نُطلق عليها (المطابقة المولدة) والتي تتسم بإنحرافها عن قواعدها، لقصدِ غايات أسلوبية لها أثرها الفاعل في الدلالة، فمكمنُ السرِّ هو الصدور؛ بل (ذاتُ الصدور) أي الضمائر قبل أن تترجم الألسنة عنها، فالمطابقة بين الدلالتين ينتجُ عنها حقيقة منطقية تقابل ذلك : وهي العلمُ بالجهر لتعلقهِ بظواهر الألسنة.

تأمل قوله تعالى في سورة النجم : ﴿❒◆🕮❒✡✸❍⬅⏀ ♎➔❒◆
🕮❒⮫⇳⬧⍓⌨⍓ ❒◆🕮❒✉⬀▥⬧❼▤ ⬀▩☒⬁
❒◆🕮❒✡✸❍⬅⏀ ♎➔❒◆ 🕮❒✎⬧✍☠✽ ❒◆🕮❒❍⇳❿◆✍﴾
[النجم: ٤٣ – ٤٤].

أجرى التعبير القرآني مُطابقة حقيقية ظاهرة بين صيغ الأفعال الماضية (أضحك، أبكى، أمات، وأحيا)، انبثقت منها دلالةٌ إيحائية على كمال قدرةِ الله تعالى بإيجاد الأضداد واجتماعها في موضع واحدٍ، مؤكدة بإسنادها إلى الله تعالى، وفقاً لآليات التوكيد المباشرة بـ (أن + ضمير الفصل هو)، وهذا التركيب أفادَ قصرَ إسنادها إلى الله تعالى جلت قدرته، ومن الملامح الأسلوبية التي أفرزتها المطابقة،

---

(١) دراسات منهجية في علم البديع : ٣٦.

(٢) ينظر : الكشّاف : ٤ / ٤٣٥.

حذفُ مفعولات صيغ الأفعال المتضادة؛ لقصدِ الوصولِ إلى الأفعال بذاتها، لا إلى مَن تقع عليه، زيادةً على ما في أسلوب التقديم الواردِ في الآيةِ من إجراءٍ دلالي أثرى السياق القرآني تناسباً، ورعايةً للفاصلة التي جاءت عليها سورة النجم[1]، والقرآن الكريم يزخرُ بالشواهد والتطبيقات على هذا النوع من الطباق، التي لا يسع البحث تطبيقها بالتحليل[2].

٣- أن يكون الطباقُ بين حرفين :

يرتكز هذا النوع من الطباق على معرفة دلالات الحروف حيث لا يظهر للحروف معنى إلاَّ مع غيرها، وهي متعددة المعاني، ولا يُحدد معناها إلاَّ السياق والاستعمال، وهذا يعني صراحةً تعيين العلاقة بين اللفظ ومعناه؛ ((لأنه قد يُطلق اللفظ ولا يعني به مدلوله المطابق له))[3]، فالصيغة المعجمية تكتسب دلالات إضافيةً ناتجة عن الدخول المتجاور والمتناسب مع الوحدات اللفظية وفق معايير منطقية ونحوية.

ومن أبرز التطبيقات القرآنية على هذا النوع من المطابقة قوله تعالى :

[illegible] [الإسراء:١].

في ضوء الالتفات إلى الدلالة المعجمية التي أحدثها أسلوب الطباق بين الحرفين (من) التي تُفيد دلالة الابتداء، وبين الحرف (إلى) الذي يؤدي دلالة انتهاء

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٧ / ١٤٣-١٤٤.

(٢) ينظر على سبيل المثال : سورة هود : ٥، وسورة إبراهيم : ٣٨، وسورة النحل : ٦ و٢٣، وسورة الإسراء : ٣٠، وسورة مريم : ٣٣، وسورة طه : ٣٩ و٥٥ و٧٩ و١١٨ — ١١٩، وسورة الشعراء : ١١٩ — ١٢٠، وسورة القصص : ٦٩، وسورة العنكبوت : ٦٢، وسورة الروم : ١٧، وسورة لقمان : ٢٠.

(٣) علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي : ١٤٣.

الغاية، نكشف عن ثراء الصورة الطباقية التي تتخذ من الحرف وسيلةً للتعبير عن المتضادات مما يعني رفع احتمالية المعنى[١]، فقد عبر الزمخشري عن دلالةِ (من) بمعنى ((أنه أسرى به بعضُ الليل من مكةَ إلى الشامِ مسيرةَ أربعينَ ليلةً))[٢] بدلالة تنكير لفظ (الليل) الدال على معنى البعضية، والحقيقة التي تؤكدها كتب اللغة أن (من) التزمت دلالة الابتداء، مما يُطابق دلالة الانتهاء في حرفِ الجر المُضادِ لها (إلى)، ومثيل هذا التعبير قوله تعالى : [illegible] [البقرة: ٢٨٦].

أكسب حرفا الجر (لها) و(عليها)، التعبير القرآني وجهاً من التضاد والتقابل للدلالة على أن (لها) ((يعني من الحسنات))[٣] في الثواب على ما قدمه الإنسان من أعمالٍ صالحة، و(عليها) ((يعني من السيئات))[٤] في العقابِ بما ارتكبه الإنسان من ذنوب، زيادةً على أثر هذه الحروف في توسيع المعنى المراد، لما في (اللام) من دلالة المنفعة، وما في (على) من دلالة المضرّة، أي : لا ينتفعُ بطاعتها، ولا يتضرر

---

(١) أكد الدكتور فاضل صالح السامرائي أن رفع الاحتمال عن المعنى يأتي في العربية نتيجة وجود تعبيرات تحتمل أكثر من معنى؛ وفقاً لطرائق وأدوات تُزيل هذا الاحتمال و(الذِكْرُ) في هذه الآية هو السبيل لرفع احتمال المعنى (وهو ذكر حرف الجر الباء). ينظر : الجملة العربية والمعنى : ٢٣١ – ٢٣٤.

(٢) الكشاف : ١/٣.

(٣) بدائع الفوائد : ٥٠٥/٢.

(٤) المكان نفسه.

بمعصيتها أحدٌ سواها[١]، وقد أضفت حروف الزيادة في صيغة الفعل (أكتسب) دلالةً إضافية بزيادة حرفي الهمزة والتاء على الفعل الأصلي الثلاثي (كَسَبَ)؛ لذا أدت تلك الحروف المزيدة تأثيرها الأسلوبي في الدلالة السياقية المتضمنة جُهداً ومشقةً في فعل المعصية الذي يكلفُ صاحبه أعباء جسمية ومادية؛ ((فالإكتساب يستدعي التعمُّل والمحاولة والمعاناة، أما الكسب؛ فيحصل بأدنى ملابسة))[٢] لأن الأصل في كل حرفٍ الدلالة على ما وضع لهُ، ولا يدل على معنى حرفٍ آخر[٣]، فجيء بصيغة الفعل (اكتسب) استيفاءً للمعنى، وتقويةً للدلالة[٤].

مما سبق يمكننا التأكيد على أن مظاهر الطباقِ ودلالاتهِ ليست أمراً نافلاً أو زينةً عرضية يؤتى بها لغايةٍ تحسنيةٍ شكلية؛ بل هي إجراءاتٌ أسلوبية تقوم على أساسِ الاختلافِ والمغايرةِ والعدولِ، مؤسسةً لمنهج فني بلاغي، لغوي يحملُ من الإيحاءاتِ والأبعاد الفكرية والنفسية؛ لأن بنيتهُ ((تتحدد بتوالي العناصر المرسومة في مقابل غير المرسومة في مجموعات ثنائية تمثل السياق والإجراء المضاد له، الذي لا ينفصل عنه، إذ لا يمكن أن يقوم أحدهما مستقلاً عن الآخرِ، فكل واقعة أسلوبية تشمل بالضرورة سياقاً وتضاداً))[٥]، مما يجعلنا نُدرك بأن قيمة التطابق الأسلوبية تكمن في العلاقات المعبرة عن وجهة نظرٍ فكرية أو نفسية في الظاهر والباطن لقيامها على مبدأ التناسب البنائي وتوخي التأثير المطلوب.

٤- الطباق بين طرفين مختلفين في النوع (اسم + فعل) أو العكس.

يقوم هذا النوع من المطابقة الحقيقية الظاهرة على إيراد صيغتين من نوعٍ مختلفٍ خلافاً لما سبق ذكرهُ، ويحكم العلاقات الجامعة للألفاظ والصيغ المتضادة،

---

(١) ينظر : البحر المحيط : ٣٨١/٢.

(٢) بدائع الفوائد : ٥٠٥/٢.

(٣) ينظر : الكتاب : ٧٤/٤.

(٤) ينظر على سبيل المثال قوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤].

(٥) علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته : ١٩٥.

فإن علاقة (التصاحب المعجمي)[1] Collocation، هي الأظهرُ في التعبير القرآني؛ لأن في القرآن معانيَ لا تكاد تفترق، مثل : الصلاة والزكاة، الخوف والجوع، الجنة والنار، الرغبة والرهبة، المهاجرون والأنصار، الجن والإنس، السمع والبصر، الموت والحياة، وما إلى ذلك.

تأمّل قوله تعالى : ﴿ ❻◆☸♌☞ 🕮❐❻☋✡♋❻ 🗎•⓿⬂✁⊠ ✍➔•⇔❻⇲ ✁☞♒⬂☺⊠❐⬀✌♦❼▤ ☎ ﴾[البقرة: ٢٦٠].

وقوله تعالى : ﴿ 🕮❐❐◆✌♦♊ ☞☒♌♌♦ ✌♦⓾⬂✌ॐ☞ ❏•♁❐⇳⓾◆◆❹⬃✡❐◷❍⇦ ﴾[الأنعام: ١٢٢].

صرحت الآيتان بإظهار الضدّية الدلالية بين الإسم والفعل في (ميتاً) و(أحييناهُ) وبين الفعل والاسم في (تُحيي) و(الموتى)، على وجه الاستعمال المجازي، إذ عَدَل عن المعنى الحقيقي المتمثل بـ (الضلالة والهدى) إلى معناهما المجازي (الموت والحياة)، وكلا المعنيين يحملُ دلالة إيحائية للتضاد المتقابل، فالموت ضد الحياة، والضلالة ضد الهدى، وينتجُ عن هذا التطابق ترابطاً منطقياً ليس في اللفظِ وحسب؛ بل في التراكيب، فقد جمعت الآيتين ثنائية الوجود المُطلق المتشكلة في مُطابقة لفظية بسيطة في ظاهرها لمن يتأملها للوهلةِ الأولى؛ لكنها شُحنت بدلالاتٍ متعددة ناتجة من المطابقة الأساسية، فالموتُ عادةً شُحنةً سلبية، في حين أن الحياة حاملة للشحنة الإيجابية في هذه المعادلة؛ لذا فالمسافة الحسية أو الوهمية بين المعاني تكون آثارها الدلالية مكنونةً مُضمرة فيها، تقصرُ إذا ما علمنا أن تذوق المعاني والأغراض في النصوص لا يتحقق إلاَّ عن طريق التأمل في البناء اللغوي الخاص بتلك النصوص وقراءة معنى المعنى فيها.

ومن مطلقِ هذا الوعي نثبتُ أن لهذا النوع الطباقي بنىً متغايرة في انحرافها الواضح، فهو ليس مجرّد تباين بين الشيء ونقيضه، أو أنه مجرد شكل بلاغي يتمحل الاعداد الإحصائية التي تُضفي بعض الاتجاهات الفنية[2]؛ بل أن فكرة

(١) ينظر : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١١٠.

(٢) ينظر : التقابل الجمالي في النص القرآني : ١٦٣.

المطابقة تُدعم بأثرها الأسلوب البيّن في الدلالة التي تجمع الانساق كلها، وتشرح العلاقات القائمة بينها باستدعاءِ مدلولاتها من ألفاظها؛ ((لأن دلالة اللفظ على كل اجزائهِ هي دلالة مطابقة))[1]، وهذا يجعلنا في تصور دائم للأبعاد الشمولية لكافة الانساق الدلالية وكيفية تحقيقها في واقع اللغة.

تأمّل قوله تعالى : ﴿🕮❑❑◆♑•⚐⇔ ③♦❷♦❑✍✃☎
⇳💣☼←♑•🔔⬀❑•▭ ✃🙟🙞♑➲⅄❷⬀❸♐ ♐♐🖫■❼
🙟♦✌ 🗐 ⌘♊⇳🙜♐⌨⬂◑♦③◆❑ ▬💣☼🕔⊙▦✵🕔✿🕒
🗐 ←♊🕔❑✍✍❑▪❷♑🙟✃ •♦♐◑ ●♊←♑⬈▤⬁❍⇳☺⬉③
﴾➘❸❷⬁🕔♦🗞 ◎⬈⇔🙜☒★ ✍♏✍⬈▤♐🗞 ◑←❍✵✡♐◑
[الملك: ١٩].

وَلَّدَ الطباق الإيجابي الحقيقي بين اسم الفاعل (صافّاتٍ) وهو الأصل السياقي في هذه الآيةِ، وبين صيغة الفعل (يقبضن) الدالة على الحدوث والتجدد، دلالةً جديدةً بالعدول عن ما هو متوقع لدى المتلقي، أي : أن مقتضى السياق بموجب المطابقة بين التعبيرين يكون (صافاتٍ وقابضاتٍ)، فَعَدل عن الاسم إلى الفعلِ؛ لعدم إيفاء الاسم بالدلالة المقصودة لو استمر السياق على نسقهِ العام دون مخالفة التعبير، فجاء قوله تعالى : ﴿🕒✿🕔✵▦⊙🕔☼💣▬
❑◆③♦◑⬂⌨♐🙜⇳♊⌘﴾[2].

وقد أكَدَ الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) على دقة التعبير القرآني في هذه الآية وبراعة التوظيف الدلالي للاسم والفعل، ((فإن قلت : لِمَ قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات ؟ قلت : لأن الأصل في الطيران هو صفُ الأجنحة، وأما القبضُ فطارئٌ على البسطِ للاستظهار به على التحرك، فجيء بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعل))[3]، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿🕮❑♑•⚐⇔ ✍•❷♦ 🕮❑♌❑
✃🙟✎⅄ ④←❍✿⌨❍♐☒← ♑•❍←◑ ✌♦♊ ×♐❼

(١) علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي : ١٤٤.

(٢) ينظر : الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي : ١١٨.

(٣) الكشّاف : ٤ / ٤٣٧.

﴿[illegible]﴾ [النور: ٤١].

ومن أمثلة المطابقة بين الاسم والفعل قوله تعالى في سورة المؤمنون :

﴿[illegible]﴾ [المؤمنون: ١٥ – ١٦].

يقوم التعبير القرآني في الآيتين على بنية نسقية منتظمة تُضمّ ثنائية (الموت والبعث) المتعارضة؛ فالطباق الحقيقي الإيجابي يُلمح في بديع التناسب والتنسيق المنسجم مع الدلالة السياقية بين الاسم المؤكد بـ (إنَّ + لام التوكيد) في (لميتون) الدّال على صفة الثبوت، غير مُقيد بزمنٍ من الأزمنة، فهو أشملُ وأعمُّ وأثبت[١]، وبين صيغة الفعل المضارع المُقيدة بزمن التجدد والحدوثِ في (تبعثون) والمؤكد بـ (إنَّ) فقط؛ لأن الإنسان في الدنيا يسعى غاية السعي كأنه مُخلّد، فجاءت جملة البعث إبرازاً لصورة المقطوع به الذي لا يمكنُ فيه نزاع ولا يقبل إنكاراً[٢]، وبما أن صفة الموت تحمل دلالة السكون والجمود جاءت صيغة الثبوت مُعبرة عنها في حين أن البعث حركة وحياة يلائمها الحدوث والتجدد في الصيغة التعبيرية، ((وهكذا تتكشف للناظر في القرآن آفاقٌ وراء آفاق، من التناسق والاتساق : فمن نظمٍ فصيح إلى سردٍ عذبٍ إلى معنى مترابط إلى نسقٍ متسلسل))[٣].

وتثبت تلك المفاهيم الإجرائية لآلية التطابق الدلالي القيمة العظمى لهذا الفن، وأثرِه في النص القرآني بما يحدثهُ من تلاؤم وتكافؤ وتناسب، فكان مدار اهتمام كثير من البلاغيين واللغويين القدماء والمحدثين، حتى أن بعضهم عّده ظاهرة أسلوبية ومعولاً عليه في دراسة النظم عند عبد القاهر الجرجاني؛ لوصفه بأنه ((نظيرٌ للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما أشبه ذلك، مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، حتى يكون لوضع كل حيثٍ وُضِع، عِلَّةٌ تقتضي وضعه

(١) ينظر : معاني الأبنية في العربية : ٩.

(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٣ / ٨٨.

(٣) التصوير الفني في القرآن : ١٤٢.

هناك، وحتى وضع في مكانٍ غيره لم يصلُح))[1]؛ فهو بذلك معيار من المعايير الدلالية والتركيبية المهمة التي تستندُ عليها فكرة الإعجاز والبلاغة القرآنية.

ب- الطباق المجازي / العدول عن الدلالات المتضادة بذكرِ لوازمها

أفرز مفهوم التضاد والتناقض بين التراكيب اللغوية المتعارضة لفظاً ومعنى على جهةِ التغاير والتحول والعدولِ، نوعاً آخر من المطابقةِ أطلق عليه البلاغيون مصطلح (الطباق الخفي) أو الطباق المجازي، وهو خلاف الطباق الظاهر الحقيقي، الذي لا يُدرك طرفاهُ إلاَّ بعد تأمل دقيقٍ وإعمالِ فكر متأنٍ، فيكون أحد الطرفين أو كلاهما غير حقيقين مستعملين مجازاً، كالسببية واللزوم؛ لذا فقد ألحقه بعضُ البلاغيين بالطباق، وعرفوه بأنه الجمع بين أمرٍ وما يتعلق بمقابلهِ، من ذلك قوله تعالى : ﴿☎✂❑↗♑☜✍⧫🔔 ✍✍⧫✌ ⇔🏱←☞✡❑🕮 ⧫◆♐❍♍ ⧫✌⧫❽✡❑🕮 ✍✍⧫✌⧫❑ ✍❑✡➔⬛⬀✞♈♓✌ ⮜❸✽⌑❑🗀 ⬀♌♐❍ ♋↗⇔♉⊠★ ♊♈✌ ←♊🕔❑✍⬀❑▪❷♑☜✍✂ ⭍⭍♐⭍ ⧫♌❑←✉✍❶⬂▤⊠✍ ⧫◆♐❍ ⇔🏱←☞✡❑🕮 ✍✍✵✡♐❍ ⓿🏱■⬛⬀➔⧫❸ ✍◆☪☙✉◆❻ ☎✂❑↗♑☜✍⧫🔔 ⇔🏱↗▤⬀⓿◆♑☜♐❍ ⧫♌❑➔⬛⌂♒⬀❷←☺◆♑﴾ [يس: ١٥ – ١٦].

في سياق هذه الآيات جاءت المغايرة في المطابقة والتضادِ على جهة الحقيقة دون المجاز فهي إذن من إيهام التضادِ، نظراً لخفاءِ التضادِ، فقولهُ تعالى : ﴿✍✍✵✡♐❍ ⇔🏱↗▤⬀⓿◆♑☜♐❍ ⧫♌❑➔⬛⌂♒⬀❷←☺◆♑﴾

يستلزمُ الصدق المُضادِ للكذبِ في قوله تعالى : ﴿♐❍⬀♌ 🕮❑✡☞←🏱⇔ ⧫◆♐❍ ⧫♌❑←✉✍❶⬂▤⊠✍ ◆♐❍﴾ فكان العدول عن دلالة الآية المفترضِ قوله فيها : (ربّنا يعلم إنا لصادقون)، وقد جمعَ هنا بين الكذبِ وبين ما يتعلق بمقابلهِ، وهذا يكشف مدى القدرة الإلهية الكامنةِ في النص القرآني التي نستشعرُ فيها الجلال الباطني قبل الجمال الظاهري في سوقِ الانساق اللغوية المختارة بدقةٍ ونظامٍ مُتقن يُحدث أثراً حيوياً متصاعداً بالصورةِ والايقاع كُلٌّ في موضعهِ الملائم له.

---

(١) دلائل الإعجاز : ٤٩.

ومثيله قوله تعالى : [illegible] [نوح: ٢٥].

يبدو أن المفارقة البديعية الأسلوبية في هذه الآية ليست ظاهرة الملامح، فالمطابقة تتمثل في التنويع اللفظي، وما يرافقه من الحقيقة في إبراز الجوانب الجمالية؛ إلاَّ أنها في الإطار المجازي أكثرُ رونقاً وجمالاً في نسقِ الآيةِ التي جمعت بين الإغراقِ وما يتعلق بالإحراقِ وهو دخول النارِ، إذ إنَّ دخول النار يتسبب عنهُ الإحراق المقابل للإغراق، وبذلك مُنحت الآية دلالةً ترتبط بالعدل الإلهي، وقوبلت تلك الدلالة بمعنى الدخول في النارِ والاحتراق فيها؛ لكن اللافت في هذه المطابقة، خفاءُ التضادِ، فاللفظ الصريح في صيغة الفعل (أُغرقوا) جِيئ به متقابلاً ومُضاداً مع لفظٍ آخرٍ يدلُ على أحدِ لوازم اللفظ المقابل لعلاقةِ السببيةِ في قوله تعالى : [illegible]، وهذا يعني أن إدخال النارِ ليسَ ضد الإغراقِ في المعنى، فالإغراق يقتضي الإحراق مُقابلاً لهُ؛ لكن ناب عن الإحراقِ (أحد لوازم الإغراق) بالدخول في النارِ، وقد عبر ابن منقذ (ت ٥٨٤هـ) عن هذا النوع من الطباقِ بقوله : ((وهذهِ أخفى مُطابقةً في القرآن))[(١)].

في حين حدد باحثٌ معاصر موقع هذا النوعِ من الطباق في منطقة الانحرافِ والعدول عن النسب السائدة بين الالفاظ والعلاقات العرفية بينها وأطلق عليها تسمية (المطابقة المخالفة)[(٢)] مما يؤكد استيفاء الطباق للمعاني المقصودة وتقوية الدلالة فيها تحقيقاً للتوازن وفاءً بالمعنى.

ولو تأملنا قوله تعالى في وصفِ رسولهِ الكريم ﷺ وأصحابهِ :

[illegible]

---

(١) البديع في نقد الشعر : ٣٦.

(٢) أكد الدكتور منير السلطان أن المطابقة المخالفة : هي صورةٌ من صور مقاربة الشيء بما يقرب من مضادهِ، إذ ليس من الضروري أن يكون الطباق فيها محضاً، ينظر : البديع تأصيل وتجديد : ١١٤.

⌘♊♑♓✍ ✞☒⇳♐⬧▫ ⧫♌❑⬀⬄⧫✌⬀⌛⧫③ ✁✡⑨⚫✓⬅♓
⬀☠➔♎⬧☒☺⓿⬀♓ ☎ ⬧☪✡◷⧫❑⇳➴♐❻⧫❑ ★✏⬧✁
▩❷❑⚐❑🕮 ⇳♊♑♓✍ ⚐♒♑♑♎❑⬉♉⬉❑ ❼♒✗
﴿🗐 [الفتح: ٢٩] ♑⑩❑➔➶❹❍⬥⬧✁

يبدو للمتأمل في الآيةِ أول الأمرِ أن التضاد قائمٌ بين لفظتي (أشداء ورحماءَ) وبالنظرِ الدقيقِ الفاحصِ يتبينُ أن الأثر المعنوي لهذهِ الألفاظ هو القائد إلى نوعِ البديعِ فيها، بما يحققهُ من إيضاح للدلالةِ، وتأكيداً للمعنى عن طريق المقارنةِ بين الضدين، فتصور أحد الضدين تصورٌ للآخرِ، حتى يكون الذهن مُهيأً ومستعداً لاستقبال النقيضِ أو المخالفِ.

فالدلالة الحقيقية في هذه الآية تقتضي أن الشدة لا تضاد الرحمة؛ بل اللين هو المقابل للشدةِ، وبما أن صفة الرحمة أثرٌ ملموس للعلاقة بينها وبين اللينِ فقد عَبَرَ النظم القرآني في هذا الموضع بالرحمةِ لاقتضاءِ المقام وتطلّب السياق، فمقام وصفِ أصحابِ الرسولِ الكريم محمد ﷺ يستدعي نعتهم بالرحمةِ؛ لأنها من أعظمِ الصفاتِ، فهي مأخوذٌ من اسمهِ تعالى (الرحمن الرحيم)[1]. فَعَدَلَ بذلك عن اللينِ بذكرِ أحدِ لوازمهِ وهو الرحمة.

والملمحُ الأسلوبي في هذا التعبير القرآني يُرشدنا إلى تساؤلٍ منطقي يستوجب إيجاد ضرورة لاتباع قولهِ ﴿🕮❑⬆♑⑨⚫✁✏⬀⬇ ⬉⧫✍■❼﴾ في وصفهِ لأصحاب الرسول ﷺ بقولهِ ﴿✁⬧❍⬥⬊▤⬀▦⦿⬧❻♐﴾ ﴿❻⬇❑☒⬧⧫⬧✏⬀⬇ 🖃⧫❹⬃☪⧫⯐⬊☠⬀ ☎﴾، وَلَمَ لم يكتفِ بالوصفِ الأول؟

عَمَدَ التعبير القرآني إلى الوصفين من باب الاحتراسِ والتكميل[2]، فالشدة المطلقة في كل الأحوال عيبٌ لدلالتها على الغلظة والقسوة مما يوهم مناسبة الوصف

---

(١) ينظر : أسماء الله الحسنى، دراسة في البنية الدلالة : ١٣٨.

(٢) الاحتراس والتكميل مصطلحان بلاغيان في علم المعاني، ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٦٢/١ و٣٤٠/٢.

وتمكنهِ من الموصوفِ، فجيئ بوصفِ الرحمةِ بعد ذلك مباشرةً؛ دفعاً للتوهم وإفادةً لجمعهم الضدين على السواءِ، وبذلك فقد حازوا طرفي العظمة[1].

ومنهُ قوله تعالى : ﴿❒◆✌♊ ❻▪❍⇳☺⌧✍♋❍♋⌚ •♉⌧➔⌧♉• ♐♓⧫⌸⬀◈☹⬇ ♐⬧☺⬄⍍☺☺♋☺♋⬄♓♓☎ ⚫⧫❒ ⧫⬧☺⌧♑❒☺♓❒♑ ❑♋⑩❍♋ ❒◆⬧♐♓⌸⧫⬄⬀❒⬧☎ ♊✌♋ ▫♦⬄⇳⬧❒⌸♋⌚♋⌚﴾ [القصص: ٧٣].

تأتي المطابقة في هذه الآية مولداً دلالياً، يجمع نِعمتين من نعم الله تعالى لعلةٍ سببية، توضح جعلَ الزمانِ ليلاً ونهاراً، فالليل سكنُ المخلوقات، والنهارُ سعيها وتحركها، ولما كان ابتغاءُ الفضلِ يستلزم حركةً مُضادةً للسكونِ، عدّل عن الحركةِ إلى ابتغاءِ الفضلِ؛ ولأن الحركةَ هنا إصلاحاً لا إفساداً، آثَرَ التعبير القرآني (ابتغاءَ الفضل) وربطهِ بزمن النهارِ، في حين كانت العلاقة السببية اللازمة ظاهرة في اقترانِ الليل بالسكون المُضادِّ للحركةِ.

وقد دعانا الله تعالى إلى تأمل نعمتي الزمانِ (ليلاً ونهاراً) في قولهِ ﴿⍓➔⬧⬀ ❑⬚❻◆⬈◆③⬀✍⬅⬄ ❑♌♌ ♉⌧➔⌧♉• ✦✎♋♐ •♉⌧➔⌧♉• ✦✎♋♐ ⬇⬧⬛❍...﴾ [القصص: ٧١ – ٧٢].

---

(١) مثيل ذلك قوله تعالى في سورة المائدة : ﴿③◆⬛❍✍⬧♐ ... ❑◆⬧⬛♐⬀⬈ ⬈⬈⬧⬛♦◆❑﴾ [المائدة: ٥٤].

فكيف يكون حال الكون لو كان الزمان نهاراً أبدياً إلى يوم القيامة أو ليلاً سرمداً إلى يوم القيامة ؟

نلتمسُ التضاد في طباق الإيجاب بين اسمي الزمان (ليلاً – نهاراً) إذ يحمل كل واحدٍ منهما دلالةً متباينة ترتبطُ بالسكونِ والحركةِ، ومنه قوله تعالى : ﴿③♦⇔⧅▦ᴓ❷↖ ⓜ♏ᴓ☺◰♊ ④◻⌖♦✍✎↗↓

◻◆③↖➔◰⓿ℯ✐⊕➲ ✎♦♊ ④◻⌖♦✍✎↗↓ ▤﴾[الفتح: ١٤]، لا ينطوي أثر التضادِ الأسلوبي في هذهِ الآية تحت المقابلة الصريحة للألفاظ؛ لأن التعذيب لا يُقابل المغفرة؛ ولكن على تأويل أن التعذيب صادرٌ عن المؤاخذةِ التي هي ضد المغفرة، أو عدولاً عن اللفظ الحقيقي باعتبار أصلِ معناه، كما في قوله تعالى : ﴿✎♦♊ ✍◆◻◆◆■← ▫◆☐☼✱○←◑ ③↖ᴓ⌂✂♍🕮↖◑

◻◆⑨◆✐◇⑨③○ᴓ ◑⚘◻■❼▤ ↖♦⓿☒✂⊕✐

✂✍✎ⓜ○○➔ᴓ❷❸⚘﴾ [الحج: ٤]، فالطباقُ الخفي يظهرُ من دلالة السياق، أي : أن من يتولى الشيطان فإنهُ يُضلهُ عن طريق الحقّ، ويقودهُ إلى عذابِ السعيرِ، فلا يُقابلِ الضلالة بهذا الاعتبار؛ ولكن لفظهُ يُقابلها في أصلِ معناه.

فالمعاني المتضادة إذا ظهرت في الألفاظ المتضادةِ كان الطباق واضحاً جلياً يسهل الوقوف عليه، وهذا لا يتمّ إلاَّ في التضادِ القائم بين المفردات لفظاً ومعنى، أما إذا جاء التضادُ معنوياً بالتقابل بين الشيء وضده في المعنى، فهو من (الطباق الخفي)، وسواءٌ كانت هذه المعاني المتضادة ناتجة من : لفظين مفردين أو مركبين أو لفظٍ مفردٍ وتركيبٍ؛ بل قد يتجاوز ذلك إلى الحروفِ والظروف، مما يجعلها بحاجةٍ إلى فطنةٍ ودقةٍ في التأملِ للوصول إليها ومعرفةِ دلالاتها.

ومن الدلالات الأسلوبية في المطابقة (اختلافُ الضدّين إيجاباً وسلباً) بالجمع بين فعلين مصدرهما واحدٌ اتفقا في اللفظ والمعنى، الأول مثبت والآخر منفي، أو بين أمرٍ ونهيٍ، ومن الشواهد القرآنية على ذلك قولهُ تعالى : ﴿◆▫

✍➔⑨⇧❻⌀▤➔○← ✂✍✎❀☞✉⬀◷✽◷❷↖ ◻◆♎➔◻◆
③↖⑨⇧❻⌀🖰➔ ✂✍✎❀☞✉⬀◷✽◷❷♦ ☎ ◻◆♎➔◻◆
✂✍✎ⓜ🖬✱➲ᴓ⓿✂← ✂✍✎🖳⧅③▫⧗⚘❷❸← ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

كُلُّ من يتمعن في مفهوم المطابقة في التعبير القرآني، يُدرك أنه مرتكزٌ على أئتلافِ اللفظِ مع المعنى، وفقاً لأنساقٍ تركيبية قُسمت أدقَ تقسيمٍ لتوضع في مكانها الملائم، تتوخى التأثير المطلوب في النفس، فالمطابقةُ المعنوية في هذه الآية لا تنحصرُ في مظهر الطباق البلاغي الصرف، ولا سيمّا حين ذهب عددٌ من المفسرين إلى ظاهر العبارة في قوله تعالى : ﴿⬧✍⬧➔⑨⇳❻〄▤➔❍⬅ ✂◌⧫❀☛⌨⬀⏲✽⏲❷⬉ ﴾ : بأنها انتفاء رؤية الإنسان لله عز وجلّ؛ بل في أثر الموازنة التي تُحدثها التراكيب المثبتة والمنفية والنصِ على المطلوب منها وهو إحاطته – سبحانه وتعالى – بكلِّ شيءٍ علماً ورؤيةٍ.

وإذا أوضحنا ابتداءً أن الرؤية في اللغة شيء والإدراك شيء آخر[1]، واستحضرنا السياق التقابلي المقترن بصفة الله وهو (اللطيف الخبير) أدركنا أن الله – تعالى– يتجلى لعباده الصالحين في الدنيا والآخرة، بتجلياتٍ كثيرة، ولكنَّ الابصار عاجزة عن الإحاطة بنورهِ؛ لأنهُ يبهرُ العينين، لذلك نفى الله تعالى إدراكهُ بالبصرِ، فلطفهُ بالنبي موسى عليه السلام هو الذي جعلَ كليمهُ ينظر إلى الجبلِ الذي خَرَّ صعقاً من قُدرتهِ وعظمتهِ لقوله تعالى : ﴿☐◆⎈⏲▤⬁Ⅱ⬖ ✂◌☼➔⓿❷⬀ ❿⎗⬧✉⬧⬧ ✂◌⧫⚗⬀♏⬧✍ ⬀⧫⌛⬀◆⬉⬀◌◌ ✂◌⬄☝◆◗⬧❷▪ ✍⬧❷◆⬀⬀ ⬧☐⬧○ ◌◌⬧⬅⬀ ▤ ❻◆◆⬀⬀○⬅⏲ ▤❼⬆✍☐♑☐ ◌◌○☺■⬆ ☐◆⌘⬀❷▪ ◌⬀⬀▤⬀⬀⑩ ⏲⬉📖⧫✂⬀➔⬀♉ ⬀✍⬧⌨⬀✗⬀⬆◌⬀ ✍⬉☐◌⬀⬀〄▤ ⏲✽➔◌⏾☾◌ ▤ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ولا شيءَ أدلَّ على ذلك من أننا لا نستطيع إدامة النظرِ إلى الشمسِ مع قدرتنا المباشرة على رؤية نورها، ومَن جَرّبَ النظر المستمر إليها سُرعان ما ينكسرُ بصرهُ، وهذا ما يوحي به السياق القرآني المنفي ﴿⬧✍⬧➔⑨⇳❻〄▤➔❍⬅ ✂◌⧫❀☛⌨⬀⏲✽⏲❷⬉ ﴾ : أي لا تُحيط بهِ[2].

في حين نجد صيغة الإثبات بقوله تعالى ﴿☐◆⎈⬆➔☐◆ ③⬉⑨⇳❻〄⌫➔ ✂◌⧫❀☛⌨⬀⏲✽⏲❷◆⬧ ﴾ جاءت دلالة على مستوى

(١) ينظر : الفروق اللغوية : ١٠٤، دقائق الفروق اللغوية : ١٨٩.

(٢) إزالةِ الشُبهات عن الآيات والأحاديث المتشابهات : ٦٨.

المطابقة السلبية التي هي نقيضُ صيغة النفي ومما يُثير الانتباه في هذا التعبير القرآني لفظتي (اللطيف) و(الخبير) جاءت الأولى (اللطيف) مناسبة للنسق التقابلي ﴿ [illegible] ﴾ مُثبِتةً هذا التركيب ومُبرزة أثرها التلاؤمي معهُ، في حين أن لفظة (الخبير) تناسبت مع السياق القرآني ﴿ [illegible] ﴾ لإحاطته سبحانه وتعالى بُكلِّ شيءٍ علماً ورؤية، ومما يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [الشعراء: ٦١].

إن إيراد هذه الشواهد القرآنية ليست دليلاً على أن طباق السلب محصورٌ في الأفعالِ دون الاسماء كما ذهب بعض البلاغيين[١] إذ إننا لا نؤيد هذا الرأي، بل نؤكد عدم صحتهِ؛ لأن الأسلوب الطباقي قد يكون بين اسمين أو بين فعلٍ واسمٍ من مادةٍ واحدةٍ، أحدهما مثبت والآخر منفي؛ لأنه رأي جمهور البلاغيين من جهةٍ، ولورود الشواهدِ الخاصة به في القول شعراً ونثراً، وفي التعبير القرآني على وجه الخصوص من جهة آخرى[٢]، كقوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [الحج: ٥]، حيثُ ورد التقابل بين صيغتي (مُخلقةٍ) و(غير مخلقةٍ) وقوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [البقرة: ٨ – ٩]، صيغ المطابقة في

(١) ينظر : الإيضاح : ٢٥٧، بغية الإيضاح : ٤ / ٧.

(٢) ينظر على سبيل المثال : سورة البقرة : ١٧٩، ٢٢٥، سورة المائدة : ١١٦، سورة الأعراف : ٣، سورة إبراهيم : ٢٢، سورة الروم : ٦–٧، سورة الشعراء : ٣٦، سورة الزمر : ٩، سورة فاطر : ١٢٢، سورة الانفال : ١٧، سورة القيامة : ١–٢، سورة الرعد : ١٤، سورة الإسراء : ٢٣.

قوله (آمنا) و(وما هم بمؤمنين)، وقوله: (يخادعون) و(ما يخدعون)، ويمكننا أن نقف وقفةً قصيرة نستشعر فيها أصالة البديع في مظهر المطابقةِ ودلالاتها؛ وفق آلية التناسب والتوازي بين الأنساق اللغوية والبلاغية من جهةِ اللفظِ والمعنى في قوله تعالى : ﴿❑◆👌♦ᓂ ❻◆👌♦⓿⬂✳💣✿ ☽⚲❶⬂ ❻◆👌♦⓿⬂✳💣✿
❑◆📷ᔓ♦🕓▤⮌⮍▪✂ᓂ✎⅄ ❻◆☝♦❼▤ ▤﴾ [الأنفال:١٧].

كأننا أمام جدلية ضدية مُحيرة، يُخرجنا منها ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في معرضِ حديثِهِ عن اللفظين اللذين لهما معنىً واحد؛ ولكنهما متضادان في الظاهر، حين يقول : ((ينبغي حينئذٍ أن ينظر إلى الأليق بالمذهب، والأجرى على قوانينهِ فُيجعل هو المراد المعتزم منهما، ويتأول الآخر إن أمكن))(١)، فظاهرُ الآية إثباتُ أحد القولين ونفيٌ لما قبله، مما يوحي أن وجه الجمع بين الصيغتين (وما رميت) و(رميت) الإثبات والنفي؛ لأنه لما تمكن الرسول ﷺ من الرمي وأقدرهُ الله تعالى عليه وسددهُ لهُ، وأمرهُ بذلك، فأطاع، نُسب حينئذٍ أي : القربُ إلى الله تعالى وإن كان للنبي ﷺ مكتسباً مُشاهداً منهُ(٢).

ويتضحُ للبحثِ من خلالِ ما سبق أنه لا يشترط في مفهوم التطابق الالتزام بمبدأ التجاور اللفظي والتركيبي؛ وإنما الشرط التناسب الدلالي للألفاظ المتضادة، فقد أكد التعبير القرآني أن جمالية الطباق ذات تأثير دلالي يرتكز على الائتلاف بين اللفظ والمعنى؛ وفقاً لعناصر لغوية شمولية تجمع كل المتغيرات في إطار الضدّيةَ والنقيض والتضايف.

ثانياً : طباقُ التدبيج :

ومما يلحق بأسلوبِ الطباقِ؛ وفقاً لعلاقاتٍ منطقية يحكمها التضاد والتناقض، مظاهر لها أثرها الأسلوبي في الكشف الدلالي عن الألفاظ وتعلقها بالمعاني

---

(١) الخصائص : ١ / ٢٠٤.

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ١ / ٢٠٥.

المقصودة، أطلق عليها البلاغيون مصطلح (طباقُ التدبيجِ)، والتدبيجُ في اللغة : التزيين، فهو اسمٌ مشتقٌ من دَبَّجَ الربيع الأرض إذا زينها بألوان النباتِ والزهر[1]، أو مشتق من الديباج، وهو نوعٌ ممتازٌ من أنواعِ الحرير، أما في الاصطلاح البلاغي : فهو أسلوبٌ بديعٌ خاصٌ يذكر الألوان التي يقصدُ بها المتكلمُ الكناية، والتورية عن أشياءٍ من مدحٍ أو وصفٍ أو هجاءٍ أو نسيبٍ أو نحو ذلك[2].

وقد أفرد بعضُ علماء البلاغة لهذا النوع من الطباقِ بحثاً مستقلاً عن باب المطابقةِ؛ إلاَّ أننا نميلُ إلى الرأي القائل بتصنيفه توافقاً مع من عدّهُ من أقسام الطباق وصورهِ؛ لما بين الألوانِ من التقابل، فالألوانُ في الكلامِ كألوانِ الزهرِ في الحدائقِ، والعلاقة التقابلية قائمة لا يمكن إنكارها أو تجاهلها، ويمكن تقسيم هذا النوع من الطباق إلى قسمين :

الأول : تدبيجُ الكناية :

يرى الأستاذ الدكتور إياد عبد الودود الحمداني[3] أن الجمع بين الكناية والطباق في مصطلح (طباق التدبيج) تأكيدٌ على أن العرب يمتلكون نظرة شمولية بخلاف ما يُدّعى عليهم، وأن في هذا المصطلح وغيره رؤية فنية فاعلة وواضحة.

وقد أطلق أحد الباحثين المعاصرين[4] مصطلح (تحسين التحسين بالمطابقة) على هذا اللون من الجمعِ بين المتضاداتِ، وهو بذلك اقترانٌ للمطابقةِ بلونٍ بلاغي آخر، قد يكون من علم البيان، أو من علم المعاني، أو من البديع نفسه، مُعتمدين في ذلك على أن الكناية لون بلاغي من علم البيانِ، في حين أن التورية لونٌ بلاغي من علم البديعِ.

ومن تطبيقات تدبيج الكناية في التعبير القرآني قوله تعالى :

⌘♊♋✌ ♦✌♦❽✡❑📖 ⅄✎✍✁ ❑♌❑📖 ♦❷♦✍ ⬄⚐♦♈◉❑📖
✍❑✡⇧♉♦❷⬀⌘❑♁♦▫ ◐↗✎✍♦✌ ♋↗✎✍⌧☺❍❍♈◉✍✁
✍◷▦♐◘♦☛⬂③❼♁ ⌨☠◷♦❷⌧☺❑⚐ ◶♋❍♐✉

---

(1) ينظر : لسان العرب : مادة (دَبَجَ).

(2) ينظر : تحرير التحبير : ٥٣٢/٤، وبديع القرآن : ٢٤٢/٢، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٢ / ١١٨.

(3) ينظر : الكناية، محاولة لتطوير الإجراء النقدي : ٢١.

(4) ينظر : البلاغة الاصطلاحية : ٢٩٠.

[فاطر:٢٧].

من أوجه البلاغة البديعية المعجزة في هذه الآيةِ إيثار الوحدة التنوعية بين الألوان المتضادة في التوافق الشامل للشكل والمضمونِ، وذلك بعملية الجمع بين الألفاظ الثلاثة المتطابقة في (بيض وحُمر وسود)، وهذه الألوان المذكورة لا تخرج عنها ألوان الجبال (فالجُدد البيض) : كنايةٌ عن سيولةِ طُرقها، و(حُمْرٌ) كناية عن صعوبة السير فيها، و(غرابيبُ سُود) كناية عن وعورتها، فحصل التدبيجُ باجتماع هذهِ الألوان، فالكناية هُنا جاءت دلالةً على المشتبهِ والواضحِ مِن الطُرقِ؛ لأن الجادة البيضاء هي أوضحُ الُطرقِ وأبينها، ودونها الحمراء، ودون الحمراء السوداء التي كأنها في الخفاءِ والالتباس ضد البياض في الظهورِ والوضوحِ، فالطرفُ الأعلى في الظهور هو البياض، أما الطرف الأسفل فهو الخفاء ويُكنى عنه بالسوادِ، والأحمرُ بينهما على حُكمِ وضع الألوانِ في التركيبِ[(١)]؛ لذا قيل : رَكِبَ بهم المحجَّة البيضاء، ودونها الحمراء، ودون الحمراء السوداء.

وفي هذا التعبير يتعاضدُ التقابل الدلالي مع التوازي التركيبي على المستوى الصوتي الذي أحدثهُ (التنوين) في الصيغ (جُددٌ) و(بيضٌ) و(حمرٌ) و(مختلفٌ) و(سودٌ)، مُشكِلاً ملمحاً بارزاً يلفت الانتباه ويشدُّ الأذهان؛ لمتابعة الألفاظِ والتراكيب التي تُحقق مُتعةً وفائدةً دلالية في آنٍ معاً، وقد عدَّ ابن رشيق القيرواني (التوازي الصوتي) ضرباً من ضروب المقابلة حين قال : ((ومن المقابلة ما ليسَ مخالفاً ولا موافقاً إلاَّ في الوزن والازدواج))[(٢)]، ومن بَديع الكناية قوله تعالى:

---

(١) ينظر : دراسات منهجية في علم البديع : ٤٤، وشي الربيع بألوان البديع : ٢٧.

(٢) العمدة : ٣٠٩/٢.

﴿☎ ⌧❷⇧➶☒▦⬂⬄◉✍✂ ⌘♊☈✌ ☈⑩◆❑⇔☞☜❀✍✂ [البقرة:١٨٧].

فالخيطُ الأسود كناية عن ظلمةِ الفجر؛ لأن المعنى هو كُلوا وأشربوا إلى طلوعِ الفجر، وأمسكوا عن الطعام والشراب إلى غروب الشمسِ، فجيء بالكنايةِ قَصَدَ تقوية الدلالةِ في بيان المدةِ الزمنية[1].

ومثلُهُ قوله تعالى : ﴿③◆❑⬀⇗◆ ✍⬧▭⬀⓿◆⬧⓹ ❑⬉♉⬉❑■⮘

✍◆■○⇔❑◆⑩☞ ❑⬉♉⬉❑■⮘ 🗐 ▫⬧▯✌❑✍

✂✍⬧▰⬆☈⬄✖◆ ✂✍☞⇔❑◆⑩❑☠⇧ ❑⬉♉⬉❑⚖➔♑←☠⬀

🕮❑🕮☠❷⬀■➚☹ ✍⬧➔⬂⑨⌧ ☽☈③☺⌧◷✡☈▤➚☠⬀

☎⬧⓿➚❑⬆➔❑✂ ✍⬂⬂⌧➔⓪⌧✂⚇⌘ ✍☈☺⌧✍

✍⬧▤⬂➔❷⬉❑♌◆ ⬂☈⬂⬂⬂ ❑◆🕮❑✌❑✍

✂✍⬧▰⬆☈⬄✖◆ ✂✍⬧⓿◆✍⁕⬧⇧ ❑⬉♉⬉❑⚖➔♑←☠⬀

⬧✂⌧❻ ❻◆❑⬂◆❑☈ ✂✍✏★ ⚖➔☠⬀ ▫☈❸✌❑✍

⌘⌧◷✂☈✍➔❑♌◆﴾ [آل عمران:١٠٦ - ١٠٧]، فبياضُ الوجوهِ كنايةٌ عن الفرحِ بالجنةِ؛ لإيمانهم، وسواد الوجوهِ كنايةٌ عن سوءِ العاقبةِ والمنقلبِ، ودخول النارِ لكفرهم، وتقابل الألوان على هذهِ الصورةِ يُسمى تدبيجاً، زيادةً على ما في التعبير من حُسن التقسيم.

الثاني : تدبيج التورية[2] :

في هذا النوع من طباق التدبيج يورى بالألفاظ المعبرة عن الألوان بصيغٍ دلالية غير ظاهرة على سطح الكلامِ تأتي مذكورةً بقصدِ التورية بمعنييها القريب

---

(١) ينظر : إعجاز الكلمة في القرآن الكريم : ١٦٠.

(٢) لم يُسجل هذا النوع من التدبيج حضوراً فاعلاً في الدرس البلاغي على عكس النوع الأول (تدبيج الكناية).

والبعيد، والمراد بذلك هو المعنى البعيد؛ فالتورية إذا جاءت في لونٍ من الألوان كانت تدبيجاً، وهي بذلك مظهرٌ من مظاهر الحُسن التي نسعى إلى تلمس مواطنها، جراء قيمتها العدولية، المتولدة عن الطبعِ والعفويةِ، حين توظف بآلية يتمُّ فيها القفز على وعي المتلقي، فتكون بذلك حقيقة إجرائية في بناء أساليب القولِ وفقاً لعنصرِ التناسب البديعي.

ثالثاً : طباق الترشيح[1] :

من الأمور البديهية أن الضدَّ أقربُ خطوراً بالبالِ عند ذكر ضدهِ، مما يجعلُ علاقة التضاد التي تربط أجزاء القولِ فطرية تشيعُ في أساليب العامةِ والخاصةِ، نظراً لكثرةِ الأضدادِ في مظاهر الحياة ومشاهد الكونِ، وصفات الخلائق على اختلافِ ألوانها، وبناءً على ذلك أكد البلاغيون[2] أن مجرد الجمع بين المتضادين في الكلام من الأمور السهلة؛ لذا ينبغي ترشيحُ الطباق بلون آخرٍ من ألوانِ البديعِ ومظاهرهِ التي تُضفي على الكلام حُسناً لفظياً ودلالةً معنوية، وهذا يعني إكساب فن الطباق نسق لغوي متوازٍ ومتلائم مع الوظيفة والهدف بما يختزنهُ من تكثيفٍ دلالي ((قائم على نظام المجاورة))[3]، من ذلك قوله تعالى : ﴿❽✍✒⚐➔❑◆✂ ... ﴾ [الرعد: ١٢].

فَسَّر الزمخشري معنى الخوف والطمع بـ((أن وقوع الصواعق يُخاف عند لمع البرقِ ويُطمعُ في الغيث))[4]، قال أبو الطيب[5] :

فتى كالسحابِ الجُونِ تُخشى وتُرتجى يُرجى الحيا منها وتُخشى الصواعقُ

(١) الترشيح في اللغة معناه التقوية، ينظر : لسان العرب : مادة (رَشَحَ)، ومن المدلول اللغوي جاء المفهوم الاصطلاحي، فترشيح الطباق يعني تقويته بوجود لونٍ بلاغي يزيد معنى الطباق وضوحاً ويكسبهُ حلاوةً، ينظر: بديع القرآن : ١٠٣/٢، علم البديع (عبد العزيز عتيق) : ١٢٤.

(٢) ينظر : خزانة الأدب : ١ / ٨٧.

(٣) المصطلح النقدي في كتب الإعجاز القرآني : ١٥٩.

(٤) الكشّاف : ٢ / ٥٠٨.

(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي : ٢ / ٣٤٦.

فقد اقترنت ألفاظ الطباق في التعبير القرآني بين الخوف والطمع، بلونٍ بلاغي بديعي وهو صحة التقسيم، إذ ليسَ في رؤيةِ البرق إلاَّ الخوفَ من الصواعقِ، والطمعَ في الأمطار ولا ثالث لهذين القسمين.

ومن صورِ ترشيح الطباقِ في التعبير القرآني قولهُ تعالى :

❰ ✍➔❑♏⧋&← ✂✍♋♏⧫⓾⬂✍• ✗❼

❑◆✍➔❑♏⧋&← ✂✍♋♏✡❑♑⧅♋❻⚑ ◆❻♋⧅♑❑✡♏♋✂ ✗❼ ✂✍♋♏⓾⬂✍⬀ ☎

❑◆✍➔②⬃❷⌧●← ✂✍♋♏⬂❻⧅❻○ ☝⬀⬀⇝

❑◆✍➔②⬃❷⌧●← ✂✍♋♏⬂☺⧅⓿♒⚑❧⬀ ☝⬁⌘ ✂✍♋♏⬂⊂⧅❻♍⬁ ☎

❑◆⬧✍⬃❷⧈⬀⬀⬈ ☝⧫⌘ ✍⬂⌖⧫✍⧫✍↗↓ ⬀♑⇔⧫❷⬃❸✗

○⬀○✿♋⚇⩯ ❱ [آل عمران: ٢٧].

تضّمنت الآية الكريمة أنماطاً متعددة من الطباق، منها : ما هو بين الأفعالِ (تولجُ) و(تخرج)، ومنها : ما هو بين الأسماء (الليل) و(النهار) و(الحي) و(الميت) وقد أُثرت هذه الأنماط الطباقية بشقيها الأسمي والفعلي مع ذكر مظهرٍ بلاغيٍ قائمٍ على (العكسِ والتبديلِ)[1]، في قوله تعالى : ❰ ③⬉❑♏⧋&←

✂✍♋♏⓿⬂✍• ✗❼ ✂✍♋♏✡❑♑⧅♋❻⚑

❑◆③⬉❑♏⧋&← ✂✍♋♏✡❑♑⧅♋❻◆ ✗❼

✂✍♋♏⓾⬂✍⬀ ❱[سورة فاطر:من الآية ١٣]، وقوله تعالى :

❰ ⑥↗③⬂❷⌧●← ✂✍♋⬓⧫❑❻○ ☝⌘

❑◆✍➔③⬂❷⌧●← ✂✍♋♏⬂☺⧅⓿♒⚑❧⬀

✂✍♋♏⬂⊂⧅❻♍⬁ ☝⌘ ✂✍♋♏⬂☺⧅⓿♒⚑❧⬀ ❱ ▤ ❰ [سورة الأنعام: من الآية ٩٥]، فكلا المعنيين متكاملان في دلالالتهما، والمعنى المقصود واضحٌ بعكسهِ أو تبديلهِ بين طرفي السياق، كما اقترن التعبير القرآني بمبالغة التكميل التي تتناسب مع القدرة الإلهية؛ ففي سياق العطفِ بقولهِ تعالى :

❰ ❑◆✍⬃❷⧈⬀⬀⬈ ☝⧫⌘ ✍⬂⌖⧫✍⧫✍↗↓ ⬀♑⇔⧫❷⬃❸✗

○⬀○✿♋⚇⩯ ❱ دلالةٌ على مبالغةِ التكميل المشحونة بقدرة –الله– على أفعال

الرزق بغير حسابٍ لمن يشاءُ من عبادهِ، ومثلهُ قولهُ تعالى : ❰ ⍾➔✍⬀

✂✍♋♏✹♑←⚐○ ☝⧫⏲⧅ ✂✍♋♏⬂☺←⧉⧅⬂

✍➔⬃☝✗❼ ✂✍♋♏⬂☺←⧉①⬀ ☝⧫⌘ ✍⬂⌖⧫✍⧫✍↗↓

(١) يسمى هذا اللون من البديع بـ (العكس المعنوي) : وهو أن يؤتى بأجزاء تالي الكلام على عكس ما جاء في أجزاء مُقدَّمهِ، مؤدياً كل منها المعاني المقصودة، ينظر : البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٤٤٠.

﴿ ... ﴾ [آل عمران: ٢٦].

يتضحُ مما سبق أن هذا النوع من الطباق يكشفُ تجاوز مستوى الدلالة الطباقية حدود الجملة الواحدة مما أحدث قوةً سابكة (Cohesive force) بين الجمل المتجاورة وهذا التجاور هو المطلوب، زيادة على عدم التقيد بالتعاقب المباشر بين الجملةِ وأطرافها المتبادلة والمتعاكسة، مما يوسع المساحة التي يُحدثها الأثر الدلالي للطباقِ سبكاً، فيغدو بذلك مؤشراً سطحياً إلى وجود ترابطٍ وتناسبٍ يكسبه بُعداً جمالياً إضافياً (كالبعد الصوتي) مثلاً، الذي يقتضي الموالاة أو التعاقب بين الأطراف السياقية، إبرازاً وتجسيداً للتوازن الذي يحتويه.

وأمثلةُ هذا النوع من ترشيح الطباق في التعبير القرآني كثيرة لا مجال لحصرها[1].

---

(١) ينظر على سبيل المثال : سورة القصص : ٧٣، حيث رُشح الطباق بفن اللفِّ والنشر، وفي سورة النساء : ٨٣، اقترن الطباق بالجناس بين (الأمر والأمن)، سورة الشمس : ١ – ٨، جاءت المطابقة مُرشحة بصحة التقسيم، سورة المعارج : ٦ – ٧، اقتران الطباق بمراعاة الفاصلة في قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾ ، وسورة فاطر : ٢٧، رُشحت المطابقة بحسن التقسيم، وسورة آل عمران : ١٠٦ – ١٠٧، جمعت الطباق مع صحة الأقسام.

المبحث الثاني : المقابلة (معنى ومبنى) :

أولاً : مفهوم التقابل، حدودهُ وأبعادهُ :

لا شك أن مفهوم التناسب الدلالي يكشفُ عن أساليب تجاوزت حدود المعنى باتجاه المبنى؛ لأن أغلبَ صورهِ تُعدُّ نوعاً من التوازن الضروري لاستمرار الكونِ والكائنات على اعتبارهِ ((مقياس يتعلقُ بالصفاتِ بأن تكون الواحدة مُشتقة من الأُخرى مع تغاير المعنى، أو ينتج التناسب عن تماثل أوزانها أو توازن مقاطعها))[١] وبذلك ينطوي على عناصر فكرية لا تقف عند حدود المطابقة سلباً وإيجاباً؛ بل تتسعُ لفرز أنساقاً لغوية تعبيرية تؤدي دلالة التوافق والتقابل، وتشكل مظهراً من مظاهر البديع المعتمدة على ((الكيفية التي يخرج بها النسق التركيبي في ضوء تقابلهِ اللفظي والدلالي، على التضادِ وغيرهِ))[٢]، وهذا يعني أن التراكيب اللغوية المتقابلة ضدياً تحمل في طياتها دلالات التماثل والتوازي اللفظي والمعنوي، شريطة الترتيب في التقابلِ فإذا أُخلّ بهذا الشرطِ انعدم تحقيق المقابلة شكلاً ومضموناً.

إنَّ الوعي بأساليب التقابل القرآنية لُغةً وأسلوباً وإيقاعاً يعمق الفكرة القائلة بأن ((الثنائيات المتعارضة ترتبط بالنظام اللغوي كونه بنية تركيبية))[٣]؛ لذا فإنَّ وظيفة التقابل لا تفترق عن غايته في ((الإبانة الخاطفة عن وجهي الحياة أو الأشياء حيثُ تتآزرُ في هذه الإبانة مختلف وسائل التركيب اللغوي))[٤] مع إضافة خاصية التحرك الفعلي داخل السياق التعبيري لإنتاج صورٍ ذات أبعادٍ دلالية مختلفة تتعدد أنماطها وأشكالها تبعاً لمعطيات الائتلاف أو الإتفاق والتضاد وبعيداً عن المعايير الكمية التي تُرهق النص وتفقده قيمتهُ.

إن ارتباط التناسب القرآني بصياغة أساليبَ للمقابلات الدقيقة بين الصور يوقفنا عند مسألة جديرة بالاهتمام وهي مسألة (الإيقاع الجرسي) المتعدد الأنواع، المتناسق مع الجو البياني وبضمنهِ الفواصل والقوافي ((والمدة المقررة لبقاء المشهد

---

(١) منهاجُ البُلغاء: ٢٢٢.

(٢) التقابل الجمالي في النص القرآني: ١٤٤.

(٣) المصدر نفسه: ١٢.

(٤) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور: ٤٧١.

سريعاً خاطفاً أو بطيئاً وئيداً، مُتخذاً اللفظ المخيل، للتكرار أو الموازنة بين صورتين متقابلتين))[١] تظهر من سياق العطف بأي حرف من حروفهِ المشتركة في الحكم[٢]، إذ لابُدَّ أن يكون بين المعطوفين جهة جامعة، كقوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ **[الحديد: ٤]**، وقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ **[البقرة : ٢٤٥]**.

وهنا يأتي تعليل المفسرين بوجود علاقة المُضادة بين الألفاظ (الولوج والخروج)، (النزول والعروج)، (القبض والبسط) تحت مسمى (خفي الارتباط) [٣]؛ لأن عادة القرآن قد جرت بذكر أحكام يذكر بعدها وعداً ووعيداً؛ ليكون باعثاً على العمل بما سبق، أو بذكرِ جامعٍ وهمي للمتضادات، الحكمة منه التشويق والثبوت على الأول.

تأمل قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ **[البقرة : ٦]**، تجد أن أول السورة تمهيدٌ للحديثِ عن القرآن، وإن من شأنهِ الهداية للقوم الموصوفين بالإيمانِ، فلما أكمل وصف المؤمنين عقَّب بما هو حديث عن الكافرين، ففيهما جامعٌ وهمي بالتضاد من هذا الوجه ((فإن قيل: هذا جامعٌ بعيد؛ لأن كونه حديثاً عن المؤمنين بالعرض لا بالذات – والمقصود بالذات الذي هو مساق الكلام- إنما هو الحديث عن الكتاب، لأنه مُفتتح القول))[٤] جاء الجوابُ قاطعاً بأن القصدَ من ذلك –تأكيداً- أمر القرآن والعمل به والحث على

---

(١) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم : ١٦٦.

(٢) ينظر : بدائع الفوائد : ١/ ٣٣٠،.

(٣) هو مصطلحٌ يُطلق على ما يظهر منه أن كُلّ جملةٍ مستقلة عن الأخرى، وأنها خلاف النوع المبدوء مع اشتراط وجود دعائم تؤذن باتصال معنى الكلام بقرائن معنوية تحتم الربط والاتساق؛ ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٢/ ٩٥، والظاهرة الجمالية في القرآن الكريم : ١٦٨.

(٤) خصائص التعبير القرآني : ١/ ٤٠٥.

الإيمان بما جاء به، فلا يُشترط في الجامع ذلك؛ بل يكفي التعلق على أي وجهٍ كان، ولهذا لما فرغ من ذلك قال : ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ [البقرة : ٢٣].

إنَّ الإنطلاق من المفهوم القائل بأن (الأشياء تتبينُ بضدِّها) يقودنا إلى مسارٍ غير مُحدد في التحليل ويقمع محدودية مفهوم التقابل في أنه الجمع بين معنيين أو معانٍ متوافقة[١]، ثم ما يُقابلها على الترتيب، ويؤكد خصوبة مفهوم التقابل وآلياته؛ لا سيّما في النص القرآني المعجز الذي يخرجها من نطاق الرؤية التقليدية الضيقة المحصورة بعلاقاتِ التضاد الإفرادي المنطقي إلى فضاءٍ أرحب يكتنز بالمتقابلات العددية كماً ونوعاً، لاحتوائه على المشاهد التصويرية المتقابلة عبر توازي الأفعال والأزمان والأحداث؛ لنلمح بذلك أنماطاً تقابلية مكانية وزمانية لا تحدها حدود وتؤكد أن ((تقابل المعاني باب عظيم يحتاجُ إلى فضل تأملٍ))[٢]، ويمثل شكلاً من أشكال التنظيم لمواقع الوحدات اللغوية، ولحركةِ المعنى مع مراعاةِ ((عنصري الوضوحِ والمطابقة))[٣]، وهذا يعني أن المقابلة أعمُّ من الطباقِ، ليس استناداً إلى معيارٍ كمي فحسب، ولكن أيضاً ((لأن الطباق ينحصر فقط في الجمع بين متضادين اثنين فقط، بينما المقابلة تكون بين معانٍ متضادة، أو معانٍ غير متضادة تُوضع متقابلة))[٤].

تأمل قولهُ تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٥-١٠].

ينفتح هذا النص على مجموعة من المتضادات المتقابلة تشكل في ظاهرها صيغاً طباقية ثنائية العدد؛ إلاَّ أنها من حيث المضمون أشملُ من فكرة الثنائيات الضدية؛ لأنها ((آلية متنوعة في داخل النسق الواحد))[٥] فالدلالة المضادة يستدعيها الذهن على وفق مفهوم اللاشعور تارةً، أو أن اللفظ المقلوب قد يرد في موضعٍ ما

(١) المراد بالتوافق هنا خلافُ التقابلِ، أي : ألا تكون المعاني مُتضادة.

(٢) البرهان في علوم القرآن : ٤٦٢/٣.

(٣) اللغة بين الكعيارية والوصفية : ٦٤.

(٤) البديع وفنونهِ : ٢٠٨.

(٥) التقابل الجمالي في النص القرآني : ١٦٣.

من النص القرآني؛ ما يستحضر ذكر اللفظ المضاد المقلوب لهُ في الموضع الآخر تارةً أُخرى.

فقد وزعت الألفاظ توزيعاً مُحكماً مُرتباً، وفقاً لمعايير دلالية تُحقق التناسب اللفظي والمعنوي، فتتماثلُ صورة الإعطاء والإتقاء والتصديق والتيسير مع صورة البخل والاستغناءِ والتكذيب والتعسير، ففي هذه الصورة تُلمَح الاستعارة المكنية ((فهذا وإن كان قد أعارهُ لفظ التيسير فهو على حسب ما قالهُ اللهُ –عزَّ وجل– ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾))[1]، ويتبينُ هنا أنه ((لما جعل التيسير مُشتركاً بين الإعطاء والإتقاء والتصديق جَعَلَ ضده وهو التعسير مشتركاً بين أضدادِ تلك، وهي المنع والاستغناء والتكذيب))[2].

وعن التيسير للعُسرى يقول ابن قيم الجوزية (٦٩١ – ٧٥١) ((والتيسير للعُسرى يكون بأمرين : أحدهما : أن يحول بينه وبين أسباب الخير، فيجري الشرُّ على قلبهِ ونيتهِ ولسانه وجوارحه، الأمر الثاني : أن يحول بينه وبين الجزء الأيسر، كما حالَ بينه وبين أسبابه))[3]، وفي هذا الموضع أكدت الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) أن استعمال العُسرى كاستعمال اليُسرى، والمقصود منه أقصى اليُسر وأشدّ العُسر، أو هما اليُسر الذي ما بعده يُسر، والعُسر الذي لا عُسر بعده[4]، أما الدكتور محمد العبد فقد أكد أن ورود فعل التيسير في الحالتين، قد حقق على المستوى اللفظي نوعاً من المشاكلة التي أفرزها السياق بذكر الشيء بلفظِ غيره تقديراً، فإيراد لفظ (نُيسره) مرتين، يعني أن هناك تيسرين، أحدهما : لليُسرى، والآخر : للعُسرى ((وتصبح المقابلة هنا بين النوعين أشدّ بياناً))[5].

وهكذا تتكشف أبعاد التقابل الأسلوبية في مشاهد القرآن الكريم؛ لترسم صوراً ((من التناسق والاتساق : فمن نظم فصيحٍ إلى سردٍ عذبٍ إلى معنى مترابط إلى

---

(١) المفردات في غريب القرآن : ٥٥٣، والآية في سورة التوبة : ٣٤.

(٢) مفتاح العلوم : ٥٣٣.

(٣) التبيان في أقسام القرآن : ٦٢.

(٤) ينظر : التفسير البياني للقرآن : ١٠٩/٢.

(٥) المفارقة القرآنية : ٧١.

نسقٍ مُتسلسل إلى موسيقى مُنغمة، إلى اتساق في الأجزاء، إلى تناسقٍ في الإطار))[١]، ويمكن تمثيل التوافق التقابلي في سورة الليل بالمخطط الآتي :

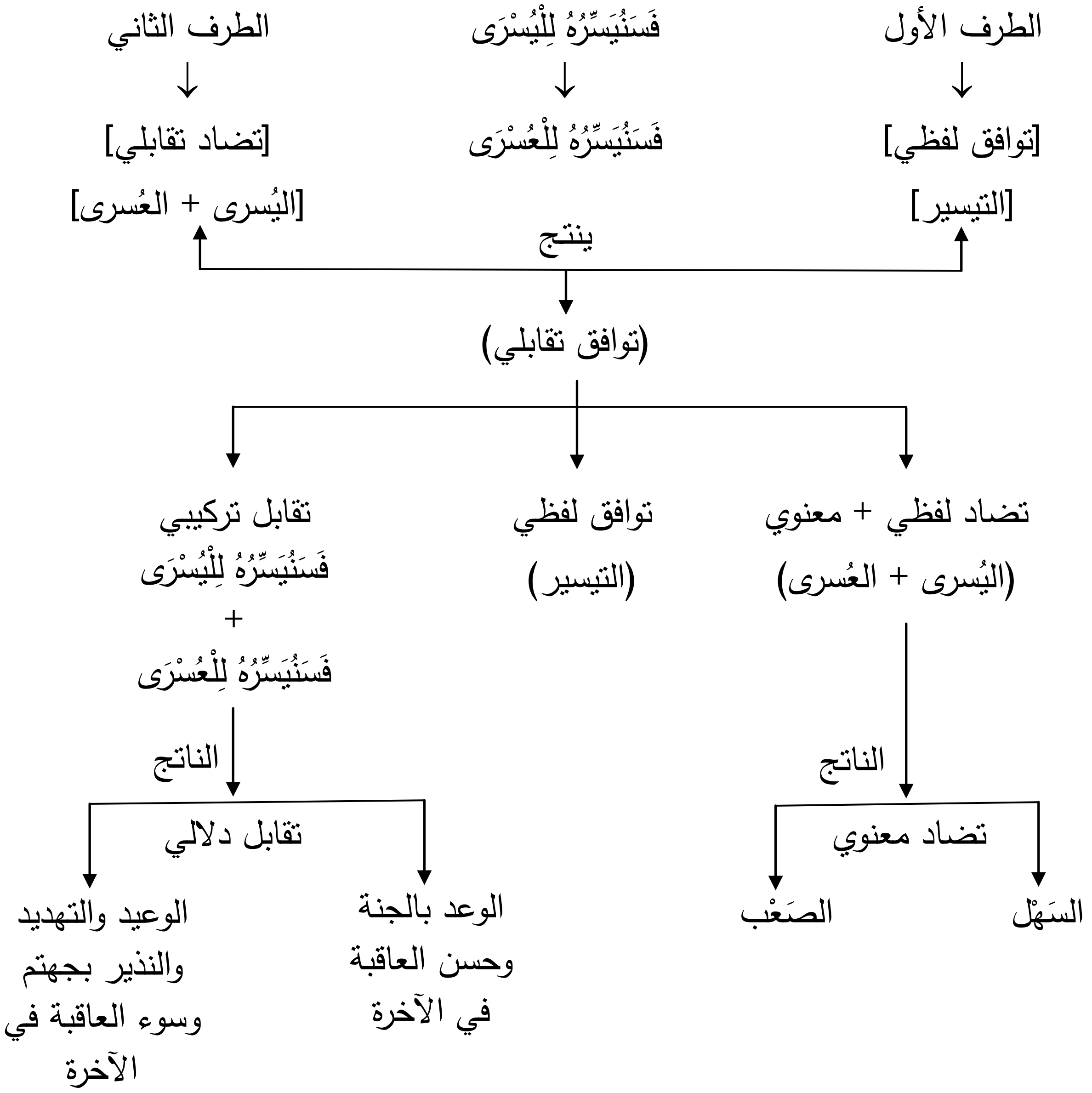

وقد وردت صور التقابل في السُنَّةَ النبوية المُطهرة في مواضع متعددة منها قوله ﷺ : ((يَسِّروا ولا تُعسِّروا، وبشّروا ولا تُنفّروا))[٢]، وقوله ﷺ في موضع آخر : ((ما كان الرفق في شيءٍ إلاَّ زَانهُ، ولا نُزعَ من شيء إلاَّ شانهُ))[٣]، وقوله ﷺ : ((إنكم في زمان من ترك منكم عُشر ما أُمر به هلك، ثم يأتي زمانٌ من عمل منهم

(١) التصوير الفني في القرآن : ١٤٢.

(٢) الجامع الصغير : ٥٩٠/٢، حديث رقم (١٠٠١٠).

(٣) الجامع الصغير، ٤٨٦/٢، حديث رقم (٧٩٦٣).

بعُشرِ ما أُمر به نجا))، وقوله ﷺ : ((إنما الأعمال كالوعاء إذا طاب أسفله طاب أعلاه، وإذا فسدَ أسفله فَسَدَ أعلاه))(١).

شكلت الصيغ التقابلية في هذه المواضع تقانات فنية تمثل ((بُنية تقابلية لغوية بلاغية تستند إلى علاقة المواجهة والتناسب والموازاة والتناغم في جملتين أو أكثر على جهة الائتلاف أو الإختلاف؛ لتحقيق وظيفة من الوظائف تتجه إلى هدفٍ ما في كُلِّ زمانٍ ومكان، لإفادة المتلقي وامتاعه))(٢).

تأسيساً على ما سبق يؤكد البحث أنَّ البنية التقابلية في التعبير القرآني ذات تأثير أسلوبي واضح يُكثف الحدث ويختزل المعاني؛ ليخلق استجاباتٍ مُثيرة تؤسس لهدفٍ ما وهكذا نؤكد النظرة القائلة بأن ((أصول البلاغة قد استقرت بعد استقراءٍ لمجالها في القرآن الكريم، وما صحَّ من حديث الرسول ﷺ))(٣)، فقد رسم الدكتور حسين جمعة(٤) تصوراً فنياً نقدياً لأسلوب التقابل بوصفه مفهوماً أسلوبياً فاعلاً في الصياغات التعبيرية، بعيداً عن العرضية والقسرية، ولا يشترط فيه الالتزام بفكرة التحاذي والتجاور في الأنساق اللغوية لفظاً وتركيباً، ولا التوازن والمساواة، ولا التكرار، أياً كان تنوع شكل التقابل في التضاد أو التشاكل أو التناظر المؤتلف أو المختلف، أما إذا توافر هذا كُلّه في بنية التقابل إزداد جمالاً وإثارة.

وهنا تدرك الباحثة أن التقابل الدلالي من أخصِّ خصائص الأُسلوب القرآني المعجز، يكاد ينتظم في آيات كثيرة ((موزونة بميزانٍ شديد الحساسية، تُمليه أخفُّ الحركاتِ والاهتزازت))(٥).

---

(١) الجامع الصغير : ١٥٣/١، حديث رقم (٢٥٤٢)، وحديث رقم (٢٥٤٨).

(٢) التقابل الجمالي في النص القرآني : ٩٠.

(٣) بحوث ومقالات في البيان والنقد ألأدبي : ٣٣٥.

(٤) ينظر التقابل الجمالي في النص القرآني : ٣٢٠.

(٥) التصوير الفني في القرآن : ١٠٧.

وبناءً على ذلك يمكننا القول أن أنماط التقابل الأسلوبية في التعبير القرآني تتنوع وتعدد أشكالها شكلاً ومضموناً؛ ولا سيّما تلك الأشكال التي تتعلق بالمعنى لتؤكد أن التقابل ((ذو صفة شمولية لا تقف عند حدود المقابلة الطباقية أو عند حدود المقابلة للشيء، فهو يتصف بصفة الجمع لأسلوب التوازن أو التماثل أو التفويق أو الإزدواج أو الإرداف والترديد))[1].

ثانياً : الفروق الأسلوبية بين الطباقِ والمقابلة :

المقابلة في أدقِّ مفاهيمها هي ((ذكرُ الشيء مع ما يوازيه في بعضِ صفاته، ويخالفه في بعضها، وهي من باب (المُفَاعَلة) كالمُضَارَبة والمقاتلة))[2] وهذا يعني أنَّ التوازن الدلالي والصوتي يُكسبها عُمقاً ويزيدها وضوحاً وتأثيراً في النفس حتى تصبح ركيزة أساسية في سورٍ بأكملها[3]؛ لأنها تعمل على تحقيق الناتج الدلالي من خلال توفير مساحة تلاؤمية لتثبيت التوازن النصي الكامن في الإيقاع الداخلي الذي ترد فيه والذي يدعم حركة المعنى وانتظامه، فهو إيقاع يختلف عن ((إيقاع السجع والجناس في بساطتهما ومباشرتهما، حيث نجابه من خلال المقابلة طابع المفارقة، على نحوٍ يسمح تصور الاختلاف بين التطريب الأدبي، وتوليد المتآلف من المُتعارض، والمنسجم من المتقابل))[4].

ويقترب مفهوم المقابلة من مفهوم المطابقة وتتواشج الصلاتُ الوثيقة بين المفهومين من خلال إبراز عنصر التضاد وتوزيع حركات وأزمان الفعل المتقابل والمطابق لطرفه الأول؛ إلاَّ أن هذا لا يعني أن صورة المطابقة هي ذاتها المقابلة؛ بل إن المقابلة أعمُّ وأكثر شمولية لتوزيع المتوافقات بالأضداد، وهذا القول يؤكد خصوصية المقابلة واستقلالها عن نظيرتها في الأسلوب، وتأسيساً على ذلك وضع البلاغيون حدوداً فارقة بين المفهومين تؤكد الدقة في الأثر الأسلوبي الناتج عنهما

---

(١) التقابل الجمالي في النص القرآني : ١٤٣.

(٢) البرهان في علوم القرآن : ٤٥٨/٣.

(٣) ينظر : على سبيل المثال سورة الغاشية : ١ – ٥ و٨ – ١٤، وسورة الليل : الآيات ١-٢.

(٤) البديع، دراسة في البنية والدلالة : ٤٠.

وتوثق روابط التقابل اللفظي والمعنوي على اعتبار أن الغاية ليست جمعاً للمتضاداتِ فحسب، بقدر ما هي إبراز للقيمة الدلالية التي تنطوي عليها الصور التعبيرية ((فالمقابلة البليغة تؤثر في الأسلوب شكلاً ومضموناً؛ لأن في الشكل يوجد نمطٌ من التوازن والتناسب له حُسنه وبهاؤه، والتقابل بينهما يُحدث أثراً صوتياً له قيمته في وقع الأسلوب))(١)، لذا يُحتم الجانب الباطن أن يُراعى فيه ذكر الشيء ومقابله في أكثر من معنى فتبرز بذلك خصوصية المقابلة، ويمكننا إيجاز الفروق الأسلوبية بين المفهومين في أمرين اثنين :

أولهما : يشترط في الطباق أن يكون بالإضداد حصراً، في حين تبرز فاعلية المقابلة بالإضداد وغيرها، وبالأضداد تكون أعلى مرتبةً وأعظم موقعاً(٢)، ومن الملاحظ حصول الطباق بالتوافق بعد التنافي، وهذا ما لا يستلزمه مفهوم المقابلة أُسلوبياً، فلكل مظهرٍ منهما خصوصيته المتفردة.

ثانيهما : إن الطباق لا يكون إلاَّ بذكر الضدّين غالباً –كقوله تعالى : ﴿يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ **[التوبة : ٨٢]**، أما المقابلة فتكون بالجمع –غالباً– بين أربعةِ أضدادٍ مع مراعاة مبدأ توافق المعاني المتقابلة بالترتيبِ وقد تصل المقابلة إلى الجمعِ بين عشرةِ أضدادٍ، خمسة في الصدرِ وخمسةٌ في العجز كقول أبي الطيب المتنبي(٣) :

أزورهم وسوادُ الليلِ يشفعُ لي   وأنثني وبياضُ الصُبحِ يغْري بي

وقد أكَّد كثير من البلاغيين على اعتماد معايير إجرائية للموازنة النقدية تبعد النصوص عن المآخذ والعيوب التي تفسدها قيمتها التعبيرية، ومن أهم تلك المعايير، معيارُ الجودةِ ((إذا جاءَ عفواً بلا تعارضٍ مع الوفاء بالمعنى))(٤)، أما اقتضاء كثرة المتقابلات في الكلام فيُعزى إلى تحقيق أعلى درجات البلاغةِ وهذا القول يسلمنا إلى

(١) دراسات منهجية في علم البديع : ٦٧.

(٢) ينظر : تحرير التحبير : ١٨١/١.

(٣) قوبل بين (أزور وانثني)، و(سواد وبياض)، و(الليل والصبح)، و(يشفع ويغري)، و(لي وبي) على الترتيب، فالمقابلة هنا بالأضداد وغير الأضداد ((ولا أعلم في باب التقابل أفضل من هذا البيت، لجمعه من المقابلات ما لم يجمعه بيت لشاعرٍ قبله ولا بعده إلى يومنا هذا، مع ما فيه من تمكين قافيته))؛ تحرير التحبير: ١٨٢/١، وينظر: ديوان المتنبي: ١٦١/١.

(٤) البديع تأصيل وتجديد : ١١٩.

حقيقة مؤكدة هي أن معيار الجودة في الكلام نوعي وليس كمي؛ لذا أُخذت على بعض الشعراء مآخذ نقدية بكثرةِ مبالغتهم في المقابلة كقول أبي دُلامة[١] :

ما أحسنَ الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفرَ والإفلاس بالرجُلِ

ويُعدّ أسلوب المقابلةِ من أكثر أساليب البديع وروداً في القرآن الكريم؛ لإنحراف البُنيات المتغايرة عن قواعدها النحوية بقصدِ غاياتٍ أُسلوبية قد تأتي على جهةِ الحقيقة وهذا هو النحو الشائع والمألوف، كقوله تعالى : ﴿**وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا**﴾ **[النجم : ٤٣ -٤٤]**، والتقابل المعهود بين الظلمات والنور، والجنة والنار، والحياة والموت، والراحة والسقم، والنفع والضُرِّ إلى غير ذلك من المعاني المتقابلة.

وقد تأتي المقابلة على جهة المجاز فتُسمى حينئذٍ (تكافؤ) [٢]، لنتأمل قوله تعالى في سورة طه : ﴿**إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى**﴾ **[طه : ١١٨ – ١١٩]**.

جاء نظم القرآن في الآيتين على غير صورة المقابلة في الظاهر، فالسياقُ يقتضي مُقابلة الجوع بالظمأ، والعُري بالضُحى، فظهرت المقابلات للوهلة الأولى على أنها حقيقة؛ إلاَّ أنها خلاف ذلك حين ((أتى بالجوعِ مع العري وبابه أن يكون مع الظمأ، وبالضحى مع الظمأ وبابه أن يكون مع العُري؛ لكن الجوع والعُري اشتركا في الخلو، فالجوع خلو الباطن من الطعام، والعري خلو الظاهر من اللباس))[٣] فالجوع ألم الباطنِ والضُحى موجبٌ لحرارةِ الظاهر، فقابل احتراقاً باحتراق، كما قابل

(١) أورد الخطيب القزويني موازنة نقدية بين بيتي أبي الطيب المتنبي وأبي دُلامة رُجح فيها قول المتنبي اعتماداً على معايير ثابتة محكمة هي (سهولة النظم)، و(التمكن من القافية)، و(كثرة المقابلة)، خلافاً لبيت أبي دُلامة الذي استدعى القافية استدعاءً، وقد استعمل المتنبي الثنائيات المتعارضة دون إحداث تنازع داخلي في التركيب؛ لذا أثنى عليه الكثير، وعُدَّ أفضل بيتٍ في المقابلة بمفهوم النقاد وقتذاك؛ يُنظر : الإيضاح: ٢٦٠؛ وتحرير التحبير: ١٨١/١.

(٢) مصطلح بلاغي يُراد به الجمع بين متضادات على وجه المجاز وكل منهما إما لفظي أو معنوي؛ يُنظر : الإتقان في علوم القرآن : ٩٥/٢، أو هو ((أن يصف الشاعر شيئاً أو يذمه، ويتكلم فيه أي معنى كان، فيأتي بمعنيين متكافئين)) والمراد بالتكافؤ في هذا الموضع : التقابل : إما من جهة المصادرة، أو السلب والإيجاب، أو غيرهما من أقسام التقابل، نقد الشعر : ١٤٧-١٤٨.

(٣) الإتقان في علوم القرآن : ٩٥/٢.

الخلو بالخلو في العُري والظمأ؛ لذا اقتضت الآية نفي جميع الآفات ظاهراً وباطناً[١]، واستوعبت هذه المقابلة أقسام كفاف الإنسان ((فالشبع والرّي والكسوة والسكن هي الأقطاب التي يدور عليها كفاف الإنسان فذكَّره استجماعها لهُ في الجنةِ))[٢].

ومن الملامح الأسلوبية في هذه الآيات مجيئها خطاباً للمتلقي بصيغ الأفعال المنفية الدالة على الزمن المضارع؛ ((ليطرق سَمعهُ بأسامي أصناف الشقوة التي حذره منها، حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهةً لها))[٣] ويمكن تمثيل دلالة التقابل في هذا التعبير وفقاً لبنية التقابل الأسلوبية في المخطط الآتي :

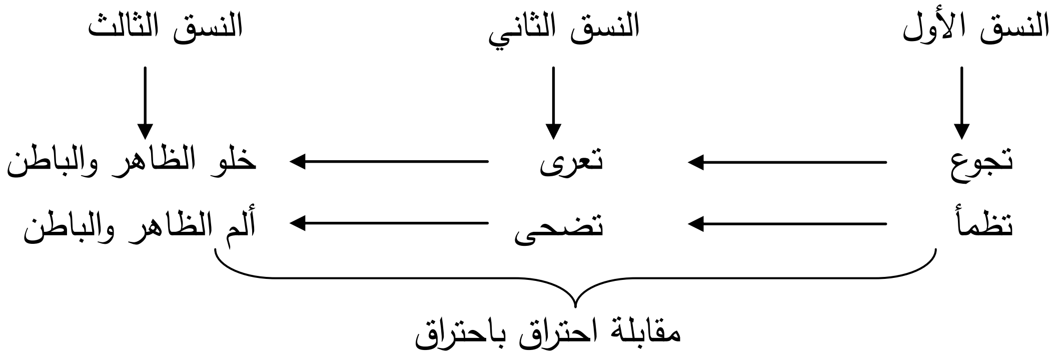

وتكشف لنا هذه التطبيقات أن أسلوب التقابل هو نوعٌ من أنواع المواجهة بين الأشياء، والمخالفة المعنوية التي تطرأ على اللفظ إزاء اللفظ الآخر داخل السياق التعبيري الواحد[٤]، بشكلٍ يحقق حضوراً متميزاً وهمينة أسلوبية تكشف عن الوظائف الدلالية وتستحضرها، وترسخها في الذهن.

ثالثاً : أنماطُ التقابل وتشكيلاته الأسلوبية :

فَرَضَ الدرس البلاغي نسقاً مألوفاً في تقسيم صور التقابل، والوقوف على نماذجه المتكررة، وقد تعامل مع آلية المقابلة وفق رؤية جديدة يُعتقد بنجاعتها؛ لأن التقسيم العددي إلى متقابلات ثنائية وثلاثية ورباعية قد يضعف الرؤية الأسلوبية،

---

(١) ينظر : فن البديع : ٥٢.

(٢) الكشّاف : ١٧٠/٣.

(٣) المكان نفسه.

(٤) ينظر : أساليب البديع في نهج البلاغة (أطروحة دكتوراه)، خالد كاظم حميدي الحميداوي، إشراف : أ.د. مشكور كاظم العوادي، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م، ص٩٧.

ويسلمنا إلى تفريعات لا طائل منها، ويقتضي هذا التقسيم الوقوف على عينات من الرصدِ للتعبير أظهرُ من سابقتها تكشف عن التعالق بين المعنى والمبنى في روائع من متقابلات السور والمشاهد القرآنية الكريمة منها :

١ - مُقابلة سورة بسورة تسبقها أو تليها :

قال تعالى في سورة الماعون(١) : **﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون : ١ - ٧].**

وقال تعالى في سورة الكوثر : **﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ [الكوثر : ١ - ٣].**

يكشف التحليل الدقيق لهاتين السورتين عن أنماطٍ فنية تقابلية تؤكد الانفتاح الدلالي والفني للنصوص القرآنية بوصفها ((حمالة لأوجهٍ معنوية عديدة تكمن في المسارات اللغوية والبنى الفنية))(٢)، وهذا يؤكد التعامل مع أساليب التعبير القرآني عامة، وأساليب التقابل منه خاصة بشكلٍ يثبت كل مرة أنه ينفتح على الذهن البشري في كُلِّ اتجاه على الصعيد الفكري والنفسي والاجتماعي والتاريخي والفقهي، وما إلى

---

(١) سورة مكية، عدد آياتها سبع، اسمها التوقيفي (سورة الماعون) سُميت بهِ في كثير من المصاحف وكتب التفسير، ووجه تسميتها بهذا الاسم وقوع لفظ (الماعون) في خاتمتها وقد اختصت هذه السورة بهذا اللفظ فلم يقع في سورة أُخرى من سور القرآن، والماعون : لفظٌ يُطلق على الإعانة بالمال، وقيل يمنعون الزكاة، وقيل يمنعون العارية، ويُطلق على ما يُستعان به على عمل البيت من آنية والآت طبخ وشد وحفر ونحو ذلك، مما لا خسارة على صاحبه في إعارته وإعطائه؛ ينظر : تفسير ابن كثير : مج٥، ج٨، ص٤٩٧؛ والتحرير والتنوير : ٦٨/٣٠؛ أما أسماؤها الاجتهادية فقد ورد عن بعض الصحابة تسميتها بـ (أرأيت الذي يكذب)؛ ينظر : الدر المنثور : ٦٤١/٨؛ وقال بعض المفسرين أنها سميت (سورة أرأيت) وقد عنون بها بعض المفسرين السورة؛ ينظر : جامع البيان : ٧٠٤/١٢؛ والكشاف : ٦٣٧/٤؛ والتحرير والتنوير : ٥٦٨/٣٠؛ وعنونت في بعض التفاسير باسم (سورة الدين) و(سورة اليتيم) و(سورة التكذيب) وجميع هذه الأسماء من اجتهاد العلماء استنبطوا منها الألفاظ دون الاستناد إلى حديث صحيح أو أثر مقبول؛ ينظر : اسماء سور القرآن وفضائلها : ٦٠٨؛ ينظر : نظم الدرر : ٢٧٥/٢٢.

(٢) التقابل الجمالي في النص القرآني : ٢٣٧.

ذلك من اتجاهاتٍ، فتتصاعدُ الصور الدلالية بين التراكيب عند تقابلها ((وكلما كثرت المتقابلات في الكلام كان أبلغ)) [1].

ونصُّ سورة الكوثر يتحركُ في صميم حياة الرسول الكريم ﷺ؛ لأنه لما مات القاسم بن رسول الله ﷺ ثم مات عبد الله، قال أعداؤه : قد انقطع نسله فهو أبتر؛ ذلك أن أهل الجاهلية كانوا يصفون من مات أولاده الذكور بـ (الأبتر) [2] أو

(الصُنبُور) [3]، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ **[الكوثر : ٣]**، بغض النظر عن شخصية قائلها للرسول ﷺ[4]، ((فإنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب))[5] والظاهر أنه انقطع نسلُ كل من كان مبغضاً لرسول الله ﷺ ((لأن كل

---

(١) خزانة الأدب (الحموي) : ٧١/١.

(٢) البتر في اللغة : استئصالُ الشيء قطعاً؛ ينظر : لسان العرب، مادة (بتر)، أما المفهوم الاصطلاحي فهو مناسبٌ للمعنى اللغوي ويُراد بهِ قطعُ الذِكْر أو النَسْل أو الأعقاب، وكل أمرٍ انقطع من الخير أثره؛ ينظر : أنوار التنزيل: ٦٠٦/٤، وعُدل عن المبتور إلى الأبتر؛ لأن الأبتر صفة دالة على الثبوت كالأسمر والأصلع والأعمى والأعور بخلاف المبتور الدالة على الحدوث فإنه قد يزول عنه هذا البتر؛ ينظر : روح المعاني : ٢٤٨/٣٠.

(٣) الصُنبور : الرجل الفردُ الضعيف الذليل بلا أهلٍ وعقب وناصر، إذا مات مات ذكرهُ؛ ينظر : القاموس المحيط : فصل الصاد، باب الراء، والكشاف : ٦٤١/٤.

(٤) اختلفت روايات المفسرين في سبب نزول هذه السورة، ونسبة صفة الشانئ فقيل : أنها نزلت في أبي لهبٍ، وقيل : أنها نزلت في أبي جهل، وقيل نزلت في العاص بن وائلٍ عندما قال : (إنَّ محمداً صُنبور، فشقَّ ذلك على رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه السورة)؛ ينظر : الكشاف : ٦٤١/٤؛ ونهاية الإيجاز : ٣٧٧ – ٣٧٨؛ وتفسير ابن كثير : مج٥، ج٨، ص٥٠٤.

(٥) على طريق التفسير البياني : ٧٥/١.

من يولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك، وذكرك مرفوعٌ على المنابر، وعلى لسانِ كل عالمٍ وذاكرٍ إلى آخر الدّهر))[(١)].

ابتدأت سورة الكوثر بنعمةٍ من نعم الله تعالى التي لا تُعدّ ولا تُحصى على حبيبنا المصطفى ﷺ في نسقٍ فني يدل على ((إنجاز ما وعد الله به رسوله في سورة الضحى[*])) [(٢)]، فجاءت لفظة الإعطاء المؤكدة بـ (إن) في قوله تعالى : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ) وفاءً بوعد لإعطاء في المستقبل المؤكد بـ (اللام) في قوله تعالى : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ فتركيز التناسب هنا بين عهدٍ قطع ووفاءٍ أُنجز، وجاءت الألفاظ مناسبة للمقام والحالِ الذي اقتضته السورة فبنى الفعل على المبتدأ للتأكيد والتقوي، وجوز أن يكون للتخصيص على بعض الأقوال السابقة، وفي تأكيد الجملة بـ (إن) مالا يخفى من الاعتناء بشأن الخبر[(٣)].

ولما كان الخطاب موجهاً من الله تعالى إلى رسوله الكريم ﷺ اقتضى التعبير إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم المعظِّم نفسه وتوكيده، وجعلهِ مُسنداً إلى الضمير المتقدم المؤكد بـ (إن) في قولهِ : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ)، لإفادة نفي قدرة أحدٍ على سلبِ هذا العطاء الكثير الذي خصه الله تعالى بنبيهِ الكريم ﷺ، زيادة على ((أن العطاء الكثير جداً يقتضي التوكيد دون العطاء القليل)) [(٤)] وقد فرّقَ العلماء بين (الإعطاء) و(الإتيان) فجعلوا الإيتاء أقوى من الإعطاء[(٥)]، بدليل قوله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ **[آل عمران : ٢٦]**، والتساؤل هنا لم عبَّر بلفظ الإعطاء وَعُدل عن لفظ الإتيان؟

---

(١) الكشاف : ٦٤١/٤.

* في قوله تعالى : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى : ٥].

(٢) على طريق التفسير البياني : ٧٦/١.

(٣) روح المعاني : ٢٤٦/٣٠.

(٤) على طريق التفسير البياني : ٧٧/١.

(٥) ينظر : الفروق اللغوية : ١٨٨ – ١٨٩؛ ودقائق الفروق اللغوية : ١٧٦.

أجاب الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تعليلاً لذلك : أنَّ النبي ﷺ وأمته يردون على الحوضِ ورود النازل على الماءِ، ويرتحلون إلى منازل العزِّ، والأنهار الجارية في الجنان، والحوض للنبي ﷺ وأمته عند عطش الأكباد قبل الوصول إلى المقام الكريم، فقال فيه (إنا أعطيناك)؛ لأنه يترك ذلك عن قُربٍ، وينتقل إلى ما هو أعظم منه[1].

وقد علل الدكتور فاضل صالح السامرائي مجيء التركيب التعبيري تعليلاً لغوياً منطقياً شاملاً؛ أكدَّ فيه أن الكلمتين متقاربتان لفظاً ومعنى واستعمالهما في العربية موافقٌ لبنائهما الصوتي، وأنهما يجتمعان في أمورٍ ويفترقان في أخرى نوجزها بالآتي[2] :

١- إن الإيتاء أوسع استعمالاً من الإعطاء، وهو يستعمل في الشيء العظيم؛ أما الإعطاء فإنه يستعمل في القليل والكثير.

٢- يستعمل الإيتاء فيما لا يحسن فيه الإعطاء.

٣- إنَّ الإعطاء يوجب التمليك دون الإيتاء.

٤- إنَّ الإيتاء قد يشملهُ النزع بخلاف الإعطاء فإنه تمليك.

٥- لما كان الإعطاء تمليكاً كان سبباً للاختصاص؛ أي : أن لصاحبه أن يتصرف فيه كما يشاء من إعطاءٍ أو إمساك.

وبذلك اجتمعت لرسولنا الكريم ﷺ ((الغبطتان السنيتان : إصابةُ أشرفِ عطاءٍ وأوفره من أكرمِ مُعطٍ، وأعظم منعم))[3] ومن دقائق التعبير القرآني في هذا الموضع مُقابلة التركيب اللغوي المُفتتح به في سورة (الكوثر) لما انتهت به السورة وهو لفظ (الأبتر)؛ لأن الإعطاء ضد المنعِ، والتكريم ضد الإهانة، والخيرُ ضد الشر، فالرسول الذي ملك الخير المطلق إلى درجةِ ((ما لا غايةَ لكثرتهِ من خير الدارين الذي لم يُعطه أحدٌ غيره، ومعطي ذلك كُلِّه إلهُ العالمين))[4] أكرمُ من أن يُنسى أو يُقطع، وإن ((من أبغضك من قومك لبغضهِ لك هو الأبتر الذي لا عقب له إذ لا يبقى منه نسْل

---

(١) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٨٥/٤ – ٨٦، نقلاً عن قولٍ للجوينيِّ.

(٢) ينظر : على طريق التفسير البياني : ٨٠/١.

(٣) الكشّاف : ٦٤١/١.

(٤) المكان نفسه.

ولا حُسن ذكرٍ، وأما أنت فيبقى ذريتك وحُسن صيتك وآثار فضلك إلى يوم القيامة، وذلك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف))[١]، فجاء مطلعُ السورة مُقابلاً دلالياً لخاتمتها، بدليل إسناد الإعطاء لله -تعالى- وإسناد البتر والمنع للشانئ المبغض، زيادةً على دلالة المعنى، فشكلت هذه المقابلة شعبة خفية من شُعب التضاد والتناسب الدلالي في التعبير القرآني.

وإذا ما قُوبلت هذه السورة مع ما تقدمها من سورة (الماعون) أُنتزع من خلال التحليل الأسلوبي مقابلات عديدة يكشف عنها السياقُ الذي يُستدل به على ضعف الإيمان ورخاوة العقيدة في الدين، وعقد اليقين، فقد اشتملت (سورة الماعون) على أغراضٍ ومقاصد أهمها : التعجب من حالِ من كذبوا بالبعثِ، وتفظيع أعمالهم من الاعتداء على الضعيف واحتقاره، والإمساك عن إطعام المسكين، أما خاتمتها فكانت في ذم المنافقين الغافلين عن صلاتهم، الذين لا يؤدونها في أوقاتها، ويُراءون الناس بأعمالهم، ويمنعون الماعون، وقد توعدت الفريقين بالويل والهلاك[٢].

أول ما يُلمح في التعابير القرآنية الواردة في هذه السورة، ابتداءُ السياق بالاستفهام الإنكاري التعجبي في قولهِ : (أرأيتَ)، ثم يجري على نمطٍ واحدٍ من الأفعال المذمومة (يكذب) و(يدعُ) و(لا يحضُ) ((فجُعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والإقدام على إيذاء الضعيف، يعني أنه لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشى الله تعالى وعقابه، ولم يقدم على ذلك)) [٣]، ويمكننا إيجاز أوصاف المنافقين التي وردت في هذه السورة بأربعة أمور :

أولها : البخل[٤] بدليل قوله تعالى : **﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون : ٢ – ٣].**

---

(١) أنوار التنزيل : ٦٠٦/٤.

(٢) ينظر : الكشّاف : ٦٣٧/٤، والتحرير والتنوير : ٥٦٤/٣٠.

(٣) الكشاف : ٦٣٧/٤.

(٤) يُقابل البخل بالجود، أما في الشرع فهو منعُ الجواب، ويُراد به منع الزكاة، وتتسع دائرة البخل لتشمل كل ما أمسك عنه الرجل من فضل الله سبحانه، والشح أبلغ في المنع من البخل؛ ينظر : الفروق اللغوية : ١٤٤؛ وبيان إعجاز القرآن: ٢٧.

الثاني : ترك الصلاة بدليل قوله تعالى : ﴿**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾ **[الماعون : ٤ – ٥]**.

الثالث : المُراءاة بدليل قوله تعالى : ﴿**الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ**﴾ **[الماعون : ٦]**.

الرابع : منع الزكاة بدليل قوله تعالى : ﴿**وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**﴾ **[الماعون : ٧]**.

وقد قُوبلت هذه الصفات المختصة بالمنافقين دلالياً بأربعِ صفاتٍ وردت في سياق سورة (الكوثر) تخص صفات المؤمنين نفصلها بالشكل الآتي :

صفات المنافقين	**مُقابل**	**صفات المؤمنين**
١- البخل	⟵	(الإعطاء) في قوله تعالى : ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ **[الكوثر: ١]**.
٢- ترك الصلاة	⟵	(الدوام على الصلاة) في قوله تعالى : ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ**﴾ **[الكوثر: ٢]**.
٣- المرُاءاة [رضا الناس]	⟵	(لربك) في قوله تعالى : ﴿**لربك**﴾ **[الكوثر: ٢]** [رضا الله]
٤- منع الزكاة	⟵	(الصدقة بلحوم الأضاحي) في قوله تعالى: ﴿**وأنحر**﴾ **[الكوثر: ٢]**.

ومن بديع المقابلات في هذه السورة مُقابلة التكذيب بالدين الوارد في مُفتتح سورة (الماعون) بـ (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر)؛ ((ذلك لأن من أشهر معاني الكوثر أنه نهرٌ في الجنة كما ورد في الحديث الصحيح وهذا يقتضي الإيمان بيوم الدين))[1]، فيضاف إلى ما سبق من الصفات المتقابلة بين المنافقين والمؤمنين :

	مقابل	
٥- التكذيب بيوم الدين	⟵	التصديق بيوم الدين.

(١) على طريق التفسير البياني : ٧٦/١.

ومن المناسب هنا بيان أن دائرة التقابل في القرآن الكريم اتسعت لتشمل كل ما يوقع الألفاظ في سياق واحد فيغاير بينها؛ لمزيةٍ تكمن في المعاني الدقيقة لكُلِّ لفظٍ، قال تعالى : ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ **[آل عمران: ١٢٠]**.

فذكرُ المسِّ مع الحسنة والإصابة مع السيئة؛ للإيذان بأنَّ مدار مساءتهم أدنى مراتب إصابة الحسنة وهي المسّ، أي : لو مسّتهم مسّاً لاستاؤوا لذلك، ومناطُ فرحهم تمام إصابة السيئة[١]، فجاء التعبير بالإصابة مع السيئة كشفاً للظلال التي تنطوي عليها سريرة اليهود في بغضهم المؤمنين، ولولا هذا التفريق في الدلالة الوارد في سياق النص القرآني لما أدت المقابلة أثرها الأسلوبي[٢]، ((فقد تكون للسياق الذي ترد فيه الآية سمة تعبيرية خاصة فتتردد فيه ألفاظ بحسب تلك السمة))[٣].

مما سبق نخلص إلى أن السياق هو المعيار الأساسي الذي يُحدد قيمة الألفاظ ودلالتها وأصول ورودها في التركيب والتشكيل الذي ترد فيه.

---

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٧٧/٢.

(٢) ينظر على سبيل المثال : سورة النمل : من الآية ٣٧، وسورة النساء : من الآية ٧٨، وسورة التوبة : ٥٠.

(٣) التعبير القرآني : ٢٣٧.

٢- مُقابلة فاتحة السورة وخاتمتها :

قال تعالى في مفتتح سورة (المؤمنون): ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:١].

وقال تعالى في خاتمتها : ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون : ١١٧].

لو ألقينا نظرة على الآيتين الأولى والآية السابعة عشرة بعد المئة من سورة المؤمنون؛ لوجدناهما متناسبتين مع الأفكار المتضمنة وخصائصها الدقيقة، ولوجدنا تنوعاً مُقابلاً لتنوع الدلالة فيهما، فقد أفتُتح التعبير القرآني الأول ببشارة المؤمنين وإثباتِ ما كانوا يتوقعون ((وهي الإخبار بثبات الفلاح لهم، فخُوطبوا بما دلَّ على ثبات ما توقعوه والفلاح والظفرِ بالمرادِ)) [١].

ولا شك في أن حرف التوقع (قد) أفاد إثبات المتوقع وتقريب الماضي من الحال، وهذا يناقضُ (لما) النافية للمتوقع[٢]، أما التعبير الثاني في قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ فقد أكد نفي الفلاح للكافرين بـ (إنَّ)؛ فهو يصفهم بعدم الفلاح بحسبِ ما يقتضيه السياق؛ لأنهم ((خسروا أثمن شيء وهو أنفسهم فمن أين يأتيهم الفلاح؟))[٣]، فجعل الفلاح مُقابلاً دلالياً لعدمِهِ، ونَسَبَه للمؤمنين نقيض الكافرين، ووضع (الكافرون) موضع ضميره؛ تنبيهاً على كفره وتعميماً للحكم، فصار أول السورة وآخرها مفهماً لأن الفلاح مختص به المؤمنون)) [٤] فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة ((وعلينا أن نلتقط الدرس التربوي الوارد في ظلال السورة، ولا نتأثر بها منفصلة عن سياقها العام))[٥]؛ لذا أحاط أسلوب التقابل بالأبعاد النفسية في أدق حالاتها وحركاتها المتناقضة.

---

(١) الكشّاف : ٢٤٠/٣.

(٢) ينظر : نظم الدرر : ١٠٥/١٣.

(٣) على طريق التفسير البياني : ٢١٧/١.

(٤) نظم الدرر : ١٩٩/١٣.

(٥) دراسات قرآنية : ٤٩٨.

٣- المقابلة المطلقة في السورة الواحدة :

ثمّة شكل من أشكالِ المقابلة يرتبط بمستويات التحليل الأسلوبي الضمني، داخل سياق السورة الواحدة، فتظهر فاعليتها في بيان الفروق الدقيقة بين مواقع الوحدات اللغوية ودلالتها، وإبراز صفات السلب والإيجاب، والموازنة بينهما من خلال التركيز على وجود علاقات ترابطية بين هذه الوحدات؛ لتشكل عاملاً من عوامل الإسناد الضدي الدلالي، بتضمنها صور التقابل الحركي أو الفعلي المعاكس، وحالات الصراع النفسي والمعنوي والذهني، والقرائن المعنوية الدالة على ذلك.

هذا هو أسلوب القرآن الكريم حين ((يضع المتأمل في آياته في حالة وسطى بين الخوف –مثلاً– من عذاب الله تعالى، ورجاء رحمتهِ وعفوه))[(١)]، وبذلك يُربي النفس البشرية تربيةً تضع الإنسان في مستوى العبودية الدائمة والخضوع والاستسلام تشده الرغبة والرهبة في آن واحد.

وقد أطلق البحث تسمية (المقابلة المطلقة)؛ لإفادة معنى التقابل الشمولي الحاصل بالأفعال والأسماء والحروف، والأحداث والمشاهد المعبرة عن سلسلة متوالية لا تفهم إلاَّ بترشيح السياق كقرينة دالة، ومن بدائع المقابلات المطلقة في التعبير القرآني :

أ- التقابل التصويري/مقابلة حركة السَوق الجماعي :

للحدثِ في التعبير القرآني دلالات سياقية متواصلة ومتداخلة تتناسب مع الزمنِ الحركي للصيغة التي يرد فيها، فيشكل بذلك محور اهتمام أساسي قائم على الترتيب ليُفصح عن مشاهد تقابلية إعجازية، تتناولُ القصة بريشةِ التصوير المبدعة، فتظهرُ جميعُ المواقف والأحداثِ المعروضةِ مُطلقة متكاملة، فتستحيلُ بذلك حادثاً يقعُ ومشهداً يجري وقصة تُرى، تهدف إلى الكشفِ عن مغزى أو عبرة أو موعظة يتضمنها السياق، مما يؤكد الارتباط التفاعلي بين مجريات الحدثِ والزمن الذي تقع فيه بدلالة القرائن السياقية اللفظية والمعنوية، فقد يخضع الحدث في القصص القرآني للتعاقب الزمني في استعراض المشاهدِ فيخلق نوعاً من التقابل التصويري ((بما فيه

---

(١) ينظر : من روائع القرآن : ٢١٢.

من تقديمٍ وتأخيرٍ ومفاجأةٍ وسرعةٍ، أوقعُ في الحس من الجهةِ الدينية؛ وهو كذلك أشد إحياءً للمنظر من الجهةِ الفنية))[1]، مما يحفز المشاهد القرآنية على قطعِ مسارٍ زمنيٍ تتواشج فيه الأحداث فتشكل نسيجاً يُبنى فيه اللاحق على المتقدم في نسقٍ بنائي فني متكامل.

ومن أروع مشاهد التصوير بالتقابل ما جاء في وصف أهل النارِ في قوله تعالى : [illegible] [الزمر: ٧١].

ونظيرتها في أهل الجنة في قوله تعالى : [illegible] [الزمر: ٧٣].

يكشف السياق القرآني في الآيتين عن مشهدين غيبيين عميقين غابت دقائقهما وخفيت ملامحهما عن ذهن المتلقي لقصور حواسهِ المادية عن الإدراك، إذا جاء التركيز والاهتمام منصباً على المفعولِ به وهو (الذين كفروا) و(الذين آمنوا) لتصدير التعبيرين بصيغةِ الفعلِ المبني للمجهول (سِيق) الذي يتناسبُ مع دلالة الوصول إلى الحركةِ المجهولةِ وتصويرها في زمنٍ لم يُدرك بعد، فضلاً عن إبراز

(١) مشاهد القيامة في القرآن : ٦٨.

الحالة النفسية الانفعالية المصاحبة للحدث مما يُتيح إمكانية جعل ((بعض العناصر (الغائبة) في مشاهد القيامة شديدة الحضور في ذهن المتلقي إلى درجةٍ يمكننا عدَّها عناصر (حاضرة)))[١]، فغيابُ عنصر الفاعلِ إجراءٌ أسلوبي حقق عدولاً في البناء النحوي بمقتضى السياق التقابلي الذي تبرزه مادة الفعلِ المتكررةِ، علماً أن حذفه جاء لدواعٍ يقتضيها المقام من العلم بهِ أو تعظيم شأنهِ، تنزيهاً وصيانةً وحفظاً، أو للاختصار أو التنبيهِ على أن الزمان يتقاصر على الإتيان بالمحذوفِ أو أن الاشتغال بذكرهِ يفضي إلى تفويت المهم[٢]، ولا سيّما أنه معلوم من السياق واضحٌ في الأذهان، وهذا ما أكدتهُ الدكتورة عائشة عبد الرحمن في رؤيتها البلاغية المستنبطة من أن القرآن الكريم كثيراً ما يستغني عن الفاعلِ ببناء الفعل للمجهولِ، أو بالاسناد المجازي، أو بالمطاوعة، ولا سيّما في عرضِ المشاهدِ المسوقةِ لتصوير القيامةِ وأهوالها، وقد حاولت الدكتورة توجيه هذه النظرة بيانياً بقولها : ((فبناء الفعل للمجهول : فيه تركيز الاهتمام على الحدثِ، بصرفِ النظرِ عن مُحدثهِ))[٣]، وهذا يستلزم مراعاة القصد في اللفظ والوفاء بالمعنى على أتمَّ وأكمل وجه، فالتعبير القرآني يستثمرُ أقل الألفاظِ في أكثر المعاني دلالةً على المعنى المقصود.

إن تلقي كينونة الحدث التقابلي بمعناه العميق، يدفع بالنظرِ إلى التدبر والتأملِ في ما انطوى عليه المشهد من أحداثٍ زمنية متتابعةٍ جارية مع السياقِ في انتظامٍ وتوافق لفظي ومعنوي، حين تبدأ حركة السوقِ الجماعي باتجاهين متوازيين مختلفين يجسدان أطراف التقابل، وشتان بين السَّوْقَين.

أضفى التتابع في نسق تقابل الأحداث، أداءً خاصّاً مثَّلهُ إدخالِ (واو الجمع) على جواب (حتى إذا) في آية أهل الجنة، ونزعها منه في آية أهل النار، وفي هذا الموضعِ سرُّ بلاغي اختلف علماء النحو والتفسير في تعليلهِ[٤]، إلاَّ أن أقربَ الأقوال

(١) التصوير المجازي، أنماطه ودلالاته : ١٧١.

(٢) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ١/١٩٦.

(٣) الإعجاز البياني للقرآن : ٢٢٤.

(٤) ذهب (سيبويه) (ت ١٨٠هـ) إلى : ((إن العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم، لعلم المجيز لأي شيء وضع هذا الكلام))، مُنكراً من عدّ حرف (الواو) في قوله تعالى ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ ، زائداً، وأن الاستدلال بالقياس

إلى الحقيقة والانسجام مع السياق القرآني ما ذهب إليه البصريون في إثبات أن الواو هُنا ليست (واو الثمانية)[1] ولا (واو) الزيادة؛ لأن القول بزيادة الواو أمرٌ ((لا يثبتهُ البصريون؛ لكنهُ عندنا على حذفِ الجوابِ، أي حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها كذا وكذا صدقوا وعدهم، وطابت نفوسهم، ونحو ذلك مما يُقال في مثل هذا))[2]، وهذا يؤكد أن مجيء حرف (الواو) لمعنى مقصود يقتضيهِ السياق، فالتعبير القرآني نظامٌ متماسكٌ متكامل ليس فيه زيادة ولا حشو، مما يعني أن دلالة (الواو) في قولهِ تعالى : ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾، هو الحال[3]، أي : أن أبوابَ الجنةِ مُفتّحةً قبل مجيء المؤمنين إليها، حتى إذا جاؤوها وهي مفتّحة الأبواب، فهذه حالها؛ لأن ((العادة أيضاً أن يُكْرَم المنعمون بفتح الأبوابِ قبل وصولهم إليها))[4]، بدليل قوله تعال : ﴿[illegible]﴾[ص:٤٩–٥٠]، فدّل وجود (الواو) على حذف جواب الشرطِ (إذا)، لِما في الحذفِ من ((دلالةٍ على أنه شيءٌ لا يحيط به الوصف

على نظيراتها باطلٌ؛ لما في ذلك من إهمال السياق للمعنى ، ينظر : الكتاب : ٣ / ١٠٣، أما الفرَّاء (ت ٢٠٧هـ) فذهب إلى أن العربَ تُدخل الواو في جواب (لما)، و(حتى إذا) وتلقيها، فمن ذلك قوله الله : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ وفي موضع آخر : (وفُتحت)، وكُلٌّ صواب، وعلى هذا القول جمهور الكوفيين، ينظر : معاني القرآن (الفرّاء) : ١٠٧/١ و٢٣٨، والإنصاف في مسائل الخلاف : ٣٦٦.

(١) قيل سميت (واو الثمانية)؛ لأن العرب جرت على عادة في العدِّ فلا تعطف الثمانية إلاَّ بالواو، فتقول : واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، وثمانية، وبناءً على ذلك، فلما كانت أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة، أُدخلت الواو في آية أهل الجنة، ونُزعت من آية أهل النار، إلاَ أن هذا القول ضعف من قبل الكثيرين، فلا دليل عليه، ولا تعرفهُ العرب، ولا أئمة العربية، وإنما هو أستنباطُ بعض المناظرين، ينظر : بدائع الفوائد : ٦٦٤/٢، و ٩١٥/٣.

(٢) هذا القول لابن جني حين أيد رأي البصريين في أن (الواو) شأنها شأن جميع الحروف، ومجيئها دون معناها يوجب اللبس؛ لذا لا يصح القول بزيادتها، الخصائص : ٢ / ٤٦٤.

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٣ / ١٨٩.

(٤) نظرات لغوية في القرآن الكريم : ٢٥٧.

أو لتذهب نفس السامع كل مذهبٍ ممكن))[١]، فاللغة نفسها عاجزة عن وصفِ الجنةِ، لقول الله –عزَّ وجلّ– في الحديث القدسي عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((قال الله : أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلبِ بشر، فاقرؤوا إنْ شئتم فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قُرَّة أعينٍ))[٢]، وقد أثبت هذا الرأي الدكتور فاضل صالح السامرائي في تعليلهِ لحذفِ جواب الشرط هنا، مؤكداً أن في ذلك إشارة خفية إلى أن اللغة نفسها لا يمكنها وصف ما في الجنة من نعيم[٣].

أما مجيء الجواب في آية الكافرين غير مقترن بالواو؛ فللدلالة على أن النارَ مُغلّقة مؤصدة في الأصلِ، حتى تستعر وتشتد حرارتها[٤]، لا تُفتح أبوابها إلاَّ بعد مجيء أهلها الذين طال وقوفهم وانتظارهم، وهذا أنكى لهم، ودليل ذلك قوله تعالى:
﴿❍⧅❐✱❐☙❀❐❒ ☠✍❀⬀❸■⊡♦⬉ ✎✍❀⚆◎✌⬥❒ ⬪⧅⬅
✗⧅❼ ⬋☒⬅♦⑨⌨ ✌⑩⊙⧅⑨●⑩⧅❐◎﴾ [الهُمَزَة: ٨– ٩]؛ ((لأن من العادة أن يُهان المعذبون بالسجون، فَتُغْلَقَ حتى يأتوها))[٥].

مما سَبق يتأكد أن ذكر (الواو) في آيةِ أهل الجنةِ أدى دلالة مقصودة لا يتم المعنى بدونها، وبذلك ناسب حذفها في موضع أهل النارِ للغرضِ نفسهِ، فكل من الذكرِ والحذفِ جاء مُناسباً للسياق الواردِ فيهِ، مما يؤكد وجوب النفي بالقولِ إنها زائدة، كما ناسبت لفظةُ (السوق) الحدثين؛ لأن المشهد تصوير لحركةٍ جماعية (زُمراً)، تظهر شدةِ هول هذا الموقفِ على الملأ.

---

(١) الإيضاح : ١٤٦.

(٢) حديث قدسي رواه الشيخان عن أبي هريرة ﷺ، ينظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة أنها مخلوقة حديث رقم (٣٢٤٤)، ص ٥٣٠، وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، حديث رقم (٢٨٢٤)، ص٧١٧.

(٣) ينظر : معاني النحو : ٤/٨٤–٨٥.

(٤) ينظر : نظرات لغوية في القرآن الكريم : ٢٥٦.

(٥) نظرات لغوية في القرآن الكريم : ٢٥٦ – ٢٥٧.

فالسياقُ هو المعيار لتحديد قيمة الكلمة وأحوالِ ورودها في التركيبِ وفي ضوءِ ذلك تبرز الوقفات الإعجازية للتعبير القرآني، لما تضفيهِ رابطة التقابل من قوةٍ وتناسب لفظي ومعنوي لتُشكل أساساً للفصل بين المعاني، فالقضية إذاً ليست جمع بين متضادين وحسب؛ بل قضية بناء دلالي تبرز فيه المعاني وتتجلى في صورةٍ تعبيرية تكون أقرب رسوخاً في الذهن، وأمكنُ وصولاً إلى المعنى الحقيقي المطلوب، وبهذا نتأكد أن أسلوب المقابلة مبنيٌ على التنظيم للمعاني المتوافقة مع ما يُنظارها من المعاني الأُخر المُضادة لها.

ب- مقابلة المستقبل الغيبي بالماضي اليقيني :

قال تعالى في سورة مريم: **﴿وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً﴾** **[مريم:٦٦]**.

ويأتي الردُّ حاسماً على الاستفهام الاستنكاري، واستبعاد البعث في هذا التعبير، بالآية التي تليها مباشرةً في قوله تعالى : **﴿أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئاً﴾** **[مريم : ٦٧]**، فقوبل بين أزمنة مختلفة واستحضر التأكيد فيها؛ لإزالة الشك باليقين وفقاً للترتيب الزمني الممثل بالشكل الآتي :

الزمن المستقبل الغيبي	يقابل	الزمن الماضي اليقيني
١- ويقول الإنسان	⟵	أولا يذكر الإنسان
	يقابل	
٢- أئذا ما مت	⟵	إنّا خلقناه
٣- ولسوف	⟵	من قبلُ
٤- أُخرج حيّا	⟵	ولم يك شيئاً

ج- التقابل المجازي المُدمج بالتكافؤ[١] :

---

(١) الإدماج في اللغةِ : إدخال شيءٍ في شيءٍ آخر، تقول أدمجتُ طرف الثوب، إذا لففت بعضه على بعضٍ فأخفيتُ المهتري، وجعلتُ له طرفاً سليماً، ينظر: لسان العرب : مادة (دَمَجَ)، أما الإدماج بمفهوم أرباب البلاغة الاصطلاحي

يلاحظ في هذا الشكل من أشكال المقابلة دمجُ غرضٍ أو بديعٍ في بديع حيثُ لا يظهر إلاّ أحد الغرضين، وقد ورد هذا اللون التقابلي في مواضع من النص القرآني الكريم نذكر منها :

١- دمجُ التكافؤ في المقابلة في قوله تعالى : تأمل قوله تعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ**﴾ **[البقرة : ٢٦-٢٧]**.

المتأمل في هذا التعبير يجد أن الألفاظ المتقابلة مجازية المعنى، جاءت على ((سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال))(١) الذي وجهه الكفرة بقولهم: أما يستحي ربُّ محمد أن يضرب مثلاً بالذباب، فقوبل بين (الذين آمنوا) و(الذين كفروا) وبين (يضل به كثيراً) و(يهدي به كثيراً)؛ ولأن (يضل) و(يهدي) مجازيان، فإن التكافؤ هنا مدمجٌ في المقابلة، فبيّن التعبير أن فريقاً يضل به وآخر يهدي، ولم يبين من المهدي ومن المضل.

ويرد التكافؤ متقابلاً في الآية الثانية من قوله تعالى : ﴿**يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ**﴾ **[البقرة : ٢٧]**، حيث قابل بين النقض والتوثقة، والقطع والوصل، وهذه كلها أركان مجازية؛ ((فالنقض لا يكون إلاّ في المركبات الحسية، وكذلك التوثقة، والقطع لا يكون إلاّ في المتماسك الحسي، وقد أُستعمل هنا مُراداً به الترك، والوصل صنو القطع))(٢) جيء به هنا لغرض معنوي دلالته الإتيان والفعل، والفائدة في العدول عن اللفظ الحقيقي إلى المجاز من وجهة نظر الدارسين

هو : إدخال غرض بلاغي في غرضٍ آخر أو بديعٍ في بديعٍ حيثُ لا يظهر إلاّ أحدُ الغرضين، أما التكافؤ فالمقصود به أن تكون أركان المقابلة مجازية، ينظر: خصائص التعبير القرآني، ٤٥٨/٢-٤٦٠.

(١) الكشاف : ١٠٧/١، وينظر : هامش رقم (٣)، ص٢٤٥ من الرسالة.

(٢) خصائص التعبير القرآني : ٤٥٩/٢.

تظهر في تحقيق الإيجاز في الكلام، وإثراء الرصيد اللغوي بكثافة لالية واقترانه العرفي بين اللفظ ومعناه المجازي؛ زيادة على دلالته الحقيقية(١).

٢- وقد يأتي أسلوب التقابل ممزوجاً بلون بلاغي آخر فيطلق عليه حينئذٍ مصطلح (الافتنان)(٢)، ومن شواهده التطبيقية في التعبير القرآني قوله تعالى(٣) : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾[مريم : ٧١-٧٢]. جاءت هذه الآية مقارنة بين مصيري المتقين والظالمين يوم القيامة وجمعت بين متضادين هما : (الوعد والوعيد) و(التبشير والتحذير) فكشفت عن ((جميع الأشكال المجازية التي تكمن خلفها بواعث تتصل بالعلاقات القائمة بين المعنى الحرفي والمجازي))(٤) ولهذه الحقيقة الدلالية التقابلية أثر بالغ في الأسلوب فهي تكمن وراء أي نوع من أنواع الصورة وتجعل لها أهمية في الدراسات النقدية والأسلوبية.

من خلال ما سبق ذكره من أمثلة تقابلية في التفسير القرآني يتأكد أن أسلوب المقابلة يسمو فوق ما عدّه البلاغيون حسناً تبعياً إلى الدلالة الذاتية؛ لأنه يقتضي الإقرار بسلطة السياق مع تحقيق المناسبة، أو الملاءمة (المعيارية) بين الأسلوب والمقام(٥)، فهو مظهر من مظاهر إعجاز القرآن، يجري على نسقٍ مؤكد الأطراف، بعيداً عن التكلف والإسراف، وبأدق الألفاظ وأشرف المعاني.

---

(١) ينظر : علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي / ٢٣٦.

(٢) هو لون من ألوان البديع يُراد به افتنان المتكلم، فيأتي في كلامه بفنين متضادين، أو مختلفين، أو متفقين، ينظر : البلاغة العربية (الميداني) : ٤٧٥/٢، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٢٦٣/١.

(٣) ينظر على سبيل المثال قوله تعالى في سورة الرحمن : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن : ٢٦-٢٧] جمعت الآيتان التعزية والفخر.

(٤) علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته : ٢٧٣.

(٥) ينظر : البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي : ٤٩.

المبحث الثالث : مراعاة النظير وتشابه الأطراف :

انطلاقاً من آلية تناسب المعاني في الكلام الواحد باجتماعها وتآلفها على أساس الجمع بين الألفاظ المتناسبة لا على سبيل التضاد، تأسس مفهوم مراعاة النظير، والظاهر أن هذا المصطلح شهد تنازعاً شديداً في الدرس البلاغي على المستوى الشكلي، حيث يتشابك أو يتفرع بالمعنى الدقيق إلى مسمّيات متعددة منها (التناسب)، (الائتلاف)، (المؤاخاة)، (التوفيق)، (التلفيق)، (التفويت)، و(إيهام التناسب) على نحو ما شاعَ في مصنفات القرنين السابع والثامن الهجريين وما بعدهما، وترجع هذه المصطلحات في مجملها إلى فكرة مراعاة النظير التي تقوم على أساس جمع أمر مع ما يناسبه، وإخراجه متآلفاً من دائرة التضاد[١]؛ لعدم استيفاء دلالة المصطلح لمعنى المطابقة[٢]، فهو عكس الطباق الذي يرتكز على أساس الجمع بين لفظٍ متضاد وآخر، وعكس المقابلة التي تقوم على تحقيق التناسب بين معنيين متضادين أو أكثر، بحيث يفيد النص المتناظر من الطاقات التعبيرية التي يفرضها الجمع المترابط ما بين بناء الجملة السابقة والجملة اللاحقة وفقاً لعلاقات تربط أجزاء القول وتحكم أواصره وتنسق معانيه، فلم يكن غريباً أن يطلق الإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) على بعض أقسام القول (مراعاة النظير)؛ وهو ((عبارة عن جمع الأمور المتناسبة))[٣]، وأن يدخله السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، والقزويني (ت ٧٣٩هـ)، والحموي (ت٨٣٧هـ) وشرّاح التلخيص في المحسنات المعنوية[٤]، فصِّيغ المصطلح ملائماً لبنية التناسب التي تمثل الدعامة الأولى لبروز أثره الأسلوبي، متخذاً بذلك شكلاً لفظياً وآخر معنوياً يجتمع تحت مظلة يبتدئ المتكلم فيها بمعنى، ثم يتم كلامه بما يناسبه معنىً مشابهاً له ومكملاً، فيكون الجمع مطلقاً سواءٌ في الأول أو في الوسط أو في الآخر.

---

(١) ينظر : تحرير التحبير : ٥٢٠/٤، وبديع القرآن : ٢/ ٢٢٩، والإيضاح : ٢٦٠، وخزانة الأدب : ١١٢، وأنوار الربيع : ٣ / ١١٩.

(٢) ينظر : البديع وفنونه : ١٧٩.

(٣) نهاية الإيجاز ودراية الإعجاز : ١٧٥.

(٤) ينظر : مفتاح العلوم : ٥٣٤، والإيضاح : ٢٦٠، وخزانة الأدب : ١٦٤/١.

وقد عرفه السيوطي (ت ٩١١هـ) تعريفاً يقرّبه من مادته اللغوية إذ يقول : ((أن تكون الألفاظ يلائم بعضها بعضاً، بأن يُقرن الغريب بمثلِهِ والمتداول بمثله رعايةً لحسن الجوار والمناسبة))[(١)]، مما يؤكد أن نظير الشيء : مثله ومشابهه ومتممه[(٢)]، كما إن التقارب بين هذه الأمور أمر أساسي في كل كلام، سواء كان شعراً أم نثراً، والالتزام بهذه القاعدة في عملية الجمع المترابط تتطلب وعياً دقيقاً وإدراكاً عالياً بمستويات الأداء اللغوي؛ لتحقيق معادلة الانسجام والتناسب في اللفظ والمعنى؛ لأنها العنصر الأساسي في مكونات البلاغة.

وقد تعهد البلاغيون هذا اللون البديعي بالتعريف والتوضيح، فأولوه اهتماماً كبيراً ظهر في تعدد تسمّياته التي يتردد صداها في كتب البلاغة والنقد والأدب، وكثرة تطبيقاته وشواهدِهِ، واستقرت التسمية في شكلها الأخير على مصطلح (مراعاة النظير)، متخذاً أشكالاً متعددة تبدو واضحة في فهمهم لهذه المصطلحات على النحو الذي يمكن إجماله بالآتي :

أولاً : ائتلاف اللفظ مع اللفظ :

ومن أبرز تطبيقاته في التعبير القرآني ما جاء في :

١- سورة التوبة، قال تعالى : [illegible] [التوبة: ٣٤].

تقوم الصورة القرآنية على أساس الجمع بين الأمور المتناسبة، مما يُهيئ الجو النفسي لتقبل اجتماع لفظي (الذهب) و(الفضة)، بشكلٍ متوالٍ سريع؛ للدلالة على نقدين متناسبين تقترن دلالتهما الحسية في الأذهان، مُشكِّلةً مُجاورةً وتوافقاً معنوياً ملحوظاً، لا على سبيل التضاد أو التناقض؛ بل تحقيقاً ومراعاةً للألفاظ المتقاربة المقترنة النظيرة لبعضها، ((فالذهب والفضة متناسبان لتقارنهما في الخيال، وكونهما

---

(١) الإتقان في علوم القرآن : ٨٨/٢.

(٢) ينظر : لسان العرب : مادة (نَظَرَ).

النقدين الأساسيين في التعامل، ومن طبيعة النفوس اقتناؤهما))[١]، والإقتران بين اللفظين مألوف متلائم، ساعد وضع التناسب بينهما على تحقيق انسيابية السياق القرآني وتماسكه اللفظي والمعنوي، ومما يؤكد هذا المعنى أنه لو عُدِلَ عن لفظ (الفضة) المُقارب للفظ (الذهب) في الآية، وأعادَ توزيع الألفاظ بالوقوف على (الذهب) فقط، مُفسراً إياها بدلالة (الأموال)، لأصبح المعنى سطحياً بعيداً عن مقصود التعبير القرآني المعجز، رغم ورود لفظ (الأموال) في أثني عشر موضع متفرق من سورة التوبة[٢]،وقد علل الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) تخصيص هذين اللفظين بالذكر من بين سائر الأموال بقولهِ : ((لأنهما قانون التموُّل وأثمان الأشياء، ولا يكنزهما إلاَّ من فضلا عن حاجته، ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر أجناس المال، فكان ذكر كنزهما دليلاً على ما سواهما))[٣]، فقد جاءت هذه الألفاظ مُفصلةً للهدف العام الذي أكدت عليه السورة في ((تحرير الإنسان وتخليصه من قيد الشهوات والشبهات اللتين تسلبانه وتجردانه من إنسانيتهِ وإرادته))[٤]؛ لذا أستعان الأداء القرآني بألفاظ متناسبة استعاضةً عن اللفظ المفرد، لتوسيع مساحة الأداء الدلالي في الآية، ومنحها قدرة خطابية لم تتوفر في سواها، زيادةً على مناسبتها الدلالية لصيغة الفعل المقترن بها (يكنزون)، وما يتضمنه من دلالة زمنية طويلة ((بجعل المال بعضه على بعض وحفظه، وأصله من كنزتُ التمر في الوعاءِ))[٥]، وبما أن العملة المعهودة عند العرب قديماً هي الذهب والفضة فقد ناسب ذكرهما مع دلالة الفعل؛ لأنهما لا يصدآن عند الحفظ لفترة طويلة، ومن اللافت أيضاً ارتباط دلالة هذه الألفاظ بذكر الأحبار والرهبان في أول الآية؛ ((للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم أخذ البراطيل، وكنز الأموال والضَنَ ِ بها عن الإنفاق في

---

(١) البديع في ضوء أساليب القرآن : ٣٩.

(٢) ذُكر لفظ الأموال في سورة التوبة مُقترناً بالأولاد مرة، وبالأنفس مرة أخرى في الآيات : ٢٠، ٢٤، ٣٤، ٤١، ٤٤، ٥٥، ٦٩، ٨١، ٨٥، ٨٨، ١٠٣، ١١١.

(٣) الكشّاف : ٢ / ٢٩٦.

(٤) تجليات الدلالة الإيحائية : ٦.

(٥) المفردات في غريب القرآن : ٤٤٤.

سبيل الخير))[1]، فكانوا أولى الناس بالبعد عن زخارف الدنيا ومباهجها وكنزها، وارتباطها بالآية التي بعدها في قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾

[التوبة:٣٥]، أي : يوم تحمَى النارً عليها، فلما حذفت النار قيل: يُحمى عليها؛ لانتقال الإسناد عن النار إلى الجار والمجرور[2]، فكل ما كُنز بترك الإنفاق في سبيل الله، ومنع الزكاة، فهو كَيٌّ بدليل قول رسولنا الكريم ﷺ : ((من تركَ صفراء أو بيضاء كُويَ بها)) وقوله ﷺ : ((لا توكي، فيُوكى عليك))[3]، وقوله ﷺ : ((من أتاه الله مالاً فلم يؤت زكاته، مُثّلَ لهُ مالهُ يوم القيامة شجاعاً أقرع لهُ زبيبتان، يطوّقهُ، ثم يأخذ بلهزمتيه، ثم يقول : أنا مالك، أنا كنزك))[4].

٢- سورة المائدة : قال تعالى : ﴿ [illegible] ﴾

[المائدة:٢].

جمع التعبير القرآني أموراً متناسبة تتصل بالبيت الحرام والحج والنسك، في أسلوب مرتكز على التلاؤم؛ لأن الألفاظ المجموعة والمرتبطة بنظيرها من وادٍ واحدٍ

---

(١) الكشّاف : ٢ / ٢٩٥.

(٢) ينظر : الكشاف : ٢ / ٢٩٦.

(٣) حديث صدقة بن الفضل، عن فاطمة ﷺ، عن أسماء، وروي عن عثمان بن شيبة عن عبدة قوله ﷺ : ((لا تحصي، فيحصي الله عليك))، صحيح البخاري : كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، حديث رقم (١٤٣٣)، ص٢٣٧، ومعنى صفراء أو بيضاء : ذهباً أو فضة، ينظر : الكشّاف : ٢٩٥/٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب منع الزكاة، حديث رقم (١٤٠٣)، ص٢٣٢، ومعنى لهزمتيه : شدقيه.

في التداول والاستعمال، لم تأتِ فيها لفظة غريبة تفتقر إلى مجاورة ما يشاكلها، وفقاً لنظام قائم على الترتيب في النظم، فالشهر الحرام، والهدي، والقلائد من لوزام الحج.

٣- قوله تعالى في سورة الرحمن : ﴿ ✂︎☞♏︎⌧⧫▢ ✂︎☞♏︎⌧⧫▢ ﴾ [الرحمن: ٥].

وقوله تعالى في السورة نفسها : ﴿ ✂︎☞♏︎⌧⧫▢ ✂︎☞♏︎⌧⧫▢ ﴾ [الرحمن: ٢٢].

جمع التعبير القرآني في الآية الخامسة من سورة (الرحمن) بين نعمتين من نعم الله بعد أن عَدّد الحق –سبحانه وتعالى– الآءه، فبدأ بتقديم الأسبق قدماً والأعلى مرتبة في السبق الإلهي ((وهو سنام الكتب السماوية، ومصداقها، والعيارُ عليها))(١)، ومن جملة النعم خلق الشمس والقمر يجريان بحسابٍ معلومٍ وتقدير سويٍّ في بروجهما ومنازلهما ((وفي ذلك منافع للناس عظيمة، فيها علم السنين والحساب))(٢)، حقق هذا الجمع تناسباً معنوياً يخرج من دائرة التضاد والتناقض إلى التقارب الدلالي، نتلمس أثرهُ في انتماء هاتين النعمتين إلى موضعٍ واحدٍ، منه يبزغان وفيه يأفلان وهو السماء الدنيا، زيادة على أن الشمس آية النهار، والقمر آية الليل.

ولو تأملنا قوله تعالى : ﴿ ✂︎☞♏︎⌧⧫▢ ✂︎☞♏︎⌧⧫▢ ﴾ **[الرحمن: ٢٢].**

نجدُ في اجتماع لفظتي (اللؤلؤ) و(المرجان) تحقيقاً لمراعاة النظير الذي ينعكس أثره على الإنتاج الدلالي للسياق، فلم يقل يخرج منهما الياقوت والمرجان، أو الزبرجد واللؤلؤ رغم أن الجميع معادن نفيسة؛ بل جمع مناسبة اللفظين بخروجها من مكانٍ واحدٍ هو البحر، واللافت هنا سياق الآية النحوي الذي يدعو للتساؤل، لِمَ قالَ تعالى (منهما) على الرغم من أن موطن الخروج واحد؟ والجواب إنَّ من نعم الله

---

(١) الكشاف : ٤ / ٣١٧.

(٢) المصدر نفسه : ٤ / ٣١٨.

وقدرته العظيمة أن خلق البحرين المالح والعذب متجاورين متلاقين لا فصلَ بينهما في مرأى العين؛ إلاّ أن الأعظم في ذلك هو خلق حاجز يمنع تجاوز حدَّيهما، فلا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجّة قال تعالى: ﴿✌♦❷♦●⌂
⍇⍈⍉⍈ ⍈♌✍♦⓿⌫◗♦✍▫◘♦③ ⍇♊⬃③♦❷⬄⬩♦⌨⬂♑◉✍✂
⬩♦ ✍⍉⑧⌂♌⬀❷♦✍ ✍⌂☺⬋&⬩❁⬃❹♦✍
③♦⬀⌨⬄⌫⓿♦✍♌⍈﴾[الرحمن: ١٩-٢٠]، فالإلتقاء جعلهما شيئاً واحداً ((فجاز أن يقال يخرجان منهما، كما يقال يخرجان من البحر))[١]. والأصل أنهما يخرجان من ملتقى البحرين المالح والعذب.

٤- **سورة يوسف، قال تعالى : ﴿**♎⬩✍♑◉⬀❑⬈✂☎ ✍⬩✍✍✏★
▤⍉✹☹⌂❍ ⌂✂←♒❑⬉③ ⬉❷→▤⬁⓿⬩✍ ☎✂→⬩♦✍⬂▦⊞⬩✍
♏⬀♋✌ ♦♌❑⬈▤⬩✍ ⬃❑❑🕮 ✍⌚⍈♦❷⌂❍ ♏♍❑⬈▤⬩✍
✂✍◉♑⬂♑⌂⌚◘⍉▤⬑✓▫♏﴾ **[يوسف:٨٥].**

يسهم فن (مراعاة النظير) في تحقيق التناسب اللفظي والمعنوي، وتتجلى فيه أنماط من العلاقات الرابطة بين زوج أو أكثر من الألفاظ بشكل يجعل التناسب قوي جداً، قائم على أساس المصاحبة المعجمية للألفاظ[٢]، وقد صرَّح يحيى بن حمزة العلوي بتسمية (الائتلاف) لهذا النوع من البديع، فهو يأتي على أوجهٍ متعددة، يشترط فيها ملائمة اللفظ للفظٍ، وتآلفه لنظيرِه حتى يقعا من البلاغةِ موقعاً حسناً[٣]، مبيناً أثر هذا الأسلوب في قوله تعالى : ﴿♎⬩✍♑◉⬀❑⬈✂☎ ✍⬩✍✍✏★
▤⍉✹☹⌂❍ ⌂✂←♒❑⬉③ ⬉❷→▤⬁⓿⬩✍ ☎✂→⬩♦✍⬂▦⊞⬩✍
♏⬀♋✌ ♦♌❑⬈▤⬩✍ ⬃❑❑🕮 ✍⌚⍈♦❷⌂❍ ♏♍❑⬈▤⬩✍
✂✍◉♑⬂♑⌂⌚◘⍉▤⬑✓▫♏﴾ **[يوسف:٨٥].**

لو تأملنا دقائق التعبير القرآني، نتلمس اتفاق الألفاظ وائتلافها على الرغم من غرابتها، فلما كان مفخماً للخطب ومُهوّلاً له، وخيفَ على يعقوب عليه السلام من دوام حزنه

(١) الكشاف : ٢ / ٣٢٠، ومثله في السورة نفسها : الآيات : ٣٩، ٤١، ٥٨، ٦٨.

(٢) ينظر : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١١٢.

(٣) ينظر : الطراز : ٣ / ١٤٤.

وطول أسفه جاء بالألفاظ الغريبة، كقولهِ (تفتؤ) و(حرضاً)[(١)]، ومقتضياً التجاور البديعي لكلّ لفظة مع ما يلائمها؛ تحقيقاً لمعادلة التناسب في النظم القرآني، فحين أُسند القول إلى أخوة يوسف عليه السلام في حوارهم مع أبيهم بلفظِ القسم (التاء)، وهو أقل حروف القسم استعمالاً[(٢)]، وجدت البلاغة القرآنية في هذا النوع من القسم تلاؤماً ومراعاة لصيغة الفعل الذي جاء بعدها، الدال على الاستمرار زيادة على غرابته في الاستعمال، فحذف (لا) من قوله (تفتأ)، أي : لا تزال تذكر يوسف، وقد أوجبت هذه الصيغة الفعلية ورود سياق لفظ (حرضاً) للدلالة على المقاربة على الهلاك مرضاً والإشراف عليه لشدة الحزن، وأكد الطبري (ت ٣١٠هـ) أن دلالة الهلاك في هذا السياق تعني الموت[(٣)]، وقد آثر التعبير القرآني استعمال هذه الألفاظ مع بعضها؛ لما تنطوي عليه من قيم فنية تعكسها العلاقات الترابطية القائمة على المؤاخاة والائتلاف بالنظرِ إلى مركز كل لفظٍ في السورة بأكملها، لذلك عُدل عن قوله : لا تزال تذكر يوسف حتى تشرف على الهلاك أو تموت، باختيار الألفاظ المناسبة مراعاةً لنظيرها؛ وفقاً لمنهجٍ فريد في التعبير عن الدلالات بأدق وأوجز الألفاظ؛ لتصور أمام القارئ ما تنطوي عليه المشاهد من أبعادٍ تشير إليها القصة؛ تحقيقاً للتلاؤم الدلالي والصوتي والتركيبي الذي أضفى ملامحهِ الإعجازية على النظم؛ زيادة على اجتماع الدلالات المتعددة التي لا تؤدي وظيفتها أي صيغة أخرى.

ثانياً- ائتلاف اللفظ مع المعنى :

يقوم هذا النوع من التناسب على ملاءمة الألفاظ في نظم الكلام لمقتضى المعنى، بحيث إذا كان المعنى غريباً جاءت ألفاظه غريبة، وإذا كان المعنى مولداً كانت ألفاظه مولدة، وإذا كان متداولاً جاءت ألفاظه متداولة، لائقة بمكانها، موضوعة بالتجاور والتلاؤم، ومن أبرز تطبيقاته في التعبير القرآني ما نجده في سور منها :

---

(١) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٨٨/٢.

(٢) ينظر : تحرير التحبير : ١٩٥/١.

(٣) ينظر : جامع البيان : ٤٩٢/٤.

١- سورة مريم، قال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام :

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٥].

يؤثر التعبير القرآني في هذه الآية خطاباً موحياً بالهدوءِ والاسترخاء والسكينة، فيه إشاعة لجو من الحنو والاطمئنان بعيداً عن الخطاب الثائر العنيف، وقد صوّر المشهد قلب سيدنا إبراهيم عليه السلام وما يتفجر به من حِلْمٍ نحو أبيه حرصاً على هدايته للإيمان بالله تعالى، والتحذير من العذاب الذي يلحقه؛ بسبب عبادة الشيطان وولايته، وهذا المعنى الذي عبرت عنه الألفاظ هو المعنى الدقيق الذي احتوته دلالاتها المتلائمة والمتناسبة؛ حتى كأنَّ بعضها لبعض ظهيراً، حيث يتطلب النداءُ هنا أصواتاً واضحة تُقرّب المعنى، فجاء صوت حركة الفتحة الطويلة في الألفاظ (يا) و(أخاف) و(عذاب) و(ولياً)، وصوت حركة الكسرة الطويلة في (إني)، والضمة الطويلة في لفظ (فتكون)، مشعراً بالجو الهادئ المتناسب مع أسلوب الخطاب المعبر عنهُ، فالنداء بـ (يا أبتِ)؛ إثارة للانتباه وتحريك للمشاعر الأبوية الحانية الجياشة في فؤاد الأب تجاه ابنه، أعقبه مباشرة التعبير بلفظ الضمير (إني) تأكيداً من سيدنا إبراهيم عليه السلام لأبيه أنه على العهدِ تجاه برِّ الوالد لوالدِهِ؛ بل وأكثر من ذلك، مشيراً بلفظ الخوف للدلالة على ما يعانيه من فزعٍ على أبيه، وتنبيهاً إلى عدم جزمه بوقوع العذاب عليه، وهذا أخف من أن يقطع بعذابه، كما عُدِلَ عن إضافة العذاب إلى الرحمن؛ لعدم التجانس بين دلالة العذاب والرحمة، ((فالمناسب للعذاب أن يُضاف إلى الجبار، أو المنتقم مثلاً، لا إلى مصدر النعم))[١]، فلم يقل (عذاب الرحمن)؛ لأن المقام ليس لها، والسرّ في وصف العذاب بأنه من الرحمن، إشارة إلى أن العذاب إنما كان لكفره بمصدر النعمة ومُصدِّرها، ولم يقم بواجبِ الشكر عليها[٢].

---

(١) من بلاغة القرآن : ١٠٨.

(٢) ينظر : المكان نفسه.

٢- سورة هود، قال تعالى : ﴿❑◆•• ✍•❷⬀✍☒☪⇖❑☑✂☎ ❼■🖫♐◑ ♦✖⇦♑🔔⅄✏♋✂ ☎✂❑⇦☺■🖬•⇦ ▫•✌♦☺⌂◙○○▤⬈☠⇖ ✂♋♋⬀✡❑♋❻⬇﴾ [هود:١١٣].

فإنه –سبحانه وتعالى– لما نهى عن الركون للظالمين؛ لما فيه من ميل إليهم واعتماد عليهم، من دون الانغماس معهم ومشاركتهم في الظلم، أخبر أن العقاب هو مسُّ النار، وهذا دون العقاب الحقيقي المعدول عنه وهو الإحراق بالنار مباشرةً ((فالمسّ أول ألم أو لذةٍ يباشرها الممسوس))[1]؛ لتضمنه معنى الملاصقة للنار، أراد به شمول العذاب، فالراكنين إلى الظلم عقابهم مسُّ من النار، في حين أن عقاب الظالمين أنفسهم حريق في النار وانغماسٌ فيها[2]، فقد أوجب العدل الإلهي أن يكون العقاب من جنس العمل؛ لذا عَدَل عن (فتدخلوا النار) إلى (فتمسكم النار) للتمييز بين ما يستحق الظالم والراكن له من العقاب.

وعلى نحو من ذلك قوله تعالى : ﴿❑◆🕮▫✍⇖❷⬀ 🕮❑♎⬀🖬■⌨⌂ ✉♐♋♋⬀⏲○🖬■❑🗐❑⌀ ❑◆✂♋🕒⇕➲•⬀✐❸⬀ ⬊♦🖬■❸⬀&❑♋ ☎﴾[طه:١٣٢].

يمثل هذا التعبير نمطاً آدائياً يأتلف فيه اللفظ مع معناه؛ لارتكازه على بنية التناسب مراعاةً للنظائر، فقد آثر التعبير القرآني صيغة الفعل المزيد (أصطبرَ) المراد به تكلّف الصبر، وتحمل المشقة والعناء بالمبالغة في الفعل، ومغالبة النفس، مؤدياً دلالة مختلفة عن مستوى الفعل الثلاثي المجرد (صبر)؛ فالسياق يتطلب جُهداً في الصبر على مشاق الصلاة من مواظبة على أوقاتها، والخشوع فيها.

٣- ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿▫•▤⇗⌛⇗⌛⇦❑✂☎ ▫♑❸&❑♋ ♎➔☠⇗ ❑◆✂♋⬂⇔♦♋❑⇖⏀♌♦ ⇗⌀♒⇧

﴿♦♦♌□⬉➔◆✍♎♎◻📖 "▪⑩♑🖬⬀✍♑◑ ←⑩□⬉☪⬉♉◆□﴾

[الشعراء: ٩٤ – ٩٥].

فدلالة الفعل (كبكبوا)، تحمل تكراراً صوتياً لحرف الكاف يتناسب مع قوة المشهد، الذي يستدعي تنشيطاً لذاكرة المتلقي، بإحالة اللفظ في عملية (الكَبِّ) إلى فعله الأصلي الدال على المرة الواحدة وهو (كبَّ) فـ((كبكبَ الشيء : كبّه في مكان بعيد، فهو يكبُّ فيه كبّاً بعد كبٍّ))[1]، وليس هذا هو المراد والملائم هنا؛ لأنه ((جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى، كأنه إذا أُلقي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها))[2]، وقد ناسب هذا الفعل المراد من السياق بقوله (هم) و(الغاوون) أي: ((الآلهة، وعبدتهم الذين بُرزت لهم الجحيم))[3].

وبما أن المعنيين في السياق بحاجة إلى فعل أكثر إهانة وتحقيراً وتتابعاً في الحركة أثناء الإلقاء في جهنم؛ لذا اختار التعبير القرآني صيغة الفعل (كُبْكِبُوا)؛ لتضمنه دلالة الكبّ الجماعية المناسبة لمعنى الاحتقار والإذلال وهذا يؤكد ((متابعة حركة اللفظ بإزاء متابعة حركة معناه))[4].

٤- قال تعالى في سورة طه : ﴿▫♦□◆⬄♒◆☪♉ ◑♑🖲♦⑩⬂○♎ ⬉⛿⬕⑩✍♦★✵⏲♦③ ♦✌✍♦♎ ←♊⏲♦➲⬂⓿⊙⌖🖲✍✂ ♎⬀🖂⬂⬕ 📖□⑩←🖲♏🖮⬕ ⬉♦✍■❼🗐 ⅄☒⬈⬕❷♦□⚢ ⚢♦□⬉☒✌ ⬕⬚✍⬂③ ✂✍🖳⬂③➔✂□✍♎ □◆✌⬉🖬▫🖮🖮 ⬩⬩ ③♦🖮⬀✍■❼🗐﴾

[طه: ١٢٠].

ناسب التعبير في هذه الآية بين لفظ (الوسوسة) وبين دلالة الصوت الخفي، يُقال لهمس الصائد والكلاب، وصوت الحلي : وسواس، والوِسوس بكسر الواو الأول : حديث النفس، وبالفتح: اسم كالزلزال والزلازل، وهو أيضاً من أسماء الشيطان[5]،

---

(١) بدائع الفوائد : ٧٨٤/٢.

(٢) الكشاف : ٣ / ٣٦٨.

(٣) المكان نفسه.

(٤) بدائع الفوائد : ٢ / ٧٨٤.

(٥) ينظر : بدائع الفوئد : ٧٨٣/٢، أضواء البيان : ٤ / ١٠٨.

كما في قوله تعالى : ﴿ ✎♋ⅡⅡ ⅄☒❷♒▩

✁⌬☜⑩⌂☐◆☜☐◆✁☐⌂ ✁☜⌂☐③♦✡☐☜☐◆☐♦☐ ﴾ [الناس:٤].

ويُقال لحديث النفس الذي لا خير فيه : وسواس ووسوسة، ثم درج اصطلاح القرآن الكريم وكلام الرسول الكريم ﷺ على تسمية إلقاء الشيطان في نفوس الناس خواطر فاسدة (وسوسة) تقريباً لمعنى ذلك الإلقاء والإفهام(١)، فجاء الجمع بين الألفاظ المتناسبة مع دلالاتها؛ لأن حديث إبليس – لعنه الله – مع آدم وحواء عليهما السلام، حديثُ سرٍّ هدفه إزلالهما وإخراجهما مما كانا فيهِ من نعيم الجنةِ الخالد بدليل إضافة الشجرة المنهيّ عنها إلى الخلد والملك الدائم، فضلاً عن ما يتضمنه لفظ الوسوسة من دلالة على المبالغة في القربِ المكاني الذي يحدد إمكانية وقوف أبليس من آدم بحيث يسمع كلامهُ، ومن الملاحظ تعدي صيغة الفعل بحرف الجر (إلى) تارة؛ لأن المعنى: أنهى إليه الوسوسة فهي (كولولة الثكلى)، (ووعوعة الذئب)، حكايات للأصوات(٢)، وبحرف الجر (اللام) تارةً أُخرى في قوله تعالى :

﴿ ... ﴾ [الأعراف:٢٠]؛ لأن المعنى: فَعَلَ الوسوسة حسداً؛ ليسلبهما ما فيه من النعمة(٣).

والمعنى أن الشيطان يُغري بتحسين المعصية وتزيينها في عين الإنسان، فهو مصدر الزلل والإثم ووسوسته هي الوسيلة للدخول إلى القلب فيلقي فيه ما يشاء مما يناسب فعلاً هادئاً خفياً يتكرر فيه المقطع (وس) لارتباطه بسوء الكلام وخبثه، ومن الملاحظ عدول التعبير عن إيراد (الواو) العاطفة في جملة (قال يا آدم) فلم يقل (وقال يا آدم)؛ ((لأنه يوضح الوسوسة ويبين عنها، ولو أنه جاء بالواو لأوهم المخالفة والتغاير))(٤)، فوقعت الجملة الثانية موقع عطف البيان(١).

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٣٠/٦٣٣–٦٣٤.

(٢) ينظر : الكشاف : ٣ / ١٧٠.

(٣) ينظر : تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) : مج٢، ج٣، ص٣٩٧.

(٤) ينظر : من بلاغة القرآن : ١٣٨.

ثالثاً : ائتلاف المعنى مع المعنى :

هذا النوع من مراعاة النظير لا يظهر بوضوح وجلاء لتعلقه بالمعاني وبيان أوجه الارتباط والمناسبة بينها. ومن أمثلته ما ورد في الآتي :

١- سورة الحج في قوله تعالى : ﴿ ✍⊠♑⑩③❒🕯❋🕒♦③

☎✂❒⇖☪♦✌✂♦⇗ ✂✍✍✎⅄🔔🙵▫⇦🙵

☎✂❒⇐⑨➔⇗⬄♋✍✂♦❒ ☎✂❒⇖➔•🗎⇗❻✍✂

⇗☠⇗▤✸🖅♦❻ ☎✂❒⇐⑨⇐⌛⇳⇖✍✂♦❒

♦❸⇗❷⊠②⬂♒✍✂ ☎✂❒➔🖬⊠➔⬂▫✍✂♦❒

♒•➔⊠🖬❋⌛➔☠⇗✍➔▦⬂🖬♒•⇐❒♍🙵 ﴾ [الحج:٧٧].

عبرَّ الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) عن ارتباط جزئيات الآية بإظهار العلاقة بين المعاني بقولهِ : ((الوجه عندي في هذا الترتيب أن الصلاة نوع من أنواع العبادة، والعبادة نوع من أنواع فعل الخير؛ لأن فعل الخير ينقسم إلى خدمة المعبود الذي هو التعظيم لأمر الله، وإلى الإحسان الذي هو الشفقة على خلق الله، ويدخل فيه البرّ والمعروف والصدقة على الفقراء، وحسن القول للناس))[٢].

وقد أكد الفخر الرازي على ضرورة اجتماع المعاني المتعلقة بالعبادة لتحصيل الفلاح في الآخرة، فكأنه سبحانه قال : ((كلفتكم بالصلاة بل كلفتكم بما هو أعمّ منها وهو العبادة؛ بل كلفتكم بما هو أعمّ من العبادة، وهو فعل الخيرات))[٣]، ومن الملاحظ تصاعد المعاني وترتيبها في النظم لتأدية المعنى المقصود ففي تقديم الركوع والسجود تفصيل بعده إجمال في قوله : (واعبدوا ربكم وأفعلوا الخير)؛ لمناسبة تلك الأعمال ما تتضمنه دلالة العبادة وفعل الخير عموماً.

٢- سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ ❒♦◑⚆❶⬂🔔•✍✌♦ ✌⇖❒🙞⊠🙼▤

♒🙵◑•❒⇗✌🙵○🙵🕘 ③♦🕒◑•❒⇗✈🙵 ◑⚆☼✸▤⇗☠⇗

⇐•🖬■☺⇳☞⇐☠⇗ 🕮❒☼▦➔○❁⌛☠

✂✍🙵♒⬂➔🙵⇗⇳🖎• 🖅⚆✍✍✌&🙵③•✍❶🙵🖆⇗☠⇖

▫•✍⇐❒🖅⇐❒☑✂☎ ◑⚆🖫■❼▤ 🖅♦✍❻🙼★🙼▤⇗☠⇗

▫•✍✍🔔⬂☞⇐🖬➔❒☑✂☎ 🕮❒☼▦➔○❁▤⇗☠⇗

---

(١) ينظر : المكان نفسه.

(٢) التفسير الكبير : ٧٢/٢٣.

(٣) المكان نفسه.

[illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [البقرة: ٥٤].

قرنت التوبة بالبارئ دون غيره من الأسماء للمناسبة المعنوية؛ فقد أنعم الله تعالى على بني إسرائيل بنعمٍ عديدةٍ ذكرهم بها منها[1] :

أولاً : أنجاهم من آل فرعون بعد أن كانوا يسومونهم سوء العذاب يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم.

ثانياً : فَرْقهُ سبحانه وتعالى للبحر أمامهم فأنجاهم من الغرق فيهِ.

ثالثاً : عَفْوَهُ –سبحانه وتعالى– عنهم بعد إتخاذهم العجل إلهاً وإتباعهم السامري.

رابعاً : إنزاله تعالى الكتاب – التوراة – عليهم لهدايتهم وتثبيتهم على الحق.

ورغم كل هذه النعم عليهم جاءت هذه الآية للتنبيه على عظم ذنبهم وكيفية التخلص منهُ بالتوبة من الكفر، والرجوع إلى الله تعالى، وقد ناسب تحقيق التوبة اقترانها بلفظ البارئ؛ لأن البارئ اسم خُصّ بوصف الله –جلَّ شأنه– نحو قوله : ﴿[illegible]﴾ **[الحشر: من الآية ٢٤]**، فعَدل عن قوله فتوبوا إلى خالقكم؛ لأن البارئ أخصّ من الخالقِ ((فهو الذي خلق الخلق برياً من التفاوت، وعدم تناسب الأعضاء وتلائم الأجزاء))[2]، فيكون المعنى اعزموا على التوبة والرجوع إلى من خلقكم، وأوجدكم من العدم، مميزاً بعضكم على بعض في الهيئات والصور بُراء من التفاوت[3]؛ ((فالتوبة لا تكون إلاَّ للبارئ))[4]؛ لأنها أصل المغفرة، وبذلك ناسب التعبير المقام باقتران دلالة التوبة والرحمة وإثبات ما تضمنتاه من صفةٍ لا تكون عند انفرادهما؛ وذلك؛ لأن في اجتماعهما توليدٌ لصفة ثالثة هي الجمع بين التوبة التي بها زوال المكروه، والرحمة التي بها حصول المطلوب.

---

(١) ينظر : البحر المحيط : ١ / ٣٦٢، أضواء البيان : ١ / ٣٣١.

(٢) ينظر : البحر المحيط : ١ / ١٦٢ ، روح المعاني : ١ / ٣١٧.

(٣) ينظر : أنوار التنزيل : ٤٨٣/٢.

(٤) التفسير الكبير : ٨٥/٣.

٣- سورة البقرة في قوله تعالى : [illegible] **[البقرة: ١٦].**

نؤكد أن قوام التعبير القرآني في هذه الآية هو تحقيق المؤاخاة بين المعاني وتجسيدها بأدق وصفٍ، فالمتبادر إلى الذهن أول مرة أن مصير الذين يشترون الضلالة بالهدى هو ضلال سعيهم في الدنيا والآخرة؛ ولكننا عند تأمل السياق القرآني نجد أن المناسب ما اختاره التعبير في قوله [illegible]؛ لأنها ((الكلمة الأخيرة التي تصور حقيقة حالهم، ومدى خسرانهم))[1]، فجاءت خاتمة مآلهم مناسبة لسياق الآية في ذكر لفظ الفعل (اشتروا)، وهذا يعكس الترابط الدلالي بين أحد لوازم التجارة وهو الشراء، وبذلك شكَّل التعبير القرآني قيمة جمالية لغوية متأتية من المصاحبة المعجمية للألفاظ ودلالاتها التي تؤكد على توطيد العلاقات اللغوية باعتبارها تفعيل جمالي يلامس الدلالات المبثوثة في ثنايا التراكيب.

لنتأمل خواتم الآيات الآتية :

١- قال تعالى : [illegible] **[المائدة: ١١٨].**

٢- قال تعالى : [illegible] **[الأنعام: ١٠٣].**

(١) في ظلال القرآن : مج١ ، ج١، ص٤٥.

٣- قال تعالى : ﴿✍⬆📖⬉⓿ 🖏♦🖎 ❼⚲✖ ✂🖎🖏🕮⚈☺⍓⍃⌚☐◆⌚☠♉ 🖏♦🖏◆☐ ⑥⚲✖ ✂🖎🖏❁☞❻⍢⯆⬁ ▤ ☐◆☽⚲♍· ✂🖎✍⬆ 🕮⬧♑⬅☐◆ ✂🖎🖏🕮⍃⬦⬄♦♉🞏♉❸ ✂🖎🖏🕮⍃⬦⬥⍓☺♉⓿⑨⬅ ﴾ [الحج: ٦٤].

٤- قال تعالى : ﴿⬥▫✉⚲♌ ☙⍓🕮⬥🖬▫☞⬅⚐ 🖎♓♉♊🖅 ⬁⬅♦➔⬁⑨♉ 🖏♦🖎 ♊⍓🔔✍⬈◆✍⬁⌛➔☠⬉ ✂🖎🖏🕮⍃⌛♦❹♓☄✡☐⓿☼💣➔ ▫⬥🖎🖎⬂⬁🖬■☺⬅☐☑✂☎ 🕮☐♌☐ ✂🖎✍⬆ ⬉♦❿🞏③❽⬊ ⚪⍓⌛⬑❿⚐⬋ ﴾ [البقرة: ٢٠٩].

٥- قال تعالى : ﴿🔔➔✍⬀ ☽⚲♌ ✍➔②⬁▦➔☐✂☎ 🖎♦🖏 ❼⚲✖ ⌚⬅⑨⬅☐❻🞏🖹➔☠⬀ 🕮☐☐⬁ ✍➔⌛⬀⑨⬅☐■⬅ ③♦➔⬁🖬■☺⇳⚪⬅ ✂🖎✍✦ ▤ ☐◆③♦➔⬁🖬■☠⬉ 🖎♦🖏 ❼⚲✖ ✂🖎🖏🕮⚪⚪☺⍓⌚☐◆⌚☠♉ ☐◆🖏♦🖎 ❼⚲✖ ✂🖎🖏❁☞❻⍢⯆⬁ ▤ ☐◆✂🖎✍✦ ⬉♦✍■❼🗐 🗎➔⍃♏✐ ★⌧♉⬄⬈🕮 🔔♦⑨♉③❷⌧ ﴾ [آل عمران: ٢٩].

أبدعَ التعبير القرآني في الجمع بين الشكل والمضمون في وحدة متكاملة متناسبة تؤكد أن المعاني إنما تتبينُ بالألفاظِ، فمن خلال هذه السياقات نلحظ الدقة المتناهية في توظيف الألفاظ؛ وفقاً لميزانٍ عادلٍ يساوي الألفاظ مع دلالاتها، وهذا قمة الإعجاز اللغوي الجمالي الذي يكشف عن عدم تمكننا من استبدال لفظ بآخر أو إحداث تأخير لما قُدِمَ ولا تقديم لما أُخر، وهنا نضع أيدينا على سرٍّ من أسرار الإعجاز يثبت أن القرآن كلام فني مقصود وضع وضعاً دقيقاً ونسجَ نسجاً محكماًً فريداً لا يشابهه كلام، ولا يرقى إليه حديث، ﴿▫♦▫🖬▫⓿◆🕯▫✍➔☐✂☎ 🗎⌚♦☐⑨♉③❁⌨ ♓🖎♉⬥✂⚲🕮♉⌚▦ ☽⚲♌ 🖅⌧🔔☼⬅☐✂☎ ⌚❁⌚⑨♉🔔♉✓▫♒ ﴾ [الطور: ٣٤].

رابعاً : إيهام التناسب وأثره الدلالي في السياق :

يلحق بمراعاة النظير مصطلح سمّاه البلاغيون (إيهام التناسب)، فقد يوهم السياق القرآني بإظهار التناسب، وذلك بالجمع بين لفظتين أو أكثر، يكون لأحدهما معنيان :

المعنى الأول : غير مناسب لمعنى سابقه، لكنه المعنى المقصود في السياق.

المعنى الثاني : هو المعنى المناسب لدلالة سابقه، لكنه غير مقصود في السياق.

ومن أبرز تطبيقات التناسب الموهِّم ما جاء في قوله تعالى :

﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ **[الرحمن: ٥ – ٦].**

أدى الجمع بين ألفاظ (الشمسُ والقمر، والنجم والشجر) إلى إيهام التناسب؛ لتضمن لفظ (النجم) معنيين :

المعنى الأول : يتناسب مع ذكر الشمس والقمر في الآية السابقة؛ لارتباطه بدلالتهما إذا ما تبادر إلى الذهن للوهلة الأولى أنه الكوكب السماوي أو نجم السماء، لكنه المعنى غير المقصود في هذا المقام.

المعنى الثاني : يتناسب مع لفظ (الشجر)؛ لأن المراد من النجم هنا على الرأي المشهور النبات الذي ينجمُ من الأرضِ لا ساق لهُ كالبقول والحشائش، يقال : نجم الشيء والنبات نجماً ونجوماً إذا طلع وظهر، وهذا هو المعنى المناسب لدلالة الشجر، وسجودهما هو انقيادهما لله تعالى فيما خلقا لهُ[1].

وبذلك يتبين أن النظائر حققت وظيفتها في التناسب الدلالي باجتماع الألفاظ (الشمس والقمر، والنجم والشجر)، وفقاً لمبدأ المصاحبة المعجمية، الذي يؤكد أن بين النجم والشجر مراعاة نظير، في حين يسهم التناسب الموهم بمراعاة النظير من حيث المعنى غير المراد في السياق بين كل من (النجم، والشمس، والقمر) في الكشف عن القيم الجمالية للألفاظ ومعانيها، اعتماداً على مبدأ الاختيار والانتقاء الدقيق لتشكيل مستوى من مستويات البناء اللغوي، ومن البديع أن بين الآيتين ((مناسبة أخرى قوية تصحح الوصل بينهما وهي التضاد، باعتبار أن الشمس والقمر مخلوقان سماويان، والنجم والشجر مخلوقان أرضيان))[2].

---

(١) ينظر : الكشّاف : ٣١٨/٤.

(٢) دراسات منهجية في علم البديع : ٨٣.

ومن شواهد إيهام التناسب قوله تعالى : ﴿ ❍♌♐◗ ⌂⌨♦⍊◙ ⌂❑◆♦❑♦⌧ ❑🕮❑♦

⇪⇨⇨♎⇫ ▤❽♦❷⇗➔♦✍ ⌧♦♦◆❑ ☞❑&❸♎▫ ♦⇙❑➔♑❑✌
♦♦◆❑ ☞❑&❸♎▫ ☎✃➔♦⌂☺⇕➔♦✍ ♦♦ ⌂⌨✵✡❑🕮◆❑

✍♦⇕♦⌂✗☞▤﴾ [طه: ١١٨ – ١١٩].

تضمنت الآية ضرورات الحياة الأربع : الطعام، الكساء، المسكن، الشراب.

والمناسب فيها بحسب الظاهر إقتران الجوع بالظمأ، والعري بالضحى؛ لأنهما نظيران، لكن السياق عَدَل عن الظاهر لأسباب منها[1] :

١- مراعاة مناسبة اللبس للشبع في أنهما أمران ضروريان لا غنى لأحدٍ عنهما.

٢- مراعاة مناسبة الاستظلال للري في أنهما تابعين للنظيرين السابقين، فالري تابع للشبع، والاستظلال تابع للباس.

٣- أجرى الخطاب القرآني بمقتضى العادة؛ لأن العادة أن يقال : جوعان عريان، كما أن الضاحي الذي لا يستر جسمه ساتر، متعرض لوهج الشمس فيشعر بالعطش الشديد؛ لذا صار (الضحاء) كأنه سبب فيه قُقرن به.

٤- في هذه المخالفة والعدول لمحة من لمحات البيان الآسر، أطلق عليها علماء البديع (قطع النظير عن النظير)، والغرض من ذلك تحقيق تعداد النعم، ولو قُرِن كل نظيرٍ بما يماثله لتوهم متوهم أن المعدود نعمتان لا أربع.

ويظهر أثر (قطع النظير عن النظير) من خلال قطع الظمأ عن الجوع وهما نظيران، والضحاء عن العري؛ لأنهما كذلك، والذي يبدو أن التعبير القرآني عَدل عن مقتضى الظاهر؛ لأن دلالة السياق توحي بـ ((أن الجوع والعري يسببان الشعور بالبرد فجمعا معاً، والظمأ والضحاء يسببان الشعور بالحر، إذ الأول يبعث التهاب الجوف، والثاني يلهب الجلد، فناسب الجمع بينهما))[2]، ومنه قوله تعالى :

﴿ ▫♦⚱❑❻⇗♋⌂◘▫☪◆☞ ⇖♦◘■❸⇗&✗☠⇖

✃☞◙♐⊃❼❑▫♦☞♌♦ ❑◆✃☞⊒⇘♑❑❷♦✃❿⌂
❑◆✃☞◙⇘◑➔☺❍✎♦ ❑◆✃☞◙♐·▦⊠☞❿♎⇙♦

---

(١) أورد الدكتور عبد العظيم المطعيني هذه الأسباب، مُحللاً إياها تحليلاً منطقياً، ينظر: خصائص التعبير القرآني : ٢٣٠/١.

(٢) من بلاغة القرآن : ١٤٤.

﴿▭●*⏱■▣O⏱☒▦⑩✎ ▭●*⏱♦③✂♦↗ ♦⚐⊙✍✏✍✂♦□
[الأعراف:١٣٣].

في الآية قطع للنظير عن النظير، فقد ذكر الطوفان أولاً، وكان الظاهر يقتضي ذكر الضفادع بعده مباشرةً؛ لاتصالها بالماء فهو محل العيش وكثرة التواجد، ثم الدم؛ ((لأنه كان يظهر –حسب ما اقتضته حكمة الله– في الماء))(١).

خامساً : تشابه الأطراف :

تردد مصطلح تشابه الأطراف كثيراً في مؤلفات البلاغةِ والنقد، بوصفه أحد الفنون البديعية المندرجة تحت بنية التناسب التي يمثلها مظهر (مراعاة النظير)، فقد اتسعت نظرة البلاغيين إلى الكلام الذي يختم بما يناسب أوله في المعنى دون اللفظ؛ لأنَّ ما ختم به كالعلة لما بُدِئَ به، أو كالدليل عليه(٢)، مما يؤكد الترابط اللغوي للعلاقات المتباعدة؛ استناداً إلى قاعدة أن القرآن سورة واحدة مجتمعة أطرافها متناسقة موضوعاتها؛ لأن المناسبة في الدراسات القرآنية ترتكز على ((جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم))(٣)، وعلى هذا المعنى أكد سيد قطب –رحمه الله– موضحاً أن لكل سورة من سور القرآن الكريم شخصية مميزة لها روحها الحي تتجاذب بعضها إلى بعض مشدودة إلى محورٍ واحد(٤).

وقد مال ابن أبي الأصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) إلى مصطلح (تشابه الأطراف) الذي أولاه اهتماماً بالغاً، بعد أن أطلق عليه تسمية (التسبيغ)، تبعاً للأجدابي مؤكداً أن إطلاق هذه التسمية لا يتلاءم مع المسمى؛ لأنَّ هذه اللفظة ((في اصطلاح العروضيين عبارة عن زيادة حرف ساكن على السبب الخفيف في آخر الجزء))(٥)، فوجد أن هذه التسمية أي – التسبيغ – غير لائقة لما اصطلحت عليه.

---

(١) خصائص التعبير القرآني : ١ / ٢٨٤.

(٢) مواهب الفتاح : ٤ / ٣٠٣.

(٣) مواهب الفتاح : ٤ / ٣٠٣.

(٤) ينظر : التصوير الفني في القرآن : ٩٠.

(٥) بديع القرآن : ٢/٢٢٩.

ومن أبرز ما يُلمح في التعبير القرآني من تطبيقات لهذا المظهر البديعي قوله تعالى في سورة القصص : ﴿ ♎︎♐︎◗ ⬄🏱⬅✌︎⬀③◆⬈◆❻❐🕮 ⬀🖎➔🔔︎

•🖎⬂⓿⅄♑︎🖰🙵✃ ⬉☠︎➔⌛︎⬂⓿■🖬◆⬊ ✦✏︎🙵✃ •🖎⮹➔⮹♉︎
♑︎✈︎⬀❑◆③ 🗐❼■🖫♐︎◗ ✃⯐⑨◆✍︎⬃❸❁·
⬅❸⬀❷☒⬊ ⬊❍🕒︎⬩♑︎🖰♐︎◗ ⇳♊︎◆✍︎ ♑︎❑⮹☺︎🕒︎◆❿✆◗⬂♑︎🖰🙵✃
•☒⬩▫❐🕮 ☎︎ ☢︎⬈✏︎🙵◆⓿⮵♑︎♐︎🖅 ☠︎➔⌛︎⓿♑︎✍︎▫🕯︎◆③ ★✏︎🙵✃
⬀🖎➔🔔︎ ⮴♑︎⮳⬀ ♒︎♍︎❑⬉➔⮹☺︎⬄❍■🖎
✦✏︎🙵✃ •🖎⮹➔⮹♉︎ ♎︎♐︎◗ ⬄🏱⬅☛︎⬃③◆⬈◆❻❐🕮
✃⯐⑨◆✍︎⬀❷⮹♋︎ ◆❻🙵❑&︎❑❁♑︎🖰🙵✃ ⬉☠︎➔⌛︎⬂⓿■🖬◆⬊
⇳♊︎◆✍︎ ♑︎❑⮹☺︎🕒︎◆❿✆◗⬂♑︎🖰🙵✃ ♑︎✈︎⬀❑◆③ 🗐❼■🖫♐︎◗
☠︎➔⌛︎⓿♑︎✍︎▫🕯︎◆③ ★✏︎🙵✃ ⬅❸⬀❷☒⬊ ⬊❍🕒︎⬩♑︎🖰♐︎◗
•☒⬩▫❐🕮 ☎︎ ♑︎❍❿♑︎▫ ♒︎♍︎❑⬉✡︎⬈▤⬄❍■🖎 ♑︎🖎⬂⓿■🖬♐︎🖅
✍︎➔⌨︎⬀⮴⮵❸⬅❑♍︎♒︎ ﴾ [القصص : ٧١ - ٧٢].

تعدُّ هذه الآيات من أعظم الدلائل للإقرار ببديع صنع الخالق، واستحقاقه للعبادة وحده لا شريك لهُ، فمن عظيم مننه على خلقهِ وكمال قدرته تصريف الليل والنهار حيث لا يقدر على الإتيان بهما إلاَّ الله، إذ يخلف كل واحد منهما الآخر فتحصل منه فوائد تعاكس فوائد الآخر بحيث لو دام أحدهما لانقلب النفع ضراً، فضلاً عن تفاوتهما في الطولِ والقصر، هذا الصنع العجيب المتكرر كل يوم مرتين، والذي يستوي في إدراكه كل مميز، هو أجلى مظاهر التغير في هذا العالم وهو دليل الحدوث والتجديد لأنَّ ((النعمة بتعاقبها دوماً أشد من الإنعام بأفضلهما وأنفعهما))[١]، فقد افتتحت هذه الآيات بالخطاب الموجب للإستفهام التقريري في قوله ﴿ ⬀🖎➔🔔︎ ⬄🏱⬅✌︎⬀③◆⬈◆❻❐🕮 ﴾، بخلاف الاستفهام في قوله ﴿ ⇳♊︎◆✍︎ ⬊❍🕒︎⬩♑︎🖰♐︎◗ ⬅❸⬀❷☒⬊ ★✏︎🙵✃ ☠︎➔⌛︎⓿♑︎✍︎▫🕯︎◆③ ﴾، فهو إنكاري؛ لأنهم معترفون بهذا الانتفاء وأن خالق الليل والنهار هو الله تعالى لا غيره، وقد اقترن الاستفهام التقريري بمجيئ (إن) الموحية بفرض الشرط فرضاً مخالفاً للواقعِ؛ إلاَّ أن المعلوم هو قصد الاستدلال بعبرة خلق النور، فلذلك فرضَ استمرار الليل والمقصود ما بعده وهو قوله تعالى : ﴿ ⇳♊︎◆✍︎ ⬊❍🕒︎⬩♑︎🖰♐︎◗

(١) التحرير والتنوير : ٢٠ / ١٦٩.

➘☒❷⬀❸🡸 ✁🙵🖋★ ③♦🕯▫✍🙰⓿⌛🡲☠﴿، والمراد بجعل الليل والنهار سرمداً أي : دائم لا ينقطع، وقد أكد الطاهر بن عاشور (ت ١٢٨٤هـ) على أن المراد من الإتيان بالليل والضياء هو الاستعارة على سبيل إيجاد الشيء الذي لم يكن موجوداً بالإجاءة بشيءٍ من مكان إلى مكان، ووجه الشبه هو الظهور(١)، وقد عَبَّرَ بالضياء دون النهار؛ لأن ظلمة الليل قد تخفِ قليلاً بنور القمر فجاء ذكر الضياء إشارة إلى ذلك، وناسب خاتمة آية الليل بلفظ السمع في قوله : ﴿🕮❐▫♦☒• ✍■❍⬄☺⌂➔⬉❐♍🙜﴾؛ وهذا دليل فرض سرمدة الليل؛ لأن الليل لو كان دائماً لم تكن للناس رؤية، فجعل شرط تحقيق الرؤية وجود النهار أو الضياء؛ لذلك جيئ في جانب فرض دوام الليل بالإنكار على عدم سماعهم، في حين ناسب خاتمة آية النهار بلفظ البصر في قوله ﴿🕮❐▫♦☒• ✍🡲🖮⬀⭾⮴❸🡸❐♍🙜﴾؛ للدلالة على فرض دوام النهار الذي يصلح للإبصار، وبذلك اقتضت البلاغة تحقيق التناسب بين ما بُدء به التعبير وبين ما انتهى إليه في المعنى دون اللفظ مما حقق دلالة تشابه الأطراف، فضلاً عن تعاقب الضدين التي ندرجها تحت باب (المقابلة).

ومن ذلك ما جاء في سياق بيان معنى التذكير والوعيد بهلاك الأمم السابقة المكذبة للرسل، وما جاءوا به من البينات والهدى في قوله تعالى : ﴿🕮❐❐◆🙠⬧☠⬀ ③♦♑⇳⑨🙰 🖭❍●🡸☠⬀ 🖅☒☠⬀ ...﴾ [السجدة: ٢٦ – ٢٧].

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٧٠/٢٠، والخطاب الاستثناري للحواس : ١٠٣.

بعد بيان قدرة الله تعالى على خلق كل شيء بمقدار وتفصيل دقيق في الآيات السابقة، تُساق الآيات الآتية على سبيل الاستفهام الإنكاري مرة ثانية؛ لأن الخبر يُساق للمنكرين الذين يمشون في مساكنهم فيرون عياناً ما يُسْتَدَلُّ به على صدق العظات المرسلّة إليهم، وبيان بطلان ما هم عليه من الشرك، على سبيل العبرة والموعظة، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا وأذنبوا. وقد أكدت الآيات قدرة الله –جلّ شأنه– على إحياء الأرضِ اليابسة التي لا نبات فيها بالزرع المنعم به على الإنسان والحيوان، وقوله : ﴿🕮❒▫⧫⌧• ④□○⬄☺⌺➔⇖❑♍⬧﴾ دليلٌ على مناسبة المعنى المفتتح لما تضمنه ختام الآية (فالسمع) يؤدي دلالة تاريخية؛ لأنهم كانوا يمشون في الأرضِ ويسمعون أخبار الأمم السابقة، فصُدّرت الآية بموعظة سمعية ناسبت بذلك ما انتهت به من تدبر عقلي، في حين أن الصورة القرآنية في الآية الثانية جاءت للدلالة على موعظة حاضرة مرئية اقتضت نفي البصر الذي هو سبيل المشاهدة والتبصر(1)؛ لذا كان لازماً من لوازم بنية التناسب أن يأتي ختامها ملائماً للرؤية، والرؤية هنا إدراك قلبي وبصيرة عقلية لدلائل العظمة والقدرة الإلهية.

ومن هنا يتبين أن التعبير القرآني انطلق في أسلوب المواجهة العقلية والمنطقية من مبدأ التناسب العام، زيادة على أسلوب الجرعات المركزة المتدفقة التي تحرك النفوس الجامدة، وتهز القلوب العنيدة؛ لذا جاء القالب العام لهذا التعبير تلقائياً متتابعاً منظماً يتناسب مع قوة الموقف والصورة مما أضفى على الآيات طابعاً خاصاً يميزها عن غيرها من آيات السورة، وهذا يؤكد أن هذا النوع من البديع يحمل قوة وتصرف في الكلام، ومطاوعة اللفظ لمقدرة المبدع حتى يؤدي المعنى المقصود، ولا يخلو مع ذلك من حُسن وقع في السمع والطبع.

وقد يأتي التناسب في تشابه الأطراف خفياً، بدرجات متفاوتة في الخفاءِ، تبعاً لعلاقاته الدلالية، فيحتاج إلى طول وقوف كقوله تعالى في خاتمة سورة المائدة: ﴿▫•⌧⧅✡✵🖮⌺ 🕮❒✡⸸❁ ✄☜☞⬂➔⌺❿⸙③❽⬇ ✄☜⬓⬂⧫❒▤⬁❿⚐❶﴾[المائدة: من الآية ١١٨]، خصص التعبير القرآني

---

(١) ينظر : خصائص التعبير القرآني : ٢٢٧.

هنا تركيباً لغوياً مغايراً لما كان يُرتقب من السياق؛ تحقيقاً لمعادلة الترابط والتناسب الدلالي، فالظاهر يقتضي ذكر الغفران مع الزلل، والرحمة مع العذاب؛ إلاَّ أنه عَدَل عن ذلك؛ فالعزة والحكمة من صفات الله تعالى، ((والعزيز هو الغالب، من قولهم : (عزَّهُ يَعُزُّهُ عَزّاً) إذا غَلَبَه، ومنه المثل : (مَن عَزَّ بَزَّ) أي : من غَلَبَ سَلَبَ))[1]، وإلى هذا المعنى أشار الدكتور أحمد مختار عمر مؤكداً أن إطلاق وصف المبالغة على صفات الله ليس لمجرد قصد المبالغة حسب؛ بل لتوضيح أن هذا البناء يُفيد كثرة وقوع الفعل، فـ(حكيم) مثلاً أبلغ من (حاكِم)، و(عليم) أبلغ من (عالِم)، وهذا يعني أن الموصوف بهذه الصفات يُفيد الكثرة، لا أن صاحبها وُصِف بها مبالغة وهو لا يستحق[2]، وتأسيساً على ذلك فإنّ اقتران الزلل يقتضي (الحكيم) الذي لا يذكر الغفران عند الزلل؛ لأنه إغراءٌ عليه[3]؛ ((ولأن الحكيم من يضع الشيء في محلِّه، والله تعالى كذلك، إلاَّ أنه قد يخفى وجه الحكمة في بعض أفعاله، فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة، فكان في الوصف بالحكيم احتراسٌ حسنٌ، أي : وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب، فلا معترض عليك أحد في ذلك، والحكمة فيما فعلته))[4]، وبذلك ناسب ختام الآية بالعزة والحكمة مع ذكر الزلل بعد وضوح الحقِّ وبيانه.

وكذا الحال في خاتمة سورة البقرة، حيث أن لدلالة هذه الخواتيم وتناسبها مع فواتح آياتها علاقة واضحة بالحالة الشعورية للمتلقي؛ لما يحدثه القول البليغ من مطابقة لمقتضى الحال والمقام، وهذا هو سحر القرآن ومكمن تأثيره في النفوس.

تأمل خاتمة سورة الأنعام في قوله تعالى : ﴿◆❑➔♎◆❒◆ ✂⧫⬧⬧◼⬛✲⧁⬤⧾ ←✂ ✂⬧⬧⬛⧋③⧫⧗⧰❷❸← ﴾، فظاهر السياق يقتضي ختامها بقولِهِ : (وهو على كل شيء قدير)؛ إلاَّ أنه عَدَل عن ذلك مناسبةً لدلالة المقام، فاللطف يناسب ما لا يُدرك بالبصر، وأن من يدرك شيئاً يكون خبيراً

(١) أنوار الربيع : ١٩٦/٤، الإيضاح : ٢٦٢.

(٢) ينظر : أسماء الله الحسنى، دراسة في البنية والدلالة : ٩٥.

(٣) ينظر : البحر المحيط : ٦٦/٤.

(٤) الإيضاح : ٢٦٢، وينظر : البرهان في علوم القرآن : ١ / ٩٠.

به[1]؛ لذا جيء بلفظ (الخبير) مناسبةً لإدراك الأبصار، ومن اللافت أن التعبير قدم نفي إدراك الأبصار لله تعالى، فعطف على ذلك قوله ﴿◆❑➔♎◆❒ ✃🙰🙵⓿⓿🙳☼✵⊞⚈🙰✃➔←﴾، وأخر إثبات إدراك الأبصار، تخصيصاً لذات الله سبحانه بصفات الكمال، فعطف على ذلك الخبير[2]، فاقتران الألفاظ بما يناسب دلالاتها، حقق تناسباً دلالياً في الوضع اللغوي كالذي أحدثه قوله (الغني الحميد)؛ لأن سياق الآيات يقتضي ذكر استحقاق الخالق المنعم للحمد من المنعم عليهم، مرتبطاً بمقام الغنى الذي ينفي فقر الله – عزّ وجلّ – إذا ما شكر العبد أو لم يشكر، فلو أننا قلنا (أنه على كل قدير)، لا يزيد شيئاً من معنى الآية؛ لأن المقام يقتضي بيان غنى الله ووجوب حمده تعالى بما يناسب ملكهِ المخلوق لمنفعة العباد، وبينه على أن ما ليس لحاجةٍ؛ بل هو غنيٌّ عنه جوادٌ به، فإذا جاد بهِ حمده المنعم عليه.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿♎➔❑◆ ✃🙰✍⅄🔔🙵❽ ❀⍓⊞■✡🙰
⚈⇈▪☖✃🙰❀☞❻⬀⌿⬊ ♉⍓☺🙵❿➔✡🙰 ⚐➔☠▪
⚈◆⧆⬈☠🕱❑🙰 ✖🙵❼ ✃🙰❀☞❻⇗⊕◆❑◆❽✃ ❷🙵🖫■❼ ✃🙰⚈⚪⚪☺⍓🙰✎⬈🙵
🗐 ▬☠🕓◆❑🕓⍓☺⍓🙰 ⍓⬈⬀⌨⍓🙰 ⚪Ⅱ←♑🗁▪❑✿⚪◆▫
◆❑➔♎◆❒ 🙵⬈♏✍⬈⊞🙵🖉 ★☒⊘⇔⬈☹ ⬊♦⊞🙵⬈☹≺﴾

[البقرة:٢٩]، فمقتضى ظاهر السياق أن تختم الآية بالقدرة بدلاً عن العلم والإحاطة بكل شيء؛ إلاّ أن ما جاء به التعبير مناسباً لفظاً ومعنى؛ لأن سياق الآية يذكر خلق السموات والأرض والتصرف في العوالم والاستواء على العرش، وما يتعلق بذلك من إماتة وإحياء وبعث، وهذا يدلل على علم تام وإحاطة شاملة بجميع الأشياء[3].

سادساً : التعانق :

---

(١) ينظر : تحرير التحبير : ٣ / ٣٦٣.

(٢) ينظر : تحرير التحبير : ٣ / ٣٦٣.

(٣) ينظر : البحر المحيط : ١ / ٢٨٣.

اتخذت تسمية مراعاة النظير في كتب المتأخرين دالاً جديداً يُعرف بـ(التعانق)[1] المتضمن دلالة التشابه والتناسب في الكلام الواحد بما يحقق رعايةً للألفاظ ومعانيها وقد قُسِّم هذا الشكل البلاغي على قسمين :

١- القسم الأول : إقتباس أوائل اللاحق من أواخر السابق :

وهو أن يؤتى بآخر الفقرة أو السجعة السابقة من الكلام، فتُجعل بدءاً للكلام اللاحق، وقد يُكرر هذا في النص الواحد، وهو من مسالك علماء البلاغةِ الدقيقة، أدخله بعضهم ضمن نطاق الترديد أو التصدير، بينما أدرجه آخرين ضمن حدود تشابه الأطرافِ، والذي يراه البحث أنه شكل بلاغي قائم بذاته يعتمد بنية التناسب، والمعول فيه هو إعادة اللفظ بتكرارهِ سواءٌ في أولِ الكلام أو وسطه أو آخرهِ؛ لأن المبدع يحس أن طاقات الكلمة وشحناتها قابلة للتجديد والعطاء في موضعٍ ثانٍ من نفس الكلام فيكررها أو يقتبسها لأداء الدلالة المطلوبة، كقولهِ تعالى في سورة النور :

﴿ [illegible] ﴾[النور: ٣٥].

فليتأمل اللبيب هذه الآية العظيمة ومطابقتها لهذه المعاني الشريفة، الموحية بدلالة ذِكر الله –تعالى– نوره في السمواتِ والأرض، ونوره في قلوب عبادهِ المؤمنين، ذلك النور المعقول المشهود بالبصائر والقلوب، والنور المحسوس بالأبصار، فقد

(١) تسميةٌ أطلقها الباحث عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، وأدخلها في مظاهر البديع اللفظي، وَجَد البحث أنها تسمية جديرة بالاهتمام والعرض والتحليل لما تتضمنه من أثر أسلوبي في التعبير عن دلالة التناسب اللفظي والمعنوي، ينظر : البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٥٢٦.

سمّى الله تعالى نفسه نوراً، وجعل كتابه نوراً، ورسولهُ نوراً ودينه نوراً، واحتجب عن خلقهِ بالنور(١)، وبنورهِ تعالى اهتدى أهلُ السمواتِ والأرض، وقد ذهب ابن كثير إلى أن الله تعالى ضربَ مثلاً لذلك بنورهِ جواباً على قول اليهود لرسوله ﷺ : كيف يخلص نور الله من دون السماء ؟ فمثلُ نورهِ كمشكاةٍ هو مثل ضُرِبَ لطاعته في قلب المؤمن وما يحتويه من الإيمان والقرآن، والمشكاة هي الكُوَّة التي تجمع نور المصباح فلا يتفرق أو ينفد، والمصباح في زجاجةٍ كأنها – لصفائها – كوكبٌ مُضيء كالدُّر، يوقد المصباح من زيت شجرة مباركة هي شجرة الزيتون، متوسطة في مكان من الأرضِ لا إلى الشرق ولا إلى الغرب، يُضيء نورها كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسّه النار إزداد ضوءاً، كذلك هو قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا أتاه إزداد هُدىً على هدىً ونوراً على نور(٢).

ويلاحظ في هذا النص ثلاثُ فقرات اشتملت على اقتباس أوائل اللاحق من أواخر السابق محققة التناسب اللفظي والدلالي في التعبير في قوله :

١- كمشكاةٍ فيها مصباحٌ

٢- المصباحُ في زجاجةٍ (اقتباس)

٣- الزجاجة كأنها كوكب دريٌ (اقتباس)

وقد أكد هذا الشكل البلاغي أن معنى الكلمة المصاحب لها مازال قادراً على العطاء، وإن ارتباط الألفاظ بعضها ببعض يمنح التعبير قيمة دلالية أوسع من خلال إمداد النص بشحناتٍ فاعلة في التركيب اللغوي، يثري مساحة التصوير بعمق الدلالات المشتمل عليها.

وكذلك قوله تعالى : ❁❒◆⇖⇳⑨⌂ ✂∕6✎★ ☎ •♦
⑥↗③↘▣✍←✂∕6✎✦ ❒◆⇖⇳⑨⌂■←◷ ❒◆✆♦◷▤⇖♊●
📖❒▤⇩✡♦❸◆ ✂∕6✆☪❒∕6❒↳ •♦ ③♦➔⇳▣■☺←❒♍❧
⇯✍⇮ ③♦➔⇳▣■☺←❒♌♦ ←♦◷♑✍❷ॐ✂ ✌♓✍♊⌘
✂∕6💻↘♦❒⑩◆❒▤❒✍ ✂∕6✆⑨❻☼⇙⓿◆∕6 ❒◆♎➔☠⇗

---

(١) ينظر : التفسير القيم : ٣٧٤، وإزالة الشبهات : ٣٢.

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) : مج٤، ج٦، ص٥٨.

﴿♦♌□➔◘♑▦⌚☒➘ ⬀✍⬉⬈ ⊘□♦❷⬁⌘☞⍓✍✂ ⬁♊♦⬉﴾
[الروم:٦ – ٧].

اقتبست الآية لفظ (يعلمون) فتتابع ذكره بصيغة النفي في الموضع الثاني (لا يعلمون)، حيث جيء بهذا اللفظ لتحقيق التعانق المراد به المناسبة بين الألفاظ ودلالاتها، كونها تحمل ما يحتاج التعبير بيانه والتأكيد عليه، وقد ذكر الله تعالى في هذه الآية أربعة أمور[1] :

١- أنه لا يخلف وعَدَهُ.

٢- أن أكثر الناس وهم الكفار لا يعلمون.

٣- إنهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا.

٤- أنهم غافلون عن الآخرة.

فقد أضاف لفظ (الوعد) إلى الله ((تلويحاً بأنه وعدٌ محقق الإيفاء؛ لأن وعد الصادق القادر الغني لا موجب لإخلافهِ))[2]، وهذه الجملة منصوبة على المفعولية المطلقة المؤكدة لما قبلها في قوله تعالى : ﴿❼□❄⬃❿❒🕮 ☑❼⍋✖ ♑⑨⬃➔♦✍ ⬆⬀♑♓✎ ☠➔♎♦□ ⬁♈⬀❻☞❀✍✂ ❼⍋✖ ⬁▩⬀ ♒♍□⬅⌨⍋◘⍂⬄♦⓿⍓♋ ⬄⚐⍋♑⍋⌛■◘⍓⇧ ✍⍋⊘⇧➚⬀♋⬁☪♑✓▫♒ ▤﴾ [الروم: ٣ – ٤].

وجيء بالجملة بعدها في قولهِ ﴿•• ⑥➚③⍂◘⍋✂⬅ ✂✍✎✦

□♦⬉⇧⑨⍓■⬅⏀﴾ بياناً للمقصود من قوله ﴿□♦⬉⇧⑨⍓ ✂✍✎★

☎﴾، وتصريحاً بدلالته على التحقيق والإيفاء؛ زيادة على تضمنها دلالة إدخال الروع على المشركين بهذا التأكيد[3]، وسمّاه وعداً ولم يقل وعيداً؛ لاحتمالهِ الدلالتين فهو وعدٌ للمؤمنين؛ لأنهم الأهم في هذا التعبير، ووعيد للمشركين بالخذلان وهذا ما فصله الاستدراك بـ(لكن) في قوله : ﴿□♦◉♐⬩⌚▤⬁♊❍ 🕮□▤⇩✡⬩❸♦

✂✍◉♐☪□✍□⬂ •• ③♦➔⇧◘■☺⬅□♍♒﴾، أي : أنهم لا يعلمون

(١) أضواء البيان : ١٦٤/٦.

(٢) التحرير والتنوير : ٤٨/٢٠.

(٣) المكان نفسه.

أن وعد الله حق، وأنهم غافلون بزينة الحياة وزخرفها عن أمور الآخرة وما ينفعهم فيها.

وقد أدت دلالة اللفظ المتعانق مع ما قبله تناسباً معنوياً ألحقه البلاغيون بمراعاة النظائر.

٢- القسم الثاني : اقتباس الركائز[١] :

وهو أن يؤتى من الجملة السابقة ما يُتخذ ركيزةً في بناء الجملة اللاحقة، ومن تطبيقات هذا القسم من أقسام التعانق قوله تعالى في سورة المؤمنون :

⇳⑨♦◑♦♑◉◆❒⁂ ☞❒✡♋◑■◘◰⌘ ☞✂ ⌘♊◷❁❍♦♦*"☞✂ ♊♉✌
■☠➔⚐ ⬗⬘✗⬀ 🕮✗✓♉◖ ♊♉♓✌ ⌨♁♦✂◷■◘⭠♒
♑❻✂◆❷♦♎ ❼♉✗ ☪❒☒⌧⇳⮌⭠✡ ⭠❍◷❒✡▫◘◰➔◰♉
☞◆☪♋◑■◘◰⌘ ❍⚐➔⚐ ⬗⬘⌧⬀ 🕮✗✓⬁▤❒✌
☞◆☪♋◑■◘◰②♦▫ ☪❒♦◑■◘◆♋ ♦❒☒⌧⇳⮌❻☪♑◉☞✂
☞◆☪♋◑■◘◰②♦▫ ☪❒◆⬄⇳♉⬉✌ ♦❒♦◑■◘◰➔♋♑◉☞✂
☞♦✡⬃❒❁❍♦▤♦▫ ☞✞☺◷♦➔♉⬉ ♦❒◆⬄⇳♉⭠☺♋♑◉☞✂
❍⚐➔⚐ ☞✞☺♋◆❍💻 ⌘⚐◷♦➔♉➔♋♑◉☞✂
🗐 ◆❷◰⌘✂◆⬈ ☞◷◑▫◘◰⌘ ⭠❍◷◆✡▫♁◆⌖♦❒🕮
⭠♊❁❍⇳❍❒🕮 ✦✏☞✂ ⌧🖰◆❻☞◆⌨◆☛♦▫
☞✂ ♋💻③♦◷◘♉◑✐✓✗◆♦ ❁ [المؤمنون : ١٢ - ١٤].

ذكر الله -سبحانه وتعالى- أطوار خلق الإنسان على التفصيل مع حذف بعضها مما ذُكر في سور متعددة في القرآن[٢]، وقد فصلت السنّة النبوية المطهَّرة

---

(١) الركيزة في اللغة : ما يرتكز عليه بما هو ثابت في الأرضِ وغيرها، يُقال لغة : رَكّز شيئاً في الشيء إذا أثبته فيه، وركز السَّهم في الأرض إذا غرزه فيها، ويقال : ارتكز على الشيء إذا اعتمد عليه، ينظر: لسان العرب: مادة (رَكَزَ).

(٢) من هذه السور سورة الكهف في قوله تعالى : ❁ ☞♉◆♦☞♎ ◷⭠❍♦♑ ◷⭠❍⭠⌨♉❍☞❁◷
◆❒➔⚖◆❒ ⌧◷⭠■↓❻⌀❒☞❒◆⬈⑥ ❁☠⬃❷☒⌧☒⌧✍❒🕮
■☠➔⚐ 🗄☮✂◆❷➔✍ ♊♉✌ ◰⌨♦◑■◘◰⌘ ❽♉♎⅄✏☞☞♉✐
[الكهف:٣٧] ❁✞⌧⬉♉◆❻ ◰⌨🗁▪❒◰♒ ■☠➔⚐ ⌨❒☒⌧⬁⮌⁂✡ ♊♉✌

وسورة المؤمنون في قوله تعالى : ❁ ⇳⑨♦◑♦♑◉◆❒ ☞❒✡♋◑■◘◰⌘
🕮✗✓♉◖ ♊♉♓✌ ⌨♁♦✂◷■◘⭠♒ ♊♉✌ ⌘♊◷❁❍♦♦*"☞✂
❼♉✗ ☪❒☒⌧⇳⮌⭠✡ ⭠❍◷❒✡▫◘◰➔◰♉ ■☠➔⚐ ⬗⬘✗⬀
☞◆☪♋◑■◘◰⌘ ❍⚐➔⚐ ⬗⬘⌧⬀ 🕮✗✓⬁▤❒✌ ♑❻✂◆❷♦♎
☞◆☪♋◑■◘◰②♦▫ ☪❒♦◑■◘◆♋ ♦❒☒⌧⇳⮌❻☪♑◉☞✂
☞◆☪♋◑■◘◰②♦▫ ☪❒◆⬄⇳♉⬉✌ ♦❒♦◑■◘◰➔♋♑◉☞✂
☞♦✡⬃❒❁❍♦▤♦▫ ☞✞☺◷♦➔♉⬉ ♦❒◆⬄⇳♉⭠☺♋♑◉☞✂
⭠❍◷◆✡▫♁◆⌖♦❒🕮 ❍⚐➔⚐ ☞✞☺♋◆❍💻 ⌘⚐◷♦➔♉➔♋♑◉☞✂
✦✏☞✂ ⌧🖰◆❻☞◆⌨◆☛♦▫ 🗐 ◆❷◰⌘✂◆⬈ ☞◷◑▫◘◰⌘
[المؤمنون : ١٢-١٤]، ❁⬗⬘⌀⬀ ◆✗✓◑✐♉◘◷♦③♋💻☞✂ ⭠♊❁❍⇳❍❒🕮

المدة الزمنية التي يستغرقها كل طورٍ حتى يبلغ مرحلة البناء التالي، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((أنَّ خلقَ أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكونُ علقةً مثله، ثم يكون مضغةً مثله، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع : برزقه وأجله وشقي أو سعيد))(1)، وكلُّ تلك الأحوال والأطوار دليل كمال قدرة الله تعالى في نقلهِ الإنسان من خلق إلى آخر وهو مستتر بثلاث ظلمات : ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة حتى يصير بشراً سوياً مستقراً متمكناً، وقد اعتمد التعبير القرآني في عرضِ هذه الأطوار على مجموعة ركائز اقتبس البناء اللغوي للجمل اللاحقة، يمكن توضيحها بالشكل الآتي :

الثوابت / الركائز	البناء المُقتبس
١- نطفةً	ثم جعلناه نُطفةً في قرارٍ مكين
٢- علقةً	ثم خلقنا النُطفة علقةً.
٣- مُضغةً	فخَلقنا العَلقة مُضغةً.
٤- عظاماً	فخلقنا المُضغَةَ عِظَاماً.

وسورة غافر في قوله تعالى : [illegible] [غافر:٦٧].

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في تخليق السموات والأرض، حديث رقم (٧٤٥٤)، ص١١٩٤، والرواية ينقص منها ذكر العمل، أي ((يؤمرُ بأربعٍ : برزقه وأجلهِ وعمله، وشقي أو سعيد))، وردت في روايات أخرى صحيحة، ينظر : صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي، حديث رقم (٢٦٤٣)، ص٦٧١.

ومن هنا يتبين أن مصطلح (مراعاة النظير) وما يلحقه به من أشكالٍ بديعية وتقسيماتٍ شكلية تقوم على أساس معايير أسلوبية يمكن إيجازها بالآتي :

١- الدقة في اختيار الألفاظ المناسبة للمعاني، تبعاً للسياق والموقف، فإذا كان المقام مقام تهديد ووعيد ناسب ورود الألفاظ قوية عنيفة، وبعكسه تأتي الألفاظ رقيقة جزلة عذبة في مجال الترغيب والتهذيب.

٢- إحكام وضع الألفاظ وضعها المناسب لدلالاتها، فكل موضع يراد به معنى يختلف عن سابقه مع تحقيق الترابط والانسجام العفوي بشكل يثري السياق ويوسع مساحته الدلالية.

٣- تنمية قدرات اللغة الكامنة في التعبير وتشكيل صور مختلفة بتعانق الألفاظ واقتباس الركائز، وتشابه الأطراف؛ مما له أثره على مستوى التخاطب والتواصل؛ زيادة على مستواها الفني الجمالي.

المبحث الرابع : الإرصاد أو التسهيم :

أولاً : الأسلوب الرصدي، مفهومه، وأنواعه، ووظيفته في التعبير.

تقوم فلسفةَ الإرصاد البديعي على قاعدة اصطلاحية مؤداها إعداد الكلام وتهيئته منسجماً متفقاً مناسباً أوله لآخره، مما يحفز الذهن لرصد أخر الكلام بترقبه دلالة ما تقدم عليه دلالة لفظية أو معنوية، وهذه الدلالة الاصطلاحية تكشف مدى التناسب الدقيق مع الدلالة اللغوية الدالة على معنى الانتظار والإعداد والترقب والتهيئة، يُقال لغةً : أرصدتُهُ إذا قعدتَ لهُ على طريقهِ تَرَقُّبُهُ))[1] ومنه المرْصَد، قال تعالى : ﴿ ❑◆✂☞🙵⬀➔↖⑨←❑✂☎ ♍◆⬅☠⇗ 🗎➔🙵❑ ﴾ [التوبة:٥]، والمرصادُ[2]، قال تعالى: ﴿ ⇒◆❺⬄◷❁⑨⌨ ﴾ ❑♌⇖◐ ﴿ ⇓◆❺⬄◷❁⑩🙵✂ ♉⍰❑✡⧄♑⧄⌘ ⇕◆✱◆✡🔔⊠✍ ⇒⇗❺⬄◷❁⑩🙵✡✂ ﴾ [النبأ:٢١]، وقوله تعالى: ﴿ ◐⇖♌❑ ❻◆⬛✱⌨⧄ ﴾ [الفجر:١٤]، ومنه الرَصَدُ[3] في قوله تعالى على لسان الجنِّ : ﴿ ❑◆❑🕮❑✡✱🙵 ✍↗☪❑🙵 ✡◆◐◆◑↓➔⇖⑨⧄ ✌♉⇗❁♌🙵 ✡◆◐⇘➔↖⑨← ♍♌❍○○⇕↗⇗ ☎ ◆◘☺⧄♊ ④❑○⇔✍◆☺♌↗⇗ ✂🙵⧄☞♌◆ ❻◆♑⑨⇕ ♍◆○←◑ ✱⇗&❑🙵✎🙵 ❻◆◷❁⑨✡✂ ﴾ [الجن:٩].

هذا أبسطُ تصور للإرصاد، والمدقق في كتب البلاغة يجد أن معنى هذا الأسلوب يتسع ليشمل تسميات عديدة منها (التسهيم) و(التوشيح)[4] و(التبيين)

---

(١) لسان العرب : مادة (رَصَدَ).

(٢) ذكر الراغب الأصفهاني أن دلالة المرصاد في الآية المذكورة جاءت تنبيهاً أن على جهنم مجاز الناس، ينظر : المفردات في غريب القرآن، ٢٠٢.

(٣) الشهّاب الرَّصدَ : الذي قد أُرصد به للرجم، ينظر : تفسير غريب القرآن (ابن قتيبة) : ٤٨٩.

(٤) اختلف البلاغيون في إطلاق التسميات، واتفق أغلبهم على إيراد مصطلح التوشيح أو (التوشيج) وهو دلالة أول الكلام على آخره لأنه ينزل المعنى منزلة الوشاح، وكذا ينزل أول الكلام وآخره منزلة محل الوشاح من العاتق والكشح اللذين

و(التوأم)[1]، وقد رأى ابن الأثير أن تسميته بالإرصاد أولى، فهو يجعل الاسم يناسب مسمّاه ويليق به ويطابقه فهو ((من محمود الصنعة؛ لأن خير الكلام ما دلّ بعضه على بعض))[2]، ونحن نوافقه الرأي ونأخذ بتسميته.

ومن الملاحظ كثرة اقتران مصطلح (الإرصاد) بمصطلح (التسهيم)؛ إذ أن هناك إشارات بلاغية لتداخل المصطلحين بشكل يصعب الفصل بينهما، لتحقق التناسب الدلالي لغة واصطلاحاً، والخلاصة أنهما يطلقان على لون بديعي واحد؛ لإقتراب مفهوم التسهيم المأخوذ ((من الثَّوب المُسَهَّم، وهو الذي يدل أحد سهامه على الذي يليه؛ لكون لونه يقتضي أن يليه لون مخصوص له، بمجاورة اللون الذي قبله أو بعده))[3]، من مفهوم الإرصاد المتضمن معنى الرقيب الدال على الطريق وعلى ما فيه[4].

من هنا يتحدد المفهوم الاصطلاحي الجامع (للإرصاد والتسهيم) عند البلاغيين بأن يتقدم من الكلام ما يدل على ما تأخر منه أو العكس بمعنى واحد أو بمعنيين وطوراً باللفظ[5]، فمن يسمع أول الكلام ويتحقق معناه، يستطيع أن يعرف ما بعده لدلالة ما تقدم عليه[6]، فنلمح بذلك مؤشراً دلالياً في صدر الكلام يومئ إلى آخره ويسهم في تحديده، مما يكشف عن دقيق الصنعة ودوام التماسك بين أجزاء النص، لدلالته على تمام المشاركة وقدرة المبدع واتقانه الوصول إلى القلوب، وشحن

يجول عليهما الوشاح دلالة على الترابط والتلازم، ينظر : نقد الشعر : ١٦٨، وإعجاز القرآن (للباقلاني) : ٩٢، والعمدة : ٣١/٢، وسرّ الفصاحة : ١٦٠، والتلخيص : ٣٥٦، وخزانة الأدب (الحموي) : ٢ / ٣٠٤.

(١) في الوقت الذي يرى فيه أبو هلال العسكري أن تسمية (التوشيح) غير لائقة بالمعنى، ولو سمِّي تبييناً لكان أقرب إلاَّ أنه جارى من سبقه في إطلاق تسمية التوشيح ينظر : كتاب الصناعتين : ٣٩٧، وبذلك وضع البلاغيون فواصل فارقة بين مصطلحي (الإرصاد والتسهيم) و(التوشيح)؛ استناداً إلى حدود ترتبط بالدلالة، أوردها المصري بشيء من التفصيل، ينظر: تحرير التحبير : ٢ / ٢٦٧، بديع القرآن : ٩٠/٢ و ٢٣١/٢ ، والمثل السائر : ٢١٦/٣.

(٢) المثل السائر : ٢٠٦/٣.

(٣) تحرير التحبير : ٢ / ٢٦٣.

(٤) ينظر : لسان العرب : مادة (رَصَدَ).

(٥) ينظر : تحرير التحبير : ٢ / ٢٦٣.

(٦) ينظر : البديع، دراسة في البنية والدلالة : ٦٩.

ذهن المتلقي بنقله إلى اللفظ المرتقب وفقاً لما يناسب توقعه، ودعوته إلى الأنفعال الذي يجده بجعله يشعر بشعوره؛ بل يجعله يسبق إلى معانيه بألفاظها انسجاماً مع رصده لأول الكلام، ومصداقاً لما يتمنى أن ينتهي إليه التفكير، وإلى هذا المعنى أشار الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في بيان صفة بلاغة الكلام واقتضاء بعضه لبعض بقولهِ : ((لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك))[١]، وهذا ما ينطوي عليه مصطلح (مراعاة النظير)؛ لأن ((كلا اللونين يقوم أساساً على التناسب والأئتلاف، كما أن أول الكلام لا يدل على عجزه إلاَّ إذا كانت بينهما مناسبة قوية وصلة شديدة))[٢]، ولكن هذا التناسب في دلالة المصطلحات لا يقودنا إلى التسليم بأن الإرصاد جزء صغير من مراعاة النظير، كما ذهب أحد الباحثين[٣]؛ بل هو قريب منهُ في رأينا، فمن المعلوم أن المظهرين يجتمعان في تحقيق التناسب اللفظي والمعنوي، إلاَّ إننا نلحظ في بنية الإرصاد هيمنة التكرار كعنصرٍ صوتي فعّال ومؤثر يؤدي إلى ائتلاف الألفاظ مع بعضها من جانب، ومع دلالاتها من جانب آخر مما يمنحها قيمة صوتية ذات إمكانيات تعبيرية تغني المعنى وتوثق لحمته الأدائية باللفظ من خلال التناوب والتتابع والإعادة المقصودة؛ لإقتضاء الدلالة ذلك المهيمن الإيقاعي المتقارب في المسافة بشكل يفرض فيه سلطته الإجرائية على السياق الوارد فيه حتى أن نهاية التركيب هي نفسها بدايته في كثير من الأحيان.

لنقف عند قوله تعالى : [illegible]

---

(١) البيان والتبيين : ١ / ١١٥.

(٢) البديع، دراسة في البنية والدلالة : ٦٩.

(٣) عبر الدكتور بكري شيخ أمين عن هذا المعنى متمنياً بقوله : ((ولعلنا لا نكون مخطئين لو قلنا أن الإرصاد جزء صغير من الموضوع الذي سماه البلاغيون (مراعاة النظير)))، دون أن يبين الفارق الدلالي بين المصطلحين، وظهر التداخل واضحاً في سوقه للشواهد في موضع الإرصاد تحت عنوان (الإرصاد والفاصلة القرآنية)، وهي من مواضع مراعاة النظير في اعتبارات كثير من البلاغيين المتقدمين، وقد أغفل إفراده المصطلحين ببابين مستقلين في كتابهِ البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم البديع : ٨٣.

③♦→⇳🖬♑☹⇖❑♌♦♦❁ [التوبة:٧٠]، ونظير هذه الآية قوله تعالى :

❁❑◆✌♦✍ ✍✁ ♍♎♏ ✍✁✏✦ ♐♒✉♓◆♦→⇳🖬♑☺⌧♑⇦⇨
❑◆♓✉⌚▤⌫♊ ✉♀✡←❑☑✁☎ ▯♦❑✡🗏●→○❀♑←⇨⇦
③♦→⇳🖬♑☺←❑♍♎♏ ❁ [العنكبوت:٤٠].

عَدَل التعبير القرآني في الآيتين عن الإتيان بفاصلة تنفي أثر التكرار الصوتي لما بدأ به السياق؛ تحقيقاً لمقتضى الدلالة الذي يستلزم التأكيد على أن الإرصاد في مادة (الظلم) يُغني الجانبين الصوتي والدلالي ويبرز التناسب والترابط الوثيق بين زوجين من الألفاظ المتوافقة في المستويين السطحي والعميق، محاولة لـ ((أن تتفادى توقعات المتلقي؛ لأنها تقوم على مفاجأته بإحداث توافق شكلي ومضموني))[1] وبذلك يسلط الضوء على إثبات الظلم للمعاندين والمكابرين والمكذبين للرسل ممن صمُّوا آذانهم عن الحق بأنفسهم وبأبلغ وجه، إذ أسند إليهم بصيغة الكون الماضي في قولهِ :

❁🗏●♀✡←❑☑✁☎ ▯♦❑✡🗏●→○❀♑←⇨⇦

③♦→⇳🖬♑☺←❑♍♎♏ ❁، دلالةً على تمكن الظلم منهم منذ زمنٍ مضى، في الوقت الذي ينفي فيه – سبحانه وتعالى – هذه الصفة عنه بأبلغ وجه ((وهو النفي المقترن بلام الجحود، بعد فعل الكون المنفي))[2]، مع ملاحظة أن مادة (الظلم) سيقت بصيغة المضارع الدال على التجدد والتكرار، أي تكرير ظلمهم أنفسهم في الأزمنة الماضية[3]، وفي تقدم ذكر سياق النفي على الإثبات تغيير لمفهوم المستوى السطحي لدلالة (الظلم) بمخالفته ونفيه وتأكيده على المعنى العميق المراد به صفة أو طبيعة المخاطبين.

يكشف الإرصاد في هذه الآيات اقتضاء الدلالة للفظ المناسب بشكل يؤكد ترابط التعبير القرآني لفظاً ومعنى في علاقاتٍ تتناسب مع المظهر البديعي صيغت وفقاً لأطره المنظمة، فقد تكون هذه العلاقات التناسبية ظاهرة كما أوضحنا في

---

(١) البلاغة العربية، قراءة أُخرى : ٣٦٤.

(٢) التحرير والتنوير : ١٠ / ٢٦٢.

(٣) ينظر : المكان نفسه.

التعبير السابق، وقد تختفي بدرجات متفاوتة في الخفاء تحتاج إلى تأملٍ وتدبرٍ دقيق كما في قوله تعالى : ﴿ 🕮❒▫⧫❷⧫⬈⧫③⬀⬇⬈☹ ☝❒✍ ✍♓︎❒➔⬉❷⬂⧫❒☝ ⬈⧫🕮❒☼☞⬅⚐⬄ ⬀✌︎⬀ ✍⬀❒🕮⬉⬉⧫❷⬀❽⧫✍ ⬅♊︎⬂⧫♰ ⬀⚐❒🕮 ⬈⧫❍⬅❍⬂⧫♦⧫ ➲⬀❒♋︎ ⬇⬈✎✍⧫⌖■💧 ⬀❒⧫♋︎ ✍♌︎❒⬉⬉✍❻❒❽♋︎✍✁ ⬄⚐⬅☞▫⧫➔⧫▫ ✍✞☺◷⧫⮌⬉❍ ⬅❍◷❒✡▫⬓➔⬓⬂⧫♋︎ ✍⧫⌧⬛⧫♑︎⬅❒♌︎⧫ ﴾ [الواقعة:٦٣ – ٦٥].

إن سياق التعبير القرآني يدعونا إلى الوقوف ملياً والتفكير في عظمة الخالق وقدرته – جلَّ ثناؤه –، وفي دقة الرصد وبراعة النظم وشدة اقتضاء أول كلّ آية آخرها، اقتضاءً لفظياً ومعنوياً، يأتلف فيه اللفظ مع المعنى، ويجاور فيه الملائم بالملائم، والمناسب بالمناسب[1]، فقد جاءت هذه الآيات في معرض كثرة الاحتجاج على المشركين وإثبات عجزهم، حين جعلوا لله تعالى شركاء في استحقاق العبادة رغم اعترافهم بأنه خالق المخلوقات جميعاً، وبُدئت باستفهام انكاري تكرر ذكره في القرآن الكريم في مواضع متعددة، تؤكد إقرار العجز الكبير للمخاطبين وإثباته لهم، وامتنان الله – تعالى – على عباده بنعم يسرها لهم، دعوة منه إلى توحيده والإنابة إليه.

ذِكرُ الحرث في الآية يقتضي وجود الزرع؛ ((لأن ذكر الحرث يلائم الزرع، وذكر الحطام يلائم التفكّه ومعنى الاعتداد بالزرع يقتضي الاعتداد بصلاحه وعدم فساده، فحصل التفكّه))[2]، وهنا تبرز فاعلية الإرصاد وأثره في تحقيق الترابط الدلالي الخفي باستدعاء أول الآية آخرها، وقد فرق الراغب الأصفهاني بين أصول النبات المذكورة في التعبير، فقال : ((الحَرْث إلقاءُ البذر في الأرض وتهيُّؤها للزرع))[3]، أما الزَّرْعُ ففي حقيقته الإنبات وتعهد البذر بالرعاية.

---

(١) ينظر : تحرير تحبير : ٢ / ٢٦٧، بديع القرآن : ١٠١/٢.

(٢) تحرير التحبير : ٢ / ٢٦٧، بديع القرآن : ١٠١/٢.

(٣) المفردات في غريب القرآن : ١١٩.

((وحقيقة ذلك تكون بالأمور الإلهية دون البشرية))[١] وهذا ما أكدّتْهُ كتب التفسير[٢]، لذا أجرى التعبير القرآني إنحرافاً في السياق بالعدول عن نسبة الحرث إلى الله – تعالى – وتخصيصه ببني البشر، ونفي الزرع عنهم بنسبته إليه –تعالى– في قوله ﴿↗◆📖❒✡☜←🏱⇔ ✍♦❽⇙❻◆⇖⇖❒✡♦○←❶▦ 📖❒🏱⇙ ✞♦◆⇘♊← ✃🙰🙰❽❒🕒❻✗⇖⇖❒♌♦◆﴾، تحقيقاً للتناسب الدلالي الذي يتردد في ذهن السامع حال ورود لفظ الحرث مما يستدعي ذكر لفظ الزرع تلائماً معهُ، وكذا الحال في ذكر الحطام الذي يقتضي المناسبة المعنوية للتفكه، فقوله : (لجعلنا حطاماً)؛ تأكيداً على أن الإنسان ليس له من ذلك إلاّ الحرث، و((إستدلالاً بإفنائه ما أوجده على انفراده بالتصرف إيجاداً وإعداماً))[٣]، وقد ناسب الانتقال من ذكر الحطام بذكر التفكه؛ لأن الفناء بتحطيم الزرع وتكسيره يقتضي التعجب والندم والتحسر على ما أصابهم من هلاك الزرع وإفساده، ولأن فعل التحطيم أشدّ حسرة من كونه لم ينبت أصلاً ناسبه ردّ فعل ينسجمُ مع شدة الندم وهو قوله: ﴿▫♦→♦▪▫☜←🏱⇔ ✍♦▦⌧▤⅄♑←❒♌♦﴾ أي : أصبحتم تتنقلون بالحديث بعد ما أصاب حرثكم من دمارٍ وهلاك[٤]، وهذا المعنى الذي يرصده السامع المترقب ليدرك بذلك قيمة التناسب الدلالي لعملية الرصد المعنوي التي ساقتها الآيات الكريمة[٥].

(١) المفردات في غريب القرآن : ٢١٧، ولعلَّ الراغب أراد بالأمور، جمع أمر، وهو ما لا يتناسب مع حقيقة الأمر الإلهي بالزرع والإنبات، فضلاً عن أن لفظ الأمور لم يرد ذكره في القرآن الكريم.

(٢) ينظر : البحر المحيط : ٨ / ٢١٢، والدر المنثور : ٩ / ٣٩٥، وروح المعاني : ٢ / ١٢٤، والتحرير والتنوير : ٣١٩/٢٧.

(٣) التحرير والتنوير : ٣٢١/٢٧.

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ٣٢٢/٢٧.

(٥) ينظر قوله تعالى في السورة نفسها : ﴿📖❒▫♦❷♦↗◆❸⇙⬇↗☹ ✌❒🙰 ✍→☺⇳G⇖❒♌♦ ✐🙵🙷⇆ ↗◆📖❒✡☜←🏱⇔ ✌❒❸⇘▪➔❶→❒✡♦○←❶▦ 📖❒🏱⇙ ✡♦◆⇔♊← ✃🙰🙰▭⇘❸♦❶▪🙷❶→❒♌♦﴾ [الواقعة:٥٨ – ٥٩]، وقوله تعالى : ﴿↗◆📖❒✡☜←🙵⇗ 📖❒✡❽♦⇘☜←☺←❒■← ✌🙵♊⌘ ✃🙰🙰⇘☺←❽⇙♌✐ 📖❒🏱⇙ ✞♦◆⇘♊← ✃🙰🙰⇘☺←🕉❾✗🙰↗❒♌♦◆﴾ [الواقعة:٦٩]، وقوله تعالى : ﴿↗◆📖❒✡☜←🏱⇔

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۝ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ۝ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة:٦٨ – ٧٠].

يوحي التناسب الواضح في إيثار الألفاظ مع دلالاتها، بالترقب والإعداد المقصود من أول الكلام إلى آخره وفقاً لنسق قرآني بديع نسجت حروفه قرباً وبعداً، ظهوراً وخفاءً، مما يمدّها بطاقةٍ دلالية تتجدد مع تجدد الألفاظ، ويقتضي كل واحد منها الآخر، فمن الطبيعي أن يكون أسلوب الرصد كاشفاً عن نفسه في الآية؛ لأن قوله ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ يقتضي ختام الاستفهام بقولهِ ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾، وقوله ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ يقتضي فاصلة الإنشاء في قوله ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾، وبذلك تنقّلت التعابير القرآنية في سورة الواقعة تنقلاً بديعاً استكملت فيه سياق تعداد النعم الدالة على تفرد الخالق بالتصرف والقدرة والإنعام على عباده.

وبجانب ما للإرصاد من أثر واضح في ربط الأساليب وقوة صياغتها وسبكها، نرى فيه لوناً من التأكيد على اللفظ بإعادة تكراره، إلاَّ أن هذا التكرار يدخل على الذهن دخول المأنوس والمألوف فيستقر فيه ويتمكن(١)، مُحدثاً أثراً صوتياً يتسق مع الأثر الدلالي للسياق.

ثانياً : المظاهر الأسلوبية في سياق الأسلوب الرصدي :

ومن المظاهر الأسلوبية التي استوقفتنا في سياق هذه التعابير القرآنية ما نرصده بالآتي :

﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ [الواقعة:٧٢].

(١) ينظر : دراسات منهجية في علم البديع : ٩٥.

أ- الذكر والحذف :

دخول اللام على جواب (لو) في قوله ﴿◉ↄ♦↗✗⌧➔⌧◘▫✡□◷○⇦ ○↖➲♦◷☺✞☙﴾، وهي زائدة للتوكيد[1]، ونزعها منه في قوله ﴿♉⌧➔⌧◘▫☪◆◷○⇦ 🕮⬆♊⌧🕭☯🕭﴾، للإيجاز والاختصار، فأفاد الفعل مزيداً من التأكيد مع ذكر الزرع، وَحَسُنَ الحذف لقوة دلالة السياق القرآني عليه في موضع ذكر الماء، فضلاً عن أن الحذف يترك للنفس أن تتشوق إلى حقيقة المحذوف، وأن الاشتغال بذكره يُحدث الخلل في العبارات ويفضي إلى تفويت الغرض المطلوب أحياناً.

ب- قضية الجهد المبذول[2]:

فقد ناسب مجيء (لام) التوكيد مع الزرع لبذل الإنسان مجهوداً كبيراً في حرثِهِ وسقيه لتأكيد الدلالة على ذلك، مما لا يكون مع نزول الماء من السماء فلا يحتاج إلى جهدٍ وتأكيد؛ لأنه لا يدعي أحد القدرة على إنزال الماء، فالمؤكد أن الله –تعالى- هو الفاعل لا محال؛ لذا لم يكن هناك حاجة إلى التأكيد.

ج- تقديم وقوع العذاب وتأخيره :

إن في إدخال (اللام) على جواب (لو) في آية الزرع، إشارةٌ إلى تأجيل العقوبة لعقوبة أشدّ، وعليه يكون المعنى المراد من الآية : لو يشاء الله لجعل الزرع الذي ينبته من الحبِّ حطاماً، عقوبةً لهم على شركهم، وتكذيبهم بآياتهِ، ولكن اقتضت مشيئة الله – سبحانه وتعالى – أن يؤجل هذه العقوبة لأشدّ منها، كان ذلك ﴿□◆↖⇳⑨⌧ ✂☙✏★ ☎ ♦♦ ⑥↗③⬂◘⬂✂⇦ ✂☙✏✦ □◆↖⇳⑨⌧■⇦◷﴾ **[الروم: ٦]**.

أما في نزعها من جواب الشرط في سياق ذكر الماء، إشارة إلى التعجيل بوقوع العذاب عقب المشيئة فوراً دون تأخير، وبذلك يكون المعنى المراد من الآية : ((لو يشاء الله تعالى، جَعَلَ الماء المنزَّل من المُزن أُجاجاً لوقته دون تأخير، فلا

---

(١) ينظر : التعبير القرآني : ١٢٩ – ١٣٠.

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ١٣٠.

ينتفع بهِ في شرب، ولا زرع، ولا غيرهما، ولكنه تعالى لم يشأ ذلك رحمةً بعباده وفضلاً منه تعالى عليهم))[1].

د- قضية التحويل والإعادة :

احتج الدكتور فاضل صالح السامرائي على ما جاء به المفسرون من أن العقوبة بجعل الزرع حطاماً أشدّ من عقوبة جعل الماء أُجاجاً فناسبها ذكر (اللام) في حين نزعها من آية الماء، وذكر مؤكداً أن الماء الأُجاج يمكن أن يحول إلى ماء عذب[2]، مبيناً أن التهديد لم يأتِ في الآية بغور الماء كلياً كما في تهديد جعل الزرع حطاماً، والمراد من جعل الزرع حطاماً أي جعله متكسراً قبل الانتفاع به.

هـ- دلالة التهديد والوعيد :

لما كان الوعيد بتحويل الزرع إلى حطام أشدّ وأصعب من الوعيد بتحويل الماء العذب إلى ملح أُجاج، والأُجاج هو الزُعاق شديد الملوحة والحرارة، ومنه أجيج النار[3]، احتاج الكلام إلى زيادة تأكيد باللام في حين قصد حذفها مع آية ذكر الماء مناسبة للسياق.

و- مناسبة الاقتران للأمور المتخيلة الوقوع :

كثر ورود ذكر (لو) في القرآن الكريم، مقترناً بـ(اللام)، إفادة دلالة صعوبة الأمر وشدة تحققه[4]، كما في قوله تعالى :

﴿ ⬀❑⬧⬥◆❑ ➔↗✍⬧◆⬧⬧⧫ ⬧❑◆⧫⬧❑☺⬤❍⬄✡❑⬧ ⧫◆⬧☎⬀⬇❏⬀ ⬸⬀❑⬁⬀❁⬀✿⬀⬈⬀✾ ﴾ **[يس:٦٦].**

وقوله تعالى : ﴿⬧◆⬧⬧⬧⬀❑✂☎ ⬧◆⬧⬧⬆ ⬧⬧⬧⬀☺⬀➔⬀⬀❑⬧ ⬧❑◆⧫⬧ ➔↗✍⬧◆⬧⬧⧫ ⬧◆⬧➔⬀⬧⬄✡❑⬧ ⬀⬀⬀⬀⬀◆ ⬀⬀⬀⬀⬀ ✍✂ ﴾ **[الأنفال:٣١].**

---

(١) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم : ١٠٤.

(٢) ينظر : التعبير القرآني : ١٣١.

(٣) ينظر : الكشّاف : ٤ / ٣٣٦، المفردات في غريب القرآن : ٢٠.

(٤) ينظر : التعبير القرآني : ١٢٩.

وقوله تعالى : ﴿♎︎♁︎⬧︎✂︎☎︎ ♎︎◆︎❒︎♏︎ ⅄☒︎♐︎✏︎⬀︎◆︎

❻◆︎🖃︎🖂︎❀︎⬧︎☼︎◻︎♐︎ ❀︎✞︎☼︎❽︎⧫︎✌︎⧫︎ ✍︎⧫︎■︎🕔︎✵︎⬙︎ℰ︎▤︎⬧︎◻︎☪︎﴾[فصلت:١٤].

وقوله تعالى: ﴿◻︎◆︎♎︎⬧︎◻︎⬀︎ ⧫︎■︎⌖︎⧫︎◆︎♐︎✏︎⬀︎↓︎

⏣︎○︎♑︎◻︎➔︎◻︎⌂︎▫︎✡︎◻︎♐︎ ✍︎♊︎☪︎▤︎⬀︎⚐︎ ✍︎◻︎■︎🕔︎✵︎⬙︎ℰ︎▤︎⬧︎◻︎☪︎ ✖︎♓︎❼︎

✂︎♐︎❀︎☞︎❻︎⬀︎⬂︎⬖︎ ❻︎⬧︎❸︎⬂︎➔︎▦︎➔︎◻︎♌︎⧫︎﴾ [الزخرف:٦٠].

في حين تُساق (لو) الشرطية منتزعة (اللام) من جواب شرطها في الأفعال التي يتخيل وقوعها، وإن لم تقع كقوله تعالى : ﴿🕮︎◻︎◻︎⧫︎♎︎◆︎⚐︎⬄︎

❸︎⧫︎♑︎⇳︎❾︎♊︎ ♎︎♊︎✂︎⅄︎♁︎♊︎❸︎♊︎⌘︎ ❸︎⧫︎❷︎⌧︎⚐︎➔︎◻︎♍︎❀︎

✂︎♐︎❀︎☞︎❻︎⬀︎⬙︎⧫︎ 🖃︎♊︎♊︎🖅︎ 🖃︎⧫︎➔︎⬃︎❾︎♊︎ 🕮︎◻︎♎︎⬃︎⧫︎♓︎♑︎⊠︎♐︎✏︎

🕮︎◻︎♌︎ ♎︎⅄︎◻︎⬀︎ ⧫︎■︎⌖︎⧫︎◆︎♐︎✏︎⬀︎↓︎ 🕮︎◻︎🕒︎❁︎⌨︎⬀︎☪︎◆︎🕔︎♑︎←︎☠︎

🖃︎♓︎⓿︎⬀︎✡︎←︎◻︎🖃︎♓︎♑︎♓︎⚐︎⬄︎ 🗐︎ ◻︎◆︎☼︎⧫︎⮌︎⇳︎⌨︎⧫︎⬈︎←︎ ⬉︎⧫︎✍︎■︎❼︎🗐︎

🔔︎➔︎◼︎➔︎◻︎🖃︎♓︎♒︎♓︎☠︎⬀︎ ▫︎⧫︎♑︎←︎⚐︎⬄︎ ⧫︎⧫︎ ❹︎◻︎○︎⬄︎☺︎⍓︎➔︎⬉︎◻︎♍︎❀︎﴾

[الأعراف:١٠٠].

ز- مناسبة فاصلة الآية لمضمونها/مراعاة النظير :

فقوله ﴿▫︎⧫︎➔︎⧫︎◼︎▫︎☞︎←︎⚐︎⬄︎ ✍︎⧫︎▦︎☒︎▤︎⅄︎♑︎←︎◻︎♌︎⧫︎﴾ يناسب جعل الزرع حطاماً متكسراً لا ينتفع به، لدلالة التّفكه على التلاوم فيما بينهم، والندم والحزن على ما سلف منهم من معصية الله التي أوجبت عقوبتهم في زرعهم، أما قوله ﴿▫︎⧫︎◼︎■︎◻︎⬀︎⧫︎⧫︎ ✎︎■︎⌖︎⇳︎▤︎⬀︎❷︎⬉︎◻︎♍︎❀︎﴾، فقد أعقب جعل الماء أُجاجاً تخصيصاً لهم على الشكر بإخلاص العبادة لله تعالى وحده على هذه النعمة، التي هي من أعظم النعم، وقد ذكر الدكتور فاضل صالح السامرائي أن دلالة (لولا) أشدّ في الطلب من (لو) وقائلها أكثر إلحاحاً من قائل (لو) المقصود منها الطلب برفق[1].

ح- تقديم المطعوم على المشروب[2] :

(١) ينظر : لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : ١٨٧.

(٢) ينظر : التعبير القرآني : ١٣٠ – ١٣١.

المطعوم مقدم على المشروب في حياة الناس، وهي قضية تقديم الأهم على المهم، وإلى هذه المسألة أشار الزمخشري بقوله : ((إن هذه اللام مُفيدة معنى التوكيد لا محالة، فأُدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب؛ للدلالة على أن أمر المطعوم مقدّم على أمر المشروب، وأن الوعيد بفقده أشدّ وأصعب، من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعاً للمطعوم))[1].

ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب، وقد أكد الدكتور فاضل السامرائي على أنه حيث اجتمع الأكل والشرب في القرآن الكريم لوحظ هذا النوع من التقديم وقد ناسب تقديم الحرث والزرع على الماء، إدخال اللام على آية المطعوم دون المشروب[2].

وقد أشار الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ) إلى مسألة دخول اللام في المطعوم دون المشروب، معللاً ذلك بأن جعل الماء العذب ملحاً أسهلُ إمكاناً في العرف والعادة، مع العلم أن الماء المالح أكثر وجوداً من الماء العذب، فإذا ما جرت المياه العذبة على الأراضي المتغيرة أحالتها إلى الملوحة، وبذلك تنتفي حاجة آية الماء إلى زيادة توكيد[3].

ومن بديع الإرصاد الخفي قوله تعالى : ﴿•✍⑩ଓ♎◆❒•
❹♈⬀❻❒🕯✵🕔◆③ ✂✍🖎✉⬀◼◼⬉✌✎ ଓ✌♦✍✏⬈♦⌧ଓ
❒◆③🕔○✽☺⌧✍✏⬈⬇ 🕮❒🔔⬃🖫ଓ⬉✌✎ ❒◆⬊ଓ⓿⮙◆
✂✍✍◉♒⬃☺⌧✍✏⬈⬇ ❒◆🔔➔✎⬀✎⌘ ✂✍❀☞✌⬃❷⬉
❒◆✂✍ଓ⬄☞♦❒◆☠⇳⬉♦✍■❼ ✂✍💻⬃♑➔❒⑩ଓ❽♎⬀ ☎
•✍⑩ଓ♎◆❒ 🖃⬅➔⬃⑨✡✂ ◉♒ℯଓ■□◑♦❒⬀✈ଓ
✂✍◉♒➔⅄🕔■⌧☺ଓ✓×♦﴾ [هود:٤٤].

تصور الآية الكريمة المشهد النهائي لقصة الطوفان في عهد سيدنا نوح عليه السلام الذي عمَّ أرجاء الأرض وأغرق أعداء الله المعرضين عن سماع دعوة نبيه التي استمرت تسعمائة وخمسين عاماً، أسفر عن ذلك نجاة سفينته بما حملته ممن آمن به فاستقرت على مكان مرتفع يسمى الجودي، فصور الله ذلك تصويراً حسياً يؤكد

(١) الكشاف : ٤ / ٣٣٧.

(٢) ينظر : التعبير القرآني : ١٣١.

(٣) ينظر : روح المعاني : ٢٧ / ١٤٩.

استجابة الطبيعة العظيمة وخضوعها لأمر الله، وتنفس الكون الصعداء، بعدما طهُر من القوم الظالمين[١]، وقد رَصَدَ علماء البديع ما يزيد على عشرين مظهراً بديعياً في هذا التعبير، وأول ما نلمح فيه التناسب الصوتي الذي حققه إيقاع صيغ الأفعال الواردة على الترتيب في قوله (أبلعي) و(أقلعي)، فقد جمع بين لفظين متفقين وزناً وقافية أنتج الجمع مناسبة لفظية تامة[٢].

في حين تظهر (المطابقة) واضحة جلية بين (السماء) و(الأرض) في صورة تمنح التعبير القرآني دلالة إضافية باستدعاء الطرف المتضاد والمخالف لفظاً ومعنى ووضعه في هيئة تشكل النقيض للطرف الآخر.

وسرّ بلاغة كل لفظ من ألفاظ هذا التعبير لا يقتصر على مجرد سوق تلك الألفاظ متناسبة موضوعة في نسقها التلاؤمي؛ بل في طريقة البناء المحكم وتراصه وتراصفه، حيث يبرز التماسك اللفظي والمعنوي، فلم يكن أمراً عارضاً أو عابراً؛ لأننا نستطيع أن نأخذ كل لفظ منها على حده فنجده لفظاً عادياً مما تستعمله اللغة العادية في بناء أساليبها[٣]، لكن بديع النظم القرآني كشف مظهراً من مظاهر إعجازه الكامن في التشكيل الصوتي الذي أعطى الآية موسيقية منفردة تتجاذب مع مضمونها الإيحائي اتساقاً مع الحركةِ السريعة المفاجئة التي يحتضنها المشهد القرآني المرتبط بمسألة النظم ((ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض، ثم أُمرت، ثم إضافة (الماء) إلى (الكاف)، دون أن يقال : (أبلعي الماء)، ثم أن أُتبع نداءُ الأرض وأمرها بما هو من شأنها، نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها))[٤]، يضاف إلى ذلك ملامح أسلوبية يمكن أن نستشفها من الآتي :

أولاً : قوله تعالى : ❖❒◆🔔✎⑩✍• ③◆🕔✵🕯❒❻⬀∀➊ ✂∽✍⬀❒■⬉☞✗✎◆✍∽✍◆⬈🖱✎❖، جيء بالتعبير مبنياً على

(١) ينظر : من بلاغة القرآن : ٥١.

(٢) ينظر : تحرير التحبير: ٤ /٦١١، بديع القرآن : ٣٤٠/٢.

(٣) ينظر : البلاغة القرآنية : ٧٣.

(٤) هذا النص مجتزأ من كلام الشيخ عبد القاهر الجرجاني وتعليقه على الآية الواردة ضمن شواهد قرآنية معدودة يمكن إحصاؤها في كتابهِ، دلائل الإعجاز : ٤٦.

أسلوب النداء طلباً للإقبال بحرف نائب مناب (ادعُ)، وهذا الاختيار النحوي لهُ دلالة نفسية توحي بالإشارة إلى تجسيد الأرض وإعطائها صفة الكائن العاقل، دليلاً وتأكيداً على أن كل المخلوقات الناطقة والصامتة أمام الله تعالى سواء[(١)]، ومن الملاحظ أيضاً مقابلة صيغة الفعل الماضي (قيل) في بدء هذا التعبير بما يناظرها في خاتمتهِ في سياق محكم ونسقٍ بديع ((كأنهما لوحتان فنيتان متماثلتان))[(٢)].

ثانياً : بعد غرق الكافرين ونجاة سيدنا نوح ﷺ ومن معه من المؤمنين، وجه الله تعالى أمره إلى الأرض والسماء فقدم النداء على الأمر أولاً ثم خصّ تقديم نداء الأرض على نداء السماء جرياً على مقتضى الظاهر؛ لأن (الأرض) هي الأصل الذي ابتدأ منه الطوفان[(٣)].

ثالثاً : جاء الإرصاد والتسهيم ظاهراً في دلالة السياق المتناسق، يبرز في اقتضاء ما تقدم من التعبير ما تأخر منه، فقوله تعالى : ﴿❑◆🕭♑⑩🙜•
✂✡⑨⬀➔⬅🙭 ♑✈⬀❑⬧◑▫◘♑🙰🙶🕯
✂🙯🙵🕭➔⅄🕔◘♐☺♑✓✗◆﴾ جيئ مناسباً لقوله تعالى :

﴿❑◆🕭♑⑩🙜• ③◆🕔❋♗❑❻⬀⋎❶ ✂🙯🙵🙭⬀◘■⬉⬲🙴

🖎◆🙯🙵✍⬈◆🖰♑﴾، تأكيداً على أن الأمر والنداء يتضمن دلالة الاقتدار العظيم لله تعالى، والانقياد لمشيئتهِ فإذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون.

رابعاً : يلمح في سياق التعبير دقة الاختيار اللفظي الدقيق للفعلين (بلع) و(قلع)، فقد أُثر وضع (بلع) على غيره؛ لأن حقيقة البلع ((اجتياز الطعام والشراب إلى الحلق بدون استقرار في الفم))[(٤)]، فناسب حركة دخول الماء في باطن الأرض بسرعةٍ مفاجئة دون المرور بأي حالة أُخرى مما أدى إلى يبسها، كما جاءت صيغة الفعل (ابلعي) مقتضية دلالة الفعل (اقلعي) لتحقيق التجانس اللفظي

---

(١) ينظر : البلاغة القرآنية : ٧٤.

(٢) البلاغة القرآنية : ٧٦.

(٣) ينظر : روح المعاني : ٨ / ٢٥٤.

(٤) التحرير والتنوير : ١٢ / ٧٨.

بين الصيغتين، فضلاً عن أن معنى الاقلاع هو الإمساك والمنع من إرسال المطر ليناسب جفاف الأرض وشدة يبسها؛ لذا فإن دلالة الصيغة توحي بمعنى الارتفاع إلى الأعلى ((فكأن مياه السماء حين تقلع، لا تقوم بمجرد عملية إمساك استمرار الماء))[1]؛ بل الصعود إلى الأعلى مشكِّلة حركة تقابلية ناتجها إلى الأعلى مُضاده لحركة البلع المنخفضة إلى باطن الأرض، فحققت تناسباً مع متطلبات السرعة بالعودة إلى الحياة الطبيعية على سطح الأرض.

خامساً : إيثار صيغة الفعل المبني للمجهول في قوله تعالى : ﴿❑◆⬊♉⓿⮙◆ ⅋⬃⬈✐⬇☺⮹♒◉⅋⬃⬌﴾، تأكيداً على دلالة أن الماء لم ينقص ويجفّ من تلقاء نفسه؛ إنما بقدرة إلهية تطوع الأشياء على الامتثال والانقياد بخشوعٍ، وهذا الأمر لا يحتاج إلى ذكرٍ لتأكيده لذوي الألباب والعقول المتفكرة في عظمة القدرة الإلهية.

سادساً : الوصول إلى النتيجة والهدف المقصود بعد النداءات والأوامر الواردة في التعبير القرآني وهي إهلاك من قُدِّر هلاكه، ونجاة من قُضيت نجاته، وهذه الحقيقة لابدّ أن تكون معلومة لأهل السفينة، فعلمهم لا يتحقق إلاّ بعد خروجهم منها، وهذا الخروج موقوف على قوله تعالى : ﴿❑◆🕭➔⌧⬀⌧⌘ ⅋⬃❁☞✎⮹❷⬉﴾، فالأمر مقضي لا محال بتحقق قضاؤه بعد نفاد دلالات الانساق التعبيرية الواردة قبله مما شكل حسن نسقٍ الفاظه سابقت معانيه، ومعانيه أوجزت الفاظه.

سابعاً : عَدَل التعبير القرآني عن التصريح بذكر السفينة مُشيراً إليها بقوله تعالى : ﴿❑◆⅋⬃♓⬄☞⧫❑◆☠⇧ ⬉⧫✍■❼ ⅋⬃⌨⮹♑➔❑⓾♉❽♎⬃﴾ بدلاً من قوله (واستوت السفينة)؛ فقد جاء كل تركيب في سياقه المناسب مُخرجاً صورة موحية مؤثرة، فقد رأى الذين نجوا

---

(١) البلاغة القرآنية : ٧٥.

غيض الماء وقضاء الأمر، فكان الختام أن يستقر الحال لتحقيق التمكّن مما استدعى الإيجاز للدلالة على الثبات والاستقرار والسلام وانتهاء الأمر.

ثامناً : الإتيان بالجمل معطوفاً بعضها على بعض بواو عطف النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة[1]، معبرة بذلك عن دقة القرآن الكريم في اختيار المفردات والجمل وانسجامها مع المعنى.

تاسعاً : من خلال تحليل ورصد ما جاء به ابن أبي الأصبع المصري[2] في إحصاء البدائع التي اشتملت عليها الآية لاحظ البحث أنه جمع في الآية فنوناً ليست من البديع كالاستعارة والمساواة هذا من جانب، ومن جانب أخر وصفه للأية بالإيجاز الذي هو ضد الأطناب، وأردف على ذلك الوصف (المساواة) فكيف جمع بين نقيضين، مما يظهر التداخل واضحاً في خلطه للمفاهيم، وما يراه البحث أن الآية اشتملت على الإيجاز بنوعيه، إيجاز الحذف المتمثل في بناء الفعل للمجهول في صيغ الأفعال الواردة (قيل) و(غيض) و(قُضي) و(قيل بُعداً)، وفي اضمار فاعل الفعل (استوت) وحذف معمول الفعل (أقلعي).

وإيجاز القصر لاكتناز ألفاظ هذه الآية بالمعاني ذات الدلالات العميقة كقوله تعالى : (غيض الماء) و(قُضي الأمر)، لذا قالوا : ((في هذه الآية من الإيجاز ما يعجز البيان عن استيفاء تحليله وشرحه، فقد أمر فيها ربنا ونهى، وأخبرَ، ونادى، ونعت، وسمَّى، وأهلكَ، وأبقى، وأسعدَ، وأشقى، وقصَّ من الأنباء ما حقت به الغاية القصوى من البيان))[3].

عاشراً : ايثار لفظ (الاستواء) على غيره من الألفاظ، فلم يقل (استقرت) أو (رست)؛ لدلالته على معنى لا يدل عليه واحد من نظيريه المذكورين، فالاستواء يدل

---

(١) ينظر : البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٤٦٢.

(٢) جمع ابن أبي الأصبع المصري ما يزيد على عشرين لوناً بديعياً في هذه الآية، منها : ١-المطابقة، ٢-الاستعارة، ٣-الإشارة، ٤-الإرداف، ٥-التمثيل، ٦-التعليل، ٧-صحة التقسيم، ٨-الاحتراس، ٩-الانفصال، ١٠-المساواة، ١١-الإيجاز، ١٢-حسن النسق، ١٣-أئتلاف اللفظ مع المعنى، ١٤-التسهيم، ١٥-التهذيب، ١٦-حسن البيان، ١٧-التمكين، ١٨-الانسجام، ١٩-الإبداع، ٢٠-المجاز المرسل، ٢١-المناسبة اللفظية، ينظر : بديع القرآن: ٢/٣٤٠.

(٣) البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٣٨.

على الاستقرار أو الرسو المُطَمْئِن مع اعتدال الوضع، أما الرسوّ والاستقرار فقد يكونان على غير وضع الاعتدال فقد ترسو السفينة أو تستقر وهي منكسة مثلاً على الشاطئ، وبذلك يكون الاستقرار المعتدل الوضع هو المعنى المطلوب لنجاة المؤمنين من هلاك الطوفان(١).

ثالثاً : أنواع الإرصاد ووظيفتها في التعبير :

استثمر علماء المناسبة في الدراسات القرآنية، فكرة الإرصاد والتسهيم في الكشف عن علاقات التناسب والترابط اللفظي والمعنوي وفقاً لقرائن دلالية تتضح من السياق وما يقتضيه؛ ليؤدي إلى أئتلاف الألفاظ مع معانيها حتى تتداعى المعاني، فتتلاءم محدثةً أثراً يُكسب الأسلوب سبكاً منظماً دقيقاً.

وقد أكد الدكتور عبدة عبدالعزيز قلقيلة أن ميزة هذا اللون البديعي تكمن في ((أنه يقدر القارئ أو السامع على التنبؤ بما يختلج داخل الأديب حتى ليمكنه متى عرف أوله أن يكمله بما كان الأديب قد كمّلَه به))(٢)، ومن هنا يتبين أن قيمة الإرصاد الأسلوبية تكمن في تحقيقه الترابط العضوي والموضوعي للوصول إلى جيد الكلام الذي تدل موارده على مصادره، ويكشف أوله عن آخره محققاً المستوى المطلوب.

وقد قسَّم البحث الإرصاد والتسهيم إلى نوعين وكشف عن شواهدهما وأثرها الأسلوبي في التعبير القرآني :

الأول : الإرصاد اللفظي :

وهو دلالة المتقدم من الكلام على المتأخر فيه دلالة لفظية، تأمل قوله تعالى:

☪□□✎↑🕮 ⚐♦⚲◑ ↓□✍□✡♑✍✁ ♦♌🔔☒✍ ✍♦✎◆□❁
🗐 ☎✁□➔▦■🖬♦☞✍⌘✍✍♦▫ ☪□⍓⑨♑○🕓◆□
♊♑✎ ⇳💣*♦◑♦🖮⍓♒ ⮘□⍓☺⚲🖬•🗎 ••⬀□♦♑◆□
⬄⚐🡐♑□✡⬀❹♦🖃 ⌘⚲⬁⚲➔◑♦♑ ♋①⚲♓🖃○❻
▫♑⑩☺⍓✍ ▫♑⑩○♑ ⑥♦③⬂☞♦🖬⚲▦➔□♍♋ ❁ [يونس:١٩].

(١) خصائص التعبير القرآني : ١ / ٢٦١.

(٢) البلاغة الاصطلاحية : ٢٩٦.

وقوله تعالى : ﴿✠➔✍✎✐✑ ✤✍✎✏✦ 📖❐·⇔❸◆⬋⬈

✌◆▤⬁❷⏲✁ 🗐 ◑✈♌❐ ❻⬇☾←🖬■✡❐✍

❸◆▤⬁☞←🖮←❐♌◆ ✌◆✍ ✍◆☺⇳▤⬈❷⬉❐♍✎﴾ [يونس: ٢١].

وقوله تعالى : ﴿◆◆ ❸⬉◆☒✁❀♉⓿⬈🖎⬈☠⬉ ✁✍✎✐✦

🖅♉✗ ✖◑❼☑ 📖❐③✍☺⬓⏲☪♉▤⬈☠⬀

❐◆⬥☯◆⏲▤🖞♊ ❸⬉◆☒✁❀♉⓿⬈🗎➔☠ 🖅♉☺⬓✍

⬉◆◑⊙⑨✍✎☠⬉ ✁✍✎❀☞③⬀☺⬓⏲♊⌘ ☎﴾ [المائدة: ٨٩].

بناءً على ما تقدم من معرفته من معنى الإرصاد، يتم في نوعه اللفظي اختيار اللفظة منطلقاً لمتابعة أثره الأسلوبي في السياق، ورصد علاقاته الفاعلة، وهذا يعني النظر إليه بوصفه مجموعة من العلاقات المترابطة بدءاً من مستوى اللفظ الصوتي وموقعها في التركيب وأثرها الدلالي في المعنى الإجمالي، ففي النصوص السابقة يرتكز الإرصاد على بنية تستدعي اللفظ المتقدم لما بعده مطابقاً ومناسباً له في اللفظ، لا يجد فيه المترقب للكلام صعوبة تتطلب طول فكرٍ وتأمل؛ بل الظاهر من اللفظ يوجب طرفه الآخر مباشرةً، فلو تأملنا قوله تعالى : ﴿❐◆✌◆✍

🖎☒🔔♌◆ ✁✍✎⬥☪❐✍❐⬇ ◑♉◆🖍 📖⬆✌❐❐☾

▫◆✍✎✍✎⌘⬀☞◆🖬■▦➔❐✁☎ 🗐

❐◆⬥◆⏲○♉⑨⬓❐☾ ▤•🖬♉☺⬓❐⮜ ⇳🖲◆◑◆✲🖬 ✌♉♊

❻❍🖅⌘◑♉① ⬥◆◑➔🖗🖗⌘ 🖅◆❹⬀✡❐♑←🏱⇔

▫♉⑩☺⬓✍ ▫♉⑩○♉﴾ وتوقف التعبير عند هذا التركيب، هنا يبرز أثر الإرصاد الأسلوبي في ضرورة إيراد ما يتم السياق به، الذي يستدعيه لفظ الفعل (فاختلفوا)؛ لأن الذهن يرصدُ دلالة مناسبة تربط اللفظ بالمعنى وتحقق التلاؤم في الأسلوب، فقد أخبر الله تعالى أن الناس كانوا متوحدين مجتمعين على الإيمان ودين الحق، فاختلفوا بعد ذلك في أمور دينهم وتفرقت به السبل، ولولا أنه سبق من الله أنه لا يهلك قوماً إلا بعد انقضاء آجالهم، لقضي بينهم بأن يُهلك أهل الباطل وينجي أهل الحق في الدنيا[1]، وهذا المعنى يؤكد ما حققه الإرصاد اللفظي من دلالة في

---

(١) ينظر : جامع البيان : ٢٧٢/٤.

التعبير؛ لأن الوعيد في الآية يناسب دلالة ما اختلفوا فيه وما كانوا فيه يختلفون في الدنيا وعقابه يوم القيامة، فلولا هذا التأخير لقضي بينهم عاجلاً بنزول العذاب.

أما في قوله تعالى : ﴿🕭➔✍✐ ✂✍✎✦ 🕮❐·⬄❸◆⬋⬈ ✥◆▤⬁❷⏲✂ 🗐 ◑ⵙ♌❐ ❻⬇🙵⬅🖬■✡❐✍ ③◆▤⬁☛⬅🖮⬅❐♌◆ ✥◆✍ ✍•☺⇳▤⬈❷⬉❐♍♋﴾ [يونس:٢١]، أُسست الألفاظ على قاعدة رصينة دلَّ أولها على آخرها، وناسب آخرها أولها لفظاً ومعنى إذا ما علمنا أن هذا التعبير سيق بأسلوب الخطاب الأمري من الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ بأن يردّ على المشركين ما يبطل مكرهم بقوله ﴿🕭➔✍✐ ✂✍✎✦ 🕮❐·⬄❸◆⬋⬈ ✥◆▤⬁❷⏲✂ 🗐﴾ مما يدل على أن المكر المتعلق بالمخاطبين ناتج من إخفاء الكيد وطيه[1] وتدبيرهم الخفي بإيهام بعضهم بعضاً أن آيات القرآن غير دالة على صدق الرسول، وزعمهم أنه لو أنزلت عليه آية أخرى لآمنوا بها، أما نسبة المكر إلى الله تعالى فجاءت في سياق دلالي يؤكد الكلام المتضمن دلالة التعريض بإنذارهم ووعظهم بأن الله أعجلُ بالعقوبة وأشدُّ وأقدر على التدبير والاستدراج حتى يظن المجرمين أنه ليس بمعذبهم، وأنه قادرٌ على إبطال ما يمكرون ﴿❐◆◑ⵙ♌ 🖎☒🕭♍♋ ✥◆⌛⇩❷⬉♎➔☠⬀ 🕸♐⬃✥◆❾⬉❐✌◆ ✥⬅⬃✡⬀⬅❍ ✂✍🖳⬂♑⬁⌛◆✍✌⬉﴾ [إبراهيم:٤٦]، وقد ((أطلق المكر على وجه الاستعارة التمثيلية؛ لأن هيأة ذلك التأجيل في خفائه عنهم كهيأة فعل الماكر))[2]، ويؤكد ذكر المكر في أول الآية على مناسبة ما تأخر منها؛ لأن لفظ الإرصاد متمثل بـ الجملة الثانية المفصولة عما سبقها لاختلاف المخاطب فقوله تعالى ﴿◑ⵙ♌❐ ❻⬇🙵⬅🖬■✡❐✍ ③◆▤⬁☛⬅🖮⬅❐♌◆ ✥◆✍ ✍•☺⇳▤⬈❷⬉❐♍♋﴾، جملة استئنافية جاءت في سياق خطاب المشركين المباشر تهديداً من الله تعالى وإعلامهم بأن

---

(١) ينظر : الكشاف : ٣٥٥/٢.

(٢) التحرير والتنوير : ١١ / ١٣٤.

الملائكة الموكلين بإحصاء الأعمال يحصون لا يهملون، فضلاً عن كونه إنذار بالعذاب، يستلزم علم الله تعالى بذلك.

وقد أُكدت الجملة الثانية المتضمنة معنى الإرصاد بـ(إنَّ)؛ لكون المخاطبين يعتقدون خلاف ذلك، مُؤثِرةً التعبير بصيغ المضارع (يكتبون) و(يمكرون)، دلالةً على تكرار الكتابة كلما تكرر المكر، لذلك جُعل مكر الله بهم أسرع من مكرهم بآياتهِ[١].

يبدو مما سبق أن أسلوب الإرصاد اللفظي ذو فاعلية ذاتية، وسمّة صوتية تتبنى توارد الألفاظ في الأبنية اللغوية انسجاماً مع الجانب الدلالي، محتوياً التنويعات والتحولات الصوتية التي يحدثها التكرار الناجم من عملية الترديد اللفظي بما يسهم في إثراء السياق بالمعاني المقصودة تحقيقاً للهدف العام.

أما النظام الذي يحكم حركة الإرصاد اللفظي داخل السياق فيتحدد في عفويته وانسيابية دون إقحام في بنية التعبير القرآني، ليشكل نسقاً من العلاقات القائمة على التناسب والتلاحم والإرتباط.

وكثيراً ما يرد هذا النوع من الإرصاد في ذكر اتّباع الأوامر الحسنة وجزاء فاعلها[٢]، وإيراد اجتناب النواهي والتحذير من عاقبتها وبيان أن ما يصيب الإنسان من مصيبة فيما كسبت يديهِ وأن الله ليسَ بظلامٍ للعبيد[٣].

النوع الثاني : الإرصاد المعنوي :

وهو أن تكون دلالة الكلام المتقدم على المتأخر دلالة معنوية، بحيث يعرف السامع ما ينتهي إليه الكلام وإن لم يجد ما يدل عليه لفظاً مما تقدم، ومن أمثلة هذا النوع في التعبير القرآني قوله تعالى : ﴿ ⌧ ◑♐♌□ ✂✍✎⅄
✂✎◷⇳◗⬩✂⬩❼✂ ↗◆✂⓾◳⚐◆ ◘◆☼⇦❑■☯♎
◘◆↗◆✂✌◆ ◑♐⌨⇗❷◆◷♎♎⓾⚐⌘ ◘◆↗◆✂✌◆

(١) ينظر : المكان نفسه.

(٢) ينظر على سبيل المثال : سورة سبأ : ١٧، سورة الأعراف : ٣٤، سورة ق : ٣٩، سورة طه : ١٣٠، سورة العنكبوت : ٤١، سورة الرحمن : ٦٠، البقرة : ١٩٠.

(٣) ينظر : سورة البقرة : ١٥٣ و٥٧، ١٩٠، ١٩٥، وسورة آل عمران : ١١٧، وسورة التوبة : ٧٠.

⇱♦✕✓♉☺■▣◷⍓➔⬂♒◉♐✃ ❼■✍♦⇱ ♦♌◷♦❷⇳☺♉✓✕♦❀ [آل عمران: ٣٣].

انتقل التعبير القرآني في هذه الآية من التهديدات السابقة الدالة على سبب نزول السورة[١]، إلى المقصود منها وواسطة التمهيد لها، فذكر من اصطفاهم الله تعالى، والاصطفاء في اللغة : الاختيار، وأصله أخذُ صفوة الشيء، مُبتدئاً بالترتيب بآدم عليه السلام لأنه أول النوع وأبو البشر، وثنى نوحاً عليه السلام فمن نسلهِ جميع من على وجه البسيطة، لقوله تعالى : ❀□♦♉⍓◷▣▫☪♦♐

❶➔❻⚟✍③✱✐♦❍⬅◷ ➶➔✉⬅

✃♐◉♒⬂⌨♦♐♌♉✓✕♦❀[الصافات: ٧٧]، ثم تبع ذكر آل إبراهيم، والمراد بـ(الآل) هم الرهطُ، وآل إبراهيم أبناؤه وأحفادهُ وأسباطه[٢]، والملاحظ هنا تخصيص ذكر (الآل) للدلالة على تضمنه معنى التفضيل، أي تفضيل فريق منهم؛ لذا عُدي الفعل (اصطفى) بحرف الجر (على)، وقد شمل هذا التفضيل في آل إبراهيم وآل عمران ذريتهم من الأنبياء، ودخل في آل إبراهيم عليه السلام رسولنا الكريم خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ[٣]، ((ومعنى اصطفاء هؤلاء على العالمين، اصطفاء المجموع على غيرهم، أو اصطفاء كل فاضل منهم على أهل زمانه))[٤]، وهنا يمكن التأكيد على أن السامع لو وقف عند حرف الجر (على) يتداعى إلى ذهنه مباشرةً معنى (العالمين)، لأن من لوازم اصطفاء الشيء أن يكون مختاراً من جنسه وجنس هؤلاء المصطفين هو العالمون، وبذلك دلت صيغة الفعل الماضي (اصطفى الواردة في بدء الآية على اقتضاء الفاصلة (العالمين)، و(العالمين) : جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله تعالى، ويصحّ إطلاق هذه اللفظة على الجيل الواحد أو الأجيال، والتفضيل هنا مخصوص بزمانهم[٥]، مما يؤكد أن تجليات الدلالة في هذا التعبير هي دلالة

---

(١) نزلت هذه الآية محاجةً ورداً على وفد نصارى نجران، لما غلوا في عيسى عليه السلام وجعلوه ابن الله، وأتخذوه إلهاً، فأعلمتهم بأنه من ذرية البشر المتنقلين في الأطوار المستحيلة على الإله، ينظر : نظم الدّرر : ٣٤٠/٤.

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٣١/٣.

(٣) ينظر : الكشاف : ١ / ٣١٢.

(٤) التحرير والتنوير : ٢٣١/٣.

(٥) ينظر : لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : ٢٥.

معنوية لا يدل عليها سابق لفظ بل تلمح من تحليل المعنى، وقد حقق الإرصاد المعنوي في دلالة الألفاظ مستوى فاعلاً ينطوي على مقدرة وتمكن يفهم السامعين بتمام الكلام، وارتباط بعضه ببعض، فلو عدلنا عن أي لفظٍ فيها لأختل النظام، وفقد المعنى دقته، كما أن هذا النوع من الإرصاد يجعل السامع مرهف الحسّ متذوقاً، راصداً متابعاً يفهم الكلام أوله، فإذا وصل إلى موضع اللفظ المتضمن معنى الإرصاد سبق ذهنه إليه، وأسرع خاطرهُ إلى مادة اللفظ التي تناسب ختام الكلام تناسباً مع الدلالة من دون إكراهٍ أو تكلفٍ، مما يعطي المتلقي فرصة التوقع الدقيق ويمنحه مشاركة فعلية في العمل المرصود.

ومن بديع الإرصاد المعنوي ما جاء في سورة (يس) في قوله تعالى :

⇖⛟⬂⓿⅄⚡✍✃ ⇖☠←♑⅄⚡ ⊲◻◆③✃◆⬈◆◻❀

✃⬧⓿⚡⌧⬧▫ ◆❻✍◻ⓢ◻❁⚡✍✃ ←○⬃◐⚡✌ ⇖⓻■⬛⬄○■⬧

⚖➔☠✌⓾➔⇳⬛⚡☺←◻♌◆❁ [يس:٣٧].

في الآيات التي تسبق هذه الآية ذكر الله سبحانه وتعالى ما يعم المخلوقات مما يعلمه الناس ومما لا يعلمه في مختلف الأجيال والعصور، وانتقل في هذا التعبير إلى دلالة تلك المظاهر على دقيق نظام الخلق مع المشاهدة والتبصّر، ومبتدءً بنظام الليل والنهار لتكرر وقوعه أمام المشاهدة لكل ناظرٍ، وما يلفت النظر في هذا التعبير البديع دقة تناسب لفظ السلخ الدال ((على عملية إزالة ضوء النهار شيئاً فشيئاً عن مواطن ظهورهِ على الأرض في حركات وأحداث متتابعات))[1]، وهذا الأمر من المدركات الحسية الظاهرة، ومن الملاحظ تعدي فعل السلخ هنا بحرف الجر (من) لما فيه من معنى المباعدة والمجاورة بعد الاتصال.

إن عملية انسلاخ الليل من النهار يُعلم منها الإظلام؛ لأن الليل إذا انتزع من النهار دخل الظلمات وهذا هو المتعارف؛ لذا ناسب بدء الآية فاصلتها بالرصد المتوقع من دلالة السياق، لما توحي به حركة ذهاب النهار عن المشارق وظهور الليل بالتدرج من تشابه دقيق بفعل سلخ الجلد عن جسم الحيوان المسلوخ، مع ملاحظة اسناد فاصلة الآية (مظلمون) إلى الناس لأنه متأت من إسناد إفعال الذي

---

(١) البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٢٥٨.

تدل الهمزة فيه على دخول الشيء في الشيء[١]، وقد أكد علماء البلاغة أن في هذه الآية استعارة فنية دقيقة؛ لأنها سيقت اعتباراً ودلالة بحالة مشاهدة للناس[٢]، وقد أكد الدكتور أحمد بدوي على أن التقديم بلفظ الليل على النهار جاء زيادةً للتناسق اللفظي، فضلاً عن الاحتفاظ بالإيقاع الصوتي للآية الكريمة وحسن النظم للنسق العام، مما جعلها إحدى وسائل التأثير في النفس[٣].

المبحث الخامس : مُنجَز الفاصلة في التعبير القرآني :

أولاً : (السَّجْع والفاصلة – جدلية التسمية) :

تحتاج الممارسة التطبيقية لظاهرة أسلوبية كالسجع، العودة إلى جذوره في التراث العربي؛ للإفادة من ملامحه اللغوية في الكشفِ عن مظاهر التعبير ومواطن الإبداع، والوقوفِ على دقائقِ أغوارِهِ وبيان منبعِ الحسنِ في تركيبِهِ، إذ أنه ليسَ مجرد جمع بين فاصلتين متفقتين في حرفٍ واحدٍ، ولو كان هذا الأمر فحسب لسهل على الكثيرين الإتيان به والإبداع فيه؛ بل هو مظهرٌ من مظاهر الإعجاز البلاغي الصوتي التي تجلت في أبهى صورها في النظم القرآني، وهو سمة أسلوبية من سمات التعبير القرآني لهُ قواعدهُ الخاصة.

إن تتبع المسار التاريخي لهذا الفن يؤكد أنه موغلٌ في القدم ظهوراً في الكلام العربي، ممتدٌ في تاريخ النتاج الأدبي؛ لانتمائهِ إلى بدايات العصر الجاهلي ممثلاً بسجعِ الكهنةِ والخطب والأمثال الجاهلية وصولاً إلى المقامات والرسائل، فهو من أبرز المظاهر البديعية شيوعاً في التراث النقدي والبلاغي العربي، وفي التعبير القرآني على وجه الخصوص، لهُ بنيتهُ البلاغية الشاملة المؤسسة لمنظومةٍ من المفاهيم داخل التراث البلاغي.

---

(١) التحرير والتنوير : ١٨/٢٣.

(٢) ينظر : البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٢٥٨.

(٣) ينظر : من بلاغة القرآن : ٩١، مشكل القرآن الكريم : ٢٨٧.

تدل مادة (سَجَعَ) اللغوية على الاستواء والاستقامة والاشتباه فـ((السين والجيم والعين أصلٌ ثابتٌ يدلُ على صوتٍ متوازن))[١]، يحمل النغم المتكرر في معانيهِ خاصية التوازن الصوتي المتشكل من هديل الحمام، والحنين المتشابه في صوت الناقة، وصوت القوس الذي يماثل ترنم النحل[٢].

أما المفهوم الاصطلاحي للسجعِ، فمن خلالِ رصدِ وملاحظة ما جاء في كتب البلاغة العربيةِ نؤكد إجماع البلاغيين على أن المقصود بالسجع هو التوافق المنوط بنهايةِ الفواصل المتماثلة في الحرف الأخير، التي تمثل السكتة الدلالية الطبيعية في الأداء اللغوي، المتأتية عن طريقِ حركة المعنى التي يطلقها الذهن من خلال تحويلها إلى صوتٍ محسوس[٣]، يقول ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) السجع هو ((تماثل الحروفِ في مقاطع الفصول))[٤]، في حين يحدّهُ ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) بأنه ((تواطؤ الفواصلِ في الكلامِ المنثور على حرفٍ واحدٍ))[٥]، ويوافقه النهج القزويني (ت ٧٣٩هـ) في النظر إلى تواطؤ الفاصلتين في النثر على حرفٍ واحدٍ بأنها من المسجوعِ[٦].

وقد أجمعت المفاهيم الاصطلاحية على اشتراط السجع ضوابط جوهرية قائمة على التوافق والتماثل في الحرف الأخير من الفواصل، متجاوزة النظر إلى معيارٍ مهم هو – الوزن[٧] –، فقد كثر تداوله في تعريفات بعض البلاغيين الذين أدخلوه ضمن حدودِ السجع في محاولة لتحديد مجال التشابه بين السجع والقافية، حين أفرد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) مادة (سجع) الاصطلاحية عن طريق احالة التعريف إلى مفهوم المشابهة تقريباً لذهن المتلقي بقولهِ : ((سَجَعَ الرجل إذا نطق

---

(١) مقاييس اللغة : مادة (سَجَعَ).

(٢) ينظر : لسان العرب : مادة (سَجَعَ).

(٣) ينظر : البديع، دراسة في البنية والدلالة : ١٩١.

(٤) سرُّ الفصاحة : ١٧١.

(٥) المثل السائر : ١/ ٢١٠.

(٦) ينظر : الإيضاح : ٢٩٦.

(٧) المراد بالوزن هنا الوزن العروضي ومتعلقاته المعروفة في علم العروض من أسبابٍ وأوتادٍ وفواصل.

بكلامٍ له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن))(١)، فأطلق عبارة (من غير وزنٍ) إشارة إلى أن الاتفاق في الوزن جائز وليس مشروطاً، علماً أن الأمثلة التي أوردها في الغالبِ متفقة في الوزن كقولهِ : (لصُّها بطلٌ وتمرُها دقلٌ إن كثر الجيشُ بها جاعوا، وإن قلّوا ضاعوا)(٢)، وقد سارَ على نهجهِ كُلّ من الرماني(٣) (ت ٢٩٦ – ٣٨٦هـ)، والرازي(٤) (ت ٦٠٦هـ) حين ساقا شواهد قرآنية متفقة من حيث الوزن؛ دلالةً على أن نفي معيار الموازنة جاء على سبيل عدم الاشتراط كقوله تعالى :

⮴⮳▩⮳ ◅□♦⬉□➔▫⬀❷□✌ ⌧❻⬅❸⬅· ℘□&❸&▫✪

⮴⮳✗⮳ ◅□♦⬉□➔⮳⬀□□✌ ✗☺✂◆□⬂✍□🕮◆□

⮴⮳✗⮳ ◅□•▫□➔▦⬄⏲♦✌ ⬈✍✗❻℘□▦•✞◆□

[الغاشية:١٣-١٦]. ✪⬊□□⚐□➔✞⬀⌨♦✌ ❺❼✗🗁✂◆❻⌂∞◆□

وقد أكد أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) هذا المعنى بقولهِ ((ينبغي أن تكون الفواصل على زنةٍ واحدة، وإن لم يمكن أن تكون على حرفٍ واحدٍ، فيقع التعادل والتوازن))(٥)، في حين اكتفى السكاكي (ت ٦٢٦هـ) بالقول ((الأسجاع : وهي في النثر، كما القوافي في الشعر، ومن جهاته الفواصل القرآنية))(٦)، وقد صاغ ابن الأثير(٧) (ت ٦٣٧هـ)، والعلوي(٨) (ت ٧٤٩هـ)، مفهوم السجعِ انطلاقاً من اشتراط التماثل الحرفي والاتفاق الوزني زيادةً على التزام الاعتدال؛ لأنه مقصدٌ من مقاصد العقلاء، وقد أسهمت تلك المعالجات في إنعاش مفهوم السجعِ وإمدادهِ بروافد قصدية كالموازنة والمماثلةِ وذلك بنقلِ الكلامِ من صورٍ نثريةٍ إلى ممارسةٍ إيقاعية مميزة تبحث في إعجاز النظم القرآني المستند إلى قاعدةٍ ثابتة هي (التكرار الحرفي) وما

---

(١) كتاب العين : مادة (سَجَعَ).

(٢) ينظر : المكان نفسه، وأورد الجاحظ في بيانه قول أعرابي قدم من السِّند واصفاً إياها : ((ماؤها وشلٌ، ولصُّها بطل، وتمرها دَقلٌ، إن كثر الجيش بها جاعوا، وإن قلوا بها ضاعوا))، البيان والتبيين : ٢٨٥/١.

(٣) ينظر : النكت في إعجاز القرآن : ٩٧.

(٤) ينظر : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : ٦٨.

(٥) كتاب الصناعتين : ٢٣٦.

(٦) مفتاح العلوم : ٥٤٢.

(٧) ينظر : المثل السائر : ١ / ٢١٢.

(٨) ينظر : الطراز : ٣ / ٢١.

يرافقها من توافق الفاصلتين في الحرفِ الأخير منها، وقد أتخذت تلك المعالجات من التنويعات الشكلية المتماسةِ مع الدلالةِ مجالاً للرصدِ في كثير من المؤلفاتِ؛ لكنّ بعضاً من التوجهات البلاغية الباحثة في إعجاز القرآن بخاصة رفضت التسليم بوجود السجعِ وإطلاقِ تسميتهِ، على الرغم من حضوره الفاعل في التعبير القرآني، محتجةً بنهي الرسول ﷺ في حديثه المأثور[1]، واتخذت تلك التوجهات مصطلح (الفاصلة) بديلاً عن السجعِ، مما يقطع كل أواصر الترابط بين النص القرآني وفنون القول الجاهلية، فقد نظروا إلى السجع القرآني من زاوية ضيقةٍ يتساوى فيها كلام الله تعالى مع كلامِ البشر مما أدى إلى ذمهم إياه، لاعتقادهم بنفيه للإعجاز في النص القرآني، فكانت حجة النفي مستند إلى أن المعاني في السجع تابعة لهُ في حين أنها في الفواصل متبوعة[2]، لذا أرادوا تنزيه القرآن الكريم عما يتعارض مع نظمهِ، فأطلقوا رعاية الفاصلة تأدباً وتوقيراً لكلام الله تعالى ومناسبة لقوله تعالى : 🕛⇐❍⇐✍🕓♦③✂◆➚ ⇕💣✲⌧☺⬁▤⇕❍⬆🕮 ⬉🖬🕓♦✍🙵🖎☸ ✌⚐⑩⬁▤⌧❍ ⬀♌➔✒⅄✐ ♊🙵✍ ⇕💣✲■🖬⬁♉🕓➔▫ ▪☠➔⚐ ☸✌❸❷✎🖮⌧⌘ [هود:١]، وقوله تعالى : ☸🖎🙵✍♦🕓🖬⌀ ✒🕓☼✂◆➚⬀❷➔🔔 🕛⇐❍⇐✍🕓♦③✂◆➚ ⇕💣✲■🖬⬁♉🕓➔▫ ☸♦♌❑⇐☺■🖬⇕➔♦③ 🖁✈⬀❑⬩◑🙵ℯ♒◙ ✒✽⓿✎🖎♦❷♦⬉ [فصّلت:٣].

---

(١) نص الحديث في صحيح مسلم، المروي عن أبي هريرة ﷺ، قال : ((اقتتلت امرأتان من هذيل فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ فقضى رسول الله ﷺ أن دية جنينها غُرّةٌ، عبدٌ أو وليدة، وقضى بدية المرأة على عاقلتِها، وورَّثها ولدها ومن معهم، فقال حَمَلُ بن النابغة الهذلي : يا رسول الله كيف أغرّمُ من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل، فمثل ذلك يطل. فقال رسول الله ﷺ : إنما هذا من أخوان الكُهّان، من أجل سجعه الذي سجع))، صحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديّات، باب ديّة الجنين، حديث رقم (١٦٨١)، ص٤٣٧، وقد وردت في كتب اللغة والأدب والبلاغة روايات متعددة تنهى عن السجع، مثل : ((إياكم وسجع الكهان))، لسان العرب : مادة (سَجَعَ)، ((أسجع كسجع الجاهلية؟))، البيان والتبيين : ٢٨٧/١، وإعجاز القرآن (للباقلاني) : ٥٨، و((أسجعاً كسجع الكهان؟))، كتاب الصناعتين : ٢٣٤.

(٢) على رأس النافين لوجود السجع القرآني الرماني، (ت ٣٨٦هـ) القائل : ((الفواصل بلاغة، والاسجاع عيب))، النكت في إعجاز القرآن : ٩٧، والباقلاني (ت ٤٠٣هـ) القائل : ((الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها افهام المعاني))، إعجاز القرآن : ٢٧٠، وقد أكد الدكتور فاضل عبود التميمي رؤية الباقلاني للفواصل على أنها : ((حروف تقع متجانسة وأخرى متقاربة، لا علاقة لها بالقوافي والأسجاع))، إعجاز القرآن للباقلاني، منهجه ومسائله، وإشكالية بديعهِ : ٧٤.

في الوقت الذي أثبت فيه عدد غير قليل من علماء البلاغة[١] عراقة هذا الفن وأصالتهِ في كلام العربِ وأدبهم، وأن قضية السجع القرآني تتأتى من أن كلام الخلقِ لا يجري مجرى القرآنِ فلكلٍ أسلوبهُ وبنيتهُ الخاصة.

والذي نذهبُ إليه أن كلام الله تعالى أرفعُ من أن يُجارى، وأن ممازجتهُ بين الحُسنين اللفظي والمعنوي هي المنطلق الذي تُراعى فيه الألفاظ بما يتناسب مع المقام، فالنظم القرآني لا تُساق فواصلهُ لمجرد رعايته الشكلية للرونق اللفظي؛ بل لمقتضياتٍ معنوية تتناسبُ مع نسقِ الفواصلِ وإيقاعها.

ومن هنا يمكننا القول إن السجع القرآني ظاهرةٌ أسلوبية بديعية تستند إلى تقنياتٍ صوتية دلالية لا يمكن الإخلال بها، فهي الأداة الفاعلة ذات الهيمنة الواضحة في نسيج النص، وهنا ينتفي التعارض الاصطلاحي مع رعاية الفاصلة؛ لأن ((ما من فاصلة قرآنية إلاَّ وسياق الآية يقتضي لفظها ومعناها، إذ لا يسهل في النظم الكريم أن يقع مكانها سواها))[٢]، فتقوم على أساس ذلك تشكيلات التوازنات الصوتية داخل النص من خلالِ حركةِ المعنى بما يتوافق مع حركة البنية المرتكزة على سكون الإعجاز، فالوقوف بالسكون على آخرِ حرفٍ من الفقرةِ أساس لا يمكن تجاوزه في بنية السجع، والإخلال به يخرجهُ من حكمهِ البلاغي إلى حكم الإعراب، لأن الإعراب يُفسدهُ[٣]، فالسجع بمجملهِ يُبنى على التماثل في الفواصل في الحرفِ الأخير من الجمل أو العبارات، ويلحظ الملمح الأسلوبي لهُ من خلالِ تلازم الإيقاع الصوتي مع الجانب الدلالي بشكلٍ متوازٍ يكسبهُ مُقاربة بديعية بين طبيعة اللغة التي يرد فيها واللغة الشعرية[٤].

ويبدو أن اطلاق مصطلح الفواصل القرآنية أنسبُ وأشمل لما لهُ من بُعد عن مواطن الشبهةِ وتجنب المحاذير التي كثر جدال العلماء فيها قديماً وحديثاً، زيادة

(١) منهم الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) وأبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) وابن سنان الخفاجي (ت ٤٤٦هـ)، وضياء الدين ابن الأثير (ت ٦٣٧)، ويحيى بن حمزة العلوي (٧٤٩هـ)، وآخرين.

(٢) البيان القرآني : ١٥١.

(٣) ينظر : الإشارات والتنبيهات : ٣٠٠.

(٤) ينظر : البديع، دراسة في البنية والدلالة : ١٩٢.

على ما فيه من تقديسٍ للخصوصية القرآنية في التعبير، على الرغمِ من أن مصطلحات (السجع، والقافية، والفاصلة)[١] بالمفهوم الفني ذات معنى واحد لغير المسلم، بيد أن هذا المصطلح أخذَ بُعداً عقدياً يرتبط بتنزيه القرآن الكريم من مخلفات الجاهلية، وجرى على ذلك حتى على مستوى الشكل، وكأن بعض العلماء أغفلوا إفادة القرآن الكريم من الفطرةِ التي جبلها الله تعالى في أهلِ هذا الدين، وهذا يعني عدم تحرجنا من إطلاق لفظة (السجع) على آيات القرآن الكريم شريطة وعينا الدقيق بـ((قيمة التآلف اللفظي والايقاع الصوتي لهذا النسق الباهر الذي نجتلي فيه فنية البلاغة، وتأدية المعنى بأرهف لفظٍ وأروع تعبير وأجمل إيقاع))[٢].

ثانياً : معايير جودة السجع في الميزان النقدي والبلاغي.

اتفق النقاد والبلاغيون عند الوقوف على آثار هذا اللون من البديع في الدراساتِ والمؤلفات العديدة، على أن حُسن السجعِ محكوم بأصولٍ لابُدّ من مُراعاتها والتقيد بها، يقول ابنِ سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) : ((والمذهب الصحيح أن السجع محمود إذا وقع سهلاً متيسراً بلا كلفة ولا مشقة، بحيث يظهر أنه لم يقصد في نفسه، ولا أحضره إلاَّ صدق معناه دون موافقةِ لفظهِ))[٣]، مُسترسلاً في وضعه للمعايير البلاغية التي يُقاس بها جمال السجعِ وجودته بما جاء لأجله ((ولا يكون الكلام الذي قبله إنما يتخيل لأجلهِ، وورد ليصير وصلة إليه فإنّا متى حمدنا هذا الجنس من السجع كُنا قد وافقنا دليل من كرهه))[٤]، فلو استثمرنا لفتة ابن سنان الخفاجي، لوجدنا إشارة في غايةِ الدقةِ والإيجازِ إلى أن مقياس جودة السجع وبلاغتهِ ترتبطُ بإرسال المعاني على سجيتها من دون تكلّف يورث الملل والزّلل، وقد كان الشيخ عبد

(١) يبدو أن مما تواضع عليه جمهور علماء البلاغة والتفسير : أن نهاية البيت الشعري تسمى قافية، ونهاية جملة النثر تسمى سجعاً، ونهاية الآية القرآنية تسمى فاصلة، قال الزركشي : ((الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر، وقرينة السجع))، البرهان في علوم القرآن : ١/ ٥٣، الإتقان في علوم القرآن : ٩٦/٢، وتختلف الفاصلة عن القافية في بعض أمور، ينظر : من بلاغة القرآن : ٧٤.

(٢) الإعجاز البياني للقرآن : ٢٥٨.

(٣) سرُّ الفصاحة : ١٧١.

(٤) سرُّ الفصاحة : ١٧١.

القاهر الجرجاني كثيراً ما يُحذر من هذا الأمر، يعني – التكلف – ويتعهد طالبه بالنصحِ تجنباً للخطأ والذم(١).

وقد تنبه الزمخشري إلى حسن السجع إزاء وقوفهِ على قوله تعالى : ﴿◘◆♉⊙⬀♉✌⬅①☙ ♍⚐♊ ♒◻⌨♦⌧◎ ✍♑♈♦⧗♦⌧💻 ③♦◑✐✓✗✌﴾ [النمل:٢٢]، ملتفتاً ومعلقاً : ((وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ بشرط أن يجيء مطبوعاً))(٢).

وقد استطاع ابن الأثير(٣) أن ينفرد بزاوية طرح تتناول رصدَ الضوابطِ والمعايير من منظور مختلف، يبعده عن التكرار الحرفي المعزول في ختام كل فاصلة، إلى حيز أوسع يشمل نطاق التراكيب المسجوعة داخل النسق تبعاً للدلالات التي تفرزها، ويمكن إجمالها بأربعة معايير مهمة هي :

أولاً : دقة اختيار مفردات اللفظ المسجوع.

ثانياً : الاعتدال في مقاطع الكلام والبعد عن التكلّف.

ثالثاً : دقة اختيار التراكيب الملائمة للدلالة.

رابعاً : تبعية اللفظ للمعنى دون العكس.

وفي ضوء تلك الإجراءات اختلفت آراء النقاد والبلاغيين حول مسألة التكرار ووظيفته، وجعلوها واحداً من محذورات التركيب السجعي؛ لما فيه من تطويل، فقد اشترط ابن الأثير ((أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلتْ عليه أختها))(٤)، ويأخذ التكرار في التعبير القرآني مساراً إيجابياً؛ لأنه عنصرٌ حاضرٌ فيه كقولهِ تعالى : ﴿🕮◻◻⬃🖫■❼🗐 ♋♒♦⌨◻ ◽♦♁◻◻⬃🖫■❼🗐 ✍✎⌘⬀ 🏱➔☠▪ 🕮◻◻⬃🖫■❼🗐 ♋♒♦⌨◻ ◽♦♁◻◻⬃🖫■❼✁﴾ [القيامة:٣٤-٣٥]، وقوله تعالى :

(١) ينظر : أسرار البلاغة : ١١.

(٢) الكشاف : ٣ / ٤٠٣.

(٣) ينظر : المثل السائر : ١ / ٢١٥.

(٤) المثل السائر : ١ / ٢١٥.

✂◻💻◆□➔⅄🔔✏□➔ ﴾ [الحاقة:١-٢]، وقوله تعالى : ﴿ ☒☒·
☒☒· ☠➔ ✐☒ ◆♌□←☺■🖬➔✍ ✇□⇧❼ ☒☒·
◆♌□←☺■🖬➔✍◆ ⇧□ ﴾ [التكاثر:٣ – ٤].

وجديرٌ بالذكر أن الخلاف حول وضع السجع موضع التكلفِ أمرٌ يخرجه من دائرة الحسن البلاغي المعنوي، وهو ليس بذلك؛ لأن التكلف ليس عيباً في السَّجْعِ وحده، فقد يلحق غيره من الفنون، وعلى هذا نخرجها جميعاً من دائرة الحسن الذاتي مما يُفقد البلاغة أصالتها وجمالها، فالخلل الفني ليسَ في أسلوب السّجْع بل في طريقة استخدامهِ على الوجه الصحيح، مما ينفي نسبته إلى عصور التدهور والانحطاط، وإثبات هيبته البلاغية استناداً إلى ورودهِ في التعبير القرآني حتى أن بعض سوره جاءت مسجوعة بأكملها[١].

ثالثاً : صور السَّجْع وأبعاده الدلالية والصوتية :

تفرض المفاهيم المقدمة لبنية السجع نتيجة حتمية لتعدد ألوانه في الأداء، ورصدِ أنماطها القائمة على التوافق، والتماثل في الحروف الأخيرة من الفواصلِ، وتتمايزُ تلك الأنماط تبعاً للاتفاق الصوتي والوزني، وقد تمخض الرصد الأسلوبي، وتتبع المادة العلمية من مظانِّها، عن ثلاثة صورٍ رئيسةٍ للسجعِ هي :

أ- السَّجْع المطرّف[٢] :

هو اتفاق الفاصلتين في الحرف الأخير من دون الوزن، بأن يأتي المتكلم بأسجاعٍ غير متفقة في صيغتها الوزنية (الوزن العروضي)، لكن رويها هو روي القافية، وسُمي هذا النوع بالمطرّف لما تحققهُ الأطراف المتوافقة حرفياً من قيمةٍ إيقاعية، كقولهِ تعالى حكايةً عن نوح عليه السلام : ﴿ □✂ ◙◆▤↗ ⬀ ◆◆
⇧⑨◆🔔◆□ ✐☒⬆ ✂✡❻◆🔔◆□ ★✏ ◆♌□↖♉⬀❷◆✍
❁◆◑■🖬◆▤↗ ⬀ 🕮□Ͼ⇧□◆✂❻🕐✂ ﴾ [نوح:١٣-١٤].

(١) ينظر على سبيل المثال : سورة الضحى، سورة العصر، سورة العلق، سورة الناس، سورة الإخلاص.

(٢) أطلق عليه ابن قيم الجوزية (المتطرف)، ينظر : الفوائد المشوق : ٢٢٦، البرهان في علوم القرآن : ١/ ٧٥.

وقوله تعالى : [illegible] [النبأ: ٦–٧].

فقد أحدثت فاصلة اقرنية الأولى اتفاقاً حرفياً من دون الوزنِ مع فاصلة القرينة الثانية (حرف الراء)، ومما يجب التنبيه عليه أن ألف الاطلاق أو هاء السكت تمثل علامات للوقف، لا حروفاً أصلية في بنية اللفظة.

ومن الملاحظ أن المعول عليه في القيمة الفنية للسجع هنا عدم التكلف والتصنّع حيث جاء موافقاً للمعنى الذي يستدعيه، فهو بذلك أداة تعبيرية لا غناء عنها في موضعها ولا بديل لها.

ب- السَّجْع المتوازي[1] :

وهو اتفاق اللفظة الأخيرة من القرينة مع نظيرتها في الوزن فضلاً عن الاتفاق في الحرف، كقوله تعالى : [illegible] [الغاشية:١٣–١٤]، وقوله تعالى : [illegible] [آل عمران: ٤٨ – ٤٩].

يختلف هذا النوع من السجع عن السجع المتوازن وهو : ((أن يتفقا في عدد الحروف ولا يتفقا في الحرف الأخير))[2]، وقد أخرجه بعض العلماء من أقسام السجع لتجاوزه الحدّ المذكور[3]، وأدخلوه في المحسنات اللفظية[4]، ومثلوا لهُ بقولهِ تعالى : [illegible]

---

(١) ينظر : الفوائد المشوق : ٢٦٢، البرهان في علوم القرآن : ١ / ٧٦.

(٢) نهاية الايجاز في دراية الإعجاز : ٦٩، معترك الأقران : ١ / ٥٠.

(٣) ينظر : نهاية الايجاز في دراية الإعجاز : ٦٩.

(٤) عرّفه القزويني في حدود الانسجام الحاصل بين الفاصلتين من دون التقفية، وسمّاه (الموازنة)، ينظر : الإيضاح : ٣٩٨/٢.

[illegible] [الغاشية: ١٥ – ١٦].

فالوحدات المسجوعة المتوازية في هذه الآيات أظهرت تناسباً في التشكيل البنيوي والعروضي، مؤكدة تبعيتها للمعاني دون العكس، كما يظهر في النصوص الكتابية الاخرى، مما يشيع التوازن الصوتي الناتج من عملية تقابل الفواصل وإبرازها في هذه الأنواع.

ج- السَّجْع المرّصع ويسمى مظهرهُ بـ (الترصيع)[1] :

وهو تساوي الأوزان مع اتفاق الاعجاز بحيث يكون المتقدم من الفقرتين مؤلفاً من كلماتٍ مختلفة، والثاني من مثلها في ثلاثة أشياء وهي الوزن والتقفية وتقابل القرائن، وقد عدّه بعض الباحثين بنية مستقلة متصلة ببنية السجع لقيامهِ على التوازن الصوتي بالموافقة بين الوزنين العروضي والصرفي؛ لأن بناءها يلتزم مظهرين :

الأول : القوافي الداخلية.

والثاني : التوافق الوزني بين الوحدات الصرفية المتقابلة.

وهذا المظهر من البديع كثير الورود في التعبير القرآني، حيث تجري معظم آياتهِ على أساس الوازي التقابلي كقوله تعالى : [illegible] [الغاشية: ٢٥ – ٢٦].

وقوله تعالى : [illegible] [الضحى:٩–١٠]، وقوله تعالى : [illegible] [الانفطار:١٣–١٤]، وقوله تعالى: [illegible]

(١) الترصيع اصطلاحاً مأخوذ من المعنى اللغوي الدال على ترصيع العقد بأن يكون في مستوى اللآلئ الموجودة على الجانبين، ينظر : لسان العرب : مادة (رَصَعَ)، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ١٣٥/٢.

🖮⑩❑➔✍☪❑✌ ⬀⌧▫◘⬧⬧◆❑ ⬧⌘⬧⬀ 🖮⑩❑➔✍⬂③☺✎
⬧⌘✍⬀ ❑◆➔⬧ ♏♏⬧✌ ❑☺⇧⑨➔❑⑩🖮 ﴾ [الواقعة:٢٨-٣٠].

المتأمل في النصوص القرآنية يرى التماثل بين الوحدتين المتقابلتين وزناً وتقفية، فمع الترصيع تكون مقاطع الفواصل على روي واحدٍ مع اتفاق الوزن، بخلافِ التشطير[١].

ومن الملاحظ أن الترصيع عند بعض البلاغيين[٢]، مشروطٌ بعدم خلو ألفاظ الفاصلتين منهُ؛ لذا قيل : ((ولم يجيء هذا القسم في القرآن العظيم لما فيه من التكلف))[٣]، وبذلك أبعدوا أمثال الآيات السابقة من الترصيع وأكدوا أن ما فيها هو من باب التكرار، يُضاف إلى ذلك نظرتهم إليه في الشعر على أنها تعمق وتعسف في الصنعة، لافتقادهِ الطلاوة التي ترد في الكلام المنثور[٤].

وإننا مع إجلالنا لعلمائنا الأوائل لا نميل إلى موافقتهم الرأي في إخراج الترصيع من قالبهِ إلى قالب التكرار، كما إننا لا ننفي وجوده في كتاب الله تعالى، إذا ما علمنا أن لبعضِ بلاغيينا[٥] رؤية مختلفة عما ذهب إليه ابن الأثير والزركشي، في عدم إشتراطهم الصورة التقابلية بين الفاصلتين في كل ألفاظها، مما يؤكد أن في الترصيع توسيعٌ لقاعدة المتوازي حيث يمتد التوازي الصوتي والوزني ليستغرق كل ألفاظ التراكيب المسجوعة حتى يكون كل لفظ مساوٍ لما يقابلهُ وزناً وتقفية، في النصوص القرآنية المتضمنة هذا النوع من السجع[٦]، كما هو موضح بالمخطط الآتي :

إنَّ ⇐ إنَّ

---

(١) التشطير : نوع من أنواع السجع يقتضي تمايزاً لكل شطرٍ في روي جزئيه يقع في قوافي الشعر، ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٢٢١/٢.

(٢) منهم إبن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، ينظر : المثل السائر : ٢٧٧/١، والإمام بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ).

(٣) البرهان في علوم القرآن : ١ / ٧٧.

(٤) ينظر : المثل السائر : ٢٧٨/١.

(٥) منهم قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ)، وأبو هلال العسكري (ت ٣٩٥)، ينظر : نقد الشعر : ٤٠، كتاب الصناعتين : ٢٣٤.

(٦) ينظر على سبيل المثال : سورة الانفطار : ١٤، سورة الصافات : ١١٨.

إلينا	⇐	الينا		
إيابهم	⇐	حسابهم		
لا تقهر	⇐	لا تنهر		
الأبرار	⇐	الفجار		
نعيم	⇐	جحيم		
سدر	⇐	طلح	⇐	ظلٍ
مخضودٍ	⇐	منضودٍ	⇐	ممدودٍ

ومع اتساع الإطار المفهومي لمصطلح السجع، اتسعت المساحة الرصدية لأشكاله ولكل ذلك مبرراته، حيث نلمح ألواناً عدلت بمفاهيمها على أن تكون بنية بلاغية مستقلة كالترصيع والموازنة والمماثلة[١]، وكل تلك المظاهر تحمل الفواصل وقعاً موسيقياً مرتبطاً عضوياً بالفكرة المعبر عنها منساباً في التراكيب قصد اللفظِ والمعنى معاً.

رابعاً: البنية النسقية للفاصلة القرآنية وإمكاناتها التعبيرية:

تتنوع الفواصل القرآنية[٢] تبعاً لمعايير أثبتها العلماء، منها ما يتحدد وفقاً للتشكيل المسافي بين السجعات طولاً وقصراً، وما يلحقه من مراتب تقسم في إطارها إلى درجاتٍ ثلاث : العليا، والوسطى، والمعتدلة، وكيفية الموازنة ينهما، وقد وظف التعبير القرآني هذه المعايير تبعاً للدلالة فتجري الفاصلة فيه وفقاً لنظام نسقي بنيوي قد يأتي ثابتاً أو متحولاً، لا يلتزم عدداً محدداً من الآيات، يتطلعُ للتجديد والتنويع بما يُفعِّل الكثافة الدلالية في الصياغة القرآنية ويُثري لمكاناتها التعبيرية، وعلى أساس ذلك نلمح في هذا النظام الفريد أسلوباً متجهاً في أغلبِ السور إلى التغيير والتنويع

(١) إذا كان ما في إحدى القرينتين من ألفاظ مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن خُص باسم (المماثلة)، هي ظاهرة أسلوبية تجري في النظم القرآني على نسقٍ إيقاعي منسجم، وهي جزء من هذا النظام وركن من أركانه لفظاً ومعنى، فهي إذن إمارات تيسير الله تعالى كتابه للذكرِ والحفظ، ينظر : النظم القرآني في تفسير نظم الدّرر : ٢٩٣.

(٢) الفاصلة القرآنية : مصطلحٌ يطلق على آخر كلمةٍ تختم بها الآية، وسميت فاصلة لأنها موضع انفصال الكلام وانقطاعه، وفيها إشارة إلى البعد المكاني، يُقال : (يأتيك بالأمر من مفصله، أي من منتهاه)، المصباح المنير : ٨٣/٢، يسمي سيبويه (ت ١٨٠هـ) السجع (فواصل)، ينظر: الكتاب : ٤ / ١٨٤، في حين أطلق الفراء (ت ٢٠٨) على اللفظة التي ينتهي بها الكلام (فاصلة) أو (رؤوس الآي)، ينظر : معاني القرآن (الفرّاء) : ١٧٦/٢.

وبذلك ((تأتي الفواصل في النظم القرآني لمقتضيات معنوية مع نسق الايقاع بها، وائتلاف الجرس لألفاظها التي اقتضتها المعاني على نسقٍ تتقاصر دونه بلاغة البلغاء))(١)، وهذا يعني عدم محدودية الفواصل في النص القرآني واتجاهها إلى توحيد القافية مما يسمح بوجود القوافي غير التامة التي تتجاوز فيه السجعة من حيث الطول جميع النصوص الكتابية الأخرى، إذا ما تجاوزنا إلى حدٍّ ما قصار السور المكية في ميلها إلى السجع القصير.

وعلى أساس ذلك يمكننا تقسيم الفاصلة بحسب الروي إلى أنواع ثلاثة هي(٢) :

أولاً : الفواصل المتقاربة(٣) :

وهي ما تقاربت حروف الروي فيها، فتماثلت صيغ النطق بها لتماثل أواخرها ((وتُكرَّر في السورة تكرراً يؤذن بأن تماثلها أو تقاربها مقصودٌ من النظم في آياتٍ كثيرةٍ متماثلةٍ، تكثر وتقل، وأكثرها قريبٌ من الأسجاع))(٤)، كتقارب حرفي الميم والنون في سورة الفاتحة بأكملها في قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [الفاتحة: ٣ – ٤]، وسورة الرحمن بأكملها، وسورة المؤمنون، وتقارب حرف الدال مع الباء في سورة ق بأكملها كقوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [ق:٢٣–٢٥]. وفي سورة سبأ في قوله تعالى : ﴿ [illegible]

---

(١) البلاغة القرآنية : ١٠٢.

(٢) لم تلتزم فواصل القرآن العزيز حرف الروي دائماً التزام الشعر والسجع، ولم تهمله إهمال النثر المرسل، بل كانت لها صيغتها المتميزة في الالتزام والتحرر من الالتزام، فهناك الفواصل المتماثلة والمتقاربة والمنفردة، ينظر: الفاصلة في القرآن : ١٦٩.

(٣) أطلق الرماني هذه التسمية، ينظر : النكت في إعجاز القرآن : ٩٨، وتبعه الخفاجي في إطلاقه، ينظر : سرُّ الفصاحة: ١٧٢ ، إلاّ أن ابن قيم الجوزية أفردها بتسمية خاصة وهي (ذات المناسبة غير التامة)، ينظر : الفوائد المشوق : ٨٨.

(٤) التحرير والتنوير : ١ / ٧٥.

[illegible]

[سبأ:٤٩-٥٠]، وتقارب حرف الدال مع الجيم في سورة البروج كقولهِ تعالى : [illegible] [البروج:١- ٢]، وأمثلة ذلك في التعبير القرآني كثيرة[١].

إن المتتبع لسور القرآن الكريم يلتفت إلى الترابط الدقيق والتناسق العفوي في فواصلهِ ضمن علاقاتٍ صوتية تركيبية دلالية منذ بدء السورةِ إلى خاتمتها بالدرجة نفسها التي يلمحها بين كل سورةٍ مفردةٍ مع ما تلاها وما سبقها، وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنما يدلُّ على أهمية الفاصلة في إحداثِ تجاوبٍ بين الشكل والمضمونِ وما يسفر عنه من تأثير تنغيمي تُرسله الآيات على شكل شحنات مهيّأة للاستقبال، موافقة للإيقاع الداخلي الذي ينفذ إلى أعماق النفس؛ مما يؤكد أن تشكلات الحروف في بنية المقطع الصوتي تتحقق عندها مستويات الإفهام؛ لأن بنية الفاصلة مرتكزة على نظام توالي المقاطع[٢]، بما يحدثه من وحدة صوتية مع التعدد وفقاً للايقاع المتدفق مما يجعل الفاصلة عنصر ربط وجذب وتناسب داخل السورة بأكملها.

ثانياً : الفواصل المتماثلة[٣] :

وهي ما تماثلت حروف رويها باتفاق الفاصلتين في حرف أو أكثر قبل الروي، من غير تكلف أو إكراه، ومثال التزام حرف واحد قوله تعالى : [illegible]

---

(١) ينظر على سبيل المثال : سورة (ص) حيث يتقارب فيها حرفي الدال والقاف، والباء والقاف، والباء والراء، وسورة (الطارق) حيث تقاربت أربعة حروف هي الباء، الطاء، الدال، الظاء، وسورة (العاديات) : (١ – ١١).

(٢) المقطع : مزيج من صامت وحركة، يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها، يعتمد الايقاع التنفيسي.

(٣) أطلق الرماني على هذا النوع من الفواصل (المتجانسة)، ينظر : النكت في إعجاز القرآن : ٩٠، وأدخلها ابن أبي الإصبع المصري في باب (المماثلة)، ينظر : بديع القرآن : ١٠٧/٢.

[illegible] [الاخلاص:١ – ٤]، وقوله تعالى : [illegible] [طه:١ – ٦].

– ومثال ما جاء متماثلاً في الحرفين الأخيرين قوله تعالى : [illegible] [القيامة:٢٩ – ٣٠].

– أما مثال ما جاء متماثلاً في الحروف الثلاثة قوله تعالى : [illegible] [القلم:٢ – ٣].

وقوله تعالى : [illegible] [الناس:١ – ٦].

– أما التماثل في الحروف الأربعة الأخيرة فيظهر في قوله تعالى: [illegible]

✂♦❶⚖✉♦▫ ☎✂❒⬉❷·🗎☒⓿♦✍ ⛍♊🕒♦➲⬂⓿⦿⌖♍✍✂
⛍✗⬀⬁⬀ ♦♌❒⬅❸⬁⛍⬀⌨❿✍ ☠➔♎
❼⚖✖ ⬀☠⬋&♦⌘❒❻❾⬅☺♦③ ⬀☠⬅♑⬅✡🕒◆❒⬀⌘⚖◑◆❒
﴾♦♌❒⬅❸⬁⛍⬂◑⬉③ ♦♦ ⭘⚐➔⚐ ⬁♍♐☒⬀⬂♍✍✂

[الأعراف:٢٠١ – ٢٠٢].

ويبدو واضحاً من الشواهد القرآنية أن المظهر البديعي حقق منجزاً واضحاً في التعبير يتجاوز مستوى اللفظ الواحد إلى المستوى السياقي، فلا يقتصر دور الفاصلة على الناحية الصوتية، بل يذهب إلى ما تقتضيه الدلالة، ويبدو ذلك من خلال ما حققته البنية النسقية من تماثل وتقاربٍ بشكلٍ محسوسٍ للأذن المدرّبة مما شكل ((ارتباطاً شديداً بعملية التقبل Response، إذ إن الذائقة الأدبية تجعل المتلقي ينتظر المغايرة الصوتية / الموسيقية استجابة لرغبة متأصلة فيه))[١]، من خلال الاتزان المطرّد في اتساق الفواصل الذي سببه التوافق الموسيقي اللغوي في جميع مستوياتها، مما يمكنه من إظهار الإيقاع المنسجم مع دلالة المعنى وفقاً للترددات الصوتية التي تطلقها المسافات بحدود نسبية[٢].

وبذلك يمكننا القول أن الاتزان الإيقاعي في فواصل الآيات؛ جاء قصداً مراعاة للمعنى المطروح وفقاً لفاعلية التقارب والتماثل في الحروف الأخيرة؛ مما أضفى صيغة التناسب والتجانس على النسق الصوتي لسورٍ بأكملها.

ففي سورة (الرحمن) مثلاً أحدثت الموسيقى الداخلية للآيات من خلال صوت (النون) المقترن (بالألف) تماثلاً في الوزن، وتناغماً في الإيقاع، منذ بدئها بقول (الرحمن) وصولاً إلى قوله تعالى : ﴿❒◆✂✍✿☛❻⬀▽◆
✍❒&❸⚖▫ ⛍⬂⬀⬀ ⚖✈✍♦✡☛✽⚖♍ ✍⬓♑⬓➔✽⬂◆❒

---

(١) الفاصلة وبنية الانسجام الشكلي في سورة الإنسان (بحث) : ص٢٢١–٢٢٢.

(٢) قد يحدث التماثل في الفواصل الداخلية للآيات كقوله تعالى : ﴿♦♦ ♉⬓❷♦⚑♦ 🕮❒♍· ✂✍✏⅄
🗐 ☙♍❒⬉✡⚖🖬⬀➔⬉③ ✍♦✍◆❒ ☙♍❒❾❷⬁○⬅④ ✍♦✍ ◐⚐■🖬⬀➔♦③
﴾☙▫⇦⚖❸⬁♍⬂▤♦✌⬄○⬅☺⬂♍✍✂ ❹🖬⚖♦⬈⑥ ♦♦ ◑⬅○✸✡⚖◑

[النحل:٢٣].

◘♦⌚▤⬈♑⮹⮜ ❒◆✂⛳⟲☪❏②✍⮘⬉ ➊♦✂☠⟵
✂⛳✿☛✍✍⊠☺⮹⛳✈ ﴾ [الرحمن: ١٠ – ١١].

نلمح مظهراً توازنياً أطلق عليه العلماء مصطلح (المتوازن)[١]، حيث تلونت الكلمات (الأنام، الأكمام) بصوت مختلف خلق نوعاً من الاتفاق الوزني من دون حصول التجانس في الحرف الأخير مع بقية حروف السورة، ومن ثمّ العودة المفاجئة إلى التوافق المنسجم المألوف في حرفي الفاصلة المتقاربة (الألف، والنون)، وهذا يحفز الذهن بالإثارة والترقب لشيء مغاير أحدثه حرف الميم في الآيتين العاشرة والحادية عشرة.

أما في سورة (البروج) نلمح الوحدة الدلالية من الآية الأولى إلى السابعة رغم عدم تماثل الروي في نهاية فواصلها، إلاّ أن لهُ ما يبررهُ فالسياق القرآني يظهر القَسَم في الأية الأولى بمشهد السماء ذاتِ البروجِ، وهو مشهد ينتمي إلى زمن الحياة الدنيا، في حين ينتقل القَسَم في الآية الثانية إلى مشهدِ زمن القيامة المرتقب وهو (اليوم الموعود)، وصولاً إلى قوله تعالى: ﴿ ❒◆⅄☒✍♎⛳⑨⌨ ❒◆✎♦☆⇧✂⬋❏⑩⌨ ﴾ وهو قَسَم يربط السلسلة الزمنية الثنائية بزمن الحياة الآخرة، وهي سلسلة متناسقة صوتياً للأزمان الثلاثة يتحقق من خلالها عنصر المغايرة الذي يسهم في التصوير القرآني. أظهرت الافتتاحية المقطعية الموزعة بدقةٍ على درجاتٍ متفاوتة في النطقِ والعددِ والايقاع، في سورة (مريم) في قوله تعالى: ﴿ ▤✐♑⓿➔⊞✇✓ ﴾ [مريم: ١]، صوتاً للفاصلة القرآنية يميزه عن بقية فواصل السورة، تلمح المقاطع الصوتية من تلاوتها والتلفظ بها، وقد بلغت المقاطع الطويلة في فاتحة السورة ثلاثة مقاطع، في حين بلغت المتوسطة المفتوحة فيها اثنان، مما يؤكد ارتباط الالفاظ المسجوعة بسياقها على المستويين الصوتي والشكلي، وفقاً لعلاقات تكوينية بين تلك الالفاظ وتراكيبها، ويمكن توضيح توزيع المقاطع بالشكل الآتي[٢] :

---

(١) اتفاق الاعجاز في الوزن دون الحرف يسمى المتوازن، ينظر: الطراز: ١٩/٣، والأصوات اللغوية (إبراهيم أنيس): ١٦٣.

(٢) رمزت بـ(ص) على الأصوات الصامتة (**consonant**)، وبـ(ح) على الأصوات الصائتة (**vowels**).

كاف	ها	يا	عين	صاد
ص ح ح ص	ص ح ح	ص ح ح	ص ح ص ص	ص ح ح ص
مقطع طويل مغلق	مقطع متوسط مفتوح	مقطع متوسط مفتوح	مقطع طويل مزدوج	مقطع طويل مغلق

تأمل قوله تعالى: [illegible] **[التكوير:٣ – ٤]**.

وقوله تعالى: [illegible] **[العاديات:٤–٥]**.

وقوله تعالى: [illegible] **[الزلزلة:٧ – ٨]**.

وقوله تعالى: [illegible] **[الأعلى:١١–١٢]**.

وقوله تعالى: [illegible] **[المرسلات:١–٢]**.

تجد أن التوازن الصوتي حاضرٌ في هذه العينات؛ فالبنية الصوتية المقطعية للفواصل هي نفسها، يعني أن عدد الأصوات المنطوق بها في الفاصلتين واحد، وأن للصوامت والحركات النسق نفسه في التوالي، وقد أشار شراح التلخيص في التعامل مع الفاصلة المسجوعةِ إلى إجراءٍ يعتمد التوازي الصوتي وهو ما يعرف بـ (الوزن

الشعري)[١]، الذي يهمل مسألة توازي الصيغ الصرفية، وتعد التفاتة (ابن يعقوب المغربي) نحو هذه المسألة جديرة بالذكرِ، فقد وقف على قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ **[المرسلات: ١– ٢]**، قائلاً : ((وقد يختلف النصف المقابل في الوزن فقط ويكون متوازياً، فـ(المرسلات) مع (العاصفات) متفقان تقفية ولم يتفقا وزناً وكل منهما نصف القرينة، كذا قيل وفيه نظر؛ لأن المعتبر من الوزن هنا الوزن الشعري كما قيل لا الوزن النحوي؛ وعليه فهما متوافقان إذ المتحرك في مقابلة المتحرك، والساكن في مقابلة الساكن وعدد الحروف المنطوق بها واحد فيهما وإن كان وزن المرسلات في النحو (المفْعَلات) والعاصفات (الفَاعِلات)))[٢]، وهذا يعني رصدَ البنية الصوتية المقطعية بمعزل عن الوظيفة الصرفية، فقد تأتي الفاصلتان متفقتين في البناء المقطعي والنسق العروضي المرتبط بها، مع تخالف وزنها التصريفي كقوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ **[الكوثر: ١– ٢]**.

والذي يهم البحث هو اتزان النسق الإيقاعي الذي يعدُّ من أهم مرتكزات السجع، وهو الأداة التعبيرية الفعّالة في ربط المستوى الصوتي بالناتج الدلالي بغية التوصيل إذا ما اعتبرنا أن ((السجع يفترض وجود نسق وزني أقل صلابةً بالتأكيد

---

(١) الوزن الشعري : يعني الوزن العروضي، وهو (وضع الساكن بإزاء الساكن، والمتحرك بإزاء المتحرك، وإذا تم الجزء وقفت عنده وابتدأت بما يبقى من الكلام في الجزء الذي يليه على ذلك حتى تنتهي إلى آخر البيت)، كتاب الكافي في العروض والقوافي : ١٧، أما الوزن التصريفي : فهو مقابلة حركة بنوع حركتها كمقابلة ضمةٍ بمثلها، الفاصلة في القرآن : ١١٢.

(٢) مواهب الفتاح : ٤ / ٤٤٩.

من ذلك الموجود في الشعر لكنه مع ذلك يخضع لبعض القواعد التي لم يقصّر البلاغيون في تقنينها))[١].

من هنا يتأكد للبحث الحضور المكثّف للفاصلة القرآنية في التعبير، القائم على إحداثِ توازنات صوتية تتناسب مع اقتضاء الدلالة فتمثل صوراً من صور الإعجاز القرآني، ولابدّ من التنبيه على أن السور المدنية تختلف عن السور في هذه الناحية، اعتماداً على معيار الخطاب اللغوي وتناسبه مع طبيعة المخاطبين[٢].

ثالثاً : الفاصلة المنفردة[٣] :

هي الفاصلة التي لم تلتزم التماثل أو التقارب في حروف رويها فتشكل نمطاً مغايراً يخرجها عن المألوف، مما جعل بعض البلاغيين يفردها بظاهرة أسلوبية، تُراعى فيها الفاصلة لخصوصية الأثر الدلالي، فيها، وسنأتي على تفصيل وتحليل عينات منها في الصفحات القابلة.

واستمراراً في رصد الحدود الشكلية لمبنى الفاصلة في التعبير القرآني وتلمس أثرها الأسلوبي، كان لزاماً الإشارة إلى أن علماء البلاغةِ ذكروا أنماطاً أُخر للسجع القرآني قائمة على أساس ترتيب السّجْعات وفقاً لنظام التشكيل المرتبط بالزمن؛ فالمسافة ((وإن أخذت شكلاً محسوساً – فإنها أصلاً عملية ذهنية خالصة، وبما أن الذهن نفسه يحتاج إلى محطات وقوف، فإن البناء التعبيري يتابعه في اختيار هذه المحطات، والتركيز عليها بترديد صوت بعينه في نقطة بعينها))[٤]، وهذا يعني أن البلاغة العربية رصدت أنماطاً من التراكيب السجعية المؤتلفة والمتفاوتة طولاً وقصراً، وأصدرت أحكاماً تقيمية مفادها أفضلية السجع المتساوي الأطوال على غيره من

---

(١) **Le Genre Séance : ((une introduction)), Abdelfatah Kilito, studia Islamica, 43 (1976), P29.**

(٢) السور المكية تأتي بلغة التهديد والوعيد والتحذير وضرب الامثال، تناسباً مع حدّة طبع المكيين، فنلحظ فيها قصر العبارة، وقوّتها، وتوازنها الصوتي، أما السور المدنية فغالباً ما تأتي مفصلة موضحة طويلة تناسباً مع طبيعة المسلمين ومدى حاجتهم إلى وضع التشريعات، وشرح حدود العقيدة الإسلامية، ينظر : من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم (بحث) : ٨٨.

(٣) وهي من الفواصل النادرة في التعبير القرآني، ينظر : الفاصلة في القرآن : ١٧٣، البلاغة القرآنية : ١٢٨.

(٤) بناء الأسلوب في شعر الحداثة (التكوين البديعي) : ٣٧٤.

الأنواع الأخرى مع مراعاة التدرج في الطول، وعدّ الالفاظ المسجوعة، وهذه الأحكام مستنبطة من الوقوف الدقيق على شواهد لا حصر لها، مدعمةً بالعللِ البلاغية المنطقية المستندة إلى قانون بلاغي نقدي يحكم توزيع المسافات الذي يختلف كلياً عن قانون الشعر العربي المعتمد على معيار التفعيلة الشعرية، وقد تمخض الوقوف ملياً على نماذج من التعبير القرآني تطبيقاً لقانون المسافة السجعية نذكر منها على سبيل المثال :

١- قوله تعالى: ﴿ ♊♉✌◆❒ ➉⇦❒❈✍✍☺⌧✍ ♉↗✋⬧✃◆↗ ⬂♎➑❒🕯⧨⌛⬧▫ ⬆♉⌘⬀ ⬀♌✍⬧☞❒☪⌧♉ ⬆♉⌘⬀ ⬀♌✍⬧✍✍✍⓪⬧▤➔✍ ✍⌧☺↗▤⧨■✍◆❻ ⬀♌✍⬧✍❒✌✍✍⌧♎⇧➈⇖✌ ﴾ [الرحمن: ٦٢ – ٦٤].

يوظف التعبير القرآني في هذه الآيات ايقاع المسافة المتشكل بين نهايات الفواصل قصداً لابراز أثر الايقاع التوازني وشحناته الصوتية أولاً، وفاعليته في التكوين الدلالي ثانياً، إذ إن انتهاء الفقرة المسجوعة بالوقف الصوتي في قوله (ومن دونها جنتان)، ليس معناه بالضرورة أنها منفصلة دلالياً عن ما يليها؛ بل العكس، فقد فصلّت الآية الرابعة والستون من سورة الرحمن، وصف الجنتين بأنهما ((مخضرتان خضرةً تميل إلى السواد لما فيها من أعشاب))[1]، وهاتان الجنتان ((دون اللتين قبلهما في المرتبة والفضيلة والمنزلة بنص القرآن))[2]، فتعلق اللفظ بالمعنى رغم الوقوف بفاصلة ﴿ ⬂♎➑❒🕯⧨⌛⬧▫ ♉↗✋⬧✃◆↗ ✍⌧☺↗▤⧨■✍◆❻ ⬀♌✍⬧✍✍✍⓪⬧▤➔✍ ﴾.

٢- قوله تعالى : ﴿ ✍⌧⌧· ☎ ✍⬧◆✍▤ ❻◆✃⬧♌⬧ ⇖◆✍■❼🗐 ☎✃❒⇦☼🕭⌧✍ ✍❒✌ ☠✍✍✍▯❒➔🖬➔🕭 ⬀⬂✍⬀ ◆♌❒⇦⌛⬁○⬂▤◆③ ✍⌧⌧✍ ⬀☠⬃✍❒❈⧨☽ ✍☠✍✍⌘▯■❻ ♊◆⇖ ✍⓪✍⬖◆✌⬀❒◆③ ✈⌗☼⬧❒⬄⬀➔❒✍⇦❒◆♌◆ ﴾ [المطففين: ١٤ – ١٥].

(١) في ظلال القرآن : مج ٦، ج٢٧، ص٣٤٥٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) : مج٤، ج٧، ص٥٠٦.

أول ما ندركه من قراءة الآيتين هو الإيقاع المتوازن الذي يولدهُ التوازي العددي المتساوي الأطوال، ومن ثمة التقارب الثلاثي لحروف الروي في نهاية الفواصل (الباء، والواو، والنون) والذي شكّل توازياً معنوياً يظهر في الكشف عن المعاني المتعالقة، فالآية الثانية أبانت سبب حجبهم عن رؤية ربّهم يوم القيامة، لما ران على قلوبهم من تراكم الذنوب والخطايا، وإنهم محجوبون عنه تمثيل للاستخفاف بهم وإهانتهم[1]، جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال : ((إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب منها صقل قلبه، وإن زاد زادت))[2] فذلك قول الله :

🗐❼■✍♦⇱ ♦♌✁◆❻ 🗎⬀✍♦🖃 ☎ ·☒☒🖅﴿
☎✁❑⬅✡🕭☒🖅 ✍❑✋ ☠✗✗✗▯❑➔▣➔🕭
.﴾♦♌❑⬅⌛⇱○⬂▤♦③

٣- قوله تعالى : ﴿🖂 ♍♌❑ ✁✍"*♠♠○✽⏲♊⌘ ⌘⬈▣♍🖃♦
⬅○○○♦✋ ✁♦❶♍♌ ⭋⭍✗⬀ 🕭⏲⬂❑➔▣⬓♎
✁♦❶♍♌◆❑ ⭋✗⬀⬀ ✍✡⇱❑⬇❽⬓♉ ❿❸⦿¤♋✍✁
﴾✍⏲⇱❑⇱☪♦✋ ⬅❸⬀❷♦③⬂🖳✍✁ ⬅○○○♦✋

[المعارج:١٩ – ٢١].

جَمَعَ التعبير القرآني الفواصل المتساوية الأطوال والأعداد في مواطن كثيرة، ينظر إليها أرباب البديع وفقاً للحسّ الجمالي القائم على التوليف والتوافق بين الشكل والمعنى، إذ أن المعيار ليس في تساوي الفقرات طولاً أو قصراً فحسب؛ بل فيما تضيفه على المعاني من إيحاءات دلالية يقتضيها السياق مما يُزيد السجع حُسناً؛ لأنه ((يخرجه عن النمطية المتناظرة، فيكون أكثر تنبيهاً وإثارة للنفس))[3]، وعلى هذا الأساس أبانت الآيات الثلاثة من سورة (المعارج)، هندسة المسافة للفواصل القرآنية وأثرها في اعتدال نسق الكلام المتناسب مع المستوى الدلالي، فقد فصلت الآيات صفات الإنسان وطبيعة خلقهِ.

---

(١) ينظر : الكشاف : ٤ / ٥٦١.

(٢) أخرجه الترمذي، قال : ((هذا حديث حسن صحيح))، كتاب تفسير القرآن، باب سورة المطففين، حديث رقم (٣٣٣٤)، ٥/٤٣٤.

(٣) البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٥١٠.

يتأكد للبحث بعد ما سبق ذكره أن التعبير القرآني يوظف مبنى الفاصلة أو السجع قصداً؛ لأداءِ خدمة الإيحاء بالمعنى وإظهار الدلالة استناداً إلى دور الإيقاع الصوتي وكثافته العددية طولاً أو قصراً أو اعتدالاً في إطار يجمعُ التناسب والتوازي للبناء اللغوي مما يهبُ الألفاظ المسجوعة قيمةً دلالية تضافُ إلى قيمتها التحسينية الناتجة عن الإيقاع الصوتي.

خامساً : مظاهر أسلوبية في مبنى الفاصلة (فرضية المراعاة) :

بدت الآيات القرآنية بشكل متنوع في الطول والقصر، اقترن بتنويع في مبنى الفاصلة وعلاقتها السياقية مع الآيات الأخر، إذ أننا نلمح في أغلب السور الطويلة نظاماً إيقاعياً متفرداً لا يمكن حدّه بقواعد ثابتة ((فهو ضربٌ من الإيقاع بالغ الروعة والتفرد، حتى لتوشك كل سورةٍ أن تنفرد بنظام خاص من هذا الإيقاع لا تشاركها فيه سورة أخرى))[1]، فالتناسب الشكلي بين الفواصل يُراعى في النص القرآني متوخياً المعنى، مما جعل ذلك ظاهرة بارزة أمتاز بها القرآن في رصف حروفهِ وترتيبها ترتيباً دونه كل ترتيب، فكانت دليل إعجاز من ناحية، وسوراً منيعاً لحفظ القرآن من ناحية أخرى مصداقاً لقوله تعالى : ❁ ☽ᘯ☼✸🙰 ✞⬩♦⬂♊← ☼♦❽□◙ᘰ⬂☪♦🙰 ✂🙰✎🔔♏ᘯ📪⬂❷♦ □♦☽ᘯ☼✸🙰 ◙ᘰ⬩○←⏀ 💻○♦□🕓▦ᘯ→⬆□♌♦❁ [الحجر:٩]، وقد كشف التتبع الانتقائي عن ملامح وسمات أسلوبية لها أثرها الفاعل في التشكيل الأسلوبي للسجع القرآني، اكتنز بها الكتاب العزيز، من أهمها :

أولاً – ظاهرة التقديم والتأخير :

تعدّ ظاهرة التقديم والتأخير من أبرز الظواهر الأسلوبية اقتراناً مع الفاصلة القرآنية، لها أسباب يقتضيها المقام وسياق القول ((والقرآن أعلى مثل في ذلك فإنا نراه يقدم لفظة مرة ويؤخرها مرة أخرى على حسب المقام))[2]، فالتعبير القرآني قَصَد

---

(١) البلاغة القرآنية : ١٠٥ – ١٠٦.

(٢) التعبير القرآني : ٥٢.

هذه الظاهرة في مواطن معينة لإغراضٍ بلاغية تدل على أن كُلّ لفظٍ وضعَ ليلائم السياق.

وتفصح بنية التقديم والتأخير عن حضورها الفاعل في البناء التركيبي للفواصل القرآنية، من خلال ما تحدثه من مخالفة وعدول عن الأصل في الصياغة، إفادة تحقيق الاعتبار الدلالي، ولغرض معرفة أهم أشكال التقديم والتأخير وَجَد البحث انتقاء عينات أظهر من سابقاتها محاولاً الكشف عن الغرض الذي استدعى العدول وتقديم ما حقه التأخير.

١- قال تعالى : [illegible] [عبس:٤٠].

٢- قال تعالى : [illegible] [العنكبوت:١٨].

٣- قال تعالى: [illegible] [الشعراء:١٥٥].

٤- قال تعالى : [illegible] [الجاثية:١٠].

٥- قال تعالى : [illegible] [النور:٤٢].

اتجه عنصر التحريك المكاني في الصياغة القرآنية في هذه المواضع إلى إحداث مخالفةٍ وانحرافٍ في النظام اللغوي بتقديم المسند على المسند إليه في دوال مخصوصةٍ شكلت منطقة تكثيف دلالي يضاف إلى حقل المساحة الصوتي، فأفرز تراكيب مسجوعة لها أثرها المعنوي في الإشارة إلى ((الخصوصية في الدلالة على ما تساق السورة إليه من أغراض ومقاصد))[١]، تمنح السياق القرآني نظاماً فريداً من التناسب والتوازي بين الألفاظ وقيمتها الدلالية، مؤكدة عنصر الترابط العضوي مع بقيةِ فواصل السورة السابقة واللاحقة.

إن الخروج على القاعدة العامة في هذه الآيات مَهد لاستقرار الفاصلة في موضعها المقصود فجاءت الألفاظ مرتبةً على الرغم من فاعلية التقديم والتأخير؛ لذا برز الأثر الأسلوبي في الكشفِ عن روابط الدلالة التي انتجت إيقاعاً متلائماً مع السياق العام، حاول البلاغيون قديماً تحديد الأغراض التي سيق لأجلها هذا الملمح الأسلوبي، فذكر الزركشي أن من أغراض التقديم ((أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب، فيقدم لمشاكلة الكلام ولرعاية الفاصلة، كقوله تعالى : ﴿✶✐❁ ✂✍✐⍝♈⑧ ⌘⌧◨■◑♦♑↢⇗· ◑☜♌ 🗎→☪☜←☠⇗ ◑☜③✸✍■← ✍♦→⇗⌨←⑨←◻♍✎﴾ [فصلت:٣٧]، بتقديم (أياه) على (تعبدون) لمشاكلة رؤوس الآي، وكقوله:﴿❁▫♦♁◻◻⇗♉⌧▪"" ✗☜❼ ✡♦▦⇘○⇖○♉◷ ⌘⇖⓿▦☒◻☪ ✎⓾◻✍⌧✍▤﴾ [طه:٦٧]، فإنه لو أخر (في نفسهِ) عن (موسى) فات تناسب الفواصل؛ لأن قبله: ﴿❁⑥➚③⓿▪⓿♦✍⇖ ◑☜◙⇝♦⓿⇘○♉ ✎♉⌶ ⌘⇖♦⇔❷▩♏◷☹⇗ 🕮◻⌘◻♉◻✍ ✍■○⇔⇖♦✍▤﴾[طه:٦٦]، وبعده ﴿◑☜✡◻①✎ 🕮◻✡*✌✿ ✂✍❀☜⇖⇳✍■❼▤﴾ [طه:٦٨][٢]، وفي المعنى نفسه تحدث عبد القاهر الجرجاني عن الأسبابِ والعلل الموجبة لهذه الظاهرة وأكد على ضرورة اختصاص الكلام بفائدة اجراها التقديم والتأخير استجابة لمؤثرات خارجية ((فمتى ثبت في تقديم

---

(١) البديع، دراسة في البنية والدلالة : ٢٠٩.

(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٢٣٤/٣.

المفعول مثلاً على الفعل في كثير من الكلام أنه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير، فقد وجب أن تكون تلك قضية في كل شيء وكلّ حال))(1)، وهذا يعني أن للتقديم والتأخير أثراً دلالياً يظهر من خلالِ قدرته على زيادة المحتوى وتكثيف الدلالة بما يمنحهُ من إشاراتٍ وعناصر تستدعي المتلقي التركيز فيها كقوله تعالى: ﴿ ◻◆✁✂✍☝⅄⇦⍟×◆ ♎➔☠✆ ◉♑♍◘❽◻✌◻☒◻▤◻◆◻☎ ◦⌚➔♍◘➔◻♌◆◆ ﴾ **[المؤمنون:٤]**، أدى تقديم الضمير على الخبر المشتق، وتقديم الجار والمجرور على عاملهِ، زيادة انتاجية الدلالة بزيادة التأكيد في الآية مما أسهم في تهيئة الوضع الاستقراري للفاصلة في موضعها المناسب، وأمثلة ذلك في التعبير القرآني كثيرة(2).

يتبين أن لظاهرة التقديم والتأخير في الفاصلة وظائف دلالية تناط بها هي :

١- تهيء للفاصلة الاستقرار المكاني.

٢- تمكين الدلالة من احتضان إشارات إيحائية ضمن عناصرها المنزاحة.

٣- تشكيل مساحات دلالية صوتية دون تفاوت أو إخلالٍ بالمعنى.

٤- مُغايرة النظام المقصودة؛ لتفعيل إمكانيات الدوال التعبيرية فيه.

ثانياً - مظهر الحذف والزيادة :

الحذفُ ((باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى أن ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت أزيد للإفادة))(3)، وما يعنينا في هذه الظاهرة الذكر والحذف في مواضع الفواصل القرآنية مما جاء مرتبطاً بالنص ارتباطاً عضوياً، مراعياً لسياق المعنى الوارد فيه، إضافةً إلى مراعاة الفاصلة، وليس الذكر والحذف لعلم المعاني بشكل عام، فالحذف والزيادة من أوسع أبواب البلاغة،

---

(١) دلائل الإعجاز : ١١٠.

(٢) ينظر على سبيل المثال : سورة لقمان : ٢٢، سورة يس : ٥٦، سورة الروم : ٢٩، سورة النجم : ١٥، سورة إبراهيم: ٣٤، سورة القمر : ٤١، سورة الليل : ١٢ – ١٣، سورة الشعراء : ٧٢ – ٧٣، سورة فاطر : ٩، سورة الرعد : ٣٨، سورة القيامة : ٢٣.

(٣) دلائل الإعجاز : ١٤٦.

ذكر ابن جني (ت ٣٩٢هـ) الحذف على رأس بابٍ في شجاعة العربية[١]، وفي ضوء ذلك يبدو جلياً أن هذه الظاهرة ليست دعوة لقياس مدى الكثافةِ أو المحدودية للألفاظ والتراكيب؛ بل هي إجراءات أسلوبية يحتمها السياق تفترض أن اللفظة المسجوعة أتخذت موقعاً مناسباً في الصياغة بما ينسجم مع إطارها الدلالي.

ومن خلال متابعة الجهد البلاغي والتفسيري القديم في بناء النظم القرآني يمكننا رصدِ هذه الظاهرة في أمثلة عديدة :

أ- من الأمثلة الواردة في سورة الأحزاب :

قال سبحانه وتعالى : [illegible] **[الأحزاب: ٤].**

جاءت لفظة (السبيل) التي مثلت فاصلة الآية منحرفة عن وضعها المناسب ايقاعياً مقارنة مع بقية فواصل السورة، فقد جُردت من حرف المدّ في أخرها، عدولاً عن قولهِ الذي يقتضيه السياق (وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلا)؛ لتحقيق عنصر التناسب والتوازي الصوتي والدلالي، فقد ختمت آيات السورة بألف الإطلاق في مواضع، وألف المدّ في مواضع أخر، وقد حقق هذا العدول الميل إلى الإنفراد بفاصلة تستقطب الذهن وتسترعي الانتباه، جنوحاً إلى المغايرة مع بقية الفواصل، وكسر توقع المتلقي، مما يثير في نفسه رغبة في معرفة سرَّ ذلك العدول بشكلٍ منظم وبدقة حققت التناسب اللفظي المعنوي مع سياق الآيات عموماً.

ب- من الأمثلة الواردة في سورة الرعد[٢] :

---

(١) ينظر : الخصائص : ٣٦٢/٢.

(٢) ينظر : الآيات (٧، ١١، ٣٣، ٣٤) من سورة الرعد، لتشابه موضع الحذف ونوعهُ، والآية : ٤ من سورة الفجر.

قال تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [الرعد: ٩].

شكلت فاصلة الآية في لفظة (المتعال) عدولاً واضحاً ولدّهُ الحذف الواضح في نهاية هذه الفاصلة، حيث حُذف حرف الياء من الأسم المنقوص (المتعال)، لتحقيق التوازن الصوتي والمحافظة على الإيقاعِ، والتساؤل الذي يطرح نفسه : كيف يمكن أن تؤدي هذه الانحرافات وظيفتها الدلالية في السياق، إذا ما أكدنا أن التناسب الشكلي بين الفواصلِ ليس الغاية المقصودة لذاتها في التعبير القرآني ؟

خالفَ النص القرآني في مواضع متعددة المناسية الإيقاعية وهذا ((لا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة، فإن القرآن العظيم كما جاء في الأثر لا تنقضي عجائبه))[1]، وهذا يؤكد أن التعبير القرآني يقصد ذلك الخروج مراعاة للفاصلة بغية تحقيق التشاكل الإيقاعي وتكثيف المعنى، ويبدو أن عدول التعبير عن لفظ (المتعالي) لعلة كون ((الحرف لا يتحامل بنفسه حتى يدعو إلى اخترامه وحذفه بأن يضعف عن تحمل الحركة الزائدة عليه فيه أحرى وأحجى))[2].

ج- من الأمثلة الواردة في سورة الشعراء :

قال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام : ﴿ [illegible] ﴾ **[الشعراء : ٧٢ – ٧٣].**

المحذوف في الآية هو المفعول بهِ في فاصلة (يضرون)، بدليل ورود ذكره في المعطوف قبلها (يسمعونكم، ينفعونكم)، وقد علّق الدكتور فاضل صالح

---

(١) الإتقان في علوم القرآن : ١٠٠/٢.

(٢) الخصائص : ٢ / ٢٩٤، ومثله قوله تعالى : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر:٤]، وقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ [الكهف: من الآية٦٤].

السامرائي على إطلاق لفظ (الضرّ) في فاصلة (يضرون) وعزاه إلى سببين رئيسين هما[1] :

الأول : إن الإنسان مجبول على كره الضرّ وتمنيه لأعدائهِ.

الثاني : إن الإنسان في خوفٍ مستمر من إلحاق الضرّ به.

ومراعاةً لمقتضى السياق وانسجاماً مع فواصل الآي حُذف الضمير (الكاف) من الفعل (يضرون) أصبحت الفاصلة موضع إطلاقٍ، في الوقت الذي أدّت دلالة (النفع) معنى يساق لبيانِ حقيقة تلك الآلهة في عدم الحاقها الضرّ بالعدو، كما أنها لا تستطيع ضرّكم، فجاءت هذه اللفظة في موضعِ تخصيصٍ، ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿□◆□📖□⮚❁⬂□ ▫♋❷⬀⬉◆□⬀♌⬉ ♎⧫□⬀✍◆❍⬅❶

□◆✍⧫♐ ⬠□♎⬠❾⬠❽▤﴾ [طه:٧٩][2].

ومثله قوله تعالى في سورة الضحى : ﴿□◆✄♐◉♈⬠⊠⬠❻⊠⬠⊘▤ ⬉⬉⮚⬈ □◆✄♐◉♈⅄❶⬂⬊⬈ ◐⬂❶✦✄ ♒⬠⊠⬠⊘▤ ⬈⌘⬉ ✍◆♐ □◆❿□⬉◆⬠⌨⬠ ❻◆⬡❿⌨⬠ □◆✍◆♐ ⬮◆✍■❼▤﴾

[الضحى: ١ – ٣][3].

د- من الأمثلة الواردة في سورة الحاقة :

قال تعالى : ﴿▫◆♌□✍□♐ ✍◆⌶⇳ 📖⬆□✌⬂❻⬋ ✍♋⬮◆⬂❶⬂⬂◆✍❿✡♋⬠♋❸ ▫◆❶◆◐→□✌⬉ ✍♋✌◆❶⌨◆❍⬅❶ ♎⬠♐⬈✎◆⬈⬉ ♐✄⬌⬂◆⬈⬈⬊☎ ⬂♋☞◆❶⧗⬂❶◆❍⬃ ✍⬉■❶⬂⬠♐⬠⬀◆❸ 📖□❄□⬂❼ ←⬡⬨◆✡✲◆→ ❶⬂❄□⬂❼ ⬉⬈⌀⬈ ❍♋❍❁♐⬂❶◆❍⬃﴾ [الحاقة:١٩ – ٢٠].

تتصاعدُ الحدة الإيقاعية في هذه الآيات بإثبات هاء السكت في آخر الفاصلة التي أفرزتها العملية اللسانية بالزيادة، علاوة على تحقيق التقارب الحرفي الذي أحدث توازنات صوتية إضافية تسهم في زيادة تركيز السمع للوصول إلى الناتج الدلالي،

---

(١) ينظر : التعبير القرآني : ٢١٩، البلاغة القرآنية : ١١٨.

(٢) ينظر : تعليق الدكتور فاضل صالح السامرائي في هذا الموضع، التعبير القرآني : ٢٢٠.

(٣) ينظر تعليق الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) في هذا الموضعِ من كتابها الإعجاز البياني للقرآن : ٢٥٠.

في مشهد الناجي الذي يأخذ كتابه بيمينه فرحاً، داعياً الخلائق لقراءته وما أعدّ له من نعيم.

وقد أضاف (صوت الهاء)[1] معنىً زائداً يوحي المبالغةِ في السرور والفرح تارة، وفي الحزن والألم والتعب تارة أخرى في ((مشاهد من القوة والحيوية والحضور بحيث لا يملك الحسنّ أن يتلفت عنها طوال السورة، وهي تلحّ عليه، وتضغط، وتتخلل الأعصاب والمشاعر في تأثير حقيقي عنيف))[2].

والتساؤل المطروح هنا هل أن الحذف في الحرف والكلمة يُخلّ بالنظام الشكلي والدلالي للتعبير؟

هذا السؤال يستدعي التنبيه على مسألةِ إجماع علماء العربية واتفاقهم على ظاهرة الحذفِ وعدّها من وجوه إعجاز النظم القرآني، فلا يكاد يخلو منها مؤلف في علم البلاغة أو التفسير أو اللغة، مُشكّلة ملمحاً أسلوبياً في الفاصلة وغيرها، ومن هنا جاء تأكيدهم المدعم بالرصدِ والتحليل على ضرورةِ تحقيق التناسب والترابط المرافق لهذه الظاهرة، بشرطِ الوعي بالضوابطِ والمعايير التي تحكمها، ((فلما أدركها الناقد البصير بصوغهِ الماهر في نظمه وحوكه فوضع المحذوف مواضعه كان حابكاً لها مانعاً من خلل يطرقه، فسدّ بتقديره ما يحصل به الخلل مع ما أكسبه من الحسن والرونق))[3].

وقد ذكر الزركشي أنواعاً من الحذفِ مؤكداً وظيفتها في تحقيق التماسك الدلالي بشكل لا يتعارض مع وجودها شريطة وجود دليل واضحٍ عليها، كقولهِ عز وجلّ : ﴿ ❒◆✃ᔕ✏⅄🔔ᘓ❽ ❀⍓💾■📪♦✃ᔕ❀☞ꝏ⬂❒◆🕓●⍓
📬↗💾✸♑⍓ᔕ ❒◆♉⍓➔⍓✍• ⌾ᔕ♦▤↗📪 👌♓ᘓ♊⌘

---

(١) المقصود بصوت الهاء (هاء السكت) وهي (هاء) مضافة غير أصلية انزاحت القافية في موضع واحد محوّلةً العدول إلى أصل بسبب السياق؛ لأن سياق المشهد منزاح بالكامل، وقد أكسبت التاء الأصلية في فاصلة (القاضية) فقط، السياق القرآني خصوصية تعبيرية في قوله تعالى : ﴿يا ليتها كانت القاضية﴾ [الحاقة:٢٧]، ينظر : التصوير بالفاصلة القرآنية (بحث) : ص٦٥-٦٦.

(٢) في ظلال القرآن : مج٦، ج٢٩، ص٣٦٧٦.

(٣) الإتقان في علوم القرآن :

✍♦✌ ✐⚐🕒⊠➔⬀✡☞❀✍✂♦❒ ⬂⌨▫🖬➔▦⬂♒◉✍✂
✍⬧❷⬀✍⊠⌛⬅❑♌♦⬧ ﴾ [الزخرف:١٢].

فقد تختل بنية الحذف إذا عوضَ موضعها بالذكر كما يحصل في العكس مما يفسد الايقاع الصوتي وفاعليته في إثراء الدلالة بطاقاتٍ إيحائية دالة على المحذوف(١).

ثالثاً – إيثار صيغة على أُخرى :

تشكل هذه الظاهرة مثيراً أسلوبياً ملحوظاً في الفواصل القرآنية، وتسهم بفاعلية في تأكيد الحضور الدلالي للألفاظ المأثورة، زيادة على تحقيق مبدأ تبعية الفاصلة للمعاني المطروحة ونلحظ ذلك في قوله تعالى : ﴿❒♦✌♋♊⌘
✍❒✡♦✌✂♦➚ ⬉✌❒➔☽♦③ ♊♦✌ ⬂❒✍❒✡♒◉✍✂
♋✈⬀❑♦⓿⬂♒◉✍✍♎✍♦❒ ★✎✍✍♎✍
﴿♦✗✓♋✡♋✌⬀⬥⬅☺♎✍ ☠➔♎ ✍♦✌♦❒ ▩❷⬂⌘☞⊠✍✂ ﴾
[البقرة:٨].

أُثر في ختام هذه الآية الانتهاء بقولهِ (وما هم بمؤمنين) وهي جملة أسمية، عَدَل بها عن الجملةِ الفعلية في قوله (وما آمنوا) التي يقتضيها ظاهر السياق، وذلك لتأكيد نفي الإيمان عنهم، واللافت في هذه الفاصلة أن للتأكيد الدلالي مقويات تثبته منها :

١- تقديم المسند إليه على الاسم المشتق وهو المسند في قوله (هم بمؤمنين).

٢- دخول الباء الزائدة على خبر الجملة الأسمية في قوله (المؤمنين)، وهذه الظاهرة مطرّدة في التعبير القرآني كقوله تعالى : ﴿❒♦✌♦✍✎ 🕮❒✡♦✍⚐
✍♎➔⬥🖬✹🕒⚐▯ ◉♒ℯ♋🖬▫➔⊠⌨♎⓿⑨♋﴾ [ق:٢٩].

(١) ومن الزيادة أيضاً، الحاق حرف المد بعد روي السجع في قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾ [الأحزاب:٦٧].

٣- حذف متعلق الإيمان للعلم بهِ فالظاهر يقتضي قوله تعالى : (وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ بالله واليوم الآخر)، فقد أدى الحذف دلالة نفي الإيمان المطلق عنه.

ويتجلى أثر هذه الظاهرة بانعام النظر في قوله تعالى :

✽♠☼◷✵◘♑◉✍✂ ⇖☹⇗⬇⬃③◆⇗♦❷⬧⬜❐📖 ❁

■□▤❑◆☪♦✎◆❐ ⬖⬗✆⬘ ▤❽□❽⇖➔⬂♑◉✍✂◆❐
⬖✖⬘⬘ ✂❽♦❷⬃⌘♆❀✍✂ ⬧□⬧♆⬂♑◉✍□♆♑◉✍✂
⇖📖⬧✏◆❐ ⇖❷☒✍⅄♙✏✍✂ ⇖☠⇗▤⬧♑◉❐📖
✂❁❶⬂☽ ⌂⌨▫◘⬂✍ ⬖✖⬗⬘ ▤✆⬧ॐ✡♆❀✍✂
♙○⬂⬄☺⌂□⊲ ⬗⬘❷❾◆❽✂ ❁ [النجم:١٩ - ٢٢].

فدقة اختيار التعبير القرآني لموضع الفاصلة بتناسب شكلاً ومضموناً مع ما قبلها وما بعدها، مُحققاً الانسجام الصوتي للإيقاع العام في السورة، بمعنى أن إيثار هذه اللفظة دون سواها قائم على الاختيار المقصود ليس لغرضٍ تحسيني فحسب؛ بل مراعاةً لمقتضى الحال بتوظيف لفظة (ضيزى) الموحية بالندرة والتفرد وخروجها عن المألوف في استعمال العربِ[١]، فإنها لم ترد إلاّ في هذا الموضع من التعبير القرآني؛ لإتساق إيقاعها مع الفواصل الأُخر المنتهية بالألف اللينة ابتداءً من أول السورة.

وقد أرجع ابن الأثير هذه اللفظة إلى ما تحققهُ من تآلف تام بين المفردات القرآنية ودلالاتها على أساس أن الألفاظ والمعاني في النظم البياني تتجه مجتمعة إلى تحقيق الملاءمة للوصول إلى الدلالة[٢]، أما الرافعي فقد آثر موضعها هنا مُعلَّلاً ذلك بالتوافق والانسجام المتحقق في حُسنها الغريب؛ لأنها جاءت ((في معرض الإنكارِ على العربِ، إذ وردت في ذكر الأصنام، وزعمهم في قسمة الأولاد))[٣]، ولشدة زعمهم وإسرافهم في القول إن الملائكة والأصنام بنات الله زيادة على وأدهِمْ للبنات، ولما في هذا الأمر من غرابةٍ، جاء اختيار هذه اللفظةِ في موضع لا يسدّ لفظ آخر مكانياً ودلالياً مسدّها ((وكم من لفظةٍ غريبة عندهم لا تحسن إلاّ في

---

(١) ينظر : المفردات الفذّة في القرآن الكريم (رسالة ماجستير) : ٤٣، لهجة تميم في قراءة أبي عمرو، دراسة نحوية صرفية : ٣٠٨.

(٢) ينظر : المثل السائر : ١٧٦/١.

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ١٥٨.

موضعها، ولا يكون حسنها – على غربتها – إلاَّ أنها تؤكد المعنى الذي سبقت إليه بلفظها وهيئة منطقها، فكأنَّ في تآلف حروفها معنى حسياً، وفي تأليف أصواتها معنى مثلهُ في النفس))(١).

وقد أكدت الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دقة الاختيار القرآني، وتفرّدِهِ الأسلوبي، إذ تحقق التناسب بين تلك اللفظة ومادتها المعجمية مع السياق الذي ظهرت فيه، ((وقصارى ما ألمحه فيها، على بعد، أن يكون فيها مع الجور، حسّ مادتها فيما يلوك عبدة الأوثان من ألفاظ؛ منقولة من : ضاز التمرة، لاكها في فمهِ))(٢).

تأمل قوله تعالى في سورة إبراهيم : ﴿☎✁❒❻❾⇖➔⬧✍ ♌⧉◗◆❑ ·♍⧉◗ ▤ ✎✍⌧♎❑⓿⏲⬂⧫⬆✌ ⬥⬥ ★✎✍✁ ✾✽⌧☺⬀➔⬤✡ ∢⚐❑➔🖬⬧→⬧⬰ ⌘♊⏲✾❍⬧✽✍✁ 🖹⧫⦿✍⧉⓿⌧﴿ [ابراهيم:٣٤]، وفي آية مشابهةٍ في سورة النحل قال تعالى :

﴿☎✁❒❻❾⇖➔⬧✍ ♌⧉◗◆❑ ⬧❑⌧☺⬀➔⬤✡ ★✎✍✁ ⬥⬥ ·♍⧉◗ ▤ ✎✍⌧♎❑⓿⏲⬂⧫⬆✌ ⅄✎✍✁ ⌧⓿❑→⧫⬄⬧⬰ ❻▪❍⬤⓿⚐⌀﴾ [النحل:١٨].

آثر التعبير القرآني في آية سورة (إبراهيم) فاصلة تختلف عن فاصلة سورة (النحلِ)؛ ولا شك في أن سبب ذلك هو ((أن خاتمة كل من الآيتين تنسجم موسيقياً مع الآيات فيهما، ولكن السياق أيضاً يقتضي الفاصلة التي فصلت فيها))(٣)، فالسياق يقتضي مناسبة الوصف للموصوف، ولما كان الموصوف في فاصلة سورة إبراهيم هو الإنسان جاءت الفاصلة محققة دلالة اللفظ المخصوص بالذكرِ في قوله (ظلوم كفار)، وكذا الحال في مناسبة قوله تعالى : ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لله جلَّ شأنهُ وهذه بعضُ صفاتهِ، وقد ظهر هذا الأسلوب العدولي في آيات التعبير القرآني المسوقة لذكرِ الصفات، حين يرد الوصف فيها مرتباً من الأبلغ إلى البليغ مخالفاً

---

(١) المكان نفسه.

(٢) الإعجاز البياني للقرآن : ٤٦١، وينظر : تفسير غريب القرآن (ابن قتيبة) : ٤٢٨.

(٣) التعبير القرآني : ٢٢٠.

المألوف في تقديم البليغ ثم الأبلغ، تحقيقاً للتناسب بين الفواصل، كقولهِ تعالى : ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:٣]، وقوله تعالى ﴿رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ في الفاصلة (العشرين) من سورة النور، وقوله تعالى : ﴿حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ في نهاية الفاصلة الأولى من سورة هود، وأمثلة ذلك في التعبير القرآني لا حصر لها[1].

وقد يؤثر التعبير القرآني صيغاً غير متطابقة في الجنسِ أو العدد مخالفة لمقتضى الظاهر كقوله تعالى :

١- [illegible]

[آل عمران:٤٣].

٢- وقوله تعالى: [illegible]

[التحريم:١٢].

٣- وقوله تعالى : [illegible] [يس:٧٨].

٤- وقوله تعالى : [illegible]

---

(١) ينظر على سبيل المثال : سورة آل عمران : ٢ و٤ و٦ و١٨ و٣١، وسورة الانعام : ١٢٨ و١٤٥ و١٦٥، وسورة الأنفال : ٦٣ و٦٧ و٧٠ و٧١، وسورة التوبة : ٥ و٢٧ و٢٨ و٤٠، وسورة يونس : ١٠٧، وسورة هود : ١ و٢ و٩ و٧٥، وسورة يوسف : ١٠٠، وسورة الرعد : ١٦، وسورة الإسراء : ٤٤، ومريم : ٥١، وسورة الحج : ٤٠.

⌘♊♉✍ 🕭❍④⬈●❑✡⍓♉⍓❷⬃②⬉③ •⊠⧫▫
✂♐♓⧫◆☜⬧⧫❼•✂ ♉❑❑✡⍓➚⬂⧐♓♐✂ [طه:١١٧].

٥- وقوله تعالى : ﴿🕭➔⌦ ♏♓♉➔♉⌨⧫♐⑩♉❽⍓
⬈⧫✂♉⧫☪⬉❑✂☎ ⧫✖⇦♉🕭⬆✏♐✂
✂♐♓⧫◷❍⬛❑⬛▤❑■ ③⬉◗⬇⑩☺⇦❑✂☎
✍♉☺❍♐ ❑⧫③⬉☪⧫♉◗➔❑✂☎
❻⧫♋⍓⬀⬂☪⧫⧫◗♑⬀☠⬀⍐ ⧫❷❖✂ ❑⧫⬉⧫⊠•✡♉⓿⧫❑☪
⧫• ⬀⬆⬀❑⧫③ ③⧫⧫▫✌♎❼⧫ ♌❑🕮 ✍⌦⬀☠•🕭 ♊♉♓✍
⬀⧫⑩⬂➚∅ ▫♉⓿❍♉ ❑⧫••❑ ⌘⬀⬛■◷⌦⬊﴿ [إبراهيم:٣١]، ومن

أمثلة ذلك في التعبير القرآني[١].

أُثرت صيغةُ جمع التذكير على جمع التأنيث في الآيتين الأولى والثانية مخالفةً للظاهر، لأنه يقتضي قوله: ﴿❑⧫✂♐❻⬀✉⬀⊠⬉⬅∅ ✍⧫➚⬀

✂♐♓❷▪◷✉♉➔♉✓▫⬅♂﴾ وقوله: ﴿❑⧫✉⊠🕭✡⧫☀⇳

✍♉♊⌘ ✂♐♓⬂◗•⏲☪♉☜♉✓✖⧫﴿ وقد علل العلماء هذا العدول عن المطابقة في الجنس بسببين[٢] :

الأول : أن القنوت والركوع صفة تشمل من قَنتَ وركع من الذكور والأناث وهي من هيئات الصلاة وأركانها، فغلّب الذكور على الاناث.

الثاني : أن مريم عليها السلام ولدت من القانتين؛ لأنها من أعقاب هارون أخي موسى عليه السلام.

وقد قدّم – في الآية الأولى – لفظ السجود على الركوع؛ دلالة على أن المراد بالسجود الصلاة، وبالركوع صلاة الجماعة[٣].

ولو تأملنا الآية الثالثة وجدنا ايثار صفة (رميم)[٤]، وهي صيغة للمؤنث، وصفاً للعظام وهي صيغة للمذكر، تحقيقاً للتناسب بين الفواصل، زيادة على ما فيها

(١) ينظر : سورة البقرة : ٧٤، وسورة الرحمن : ٤٦، وسورة فصلت : ١١، وسورة الشعراء : ٤.

(٢) ينظر : الكشّاف : ١ / ٣١٨، ٤ / ٤٢٩.

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٣ / ٢٤٥.

(٤) وهي رميم : أي باليةٌ، يقال : رمَّ العظم – إذا بلى – فهو رميم ورُمام، كما يقال : رُفات وفتات، تفسير غريب القرآن (ابن قتيبة) : ٣٦٨.

من مقصد دلالي، أوضحهُ ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، ((على وفق قياس العربية، فإن العظام جمع عَظْم، وهو مذكر؛ ولكن جمعه جمع تكسير، وجمع التكسير يجوز أن يُراعى فيه تأنيث الجماعة، باعتباره قال : (وهي) ولم يقل : (وهو))) [١]، وقد استشهد ابن القيم بقول جرير[٢]:

آلُ المُهلَّب جَذَّ اللهُ دابرهم أمسوا رميماً فلا أصلٌ ولا طَرَفُ.

أما في الآية السابعة عشرة بعد المئة من سورة طه، جاء التعبير في الفاصلةِ، بالمفردِ عدولاً عن المثنى، فالخطاب في هذه الآية، موجه إلى آدم ﵇ وزوجهِ؛ لذا فظاهر السياق يقتضي قوله (فتشقيا)، فَعَدل عن المطابقةِ بين العدد والمعدود، اثباتاً لايقاع الفاصلة المطرّد في السورة أولاً، ولتأكيد الدلالة المقصودة، فقد سيق ورود الخطاب للاثنين معاً في النهي عن الإخراج بوسوسة الشيطان، وقد أختص النص آدم ﵇ بالشقاء الناتج عن الخروج من الجنة دون حواء، ليعقد مقارنة تبرز الاختلاف الكبير بين حالهِ في الجنة وحالهِ بعد الخروج منها، زيادةً على التأكيد أن آدم ﵇ هو المخاطب المقصود في الكلام؛ لأن الله – تعالى – جعل الشقاء في معيشة الدنيا في جانب الرجل[٣].

أما في الآية الحادية والثلاثين من سورة (إبراهيم)، جاءت المخالفة العددية بإيثار صيغة الجمعِ على المفرد في قوله تعالى : ﴿✤♓♋♈♌☸✉✍♏♐♍♎ ♌□♕ ③♦⍓✌♑❼♦ ③♦□⬀⧐✉ ❖ ✍♦⑩⬂➚⊘ ⌗♓⓪○♓ □♦❖❖ ⌘⬂⊡■⓪♎◣﴾، فمقتضى السياق يوجب قوله (ولا خِلة)، وفي هذا المعنى أكد الزركشي أن المراد (خلَّة)، بدليل قوله تعالى : ﴿✤♓♋♈♌⌨✉✍♏♐♍♎ ♌□♕ ③♦⍓✌♑❼♦ ③♦□⬀⧐✉ ❖ ✍♦⑩⬂➚⊘ ⌗♓⑩○♓ □♦❖❖ ⌘➚⊁⅄⍓✉ □♦❖❖ ⅄☒▦☒⓪➔◲□✉﴾[البقرة:٢٥٤] الموجب للجمع مناسبة رؤوس الآي[٤].

---

(١) بدائع الفوائد : ٣ / ٨٦٦.

(٢) ديوان جرير : ٣٠٨، وفيه (أمسوا رماداً).

(٣) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٣٤/٢.

(٤) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٢٣٨/٢.

ومن مظاهر الإيثار في فواصل القرآن الكريم، ايثار الاسم الظاهر على المضمر كقولهِ تعالى : ﴿◻◆♎︎⬧♓︎✆❍⧫◻◆♎︎⬧♓︎ ⧫♓︎♎︎⬧♓︎... ⬧❑➔⬧❑❍◆ ⧫❑➔◆ ⧫❑➔ ◆❑◆◆ ⬧❑❍◆ ... ◆❑➔◆◆ ﴾ [البقرة: ٨٩].

عَبَّر النظم القرآني بالظاهرِ بدل المضمر في قولهِ (على الكافرين)، ((أي عليهم وضعاً للظاهر موضع المضمر، للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم))[1]، ومثلُهُ قوله تعالى : ﴿⧫◆✆ ⬧♏︎◆ ⬧❑➔⬧❑❍◆ ... ◆❑➔◆◆ ﴾ [البقرة: ٩٨].

علل الزمخشري وضع الظاهر موضع المضمرِ بقولهِ: ((والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه أشدَّ العقاب))[2]، وهنا تأكيد على مراعاة الجانب الدلالي؛ لأن العداوة ذكرت مقترنة بالكفرِ فأفاد ذلك أنه سببها، مما أثرى دلالة التنبيهِ على الكفر وبيان جزاءه[3]، والأمثلة على هذا النوع لا حصر لها[4].

رابعاً – إحلال صيغة محل أخرى على سبيل المجاز العقلي :

لبواعث دلالية بلاغية، يضع التعبير القرآني صيغة موضع أخرى في فواصل الآيات؛ تحقيقاً للتوسع اللغوي الذي أُثر في كلام العرب شعراً ونثراً، ومن صورهِ

(١) الكشاف : ١ / ١٥٢.

(٢) المصدر نفسه : ١ / ١٥٧.

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٢ / ٤٩٤.

(٤) ينظر على سبيل المثال : سورة الأعراف : ١٧٠، وسورة الكهف : ٣٠، وسورة الزخرف:٢٥، وسورة الواقعة : ٨ – ٩، ٢٧، وسورة الحاقة : ١ – ٣، وسورة القارعة : ١ –٣، سورة الناس: ١-٣.

المجاز العقلي الذي يقوم على الاسناد العقلي[1]، ومن أمثلة هذا المظهر في فواصل التعبير القرآني ما يأتي :

١- قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الإسراء:٤٥].

٢- وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً﴾ [الفرقان:٢٢].

٣- وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [مريم:٦١].

٤- وقال تعالى : ﴿[illegible]﴾ [الحاقة:١٩ – ٢١][2].

٥- وقال تعالى: ﴿[illegible]

---

(١) المجاز : هو ((كل كلمة أُريد بها غير ما وقعت لهُ في وضع واضعها، لملاحظة بين الثاني والأول، فهي مجاز، وإن شئت قلت : كل كلمة جُزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعاً، لملاحظة بين ما تجوز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له في وضعِ واضعها))، أسرار البلاغة : ٣٥٢، وينظر : البلاغة القرآنية : ١٢٣.

(٢) ومثلهُ قوله تعالى في سورة القارعة : ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٦ – ٧].

﴿[illegible]﴾ [الطارق : ٥ – ٦].

٦– وقال تعالى : ﴿[illegible]﴾ [التين: ٣][1].

٧– وقال تعالى : ﴿[illegible]﴾ [الزخرف: ٤].

وظف التعبير القرآني (اسم الفاعل) بدل (اسم المفعول) أو عكسه تحقيقاً للمغايرة في سياق التعبير، يقول الفرّاء : ((أهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم، أن يجعلوا المفعول فاعلاً إذا كان في مذهب نعت، كقول العرب : هذا سرٌّ كاتمٌ، وهمٌّ ناصبٌ، وليلٌ نائمٌ، وعيشة راضية، وأعان على ذلك أنها توافق رؤوس الآيات التي هُنَّ معهن))[2]، وقد نتج عن هذا العدول الوظيفي للصيغ مبالغة في المعنى لتغير المواقع فبدلاً من أن يكون الحجابُ ساتراً، والوعد آتياً، والعيشة مرضية، والبلدُ آمناً، والماء مدفوناً – ملاءمةً لمقتضى الظاهر – أصبحَ العكس فأفرزت هذه الأوصاف قيمة دلالية تتناسب مع اللفظِ والمقام تحقيقاً للإيقاع الصوتي المنسجم، ((فالإسناد المجازي يعطي المسند إليه فاعلية محققة يُستغنى بها عن ذكر الفاعل الأصلي))[3].

وقد أسهم المجاز العقلي في فاصلة الآيات بتوسيع مساحة التجاوز المتداول للاسناد مما أدى إلى انتقاء عناصر بعيدة عن الحقيقة، تقريباً للدلالة بدخول خواص جديدة للفظِ الموضوعِ رعايةً للفاصلة، وقد ذهب أهل العلم في تخريج هذه التعابير المجازية على وجه الحقيقة، إلى أن الأصل في الوصف بها هو إرادة المبالغة دون الوصف المباشر؛ لأنه أوقع في الدلالة على الرغم من احتمالها الوجهين.

---

(١) ومثله قوله تعالى في سورة القصص : ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً﴾ [القصص: من الآية٥٧].

(٢) معاني القرآن (الفرّاء) : ٣/٢٥٥.

(٣) الإعجاز البياني للقرآن : ٢٢٥.

خامساً – ظاهرة الجمع بين المترادفات بالعطف أو ما هو قريب منه في المعنى :

أقربُ تعريفٍ للترادفِ من منظور الدراسات اللغوية الحديثة هو احتواء كلمتين أو أكثر، نفس المكونات والعناصر التصويرية المتماثلة، وقد أثارت هذه الظاهرة جدل العلماء قديماً وحديثاً بين منكرٍ ومؤيد(١).

وخلاصة الأمر يمكن القول إنه على الرغم من اشتراك وحدتين لغويتين في أصل المعنى؛ إلاّ أن الدلالة تختلف، وأن ليس هناك لكلمتين المعنى نفسه تماماً، فالسياق هو الحكم، والذي يهم البحث هنا التنبيه على أن مسألة الجمع بين المترادفات في الفاصلة القرآنية مسألة يراعى فيها المستويان الدلالي والصوتي، ليس أحدهما فضلٌ على الآخرِ.

قال تعالى : ﴿ 🕮□♒︎•🏳⬄ ✍•❷♦ 🕮□♌□ ✁✍✏⅄
🕮□☼❽♦✌♦ ✌🙵♊⌘ ✁✍♒︎○○☺⊠✍✏↗🙵 ✌♦✍✏↗☯
▫•♁□⌘⬃❷♦♉⇳✡□✍ 🖃🙵○🙵⌚ 🏳□☺⊠❷♦⌚☠▭
✍❼❸⬂☞♦🖬🙵🖩⌚✍ 🕮□♒︎⬂□♦⌚⌧⇦🙰□✍ 🗐 □♦✌🙵♊⌘
✁✍♒︎⬂☓✍🗲♦⌛🗲✌✍ ♊⇖⑨⊠⑩🖮 🖃🙵⓿⮙⌧
🕮□♒︎⬂□♦⌚⌧⇦🙰□✍ ✁🙵🖬♦☞⬂❸❼✍ ⌧❷⇳☺⇖○♦□
□♦⬊⊠❹⚘✁🖃🙵⑩🖬➲ 🙞⇦□⑩⋖ ﴾ [فاطر:٢٧](٢).

لتأكيد صفة الألوان يجمعها بمرادفها، وقد أطردّ هذا القياس في كلام العرب، فيقال : أحمر قانٍ، وأصفر فاقع، وأبيض ناصع، وهذه ((من الآيات التي صدئت فيها الأذهان الصقيلة، وعادت بها أسنة الألسنة مغلولة))(٣)، خلّف الترادف هنا أثراً دلالياً يبرز في حذف الموصوف (سود)؛ لدلالة صفته عليه (غرابيب)، ثم ذكر بعد ذلك تأكيداً للمحذف وتفسيراً له مبالغة في الدلالة عليه، فكأنما ذُكر مرتين مرة بالإخماد ومرة بالإظهار(٤).

---

(١) ينظر : علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي : ٩٣، وأثر القرآن الكريم في اللغة العربية : ٧١، والمعجم العربي وعلم الدلالة : ٢٨٦.

(٢) غرابيب : ((جمع غربيب، وهو : الشديد السواد يُقال أسود غربيب))، تفسير غريب القرآن (ابن قتيبة) : ٣٦١.

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٢ / ٤٤٤.

(٤) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٧ / ١٥٠–١٥١، روح المعاني : ٢٢ / ١٩٠.

تأمل ما جاء في سورة نوح من قوله تعالى : [illegible] [نوح:١٩ – ٢٠].

موطن اجتماع الدالين (سُبلا، فجاجاً) في الآية الكريمة، يؤكد حضور المثير الأسلوبي الممثل بظاهرة الترادفِ الذي ينتج عنهُ بيان دقة التعبير القرآني في الجمع بين الدوال مع إمكان الاستغناء بأحدهما عن الآخر، مما يؤكد انفراد الدلالة في كل لفظٍ[١].

ومما جاء في سورة مريم قوله تعالى : [illegible] [مريم:٥١].

وفي آية مشابهة في السورة نفسها قوله تعالى : [illegible] [مريم:٥٤].

حققت الآيتان مجاورة ترادفية بين الدالين (رسولاً) و(نبياً)، فضلاً عن ما فيها من ملمح أسلوبي يفرضهُ التقديم والتأخير للدالين، وإنما جاء ذلك ليس رعاية للفاصلة فحسب؛ بل لتأكيد الدلالة نتيجة الترابط الوثيق بين المفردات المترادفة بشكل يؤثر سلباً على المستويين الصوتي والمعنوي، إذا ما استغنى عن أحدهما، فالرسول في اللغة معناه ((الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أخذاً من قولهم : جاء الإبل رسلاً، أي متتابعة))[٢]، في حين أن كلمة النبوة تُفسر بـ ((سفارة بين الله وبين ذوي العقول من

(١) السبل هو جمع سبيل وهو الطريق الذي فيه سهولة، أما الفُجاج فهو جمعُ فجٍ وهو الطريق الواسع، ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٢٢٩ و٣٧٥.

(٢) لسان العرب : مادة (رَسَلَ).

عبادهِ لإزاحة علتهم في أمر معادهم ومعاشهم، والنبيُّ؛ لكونه مُنبِّئاً بما تسكن إليه العقول الذكية))[1].

يتضح مما سبق أن متابعة المادة اللغوية للألفاظ المترادفة أمرٌ لابُدّ منهُ، لإثبات خصوصية الدلالة في كل لفظٍ، مما يؤكد أن دلالة (نبي) أخصُّ من دلالة (رسول)، بدليل ما ذهب إليه الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) : ((النبأُ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظنّ، ولا يُقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب كالتواتر وخبر الله تعالى وخبر النبي ﷺ))[2].

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿⚐➔☠▪ ⬉♦⧗♦▪“ ❐♦□□❐■⍓❸♦﴾[3]

[المدثر:٢٢]. وقوله تعالى : ﴿❧⍓□❻⇕■⍉⓪○⍉ ❧⍓□◑⬩❷♦ ⬄⌘⍉⬃ ❐♦✍♦✍✎ 🕮❐⑩⇙❻♦🗁⌨⍓ ✍♦✍ ❧⍓□◑⬩❷⬉ ⬄⌘⍉⬃ ⬩⬩ ✍➔⌨⬃🖹⬁❼ ❐♦⬩⬩ ✍⬩⓪☒❻↓﴾ [المدثر:٢٦–٢٨].

تَمكنَّ المفسرون من استكناه الفروق الدقيقة بين التعابير المترادفة من غير تكلفٍ، وبيان مستوياتها الدلالية، وقد فسرّ الفخر الرازي (عبسَ وبَسَرَ) بقوله: ((عبسَ فهو عابس إذا قطب ما بين عينيه، فإن أبدى عن أسنانه في عبوسهِ قيل كلح، فإن أهتم لذلك وفكر فيه قيل بسر، فإن غضب مع ذلك قيل بسل))[4]، ومن خلال معرفة الفروق اللغوية يتأكد قول الزمخشري في تفسير هذه الآية بأنها ((وصف أشكالهِ التي تشكَّل بها حتى استنبط ما استنبط استهزاءً به))[5]، فقد وصفت هذه الأحوال المترادفة الحالة النفسية وما يرافقها من تغيرات متتابعة بدقةٍ تناسب فيها رعاية

(١) المفردات في غريب القرآن : ٤٨٣.

(٢) المكان نفسه.

(٣) نزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة وقولته المشهورة ((والله لقد سمعتُ من محمدٍ آنفاً كلاماً ما هو من كلام الأنس، ولا من كلام الجن، إن له لطلاوة، وإن عليه لحلاوة، وأن أعلاه لمثمر، وأن أسفله لمغدق، وأنه يعلو وما يعلى، فقالت قريش : صبأ والله الوليد))، الكشاف : ٤ / ٤٩٧، وينظر : البرهان في علوم القرآن : ٢ / ١٠٤.

(٤) التفسير الكبير : ٣٠ / ٢٠١.

(٥) الكشّاف : ٤ / ٤٩٨.

الفاصلة مع المحتوى الدلالي المقصود.

سادساً – ظاهرة المغايرة والتفرّد :

تجري الفاصلة في التعبير القرآني وفقاً لنظام نسقي بنيوي قد يأتي ثابتاً أو متحولاً، لا يلتزم عدداً محدداً من الآيات، يتطلع إلى التجديد والتنويع تبعاً للمحتوى الدلالي، وعلى أساس ذلك نلمح في هذا النظام أسلوباً متفرداً يتجه إلى المغايرة والخروج عن المألوف – ضمن السورة القرآنية – كما في قوله تعالى: ﴿♦✌︎〰︎⬧︎🔔︎♦
🕮︎□⬧︎♦☝︎⬧︎➔⬀︎⌨︎⬅︎⑨⬅︎□♍︎☙︎ ✍︎♊︎ ⑩⬅︎□♍︎🕛︎ ✁〰︎✏︎★ ✍︎♦〰︎
●● ③♦☪︎⌧⌧➔⬉︎⌛︎➔☠︎⬀︎ ⅄⌧⓿⬂︎★ॐ〰︎ □♦●●
③♦⮚︎⬅︎❸⑩🗀︎🖎︎⬈︎☠︎⬀︎﴾ [الأنبياء:٦٦].

جاءت الآية فاصلة منفردة مغايرة لفواصل السورة التي تسيرُ وفقاً لإيقاع صوتي متناسق ما بين (الواو والنون) و(الياء والنون) ثم نلمح نمطاً مغايراً لما اعتادت الأذن عليه، وأَلِفَتْ سماعَهُ، وكذا الحال في قوله تعالى : ﴿▫︎⬧︎🕯︎□✍︎⬂︎⌨︎♦⬆︎⌧&︎⬋︎☠︎⬀︎ ▫︎♋︎❷⬀︎⬉︎♦□⬀︎♌︎⬉︎
🗎︎🕗︎♑︎➔✡︎⬉︎□⑩♋︎■🙰︎🕗︎ ▫︎⬧︎⬄︎♦⌖︎♋︎❸♦&︎⬋︎☠︎ ✍︎♓︎♋︎♊︎⌘︎
✁〰︎◉︎⬂︎⬈︎♦☹︎□⌘︎✍︎♦〰︎ ⬊︎⌧⌖︎♋︎❸♦&︎⬋︎☠︎⬀︎﴾ [طه:٧٨].

وقوله تعالى في سورة الضحى : ﴿□♦🕮︎□✍︎□〰︎
🖃︎♐︎☝︎♋︎⬅︎☺︎⌧□♋︎ ❻♦🖃︎■♐︎⌨︎⌧ ▫︎⬧︎⮊︎⌧⑨♎︎♋︎♈︎⇳﴾
[الضحى:١١].

شكلت تلك الآيات مساحة دلالية صوتية فاصلة بين آيات السورة مجتمعةً، فالتعبيرِ القرآني جاء على طريقة العربِ وأسلوبهم في القول، دون تفاوت، أو إخلال بالمعنى، ودون خضوع لإرغامات الشكل وقيوده(١)، وهنا يتأكد للبحث أن مغايرة النظام جاءت مقصودة لتفعيل إمكانيات الدوال التعبيرية، وما تحمله من قدرة تنغيمية من خلال مجموع العلاقات التركيبية، بإجراء التعبير القرآني تحولاً صوتياً في الألفاظ (ما غَشِيَهُمُ، فَحَدّثْ) فكَسر بذلك التحول، التوافق الذي يحدثه النغم، متوخياً الناتج

(١) ينظر : البديع وفنونه : ١١٤.

الدلالي الذي يُضاف إلى الوظيفة الصوتية التي هيأت استقرار الفاصلة في موضعها، فلو وقفنا على الآية الحادية عشرة من سورة الضحى، نجد أنها وقفت على فاصلةٍ مغايرة منفردة وهي (حدِّث)، ((وهذا دليل قاطع على أنه لا يراد بالفاصلة القرآنية مراعاة الحروف، وإنما يراد المعنى المقصود بالدرجة الأولى))(١)، وقد تناولت الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) هذهِ المخالفة من منظورٍ يناقض رؤية بعض العلماء على أنها حُملت لقصد المشاكلة اللفظية بين رؤوس الآي، موضحةً أن هذه الفاصلة إنما جاءت ناتجاً دلالياً لمجمل السياق القرآني المناسب لإيراد نعم الله تعالى على رسولهِ الكريم ﷺ(٢)، مع امكان إطلاق لفظ (فخبّر) بديلاً عنها مما اقتضى تحولاً يثبت فيه التأكيد والتنبيه على مسألة في غاية الأهمية، مقابل تلك النعم، وهي التحديث بها، من باب شكرها، فوقف عندها مغايراً نمطها مع عدم تماثلهِ مع غيرهِ فليس في السورة كلها (ثاء) فاصلة، أو حرف ثاء. وهنا يتأكد أن عنصر التفرد والمغاير شكل عاملاً أساسياً لغوياً في بنية الفاصلة القرآنية ينسجم مع الناتج الدلالي المطروح لا يمكن الاستغناء عنه أو تجاوزه إلى غيره.

مما سبق أكدت متابعة العلاقات الرابطة للمفردات المسجوعة في التعبير القرآني، وجود ظواهر أسلوبية فصّل البحث القول في قسم منها، واستغنى عن قسم آخر كـ(التكرار، ومطابقة التشكيل الإعرابي، وتماثل التراكيب الوصفية، والعدول عن تسهيل الهمزة وتحقيقها وغيرها)(٣).

المبحث السادس : مواضع التأنق والبراعة في التعبير القرآني :

مدخل :

---

(١) البلاغة القرآنية : ١٢٨.

(٢) ينظر : الإعجاز البياني للقرآن : ٢٥٠.

(٣) وهي نيف وأربعين ظاهرة أسلوبية أحصاها الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفي (ت ٧٧٦هـ) في كتابه (إحكام الرَّاي في أحكامِ الآي)، حيث قال : ((لا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة؛ فإنَّ القرآن العظيم – كما جاء في الأثر – بحرٌ لا تنقضي عجائبهُ))، التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن : ٢٨٥.

تجلي الدراسات البلاغية القرآنية خلال قرون طويلة مضت وإلى يومنا هذا، الأسرار البديعة في نظم القرآن الكريم، إبتداءً من الحرف واللفظ والتركيب إلى المعنى المقصود، فهو المعجزة البيانية التي أكتمل فيها جمال النبرة اللفظية، واندمجت بالمضمون الفكري الهادف، وبالمبدئية الراقية والأغراض المعنوية الجامعة، فأفحمت العرب وجعلتهم يستلهمون من أفكاره وأساليبه ما يُغني معينهم الفكري، لأنه

🕀🡐○🡐✌🕔⧫③✂⧫➚ ⇳💣⍓☺⮰▤⇳○🡑🕮 ➘▣🕔⧫✌🙰📪🏵
✌⚐⑩⮰▤⍓○ ⬃♌➔✍⍋✎ ♊🙰👌 ⇳💣■▣⮰♉🕚➔▫ ▪☠➔⚐
⌘⍓⌨✐❷❸✌🏵 **[هود:١]**، وباتفاق العلماء فإن هذا النظم المُعجِز إنما هو وحدات مترابطة متناسقة كالجسد الواحد يدّل أوله على آخره ويُكمل مبتدأه منتهاه، يتنقل بين الأغراض المختلفة في السورة الواحدة لا اعتباطاً وبلا هدف؛ ولكن لصلات وثيقة تربط هذه الأغراض مع دواعيها لتتضافر جميعاً في الوصول إلى الغاية القصوى، مُطلقين على هذا التناسق مصطلح (الوحدة العضوية أو الموضوعية)، منشغلين ببيان منهجها داخل الآية القرآنية أو الآيات المتجاورة في السورة مع ما يسبقها وما يلحقها، لتشكل باجتماعها سياقاً مؤتلفاً يُعبر عن الدلالة المتوخاة حتى ((إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حُشيت حشواً، وأوزاعاً من المباني جُمعت عفواً، فإذا هي لو تدبرت بُنية متماسكة بُنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأُقيم على كلِّ أصلٍ منها شعبة وفصول، وامتد من كلّ شعبة منها فروع تقصر أو تطول))(١).

من خلال ما تقدم وجه العلماء عنايتهم إلى الصياغة القرآنية وفقاً لمعالجات إجرائية تقسم الكلام إلى أساليب ثلاثة :

الأسلوب الأول : حُسْنُ الابتداءِ وبراعة الاستهلال.

تعرض النقاد والبلاغيون لهذا النوع من البديع بشيءٍ من الاهتمام، فاختلفت التسميات بين(حُسن الافتتاح) و (براعة المطلع) و (حُسن الابتداء) و (براعة الاستهلال)، إلاّ أنها جميعاً تؤكد على التزام التأنق في مواضع البدء وجعلها عذبة

---

(١) النبأ العظيم : ١٩٥.

اللفظ، حسنة السبك، جزلة المعنى، فهي أول ما يطرق الأسماع وفيها مكمن التأثير، ترتكز في بنائها الدقيق على إمكانية المبدع في الصياغة الاسلوبية بعيداً عن التكلف والتعقيد والتشاؤم والاقتضاب[١]، وهذا هو واقع طريقة العرب في كلامهم؛ فالبلاغة عندهم الايجاز وبلوغ المعنى مؤكدين على أن يكون أول كلامك يدل على آخره، وآخره يرتبط بأوله[٢] ويشهد بذلك تراثهم الزاخر، يقول الجاحظ : ((ليكن في صدر كلامك دليلاً على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته))[٣] وقد عقد ابن المعتز باباً في كتابه سماه (حُسن الابتداءات)، في الوقت الذي جعل فيه الحموي هذا الفن مشروطاً باعتبارات لا يجوز الإخلال بها رغم موافقته ابن المعتز في إطلاق التسمية، مؤكداً أن هذه التسمية تنبيهٌ على تحسين المطالع، وإن أخلّ الناظم بهذه الشروط لم يأت بشيء من حُسن الابتداء[٤]، أما القزويني فقد جاء إطلاقه لمصطلح (حُسن الابتداءات وبراعة الاستهلال) مناسباً للمقصود، مع ملاحظة أن الاختلاف في اصطلاح هذا اللون من البديع تأكيد على أهميته؛ لدلالته على مطالع الكلام وما تتضمنه من غرض يقصده المتكلم ليكون مبتدأ كلامه دالاً على منتهاه، منتجاً لوناً من التماسك العضوي والموضوعي في بنية النص ومضمونه؛ فهو أول تنبيه يلفت المتلقي بتأنق لفظه وحسن نظمه، وصحة معناه، ومطابقته لمقتضى الحال الملائم لجو السورة المشحون ومقامها داعياً إلى أن يُقبل المخاطب إلى جميع كلامه فيصغي إليه ويتأمله ويعيه.

وفي ظل هذا التحديد للمصطلح راح البلاغيون والمفسرون ينظرون في مواطنه القرآنية محاولين إبراز القيمة الفنية، وأثرها الاسلوبي في كل موطن، والمواقف التي وقفوا عندها كثيرة جداً، والمعاني التي استخرجوها منه تكاد تساوي عدد مواضعه، وفي كل موضع خرجوا بدلالة جديدة تناسب السياق الوارده فيه، ومكمن الابداع هو مناسبة أغلب فواتح السور لمضمونها وخاتمتها، وقد أجمع

---

(١) ينظر : الإيضاح : ٣٢٥، وبغية الإيضاح : ١٣٦/٤، وأثر البديع في النص الشعري (رسالة ماجستير) : ٣٢٢.

(٢) ينظر : معترك الأقران : ٥٨/١.

(٣) البيان والتبيين : ١١٦/١.

(٤) ينظر : البديع : ٧٥، وخزانة الأدب (الحموي) : ١٠/١.

البلاغيون والنقاد على أن فواتح سور القرآن الكريم بلغت أعلى درجات البلاغة، وجاءت فاتحة كل سورة في غاية التلاؤم والتناسب مع ما تضمنته السورة من أحكام وعظات وقصص وأمثال، وبذلك تشكل فواتح السور القرآنية ومطالع الآيات ركناً من أركان البديع؛ لأنها عمدة التعبير وقاعدة التوجيه، والأعلان الأول الموجز الدال على ما يهدف إليه المقصد العام ويتضمنه من الماح دقيق يجذب الانتباه مع قصد في اللفظ ووفاء بحق المعنى.

وصف بعض البلاغيين عدم تضمن البدء الماح إلى المقصود الأول بالابداع الذي يشدّ الانتباه وصولاً إلى الدلالة المنشودة، وخصوه بمصطلح (براعة الاستهلال) كأن يأتي المتكلم في إبتداء كلامه باشارة غير مصرح بالطلب الدال على مقصده كقوله تعالى : ❴□◆✡♦✍⑩◻⑧▤ ✡←□◻⚘ ❻▪✍✱❍←🕕

▫♦◑♦✍♉♦ ❻◆✞♉✍ ◑✎♌□ ✂✍✍▰⬀♉✎♉ ✌♉♊⇕
🕮□♎✍✎✐❼ □◆◑♌♌□ □◆◤⇕⑨◻🖰☒ ✂✍ⓥ♦◻⬛❻
□◆🕮□✡☼✵ 🕮□❍⇕▤♦☠◤ ✂✍▭◈♦◻🕐▤⬀☺♉✓✗◆❵ [هود

: ٤٥] فقد أدت إشارة نبي الله نوح عليه السلام غرضها الدلالي المقصود غير المصرح به لطلب النجاة لأبنه، وهذا الأسلوب في غاية الأدب ((إنهُ يسأل ولكن سؤالاً مطوياً ضمن ما يقرره من وصف العدالة والحكمة الباهرة لله جلّ جلاله))[1] بعد أن تذكر ابنه وتمنى لو كان فيمن سلمهم الله من طامة الغرق ((فلماذا لم يكن من الناجين وقد وعدتني – ووعدك الحق- بأن يكون أهلي من المرحومين من ذلك البلاء))[2]، ويكشف هذا الأسلوب عن العلاقات المتوافقة للمفردات السلسة الواضحة مع الدلالة القرآنية للوصول إلى التعبير المتكامل المتضمن أبلغ الفاظ الدعاء رحمة في قولهِ (ربِّ) عدولاً عن قول (الله)؛ وانتهى بأحسن خاتمة لدعائه في قوله تعالى:

❴□◆✐✶ ⬊☒⓿⬂▣⮌ ✂✍♌○○☺◻🕐□◆🕓☠♉

□◆✂✍❀☞❻⬀∀⬖ □◆◑♌♌♌⓿⬂○♉ ③◤❷⬀♉◻⬈←
✂✍❀☞✌⬂❷◤ ✍➚✂♋🕮◤🕕 ▫♦✍✍◤⇕⧗←⇕⑨⇕■←
□◆✍♦▤·✍⬀ ◤♦▣■⓿⬂○♉ 🗐 □◆✌♦✍ ❻◆✍⌨⑩◻

---

(١) من روائع القرآن : ٢٧٥.

(٢) المكان نفسه.

﴿ ☜📨✂✂ ✍☜●☺♦⬉ ✍⬧➔☺◻◙➔⬧ᘘ◻♦⬄ ﴾ [هود : ١٢٣].

وبهذا المعنى يؤكد الدرس الأسلوبي على التوافق بين ابتداء السور المفتتحة والسياق القرآني العام للسورة مما يحقق وحدة موضوعية هي مكمن الإبداع في التناسب الابتدائي والختامي. تأمل ما جاء في سياق سورة النساء من بيان للأحكام المشروعة في حق النساء من الطلاق والميراث والمعاملة الزوجية، صُدِّرت بابدع ابتداء في قوله تعالى: ﴿ ③♦⏲✸ℹ◻⑨⬧◻✍ ⬅✍☜☼◻☾◻✍◻↓ ⬅✍✍✸◑➔◻⬅✂☎ ⑥♦📨✸▤⬈☠⬉ ﴾[النساء:١] لما في هذا الأمر الالهي من دلالة وتنبيه على ضرورة الالتزام والتقيد بتلك الأحكام انسجاماً مع الضوابط. فقد افتتحت السورة بالخطاب الندائي المسبوق بـ(ياء النداء) الذي شكل محوراً بارزاً له أثره في البنية التكاملية للسورة؛ ذلك لأن الوظيفة الدلالية المنوطة بالنداء الذي ينتمي إلى النمط الإنشائي الطلبي، هو : التنبيه وطلب الإقبال[1].

عَبَّرَ النمط الإنشائي الطلبي المفتتح به عن دلالة ايحائية تحرص على التنبيه، وطلب الاقبال والتهيؤ لتلقي الخطاب المستقبل، ولفت النظر الى عظم الأمر وذلك أن النداء بـ((يا أيها الناس، إما أمر يجب امتثاله، وإما نهي يجب اجتنابه، وإما كلام يتضمن فحوى أمر أو نهي))[2] وبذلك تتفاعل الوظيفة الدلالية لأسلوب النداء الممثل بالتنبيه وطلب الإقبال مع المستوى الصوتي لـ(هاء) التنبيه، وقد أبدى ذلك توافقاً مع السياق الإرشادي التوجيهي، فمن غير اللائق الابتداء بما أُفتتحت به سورة الحج في قوله تعالى : ﴿ ③♦⏲✸ℹ◻③⑩♑⌧✍ ⬅✍☜☼◻☾◻✍◻↓ ⬅✍✍✸◑➔◻⬅✂☎ ⑥♦📨✸⌛☠⬀ ▤ ◑ᘘ♍· ♾⌧⑧♦✏♦ℹ◆· ⬅✍☜◯◯✍⬉♦◻ᘘ ★☒⊘⬄⬈⬋ ⬉♦➔ᘘ⑩⚐⊘ ﴾[الحج : ١]؛ لأن هذا التعبيرمُغاير لما جاء في سياق سورة النساء على الرغم من إتحاد الابتداء، فجاءت الصياغة القرآنية مناسبة لمظاهر ذكر البعث والاحتجاج عليه، والنهي على منكريه بما يلائم مما افتتحت به سورة الحج في

---

(١) ينظر : الجملة العربية، تأليفها وأقسامها : ١٤٢.

(٢) تجليات الدلالة الايحائية : ٢٦٣.

قوله : ﴿ ·♍☜◑ ◆♓◆✎◆❽⚐◙⍓♉ ✂🙰◙○○🙰↖◆□& ﴾، في حين أبرزت العلاقات الدلالية المنطقية ★☒⌀⬄↗⬋ ↖◆→&⑩⚐⌀﴾، في مفتتح سورة النساء الطاقة الإيحائية التعبيرية الكامنة في الالفاظ لتدعيم البنية الدالة على مجموعة الأحكام والضوابط الشرعية المتعلقة بالنساء بما يلائم الابتداء البديع، فضلاً عما يتميز به أسلوب (يا أيُّها) في السورتين من عناصر لغويه ذات تأثير في اللفت وشدّ الأنتباه فـ(أي) للإبهام، و(ها) للتنبيه، وهي أكثر أساليب الاستفهام وروداً في النظم القرآني.

ولو تأملنا سورة التوبة التي تصدرت بذكر البراءة لما فيها من إذنٍ إلهي لرسوله الكريم ﷺ بالفتح وشهرِالسيف والقتال، قطعاً للعهود ومخالفةً للمواثيق التي قام بها بعض العرب بعد أن وثُقت فنُكثت، قال تعالى : ﴿ ⮘◆❷◆✂✎↗◆□⮜

❼■🖫☜◑ ▦◷&🕮☜✎❏←♋◆❻◆□ ★✎🙰✂ ⌘♊&♓✍
⌘♊&♓✍ ☠♠✍⑨⍓♑◷◆↖ ◆✖⇦&🔔⮝✎🙰✂

✂🙰◙⚐☺←⌑⇳❸☜✍&✓✖◆﴾[التوبة:١] يظهر الافتتاح النسقي المتناسب مع المضمون منذ صدور أول لفظٍ في السورة للبحث عن مدلولاته وتحقيق العلاقة الترابطية بين الألفاظ ومعانيها؛ لأن أول ما يقرع السمع قوله تعالى (براءةٌ) فإنها ((داعيةُ الانشراح، ومَطِيَّةُ النجاح))[1] في تحقيق الملائمة والحُسن المقصود في التعبير القرآني، والحديث عن حُسن الابتداء في فواتح السور يقودنا إلى الكشف عن إحدى أهم المتابعات الدقيقة التي رصدها البحث في هذا الجانب، وهي حديث السيوطي عن أهمية الابتداء الحسن قائلاً : ((وقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها))[2] ذاكراً أن ابن أبي الاصبع المصري أفرد فواتح السور القرآنية في كتاب سماه (الخواطر السوانح في أسرار الفواتح)، واتبع السيوطي منهجاً في تلخيصه مع زيادة من غيره، حصر فيه هذه الفواتح والمطالع في عشرة أصول اتبعها في تحليل تطبيقاته القرآنية، التي وجد البحث في عرضها ضرورة للوقوف على أهم المظاهر الأسلوبية التي ينطوي عليها هذا اللون البديعي، وهي :

١- المطالع والافتتاحيات الحرفية.

---

(١) العمدة : ٢١٧/١.

(٢) الإتقان في علوم القرآن : ١٠٦/٢.

٢- المطالع والافتتاحيات الشرطية.
٣- المطالع والافتتاحيات الندائية.
٤- المطالع والافتتاحيات القسمية.
٥- المطالع والافتتاحيات الأمرية.
٦- المطالع والافتتاحيات الدعائية.
٧- المطالع والافتتاحيات الخبرية.
٨- المطالع والافتتاحيات الثنائية والتحميدية.
٩- المطالع والافتتاحيات الاستفهامية.
١٠- المطالع والافتتاحيات التعليلية.

وسيكتفي البحث بذكر مظهرين من مظاهر حسن الابتداء وبراعة الاستهلال وهما:

أولاً : المطالع والافتتاحيات الحرفية :

أثار هذا النوع من المطالع القرآنية جدلاً كبيراً في أوساطِ العلماء والمفسرين، وتناولها بالدرس الكثيرون قدماء ومحدثين، عرباً ومستشرقين، تعارضت آرائهم ومذاهبهم حول دلالة الحروف المفتتح بها والغرض منها، وأسفر هذا الجدل عن بروز إتجاهين نوجزهما بالآتي :

الاتجاه الأول : يرى عدم الخوض في الحروف التي في آوائل السور القرآنية؛ لأن فيها سِرّاً انفرد الله تعالى بعلمهِ، فهي سرُّ الله في القرآن، ولله في كلِّ كتاب من كتبه سرٌ، وسِرُّ هذا القرآن فواتح سوره؛ لذا أفضى أصحاب هذا الاتجاه بعدِّها من المتشابه الذي لا يعلم كنهه إلاّ الله تعالى، ومن المكتوم الذي لا يُفسر(١).

الاتجاه الثاني : يرى ضرورة توجيه هذه الظاهرة وتخريج دلالاتها، وتلمس الفوائد التي تحتها، فاختلفت الاراء في ذلك وتشعبت الى ما يزيد على عشرين وجهاً يمكن تلخيصها وتنسيق حصيلتها والرّد عليها بالآتي :

---

(١) ذهب الى هذا الاتجاه عامر الشعبيّ، وسفيان الثوري، وجماعة من المحدّثين، لروايته عن أبي بكر الصديق ﷺ، وعلي بن أبي طالب ﷺ، ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٣٧/١، والإتقان في علوم القرآن : ٨/٢.

١- الرأي القائل بأن كل حرف من هذه الحروف المقطعة، اسمٌ من أسماء الله تعالى، وقد ذهب بعض العلماء الى أنها برمتها وعلى أختلاف صيغها اسم الله الأعظم، إلاّ أنّا لا نعرف تأليفهُ منها(١).

٢- الرأي القائل بأنها أقسام أقسم الله بها لشرفها وفضلها(٢).

٣- الرأي القائل بأنها أسماء للسور التي صُدرت بها(٣).

٤- الرأي القائل بأن مجيئها إشارة صريحة إلى غلبة ورودها في كلمات هذه السورة(٤).

٥- الرأي القائل بأنها رموز وعلامات دالة على كلمات هي بعض حروفها فمثلاً قوله تعالى : ﴿ **آلم** ﴾ بعض حروف كلمة : أنا الله أعلم، وقوله : ﴿ **آلر** ﴾ بعض حروف كلمة : أنا الله أرى، وقوله: ﴿ **المص** ﴾ بعض حروف كلمة : أنا الله افصّل وهكذا(٥).

٦- الرأي القائل رموز يراد بها قيمتها العددية، ليستنبط منها مدة بقاء الأمة الاسلامية على طريقة (أبجد)(٦).

٧- آراء غربية تذهب خبط عشواء لتزعم أن هذه الحروف معكوس الأحرف البارزة في إحدى الآيات الكريمة(١).

---

(١) ذهب الى هذا الرأي عبد الله بن عباس، وعلي بن ابي طالب عليه السلام، ينظر : جامع البيان : ١/ ١٠٠-١٠١، والمحرر الوجيز : ٨٢/١، والجامع لأحكام القرآن : ٢٣٨/١.

(٢) وبهذا الرأي قال الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنه، ينظر : جامع البيان : ٩٩/١-١٠١.

(٣) وإليه ذهب زيد بن أسلم، ينظر : جامع البيان : ١٠٠/١، والمحرر الوجيز : ٨٢/١، والجامع لأحكام القرآن : ٢٤١/١.

(٤) حاول الزركشي أن يثبت وجه أختصاص كلّ سورة بما بدئت به بحيث لا تصلح (آلم) بدءاً لسورة مفتتحة ب (آلر) وذكره في تفصيل، ينظر : البرهان في علوم القرآن : ١٧٤/١.

(٥) روي هذا الرأي عن ابن عباس، واختاره الزّجاج قائلاً : ((أذهب الى أن كل حرف منها يؤدي معنىً؛ وقد تكلمت العرب بالحروف المقطّعة، نظماً لها ووضعاً، بدل الكلمات التي الحروف منها)) واستشهد بقول الوليد بن عقبة بن أبي معيط : فقلت لها : قفي، فقالت : قاف، فعبَرَ عن قولها وقفتْ بـ (ق) ، معاني القرآن (الزجّاج) : ٦٢/١؛ ينظر : الخصائص : ٣١/١ و ٨١ و ٢٤٧ و ٣٦٣/٢؛ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٣٩/١؛ معترك الأقران : ٥٥/١.

(٦) يرى هذا الرأي السهيلي حيث يقول : ((لعل عدد الحروف التي في أوائل السور- مع حذف المكرر- للإشارة الى مدة بقاء هذه الأمة))، الإتقان في علوم القرآن : ٢/ ١٠.

٨- رأي عللَ ورودها لحكمةٍ دقيقة تنطوي عليها؛ لاشتمالها على أنصاف أجناس الحروف[٢].

٩- فريق يرى أنها أدوات للتنبيه يعمد إليها القرآن الكريم لتنبيه الرسول ﷺ إلى نزول الوحي، أو لتنبيه المشركين وأهل الكتاب في مكة والمدينة لأنهم كانوا ينفرون عند استماع القرآن، فلما سمعوا : (آلم) و (المص)، استنكروا هذا اللفظ، فلما انصتوا له ﷺ أقبل عليهم بالقرآن المؤتلف ليثبته في أسماعهم، ويقيم الحجة عليهم[٣].

١٠- الرأي الاخير يذهب الى أن هذه الحروف إشارة إلى أسماء حروف التهجيء، جيء بها لإعلام العرب بأن القرآن منتظم من جنس ما ينظمون، وتحدياً لهم بأنه مؤتلف من حروف بُني عليها بيانهم وكلامهم، وأن أول ما يهتم به العرب في بيانهم حسن الابتداء؛ لأنه أدعى لقبول السامع، وحسن استيعابه للمعنى المراد، ومن هذا المنطلق جاءت براعة الافتتاح والاستهلال القرآني لتعجز

---

(١) يروى أن النصارى قد أتخذوا الحروف رموزاً دينية معروفة فيما بينهم أيام نزول القرآن، وكانوا يرمزون بلفظ (إكسيس) عن يسوع ابن الله المخلص، فالألف من هذا الرمز هي الحرف الأول من (إبسوس) يسوع، والكاف هي الحرف الأول من (كرستوس) المسيح، والسين مبدلة من حرف الثاء في (بثو) الله، والياء تدل على (إيوث) إبن، والسين الثانية منها تشير الى (تويتر) المخلّص، ومجموع هذه الكلمات عندهم هو يسوع المسيح ابن الله المخلّص، وقد نقل الدكتور زكي مبارك رأياً في هذه الحروف وعزاه الى مستشرق فرنسي يدعى (بلانشو) حين اعتبرها وحدات صوتية تكوّن لحناً موسيقياً يراد به تحريك الشعور وأيقاظ الوحدات، كما يكون ذلك في التراتيل الدينية لتهيئة النفوس لتلقي النصائح والارشادات، ينظر : تفسير الجواهر : تفسير سورة آل عمران، وبحث جديد في القرآن (محمد صبيح) : ٢، والنثر الفني : ٧٥، نقلاً عن خصائص التعبير القرآني : ١/١٩٨-٢٠٠.

(٢) أطال الزمخشري النظر في هذه الحروف وتنبه الى أن مجموعها بغير المكرر منها أربعة عشرحرفاً هي نصف حروف المعجم، فيها خمسة حروف مهموسة، وفيها نصف الحروف المهموزة، ونصف الحروف الشديدة، ونصف الحروف المستعلية، ونصف الحروف المنخفضة، ونصف الحروف الرخوة، ونصف الحروف المطبقة، ونصف الحروف غير المطبقة، ينظر : الكشاف : ١/ ٣١؛ وأشارت الدكتورة بنت الشاطئ الى هذا الرأي بقولها : ((وقد تنبه السلف))، الإعجاز البياني للقران : ١٢٨.

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١/ ٢٣٨- ٢٣٩، وإلى هذا الرأي ذهب بعض الباحثين المحدثين منهم الدكتور صبحي الصالح الذي عدّها أصواتاً حلوة الوقع تنبه السامع وتقرع سمعه ووصفها بأنها همس السماء في أذن الأرض، ينظر : مباحث في علوم القرآن (صبحي الصالح) : ١٩٠.

العرب في أساليبهم وتثير الاستعداد النفسي والتشويق لتقبل ما سيُتلى عليهم، وبذلك يُظهر عجزهم عن محاكاتهِ والأتيان بمثلهِ[١].

ومن هنا نرى أن هناك محاولات ضخمة في بطون مدونات التفسير، لمعرفة دلالة الفواتح؛ الاّ أن الاختلاف الكبير في الأراء وتضارب وجهات النظر بينهم يجعل من الصعب الترجيح بين ما توصلوا إليه على سبيل القطع؛ لأن كلّ منهم استأثر برأيه في ذلك الخصوص

وهذا ما يرجحهُ البحث ويوافقه لأسباب منها :

أ- أن الأراء السابقة معرّضة للنقد والتفنيد، وبذلك تكون مردودة لاعتبارات علمية ومنطقية تتكشف للبحث بالتحليل والمتابعة، فلو سلمنا مثلاً بأن هذه الحروف أسماء لله تعالى أو أنها اسم الله الأعظم، حينئذٍ تكشف السنة النبوية في حديث المصطفى ﷺ قوله : ((إن لله تسعةً وتسعين اسماً))[٢]، عدم وجود مثل هذه الأسماء في الإحصاء العددي الذي جاءت به السنة المطهرّة، فأين من هذا العدد تلك الحروف التي اعتبرت أسماءً لله تعالى؟!

المسألة الثانية التي تستوقفنا هي ورود قوله تعالى : ﴿ آلم ﴾ فاتحة لست سور هي : البقرة، وآل عمران، والعنكبوت، ولقمان، والسجدة، فلو سَلمنا بالرأي القائل أنها أسماء للسور المفتتحة بها لأدى بنا الأمر الى التداخل والخلط في التسميات فأيها نطلق عليه (آلم) البقرة أو السجدة أو شيء آخر؟!

ويؤيد البحث رأي العلماء القائلين بعدم صحة اعتبارها أقساماً لله تعالى أقسم بها لشرفها وفضلها؛ لأنها لو كانت كذلك فما الحكمة من القسم الإلهي، وكان الناس في زمن نزول القرآن على صنفين : مصدّق، ومكذّب، فالمصدق يصدق بغير قَسَم، والمكذّب لا يصدّق مع القسم، هذا من جانب، ومن جانب آخر، ((إنَّ القسَمَ معقودٌ

---

(١) الى هذا الرأي ذهب قطرب والفرّاء، وهو أصح الأراء وأرجحها على الإطلاق عند أغلب العلماء والمفسرين، ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١/ ٢٣٨، الدر المصون : ١/ ٨٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط، حديث رقم (٢٧٣٦)، ص٤٤٨.

على حروف، مثل : إنَّ، وقد، ولقد، وما))[1]، ولم تتضمن الحروف المقطعة المفتتح بها واحداً من هذه الحروف، فلا يجوز اعتبارها يميناً.

ومن غير اللائق بجلال القرآن ووجوه الإعجاز البياني في نظمهِ وأسلوبه أن نصف تلك الحروف بأنها رموز دالة على قيمة عددية أو حروف معكوسة للأحرف البارزة في إحدى الآيات الكريمة كما جاء في أقوال كثير من الباحثين المستشرقين التي يبدو في ((ظاهرها أنها دفاع عن مبدأ الرمز بالحرف الوارد في القرآن الكريم وليس محاولة لفهم مثل هذه الظاهرة الفريدة))[2]، فضلاً عن توارد النهي عن الأخذ بهذه الآراء عند كبار المفسرين[3].

ب- من الملاحظ أن هذه الحروف المقطعّة تردُّ في مُفتتح تسع وعشرين سورة، منها ما بُدِئ بحرف واحد، ومنها ما بُدِئ بحرفين، ومنها ما بُدئ بثلاثة أحرف، ومنها ما بُدئَ بأربعة أحرف، ومنها ما بُدِئ بخمسة أحرف، حصرناها بالجدول الآتي، إذ إن أغلبها سوراً مكية تعكس واقع الدعوة، وتبرز مظاهر التحدي والإعجاز الذي جاء به القرآن الكريم.

جدول إحصائي للسورالمفتتحة بالحروف المقطعة

ت	اسم السورة	نمط السورة	الحروف المفتتح بها	عدد الحروف	نوع الحروف
١-	سورة ص	مكية	❁✓☞ 🗐 ❒◆✂☞☜☎⇘☏→❷⬀⬈◆✂♌☞ ❶♉❽ ✂☞✎🔔♏♉📪⇘❷▩❁	١	ص
٢-	سورة ق	مكية	❁✠ 🗐 ❒◆✂☞☜☎⇘☏→❷⬀⬈◆✂♌☞ ✂☞☜☎⇘☺⌂♐☞⓿⑨♉❁	١	ق
٣-	سورة القلم	مكية	❁♍ 🗐 ❒◆✂☞☜☎⇘☏⬧🖫■🏳☞ ❒◆👌⧫☞	١	ن

(١) الجامع لأحكام القرآن : ١/ ٢٤١.

(٢) خصائص التعبير القرآني : ٢٠٠/١.

(٣) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٢/ ١١.

			[illegible]		
٤-	سورة طه	مكية	[illegible]	٢	طاء- هاء
٥-	سورة النمل	مكية	[illegible]	٢	طاء- سين
٦-	سورة يس	مكية	[illegible]	٢	ياء- سين
٧-	سورة غافر	مكية	[illegible]	٢	حاء- ميم
٨-	سورة فصّلت	مكية	[illegible]	٢	حاء- ميم
٩-	سورة الزخرف	مكية	[illegible]	٢	حاء- ميم
١٠-	سورة الدخان	مكية	[illegible]	٢	حاء- ميم
١١-	سورة الجاثية	مكية	[illegible]	٢	حاء- ميم

ت	اسم السورة	نمط السورة	الحروف المفتتح بها	عدد الحروف	نوع الحروف
١٢-	سورة الأحقاف	مكية	[illegible]	٢	حاء- ميم
١٣-	سورة البقرة	مدنية	[illegible]	٣	الف- لام- ميم
١٤-	سورة آل عمران	مدنية	[illegible]	٣	الف- لام- ميم
١٥-	سورة العنكبوت	مكية	[illegible]	٣	الف- لام- ميم
١٦-	سورة الروم	مكية	[illegible]	٣	الف- لام- ميم
١٧-	سورة لقمان	مكية	[illegible]	٣	الف- لام- ميم
١٨-	سورة السجدة	مكية	[illegible]	٣	الف- لام- ميم

ت	اسم السورة	نمط السورة	الحروف المفتتح بها	عدد الحروف	نوع الحروف
			[illegible]		
١٩-	سورة يونس	مكية	[illegible]	٣	الف- لام- راء
٢٠-	سورة هود	مكية	[illegible]	٣	الف- لام- راء
٢١-	سورة يوسف	مكية	[illegible]	٣	الف- لام- راء
٢٢-	سورة إبراهيم	مكية	[illegible]	٣	الف- لام- راء
٢٣-	سورة الحجر	مكية	[illegible]	٣	الف- لام- راء
٢٤-	سورة الشعراء	مكية	[illegible]	٣	طاء- سين-ميم
٢٥-	سورة القصص	مكية	[illegible]	٣	طاء-سين-ميم

			[illegible]		
٢٦-	سورة الأعراف	مكية	[illegible]	٤	الف-لام-ميم-صاد
٢٧-	سورة الرعد	مكية	[illegible]	٤	الف-لام-ميم-راء
٢٨-	سورة مريم	مكية	[illegible]	٥	كاف-هاء-ياء-عين-صاد
٢٩-	سورة الشورى	مكية	[illegible]	٥	حاء-ميم-عين-سين-قاف

ج- لو جاء القرآن الكريم بغير لغة العرب لما حصل التحدي، ولكان حجةً لهم على عجزهم عن الاتيان بمثلهِ؛ لذا كان الإعجاز بأن يجري في أسلوبهِ وطريقة خطابه على أساليب العرب؛ الاّ أنه أرفع شأناً وأعلى منزلةً.

د- أن معظم السورالمفتتحة بالحروف المقطعّة تتحدث بما لا يقبل الشك عن سمو القرآن ووصفه، وإبراز مكانته كقوله تعالى : [illegible] **[البقرة:٢]**[١]، وقوله تعالى : [illegible] **[هود:١]**، وقوله تعالى : [illegible] **[يونس:١]**، وقوله تعالى : [illegible] **[الحجر:١]**، وقوله تعالى : [illegible] **[إبراهيم :١]**. والى هذا الأمر تنبه العلماء قديماً ونصوا عليه في مؤلفاتهم[٢]. إلاّ أن هذه الظاهرة تتحرف عن مسارها في ثلاث سور من القرآن الكريم وهي : مريم، والعنكبوت، والروم، حيث جاءت مطالعها كما يلي :

١- قال تعالى : [illegible] **[مريم:١-٢]**.

٢- قال تعالى : [illegible] **[العنكبوت : ١-٢]**.

---

(١) ينظر : على طريق التفسير البياني : ٣٣٦/٢.

(٢) أكد الزركشي ذلك بقوله : ((وأعلم أن عادة القرآن العظيم في ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها ما يتعلق بالقرآن))، البرهان في علوم القرآن : ١/ ١٧٠.

٣- قال تعالى : [illegible] [الروم : ١-٢].

ففي هذه السور الثلاث عُدل عن ذكر القرآن أو الكتاب بعد هذه الحروف مباشرةً كما في سائر السور المطابقة لها في الافتتاح أو المطلع، ومن المهم هنا التنبيه على أن تتبع تلاوة هذه السور والتعمق في مفرداتها ودلالاتها يكشف عن دقة النسيج الأسلوبي المتمكن من ذكر الكتاب والقرآن والتأكيد عليه ففي سورة مريم بيان لأثر فضل القرآن مؤكداً بالخطاب الإلهي المكرر خمس مرات في قوله تعالى : (واذكر في الكتاب)[1]، مما يؤكد أن كل سورة بُدِئَتْ بالحروف المقطّعة فيها بيان مباشر أو غير مباشر لفضل القرآن الكريم وأثرِه وإعجازِه.

وكذا الحال في سورة العنكبوت فقد وردت في الآيات الآتية :

قال تعالى : [illegible] [العنكبوت:٤٥]

وقال تعالى : [illegible] [العنكبوت:٤٧] وقوله تعالى :

[illegible] [العنكبوت : ٤٨]، وقوله تعالى : [illegible] [العنكبوت : ٤٩]، وقوله تعالى :

[illegible]

---

(١) وردت هذه الصيغة في الآيات : ١٦، ٤١، ٥١، ٥٤، ٥٦، من سورة مريم، وجاء في نهاية السورة قوله تعالى :

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً ﴾ [مريم : ٩٧].

[illegible] [العنكبوت:٥١]. وكذلك قوله تعالى

في سورة الروم : [illegible] [الروم : ٥٨].

يتأكد للبحث أن الافتتاحيات الحرفية تحقق أثراً أسلوبياً في التعبير القرآني؛ لتضمنها الدلالات الآتية(١) :

١- دلالة التنبيه.

٢- دلالة التمهيد الموسيقي المتسق مع ما بعدها أو قبلها.

٣- دلالة الإيحاء الموسيقي الذي يُحسّ أكثر مما يُعبر عنه.

وباجتماع تلك الدلالات تتشكل الظاهرة الأسلوبية لهذه الحروف؛ لتكون افتتاحاً ممتداً على مساحة موسيقية تربط فواصل الآيات اللاحقة وتمهد للتناغم الموسيقي بالتقارب، كقولهِ تعالى : [illegible] [البقرة :١-٢] حيث يتقارب صوت (الميم) مع صوت (النون) في لفظ المتقين، أو التمهيد بتماثل الروي كقوله تعالى : [illegible] [آل عمران:١-٢] والتماثل هنا صوت (الميم) في كلمة القيوم، أو التمهيد الموسيقي الناتج عن هيمنة العنصر الصوتي الخفي الذي كشف عنه الزمخشري فتعجب بقولهِ :

(١) ذكر الدكتور محمد الحسناوي أن لهذه الحروف دلالة ذات إيحاءات واسعة قريبة وبعيدة لخصها بما ذكرناه، الفاصلة في القرآن : ٢٠٥.

((فسبحان الله الذي دقت في كل شيء حكمته))[1]، تأمل قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [ص:١] وقوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [القلم:١]، هذه الآيات تؤكد ما أجمع عليه العلماء من أن لصفات الأصوات أثرٌ أسلوبيٌ واضح في الجو العام للسورة، وهذا يشكل نسقاً بارزاً في الحشد الفني، وإبراز القيمة الدلالية للمعاني.

وإذا وقفنا قليلاً عند سور الحواميم[2] المصدّرة بقولهِ (حم) نجد الأتي :

١- ضمنها ذكر النِعم الإلهية، وتوجهها في الكثير من آياتها الى خطاب الرسول ﷺ وتذكيره باخبار الانبياء والأمم السابقة، وتصوير مشاهد القيامة ترغيباً في الجنة وترهيباً من النار[3].

٢- كل سورة من هذه السور ذكر للقرآن أو الكتاب والتنبيه والتأكيد على الانتصار لهُ.

٣- تفاوت المقادير في الطول والقصر وتشاكل الكلام في النظام[4].

٤- لأنها بمجملها مكية؛ لذا فإنَّ لغتها تعكس واقع الدعوة بأسلوب يثري الصياغة البلاغية بأنواع من الفنون، ويحقق الدلالة التي ينشدها المعنى المقصود.

٥- جاءت حروف التهجي في مطالعها إثباتاً لإعجاز القرآن وبديع نظمهِ، وتنبيهاً على ما تضمنتهُ من لغة تتسم بالشدة، لتعكس واقع الدعوة وما تخللها من مواقف وأحداث ووقائع صورتها بدقة فنية متناهية.

---

(١) باستقراء الزمخشري للكلم وتراكيبها وجد أن الحروف التي ألغى الله ذكرها من الاجناس المقطعة والتي عددها في كشافه ((مكثورةً بالمذكورة منها))، الكشاف : ٣٢/١.

(٢) هي سبع سور مكية متآخية كأنها أسرة واحدة، ومثلها الطواسين بالنون تغليباً، ينظر : سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية : ٩.

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ١١.

(٤) سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية : ٩.

ثانياً : المطالع والافتتاحات الشرطية أو القسم الشرطي :

جاء الافتتاح بأدوات الشرط في سبع سور في القرآن الكريم هي : الواقعة، والمنافقون، التكوير، الانفطار، الانشقاق، الزلزلة، النصر، أن البحث في أسرار هذه الفواتح وبيان حسن التأنق في الابتداء بها وأثرها الدلالي والصوتي، يأخذنا الى مزيد من التأمل والتفكير والتدبر في الحكمة من وراء ذلك ويدعونا الى الوقوف أولاً عند مسألة مهمة هي الحث على التدبّر وإدراك الربط بين الشرط والجواب، أو بمعنى أدق الربط بين أجزاء الكلام ربطاً مناسباً يلمح من خلال التأنق في التعبير والتدرج في ترتيب المسبب على السبب، فبمجرد ذكر أداة الشرط تتشوق الأسماع والاذهان الى ما سَيُلقى فيتمكن الكلام بهذا الأسلوب الشرطي من النفس تمكناً عميقاً يبدو أثرُهُ في زوال ذلك التأثر والأثارة بذكر جواب الشرط وبيان المقصد العام والدلالة من السياق مما يؤكد ترابط اجزاء الكلام بعضها ببعض لتحقيقةِ وحدة موضوعية في أسلوبه القرآن المتفرد والمعجز.

تأمل قوله تعالى : [illegible]

🕒✽🙰○🙥⌛🡸▤🡽🙦 🙦🙜🙝☺🗆🗶⇳☪⇖☐♌▦ ﴾[1] **[التكوير : ١-٢٢]**.

جاءت هذه السورة تقريراً لحوادث كونية، وآمارات لمشاهد من يوم القيامة، تشير الى إختلال الموازين في نظام الكون ونهاية أمره المروعة في رحلة طويلة مضنية يقف فيها الإنسان على حقيقة أمره في ذلك اليوم، والغاية التي من أجلها شدّت الرحال، حتى يصل إلى قوله : ﴿⇖♦☸🙣◆☀♦⇳ ☼♦▦⛛▪🙣 ✍☐🙰✎ ✐۝⇳⊳✽❸◆☠⇳﴾. وتتعدد المشاهد التي تنبئ عن صورة يوم القيامة، فترتبط إرتباطاً دقيقاً مشكلّةً ملامح تخطف الأبصار؛ لشدتها بأمر من الله يوحى لها، ﴿☽♑❶♦✈ ⇖◉♐⛛❽☒♐♦☀🙥 ✈🙰❁☞❻⬀⋎❶ ♑⛛❽♦✈▬○●☐🙰 ⬗⬘⬖ ☐◆📖☐⌘⬃❷♦♉🗆☀🙥 ✈🙰❁☞❻⬀⋎❶ 📖☐⚐⛛☽♦🙰◉♐♦♑🗆🙰﴾ **[الزلزلة : ١-٢]** فتتحول الارض بجبالها وبحارها وقبورها إلى قاعاً صفصفاً، ﴿☐◆✍♦▤🡽☐♌⇖ ✈🙰◉♐⛛🗶⬗⌛♦🙰✌⇖ ▤•🙰🙰◉♐⛛🡺🙥♑⇳♊⬗ ✈🙰◉♐⛛☺🗆☪▦🡺☐ॐ🕛﴾، **[القارعة : ٥]**، ﴿③♦☐♦⬀⚑♦ ✍🡺⌨♦⑨●✌⇖ ✈🙰❁☞❻⬀⋎❶ ⬙☒❷⬀❸♦ ✈🙰❁☞❻⬀⋎⬗ ☐◆✈🙰◉○○☺🗆🕛☐◆🕒☠🡸 ☎ ☐◆🙦◆❷♦♐⇖☐✈☎ ✎★ ✈🙰◉♐⛛☐◆🕒■🙥⑨🙥 ✈🙰◉♐⛛☽♦♑●🙰❻☒﴾ **[إبراهيم : ٤٨]**.

---

(١) معنى كُوِّرت فيه عشرة أقوال مختلفة، كلها تدورعلى نهاية أمرها وتبدل حالها ولف بعضها على بعض فيذهب ضوؤها، أما الانكدار : فهو التساقط والانقضاض، وتسيير الجبال انتقالها من أماكنها بارتجاج الأرض وزلزالها؛ والعشار : جمع عشراء وهي الناقة الحامل لعشرة أشهر، وتسجير البحار فيضانها، أما السؤال فقد خُص بالذكر فيه الموؤدة فهو سؤال تعريضي مراد منه تهديد وائدها وترهيبه بالعذاب، والكشط : إزالة تقع في يوم القيامة وهي أعمّ من السلخ، وهذا من قبيل الانشقاق والانفطار، فتُهيء الجحيم بإسعارها وإيقادها لمن حق عليه العذاب، ينظر : أضواء البيان : ٨/ ٦١، وروح المعاني : ٤٩/٣٠، والدر المصون : ٦٩٩/١٠، والتحرير والتنوير : ٣٠/ ١٤١-١٤٢، والمفردات في غريب القرآن : ٤٤٥ و ٤٢٩ و ٣٣٨ و ٢٣٠ و ٤٣٤، (لا أقسم) إيقاع القسم؛ لأن (لا) زائدة، الخنس : جمع خانسة وهي المختفية، الجواري : جمع جارية وهي التي تجري جرياً حثيثاً، الكُنس : جمع كانسة، يقال : كنس الظبي : إذا دخل كناسه وهو البيت الذي يتخذه للمبيت، هذه الصفات الثلاثة أريد بها صفات مجازية للحوادث الكونية ومشاهد يوم القيامة، ينظر : التحرير والتنوير: ٣٠/ ١٥٢، عسعس : أقبل وأدبر، ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٣٣٧.

ومن المظاهر البديعية في آيات سورة التكوير، الدقة الفائقة في حسن انتقاء مواضع البراعة والتعبير بألفاظ مصورة ذات دلالات موحية مسبوكة تفرض شموليتها المعنوية، وتهيء الجو للاستعداد النفسي للتقبل وكسر حاجز المألوف في أساليب الكلام ((فلما كانت هذه الصورة من القوة إلى الحدّ الذي ساغ فيه وضعها موضع التصوير والإيضاح، ولا نستطيع أن ننكر ما لهذه الصورة من تأثير بالغ في النفس))[١]، وما يمكن ملاحظته من أثر أسلوبي في سورة التكوير كما في سائر السور الشرطية نجمله بالاتي :

١- الافتتاح بأسلوب الشرط (إذا)، افتتاح يثير التشويق؛ ((لأنها ظرف يستدعي متعلقاً، زيادة على أنها شرط يؤذن بذكر جواب بعده، فأذا سمعه السامع ترقب ما سيأتي بعده، حتى يتمكن من نفسه كمال تمكن))[٢].

٢- الاطناب بتكرير وإعادة أداة الشرط (إذا) مع تعدد الجمل التي اضيفت إليها أثنتي عشرة مرة؛ لضرورة اقتضاها السياق وهي قصد التهويل ((والتهويل من مقتضيات الاطناب والتكرير))[٣].

٣- في إعادة ذكر (إذا) الشرطية إشارة الى مضمون كل جملة من هذه الجمل، مستقبلاً بحصول مضمون جملة الجواب عند حصوله بصرف النظر عن تفاوت زمن حصول الشرط، فمثلاً زمن سؤال الموؤدة ونشر الصحف أقرب لعلم النفوس بما أحضرت، أقرب من زمن تكوير الشمس وما عطف عليه مما يحصل قبل البعث.

٤- ورد في السورة اثنا عشر حدثاً، ستة منها تحصل في آخر الحياة الدنيوية، وستة منها تحصل في الآخرة.

٥- إطالة ذكر تلك الجمل إثارةً للتشويق والترقب لمعرفة الجواب الواقع بعدها وهو ﴿[illegible]﴾ **[التكوير : ١٤]**، حيث نُكرت لفظة (نفس) في سياق الشرط؛ إرادة العموم،

---

(١) من بلاغة القرآن : ١٥٠.

(٢) التحرير والتنوير : ٣٠/ ١٤٠.

(٣) المكان نفسه.

واستفادة العموم من النكرة في سياق الاثبات تحصل من القرينة الدالة لأن النكرة في سياق النفي تعميم.

٦- افتتاح الجمل التي وقعت شروطاً للأداة (إذا) بالمسند اليه والمخبر عنه بمسند فعلي وتقديم الاسم على الفعل خروجاً على المألوف من عادة العرب، وعدولاً عن الأصل فلم يقل الله تعالى (إذا كورت الشمس، وإذا انكدرت النجوم) كما جاء في قوله : ﴿ ✁⬧➊⌧⬧◻ ✁⬧⬧⬧◆⊙☀✇ ✁☐⊞☺⚪⚪➚↓ ⇳✉⬧☼⬧▤⬧◻ ◻◆❻⬀⑩⊞☐☪ ⊠✍⑨⚖⚖⊞✍♌✍ ﴾ [الرحمن : ٣٧] وقولهِ ﴿ ◑➊✁⬧✁ ◻◆⬧⊞➔⊠✉ ✁⬧⬧⊞◻◆✁⬧⊞➔◻➔ ﴾

[الواقعة : ١] وقولهِ تعالى ﴿ ◑➊✁⬧✁ ⬧⬧⑧⊠⬧✉ ﴾ [الزلزلة : ١] والسرّ في ذلك العدول هو افادة الاهتمام بذكر الأخبار المجعولة علامات ليوم البعث توسلاً بالاهتمام باشراطه إلى الاهتمام به وتحقيق وقوعه، ولتقوية الحكم وتأكيده رداً على إنكار منكريه[1]. وكذا الحال في مطلع سورة الانفطار في قوله تعالى : ﴿ ◑➊✁⬧✁ ✁⚪⚪☺⊞➚↓ ✁⊞⊠⬧❷◆☠⇳ ◻◆◑➊✁⬧✁ ✁⬧⊞◻⬧✍⬧➲ ◻◆◑➊✁⬧✁ ✁⬧☼◆❸◆☠⇳ ⬧➲⊞⬧✁↓❻ ➔✗⚖⬅❷◆☠⇳ ◻◆◑➊✁⬧✁ ✁⬧➔⬅◻❻↓ ⬅➔✡⊠❸◆☠⇳ ﴾ [الانفطار:١-٤]، ومطلع سورة الانشقاق ﴿ ◑➊✁⬧✁ ✁⬧⬧⬧◆⊙☀⇳ ✁⚪⚪☺◆➚↓ ⇳✉⬧☼⬧❶☐📖◆◻ ⬧❷⬧▤⊞&◻ ◻◆◑➊✁⬧✁ ✁⬧⬧❻↓ ◻◆⚪⬁◑⊙☀⇳ ◻◆📖☐⬧◑☀⇳ ✍⬧◆✁ ◻❸&◻ ⇳☠⑨⬁✍ ◻◆☐③⬧✉⇳ ◻◆📖☐❶⬧☼◆☀⇳ ﴾ [الانشقاق:١-٥].

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٣٠/ ١٤١.

٧- وردت الافعال الواقعة شروطاً لـ(إذا) بصيغة الماضي؛ للدلالة على معنى الاستقبال، تنبيهاً على تحقيق وقوع الشرط[١].

٨- جواب الشرط في الجمل الأثني عشر الشرطية هو قوله تعالى :

﴿⇱◆⚇◆◆⚇⇧☼◆▦⬂▪✎ ✋☐✍✎ 🕮☐❍⇧➢❁❸◆✠⇧﴾

[التكوير : ١٤] وتتعلق به الظروف المتضمنة معنى الشرط.

٩- إيثار (إذا) دون (إنْ)؛ لأن الأصل في (إذا) الدخول على المتيقن المقطوع بحصوله، الكثير الوقوع في وقت معلوم، بخلاف (إنْ) المختصة بالمشكوك والموهوم والنادر، إلى ذلك أشار النحاة والمفسرون[٢].

١٠- انتهاء فواصل سور التكوير، والانشقاق، والانفطار، بالتاء الساكنة، وهي من الحروف المهموسة ((تساوت الوحدات الصوتية فصارت كالأنغام الموسيقية سريعة الحركة لاهثة الإيقاع، تشترك بتصويرها الصوتي في تجسيم المشهد وتمثيله للخيال))[٣]، إضافة إلى أثرها الأسلوبي في تحقيق الدلالة الموحية بانقضاء حركة الحياة الأولى في الكون، ولإشارة الى إشاعة جو الخوف والدهشة والرهبة لهول تلك المشاهد وعظمتها وتخفيف وقوعها.

١١- مَهدَ التعبير القرآني في الآيات الست الأول بعد عرض صور متصلة اتصالاً وثيقاً متسلسلاً لمشاهد القيامة، بتهيئة النفوس لاستقبال ذكر آيات الله تعالى في الكون من كواكب مختفية ومضيئة تسير في فلك ونظام دقيق، وليلٍ مقبل مدبر، وصبحٍ يبعث الحياة والحركة بعد سكون الليل؛ ليؤكد قدرته على البعث والحياة من جديد، فتكون بذلك متتالية يعجز أمامها العقل البشري :

خلق ←—— حياة ←—— موت ←—— بعث ←—— حياة خلود (جنة، نار).

مما يؤكد أن براعة الاستهلال الشرطي تكمن في قيمته البيانية التي يكسبها للسياق العام.

---

(١) ينظر : الزمن في القرآن الكريم : ٢٨٩، ودراسات نقدية في اللغة والنحو : ٦٨.

(٢) ينظر : الكتاب : ٦٠/٣ و١٢٠، والمقتضب : ٥٥/٢، والطراز : ٢٧٧/٣، والإتقان في علوم القرآن : ١٥٥/١.

(٣) خصائص التعبير القرآني : ١/ ٢١٠.

١٢- من الملاحظ انتهاء سورة (الزلزلة) المتصدرة بالقسم الشرطي بـ(التاء) الساكنة الهامسة في غير الفاصلة، في قوله تعالى : ﴿ ⧫❶◆⧫ ✂ ﴾، وقوله تعالى : ﴿ ❑◆⧫❑⧫⧫⧫ ﴾، وهذا يؤكد دخولها في نفس نظام سور المجموعة الشرطية.

١٣- تؤكد سور المجموعة المتصدرة بالشرط (إذا) على الحديث عن مشاهد القيامة وتصويرها، وبيان ما يرافقها من أهوالٍ؛ إضافة إلى التذكير والانتصار للقرآن الكريم، وتخرج عن هذه الدلالة إذا جاء السياق القرآني في صورة مختلفة عمَّا ذُكر، ومتصدر حينها بـ(إن) أو (لو) كقوله تعالى : ﴿ ❑◆⧫❑ ... ﴾[الواقعة:٦٥]، وفي قوله تعالى: ﴿ ... ﴾ [المنافقون : ٨] مما يؤكد اختلاف أدوات الشرط عموماً في جميع سور القرآن الكريم؛ تبعاً للدواعي البلاغية التي يقتضيها الأسلوب.

١٤- من الملاحظات الدقيقة التي تنبه إليها البحث أن المسافة العددية بين سورة (الانفطار) وسورة (التكوير) أربع وسبعون سورة، تؤكد في أغلب مواضعها على إثبات دلالة السورتين من بعث وجزاء وإنذار، والذي لابُدَّ من الإشارة إليه أن ذكر أساليب (حسن الابتداء) في مفتتح مطالع السور لا يعني أن هذا الاسلوب البديعي في التعبير حكراً على افتتاحات ومطالع السور القرآنية؛ بل يظهر واضحاً في مباديء كل آية من آيات الذكر الحكيم، ومن امثلة ذلك ما جاء في معرض المحاورة القرآنية بين الله تعالى وبين انبيائهِ، حيث ظهرت مواطنُ البديعِ في حُسن الابتداء وبراعة الاستهلال على لسان سيدنا موسى عليه السلام في سورة

المائدة وهو يُحاور قومه، قال تعالى : [illegible] [المائدة: ٢٠ – ٢١].

فلو تأملنا التشكيل البنائي لنمط الإنشاء الطلبي المتمثل بالنداء وتكرار المكون التوكيدي الدال عليه بقولهِ (يا قوم) في سياق التذكير الدقيق بنعم الله تعالى على بني إسرائيل التي لم تؤتِ لأحدٍ من العالمين، لوجدنا الحوار النابض بإيحاءاتٍ ومضامين نبيلة، ودورهُ المؤثر في شدّ انتباه المتلقي لحُسنِ البدءِ في قول سيدنا موسى وتأدبه مع قومهِ بالتوسعِ والتفصيل والتوضيحِ؛ تناسباً مع جو الإرشادِ، والقصصِ، وذكر المواقفِ المتعددةِ، ولم يوجز أو يوبخ أو يتوعد أو يذم؛ بل أحسنَ الابتداء وتأنقَ في تثبت الصياغة التركيبية بألطفِ الأساليبِ اللغوية القائمة على الحثِّ، والتنشيط والترغيب وبيانِ عاقبةِ المرتدِ.

وقد تفاعل أسلوب (النداء) في هذا اللون البديعي مع دلالة الترغيب والوعد؛ زيادة على ما في السورة من ملامح التناسب الدقيق في اختيار اللفظِ الملائم للمعنى على لسانِ أحد أبناء آدم عليه السلام وهو يقف مواجهاً لظلم أخيهِ في مجمل القصة الواردة ضمناً في قوله تعالى : [illegible] [المائدة:٢٨]. فالتركيب الشرطي المُبتدأ بهِ في هذا السياق يحمل دلالةً وظيفية تؤدي غرضَ النهي، أي لا تبسط يدك لتقتلني؛ لأني لا أقتلك؛ مخافةِ اللهِ ربِّ العالمين، فقد أسهم هذا التركيب اللغوي في

وضوح الدلالةِ لِما تضمنهُ السياق القرآني من ظلالٍ موحيةٍ تُشعر بمظهرٍ بلاغي بديعي مرتكز على ترابط عضوي موضوعي.

وقوله تعالى : ﴿ ❑◆❍⧫❑➊⬂ 🕭⬧⧫✌◆ ⬧✌ ✦✍⬧ ❸⬧◆⬥⬄❍⬧✗ ⬧⬄⬂⬧✗⬧ ❸⬧◆➔⬧⬂⬧⬧✗⬥ ↗⬧◆❑⬧✗ ...

[المائدة: ١١٦].

إن المتأمل لقولهِ تعالى : ﴿ ... ﴾ يلتفتُ إلى مشهدٍ عظيمٍ للاستجواب المباشرِ الموجه لنبي الله عيسى عليه السلام يوم يُعلن براءته على مسامع الخلقِ أجمعين، ويؤكد بالتنزيهِ لجلالِ -اللهِ- ما أُفتري عليه من ادعاءٍ للألوهية، فسيق التعبيرُ بقولهِ (سُبحانك)؛ لتصوير مدى الدهشةِ والفزعِ والبراءةِ المطلقة من أن يكون ((من شأنهِ هذا القولُ أصلاً ﴿ ... ﴾))(١).

فالسياق المفُتتحُ بالتسبيحِ مباشرةً، يستند إلى مواضعِ التأنق في ابتداءِ الكلام؛ توقيراً واجلالاً لعظمة الله تعالى، وتأكيداً على إثبات وإقرار العبودية مع التصاغر أمام تلك العظمة الربانية والإقرار بعلم الله للغيب على لسانِ سيدنا عيسى عليه السلام بقولهِ : ﴿ ... ﴾، وهذا التعبير القرآني دليلٌ واضحٌ على علم -الله- بما

(١) في ظلال القرآن : مج ٢ ، ج ٧ ، ص١٠٠١.

قيل وما لم يقل؛ ولكنه عدل عن هذا المعنى لبيان المقصود بالاستجواب وهم المؤلِهين لعيسى وأمه عليهما السلام من النصارى، وليشهد عليهم رسولاً من أنفسهم.

ومن بدائع حُسن الابتداءات ما ورد في سورة (الرعدِ) من بيانِ النظم في قوله تعالى : ﴿ ❻✍➔🗎⇱✍✌☺⬂♦❒✍ ✍♦✍ ⇱☠■❓⬀➔♦③ ✦✏✍✂ ⇱🏳✍⊠○⬀❻☞❀✍✂ ↓⮝⓿✐⇔⬥✍ ✍♦✍♦❒ ▤✐⬥ॐ✡⬆🕮 ✇↗⇔✐⊠★ ❻✍➔🗎♦❒ ☎ ←⑩✂⊠⑩⬀❽⬥✍ ✍♦✍♦❒ ⇱✌✡⑨⊠■←⓿ ✍✎✌☺☽⑨⬂⑨⊠✂❻✌ ﴾ [الرعد:٨]. تأتي هذه الآية بعد الحديثِ عن الكافرين، وبيان عجبهم واستنكارهم من أن يبعثوا خلقاً جديداً بعد تحول أجسادهم إلى تُراب، فهي ردٌ مباشرٌ وصريح على أولئك الذين كفروا بربّهم وجحدوا قُدرته، وقد جاء الردُّ حاسماً ببدء هذهِ الآيةِ التي عَرَضَتْ أهم صفات الله سبحانه وتعالى ((المطّلعِ على دقائقِ الأشياء كُلِّها لا تخفى عليه خافية مهما صغرت وتضاءلت، ومهما اختفت من خلف الغياهب والحُجب، ومنها ذرّات جسوم الناس بعد ضياعها في بطونِ الأرض أو في جوفِ البحار))[1].

إن عملية الرَصْد المتأني لمكونات السياق القرآني العام، تُظهر أثر البديع في هذا التعبير، إذا ما نظرنا إلى الجملةِ فيهِ بوصفها جزءاً من كُلٍّ لا يتجزّأ يتصلُ بالسياق اتصالاً عضوياً في عملية تفاعلية مقصودة تكشفُ عن الخصائص التركيبية للتعبير، حيث لا تبتعدُ كثيراً عن حدودِ النصِ بأكملهِ، فلو نظرنا إلى صياغة الجملةِ وما أحدثتهُ الالفاظ (يعلم)، و(ما) المتكررة، و(كُلّ) و(أُنثى)، (وتغيضُ) و(تزداد) من أثرٍ في دلالة السياقِ البياني المقرر حقيقةً من حقائق الغيبِ واثباتها لله وحده، وذلك كناية عن أنَّ الله –عزَّ وجلّ– مُطلّعٌ على كل غيبٍ وخافية، إذ أن غيبُ ما في الأرحامِ أدق وأوضح دليل.

أول أثرٍ يلفتنا في هذا التعبير المرتكز على بنية (حُسن الابتداءِ) اختيار صيغة الفعل المضارع (يعلم) لما تكنه من دلالاتٍ عميقةٍ أبرزُها :

١– أنَّ مادةَ (عَلِمَ) أوسعُ مادة في القرآنِ الكريم[2].

٢– الفعل المضارع المرفوع يَدلُّ على مُطلقِ الزمنِ بخلافِ المنصوبِ والمجزوم[1].

---

(١) من روائع القرآن : ٢٣٩–٢٤٠.

(٢) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : مادة (عَلِمَ).

٣- إنَّ الله تعالى إذا أراد أنْ يمدحَ نفسه جيء بالفعل المضارع مرفوعاً كقولهِ تعالى : ﴿❶⚲⚲□ ⚔✍⚲⚲⅄ ⑥◆◆⧅▤↗⚵↖ ✍◆⚲⚲ ③↖❷⧆③⑨←﴾ [المائدة:١]، وكقولهِ تعالى : ﴿❶⚲⚲□ ⚔✍⚲⚲⅄ ③◆▦⧅➔⊠✉↖ ✍◆⚲⚲ ③↖❷⧆③⑨←﴾[الحج:١٤]، وقوله تعالى: ﴿□◆⑥◆✉⚲①⚲ ⑥◆③⧅▪➔✉← ✍◆⚲⚲ ④□⌖◆⚲⚲✍↗↓ □◆⑥◆③⧅☛◆⚲⚲❻↓ ▤﴾[القصص:٦٨]، وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

٤- تمدُّ صيغة المضارع (يعلم) التي لها سِمّةُ المزاولة والتجدّد التعبير القرآني بالسعةِ والشمولية.

أما الأثر الثاني نلمحهُ في (ما) المتكررة، واختيارها هنا أما مصدرية، أو موصولة، ولها نفسُ دلالة الفعل من سعةٍ وشمولية فهي أوسعُ أدواتِ الاسم الموصول، والمصدرية أبلغُ في الدلالة التصويرية التي تضمنها السياق القرآني، وقد عَدَل بهذا الأسلوب عن قولهِ : (اللهُ يعلم حَمل كُلّ انثى) إذا كانت (ما) مصدرية، أما إذا اعتبرت موصولة فعَدل بذلك عن قولهِ الله يعلمُ الذي تغيض الأرحام والذي تزداد.

ولو تأملنا قوله تعالى : (كُلُّ أُنْثَى) نجد أن الأداة (كُلّ) أضفت إلى لفظ (أُنثى) الواردةِ بصيغةِ التنكير دلالة الشمولية والتوسع في اللفظِ والمعنى مما يقتضيهِ المقام؛ لاننا في معرضِ إثباتِ القدرة للهِ تعالى فلم يقل (الله يعلمُ ما تحملُ الانثى)؛ لأن دلالة التعريف بـ (كُلّ) ناسبت السياق، ومدّت المفردة التي تليها بطاقةٍ إيحائية دلالية جاءت في موطنها الأصلي الذي لا يمكن العدول عن مُفترضٍ غيره.

أما الملمحُ الآخر في هذه الآية فيكمن في ما عُطف على التركيب السابقِ من صياغةٍ هيأت ذهن المتلقي لاستقبال ما سيكون في قولهِ تعالى : ﴿□◆✍◆⚲⚲ ✍◆⇔✐❶⚴↓ ⚔⚲⚲✿☛❻⬀○⊠⚲⚲⬒↖ □◆✍◆⚲⚲ ✍◆❽⬃⑩⊠⚔⑩←﴾، فالغيضُ هو النقصان، وقيل : غضتهُ أي نقصتهُ، غاضَ

---

(١) ينظر : الزمن في القرآن الكريم : ١١٥.

الماءُ غيضاً ومُغاضاً : وانغاضَ : نقص أو غارَ فذهب أو قلَّ فنضَبَ[١]، ومنه قوله تعالى : ﴿❁□◆⬊ᴓ⓿◆⬆ ◆ ✁☞⚈ᴥ✉☺⌧☞✍↗↓﴾ [هود:٤٤]، وقرينةُ الدلالةِ في صيغة الفعل (تغيض) يبرزها سياق الفعل (تزداد) وقد حُذف المفعول بهِ من صيغتي الفعل (تغيض) و(تزداد) ليُطلق العنانَ لتأمل المعاني، فاللهُ يعلمُ كُلّ ما ينقصهُ الرحمُ أو يزيده في جثةِ المخلوقِ أو في مدة حملهِ لهُ أو في رزقهِ وعملهِ، وهذا ليسَ مُصادفةً؛ بل وفقاً لنظامٍ إلهي شاملٍ يعمّ الخلق كلّه، ومما يُلمحُ في هذا التعبير ما خُتم به من روعةِ البيانِ ودقةِ الإعجازِ المتمكن في قولهِ تعالى : ﴿❁□◆🗎→✎❻ ★⌧⊘⇔↗☸ ⬉ᴓ✡⑨⌧■←⓵ ✉⬉ᴓ☺ᴓ⑨⌧✁❻✌﴾، ابتدأت بأروع أسلوبٍ وخُتمت بأحسنِ بيان قوامهُ دقةُ الاختيار والانتقاءِ الفريدِ الموافقِ للسياقِ بحيث تتواءم لتُشكل نسيجاً بنائياً بديعاً في ألفاظهِ ومعانيهِ يُفهم منهُ أن ما في الكون جميعاً يجري بمقادير إلهية ثابتة دقيقة يعجز عن الإحاطة بها إنسان.

ثانياً : حسن التخلّص وعفوية الانتقال.

مصطلح (التخلّص) من الأساليب البديعية المتداولةِ والمعروفة في كتب البلاغةِ ومؤلفاتها باسم (الخروج)[٢]، والمادةُ اللغوية لهذا المصطلحِ تنص على أن معناه : الانفكاكُ من الشيءِ، يقال: خَلَصَ الشيءِ، إذا كانَ قد نشب ثم نجا وسلم[٣].

من هذا المفهوم أُخذ المدلول الاصطلاحي الذي يُراد به انتقالُ المُتكلم مِن فنٍ إلى فنٍ آخرٍ بأحسنِ أسلوبٍ مع التلّطفِ بحيث لا يشعر المتلقي بالانتقال؛ لشدةِ الالتئام كأنهما أفرغا في قالبٍ واحدٍ[٤]، وبذلك يتحدد مفهومه بالانتقال مما ابتدأ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاساً بحيث لا يشعر السامع بالانتقال بين المعنيين؛ لشدة التلاحم بينهما، وعلى ذلك فإن هذا الاسلوب البديعي يعدّ موضعاً من مواضعِ التأنقِ في الكلامِ لتفنن صاحبهِ في التعبير بالتنقلِ اللطيفِ

(١) كتاب العين : مادة (غيْضَ)، ولسان العرب : مادة (غِيْضَ)، والقاموس المحيط : مادة (غِيْضَ).

(٢) ينظر: قواعد الشعر : ٥٦، والبديع (ابن المعتز) : ٦٠، وكتاب الصناعتين : ٤١٩.

(٣) ينظر : لسان العرب : مادة (خَلَصَ).

(٤) ينظر : دراسات منهجية في علم البديع : ١١٩.

من مُبتدأ الكلامِ إلى غرضهِ المنشود من دون فصلٍ أو قطع مُفاجئ يُشعر القارئ باضطرابٍ في معانيهِ أو أفكاره.

إنّ عملية تنويع الكلام وفقاً للنقلات البديعية تُظهر أثر هذا الفنِ في تنشيطِ الأسماعِ لاستمالتها، ضرباً على أوتار النفس مما يُزيدها إيقاظاً وتحريكاً، فقد تناول البلاغيون هذا اللون تحت مسميات مختلفة وقدّموا ضوابطه في الخطابِ سعياً وراء متابعةِ الحديثِ، وفقاً لبنيةٍ أسلوبيةٍ قائمةٍ على التناسبِ بين مُقدمات الكلامِ ربطاً بخواتيمه، فهو يمثّل مجموعة العلاقاتِ اللغوية والمنطقية العميقة الدلالة، القائمة بعملية الربط البلاغي الدقيق؛ لذا أطلق عليه بعض البلاغيين مصطلحات متعددة منها: (براعة التخلص) و(التخليص والخروج) و(المخلص المليح إلى الهجاء والمديح) و(حُسن المخلص)(١).

فقَدْرُ بلاغةِ المتكلم يَتَعلقُ كثيراً بحُسن تخلصهِ وبراعة انتقالهِ من معنىً إلى معنىً مراعياً المُناسبة والسياق بالملائمةِ بين ما ابتدئ به وما انتقل إليهِ فإذا ما جاء حسناً قد رعى فيه التلاؤم، حرك من نشاطهِ وكان أدعى للإصغاءِ والمتابعةِ وإن جاء بخلافِ ذلك أدى إلى النفورِ والإعراضِ، في الوقت الذي أكد النقاد والبلاغيين على ضرورة تحقيق التناسب بين الغرضِ المنتقل فيه والغرضِ المنتقلِ إليهِ بالتدرجِ المُستطاب والأسلوب المتضمن حُسن اختيار مفاصل الانتقالِ بين أطرافِ القولِ بما لا يخلّ ونسقِ الكلامِ ولا يُظهر التباين.

وقد أبدَعَ في هذا اللونِ الكثير من الشعراء المحدثين حتى عُدَّ مذهباً لهم بخلافِ القدماءِ الذين قلما نجدُ في كلامهم وأشعارهم الانتقال البديع والخروج من الغرضِ المتناولِ إلى غرضٍ آخرٍ بتمهيدٍ أو تخلصٍ حَسَنٍ حتى سمّوا هذا اللون البلاغي (اقتضاباً)(٢) وأصبحَ مذهباً شائعاً عندهم ومن تلاهم من الشعراء المخضرمين ومن تقلّد طريقتهم وسارَ على نهجهم، وقد جعله بعض البلاغيين خلافاً

---

(١) ينظر : تحرير التحبير : ٤٣٣/٣، وبديع القرآن :٢/ ١٦٧، والمثل السائر : ١٢١/٣، وأثر البديع في النص الشعري : ٣٢٥.

(٢) والاقتضابُ : هو انتقالُ للمتكلمِ مِن فنٍ إلى آخر دون تمهيدٍ أو تخلصٍ أو مراعاةٍ للتناسب والترابطِ بين أجزاء الكلامِ، ينظر : معجم المصطلحات البلاغي وتطورها : ٢٨١/١.

للتخلص[1]، في حين قربه آخرين من فن التخلص[2] وأطلقوا عليه حينئذٍ (فَصْلُ الخطاب) والمؤشر الدال عليه وجود أداة لغوية، كقولهِ تعالى : [illegible] [ص:٤٥]، ومما يجب ذكره أن كلا اللونين وقع في القرآن الكريم على الرغم من اختلاف أهل العلمِ بين رافضٍ لوقوعهِ ومؤكدٍ لهُ ولكُلٍّ حجّتُهُ ودليلُهُ، فالفريق المُنكر لوقوع التخلص والاقتضاب في التعبير القرآني حجتهم ورود هذا الفن متكلّفاً في الغالبِ وهذا مما لا يجوزهُ العلم لأن القرآن منزهٌ عن التكلفِ، أما الفريق المؤكدُ لورودهِ فحجتهم أن هذا الفن شأنه شأن جميع الفنون البلاغية الأخرى في النظم القرآني الواردة عفواً دون تكلفٍ أو إكراهٍ، ملتفتين إلى إتساع نطاقهِ في البيان القرآني وهذا هو الصواب فمن حُسن التخلص وبديعهِ قوله تعالى : [illegible] [الإسراء: ١ – ٣].

تأمل حُسن الابتداءِ وروعتهِ في قوله تعالى (سُبحان الذي) الذي شكَّل سِمّة بارزة انفردت بها الآية، واستهلالاً يرسمُ ملامحها وأبعادها وقد تردد ذكر هذه اللفظة في أكثر من موضعٍ؛ لذا أسماها بعضُ أهل العلم بسورةِ (سُبحان)[3]، وهي جُملة

---

(١) ينظر : المثل السائر : ١٢١/٣، الخضرمة في الشعر العربي (أطرحة دكتوراه) : ٦٧.

(٢) ينظر : الإيضاح : ٣٢٥، والطراز : ٣٤٨/٢، وخزانة الأدب (الحموي) : ١٩٩/١.

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٥ / ٥.

تعجب سماعية لفعلٍ محذوفٍ تقديره (سَبَحَ)[1]، مُضافاً إلى الاسم الموصول (الذي)، وبذلك ابتدأت ابتداءً عظيماً ملائماً لجو السورةِ، ولا سيّما آياتها الأولى التي تربط الأرض المقدسة بمكة المكرمة برباطٍ مقدسٍ أقرّه الله تعالى بقولهِ : [illegible] [الإسراء:١].

وقد تكرر ورود هذه الصيغةِ بشكلٍ لافت في قوله تعالى : [illegible] [الإسراء:٤٣]، وفي قوله تعالى : [illegible] [الإسراء:٤٤]، وفي قوله تعالى: [illegible] [الإسراء:١٠٨].

ولو تأملنا المستوى التركيبي لصيغ هذا التعبير؛ لوجدنا تبايناً ظاهراً بين قولهِ تعالى: [illegible]

(١) (سُبحان الله) تعني تنزيه الله عن كُلِّ ما لا ينبغي أن يوصفَ به، قالَ الزجّاج : هو اسمٌ منصوبٌ على المصدر والمعنى سَبَّحَ تسبيحاً، ينظر : معاني القرآن (الزجّاج) : ١٨٤/٣، لسان العرب : مادة (سَبَحَ)، وسبحانك للتعجب من عِظم الأمر، فإن قلت : ما معنى التعجب في كلمة التسبيح ؟ قلت : الأصل في ذلك أن يُسبح الله عند رؤية العجب في صنائعهِ، ينظر : الكشاف : ١/٣ و٢٠/٣، والتحرير والتنوير : ١٠/١٥.

✂︎☞☜☝☺○○⑩↗← ✂☞☜☝⌂⌨♦⑦☜❷❸← ﴾ [الإسراء:١]، وبين

قوله تعالى : ﴿□◆↗◆✂☞④☆□☞ ✌↖□☞⌧☒﴿

✂☞☜☝⌂☜▤☞♦⑦☐✽ □♦♉⌧→⌧☐☆□⑦○← ♎→⑨✝❽
☜☞☜♦♉☒✗ ☽☜·⇔❸♦⑦↗☜③☞• □♦•

☞♦✌✱②☜❶↗□✂☎ ✌☜♊ ⑩←□❄☜❼ □♦▤☜⓿☒✝﴾ [الإسراء:

٢].

فقد أخبرَ تبارك وتعالى في مُفتتح الآية بصياغةٍ عذبةٍ سلسلةٍ واضحة عن مشهد الإسراء بنبيه المصطفى ﷺ من البقعةِ المباركةِ فقد حدد السياق الشخص، والزمان (ليلاً) و(المكان) (المسجد الحرام) إلى الأرضِ المقدسةِ (المسجد الأقصى)، فكيان السورةِ إذن ومحورها البارز هو النبي ﷺ والقرآن الذي جاء بهِ، وقد كشفت هذه الالفاظِ عن حكمةِ الإسراءِ ﴿☞☜ॐ↖❸☜③♦○←⑦ ✌☜♊⇧ ↗◆✂③♦⑦☝☜☆□☞✏﴾، ويرسله إلى عبادهِ.

وبضم وحدات التركيب بعضها إلى بعضٍ نَرصُدُ حلقةَ الوصلِ بين الفصلين في عملية (الإسراء) الأولى التي أوضحتها الآية الأولى، و(الإسراء) الثانية بنبي الله موسى عليه السلام حين خرج من مِصْرَ إلى مدين خائفاً يترقب فآتاه الله تعالى الكتاب وأسرى بهِ إلى فرعون وملئهِ، ونصَّ سيَاقُ السورةِ على القصدِ من الإسراءِ الثاني وهو ﴿♎→⑨✝❽ ☜☞☜♦♉☒✗ ☽☜·⇔❸♦⑦↗☜③☞• □♦•

☞♦✌✱②☜❶↗□✂☎ ✌☜♊ ⑩←□❄☜❼ □♦▤☜⓿☒✝﴾، حيث نلحظ براعة النظم القرآني في استثمار علاقة التناسب المعنوي بين صياغة الآية الأولى وربطها ضمن قرائن معنوية بسياق الآية الثانية متلائمة مع جوّ السورةِ العام وهو التذكيرُ والانذار بمصارعِ الأمم السابقةِ، فالانتقالُ من معنىً إلى معنىً آخر بمدِ جسورِ الاتصالِ الدلالي العفوي ظاهرة بارزة حفل بها النظم القرآني، وأعجز بذلك أرباب الفصاحةِ والبيان عن الاتيان بمثلهِ.

وإذا ما التفتنا إلى نقطةِ الوصلِ الثانية بين قوله تعالى :

﴿❶→❻♒☒③✱□♦ ✌♦♊⇧ ○⌧☺⌧☐☆□☞ ✌♦↗⌧

[illegible] وبين سياقِ الآيتين السابقتين، نلحظُ دلالة التذكيرِ بوعدِ اللهِ تعالى التي تؤكد مضمون السورةِ بعد عرضِ هذهِ الآيات تفصيلاً ومجيئ الخطاب الإلهي لبني إسرائيل ((باسم آبائهم الذين حملهم مع نوحٍ، وهم خلاصة البشرية؛ ليذكرهم باستخلاص الله لآبائهم الأولين، مع نوح العبد الشكور؛ وليردهم إلى هذا النسب المؤمن العريق))[1] فنعمةُ النجاةِ من غرق الطوفان التي مَنَّ الله تعالى بها على بني إسرائيل وآبائهم من قبل مع نبي الله نوح عليه السلام دليلٌ على وجودهم لحدِّ الآن تُضاف إليها نعمةُ النجاةِ من الغرقِ الثانية مع نبي الله موسى عليه السلام حين شقَّ البحر وجعله يابساً فأنجاهم، وأغرقَ فرعونَ وجنودهُ، كُلّها نِعمٌ غرضها الايفاءُ بجزيل الشكر للمنعم الأعظم على أبناء نوحٍ وذريته من (بني إسرائيل) والتأكيد على أن ((نوحاً كان عبداً شكوراً وهم أولادهُ فيجبُ أن يكونوا شاكرين كأبيهم؛ لأن الولد سرّ أبيهِ))[2].

مما سبقَ يتأكدُ أن التعبير القرآني قَصَدَ تلك النقلات المعنوية بأسلوبٍ فاعلٍ ومؤثرٍ، وهو يواصلُ أداء الصياغة الفنية في السورة لافتاً الانتباه إلى التأكيد على القيم المعنوية التي توثق السياق القرآني بروابط دلاليةٍ أبدعت في تشكيل لوحةٍ تصويرية في غاية التلاؤم والتناسب العفوي الذي لا يشعر معه المتلقي إلاَّ بالتسلسل المنطقي البديع المرتكزِ على حُسنِ الابتداءِ وبراعةُ الخروج والتخلصِ من معنىً إلى معنىً آخر دون تكلفٍ أو تعقيد.

ومثيل ذلك قوله تعالى : [illegible]

(1) في ظلال القرآن : مج٤ ، ج٥ ، ص٢٢١٣.

(2) بديع القرآن : ١٦٩/٢.

♦❷⌧☺⬧◗⬂♒︎✍︎✁♦❑ "▪⇧☺⊙⌖♒︎✍︎✁♦❑
⬥⧫⬀ ⧫⬧⇦⬂⑨⬏⬈⌚⌧♋︎ ❼⧫🖫 ⬃☠︎⬋⬈⬅☺⬀③❑🕮♦❻
⌧🖰✍︎♦③⬀⬈⬇❻ ⬄⬀⓿⌚⬂◗⬧✍ ⬧⬧ ○⧫❑♉︎⬅⌛⌚♦③ ♦✌︎✍︎⬧🔔︎
☎︎✁❑⬅⑨⓿⬉✉︎♦⑩⬧▫︎ ⌧⌨⬂✍♦❑⬀⌘♎︎◗ ✁❼■✍♦⬉
⌘♊︎⌚⬧⮌⬂⓿⊙⌖♒︎✍︎✁ ❑♌︎♎︎◗ ☎︎ ✁⬗⑨⬂⑩⌧✉︎ ⌧⌨⬧♒︎
⬂▫︎✓♎︎⌨⑩✍︎ ✌︎❑⬅⑨♦⬉ ⬥♊︎⌚❁○⬧⬧☼"⬂♒︎ ﴾ [يوسف: ١ – ٥].

تتحركُ السورةُ في إطارٍ قصصي مُتتابع ومتكاملٍ؛ لتعرضَ صورة البطل (يوسف) عليه السلام المحور الأساس والمحرّك للأحداثِ والمشاهدِ بدءاً بعالم الرؤيا والغيب مروراً بالحدثِ المتصاعدِ فيها، الهجرةُ والنفيُ إلى الانتهاءِ بالنصرِ المؤكدِ من عند اللهِ، وهذه المرتكزات الثلاثة للقصةِ تنطوي على تفاصيل غايةٍ في الدقةِ، الهدفُ منها استخلاصُ العبرةِ والموعظةِ لمن يعقل ويتدبر.

إن الذي يهمنا هنا بنية الافتتاحية المتكررة كثيراً حول هذه الحروف (آلر)؛ بوصفها نغمُ الإيحاء الأول الذي يُبتدأ بهِ الجو القصصي في اثارةٍ لقضية التحدي اللغوي والبلاغي الكامن في البداية[1]، فالآيات الأولى تعرض وصفاً للقرآنِ بمسمياتهِ الثلاثة الواردة في هذهِ الآيات (الكتاب المُبين، وقرآناً عربياً، أحسنَ القصص) وبأسلوبِ الخطابِ المباشر للرسول صلى الله عليه وسلم يظهر التوازي الدقيق بين المُفردات المنتقاة (نحن – أوحينا – عليك – إليك) التي تعملُ متضافرةً؛ لتحقيق الترابط والتناسق بين مُفتتح الآيات وما يليها على الشكل الآتي :

نحن ⇐ أوحينا

عليك ⇐ إليك

ويبرز أثر (حُسن التخلصِ) في ما سبق بين ما وصفَ بهِ القرآن، وبين النقلةِ السريعةِ لحوار يوسف عليه السلام مع أبيهِ لقولهِ : ﴿ ◗♎︎⓿⬂ 🔔︎⬧✍︎✌︎♦
❼♎︎❑❄︎♎︎◗ ⬂⬧☼♦✉︎❑🕯︎❄︎⌚♦③ ⬂○⓿♎︎✉︎☹︎❀ ⬅✁⬅♋︎❑⬉③
✍︎✡︎⌛⌧✉︎⬀❑⌧✉︎ ♦❸❁⌑♦⬉ ⌧⑨♦■❑🕮 ➔⬧☼⬀③❑🕮♦❻
♦❷⌧☺⬧◗⬂♒︎✍︎✁♦❑ "▪⇧☺⊙⌖♒︎✍︎✁♦❑
❻♦🕮❑③⬀☺⬅⬈⬋☠︎⬃ 🖫⧫❼ ♋︎⌧⌚⌈⬏⑨⬂⇦⬧⧫ ﴾ [يوسف: ٤]،

في إشارة أفرزتها الأداة الظرفية (إذ) حيثُ حققت الوصلة السريعة والانتقال الدلالي

(١) يُنظر : البلاغة القرآنية : ١٨٢.

من غرضٍ إلى غرضٍ آخر، من دون أن تُشعر المتلقي بما يكمن فيها من أسرارٍ صوتية وتركيبية ودلالية إذ يتفقُ النُحاةُ على ((أنها ظرفٌ لما مضى من الزمن))[١]، تطوي بإمكاناتها الزمنية الدلالية الحدث الذي مضى مؤكداً بدلالة صيغة الفعل الماضي بعدها (قالَ) التي تأتي –غالباً– مُندرجة في سياقٍ قصصي ضمن أحداث القصص القرآني، وفي أوائل سور القصص –على وجهِ الخصوصِ–؛ لأنها واضحةُ الدلالة على المعنى، فقد قامت الأداة الظرفية بدور مهم؛ لتحقيق بنية التناسب في الانتقال البديعِ وحُسنِ التخلصِ، كأنها ((في لحظةٍ واحدةٍ طوت ما بين القرن السابع عشر قبل الميلاد حيث حدثت القصة، والقرن السادس بعد الميلاد حيث نزل القرآن))[٢].

ثم تبدأ خيوط الرؤية الأولى بالتشكلِ عبر حوارٍ أبوي لتُفصح بذلك عن أسلوبٍ تعبيري غاية في التعقيد يستوقفنا فيه الفعل (رأى)؛ فالبنية اللغوية لهذا الفعل تتصرف إلى دلالتين الأولى: الرؤيا بمعنى اليقين، والثانية: الرؤيا الموحية بدلالة التخيّل، ويلفتنا ملمحٌ أسلوبي آخر هو التكرار اللفظي في لفظ الفعل رأى (أني رأيتُ) و(رأيتهم)، وهو في معرضِ حديثهِ عن كواكبَ غير عاقلة فلمَ لم يقل (رأيتُها) وعَدَل إلى قولهِ (رأيتهم) ؟

الجواب يكمن في بنية التركيب المُحاطِ بجملةٍ من التأكيدات هي (إن) المؤكدة والمُسند إليها ضمير المتكلم في قولهِ (إني رأيتُ) ﴿❻◆🕮❒③⬀*●➔ 🕮❒■♦⑨⍓ ⬉♦⌑❁❸◆ ✍☒❑⬀✍☒⌛✡✍ ❒◆✂✍♐⊕⊙☺⇧▪❝ ❒◆✂✍♐⬂☽♦☺⍓❷♦ ❻◆🕮❒③⬀☺🡐☡⬋☠⬀ 🖫✍❼ ⍓⍓🕔⬈✍⑨♎⇦▫⊸﴾ فالتكرار اللفظي عملية إحكامٍ لما تم الافتتاح بهِ، ((رأيتُ هذهِ جميعاً في حالةِ سجودٍ لي))[٣]، والأثر الأسلوبي البارز في هذه السورة موافقة ابتدائها لخاتمتها مع مراعاةِ تمام المعنى والمضمون، ولو تأملنا روعة إحكام البناء التعبيري في ما انتهت إليهِ السورة

(١) الزمن في القرآن الكريم : ٣٤٥.

(٢) البلاغة القرآنية : ١٨٤.

(٣) البلاغة القرآنية : ١٨٥.

قوله تعالى : ﴿ ⬀☠♐♒⬁🕛❁🕛⬩♙ ❼♐✗ ♇♍♙☒✍ ⇳⑨⬩◗⬩♒♎ ♎♐⬩♦✋ ▤ ⬂◼🕛♦⌛⬂♒☜❀♐✂ ❼⌧🖫▯❄☯❀ ⬮◻♦❸⬀♒♎⬉ ♊⬁⌛🕛⬩♒♦◻ ▤⑨♦❸♦✋⬂▦⬉③ ♐☪✞③♎⑨♦■ ♦♌♙☒✍ ♎❍⬃③⬕⑨♦③ ♦✗⬃✓♦🖭 ❽♎♙⅄✎♐✂ ♦🖳③♎⑨⬄🕛⬩✍ ❽✡⑨➔♎♦◻ 🕮⬈⬄⌧☒★ ⬂♏⍈➔▤ ⬩⍈⓿⬁🕛⬂▦⬩✍♦◻ ♦♌◻⬉☪♎✋⬃⬩⬉③ ▯✈⬀◻⬩◗♎♏♒ ☪◻♦✎⬃◻♦❻♦◻ ﴾ [يوسف:١١١]، نجد عودة من جديدٍ إلى ما أغنى الإلماح فيه عن التفصيل ((وهكذا يتوافق المطلع والختام في السورة، كما توافقَ المطلع والختام في القصةَ))[1]، ومثل حُسن التخلص ما ورد في سورة (النمل) من أدب المناظرة المُفتتح بقوله تعالى : ﴿ ⬋☠🕛■◼⬕♒♦◻ ★✎ 🡐⑨⇳☺◻♦⬂💻♐✂ ⬂⍈➔♙ ♇▫⬄♎♙⅄✎♐✂ ⌧■♎❿♐♦⌛♎⬉ ▤❼■✍♦⬉ ♐◻✋◻🕮 ➘❸⬀❷⬕⌘ ✦✎✎✂♦⬈ ▤ ✂❼⬩✗⬩➲⇳🕒♐✂ ④🡐⌑⇳❸♐✍⬈◻♍♇ ﴾ [النمل:٥٩]، وقريبٌ من التخلصِ فنٌّ يُعرف باسم (فصل الخطاب) وهو اقتضابٌ محمودٌ يُفصل بين قسم وقسمٍ آخرٍ باسم الإشارة (هذا) أو (هذا ذكرٌ) أو (أما بعد) مما يُشعر بالانتهاء من الكلام على القسمِ السابقِ للبدءِ، ومن مظاهرِهِ في التعبيرِ القرآني ما جاء في سورةِ (ص) التي بينت ثلاثة أصناف من الرُسل، قد يلحقُ بهم المحسنون والأبرار[2].

الصنف الأول: الأوّابين، والأوَّابُ : هو الراجعُ إلى الله تعالى بتركِ المعاصي وفعلِ الطاعاتِ[3]، قال تعالى : ﴿أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾، وقال تعالى : ﴿ ⌘☠⬃➔♎✡ ♦⬉⚇✂◻◻◻🕮 ▦🕛🡐❍✸✡♐◗ ☎ 🡐⑨⬀🖮⬕➔⬂♒♐✂ ﴾ [ص:٣٠]، وقد عرضت السورة ثلاثة نماذج للأوّابين وهم : (داودَ وسليمان وأيوب عليهم السلام).

الصنف الثاني: صِنْفُ المصطفين الأخيار وهم في السورة (إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب عليهم السلام)، قال تعالى : ﴿ ⬀❷⬈✍⬂❶♐✂♦◻ ♦☹⬈♎♎🕒♦❷⬀🖭♐◗ ✎♐♦✡⬕⑨🕛♦🖮♎⬉ ❼⌧🖫▯◻⬆🕮 ⌘⚇◻➔◗⬃➔♦③♦◻ ♦🖳🕛⬕⬩⬄♒♐◗♦◻

---

(١) في ظلال القرآن : مج٤، ج١٣، ص٢٠٣٧.

(٢) يُنظر : البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٥٦٢.

(٣) ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٤٠.

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [ص:٤٥]،

والدليل على ذلك قوله : ﴿[illegible]
[illegible]
[illegible]﴾ [ص:٤٧].

الصنف الثالث: صِنْفُ الأخيار وهم رِتبةٌ توسطت بين المرتبتين السابقتين ممثلةً بأنبياء الله (إسماعيل، واليسع، وذو الكفل (عليهم السلام)، ﴿[illegible]
[illegible]
[illegible]﴾ [ص:٤٨].

وقد بيّن الله تعالى في خاتمةِ عرضِ هذهِ الأصنافِ أنهم مخصوصون بنعمةٍ من اللهِ بقولهِ تعالى : ﴿[illegible]
[illegible]﴾ [ص:٤٦]، منتقلاً بأداةٍ لغوية، وإشارةٍ سريعة تُهيء المتلقي لاستقبال معنىً جديد بقولهِ : ﴿[illegible]
[illegible]﴾ [صّ:٤٩]،

وقد التفت ابن الأثير إلى دور هذه الأداة اللغوية[١]، ((فكانت مفتاحاً ظاهرياً لتقسيم هذهِ الآياتِ تقسيماً دلالياً))[٢]، أعقبها بيانُ ما في الجنةِ من مظاهر النعيمِ الدائمِ وحالُ المتقين ومآبهم فيها، وسيستمرُ الوصلُ والفصلُ باسم الإشارة (هذا) في قوله تعالى : ﴿[illegible]
[illegible]﴾ [ص:٥٣]، ﴿[illegible]
[illegible]﴾ [ص:٥٤]، ﴿[illegible]
[illegible]﴾ [ص:٥٥].

---

(١) ينظر : المثل السائر : ٣ / ١٣٩.

(٢) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١٧١.

وفي الآية الخامسة والخمسين من سورة (ص) يظهرُ أثر الفصل واضحاً، فاتصالُ القولِ وتنافيه في الخطاب القرآني يعكس بنية التناسب والتوازي ضمن علاقاتٍ منطقية ففي هذه الآية اختلفت النقلة من وصفٍ لحالِ المتقين في جناتِ عدنٍ إلى الحديثِ عن الطاغين ومآبهم في جهنم، ووصف حالهم وما يذوقوه من حميمٍ وغساق؛ لذا استمر عمل الإشارةِ اللغوية (هذا) فعّالاً في إبراز الأثر البديعي لحُسن التخلص والفصل، وتبرزُ بنية براعة التخلص في قوله تعالى : [illegible] [المعارج:١-٤]، ذكرَ أولاً عذاب الكافرين، وأنه لا دافع له من الله، ووصفَ الله بذي المعارج تخلصاً، وهذا من لطائف التخلصات وأحسنها.

والجديرُ بالذكر أن بعض البلاغيين آثر إدراج فن (الاستطراد) ضمن البنية التناسبية لفن براعة التخلصِ؛ استناداً للعلاقة الواضحةِ بين المصطلحين، فالاستطراد: هو الانتقالُ من معنىً إلى معنىً آخر متصلٌ به، ثم يقصد بذكرِ الأولِ التوصلُ إلى ذكر الثاني(١)، مع التأكيد على أن بنيتهِ الأسلوبية تقتضي العودة إلى المعنى الأول بعد حدوثِ انقطاعٍ عنه مؤقتاً، وقد أوردوا العديد من الشواهد القرآنية مُعلقين عليها ببيانِ أوجهِ الفرقِ بين هذا الفنِ، وبين حُسنِ التخلّص، ففي قوله تعالى : [illegible] [الأعراف:٢٦]، نجد أن الحديث عن آدم عليه السلام وما بُدي من سوءتهِ وزوجهِ عندما زين لهما الشيطان تذوق

---

(١) يُنظر : العمدة : ٢ / ٣٢٧، والإيضاح : ٢٦٤، وخزانة الأدب : ١ / ٥٥.

الشجرة المنهي عنها، وبفعل الوسوسةِ الشيطانية انكشفت عورتهما، [illegible] [الأعراف:٢٢]، وكان الهبوطُ إلى الأرضِ هو الجزاء، فقد أنزلَ الله تعالى عليهما لباساً يستر عورتهما، وفي هذه الأحداث تُلمح انتقالاً مُفاجئاً من معنى اللباس الساتر للبدنِ إلى معنىً آخر متصل به؛ لمناسبة التوافقِ اللفظي وهو (لباسُ التقوى) المُفسر بقول الزمخشري : ((إظهاراً للمنّة فيما خُلِق من اللباس، ولما في العُري، وكشف العورة من المهانة والفضيحةِ، وإشعاراً بأن التستر بابٌ عظيمٌ من أبواب التقوى))(١)، ثم تعودُ الآياتُ ثانيةً إلى الحديثِ عن المعنى السابقِ ونفس الموضوع في قوله تعالى : [illegible] [الأعراف:٢٧]، وبذلك يتبين الفرق واضحاً بين (الاستطراد) و(حُسن التخلص)، فالاستطراد يعادُ إلى المعنى الأولِ المُنتقل عنهُ بعد بيانهِ وتوضيحهِ بأسلوبٍ مُفاجئٍ للمتلقي أما حُسن التخلص فهو انتقالٌ بلا عودةٍ ولا مُفاجأةٍ في البنيةِ أو الصياغةِ الكلامية؛ لأن المتلقي مُهيأ يترقبُ وينتظر ما قد يقع.

ومن شواهد الاستطراد في الذكرِ الحكيم قوله تعالى : [illegible]

(١) الكشّاف : ٢ / ١٥٠.

[illegible] ﴾ [لقمان: ١٣ – ١٦].

يكمن بديعُ الآيةِ فيما تحققهُ من عُنصرِ المفاجأةِ والمباغتة التي لم تكن متوقعة أو حاضرة الذهن عند المتلقي؛ لأنه مشغولٌ بعرضِ المعنى المسوق لهُ في الكلامِ فسرعان ما يتنشطُ الفِكرُ بالاستطراد، والانتقالِ من غرضٍ إلى غرضٍ آخر، ثم الرجوع إلى الغرضِ الأولِ وبذلك وفَّرَ للمتلقي فرصة الاستراحة، وتجدد النشاط الذهني، ففي هذه الآياتِ من سورةِ (لقمانِ) انتقالٌ مُفاجئٌ؛ لكنه واضحٌ وصريح يُلفت النظر إلى موقع الاستطراد من وصية لقمان لابنهِ إلى وصيّة الله تعالى لعبادهِ تجمعهما علاقة التناسب، ثم العودة مباشرةً إلى المعنى الأول والمتضمن وصية لقمان لابنه، ومثيل ذلك قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[المزمل: ١–٦].

ومثله قوله تعالى: ﴿ [illegible]

[illegible] ﴾ [الاسراء:٧٨ – ٧٩] .

فقد استطرد حين جعلَ قوله تعالى ﴿[illegible]﴾ وسطاً بين ذكر الليلِ، واستطرد ثانيةً حين وسَطَ قوله ﴿[illegible]﴾ بين ذكرِ أوصاف الليل وأحكامهِ، وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [هود:٩٥]، حيث تظهر بنية الاستطراد في لفظة (ثمود) بعد ذكر (مدين) وحال تكذيبهم الرسل في قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾، ومما يُحقق براعة التخلص قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾[المعارج:١-٤]، التدرجُ في الانتقالِ من فاصلةٍ معنوية إلى أخرى.

ثالثاً : حُسن الختام :

يطلق عليه البلاغيون تسمية (الانتهاء) و(براعة المقطع) و(الاختتامِ) وهو موضع مُهم من مواضعِ التأنقِ والبراعةِ وإظهار الحُسن في القولِ؛ لأنه آخر ما يطرقُ السمع، وهو ((آخرِ اللّمساتِ الناعمةِ المؤثرةِ التي تعلقُ في النفوسِ، وتسكنُ

عندها سُكونَ ارتياحٍ، وتظل لها ذكريات تُحرك النفوس بالشوقٍ إلى المزيد من الحديث))[١].

ومن الملاحظ أن مواضعَ التأنقِ أُحكمت ربطاً بعلاقاتٍ لا يمكن تجاوزها، فقد يوافقُ بدء الكلام المُفتتح به خاتمته تركيباً أو دلالةً، ولولا وجود هذه العلاقات المشتركة لاستحالت تلك المظاهر البديعية إلى صيغ اعتباطية متكلفة لا جدوى من وجودها أو عدمهِ؛ لذا فإن خواتم سور القرآن الكريم ليست أقلّ شأناً من فواتحه في بيانها وجمالها، وهو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد أُحكمت آياته كلها افتتاحاً وختاماً، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً.

فإذا تأملنا الختام في أي سورة من سور القرآن الكريم، نتلمس حسن الاختيار للفظ والمعنى، والدقة في ملائمة ما سبق وموافقة البدء المفتتح به، مع الأخذ بالحسبان مقياس المناسبة للسياق العام، وبذلك جاءت خواتم السور مثل فواتحها في الحسن ((فتضمنت المعاني البديعة مع ايذان السامع بانتهاء الكلام حتى لا يبقى معه للنفوس تشوف إلى ما يذكر بعد))[٢]، وهنا يتأكد أن لأسلوب الختام أغراضاً دلالية تجتمع في أُطرها منها :

١- الختام بالأدعية والوصايا.

كقوله تعالى : [illegible]

---

(١) البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٥٦٣، وينظر : الأساليب البلاغية في خواتيم السور القرآنية (رسالة ماجستير)، عباس حميد مجيد السامرائي، كلية التربية، جامعة الأنبار، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م : ص٧٣.

(٢) الإتقان في علوم القرآن : ١٠٧/٢.

[illegible]

[البقرة : ٢٨٦]، فالله جلّ وعلا أعظم من بدأ، وأبدع من ختم، كل سورة من سوره ختمت بأتم ختام، يشتمل على دلالات جمالية وفنية، ينتجها الأسلوب المتعلق بالسياق القرآني، ففي خاتمة سورة البقرة نتلمس الحسن البديعي المتضمن دلالة الدعاء والتضرع الى الله تعالى بمناجاته تكراراً للفظ (ربنّا)، الواردة في سياق الخاتمة، التي اظهرت تناسقاً مع التراكيب اللغوية المبينة دلالة الابتهال، طلباً للنصر على الكافرين.

وكذا جمال الدعاء وتناسبه مع البدء لحسن اللفظ وجزالته في خاتمة سورة نوح في قوله تعالى : [illegible] **[نوح : ٢٦-٢٨]**، وقوله تعالى : [illegible] **[الانعام : ١٦١-١٦٢]**.

وقد تضمنت خاتمة هذه السورة لوناً من ألوان التناسب التعبيري الذي يقتضيه التقرير الموضوعي؛ لبيان الوصايا العشر التي اختص بها سيدنا موسى عليه السلام التي ترد في السياق تفصيلاً لتشريعات عدّها العلماء والمفسرون قوام الدين كلّه[1]، مع

---

(١) ينظر : في ظلال القرآن : مج٣ ، ج٨ ، ص١٢٢٩.

تحقيق دلالةِ ربطها بالقضية الأساسية وهي قاعدة بناء العقيدة، فكانت خلاصةً لجميع التكاليفِ والفروضِ والحقوقِ التي يرتكزعليها السياق العام لهذه السورة.

وقوله تعالى في خاتمة سورة الأنبياء ﴿[illegible]﴾[الأنبياء:١١٢]، وقوله تعالى في ختام سورة المؤمنون ﴿[illegible]﴾[المؤمنون:١١٨]، انطوت هاتين الخاتمتين على وصيةٍ ودعاءٍ في إطار واحد، حيث تعلن عن الختام المناسب في اعقاب نقلات معنوية في سياق التعبيرين؛ لترسم مظهراً من مظاهر الإنابة والخضوع والتسليم والانقياد لله تعالى والاقرار بالبراءة من الاباطيل التي تصف بها الألسن جلال الله، وبدقة وانسياب عفوي تكشف الخواتم عن أسلوب الترابط الوثيق في كل مفاصل السورة مع التأكيد على التوافق والتلاقي بين المطلع والختام[1].

٢- الختام وبيان الفرائض وحقوق الأحياء من مال الأموات.

تختم سورة النساء المتضمنة تفصيلاً للأحكام والعلاقات الأسرية، والتكافل والتنظيمات الاجتماعية، بختام آية الميراث وأحكام وراثة الكلالة؛ استكمالاً لما جاء في السياق العام وعلى مدى مئة وست وسبعون آية، حتى ينهي القرار الشامل الجامع بـ((التعقيب القرآني الذي يرد الأمور كلها لله، ويربط تنظيم الحقوق والواجبات، والأموال وغير الأموال بشريعة الله))[2] في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ **[النساء : ١٧٦]**.

---

(١) ينظر : على سبيل المثال ما تضمنته خاتمة سورة آل عمران من وصايا.

(٢) في ظلال القرآن : مج٢ ، ج٦ ، ص٨٢٤.

٣- الختام بتعظيم الله والثناء علية والحث على التسبيح بحمده[1].

تأمل قوله تعالى في خاتمة سورة الصافات ﴿[illegible]﴾ [الصافات : ١٨٠-١٨٢] وخاتمة سورة الأعراف من قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [الأعراف : ٢٠٦]، وما جاء في خاتمة سورة يس من تسبيح في قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [يس : ٨٣]، وقوله تعالى في آخر سورة نزلت من القرآن الكريم كاملة ﴿[illegible]﴾ [النصر : ١-٣].

ختم التعبير القرآني حديثه بالتسبيح في ختام هذه الآيات، وفي ذلك إشارة إلى ما جاء في السياق العام، حيث تنتهي بوصفه -سبحانه وتعالى- بالتنزيه والتقديس وإجلال الله، وبضم الوحدات الدلالية المشار اليها في السياق الى بعضها تشكل ما يلفت الأنتباه الى التناسب الموضوعي، والترابط العضوي لكل مفصل من مفاصل التعبير فتشكل كلّ آية ((لبنة متميزة في بناء هيكل السورة))[2]، ويتأكد أن كل سورة

(١) ينظر : على سبيل المثال، خاتمة سورة الزمر، وسورة الاحقاف، وسورة الطور، وسورة النجم، وسورة الواقعة، وسورة الرحمن، وسورة الحاقة.

(٢) من بلاغة القرآن : ٦٤.

من سور التعبير القرآني ختمت بتراكيب جامعة خلاصة مختزلة لأمهات الموضوع الذي جاءت فيه، إذ طال شرحه وفقاً لمستويات اللغة باخراج قاعدة كلية مشتقة من صلب الغرض، مستوفية شروط البيان والبديع القرآني المعجز.

٤- الختام بمدح الرسول ﷺ والثناء عليه وبيان حرصه ورحمته بالمؤمنين.

في قوله تعالى : [illegible] **[التوبة : ١٢٨-١٢٩]**، الأحكام في القرآن تقترن بما يثير الوجدان؛ حتى تقبل النفس على العمل بها راضية مغتبطة، فانتهاء سورة التوبة ارتكازاً الى قاعدة التناسب، بما يقوي هذه القاعدة.

٥- الوعد بالجنة والوعيد بعذاب الله وغضبه.

مما يتصل بهذا المعنى أن أسلوب القرآن الكريم ينحى في خواتمه منحى السياق العام في المجيء بالفاظ عنيفة في مقام التهديد والوعيد، والفاظ جزلة عذبة في مقام الترغيب والتبشير، ومن أمثلة التهديد والوعيد ما جاء في خاتمة سورة المدثر في قوله تعالى : [illegible] **[المدثر:٢٦-٣٠]** ومن الملاحظ في هذا المقام استعلاء التعبير، وقصرالآيات، وجلالية الأداء بشكل يتأكد فيه أن عجيب نظمه لا يتفاوت على ما يتصرف فيه من الوجوه فموجة التعنيف تبدأ من أول أمر واردٍ في التعبير بلفظ (قمْ)، الى أن تصل الى قوله تعالى : [illegible] **[المدثر:١٧]** ومثله

قوله تعالى : [illegible] [المزمل : ١١-١٩].

تأمل التعبيرات في قوله تعالى : [illegible] [النبأ : ٢١-٣٠]، ومن الملاحظ ختام هذه السورة بصيغة الفعل المضارع الواقع في حيز النفي (فلن نزيدكم) ((وهنا ربما وهم َالواهمون أن جزاء هؤلاء مقصور على ما ذُكر فيما مضى من النص؛ ولكن هذا

الوهم مدفوع بالاستثناء إلاّ عذاباً))[١] وهذا يعني أن نفي الزيادة التي من جنس الرحمة وملاحقتهم بالزيادة التي من جنس العذاب وهذا من تبكيتهم وحسرتهم. وما جاء في خاتمة سورة (ق) من تذكير بالقرآن لمن يخاف وعيد الله تعالى [illegible] [ق : ٤٥].

أما فيما يتعلق بمقام الوعد[٢] فقد أختار البحث نماذج لصورٍ ثلاثة تبين حال المؤمنين في يوم الجزاء والثواب ومآ لهم في ذلك اليوم.

الصورة الأولى : تشبيه المؤمنين بالزرع :

قال تعالى : [illegible] **[الفتح :٢٩]** إنهم كالزرع الذي أخرج شطأه[٣] أي فراخه، فشدّ أزره، فصار من الدقة الى الغلظ، فأستقام على ساقهِ، وهذا المثل صورة مستوفية

---

(١) خصائص التعبير القرآني : ١/ ٢٦٨.

(٢) ينظر على سبيل المثال خواتم السور الآتية : سورة القمر : ٥٥، سورة الحديد : ٢٩، سورة المجادلة : ٢٢، سورة الأعلى : ١٩، سورة الفجر : ٣٠، سورة البينة : ٨، سورة الليل : ٢١.

(٣) يقال : أشطأ الزرع : إذا فرّخ، فالحبّةُ تخرج العشر، والسبع، والثماني من السنبل، الكشاف : ٢٣٨/٤؛ معاني القرآن (للنحّاس) : ١٢١٢/٢.

الاركان،موفيه بالغرض أحكم وفاء، ضربه الله لبدء أمر الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوى واستحكم، فهو تقوية للنبي ﷺ بمن آمن معه ((كما يَقوّى الطاقة الأولى من الزرع ما يحتفُّ بها مما يتولد منها حتى يعجب الزُرَّاع))[1]، ودلت (الفاء) العاطفة المتتالية في قوله تعالى : ﴿ 📖□⌘✍❷♦●☒ ⅄☒⮌⇧★♦○🡐◐ ⊠🡑■🖬⇘⬄♦✌⬄🙠🙤🙤⬧⌑ ◐🡐■♦❻☒🙜🙤♦★⬧⌑ ⌑⬧🙤🙤🙠⬄☞♦□♦❽▤ ﴾ على سرعة انتشار الإسلام واستقراره، كما شبه هذا الزرع في قوته ومراحل تدرجه في النمو وفقاً لسنن الطبيعة بالإسلام، وكذلك بالرسول ومن معه ممن ناصروه وقووه حتى ازدادوا نماءً وقوةً مما يغيظ الكفار والمنافقين؛ لانهم إذا سمعوا بما أُعدّ للمؤمنين في الآخرة ازدادوا غيظاً وحسرة على ما أعزهم به الله تعالى في الدنيا[2]. وعلى هذا النسق كانت أبرز تشبيهات القرآن وتمثيلاته في جانب وعد المؤمنين أو وعيد الكافرين[3].

الصورة الثانية : وصف حال أهل الجنة ونعيمها[4].

جاء في خاتمة سورة الدخان قوله تعالى : ﴿ ◑⧫♌□ ...
[illegible]
... ﴾

---

(١) الكشّاف : ٢٣٩/٤.

(٢) ينظر : المكان نفسه.

(٣) صوّر التعبير القرآني حال الكافرين وأعمالهم بصورٍ شتى منها: ١–السّراب والظلمات في سورة النور : ٣٩–٤٠، ٢–ريح فيها صرّ في سورة آل عمران : ١١٧، ٣–ريح ورماد في سورة إبراهيم : ١٨ والبقرة : ١٩، ٤–هباءً منثوراً في سورة الفرقان : ٢٣، ٥–الحجر الأملس عليه مطر شديد في سورة البقرة : ٢٦٤.

(٤) ينظر على سبيل المثال ما ورد في خاتمة سورة الرحمن، وخاتمة سورة الحشر، وخاتمة سورة الطلاق، وخاتمة سورة القمر.

⬀☠←♑✵◘⌂➔⬧♏◉ ⌂🖮♎☼☝✽❍♐◘♐🖏
⬄◘✍◗⬧✍⬀❻☝☝⬧▫ ⬙♐♎⬀ ⬧♌❐⬉❷·🗎⌧⓿⧫☞⧫③
♐◗ ⚐←♑✵☼♐◗ ✋⬀❷❿☆ ⬀⬀⬧⬁✍◗⬧✍⬀❷❿ ⬀ ⧫♌❐←🖮✍◗⬧ **[الدخان:٥١-٥٩]**، يرى الزمخشري أن التعبير القرآني في هذا المقام سوغّ ورود الألفاظ الأعجمية مثل : السندس، والإستبرق[1]، وعدّها من المُعرّبِ، وهذا لباس أهل الجنة، أما هيئة جلوسهم فيها فهي التقابل، وأزواجهم فيها من الحور العين، بإضافة الحور الى العِين، والمعنى بالحور من العين؛ ((لأن العِينَ، إما أن تكون حُوراً أو غير حور))[2]، يُضاف الى ذلك أنهم لا يذوقون فيها الموت أبداً، والسرُّ في استثناء الموته الأولى المذوقه قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها ((أن الموتة الأولى مُحالٌ ذوقها في المستقبل))[3]، فهذه الآيات تختم ما جاء في السياق العام بأسلوب متناسب، يشير مجملاً الى نعيم الجنة، وتفصيل ألوان النعيم فيها.

الصورة الثالثة : وعد الصادقين لصدقهم بالرضا.

⬉⚐⬀❑⧫③ ✂⌧⓿⌚⌂♎ ✦✏☝✂ ⧫✌☝⬧🔔⬀
🗐 ⬀☠←♑➔🔔⇳⑨♎🔔♎⑨⌚❍⌚♏☝✂ ⧫✗✓♎🔔♎⑨⌚❍⌚♏☝✂ ←⬈⌧▦☪⧫③
♊♎✋ ❽▩❷⬂♑❑✋ ⮜❖✲⌚❑✡⌂♉ ⬀☠←●❍🖮
⬉❷⌚⌂♑⬃☼☞✽☝✂ ☝⌂♑♎☞⬂⧫❑✋
🗐 ✂✡⑨⧫✐❑🕮 ✏☝❑✐❸♎▫ ⧫✗⬄♎☝♐✂⌚⌂⌘
☎✂❑➔⬂⧫❻⧫❑ ⬀☠⬋✐⬃❁⧫⬉ ✦✏☝✂ ⌘✍⬁▩▪❻
⬉♾⬀❑⌧▦⬂♏☝✂ ⌂🖮♎♏⌚⬧❶ 🗐 ←❍⬃☪⧫⬉
➔🖮▫◘⬉✋ ★✏ ⬙⬂⬂✍⬀ ⬉☹⬈♎➔⌂➔⬂♏☝✂
☝⧫✋⧫❑ ⬙⮟⬀❻☞✽☝✂⧫❑ ♎☠⌚⧫❑⌚⌂☺❍❍♏☝✂
⬀♏⬊⬈✐ 🗐❼■✍⧫⬉ ⧫❑➔♎⧫❑ 🗐 ⚈♊✍✐❸♎▫
⬀ 🖮❷③♎⑨⬧🔔 🕮⬈⬄✍⌧★

[المائدة:١١٩-١٢٠] في وعد الصادقين جاء الحديث في القرآن الكريم مقترناً بالرضا.

٦- الختام بالحث على الجهاد في سبيل الله.

---

(١) قيل السندس ما رقَّ من الديباج، والاستبرق ما غلظ منه، وهو تعريب (استبر)، والتعريب معناه أن يُجعل اللفظ عربياً بالتصرف فيه وتغييره عن مناهجه، وإجرائه على أوجه الإعراب، الكشاف : ١٨٣/٤.

(٢) الكشاف : ١٨٣/٤

(٣) المصدر السابق : ١٨٤/٤.

جاءت فاتحة سورة (الأنفال) متضمنه هذا الغرض في قوله تعالى :

[illegible] **[الأنفال : ٧٥]**، وخاتمة سورة (العنكبوت) في قوله تعالى : [illegible] **[العنكبوت : ٦٩]**. وهنا نلحظ المناسبة بين فواتح السور وخواتمها؛ لتضمن السياق هذا الغرض، فقد افتتحت سورة (الأنفال) بذكر النفل[١]؛ لأنها من فضل الله تعالى وعطائه، وهي جزء من مغانم الحروب؛ لذا ناسب اسم السورة ومطلعها ما جاء في ختامها. كما افتتحت سورة (العنكبوت) بالغرض نفسه في قوله تعالى : [illegible] **[العنكبوت:٦]**، مع ملاحظة مناسبة خاتمة هذه السورة لمفتتح السورة التي تليها[٢]، فلا يخفى على المتأمل شدة التناسب؛حتى كأنها وحدة متكاملة تصدر حقيقة واحدة ذات سمَّاتٍ متعددة.

٧- الختام بالوعظ والتذكير والحث على الوحدانية.

القرآن يتأنق في اختيار الألفاظ، ويستعمل كلاً حيث يؤدي معناه في دقة فائقة تكاد تؤمن معها بأن هذا المكان إنما خلقت له هذه اللفظة دون سواها[٣] ، قال تعالى

---

(١) النفل : الغنيمة، وهي ما ينفله الغازي أي يعطى زائداً على أسهمه من المغنم؛ لأنها من فضل الله تعالى وعطائه، ينظر: الكشاف : ٢/٢٣٢.

(٢) ينظر : سورة الروم : الأيات ١– ٥.

(٣) ينظر : من بلاغة القران : ٥٧.

في خاتمة سورة الأعراف واعظاً الإنسان يذكره بعدم الغفلة [illegible] [الأعراف : ٢٠٥]. وقال تعالى في خاتمة سورة يونس [illegible] [يونس : ١٠٤- ١٠٩] وقال تعالى : [illegible] [إبراهيم : ٥٢].

اشتملت خواتم السور القرآنية على الدلالات الآتية :

١- قانون التناسب بين التعابير يعكس الروابط الوثيقة بين الألفاظ ومعانيها، ويعتمد على الجمع بين الأغراض المتعددة، فيمزج بينها مزجاً فنياً مقصوداً.

٢- روعة الإنسجام والتلاحم بين مقدمات السور وسياقاتها العامة، وحسن الربط بين اطراف الخطاب دون تفاوتٍ أو تباين.
٣- اقناعها للعقل وامتاعها للعاطفة في إطارٍ واحدٍ.
٤- استثمار أقل الألفاظ وأوجزها لأبلغ المعاني وأشملها.
٥- اثراء القيمة البيانية والبديعية للتعابير القرآنية بما يبرز العلاقات الترابطية بين الشكل والمضمون، مما يظهر الكمال اللغوي لهذه التراكيب.
٦- وضع الفواصل الدقيقة في نهاية كل آية بما يناسب اللفظ والمعنى.
٧- التلطف في تحريك المشاعر ومخاطبة الإحساس في صورةٍ تألفها النفس، وتنساق إليها فيصور المعنى تصويراً معنوياً دقيقاً بالتنقل به من شأن إلى شأن.
٨- اشتمالها على الحقيقة والمجاز، والخطاب، والتكرار، والتشبيه، والوصف، والمدح، وغيرها من الأغراض البلاغية المتعددة.
٩- وضوح المقاصد العامة وشدة ارتباطها بالنظم القرآني من مبتداه الى منتهاه.
١٠- شكلت أساليب ترابط الكلام الواحد ثلاثية متكاملة الأبعاد تتغلغل في عمق النص؛ لتؤلف حالة من التمازج والتلاحم الدلالي والصوتي والتركيبي.

إن الوظيفة الجمالية إضافةً إلى المعنوية تُعدّ أساساً في عملية الترابط القولي التي يتحدد بها الأسلوب، فمواضع الإبداع والحُسنِ في القولِ ليست تزويقاً لفظياً؛ بقدر ما هي عناصرٌ جمالية وفنية يتطلبها جوهر الكلام، تتجه إلى إبراز أثرها الواضحِ في إطار علاقاتها المفترضة التي تشكل بنيتها الكبرى؛ لتستوعب أكبر قدرٍ من التراكيب والدلالات.

والمتأمل لنظم القرآن الكريم يُدرك الطبيعة التركيبية لأسلوب الانتهاء في الكلامِ، فهو من الخفةِ والعذوبةِ البديعية التي لا تقتصرُ على الحروفِ ومخارجها وترتيبها وقربها؛ وإنما مراعاة المضمون والسياقِ الدلالي من خلالِ ظلالها الموحية مؤذنة بالغايةِ المقصودةِ؛ فكما أن ((حُسن الافتتاح داعيةُ الإنشراح ومطية النجاح))[1] فإن لطافة الخروج والتخلصِ تُريح السامع وتجعلُ الكلام متماسكاً مقترناً ببعضهِ، ((وخاتمةُ الكلامِ أبقى في السمعِ، وألصقُ بالنفسِ؛ لقُربِ العهد بها؛ فإن

(١) العمدة : ١ / ٢١٧.

حَسُنت حَسُنَ، وإِنْ قبحت قَبُحَ))[١]، وبذلك فإن أسلوب الانتهاءِ هو العمدةُ في الكلامِ، الكلامِ، مشروطاً بتمامِ اللفظِ والمعنى، جامعاً لمضمون القولِ باللفظِ القوي الجزل والصياغةِ المتكاملةِ.

(١) المكان نفسه.

المبحث الخامس : مُنجَز الفاصلة في التعبير القرآني :

أولاً : (السَّجْع والفاصلة – جدلية التسمية) :

تحتاج الممارسة التطبيقية لظاهرة أسلوبية كالسجع، العودة إلى جذوره في التراث العربي؛ للإفادة من ملامحه اللغوية في الكشفِ عن مظاهر التعبير ومواطن الإبداع، والوقوفِ على دقائقِ أغوارهِ وبيان منبعِ الحسنِ في تركيبهِ، إذ أنه ليسَ مجرد جمع بين فاصلتين متفقتين في حرفٍ واحدٍ، ولو كان هذا الأمر فحسب لسهل على الكثيرين الإتيان به والإبداع فيه؛ بل هو مظهرٌ من مظاهر الإعجاز البلاغي الصوتي التي تجلت في أبهى صورها في النظم القرآني، وهو سمة أسلوبية من سمات التعبير القرآني لهُ قواعدهُ وتقنياته الخاصة.

إن تتبع المسار التاريخي لهذا الفن يؤكد أنه موغلٌ في القدم ظهوراً في الكلام العربي، ممتدٌ في تاريخ النتاج الأدبي؛ لانتمائهِ إلى بدايات العصر الجاهلي ممثلاً بسجعِ الكهنةِ والخطب والأمثال الجاهلية وصولاً إلى المقامات والرسائل، فهو من أبرز المظاهر البديعية شيوعاً في التراث النقدي والبلاغي العربي، وفي التعبير القرآني على وجه الخصوص، لهُ بنيتهُ البلاغية الشاملة المؤسسة لمنظومةٍ من المفاهيم داخل التراث البلاغي.

تدل مادة (سَجَعَ) اللغوية على الاستواء والاستقامة والاشتباه فـ((السين والجيم والعين أصلٌ ثابتٌ يدلُ على صوتٍ متوازن))[١]، يحمل النغم المتكرر في معانيهِ خاصية التوازن الصوتي المتشكل من هديل الحمام، والحنين المتشابه في صوت الناقة، وصوت القوس الذي يماثل ترنم النحل[٢].

أما المفهوم الاصطلاحي للسجعِ، فمن خلالِ رصدِ وملاحظة ما جاء في كتب البلاغة العربيةِ نؤكد إجماع البلاغيين على أن المقصود بالسجع هو التوافق المنوط بنهايةِ الفواصل المتماثلة في الحرف الأخير، التي تمثل السكتة الدلالية الطبيعية في الأداء اللغوي، المتأتية عن طريقِ حركة المعنى التي يطلقها الذهن من

---

(١) مقاييس اللغة : مادة (سَجَعَ).

(٢) ينظر : لسان العرب : مادة (سَجَعَ).

خلال تحويلها إلى صوتٍ محسوس[١]، يقول ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) السجع هو ((تماثل الحروفِ في مقاطع الفصول))[٢]، في حين يحدّهُ ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) بأنه ((تواطؤ الفواصلِ في الكلامِ المنثور على حرفٍ واحدٍ))[٣]، ويوافقه النهج القزويني (ت ٧٣٩هـ) في النظر إلى تواطؤ الفاصلتين في النثر على حرفٍ واحدٍ بأنها من المسجوعِ[٤].

وقد أجمعت المفاهيم الاصطلاحية على اشتراط السجع ضوابط جوهرية قائمة على التوافق والتماثل في الحرف الأخير من الفواصل، متجاوزة النظر إلى معيارٍ مهم هو – الوزن[٥] –، فقد كثر تداوله في تعريفات بعض البلاغيين الذين أدخلوه ضمن حدودِ السجع في محاولة لتحديد مجال التشابه بين السجع والقافية، حين أفرد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) مادة (سجع) الاصطلاحية عن طريق احالة التعريف إلى مفهوم المشابهة تقريباً لذهن المتلقي بقولهِ : ((سَجَعَ الرجل إذا نطق بكلامٍ له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن))[٦]، فأطلق عبارة (من غير وزنٍ) إشارة إلى أن الاتفاق في الوزن جائز وليس مشروطاً، علماً أن الأمثلة التي أوردها في الغالبِ متفقة في الوزن كقولهِ : (لصُّها بطلٌ وتمرُها دقلٌ إن كثر الجيشُ بها جاعوا، وإن قلّوا ضاعوا)[٧]، وقد سارَ على نهجهِ كُلّ من الرماني[٨] (ت ٢٩٦ – ٣٨٦هـ)، والرازي[٩] (ت ٦٠٦هـ) حين ساقا شواهد قرآنية متفقة من حيث الوزن؛ دلالةً على أن نفي معيار الموازنة جاء على سبيل عدم الاشتراط كقوله تعالى :

---

(١) ينظر : البديع، دراسة في البنية والدلالة : ١٩١.

(٢) سرُّ الفصاحة : ١٧١.

(٣) المثل السائر : ١/ ٢١٠.

(٤) ينظر : الإيضاح : ٢٩٦.

(٥) المراد بالوزن هنا الوزن العروضي ومتعلقاته المعروفة في علم العروض من أسبابٍ وأوتادٍ وفواصل.

(٦) كتاب العين : مادة (سَجَعَ).

(٧) ينظر : المكان نفسه، وأورد الجاحظ في بيانه قول أعرابي قدم من السِّند واصفاً إياها : ((ماؤها وِشلٌ، ولصُّها بطل، وتمرها دَقلٌ، إن كثر الجيش بها جاعوا، وإن قلوا بها ضاعوا))، البيان والتبيين : ٢٨٥/١.

(٨) ينظر : النكت في إعجاز القرآن : ٩٧.

(٩) ينظر : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : ٦٨.

﴿[illegible]﴾ [الغاشية:١٣-١٦].

وقد أكد أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) هذا المعنى بقولهِ ((ينبغي أن تكون الفواصل على زنةٍ واحدة، وإن لم يمكن أن تكون على حرفٍ واحدٍ، فيقع التعادل والتوازن))[١]، في حين اكتفى السكاكي (ت ٦٢٦هـ) بالقول ((الأسجاع : وهي في النثر، كما القوافي في الشعر، ومن جهاته الفواصل القرآنية))[٢]، وقد صاغ ابن الأثير[٣] (ت ٦٣٧هـ)، والعلوي[٤] (ت ٧٤٩هـ)، مفهوم السجعِ انطلاقاً من اشتراط التماثل الحرفي والاتفاق الوزني زيادةً على التزام الاعتدال؛ لأنه مقصدٌ من مقاصد العقلاء، وقد أسهمت تلك المعالجات في إنعاش مفهوم السجعِ وإمدادهِ بروافد قصدية كالموازنة والمماثلةِ وذلك بنقلِ الكلامِ من صورٍ نثريةٍ إلى ممارسةٍ إيقاعية مميزة تبحث في إعجاز النظم القرآني المستند إلى قاعدةٍ ثابتة هي (التكرار الحرفي) وما يرافقها من توافق الفاصلتين في الحرفِ الأخير منها، وقد أتخذت تلك المعالجات من التنويعات الشكلية المتماسةِ مع الدلالةِ مجالاً للرصدِ في كثير من المؤلفاتِ؛ لكنّ بعضاً من التوجهات البلاغية الباحثة في إعجاز القرآن بخاصة رفضت التسليم بوجود السجعِ وإطلاقِ تسميتهِ، على الرغم من حضوره الفاعل في التعبير القرآني، محتجةً بنهي الرسول ﷺ في حديثه المأثور[٥]، واتخذت تلك التوجهات مصطلح

(١) كتاب الصناعتين : ٢٣٦.

(٢) مفتاح العلوم : ٥٤٢.

(٣) ينظر : المثل السائر : ١ / ٢١٢.

(٤) ينظر : الطراز : ٣ / ٢١.

(٥) نص الحديث في صحيح مسلم، المروي عن أبي هريرة ﷺ، قال : ((اقتتلت امرأتان من هذيل فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ فقضى رسول الله ﷺ أن دية جنينها غُرّةٌ، عبدٌ أو وليدة، وقضى بدية المرأة على عاقلتِها، وورَّثها ولدها ومن معهم، فقال حَمَلُ بن النابغة الهذلي : يا رسول الله كيف أغرَمُ من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل، فمثل ذلك يطل. فقال رسول الله ﷺ : إنما هذا من أخوان الكُهَّان، من أجل سجعه الذي سجع))، صحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديّات، باب ديّة الجنين، حديث رقم (١٦٨١)، ص٤٣٧، وقد وردت في كتب اللغة والأدب والبلاغة روايات متعددة تنهى عن السجع، مثل : ((إياكم

(الفاصلة) بديلاً عن السجعِ، مما يقطع كل أواصر الترابط بين النص القرآني وفنون القول الجاهلية، فقد نظروا إلى السجع القرآني من زاوية ضيقةٍ يتساوى فيها كلام الله تعالى مع كلامِ البشر مما أدى إلى ذمهم إياه، لاعتقادهم بنفيه للإعجاز في النص القرآني، فكانت حجة النفي مستند إلى أن المعاني في السجع تابعة لهُ في حين أنها في الفواصل متبوعة[1]، لذا أرادوا تنزيه القرآن الكريم عما يتعارض مع نظمهِ، فأطلقوا رعاية الفاصلة تأدباً وتوقيراً لكلام الله تعالى ومناسبة لقوله تعالى : ﴿✍☝♦🕐■↖ 🕮↑○⇧▤⇖☺⊠*●⇧ ↗◆✂③♦🕐✍←○←⊕ ⚐➔⚉▪ ▫➔🕐♉⇖■■*●⇧ ✌♉Ⅱ ✍⅄✍➔ℓ⇗ ○⊠▤⇖⑩⚐✌ ⌘⊠⌨♉❷❸✌﴾ [هود:١]، وقوله تعالى : ﴿✍☝♦🕐■♉ ▫➔🕐♉⇖■■*●⇧ ↗◆✂③♦🕐✍←○←⊕ 🔔➔❷⇗↗◆✂☼🕐✍ ↖◆❷◆✍♉⓿✽✍ ◉♉♉◐⬩□⇗✈▯ ③♦➔⇧■■☺←□ℓ♦⊕﴾ [فصّلت:٣].

في الوقت الذي أثبت فيه عدد غير قليل من علماء البلاغة[2] عراقة هذا الفن وأصالتهِ في كلام العربِ وأدبهم، وأن قضية السجع القرآني تتأتى من أن كلام الخلقِ لا يجري مجرى القرآنِ فلكلٍ أسلوبهُ وبنيتهُ الخاصة.

والذي نذهبُ إليه أن كلام الله تعالى أرفعُ من أن يُجارى، وأن ممازجتهُ بين الحُسنين اللفظي والمعنوي هي المنطلق الذي تُراعى فيه الألفاظ بما يتناسب مع

وسجع الكهان))، لسان العرب : مادة (سَجَعَ)، ((أسجع كسجع الجاهلية؟))، البيان والتبيين : ٢٨٧/١، وإعجاز القرآن (للباقلاني) : ٥٨، و((أسجعاً كسجع الكهان؟))، كتاب الصناعتين : ٢٣٤.

(١) على رأس النافين لوجود السجع القرآني الرماني، (ت ٣٨٦هـ) القائل : ((الفواصل بلاغة، والاسجاع عيب))، النكت في إعجاز القرآن : ٩٧، والباقلاني (ت ٤٠٣هـ) القائل : ((الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها افهام المعاني))، إعجاز القرآن : ٢٧٠، وقد أكد الدكتور فاضل عبود التميمي رؤية الباقلاني للفواصل على أنها : ((حروف تقع متجانسة وأخرى متقاربة، لا علاقة لها بالقوافي والأسجاع))، إعجاز القرآن للباقلاني، منهجه ومسائله، وإشكالية بديعهِ : ٧٤.

(٢) منهم الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) وأبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) وابن سنان الخفاجي (ت ٤٤٦هـ)، وضياء الدين ابن الأثير (ت ٦٣٧)، ويحيى بن حمزة العلوي (٧٤٩هـ)، وآخرين.

المقام، فالنظم القرآني لا تُساق فواصلهُ لمجرد رعايته الشكلية للرونق اللفظي؛ بل لمقتضياتٍ معنوية تتناسبُ مع نسقِ الفواصلِ وإيقاعها.

ومن هنا يمكننا القول إن السجع القرآني ظاهرةٌ أسلوبية بديعية تستند إلى تقنياتٍ صوتية دلالية لا يمكن الإخلال بها، فهي الأداة الفاعلة ذات الهيمنة الواضحة في نسيج النص، وهنا ينتفي التعارض الاصطلاحي مع رعاية الفاصلة؛ لأن ((ما من فاصلة قرآنية إلاَّ وسياق الآية يقتضي لفظها ومعناها، إذ لا يسهل في النظم الكريم أن يقع مكانها سواها))[1]، فتقوم على أساس ذلك تشكيلات التوازنات الصوتية داخل النص من خلالِ حركةِ المعنى بما يتوافق مع حركة البنية المرتكزة على سكون الإعجاز، فالوقوف بالسكون على آخرِ حرفٍ من الفقرةِ أساس لا يمكن تجاوزه في بنية السجع، والإخلال به يخرجهُ من حكمهِ البلاغي إلى حكم الإعراب، لأن الإعراب يُفسدهُ[2]، فالسجع بمجملهِ يُبنى على التماثل في الفواصل في الحرفِ الأخير من الجمل أو العبارات، ويلحظ الملمح الأسلوبي لهُ من خلالِ تلازم الإيقاع الصوتي مع الجانب الدلالي بشكلٍ متوازٍ يكسبهُ مُقاربة بديعية بين طبيعة اللغة التي يرد فيها واللغة الشعرية[3].

ويبدو أن اطلاق مصطلح الفواصل القرآنية أنسبُ وأشمل لما لهُ من بُعد عن مواطن الشبهةِ وتجنب المحاذير التي كثر جدال العلماء فيها قديماً وحديثاً، زيادة على ما فيه من تقديسٍ للخصوصية القرآنية في التعبير، على الرغمِ من أن مصطلحات (السجع، والقافية، والفاصلة)[4] بالمفهوم الفني ذات معنى واحد لغير المسلم، بيد أن هذا المصطلح أخذَ بُعداً عقدياً يرتبط بتنزيه القرآن الكريم من مخلفات الجاهلية، وجرى على ذلك حتى على مستوى الشكل، وكأن بعض العلماء أغفلوا

---

(١) البيان القرآني : ١٥١.

(٢) ينظر : الإشارات والتنبيهات : ٣٠٠.

(٣) ينظر : البديع، دراسة في البنية والدلالة : ١٩٢.

(٤) يبدو أن مما تواضع عليه جمهور علماء البلاغة والتفسير : أن نهاية البيت الشعري تسمى قافية، ونهاية جملة النثر تسمى سجعاً، ونهاية الآية القرآنية تسمى فاصلة، قال الزركشي : ((الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر، وقرينة السجع))، البرهان في علوم القرآن : ١/ ٥٣، الإتقان في علوم القرآن : ٩٦/٢، وتختلف الفاصلة عن القافية في بعض أمور، ينظر : من بلاغة القرآن : ٧٤.

إفادة القرآن الكريم من الفطرةِ التي جبلها الله تعالى في أهلِ هذا الدين، وهذا يعني عدم تحرجنا من إطلاق لفظة (السجع) على آيات القرآن الكريم شريطة وعينا الدقيق بـ((قيمة التآلف اللفظي والايقاع الصوتي لهذا النسق الباهر الذي نجتلي فيه فنية البلاغة، وتأدية المعنى بأرهف لفظٍ وأروع تعبير وأجمل إيقاع))[1].

ثانياً : معايير جودة السجع في الميزان النقدي والبلاغي.

اتفق النقاد والبلاغيون عند الوقوف على آثار هذا اللون من البديع في الدراساتِ والمؤلفات العديدة، على أن حُسن السجعِ محكوم بأصولٍ لابُدّ من مُراعاتها والتقيد بها، يقول ابنِ سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) : ((والمذهب الصحيح أن السجع محمود إذا وقع سهلاً متيسراً بلا كلفة ولا مشقة، بحيث يظهر أنه لم يقصد في نفسه، ولا أحضره إلاَّ صدق معناه دون موافقةِ لفظهِ))[2]، مُسترسلاً في وضعه للمعايير البلاغية التي يُقاس بها جمال السجعِ وجودته بما جاء لأجله ((ولا يكون الكلام الذي قبله إنما يتخيل لأجلهِ، وورد ليصير وصلة إليه فإنّا متى حمدنا هذا الجنس من السجع كُنا قد وافقنا دليل من كرهه))[3]، فلو استثمرنا لفتة ابن سنان الخفاجي، لوجدنا إشارة في غايةِ الدقةِ والإيجازِ إلى أن مقياس جودة السجع وبلاغتهِ ترتبطُ بإرسال المعاني على سجيتها من دون تكلّف يورث الملل والزّلل، وقد كان الشيخ عبد القاهر الجرجاني كثيراً ما يُحذر من هذا الأمر، يعني – التكلف – ويتعهد طالبه بالنصحِ تجنباً للخطأ والذم[4].

وقد تنبه الزمخشري إلى حسن السجع إزاء وقوفهِ على قوله تعالى : ⦃□◆♉⊙⇖⊘✍⇐①♣ ✌♌♊ ∞🗠⌨♦✉◎ ✍🏹♈♦⌛♦✉💻

---

(١) الإعجاز البياني للقرآن : ٢٥٨.

(٢) سرُّ الفصاحة : ١٧١.

(٣) المكان نفسه.

(٤) ينظر : أسرار البلاغة : ١١.

③♦◑◈✓✗✌﴾ [النمل:٢٢]، ملتفتاً ومعلقاً : ((وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ بشرط أن يجيء مطبوعاً))[١].

وقد استطاع ابن الأثير[٢] أن ينفرد بزاوية طرح تتناول رصدَ الضوابطِ والمعايير من منظور مختلف، يبعده عن التكرار الحرفي المعزول في ختام كل فاصلة، إلى حيز أوسع يشمل نطاق التراكيب المسجوعة داخل النسق تبعاً للدلالات التي تفرزها، ويمكن إجمالها بأربعة معايير مهمة هي :

أولاً : دقة اختيار مفردات اللفظ المسجوع.

ثانياً : الاعتدال في مقاطع الكلام والبعد عن التكلّف.

ثالثاً : دقة اختيار التراكيب الملائمة للدلالة.

رابعاً : تبعية اللفظ للمعنى دون العكس.

وفي ضوء تلك الإجراءات اختلفت آراء النقاد والبلاغيين حول مسألة التكرار ووظيفته، وجعلوها واحداً من محذورات التركيب السجعي؛ لما فيه من تطويل، فقد اشترط ابن الأثير ((أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلتْ عليه أختها))[٣]، ويأخذ التكرار في التعبير القرآني مساراً إيجابياً؛ لأنه عنصرٌ حاضرٌ فيه كقولهِ تعالى : ﴿◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰ ◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰ ◰◰◰◰ ◰◰◰◰ ◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰ ◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰﴾ [القيامة:٣٤-٣٥]، وقوله تعالى : ﴿◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰ ◰◰◰ ◰◰◰ ◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰﴾ [الحاقة:١-٢]، وقوله تعالى : ﴿◰◰◰◰◰ ◰◰◰◰◰◰◰◰◰ ◰◰◰◰ ◰◰◰◰ ◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰ ◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰◰﴾ [التكاثر:٣ – ٤].

---

(١) الكشاف : ٣ / ٤٠٣.

(٢) ينظر : المثل السائر : ١ / ٢١٥.

(٣) المثل السائر : ١ / ٢١٥.

وجديرٌ بالذكر أن الخلاف حول وضع السجع موضع التكلفِ أمرٌ يخرجه من دائرة الحسن البلاغي المعنوي، وهو ليس بذلك؛ لأن التكلف ليس عيباً في السَّجْعِ وحده، فقد يلحق غيره من الفنون، وعلى هذا نخرجها جميعاً من دائرة الحسن الذاتي مما يُفقد البلاغة أصالتها وجمالها، فالخلل الفني ليسَ في أسلوب السّجْع بل في طريقة استخدامهِ على الوجه الصحيح، مما ينفي نسبته إلى عصور التدهور والانحطاط، وإثبات هيبته البلاغية استناداً إلى ورودهِ في التعبير القرآني حتى أن بعض سوره جاءت مسجوعة بأكملها(١).

ثالثاً : صور السَّجْع وأبعاده الدلالية والصوتية :

تفرض المفاهيم المقدمة لبنية السجع نتيجة حتمية لتعدد ألوانه في الأداء، ورصدِ أنماطها القائمة على التوافق، والتماثل في الحروف الأخيرة من الفواصلِ، وتمايزُ تلك الأنماط تبعاً للاتفاق الصوتي والوزني، وقد تمخض الرصد الأسلوبي، وتتبع المادة العلمية من مظانِّها، عن ثلاثة صورٍ رئيسةٍ للسجعِ هي :

أ- السَّجْع المطرّف(٢) :

هو اتفاق الفاصلتين في الحرف الأخير من دون الوزن، بأن يأتي المتكلم بأسجاعٍ غير متفقة في صيغتها الوزنية (الوزن العروضي)، لكن رويها هو روي القافية، وسُمي هذا النوع بالمطرّف لما تحققهُ الأطراف المتوافقة حرفياً من قيمةٍ إيقاعية، كقولهِ تعالى حكايةً عن نوح ﵇ : ﴿✌□♑︎♐︎ ✍︎♐︎♦︎▤↗︎✍︎↗︎ ♦︎♦︎ ✍︎♦︎❷↗︎♉︎↖︎□♌︎♦︎ ✏︎★ □◆♎︎♦︎✍︎❻✡︎✂︎ ✍︎☒︎➭➭ □◆♎︎♦︎⑨⇳ ❁♦︎■◑♦︎▤↗︎✍︎↗︎ 🕮□☪︎⇳□◆✂︎❻⏲︎✂︎﴾ [نوح:١٣-١٤].

وقوله تعالى : ﴿🕮□♐︎♦︎🏳︎⬄ ✞♦︎♑︎⬂︎➔◻︎✍︎✍︎ ✂︎✍︎❁☛❻↗︎♈︎◆ ✍︎♉︎♑︎◻︎⏲︎⑨✡︎✂︎ ✍︎♉︎⬲ □◆✂︎✍︎⌨︎♑︎⬂︎⬁♦︎⌨︎♦︎✌︎♦︎🕮□□⬀✍︎♦︎⑩✡︎✂︎﴾ [النبأ:٦-٧].

---

(١) ينظر على سبيل المثال : سورة الضحى، سورة العصر، سورة العلق، سورة الناس، سورة الإخلاص.

(٢) أطلق عليه ابن قيم الجوزية (المتطرف)، ينظر : الفوائد المشوق : ٢٢٦، البرهان في علوم القرآن : ١/ ٧٥.

فقد أحدثت فاصلة اقرنية الأولى اتفاقاً حرفياً من دون الوزنِ مع فاصلة القرينة الثانية (حرف الراء)، ومما يجب التنبيه عليه أن ألف الاطلاق أو هاء السكت تمثل علامات للوقف، لا حروفاً أصلية في بنية اللفظة.

ومن الملاحظ أن المعول عليه في القيمة الفنية للسجع هنا عدم التكلف والتصنّع حيث جاء موافقاً للمعنى الذي يستدعيه، فهو بذلك أداة تعبيرية لا غناء عنها في موضعها ولا بديل لها.

ب- السَّجْع المتوازي[1] :

وهو اتفاق اللفظة الأخيرة من القرينة مع نظيرتها في الوزن فضلاً عن الاتفاق في الحرف، كقوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ **[الغاشية:١٣-١٤]**، وقوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ **[آل عمران: ٤٨ – ٤٩]**.

يختلف هذا النوع من السجع عن السجع المتوازن وهو : ((أن يتفقا في عدد الحروف ولا يتفقا في الحرف الأخير))[2]، وقد أخرجه بعض العلماء من أقسام السجع لتجاوزه الحدّ المذكور[3]، وأدخلوه في المحسنات اللفظية[4]، ومثلوا لهُ بقولهِ تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ **[الغاشية: ١٥ –**

---

(١) ينظر : الفوائد المشوق : ٢٦٢، البرهان في علوم القرآن : ١ / ٧٦.

(٢) نهاية الايجاز في دراية الإعجاز : ٦٩، معترك الأقران : ١ / ٥٠.

(٣) ينظر : نهاية الايجاز في دراية الإعجاز : ٦٩.

(٤) عرّفه القزويني في حدود الانسجام الحاصل بين الفاصلتين من دون التقفية، وسمّاه (الموازنة)، ينظر : الإيضاح : ٣٩٨/٢.

١٦].

فالوحدات المسجوعة المتوازية في هذه الآيات أظهرت تناسباً في التشكيل البنيوي والعروضي، مؤكدة تبعيتها للمعاني دون العكس، كما يظهر في النصوص الكتابية الاخرى، مما يشيع التوازن الصوتي الناتج من عملية تقابل الفواصل وإبرازها في هذه الأنواع.

ج- السَّجْع المرّصع ويسمى مظهرهُ بـ (الترصيع)[1] :

وهو تساوي الأوزان مع اتفاق الاعجاز بحيث يكون المتقدم من الفقرتين مؤلفاً من كلماتٍ مختلفة، والثاني من مثلها في ثلاثة أشياء وهي الوزن والتقفية وتقابل القرائن، وقد عدّه بعض الباحثين بنية مستقلة متصلة ببنية السجع لقيامهِ على التوازن الصوتي بالموافقة بين الوزنين العروضي والصرفي؛ لأن بناءها يلتزم مظهرين :

الأول : القوافي الداخلية.

والثاني : التوافق الوزني بين الوحدات الصرفية المتقابلة.

وهذا المظهر من البديع كثير الورود في التعبير القرآني، حيث تجري معظم آياتهِ على أساس الوازي التقابلي كقوله تعالى : ﴿❍♌♐❍□ ▪☠➔⚐ ⛮✖♐⬀ ⬁☠⬋✂◆▯♋♦③♐❍ ✏♋◆☪⬂⓿⬧⬤♐❍ ❍♌♐□ ⬉♦▪▪⑩⬂☪◆♋ ❍⚭✿❍♋▯◆✂⬋☠﴾ **[الغاشية: ٢٥ – ٢٦]**.

وقوله تعالى : ﴿▫⧫▯⧫⧫□♋ ⬲⬧⬂⑩◆☺⚭⑩⚐⌘ ▫⧫☒⧫ ⬧⧫❍⬂♐⬜⬅♏⧫ ⧫□◆□□❑□♋ ⬲⬧⬂❍❍♋✏✶Ø⬧⧫ ▫⧫☒⧫ ⬩✍⬧✿◆⬀✂□❷⬁﴾ **[الضحى:٩-١٠]**، وقوله تعالى : ﴿❍♐❍♌□ ⬲♋❀☞⬁❷♦⬲♦❻◆ ⬤⬧⧫✂⬁❼ ☼♦➔⚭⑩⚐▯ ⬀▩⬀⬀ ❍□◆❍♐❍♌□ ⬲♋⬧⬂▦➔▽○♋❻◆ ⬤⬧⧫✂⬁❼ ♌□♦⚭⑩⚐▯﴾

[الانفطار:١٣-١٤]، وقوله تعالى: ﴿×♐❼ ⬃⬁⑨⇧❻⬤⬧

---

(١) الترصيع اصطلاحاً مأخوذ من المعنى اللغوي الدال على ترصيع العقد بأن يكون في مستوى اللآلئ الموجودة على الجانبين، ينظر : لسان العرب : مادة (رَصَعَ)، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ١٣٥/٢.

🖮⑩❑➔🙵☪□🖏 🖰☒▫🖬⬧⬬◆❑ ⬰🙘🙰🙯 🖮⑩❑➔🙵⬂③⦿🖎
🙯🙘🙵⬰ ❑◆⬬🙰♏♍🙮 🖏□☺⇳⑨⬬❑⑩🖮 ﴾ [الواقعة:٢٨-٣٠].

المتأمل في النصوص القرآنية يرى التماثل بين الوحدتين المتقابلتين وزناً وتقفية، فمع الترصيع تكون مقاطع الفواصل على روي واحدٍ مع اتفاق الوزن، بخلافِ التشطير[1].

ومن الملاحظ أن الترصيع عند بعض البلاغيين[2]، مشروطٌ بعدم خلو ألفاظ الفاصلتين منهُ؛ لذا قيل : ((ولم يجيء هذا القسم في القرآن العظيم لما فيه من التكلف))[3]، وبذلك أبعدوا أمثال الآيات السابقة من الترصيع وأكدوا أن ما فيها هو من باب التكرار، يُضاف إلى ذلك نظرتهم إليه في الشعر على أنها تعمق وتعسف في الصنعة، لافتقادهِ الطلاوة التي ترد في الكلام المنثور[4].

وإننا مع إجلالنا لعلمائنا الأوائل لا نميل إلى موافقتهم الرأي في إخراج الترصيع من قالبهِ إلى قالب التكرار، كما إننا لا ننفي وجوده في كتاب الله تعالى، إذا ما علمنا أن لبعضِ بلاغيينا[5] رؤية مختلفة عما ذهب إليه ابن الأثير والزركشي، في عدم إشتراطهم الصورة التقابلية بين الفاصلتين في كل ألفاظها، مما يؤكد أن في الترصيع توسيعٌ لقاعدة المتوازي حيث يمتد التوازي الصوتي والوزني ليستغرق كل ألفاظ التراكيب المسجوعة حتى يكون كل لفظ مساوٍ لما يقابلهُ وزناً وتقفية، في النصوص القرآنية المتضمنة هذا النوع من السجع[6]، كما هو موضح بالمخطط الآتي :

إنَّ ⇐ إنَّ

---

(١) التشطير : نوع من أنواع السجع يقتضي تمايزاً لكل شطرٍ في روي جزئيه يقع في قوافي الشعر، ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٢٢١/٢.

(٢) منهم إبن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، ينظر : المثل السائر : ٢٧٧/١، والإمام بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ).

(٣) البرهان في علوم القرآن : ١ / ٧٧.

(٤) ينظر : المثل السائر : ٢٧٨/١.

(٥) منهم قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ)، وأبو هلال العسكري (ت ٣٩٥)، ينظر : نقد الشعر : ٤٠، كتاب الصناعتين : ٢٣٤.

(٦) ينظر على سبيل المثال : سورة الانفطار : ١٤، سورة الصافات : ١١٨.

إلينا	⇐	الينا		
إيابهم	⇐	حسابهم		
لا تقهر	⇐	لا تبهر		
الأبرار	⇐	الفجار		
نعيم	⇐	جحيم		
سدر	⇐	طلح	⇐	ظلٍ
مخضودٍ	⇐	منضودٍ	⇐	ممدودٍ

ومع اتساع الإطار المفهومي لمصطلح السجع، اتسعت المساحة الرصدية لأشكاله ولكل ذلك مبرراته، حيث نلمح ألواناً عدلت بمفاهيمها على أن تكون بنية بلاغية مستقلة كالترصيع والموازنة والمماثلة[١]، وكل تلك المظاهر تحمل الفواصل وقعاً موسيقياً مرتبطاً عضوياً بالفكرة المعبر عنها منساباً في التراكيب قصد اللفظِ والمعنى معاً.

رابعاً: البنية النسقية للفاصلة القرآنية وإمكاناتها التعبيرية:

تتنوع الفواصل القرآنية[٢] تبعاً لمعايير أثبتها العلماء، منها ما يتحدد وفقاً للتشكيل المسافي بين السجعات طولاً وقصراً، وما يلحقه من مراتب تقسم في إطارها إلى درجاتٍ ثلاث : العليا، والوسطى، والمعتدلة، وكيفية الموازنة ينهما، وقد وظف التعبير القرآني هذه المعايير تبعاً للدلالة فتجري الفاصلة فيه وفقاً لنظام نسقي بنيوي قد يأتي ثابتاً أو متحولاً، لا يلتزم عدداً محدداً من الآيات، يتطلعُ للتجديد والتنويع بما يُفعِّل الكثافة الدلالية في الصياغة القرآنية ويُثري لمكاناتها التعبيرية، وعلى أساس

(١) إذا كان ما في إحدى القرينتين من ألفاظ مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن خُص باسم (المماثلة)، هي ظاهرة أسلوبية تجري في النظم القرآني على نسقٍ إيقاعي منسجم، وهي جزء من هذا النظام وركن من أركانه لفظاً ومعنى، فهي إذن إمارات تيسير الله تعالى كتابه للذكرِ والحفظ، ينظر : النظم القرآني في تفسير نظم الدّرر : ٢٩٣.

(٢) الفاصلة القرآنية : مصطلحٌ يطلق على آخر كلمةٍ تختم بها الآية، وسميت فاصلة لأنها موضع انفصال الكلام وانقطاعه، وفيها إشارة إلى البعد المكاني، يُقال : (يأتيك بالأمر من مفصله، أي من منتهاه)، المصباح المنير : ٨٣/٢، يسمي سيبويه (ت ١٨٠هـ) السجع (فواصل)، ينظر: الكتاب : ٤ / ١٨٤، في حين أطلق الفراء (ت ٢٠٨) على اللفظة التي ينتهي بها الكلام (فاصلة) أو (رؤوس الآي)، ينظر : معاني القرآن (الفرّاء) : ١٧٦/٢.

ذلك نلمح في هذا النظام الفريد أسلوباً متجهاً في أغلبِ السور إلى التغيير والتنويع وبذلك ((تأتي الفواصل في النظم القرآني لمقتضيات معنوية مع نسق الايقاع بها، وائتلاف الجرس لألفاظها التي اقتضتها المعاني على نسقٍ تتقاصر دونه بلاغة البلغاء))[١]، وهذا يعني عدم محدودية الفواصل في النص القرآني واتجاهها إلى توحيد القافية مما يسمح بوجود القوافي غير التامة التي تتجاوز فيه السجعة من حيث الطول جميع النصوص الكتابية الأخرى، إذا ما تجاوزنا إلى حدٍّ ما قصار السور المكية في ميلها إلى السجع القصير.

وعلى أساس ذلك يمكننا تقسيم الفاصلة بحسب الروي إلى أنواع ثلاثة هي[٢] :

أولاً : الفواصل المتقاربة[٣] :

وهي ما تقاربت حروف الروي فيها، فتماثلت صيغ النطق بها لتماثل أواخرها ((وتُكرَّر في السورة تكرراً يؤذن بأن تماثلها أو تقاربها مقصودٌ من النظم في آياتٍ كثيرةٍ متماثلةٍ، تكثر وتقل، وأكثرها قريبٌ من الأسجاع))[٤]، كتقارب حرفي الميم والنون في سورة الفاتحة بأكملها في قوله تعالى : ﴿✁✍✎☞ ☎✆✉✂✁ ✃✄ ✌✍✎✏✑✒ ✓✔✕✖ ✗✘✙✚✛✜﴾ [الفاتحة: ٣ – ٤]، وسورة الرحمن بأكملها، وسورة المؤمنون، وتقارب حرف الدال مع الباء في سورة ق بأكملها كقوله تعالى : ﴿✁✂✃✄ ✆✝✞✟✠✡☛☞ ✌✍✎✏✑✒ ✓✔✕ ✖✗✘✙✚✛ ✜✢✣✤ ✥✦✧★✩✪ ✫✬✭ ✮✯✰✱ ✲✳✴✵✶ ✷✸✹✺✻✼﴾

(١) البلاغة القرآنية : ١٠٢.

(٢) لم تلتزم فواصل القرآن العزيز حرف الروي دائماً التزام الشعر والسجع، ولم تهمله إهمال النثر المرسل، بل كانت لها صيغتها المتميزة في الالتزام والتحرر من الالتزام، فهناك الفواصل المتماثلة والمتقاربة والمنفردة، ينظر: الفاصلة في القرآن : ١٦٩.

(٣) أطلق الرماني هذه التسمية، ينظر : النكت في إعجاز القرآن : ٩٨، وتبعه الخفاجي في إطلاقه، ينظر : سرُّ الفصاحة: ١٧٢ ، إلاَّ أن ابن قيم الجوزية أفردها بتسمية خاصة وهي (ذات المناسبة غير التامة)، ينظر : الفوائد المشوق : ٨٨.

(٤) التحرير والتنوير : ١ / ٧٥.

[illegible] ﴾ [ق:٢٣-٢٥]. وفي سورة سبأ في قوله تعالى : ﴿ [illegible]

[illegible] ﴾ [سبأ:٤٩-٥٠]، وتقارب حرف الدال مع الجيم في سورة البروج كقولهِ تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [البروج:١- ٢]، وأمثلة ذلك في التعبير القرآني كثيرة[١].

إن المتتبع لسور القرآن الكريم يلتفت إلى الترابط الدقيق والتناسق العفوي في فواصلهِ ضمن علاقاتٍ صوتية تركيبية دلالية منذ بدء السورةِ إلى خاتمتها بالدرجة نفسها التي يلمحها بين كل سورةٍ مفردةٍ مع ما تلاها وما سبقها، وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنما يدلُّ على أهمية الفاصلة في إحداثِ تجاوبٍ بين الشكل والمضمونِ وما يسفر عنه من تأثير تنغيمي تُرسله الآيات على شكل شحنات مهيّأة للاستقبال، موافقة للإيقاع الداخلي الذي ينفذ إلى أعماق النفس؛ مما يؤكد أن تشكلات الحروف في بنية المقطع الصوتي تتحقق عندها مستويات الإفهام؛ لأن بنية الفاصلة مرتكزة على نظام توالي المقاطع[٢]، بما يحدثه من وحدة صوتية مع التعدد وفقاً للايقاع المتدفق مما يجعل الفاصلة عنصر ربط وجذب وتناسب داخل السورة بأكملها.

---

(١) ينظر على سبيل المثال : سورة (ص) حيث يتقارب فيها حرفي الدال والقاف، والباء والقاف، والباء والراء، وسورة (الطارق) حيث تقاربت أربعة حروف هي الباء، الطاء، الدال، الظاء، وسورة (العاديات) : (١ – ١١).

(٢) المقطع : مزيج من صامت وحركة، يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها، يعتمد الايقاع التنفيسي.

ثانياً : الفواصل المتماثلة[1] :

وهي ما تماثلت حروف رويها باتفاق الفاصلتين في حرف أو أكثر قبل الروي، من غير تكلف أو إكراه، ومثال التزام حرف واحد قوله تعالى : [illegible] [الاخلاص:١ – ٤]، وقوله تعالى : [illegible] [طه:١ – ٦].

– ومثال ما جاء متماثلاً في الحرفين الأخيرين قوله تعالى : [illegible] [القيامة:٢٩ – ٣٠].

– أما مثال ما جاء متماثلاً في الحروف الثلاثة قوله تعالى : [illegible] [القلم:٢ – ٣].

وقوله تعالى : [illegible]

---

(١) أطلق الرماني على هذا النوع من الفواصل (المتجانسة)، ينظر : النكت في إعجاز القرآن : ٩٠، وأدخلها ابن أبي الإصبع المصري في باب (المماثلة)، ينظر : بديع القرآن : ١٠٧/٢.

﴿[illegible]﴾ [الناس: ١ – ٦].

– أما التماثل في الحروف الأربعة الأخيرة فيظهر في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾

[الأعراف: ٢٠١ – ٢٠٢].

ويبدو واضحاً من الشواهد القرآنية أن المظهر البديعي حقق منجزاً واضحاً في التعبير يتجاوز مستوى اللفظ الواحد إلى المستوى السياقي، فلا يقتصر دور الفاصلة على الناحية الصوتية، بل يذهب إلى ما تقتضيه الدلالة، ويبدو ذلك من خلال ما حققته البنية النسقية من تماثل وتقاربٍ بشكلٍ محسوسٍ للأذن المدرّبة مما شكل ((ارتباطاً شديداً بعملية التقبل Response، إذ إن الذائقة الأدبية تجعل المتلقي ينتظر المغايرة الصوتية / الموسيقية استجابة لرغبة متأصلة فيه))(١)، من خلال الاتزان المطرّد في اتساق الفواصل الذي سببه التوافق الموسيقي اللغوي في جميع مستوياتها، مما يمكنه من إظهار الإيقاع المنسجم مع دلالة المعنى وفقاً للترددات الصوتية التي تطلقها المسافات بحدود نسبية(٢).

---

(١) الفاصلة وبنية الانسجام الشكلي في سورة الإنسان (بحث) : ص٢٢١-٢٢٢.

(٢) قد يحدث التماثل في الفواصل الداخلية للآيات كقوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [النحل: ٢٣].

وبذلك يمكننا القول أن الاتزان الإيقاعي في فواصل الآيات؛ جاء قصداً مراعاة للمعنى المطروح وفقاً لفاعلية التقارب والتماثل في الحروف الأخيرة؛ مما أضفى صيغة التناسب والتجانس على النسق الصوتي لسورٍ بأكملها.

ففي سورة (الرحمن) مثلاً أحدثت الموسيقى الداخلية للآيات من خلال صوت (النون) المقترن (بالألف) تماثلاً في الوزن، وتناغماً في الإيقاع، منذ بدئها بقول (الرحمن) وصولاً إلى قوله تعالى : ﴿❑◆✂☞❻⬀⮟◆ ❑◆➔☸⬀♑⬀☞✂ ☺❑☸⬀♑⬀☞✂ ... ❑◆✂☞☺⬀♑⬀☞✂ ❑◆❶⬀⬀☞✂ ... ✂☞☸⬀⬀☺⬀✈⬀﴾ [الرحمن: ١٠ – ١١].

نلمح مظهراً توازنياً أطلق عليه العلماء مصطلح (المتوازن)(١)، حيث تلونت الكلمات (الأنام، الأكمام) بصوت مختلف خلق نوعاً من الاتفاق الوزني من دون حصول التجانس في الحرف الأخير مع بقية حروف السورة، ومن ثمّ العودة المفاجئة إلى التوافق المنسجم المألوف في حرفي الفاصلة المتقاربة (الألف، والنون)، وهذا يحفز الذهن بالإثارة والترقب لشيء مغاير أحدثه حرف الميم في الآيتين العاشرة والحادية عشرة.

أما في سورة (البروج) نلمح الوحدة الدلالية من الآية الأولى إلى السابعة رغم عدم تماثل الروي في نهاية فواصلها، إلاّ أن لهُ ما يبررهُ فالسياق القرآني يظهر القَسَم في الأية الأولى بمشهد السماء ذاتِ البروج، وهو مشهد ينتمي إلى زمن الحياة الدنيا، في حين ينتقل القَسَم في الآية الثانية إلى مشهدِ زمن القيامة المرتقب وهو (اليوم الموعود)، وصولاً إلى قوله تعالى : ﴿❑◆⅄☒⬀♎⑨⌨ ❑◆⬀♦☆⇧⬀⬋❑⑩⌨﴾ وهو قَسَم يربط السلسلة الزمنية الثنائية بزمن الحياة الآخرة، وهي سلسلة متناسقة صوتياً للأزمان الثلاثة يتحقق من خلالها عنصر المغايرة الذي يسهم في التصوير القرآني. أظهرت الافتتاحية المقطعية الموزعة بدقةٍ على درجاتٍ متفاوتة في النطقِ والعددِ والايقاع، في سورة (مريم) في قوله تعالى:

---

(١) اتفاق الاعجاز في الوزن دون الحرف يسمى المتوازن، ينظر : الطراز : ٣ / ١٩.

﴿✓✍▦➔⓿♑✒📄﴾ [مريم:١]، صوتاً للفاصلة القرآنية يميزه عن بقية فواصل السورة، تلمح المقاطع الصوتية من تلاوتها والتلفظ بها، وقد بلغت المقاطع الطويلة في فاتحة السورة ثلاثة مقاطع، في حين بلغت المتوسطة المفتوحة فيها اثنان، مما يؤكد ارتباط الالفاظ المسجوعة بسياقها على المستويين الصوتي والشكلي، وفقاً لعلاقات تكوينية بين تلك الالفاظ وتراكيبها، ويمكن توضيح توزيع المقاطع بالشكل الآتي[1] :

كاف	ها	يا	عين	صاد
ص ح ح ص	ص ح ح	ص ح ح	ص ح ص ص	ص ح ح ص
مقطع طويل مغلق	مقطع متوسط مفتوح	مقطع متوسط مفتوح	مقطع طويل مزدوج	مقطع طويل مغلق

تأمل قوله تعالى: ﴿◻◆◑♎❶⬧✂ ✂✍⬧♑⬉⌨◆✍✌⬉ ✂⬧❶♎◑◆◻ ✍▩⬗ ⇧☠◆❸✍⌘❷⇦✍ ✂✍⬧♏⬧➔⬧✍⬧♏◆✍❻⬇⬉⬉➲♏♎◼◼✍⇧﴾ [التكوير:٣ – ٤].

وقوله تعالى: ﴿◻⬧⬥◻⚐◻❷⬀♌◆ ✍♎❍♎◑✍ ☼◆◑⬂➔ॐ✍﴾ ﴿✍✍⬢◻◆⬁◻⇧♊⌘ ✍♎❍♎◑✍ ♎⬧⬂➔◑✍﴾ [العاديات:٤– ٥].

وقوله تعالى: ﴿◻⬧☺◻♊ ❸◆➔⬃☺◻⬂⬀ ✌♎◆⬃◑⬧✍✌◆﴾ ❶⬧❻▪◻☉ ⌘◻⓿⬂❷ॐ✂ ❸◆❷◆▪⇦◑ ✍✍✍ ◻◆✌◆♊ ❸◆➔⬃☺◻⬂⬀ ✌♎◆⬃◑⬧✍✌◆ ❶⬧❻▪◻▭ ⅄◻❷❖✂ ﴿❸◆❷◆▪⇦◑﴾ [الزلزلة:٧ – ٨].

وقوله تعالى: ﴿◻◆❸◆✌◆✗◻☪◻◻⬇✍◻✍﴾ ✂✍❀☜⅄⇧▤⬧❼ ⬀⬀⬀✍ ✂✍✏⅄♎❽ ❸◆☉⇔✍▪❼ ✂✍⬧◻❻◆ ✂✍⬧⬂♏⬈⬂❸◆◆❽▤﴾ [الأعلى:١١-١٢].

---

(١) رمزت بـ(ص) على الأصوات الصامتة (**consonant**)، وبـ(ح) على الأصوات الصائتة (**vowels**).

وقوله تعالى: ﴿❑◆✂➔⧫⦾⬅❷⬀ᏽ⍓◘■⏲*💣⬣
⬉⬉❹⬄▫❁⧫ ⬗⬙⬖ ▫⧫⧫⧫⬂➔⍓⏲⏲⬔⬣⬚⏲*💣⬣
⬉⧫⏲⬄⬣☪⧫﴾[المرسلات: ١-٢].

تجد أن التوازن الصوتي حاضرٌ في هذه العينات؛ فالبنية الصوتية المقطعية للفواصل هي نفسها، يعني أن عدد الأصوات المنطوق بها في الفاصلتين واحد، وأن للصوامت والحركات النسق نفسه في التوالي، وقد أشار شراح التلخيص في التعامل مع الفاصلة المسجوعةِ إلى إجراءٍ يعتمد التوازي الصوتي وهو ما يعرف بـ (الوزن الشعري)(١)، الذي يهمل مسألة توازي الصيغ الصرفية، وتعد التفاتة (ابن يعقوب المغربي) نحو هذه المسألة جديرة بالذكرِ، فقد وقف على قوله تعالى : ﴿❑◆✂➔⧫⦾⬅❷⬀ᏽ⍓◘■⏲*💣⬣ ⬉⬉❹⬄▫❁⧫ ⬗⬙⬖ ▫⧫⧫⧫⬂➔⍓⏲⏲⬔⬣⬚⏲*💣⬣ ⬉⧫⏲⬄⬣☪⧫﴾[المرسلات: ١-٢]، قائلاً : ((وقد يختلف النصف المقابل في الوزن فقط ويكون متوازياً، فـ(المرسلات) مع (العاصفات) متفقان تقفية ولم يتفقا وزناً وكل منهما نصف القرينة، كذا قيل وفيه نظر؛ لأن المعتبر من الوزن هنا الوزن الشعري كما قيل لا الوزن النحوي؛ وعليه فهما متوافقان إذ المتحرك في مقابلة المتحرك، والساكن في مقابلة الساكن وعدد الحروف المنطوق بها واحد فيهما وإن كان وزن المرسلات في النحو (المفْعَلات) والعاصفات (الفَاعِلات)))(٢)، وهذا يعني رصدَ البنية الصوتية المقطعية بمعزل عن الوظيفة الصرفية، فقد تأتي الفاصلتان متفقتين في البناء المقطعي والنسق العروضي المرتبط بها، مع تخالف وزنها التصريفي كقوله تعالى : ﴿⏲⧫✡✡*⧫✍ ⧫❑⬉⇧➲⓿⍓✡❑⏲①➲ ✂⧫◉ᏽ⍓▤⧫❑⬀⚐❑❷◆

---

(١) الوزن الشعري : يعني الوزن العروضي، وهو (وضع الساكن بإزاء الساكن، والمتحرك بإزاء المتحرك، وإذا تم الجزء وقفت عنده وابتدأت بما يبقى من الكلام في الجزء الذي يليه على ذلك حتى تنتهي إلى آخر البيت)، كتاب الكافي في العروض والقوافي : ١٧، أما الوزن التصريفي : فهو مقابلة حركة بنوع حركتها كمقابلة ضمةٍ بمثلها، الفاصلة في القرآن : ١١٢.

(٢) مواهب الفتاح : ٤ / ٤٤٩.

﴿⬀❷□♦▫✞✍✂◆□ ⌧⌨⌂■✉♦❷ ✍♏✉✺⌚♦▫ ⬗⬘✍﴾ [الكوثر: ١- ٢].

والذي يهم البحث هو اتزان النسق الإيقاعي الذي يعدُّ من أهم مرتكزات السجع، وهو الأداة التعبيرية الفعّالة في ربط المستوى الصوتي بالناتج الدلالي بغية التوصيل إذا ما اعتبرنا أن ((السجع يفترض وجود نسق وزني أقل صلابةً بالتأكيد من ذلك الموجود في الشعر لكنه مع ذلك يخضع لبعض القواعد التي لم يقصّر البلاغيون في تقنينها))[١].

من هنا يتأكد للبحث الحضور المكثّف للفاصلة القرآنية في التعبير، القائم على إحداثِ توازنات صوتية تتناسب مع اقتضاء الدلالة فتمثل صوراً من صور الإعجاز القرآني، ولابدّ من التنبيه على أن السور المدنية تختلف عن السور في هذه الناحية، اعتماداً على معيار الخطاب اللغوي وتناسبه مع طبيعة المخاطبين[٢].

ثالثاً: الفاصلة المنفردة[٣]:

هي الفاصلة التي لم تلتزم التماثل أو التقارب في حروف رويها فتشكل نمطاً مغايراً يخرجها عن المألوف، مما جعل بعض البلاغيين يفردها بظاهرة أسلوبية، تُراعى فيها الفاصلة لخصوصية الأثر الدلالي، فيها، وسنأتي على تفصيل وتحليل عينات منها في الصفحات القابلة.

واستمراراً في رصد الحدود الشكلية لمبنى الفاصلة في التعبير القرآني وتلمس أثرها الأسلوبي، كان لزاماً الإشارة إلى أن علماء البلاغةِ ذكروا أنماطاً أُخر للسجع

---

(١) Le Genre Séance : ((une introduction)), Abdelfatah Kilito, studia Islamica, 43 (1976), P29.

(٢) السور المكية تأتي بلغة التهديد والوعيد والتحذير وضرب الامثال، تناسباً مع حدّة طبع المكيين، فنلحظ فيها قصر العبارة، وقوّتها، وتوازنها الصوتي، أما السور المدنية فغالباً ما تأتي مفصلة موضحة طويلة تناسباً مع طبيعة المسلمين ومدى حاجتهم إلى وضع التشريعات، وشرح حدود العقيدة الإسلامية، ينظر: من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم (بحث): ٨٨.

(٣) وهي من الفواصل النادرة في التعبير القرآني، ينظر: الفاصلة في القرآن: ١٧٣، البلاغة القرآنية: ١٢٨.

القرآني قائمة على أساس ترتيب السّجْعات وفقاً لنظام التشكيل المرتبط بالزمن؛ فالمسافة ((وإن أخذت شكلاً محسوساً – فإنها أصلاً عملية ذهنية خالصة، وبما أن الذهن نفسه يحتاج إلى محطات وقوف، فإن البناء التعبيري يتابعه في اختيار هذه المحطات، والتركيز عليها بترديد صوت بعينه في نقطة بعينها))[1]، وهذا يعني أن البلاغة العربية رصدت أنماطاً من التراكيب السجعية المؤتلفة والمتفاوتة طولاً وقصراً، وأصدرت أحكاماً تقيمية مفادها أفضلية السجع المتساوي الأطوال على غيره من الأنواع الأخرى مع مراعاة التدرج في الطول، وعدّ الالفاظ المسجوعة، وهذه الأحكام مستنبطة من الوقوف الدقيق على شواهد لا حصر لها، مدعمةً بالعللِ البلاغية المنطقية المستندة إلى قانون بلاغي نقدي يحكم توزيع المسافات الذي يختلف كلياً عن قانون الشعر العربي المعتمد على معيار التفعيلة الشعرية، وقد تمخض الوقوف ملياً على نماذج من التعبير القرآني تطبيقاً لقانون المسافة السجعية نذكر منها على سبيل المثال :

١- قوله تعالى: ﴿ⅡⅥ✎◆❒ ✍⌧☺✗✣✗⌘❑←⑩ ⊕➚✋⬥✂◆➚ ➭♎❽❑✍⌛⬧▫ ⬠♉✖✍ ✍♌✍◆☞❑⊂⌧♉ ⬠♉▩✍ ✍♌✍◆✍✉♓⬥⬢◆⌐➔✍ ✍⌧☺➚⬢♓■✍◆❻ ✍⌧♎⇧⑨⬉✎ ✍♌✍◆✍❑✎✏✍✍ ﴾ [الرحمن:٦٢ – ٦٤].

يوظف التعبير القرآني في هذه الآيات ايقاع المسافة المتشكل بين نهايات الفواصل قصداً لابراز أثر الايقاع التوازني وشحناته الصوتية أولاً، وفاعليته في التكوين الدلالي ثانياً، إذ إن انتهاء الفقرة المسجوعة بالوقف الصوتي في قوله (ومن دونها جنتان)، ليس معناه بالضرورة أنها منفصلة دلالياً عن ما يليها؛ بل العكس، فقد فصلّت الآية الرابعة والستون من سورة الرحمن، وصف الجنتين بأنهما ((مخضرتان خضرةً تميل إلى السواد لما فيها من أعشاب))[2]، وهاتان الجنتان ((دون اللتين قبلهما في المرتبة والفضيلة والمنزلة بنص القرآن))[3]، فتعلق اللفظ بالمعنى رغم

---

(١) بناء الأسلوب في شعر الحداثة (التكوين البديعي) : ٣٧٤.

(٢) في ظلال القرآن : مج ٦، ج٢٧، ص٣٤٥٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) : مج٤، ج٧، ص٥٠٦.

الوقوف بفاصلة [illegible] [illegible] [illegible].

٢- قوله تعالى : [illegible] [المطففين: ١٤ – ١٥].

أول ما ندركه من قراءة الآيتين هو الإيقاع المتوازن الذي يولدهُ التوازي العددي المتساوي الأطوال، ومن ثمة التقارب الثلاثي لحروف الروي في نهاية الفواصل (الباء، والواو، والنون) والذي شكّل توازياً معنوياً يظهر في الكشف عن المعاني المتعالقة، فالآية الثانية أبانت سبب حجبهم عن رؤية ربّهم يوم القيامة، لما ران على قلوبهم من تراكم الذنوب والخطايا، وإنهم محجوبون عنه تمثيل للاستخفاف بهم وإهانتهم[1]، جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال : ((إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب منها صقل قلبه، وإن زاد زادت))[2] فذلك قول الله :

[illegible].

٣- قوله تعالى : [illegible]

[المعارج: ١٩ – ٢١].

جَمَعَ التعبير القرآني الفواصل المتساوية الأطوال والأعداد في مواطن كثيرة، ينظر إليها أرباب البديع وفقاً للحسّ الجمالي القائم على التوليف والتوافق بين الشكل

---

(١) ينظر : الكشاف : ٤ / ٥٦١.

(٢) أخرجه الترمذي، قال : ((هذا حديث حسن صحيح))، كتاب تفسير القرآن، باب سورة المطففين، حديث رقم (٣٣٣٤)، ٥/٤٣٤.

والمعنى، إذ أن المعيار ليس في تساوي الفقرات طولاً أو قصراً فحسب؛ بل فيما تضيفه على المعاني من إيحاءات دلالية يقتضيها السياق مما يُزيد السجع حُسناً؛ لأنه ((يخرجه عن النمطية المتناظرة، فيكون أكثر تنبيهاً وإثارة للنفس))[١]، وعلى هذا الأساس أبانت الآيات الثلاثة من سورة (المعارج)، هندسة المسافة للفواصل القرآنية وأثرها في اعتدال نسق الكلام المتناسب مع المستوى الدلالي، فقد فصلت الآيات صفات الإنسان وطبيعة خلقهِ.

يتأكد للبحث بعد ما سبق ذكره أن التعبير القرآني يوظف مبنى الفاصلة أو السجع قصداً؛ لأداءِ خدمة الإيحاء بالمعنى وإظهار الدلالة استناداً إلى دور الإيقاع الصوتي وكثافته العددية طولاً أو قصراً أو اعتدالاً في إطار يجمعُ التناسب والتوازي للبناء اللغوي مما يهبُ الألفاظ المسجوعة قيمةً دلالية تضافُ إلى قيمتها التحسينية الناتجة عن الإيقاع الصوتي.

خامساً : مظاهر أسلوبية في مبنى الفاصلة (فرضية المراعاة) :

بدت الآيات القرآنية بشكل متنوع في الطول والقصر، اقترن بتنويع في مبنى الفاصلة وعلاقتها السياقية مع الآيات الأخر، إذ أننا نلمح في أغلب السور الطويلة نظاماً إيقاعياً متفرداً لا يمكن حدّه بقواعد ثابتة ((فهو ضربٌ من الإيقاع بالغ الروعة والتفرد، حتى لتوشك كل سورةٍ أن تنفرد بنظام خاص من هذا الإيقاع لا تشاركها فيه سورة أخرى))[٢]، فالتناسب الشكلي بين الفواصل يُراعى في النص القرآني متوخياً المعنى، مما جعل ذلك ظاهرة بارزة أمتاز بها القرآن في رصف حروفهِ وترتيبها ترتيباً دونه كل ترتيب، فكانت دليل إعجاز من ناحية، وسوراً منيعاً لحفظ القرآن من ناحية أخرى مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ ◑♈✡✵✍ ✞•♦⬂Ⅱ← ✂✍✍✎♎♏♉✍♓⬂❷♦ ☐♦◑♈✡✵✍ ✡♦❽☐◉♒⬂☪♦✍ ◉♒•○←◑ 🖳○♦☐◑▦♉→⓿☐♌♦ ﴾ [الحجر:٩]، وقد كشف التتبع

---

(١) البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٥١٠.

(٢) البلاغة القرآنية : ١٠٥ – ١٠٦.

الانتقائي عن ملامح وسمات أسلوبية لها أثرها الفاعل في التشكيل الأسلوبي للسجع القرآني، اكتنز بها الكتاب العزيز، من أهمها :

أولاً – ظاهرة التقديم والتأخير :

تعدّ ظاهرة التقديم والتأخير من أبرز الظواهر الأسلوبية اقتراناً مع الفاصلة القرآنية، لها أسباب يقتضيها المقام وسياق القول ((والقرآن أعلى مثل في ذلك فإنا نراه يقدم لفظة مرة ويؤخرها مرة أخرى على حسب المقام))[1]، فالتعبير القرآني قَصَد هذه الظاهرة في مواطن معينة لإغراضٍ بلاغية تدل على أن كُلّ لفظٍ وضعَ ليلائم السياق.

وتفصح بنية التقديم والتأخير عن حضورها الفاعل في البناء التركيبي للفواصل القرآنية، من خلال ما تحدثه من مخالفة وعدول عن الأصل في الصياغة، إفادة تحقيق الاعتبار الدلالي، ولغرض معرفة أهم أشكال التقديم والتأخير وَجَد البحث انتقاء عينات أظهر من سابقاتها محاولاً الكشف عن الغرض الذي استدعى العدول وتقديم ما حقه التأخير.

١- قال تعالى : ﴿ ❑◆❑⬉♉⬉❑■⋖ ③♦❑⬀✌♦⟐ℬ⓿☸ ⬊♦■■③⬀ℰ❑⛢ ⬊⊠♑⍓③◆❑⋖ ﴾ [عبس: ٤٠].

٢- قال تعالى : ﴿ ❑◆◑♒♌ ✍➔▤⬧⓿ℯ✐✇←❑✃☎ ▫⬧◑⬧⑨⇳ ▤⬤⓪⊙☸⌘ 🕮↑✌♦⚐ℬ ✌♓♋Ⅱ ♎⬧⧗⬀▦♒▤↗✄⬀ ☎ ❑◆✌♦⛢ ⬉♦✍■❼ ✃⛢⍓⬤❷▪☛←❑♈⬁ ◑♒⬧⬧ ➔⬂◔■▦♦⌨⬂⍓⛢✃ ✃⛢⍓⬂☺←⌨♒✓▫♈ ﴾

[العنكبوت:١٨].

٣- قال تعالى: ﴿ ♌⬧⛢♦✌♦ ⚖⊡◔⓿✐■ℬ◔ ✡♦⛢♌⬧❑⋖ ▭⌗●❑⛢ ℬ☸⬂❸⬁⌗ ❑◆⍓⬧▤↗⛢⬀ ⊃☸⬂❸⬁⌗ ③♦❑⬀✈▯ ✌❑➔⬂▦➔❑✈▯﴾ [الشعراء:١٥٥].

٤- قال تعالى : ﴿ ✌♓♋Ⅱ ❑◆❻◆✃✎★ℬ♑♒⛣⬀ ♉⊡♑⊡➔⅄☹⬊ ☎ ❑◆⬧⬧ ③⬉⇔⬂♉ℬ⚐ ⬉♦✵⬂ℰ⬋⛣ ﴾

[1] (١) التعبير القرآني : ٥٢.

⚘♦✌ ••♦❒ ⚘ॐ★⬂⓿☒⅄ ☎✂❑⇦⌨❁❍☒✍ ⚘❑✌
★✐⚘✂ ➪♌❒⇦⑩ ♊♉✌ ☎✂❒⬈⓿⬩③✦✌⚘✂
⬉☸✂☒⓿♦⬉ ⬀☠⇦●❍▭♦❒ ☎ ♦⬈✐⚘♦⓿♉♐⬃❒❒🕮
⬉♦➔♉⬈☹⬊ ﴿ [الجاثية:١٠].

٥- قال تعالى : ﴿ ❒♦✐★ ✌⬉🖬▫⌨➔ ✂⚘♐❍❍☺♦🕛❒♦🕓☠♉
★✐⚘✂ ❼■🖫⬂☽♦❒ ☎ ⮶♈⬀❻☞❀⚘✂♦❒
✂⚘♐⬂☺⌂🕛⬁❷❸⇦ ﴿ [النور:٤٢].

اتجه عنصر التحريك المكاني في الصياغة القرآنية في هذه المواضع إلى إحداث مخالفةٍ وانحرافٍ في النظام اللغوي بتقديم المسند على المسند إليه في دوال مخصوصةٍ شكلت منطقة تكثيف دلالي يضاف إلى حقل المساحة الصوتي، فأفرز تراكيب مسجوعة لها أثرها المعنوي في الإشارة إلى ((الخصوصية في الدلالة على ما تساق السورة إليه من أغراض ومقاصد))[١]، تمنح السياق القرآني نظاماً فريداً من التناسب والتوازي بين الألفاظ وقيمتها الدلالية، مؤكدة عنصر الترابط العضوي مع بقيةِ فواصل السورة السابقة واللاحقة.

إن الخروج على القاعدة العامة في هذه الآيات مَهد لاستقرار الفاصلة في موضعها المقصود فجاءت الألفاظ مرتبةً على الرغم من فاعلية التقديم والتأخير؛ لذا برز الأثر الأسلوبي في الكشفِ عن روابط الدلالة التي انتجت إيقاعاً متلائماً مع السياق العام، حاول البلاغيون قديماً تحديد الأغراض التي سيق لأجلها هذا الملمح الأسلوبي، فذكر الزركشي أن من أغراض التقديم ((أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب، فيقدم لمشاكلة الكلام ولرعاية الفاصلة، كقوله تعالى : ﴿ ✐★
✂⚘✐⅄♎♉❽ ⌘⌂🖬■☽⬩♑⇦⬀· ☽⬂♌ 🗎➔☪☞⇦☠⬀
☽⬂③✹⚘■⇦ ✍⬩➔⬃⌨⇦⑨⇦❒♍🙢 ﴿ [فصلت:٣٧]، بتقديم (أياه) على (تعبدون) لمشاكلة رؤوس الآي، وكقوله:﴿ ▫⬩🕯❒❒⬃♉⌂▪" ✕⬂❼ ☼♦▦⬂❍⬁❍♉🕒 ⌘⬁⓿▦☒❒☪ ✌⑩❒☙⌂⌀🗐 ﴿ [طه:٦٧]، فإنه لو أخر (في نفسهِ) عن (موسى) فات تناسب الفواصل؛ لأن قبله: ﴿ ⬉🙰▪⓿⬩③⬈❻

(١) البديع، دراسة في البنية والدلالة : ٢٠٩.

☙□&□✠□📖 ⬃☹◷♏⌘❷⇔⬧⬁♒ ♊♑♉ ♑○⬂⓿⬧♈♐♊
✍■○⇔⬉⧫⌀▤﴾[طه:٦٦]، وبعده ﴿♊♐□✡①☙ ✱♐☼□📖

⊁☙☙✿☛⬉⇕✍■❼▤﴾ [طه:٦٨][1]، وفي المعنى نفسه تحدث عبد القاهر الجرجاني عن الأسبابِ والعلل الموجبة لهذه الظاهرة وأكد على ضرورة اختصاص الكلام بفائدة اجراها التقديم والتأخير استجابة لمؤثرات خارجية ((فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلاً على الفعل في كثير من الكلام أنه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير، فقد وجب أن تكون تلك قضية في كل شيء وكلّ حال))[2]، وهذا يعني أن للتقديم والتأخير أثراً دلالياً يظهر من خلالِ قدرته على زيادة المحتوى وتكثيف الدلالة بما يمنحهُ من إشاراتٍ وعناصر تستدعي المتلقي التركيز فيها كقوله تعالى: ﴿□⧫⊁☙✎⍓♑⇦✖⧫ ♎➔☠⬀ ♐♑⌧❽□✍☒❑▤□⌀

▫⧫◷➔♑⌧➔❑♌⧫﴾ [المؤمنون:٤]، أدى تقديم الضمير على الخبر المشتق، وتقديم الجار والمجرور على عاملهِ، زيادة انتاجية الدلالة بزيادة التأكيد في الآية مما أسهم في تهيئة الوضع الاستقراري للفاصلة في موضعها المناسب، وأمثلة ذلك في التعبير القرآني كثيرة[3].

يتبين أن لظاهرة التقديم والتأخير في الفاصلة وظائف دلالية تناط بها هي :

١- تهيء للفاصلة الاستقرار المكاني.

٢- تمكين الدلالة من احتضان إشارات إيحائية ضمن عناصرها المنزاحة.

٣- تشكيل مساحات دلالية صوتية دون تفاوت أو إخلالٍ بالمعنى.

٤- مُغايرة النظام المقصودة؛ لتفعيل إمكانيات الدوال التعبيرية فيه.

ثانياً – مظهر الحذف والزيادة :

---

(١) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٣/٢٣٤.

(٢) دلائل الإعجاز : ١١٠.

(٣) ينظر على سبيل المثال : سورة لقمان : ٢٢، سورة يس : ٥٦، سورة الروم : ٢٩، سورة النجم : ١٥، سورة إبراهيم : ٣٤، سورة القمر : ٤١، سورة الليل : ١٢ – ١٣، سورة الشعراء : ٧٢ – ٧٣، سورة فاطر : ٩، سورة الرعد : ٣٨، سورة القيامة : ٢٣.

الحذفُ ((باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى أن ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت أزيد للإفادة))[(١)]، وما يعنينا في هذه الظاهرة الذكر والحذف في مواضع الفواصل القرآنية مما جاء مرتبطاً بالنص ارتباطاً عضوياً، مراعياً لسياق المعنى الوارد فيه، إضافةً إلى مراعاة الفاصلة، وليس الذكر والحذف لعلم المعاني بشكل عام، فالحذف والزيادة من أوسع أبواب البلاغة، ذكر ابن جني (ت ٣٩٢هـ) الحذف على رأس بابٍ في شجاعة العربية[(٢)]، وفي ضوء ذلك يبدو جلياً أن هذه الظاهرة ليست دعوة لقياس مدى الكثافةِ أو المحدودية للألفاظ والتراكيب؛ بل هي إجراءات أسلوبية يحتمها السياق تفترض أن اللفظة المسجوعة أتخذت موقعاً مناسباً في الصياغة بما ينسجم مع إطارها الدلالي.

ومن خلال متابعة الجهد البلاغي والتفسيري القديم في بناء النظم القرآني يمكننا رصدِ هذه الظاهرة في أمثلة عديدة :

أ- من الأمثلة الواردة في سورة الأحزاب :

قال سبحانه وتعالى : [illegible] **[الأحزاب: ٤]**.

جاءت لفظة (السبيل) التي مثلت فاصلة الآية منحرفة عن وضعها المناسب ايقاعياً مقارنة مع بقية فواصل السورة، فقد جُردت من حرف المدّ في أخرها، عدولاً عن قولهِ الذي يقتضيه السياق (وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلا)؛ لتحقيق عنصر التناسب والتوازي الصوتي والدلالي، فقد ختمت آيات السورة بألف الإطلاق في مواضع، وألف المدّ في مواضع أخر، وقد حقق هذا العدول الميل إلى الإنفراد بفاصلة تستقطب

---

(١) دلائل الإعجاز : ١٤٦.

(٢) ينظر : الخصائص : ٣٦٢/٢.

الذهن وتسترعي الانتباه، جنوحاً إلى المغايرة مع بقية الفواصل، وكسر توقع المتلقي، مما يثير في نفسه رغبة في معرفة سرَّ ذلك العدول بشكلٍ منظم وبدقة حققت التناسب اللفظي المعنوي مع سياق الآيات عموماً.

ب- من الأمثلة الواردة في سورة الرعد[1] :

قال تعالى : [illegible] [الرعد: ٩].

شكلت فاصلة الآية في لفظة (المتعال) عدولاً واضحاً ولدّهُ الحذف الواضح في نهاية هذه الفاصلة، حيث حُذف حرف الياء من الأسم المنقوص (المتعال)، لتحقيق التوازن الصوتي والمحافظة على الإيقاعِ، والتساؤل الذي يطرح نفسه : كيف يمكن أن تؤدي هذه الانحرافات وظيفتها الدلالية في السياق، إذا ما أكدنا أن التناسب الشكلي بين الفواصلِ ليس الغاية المقصودة لذاتها في التعبير القرآني ؟

خالفَ النص القرآني في مواضع متعددة المناسية الإيقاعية وهذا ((لا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة، فإن القرآن العظيم كما جاء في الأثر لا تنقضي عجائبه))[2]، وهذا يؤكد أن التعبير القرآني يقصد ذلك الخروج مراعاة للفاصلة بغية تحقيق التشاكل الإيقاعي وتكثيف المعنى، ويبدو أن عدول التعبير عن لفظ (المتعالي) لعلة كون ((الحرف لا يتحامل بنفسه حتى يدعو إلى اخترامه وحذفه بأن يضعف عن تحمل الحركة الزائدة عليه فيه أحرى وأحجى))[3].

ج- من الأمثلة الواردة في سورة الشعراء :

قال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام : [illegible]

(١) ينظر : الآيات (٧، ١١، ٣٣، ٣٤) من سورة الرعد، لتشابه موضع الحذف ونوعهُ، والآية : ٤ من سورة الفجر.

(٢) الإتقان في علوم القرآن : ٢/١٠٠.

(٣) الخصائص : ٢ / ٢٩٤، ومثله قوله تعالى : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر:٤]، وقوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ [الكهف: من الآية٦٤].

﴿☐☐☐🕮 ③♦☪▦☒➔⇱☐☼♦▤⇗☠⇗ ☐☐☐🕮 ④☐⊳⊂❸❿☐♌♦☐﴾ [الشعراء : ٧٢ – ٧٣].

المحذوف في الآية هو المفعول بهِ في فاصلة (يضرون)، بدليل ورود ذكره في المعطوف قبلها (يسمعونكم، ينفعونكم)، وقد علّق الدكتور فاضل صالح السامرائي على إطلاق لفظ (الضرّ) في فاصلة (يضرون) وعزاه إلى سببين رئيسين هما[1] :

الأول : إن الإنسان مجبول على كره الضرّ وتمنيه لأعدائهِ.

الثاني : إن الإنسان في خوفٍ مستمر من إلحاق الضرّ به.

ومراعاةً لمقتضى السياق وانسجاماً مع فواصل الآي حُذف الضمير (الكاف) من الفعل (يضرون) أصبحت الفاصلة موضع إطلاقٍ، في الوقت الذي أدّت دلالة (النفع) معنى يساق لبيانِ حقيقة تلك الآلهة في عدم الحاقها الضرّ بالعدو، كما أنها لا تستطيع ضرّكم، فجاءت هذه اللفظة في موضعِ تخصيصٍ، ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿☐♦🕮☐➩❁☐ ▫☐❷⇗⇱♦☐⇗♌⇱ ♎⬧☐⇗☐♦○⬅⓵ ☐♦☐♦⬧♎ ♎☐⑨☐❽▤﴾ [طه:٧٩][2].

ومثله قوله تعالى في سورة الضحى : ﴿☐♦☐♦✂♎❸☐⌫☐✂▦ ➩✂➩ ☐♦✂♎❹⅄⓪⇘➩ ☽☐⓵•✂ ☐✂☐☐☐▦ ✂⬗⇨ ♎♦☐❿☐⇱♦☐ ☐☐❻♦☐❿☐☐ ☐♦☐ ♎♦☐❼■✍♎▦﴾ [الضحى: ١ – ٣][3].

د- من الأمثلة الواردة في سورة الحاقة :

قال تعالى : ﴿▫♦☐☐☐☐ ✂♦☐⇳ 🕮⬆☐✌☐⑥☙ ☐☐♦☐☐☐♦○⬅⓵ ☐☺☐⑩☐✡☐○☐⓵ ▫♦⓪♦☽➔☐✌⇱ ☐☐✂♦✎⇗♦⇗ ✂♎♎⇘❷♦⇗↓☐✂☎ ☐☐☚♦⓵⌛☐⓪♦○⇙﴾

(١) ينظر : التعبير القرآني : ٢١٩، البلاغة القرآنية : ١١٨.

(٢) ينظر : تعليق الدكتور فاضل صالح السامرائي في هذا الموضع، التعبير القرآني : ٢٢٠.

(٣) ينظر تعليق الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) في هذا الموضعِ من كتابها الإعجاز البياني للقرآن : ٢٥٠.

﴾ [الحاقة:١٩ – ٢٠].

تتصاعدُ الحدة الإيقاعية في هذه الآيات بإثبات هاء السكت في آخر الفاصلة التي أفرزتها العملية اللسانية بالزيادة، علاوة على تحقيق التقارب الحرفي الذي أحدث توازنات صوتية إضافية تسهم في زيادة تركيز السمع للوصول إلى الناتج الدلالي، في مشهد الناجي الذي يأخذ كتابه بيمينه فرحاً، داعياً الخلائق لقراءته وما أعدّ له من نعيم.

وقد أضاف (صوت الهاء)[1] معنىً زائداً يوحي المبالغةِ في السرور والفرح تارة، وفي الحزن والألم والتعب تارة أخرى في ((مشاهد من القوة والحيوية والحضور بحيث لا يملك الحسنّ أن يتلفت عنها طوال السورة، وهي تلحّ عليه، وتضغط، وتتخلل الأعصاب والمشاعر في تأثير حقيقي عنيف))[2].

والتساؤل المطروح هنا هل أن الحذف في الحرف والكلمة يُخلّ بالنظام الشكلي والدلالي للتعبير؟

هذا السؤال يستدعي التنبيه على مسألةِ إجماع علماء العربية واتفاقهم على ظاهرة الحذفِ وعدّها من وجوه إعجاز النظم القرآني، فلا يكاد يخلو منها مؤلف في علم البلاغة أو التفسير أو اللغة، مُشكّلة ملمحاً أسلوبياً في الفاصلة وغيرها، ومن هنا جاء تأكيدهم المدعم بالرصدِ والتحليل على ضرورةِ تحقيق التناسب والترابط المرافق لهذه الظاهرة، بشرطِ الوعي بالضوابطِ والمعايير التي تحكمها، ((فلما أدركها الناقد البصير بصوغهِ الماهر في نظمه وحوكه فوضع المحذوف مواضعه كان حابكاً لها

(١) المقصود بصوت الهاء (هاء السكت) وهي (هاء) مضافة غير أصلية انزاحت القافية في موضع واحد محوّلةً العدول إلى أصل بسبب السياق؛ لأن سياق المشهد منزاح بالكامل، وقد أكسبت التاء الأصلية في فاصلة (القاضية) فقط، السياق القرآني خصوصية تعبيرية في قوله تعالى : ﴿يا ليتَها كانت القاضية﴾ [الحاقة:٢٧]، ينظر : التصوير بالفاصلة القرآنية (بحث) : ص٦٥-٦٦.

(٢) في ظلال القرآن : مج٦، ج٢٩، ص٣٦٧٦.

مانعاً من خلل يطرقه، فسدّ بتقديره ما يحصل به الخلل مع ما أكسبه من الحسن والرونق))[1].

وقد ذكر الزركشي أنواعاً من الحذفِ مؤكداً وظيفتها في تحقيق التماسك الدلالي بشكل لا يتعارض مع وجودها شريطة وجود دليل واضحٍ عليها، كقولهِ عز وجلّ : ﴿[illegible]﴾ [الزخرف:١٢].

فقد تختل بنية الحذف إذا عوضَ موضعها بالذكر كما يحصل في العكس مما يفسد الايقاع الصوتي وفاعليته في إثراء الدلالة بطاقاتٍ إيحائية دالة على المحذوف[2].

ثالثاً – إيثار صيغة على أُخرى :

تشكل هذه الظاهرة مثيراً أسلوبياً ملحوظاً في الفواصل القرآنية، وتسهم بفاعلية في تأكيد الحضور الدلالي للألفاظ المأثورة، زيادة على تحقيق مبدأ تبعية الفاصلة للمعاني المطروحة ونلحظ ذلك في قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ **[البقرة:٨]**.

أُثر في ختام هذه الآية الانتهاء بقولهِ (وما هم بمؤمنين) وهي جملة أسمية، عَدَل بها عن الجملةِ الفعلية في قوله (وما آمنوا) التي يقتضيها ظاهر السياق، وذلك

(١) الإتقان في علوم القرآن :

(٢) ومن الزيادة أيضاً، الحاق حرف المد بعد روي السجع في قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾ [الأحزاب:٦٧].

لتأكيد نفي الإيمان عنهم، واللافت في هذه الفاصلة أن للتأكيد الدلالي مقويات تثبته منها :

١- تقديم المسند إليه على الاسم المشتق وهو المسند في قوله (هم بمؤمنين).

٢- دخول الباء الزائدة على خبر الجملة الأسمية في قوله (المؤمنين)، وهذه الظاهرة مطرّدة في التعبير القرآني كقوله تعالى : ﴿❐◆✌✎ ✍✍◆☼❐🕮 ✍✍◆☼❐🕮

✍❐◆❑☺⌧❐➔⌧☺✍⬥✍ ﴾ [قّ:٢٩].

٣- حذف متعلق الإيمان للعلم بهِ فالظاهر يقتضي قوله تعالى : (وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ باللهِ واليوم الآخر)، فقد أدى الحذف دلالة نفي الإيمان المطلق عنه.

ويتجلى أثر هذه الظاهرة بانعام النظر في قوله تعالى :

﴿🕮❐⬥❷◆⬈◆③⬃⬇⬈☹⬉ ✂✍✍◉⌘✱⏲✱✶✇✿

❐◆✌◆☪◆❑🗐❐■ ✍✍✍✍ ❐◆✂✍✍◉⌘⬉❽❐❽▤

✂✍✍✿⌘❷◆❽✂ ✍✍✍✍ ✂✍✍◉❐⬥◉✍✍❐◆

❐◆✎⬥🕮⬉ ⬉❷☒✍⍋✎✍✍✂ 🕮❐◉⬥▤⬉☠⬉

✂❁❶✍◗ ✍⌧❐■✍ ✍✍✍✍ ✂✍✍✿⬥✡ॐ⬥✍🗐

✍✍○⇔☺✍❐◁ ✍✍❷❾◆❽✂ ﴾ [النجم:١٩ - ٢٢].

فدقة اختيار التعبير القرآني لموضع الفاصلة بتناسب شكلاً ومضموناً مع ما قبلها وما بعدها، مُحققاً الانسجام الصوتي للإيقاع العام في السورة، بمعنى أن إيثار هذه اللفظة دون سواها قائم على الاختيار المقصود ليس لغرضٍ تحسيني فحسب؛ بل مراعاةً لمقتضى الحال بتوظيف لفظة (ضيزى) الموحية بالندرة والتفرد وخروجها عن المألوف في استعمال العربِ(١)، فإنها لم ترد إلاّ في هذا الموضع من التعبير القرآني؛ لإتساق إيقاعها مع الفواصل الأُخر المنتهية بالألف اللينة ابتداءً من أول السورة.

وقد أرجع ابن الأثير هذه اللفظة إلى ما تحققهُ من تآلف تام بين المفردات القرآنية ودلالاتها على أساس أن الألفاظ والمعاني في النظم البياني تتجه مجتمعة إلى تحقيق الملاءمة للوصول إلى الدلالة(٢)، أما الرافعي فقد آثر موضعها هنا مُعلّلاً ذلك بالتوافق والانسجام المتحقق في حُسنها الغريب؛ لأنها جاءت ((في معرض

---

(١) ينظر : المفردات الفذّة في القرآن الكريم (رسالة ماجستير) : ٤٣.

(٢) ينظر : المثل السائر : ١٧٦/١.

الإنكارِ على العربِ، إذ وردت في ذكر الأصنام، وزعمهم في قسمة الأولاد))[1]، ولشدة زعمهم وإسرافهم في القول إن الملائكة والأصنام بنات الله زيادة على وأدهِمْ للبنات، ولما في هذا الأمر من غرابةٍ، جاء اختيار هذه اللفظةِ في موضع لا يسدّ لفظ آخر مكانياً ودلالياً مسدّها ((وكم من لفظةٍ غريبة عندهم لا تحسن إلاّ في موضعها، ولا يكون حسنها – على غربتها – إلاَّ أنها تؤكد المعنى الذي سبقت إليه بلفظها وهيئة منطقها، فكأنَّ في تآلف حروفها معنى حسياً، وفي تأليف أصواتها معنى مثلهُ في النفس))[2].

وقد أكدت الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دقة الاختيار القرآني، وتفرّدهِ الأسلوبي، إذ تحقق التناسب بين تلك اللفظة ومادتها المعجمية مع السياق الذي ظهرت فيه، ((وقصارى ما ألمحه فيها، على بعد، أن يكون فيها مع الجور، حسّ مادتها فيما يلوك عبدة الأوثان من ألفاظ؛ منقولة من : ضاز التمرة، لاكها في فمهِ))[3].

تأمل قوله تعالى في سورة إبراهيم : ﴿☎✂❒❻❾⬉➔⬧✍ ♌⧰◗◆❒ ·♍⧰◗ ▤ ✏☞⌼♎❑⧫⌚⬂♦⬆✌ ⬩⬩ ★✏☞✂ ❁⬧✲⌼☺⬃➔⬂☼ ⧼⛿❑➔⬛⬧➔⬧⧳ ⌘♊⌚❁❍⬧⬧✲❝☞✂ ▤⬛⦿☞❻⌧﴾[ابراهيم:٣٤]، وفي آية مشابهةٍ في سورة النحل قال تعالى :

﴿☎✂❒❻❾⬉➔⬧✍ ♌⧰◗◆❒ ·♍⧰◗ ▤ ✏☞⌼♎❑⧫⌚⬂♦⬆✌ ⬩⬩ ★✏☞✂ ⬧❑⌼☺⬃➔⬂☼ ⌧❻❑➔⬛♦⬄⬧⧳ ⅄✏☞✂ ❻▪❍⬂❶⬂⬚﴾ [النحل:١٨].

آثر التعبير القرآني في آية سورة (إبراهيم) فاصلة تختلف عن فاصلة سورة (النحلِ)؛ ولا شك في أن سبب ذلك هو ((أن خاتمة كل من الآيتين تنسجم موسيقياً مع الآيات فيهما، ولكن السياق أيضاً يقتضي الفاصلة التي فصلت فيها))[4]، فالسياق يقتضي مناسبة الوصف للموصوف، ولما كان الموصوف في فاصلة سورة

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ١٥٨.

(٢) المكان نفسه.

(٣) الإعجاز البياني للقرآن : ٤٦١، وينظر : تفسير غريب القرآن (ابن قتيبة) : ٤٢٨.

(٤) التعبير القرآني : ٢٢٠.

إبراهيم هو الإنسان جاءت الفاصلة محققة دلالة اللفظ المخصوص بالذكرِ في قوله (ظلوم كفار)، وكذا الحال في مناسبة قوله تعالى : ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لله جلَّ شأنهُ وهذه بعضُ صفاتهِ، وقد ظهر هذا الأسلوب العدولي في آيات التعبير القرآني المسوقة لذكرِ الصفات، حين يرد الوصف فيها مرتباً من الأبلغ إلى البليغ مخالفاً المألوف في تقديم البليغ ثم الأبلغ، تحقيقاً للتناسب بين الفواصل، كقولهِ تعالى : **﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:٣]**، وقوله تعالى **﴿رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾** في الفاصلة (العشرين) من سورة النور، وقوله تعالى : **﴿حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾** في نهاية الفاصلة الأولى من سورة هود، وأمثلة ذلك في التعبير القرآني لا حصر لها[1].

وقد يؤثر التعبير القرآني صيغاً غير متطابقة في الجنسِ أو العدد مخالفة لمقتضى الظاهر كقوله تعالى :

١- ﴿③♦❶⊙☺□❷⬀③♦⚐❶ ✂☙☙♎⇘✡⇖☹✍Ø
◙♑⌘❷♦✍■✍⌨⬂ □♦✂☙☙♎⇔⊽←⑨♑❽
□♦✂☙☙⑥⬀✍⊠⬉✍Ø ✌♦⬈□ ✂☙☙◙♑❷▪◷✍♑➔♑✓▫☙﴾

[آل عمران:٤٣].

٢- وقوله تعالى: ﴿□♦⬂♦❺⇔③♦☠⌘ ✂☙☙✍⬀✡□☼♠✿
⬉♑☺⇕❷♦◷♌♦ ✂☙☙♒⅄☹✍Ø✖ 📖□○⇕◷✿✡□☼♠⇕
▫♦❷⬀♉⊠♑♍⊠☙ ▫♦✡□▦⊠②⬃✡♦☙ ▫♑⑩○♑ ✌♑⬀
❻❿□○♑✡□☙ □♦◷✿⑨●⚠♦☼♠⇕ ✍♑✍▦♦◼♑☺⊠☺◷☼♠♑
❻♦▥♒✍♑&□☙ □♦✍⬈☞←⌨♑○♑◷
□♦✍⊠⚠✡♦☼♠⇕ ✌♑♊⌘ ✂☙☙◙♑⇘◐♦◷☪♑☞♑✓✕♦﴾

[التحريم:١٢].

٣- وقوله تعالى : ﴿□♦♑•❸♦◑⌘ ◙♒•✡□☙ ✌♦⌖•⌖⊠⌖
□♦☼⊙⬂Ø⌘ ⌘⊠◼▫◐•○←◑ ☎ ⚠•☙✌♦ ✌♦♊

---

(١) ينظر على سبيل المثال : سورة آل عمران : ٢ و٤ و٦ و١٨ و٣١، وسورة الانعام : ١٢٨ و١٤٥ و١٦٥، وسورة الأنفال : ٦٣ و٦٧ و٧٠ و٧١، وسورة التوبة : ٥ و٢٧ و٢٨ و٤٠، وسورة يونس : ١٠٧، وسورة هود : ١ و٢ و٩ و٧٥، وسورة يوسف : ١٠٠، وسورة الرعد : ١٦، وسورة الإسراء : ٤٤، ومريم : ٥١، وسورة الحج : ٤٠.

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [يس:٧٨].

٤- وقوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [طه:١١٧].

٥- وقوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [إبراهيم:٣١]، ومن أمثلة ذلك في التعبير القرآني[1].

أُثرت صيغةُ جمع التذكير على جمع التأنيث في الآيتين الأولى والثانية مخالفةً للظاهر، لأنه يقتضي قوله: ﴿[illegible]﴾ وقوله: ﴿[illegible]﴾ وقد علل العلماء هذا العدول عن المطابقة في الجنس بسببين[2] :

الأول : أن القنوت والركوع صفة تشمل من قَنتَ وركع من الذكور والأناث وهي من هيئات الصلاة وأركانها، فغلّب الذكور على الاناث.

الثاني : أن مريم عليها السلام ولدت من القانتين؛ لأنها من أعقاب هارون أخي موسى عليه السلام.

وقد قدّم – في الآية الأولى – لفظ السجود على الركوع؛ دلالة على أن المراد بالسجود الصلاة، وبالركوع صلاة الجماعة[3].

---

(١) ينظر : سورة البقرة : ٧٤، وسورة الرحمن : ٤٦، وسورة فصلت : ١١، وسورة الشعراء : ٤.

(٢) ينظر : الكشّاف : ١ / ٣١٨، ٤ / ٤٢٩.

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٣ / ٢٤٥.

ولو تأملنا الآية الثالثة وجدنا ايثار صفة (رميم)[1]، وهي صيغة للمؤنث، وصفاً للعظام وهي صيغة للمذكر، تحقيقاً للتناسب بين الفواصل، زيادة على ما فيها من مقصد دلالي، أوضحهُ ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، ((على وفق قياس العربية، فإن العظام جمع عَظْم، وهو مذكر؛ ولكن جمعه جمع تكسير، وجمع التكسير يجوز أن يُراعى فيه تأنيث الجماعة، باعتباره قال : (وهي) ولم يقل : (وهو))) [2]، وقد استشهد ابن القيم بقول جرير [3]:

آلُ المُهلَّب جَذَّ اللهُ دابرهم   أمسوا رميماً فلا أصلٌ ولا طَرَفُ.

أما في الآية السابعة عشرة بعد المئة من سورة طه، جاء التعبير في الفاصلةِ، بالمفردِ عدولاً عن المثنى، فالخطاب في هذه الآية، موجه إلى آدم عليه السلام وزوجهِ؛ لذا فظاهر السياق يقتضي قوله (فتشقيا)، فَعَدل عن المطابقةِ بين العدد والمعدود، اثباتاً لايقاع الفاصلة المطرّد في السورة أولاً، ولتأكيد الدلالة المقصودة، فقد سيق ورود الخطاب للاثنين معاً في النهي عن الإخراج بوسوسة الشيطان، وقد أختص النص آدم عليه السلام بالشقاء الناتج عن الخروج من الجنة دون حواء، ليعقد مقارنة تبرز الاختلاف الكبير بين حالهِ في الجنة وحالهِ بعد الخروج منها، زيادةً على التأكيد أن آدم عليه السلام هو المخاطب المقصود في الكلام؛ لأن الله – تعالى – جعل الشقاء في معيشة الدنيا في جانب الرجل[4].

أما في الآية الحادية والثلاثين من سورة (إبراهيم)، جاءت المخالفة العددية بإيثار صيغة الجمعِ على المفرد في قوله تعالى : ﴿ ⬀✍☜⌛⬧🔔 ♊✍⌘✌ ...
••◆❑✍○⓿✍▫⌀↗⬂⑩◆✍·• ⮘☞☜❑◆③ ◆❼☔✌▫⬧◆③ ♌❑🕮
⌘⬂■⓿✍↘ ﴾، فمقتضى السياق يوجب قوله (ولا خِلة)، وفي هذا المعنى أكد الزركشي أن المراد (خلَّة)، بدليل قوله تعالى : ﴿ ⬀✍☜⌨⬧🔔 ♊✍⌘✌ ♌❑🕮 ...

(١) وهي رميم : أي باليةٌ، يقال : رمَّ العظم – إذا بلى – فهو رميم ورُمام، كما يقال : رُفات وفتات، تفسير غريب القرآن (ابن قتيبة) : ٣٦٨.

(٢) بدائع الفوائد : ٣ / ٨٦٦.

(٣) ديوان جرير : ٣٠٨، وفيه (أمسوا رماداً).

(٤) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٣٤/٢.

[illegible] [البقرة:٢٥٤] الموجب للجمع مناسبة رؤوس الآي[1].

ومن مظاهر الإيثار في فواصل القرآن الكريم، ايثار الاسم الظاهر على المضمر كقولهِ تعالى : [illegible] [البقرة:٨٩].

عَبَّر النظم القرآني بالظاهرِ بدل المضمر في قولهِ (على الكافرين)، ((أي عليهم وضعاً للظاهر موضع المضمر، للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم))[2]، ومثلهُ قوله تعالى : [illegible] [البقرة:٩٨].

علل الزمخشري وضع الظاهر موضع المضمرِ بقولهِ: ((والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه أشدَّ العقاب))[3]، وهنا تأكيد على مراعاة الجانب الدلالي؛ لأن العداوة ذكرت مقترنة بالكفرِ فأفاد ذلك أنه سببها، مما أثرى دلالة التنبيهِ على الكفر وبيان جزاءه[4]، والأمثلة على هذا النوع لا حصر لها[5].

---

(١) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٢٣٨/٢.

(٢) الكشاف : ١ / ١٥٢.

(٣) المصدر نفسه : ١ / ١٥٧.

(٤) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٢ / ٤٩٤.

(٥) ينظر على سبيل المثال : سورة الأعراف : ١٧٠، وسورة الكهف : ٣٠، وسورة الزخرف:٢٥، وسورة الواقعة : ٨ – ٩، ٢٧، وسورة الحاقة : ١ – ٣، وسورة القارعة : ١ –٣، سورة الناس:١–٣.

رابعاً – إحلال صيغة محل أخرى على سبيل المجاز العقلي :

لبواعث دلالية بلاغية، يضع التعبير القرآني صيغة موضع أخرى في فواصل الآيات؛ تحقيقاً للتوسع اللغوي الذي أُثر في كلام العرب شعراً ونثراً، ومن صورهِ المجاز العقلي الذي يقوم على الاسناد العقلي[1]، ومن أمثلة هذا المظهر في فواصل التعبير القرآني ما يأتي :

١- قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الإسراء:٤٥].

٢- وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً﴾ [الفرقان:٢٢].

٣- وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [مريم:٦١].

٤- وقال تعالى : ﴿[illegible]﴾ [الحاقة:١٩ – ٢١][2].

---

(١) المجاز : هو ((كل كلمة أُريد بها غير ما وقعت لهُ في وضع واضعها، لملاحظة بين الثاني والأول، فهي مجاز، وإن شئت قلت : كل كلمة جُزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعاً، لملاحظة بين ما تجوز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له في وضعِ واضعها))، أسرار البلاغة : ٣٥٢، وينظر : البلاغة القرآنية : ١٢٣.

(٢) ومثلهُ قوله تعالى في سورة القارعة : ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٦ – ٧].

٥- وقال تعالى: ﴿▫■♦▫⓿◆✡→⓿❷⊠ ✂☙*"✎☼○❁🕔♊← ✌☙✠■
⌘↗■☜⊟♦ ✍☜⊞ ⌘↗■☜⊟♦ ✌☙♊ ✌□☙✎↗🕮
⑩⊠✂▫☙⊟◉☙﴾ [الطارق :
٥ – ٦].

٦- وقال تعالى : ﴿□◆♎⊠🕔⓿⊠✂ ✂☙◉☙⊡⌨♦✂♦☙☙
✂☙❁☞✌☙✓▫🕔﴾ [التين:٣][1].

٧- وقال تعالى : ﴿□◆◑☜✡✲○←🕛 ✗☜❼☑ 🕮↑✈♎☙
✂☙◉☙⊟⊡↗🕔♦⊟■✍ ✎♦☙♦③⇗☪◆☙ ◉☙♦➔⊠✍✗❼▭
○⊠⊟↗⑩⚐⬋﴾ [الزخرف:٤].

وظف التعبير القرآني (اسم الفاعل) بدل (اسم المفعول) أو عكسه تحقيقاً للمغايرة في سياق التعبير، يقول الفرّاء : ((أهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم، أن يجعلوا المفعول فاعلاً إذا كان في مذهب نعت، كقول العرب : هذا سرٌّ كاتمٌ، وهمٌّ ناصبٌ، وليلٌ نائمٌ، وعيشة راضية، وأعان على ذلك أنها توافق رؤوس الآيات التي هُنَّ معهن))[2]، وقد نتج عن هذا العدول الوظيفي للصيغ مبالغة في المعنى لتغير المواقع فبدلاً من أن يكون الحجابُ ساتراً، والوعد آتياً، والعيشة مرضية، والبلدُ آمناً، والماء مدفوناً – ملاءمةً لمقتضى الظاهر – أصبحَ العكس فأفرزت هذه الأوصاف قيمة دلالية تتناسب مع اللفظِ والمقام تحقيقاً للإيقاع الصوتي المنسجم، ((فالإسناد المجازي يعطي المسند إليه فاعلية محققة يُستغنى بها عن ذكر الفاعل الأصلي))[3].

وقد أسهم المجاز العقلي في فاصلة الآيات بتوسيع مساحة التجاوز المتداول للاسناد مما أدى إلى انتقاء عناصر بعيدة عن الحقيقة، تقريباً للدلالة بدخول خواص جديدة للفظِ الموضوعِ رعايةً للفاصلة، وقد ذهب أهل العلم في تخريج هذه التعابير

---

(١) ومثله قوله تعالى في سورة القصص : ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً﴾ [القصص: من الآية٥٧].

(٢) معاني القرآن (الفرّاء) : ٣/٢٥٥.

(٣) الإعجاز البياني للقرآن : ٢٢٥.

المجازية على وجه الحقيقة، إلى أن الأصل في الوصف بها هو إرادة المبالغة دون الوصف المباشر؛ لأنه أوقع في الدلالة على الرغم من احتمالها الوجهين.

خامساً – ظاهرة الجمع بين المترادفات بالعطف أو ما هو قريب منه في المعنى :

أقربُ تعريفٍ للترادفِ من منظور الدراسات اللغوية الحديثة هو احتواء كلمتين أو أكثر، نفس المكونات والعناصر التصويرية المتماثلة، وقد أثارت هذه الظاهرة جدل العلماء قديماً وحديثاً بين منكرٍ ومؤيد[1].

وخلاصة الأمر يمكن القول إنه على الرغم من اشتراك وحدتين لغويتين في أصل المعنى؛ إلاّ أن الدلالة تختلف، وأن ليس هناك لكلمتين المعنى نفسه تماماً، فالسياق هو الحكم، والذي يهم البحث هنا التنبيه على أن مسألة الجمع بين المترادفات في الفاصلة القرآنية مسألة يراعى فيها المستويان الدلالي والصوتي، ليس أحدهما فضلٌ على الآخرِ.

قال تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [فاطر:٢٧][2].

لتأكيد صفة الألوان يجمعها بمرادفها، وقد أطردّ هذا القياس في كلام العرب، فيقال : أحمر قانٍ، وأصفر فاقع، وأبيض ناصع، وهذه ((من الآيات التي صدئت فيها الأذهان الصقيلة، وعادت بها أسنة الألسنة مغلولة))[3]، خلّف الترادف هنا أثراً

(١) ينظر : علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي : ٩٣.

(٢) غرابيب : ((جمع غربيب، وهو : الشديد السواد يُقال أسود غربيب))، تفسير غريب القرآن (ابن قتيبة) : ٣٦١.

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٢ / ٤٤٤.

دلالياً يبرز في حذف الموصوف (سود)؛ لدلالة صفته عليه (غرابيب)، ثم ذكر بعد ذلك تأكيداً للمحذف وتفسيراً له مبالغة في الدلالة عليه، فكأنما ذُكر مرتين مرة بالإخماد ومرة بالإظهار(1).

تأمل ما جاء في سورة نوح من قوله تعالى : ﴿❒◆✁✍✏✦
♉◻➔◻✌•♐⬧⬈⬀◆↓ ✁✍❀☞❻⬀⬂◆ 🗀⧰○❁✍⬤✦✍
⬀✍⬎✍ ♐⬧❖☞◆○⬄⬛➔⬈❒✁☎ ✌⧰❁✍⬃◻✍
✍⬅⬛⬅⌧✦▫⧰✌◻✍♊❍◐⬆ ﴾ [نوح: ١٩ – ٢٠].

موطن اجتماع الدالين (سُبلا، فجاجاً) في الآية الكريمة، يؤكد حضور المثير الأسلوبي الممثل بظاهرة الترادفِ الذي ينتج عنهُ بيان دقة التعبير القرآني في الجمع بين الدوال مع إمكان الاستغناء بأحدهما عن الآخر، مما يؤكد انفراد الدلالة في كل لفظٍ(2).

ومما جاء في سورة مريم قوله تعالى : ﴿❒◆✁✍❶⬂✍⬈❷⬀
✖⧰❼ ✁✍♐⬂⬛⬅☝◆⬀⬛⬅ ✌⬉❒⬅⬛⧰✁ ⬛ ◑⧰✡✺○⬅◑
⬀⬛✍♌ ⬅➔❸⬂⬛⬛◑❄✍ ❒◆✍⌧⬅♌◆ ❻◆⬅❒⬅◆☪
✡✺⬛⧰⓿❁✍ ﴾ [مريم: ٥١].

وفي آية مشابهة في السورة نفسها قوله تعالى :

﴿❒◆✁✍❶⬂✍⬈❷⬀ ✖⧰❼ ✁✍♐⬂⬛⬅☝◆⬀⬛⬅
◑⧰⬅⇧⬛◑⬅➔⧰❿⬀• ⬛ ◑⧰✡✺○⬅◑ ✍⌧⬅♌◆
⏲❁✍❿⧰⬀• ✁✍♐⬂⬛❒⬉⇧❾⧰ ❒◆✍⌧⬅♌◆
❻◆⬅❒⬅◆☪ ✡✺⬛⧰⓿❁✍ ﴾ [مريم: ٥٤].

حققت الآيتان مجاورة ترادفية بين الدالين (رسولاً) و(نبياً)، فضلاً عن ما فيها من ملمح أسلوبي يفرضهُ التقديم والتأخير للدالين، وإنما جاء ذلك ليس رعاية للفاصلة فحسب؛ بل لتأكيد الدلالة نتيجة الترابط الوثيق بين المفردات المترادفة بشكل يؤثر سلباً على المستويين الصوتي والمعنوي، إذا ما استغنى عن أحدهما، فالرسول في

---

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٧ / ١٥٠–١٥١، روح المعاني : ٢٢ / ١٩٠.

(٢) السبل هو جمع سبيل وهو الطريق الذي فيه سهولة، أما الفُجاج فهو جمعُ فجٍ وهو الطريق الواسع، ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٢٢٩ و٣٧٥.

اللغة معناه ((الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أخذاً من قولهم : جاء الإبل رسلاً، أي متتابعة))[(١)]، في حين أن كلمة النبوة تُفسر بـ ((سفارة بين الله وبين ذوي العقول من عبادهِ لإزاحة علتهم في أمر معادهم ومعاشهم، والنبيُّ؛ لكونه مُنبِّئاً بما تسكن إليه العقول الذكية))[(٢)].

يتضح مما سبق أن متابعة المادة اللغوية للألفاظ المترادفة أمرٌ لابُدّ منهُ، لإثبات خصوصية الدلالة في كل لفظٍ، مما يؤكد أن دلالة (نبي) أخصُّ من دلالة (رسول)، بدليل ما ذهب إليه الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) : ((النبأُ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظنّ، ولا يُقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب كالتواتر وخبر الله تعالى وخبر النبي ﷺ))[(٣)].

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾[(٤)] **[المدثر:٢٢]**. وقوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ **[المدثر:٢٦–٢٨]**.

تَمكنَّ المفسرون من استكناه الفروق الدقيقة بين التعابير المترادفة من غير تكلفٍ، وبيان مستوياتها الدلالية، وقد فسرّ الفخر الرازي (عبسَ وبَسَرَ) بقوله: ((عبسَ فهو عابس إذا قطب ما بين عينيه، فإن أبدى عن أسنانه في عبوسهِ قيل كلح، فإن أهتم لذلك وفكر فيه قيل بسر، فإن غضب مع ذلك قيل بسل))[(٥)]، ومن خلال معرفة الفروق اللغوية يتأكد قول الزمخشري في تفسير هذه الآية بأنها ((وصف أشكالهِ التي

---

(١) لسان العرب : مادة (رَسَلَ).

(٢) المفردات في غريب القرآن : ٤٨٣.

(٣) المفردات في غريب القرآن : ٤٨٢.

(٤) نزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة وقولته المشهورة ((والله لقد سمعتُ من محمدٍ آنفاً كلاماً ما هو من كلام الأنس، ولا من كلام الجن، إن له لطلاوة، وإن عليه لحلاوة، وأن أعلاه لمثمر، وأن أسفله لمغدق، وأنه يعلو وما يعلى، فقالت قريش : صبأ والله الوليد))، الكشاف : ٤ / ٤٩٧، وينظر : البرهان في علوم القرآن : ٢ / ١٠٤.

(٥) التفسير الكبير : ٣٠ / ٢٠١.

تشكَّل بها حتى استنبط ما استنبط استهزاءً به))[١]، فقد وصفت هذه الأحوال المترادفة الحالة النفسية وما يرافقها من تغيرات متتابعة بدقةٍ تناسب فيها رعاية الفاصلة مع المحتوى الدلالي المقصود.

سادساً – ظاهرة المغايرة والتفرّد :

تجري الفاصلة في التعبير القرآني وفقاً لنظام نسقي بنيوي قد يأتي ثابتاً أو متحولاً، لا يلتزم عدداً محدداً من الآيات، يتطلع إلى التجديد والتنويع تبعاً للمحتوى الدلالي، وعلى أساس ذلك نلمح في هذا النظام أسلوباً متفرداً يتجه إلى المغايرة والخروج عن المألوف – ضمن السورة القرآنية – كما في قوله تعالى: ﴿♦✌︎♦🕭♦✌︎♦ 🕮□□⧫➔⬀⌨︎➔⑨←□♍︎⚘ ✌︎♉︎Ⅱ ⑩←□♍︎◷ ✂︎★✎✌︎ ♦●● ③♦☾⊞⊠➔↖⧗➔⬀ ⅄⊠⓿⬂★ॐ □♦●● ③♦⬗◐⓫⑩□✍︎↗☠︎⬀﴾ [الأنبياء:٦٦].

جاءت الآية فاصلة منفردة مغايرة لفواصل السورة التي تسيرُ وفقاً لإيقاع صوتي متناسق ما بين (الواو والنون) و(الياء والنون) ثم نلمح نمطاً مغايراً لما اعتادت الأذن عليه، وألِفَتْ سماعَهُ، وكذا الحال في قوله تعالى : ﴿□♦□✍︎⬂⌨︎♦⬆︎⊠﹠⬋☠︎⬀ □♋︎❷⬀↖♦□⬀♌︎↖ 🗎◷♑︎➔✡︎↖□⑩♋︎■⊘◷ □♦⇔♦⌖♋︎❸♦﹠⬋☠︎ ✌︎♓︎♋︎Ⅱ⌘ ✂︎✌︎◉♎︎⬂⬈☠︎♦☹□✗ ✌︎♦✌︎ ⬊⊠⌖♋︎❸♦﹠⬋☠︎⬀﴾ [طه:٧٨].

وقوله تعالى في سورة الضحى : ﴿□♦🕮□✌︎□✌︎ ✍︎♍︎☾♋︎➔⬃☺︎⊠□♋︎ ❻♦✍︎■♍︎⊠⌨︎⊠ □♦⊂⊠⑨♎︎♋︎♈︎⇳﴾ [الضحى: ١١].

شكلت تلك الآيات مساحة دلالية صوتية فاصلة بين آيات السورة مجتمعةً، فالتعبيرِ القرآني جاء على طريقة العربِ وأسلوبهم في القول، دون تفاوت، أو إخلال بالمعنى، ودون خضوع لإرغامات الشكل وقيوده[٢]، وهنا يتأكد للبحث أن مغايرة

---

(١) الكشّاف : ٤ / ٤٩٨.

(٢) ينظر : البديع وفنونه : ١١٤.

النظام جاءت مقصودة لتفعيل إمكانيات الدوال التعبيرية، وما تحمله من قدرة تنغيمية من خلال مجموع العلاقات التركيبية، بإجراء التعبير القرآني تحولاً صوتياً في الألفاظ (ما غَشِيَهُمُ، فَحَدِّثْ) فكَسر بذلك التحول، التوافق الذي يحدثه النغم، متوخياً الناتج الدلالي الذي يُضاف إلى الوظيفة الصوتية التي هيأت استقرار الفاصلة في موضعها، فلو وقفنا على الآية الحادية عشرة من سورة الضحى، نجد أنها وقفت على فاصلةٍ مغايرةٍ منفردة وهي (حدِّث)، ((وهذا دليل قاطع على أنه لا يراد بالفاصلة القرآنية مراعاة الحروف، وإنما يراد المعنى المقصود بالدرجة الأولى))[١]، وقد تناولت الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) هذهِ المخالفة من منظورٍ يناقض رؤية بعض العلماء على أنها حُملت لقصد المشاكلة اللفظية بين رؤوس الآي، موضحةً أن هذه الفاصلة إنما جاءت ناتجاً دلالياً لمجمل السياق القرآني المناسب لإيراد نعم الله تعالى على رسولهِ الكريم ﷺ[٢]، مع امكان إطلاق لفظ (فخبّر) بديلاً عنها مما اقتضى تحولاً يثبت فيه التأكيد والتنبيه على مسألة في غاية الأهمية، مقابل تلك النعم، وهي التحديث بها، من باب شكرها، فوقف عندها مغايراً نمطها مع عدم تماثلهِ مع غيرهِ فليس في السورة كلها (ثاء) فاصلة، أو حرف ثاء. وهنا يتأكد أن عنصر التفرد والمغاير شكل عاملاً أساسياً لغوياً في بنية الفاصلة القرآنية ينسجم مع الناتج الدلالي المطروح لا يمكن الاستغناء عنه أو تجاوزه إلى غيره.

مما سبق أكدت متابعة العلاقات الرابطة للمفردات المسجوعة في التعبير القرآني، وجود ظواهر أسلوبية فصّل البحث القول في قسم منها، واستغنى عن قسم آخر كـ(التكرار، ومطابقة التشكيل الإعرابي، وتماثل التراكيب الوصفية، والعدول عن تسهيل الهمزة وتحقيقها وغيرها)[٣].

---

(١) البلاغة القرآنية : ١٢٨.

(٢) ينظر : الإعجاز البياني للقرآن : ٢٥٠.

(٣) وهي نيف وأربعين ظاهرة أسلوبية أحصاها الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفي (ت ٧٧٦هـ) في كتابه (إحكام الرّاي في أحكامِ الآي)، حيث قال : ((لا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة؛ فإنَّ القرآن العظيم – كما جاء في الأثر – بحرٌ لا تنقضي عجائبهُ))، التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن : ٢٨٥.

المبحث السادس : مواضع التأنق والبراعة في التعبير القرآني :

مدخل :

تجلي الدراسات البلاغية القرآنية خلال قرون طويلة مضت وإلى يومنا هذا، الأسرار البديعة في نظم القرآن الكريم، إبتداءً من الحرف واللفظ والتركيب إلى المعنى المقصود، فهو المعجزة البيانية التي أكتمل فيها جمال النبرة اللفظية، واندمجت بالمضمون الفكري الهادف، وبالمبدئية الراقية والأغراض المعنوية الجامعة، فأفحمت العرب وجعلتهم يستلهمون من أفكاره وأساليبه ما يُغني معينهم الفكري، لأنه [illegible] [illegible] [illegible] **[هود:١]**، وباتفاق العلماء فإن هذا النظم المُعجِز إنما هو وحدات مترابطة متناسقة كالجسد الواحد يدّل أوله على آخره ويُكمل مبتدأه منتهاه، يتنقل بين الأغراض المختلفة في السورة الواحدة لا اعتباطاً وبلا هدف؛ ولكن لصلات وثيقة تربط هذه الأغراض مع دواعيها لتتضافر جميعاً في الوصول إلى الغاية القصوى، مُطلقين على هذا التناسق مصطلح (الوحدة العضوية أو الموضوعية)، منشغلين ببيان منهجها داخل الآية القرآنية أو الآيات المتجاورة في السورة مع ما يسبقها وما يلحقها، لتشكل باجتماعها سياقاً مؤتلفاً يُعبر عن الدلالة المتوخاة حتى ((إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حُشيت حشواً، وأوزاعاً من المباني جُمعت عفواً، فإذا هي لو تدبرت بُنية متماسكة بُنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأُقيم على كلِّ أصلٍ منها شعبة وفصول، وامتد من كلّ شعبة منها فروع تقصر أو تطول))(١).

---

(١) النبأ العظيم : ١٩٥.

من خلال ما تقدم وجه العلماء عنايتهم إلى الصياغة القرآنية وفقاً لمعالجات إجرائية تقسم الكلام إلى أساليب ثلاثة :

الأسلوب الأول : حُسْنُ الابتداءِ وبراعة الاستهلال.

تعرض النقاد والبلاغيون لهذا النوع من البديع بشيءٍ من الاهتمام، فاختلفت التسميات بين(حُسن الافتتاح) و (براعة المطلع) و (حُسن الابتداء) و (براعة الاستهلال)، إلاّ أنها جميعاً تؤكد على التزام التأنق في مواضع البدء وجعلها عذبة اللفظ، حسنة السبك، جزلة المعنى، فهي أول ما يطرق الأسماع وفيها مكمن التأثير، ترتكز في بنائها الدقيق على إمكانية المبدع في الصياغة الاسلوبية بعيداً عن التكلف والتعقيد والتشاؤم والاقتضاب[١]، وهذا هو واقع طريقة العرب في كلامهم؛ فالبلاغة عندهم الايجاز وبلوغ المعنى مؤكدين على أن يكون أول كلامك يدل على آخره، وآخره يرتبط بأوله[٢] ويشهد بذلك تراثهم الزاخر، يقول الجاحظ : ((ليكن في صدر كلامك دليلاً على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته))[٣] وقد عقد ابن المعتز باباً في كتابه سماه (حُسن الابتداءات)، في الوقت الذي جعل فيه الحموي هذا الفن مشروطاً باعتبارات لا يجوز الإخلال بها رغم موافقته ابن المعتز في إطلاق التسمية، مؤكداً أن هذه التسمية تنبيهٌ على تحسين المطالع، وإن أخلّ الناظم بهذه الشروط لم يأت بشيء من حُسن الابتداء[٤]، أما القزويني فقد جاء إطلاقه لمصطلح (حُسن الابتداءات وبراعة الاستهلال) مناسباً للمقصود، مع ملاحظة أن الاختلاف في اصطلاح هذا اللون من البديع تأكيد على أهميته؛ لدلالته على مطالع الكلام وما تتضمنه من غرض يقصده المتكلم ليكون مبتدأ كلامه دالاً على منتهاه، منتجاً لوناً من التماسك العضوي والموضوعي في بنية النص ومضمونه؛ فهو أول تنبيه يلفت المتلقي بتأنق لفظه وحسن نظمه، وصحة

---

(١) ينظر : الإيضاح : ٣٢٥، وبغية الإيضاح : ١٣٦/٤.

(٢) ينظر : معترك الأقران : ٥٨/١.

(٣) البيان والتبيين : ١١٦/١.

(٤) ينظر : البديع : ٧٥، وخزانة الأدب (الحموي) : ١٠/١.

معناه، ومطابقته لمقتضى الحال الملائم لجو السورة المشحون ومقامها داعياً إلى أن يُقبل المخاطب إلى جميع كلامه فيصغي إليه ويتأمله ويعيه.

وفي ظل هذا التحديد للمصطلح راح البلاغيون والمفسرون ينظرون في مواطنه القرآنية محاولين إبراز القيمة الفنية، وأثرها الاسلوبي في كل موطيء، والمواقف التي وقفوا عندها كثيرة جداً، والمعاني التي استخرجوها منه تكاد تساوي عدد مواضعه، وفي كل موضع خرجوا بدلالة جديدة تناسب السياق الوارده فيه، ومكمن الابداع هو مناسبة أغلب فواتح السور لمضمونها وخاتمتها، وقد أجمع البلاغيون والنقاد على أن فواتح سور القرآن الكريم بلغت أعلى درجات البلاغة، وجاءت فاتحة كل سورة في غاية التلاؤم والتناسب مع ما تضمنته السورة من أحكام وعظات وقصص وأمثال، وبذلك تشكل فواتح السور القرآنية ومطالع الآيات ركناً من أركان البديع؛ لأنها عمدة التعبير وقاعدة التوجيه، والأعلان الأول الموجز الدال على ما يهدف إليه المقصد العام ويتضمنه من الماح دقيق يجذب الانتباه مع قصد في اللفظ ووفاء بحق المعنى.

وصف بعض البلاغيين عدم تضمن البدء الماح إلى المقصود الأول بالابداع الذي يشدّ الانتباه وصولاً إلى الدلالة المنشودة، وخصوه بمصطلح (براعة الاستهلال) كأن يأتي المتكلم في إبتداء كلامه باشارة غير مصرح بالطلب الدال على مقصده كقوله تعالى : ﴿◻◆✡◆✍⑩◻⑧▤ ✡⇦◻◻ø ❻▪✍✸○⇦① ◻•◑•✍✌♦ ❻◆✞♉✍ ◑✆♌◻ ✂✍✍✍♉ø ✍♈II⇕ ❻✍✍◙♉•◻✍ ◻◆⇖⇕⑨◻⊠ ◻◆◑✆♌◻ ❼ø✍✍♎◻🕮 ◻◆🕮◻✡☼● 🕮◻○⇕▤•☠⇖ ✂✍✍✍♉♦◻①▤✍☺♉✓✗♦﴾ [هود : ٤٥] فقد أدت إشارة نبي الله نوح عليه السلام غرضها الدلالي المقصود غير المصرح به لطلب النجاة لأبنه، وهذا الأسلوب في غاية الأدب ((إنهُ يسأل ولكن سؤالاً مطوياً ضمن ما يقرره من وصف العدالة والحكمة الباهرة لله جلّ جلاله))[1] بعد أن تذكر ابنه وتمنى لو كان فيمن سلمهم الله من طامة الغرق ((فلماذا لم يكن من الناجين وقد

(١) من روائع القرآن : ٢٧٥.

وعدتني – ووعدك الحق- بأن يكون أهلي من المرحومين من ذلك البلاء))[1]، ويكشف هذا الأسلوب عن العلاقات المتوافقة للمفردات السلسة الواضحة مع الدلالة القرآنية للوصول إلى التعبير المتكامل المتضمن أبلغ الفاظ الدعاء رحمة في قولهِ (ربِّ) عدولاً عن قول (الله)؛ وانتهى بأحسن خاتمة لدعائه في قوله تعالى:

﴿❒◆✏✶ ➘☒⓿⬂◨➲ ✁✍⚈○○☺◰◷❑◆◔☠♉

❒◆✁✍❀☞❻⬀▽⬖ ❒◆◐♉⓿⬂○♉ ③⬉❷⬀♉◰➚←

✁✍❀☞✌⬂❷⬉ ✍◵⬈✁✪❏⬉◷ ▫♦✍✍⬉⇕⌛←⑨⇕■←

❒◆♦✍❒◆▤·⬀ ⬉◆◨■⓿⬂○♉ ▤ ❒◆✍♦✍ ❻◆◚⑩⌨◰

⬉◆☺⓿✍ ✍◆➔◰☺◨➔❒ᔕ◆﴾ [هود : ١٢٣].

وبهذا المعنى يؤكد الدرس الأسلوبي على التوافق بين ابتداء السور المفتتحة والسياق القرآني العام للسورة مما يحقق وحدة موضوعية هي مكمن الإبداع في التناسب الابتدائي والختامي. تأمل ما جاء في سياق سورة النساء من بيان للأحكام المشروعة في حق النساء من الطلاق والميراث والمعاملة الزوجية، صورت بابدع ابتداء في قوله تعالى: ﴿③◆◷✵♗❒⑨✍&❒✍ ✁✍♉☪❒✍❒↓

✁✍✍✵◑➔❒✁☎ ❻◆◚✵▤➚☠⬉﴾[النساء:١] لما في هذا الأمر الالهي من دلالة وتنبيه على ضرورة الالتزام والتقيد بتلك الأحكام انسجاماً مع الضوابط. فقد افتتحت السورة بالخطاب الندائي المسبوق بـ(ياء النداء) الذي شكل محوراً بارزاً له أثره في البنية التكاملية للسورة؛ ذلك لأن الوظيفة الدلالية المنوطة بالنداء الذي ينتمي إلى النمط الإنشائي الطلبي، هو : التنبيه وطلب الإقبال[2].

عَبَّرَ النمط الإنشائي الطلبي المفتتح به عن دلالة ايحائية تحرص على التنبيه، وطلب الاقبال والتهيؤ لتلقي الخطاب المستقبل، ولفت النظر الى عظم الأمر وذلك أن النداء بـ((يا أيها الناس، إما أمر يجب امتثاله، وإما نهي يجب اجتنابه، وإما كلام يتضمن فحوى أمر أو نهي))[3] وبذلك تتفاعل الوظيفة الدلالية لأسلوب النداء

---

(١) من روائع القرآن : ٢٧٥.

(٢) ينظر : الجملة العربية، تأليفها وأقسامها : ١٤٢.

(٣) تجليات الدلالة الايحائية : ٢٦٣.

الممثل بالتنبيه وطلب الإقبال مع المستوى الصوتي لـ(هاء) التنبيه، وقد أبدى ذلك توافقاً مع السياق الإرشادي التوجيهي، فمن غير الائق الابتداء بما أُفتتحت به سورة الحج في قوله تعالى : ﴿③♦🕔✸🕯❒③⑩♑⌧✍ ✁✍✍🕮☾☐✍☐↓ ✁✍✍✍✸☽→☐✁☎ ⑥♦✍✸⧗→☠⇗ 🗐 ☽✍♍· ✍⌧🕮♑⑧♦✍♦🕯♦· ✁✍✍🕮○○✍⇖♦☐✎ ★⌧✍⇔⇗⇙⇖♦→✎⑩⚐✍﴾[الحج : ١]؛ لأن هذا التعبيرمُغاير لما جاء في سياق سورة النساء على الرغم من إتحاد الأبتداء، فجاءت الصياغة القرآنية مناسبة لمظاهر ذكر البعث والاحتجاج عليه، والنهي على منكريه بما يلائم مما افتتحت به سورة الحج في قوله : ﴿☽✍♍· ✍⌧🕮♑⑧♦✍♦🕯♦· ✁✍✍🕮○○✍⇖♦☐✎ ★⌧✍⇔⇗⇙ ⇖♦→✎⑩⚐✍﴾، في حين أبرزت العلاقات الدلالية المنطقية في مفتتح سورة النساء الطاقة الإيحائية التعبيرية الكامنة في الالفاظ لتدعيم البنية الدالة على مجموعة الأحكام والضوابط الشرعية المتعلقة بالنساء بما يلائم الابتداء البديع، فضلاً عما يتميز به أسلوب (يا أيُّها) في السورتين من عناصر لغويه ذات تأثير في اللفت وشدّ الأنتباه فـ(أي) للإبهام، و(ها) للتنبيه، وهي أكثر أساليب الأستفهام وروداً في النظم القرآني.

ولو تأملنا سورة التوبة التي تصدرت بذكر البراءة لما فيها من إذنٍ إلهي لرسوله الكريم ﷺ بالفتح وشهرِالسيف والقتال، قطعاً للعهود ومخالفةً للمواثيق التي قام بها بعض العرب بعد أن وثُقت فنُكثت، قال تعالى : ﴿✍♦❷♦✁✎⇗♦☐⋞ ✁✍✎★ ☐♦⑥♦✍←☐✎✍🕮✎🕘⊞ ☽✍🖫■❼ ✍⊞♊✎⌘ ⇖♦🕔♑⌧⑨✍✍☠ ✁✍✎⅄🔔✎⇦×♦ ✍⊞♊✎⌘ ✁✍✍🕮♒☺←¤⇧❸✍🖅✎✓×♦﴾[التوبة:١] يظهر الافتتاح النسقي المتناسب مع المضمون منذ صدور أول لفظٍ في السورة للبحث عن مدلولاته وتحقيق العلاقة الترابطية بين الألفاظ ومعانيها؛ لأن أول ما يقرع السمع قوله تعالى (براءةٌ) فإنها ((داعيةُ الانشراح، ومَطِيَّةُ النجاح))[1] في تحقيق الملائمة والحُسن المقصود في التعبير القرآني، والحديث عن حُسن الابتداء في فواتح السور يقودنا إلى الكشف عن إحدى أهم المتابعات الدقيقة التي رصدها البحث في هذا الجانب، وهي حديث

(١) العمدة : ٢١٧/١.

السيوطي عن أهمية الابتداء الحسن قائلاً : ((وقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها))[1] ذاكراً أن ابن أبي الاصبع المصري أفرد فواتح السور القرآنية في كتاب سماه (الخواطر السوانح في أسرار الفواتح)، واتبع السيوطي منهجاً في تلخيصه مع زيادة من غيره، حصر فيه هذه الفواتح والمطالع في عشرة أصول اتبعها في تحليل تطبيقاته القرآنية، التي وجد البحث في عرضها ضرورة للوقوف على أهم المظاهر الأسلوبية التي ينطوي عليها هذا اللون البديعي، وهي :

١- المطالع والافتتاحيات الحرفية.
٢- المطالع والافتتاحيات الشرطية.
٣- المطالع والافتتاحيات الندائية.
٤- المطالع والافتتاحيات القسمية.
٥- المطالع والافتتاحيات الأمرية.
٦- المطالع والافتتاحيات الدعائية.
٧- المطالع والافتتاحيات الخبرية.
٨- المطالع والافتتاحيات الثنائية والتحميدية.
٩- المطالع والافتتاحيات الاستفهامية.
١٠- المطالع والافتتاحيات التعليلية.

وسيكتفي البحث بذكر مظهرين من مظاهر حسن الابتداء وبراعة الاستهلال وهما:

أولاً : المطالع والافتتاحيات الحرفية :

أثار هذا النوع من المطالع القرآنية جدلاً كبيراً في أوساطِ العلماء والمفسرين، وتناولها بالدرس الكثيرون قدماء ومحدثين، عرباً ومستشرقين، تعارضت آرائهم ومذاهبهم حول دلالة الحروف المفتتح بها والغرض منها، وأسفر هذا الجدل عن بروز إتجاهين نوجزهما بالآتي :

الاتجاه الأول : يرى عدم الخوض في الحروف التي في آوائل السور القرآنية؛ لأن فيها سِرّاً انفرد الله تعالى بعلمهِ، فهي سرُّ الله في القرآن، ولله في كلِّ كتاب من كتبه

(١) الإتقان في علوم القرآن : ١٠٦/٢.

سرٌ، وسِرُّ هذا القرآن فواتح سوره؛ لذا أفضى أصحاب هذا الاتجاه بعدِّها من المتشابه الذي لا يعلم كنهه إلاّ الله تعالى، ومن المكتوم الذي لا يُفسر[١].

الاتجاه الثاني : يرى ضرورة توجيه هذه الظاهرة وتخريج دلالاتها، وتلمس الفوائد التي تحتها، فاختلفت الاراء في ذلك وتشعبت الى ما يزيد على عشرين وجهاً يمكن تلخيصها وتنسيق حصيلتها والرّد عليها بالآتي :

١- الرأي القائل بأن كل حرف من هذه الحروف المقطعة، اسمٌ من أسماء الله تعالى، وقد ذهب بعض العلماء الى أنها برمتها وعلى أختلاف صيغها اسم الله الأعظم، إلاّ أنّا لا نعرف تأليفهُ منها[٢].

٢- الرأي القائل بأنها أقسام أقسم الله بها لشرفها وفضلها[٣].

٣- الرأي القائل بأنها أسماء للسور التي صُدرت بها[٤].

٤- الرأي القائل بأن مجيئها إشارة صريحة إلى غلبة ورودها في كلمات هذه السورة[٥].

٥- الرأي القائل بأنها رموز وعلامات دالة على كلمات هي بعض حروفها فمثلاً قوله تعالى : ﴿ **آلم** ﴾ بعض حروف كلمة : أنا الله أعلم، وقوله : ﴿ **آلر** ﴾ بعض حروف كلمة : أنا الله أرى، وقوله: ﴿ **المص** ﴾ بعض حروف كلمة : أنا الله افصّل وهكذا[٦].

---

(١) ذهب الى هذا الاتجاه عامر الشعبيّ، وسفيان الثوري، وجماعة من المحدّثين، لروايته عن أبي بكر الصديق ﷺ، وعلي بن أبي طالب ؈، ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٣٧/١، والإتقان في علوم القرآن : ٨/٢.

(٢) ذهب الى هذا الرأي عبد الله بن عباس، وعلي بن ابي طالب ؈، ينظر : جامع البيان : ١/ ١٠٠-١٠١، والمحرر الوجيز : ٨٢/١، والجامع لأحكام القرآن : ٢٣٨/١.

(٣) وبهذا الرأي قال الكلبي عن ابن عباس ﷺ، ينظر : جامع البيان : ٩٩/١-١٠١.

(٤) وإليه ذهب زيد بن أسلم، ينظر : جامع البيان : ١٠٠/١، والمحرر الوجيز : ٨٢/١، والجامع لأحكام القرآن : ٢٤١/١.

(٥) حاول الزركشي أن يثبت وجه أختصاص كلّ سورة بما بدئت به بحيث لا تصلح (آلم) بدءاً لسورة مفتتحة ب (آلر) وذكره في تفصيل، ينظر : البرهان في علوم القرآن : ١٧٤/١.

(٦) روي هذا الرأي عن ابن عباس، واختاره الزّجاج قائلاً : ((أذهب الى أن كل حرف منها يؤدي معنىً؛ وقد تكلمت العرب بالحروف المقطّعة، نظماً لهل وضعاً، بدل الكلمات التي الحروف منها)) واستشهد بقول الوليد بن عقبة بن أبي معيط : فقلت لها : قفي فقالت : قاف، فعبَرَ عن قولها وقفتْ بـ (ق) ، معاني القرآن (الزجّاج) : ٦٢/١؛ ينظر : الخصائص : ٣١/١ و ٨١ و ٢٤٧ و ٣٦٣/٢؛ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٣٩/١؛ معترك الأقران : ٥٥/١.

٦- الرأي القائل رموز يراد بها قيمتها العددية، ليستنبط منها مدة بقاء الأمة الاسلامية على طريقة (أبجد)(١).

٧- آراء غربية تذهب خبط عشواء لتزعم أن هذه الحروف معكوس الأحرف البارزة في إحدى الآيات الكريمة(٢).

٨- رأي عللَ ورودها لحكمةٍ دقيقة تنطوي عليها؛ لاشتمالها على أنصاف أجناس الحروف(٣).

٩- فريق يرى أنها أدوات للتنبيه يعمد إليها القرآن الكريم لتنبيه الرسول ﷺ إلى نزول الوحي، أو لتنبيه المشركين وأهل الكتاب في مكة والمدينة لأنهم كانوا ينفرون عند استماع القرآن، فلما سمعوا : (آلم) و (المص)، استنكروا هذا اللفظ، فلما انصتوا له ﷺ أقبل عليهم بالقرآن المؤتلف ليثبته في أسماعهم، ويقيم الحجة عليهم(٤).

---

(١) يرى هذا الرأي السهيلي حيث يقول : ((لعل عدد الحروف التي في أوائل السور- مع حذف المكرر- للإشارة الى مدة بقاء هذه الأمة))، الإتقان في علوم القرآن : ٢/ ١٠.

(٢) يروى أن النصارى قد أتخذوا الحروف رموزاً دينية معروفة فيما بينهم أيام نزول القرآن، وكانوا يرمزون بلفظ (إكسيس) عن يسوع ابن الله المخلص، فالألف من هذا الرمز هي الحرف الأول من (إيسوس) يسوع، والكاف هي الحرف الأول من (كرستوس) المسيح، والسين مبدلة من حرف الثاء في (بثو) الله، والياء تدل على (إيوث) إبن، والسين الثانية منها تشير الى (تويتر) المخلّص، ومجموع هذه الكلمات عندهم هو يسوع المسيح ابن الله المخلّص، وقد نقل الدكتور زكي مبارك رأياً في هذه الحروف وعزاه الى مستشرق فرنسي يدعى (بلانشو) حين اعتبرها وحدات صوتية تكوّن لحناً موسيقياً يراد به تحريك الشعور وأيقاظ الوحدات، كما يكون ذلك في التراتيل الدينية لتهيئة النفوس لتلقي النصائح والارشادات، ينظر : تفسير الجواهر : تفسير سورة آل عمران، وبحث جديد في القرآن (محمد صبيح) : ٢، والنثر الفني : ٧٥، نقلاً عن خصائص التعبير القرآني : ١٩٨/١-٢٠٠.

(٣) أطال الزمخشري النظر في هذه الحروف وتنبه الى أن مجموعها بغير المكرر منها أربعة عشرحرفاً هي نصف حروف المعجم، فيها خمسة حروف مهموسة، وفيها نصف الحروف المهموزة، ونصف الحروف الشديدة، ونصف الحروف المستعلية، ونصف الحروف المنخفضة، ونصف الحروف الرخوة، ونصف الحروف المطبقة، ونصف الحروف غير المطبقة، ينظر : الكشاف : ١/ ٣١؛ وأشارت الدكتورة بنت الشاطئ الى هذا الرأي بقولها : ((وقد تنبه السلف))، الإعجاز البياني للقران : ١٢٨.

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١/ ٢٣٨- ٢٣٩، وإلى هذا الرأي ذهب بعض الباحثين المحدثين منهم الدكتور صبحي الصالح الذي عدّها أصواتاً حلوة الوقع تنبه السامع وتقرع سمعه ووصفها بأنها همس السماء في أذن الأرض، ينظر : مباحث في علوم القرآن (صبحي الصالح) : ١٩٠.

١٠- الرأي الاخير يذهب الى أن هذه الحروف إشارة إلى أسماء حروف التهجيء، جيء بها لإعلام العرب بأن القرآن منتظم من جنس ما ينظمون، وتحدياً لهم بأنه مؤتلف من حروف بُني عليها بيانهم وكلامهم، وأن أول ما يهتم به العرب في بيانهم حسن الابتداء؛ لأنه أدعى لقبول السامع، وحسن استيعابه للمعنى المراد، ومن هذا المنطلق جاءت براعة الافتتاح والاستهلال القرآني لتعجز العرب في أساليبهم وتثير الاستعداد النفسي والتشويق لتقبل ما سيُتلى عليهم، وبذلك يُظهر عجزهم عن محاكاتهِ والأتيان بمثلهِ[١].

ومن هنا نرى أن هناك محاولات ضخمة في بطون مدونات التفسير، لمعرفة دلالة الفواتح؛ الاّ أن الاختلاف الكبير في الأراء وتضارب وجهات النظر بينهم يجعل من الصعب الترجيح بين ما توصلوا إليه على سبيل القطع؛ لأن كلّ منهم استأثر برأيه في ذلك الخصوص

وهذا ما يرجحهُ البحث ويوافقه لأسباب منها :

أ- أن الأراء السابقة معّرضة للنقد والتفنيد، وبذلك تكون مردودة لاعتبارات علمية ومنطقية تتكشف للبحث بالتحليل والمتابعة، فلو سلمنا مثلاً بأن هذه الحروف أسماء لله تعالى أو أنها اسم الله الأعظم، حينئذٍ تكشف السنة النبوية في حديث المصطفى ﷺ قوله : ((إن لله تسعةً وتسعين اسماً))[٢]، عدم وجود مثل هذه الأسماء في الإحصاء العددي الذي جاءت به السنة المطهرّة، فأين من هذا العدد تلك الحروف التي اعتبرت أسماءً لله تعالى؟!

المسألة الثانية التي تستوقفنا هي ورود قوله تعالى : ﴿ آلم ﴾ فاتحة لست سور هي : البقرة، وآل عمران، والعنكبوت، ولقمان، والسجدة، فلو سَلمنا بالرأي القائل أنها أسماء للسور المفتتحة بها لأدى بنا الأمر الى التداخل والخلط في التسميات فأيها نطلق عليه (آلم) البقرة أو السجدة أو شيء آخر؟!

---

(١) الى هذا الرأي ذهب قطرب والفرّاء، وهو أصح الأراء وأرجحها على الإطلاق عند أغلب العلماء والمفسرين، ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١/ ٢٣٨، الدر المصون : ١/ ٨٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط، حديث رقم (٢٧٣٦)، ص٤٤٨.

ويؤيد البحث رأي العلماء القائلين بعدم صحة اعتبارها أقساماً لله تعالى أقسم بها لشرفها وفضلها، لأنها لو كانت كذلك فما الحكمة من القسم الإلهي، وكان الناس في زمن نزول القرآن على صنفين : مصدّق، ومكذّب، فالمصدق يصدق بغير قَسَم، والمكذّب لا يصدّق مع القسم، هذا من جانب، ومن جانب آخر، ((إنَّ القسَمَ معقودٌ على حروف، مثل : إنَّ، وقد، ولقد، وما))[1]، ولم تتضمن الحروف المقطعة المفتتح بها واحداً من هذه الحروف، فلا يجوز اعتبارها يميناً.

ومن غير اللائق بجلال القرآن ووجوه الإعجاز البياني في نظمهِ وأسلوبه أن نصف تلك الحروف بأنها رموز دالة على قيمة عددية أو حروف معكوسة للأحرف البارزة في إحدى الآيات الكريمة كما جاء في أقوال كثير من الباحثين المستشرقين التي يبدو في ((ظاهرها أنها دفاع عن مبدأ الرمز بالحرف الوارد في القرآن الكريم وليس محاولة لفهم مثل هذه الظاهرة الفريدة))[2]، فضلاً عن توارد النهي عن الأخذ بهذه الآراء عند كبار المفسرين[3].

ب- من الملاحظ أن هذه الحروف المقطعّة تردُّ في مُفتتح تسع وعشرين سورة، منها ما بُدِئ بحرف واحد، ومنها ما بُدِئ بحرفين، ومنها ما بُدئ بثلاثة أحرف، ومنها ما بُدئَ بأربعة أحرف، ومنها ما بُدِئ بخمسة أحرف، حصرناها بالجدول الآتي، إذ إن أغلبها سوراً مكية تعكس واقع الدعوة، وتبرز مظاهر التحدي والإعجاز الذي جاء به القرآن الكريم.

جدول إحصائي للسورالمفتتحة بالحروف المقطعة

ت	اسم السورة	نمط السورة	الحروف المفتتح بها	عدد الحروف	نوع الحروف
١-	سورة ص	مكية	🗐 ✓⮰﴿ ⮰♌✂◆🡕⬀❷→✆⬂🕿👓✂◆❒ ﴾▩❷⬂📪♎♏🔔✏👓✂ ❽♎❶	١	ص

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ١/ ٢٤١.

(٢) خصائص التعبير القرآني : ٢٠٠/١.

(٣) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٢/ ١١.

ت	اسم السورة	نمط السورة	الحروف المفتتح بها	عدد الحروف	نوع الحروف
٢-	سورة ق	مكية	[illegible]	١	ق
٣-	سورة القلم	مكية	[illegible]	١	ن
٤-	سورة طه	مكية	[illegible]	٢	طاء- هاء
ت	اسم السورة	نمط السورة	الحروف المفتتح بها	عدد الحروف	نوع الحروف
٥-	سورة النمل	مكية	[illegible]	٢	طاء- سين
٦-	سورة يس	مكية	[illegible]	٢	ياء- سين
٧-	سورة غافر	مكية	[illegible]	٢	حاء- ميم
٨-	سورة فصّلت	مكية	[illegible]	٢	حاء- ميم
٩-	سورة الزخرف	مكية	[illegible]	٢	حاء- ميم
١٠-	سورة الدخان	مكية	[illegible]	٢	حاء- ميم

			[illegible]		
١١-	سورة الجاثية	مكية	[illegible]	٢	حاء- ميم
١٢-	سورة الأحقاف	مكية	[illegible]	٢	حاء- ميم
١٣-	سورة البقرة	مدنية	[illegible]	٣	الف- لام- ميم
١٤-	سورة آل عمران	مدنية	[illegible]	٣	الف- لام- ميم
١٥-	سورة العنكبوت	مكية	[illegible]	٣	الف- لام- ميم

ت	اسم السورة	نمط السورة	الحروف المفتتح بها	عدد الحروف	نوع الحروف
١٦-	سورة الروم	مكية	[illegible]	٣	الف- لام- ميم
١٧-	سورة لقمان	مكية	[illegible]	٣	الف- لام- ميم

			✁✍♋👁▤⬁♦☝♦⌚🖫🖎 ✁✍🖳⬂♦□▤⬁⓿⚐🖎 ۞		
١٨-	سورة السجدة	مكية	۞ ✁♋✎⚐✍ ⬀⬂⬁ ✍♦ॐ❾🖉③🖎⇖ ✁✍♋👁⬂⌛⬁☝♦⌚🖫🖎 ♦♦ ❻♦③⬃🖫✿ ▫♌⑩❍♌ ✌♌♊ ❻▪☹♌🖎 ۞ ✁✍♋👁⬂➔🖼⌚🖫■☺♌✓✗♦ ۞	٣	الف- لام- ميم
١٩-	سورة يونس	مكية	۞ ✁♋✎❷ 🗐 ✍♌🖫▫⌨🖼 ⬈♦✁③♦⌚💣→ ✁✍♋👁▤⬁♦☝♦⌚🖫🖎 ✁✍🖳⬂♦□▤⬁⓿⚐🖎 ۞	٣	الف- لام- راء
٢٠-	سورة هود	مكية	۞ ✁♋✎❷ 🗐 📩♌☝♦⌚🖫⇖ 📖⬆❍⇳▤⬁☺🖼💣⇳ ⬈♦✁③♦⌚☝←❍←⌚ ⚐→☠▪ ▫→⌚♉⬁■💣⇳ ✌♌♊ ✎⅄✍→♌⬃ ❍🖼▤⬁⑩⚐✌ ۞ ⌘🖼⌨♍❷❸✌ ۞	٣	الف- لام- راء
٢١-	سورة يوسف	مكية	۞ ✁♋✎❷ 🗐 ✍♌🖫▫⌨🖼 ⬈♦✁③♦⌚💣→ ✁✍♋👁▤⬁♦☝♦⌚🖫🖎 ✁✍♋👁⬂☺←⌨♍✓✗⬀ ۞	٣	الف- لام- راء
٢٢-	سورة إبراهيم	مكية	۞ ✁♋✎❷ 🗐 ▤⬁☝♦⌚🖫⇖ 📖❒☼❽♦♋👁⬂✡□⌚❍← ☽♍♋♦⓿⬂⌨🖼 ♋♌☝←②⬃❷⛝●🖼 ✁✍♋👁☪□✍□“ ✌♌♊⌘ ✁✍♋→♓🖫➔☺🖼⌚💣♌ ☽♍🖫■❼ ✁✍♋✡♉❑❻🖉 ۞	٣	الف- لام- راء
٢٣-	سورة الحجر	مكية	۞ ✁♋✎❷ 🗐 ✍♌🖫▫⌨🖼 ⬈♦✁③♦⌚💣→ ✁✍♋👁⬂⌛⬁☝♦⌚🖫🖎 ❒♦🔔➔❷⬀⬈♦✁♌▯ ۞ ✌⑩⌨♍✓✗📖 ۞	٣	الف- لام- راء
٢٤-	سورة الشعراء	مكية	۞ ☪❍✗⚐✍ ⬀⬂⬁ ✍♌🖫▫⌨🖼 ⬈♦✁③♦⌚💣→ ✁✍♋👁▤⬁♦☝♦⌚🖫🖎	٣	طاء- سين- ميم

			✂☺♌︎⊠✉☺←⌨✓×⇗✧		
٢٥-	سورة القصص	مكية	✧☾●○×⚐♌︎ ⇗⇘⇖ ✍⚇▪▫⌨⊠ ↗◆✂③◆◷☼●→ ✂♌︎☺⊠✉☜♦◷▪⇗ ✂♌︎☺⊠✉☺←⌨✓×⇗✧	٣	طاء-سين-ميم

ت	اسم السورة	نمط السورة	الحروف المفتتح بها	عدد الحروف	نوع الحروف
٢٦-	سورة الأعراف	مكية	✧✂♌︎✎☺⊠⇗✓ ⇘⇗⇖ ✍⚇☜♦◷▪↖ 📖↑☼❽⊠✌◆ ☽⚇♌︎•⓿⊠⌨⊠ ▫•⊠• ③◆▤↗♊︎ ×⚇❼ ◷✿⑨⇕❻⚇🖱⊠ ○⊠❷◆●⚇ ✌♓︎⚇☾⬀○← ♌︎⚇☞←☾⓿⇗❻◆ ✉⚇○⚇◷ ❑◆❶⚇✍⊠❷◆❽▤ ♌︎⚇▪▫☺←•⬀✌⚇✡⚇✓▫⊶✧	٤	الف-لام-ميم-صاد
٢٧-	سورة الرعد	مكية	✧✂♌︎✎☺⊠❷ 🗐 ✍⚇▪▫⌨⊠ ↗◆✂③◆◷☼●→ ✂♌︎☺⊠✉☜♦◷▪⇗ ▤ ❑◆✂✉✎⅄🔔⚇❽✓ 📖↑☼❽⊠✌◆ ☽⚇♌︎•⓿⊠⌨⊠ ✌⚇♊︎ ❻○✉♓︎⚇⌨⊠ ✂♌︎☺⊠•⊠✉❻ ❑◆♌︎•◷▤⬁♊︎⓿ 📖❑▤⇩✡•❸◆ ✂♌︎☾❑✉❑⬂ •• ③↖•⬀✌⚇☾↖❑♌︎◆✧	٤	الف-لام-ميم-راء
٢٨-	سورة مريم	مكية	✧▤✎♑︎⓿→▦⇗✓ ⇘⇗⇖ ❶⚇✍⊠❷↖ ❻◆❑⬀☞◆●⚇ ❻◆✉■⚇⌨⊠ ↖◆⌨⬀⑨⊠■←◷ ꝏ⊠▤•❷⊠③✸✉✎✧	٥	كاف-هاء-ياء-عين-صاد
٢٩-	سورة الشورى	مكية	✧○⚐✉ ⇗⇘⇖ ↖▦○×✉⊠ ✍⊠⓿⊠◷♌︎⚇⌨⊠ ⇗✠⇖ ③↖❑❑⇖⚇× ☽⚇♌︎•⓿⊠⌨⊠	٥	حاء-ميم-عين-سين-قاف

ج- لو جاء القرآن الكريم بغير لغة العرب لما حصل التحدي، ولكان حجةً لهم على عجزهم عن الاتيان بمثلهِ؛ لذا كان الإعجاز بأن يجري في أسلوبهِ وطريقة خطابه على أساليب العرب؛ الاّ أنه أرفع شأناً وأعلى منزلةً.

د- أن معظم السورالمفتتحة بالحروف المقطعّة تتحدث بما لا يقبل الشك عن سمو القرآن ووصفه، وإبراز مكانته كقوله تعالى : **[البقرة:٢]**، وقوله تعالى : **[هود:١]**، وقوله تعالى : **[يونس:١]**، وقوله تعالى : **[الحجر:١]**، وقوله تعالى : **[إبراهيم :١]**. والى هذا الأمر تنبه العلماء قديماً ونصوا عليه في مؤلفاتهم(١). إلاّ أن هذه الظاهرة تنحرف عن مسارها في ثلاث سور من القرآن الكريم وهي : مريم، والعنكبوت، والروم، حيث جاءت مطالعها كما يلي :

---

(١) أكد الزركشي ذلك بقوله : ((وأعلم أن عادة القرآن العظيم في ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها ما يتعلق بالقرآن))، البرهان في علوم القرآن : ١/ ١٧٠.

١- قال تعالى : ﴿[illegible]﴾ [مريم: ١-٢].

٢- قال تعالى : ﴿[illegible]﴾ [العنكبوت : ١-٢].

٣- قال تعالى : ﴿[illegible]﴾ [الروم : ١-٢].

ففي هذه السور الثلاث عُدل عن ذكر القرآن أو الكتاب بعد هذه الحروف مباشرةً كما في سائر السور المطابقة لها في الافتتاح أو المطلع، ومن المهم هنا التنبيه على أن تتبع تلاوة هذه السور والتعمق في مفرداتها ودلالاتها يكشف عن دقة النسيج الأسلوبي المتمكن من ذكر الكتاب والقرآن والتأكيد عليه ففي سورة مريم بيان لأثر فضل القرآن مؤكداً بالخطاب الإلهي المكرر خمس مرات في قوله تعالى : (واذكر في الكتاب)(١)، مما يؤكد أن كل سورة بُدِئَتْ بالحروف المقطّعة فيها بيان مباشر أو غير مباشر لفضل القرآن الكريم وأثرِه وإعجازِه.

وكذا الحال في سورة العنكبوت فقد وردت في الآيات الآتية :

قال تعالى : ﴿[illegible]﴾ [العنكبوت:٤٥]

وقال تعالى : ﴿[illegible]﴾ [العنكبوت:٤٧] وقوله تعالى :

---

(١) وردت هذه الصيغة في الآيات : ١٦، ٤١، ٥١، ٥٤، ٥٦، من سورة مريم، وجاء في نهاية السورة قوله تعالى :

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً ﴾ [مريم : ٩٧].

[illegible] [العنكبوت : ٤٨]، وقوله تعالى : [illegible] [العنكبوت : ٤٩]، وقوله تعالى : [illegible] [العنكبوت: ٥١]. وكذلك قوله تعالى في سورة الروم : [illegible] [الروم : ٥٨].

يتأكد للبحث أن الافتتاحيات الحرفية تحقق أثراً أسلوبياً في التعبير القرآني؛ لتضمنها الدلالات الآتية[1] :

١- دلالة التنبيه.

٢- دلالة التمهيد الموسيقي المتسق مع ما بعدها أو قبلها.

٣- دلالة الإيحاء الموسيقي الذي يُحسّ أكثر مما يُعبر عنه.

---

(١) ذكر الدكتور محمد الحسناوي أن لهذه الحروف دلالة ذات إيحاءات واسعة قريبة وبعيدة لخصها بما ذكرناه، الفاصلة في القرآن : ٢٠٥.

وباجتماع تلك الدلالات تتشكل الظاهرة الأسلوبية لهذه الحروف؛ لتكون افتتاحاً ممتداً على مساحة موسيقية تربط فواصل الآيات اللاحقة وتمهد للتناغم الموسيقي بالتقارب كقولهِ تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [البقرة :١-٢] حيث يتقارب صوت (الميم) مع صوت (النون) في لفظ المتقين، أو التمهيد بتماثل الروي كقوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [آل عمران:١-٢] والتماثل هنا صوت (الميم) في كلمة القيوم، أو التمهيد الموسيقي الناتج عن هيمنة العنصر الصوتي الخفي الذي كشف عنه الزمخشري فتعجب بقولهِ : ((فسبحان الله الذي دقت في كل شيء حكمته))(١)، تأمل قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [ص:١] وقوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [القلم:١]، هذه الآيات تؤكد ما أجمع عليه العلماء من أن لصفات الأصوات أثرٌ أسلوبيٌ واضح في الجو العام للسورة، وهذا يشكل نسقاً بارزاً في الحشد الفني، وإبراز القيمة الدلالية للمعاني، فصوت الصاد مثلاً.

وإذا وقفنا قليلاً عند سور الحواميم(٢) المصدّرة بقولهِ (حم) نجد الأتي :

١- ضمنها ذكر النِعم الإلهية، وتوجهها في الكثير من آياتها الى خطاب الرسول ﷺ وتذكيره باخبار الانبياء والأمم السابقة، وتصوير مشاهد القيامة ترغيباً في الجنة وترهيباً من النار(١).

---

(١) باستقراء الزمخشري للكلم وتراكيبها وجد أن الحروف التي ألغى الله ذكرها من الاجناس المقطعة والتي عددها في كشافه ((مكثورةً بالمذكورة منها))، الكشاف : ٣٢/١.

(٢) هي سبع سور مكية متآخية كأنها أسرة واحدة، ومثلها الطواسين بالنون تغليباً، ينظر : سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية : ٩.

٢- كل سورة من هذه السور ذكر للقرآن أو الكتاب والتنبيه والتأكيد على الانتصار لهُ.

٣- تفاوت المقادير في الطول والقصر وتشاكل الكلام في النظام(٢).

٤- لأنها بمجملها مكية؛ لذا فإنَّ لغتها تعكس واقع الدعوة بأسلوب يثري الصياغة البلاغية بأنواع من الفنون، ويحقق الدلالة التي ينشدها المعنى المقصود.

٥- جاءت حروف التهجي في مطالعها إثباتاً لإعجاز القرآن وبديع نظمهِ، وتنبيهاً على ما تضمنتهُ من لغة تتسم بالشدة، لتعكس واقع الدعوة وما تخللها من مواقف وأحداث ووقائع صورتها بدقة فنية متناهية.

ثانياً : المطالع والافتتاحات الشرطية أو القسم الشرطي :

جاء الافتتاح بأدوات الشرط في سبع سور في القرآن الكريم هي : الواقعة، والمنافقون، التكوير، الانفطار، الانشقاق، الزلزلة، النصر، أن البحث في أسرار هذه الفواتح وبيان حسن التأنق في الابتداء بها وأثرها الدلالي والصوتي، يأخذنا الى مزيد من التأمل والتفكير والتدبر في الحكمة من وراء ذلك ويدعونا الى الوقوف أولاً عند مسألة مهمة هي الحث على التدبّر وإدراك الربط بين الشرط والجواب أو بمعنى أدق الربط بين أجزاء الكلام ربطاً مناسباً يلمح من خلال التأنق في التعبير والتدرج في ترتيب المسبب على السبب، فبمجرد ذكر أداة الشرط تتشوق الأسماع والاذهان الى ما سَيُلقى فيتمكن الكلام بهذا الأسلوب الشرطي من النفس تمكناً عميقاً يبدو أثرهُ في زوال ذلك التأثر والأثارة بذكر جواب الشرط وبيان المقصد العام والدلالة من السياق مما يؤكد ترابط اجزاء الكلام بعضها ببعض لتحقيقةِ وحدة موضوعية في أسلوبه القرآن المتفرد والمعجز.

تأمل قوله تعالى : ﴿ ✃⬧❶♋♒ ✃♎♏♉⌖⊙☺⬀▪←
↖⌨❑→♐♋✡♉♎✃ ✃⬧❶♋♒◆❑ ⬆⬇⬀ ⇧☠◆❻⬀♒❑⬈✍
✃⬧❶♋♒◆❑ ⬆⌘⬀ ⇧☠◆❻⬜⑨⬧▤✡♎✃
✃⬧❶♋♒◆❑ ⬆▩⬀ ⇧☠◆❸⬀⌘❷←♋ ↖✌♎◆⌨⬑♑⬂⬓♎✃

---

(١) ينظر : المصدر نفسه : ١١.

(٢) المكان نفسه.

﴿ [illegible] ﴾(1) [التكوير : ١-٢٢].

جاءت هذه السورة تقريراً لحوادث كونية، وآمارات لمشاهد من يوم القيامة، تشير الى إختلال الموازين في نظام الكون ونهاية أمره المروعة في رحلة طويلة مضنية يقف فيها الإنسان على حقيقة أمره في ذلك اليوم، والغاية التي من أجلها شدّت الرحال، حتى يصل إلى قوله : ﴿ [illegible]

(١) معنى كُوِّرت فيه عشرة أقوال مختلفة، كلها تدورعلى نهاية أمرها وتبدل حالها ولف بعضها على بعض فيذهب ضوؤها، أما الانكدار : فهو التساقط والانقضاض، وتسيير الجبال انتقالها من أماكنها بارتجاج الأرض وزلزالها؛ والعشار : جمع عشراء وهي الناقة الحامل لعشرة أشهر، وتسجير البحار فيضانها، أما السؤال فقد خُص بالذكر فيه الموؤدة فهو سؤال تعريضي مراد منه تهديد وائدها وترهيبه بالعذاب، والكشط : إزالة تقع في يوم القيامة وهي أعمّ من السلخ، وهذا من قبيل الانشقاق والانفطار، فتُهيء الجحيم بإسعارها وإيقادها لمن حق عليه العذاب، ينظر : أضواء البيان : ٨/ ٦١، وروح المعاني : ٤٩/٣٠، والدر المصون : ٦٩٩/١٠، والتحرير والتنوير : ٣٠/ ١٤١-١٤٢، والمفردات في غريب القرآن : ٤٤٥ و ٤٢٩ و ٣٣٨ و ٢٣٠ و ٤٣٤، (لا أقسم) إيقاع القسم؛ لأن (لا) زائدة، الخنس : جمع خانسة وهي المختفية، الجواري : جمع جارية وهي التي تجري جرياً حثيثاً، الكُنس : جمع كانسة، يقال : كنس الظبي : إذا دخل كناسه وهو البيت الذي يتخذه للمبيت، هذه الصفات الثلاثة أريد بها صفات مجازية للحوادث الكونية ومشاهد يوم القيامة، ينظر : التحرير والتنوير: ٣٠/ ١٥٢، عسعس : أقبل وأدبر، ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٣٣٧.

وتتعدد المشاهد التي تتبئ عن صورة يوم القيامة، ﴿🕮❒❍⇳➢❁❸◆☠⇳﴾.

فترتبط إرتباطاً دقيقاً مشكلّةً ملامح تخطف الأبصار؛ لشدتها بأمر من الله يوحى لها، ﴿❍♌⬧❶⬧✃ ♋⇲♓⬧❽⬣♓♌⬧♈⬥ ✃⬧☸☞❻⬀⬃❚﴾ ﴿♋⇲⬧◆❷⬈⌘❑🕮◆❑ ⬀⬅⬂ ⬧❑●❍▭✃◆❽⬧♓⬥♋♍ ✃⬧☸☞❻⬀⬃❚ 🕮❑⬁⬧◗⬥⬧♓⬥♑❑⬧﴾ [الزلزلة : ١-٢] فتتحول الارض بجبالها وبحارها وقبورها إلى قاعاً صفصفاً، ﴿❑◆⬥🖎⬥▤❑⬀❑♌♍﴾ ﴿✃⬧⬧♓⬥⬀⬉⬈⧗⬥✌♍ 🗎⬥⬧⬧♓⬥→♋♑⇳♊⬅﴾ ﴿✃⬧⬧♓⬥☺⬀☪⬛→❑☸⏱﴾ [القارعة : ٥]، ﴿③◆❑⬀⬄◆ 🖎→⌨◆⑨❍✌♍ ⬧⬧☸☞❻⬀⬃❚ ⬊⊠❷⬀❸◆ ✃⬧☸☞❻⬀⬃❚ ⬅ ❑◆✃⬧⬥❍❍☺⬀❑◆⏲☠⬅ ☎ ❑◆🖅◆❷◆♍♌✃☎ ✎★ ✃⬧⬥♓⬧❑◆⏲■♋⑨♋ ✃⬧⬥♓⬧❍♑❍⬧❻⬥﴾ [إبراهيم : ٤٨].

ومن المظاهر البديعية في آيات سورة التكوير، الدقة الفائقة في حسن انتقاء مواضع البراعة والتعبير بألفاظ مصورة ذات دلالات موحية مسبوكة تفرض شموليتها المعنوية، وتهيء الجو للاستعداد النفسي للتقبل وكسر حاجز المألوف في أساليب الكلام ((فلما كانت هذه الصورة من القوة إلى الحدّ الذي ساغ فيه وضعها موضع التصوير والإيضاح، ولا نستطيع أن ننكر ما لهذه الصورة من تأثير بالغ في النفس))[١]، وما يمكن ملاحظته من أثر أسلوبي في سورة التكوير كما في سائر السور الشرطية نجمله بالاتي :

١- الافتتاح بأسلوب الشرط (إذا)، افتتاح يثير التشويق؛ ((لأنها ظرف يستدعي متعلقاً، زيادة على أنها شرط يؤذن بذكر جواب بعده، فأذا سمعه السامع ترقب ما سيأتي بعده، حتى يتمكن من نفسه كمال تمكن))[٢].

٢- الاطناب بتكرير وإعادة أداة الشرط (إذا) مع تعدد الجمل التي اضيفت إليها أثنتي عشرة مرة؛ لضرورة اقتضاها السياق وهي قصد التهويل ((والتهويل من مقتضبات الاطناب والتكرير))[١].

---

(١) من بلاغة القرآن : ١٥٠.

(٢) التحرير والتنوير : ٣٠/ ١٤٠.

٣- في إعادة ذكر (إذا) الشرطية إشارة الى مضمون كل جملة من هذه الجمل، مستقبلاً بحصول مضمون جملة الجواب عند حصوله بصرف النظر عن تفاوت زمن حصول الشرط، فمثلاً زمن سؤال الموؤدة ونشر الصحف أقرب لعلم النفوس بما أحضرت، أقرب من زمن تكوير الشمس وما عطف عليه مما يحصل قبل البعث.

٤- ورد في السورة اثنا عشر حدثاً، ستة منها تحصل في آخر الحياة الدنيوية، وستة منها تحصل في الآخرة.

٥- إطالة ذكر تلك الجمل إثارةً للتشويق والترقب لمعرفة الجواب الواقع بعدها وهو ﴿[illegible]﴾ **[التكوير : ١٤]**، حيث نُكرت لفظة (نفس) في سياق الشرط؛ إرادة العموم، واستفادة العموم من النكرة في سياق الاثبات تحصل من القرينة الدالة على عدم.

٦- افتتاح الجمل التي وقعت شروطاً للأداة (إذا) بالمسند اليه والمخبر عنه بمسند فعلي وتقديم الاسم على الفعل خروجاً على المألوف من عادة العرب، وعدولاً عن الأصل فلم يقل الله تعالى (إذا كورت الشمس، وإذا انكدرت النجوم) كما جاء في قوله : ﴿[illegible]﴾ **[الرحمن : ٣٧]** وقولهِ ﴿[illegible]﴾ **[الواقعة : ١]** وقولهِ تعالى ﴿[illegible]﴾ **[الزلزلة : ١]** والسرّ في ذلك العدول هو افادة الاهتمام بذكر الأخبار المجعولة علامات ليوم البعث توسلاً بالاهتمام باشراطه إلى الاهتمام به وتحقيق وقوعه، ولتقوية الحكم وتأكيده رداً على إنكار منكريه(٢). وكذا الحال في مطلع سورة الانفطار في قوله تعالى :

---

(١) المكان نفسه.

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٣٠/ ١٤١.

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ **[الانفطار:١-٤]**، ومطلع سورة الانشقاق

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ **[الانشقاق:١-٥]**.

٧- وردت الافعال الواقعة شروطاً لـ(إذا) بصيغة الماضي؛ للدلالة على معنى الاستقبال، تنبيهاً على تحقيق وقوع الشرط[١].

٨- جواب الشرط في الجمل الأثني عشر الشرطية هو قوله تعالى : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ **[التكوير : ١٤]** وتتعلق به الظروف المتضمنة معنى الشرط.

٩- إيثار (إذا) دون (إنْ)؛ لأن الأصل في (إذا) الدخول على المتيقن المقطوع بحصوله، الكثير الوقوع في وقت معلوم، بخلاف (إنْ) المختصة بالمشكوك والموهوم والنادر، إلى ذلك أشار النحاة والمفسرون[٢].

١٠- انتهاء فواصل سور التكوير، والانشقاق، والانفطار، بالتاء الساكنة، وهي من الحروف المهموسة ((تساوت الوحدات الصوتية فصارت كالانغام الموسيقية سريعة الحركة لاهثة الايقاع، تشترك بتصويرها الصوتي في تجسيم المشهد وتمثيله للخيال))[٣]، إضافة إلى أثرها الأسلوبي في تحقيق الدلالة الموحية

---

(١) ينظر : الزمن في القرآن الكريم : ٢٨٩.

(٢) ينظر : الكتاب : ٦٠/٣ و١٢٠، والمقتضب : ٥٥/٢، والطراز : ٢٧٧/٣، والإتقان في علوم القرآن : ١٥٥/١.

(٣) خصائص التعبير القرآني : ١/ ٢١٠.

بانقضاء حركة الحياة الأولى في الكون، ولإشارة الى إشاعة جو الخوف والدهشة والرهبة لهول تلك المشاهد وعظمتها وتخفيف وقوعها.

١١- مَهدَ التعبير القرآني في الآيات الست الأولى بعد عرض صور متصلة اتصالاً وثيقاً متسلسلاً لمشاهد القيامة، بتهيئة النفوس لاستقبال ذكر آيات الله تعالى في الكون من كواكب مختفية ومضيئة تسير في فلك ونظام دقيق، وليلٍ مقبل مدبر، وصبحٍ يبعث الحياة والحركة بعد سكون الليل؛ ليؤكد قدرته على البعث والحياة من جديد، فتكون بذلك متتالية يعجز أمامها العقل البشري :

خلق ⟵ حياة ⟵ موت ⟵ بعث ⟵ حياة خلود (جنة، نار).

مما يؤكد أن براعة الاستهلال الشرطي تكمن في قيمته البيانية التي يكسبها للسياق العام.

١٢- من الملاحظ انتهاء سورة (الزلزلة) المتصدرة بالقسم الشرطي بـ(التاء) الساكنة الهامسة في غير الفاصلة، في قوله تعالى : ﴿☽♐❶⬧✃ ✇⬊⧫❷⬀⌘❒🕮◆❒ ⬧☼⧫♏⌧❽⬂♏⬉♾﴾، وقوله تعالى : ﴿✃✍❀☞❻⬁⬎❶ 🕮❒⚐⬂☽⧫✍♏⧫♑⬒✍﴾، وهذا يؤكد دخولها في نفس نظام سور المجموعة الشرطية.

١٣- تؤكد سور المجموعة المتصدرة بالشرط (إذا) على الحديث عن مشاهد القيامة وتصويرها، وبيان ما يرافقها من أهوالٍ؛ إضافة إلى التذكير والانتصار للقرآن الكريم، وتخرج عن هذه الدلالة إذا جاء السياق القرآني في صورة مختلفة عمّا ذُكر، ومتصدر حينها بـ(إن) أو (لو) كقوله تعالى : ﴿♏⧫❒ ⬧■⌖⬥✍✏⬈⬇ ♏⧫⬈⬒➔⬒⬓◘✡❒◷❍⬅ ❍⬉⬌⧫◷☺✝✍ ⧫➔⬓◘☞⬅⚐⬄ ✍⬧⬛⬚⌧⬛⧫ⵣ♑⬅❒♌⧫﴾[الواقعة:٦٥]، وفي قوله تعالى: ﴿❸⧫☽➔❒♏⬈❒♌ ♏⧫⬂⬀✖ ❻▪⬒⬓➔⬀✡❒✍✏ ☽☊❒⬈❼⧫♏⬉❷⬀❷⌧⬒⬓⬀· ✃✍♏⬊☺⬓❾⬂❸✡❒❒♏ ★✏◆❒ 🗐 ✃✍❀☞❶⧫✌⊙ ✃✍❀☞⬉⧫❽♋ ✌♏⬂✵⬀⬂&❒✍ ☽☊✍🕮⬂✏❒⬅♋⧫❷♏⬈◆❒ ⬈❒❒❽♏➔⬊♏✍✃ ❒◆♏⬈♏⬓⬂☺⬅⧫⬀✌⬊♏☊⬈✓▫♔﴾ [المنافقون : ٨] مما يؤكد اختلاف

أدوات الشرط عموماً في جميع سور القرآن الكريم؛ تبعاً للدواعي البلاغية التي يقتضيها الأسلوب.

١٤- من الملاحظات الدقيقة التي تنبه إليها البحث أن المسافة العددية بين سورة (الانفطار) وسورة (التكوير) أربع وسبعون سورة، تؤكد في أغلب مواضعها على إثبات دلالة السورتين من بعث وجزاء وإنذار، والذي لابُدَّ من الإشارة إليه أن ذكر أساليب (حسن الابتداء) في مفتتح مطالع السور لا يعني أن هذا الاسلوب البديعي في التعبير حكراً على افتتاحات ومطالع السور القرآنية؛ بل يظهر واضحاً في مبادئ كل آية من آيات الذكر الحكيم، ومن امثلة ذلك ما جاء في معرض المحاورة القرآنية بين الله تعالى وبين انبيائهِ، حيث ظهرت مواطنُ البديعِ في حُسن الابتداء وبراعة الاستهلال على لسان سيدنا موسى عليه السلام في سورة المائدة وهو يُحاور قومه، قال تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [المائدة: ٢٠ – ٢١].

فلو تأملنا التشكيل البنائي لنمط الإنشاء الطلبي المتمثل بالنداء وتكرار المكون التوكيدي الدال عليه بقولهِ (يا قوم) في سياق التذكير الدقيق بنعم الله تعالى على بني إسرائيل التي لم تؤتِ لأحدٍ من العالمين، لوجدنا الحوار النابض بإيحاءاتٍ ومضامين نبيلة، ودورهُ المؤثر في شدّ انتباه المتلقي لحُسنِ البدءِ في قول سيدنا موسى وتأدبه مع قومهِ بالتوسعِ والتفصيل والتوضيحِ؛ تناسباً مع جو الإرشادِ، والقصصِ، وذكر المواقفِ المتعددةِ، ولم يوجز أو يوبخ أو يتوعد أو يذم؛ بل أحسنَ الابتداء وتأنقَ في

تثبت الصياغة التركيبية بألطفِ الأساليبِ اللغوية القائمة على الحثِّ، والتنشيط والترغيب وبيانِ عاقبةِ المرتدِ.

وقد تفاعل أسلوب (النداء) في هذا اللون البديعي مع دلالة الترغيب والوعد؛ زيادة على ما في السورة من ملامح التناسب الدقيق في اختيار اللفظِ الملائم للمعنى على لسانِ أحد أبناء آدم ﷺ وهو يقف مواجهاً لظلم أخيهِ في مجمل القصة الواردة ضمناً في قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ **[المائدة:٢٨]**. فالتركيب الشرطي المُبتدأ بهِ في هذا السياق يحمل دلالةً وظيفية تؤدي غرضَ النهي، أي لا تبسط يدك لتقتلني؛ لأني لا أقتلك؛ مخافةِ اللهِ ربِّ العالمين، فقد أسهم هذا التركيب اللغوي في وضوح الدلالةِ لِما تضمنهُ السياق القرآني من ظلالٍ موحيةٍ تُشعر بمظهرٍ بلاغي بديعي مرتكز على ترابط عضوي موضوعي.

وقوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾

[المائدة:١١٦].

إن المتأمل لقولهِ تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ يلتفتُ إلى مشهدٍ عظيمٍ للاستجواب المباشرِ الموجه لنبي الله عيسى ﷺ يوم يُعلن براءته على مسامع الخلقِ أجمعين، ويؤكد بالتنزيهِ لجلالِ –اللهِ– ما أُفتري عليه من ادعاءٍ للألوهية، فسيق التعبيرُ بقولهِ (سُبحانك)؛

لتصوير مدى الدهشةِ والفزعِ والبراءةِ المطلقة من أن يكون ((من شأنهِ هذا القولُ أصلاً ﴿[illegible]﴾))(١).

فالسياق المفُتتحُ بالتسبيحِ مباشرةً، يستند إلى مواضعِ التأنق في ابتداءِ الكلام؛ توقيراً واجلالاً لعظمة الله تعالى، وتأكيداً على إثبات وإقرار العبودية مع التصاغر أمام تلك العظمة الربانية والإقرار بعلم الله للغيب على لسانِ سيدنا عيسى عليه السلام بقولهِ : ﴿[illegible]﴾، وهذا التعبير القرآني دليلٌ واضحٌ على علم –الله– بما قيل وما لم يقل؛ ولكنه عدل عن هذا المعنى لبيان المقصود بالاستجواب وهم المؤلِهين لعيسى وأمه عليه السلام من النصارى، وليشهد عليهم رسولاً من أنفسهم.

ومن بدائع حُسن الابتداءات ما ورد في سورة (الرعدِ) من بيانِ النظم في قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ **[الرعد:٨]**. تأتي هذه الآية بعد الحديثِ عن الكافرين، وبيان عجبهم واستنكارهم من أن يبعثوا خلقاً جديداً بعد تحول أجسادهم إلى تُراب، فهي ردٌ مباشرٌ وصريح على أولئك الذين كفروا بربّهم وجحدوا قُدرته، وقد جاء الردُّ حاسماً ببدء هذهِ الآيةِ التي عَرَضَتْ أهم صفات الله سبحانه وتعالى ((المطّلعِ على دقائقِ الأشياء كُلِّها لا تخفى عليه خافية مهما صغرت وتضاءلت، ومهما اختفت من خلف الغياهب والحُجب، ومنها ذرّات جسوم الناس بعد ضياعها في بطونِ الأرض أو في جوفِ البحار))(٢).

إن عملية الرَصْد المتأني لمكونات السياق القرآني العام، تُظهر أثر البديع في هذا التعبير، إذا ما نظرنا إلى الجملةِ فيهِ بوصفها جزءاً من كُلٍّ لا يتجزّأ يتصلُ

---

(١) في ظلال القرآن : مج ٢ ، ج ٧ ، ص١٠٠١.

(٢) من روائع القرآن : ٢٣٩–٢٤٠.

بالسياق اتصالاً عضوياً في عملية تفاعلية مقصودة تكشفُ عن الخصائص التركيبية للتعبير، حيث لا تبتعدُ كثيراً عن حدودِ النصِ بأكملهِ، فلو نظرنا إلى صياغة الجملةِ وما أحدثتهُ الالفاظ (يعلم)، و(ما) المتكررة، و(كُلّ) و(أُنثى)، (وتغيضُ) و(تزداد) من أثرٍ في دلالة السياقِ البياني المقرر حقيقةً من حقائق الغيبِ واثباتها لله وحده، وذلك كناية عن أنَّ الله -عزَّ وجلّ- مُطلّعٌ على كل غيبٍ وخافية، إذ أن غيبُ ما في الأرحامِ أدق وأوضح دليل.

أول أثرٍ يلفتنا في هذا التعبير المرتكز على بنية (حُسن الابتداءِ) اختيار صيغة الفعل المضارع (يعلم) لما تكنه من دلالاتٍ عميقةٍ أبرزُها :

١- أنَّ مادةَ (عَلِمَ) أوسعُ مادة في القرآنِ الكريم[١].

٢- الفعل المضارع المرفوع يَدلُّ على مُطلقِ الزمنِ بخلافِ المنصوبِ والمجزوم[٢].

٣- إنَّ الله تعلى إذا أراد أنْ يمدحَ نفسه جيء بالفعل المضارع مرفوعاً كقولهِ تعالى :

﴿❍♌♑□ ✃♐♒⅄ ⑥•♦♦⬂▤⬈☠⬉ ✍♦♐ ③⬉❷▩③⑨←﴾ **[المائدة:١]**، وكقولهِ تعالى : ﴿❍♌♑□ ✃♐♒⅄ ③♦▦⬂➔⍄✉⬉ ✍♦♐ ③⬉❷▩③⑨←﴾ **[الحج:١٤]**، وقوله تعالى: ﴿□♦❻♦✉♒①♒ ⑥•③⬂▤➔✉← ✍♦♐ ④□⌖♦♐✍⬈↓ □♦⑥•③⬂☞♦♐❻↓ ▤﴾ **[القصص:٦٨]**، وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

٤- تمدُّ صيغة المضارع (يعلم) التي لها سِمّةُ المزاولة والتجدّد التعبير القرآني بالسعةِ والشمولية.

أما الأثر الثاني نلمحهُ في (ما) المتكررة، واختيارها هنا أما مصدرية، أو موصولة، ولها نفسُ دلالة الفعل من سعةِ وشمولية فهي أوسعُ أدواتِ الاسم الموصول، والمصدرية أبلغُ في الدلالة التصويرية التي تضمنها السياق القرآني، وقد عَدَل بهذا الأسلوب عن قولهِ : (اللهُ يعلم حَمل كُلّ انثى) إذا كانت (ما) مصدرية،

---

(١) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : مادة (عَلِمَ).

(٢) ينظر : الزمن في القرآن الكريم : ١١٥.

أما إذا اعتبرت موصولة فعَدل بذلك عن قولهِ الله يعلمُ الذي تغيض الأرحام والذي تزداد.

ولو تأملنا قوله تعالى : (كُلُّ أُنْثَى) نجد أن الأداة (كُلّ) أضفت إلى لفظ (أُنثى) الواردةِ بصيغةِ التنكير دلالة الشمولية والتوسع في اللفظِ والمعنى مما يقتضيهِ المقام؛ لاننا في معرضِ إثباتِ القدرة للهِ تعالى فلم يقل (الله يعلمُ ما تحملُ الانثى)؛ لأن دلالة التعريف بـ (كُلّ) ناسبت السياق، ومدّت المفردة التي تليها بطاقةٍ إيحائية دلالية جاءت في موطنها الأصلي الذي لا يمكن العدول عن مُفترضٍ غيره.

أما الملمحُ الآخر في هذه الآية فيكمن في ما عُطف على التركيب السابقِ من صياغةٍ هيأت ذهن المتلقي لاستقبال ما سيكون في قولهِ تعالى : ﴿❒◆♦✎♦❒ ✍♦⇔✐⓿▲↓ ✂✍❀☛❻⇗❍⊠✍✄⇖ ❒◆✎♦✍ ✍♦❽⇗⑩⊠✂⑩✂→﴾، فالغيضُ هو النقصان، وقيل : غضتهُ أي نقصتهُ، غاضَ الماءُ غيضاً ومُغاضاً : وانغاضَ : نقص أو غارَ فذهب أو قلَّ فنضَبَ[(1)]، ومنه قوله تعالى : ﴿❒◆↘✍⓿▲◆ ✂✍◉↝⇘☺⊠✍✐↗↓﴾ [هود:٤٤]، وقرينةُ الدلالةِ في صيغة الفعل (تغيض) يبرزها سياق الفعل (تزداد) وقد حُذف المفعول بهِ من صيغتي الفعل (تغيض) و(تزداد) ليُطلق العنانَ لتأمل المعاني، فالله يعلمُ كُلّ ما ينقصهُ الرحمُ أو يزيده في جثةِ المخلوقِ أو في مدة حملهِ لهُ أو في رزقهِ وعملهِ، وهذا ليسَ مُصادفةً؛ بل وفقاً لنظامٍ إلهي شاملٍ يعمّ الخلق كلّه، ومما يُلمحُ في هذا التعبير ما خُتم به من روعةِ البيانِ ودقةِ الإعجازِ المتمكن في قولهِ تعالى : ﴿❒◆▤→✍❻ ★⊠✎⇔↗✇ ⇖✍✡⑨⊠■←⓵ ✍✍☺✍◑⇘⑨⊠✂❻✌﴾، ابتدأت بأروع أسلوبٍ وخُتمت بأحسنِ بيان قوامهُ دقةُ الاختيار والانتقاءِ الفريدِ الموافقِ للسياقِ بحيث تتواءم لتُشكل نسيجاً بنائياً بديعاً في ألفاظهِ ومعانيهِ يُفهم منهُ أن ما في الكون جميعاً يجري بمقادير إلهية ثابتة دقيقة يعجز عن الإحاطة بها إنسان.

---

(١) كتاب العين : مادة (غِيْضَ)، ولسان العرب : مادة (غِيْضَ)، والقاموس المحيط : مادة (غِيْضَ).

ثانياً : حسن التخلّص وعفوية الانتقال.

مصطلح (التخلّص) من الأساليب البديعية المتداولةِ والمعروفة في كتب البلاغةِ ومؤلفاتها باسم (الخروج)[١]، والمادةُ اللغوية لهذا المصطلحِ تنص على أن معناه : الانفكاكُ من الشيءِ، يقال: خَلَصَ الشيءِ، إذا كانَ قد نشب ثم نجا وسلم[٢].

من هذا المفهوم أُخذ المدلول الاصطلاحي الذي يُراد به انتقالُ المُتكلم مِن فنٍ إلى فنٍ آخرٍ بأحسنِ أسلوبٍ مع التلّطفِ بحيث لا يشعر المتلقي بالانتقال، لشدةِ الالتئام كأنهما أفرغا في قالبٍ واحدٍ[٣]، وبذلك يتحدد مفهومه بالانتقال مما ابتدأ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاساً بحث لا يشعر السامع بالانتقال بين المعنيين؛ لشدة التلاحم بينهما، وعلى ذلك فإن هذا الاسلوب البديعي يعدّ موضعاً من مواضعِ التأنقِ في الكلامِ لتفنن صاحبهِ في التعبير بالتنقلِ اللطيفِ من مُبتدأ الكلامِ إلى غرضهِ المنشود من دون فصلٍ أو قطع مُفاجئ يُشعر القارئ باضطرابٍ في معانيهِ أو أفكارهِ.

إنّ عملية تنويع الكلام وفقاً للنقلات البديعية تُظهر أثر هذا الفنِ في تنشيطِ الأسماعِ لاستمالتها، ضرباً على أوتار النفس مما يُزيدها إيقاظاً وتحريكاً، فقد تناول البلاغيون هذا اللون تحت مسميات مختلفة وقدّموا ضوابطه في الخطابِ سعياً وراء متابعةِ الحديثِ، وفقاً لبنيةٍ أسلوبيةٍ قائمةٍ على التناسبِ بين مُقدمات الكلامِ ربطاً بخواتيمه، فهو يمثّل مجموعة العلاقاتِ اللغوية والمنطقية العميقة الدلالة، القائمة بعملية الربط البلاغي الدقيق؛ لذا أطلق عليه بعض البلاغين مصطلحات منها: (براعة التخلص) و(التخليص والخروج) و(المخلص المليح إلى الهجاء والمديح) و(حُسن المخلص)[٤].

---

(١) ينظر: قواعد الشعر : ٥٦، والبديع (ابن المعتز) : ٦٠، وكتاب الصناعتين : ٤١٩.

(٢) ينظر : لسان العرب : مادة (خَلَصَ).

(٣) ينظر : دراسات منهجية في علم البديع : ١١٩.

(٤) ينظر : تحرير التحبير : ٤٣٣/٣، وبديع القرآن :٢/ ١٦٧، والمثل السائر : ١٢١/٣.

فقَدْرُ بلاغةِ المتكلم يَتَعلقُ كثيراً بحُسن تخلصهِ وبراعة انتقالهِ من معنىً إلى معنىً مراعياً المُناسبة والسياق بالملائمةِ بين ما ابتدئ به وما انتقل إليهِ فإذا ما جاء حسناً قد رعى فيه التلاؤم، حرك من نشاطهِ وكان أدعى للإصغاءِ والمتابعةِ وإن جاء بخلافِ ذلك أدى إلى النفورِ والإعراضِ، في الوقت الذي أكد النقاد والبلاغيين على ضرورة تحقيق التناسب بين الغرضِ المنتقل فيه والغرضِ المنتقلِ إليهِ بالتدرجِ المُستطاب والأسلوب المتضمن حُسن اختيار مفاصل الانتقالِ بين أطرافِ القولِ بما لا يخلّ ونسقِ الكلامِ ولا يُظهر التباين.

وقد أبدَعَ في هذا اللونِ الكثير من الشعراء المحدثين حتى عُدَّ مذهباً لهم بخلافِ القدماءِ الذين قلما نجدُ في كلامهم وأشعارهم الانتقال البديع والخروج من الغرضِ المتناولِ إلى غرضٍ آخرٍ بتمهيدٍ أو تخلصٍ حَسَنٍ حتى سمّوا هذا اللون البلاغي (اقتضاباً)[١] وأصبحَ مذهباً شائعاً عندهم ومن تلاهم من الشعراء المخضرمين ومن تقلَّد طريقتهم وسارَ على نهجهم، وقد جعله بعض البلاغيين خلافاً للتخلص[٢]، في حين قربه آخرين من فن التخلص[٣] وأطلقوا عليه حينئذٍ (فَصْلُ الخطاب) والمؤشر الدال عليه وجود أداة لغوية، كقولهِ تعالى : [ص:٤٥]، ومما يجب ذكره أن كلا اللونين وقع في القرآن الكريم على الرغم من اختلاف أهل العلمِ بين رافضٍ لوقوعهِ ومؤكدٍ لهُ ولكُلِّ حجّتُهُ ودليلُهُ، فالفريق المُنكر لوقوع التخلص والاقتضاب في التعبير القرآني حجتهم ورود هذا الفن متكلّفاً في الغالبِ وهذا مما لا يجوزهُ العلم لأن القرآن منزهٌ عن التكلفِ، أما الفريق المؤكدُ لورودهِ فحجتهم أن هذا الفن شأنه شأن جميع الفنون البلاغية الأخرى في النظم القرآني الواردة عفواً دون تكلفٍ أو إكراهٍ، ملتفتين إلى

---

(١) والاقتضابُ : هو انتقالُ للمتكلمِ مِن فنٍ إلى آخر دون تمهيدٍ أو تخلصٍ أو مراعاةٍ للتناسب والترابطِ بين أجزاء الكلامِ، ينظر : معجم المصطلحات البلاغي وتطورها : ٢٨١/١.

(٢) ينظر : المثل السائر : ١٢١/٣.

(٣) ينظر : الإيضاح : ٣٢٥، والطراز : ٣٤٨/٢، وخزانة الأدب (الحموي) : ١٩٩/١.

إتساع نطاقهِ في البيان القرآني وهذا هو الصواب فمن حُسن التخلص وبديعهِ قوله تعالى : [illegible] [الإسراء: ١ – ٣].

تأمل حُسن الابتداءِ وروعتهِ في قوله تعالى (سُبحان الذي) الذي شكَّل سِمّة بارزة انفردت بها الآية، واستهلالاً يرسمُ ملامحها وأبعادها وقد تردد ذكر هذا اللفظة في أكثر من موضعٍ؛ لذا أسماها بعضُ أهل العلم بسورةِ (سُبحان)[١]، وهي جُملة تعجب سماعية لفعلٍ محذوفٍ تقديره (سَبَحَ)[٢]، مُضافاً إلى الاسم الموصول (الذي)، وبذلك ابتدأت ابتداءً عظيماً ملائماً لجو السورةِ، ولا سيّما آياتها الأولى التي تربط الأرض المقدسة بمكة المكرمة برباطٍ مقدسٍ أقرّه الله تعالى بقولهِ : [illegible] [الإسراء:١].

وقد تكرر ورود هذه الصيغةِ بشكلٍ لافت في قوله تعالى : [illegible]

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٥ / ٥.

(٢) (سُبحان الله) تعني تنزيه الله عن كُلِّ ما لا ينبغي أن يوصفَ به، قالَ الزجّاج : هو اسمُ منصوبُ على المصدر والمعنى سَبَّحَ تسبيحاً، ينظر : معاني القرآن (الزجّاج) : ١٨٤/٣، لسان العرب : مادة (سَبَحَ)، وسبحانك للتعجب من عِظم الأمر، فإن قلت : ما معنى التعجب في كلمة التسبيح ؟ قلت : الأصل في ذلك أن يُسبح الله عند رؤية العجب في صنائعهِ، ينظر : الكشاف : ١/٣ و٢٠/٣، والتحرير والتنوير : ١٠/١٥.

[الإسراء:٤٣]، وفي قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [الإسراء:٤٤]، وفي قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الإسراء:١٠٨].

ولو تأملنا المستوى التركيبي لصيغ هذا التعبير؛ لوجدنا تبايناً ظاهراً بين قولهِ تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الإسراء:١]، وبين قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [الإسراء: ٢].

فقد أخبرَ تبارك وتعالى في مُفتتح الآية بصياغةٍ عذبةٍ سلسلةٍ واضحة عن مشهد الإسراء بنبيه المصطفى ﷺ من البقعةِ المباركةِ فقد حدد السياق الشخص، والزمان (ليلاً) و(المكان) (المسجد الحرام) إلى الأرضِ المقدسةِ (المسجد الأقصى)، فكيان السورةِ إذن ومحورها البارز هو النبي ﷺ والقرآن الذي جاء بهِ، وقد كشفت هذه الالفاظِ عن حكمةِ الإسراءِ ﴿[illegible]﴾، ويرسله إلى عبادهِ.

وبضم وحدات التركيب بعضها إلى بعضٍ نَرصُدُ حلقةَ الوصلِ بين الفصلين في عملية (الإسراء) الأولى التي أوضحتها الآية الأولى، و(الإسراء) الثانية بنبي الله موسى ﵇ حين خرج من مِصْرَ إلى مدين خائفاً يترقب فآتاه الله تعالى الكتاب وأسرى بهِ إلى فرعون وملئهِ، ونصَّ سيَاقُ السورةِ على القصدِ من الإسراءِ الثاني وهو

﴿ ♎➔⑨✝❽ ♏♏♌♎♒♈♉♓♐✖ ◐♋·⬄❸◆◷↗♋③✍• 📖❐⬥·

✍⬥☝✸②♋⓪↗❐✂☎ ✌♋♊ ⑩←❐❄♋❼ ❐◆🗎⬁⓿☒✟﴾، حيث نلحظ براعة النظم القرآني في استثمار علاقة التناسب المعنوي بين صياغة الآية الأولى وربطها ضمن قرائن معنوية بسياق الآية الثانية متلائمة مع جوّ السورةِ العام وهو التذكيرُ والانذار بمصارعِ الأمم السابقةِ، فالانتقالُ من معنىً إلى معنىً آخر بمدِ جسورِ الاتصالِ الدلالي العفوي ظاهرة بارزة حفل بها النظم القرآني، وأعجز بذلك أرباب الفصاحةِ والبيان عن الاتيان بمثلهِ.

وإذا ما التفتنا إلى نقطةِ الوصلِ الثانية بين قوله تعالى :

﴿ ❶➔❻♒♏③✸❐⬧ ✌⬥♊⇳ ❍⌂☺⌂▪✡❐✍ ✌⬥➚⌂

✡←❐⌂✍﴾ وبين سياقِ الآيتين السابقتين، نلحظُ دلالة التذكيرِ بوعدِ اللهِ تعالى التي تؤكد مضمون السورةِ بعد عرضِ هذهِ الآيات تفصيلاً ومجيئ الخطاب الإلهي لبني إسرائيل ((باسم آبائهم الذين حملهم مع نوحٍ، وهم خلاصة البشرية؛ ليذكرهم باستخلاص الله لآبائهم الأولين، مع نوح العبد الشكور؛ وليردهم إلى هذا النسب المؤمن العريق))[1] فنعمةُ النجاةِ من غرق الطوفان التي مَنَّ الله تعالى بها على بني إسرائيل وآبائهم من قبل مع نبي الله نوح ﵇ دليلٌ على وجودهم لحدِّ الآن تُضاف إليها نعمةُ النجاةِ من الغرقِ الثانية مع نبي الله موسى ﵇ حين شقَّ البحر وجعله يابساً فأنجاهم، وأغرقَ فرعونَ وجنودهُ، كُلّها نِعمٌ غرضها الايفاءُ بجزيل الشكر للمنعم الأعظم على أبناء نوحٍ وذريته من (بني إسرائيل) والتأكيد على أن ((نوحاً كان عبداً شكوراً وهم أولادهُ فيجبُ أن يكونوا شاكرين كأبيهم؛ لأن الولد سرّ أبيهِ))[2].

---

(١) في ظلال القرآن : مج٤ ، ج٥ ، ص٢٢١٣.

(٢) بديع القرآن : ١٦٩/٢.

مما سبقَ يتأكدُ أن التعبير القرآني قَصَدَ تلك النقلات المعنوية بأسلوبٍ فاعلٍ ومؤثرٍ، وهو يواصلُ أداء الصياغة الفنية في السورة لافتاً الانتباه إلى التأكيد على القيم المعنوية التي توثق السياق القرآني بروابط دلاليةٍ أبدعت في تشكيل لوحةٍ تصويرية في غاية التلاؤم والتناسب العفوي الذي لا يشعر معه المتلقي إلاّ بالتسلسل المنطقي البديع المرتكزِ على حُسنِ الابتداءِ وبراعةُ الخروج والتخلصِ من معنىً إلى معنىً آخر دون تكلفٍ أو تعقيد.

ومثيل ذلك قوله تعالى : [illegible] [يوسف: ١ – ٥].

تتحركُ السورةُ في إطارٍ قصصي مُتتابع ومتكاملٍ؛ لتعرضَ صورة البطل (يوسف) عليه السلام المحور الأساس والمحرّك للأحداثِ والمشاهدِ بدءاً بعالم الرؤيا والغيب مروراً بالحدثِ المتصاعدِ فيها، الهجرةُ والنفيُ إلى الانتهاءِ بالنصرِ المؤكدِ من عند اللهِ، وهذه المرتكزات الثلاثة للقصةِ تنطوي على تفاصيل غايةٍ في الدقةِ، الهدفُ منها استخلاصُ العبرةِ والموعظةِ لمن يعقل ويتدبر.

إن الذي يهمنا هنا بنية الافتتاحية المتكررة كثيراً حول هذه الحروف (آلر)؛ بوصفها نغمُ الإيحاء الأول الذي يُبتدأ بهِ الجو القصصي في اثارةٍ لقضية التحدي

اللغوي والبلاغي الكامن في البداية[١]، فالآيات الأولى تعرض وصفاً للقرآنِ بمسمياتهِ الثلاثة الواردة في هذهِ الآيات (الكتاب المُبين، وقرآناً عربياً، أحسنَ القصص) وبأسلوبِ الخطابِ المباشر للرسول ﷺ يظهر التوازي الدقيق بين المُفردات المنتقاة (نحن – أوحينا – عليك – إليك) التي تعملُ متضافرةً؛ لتحقيق الترابط والتناسق بين مُفتتح الآيات وما يليها على الشكل الآتي :

نحن ⇐ أوحينا

عليك ⇐ إليك

ويبرز أثر (حُسن التخلصِ) في ما سبق بين ما وصفَ بهِ القرآن، وبين النقلةِ السريعةِ لحوار يوسف عليه السلام مع أبيهِ لقولهِ : [illegible] [يوسف:٤]،

في إشارة أفرزتها الأداة الظرفية (إذ) حيثُ حققت الوصلة السريعة والانتقال الدلالي من غرضٍ إلى غرضٍ آخر، من دون أن تُشعر المتلقي بما يكمن فيها من أسرارٍ صوتية وتركيبية ودلالية إذ يتفقُ النُحاةُ على ((أنها ظرفٌ لما مضى من الزمن))[٢]، تطوي بإمكاناتها الزمنية الدلالية الحدث الذي مضى مؤكداً بدلالة صيغة الفعل الماضي بعدها (قالَ) التي تأتي –غالباً– مُندرجة في سياقٍ قصصي ضمن أحداث القصص القرآني، وفي أوائل سور القصص –على وجهِ الخصوصِ–؛ لأنها واضحةُ الدلالة على المعنى، فقد قامت الأداة الظرفية بدور مهم؛ لتحقيق بنية التناسب في الانتقال البديعِ وحُسنِ التخلصِ، كأنها ((في لحظةٍ واحدةٍ طوت ما بين القرن السابع عشر قبل الميلاد حيث حدثت القصة، والقرن السادس بعد الميلاد حيث نزل القرآن))[٣].

---

(١) يُنظر : البلاغة القرآنية : ١٨٢.

(٢) الزمن في القرآن الكريم : ٣٤٥.

(٣) البلاغة القرآنية : ١٨٤.

ثم تبدأ خيوط الرؤية الأولى بالتشكلِ عبر حوارٍ أبوي لتُفصح بذلك عن أسلوبٍ تعبيري غاية في التعقيد يستوقفنا فيه الفعل (رأى)؛ فالبنية اللغوية لهذا الفعل تنصرف إلى دلالتين الأولى: الرؤيا بمعنى اليقين، والثانية: الرؤيا الموحية بدلالة التخيّل، ويلفتنا ملمحٌ أسلوبي آخر هو التكرار اللفظي في لفظ الفعل رأى (أني رأيتُ) و(رأيتهم)، وهو في معرضِ حديثهِ عن كواكبَ غير عاقلة فلمَ لم يقل (رأيتُها) وعَدَل إلى قولهِ (رأيتهم) ؟

الجواب يكمن في بنية التركيب المُحاطِ بجملةٍ من التأكيدات هي (إن) المؤكدة والمُسند إليها ضمير المتكلم في قولهِ (إني رأيتُ) ➔💣*⬀③❒🕮◆❻◆ ﴿

🙰✡⌛☒🖅⬀❑☒🖅 ◆❸❁⌑◆⇱ ⍓⑨◆■❒🕮

◆❷⍓☺⬩◗⬂♑🙰✂◆❒ “▪⇧☺⦿⌖♑🙰✂◆❒

فالتكرار ﴾🙞▫⇦♉⑨✐⇗🕔⍓🙢 ❼⦻🖫 ⬀☠⇙🙵🡐☺⬀③❒🕮◆❻ اللفظي عملية إحكامٍ لما تم الافتتاح بهِ، ((رأيتُ هذهِ جميعاً في حالةِ سجودٍ لي))[1]، والأثر الأسلوبي البارز في هذه السورة موافقة ابتدائها لخاتمتها مع مراعاةِ تمام المعنى والمضمون، ولو تأملنا روعة إحكام البناء التعبيري في ما انتهت إليهِ السورة قوله تعالى : ⬀☠⚐♒⮰🕔❁🕔⬩🕭 ❼⚐✖ 🙞♍🕭☒🖅 ⇧⑨⬩◗⬩♑ ﴿

🙰◆✍ 🗏 ✐🖬🕔◆⌛⬂♑☛❀🙰✂ ❼⦻🖫🕯❒❄☯❀ ⮜❒◆❸⬀♑♉⇱

♊⮰⌛🕔⬩♑◆❒ 🗎⑨◆❸◆✋⬂▦⇱③ 🙰☪✞③♉⑨◆■ ◆♌🕭☒🖅

♉❍⬀③⍓⑨◆③ ◆✖⬀✓◆🖃 ❽♉🕭⅄✏🙰✂ ◆🖃③♉⑨⇔🕔⬩🖎

❽✡⑨➔♎◆❒ 🕮⇗⇔⦻☒★ ✐♏🖎➔🗎 ⬩🖎⓿⮰🕔⬂▦⬩🖎◆❒

﴾◆♌❑⇱☪♉✍⬀⬩⇱③ 🗐✈⬀❑⬩◗♉♏♑ ☪❒◆✐⬀❑◆❻◆❒

[يوسف:١١١]، نجد عودة من جديدٍ إلى ما أغنى الإلماح فيه عن التفصيل ((وهكذا يتوافق المطلع والختام في السورة، كما توافقَ المطلع والختام في القصةَ))[2]، ومثل حُسن التخلص ما ورد في سورة (النمل) من أدب المناظرة المُفتتح بقوله تعالى :

⬋☠🕔■🖬⍓🙢◆❒ ★✏ 🡐⑨⇧☺❒◆⬂💻🙰✂ ✐🖎➔🕭﴿

🙞▫⇦♉🕭⅄✏🙰✂ ⦻■♉❿🙰◆⌛♉⇱ 🗐❼■🖎◆⇱

🙰❑✍❒🕮 ⬊❸⬀❷⍓⌘ ✦✏✏✂◆⇗ 🗏 ✂❼⬩✄⬩⮌⇧🕒🙰✂

---

(١) البلاغة القرآنية : ١٨٥.

(٢) في ظلال القرآن : مج٤، ج١٣، ص٢٠٣٧.

④🡐¤⇳❸🙰🗋🙵⬀❑♍🙞﴾ [النمل:٥٩]، وقريبٌ من التخلصِ فنٌ يُعرف باسم (فصل الخطاب) وهو اقتضابٌ محمودٌ يُفصل بين قسم وقسمٍ آخرٍ باسم الإشارة (هذا) أو (هذا ذكرٌ) أو (أما بعد) مما يُشعر بالانتهاء من الكلام على القسمِ السابقِ للبدءِ، ومن مظاهرِهِ في التعبيرِ القرآني ما جاء في سورةِ (ص) التي بينت ثلاثة أصناف من الرُسل، قد يلحقُ بهم المحسنون والأبرار[1].

الصنف الأول: الأوّابين، والأوَّابُ : هو الراجعُ إلى الله تعالى بترك المعاصي وفعلِ الطاعاتِ[2]، قال تعالى : ﴿أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾، وقال تعالى : ﴿☼🙵➔⬀☠⌘

✁🙤🙢◉♍⬂➔◻⬀⌨⬁⑨🡐 ☎ ◑🙰☼✵❍🡐◷⊞ 🕮❑❑❑✁✇⬉﴾

[ص:٣٠]، وقد عرضت السورة ثلاثة نماذج للأوّابين وهم : (داودَ وسليمان وأيوب عليهم السلام).

الصنف الثاني: صِنْفُ المصطفين الأخيار وهم في السورة (إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب عليهم السلام)، قال تعالى : ﴿❑◆✁🙤❶⬂🗋⬀❷⬈⬁ ⬉🙵⌨◷⑨⬕☼◆🙤✎ ◑🙰🖅⬀❷◆◷♎🙵⬈◆☹ ❑◆◑🙰⇔⬩⬕◷🖃♦ ❑◆♦③➔⬃◑➔❑✇⌘ 🕮⬆❑🕯🖫🙼❼ ✁🙤❀☛③⬃⑨🙵❽ ❑◆✁🙤❀☛🖃⬀◷✹◷❷🞕﴾ [ص:٤٥]،

والدليل على ذلك قولهُ : ﴿❑◆◑🙰⌘❑🙵⬋☠⬀ ⬉🙵☪⑨⬕☼◆🙤 ◉🙢⬩☺🙵♊⌘ ✁🙤◉🙢⬂🡐◷⇔⊃⬩🞖⊠✓⬃×◆ ✁🙤❀☛⌘⬃⑩◆🙤❻🙼﴾ [ص:٤٧].

الصنف الثالث: صِنْفُ الأخيار وهم رِتبةٌ توسطت بين المرتبتين السابقتين ممثلةً بأنبياء الله (إسماعيل، واليسع، وذو الكفل عليهم السلام)، ﴿❑◆✁🙤❶⬂🗋⬀❷⬁ ◑🙰⬕⇔☺⬕◷➔🙵⑩🙢⬩

❑◆✁🙤◉🙢⬂⑩◆❍✹⬈⬕ ❑◆❶⬩✁ ✁🙤🙢⬂⬕🖹🖻🙢⬂🖊 ☎

❑◆🗋⬈🙢🙢✋♓🙵♊⌘ ✁🙤❀☛⌘⬃⑩◆🙤❻🙼﴾ [ص:٤٨].

---

(١) يُنظر : البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٥٦٢.

(٢) ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٤٠.

وقد بيّن الله تعالى في خاتمةِ عرضِ هذهِ الأصنافِ أنهم مخصوصون بنعمةٍ من اللهِ بقولهِ تعالى : ﴿❍➐♑♋◔☐✡⬄◔■◘✍⌘☐🕮 ✎♐✱✪♏➋﴾ ﴿♓❻✂⊙♐✎♐✂ ❽♦❷⇩🗎♎❶ 🖮◘✽◔♎♌♐•③◔🗎﴾ [ص:٤٦]، منتقلاً بأداةٍ لغوية، وإشارةٍ سريعة تُهيء المتلقي لاستقبال معنىً جديد بقولهِ : ﴿⚖◻⓿◔☒✂ ❶♎✇⬂❷⊠ 🗐 ◘♌♏➋♦◘﴾ ﴿♌♎◘➩☚✱➋✇⬅☺▫◘♎♌ ♦✗✓✇⬅○⇔♊⌘✋♦★♦♐ ⚇◘﴾ [صّ:٤٩]،

وقد التفت ابن الأثير إلى دور هذه الأداة اللغوية[1]، ((فكانت مفتاحاً ظاهرياً لتقسيم هذهِ الآياتِ تقسيماً دلالياً))[2]، أعقبها بيانُ ما في الجنةِ من مظاهر النعيمِ الدائمِ وحالُ المتقين ومآبهم فيها، وسيستمرُ الوصلُ والفصلُ باسم الإشارة (هذا) في قوله تعالى : ﴿⚖◻⓿◔☒✂ ✋♦♐ ✍➔◘⬉♦⑨⬅◘♌♦﴾ ﴿♌♎⓿♦◘⬀✈♎ ✂♐💻⬂♦♎○✽♐⚇✇﴾، [ص:٥٣]، ﴿➋♏➋♌◘﴾ ⚖◻⓿◔☒✂ ♌•❷▩♾⬂🔔➔✡◘♐ ✋♦♐ ♌•○⬅⓵ ✋♎♊ ✱▦☒♐⑩⚇﴾ [ص:٥٤]، ﴿⚖◻⓿◔☒✂ 🗐 ◘♦➋♏♍·﴾ ﴿♌♎◘➲⅄◔⇔✇✓✗♦ ♌•⌑✽❸▪ ✋♦★♦♐⚇▯﴾ [ص:٥٥].

وفي الآية الخامسة والخمسين من سورة (ص) يظهرُ أثر الفصل واضحاً، فاتصالُ القولِ وتنافيه في الخطاب القرآني يعكس بنية التناسب والتوازي ضمن علاقاتٍ منطقية ففي هذه الآية اختلفت النقلة من وصفٍ لحالِ المتقين في جناتِ عدنٍ إلى الحديثِ عن الطاغين ومآبهم في جهنم، ووصف حالهم وما يذوقوه من حميمٍ وغساق؛ لذا استمر عمل الإشارةِ اللغوية (هذا) فعّالاً في إبراز الأثر البديعي لحُسن التخلص والفصل، وتبرزُ بنية براعة التخلص في قوله تعالى : ﴿♒◻🕯◘✌♦ ♒◻♐✎★♓⬂🖮 🖭♏➔◻⓿☒✂⚇▯ ◘♦✂🔔♎➚🖰 ⬀⬃⬁ ♌♋e♎◘▫⬚☒◔▦♎❷▩⬄✗♦ ♌•⑩⬂▪❝ ♌•○⬅⓵ ⑩◻✂▫♎➚♓ ⬀♓⬁ ♐♓♎⬀➳ ✂♐✎★ ❶♎❽

[illegible] ﴾[المعارج:١-٤]، ذكرَ أولاً عذاب الكافرين، وأنه لا دافع له من الله، ووصفَ الله بذي المعارج تخلصاً، وهذا من لطائف التخلصات وأحسنها.

والجديرُ بالذكر أن بعض البلاغيين آثر إدراج فن (الاستطراد) ضمن البنية التناسبية لفن براعة التخلصِ؛ استناداً للعلاقة الواضحةِ بين المصطلحين، فالاستطراد: هو الانتقالُ من معنىً إلى معنىً آخر متصلٌ به، ثم يقصد بذكرِ الأولِ التوصلُ إلى ذكر الثاني[1]، مع التأكيد على أن بنيتهِ الأسلوبية تقتضي العودة إلى المعنى الأول بعد حدوثِ انقطاعٍ عنه مؤقتاً، وقد أوردوا العديد من الشواهد القرآنية مُعلقين عليها ببيانِ أوجهِ الفرقِ بين هذا الفنِ، وبين حُسنِ التخلّص، ففي قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [الأعراف:٢٦]، نجد أن الحديث عن آدم عليه السلام وما بُدي من سوءتهِ وزوجهِ عندما زين لهما الشيطان تذوق الشجرة المنهي عنها، وبفعل الوسوسةِ الشيطانية انكشفت عورتهما، ﴿[illegible]﴾[الأعراف:٢٢]، وكان الهبوطُ إلى الأرضِ هو الجزاء، فقد أنزلَ الله تعالى عليهما لباساً يستر عورتهما، وفي هذه الأحداث تُلمح انتقالاً مُفاجئاً من معنى اللباس الساتر للبدنِ إلى معنىً آخر متصل به؛ لمناسبة التوافقِ اللفظي وهو (لباسُ التقوى) المُفسر بقول الزمخشري : ((إظهاراً للمنّة فيما خُلِق من اللباس، ولما في العُري، وكشف العورة من المهانة والفضيحةِ، وإشعاراً بأن التستر

(١) يُنظر : العمدة : ٢ / ٣٢٧، والإيضاح : ٢٦٤، وخزانة الأدب : ١ / ٥٥.

بابٌ عظيمٌ من أبواب التقوى))(١)، ثم تعودُ الآياتُ ثانيةً إلى الحديثِ عن المعنى السابقِ ونفس الموضوع في قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [الأعراف:٢٧]، وبذلك يتبين الفرق واضحاً بين (الاستطراد) و(حُسن التخلص)، فالاستطراد يعادُ إلى المعنى الأولِ المُنتقل عنهُ بعد بيانهِ وتوضيحهِ بأسلوبٍ مُفاجئٍ للمتلقي أما حُسن التخلص فهو انتقالٌ بلا عودةٍ ولا مُفاجأةٍ في البنيةِ أو الصياغةِ الكلامية؛ لأن المتلقي مُهيأ يترقبُ وينتظر ما قد يقع.

ومن شواهد الاستطراد في الذكرِ الحكيم قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [لقمان: ١٣ – ١٦].

---

(١) الكشّاف : ٢ / ١٥٠.

يكمن بديعُ الآيةِ فيما تحققهُ من عُنصرِ المفاجأةِ والمباغتة التي لم تكن متوقعة أو حاضرة الذهن عند المتلقي؛ لأنه مشغولٌ بعرضِ المعنى المسوق لهُ في الكلامِ فسرعان ما يتنشطُ الفِكرُ بالاستطراد، والانتقالِ من غرضٍ إلى غرضٍ آخر، ثم الرجوع إلى الغرضِ الأولِ وبذلك وفَّرَ للمتلقي فرصة الاستراحة، وتجدد النشاط الذهني، ففي هذه الآياتِ من سورةِ (لقمانِ) انتقالٌ مُفاجئٌ؛ لكنه واضحٌ وصريح يُلفت النظر إلى موقع الاستطراد من وصية لقمان لابنهِ إلى وصيّة الله تعالى لعبادهِ تجمعهما علاقة التناسب، ثم العودة مباشرةً إلى المعنى الأول والمتضمن وصية لقمان لابنه، ومثيل ذلك قوله تعالى: ﴿③♦🕓✵🕯□⑨🙥🙜□🙞

✃🙞🙐♏➀⬀♐🙐• 🕭➔🏱🖅 🖅🖒🖎 ⌘➀🕭♦□✂🙚🕭⌖ 🕮□□🙜

➀♐🖍• 🕭🗸➀⊠🕑♦➀⊠ 🖅♖🖎 ☼□🕭🕑⇔🗷➀⊠○⬅➀🕮 ✃🙞☼➀➔🖅⇔ ✌🕭☾🗸○⬅ 🕭♦🗳♐➀⊠🕑 🖅⊠🖎 🕮□□🗸

♐🗳➀ 🗸♦🗴➀🗷♐ 🗸○🕭 □♦➅♦🙕□🕭🙜🖅

✃🙞🙐♏➁◿➚♦✃♌♦ 🙕♦➁◿🙕🕭➀⊠🕑 🖅🙜🖎 ☽♐✲🙞

🗸⊞☊🗳♦🕭 ♋➀▶🗳♦🗸 🕭♦□◿♦☪ 🏱□☽🖅🕑➀⊠🕑

☼♦🙞⬆🕭♐○🕭♌□ ♦ ✃🙞🙐♏➀⬀♐🖅 ⚖🕭➅"

□🕮□ ➅⑨⊠⬆□🕮 □♦⇑★ॐ🙞 □♦🕭🕭□🕮♦🕨

🕭➀⊠🕑﴾ [المزمل: ١-٦].

ومثله قوله تعالى: ﴿🕮□🕭🕭🏱🖅 ✃🙞🙐♏🕑○🗳■🗋■

✎🙚🙞➔♏➚□🖰🕭 ✃🙞🙐♏⌖⊙☺⇳▪🗲 ➀🗳🗋■➐🗐 ➘⊠○✿🗁🖅

✃🙞🙐♏➀⬀♐🖅 □♦🕭➔➁◿➚♦✃♌♦ ✃🙞🙐♏▥⊠➚⇳➁🞵

☎ ➀🙜♌□ 🕭➔➁◿➚♦✃♌♦ ✃🙞🙐♏▥⊠➚⇳➁🞵

🗠⊠🕭♍🙞 ✌♦☆⇳🙞🕭⊾□➉✡✃ 🖅🕭🕮🖎 □♦✌🕭♊⌘

✃🙞🙐♏➀⬀♐🖅 ▫♦☛♦♑⧄➚⊙⑨⇳ 🗠♐○🕭🕓

☼♦🙞▫🕭✃♦🙚ॐ ♏🙐⬆🖮⧄ ﴾ [الاسراء: ٧٨ – ٧٩] .

فقد استطرد حين جعلَ قوله تعالى ﴿□♦🕭➔➁◿➚♦✃♌♦

✃🙞🙐♏▥⊠➚⇳➁🞵﴾ وسطاً بين ذكر الليلِ، واستطرد ثانيةً حين وسَطَ

قوله ﴿☽♐✲🙞 ♋➀▶🗳♦🗸 🕭♦□◿♦☪ 🏱□☽🖅🕑➀⊠🕑

•♦□🕮﴾ بين ذكرِ أوصاف الليل وأحكامهِ، وقوله تعالى: ﴿🏱□☽🖅🕑➀⊠🕑

🗠⬅➔⑨✡✃ ♏🙞🕭☺⧄⑨⇳⇦♦✖♦ 🗠⊠☺⧄🙞

🗠➔♦🕭⑨⧄☠⇳ 🏱□☺⬅□➉⬅﴾ [هود: ٩٥]، حيث تظهر بنية الاستطراد

في لفظة (ثمود) بعد ذكر (مدين) وحال تكذيبهم الرسل في قوله تعالى :

☠←♑➔🖬←♒↓❻ ⬀☠⬋&⬂☜◆⬈✏🔔⍓♊ ⇳⑨⬧⚈⬧♑⬤◆❑❁

❁⬂☜◆⬈✏🔔⍓♊⬧⬤♑⬂🖮◆❹⌘☞☪◆⏲*💣⬂❁، ومما يُحقق براعة التخلص قوله

تعالى : ❁♒⍓🔔⬧❑✌◆ ♒⍓☞✏★⬂☞🖮 ⬂⬂➔⍓⓿⊠✂☹🖁

“▪⬂⓾⬧♑ ◆✗⇦⧇❷⬂⬂⏲⊠⌛▫🖬⬂⬂♑ ⬂⬂⬂ ⬂⬈⬂🔔✂◆❑
❽⬂❶ ★✏☞✂ ⬂⬂⬂⌘⬂ ⬂⬂⬂ ⬂⬈⬂▫✂⍓⓾ ⏲←❍⬧♑
←●⬉❷⬂➔⬧✍ ⬂⧇⬂ ⬂●⬂❻☞⍓➔⍓☺⬂♑☞✂
←⍓❑❾❷♑☞✂◆❑ ➔❑⊠⌛⬂⬂☼⏲■🖬⍓☺⬂♑☞✂
◆♌🔔⊠🖅 🖁✈⬀❑◆③ ⑥⬂✗ ⬂❍⬂⓿⬧♑⬂⚈
⍓✂⬂♑❑🕮 ◆✗✓⬂❍⬂⬂⬧” ⏲←■↓❻✂⍓⑨⬂⚈⬂✍

♒⍓☪◆❑🖮❁[**المعارج:١-٤**]، التدرجُ في الانتقالِ من فاصلةٍ معنوية إلى أخرى.

ثالثاً : حُسن الختام :

يطلق عليه البلاغيون تسمية (الانتهاء) و(براعة المقطع) و(الاختتامِ) وهو موضع مُهم من مواضعِ التأنقِ والبراعةِ وإظهار الحُسن في القولِ؛ لأنه آخر ما يطرقُ السمع، وهو ((آخرِ اللّمساتِ الناعمةِ المؤثرةِ التي تعلقُ في النفوسِ، وتسكنُ عندها سُكونَ ارتياحٍ، وتظل لها ذكريات تُحرك النفوس بالشوقِ إلى المزيد من الحديث))(١).

ومن الملاحظ أن مواضعَ التأنقِ أُحكمت ربطاً بعلاقاتٍ لا يمكن تجاوزها، فقد يوافقُ بدء الكلام المُفتتح به خاتمته تركيباً أو دلالةً، ولولا وجود هذه العلاقات المشتركة لاستحالت تلك المظاهر البديعية إلى صيغ اعتباطية متكلفة لا جدوى من وجودها أو عدمهِ؛ لذا فإن خواتم سور القرآن الكريم ليست أقلّ شأناً من فواتحه في بيانها وجمالها، وهو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد أُحكمت آياته كلها افتتاحاً وختاماً، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً.

---

(١) البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٥٦٣.

فإذا تأملنا الختام في أي سورة من سور القرآن الكريم، نتلمس حسن الاختيار للفظ والمعنى، والدقة في ملائمة ما سبق وموافقة البدء المفتتح به، مع الأخذ بالحسبان مقياس المناسبة للسياق العام، وبذلك جاءت خواتم السور مثل فواتحها في الحسن ((فتضمنت المعاني البديعة مع ايذان السامع بانتهاء الكلام حتى لا يبقى معه للنفوس تشوف إلى ما يذكر بعد))[١]، وهنا يتأكد أن لأسلوب الختام أغراضاً دلالية تجتمع في أُطرها منها :

١- الختام بالأدعية والوصايا.

كقوله تعالى : [illegible]

[البقرة : ٢٨٦]، فالله جلّ وعلا أعظم من بدأ، وأبدع من ختم، كل سورة من سوره ختمت بأتم ختام، يشتمل على دلالات جمالية وفنية، ينتجها الأسلوب المتعلق بالسياق القرآني، ففي خاتمة سورة البقرة نتلمس الحسن البديعي المتضمن دلالة الدعاء والتضرع الى الله تعالى بمناجاته تكراراً للفظ (ربّنا)، الواردة في سياق الخاتمة، التي اظهرت تناسقاً مع التراكيب اللغوية المبينة دلالة الابتهال، طلباً للنصر على الكافرين.

وكذا جمال الدعاء وتناسبه مع البدء لحسن اللفظ وجزالته في خاتمة سورة نوح في قوله تعالى : [illegible]

(١) الإتقان في علوم القرآن : ١٠٧/٢.

[illegible] [نوح : ٢٦-٢٨]، وقوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [الانعام : ١٦١-١٦٢].

وقد تضمنت خاتمة هذه السورة لوناً من ألوان التناسب التعبيري الذي يقتضيه التقرير الموضوعي؛ لبيان الوصايا العشر التي اختص بها سيدنا موسى عليه السلام التي ترد في السياق تفصيلاً لتشريعات عدّها العلماء والمفسرون قوام الدين كلّه[1]، مع تحقيق دلالةِ ربطها بالقضية الأساسية وهي قاعدة بناء العقيدة، فكانت خلاصةً لجميع التكاليفِ والفروضِ والحقوقِ التي يرتكزعليها السياق العام لهذه السورة.

وقوله تعالى في خاتمة سورة الأنبياء ﴿[illegible]﴾[الأنبياء:١١٢]، وقوله تعالى في ختام سورة المؤمنون ﴿[illegible]﴾[المؤمنون:١١٨]، انطوت هاتين الخاتمتين على وصيةٍ ودعاءٍ في إطار واحد، حيث تعلن عن الختام المناسب في اعقاب نقلات

(١) ينظر : في ظلال القرآن : مج٣ ، ج٨ ، ص١٢٢٩.

معنوية في سياق التعبيرين؛ لترسم مظهراً من مظاهر الإنابة والخضوع والتسليم والانقياد لله تعالى والاقرار بالبراءة من الاباطيل التي تصف بها الألسن جلال الله، وبدقة وانسياب عفوي تكشف الخواتم عن أسلوب الترابط الوثيق في كل مفاصل السورة مع التأكيد على التوافق والتلاقي بين المطلع والختام[1].

٢- الختام وبيان الفرائض وحقوق الأحياء من مال الأموات.

تختم سورة النساء المتضمنة تفصيلاً للأحكام والعلاقات الأسرية، والتكافل والتنظيمات الاجتماعية، بختام آية الميراث وأحكام وراثة الكلالة؛ استكمالاً لما جاء في السياق العام وعلى مدى مئة وست وسبعون آية، حتى ينهي القرار الشامل الجامع بـ((التعقيب القرآني الذي يرد الأمور كلها لله، ويربط تنظيم الحقوق والواجبات، والأموال وغير الأموال بشريعة الله))[2] في قوله تعالى: ﴿③⇖⌛♦✓♓✗⇐ ✢✎✍✁◆❑ ▤ ☎✁❑✉◘⇖✑⬧✍ ♌❑🕮 ⬀☠➔⌛⬧⍝◉ ✦✎✍✁ ✍⌨✉◙✑♦⬃ ⬅ ✬⊠⊘⇔⬀⊛ ⬊♦◘✉⑩⚐⌨﴾ [النساء : ١٧٦].

٣- الختام بتعظيم الله والثناء علية والحث على التسبيح بحمده[3].

تأمل قوله تعالى في خاتمة سورة الصافات ﴿⬅⌛⬀⬥⊠⊕♊⌘ ✍★⁋⊠⬋ ⊘❑❑❽⬂➔⬂◉✍✁ ⬘♌⊛◆❻ ⊠⌨✉■⌨◆❻ ❼■✍♦⬉ ⬋☠⊕■◘⊠⬂◆❑ ⬗⬂⬂⬘⬀ ⬂♍❑➔▦⬃⊕◆③ ⬗⬂⬂⬂⬀ ⬂▫✓✉◘⊠⬂⬀❷⬅☺⬂◉✍✁ ⬘♌⊛◆❻ ★✎ ⬅❾⇳☺❑♦⬂⊑✍✁◆❑ ✁✍⬂◉⬂➔⊠⊕◘■☺⬂✓▫⬂﴾ [الصافات : ١٨٠-١٨٢] وخاتمة سورة الأعراف من قوله تعالى : ﴿◑✉♌❑ ✁✍✎⅄♙⬂⇦✗♦ ⬉⬂☪❾⊠ ❻◆⌨✉①⬂ ⬩⬩ ④❑○⇔✌♦▤⬁◉⬂⬘❸⬅❑♌♦ ⬉♦♊⇳ ⬉⬂⌨♦✍⑩⊠✍⬂○⬂⊘ ❑◆④⬅○✽⌛○✉⬩⬅❑☼♦○⬅⊕

[illegible] ﴾ [الأعراف : ٢٠٦]، وما جاء

في خاتمة سورة يس من تسبيح في قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [يس : ٨٣]، وقوله تعالى في آخر سورة نزلت من القرآن الكريم كاملة ﴿ [illegible] ﴾ [النصر : ١-٣].

ختم التعبير القرآني حديثه بالتسبيح في ختام هذه الآيات، وفي ذلك إشارة إلى ما جاء في السياق العام، حيث تنتهي بوصفه –سبحانه وتعالى– بالتنزيه والتقديس وإجلال الله، وبضم الوحدات الدلالية المشار اليها في السياق الى بعضها تشكل ما يلفت الأنتباه الى التناسب الموضوعي، والترابط العضوي لكل مفصل من مفاصل التعبير فتشكل كلّ آية ((لبنة متميزة في بناء هيكل السورة))[١]، ويتأكد أن كل سورة من سور التعبير القرآني ختمت بتراكيب جامعة خلاصة مختزلة لأمهات الموضوع الذي جاءت فيه، إذ طال شرحه وفقاً لمستويات اللغة باخراج قاعدة كلية مشتقة من صلب الغرض، مستوفية شروط البيان والبديع القرآني المعجز.

٤- الختام بمدح الرسول ﷺ والثناء عليه وبيان حرصه ورحمته بالمؤمنين.

في قوله تعالى : ﴿ [illegible]

---

(١) من بلاغة القرآن : ٦٤.

﴿[illegible]﴾ [التوبة : ١٢٨-١٢٩]، الأحكام في القرآن تقترن بما يثير الوجدان؛ حتى تقبل النفس على العمل بها راضية مغتبطة، فانتهاء سورة التوبة ارتكازاً الى قاعدة التناسب، بما يقوي هذه القاعدة.

٥- الوعد بالجنة والوعيد بعذاب الله وغضبه.

مما يتصل بهذا المعنى أن أسلوب القرآن الكريم ينحى في خواتمه منحى السياق العام في المجيء بالفاظ عنيفة في مقام التهديد والوعيد، والفاظ جزلة عذبة في مقام الترغيب والتبشير، ومن أمثلة التهديد والوعيد ما جاء في خاتمة سورة المدثر في قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [المدثر:٢٦-٣٠] ومن الملاحظ في هذا المقام استعلاء التعبير، وقصرالآيات، وجلالية الأداء بشكل يتأكد فيه أن عجيب نظمه لا يتفاوت على ما يتصرف فيه من الوجوه فموجة التعنيف تبدأ من أول أمر واردٍ في التعبير بلفظ (قمْ)، الى أن تصل الى قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [المدثر:١٧] ومثله قوله تعالى : ﴿[illegible]

[illegible] [المزمل : ١١-١٩].

تأمل التعبيرات في قوله تعالى : [illegible]

[illegible] [النبأ : ٢١-٣٠]، ومن الملاحظ ختام هذه السورة بصيغة الفعل المضارع الواقع في حيز النفي (فلن نزيدكم) ((وهنا ربما وهم الواهمون أن جزاء هؤلاء مقصور على ما ذُكر فيما مضى من النص؛ ولكن هذا الوهم مدفوع بالاستثناء إلاّ عذاباً))[1] وهذا يعني أن نفي الزيادة التي من جنس الرحمة وملاحقتهم بالزيادة التي من جنس العذاب وهذا من تبكيتهم وحسرتهم. وما جاء في خاتمة سورة (ق) من تذكير بالقرآن لمن يخاف وعيد الله تعالى [illegible] [ق : ٤٥].

(١) خصائص التعبير القرآني : ١/ ٢٦٨.

أما فيما يتعلق بمقام الوعد[1] فقد أختار البحث نماذج لصورٍ ثلاثة تبين حال المؤمنين في يوم الجزاء والثواب ومآ لهم في ذلك اليوم.

الصورة الأولى : تشبيه المؤمنين بالزرع :

قال تعالى : ﴿[illegible]﴾ **[الفتح :٢٩]** إنهم كالزرع الذي أخرج شطأه[2] أي فراخه، فشدّ أزره، فصار من الدقة الى الغلظ، فأستقام على ساقهِ، وهذا المثل صورة مستوفية الاركان،موفيه بالغرض أحكم وفاء، ضربه الله لبدء أمر الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوى واستحكم، فهو تقوية للنبي ﷺ بمن آمن معه ((كما يَقوّى الطاقة الأولى من الزرع ما يحتفُّ بها مما يتولد منها حتى يعجب الزُرَّاع))[3]، ودلت (الفاء) العاطفة المتتالية في قوله تعالى : ﴿[illegible]

---

(١) ينظر على سبيل المثال خواتم السور الآتية : سورة القمر : ٥٥، سورة الحديد : ٢٩، سورة المجادلة : ٢٢، سورة الأعلى : ١٩، سورة الفجر : ٣٠، سورة البينة : ٨، سورة الليل : ٢١.

(٢) يقال : أشطأ الزرع : إذا فرّخ، فالحبّةُ تخرج العشر، والسبع، والثماني من السنبل، الكشاف : ٢٣٨/٤؛ معاني القرآن (للنحّاس) : ١٢١٢/٢.

(٣) الكشّاف : ٢٣٩/٤.

﴿[illegible]﴾ على سرعة انتشار الإسلام واستقراره، كما شبه هذا الزرع في قوته ومراحل تدرجه في النمو وفقاً لسنن الطبيعة بالإسلام، وكذلك بالرسول ومن معه ممن ناصروه وقووه حتى ازدادوا نماءً وقوةً مما يغيظ الكفار والمنافقين؛ لانهم إذا سمعوا بما أُعدّ للمؤمنين في الآخرة ازدادوا غيظاً وحسرة على ما أعزهم به الله تعالى في الدنيا(١). وعلى هذا النسق كانت أبرز تشبيهات القرآن وتمثيلاته في جانب وعد المؤمنين أو وعيد الكافرين(٢).

الصورة الثانية : وصف حال أهل الجنة ونعيمها(٣).

جاء في خاتمة سورة الدخان قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ **[الدخان: ٥١-٥٩]**، يرى الزمخشري أن التعبير القرآني في هذا المقام سوغّ ورود الألفاظ الأعجمية مثل :

---

(١) ينظر : المكان نفسه.

(٢) صوّر التعبير القرآني حال الكافرين وأعمالهم بصورٍ شتى منها: ١-السّراب والظلمات في سورة النور : ٣٩-٤٠، ٢-ريح فيها صرّ في سورة آل عمران : ١١٧، ٣-ريح ورماد في سورة إبراهيم : ١٨ والبقرة : ١٩، ٤-هباءً منثوراً في سورة الفرقان : ٢٣، ٥-الحجر الأملس عليه مطر شديد في سورة البقرة : ٢٦٤.

(٣) ينظر على سبيل المثال ما ورد في خاتمة سورة الرحمن، وخاتمة سورة الحشر، وخاتمة سورة الطلاق، وخاتمة سورة القمر.

السندس، والإستبرق[1]، وعدّها من المُعرّبِ، وهذا لباس أهل الجنة، أما هيئة جلوسهم فيها فهي التقابل، وأزواجهم فيها من الحور العين، بإضافة الحور الى العِين، والمعنى بالحور من العين؛ ((لأن العِينَ، إما أن تكون حُوراً أو غير حور))[2]، يُضاف الى ذلك أنهم لا يذوقون فيها الموت أبداً، والسرُّ في استثناء الموته الأولى المذوقه قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها ((أن الموتة الأولى مُحالٌ ذوقها في المستقبل))[3]، فهذه الآيات تختم ما جاء في السياق العام بأسلوب متناسب، يشير مجملاً الى نعيم الجنة، وتفصيل ألوان النعيم فيها.

الصورة الثالثة : وعد الصادقين لصدقهم بالرضا.

⬉⚐➩☐♦③ ✂☒⓿⏲⍓♎ ✦✏☙✂ ♦✌☙⬩♎❁

🗐⬀☠←♑➔♎⇳⑨☋⏲ ♦✖✓☋♎☋⑨⏲○⏲☙✂ ←➚☒▦☪♦③

♊☋✍ ❽▩❷⬂♑☐✍ ⮜⬮*⏲☐✡⍓♉ ⬀☠←●○⌨

⬉❷⏲⍓♑⬃☼☛❀☙✂ ☙⍓♑☋☛⬂♦☐✍

🗐 ✂✡⑨♦✉☐🕮 ✏☙☐&❸☋▫ ♦✖⇦☋☙⬂✂⏲⍓⌘

☎✂☐➔➬♦❻♦☐ ⬀☠⬋&⬃☸♦⬉ ✦✏☙✂ ⌘⬂⬂▩▪❻

⬉♾⬀☐☒▦⬂⚙☙✂ ⍓⌨☋⚙⏲⬩❶ 🗐 ←○⬃☪♦⬉

➔⌨▫⛝⬉✍ ★✏ ⬂➬➬⬂⬂ ⬉☹➚☋➔⍓➔⬂⚙☙✂

☙♦✍♦☐ ⬂♈⬀❻☛❀☙✂♦☐ ☋☠⏲♦☐⏲⍓☺○○⚙☙✂

⬂♏⬂➚✉ 🗐❼■✍♦⬉ ♦☐➔♎♦☐ 🗐 ⬤♊⬂&❸☋▫

❁ ⌨❷③☋⑨⬩♎ 🕮➚⬄⬂☒★

[المائدة:١١٩-١٢٠] في وعد الصادقين جاء الحديث في القرآن الكريم مقترناً بالرضا.

٦- الختام بالحث على الجهاد في سبيل الله.

جاءت فاتحة سورة (الأنفال) متضمنه هذا الغرض في قوله تعالى :

✉⬂☋✍ ☎✂☐⬉☪♦✍✂♦➚ ♦✖⇦☋♎⅄✏☙✂♦☐❁

☎✂☐⬉❷⍓♉☙⍓♎♦☐ ←⑨⬃➔♦✉

(١) قيل السندس ما رقَّ من الديباج، والاستبرق ما غلظ منه، وهو تعريب (استبر)، والتعريب معناه أن يُجعل اللفظ عربياً بالتصرف فيه وتغييره عن مناهجه، وإجرائه على أوجه الإعراب، الكشاف : ١٨٣/٤.

(٢) المكان نفسه.

(٣) الكشاف : ١٨٤/٤.

[illegible] [الأنفال : ٧٥]، وخاتمة سورة (العنكبوت) في قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [العنكبوت : ٦٩]. وهنا نلحظ المناسبة بين فواتح السور وخواتمها؛ لتضمن السياق هذا الغرض، فقد افتتحت سورة (الأنفال) بذكر النفل[١]؛ لأنها من فضل الله تعالى وعطائه، وهي جزء من مغانم الحروب؛ لذا ناسب اسم السورة ومطلعها ما جاء في ختامها. كما افتتحت سورة (العنكبوت) بالغرض نفسه في قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [العنكبوت:٦]، مع ملاحظة مناسبة خاتمة هذه السورة لمفتتح السورة التي تليها[٢]، فلا يخفى على المتأمل شدة التناسب؛حتى كأنها وحدة متكاملة تصدر حقيقة واحدة ذات سمَّاتٍ متعددة.

٧- الختام بالوعظ والتذكير والحث على الوحدانية.

القرآن يتأنق في اختيار الألفاظ، ويستخدم كلاً حيث يؤدي معناه في دقة فائقة تكاد تؤمن معها بأن هذا المكان إنما خلقت له هذه اللفظة دون سواها[٣] ، قال تعالى في خاتمة سورة الأعراف واعظاً الإنسان يذكره بعدم الغفلة ﴿[illegible]

---

(١) النفل : الغنيمة، وهي ما ينفله الغازي أي يعطى زائداً على أسهمه من المغنم؛ لأنها من فضل الله تعالى وعطائه، ينظر: الكشاف : ٢٣٢/٢.

(٢) ينظر : سورة الروم : الأيات ١- ٥.

(٣) ينظر : من بلاغة القران : ٥٧.

[illegible] [الأعراف :

٢٠٥]. وقال تعالى في خاتمة سورة يونس [illegible]

[illegible] [يونس :

١٠٤- ١٠٩] وقال تعالى : [illegible]

[illegible] [إبراهيم : ٥٢].

اشتملت خواتم السور القرآنية على الدلالات الآتية :

١- قانون التناسب بين التعابير يعكس الروابط الوثيقة بين الألفاظ ومعانيها، ويعتمد على الجمع بين الأغراض المتعددة، فيمزج بينها مزجاً فنياً مقصوداً.

٢- روعة الإنسجام والتلاحم بين مقدمات السور وسياقاتها العامة، وحسن الربط بين اطراف الخطاب دون تفاوتٍ أو تباين.

٣- اقناعها للعقل وامتاعها للعاطفة في إطارٍ واحدٍ.
٤- استثمار أقل الألفاظ وأوجزها لأبلغ المعاني وأشملها.
٥- اثراء القيمة البيانية والبديعية للتعابير القرآنية بما يبرز العلاقات الترابطية بين الشكل والمضمون، مما يظهر الكمال اللغوي لهذه التراكيب.
٦- وضع الفواصل الدقيقة في نهاية كل آية بما يناسب اللفظ والمعنى.
٧- التلطف في تحريك المشاعر ومخاطبة الإحساس في صورةٍ تألفها النفس، وتنساق إليها فيصور المعنى تصويراً معنوياً دقيقاً بالتنقل به من شأن إلى شأن.
٨- اشتمالها على الحقيقة والمجاز، والخطاب، والتكرار، والتشبيه، والوصف، والمدح، وغيرها من الأغراض البلاغية المتعددة.
٩- وضوح المقاصد العامة وشدة ارتباطها بالنظم القرآني من مبتداه الى منتهاه.
١٠- شكلت أساليب ترابط الكلام الواحد ثلاثية متكاملة الأبعاد تتغلغل في عمق النص؛ لتؤلف حالة من التمازج والتلاحم الدلالي والصوتي والتركيبي.

إن الوظيفة الجمالية إضافةً إلى المعنوية تُعدّ أساساً في عملية الترابط القولي التي يتحدد بها الأسلوب، فمواضع الإبداع والحُسنِ في القولِ ليست تزويقاً لفظياً؛ بقدر ما هي عناصرٌ جمالية وفنية يتطلبها جوهر الكلام، تتجه إلى إبراز أثرها الواضحِ في إطار علاقاتها المفترضة التي تشكل بنيتها الكبرى؛ لتستوعب أكبر قدرٍ من التراكيب والدلالات.

والمتأمل لنظم القرآن الكريم يُدرك الطبيعة التركيبية لأسلوب الانتهاء في الكلامِ، فهو من الخفةِ والعذوبةِ البديعية التي لا تقتصرُ على الحروفِ ومخارجها وترتيبها وقربها؛ وإنما مراعاة المضمون والسياقِ الدلالي من خلالِ ظلالها الموحية مؤذنة بالغايةِ المقصودةِ؛ فكما أن ((حُسن الافتتاح داعيةُ الإنشراح ومطية النجاح))[١] فإن لطافة الخروج والتخلصِ تُريح السامع وتجعلُ الكلام متماسكاً مقترناً ببعضهِ، ((وخاتمةُ الكلامِ أبقى في السمعِ، وألصقُ بالنفسِ؛ لقُربِ العهد بها؛ فإن حَسُنت حَسُنَ، وإنْ قبحت قَبُحَ))[٢]، وبذلك فإن أسلوب الانتهاءِ هو العمدةُ في الكلامِ،

(١) العمدة : ١ / ٢١٧.
(٢) المكان نفسه.

الكلامِ، مشروطاً بتمامِ اللفظِ والمعنى، جامعاً لمضمون القولِ باللفظِ القوي الجزل والصياغةِ المتكاملةِ.

المبحث الأول : أسلوب التورية :

أولاً: مفهوم التورية في اللغة والاصطلاح :

حفل هذا الفن البديعي بجُلّ اهتمام أهل البلاغة والأدب قديماً وحديثاً، وشاع في مؤلفاتهم حتى بلغ عند بعضهم درجة إفرادها بكتبٍ وأبوابٍ وأجزاءٍ تحمل معناها[1]، قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) : لا أراه إلا مأخوذاً من وراء الإنسان، فإذا قال (ورّيته) فكأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر[2]، فمن الملاحظ أن معنى التورية في اللغة يُناسب معناها في الاصطلاح؛ لأن التورية لغةً مصدر ورّيْتُ الخبر وواريته تورية إذا أخفيتَهُ وسترتَهُ وأظهرتَ غيره، وفي الحديث : أن النبي ﷺ كان إذا أراد سفراً ورّى بغيرِهِ، أي ستره وكنى عنه وأوهم أنه يريد غيره[3]، وقد ورد ذكر (التورية) في القرآن الكريم في مواضع منها قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ **[الأعراف :٢٦]**، وقوله تعالى حكايةً عن ابني آدم : ﴿[illegible]﴾ **[المائدة :٣١]**.

إن المعنى اللغوي يرشدنا إلى اصطلاح البديعيين في أن التورية تُطلق على اللفظ المفرد الذي يحمل معنيين حقيقيين، أو حقيقةً ومجازاً، أحدهما قريب ودلالة

---

(١) منهم ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ) حين خصص للتورية مئة وخمساً وثلاثين صفحة من أصل خمسمئة وخمس وسبعين صفحة، وهي مجمل كتابه المؤلف المعروف الذي أعرب فيه عن نيته بعد الفراغ منه واكماله، تأليف كتاب خاص بالتورية والاستخدام يسميه (كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام)، وقد عدّ الحموي التورية من المحسنات المعنوية في علم البديع فهي ((من أعزّ أنواعه، وأعلاها رتبة))، خزانة الأدب (الحموي) : ٢٩٥/٢، وكذلك ابن معصوم المدني الذي أفرد التورية بمئة وثلاث عشرة صفحة من الجزء الخامس من مؤلفه (أنوار الربيع في أنواع البديع)، ينظر : المصدر المذكور.

(٢) ينظر : معجم مقاييس اللغة : مادة (ورى).

(٣) ينظر : لسان العرب : مادة (ورى).

اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية مستترة[1]، فإذا أراد المتكلم المعنى البعيد فإنه يوري عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريدُ القريب وليس كذلك؛ ولأجل ما سبق سُمي هذا النوع البديعي إيهاماً، وهنا يتضح أن للتورية عناصر أربعة هي :

١- لفظٌ يحمل معنيين بينهما تفاوت في القرب والبعد الدلالي.

٢- لفظ قريب ظاهر غير المراد، يحصل به الخفاء ويُسمّى (المورى به).

٣- لفظٌ بعيد خفي ، يقع عليه الخفاء لقلة استعماله ويسمى (المورى عنه).

٤- قرينة في الأسلوب دالة على المعنى البعيد الذي يقصده المتكلم.

يتبين من ذلك أن للتورية معنيان، معنى قريب يستر المعنى البعيد ويخفيه شريطةَ أن يتفاوت المعنيين؛ ليؤكد بذلك إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر بحمله على غير مرادهِ الذي يحتمله اللفظ الموضوع له، وهذا يعني أن أُسلوب التورية يرتكز أساساً على التمويه والإيهام اعتماداً على قرينة مقصودة تُتخذ معياراً دلالياً على المعاني الخفية، بسبب أن وضوحها في التعبير يجعل المعنى ظاهراً ملحوظاً لا تحس فيه خفاءً؛ لأن الخفاء يشوق السامع إلى توهم المعنى وتخيلهُ، فضلاً عما فيها ((من المفاجأة والإثارة، وفيها ما فيها من الحرية في التعبير حيال ضغط الرقيب، وفيها ما فيها من الطرافة والرشاقة، وروح الفكاهة، وبراعة الفن)) [2].

وقد عبّر السيوطي (ت ٩١١هـ) عن التورية بـ(الإيهام) مستتشهداً بقول الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): ((لا ترى باباً في البيان أدق ولا ألطف من التورية ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المتشابهات في كلام الله تعالى ورسوله ﷺ، وكلام صحابته ﵃ من التورية))[3]، وعّد السيوطي من التورية في القرآن قوله تعالى:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ** ﴾[سبأ:٢٨]، التورية في لفظ (كافة) الموحية بدلالتين بينهما

---

(١) ينظر : الإيضاح : ٢٦٧، وخزانة الأدب (الحموي) : ٢٣٩/٢.

(٢) البديع تأصيل وتجديد : ١٩٥.

(٣) لم نتمكن من الوقوف على النص في الكشّاف الذي بين أيدينا، واعتمدنا نقله عن مصادر قديمة وحديثة، ينظر : خزانة الأدب (الحموي) : ٢٩٦/٢، والإتقان في علوم القرآن : ٨٣/٢، والبلاغة العربية (الميداني) : ٣٧٣/٢، والبديع تأصيل وتجديد : ٢٠٦، والبديع، دراسة في البنية والدلالة : ٨١.

تفاوت من حيث القرب والبعد، فالدلالة الأولى للفظ (كافة) هي : المانع الذي يكفّ الناس عن الكفرِ والمعصية، والهاء فيها للمبالغة[١]، وهذا المعنى هو البعيد المراد، في حين توحي اللفظة بمعناها القريب بدلالة (جميعاً) أي جامعة الناس؛ ((لكن منع من حمله على ذلك أن التأكيد يتراخى عن المؤكد، فكما لا تقول رأيت جميعاً الناس لاقول رأيت كافة الناس))[٢]؛ ولا شك أن في الوصول للمعنى البعيد متعة ذهنية وقدرة على فهم الكلام وتحليلِه.

وقد تعددت تسميات هذا اللون البديعي وعُرف تحت مصطلحات بارزة كان أشهرها على الإطلاق مصطلح (التورية)، فهو أولى بالتسمية، لقُربه من مطابقة المسمّى[٣]، وشاع بين البلاغيين تسميته بـ(الإيهام)، و(المغالطة المعنوية)، و(التوجيه)، و(التخيير والإيهام)، و(التخييل)، و(الألغاز والأحاجي)، فقد لاحظ البحث أن السكاكي أدرج مصطلح (التورية) تحت تسميتين :

الأولى : تسمية الإيهام :

((وهو أن يكون للفظِ استعمالان : قريب وبعيد، فيذكرلإيهام القريب في الحال إلى أن يظهر أن المراد به البعيد))[٤] ومثّل السكاكي (ت ٦٢٦هـ) بقول الشاعر[٥] :

حملناهُم طرّاً على الدُّهمِ بعدما خَلعنا عليهم بالطعانِ مَلابسَا

ومنه قوله تعالى : ﴿✁✍◉♒❷▪❏✍✌❏⌚♊← ⇖♦✍■❼ ✁✍◉♒⬂➔⍄❷⬀⌚↬ ✁✍⌀⇔☝♦❏♦❽▤﴾ [طه :٥] وكذلك قوله تعالى : ﴿❏♦✁✍❀☛❻⬀⋎❶ ♉⍄☺⍄❽➔✡✍ ⍝⬀⬁⬂ ✁✍◉♒⬂◐⬁➓♦⬀⬀☺⬀⍄ ❶⬅○⬅✌•✗⬀⬃⬥⍾ ❸♦❏⬀⬁♦ ❏♦✁✍◉♒○○☺⬀⌚❏♦⌚✞❶ ✌♦⮂⇧❏⬀❸✸⌚❇⬤⌨﴾

(١) ينظر : معترك الأقران : ٢/٢٢٦.

(٢) الإتقان في علوم القرآن : ٢/٨٤.

(٣) رَجَحَ الحموي مصطلح التورية؛ لقربه من المسمّى، ينظر : خزانة الأدب (الحموي) : ٢/٢٩٥.

(٤) مفتاح العلوم : ٥٣٧.

(٥) أورد السكاكي البيت بلا نسبهِ، مؤكداً ان الشريف محمد بن علي الجرجاني أورده بلا عزو، ينظر : مفتاح العلوم : ٥٣٧؛ والإشارات والتنبيهات، ٢٧٢. وقد أراد الشاعر بـ(الحمل على الدهم) دلالة تقييد العدا بقيود من حديد، فأوهم إركابهم الخيل الدهم، ينظر : مفتاح العلوم : ٥٣٧.

﴿ ﴾ [الزمر:٦٧]، وأكثر المتشابهات من هذا القبيل، بمعنى أن جميع الآيات التي يوحي ظاهرها إثبات شيء لا يليق بجلال الله تعالى، كالاستقرار واليد والقبضة والوجه وما شابه ذلك، تدخل في باب الإيهام والتورية، ومن المؤكد أن ((التورية وردت في القرآن الكريم حكاها القرآن على ألسنة البشر، ولا تورية فيما وصف به الله تعالى نفسه))(١).

الثانية : تسمية التوجيه :

والتوجيه في اصطلاح السكاكي هو ((إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين))(٢)، كقول من قال للأعور: ليت عينيه سَواء(٣)، وقد جعل السكاكي من هذا الأسلوب متشابهات القرآن بقوله : ((وللمتشابهات من القرآن مدخل في هذا النوع باعتبار))(٤).

أما ابن الأثير فقد آثر يسميه (المغالطات المعنوية) وعدّها من أحلى ما استعمل في الكلام وألطفه، لما فيه من التورية مُعرفاً إياها بقوله : ((أن يذكر معنى من المعاني له مِثْلٌ في شيءٍ آخر ونقيض، والنقيض أحسنُ موقعاً وألطف مأخذاً))(٥)، ومثل لهذا المصطلح بقول أبي الطيب المتنبي(٦) :

---

(١) البديع تأصيل وتجديد : ١٩٥، وينظر : التحرير والتنوير : ١٥٨/٢٦.

(٢) مفتاح العلوم : ٥٣٧

(٣) هذا القول شطر بيت شعري منسوب لبشّار بن برد يصف خياطاً أعور يسمى عمروا، إذ يقول :

خـاطَ لـي عَمـرو قبـا ليـت عينيـهِ سَوا

قلتُ شعراً ليس يدري أمـديحٌ أمْ هِجـا

والقباء : ثوبٌ يلبس فوق الثياب، ينظر : لسان العرب : مادة (قبب)، والبيت هنا يحتمل وجهين : الذم : أي أن تُصاب العين السليمة فيصبح أعمى، والمدح : أن تشفى العين العوراء، فيصبح مبصراً، ينظر : ديوان بشار بن برد : ٩/٤.

(٤) مفتاح العلوم : ٥٣٧.

(٥) المثل السائر : ٧٦/٣.

(٦) من قصيدته في مدح سيف الدولة لما أوقع ببني عقيل وقشير، وبني العجلان وبني كلاب، حين خالفوا عليه، ينظر : ديوان المتنبي : ١٠٤/٢، ومراد المتنبي من البيت أنّ هذا الرمح يترك من يلتفت إليه من الأعداء ونحره مطعون يدخل ثعلبه في نحره؛ لذا فالمغالطات المعنوية في الأسمين (ثعلب) و(جار)، ظهرت في أتفاق الألفاظ واشتراكها في الدلالة على معنيين، ينظر: المثل السائر :٧٦/٣.

يَشُلُّهُمُ بكُلِّ أقبّ نَهْدٍ لفارسِهِ على الخيلِ الخيارُ
وكُلِّ أصمّ يعسِلُ جانباهُ على الكعبين منهُ دمٌ مُمارُ
يُغادرُ كُلّ ملتفتٍ إليهِ ولبّتُهُ لثعلبهِ وِجارُ

وأضافَ ابن الأثير لما سبق، أن أحسن ما سمعهُ في هذا الباب قول الشاعر في الإبل[١] :

صُلبُ العصا بالضّربِ قَدْ دَمّاهَا تَودُّ أنَّ الله قَدْ أفْنَاهَا
إذا أرادت رَشَداً أغواها مِحالُهُ مِنْ رِقْةِ إيِّاهَا

تشتمل هذه الأبيات على الفاظٍ مشتركة يُراد بها معنيين[٢]، فهي ليست من باب اللغز كما يظن بعض الناس؛ لإن اللغز يستخرج عن طريق الحَزْر والحدْس، لا من دلالة اللفظ عليه[٣]، لذلك أخرجه ابن الأثير من التعبير القرآني بقوله : ((وقد تأملتُ القرآن الكريم فلم أجد فيه شيئاً منها، ولا ينبغي أن يتضمن منها شيئاً))[٤]، وقد أورد ابن الأثير ذكر (التورية) ووصفها باللطيفة في وصفه لكريمٍ حين قال ((ولقد نزلتُ منه بمهلّبي الصنع أحنفيّ الأخلاق، ولقيتهُ فكأني لم ارَعْ ممن أحِبُّ بلوعةِ الفراق، ولا كرامة للأهل والوطن حتى أقول إني قد استبدلت به أهلاً ووطناً، وعهدي بالأيام وهي من الإحسان فاطمة، ما ستولد ثُها بجواره حُسْنا))[٥]، وقد وجه ابن

---

(١) يريد الشاعر الفيلسوف أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرّي المولود في المعرة سنة (٣٦٣هـ) والمتوفى بها سنة (٤٤٩هـ)، ولم نعثر على البيتين في (سقط الزند) ولا في (اللزوميات)، وقد ورد ذكرها في لسان العرب مادة (دَمَى).

(٢) الألفاظ المشتركة هي :

١- الضرب : يطلق على الضرب بالعصا، وعلى الضرب في الأرض وهو السير فيها.

٢- دَمّاها : أي أسال دمها، أو جعلها كالدمية وهي الصورة.

٣- الفَنا : أي ذهاب الشيء ولم يبقَ منه بقية، أو هو عنب الثعلب.

٤- الرشد والغوى : نباتان تسمن عليهما الإبل، وتطلق على الهداية والضلال أيضاً. ينظر : المثل السائر :٧٨/٣.

(٣) ينظر : المثل السائر :٨٤/٣ و ٢٩٦/٤.

(٤) المصدر نفسه :٩١/٣.

(٥) وردت التورية في لفظتين (فاطمة) الدالة على اسم بنت رسول الله ﷺ، وعلى اسم الفاعل من (الفِطام)، يُقال فَطَمتْ فهي فاطمة، وكما يقال فُطِم فهو فاطِم، القاموس المحيط : مادة (فَطَمَ)، ولفظة (حُسنا) الدالة على اسم (الحسن) ولدُ فاطمة عليها السلام، والحين المراد به الشيء الحسن الأسلوب. ينظر : المثل السائر:٨٠/٣.

الأثير نقداً موضوعياً نابعاً من حكم الذوق السليم لهذا الأسلوب، مؤكداً أنه صعبُ المسلك في التعبير عن المعاني، فضلاً عن أن الإجادة فيه قليلة.

وتأسيساً على ما سبق يستنتج البحث من تتبع التسميات لمصطلح (التورية)، اختلاف رأي البلاغيين في تداول هذا الفن بين المتقدمين والمتأخرين؛ على الرغم من إجماعهم على أن مجيئها في أدب القدماء يأتي في سياقٍ عفوي دون قصدٍ أو تكلفٍ أو إرهاقٍ للفظِ على حساب المعنى، فهي بناءً على ذلك لونٌ من البديع يحتاج إلى عُمقٍ من التفكير وطول تدبرٍ في اختيار الألفاظ وملائمتها للدلالة الموضوعة لها بعيداً عن المبالغة، فالقديم يميل إلى التعبير الفطري الذي لا تكلف فيه ولا مشقة وعناء، بخلاف ما هي عليه في أدب العصور المتأخرة حيث بدتْ المبالغة إلى حدّ الإسراف لدرجة أنها تحولت في مؤلفاتِ الكثيرين إلى رياضة ذهنية وحيلٍ لفظية، مثُلها مثل بندقٍ فارغٍ خلى من المعنى ولكن يُفرقع[١]، لذا تدور في أدبهم ضمن فلك الضعة والصبغ البديعي والتكلف الشديد في التعامل مع أساليبها وصورها.

ومن نتائج التتبع الدقيق لمظاهر (التورية)، كشف البحث أن زاوية الاختلاف بين البلاغيين تكمن في أسبقية التنبيه إلى هذا الفن البديعي تاريخياً، وقد ((وقع الإجماع على أن المتأخرين، هم الذين سَموا إلى أفق التورية، واطلعوا شموسها، ومازجوا بها أهل الذوق السليم))[٢].

ومما يسترعي الانتباه في مؤلفات البلاغة الحديثة، تصريحُ باحثٍ معاصر بأن علمائنا الأفذاذ القدماء كالسكاكي، والقزويني، وعبد القاهر الجرجاني، والرازي، لم يحفِلوا بالتورية ولم يعطوها من كلامهم أكثر من سطورٍ معدودات واصفاً قوله هذا (بالطّريف)[٣]، وهو ليس بالطريفِ؛ بل هو إدعاءٌ مجحفٌ وإنكارٌ لفضل علماءٍ أعلام، إذ كيف لنا أن نُخفي أثرهم في تاريخ نشوء هذه الفنون البلاغية والسمو إليها، بنسبةِ الفضلِ لغير مستحقيه ممن أزهق هذا الفن بالتكلف والإسرافِ فـ((لا يحسن

---

(١) ينظر : علم البديع (د.عبد العزيز عتيق) : ١٣٤.

(٢) خزانة الأدب (الحموي) : ٢٩٨/٢.

(٣) ينظر : البلاغة العربية في ثوبها الجديد : ٨٨.

بلاغياً استعمال التورية؛ إلا إذا دعا داعٍ بلاغي يقتضيه حالُ المتلقي))[1]، وهذه الدواعي مما يُقصد لدى أذكياء البلغاء؛ لأن محيط التورية هو التعبير في الآراء المعتمدة على الذوق الفني المُرقّه ((فهي من الفنون التي تكشف عن ذوق المجتمع في أي عصرٍ))[2]، بإخفاء المراد دلالياً عن العامةِ وإشعار الخاصة من طرفٍ خفيٍ، والتعبير عن المقصود بكلام يتأتى منه الإنكار عند الحاجةِ إليهِ.

وهكذا نرى أن أسلوب التورية من الأساليب المتداخلة والمتشعبة؛ إلا أنها سُرعان ما استقرت إصطلاحياً متجاوزةً التذبذب الحاصل في نطاقها بين السعة المفرطة حتى تُدخل الكناية، والضيق المناسب باحتوائها لمصطلح (الاستخدام)[3].

ثانياً : أقسام التورية وصورها :

من خلال تتبع أقسام التورية وشواهدها التي أُقتطفت من بساتين النظم القرآني نجد أن كثيراً من الأمثلة القرآنية التي ذكرها علماء البلاغة غير مقطوع بتخريجها، بل خرّجوها على وجوهٍ مُغايرة لمفهوم التورية؛ لِما فيها من خفاء وإيهام وتخيلٍ يحتاج الى تأويل لا يتلاءم مع خصوصية التعبير القرآني وما بُني عليه من وضوحٍ ودقةٍ وتيسيرٍ وهداية للناس أجمعين، وخصوصاً فيما يتعلق بآيات الأسماء والصفات التي تدخل في باب المحكم والمتشابه، والمؤتلف والمختلف، والمطلق والمقيد وغير ذلك من أبواب الفقه والأصول والعقيدة؛ لذا قلت شواهد هذا الفن في التعبير القرآني، وبالمتابعة الدقيقة وجدت الباحثة أن أسلوب التورية يتنوع الى أقسام متعددة لكل قسم منها صورهُ وأشكاله التي تتردد تداولها في كتب البلاغة والتفسير والأدب ومن أهم أقسام التورية ما يأتي :

١- التورية المرشَّحة.

٢- التورية المجرَّدة.

٣- التورية المبيَّنة[4].

---

(١) البلاغة العربية (الميداني) : ٣٧٤/٢.

(٢) البديع تأصيل وتجديد : ٢٠٨.

(٣) ينظر : البديع تأصيل وتجديد : ٢٠٥.

(٤) التورية المبيَّنة : هي التي ذُكر فيها لازم المورى عنه قبل لفظ التورية أو بعده، ينظر : الكُلِّيات : ٢٧٨.

٤- التورية المهيَّأة[١].

والذي نراه مناسباً تقسيم القزويني (ت ٧٣٩هـ)[٢] الذي يعدّ أقرب طبعاً، وأدقُ تعبيراً، وأغنى حُجةً؛ لما فيه من تلخيصٍ للأنواع المذكورة التي تحمل تعقيداً وتكراراً وتداخلاً لا طائل منه، فقد قسّم التورية إلى قسمين رئيسين هما :

١- التورية المرشّحة.

٢- التورية المجرّدة.

القسم الأول : التورية المرشَّحة :

هي التورية التي يُذكر معها ما يلاءم المعنى القريب (المورى به) فيرشحه ويقويه؛ لذا جاء وصفها بالترشيح[٣]، وقد يأتي ذكر هذا الملائم قبل التورية أو بعدها، إذ لا يشترط فيه التقديم أو التأخير، وقد أكد ابن أبي الأصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) أن هذا القسم من التورية على قلته في أشعار المتقدمين وكثرته في أشعار المحدثين؛ إلا أن أبدع تورية وقعت في شعر المتقدمين، ومنها قول عمر بن أبي ربيعة[٤]:

أَيُّها المُنكِحُ الثُّريا سُهيْلاً ... عَمرَكَ اللهَ، كيفَ يلتقيانِ
هي شاميّةٌ إذا ما استقلّتْ ... وسُهيلٌ إذا استقلَّ يماني

ففي البيتين تورية مرشحة يتوصل إليها من خلال القرينة الدّالة وهي لفظ (المنكِح)، من النكاحِ، أي : التزويج[٥]، فَذكرَ الشاعر لفظتي (الثُريا) و (وسهيلاً)؛ لإيهام السامع أنه يريد النجمين المشهورين، على أساس أن المراد من لفظ (الثُريا) منازل القمر الشامية، ومن لفظ (سهيلا) أحد النجوم اليمانية؛ إلا أن المعنى البعيد

(١) التورية المهيَّأة : هي التي لا تقع في التورية ولا تتهيأ إلاّ باللفظ الذي قبلها، ينظر : المكان نفسه.

(٢) ينظر : الإيضاح : ٢٦٧.

(٣) ينظر : تحرير التحبير : ٢٦٨/٢.

(٤) ديوان عمر بن أبي ربيعة : ٣٩٧.

(٥) ينظر : لسان العرب مادة (نَكَحَ).

المقصود هو ما أهمل دلالته المراد منها اسم امرأة ورجل[1]، فتمكن الشاعر بذلك من بلوغ أسلوب التورية عن شخصين بإيهام السامع بدلالة الألفاظ على نجمين معروفين؛ ليبلغ من الإنكار على من جمع بينهما ما أراد، وقد ذهب بعض البلاغيين إلى أن هذه التورية مُهيأة وليست مرشحة؛ لأنها جاءت في لفظتين يهيئ كل منهما للتورية في الآخر، فذِكرُ (الثُريا) هو الذي نبه المتلقي لـ (سُهيل) النجم المعروف، وكل منهما هيأ صاحبه للتورية.

ولبيان أثر هذا النوع من أنواع التورية وصوره في التعبير القرآني نبدأ بقوله تعالى في حكاية قول بعض أولاد يعقوب عليه السلام، حين أخذ يحسُ بريح يوسف عليه السلام ولم يك قد وصل البشير إليه حاملاً قميصه من مِصرَ، ولم يك قد علم بمصير أبناءه الذين ذهبوا ليطلبوا الإفراج عن بنيامين شقيق يوسف، فقال تعالى مصوِّراً هذا الموقف بأدق الألفاظ وأوجز الدلالات : ﴿ [illegible] ﴾ [يوسف: ٩٤-٩٥].

لو توقفنا عند التركيب الفني اللغوي وتتبعنا دقته في هذا التعبير القرآني، نتأمل أسلوب المواجهة بين أخوة يوسف عليه السلام وأبيهم، التي احتلت جزءاً ملحوظاً في السورة بدءاً من قوله تعالى : ﴿ [illegible]

(١) هي الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث الأموية، وسهيل : رجل مشهور من أهل اليمن هو ابن عبد الرحمن بن عوف، ويروى أن سُهيلاً تزوج الثريا مع أن البون بينهما شاسعاً، فالثريا مشهورة بالجمال، وسُهيل قبيح المنظر، وهي شامية الدار، وهو يماني؛ لذا قال الشاعر كيف يلتقيان؟، ينظر : الكُلِّيات : ٢٧٩.

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [يوسف:٥-٨]. نستنتج أن الصراع ناتج من اتهام الأبناء إبيهم بمضاعفة الحُبّ ليوسف وأخيه مما يولد من الناحية النفسية وليست الدينية (ضلالاً)، وهذا (الضلال) هو محور التورية البديعية، أي : إنك ((لفي ذهابك عن الصواب قِدماً في إفراط محبتك ليوسفَ، ولهجك بذكره، ورجائك للقائهِ))[1]، وقد تكرر هذا المحور بشكل ملحوظ في مواضع متعددة من السورة نفسها[2]؛ ليؤكد أن دلالة (الضلال) المورى بها، ليست الدلالة المعاكسة للهداية، بل هي إفرازٌ للشغف والهيام التي هي أقصى درجات الحُب والتعلق المكنون في قلب يعقوب ﷺ، وزليخة امرأة العزيز ليوسف ﷺ، فقد أصدر النسوة بحقها حُكماً عاطفياً وليس خُلقياً لما بلغ الحُبّ مداه، فوصفنها بأنها في ضلال مُبين. أكد ابن أبي الأصبع المصري أن أثر التورية الأسلوبي وصل إلى الغاية القصوى في إيراد لفظ (الضَّلال) المحمول على محملين[3] :

الأول : ضلالٌ ضد الهدى، وقرينته قول سيدنا يعقوب ﷺ :

﴿[illegible]﴾ [يوسف:٩٤-٩٥]، وهذا المعنى القريب(المورى به)

---

(١) الكشاف : ٤٩٦/٢.

(٢) تكرر قوله تعالى : ﴿إن أبانا لفي ضلال مبين﴾ في الآيات ٨، ٣٠، ٩٥ من سورة يوسف.

(٣) ينظر : تحرير التحبير :٢٧٠/٢.

الثاني : ضلالٌ بمعنى الحُب (حُب يعقوب لابنه يوسف عليه السلام)، وقرينته قول أخوة يوسف : ﴿ ◑❶♑◑ ♎♦♐♏♏⬈❑✄☎ ♏♦⓿⬉❑♓←✄←
❑◆🕮❑⌘⬈❑■← ⓿🖫◻❍❑🕮 ◑♑🖫■❼✄ 🕮❑🖅♑❿✡❑♐
❑♌♑◑ ⬊❑♦🖩⬄🕐⬉⬉ ←♊♎♦♦✞◆❑ ♐❑✡♉✍
🕮❑🖅♦♐✡♦♐ ♏♦✂⬁❼ ♏🙮🕐■🖬❁➾ ✍❿🖩♑✓✗✌﴿ [**يوسف**:٨]. وهذا المعنى البعيد، والمراد هنا ما أُهمل لا ما استعمل؛ لأنه أوجز لفظاً وأبلغ دلالةً. يقول (الميداني) محدداً ومشيراً الى المعنى الأول القريب الموهم به في سياق الآية أن سيدنا يعقوب عليه السلام ((ما زال ضالاً مع أوهامه، بعد نيف وثلاثين سنة من غياب يوسف في ان يعود إليه أو يلتقي به، وضالاً في شغل نفسهِ بالحزن عليه حتى يكون حرضاً))[١].

وفي ضوء هذا التصوير للتورية يتحدد المعنى البعيد الذي أكدته كتب التفسير بأنه ما زال ضالاً في إيثاره يوسف وشقيقه بنيامين عن سائر بنيه وهذا المعنى الدلالي هو الذي ذكره أخوة يوسف قبل إلقائه في غيابةِ الجُب، وقد أبّانه الله بقوله في أوائل السورة : ﴿ ◑❶♑◑ ♎♦♐♏♏⬈❑✄☎ ♏♦⓿⬉❑♓←✄←
❑◆🕮❑⌘⬈❑■← ⓿🖫◻❍❑🕮 ◑♑🖫■❼✄ 🕮❑🖅♑❿✡❑♐
❑♌♑◑ ⬊❑♦🖩⬄🕐⬉⬉ ←♊♎♦♦✞◆❑ ♐❑✡♉✍
🕮❑🖅♦♐✡♦♐ ♏♦✂⬁❼ ♏🙮🕐■🖬❁➾ ✍❿🖩♑✓✗✌﴿ [**يوسف**:٨].

فالنظرات الأسلوبية تكشف بوضوح أن الأسلوب الفني في مفهوم التورية هو شكل لغوي خاص يستمدُ تلك الخصوصية من تجسيده للمعنى وفقاً لِما حددهُ البلاغيون من سياقاتٍ يدّل وجودها على المقصود وأسموّها بـ (القرائن)، يبدأ عملها برصدِ اللفظِ المشترك والنظرِ إليهِ على أنه شكلٌ مستقل قائمٌ على الربط الدلالي الذي لا يمكن تحقيقهُ إلا بالتوقفِ عند جزئيات التراكيب.

إنّ اشتراط خفاء القرينة يُبرز أثر اللفظ (المورى به) و (المورى عنه) في الكلام؛ لتقويته بملائم لمعناه على الإيهام بهِ وعلى التوجيه إليه من جهةٍ، وعلى إبعاد

---

(١) البلاغة العربية (الميداني) : ٣٧٥/٢، وينظر : في ظلال القرآن : مج٤ ، ج١٣، ص٢٠٢٥.

الذهن –نوعاً ما– عن (المورى عنه) من جهة ثانية[1]، من ثمّ فإن إدراك المزيةِ في ذلك الأسلوب لن يتحقق إلا بعمق تفكيرٍ وطول تدبرٍ في الألفاظ ومعانيها لتُداعب الأذهان وتروض الإفهام بما فيها من خداعٍ وإيهام، وتفنن في الكلام واتساعٍ يظهر القدرة على تصريف الألفاظ وكيفية توجيهها الدلالي بما يتناسب مع السياق. ومن منطلق هذا الوعي فان الالتزام بالقرينةِ الخفية يُذهب التوّهم قبل التأمل، وإن وضوح تلك القرينة يُخرج اللفظ من أسلوب التورية إلى الوضوح، فالإيهام الذي تؤديه التورية يتضاعفُ حين يقرن بـ (المورى به) مع ما يلائمه، وهذا الملائم من ((مصاحبات المورى به))[2] إمعاناً ومضاعفةً لعملية الإيهام.

عوداً على سورة يوسف نلمحُ أثر اللفظ المشترك المحتمل معنيين في قوله تعالى : ﴿⌘♊✸❍⇳❍❒🕮 ☑❼⊗■🗁◆❻ 🕐⇦❍✵✡⊗◗﴾ ⇦☒⊗◘⬂▦⇖③ •• 🕐⇦❍✵✡⊗◗ ☎ ⌂❽✂◆❑⬃✦◆✍ ✂♋♐◉♌⮞⬆🕔◘⊗☺⇦❑♍♏﴾ [يوسف:٢٣] فهذا البيان القرآني يُكشف حقيقة موقف يوسف عليه السلام الإيماني العقائدي التربوي الحازم؛ إذ يمكن ((بالقهرِ والجبرِ تحكمّ ظاهري وتسلط سطحي؛ لكن الغلبة للإيمان، والتأثير بإلقاء حلاوته في الأرواح))[3]، وهذا الإيمان فطريٌّ ملازمٌ لمواقف يوسف عليه السلام الحكيمة السديدة، حين جاء الردّ حاسماً بقوله : (معاذ الله)، أي أعوذُ باللهِ معاذاً[4]، فمن الملاحظ أن البنية التركيبية لهذه الآية توحي بالتداخل والتحكم، في رسمها لدوائر داخلية وخارجية تتعلق بعملية المراودة المنسوبة بالفعل (راودته) في قوله تعالى : ﴿❑◆❻◆🕔❑◆❿⌂✍⬂❍⇦ ✂♋♐◉♌⬆☹✍⊘ ♎➔❑◆ ×⊗❻ 🕗♉❍⬁❍⬂▦✵✡ ♊◆⇖ ♋⌂♑♉☞⬃❹◆🖎 ❑◆⇧⌂◘✵◗•❺♉ ✂♋❀☞🖎⬀❑◆🕔✞♏ ❑◆🔔•♋♐◉♌•✳❺⇳ ♎⌂❿⬂✳❺✸ ◉•♌◑♏﴾ [يوسف:٢٣] فالنسبة إلى امرأة العزيز، وليس لسيدنا يوسف عليه السلام، وهذا ما يؤكد براءته، فالمسألة ليست مسألة إرادة أو عدم استطاعة؛

---

(١) ينظر : البلاغة الاصطلاحية : ٢٩٩.

(٢) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١٢١.

(٣) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز : ٢١٢.

(٤) يُنظر : الكشّاف : ٢/٤٥٥.

ولكن هُنا كائناً حياً لهُ الحق عليه وعليها وهو (المورى عنه) بلفظ (الرّب)، فالربُّ هنا صاحبُ البيتِ؛ لأن توظيف لفظ (المثوى) قرينة دالة جاءت على لسانهِ في قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [يوسف:٢١]؛ ولأنه ليسَ من العدل تقديمُ الخيانةِ لمن أكرم المثوى، وكسرُ العهد بالظلم لهُ ((فما جزاؤهُ أن أخلفهُ في أهلهِ سوء الخلافةِ وأخونَه فيهم ﴿[illegible]﴾ الذين يُجازون الحسن بالسيء))[١]. هذه المسألة ترتبط ارتباطاً حيوياً بقانون عام يبدأ بـ(معاذ الله) وهذا التركيب هو الذي يفرقُ بين الله –تعالى– والربُّ أو السيد ((فالله هو المرجع العام، والربُّ يمثل المرجع الخاص في مثل هذا الموقف))[٢].

والجمع بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي يؤكد أن المعنى الأول لا يصدر إلا عن متقٍ لله حق تقاته، فهو مستلزم للمعنى الثاني دالاً عليه بالدلالة الالتزامية، وهذه التورية لا تفهمها المرأة وإنما هي مضمرة في نفسِ يوسف عليه السلام؛ ولكنها فهمت منهُ التقريع والتأنيب لها؛ بأنها داست كرامة زوجها وحقوق الإحسان إليه وحقوق الثقة بين الزوجين[٣]. قد علّق الدكتور عقيد خالد العزاوي على هذا القول بالآتي : ((لم أجد أحداً من المفسرين من قال بهذا الرأي فهو من انفرادات رشيد الخطيب))[٤].

ومن أبدع ما جاء في التعبير القرآني موحياً بدلالة التورية قوله تعالى : ﴿[illegible]

(١) المصدر نفسه : ٤٥٦/٢.

(٢) البلاغة القرآنية : ٢١٨.

(٣) ينظر : أولى ما قيل في آيات التنزيل : ١٧/٥.

(٤) البيان القرآني : ١٤٥.

✍✍♦✌ ♋⑨⬀➔♦⊟ ⊕♊♋✌ ⊠❁⬂⓿♦⬄⬂⬃⊚✍✍✂
🗐 ⏀←❍♦✌⊠☺⇳❍♦❻ ←❸→⌑✡♦③♦❒ ☎✂❒⬀➲♦☪⍾
❁←⑨⓿♋☺⊠⬧⬂⬃⊚✍✍✂ ❺❼⌀🖫♦❒⬂⬃⊚✍✍✂ ♦❒➔♎♦❒

[الشورى:٢٨][١]. تشير الآية إلى أن إنزال الغيث أمرٌ جامع للنعمة الإلهية التي فيها رزق العباد الحقيقي ومعاشهم الدنيوي، ودليلٌ على بديع صنع الله –تعالى– وعظيم قدرته المقتضية إنفراده بالإلوهية؛ لذا فإن الغيث سبب رزقٍ عظيم ينزلهُ الله تعالى بقدرٍ هو أعلم به، خصهُ بالذكر دون غيرهِ من النعم الدنيوية، لأنهُ نعمة لا يختلف الناس في أنها أصلُ دوام الحياة وتجددها.

ومن خلال تلمس الأثر الأسلوبي للمظاهر البديعية في هذا التعبير تمكنت الباحثة من تشخيص علاقات أُسلوبية على المستوى المعجمي والدلالي فيما وراء التراكيب، وبين الجمل والمفردات، لها أثرها البارز في إيجاد نقلة منهجية من دلالة الجملة أو التركيب إلى دلالة النص بتمامهِ مما يحقق وحدة دلالية موضوعية، فقد آثر التعبير القرآني صيغة المضارع (ينزل)؛ لإفادة تكرر النزول وتجديده، في الوقت الذي نلمح فيه استناد التعبير بصيغة الماضي في قوله: (من بعد ما قنطوا)؛ للإشارة إلى حصول القنوط وتقرره بمضي زمان عليه، بانقطاع إمارات الغيث المعتادة وضيق الوقت عن الزرع، مع ملاحظة عدول التعبير في هذه الآية عن لفظ (المطر) إلى لفظ (الغيث)؛ لدلالة الغيث على ما كان نافعاً في وقته، في حين أن المطر يكون نافعاً وضاراً في وقته وغير وقته[٢]، وعند الوقوف على قوله تعالى: ❁♦❒➔♎♦❒ ❽♋⍾⅄✍✍✂ ③⬉ॐ♦❾⌘⌀✌⬉

✂✍✍⊚⬃⬂⬄♦⓿⬂❁⊠❁ نجد أن أسلوب القصر أدى دلالة نفي ظن المشركين وبعض المسلمين الغافلين في أن نزول الغيث قد يكون من تصرف أنواء الكواكب والتأكيد على أن مصدر الغيث هو الله تعالى، وهذا غير منوط بالأسباب المعتادة

---

(١) نزلت هذه الآية في انحباس المطر عن أهل مكة، ودوام القحط عليها سبع سنين، بسبب دعاء النبي ﷺ عليهم بقولهِ: ((اللهم أعني عليهم بسبعٍ كسبع يوسف))، فاستسقاه قومه بعد ذلك فأنزل الله تعالى الغيث: وهو المطر الآتي بعد الجفاف، وسُمي غيثاً بالمصدر؛ لأن به غيث الناس المضطرين، ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤٧٧/١٨، والتحرير والتنوير: ٢٤/٢٥،والحديث في صحيح البخاري، كتاب تفسير سورة الدخان، حديث رقم (٤٨٢٣)، ص٨٠٣.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤٧٧/١٨.

لنزول الغيث[1]، وقد أُستعير الفعل (ينشر) لبيان التوسيع والامتداد في نشر رحمة الله الله تعالى التي هي أعمُّ مما في الغيث، والمراد بالرحمةِ هنا ظهور الشمس، لأن المطر إذا دام سُئِم، فتجيء الشمس بعده لإزالة الملل والسأم[2]، وقد ناسب التعبير في ختام الآية بالجمع بين صفتي (الولي) و(الحميد) مناسبةً لمقتضى السياق الذي يتطلب الإغاثة وطلب الرحمة، ويبدو أثر أسلوب التورية واضحاً في لفظ (الولي) فالدلالة المعجمية للفظ (الولي) تحتمل معنيين :

المعنى الأول : القريب (المورى به) الدال على اسم من أسماء الله تعالى يعني المتولي لأمور عباده المؤمنين بالرحمةِ والمغفرةِ القائم بها، المحسن إليهم، فهو المحب لعبادهِ المدبر المتصرف[3]، وهو -جلَّ جلاله- مع حبه لعبادهِ الصالحين يقبل منهم القليل من العمل ويحمدهم عليه، فالولي صفة كمال ((تجري في الصفة على المُعان والمُعِين))[4]، و(الحميد) قرينة هذا المعنى الدالة عليه وهو اسم من أسماء الله تعالى أيضاً، قال إبن الأثير (ت ٦٠٦هـ): (الحميد) هو ((المحمود على كل حال، فعيل بمعنى مفعول، والحمدُ والشكر متقاربان، والحمدُ أعمهما؛ لأنك تحمد الإنسان على صفاته الذَّاتية وعلى عطائه، ولا تشكره على صفاته))[5]، وهذا يدلّ على أن الحميد هنا بمعنى المحمود؛ إلاّ أن صفة (الحميد) أبلغُ من صفة (المحمود)؛ ((لأن الحميد : هو الذي له من الصفات وأسباب الحمد ما يقتضي أن يكون محموداً، وإن لم يحمده غيره، فهو حميدٌ في نفسه))[6]، زيادة على أنها صيغة

(١) في حديث زيد بن خالد الجُهني قال : ((خطبنا رسول الله ﷺ على إثر سماءٍ كانت من الليل، فقال : أتدرون ماذا قال ربكم؟ قال : قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فأما من قال : مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن لي كافرٌ بالكواكب، وأما من قال : مُطرنا بنوء كذا ونوء كذا فذلك كافرٌ بي مؤمن بالكواكب))، التحرير والتنوير : ٩٥/٢٥، والحديث في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، حديث رقم (٧١)، ص٣٠.

(٢) ينظر : البحر المحيط : ٤٩٦/٧، ((يُروى أن عمر ﷺ قيل له قد أَجدبت الأرض وقنِط الناس، فقال : مُطِروا إذن لهذه الآية))، معاني القرآن وإعرابه (الزجاج) : ٣٠٣/٤.

(٣) ينظر : أسماء الله الحسنى، دراسة في البنية والدلالة : ٨٢.

(٤) الفروق اللغوية : ٣١٨.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر : ٤٣٧/١؛ وينظر : الفروق اللغوية : ٦٠.

(٦) الطريقة المثلى لإحصاء أسماء الله الحسنى : ٩٦.

مبالغة على وزن (فعيل) بمعنى مفعول(١)، وعلى أساس هذا التوجيه المعنوي فإن الضمير (هو) راجعٌ إلى لفظ الجلالة الله –تعالى.

المعنى الثاني : البعيد (المورى عنه) الذي يحتم أن يكون لفظ (الولي) دالاً على أحد أسماء المطر الذي يلي الوَسْمِيِّ وهو (مطر الربيع)(٢)؛ لذا فـ(الحميد) وفقاً لهذا التوجيه الدلالي يعني (المحمود) إسم مفعول، وعلى أساس هذا التوجيه فإن الضمير المنفصل (هو) يعود على لفظ (الغيث)(٣).

وهنا يتبين للبحث أن المصاحبة المعجمية للألفاظ تعدُّ وسيلة من وسائل تضعيف الإيهام؛ لأن التعبير بالمفردات اللغوية المحتملة لمعنيين يصحب الذهن إلى وقع دلالي ينسجم مع القرينة اللفظية الدالة عليه، زيادة على توازنه مع السياق العام؛ فإنّ للمصاحب المعجمي للألفاظ أثره الأسلوبي في الكشف عن المعاني البعيدة المورى عنها، والتي توهم إرادة دلالات أخرى مختلفة عن المعنى المراد.

القسم الثاني : التورية المجرَّدة :

هي التي لم يذكر فيها لازم من لوازم الموّرى به، وهو المعنى القريب ولا من لوازم المورى عنه، وهو المعنى البعيد، بمعنى أنه لا يُذكر فيها ما يُلائم المعنى القريب ولا المعنى البعيد ومن أمثلة هذا النوع من أنواع التورية في القرآن الكريم ما جاء في سورة طه من قوله تعالى ﴿✂︎♐︎⌧❷▪︎❑☂︎☒❑♈︎♏︎☈︎⇦ ⬉♦︎✍︎■❼ ✂︎♐︎⌧⬂⬃➔⬕❷⬀♈︎⬎ ✂︎♐︎⌧♥︎⬄☝︎♦︎❑♦︎❽▤﴾ [طه:٥].

فلفظ (استوى) له معنيان :

١– معنى قريب دال على الاستقرار في المكان، وليس هو المقصود؛ لاستحالة استقراره الحسي، فهو –سبحانه وتعالى– منزه عن ذلك.

٢– معنى بعيد دال على الاستيلاء والملك، وهو المقصود.

---

(١) ينظر : أسماء الله الحسنى، دراسة في البنية والدلالة : ٥١.

(٢) ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٥٤٩، القاموس المحيط، مادة (وَلِيَ).

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٤٤٦/٣.

فالتورية هنا مجردة، حيث لم يذكر فيها ما يلائم المعنى القريب أو البعيد، والقرينة استحالة الاستقرار الحسي على الله –تعالى– ((وإنما كانت خفية لأنها تتوقف على أدلة نفي الجرمية عنه –تعالى– وهي مما لا يفهمه كلّ الناس))[١]، فمن المناسب هنا التنبيه على ((أن الآية لو حُملت على التمثيل فلا تورية فيها))[٢]، وقيل إن التورية هنا يحتمل أن تكون مرشحة؛ لأن ذكر قوله : ﴿❼■✍♦⇱ ✂☞☜◉♒⇘☐➔☐❷⇗⌚⇘﴾ يلائم المعنى القريب[٣].

ومن أمثلة هذا النوع من التورية في السنة النبوية المطهرة ما روي عن النبي ﷺ أنه لما خرج مع أصحابه إلى بدر، سألهم سائل (ممن أنتم؟) فلم يُرد النبي ﷺ أن يُعلم السائل بمكانه الحقيقي، فقال له إيهاماً : أنا من ماء، أراد أنه مخلوق من ماء، فورّى بذلك عن قبلية يُقال لها ماء، وهو يُريد أنه مخلوق من اصل الخلق وهو الماء بدليل قوله تعالى : ﴿⌘⇗◘⇗◘♦ ✎♉Ⅱ ✎☐☜✐⇗📖 ⇗✓♦◉✖⇗ ✎♉Ⅱ◉ ←●⇱❷⇘③⑥ ⇗♉⇗ ♒◉♉▫✂☐⑩ ✂☜◉♒⌚❺◘▫◘⇗ ☐♦✂☜◉♒✋⅄❸♦✂✐★⌀◘⇗﴾ [الطارق : ٦–٧].

ومنها أيضاً ما روي عن أبي بكر ﷺ حين سأله سائل عن النبي ﷺ، وهما في طريقهما إلى المدينة مهاجرين، فقيل له من هذا؟ فقال أبو بكر ﷺ : ((هادٍ يهديني السبيل))[٤]، والمعنى القريب الذي أراده من هذا القول هو دليل السفر الذي يهتدي به في الطريق، أما المعنى البعيد : يهديني إلى الإسلام والإيمان، وهو المراد، وليس في التورية هنا ما يلائم المعنى القريب أو البعيد؛ لذا فهي تورية مجرّدة، والقرآن الكريم زاخر بالشواهد التي لا تعد ولا تحصى[٥].

---

(١) بغية الإيضاح : ٢٦/٤.

(٢) الكلِّيات : ٢٧٧.

(٣) ينظر : بغية الإيضاح : ٢٦/٤.

(٤) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، حديث رقم (٣٩١١)، ص٦٣٤.

(٥) ينظر على سبيل المثال : سورة البقرة : ١٤٣، وسورة البقرة : ١٤٥، وسورة يونس : ٩٢، وسورة الفتح : ١٠.

ويقتربُ من أسلوب التورية في دلالته الاحتمالية على وجهين من المعاني، أسلوب أطلق عليه البلاغيون مصطلح (التوجيه) حيث تتجلى في هذا الأسلوب البديعي علاقة الإيهام واضحة فهو في عُرف اللغويين (تفعيلٌ) من قولك وجهتُ هذا البُرد، إذا جعلتُ لهُ وجهاً يحسنُ لأجله ويُرغب فيه[١]، أما في اصطلاح البلاغيين يعني : إيراد الكلام محتملاً معنيين متضادين : كالمدح، والهجاء، ليبلغ غرضهُ الذي يريده بما لا يمسك عليه، وبمعنى آخر هو الاتيان بكلام يحتمل وجهين من المعنى احتمالاً مطلقاً من غير تقييد، فيستعمل المتكلم أحد الاحتمالين ويهمل الآخر، ومراده ما أهملهُ لا ما استعمله[٢].

وقد أدت إحتمالية المعنى في أُسلوب التوجيه، إلى تسميته عند بعض البلاغيين بـ (الإبهام)[٣]؛ لأنه يفيد إيهام السامع بأحد الاحتمالين، والتفت ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) إلى دلالة المصطلح واضعاً إيّاه في القسم الثاني والأربعين من الفوائد المشوق تحت تسمية (المحتمل الضدين) مؤكداً أن منه في القرآن كثير[٤]. والتفت السيوطي إلى دلالة هذا الأسلوب عند تفسيره قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [البقرة:١٠٤].

كان المسلمون يقولون لرسول الله ﷺ إذا ألقى عليهم شيئاً من العلم : راعِنا يا رسول الله، أي : ((راقبنا، وانتظرنا، وتأن بنا حتى نفهمهُ ونحفظهُ))[٥]، فقصدوا بها

---

(١) ينظر : لسان العرب : مادة (وَجَهَ).

(٢) ينظر : الإيضاح، ٢٨٤.

(٣) أفردهُ المصري بباب خاص مستقل، في حين أنه عند السكاكي والقزويني وشراح التلخيص هو التوجيه نفسه، ينظر : تحرير التحبير : ٥٩٦/٤، بديع القرآن : ٣٠٦/٢.

(٤) ينظر : الفوائد المشوق : ١٦٥.

(٥) وجاء في هامش الكشّاف معنىً مؤكداً لدلالة لفظ (راعنا)، أي: امنحنا نظرتك ورعايتك، الكشّاف، ١٦٠/١، معترك الأقران : ١٨٦/٢.

الرعاية والمراقبة لمقصد الخير وخفض الجانب، فاغتنمها اليهود ووجهوا الكلام لغير ما وضع له سخريةً واستهزاءً؛ لموافقتها كلمة عبرانية أو سريانية هي (راعينا) المقصود بها الرعونة وهي إفراط الجهالة، فنهاهم الله –تعالى– عن موافقتهم في القول منعاً للصحيح الموافق في الصورة لشبهه من القبيح[1]، وأمرهم بما هو في معناها مما لا يتطرق إليه فساد، وهو لفظ (انظرنا)، ((من نظرَه إذا انتظره : أي أمهلنا حتى نحفظ))[2]، فأبقى المعنى وصرف اللفظ.

وقد التفت الفرّاء (ت ٢٠٧هـ) إلى هذا الأسلوب التوجيهي وإن لم يسمهِ عند تفسيره هذه الآية[3]، إذ يفهم من سياقها أن لفظة (راعنا) تحتمل وجهين يمكن تفسيرهما بالآتي:

أولاً : توجيه دلالة (راعنا) من باب المدح : أي امنحنا رعايتك وتأن بنا.

ثانياً : توجيه دلالة (راعنا) من باب الذم : أي شبه كلمة عبرانية أو سريانية كان اليهود يتسابون بها، قصدوا منها الرعونة وإفراط الجهالة سخريةً بالدين واستهزاءً بالرسول ﷺ، وهذا ما نهي المسلمون عنه؛ لما فيه من الجفاء وقلة التوقير.

ونظير هذه الآية ما جاء في شأن اليهود وموقفهم من النبي ﷺ وكلامهم معه الذي يحتمل ظاهرهُ الاحترام والتوقير، وباطنه السخرية والاستهزاء وقصد الإهانة حيث قال تعالى : [illegible]

---

(١) ينظر : نظم الدّرر : ٨٦/٢.

(٢) الكشّاف : ١٦١/١، وأكد السيوطي أنه من النظر، أو الانتظار، ينظر : معترك الأقران : ١٨٦/٢.

(٣) ينظر : معاني القرآن (الفرّاء) : ٦٩/١.

[النساء:٤٦][١].

عبرت الآية ببيان واضح صريح عن موقف اليهود من التوراة، وسوء أفعالهم وأقوالهم، وتحريفهم الكلمات بالميل بها عن معناه الصريح المقصود إلى معانٍ باطلة بالتأويل والتضليل، واللّيِّ[٢] بألسنتهم فتلاً لما يضمرونه من الإساءة والأذى للرسول ﷺ فيقولون سمعنا دعوتك وعصيانك؛ وذلك إظهاراً لتمسكهم بدينهم ليزول طمع الرسول في إيمانهم، ثم أعقبوه بقولهم : (اسمع غير مسمع)، وفي هذا التركيب توجيه يحتمل معنيين متضادين :

المعنى الأول : يحتمل الذم :

أي أسمع : مدعواً عليك – بلا سمعت – أو أسمع : غير مجاب ما تدعو إليه، فكأنك لم تسمع صوتاً من متكلم؛ لأنه يصيرُ أصمّ لا يعي[٣]، أو أسمع غير مسمع كلاماً ترضاه، وهذا كفرٌ صريح[٤].

المعنى الثاني : يحتمل المدح :

أي أسمع منا كلاماً غير مكروهٍ، إظهاراً للتأدب مع النبي ﷺ، فاللفظ يوهم أنهم قصدوا الظاهر المتبادر من قولهم، والذي كان إطلاقه معروفاً بين العرب في معنى الكرامة والتلطّف؛ لكنهم أرادوا بها معنى آخر انتحلوه من شيء يسمح به تركيب اللفظ الوضعي مقصوداً به الذم، وكذا الحال في قولهم (راعنا)[٥]، وقصدهم من إيراد كلام ذي وجهين أن يُرضوا الرسول ﷺ والمؤمنين ويُرضوا أنفسهم بسوء نيتهم مع الرسول ﷺ فلا يجدوا عليه حجة[٦].

---

(١) روي أن هذه الآية نزلت في فريق من اليهود منهم رفاعة بن زيد بن التَّابوت، أحد عظماء اليهود بالمدينة، كان إذا كلم رسول الله ﷺ لوى لسانه، وقال : راعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك، ثم طعن في الإسلام؛ لذا أنزل الله تعالى هذه الآية؛ نهياً وتعريضاً باليهود، ينظر : الجامع لأحكام القرآن :٢٩٣/٢ و٤٠٠/٦، والتحرير والتنوير : ٧٤/٥.

(٢) اللّيُّ : فتلُ الحبلِ، والمراد هنا هو تحريف الكلام لفظاً ومعنىً، ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٤٦٠، والكشّاف : ٤٥١/١، معترك الأقران : ٦٦/٣.

(٣) ينظر : الكشّاف : ٤٥١/١، والتحرير والتنوير : ٧٥/٥.

(٤) ينظر : الكشاف : ٤٥١/١.

(٥) ينظر : ص من مبحث التورية.

(٦) ينظر : التحرير والتنوير، ٧٤/٥.

وقد أدتْ صيغة المصدر المنتصب على المفعول الملطق (ليّاً) دلالة المعاني التوجيهية المذكورة؛ لأن أصلَ الليّ باللسان، أي : القول، وفي أقوالهم السابقة فتلٌ وتحريفٌ وتثنيةٌ بالألسنة؛ ليعطي الكلام صورة تشبه صورة كلمة أُخرى، فيفتلون ما تضمره قلوبهم من الإساءة إلى ما تظهره ألسنتهم من التوقير والإجلال نفاقاً[1].

وقد ذكر الزركشي مصطلح (التوجيه) بمعناه المتداول، مُحدداً إياه بمعيارٍ تُعرف به فطنة المخاطب وتنبهه إلى ما يحتمله الكلام من توجيهاتٍ مستشهداً بمثالين :

المثال الأول : قوله تعالى حكايةً عن أخت موسى عليه السلام : ﴿ ⬀⍃⚖⍃⬀ ▭♦☀⍄⑩♦⍄ ⍄⍃⍄⚖❑📖 ✁❼■✍♦⬉ ⬀⍄⬈▤∞♑←⑩❑📖 ③♦▤⬁▦➔▣➔❑✡♦❍←⓵ ⬀☠➔⚖♦❑ ⬀☠➔⌛•♑ ⓵←❍•♑ ✡♦⓵⓵⬁•←❑♍♒ ﴾ [القصص:١٢].

فالضمير (لهُ) يحتمل توجيهين :

التوجيه الأول : أن يكون عائداً على موسى عليه السلام.

التوجيه الثاني : أن يكون عائداً على فرعون.

وعلى أساس التوجيه الثاني ((تخلصت أُخت موسى عليه السلام من قولهم : (إنكِ عرفتِه)، فقالت : أردتُ : ناصحون للملك))[2]، واعترُض على هذا القول بأنه في لغة العرب لا في كلامها المحكي، فرد الزركشي هذا الاعتراض مُعللاً أن الحكاية مُطابقة لما قالتهُ، وإن كانت بلغةٍ أُخرى[3].

المثال الثاني : قول ابن الجوزي جواباً لمن سأله : أي الرجلين أفضل عند النبي صلى الله عليه وسلم : أبو بكر أم علي ؟ فقال ابن الجوزي : (مَن كانت ابنته تحته)، وهذه الإجابة تحتمل وجهين دلاليين:

---

(١) ينظر : الكشّاف : ٤٥١/١.

(٢) البرهان في علوم القرآن : ٣١٤/٢.

(٣) ينظر : المكان نفسه.

التوجيه الأول : تفضيل أبي بكر ﷺ على علي ﷺ، إذا كان الضمير في (ابنته) عائد على الأول، فيعود الضمير في (تحته) على النبي ﷺ، لأن المراد عائشة ﷺ.

التوجيه الثاني : تفضيل علي ﷺ على أبي بكر ﷺ، إذا كانت دلالة الضمير في (ابنته) عائد على النبي ﷺ، والضمير في (تحته) عائد على علي ﷺ؛ لأن المراد فاطمة الزهراء – عليها السلام –.

ونظيره قوله تعالى : ﴿◆♌❑←☺♉➔⇧➲⇖③◆❑ ✂♐❑⇗➔⅄➲♑♐✂ ◆⇖ ⌛⓿■✍◆⇖ ⊕♉○♈○⌨⇖○ ♐✞☺⑩♉☹◆③◆❑ ♐✡☪⑩⬁▤⬄○♉✎ ✂⊕❸❷⬁♋❑🕮◆❑﴾ **[الإنسان:٨]**. اختلف المفسرون في مرجع الضمير على رأيين :

الرأي الأول : أن يكون الضمير راجعاً للطعام لذكره قبله، والمعنى : أنهم يطعمون الطعام وهم يحبونه لاحتياجهم إليه، وتعلق أغراضهم به، تأكيداً وعملاً بقوله تعالى : ﴿♊⬧♑ ❑✡⬧✍ ☎✂❑⇗♑♐ ■❸✐♑⬂♑♐✂ ⌛✍●☹⍓○ ☎✂❑➔◑♉⊞☪➔✍ ♐●☺♉✎ ♒♍❑♋⌛♉◆⬆✎﴾ **[آل عمران:٩٢]**، وقوله تعالى : ﴿⌛ ♒♍❑⇖❷♉⚐⬃⬧⇖③◆❑ ◆♌🔔☒✉ ⬀❑⬧♑◆❑ ⬀☠✍✐⬁○➔⊞☼❑🕮 ✂⓿■✍◆⇖ ⬀☠✍✐ ⌘⊞⌚✿♐⌚✿➤❑⇦﴾ **[الحشر:٩]**. وقد خرَّج الزمخشري المعنى على هذا التوجيه(١).

الرأي الثاني : أن يكون الضمير راجعاً إلى اسم الجلالة من باب الإضمار ولم يُذكر لقوة ظهورهِ، وعليه فالمعنى الذي يقتضيه السياق وفقاً لهذا التوجيه :

ويطعمون الطعام على حُبِّ الله لا حب غيره، لا يريدون عليه جزاءً ولا شكورا

ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى بعده : ﴿◑♈✞⅄⊞❑♐ ✡←➲⇧➔♉☺⇖▤⇗✉⬀ ♑♉❑◆♉⇧○♉ ✂♐✎★ ◆◆ ✡←❷⌧③⑨← ✎♉☪▤⇗⚐⬄ ♉⊠❽◆✂✎⇗☯ ❑◆◆◆ ⅄⇗▤⇗❑❻⊕✂﴾ **[الانسان:٩]**، بإخلاص العمل في إطعام الطعام لله تعالى.

---

(١) ينظر : الكشّاف : ٥١٤/٤.

ونظير ما سبق قوله تعالى : ﴿❁❐◆♉⍓➔⍓🖬▫☪◆ᘓ

🖃◆❹☞☪◆♒♓♋♎✌ ❐◆🖃✓☞✗◆ ✈ᘓ◉♐❍➔❷◆❽
✈ᘓ◉♐☺♍♌☹ ❐◆⏲❷◆🗎⇩☪◆ᘓ ▫♑❸♣❐ᘓ ♎➔❷ॐ❽
←⧫⏲♑♐❷◆❐☪ ❐◆♎⧫❾❍❻⬀☼◆ᘓ ▫♑❸♣❐ᘓ
✈ᘓ◉♐❍❍❷⬀❸◆ ☎ ♒♓❷❸←❐✈☎ ▫♑❸♣❐ᘓ
♐⧫❿◆ᘓ✋🖫❆◆❼◆ ❐◆🕮❐③✸ᘓ✋⏲ᘓ ➚◆✈✋♑☪♑✓✗◆
⬀♑⬂♐ ▫⧫◑⧫⏲◆🖃 ❻◆🖃✸☪◆ᘓ ♑➔⏲◆🖃◆➔♑❾⇳
🖃✓☞✗◆ 🕮❐♒⇔▦☒ᘓ❻♎☼◆ᘓ ❐◆←⧫🖬■☺←❐☑✈☎
🕮❐☼▦➔❍❁♣⬃✈⚑⬀ ▫⧫◑✗⍓➔⍓🖬▫☼❐⏲♑←✈⚑⬀
🕮❐■◆⍥⑩♑③❁⍓ ❐◆✋◆❽❐⍥⍓☼❐⏲♑←✈⚑⬀ ♐➚⍥❐
✋⬉☺⍓❽❐♐✌ 🗐 ❍♎♌❐ ✗♎❼ ❶◆⏲◉♒♑⌨⍓ ⍓✝③◆⏲✷💣▭
◉♒♑⍓➚⍥♏♍♒♋ ⏲❁✸⌨✱ᘓ❻◉♒ ⅄⍓☒▤➚❐❻◉♒﴾[سبأ:١٨-١٩].

أورد الزمخشري في هذه الآية توجيهين[١] :

التوجيه الأول : برفع (ربُّنا) على الابتداء وفتح الدال والعين من (بَاعَد)، أي فعل ماضٍ من المباعدة، فالمعنى في ضوء هذه الصياغة خبر يشكون فيه من بُعد أسفارهم، ويطلبون قربها.

التوجيه الثاني : بنصب (ربَّنا) على أنه منادى مضاف، وبناء (باعِدْ) على السكون أمراً من المباعدة، فالمعنى في ضوء هذه الصياغة إنشاءً طلبياً يشكون فيه من قرب أسفارهم ويطلبون بُعدها.

والتفت البلاغيون إلى اتساع نطاق الإيهام والتورية ليشمل مصطلحاً بديعياً مهماً يُعرف بـ (الاستخدام) ولهم فيه عبارتان :

الأولى : أن يؤتى بلفظٍ له معنيان فأكثر مراداً به أحد معانيه، ثم يؤتى بضميره مُراداً به المعنى الآخر[٢].

كقول الشاعر[٣] :

إذا نزل السَّماءُ بأرضِ قومٍ رعيناه وإنْ كانوا غِضاباً

(١) ينظر : الكشّاف : ٦٠٢/٣.

(٢) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٨٤/٢، ومعترك الأقران : ٢٨٥/١، وبغية الإيضاح : ٢٩/٤.

(٣) ورد ذكر البيت في معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب : مادة (سما) منسوباً إلى معاوية بن مالك بن جعفر معوِّد الحكماء، وللفرزدق في تاج العروس : مادة (سما)، وقد ذُكر أن نسبة البيت لجرير هو المشهور إلاّ أننا لم نعثر عليه في ديوانه، ينظر : بغية الإيضاح : ٢٩/٤ ، وورد بلا نسبة في المخصص : ١٩٥/٧، ٣٠/١٦.

وقد أراد الشاعر بلفظ (السماء) دلالة الغيث، أما المراد من ضميرها في الفعل (رعيناه) هو (النَّبْتَ)[1]، متضمناً المعنى العام من البيت وهو وصفهم بالغلبةِ لغيرهم، والظاهر أن كلا المعنيين مجازي، فلا يشترط في أسلوب (الاستخدام) أن يتحدد بين المعنيين فرقٌ من حيث الحقيقة أو المجاز أو الإختلاف.

الثانية : أن يؤتى بلفظٍ مشترك ثم بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين ومن اللفظ الآخر المعنى الثاني[2].

كقول البحتري[3] :

فَسقَى الغَضَا والسَّاكِنيهِ وإنْ هُمُ ... شَبُّوهُ بين جوانِحٍ وقُلُوبِ

أراد الشاعر بأحد الضميرين الراجعين إلى (الغضا)[4] وهو المجرور في قوله : (الساكنيهِ) المكان، في حين أراد بالضمير الآخر المنصوب في قولهِ : (شبوهُ)[5] النار أو الشجر، بمعنى أنهم أوقدوا بين جوانحي وفي قلبي نار الهوى التي تشبه نار الغضا، والظاهر أن كلا المعنيين مجازي وليس حقيقي.

وقد ذكر السيوطي مصطلح (الاستخدام) ووصفه بأنه والتورية ((أشرف أنواع البديع، وهما سيّان؛ بل فضَّلهُ بعضهم عليها))[6]، ونَسَبَ السيوطي خلال حديثه عن معنى أسلوب الاستخدام بإحدى عبارتيه إلى السكاكي بقوله : ((وهذه طريقة السكاكي واتباعه))[7]، مُضيفاً أنه استخرج بفكره الثاقب آيات من القرآن الكريم على طريقة السكاكي، وعند البحث في مفتاح العلوم لم نعثر على أي ملامح لهذا الفن.

---

(١) ينظر : الإيضاح : ٢٦٨.

(٢) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٨٤/٢.

(٣) البيت من قصيدة للبحتري مطلعها :

كَمْ بالكثيبِ من اعتراضِ كثيبِ ... وَقَوامِ غُصنٍ في الثيابِ رَطيبِ

ديوان البحتري : ١ / ٢٤٦.

(٤) الغضا : شجر من الأثل خشبةُ من أصلب الخشب وجمره يبقى زمناً طويلاً لا ينطفي؛ يكثر في (نجد) ويسمون لذلك أهل الغضاء، ينظر : بغية الإيضاح : ٣٠/٤.

(٥) شبوه : بمعنى أوقدوا نار الهوى التي تشبه نار الحطب، ينظر : المكان نفسه، وينظر : الكُلِّيات : ١٠٤.

(٦) الإتقان في علوم القرآن : ٨٤/٢.

(٧) المكان نفسه.

ومن خلال ما تقدم ذكره في دلالة أسلوب (الاستخدام) الاصطلاحية، يمكن التأكيد على المعيار الأسلوبي الذي ينطلق من خلاله، وهو أن يكون اللفظ بمعنى، ويعود إليه ضميره بمعنى آخر، ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ ✸⊠&⬀❷⇱
❻◆✌♦•✂ℌ✈♦ ✂✍⚐♁♎⑧✓ 📖↑✡❽⊠✌♦ ⌑♎⑩○♎
✂✍⑩↯❷⬀◆✂ℌ⇱ ♎⑨⬆❾ ⑨♎℮♎◘✡☐✍☐↯
☐◆✍❹✶✡☐⓪*♦▭ ✌♓♎♊⌘ ✂✍⑩↯♑←⑨⊠❽▤
☐◆✂✍⑩↯▦➔❷⬀♁♦✍ℌ✈ ▤ ⌑♦☺⊠♊ ✸⊠&✓⑨⊠
✌♎✡▤⬈☠⇱ ✂✍⑩☆⊙&⬀❷♦ ⌑♦▣⑩◆⊙⊕☺⇧○← ☎
☐◆✌♎ ▤•♂❺✓❸⑨ ✍ ☐☐☐⬃ ⇱◆✍■❼▤
ɑ⊠▦⊠❷⑩ ⌑♦➔♎⑨●☐◁ ✌♓♎♊⇧ 📖☐❸✸✍✈✌
📖↑⌘⊠❷♦ ▤ ❸⇱❷⊠❸⑨← ✂✍✎✦ ✍♑⌛➔☠⇱
✂✍⑩↯♦⇱○⇔❷♦ ☐◆♦• ❸⇱❷⊠❸⑨← ✍♑⌛➔☠⇱
✂✍⑩↯➔⇱○⇧❸◆ ☐◆⑩♎☝←⌛⇩☺♎▣☐➔☐✂☎
✂✍⑩↯➔♎⑨●☐■ ☐◆⑩♎☝←⌛⊠⑩♓✍❸←☐✂☎
✂✍⊿ ⇱◆✍■❻▤ ✌♦✍ ♎⊠⑨⊠📁▤⬈☠⬀
☐◆⑩♦➔⊠▣✸⌛➔☠⬀ ✍■⌖⇧▤⬈❷⇱☐♍♊ ﴾ [البقرة:١٨٥].

جاءت الآية الكريمة تعبيراً عن مضامين إرشادية دعوية تنبه للمصالح العامة والخاصة وما يقتضيه ذلك من إستدلالٍ على الهدى والبينات، وبأسلوبٍ بديعي يظهر فيه أثر (الاستخدام) للألفاظ المحتملة لمعانٍ متعددة بدلالة قرائن لغوية تلمح من السياق العام، فقوله تعالى : ﴿⌑♦☺⊠♊ ✸⊠&✓⑨⊠ ✌♎✡▤⬈☠⇱
✂✍⑩☆⊙&⬀❷♦ ﴾ يحتمل دلالتين :

الأولى : إنَّ كُلِّ من حَضَرَ أيام رمضان ولم يكن مسافراً أو غائباً أو مريضاً (فليصمه)، فقد عاد الضمير في صيغة فعل الأمر على المعنى المراد وهو (أيام رمضان)(١).

الثانية : أن كل من شاهد الهلال فليصم الشهر، بناءً على أن الشهر هنا يُراد به (الهلال)(٢)، بدليل أن الهلال لا يصلح أن يتعدّى إليه فعل (شَهَدَ) بمعنى حضر؛ لأنه مُعلقٌ بالرؤية والمشاهَدَة.

وتأسيساً على ذلك؛ فإن للفظة (الشهر) معنيان، الأول الهلال، والثاني أيام رمضان، والمراد به المعنى الأول، والمراد بالضمير (الهاء) في (فليصمه) المعنى

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٧٣/٢.

(٢) ينظر : معاني القرآن (الزّجاج): ٢١٩/١ و٢٢٤/١.

الثاني، فظهر أثر أسلوب الاستخدام في مجيء لفظ (الشهر) بمعنى، وعودة ضميره إليه بمعنى آخر.

ومن مواضع أسلوب (الاستخدام) في التعبير القرآني قوله تعالى : ﴿♍☜♎☜♏☜ ...

✂☎❏←⬧⇧☺⧫③ ✦✏🙵✂ 🙵⧫✎ ⬇➚✏🙵⧫⌖❏④
⑥🏱⬆🕮 ▦🕕←■⌧⑨✡⬀⇖⧫❏ ☎ ➔💣☜⧗⬃✟⇖③⧫❏
✂🙵♒⬯⧗⬁⧫🕕🖬🖅 ﴾ [الرعد : ٣٨ – ٣٩]، فلفظة (كتاب) تحتمل أن يُراد بها دلالتين[1] :

الدلالة الأولى: الأجل المحتوم.

الدلالة الثانية: الكتاب المكتوب.

وببيان موقعها التركيبي المتوسط بين لفظتي (أجل) و(يمحو)، نلحظ أنها استخدمت أحد مفهوميها وهو (الأمد) بقرينة دالة هي ذكر لفظ (الأجل)، أو قد تستخدم المفهوم الثاني وهو (الكتاب) بقرينة (يمحو) الدالة عليه.

ومثله قوله تعالى : ﴿③⧫🕕✸🕯❏⑨🙵&❏🙵 ✂🙵✏⅄🔔⬀⇦✖⧫

☎✂❏←🖃⧫②⬂◑⬧✍ ⬧⬧ ☎✂❏⇖✡⧫✌✂⧫➚
▤⑧⧫②🕕⬧▤←🙾 ⬄🏱←☞✡❏🕮⧫❏ ■❏🗐❏■🖬❍🕕♒🙵✂
⧫♌❏➚♒❏➔◑⬧✍ 🙵⧫✌ ☎✂❏←☺■🖬⬃➔⬧✍ 🗐🙰✸☹⌧❍
⬧⬧⧫❏ ⬁⇖✡⇖🕖⌨🙵 ◑⬂⬧⬧ ⇖⧫🙵🖃⬂②⧆⑧ 🙾⌧⧗⬂⓿✍✍﴿

[النساء:٤٣].

يظهر أثر أسلوب (الاستخدام) في هذا التعبير عند لفظ (الصلاة) المحتمل لمعنيين[2] :

المعنى الأول : فعل الصلاة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿❍⌧☹✸🙰🗐

⬧✍➔⬃🖬■☺←❏✂☎ ✌⧫🙵 ✍⬧◑➔❏♒➚❏♌⧫﴾ **[النساء : من الآية ٤٣].**

(١) ينظر : بديع القرآن : ١٠٥/٢، والبرهان في علوم القرآن : ٤٤٧/٣، والإتقان في علوم القرآن : ٨٤/٢.

(٢) ينظر : الفوائد المشوق : ٢١٦ ، الإتقان في علوم القرآن : ٨٤/٢.

المعنى الثاني : موضع الصلاة، والدليل عليه قوله تعالى : ﴿ ·•♈◑
↖♦✍✉❷♈▣❽ ♉⌛⌛✍❶⌛✍ ﴾ **[النساء : من الآية ٤٣].**

فجاء استخدام (الصلاة) بلفظٍ واحدٍ، دلت عليه قرينتي السياق المحتمل معنيين مما أثرى الجانب الدلالي في التعبير القرآني.

ولو تأملنا قوله تعالى : ﴿ 🕮❒✌♦❼✂ 🕮❒✌⬂❷↖ ✂✍✏★
▫•☒• ✍■○⇔✌♦➔⬂⬀✐🖬➔❑■← ﴾ [النحل:١]، لوجدنا أن صيغة (أمر الله) مشترك لفظي لزم استعماله في دلالتين :

الدلالة الأولى : أن المراد من (أمر الله) قيام الساعة والعذاب.

الدلالة الثانية : هي بعثة النبي ﷺ.

وقد نقل السيوطي في معترك الأقران هذه المعاني بقوله : ((كما أخرج ابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : **﴿أتى أمر الله﴾** – قال: محمد، وأُعيد الضمير عليه في (تستعجلوه) مُراداً به قيام الساعة والعذاب))[1]

وهذا يؤكد أن قوله تعالى : (أمر الله) يراد به معنيين :

الأول : قيام الساعة والعذاب.

الثاني : بعثة النبي ﷺ.

ومن أمثلة التورية قوله تعالى : ﴿ ❒◆◑♈♌⬀ ⌘⬁▦⬂⬇⬈☹⬀
🕮❒•· ✍➔◑⬂○⬁➲⬈❒✂☎ ✖♈❼ ✂✍⬂⬂❶♦✌♦⏲☺♦❻🗐
▫•✍✍✡▤⬁•✂☎ ✌♦✍ ◖•✍☸⌘ ⬂•▤✂☠ ✌♓♉♊⌘
✂✍⬂✡♓♉○✺✍✏⬈♉ ✌♦✝⬀♉❑✐🗐 ❑◆⚐➔🖬■⏲❁⍓
❑◆❻⬇✉♦⏲⬈⍓ ☎ ▫•✉♈♌⬀ ⌘⬁▦⬂☞←⚐⇔ 🕮❑•·
✍•➔⬀⑨♉♉⬂❑⬈☎ ▫•❑◆⏲■♉⑨⍓❑⏲ 🕮❑❑⬀ ✌♦✍
✌♦■▤•✱♠⇳ 🕮❑③⬀☺⍓⏲✡↖▤⬈☠⬃ 🗐 ❶•⏲⬂♉⌨⍓
🕮❑⑩⬀❄❑❼✂ 🕮❑•·✍•➔↖❑⬂⬈❑✂☎ ﴾ **[النساء:٣].**

يكشف سياق التعبير القرآني عن الرخصة في التعدد، مع التحفظ الذي قرره الإسلام عند خوف العجز عن العدل، والاكتفاء بواحدة أو بما ملكت اليمين، وقد أوحت لفظة (تعولوا) بدلالتين :

---

(١) معترك الأقران : ٢٨٦/١، وينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٨٤/٢.

الدلالة الأولى : من العول : أي الميل في الحكم إلى الجور، يُقال عال يعول عولاً : جار ومال عن الحق[1]، ويترشح هذا المعنى بتقوية قوله تعالى قبله : ﴿☎✂❑⬈➲⬁○⬂◗➔✍ ⬧◆❑🕮 ⬃☹⬈⬇⬂▦⬁⌘ ⬃♌⧱◗◆❑﴾

والقسط هو العدل؛ لذا يكون العول مُقابلاً للعدل ومقارباً منه دلالياً، ((والعدل أجدر أن يُراعى في المحضن الذي يضم الأسرة))[2].

الدلالة الثانية : تتمثل في توجيه بعض المفسرين للمعنى بدلالته على كثرة العيال، على أن (العول) هنا ((من عالَ الرجلُ عِيالَهُ يعولهم أي مانهم، فعبَّر عن كثرة العيال بكثرة المؤنة))[3]، ويؤيد هذا المعنى قراءة أن تعيلوا، وهذا المعنى يؤكد أن الكثرة أيضاً مظنّة الميل والجور والعجز، وهذا هو المعنى البعيد للتورية.

فالقيمة الأسلوبية في احتمالية ورود معنيين للفظ الواحد تثري السياق القرآني بدلالات إضافية تؤكد أن كثيراً من مظاهر البديع التي وُضعت في الأصل لتزيين اللفظ تحمل في ثناياها مدلولات نفسية وإشارات معنوية تُفيد المعنى أيما فائدة، وتضفي على اللفظ بهاءً ورونقاً، ومن الملاحظ أن فاصلة الآية أدت إيقاعاً صوتياً مخالفاً للفواصل الأُخر، وهذا الموضع أحد أربعة مواضع خلاف مراعاة الفاصلة في السورة[4].

ومثله قوله تعالى : ﴿③◆🕔✵❑⑨🙰❑✐ ✂✐🙰✍⅄🔔🙵⇦▫🙰

❼⧱✗ ⇔🏱🡸☞⬀🖅◆❸•🙵 ✂⬧❶⧱◗ ☎✂☑❑⬉☪◆✌✂◆⬈
••◆❑ ☎✂❑⬉☪❑⑩◆🖭◆☞⬧▫ ★✐✂ 🖉🙰❶⧱⌛⍓🙰
✂❼⬧🗏⬂⬃⬤❑🕮 ⇳♊⍓☺🙵⬤ ☎✂❑⬈⬃⬤❑➔◗⬧✍
❁💣⇔○⬧⬃⬤ ⌘☠🕓■🖬○○⬤✐✂ ⬉☠➔⌛⬂⑩⬧⬃⬤⧱◗
🙰🡸◆❷◆⬉ 🙰♍❑⬈⇔◆✌⬀🖭⬧✍ ✐✡☪🙵✌⬃⬉✌
⍓⑨☪🙵➔⬧▫ ✐◆❶⬃✡❻⑨⬃⬤✐✂ 🙮❑🗐❑◆⑩⍓⬧⬂⬤✐✂
🗐 ∢❑◆❷⑩🙵✞⬧🗎 ❶🏱🙵✡✐◆⇔◆✌ ★✐✂
⬧➦⍓☺⬧▫ ⬉🙰⬀⌛⬧🔔 ♊🙵♓✌ ☠🡸✌✡➔🗎 🙰①🙵⬤🕒☒❶☒🖎

---

(١) ينظر : لسان العرب : مادة (عَوَلَ).

(٢) في ظلال القرآن : مج١، ج٤، ص٥٨٤.

(٣) إرشاد العقل السليم : ١٤٣/٢، وقد سبق الراغب الأصفهاني أبي السعود في توضيح هذا المعنى، ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٣٥٦.

(٤) ينظر : إتحاف فضلاء البشر : ٥٠١/١.

·♍♑◑ 🗐 ☎✁☑❑⇱☪□❹⧫🖮⧫☞⬧◻ ⬀☠➔⌛⬂⓿■🖬⧫⇱ ✦✐☞✁
⧫♍❑➔🖬⍓☺⬀➔⬧✍ ☞⍓☺♑🖅 ⧫♍🕭⌧🖆 ⅄✐☞✁
⌘⍓⌛♑❷❸☪✁﴾ [النساء: ٩٤].

يلمس التعبير القرآني هنا القلوب فينفض عنها كُلّ شائبة من طمعٍ في الغنيمة أو تسرعٍ في الحكم، أو أي هدف تبتغي به عرض الحياة الدنيا، ويتجه إلى تشريع الحدود بإقامة نظام متكامل يبين الشرائع والأحكام ويؤكد على ضرورة الالتزام بها، فقد أوحى التركيب (ضربتم في الأرض) بدلالته على معانٍ متعددة اختلفت فيها كتب التفسير، فأصل الضَّرْب في اللغة : ((إيقاع الشيء على الشيء، ولتصور اختلاف الضرب خولف بين تفاسيرها، كضَرَبِ الشيء باليد والعصا والسيف ونحوها))[1]، قال تعالى : ﴿☞☞♑❸⇳☞♑🖅⬅❑✁☎ ◻⬧❑⬀🗇⬧
☎✁❑⬅🖅♑❸⇳☞✁⧫❑ ⬀🗇☞❑✡⇳⇱☞✿☞✁
✌♑❁☞⬀☠⬃ 🗎➔⬂❑ 🖅⧫☪⧫☞♌🗍﴾[الأنفال: ١٢]، وقال تعالى: ﴿◻⧫➢❁❸⬀☮⌘ ✁☞⏣❷♒⬚🕭⧫☞☮⬀﴾[محمد: ٤]، ((والضَّربُ في الأرض : الذَّهاب فيها بضربها بالأرجل))[2]، أو الخروج للجهاد في سبيل الله[3]؛ لذا فإن المعنى القريب المتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى هو الخروج في الأرض طلباً لمرضاة الله تعالى، لأي غرضٍ كان، وقد يحتمل اللفظ دلالة المعنى البعيد الذي يحتاج إلى ربط أجزاء السياق مع بعضها والبحث عن قرائن لفظية ومعنوية دالة عليه، فقوله تعالى : ﴿مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ يوحي بدلالة القتال أو الجهاد في سبيل الله، ويؤكد هذا المعنى المرشح أيضاً سبب نزول الآية[4]، ليكشف التعبير القرآني عن وحدة متكاملة توحي ألفاظها بضلال المعاني وتعددها من حيث القرب والبعد.

---

(١) المفردات في غريب القرآن : ٢٩٨.

(٢) المكان نفسه.

(٣) ينظر : في ظلال القرآن : مج٢، ج٥، ص٧٣٧.

(٤) وردت روايات كثيرة في سبب نزول الآية : منها ما أورده أبو السعود أن رجلاً من بني سليم مرَّ بنفرٍ من أصحاب الرسول ﷺ وكان يرعى غنماً له فسلم عليهم، فقالوا : لا يسلم علينا إلاَّ ليتعوذ منا، فعمدوا إليه فقتلوه، وأتوا بغنمه النبي ﷺ، فنزلت الآية تحرج على مثل هذا التصرف؛ ينظر : إرشاد العقل السليم : ٢١٩/٢.

ومن الملاحظ أن القرآن الكريم يستعمل اللفظ الواحد في مواضع متعددة، لكلِّ موضع دلالة مُغايرة عن الموضع الآخر، وبهذا يتفرد التعبير القرآني بتغليب جانب المعنى على اللفظ، يقول الجاحظ : ((إنه – أي القرآن – قد يدّلُ بالكلمة الواحدة والكلمات المختصرة على معانٍ متعددة يطول شرحها، وإذا أراد المتكلم العادي التعبير عن المعاني التي أرادها القرآن لم يصل إلى بغيته إلاَّ بلفظٍ أطول، وأقل دلالة))[1]، وهذا القول يؤكد ثراء معاني القرآن وتعدد استعمالها مع التأكيد على دلالاتها المتسعة والمتجددة وفقاً لمبرّرات منهجية دقيقة تُنتقى فيها الألفاظ مؤتلفة متناسبة مع معانيها؛ لتحقيق الغرض المقصود حتى كأنه ((يُخيل إليك أنك قد أحطت به خُبراً، ووقفت على معناه محدداً، ولو رجعت إليه كَرّةً أُخرى لرأيتك منه بإزاء معنىً جديد، غير الذي سبق إلى فهمك أول مرة))[2]، وهذا الاختلاف أو التغاير الدلالي يرفد التعبير القرآني بخصائص وسمّات بلاغية تفرده بالإعجاز البلاغي اللغوي فكان بذلك مثالاً للبيان والتحدي.

وقد أكد باحث معاصر أن التعبير القرآني يعتمد منهجاً في اختياره الألفاظ الدالة وفقاً لمعايير أهمها : مطابقة اللفظ لمعناه بالجرس، أو بالظل، أو بالجرس والظل معاً، واصفاً هذا المنهج بأنه ((لونٌ من التناسق أعلى من البلاغة الظاهرية، وأوقع من الفصاحة اللفظية))[3]، التي جعلها بعض الباحثين من مزايا القرآن، وضرب مثلاً لتوافق اللفظ مع المعنى بالظل بقوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [الأعراف: ٤٠].

(١) البيان والتبيين : ٩٤.

(٢) النبأ العظيم : ١٤٧.

(٣) خصائص التعبير القرآني : ٢٦٢/١.

أوضحت هذه الآية شأن المكذبين بآيات الله –تعالى– المستكبرين عن عبادته وما أُعد لهم من جزاءٍ يتناسب مع جنس العمل، فبسبب إعراضهم وكفرهم يترتب عدم دخولهم إلى الجنة فهو أمر مستحيل يصوره –تعالى– تصويراً دقيقاً بدخول الحبل الغليظ في الثقب الدقيق لآلة الخياطة، حيث أطلق لفظ (الجمل) مُراده منه معنىً ثانٍ لا يكاد يتصوره السامع وهو (الحبل الغليظ)، فقد آثر التعبير في هذا الموضع لفظ (الجَمَل) مُراداً منه لفظ (الحَبْل) لأسباب منها :

١– أن لفظ (الجمل) مشتركٌ لفظي بين الحبل والحيوان الضخم المعروف.

٢– دلالة (الجمل) أعمق وأبلغ؛ (فالحبل مهما كان غليظاً لا يبلغ ضخامة الجمل)[١]، فضلاً عن أن لفظ (الحبل) ينطوي على دلالة متفاوتة في الدقة والغلظ.

٣– لو صُرِّح بلفظ (الحبل)، لوقع في الوهم أنه الحبل الدقيق فيبتعد التصوير والتمثيل حينئذٍ عن الإستحالة، وسدِّ طريق الدخول بالكلية، أي : ((حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم فيما علم في ضيق المسلك، وهو ثقب الإبرة))[٢].

٤– لتأكيد دلالة الحرمان والشقاء لحال المكذين المستكبرين وقطع كل أمر في الرجاء، بتعظيم أمر المشبه به وندرة اطلاقه.

٥– إن للفظ (الجمل) معنىً ثانياً لا يمكن أن يدركه الخيال؛ لذا جاء التعبير بظل اللفظ الأول المقصود وهو (الحبل)، قصد الإثارة والتشويق.

الفروق الأسلوبية بين :

أولاً : التورية والتوجيه :

علمنا مما سبق أن أسلوب التوجيه يؤدي دلالة إيهام السامع بأحد الاحتمالين الموجهين حين يرد الكلام محتملاً معنيين متضادين احتمالاً مطلقاً من غير تقييد فيستعمل المتكلم أحد المعنيين ويهمل الآخر، ومرادهُ ما أهمله لا ما استعمله، ويؤكد هذا المفهوم أبو البقاء الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) في الكُلِّيات حين عبَّر عن مصطلح التوجيه بقوله : ((هو أن يبهم المتكلم المعنيين بحيث لا يرشح أحدهما على الآخر

---

(١) ينظر : خصائص التعبير القرآني : ٢٦٢/١.

(٢) إرشاد العقل السليم : ٢٢٧/٣.

بقرينة))[(١)]، وضرب مثلاً لقوله هذا، بيت بشار بن برد وهو يصف خياطاً أعور، مؤكداً أن معنى التوجيه المذكور هو ما جاء في عُرف البلاغيين المتقدمين الذين أنزلوه منزلة الإبهام وسموه توجيهاً.

أما التوجيه في عُرف المتأخرين : ((فهو أن يؤلف المتكلم مفردات بعض الكلام أو جملياته ويوجهها إلى أسماء متلائمات صفاتها اصطلاحاً من أسماء أعلام أو قواعد علوم، أو غير ذلك مما يتشعب لهُ من الفنون، توجيهاً مطابقاً لمعنى اللفظ الثاني من غير اشتراك حقيقي))[(٢)] والتوجيه بهذا المفهوم يخالف مفهوم التورية ويفترق عنها من وجهين :

الأول : أن أسلوب التورية يأتي باللفظة المشتركة، أما التوجيه فيكون باللفظ المصطلح.

الثاني : يأتي أسلوب التورية باللفظة الواحدة لا يتعداها إلى أكثر من ذلك، أما أسلوب التوجيه فلا يصلح وروده إلاّ بعدة ألفاظ متلائمة.

ثانياً : التورية والاستخدام :

كثيراً ما يلتبس أسلوب التورية بالاستخدام؛ لأنه المفهوم الأكثر قرباً من التورية، وعند تحديد الفروق الأسلوبية بين المصطلحين يتجلى هذا اللبس، فقد تأكد للبحث أن أسلوب التورية يعتمد على استعمال المعنيين في اللفظ لغرض الإيهام شريطة إهمال المعنى الآخر، والمراد من المعنيين هو البعيد، أما أسلوب الاستخدام فيعتمد على استعمال اللفظ بمعنيين معاً وبقرينتين، شريطة تحقيق إرادة المعنيين في آنٍ واحد، وهذا يجعلنا نؤكد أن المشترك اللفظي إن أُستعمل في مفهومين معاً فهو داخل في باب الاستخدام، أما إذا أُريد به أحد اللفظين مع مراعاة لمح الآخر الموهم به باطناً فهو من باب التورية[(٣)]، وهذا يُبين أن دلالة الأسلوبين تقترب من بعضها في جوانب مشتركة وتفترق في جوانب أُخر.

---

(١) الكلِّيات : ٣٠١.

(٢) المكان نفسه.

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٤٤٧/٣.

وقد عبرت بعض كتب البلاغة عن أسلوب الاستخدام وفقاً لأساليب متعددة منها[١]، ما يكون فيه الاستخدام بالاستثناء، ومنها ما يكون باسم الإشارة، ومنها ما يكون بالتمييز، وفي جميع هذه الأساليب تتحقق إرادة المعنيين وفقاً لمبدأ (المشترك اللفظي) الداخل في باب (الاستخدام) شريطة مراعاة معيار (الانتباه والإلماح) للفظ الموهَم الباطن، وتوظيفه وفقاً للدلالة الأسلوبية التي يتضمنها التعبير.

المبحث الثاني : أسلوب التجريد :

أولاً : مفهوم التجريد في اللغة والاصطلاح :

التجريد من الأساليب العربية القديمة التي تداولها فصحاء العرب تداولاً فطرياً وجرى على ألسنة شعرائهم وأُدبائهم وبرز على وجه الخصوص في مطالع قصائدهم كقول أمرئ القيس[٢] :

قِفا نبكِ مِن ذكرى حَبيبٍ ومنزلِ   بسِقطِ اللوى بين الدَّخولِ فحوملِ

وقول الأعشى[٣] :

ودِعْ هُريرةَ إنَّ الركبَ مُرتَحِلٌ   وهل تُطيقُ وَداعاً أيُّها الرجلُ؟

وقول المتنبي[٤] :

لا خيلَ عندك تُهديها ولا مالُ   فليسعدِ النُّطقُ إنْ لم تُسعدِ الحالُ

فقد جرد الشعراء من أنفسهم أشخاصاً آخرين مثلهم في الصفة، وأخذوا بمخاطبتهم، بأن يجعل الشاعر نفسه في موضعٍ بديل عن شخص آخر فيمدح، ويهجو، ويصف ويعتب، ويشكو، ويرثي، وما إلى ذلك من أغراض شعرية متعددة.

وأصلُ التجريد في وضع اللغةِ : إزالة الشيء عن غيره في الاتصال، يُقال: جرّده من ثيابه فتجرد وانجرد، ومن المجاز : جرّد السيف من غمده، أي : انتضاؤه، وسيفٌ مُجرّد، كقولهم : سيفٌ عُريانٌ[٥]، قال ابن منظور (ت ٧١١هـ): ((جَرَدَ

---

(١) ينظر : بغية الإيضاح : ٢٩/٤.

(٢) وهي مطلع معلقته المشهورة، ينظر الديوان : ١١٠.

(٣) ديوان الأعشى: ٥٥.

(٤) ديوان المتنبي : ٢٧٦/٣.

(٥) ينظر : أساس البلاغة : مادة (جَرَدَ).

الشيء يجرده جرداً، وجرَّدهُ : قشره))[1]، وكُلُّ شيء قشرّته عن شيءٍ فقد جردته عنه[2] فالتجريد مأخوذٌ من النزع والتقشير وأخذ الشيء عن الشيء، ومنه قول رسولنا الكريم ﷺ: ((لا مدَّ ولا تجريدَ))[3]، وأراد بذلك النهي في حدِّ القذف وحدّ الشرب عن أن يمد صاحبه على الأرض، وأن تُجرّد عنه ثيابه عند إقامة الحدِّ عليه، ثم نُقل هذا المعنى إلى نوع من أنواع علم البيان.

أما التجريد في المفهوم الاصطلاحي فقد نقلته كتب البلاغة العربية، وأشار إليه المؤلفون في مصنفاتهم المشهورة، فقد عرّفه ابن الأثير (٦٣٧هـ) بقولهِ : ((فأما حدُّ (التجريد) فإنه : إخلاصُ الخطاب لغيرك، وأنت تريد به نفسك لا المخاطب نفسه))[4]، وأكد أن سرَّ هذه التسمية هو الارتباط الشديد بمعناها اللغوي، ويقول ابن الأثير في وقفةٍ مع الإبلاغ بواسطة التجريد الأسلوبية، يقول ابن الأثير في وقفةٍ مع الإبلاغ بواسطة آلية التجريد الأسلوبية ((وجدتُ له فائدتين إحداهما أبلغُ من الآخرى))[5]، وهما شديدتا الارتباط بمسألة العدول الأسلوبي أو الالتفات، **الفائدة الأولى :** ((طلبُ التوسعُ في الكلام، فإنه إذا كان ظاهرهُ خطاباً لغيرك، وباطنه خطاباً لنفسك، فإنَّ ذلك من باب التوسُّع وأظنُ أنه شيء اختصت به اللغة العربية دون غيرها من اللغات))[6].

والفائدة الثانية : ((وهي الأبلغ؛ ذلك أنه يتمكن المخاطب من إجراءِ الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه، إذ يكون مخاطباً بها غيره، ليكون أعذر وأبرأ من العهدة فيما يقوله غير محجور عليه))[7].

ويلاحظ في أسلوب التجريد فضلاً عن هاتين الفائدتين مجيئه وفقاً لأغراض متنوعة تدل عليها سياقات الكلام وقرائن الأحوال منها : التوبيخ، والنصح

---

(١) لسان العرب : مادة (جَرَدَ).

(٢) ينظر : الكُلِّيات : ٣٣٠.

(٣) نقله ابن الأثير في المثل السائر، ولم نعثر له على سند صحيح في الصحيحين، ينظر : المثل السائر : ١٦٠/٢.

(٤) المثل السائر : ١٥٩/٢.

(٥) المثل السائر : ١٦٠/٢.

(٦) المكان نفسه.

(٧) المثل السائر : ١٦٠/٢.

والتحريض، والتعريض، والتمكن من إجراء الأوصاف على النفس؛ وبذا يتمكن التجريد من تحقيق التجاوب الخطابي بقدرتهِ الإبلاغية على حمل هذا الكم من المشاعر والأحاسيس، ثم طرحها في شكل جمالي من شأنهِ إحداث تأثيره في المتلقي بالتناسب مع طبيعة الخطاب، فتكمن بلاغة أسلوبِ التجريدِ في تحقيقهِ المبالغة وفقاً لوجود صفة في المنتزع منه، فقد بلغ من الاتصاف بها مبلغاً عظيماً إلى درجةِ أن صارَ يفيضُ بها على غيرهِ، مُثيراً الخيال بما في أقسامه من تصويرٍ وتخييلٍ وتنويعٍ وتلوينٍ في الصياغة، ولا يخفى على السامع أن مثل هذا الكلام يقعُ في النفس موقعه؛ لأن من شأن العقول التي أوقضت ونبهت أن تصغي بعناية، وعندئذٍ يقع بها الكلام بما فيهِ من تصويرٍ وتخييلٍ موقعاً حميداً.

ثانياً : أقسام التجريد وصوره :

وتأسيساً على ما ذكره ابن الأثير من فوائد يمكن تقسيم التجريد إلى قسمين:

القسم الأول : التجريد المحض :

ومعناه أن يأتي المتكلم بكلامٍ هو خطابٌ لغيره، وهو يقصد نفسه، وذلك كقول بعض المتأخرِّين في مطلع قصيدةٍ لهُ(١) :

إلامَ يراك المجدُ في زيِّ شاعرٍ ... وقد نَحَلت شوقاً فروعُ المنابرِ
كَتمْتَ بعيبِ الشِّعرِ حلماً وحكمةً ... ببعضهما ينقادَ صعبُ المفاخرِ
أَمَا وأبيكَ الخير إنّكَ فارِسُ الـ ... مَقال ومُحيي الدَّارساتِ الغوابرِ
وإنَّكَ أعييتَ المسامِعَ والنُّهَى ... بقولك عما في بطونِ الدَّفاترِ

فقد أجرى الشاعر في هذه الأبيات الخطاب على غيرهِ، وهو يريد نفسه، ((كي يتمكن من ذكر ما ذكره من الصِّفات الفائقة، وعدِّ من عدَّه من الفضائل التائهة، وكل ما يجيء من هذا القبيل فهو التجريد المحض))(٢).

---

(١) وهو الشاعر المعروف بالحَيْصَ بَيْصَ : وهو أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن صيفي التميمي، الملقب بشهاب الدين، والمعروف بالحيصَ بيصَ، الشاعر المشهور، كان فقيهاً شافعي المذهب، أجادَ في الأدب ونظم الشعر مع جزالة اللفظ، وله رسائل بليغة، وكان أخبر الناس بأشعار العرب واختلاف لغتهم، توفي سنة (٥٧٤هـ) ببغداد، ودفن في الجانب الغربي في مقابر قريش، ينظر : وفيات الأعيان : ٣٦٢/٢، الفوائد المشوق : ١٦٧، والأعلام : ٨٧/٣.

(٢) المثل السائر : ١٦١/٢.

وقد خالف السكاكي ابن الأثير في إجراء هذا التطبيق على أسلوب التجريد، وعدّه من الالتفات[1]، ومن الشواهد التي قُصد بها إفادة التوسع في الكلام خاصة، ما أورده ابن الأثير من قول الشاعر[2] :

حننتَ إلى ريّا ونَفسُكَ باعدتْ　　مزارَك من ريَّا وشعباكُما معاً

فما حسنٌ أن تأتي الأمرَ طائعاً　　وتجزعَ أنْ داعي الصبابةِ أسَمعا

وأذكرُ أيام الحمى ثمَّ أنثني　　على كبدي من خشيةِ أنْ تصدَّعا[3]

بنفسي تلكَ الأرضَ ما أطيب الرُّبا　　وَمَا أحسنَ المُصطافَ والمتَربَّعَا

فلو اكتفى الشاعر بذكر البيتين الأول والثاني لكان الخطاب تجريدياً محضاً بليغاً، ولو استمر على هذه الحالة في الخطاب لما قُضي عليه بالتوسع، وتأسيساً على ذلك يؤول البيتان ((بأن غرضه من خطاب غيره أن ينفي عن نفسه سُمعة الهوى ومعرَّة العشق؛ لما في ذلك من الشهرة والغضاضة))[4]، لذا جاء البيتان الثالث والرابع فأزالا هذا التأويل بانتقالهِ عن التجريد أولاً إلى خطاب النفس والتوسع في الكلام، وعلى هذا الأسلوب أي – التوسع في الكلام – ورد قول أبي الطيب المتنبي[5] :

لا خيلَ عندكَ تُهديها ولا مالُ　　فلْيسعد النُّطقُ إن لم تُسعدِ الحالُ

وْاجز الأميرَ الذي نعماهُ فاجئَةٌ　　بغير قولٍ ونعمى القوم أقوالُ

وقد نفى ابن الأثير أن يكون في البيتين ((ما يدلُّ على وصف النفس، ولا على تزكيتها بالمديح؛ وإنما هو توسُّعٌ لا غير))[6]، وفي هذا التوسع قبولٌ عند

---

(١) ينظر : مفتاح العلوم : ٢٩٦.

(٢) هو الصِّمة بن عبد الله القشيري من شعراء الحماسة، كان شريفاً ناسكاً عابداً غزلاً شاعراً مُقلاً من شعراء الدولة الأموية (ت ٩٥هـ)، ينظر : ديوان الحماسة : ٢٢٩.

(٣) رواية ديوان الحماسة تجعل هذا البيت أخر الأبيات التي اختارها أبو تمام جميعاً، وتورد البيت الذي بعده قبل هذا البيت بخمسة أبيات، ينظر : ديوان الحماسة : ٢٢٩.

(٤) المثل السائر : ١٦٢/٢.

(٥) هذان البيتان من مطلع قصيدة يمدح فيها أبي شجاع فاتكا الإخشيديّ بمصر، وهي من غُرر شعره، بنى مطلعها على التوسع في الخطاب بمدحِ فاتك بالابتداء بالوصل قبل المدح، ديوان المتنبي : ٢٧٦/٣.

(٦) المثل السائر : ١٦٢/٢.

السامع وتطريةٌ لنشاطه، وتقوية لإدراكه الحسي في تخيل ما يمكن أن يتوقعه بالعدول عن أسلوبٍ إلى آخر.

القسم الثاني : التجريد غير المحض :

أما القسم الثاني من أقسام (التجريد) التي ذكرها ابن الأثير هو (التجريد غير المحض) ويُراد به : ((خطابٌ لنفسك لا لغيرك))(١)، ونتسائل هنا إذا كان الخطاب موجهاً للنفس مباشرةً ولا يحمل في طياته أي عدولٍ أو انتزاعٍ أو تجريدٍ، فكيف يُنسب لأسلوب التجريد، وما الفرق بين هذا القسم وبين الذي قبله؟

ذكر أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) –رحمه الله–(٢) : إنَّ العربَ تعتقد أنَّ في الإنسان معنًى كامناً فيه كأنه حقيقته ومحصوله، فتُخرج ذلك المعنى إلى ألفاظها مجرّداً من الأنسان كأنه غيره، وهو هو بعينه، نحو قولهم : ((لئن لقيتُ فُلاناً لتقلينَّ به الأسد، ولئن سألتهُ لتسألنَّ منهُ البحر، وهو عينه الأسدُ والبحر))(٣)، وقد أجاب أبو علي الفارسي بهذا القول عن استفهامنا في كيفية احتمال نسبة كلام النفس المباشر لأسلوب التجريد، مؤكداً أن الإنسان قد يخاطب نفسه، ويخيل إليه أنه يُقاول غيره، وبذلك ((لمس أبو علي الفارسي جانب القضية الفني))(٤)، وهنا يتضح الفارق الدلالي بين القسمين، فالتجريد المحض فصل واضح للمتكلم عن المخاطب بالعدول عن التصريح بالحقيقة إلى ما يقاربها وفقاً لإجراءات تنويع الخطاب واستهداف معاني محددة مقصودة تستدعي انتباهاً خاصاً لدلالتها المستمدة من قيمة الانتزاع الأسلوبية،

---

(١) المكان نفسه.

(٢) هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي الفسوي، كان إمام زمانه في علم النحو، صاحب كتاب (الإيضاح في النحو) و(الحجة) في القراءات، جرت بينه وبين أبي الطيب المتنبي مجالس، وصحب عضد الدولة حتى قال عنه : أنا غلام أبي علي في النحو، ولد سنة (٢٨٨هـ)، وتوفي ببغداد سنة (٣٧٧هـ)، ينظر : وفيات الأعيان : ٨٠/٢.

(٣) الخصائص : ٤٧٦/٢، والمثل السائر : ١٦٤/٢.

(٤) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور : ٤٨٦.

وتسهم في تطوير الدلالة بالمحافظة على أساليب توصيل الخطاب والإبانة والإفصاح عنه، ومثَّل ابن الأثير لهذا القسم من أقسام التجريد بقول الشاعر(١) :

أقولُ للنفسِ تأساءً وتعزيةً إحدى يديَّ أصابتني ولم تُرِدِ

كلاهما خَلَفٌ من فُقدِ صاحِبِهِ هذا أخي حين أدعُوهُ وذا ولِدِيَ

وهنا نُقر لابن الأثير بالدقة والضبط والتنظير الأسلوبي لظاهرة التجريد بنوعيه، وإبراز قيمتهِ الفنية ذات الخصوصية التي يقتضيها المقام على الرغم مما أخذ عليه من ادعاءات وتعليقات هشة وهبوط في قدرته على العرض الشعري، وعدم إجادته التامة في إجراء الأوصاف الفنية والصور الداخلية التي يتضمنها أسلوب التجريد وأقسامهِ، ومحاولاته الفاشلة في تشقيق جدل منطقي في ردوده على أبي علي الفارسي(٢)، ((ومع ذلك فإن مثل هذه اللمسات التي تتناول داخل البناء اللغوي وتتنبه إلى فنية التركيب الأدائي تشكل جانباً طيباً لو أُتيح لها النمو وعدم الانسراب داخل متاهات الجزيئات))(٣)،

واستطاع الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) بمقتضى تعريفه للتجريد بقوله: ((هو أن ينتزع من أمرٍ ذي صفةٍ أمرٌ آخر مثله في تلك الصفة، مبالغةً في كمالها فيه))(٤)، أن يُدعم أسلوب التجريد بأركانٍ ثلاثة :

الأول : المجرد منه : وهو الموصوف المنتزع منه أمر آخر.

الثاني : المجرد : وهو الأمر الذي انتزع من الموصوف.

الثالث : الصفة : ويُراد من بيانها المبالغة فيها.

---

(١) اختار أبو تمام هذين البيتين ونسبهما لأعرابي قَتَلَ أخوه ابناً لهُ، فقدِم إليه ليقاد منه فألقى السيف من يده، وقال الشعر مخاطباً به نفسه شاكياً متوجعاً من ألم الفراق على الأخ والابن، طلباً للتأسي وحسن الصبر، فالمخاطبُ هو المخاطب بعينه، ولا يصلح أن يكون خطاباً للغير، ينظر : ديوان الحماسة : ٣٧، وينظر : الخصائص : ٤٧٨/٢.

(٢) ينظر : فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور : ٤٨٥.

(٣) المصدر نفسه : ٤٨٨.

(٤) الإيضاح : ٢٧٤، بغية الإيضاح : ٣٨/٤.

إلاَّ أنه لم يُحدد أقسامه، مكتفياً بذكر أمثلة للتجريد توحي بأنه على أنواع منها ما يكون بالباء ومنها ما يكون بـ (من)، ومنها ما يكون بمخاطبة الغير، مورداً شاهداً قرآنياً وأمثلة شعرية[1]، سنأتي على تفصيل ذلك لاحقاً.

ومفهوم أسلوب التجريد أسبقُ من القزويني بكثير[2]، وشواهدهُ سبق إليها ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في الخصائص[3]، وهي الشواهد التي تكررت في الكتب البلاغية في حديثهم عن أسلوب التجريد، إلاَّ أن البحث وَجَدَ أن القزويني قَرَنَ التجريد بالمبالغة المقبولة وجعلها وسيلةً من وسائل التجريد، وتبعهُ في ذلك شراحه[4]، ولم يجد البحث أحداً من البلاغيين سارَ على نهج القزويني في إيجاد علاقةٍ بين (التجريد) و(المبالغة)، وبذلك نؤكد أن التجريد مصطلحاً يُحقق توازناً بين أمرين من خلال انتزاع صفة من أحدهما وإجرائها للآخر في نوعٍ من المبالغةِ، فقد ينفصل المتكلم عن ذاتهِ أحياناً ويتخذُ منها آخر يخاطبهُ ويحاورهُ، أو يجادلهُ ويسأله، أو يمدحهُ ويعظمهُ، فهو بذلك يأتي لإفادة المبالغة، وذلك لإدعاءكمال الصفة في أمرٍ ما، حتى كأنه بلغَ من الاتصافِ بها مبلغاً يصحُ معهُ أن يُنتزع منهُ موصوفٌ آخر متصفٌ بتلك الصفة، وبذلك يمكننا القول أن مبحث التجريد، ينسبُ في تراث المتقدمين الى أبي علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) وتلميذه ابن جني (ت٣٩٢هـ) إذا انتهى

---

(١) ينظر : الإيضاح : ٢٧٥، وبغية الإيضاح : ٤٠/٤.

(٢) ذكر سيبويه (ت ١٨٠هـ) في باب (ما يختارُ فيه الرفع ويكون فيه الوجه في جميع اللغات)، قال : ((ولو قال : أمَّا أبوك فلك أبٌ، لكان على قوله : فَلَكَ بهِ أبٌ أو فيه أبٌ، وإنما يريد بقولهِ: (فيه أبٌ) مجرى الأب على سعةِ الكلامِ، وليس إلى النصب ههنا سبيل))، الكتاب : ٣٩٠/١.

(٣) أفرد ابن جني (ت ٣٩٢هـ) للتجريد باباً يقول فيه ((اعلم أن هذا فصل من فصول العربية طريقٌ حسن، ورأيت أبا علي –رحمه الله– به غرياً معّنيا ولم يفرد له باباً؛ لكنه وسمه في بعض ألفاظهِ بهذه السمة، فاستقريتها منه وأنقت لها. ومعناه أن العرب قد تعتقد أن في الشيء من نفسه معنى آخر كأنه حقيقته ومحصوله. وقد يجري ذلك إلى ألفاظها لما عقدت عليه معانيها. وذلك نحو قولهم : ((لئن لقيت زيداً لتقلين منه الأسد))، و((لئن سألته لتسألن منه البحر))، الخصائص : ٤٧٣/٢، وقد ذكر الدكتور أحمد مطلوب أن أبا علي الفارسي من أوائل الذين تعرضوا لهذا الأسلوب وسمّاه تجريداً، ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٤١/٢، وتبع الدكتور أحمد مطلوب في هذا التصريح الدكتور منير السلطاني، ينظر : البديع تأصيل وتجديد : ١٧٤.

(٤) ينظر : بغية الإيضاح : ٤١/٤، شروح التلخيص : ٣٦٨.

اليهما الدلالة على مفهومهِ وترسيخ قواعدهِ وبيان أثره الأسلوبي في توجيه الدلالة وتحديد موقعها، فكان جدهما طريقاً ممهداً يفتح المجال خصباً لمن جاء بعدهم.

ومن خلال تتبع شواهد التجريد في القرآن الكريم يستوقفنا قوله تبارك وتعالى :

﴿❶⬧🕒◉♍♎⌨⊠ ♉⊠❽♦✂✏↗↓ 🕮❑↖⇳⑨⊠✂✏↗♎
✂✍✂★ ✂✍♍✡❑✍❻↓ ☎ ▭❍●←☠⬀ ▫♎❸🙵❑✍
⑩⊠✂❻↓ ✂✍🖳⬂③➔✂▫✍♎ ☎ ♉⊠❽♦✂✏↗☹
▤♎🗄❑✍ 🖅⊠🔔⬖❑✂☎ 🖃⬨★♦✍③♦🕒☝♎☪♦✍
❻⬧♑⬂⊠⑨←❑♌♦ ⬀♎✂⬗ ❑♦🔔⬧✍✌♦ ✂✍✏⅄🔔♎⇦✖♦
🖹⬧🗄⊠❷↖❑✂☎ ❻♦🖃✹☪♦✍✏ 🕮❑❻🙽☼♦✍
✂✍✏⅄🔔⬧⇦⬂✖⬀ 🕮❑⬲✿⊠⬝☼♦✍ 🖎♎♊⌘
✂✍🖳⬂♑♊♎⬘ ❑♦“☼⬛⬏
✂✍🖳⬂♑⬜⊠➔⊠⬛▫♑←☺⊠✍ 🖎❑♦⬂✹✿
🕮❑🔔⬂⑨⊠✂🖎♎☪◆✍ ◉♍♎⓿♦▤↗❑☼♦✍ 🖎♎♊⌘
✂✍❀☞♋⬄🗄⊠⬛♒✓✖♦﴿[فصلت : ٢٨-٢٩].

بين الحقُّ تعالى في هذه الآية سنته في الخلق الذين يعرضون عن دين الهدى والإسلام، وأخبر مؤكداً أنه سيذيق الذين كفروا عذاباً شديداً يوم القيامة ويجزيهم بحسب أقبح سيئاتهم التي كانوا يعملون، وذلك الجزاء المتوعد هو جزاؤهم العادل، النار في دار الخلد والإقامة الدائمة، فالتجريد ظاهرٌ في قوله تعالى :

﴿▭❍●←☠⬀ ▫♎❸🙵❑✍ ⑩⊠✂❻↓ ✂✍🖳⬂③➔✂▫✍♎﴾

أي : لهم في جهنم، وهي نفسها دار الخلد بالنسبة إليهم؛ لكنه سبحانه وتعالى انتزع من جهنم داراً أُخرى مثلها في الصفة هي دار الخلد، يعذبُ فيها الكفار والمنافقين وجعلها معداً لهم، مبالغةً في وصف شدة العذاب الذي سيلاقيه أعداء الله، وكأنهم سيُعذبون في دارين، الأولى : جهنم الحقيقية، والثانية : جهنم التي انتزعت من جهنم الأولى، مبالغةً في التهويل والتعظيم لأمرها الشديد.

وقد علَّق عبد القاهر الجرجاني على هذه الآية بقوله : ((والمعنى: –والله أعلم– أنَّ النار هي دار الخلد، وأنت تعلم أن لا معنى ههنا لأن يُقال : إن النار شُبهت بدار الخلد، إذ ليس المعنى على تشبيه النار بشيء يسمى دار الخلد، كما تقول في زيد: إنه مثل الأسد، ثم تقول : هو الأسد، وإنما هو كقولك : ((النار منزلهم

ومسكنهم))[١]، وبذلك أخرج عبد القاهر الجرجاني أسلوب التجريد من باب الاستعارة؛ لأنهما في الحقيقةِ لا يجريان مجرىً واحدٍ، أما الزمخشري فقد أكدَّ إجراء التجريد في الآية مفسراً معناها بقوله : ((أنَّ النار هي نفسها دار الخلد))[٢] مشبهاً هذا الأسلوب بقوله : ((لك في هذه الدار دارُ السرور، وأنت تعني الدار بعينها))[٣]، في الوقت الذي ذهب فيه البقاعي إلى تفسير قوله تعالى : (دار الخلد) بأنها ((المحل المحيط بهم مع إيذانه بالدوام واللزوم وعدم الانفكاك، وهو على التجريد بمعنى : هي لهم دار خلود كما كان لهم في الدنيا دار سرور))[٤]، وذكر أبو السعود أن جملة (لهم فيها دار الخلد) ((جملة مستقلة مقررة لما قبلها، أو النار مبتدأ هي خبره أي: هي بعينها دار إقامتهم على أن (في) التجريد وهو أن ينتزع من أمر ذي صفةٍ أمرٌ آخر مثله مبالغة لكماله فيها))[٥].

وأكد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) أن التعبير القرآني في هذه الآية جاء وفقاً لإجراءات التجريد الصريحة بقولهِ : ((وهذا من أسلوب التجريد؛ ليفيد مبالغة معنى الخلد في النار، وهو معدود من المحسنات البديعية))[٦]، وهنا يتأكد للبحث أن أسلوب التجريد يعتمد على بنية التركيب الأدائي، متناولاً داخل البناء اللغوي وفنيتهِ بحيث يشكل ذلك البناء وحدة هندسية تشكيلية متماسكة تعكس ظاهر الكلام من جهة وخفاياه الباطنية من جهةٍ أُخرى.

وقد أكد ابن قيم الجوزية (ت٧٥١ هـ) أن التجريد يأتي على قسمين :

القسم الأول : هو ما جُعل تحت عنوان ((خطاب الغير والمراد به المتكلم وهو أولى بأسم التجريد، وفائدته مع التوسع في الكلام أن يثبت الإنسان لنفسه ما لا يليق التصريح بثبوته لهُ))[٧]، مُعللاً أن ذلك قد يكون فضيلة له، فأطلق عليه.

---

(١) أسرار البلاغة : ٣٣٥.

(٢) الكشّاف: ١١٢/٤.

(٣) المكان نفسه.

(٤) نظم الدرّر : ١٨٠/١٧.

(٥) إرشاد العقل السليم : ١٢/٨.

(٦) التحرير والتنوير : ٢٧٩/٢٤.

(٧) الفوائد المشوق : ١٦٧.

القسم الثاني : هو ((خطابُ المتكلم لنفسه مُخيلاً لها أنَّ معهُ غيره))[١] مستشهداً بقول الأعرابي الذي قتل أخوهُ ابنه[٢]، مؤكداً أن هذا النوع في القرآن العظيم كثيرٌ جداً، إلاَّ أنه لم يذكره في هذا الموضع، وأشار إليه في فصل تلوين الخطاب[٣]، مما يؤكد ارتباط هذه المظاهر البديعية وفقاً لعلاقات أسلوبية تعتمد على الخطاب العدولي بالخروج عن ما هو مألوفٌ في الأصل ما يُقابله إيهاماً بأن المراد هو : وقد ظهر أثر هذا الإجراء واضحاً في دليلٍ آخر من دلائل ولاية الله تعالى للمؤمنين وإخراجه لهم من الظلمات إلى النور، وتوجيه الأمر بالذكر في العديد من الوقائع المقصودة بالتذكير والتفصيل كأنها حاضرة مشاهدة عياناً ممثلة في دعاءِ سيدنا إبراهيم عليه السلام واستعطافهِ بلفظةِ (ربِّ) في قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ **[البقرة: ٢٦٠]**.

قال القرطبي (ت ٦٧١هـ) : ((الاستفهام بـ (كيف) إنما هو سؤال عن حالةِ شيءٍ موجودٍ متقرر الوجود عند السائل والمسؤول))[٤]، فأوحت دلالة السؤال في هذا التعبير تأييد شيء مُتيقن بالعيان أصلاً أُريد منه ازدياد اطمئنان قلب سيدنا إبراهيم عليه السلام فهو أثبت الناس إيماناً وأقواهم يقيناً بقدرة الله عزَّ وجلَّ، وقد جاء ضربُ المثل بالطير تخصيصاً؛ ((لأنه أقرب إلى الإنسان وأجمع لخواص الحيوان))[٥]؛ لذا جاءت

---

(١) الفوائد المشوق : ١٦٧.

(٢) ينظر : ص من المبحث.

(٣) ينظر : الفوائد المشوق : ٩٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٣١١/٤، وقد سبق أن تناول ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ) دلالة الاستفهام بـ(كيف) وإيحاءاته في التعبير القرآني، ينظر : المحرر الوجيز : ٣٥٣/١.

(٥) إرشاد العقل السليم : ٢٥٦/١.

هذه القصة دليلاً مؤذناً بقدرة الله تعالى على البعث والنشور فضلاً عن إيذانها ((بأن ترتب تلك الأمور على الأوامر الجليلة واستحالة تخلفها عنها من الجلاء والظهور بحيث لا حاجة له إلى الذكر أصلاً))[١]، وكشف الأسلوب الحواري عبر الخطاب المباشر بين الله تعالى وبين نبيهِ الخليل عليه السلام عن دقةِ التعبير الدلالي واختيار اللفظ الموافق للدلالة على فضل الخليل عليه السلام ويمن الضراعةِ في الدعاءِ وحُسن الأدب في السؤال، فقد طلب الخليل عليه السلام ((بالسؤال تلويحاً، وأجيب بالمنع منها بوصف العزة تلويحاً))[٢]، وخُتم التعبير بأسلوبٍ تجريدي محض عَدَلَ فيه عن قولهِ تعالى : (وأعلم أني عزيزٌ حكيم)؛ إقتضاءً لما يتطلبه السياق القرآني من استكمال أوجه الخطاب والمحاورة، وجُرِّد التعبير بانتزاع الكلام مخالفةً لمقتضى الظاهر فقال تعالى : ﴿□◆✈︎✂︎✍︎⬂✍︎■☠︎⬀ 📖□♌︎□ ✂︎✍︎✏︎⅄ ⬉◆⑩✍︎③⑧⬊ ❍□⬓▤⬘⬈☹︎⪪﴾ تأكيداً على أنه سبحانه غالبٌ على أمره لا يعجزه شيء عما يريده، ذو حكمةٍ بالغة في أفعالهِ.

ونظيرهُ قوله تعالى : ﴿□◆■☺︎●✍︎ ✍︎◆⌨︎◆✓□▫︎✍︎ ✍︎◆❍⬅︎⏀ 🔔◆✍︎✌︎◆ 📖□⬉⇳☠︎■⬉ 📖□♌︎□ ✂︎✍︎✏︎⅄ ⬉◆✍︎■❼▤ ▤➔✍︎♏︎✍︎ ★⌧✍︎⬄⬈📖 🔔◆⑨✍︎③❷⌧﴾ [البقرة : ٢٥٩]، بوصل الألف على قراءة حمزة والكسائي، وهنا يحمل لفظ (أعلم) وجهين[٣]:

الأول : قال له الملك : أعلم، أي أمرهُ بالعلم والتثبت.

الثاني : هو أن يُنزل نفسه منزلة المخاطب الأجنبيِّ المنفصل، وعلى أساس ذلك يكون المعنى : ((فلما تبين له قال لنفسه : أعلمي يا نفس هذا العلم اليقين الذي لم تكوني تعلمين معاينةً))[٤]، والمعنى الثاني هو الأدق ((وهو جائز حسن))[٥].

ثالثاً : فاعلية التعبير بالتجريد في المظهر البديعي :

---

(١) إرشاد العقل السليم : ٢٥٧/١.

(٢) نظم الدّرر : ٧٢/٤.

(٣) ينظر : المحرر الوجيز : ٣٥١/١، الجامع لأحكام القرآن : ٣٠٨/٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٣٠٨/٤.

(٥) المصدر نفسه : ٣٠٩/٤.

يحقق أسلوب التجريد فنية التركيب الأدائي بين أمرين عن طريق الانتزاع لصفةٍ ما وإجرائها على الآخر في نوعٍ من المبالغةِ، يقولُ ابن جني : ((أعلم أن هذا فصل من فصول العربية طريفٌ حسنٌ))[1]، وكما هو واضحٌ من المظاهر التي جاء عليها هذا الفن أنه ليسَ مجرد تفنن في طريق القول وتنويع له بالانتقال من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ ومن صيغةٍ إلى أخرى؛ ولكنه إلى جانب ما سبق قَصَدَ إلى معانٍ وأغراض حين يأتي بالكلامِ ظاهرهُ خطاباً لغيرك وأنت تريده خطاباً لنفسك، فتكون قد جرّدت الخطاب عن نفسك، وخصصته لغيرك، وهذا يؤكد أن التجريد بأنواعهِ المتعددة يُعين المتكلم على تأدية المعنى بطرائق وأساليب متنوعة، وكذلك يُتيح له مدحَ نفسه وخطابها وإيجاد القبول من السامعين؛ لانتزاعهِ من نفسه شخصاً آخر يمدحه ويُثني عليه والسامع يُصغي إلى ذلك فيرحب به نظراً لأن المدح في ذهنه لغير المتكلم فلو كان العكس من ذلك بأن يقع المدحُ مباشرةً دون تجريد فإنه في هذه الحال يكون ثقيلاً على الناس وترفضه الأسماع، ولا تصغي إليه؛ بل يُقابل بالتجاهل نظراً لتيقنهم من غرور المتكلم وافتتانهِ وإعجابه بنفسه، وهذا ما تمجه الفطرة السليمة.

ففي التجريد نلمحُ إثراء للمعاني وتوسيعاً لها، ومبالغةً في الصفة التي يُراد إثباتها للمتكلم أو المتحدث عنهُ فيتمكن بذلك من إجراء الأوصاف المقصودة من مدحٍ أو غيرهِ على نفسهِ إذ يكون مخاطباً بها غيره فيكون ذلك أعذر لهُ، فالمبالغة في وجود الصفة في المنتزع منه إثارةً للخيال وتنشيطاً للأذهان وتنبيهاً للعقول بما في أساليب هذا اللون البديعي من تصويرٍ وتخييل وتوسيع في الصياغةِ، ولا يخفى على السامع أن مثل هذا الكلام يقع في النفس موقعه؛ لأنه من شأن العقول التي أوقضت وتنبهت أن تصغي بعناية، وعندئذ يقع بها الكلام بما فيه من تصوير وتخييل موقعاً ملائماً، وبذلك يُحقق أسلوب التجريد انسجاماً تاماً وإحكاماً للصياغة اللغوية يبدو أثرها الجلي في دقة التأليف وسبك النظم وتوافق الألفاظ مع المعاني إبرازاً لبلاغة الكلمة العربية عموماً والقرآنية على وجه الخصوص.

---

(١) الخصائص : ٤٧٥/٢.

ومن اللافت أن هناك علاقةً واتصالاً يمكن إدراكهُ بين أسلوب التجريد وأسلوب الالتفات من خلال تتبع الأثر الفني والأسلوبي والدلالة اللغوية للمصطلحين، وإلى هذا المعنى أشارت العديد من الدراساتِ البلاغية الحديثة، من أبرزها ما جاء في كتابِ فلسفةِ البلاغةِ بين التقنية والتطور حيث أكد الدكتور رجاء عيد أن ((ما نذكر لهُ – أي ابن الأثير – حُسن فهمهِ لما عُرف بمصطلح (التجريد) عندهُ وهو قريبٌ من الالتفات، وحبذا لو تمكن البلاغيون من ضمِّ شتات هذه المتفرقات لتعطي مصطلحاً واحداً))[1]، وأكد الدكتور رجاء عيد على أن التجريد صورةٌ فنيةٌ متمثلة بالحوارِ الداخلي فهي ألصقُ بذاتِ الفنانِ وأدلُ على التصاقهِ الفني والنفسي بأدائهِ الفني[2].

ومن هنا يمكننا القول إن مصطلح التجريد يرتكزُ على بنية التركيب الأدائي متناولاً داخل البناء اللغوي وفنيته بحيث يكون ذلك البناء وحدة متآلفة وهندسة تشكيلية، تأمل قوله تبارك وتعالى : ﴿ ·♍︎♐︎◑ ❼♐︎× ⌘◰■▫︎◫✍ ⚗︎☠︎⏲◆❑⏲◰☺○○♑︎◙✂︎◆❑ ⬘✓⬀❻☞❀✂︎◆❑ ✂︎⏲■◘⚗︎☞⬃⌘✂︎◆❑ ✍︎⛽︎⬂❿⅄♑︎◙✂︎ ⚡︎❻❑&❑❅♑︎◙✂︎◆❑ ▭●*⏲♦︎③✞◰ ❼⚡︎🖫🕯❑❄☯❀ ✂︎❀☞◙♑︎⬂⌛♦︎⏲■⚐ ﴾ **[آل عمران: ١٩٠].**

ذَكَرَ الله سبحانه وتعالى في هذه الآية كل ما يدّل على غناه، وافتقار العباد إليه، وما يدّلُ على ربوبيته لخلقهِ، وتدبيره لحياتهم وتصرفهِ في أمورهم، ففي إيجاد السموات والأرض من العدم، وفي اختلاف الليل والنهار بالطول والقصر والظلام والضياء، والتعاقب بذهاب هذا ومجيء ذاك، دلائل واضحات على قدرة الله تعالى، وبراهين ساطعة على ربوبيته لخلقهِ، وهي مظاهر عظيمة تبدو للناس في هذا العالم حتى يكون إيمانهم مستنداً إلى اليقين، قال الزمخشري في صفة أولي الألباب : ((هم الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار، ولا ينظرون إليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفِطَرِ))[3]، وبديع الخلق في الكون وفي النفوس، وقد

---

(١) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور : ٤٨٥.

(٢) يُنظر : المكان نفسه .

(٣) الكشّاف : ٣٩٨/١.

صُدرت الآية الكريمة بحرف (إنَّ) للاهتمام والعناية بتحقق مضمون الجملة، فقد صوّر السياق القرآني ((خطوات الحركة النفسية التي ينشئها استقبال مشهد السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار في مشاعر أولي الألباب تصويراً دقيقاً))[1]، زيادة على أنها في الوقت نفسه تمثل تصويراً إيحائياً يمنح الدلالة منهجاً في التخاطب ((فظاهر الآية أن في العالم من نفسهِ آيات، وهو عينه ونفسه تلك الآيات))[2]، وهنا يتضحُ أسلوب التجريد في اعتماده داخل البناء اللغوي، فهو توسعٌ في الكلام يمنح الصياغة اللغوية الإحكام التام والتوافق الدلالي.

ونظير ذلك ما جاء في قوله تعالى : [illegible] [ق:٣٧]. وقوله: [illegible] [الأنعام: ٩٥][3]، [illegible] [مريم: من الآية٦].

رابعاً : أنماط التجريد وأثرها في التعبير القرآني :

ذكر الخطيب القزويني لأسلوب التجريد صوراً متعددة؛ إلاَّ أنه لم يفصل القول فيها، ولم يخضعها لضوابط قياسية تُعرف بها، واكتفى بذكر الأمثلة لسبعةِ أقسامٍ منها[4]، ووجد البحث أن ابن معصوم المدني فصَّل ذكرها بعد أن حدد معنى التجريد في اللغةِ والاصطلاح بقولهِ : ((وفي الاصطلاح أن ينتزع من أمرٍ مُتصف بصفةٍ أمرٍ آخر مثله في تلك الصفة؛ مبالغةً لكمالها فيه حتى كأنه بلغ من الاتصاف بها

(١) في ظلال القرآن : مج١، ج٤، ص٥٤٥.

(٢) البرهان في علوم القرآن : ٤٤٨/٣.

(٣) المصدر نفسه : ٤٤٩/٣.

(٤) ينظر : الإيضاح : ٢٧٤، بغية الإيضاح : ٣٨/٤-٤١.

مبلغاً يصحُّ أن ينتزع منه أمر آخر موصوف بتلك الصفة))[1]، وأوضح المدني أقسام التجريد التي جمعت ما ذكره السابقون على النحو الآتي :

القسم الأول: التجريد الذي يكون بدخول (من) التجريدية على المنتزع منه.

ومما جاء في سياق هذا القسم من التجريد قوله تعالى: ﴿❒◆✂✎✍♋▲✍⬄✗◆ ③◆◑➔❒⊛♑❒♍♋ ❻◆❒✍✹✡❒✍ ♎❒✡⚘✍ ♌♊⇕ ♎❒♍♐♒◆✍ ♏❒♎♍⇕✓❒♎ ⇔◼⊠♎ ❒◆❶➔❻⚞⛌③✹⊙☝⚘✡❒✍ ◻◻❒▪❷➔⛨ ♎❒♎♎⇕♎✓♎♎ ❒◆✂✍⇕♉➔⊠◼▫✡❒✍ ⚘♑◼▫☺←☞✹◑✐✓▫♐ ◑♌♍◆✍♌✍⊙✍﴾ **[الفرقان: ٧٤]**. جاء التعبير القرآني في هذه الآية وصفاً لعباد الله الصالحين المتقين، الملتزمين بدعاءه تعالى إيماناً واعتقاداً بأن السؤال باب الجواب لقوله تعالى : ﴿✂✍⑩⬀♎♎❒❄♍❼☑ ♎❒♎⇔✌◆✗✐◼⇔ ⚘♑⬈♍⊡⬀﴾ **[غافر: ٦٠]**، وقد ((سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجاً وأعقاباً عُمَّالاً لله يُسرُّون بمكانهم وتقرُّبهم عيونهم))[2]، وهذه صفة للمؤمنين تُبين أثر الدعاء في منهجهم العقائدي؛ لأن ((دعاءهم هذا من أسباب جزائهم بالجنة وإن كان فيه حظ لنفوسهم بقُرّة أعينهم))[3]، فجاء دعاؤهم مُبتدءاً برزق الأزواج أولاً معطوفاً عليه الذرية؛ ((فليس شيءٌ أقرُّ لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله))[4] إذا نشأوا نشأة إيمانية صالحة، وقد جُمع ذلك لهم في صفة قرة أعين، وكأنه قيل : (هب لنا قُرَّة أعين)، ثم جاءت صفة (القُرَّةُ) مُفسَّرةً بقولهِ : (من أزواجنا وذرياتنا)، لتؤدي الآية دلالة أن يجعلهم الله لهم قُرة أعين، هذا على احتمال أن تكون (من) بيانية، أما إذا احتمل أن تكون ابتدائية فدلالة السياق حينئذٍ تكون بمعنى : هب لنا من جهتهم ما تقرُّ به عيوننا من طاعةٍ وصلاحٍ[5].

---

(١) أنوار الربيع : ١٥٣/٦.

(٢) الكشّاف : ٣٤٥/٣.

(٣) التحرير والتنوير : ٨١/١٩.

(٤) نُقل هذا القول عن محمد بن كعب : وهو من العلماء ذوي الرأي والعقل والفكر، كانت تصدر عنه الحكمة، ويُستضاء برأيهِ في المسائل الدينية، وفيما يعن من الأمر، الكشاف : ٣٤٥/٣، وينظر : المصدر نفسه : ٣٩٦/١.

(٥) ينظر : الكشّاف: ٣٤٦/٣.

ومن الملامح الأسلوبية الواضحة في هذا التعبير عمومية الدعاء وشموليته ((وكما سألوا التوفيق والخير لأزواجهم وذرياتهم سألوا لأنفسهم بعد أن وفقهم الله إلى الإيمان أن يجعلهم قُدوةً يقتدي بها المتقون))[1]، ليبلغوا بذلك الدرجات العليا من التقوى والإيمان، وقد آثر التعبير تنكير لفظة (أعين) دون (عيون)، ملائمةً لتنكير اللفظ قبله (قُرّة)؛ ((لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيرهِ إلاَّ بتنكير المضاف إليهِ))[2]، أي أن مقتضى السياق يوحي بدلالة هب لنا منهم سروراً وفرحاً، فضلاً عن أن المعنى المقصود هو (أعين المتقين)، وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم، وقد جوَّز الزمخشري تنكير (أعين)، لعلَّة أن المراد منها أعينٌ خاصة، وهي أعين المتقين[3].

وقد فَسَّر البقاعي (من) في هذه الآية بقولهِ : ((فـ (من) إما أن تكون مثلها في : رأيتُ منك أسداً، وإما أن تكون على بابها، وتكون القُرَّةُ هي الأعمال))[4]، أي : هب لنا منهم أعمالاً صالحة فجعلوا أعمالَ من يعزّ عليهم هبةً لهم، وأن لفظ (القُرَّة) مُفسراً بقوله : (من أزواجنا وذرياتنا)، وقد استحسن بعض البلاغيين أن تكون دلالة (من) في الآية ابتدائية؛ لأن (من) البيانية تشترط أن يتقدم عليها المبين، وهذا مخالف لما يتطلبه سياق (من) التجريدية[5].

القسم الثاني: التجريد الذي يكون بدخول (في) التجريدية الداخلة على المنتزع منه.

ومن أهم تطبيقاتها في البيان القرآني قوله تعالى : ﴿◉ᘓ⅄◑♦⑨⇧
✍☝▥◆⑥ ❼⚔✖ ⬀☠⬈▤♦ᘓ◉ ♦♌🔔☒✍ ⬅☐✌✍ ★✏✂
♦♌🔔☒✍ ♊◰☺🙵🙴ᘓ◉ ⮜☐◆☪✿○◰○ ➘☐◆☐⬄◆⬆🕮
☎✂☐⬉♉⬀❷♦❸ ⅄✏✂ ♦⛿⬀☐◆⓿⬂ᘓ◉✂◆☐

---

(١) التحرير والتنوير : ٨٣/١٩.

(٢) الكشّاف : ٣٤٦/٣.

(٣) ينظر : الكشّاف : ٣٤٦/٣.

(٤) نظم الدرّر : ٤٣٤/١٣، وأكد البقاعي أن أصل القُرّة البرد؛ لأن العرب تتأذى بالحر، وتستروح إلى البرد؛ فجعل ذلك كناية عن السرور، ينظر : المكان نفسه.

(٥) ينظر : عروس الأفراح : ٣٥٧/٤.

⅄✐♐✂ ♦❷☒✍⬧❶♦❑ ♦❷⬀⌘☞◻♐✂
✍☒✞⬧❷❸☪✂﴾ [الأحزاب:٢١]، لما أخبر الله تعالى عن المنافقين في غزوة الأحزاب بأحوالٍ هي غاية الدناءة، تنمُ عن جُبنٍ مفرط وتعدٍ على حدود الله – عز وجل – حتى بلغ بهم الأمر درجة تناسي رسول الله ﷺ – فأعرضوا عن مواساتهِ ومؤازرتهِ وتثبيتهِ بخلاف ما كان عليه حاله معهم حين آساهم بنفسه في الصبرِ على الجهاد، فجاء الردُّ حاسماً، أقبل عليهم إقبالاً يدُّلهم على تناهي غضب الله تعالى عليهم، فقال تعالى مؤكداً ومحققاً (لقد كان لكم) أيُها الناس كافة (في رسول الله) الذي جاء لإنقاذكم من كل ما يسوءكم، فهو أشرفُ الخلائق وهو (الأُسوة) أي القدوة العظيمة، على قراءة عاصم بضم الهمزة، وهي القراءة المشهورة(١)، ورسول الله ﷺ هو نفسه الأسوة الحسنة، لكن التعبير جَرَدَ من لفظ (رسول الله) صفة (الأُسوة الحسنة) مبالغةً في الوصف وتأكيداً عليه، وقد وجه الزمخشري الآية وجهين دلاليين(٢) :

أحدهما : أن الرسول ﷺ هو نفسه أُسوةٌ حسنة أي : قدوة، وهو المؤتسى به، كما تقول : في البيضةِ عشرون مَنَا حديد أي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد(٣).

الثاني : أن فيه ﷺ خصلةً من حقِّها أن يُتأسّى بها وتُتّبع وهي المواساة بنفسهِ، وقد أوحت صفة (الحسنةُ) بمُطلق الصبر في البأساء ((ونبه على أن الذي يحمل على التآسي به ﷺ إنما هو الصدق في الإيمان ولا سيّما الإيمان بالقيامة))(٤)، ويجري مجرى هذا القسم كل ما يكون التجريد فيه بدخول (في) على المنتزع منه، كقوله تعالى : ﴿⬄●⬅☠⬀ ⬟❸⬧□♐ ❿◻✂❻⬇ ✂♐⬛⬂③➔✂⬟♐⬟﴾ [فصلت: ٢٨]، فإن جهنم هي نفسها دار الخلد، لكن أُنتزع منها مثلها وجعل مُعّداً فيها للكفار تهويلاً لأمرها.

---

(١) يُنظر : الكشّاف : ٥٥٧/٣، ونظم الدّرر : ٣٢٣/١٥، وإتحاف فضلاء البشر : ٣٧٣/٢.

(٢) ينظر : الكشّاف : ٥٥٧/٣.

(٣) مَنَاً : مناً حديدٍ : كيلٌ وميزان، يثنى فيقال : منوان، الكشّاف : ٥٥٧/٣.

(٤) نظم الدّرر : ٣٢٣/١٥.

القسم الثالث: أن يأتي التجريد بدون توسط حرف، فيأتي بالأمر المنتزع على وجه يفهم من الكلام بقرائن الأحوال.

كقوله تعالى : ﴿▫♦⌧🙵●♦✁ ✁♒♦♠❖●⚪✸💣⚪ ✁♒♏⚪⚪☺⊠⚪🖊↗↓ ▫♦⌧⚪🕭☼♦✸💣⇳ ◻◆⑥⬀⑩⊠◻☪ 🖅⊠♒♒♒⑨♎⚪♎⊠♒🖊♌﴾ **[الرحمن:٣٧]**. بيّن الله –جلَّ وعلا– تشقق السماء يوم القيامة في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿◻◆✁♒☼♦⚪●✸💣⚪ ✁♒♏⚪⚪☺⊠⚪🖊↗↓ ▫♦♠⚪⑥❝ ③◆◻⬀✋♦⬥🖉⓪⌨ ◻◆✁♎⚪⑩◆◻➤﴾ **[الحاقة:١٦]**، وقوله تعالى : ﴿●⚪●♦✁ ✁♒♏⚪⚪☹◆♒🖊↗↓﴾ **[الانشقاق:١]**. وقوله تعالى : ﴿◻◆③◆◻⬀🏲◆ ✁♒♦♠❖●⚪✸💣⇳﴾ ﴿⛗■❖●⚪🖃← ✁♒♏⚪⚪☹◆♒🖊↗↓ 🖅🙵♒♒♏⬂⬄◆☺⊠🕓☠🖏﴾ **[الفرقان: ٢٥]**[1]، فقد جاءت الآية السابعة والثلاثون من سورة الرحمن مُعبرة بالوصف عن انشقاق السماء، وأنّها إذا انشقت صارت وردة كالدِّهان، أي : حمراء كلون الورد، وهنا يظهر التشبيه واضحاً حين شبه حالة انشقاق السماء بانشقاق الوردة ((والوردة تنشقُ من أعلاها حين ينفتح بُرعُومُها فيوشك أنّ هُنَّ تفطَّرنَ أن يخررن على الأرض))[2] لما فشا فيها من فسادٍ وإشراك بالله – جلت قدرته –؛ لذا قررت هذه الآية دلالة عظمة الله وجلاله في تبديل الأرض غير الأرض والسماء، بدليل قوله تعالى : ﴿③◆◻⬀🏲◆ ✍➔⌨◆⑨●✌⇖ ✁♒♏❀☛⑥⬀✓⇳ ◆❸⬀❷⊠➘ ✁♒♏❀☛⑥⬀✓⬙ ◻◆✁♒♎⚪⚪☺⊠🕓◻◆🕓☠← ☎﴾ **[ابراهيم: ٤٨]**، فتصبح السماء من كثرة الشقوق كأوراق الوردة، وهنا نلمح في الآية تشبيهين :

---

(١) أُختلف في (تشقق السماء) هنا، و(تشقق الأرض) في سورة (ق) فمنهم من قرأها بتخفيف (الشين) فيهما، ومنهم من قرأ بالتشديد، ينظر : إتحاف فضلاء البشر : ٣٠٧/٢.

(٢) التحرير والتنوير : ٣٠/٢٥.

التشبيه الأول : تشبيه السماء بالوردة[١]، وهو تشبيهٌ بليغ، أي : كانت كوردة، ووجه الشبه شدة الحمرة الحاصل بتغير لون السماء الأزرق المعروف إلى الأبيض فيصير لونها أحمر، دليلاً على كثرة الشقوق، كأوراق الوردة الحمراء.

التشبيه الثاني : تشبيه السماء بالدِّهان[٢]، أي أن السماء تصبح كالزيت المغلي، والرصاص المُذاب من شدة هول يوم القيامة واضطراب أحوالها، ووجه الشبه هنا التموج والاضطراب.

وقد أكد الزمخشري أن في الآية أسلوب تجريد على قراءة رفع (وردةٌ)[٣]، فيصبح المعنى: (حصلت منها سماءٌ وردةٌ)، ((وهو من الكلام الذي يسمَّى التجريد))[٤]، ومن خلال معرفتنا أن لـ((الواو، والراء، والدال أصلان، أحدهما: الموافاة إلى الشيء، والثاني: لون من الألوان))[٥]؛ نؤكد أن المعنى يصبح قريباً من دلالة (وردة) على (الفرس الوِرْد) الذي تتغير ألوانه وتختلف من حالٍ إلى حال، فيُقال للكميت : وردٌ، قال ابن عباس : فكانت كالفرس الوَرْد، في الربيع كميت أصفر، وفي أول الشتاء كميت أحمر، وإذا أشتد الشتاء تصبح كميت أغبر[٦].

وقد التفت البحث إلى أن أبا حيانٍ (ت ٧٤٥هـ) في تفسيرِهِ ينقل مصطلح التجريد من الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) نصاً ومثّل له بالآية الكريمة نفسها، قائلاً :

(١) الوردة : واحدة الورد، وهو زهر أحمر من شجرة دقيقة ذات أغصانٍ شائكة تظهر في فصل الربيع وهو مشهور، ينظر: التحرير والتنوير: ٢٦١/٢٧.

(٢) الدِّهان : بكسر الدال، جمعُ دهنٍ، يُراد به دردي الزيت، ينظر : الكشاف : ٣٢٣/٤.

(٣) وهي قراءة عمرو بن عبيد : هو من كبار المعتزلة، وفيه قال المنصور، لنسكه وحُسن سيرته :

كُلُّكُم طالبُ صيدٍ غير عمرو بن عبيدٍ ، ينظر : الكشّاف : ٢٢/١ و ٣٢٣/٤.

(٤) الكشّاف : ٣٢٤/٤.

(٥) المعجم القرآني : ٧١٧/٣.

(٦) الكميت : الفرس الذي خالط حمرته صفرة، أي (الأحمر القاني) ولون الأكمت الكمتة؛ ينظر : لسان العرب : مادة (كَمَتَ)، وينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٤٤/٢٠، والدر المنثور : ١٢٧/١٤.

((وقرأ عبيد بن عمير (وردةٌ) بالرفع، بمعنى : فحصلت سماءٌ وردةٌ))[١]، وكقول الشاعر[٢] :

فلئن بقيتُ لأرحلنَّ بغزوةٍ   تَّحوي الغنائمَ أو يَموتَ كَريمُ

فالتجريد واضح في البيتِ بقولِهِ (أو يموت كريمُ)، وقد أوحت لفظة (أو) هنا بدلالة (إلاَّ)، والفعل بعدها منصوبٌ بها، ويجوز رفعه عطفاً على (تَحوي)؛ لذا فإنَّ أثر التجريدُ ظاهرٌ بقرينة أنهُ عادلٌ بين احتوائهِ على الغنيمة وموت كريم، والجاري على الألسنة أن يُقال : لابُدَّ لي من الغنيمة أو الموت، فيفهم من البيت أن المراد من لفظ (الكريم) نفسه[٣]، وهنا يتبين أن المقصود من الكريم نفسه، فكأنه انتزع من نفسهِ كريماً مبالغةً في كلامهِ، لذلك عَدَلَ عن قوله : تحوي الغنائم أو أموت كريمُ، على سبيل المبالغة في تحقيق صفة الكرم والشجاعة فيه.

القسم الرابع : أن يأتي التجريد بدخول (الباء) التجريدية على المنتزع منه.

ومن أمثلة هذا القسم من التجريد قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ **[الفرقان:٥٩].**

أوحت الآية بدلالة التذكير بما لله تعالى من عظيم القدرة وما يلزمها من شمول العلم والحكمة البالغة، ولما كان تدبير الملك أمراً باهراً، أشار الله سبحانه وتعالى إليه بأداة التراخي (ثُم)، أي شرع في التدبر لهذا الملك الذي أوجدهُ من العدم، لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، وهو القادر على كل شيء، وقد عُدل عن قول (بينهنّ) إلى (بينهما)؛ لدلالته على المراد وهو الصنفين والنوعين

---

(١) أخطأ أبو حيان في نقله للأسم، فقال : عبيد بن عمير، والصواب ما أورده الزمخشري في كشافهِ، البحر المحيط : ١٩٤/٨، وينظر : الكشّاف : ٢٢/١.

(٢) وهو قتادة بن مسلمة الحنفي، وفيه يُقسِّم لئن عاش ليقومن بغزوةٍ يحوي فيها من الغنائم ما يشاء، وإلاَّ فالموت أجدرُ به، ينظر : ديوان الحماسة : ١٣٩.

(٣) ينظر : بغية الإيضاح : ٤٠/٤، الكلِّيات : ٢٧٤.

والشيئين[١]؛ ولأن السياق يقتضي قوله تعالى : (الذي خلق السموات وخلق الأرض)، مُشيراً بلفظ (الرحمن) إلى دلالة الرفق والحضّ عليه، زيادة على أنه دليلٌ على أن رحمة الله تسبقُ غضبه، وهو يُحسن إلى من يكفره، فالأجدر بعباده التخلق بهذا الخلق العظيم، ((والحاصل أنه أبدع هذا الكون وأخذ تدبيره بعموم الرحمة في إحسانه))[٢] لمن ينكر فضله ويجحد نعمته ويكفرها، ((ولما كان العلم لازماً للملك، سبب عن ذلك قوله على طريق التجريد : (فسئل به) أي بسبب سؤالك إياه (خبيراً) عن هذه الأمور وكل أمر تريده ليخبرك بحقيقتهِ ابتداءً وحالاً ومآلاً))[٣].

ذكر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في قوله تعالى : ﴿**فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً**﴾ معانٍ وقراءات عدّة منها[٤] :

أولاً : قُرِئ : فسَلْ : والباء في (به) صلةٌ (سَلْ) كقوله تعالى : ﴿♋◻♁□✌♦ ♋◻✍✎★✂⌨ ✍♐⮕◻⓿⊠✂☸▯ □♦✂♔✍⇗⍥﴾ **[المعارج: ١]**.

(فسألَ به) كقوله : اهتمَّ بهِ، واعتنى بهِ، واشتغل بهِ.

ثانياً : تكون (عن) صلةُ (فسَلْ)، كقوله تعالى : ﴿⚐⮕⚐○ ♎☞⬅○⇔★♦■⮕♊○ ③♦□⬁✌♦⌑✍⓿☸ ⬉♦♊⮘ ✂✍♎☪□⮕✍⑩⚐☞﴾ **[التكاثر: ٨]**.

و(سألَ عنهُ) كقولهِ : بحثَ عنهُ، وفتشَ عنهُ، ونقَّرَ عنه.

ثالثاً : المعنى : فسل عنه رجلاً عارفاً يخبرك برحمتهِ.

رابعاً : أو فسلْ بسؤالهِ خبيراً كقولك : رأيتُ به أسداً، أي : برؤيتهِ.

خامساً : أو معناه (إن سألتَه وجدتَهُ خبيراً).

سادساً : أو تريد به (فسَلْ عنه عالماً بكُلِّ شيءٍ)، بأن تجعله حالاً عن الهاء.

---

(١) ينظر : جامع البيان : ٦٢٠/٥، الجامع لأحكام القرآن : ٤٥٧/١٥.

(٢) نظم الدّرر : ٤١٥/١٣.

(٣) المكان نفسه.

(٤) ينظر : الكشّاف : ٣٣٩/٣، وقرأ (فسَلْ) بالنقل ابن كثير، والكسائي، وخلف وحمزة وقفاً، ينظر : إتحاف فضلاء البشر : ٣١٠/٢.

أما القرطبي (ت ٦٧١هـ) فقد نقل قول الزَّجاج (ت ٣٣١هـ) ((المعنى : فاسأل عنه خبيراً))[١]، ممثلاً لهُ بمثال الزمخشري القرآني[٢]، وقول الشاعر[٣] :

هَلاَّ سَألتِ الخيلَ يا بنةَ مالِكٍ إن كُنتِ جاهِلةً بما لمْ تعلمي

وأكد القرطبي أن جماعة من أهل اللغة أخذوا بهذا القول، مُبيناً أن (الباء) تكون بمعنى (عن)، إلاَّ أن علي بن سليمان أنكر هذا الرأي بقوله : ((أهل النظر ينكرون أن تكون (الباء) بمعنى (عن)؛ لأن في هذا المعنى إفساد للمعاني))[٤]، مستدركاً ومستشهداً بقول العرب : لو لقيت فلاناً للقيك به الأسد، والمعنى : المراد من الآية، فاسأل بسؤالك إياه خبيراً[٥]، والخبير هو الله تعالى، فنُصب على المفعول به بـ(السؤال)[٦].

والرأي الذي ذهب إليه القرطبي في قول الزجَّاج هو تخريجه على الوجه الحسن، ((وهو أن يكون الخبير غير الله، أي : فاسأل عنه خبيراً، بمعنى : عالماً به، أي : بصفاتهِ وأسمائه))[٧].

القسم الخامس من أقسام التجريد : هو أن يكون التجريد حاصلاً بدخول (باء المعية والمصاحبة) في المنتزع.

وهذا يعني أن أسلوب التجريد يأتي وفقاً لإجراء (باء) التجريد الداخلة على المنتزع، وتفيد فيه معنى المصاحبة، وهذا القسم لا يدّلُ على التشبيه[٨]، فهو خلاف القسم الرابع من أقسام التجريد؛ لأن (الباء) التجريدية فيه تدخل على المنتزع منه،

---

(١) معاني القرآن (الزجَّاج) : ٥٨/٤، والجامع لأحكام القرآن : ٤٥٨/١٥.

(٢) الشاهد هو : الآية الأولى من سورة المعارج، ينظر : الكشاف : ٣٣٩/٣.

(٣) الشاعر هو عنترة بن شداد بن معاوية بن قراد العبسي، وهذا البيت أحد أبيات معلقته المشهورة التي كانت العرب تسميها (القصيدة المذهَّبة)، ينظر : شرح ديوان عنترة : ١٧١.

(٤) معاني القرآن (النّحاس) : ٨٣٧/٢، الجامع لأحكام القرآن : ٤٥٨/١٥.

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٤٥٨/١٥.

(٦) وهذا القول مذهب ابن جبير وابن عطية الأندلسي، ينظر : جامع البيان : ٦٢٠/٥، والمحرر الوجيز : ٢١٦/٤.

(٧) الجامع لأحكام القرآن : ٤٥٨/١٥.

(٨) ينظر : بغية الإيضاح : ٣٩/٤.

لتؤدي دلالة المصاحبة، فتدّل حينئذٍ على التشبيه، ومن أمثلة هذا القسم قول الشاعر[١]:

وَشَوهاءَ تَعْدُو بي إلى صَارخِ الوغَى بمُستلئمٍ مِثْلِ الفَنيقِ المُرَحَّلِ[٢].

ويقصد الشاعر هنا أن الفرس تعدو به ومعهُ؛ لكمال استعدادها للحرب، والمراد تشبيه الفرس به أو المستلئم، فـ (الياء) في (بي) للتعدية، وفي (بمستلئمٍ) للمصاحبة؛ لأنها باء التجريد[٣].

القسم السادس من أقسام التجريد : هو أن يكون التجريد حاصلاً بطريق الكناية :

كقول الشاعر[٤]:

يا خيرَ من يركبُ المطيَّ ولا يشربُ كأساً بكَفِّ مَّن بَخِلا

فقوله : (ولا يشرب كأساً بكفِّ من بخلا) كنايةُ عن شربهِ بكفِّ كريم، والأصل المعدول عنه أن الإنسان يشرب بكفِّ نفسه لا بكفِّ الآخرين؛ لكن الشاعر انتزع من الممدوح شخصاً كريماً يشرب الممدوح من كفهِ مبالغةً في جودهِ وكرمهِ.

القسم السابع من أقسام التجريد : هو أن يكون التجريد حاصل بطريق مخاطبة الإنسان نفسه.

في هذا النوع من أنواع التجريد يأتي الخطاب ظاهرهُ لغيرك وباطنه لنفسك، حيث يتمكن المخاطب من إجراء الأوصاف المقصودة من مدحٍ أو هجاءٍ أو رثاء أو غيرها، على نفسهِ ليتوصل بهذا الأسلوب إلى تحقيق التجاوب الخطابي عن طريق القدرة الإبلاغية لما يهدف توصيله، وهذا مستلزم مبدأ العدول والانزياح عن ما

---

(١) البيت لا يعرف قائلهُ، ورد دون نسبةٍ في بغية الإيضاح : ٣٩/٤، والكُلِّيات : ٢٧٤.

(٢) الشوهاء : الفرس القبيحة المنظر لسعة أشداقها أو لتغيرها في الحرب، وصارخ الوغى : المستغيث في الحرب، والمستلئم : لابسُ اللأمة : وهي الدرع، والفنيق : الفحل المكرم من الإبل بترك ركوبه، والمرحل : المرسل غير المربوط، ينظر : بغية الإيضاح : ٣٩/٤.

(٣) ينظر : بغية الإيضاح : ٣٩/٤.

(٤) البيت منسوب لأعشى قيس (الأعشى الكبير)، والمطي : جمع مطية وهي المركوب من الإبل، ينظر : أسرار البلاغة : ٣٣٥، وبغية الإيضاح : ٤٠/٤ ، والكُلِّيات : ٢٧٤، وقد عثرنا عليه في ديوانه : ٢٣٥.

وضعت لهُ اللغة أصلاً إلى غرضٍ ثانٍ عن طريق الانفصال عن الذات، مما يثري المعاني ويوزع المساحة الدلالية في الكلام، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ ◻♌♐◗ ❼♐✖ ❶◆◔♏♑♉✍♊◆♎♉⇩❷◆❽▤ ♏♑♉☺◳♊ ◳◻☒♎♌◆ ⬁◆○⇦◑ ♎◆◘▫◙⬉ ◻◻⬀ ◻♏♑⬂◻◆❼ ✃♐♑♏○○☺⇧⬈◳ ◻◆◘◆♎♑♐♎♏◆✃ ◻◆❷◻♎❾✃♐♑♏◆◻ ﴾[ق:٣٧]، وقوله تعالى :

﴿ ③◆❷⌧◻⇨✃✃ ◻◆③◆❷⌧♈⇦ ✌♏♊⇧ ⬈◆✃✌♐ ③◆⇨⬀◗⇨◻☹⌘ ☎ ◻◆✃♐⇧⇨◳✃◫◻⬉ ❻◆☹♌♐ ❻◆⇨♐♐●✿♐ ﴾ [مريم:٦].

تتأكد في آيات الذكر الحكيم المتضمنة معنى التجريد إحدى مظاهر العدول الموهم في الخطاب بما يوحي بحقيقة أسلوبية تزيد من اشاعة الاحساس بمسألة الحضور والغياب في الخطاب القرآني إذ ينتزع المتكلم من نفسهِ مُعادلاً يتّحد نيابةً عنه، ليحقق ظاهرة اسلوبية معدولة عن أصل المألوف وهي (التجريد) المنطوي على قدرة إضافية توليدية ناتجة عن استعمال خلاف الأصل عدولاً عن الإجراءات الرتيبة، من خلال الكم الهائل للانفعالات التي يسقطها المتكلم من نفسهِ على من حوله، وهو يحشد لما يعتمل في صدره، ثم يُحيلها على المخاطب عبر إجراء (التجريد) وآلياتهِ القائمة على الإيهام، وكأن المتكلم يتحدث مع نفسه في مرآةٍ تعكس تقابلاً جمالياً، مستشعراً أصول المعاني العميقة في النص، وموظفاً آلية خطاب خاص يعدل فيها عن التصريح بنفسه إلى ما يقابله نيابةً.

إن الحديث عن ظاهرة (التجريد) يقودنا إلى تأكيد مفاده معرفة البلاغة العربية على مستوى النظرية والتطبيق، بمظاهر العدول ولإنزياح وفقاً لتحليلات اسلوبية تبرز فيها القيم الفنية التي من شأنها الإسهام في تقوية الشعور بأدبية اللغة، وفسح الطريق امام الابداع بتوفير بدائل للواقعة الأسلوبية دفعاً للمنطقية المحضة والتكرار الرتيب، وهنا نستطيع ان نقرر انطلاقاً من المعطيات الخاصة باللغة الناتجة عن الانفعال الصادق مع الحدث، إن أصل الكلام يقتضي الانطلاق بلسان المتكلم، والتجريد خلاف ذلك؛ لأنه عدول عن هذا الأصل.

المبحث الثالث : أسلوبُ حُسْنُ التعليل :

مفهوم التعليلُ في اللغة والاصطلاح : التعليل: تفعيلٌ من قولهم علَّلَ ماشِيتَهُ إذا سقاها مرةً بعد مرةٍ، وعلّلتُ هذا إذا جعلت لهُ عِلةً وسبباً، وسُمي المرضُ عِلَةً؛ لأنه سبب في تغيير حال الإنسان وفسادِ صحتهِ، يُقال : فلانٌ يُعِلِّل نفسه بتعلةٍ : وتعلَّلَ به أي تلهى بهِ وشغل نفسه بما يُعللها[١].

أما في اصطلاح البديعيين : فهو أن تقصدَ إلى حكم من الأحكام، فتراهُ مستبعداً من أجلِ ما اختص بهِ من الغرابةِ واللطفِ والإعجاب أو غير ذلك، فتأتي على جهةِ الاستطرافِ بصفةٍ مناسبةٍ للتعليل فتدّعي كونها عِلَّةً للحُكم لتوّهم تحقيقه وتقريره نهاية التقرير؛ لغرض إثباتِ الشيء مُعلَلاً آكد في النفس من إثباته مجرداً عن التعليل[٢]، وبمعنى آخر فأنّه (حُسْن التعليل) هو أن يُدَّعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي، شريطة أن يكون هذا الاعتبار دقيق لا يدركه إلا من له تصرف في دقائق المعاني ووجه حسنه إظهار ما ليس بواقع متخيلاً[٣]

ففي ذكر العلة تقريرٌ للشيء وتأكيدٌ لهُ وتحقيقٌ في النفسِ لا يتأتّى في حالةِ تجرد القولِ من التعليل، وهذا يعني أن المراد بحسن التعليل هو ذكر حكم واقع أو متوقع؛ يُقدِم المتكلم على اساس هذا الذكر علة وقوعه؛ لكون رتبة العلة أن تقدم على المعلول مما يؤكد أن اسلوب (حُسن التعليل) ينطوي على ادعاءِ لوصفِ علَّة مناسبة نحو قوله[٤] :

لو لم تكن نِيةُ الجوزاءِ خِدمَتَهُ   لمَا رأيتَ عليها عِقدَ مُنتَطِقِ

فالشاعر اراد أن يثبت وصفاً غير ثابت وغير ممكن ايضاً، وهو نية الجوزاء خدمة الممدوح؛ لأن النية لا تكون إلا ممن عقلَ وأدركَ، فأراد الشاعر أن يثبت هذه النية العلة تخييلية لطيفة هي أن الجوزاء منتطقة، أي شادة النطاق على وسطها كحال الخادم، فنّية الجوزاء هنا خدمته ممتنعة، وهذا النوع من حُسْن التعليل يُدرج تحت أصل بيان حُسن التعليل في الوصف غير الثابت الذي أُريد اثباته وهو غير ممكن.

---

(١) ينظر: لسان العرب : مادة (عَلَلَ)، الطراز : ١٣٨/٣.

(٢) يُنظر : تحرير التحبير، ٢/ ٣٠٩؛ وبديع القرآن : ١٠٩/٢، الطراز : ١٣٨/٣، ونهاية الأرب : ٩٦/٧.

(٣) ينظر : أسرار البلاغة : ٢٧٧، الإيضاح : ٢/ ٢٧٧.

(٤) البيت في الإيضاح : ٢٨٠/٢ ورد دون نسبه وفيه أنه ترجمة بيت فارسي، وقيل هو لعبد القاهر الجرجاني ترجم به أصله الفارسي، ينظر : الإشارات والتنبيهات : ٢٥٧.

ومنه قول أبي الطيب المتنبي[1] :

ما بهِ قَتْلُ أعاديهِ ولكِن يَتَّقِي إخلافَ ما ترجو الذّئابُ

فإن قتل الملوك أعداءَهم في العادة لإرادة هلاكهم؛ ولدفع أذاهم عن انفسهم، حتى يصفوَ لهم مُلكهم من منازعتهم، لا ما ادعَّاه الشاعر من علةٍ وهمية غير حقيقية عبّر عنها بأن طبيعة الكرم قد غلبت عليه، ومحبته أن يُصدّق رجاء الراجين بعثته على قتل اعدائه؛ لما علم أنه كلما غدا للحربِ غدتِ الذئاب تتوقع أن يتسع الرزق من قتلاهم، وفي هذا الامر مبالغة في وصف الممدوح بالجود والكرم، فضلاً عن مبالغته في وصفهِ بالشجاعة والإقدام حتى كأنه يتناهى في إظهار الشجاعة ليرعب بها الحيوانات العجْم، فترجو الذئاب أن تنال من لحوم أعدائه عند ذهابه للحرب، وقد ادعى الشاعر لوصف هذه العلة مبالغةً أُخرى في المدح، وهو أنه ليس ممن يُسرف في القتل طاعةً للحقدِ والانتقامِ، وطلباً للثأرِ، وقد عدَّ أرباب البلاغة هذا الوجه في المبالغة بإيجاد العلة المناسبة للوصف من باب (التخييل) [2].

ومن تتبع نظرات علماء البلاغةِ في هذا الفنِ البديعي نجد أنه قائمٌ على أصلِ تضمنِ القولِ ذكراً للعللِ أو الأسباب أياً كان موضعها وهذا ينافي ما اشترطه (ابن أبي الأصبع) في تعريفهِ للتعليل بتقدم العلةِ على المعلولِ [3]

ومما يتضح للبحث أن العلماء اختلفوا في طبيعة تلك العلل والأسباب فبعضهم من رجح كونها علل طبيعية تخيلية وليدة الخيال الخصب ونتاج الوجدان الحي والعواطف اليقظة يعمدُ إليها الكاتب ليوقظ الخيال ويُثير العاطفة بالتماسهِ عللاً غير العلل الحقيقية للأشياء، ولأغراضٍ متعددة كالمبالغة في المدحِ، وكإدخال السرور على الممدوحِ، فهي بذلك ليست عللاً طبيعية مطابقة للواقعِ؛ وإنما هي أساليب مستملحة متطرفة، تقع ضمن منظومة الإبداع الأدبي؛ لذا نجد أول تسمية أطلقت

---

(١) ديوان المتنبي : ١٣٤/١ ، وهذا البيت من قصيدة في مدح بدر بن عمار.

(٢) ينظر : الإيضاح: ٢٧٨.

(٣) ينظر : تحرير التحبير : ٢/ ٣٠٩.

على هذا المصطلح البديعي هي (التخييل)[1]، في الوقت الذي نجدُ أن بعض العلماء مالَ إلى تغليب التعليل العلمي المنطقي المبني على الحقائقِ الثابتةِ والتجارب المعملية مركزاً على العقلِ والتدبرِ ودقةِ التحليل في طبيعة الأشياء، الناتج عن الاستقراء الدقيق والبحث الدؤوب، والشرط فيها ملائمتها للمقام، وانسجامها مع الذوق والآداب الإسلامية، وإلاّ كانت سوء تعليلٍ لا حسن تعليل[2].

واعتماداً على معايير الحُكمِ الموجِب لاقتضاء الوصف الثابتِ أو غير الثابتِ علةً، أو عدم اقتضائهِ قَسَّم البلاغيون القدماء هذا اللون من البديع إلى أربع أصولٍ ثابتة هي :

١- حُسن التعليل للوصفِ الثابتِ الذي ليسَ لهُ علّة في العادةِ، ويُراد بيان علته.

٢- حُسن التعليل للوصف الثابتِ الذي لهُ علّة غير العلة المذكورة، ويُراد بيان علّتهِ.

٣- حُسن التعليلِ للوصف غير الثابتِ الذي أُريد إثباته، وكان ممكناً.

٤- حُسن التعليل للوصفِ غير الثابتِ الذي أُريد إثباته، وكان غير ممكناً.

إنَّ هذه الأضرب الأربعة لحُسن التعليل لا تتعدى النظر العقلي وفكرة الممكن وغير الممكن المنطقية، وقد نبه لهذا الأمر علماء البلاغة والباحثين في علم النفس الادبي مؤكدين أن الأسس المتبعة في تقسيم هذا الفنِ غير شمولية أو موضوعية، وعللوا زعمهم بأن (حُسن التعليل) يرتكزُ على أساس الخيال والعاطفة، وهذا مردهُ إلى التمثيل والتخييل، زيادةً على التعليل العلمي الواقعي الذي يُشترط فيه الرجوعُ إلى الحقيقة أصلاً، والمزج بين التعليلين، وتأسيساً على ذلك وضع المعاصرون بُنيتهم الأسلوبية لهذا المظهر الإبداعي الفني.

---

(١) أفاض عبد القاهر الجرجاني الحديث عن التخييل وربطه بالإبداعات، ويُفهم من كلامه أنه يُريد به حُسن التعليل؛ فقد قال : ((وجملة الحديث الذي أُريد بالتخييل ههنا ما يثبيت فيه الشاعر أمراً هو غير ثابت أصلاً ويدعي دعوة لا طريق إلى تحصيلها، ويقول قولاً يخدع فيه نفسه ويريها ما لا ترى)) ودراسة عبد القاهر الجرجاني لهذا الفن من أبدع الدراسات وأحسنها؛ ينظر : أسرار البلاغة، ٢٧٥، وأطلق ابن سنان الخفاجي مصطلح (الاستدلال بالتعليل) و(الاستدلال بالتمثيل)، ينظر : سرُّ الفصاحة : ٢٧٧.

(٢) ينظر : البديع في ضوء أساليب القرآن: ١٢١، علم البديع : (بسيوني عبد الفتاح) : ٢٠٩.

هذا الأسلوب في التعبير القرآني ومن تتبع الشواهد القرآنية وفقاً لصورِ (حُسْنِ التعليل) الأربع، نجد أن أول ما يلفتنا من تطبيقاتهِ القرآنية قولهُ تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [الأنفال:٦٨].

في سياق هذه الآية يطلعنا الحقُ تبارك وتعالى على حقيقةٍ كونية أكيدة وثابتة تتعلقُ بحكمهِ الذي سبقَ إثباته في اللوحِ، بأن لا يعاقب أحداً بخطأ، وهذا البيان الإلهي جاءَ تأكيداً وارتباطاً مع ما تقدم هذا السياق في قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [الأنفال:٦٧].

فقد سَبَقَ قضاءُ اللهِ وكتابهِ بأن لا يُغفر لأهل بدرٍ ما يفعلون، فوقاهم سبقَ قضائه فيهم ما كان يستحقه أخذهم الفداء من العذاب العظيم، فقد عرَّض القرآن الكريم في هذهِ الآياتِ من سورةِ الأنفالِ بالمسلمين لقبولهم الفدية في أسرى المعركة الأولى، وقد كَرَهَ لهم ذلك؛ لمعنى كبيرٍ عبرَّ عنه سيدنا عمر ﷺ في صرامةٍ ونصاعةٍ وهو يقول : ((وحتى يعلم الله أن ليسَ في قلوبنا هوادة للمشركين))[١]، أضف إلى ذلك معنىً أخر يُراد تقريره في النفوس وتثبيته في القلوب، أن غزوة بدرٍ هي المعركة الأولى بين المسلمين والمشركين، والمسلمون فيها قلة مقابلةً بكثرةِ المشركين، فكان نقصُ عدد المحاربين من المشركين؛ لأسرهم يكسر شوكتهم ويذلّ كبرياءهم ويعجزهم عن معاودة الكرةِ على المسلمين، فكان هذا هدفاً لا يعدله المال الذي يأخذه المسلمون فداءً لهم مهما كانوا فقراء؛ لذا وبقبولهم الفداء وإطلاقهم الأسرى خالفوا إرادة الله تعالى الخير والأبقى وأرادوا عرضَ الدنيا[٢]، ﴿ [illegible]

---

(١) في ظلال القرآن : مج ٣، ج١٠، ص١٥٥٢.

(٢) ينظر : الكشاف : ٢٧١/٢، في ظلال القرآن : مج٣، ج١٠، ص١٥٥٢.

⬉♦⑩✂⓷⓼➘ ○⍓▤⍓⑩☝✈﴾، فقدرَّ للمسلمين النصرَ، وأقدرهم عليهِ، لحكمةٍ يُريدها من قطع دابر الكافرين ﴿⍓⑩✂⬉♦⍓⍓□ ✂♐⍓⍓♦⍓⍓□ □⍓♦⍓⍓⍓ ⍓□♦⍓◆□ •⍓✂⊃⍓◆⍓⍓⍓✂ •⍓✂⊃⍓⍓⬉⓷◆□ ⍓⍓⊠❷⍓⍓■□ ✂⍓⍓⍓⍓⍓⍓❷⍓⬉□♍⍓﴾ [الأنفال:٨].

في هذا السياق البديع عرَضَ القرآن الكريم الأسباب عرضاً مفصلاً مُقدماً، تَطلَّب هنا حاضراً متيقظاً لاستقبالِ الشكل اللغوي الذي يتمُّ بموجبهِ استمرارُ الحدثِ ونهايتهِ، فجاء التعليل بأحسن مظاهرهِ ليوقفنا عند قضية مهمةٍ وجادةٍ تتعلقُ بقدرة العقلِ على تقبل هذا المستوى من الصياغة من دون إفسادٍ للمطلوبِ، فالتعبير القرآني هنا يقصد الوصول إلى هذا المستوى من التعبير عن المعنى، فهو منجز بديعي يُثري القدرة التعبيرية للتراكيب اللغوية ودلالاتها، وللسياقُ دورٌ في تحديد المعنى المراد، من ذكر الأسبابِ مُقدمةً على النتائجِ والعللِ باعثاً روح التفاعل والترابط بين الدلالات اللغوية بالتنويع الذي يحرك وعي المتلقي، والإيحاء بأفكارٍ وأحداثٍ لها خصوصيتها البارزة في النظم القرآني.

ومن أبرز صور (حُسن التعليل) في التعبير القرآني ما جاء خطاباً لسيدنا شعيب عليه السلام على لسان قومهِ في قوله تعالى : ﴿⍓♦⍓⍓⍓□✂☎ ⍓⊠✝⍓❷❸☪✂ ⍓○♦⍓⍓⍓♦✡ ⍓♦⍓ ⊃⍓⍓⓪⍓➔➔⌖⍓♦⓷ ⍓⍓◆❸◆ॐ♦⍓ ⍓✺✡⍓⍓◆□ ⬉✌□➔⍓♦⍓ ⍓○☺⍓♓⍓ ⍓⍓⍓⊃⍓♎◆❻ ••⍓□♦⍓◆□ ☎ ⍓☪⍓⓪⍓➔✺➩ ⍓◆☪⑩⍓▫ ✺⍓✡□📖 ✎⍓♦⍓◆□ ☎ ⍓⍓⍓□✡⍓⍓♎◆❷♦⍓ ⬉♦⍓■⑩⍓☪◆⍓ ⍓⍓➔⍓❽⍓⓷❽⍓﴾ [هود : ٩١].

فقد عبرت الآية عن تهاونهم وسخريتهم بنبي الله شعيب عليه السلام وهو تهاونٌ بالله – تعالى– فجعلوا سبب رهطهِ[1] عِلّة في سلامتهِ من قتل قومه لهُ شرَّ قتلة، فلولا هؤلاء القلة من القوم الذين اتبعوه، واحتراماً لهم واعتداداً بهم؛ لأنهم كانوا على ملتهم لا خوفاً من شوكتهم وعزتهم لما نجا شعيب من كيد قومهِ، فكان رهطه أعزُ عليهم من الله –تعالى–، ونظير هذه الآية ما جاء في سورة يونس من قوله تعالى : ﴿□◆⍓♦⍓ ⍓⊠⍓♌♦ ✂⍓⍓✡□⍓□↓ ⍓⍓♦⍓ 📖↑⍓□□☪

(١) الرهطُ : من الثلاثة إلى العشرة، وقيل : إلى السبعة، ويُطلق هذا اللفظ للتقليل، ينظر : الكشّاف : ٤٢٦/٢.

🗐 ☎✁❑➔▩■◘♦☞⇗⌘✍✍•▫ ☪❑⍓⑨♉❍◷◆❑
♊♉✍ ⇳♠✳•◑♦⌨⍓♋ ◀❑⍓☺♐◘•🗎 ••⬀❑•♈◉◆❑
⬄⚐⬅♑❑✡⇗❹♦✉ ⌘♌⬁♌➔◑•♈◉ ♣①♐♓✉❍❻
♉❍⑩♉▫ ✍⍓☺⑩♉▫ ♉❍⑥•③⬂☞♦◘♐▩➔❑♍♣﴾ [يونس : ١٩]، فلو

وقفنا على قوله تعالى : ﴿❑◆◉♈•❑⬀•• 🗎•◘♐☺⍓❑◀

﴿♣①♐♓✉❍❻ ♊♉✍ ⇳♠✳•◑♦⌨⍓♋﴾ تأكدنا هذا التعبير سبب بقاء

الناس بعد أن قُضي الامر وسبقت كلمة الله وقضاؤهُ الفصل فيما فيه يختلفون، ونظير حُسن التعليل في السنة النبوية المطهرة قوله ﷺ : ((لولا أخافُ أن أشِقَّ على أُمتي لأَمرتهم بالسّواك عند كلّ صلاة))[1] فخوف المشقة على الأُمة هو العلّة في التخفيف عنهم من الامر بالسواك عند كلّ صلاة.

ومن المظاهر البديعية القرآنية التي تتكشف فيها الإشارة والتنبيه على علَّة الحكم قوله تعالى : ﴿▫•⌛♦⑨❍✌♦ ✁✍✏⅄♫♉⬄▫♣
⑨♉♫⅄✏✍✁ ◆❸⬀❷☒⬊ ◷•⬀❑•♫ ☎✁❑⬅☺■◘•⬅
❼■✍♦⬉ ✍◆☪⬂♈◉♦❽✡❑🕯•▫ ⬄⚐⬅♑•♈◉ •✍⓿♉♫
⌘♊♉♓✌ ✁✡❽⇳♉♌❻ ☎✁❑⬅☺■◘•⬅ ♦✖⬄♉♫⅄✏✍✁
☎✁❑⬅✡♫☒✉ ✍⍓☺♐✉ ♉⬈✏✍⍓☺❍❍♈◉✍✁
③♦▩⬂❍⓿◑➔❑♌♦﴾ [البقرة:٥٩].

فقوله تعالى : ﴿▫•⌛❑✡❽♦◉♈⬂☪◆✍ ⬉♦✍■❼

✁✍✏⅄♫♉⬄✖♦ ⬅•◘■☺⬅❑✁☎﴾ تنبيهٌ على أن الاسم الظاهر هو السبب في الحكم، وإيثاره على المضمرِ؛ لإفادةِ الاسم الظاهر ما لا يفيده المضمر، فضلاً عن أن التفات الذهن بسبب هذه المخالفةِ يؤدي إلى مزيد من الاهتمام، وبالتالي فهو مدعاة لاستقرار المعاني، وتمكنها في النفس أتم تمكين، فمقتضى الظاهر أن يُقال : (فأنزلنا عليهم) لعودِ الضمير على الأسمِ الظاهر المتقدم، والسرُّ في العدولِ إلى الاسم الظاهرِ هو الإشارة إلى أن ظلمهم سبب لإنزال الرّجز عليهم، سواءٌ أكان الرّجز هو العذاب، أم كُثرة الموتى فيهم، ولم يفد الضمير هذه الإفادة، فلو

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب السواك، حديث رقم (٢٥٢)، ص٧٤.

قيل : (فأنزلنا عليهم)، لم يفد أن سبب الإنزال هو سابقُ ظلمهم، وهذا هو السرّ البلاغي الكامن في هذا العدول[1].

ومثيلهُ قولهُ تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [البقرة:٩٨].

فقوله تعالى : (فَإِنَّ اللَّهَ) وضعٌ للظاهر موضعَ المضمرِ؛ لأن التقدير : (فهو عدوٌ) ليسبق لفظِ الجلالةِ الذي يعود عليهِ، والأثر الأسلوبي في هذه المخالفةِ هو : أن الله سبحانه وتعالى يُريد أن يُبين أن كفرهم هو سببٌ لعداوةِ اللهِ– تعالى– لهم ولو عبَّر القرآن الكريم عن ذلك بالضميرِ لم تُسْتَحصل تلك الفائدة، ففي الآيةِ دلالةٌ على أن الله– تبارك وتعالى– عاداهم؛ لكفرهم، وأن عداوة الملائكة كفرٌ، وإذا كانت عداوة الأنبياء توصل للكفرِ، فما بالُ الملائكةِ وهم أشرفُ المخلوقاتِ، والمعنى من عاداهم عاداهُ الله تعالى، وجابهه بأشدِّ العقاب[2]. وهذا مظهرٌ من مظاهرِ تشكيل البنية اللغوية بُحسن إيجاد العلّةِ للمعلول.

ومنهُ قولهُ تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [النساء:٦٤].

ففي إطارِ المعنى العام للسياق القرآني نجد أن الصورة التعليلية تتسم بسعة الحجم في تفريعاتها مما يتطلب الوقوف عندها، ومن الطبيعي ألاَّ نَعزلَ هذا السياق عن مضمون السورة نفسه المتضمن حشداً من الأهدافِ والموضوعات على مدى أشواطٍ وأبعادٍ مترابطةٍ متتاليةٍ في نسقٍ عامٍ متكاملٍ، إحدى بُنياتهِ ومقوماته الأساسية أنه ((يقضي أن يكون للرسالةِ سلطان يُحقق المنهج، وتخضع لهُ النفوس خضوع

---

(١) ينظر : الكشاف : ١٣٤/١، وروح المعاني : ٢٦٧/١.

(٢) ينظر : الكشّاف : ١٥٧/١، وروح المعاني : ١/ ٣٣٤.

طاعةٍ وتنفيذٍ))[١]، فالله تعالى أرسلَ رُسله ليُطاعوا بإذنهِ وفي حدودِ شرعهِ، فتكون طاعتهُ طاعة للهِ وبذلك تتأكد حقيقةً بـ (حُسْنُ التعليل)؛ لأن إرسالَ الرُسل ليس لمجرد التأثر الوجداني، وتبليغ الشعائر الدينية، بل لإقامة منهج ثابت لواقع الحياة وفهم الدين[٢]، ففي الآية سبق وضعُ الاسم الظاهرِ في قوله تعالى :

﴿❒◆✂⚭♌ↂ⇔✌◆⇔⌂⌧❷◆ ⚭♦♑←⚐❶

✂♌⚭❷▪ↂ←❒✌⬉﴾ موضعَ الضمير، وهو : (واستغفرت لهم)؛ ((تفخيماً لشأن الرسول ﷺ، زيادة على ما بهِ من تعظيم لاستغفارهِ))[٣]، فالسرّ البلاغي متمثلاً بالعدولِ عن الظاهر أوضحَ أثرُهُ البالغ في الدلالة القرآنية.

ومما جاء في التعبير القرآني من هذا القبيل قوله تعالى في سورةِ الأنعام :

﴿❒◆✍♦♊⇕ 🕮❒←⬂■⚐❶ ✍♎☺●♊⬙ ✂⌑⬂✋♦❸◆❽▤ ⬉♦✍■❼ ✂★✏ ⌧❿☝⌂◷✂ 🕮❒❒⬃ ⌧⓿⊙✇⌘ ☽♑✡✵❍←⏀ ▤ ⌂♑★◆❸⏀✌♎❍♎◷⌧ ●● ③⬉⌂⬂♑⌧← ✂♌➔⅄⏀♑☺←❒♌♦﴾ [الأنعام:٢١].

وقد تفرَّد صاحبُ تفسير (أولى ما قيل في آيات التنزيل) بموضعِ شاهدٍ تعليليٍّ لهُ أثرُهُ الدلالي في التعبير القرآني مؤكداً في تحديده النظر المتمثل على لطف ودقّة العلّة المناسبةِ للوصفِ التي تُدعى على اعتبارٍ غير حقيقيٍ، إذ لا تكون علّةً لهُ في الواقعِ[٤]، والشاهد قوله تعالى : ﴿❒◆🕮❒⍝⬂○✽☺←❒✂☎ ⌂♑✂✏★ ♉⌂♌⇕⑨⌂ 🕮❒③⬃☺⌂⏀☪♎♌♑☠⬀ · ●● ③◆⌨⬀➔⌂✵← ✂✏✦ ♎◆♊ ③◆☺←❒☠← ▤ ⌂◆✍■❼▤ ❒◆⬉⇕⑨⬙✂ ⬉◆⬂■⓿⬂○♎ ○⌂☽⌂✂ ❒◆♎⚐▤⬂♊● 🕮❒▤⇩✡♦❸◆ ✂⚭☪❒✂❒⬁ ●● ③◆➔⇕⬂■☺←❒♍♈﴾ [النحل:٣٨]. مُعلّقاً عليه بقولهِ : ((وقد أردف تحقيقُ البعثِ بوجهٍ من حُسنِ التعليل

(١) في ظلال القرآن : مج٢، ج٥٠، ص٦٩٦.

(٢) ينظر : المصدر نفسه.

(٣) الكشّاف : ٤٦٠/١، روح المعاني : ٧٠/٥.

(٤) ينظر : أولى ما قيل في آيات التنزيل : ٥/ ١٣١.

يتضمن الزجرَ لهم والتبكيت على أحسنِ الوجوهِ وأجملها))[1]، فقال تعالى:

[illegible] [النحل: ٣٩].

ومثيلهُ قوله تبارك وتعالى : [illegible] [الفتح: ١ – ٣].

تتوالى الآيات في سورةِ الفتح لتكشف عن مظهرٍ دلالي يتضحُ من السياقِ العام للنظمِ البديعِ في قوله تعالى: [illegible] [الفتح: من الآية ٤]، وقوله تعالى : [illegible] [الفتح: ٥].

ويستمرُ سياقُ الآيات بحُسن تعليلٍ في الصياغة القرآنية في قوله تعالى :

[illegible]

---

(١) المكان نفسه.

⭘⑨♦⇖❑🕮♦❑ ⬄🏱←♑❑✡⌧➔⬧♐♦❑ ⬀☠⬀✉⬀❸■◘♦⇖
⇕☠♦⇗✍✍⌧♌♦❑ ☎ ⌘🏱❑✡⌧♑⌧♉ ⬄🏱←♑⬧♐
✌♦⏲⬀❷❸☪⤜ ﴾ **[الفتح:٦]** ، وقد استوقفتنا سورة الفتح وقفاتٍ تحليلية نتلمس من خلالها الآتي :

الوقفة الأولى (التأملية) :

سورة الفتح مدنية، عدد آياتها تسع وعشرون آية[١]، اظهرت منهجاً عقائدياً تربوياً متكاملاً، لكُلِّ حرفٍ فيها معنى، ولكُلِّ لفظٍ فيها دلالة، ابتدأت السورة ببشارة النبي ﷺ بالفتح الاعظم وانتشار الاسلام بعد فتح مكة، وذكرت جهاد المسلمين وبيعة الرضوان[٢] التي بايع فيها الصحابة ﵃ رسول الله ﷺ على الجهاد في سبيل الله حتى الموت، وأن الله –تعالى– قدَّم مثلهم في التوراة والانجيل، ثم ذكرت بيعة الحديبية والتنويه بشأن من حضرها.

وتحدثت السورة عن الذين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ من الاعراب والذين في قلوبهم مرض، ومن المنافقين الذين ظنوا الظنون السيئة برسول الله ﷺ وبالمؤمنين فلم يخرجوا معهم، زيادة على اشتمالها على حديث الرؤيا الصادقة التي رآها رسول الله في منامهِ، وحدَّث بها اصحابه ففرحوا واستبشروا وهي دخول الرسول ﷺ والمسلمين مكة آمنين مطمئنين، وكان ختامها مسكاً وهو الثناء على الرسول ﷺ وأصحابه الأطهار[٣]، ووعدهم بالجنة بقولهِ تعالى: ﴿✌❑⬄⬂▦♋❷♦❑☪
❑♦🕮❑♉⇕❷⏲⤜ ⇖♦➔♋⓿☺☺✍﴾ **[الفتح:٢٩]**. اشتهرت تسمية هذه السورة (بسورة الفتح)، فقد قرأ النبي ﷺ يوم فتح مكة سورة الفتح، فرجَّع فيها[٤]، وقد ورد لفظ الفتح في بعض سور القرآن الكريم[٥]، ولا يعرف لهذه السورة اسم غير

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٩/ ٢٩٤.

(٢) لتفصيل بيعة الرِّضوان وقصتها وعدد المبايعين فيها وجزاؤهم، ينظر : الكشاف : ٢٣٢/٤.

(٣) ينظر : التحرير والتنوير: ١٤٣/٢٦.

(٤) رجّع فيها : أي ردد صوته تكراراً بالقراءة، والحديث في صحيح البخاري عن عبد الله بن مغفل ﷺ، ينظر : صحيح البخاري، كتاب التفسير (سورة الفتح) حديث رقم (٤٨٣٥)، ص٨٠٥.

(٥) ينظر: سورة النساء: ١٤١، وسورة المائدة: ٥٢، وسورة الأنفال: ١٩، وسورة السجدة: ٢٨–٢٩، وسورة الحديد: ١٠، وسورة الصف: ١٣، وسورة النصر: ١.

اسمها الذي سُميت بهِ، وقد بيّن الرسول ﷺ فضل هذه السورة بقولهِ : ((لقد أُنزِلت علَّي الليلة سورةٌ لهي أحبُّ إلىَّ مما طلعت عليه الشمس))[1] ثم قرأ :

﴿ ◑♏✿❋ ✒☜⧫⬄✡□ ◙♑⌨⬚ ⊡⧫✌⬀⧫☯✒ ✌☺⬖⬀✉✍⬚✾ ﴾ [الفتح : ١].

الوقفة الثانية (المشاهد التصويرية) :

قامت سورة الفتح على لقطات متعددة في نظمها المعجز، الموجز لفظاً والجزل دلالةً إذ ان معناها يوحي بـ ((الجو الذي نزلت فيه، وتصوره اقوى تصوير، بأسلوب القران الخاص الذي لا يفصل الحوادث بترتيبها وتسلسلها؛ ولكنه يأخذ منها لمحات توجيهية وتربوية؛ ويربط الحادثة المفردة بالقاعدة الشاملة))[2] فتتناول السورة لقطاتٍ من حالاتٍ ثابتة في حالات شتى من حياة المؤمنين، وتبرز نقطة الارتكاز الاصلية في هذه الحياة، ضاربةً اروع الامثلة التي تبقى نموذجاً للاجيال، لتحقق معنى الاسمان في أعلى الدرجات، ومن جملة ما ظهر من ملامح تصويرية دالة نرصد الآتي :

١- إكرام الله -سبحانه وتعالى- لنبيه المصطفى ﷺ بالفتح والبشرى والرؤية الصادقة.

٢- إفاضة العطاء بالمنّ والسكينة والنصر؛ ليحقق ما قدره لهم من فوزٍ ونعيم.

٣- جو السورة يوحي أننا امام جماعة من المؤمنين نضج ادراكهم للعقيدة وتجانست مستوياتهم الايمانية؛ لتنهض بتكاليف هذا الدين وفق حكمة القيادة العليا للدعوة.

٤- نتلمس فيها الصراع بين الحق والباطل، بالإشارة إلى قوة المسلمين بالقياس الى قوة المشركين، زيادة على تضمنها إشارات إلى الفتوح المقبلة وظهور الدين على العالم كلّه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحهِ، كتاب التفسير، باب تفسير (سورة الفتح)، حديث رقم (٤٨٣٣)، ص٨٠٥.

(٢) في ظلال القرآن : مج٦، ج٢٦، ص٣٣١٤.

٥- تصوير حقيقة النفوس في ظل الظروف المحيطة بها على وفق منهج قرآني، جعل صفة المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات هي ظن السوء بالله وبيّن حالهم وما أعدّه لهم من عقاب، في حين صوّر قلوب المؤمنين من اصحاب الرسول ﷺ وصفاتهم بأسلوبٍ بديعٍ ابتدأ بالوشائج التي تربطهم فخص منها :

اولاً : أشداء على الكفار، رحماء بينهم ((فهي الشدّة لله والرحمة لله)) (١).

ثانيا: هيئة الركوع والسجود وحالة العبادة، وهي هيئة دائمة اصلية متجددة.

ثالثاً : تصوير المشاعر الداخلية والسرائر الطامعة المتطلعة لفضل الله ورضوانه.

رابعاً : تصوير الملامح الخارجية التي تمثل حالة الخشوع الظاهرة على وجوههم في أكمل صورها.

٦- ضرب الله مثلاً للمؤمنين في التوراة والانجيل، وبشر بهم الارض قبل أن يأتوا اليها، وصوّر هذا المثل اروع تصوير، كزرعٍ اخرج فراخه وورقه وما خرج حوله أصوله، فهو زرعٍ نامٍ قوي خصب(٢)، فكان هذا الإخراج سبب قوله (فآزرهُ)، أي : فأحاط به عوده، فقواه وطهَّرَهُ من غير نبتةٍ نبتت عنه فتضعفه(٣)، ثم سبب عن المؤازرة قوله : (فاستغلظ) اي فطلب المذكور من الزرع والشطأ الغلظ وأوجده فتسبب في اعتدالهِ واستقامتهِ (فاستوى) قوياً سوياً، قيل : ((أخرج شطأه بأبي بكر، فآزره بعمر، فاستغلظ بعثمان، فاستوى بعليّ)) (٤)، وقد ضرب الله – تعالى– هذا المثل لتصوير حال الإسلام منذ بدئهِ حتى ترقيه في الزيادة الى أن اصبح قوياً مستحكماً.

٧- يلمح في السورة خطوط عريضة تُشير الى أن الاسلام كُلٌّ لا يتجزأ، وشريعة ومنهاج عقائدي، وأحكام تتمثل بالعمل الصالح الخالص من شوائب الشرك جميعاً.

---

(١) في ظلال القرآن : مج٦، ج٢٦، ص٣٣٣٢.

(٢) ينظر : الكشّاف : ٤/٢٣٨.

(٣) ينظر : نظم الدّرر : ١٨/ ٣٤٣.

(٤) الكشّاف : ٤/ ٢٣٩.

٨- أكدت السورة على سبيل (التخييل) أموراً تقريرية منها قوله تعالى: ﴿ ☐♌⧄◑

⍓⌨♦☼❑⬉➔⧄③✍♦⌛⬉③ ✍▫⇦⧄♔⅄✐✍✂

⇦⑨♦③ ⅄✐✍✂ ✍♍❑⬉➔⧄③✍♦⌨⬉③ ✍⍓☺❋☼⧄◑

♊⍓☺⬧▫ 🗐 ⬀☠⌀&⑨✍⑨⬃③❑🕮 ⬧✉⬀❑⬧▫ ★✐✍✂

🗐❼■✍♦⬉ ⇦❁⬈▤☪♦③ ✍⍓☺❋☼⧄✉⬧▫ ⍓❁⬧▤❋☼

🗐❼■✗⬃❑❑🕮 ⇳♊♦✌♦❑ ☎ ⏲⧄❍⬂❍⬂▦♦☼

⅄✐✍✂ ⇦❍⬂⓿■▣♦⬊ ⍓⑨⍓♑⏲♦⬉ ✍⍓☺⧄✉

﴾✍✞☺⓿⧄➔♦⬉ ✂⏲❷⇳♉❑🕮 ⧄❍⓿⧄✍⬃⬧⬉⓿❁❍⬧▫

[الفتح : ١٠].

يريد أن يدَّ رسول الله ﷺ التي تعلوا أيدي المبايعين هي يدُّ الله، والله تعالى مُنزّه عن الجوارح وعن صفات الاجسام ((وإنما المعنى تقريرُ أنَّ عقدَ الميثاق مع الرسول كعقدهِ مع الله من غير تفاوتٍ بينهما)) (١)، كقوله تعالى : ﴿ ♊❑✌

♦⬋✍⬧☪❑🕮 ⇳⑨⬧◑⬧▫ ♦✌❑⇦✍▪❷◍✍✂ ⬀⬈⧄⮌⬉③

✂✍✐⅄ ☎﴾ **[النساء : ٨٠].**

٩- تصوير التكريم الآلهي للرسول ﷺ والذين معهُ من المؤمنين بعد ذكر صفاتهم دليلٌ على تحقق الوعد بالمغفرة والأجر العظيم، فقد عبر النظم القرآني عن هذا الوعد بصيغةٍ عامة تجعلهم أول الداخلين فيها(٢).

١٠- أجملت سورة الفتح دروساً تتضمن حديثاً عن المؤمنين ومن معهم، ثم فصلّت مواضعَ الايمانِ والاعتقاد والعمل في صورٍ مشهودةٍ تكشف عن دقة البيان القراني وإعجازهِ، وقد تداخلت آراء المفسرين والعلماء من أن المراد من الفتح، فتح مكة أو الحديبية أو خيبر، أو فتح الروم، وأرجح الآراء هو فتح مكة(٣).

الوقفة الثالثة : عينات من الرصد الأسلوبي :

أولاً : نمط من التناسب والتقابل الدلالي

---

(١) المصدر نفسه : ٤/ ٢٢٨.

(٢) ينظر : في ظلال القرآن : مج٦، ج٢٦، ص٣٣٣٣.

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٩/ ٣١٩.

من الملاحظ ان سورة (الفتح) ترتبط بالسورة التي قبلها[1] ارتباطاً واضحاً من جهاتٍ منها :

١- إن سورة (محمد) لما أُمر فيها الذين آمنوا بقتال عدوهم في قوله تعالى :

﴿⧫×⇦🙵🕭⅄🖉🙰🙼 ❶🏱🡐☞⓿🙵☽⧫🙾🕸 🙼⧫❶🕲⌧⧫◻

🙵♲🙰⧫🕭▩▓❷🙾🕸🙰🙼 ⌘♲⬀❸✺➢⧫◻ ☎🙼❐⇖❷☒▦☒🖏

⬄🖅➔➶❐🡐☺🡐☞☪⧫③◻✡❐🕮 🖉🙼⧫❶🕲☽ 🙼🙵❐☹⮹❍

🙰❐🖎🕲⌧⧫◻ ⧫🖆🙰❐🏱◆❐⬂🕸🙰🙼 ☎🙼❐❻⑨➔⌖⧫◻

🕒➚🖉🙼⮹⑨🙵◻ 🙰❐🖎🕲☽◆❐ 🡐⑨⬀➔⧫🖅 🙰🖎☪⧫🖎﴾

[**محمد** : ٤]، فكانت هذه السورة حثاً على الجهاد، في حين جاءت سورة (الفتح) بشارةً للمجاهدين من اهل هذا الدين بالفوز والنصر والظفر فافتتحت هذه بقولهِ على طريق النتيجة لذلك مؤكداً اعلاماً بأنه لابُدَّ منه وأنه مما ينبغي ان يؤكد لابتهاج النفوس[2].

٢- أُشعر الذين آمنوا بالمعونة عند وقوع الصدق في قوله تعالى :

﴿⌘♊③🙵🕭⅄🖉🙰🙼 🙰❐🙵🙵⑨❐🕯✵🕓◆③

⅄🖉🙰🙼 ☎🙼❐🡐❸⮉🖢☪⧫🙤 ♌🕲☽ ☎🙼☑❐⇖☪◆🖎🙼◆➚

⇳💣🕲❍⌛⧫☯⇖③◆❐ ⬁☠➚🖏⬀❸⮉🖢☪◆③

🕮❐⬂⑨⮹🙼🖎◆▤➚🖅⬁﴾ [**محمد** :٧]، استدعي ذلك تشوق النفوس إلى حال العاقبة فعرفوا ذلك في سورة (الفتح) في قوله تعالى : ﴿🕲☽✡✵🙰

◻⧫☞◆⧫⬄✡❐🙰 🕸🙾⧫🖮⮹ ◻⧫🖓⬀⧫☯🙰 🖎⑩🖮🕲❹☪✡🙰﴾ [**الفتح** :١] فعرّف الله –تعالى– بنبيه الكريم ﷺ بعظيم صفة لهُ.

٣- أتبع الحق–تبارك وتعالى– ما سبق بذكر بشارة المؤمنين العامة فقال :

﴿⚖➔❐◆ ✓❽🙵🕭⅄🖉🙰🙼 🕮❐✡❽◆✌◆

🙼🙰🕸❍❍▤⬉⓿✡❐❐⧫ ❼🕲× 🕭➔🖬➔❐♲🙵

🙼🙰🕸⬂☺🡐⧫⬀🖎🙵☪🙵✓×◆

🕸🙵❷⌘❾⬀⑩⮹🙼⑩🡐❐▦▩🙼☎ 🕲☽③☺⮹🕓☪✡🙰 🖎❐➚⮹

---

(١) السورة التي قبلها هي سورة (محمد) وهو الاسم التوقيفي لهذه السورة، أما اسماؤها الاجتهادية فهي : (سورة القتال)، و (سورة الذين كفروا)، ينظر : الكشّاف :٢١٠/٤، والجامع لأحكام القرآن : ٢٣٩/١٩، ونظم الدّرر : ١٩٤/١٨، والدُّرُّ المنثور : ٣٤٩/١٣ ، أضواء البيان : ٤٤١/٧.

(٢) ينظر : جامع البيان : ٧٠٩/٦، ونظم الدّرر : ٢٧٤/١٨.

﴿⬤☝☺⑬☺⬜⬚❁⬀☋☊⬁⁂⬃ ▤﴾[الفتح :٤] فالتحمت هذه الآية الى التعريف بحال من نكث من مبايعتهِ ﷺ وحكم المخلفين من الأعراب، والحض على الجهاد، وبيان حال ذوي الأعذار، وعظِم نعمته سبحانه على أهل بيعتهِ إلى ما ذكره –سبحانه– من عظيم نعمتهِ عليهم.

٤– تضمنت سورة (الفتح) تفصيلاً وتفسيراً لقوله تعالى في آخر سورة (محمد) :

﴿•▫♦☒• ✍♦♑☝☪☇⬜✂☎ ☐◆✍♦⑨⇧⇖⇖☑✂☎ ⬤☝🖫■❼ ✂☙☋☐◑⬝⬛▫⚐ ☐◆⬜⬜☼☞⇦⚐❶ ✂☙☋❀☞⇖⇧⬛■☐⬃♌♦ ☐◆✂☙✎✦ ✍♦➔➔⬜▤↗⬃⬁ ☐◆☜✿♦❸☝⬛✆☝↗⚐⬄ ⬜⬜☐⬋▫⚐◆⬤⬛■▤↗⬃⬁﴾ [محمد :٣٥]، فهذا القول أجمل عظيم ما منحهُ الله –تعالى– للمؤمنين وجليل ما أعطاهم، وفصَّل بعد ذلك في سورة الفتح ((وهو بُعد مفهوم مما سبق من الإشارات في الوجه الأول)) [1].

٥– يتضمن إخبار الله –تعالى– بـ (الفتح) عقب سورة (القتال) دلالة البشارة بظهور أهل هذا الدين وإدبار الكافرين؛ لذلك علل الفتح بالمغفرة.

٦– تضمنت سورة الفتح إشارات عديدة منها :

أ– الإيماء الى أن المراد من إخراجهِ إلى دار الفناء إنما هو إظهار الدين القيم وإزهاق الباطل.

ب– الفتح أحد العلامات المذكورة في سورة النصر، للإشارة الى تحققه وتمامه فهو السبب الاعظم في ظهور الدين على الدين كلّه.

٧– التقابل الدلالي الواضح في لفظتي (تقدم) و(تأخر)، وفي دلالة الدخول الى الجنة في قوله تعالى: ﴿☪☙⬚☝❶⇖⑨⇧⌘⬁⬀•

✂☙☋☪⬜☺⬅♦⬀✋☝☪☝✓✕♦ ♉⬜☪⬜⬜⬤✳♣▭ ☐◆✂☙☋☪⬜☺⬅♦⬀✋☝✡⬜⬤✳♣☝ ✋☐⬛♑⬂❷⬛❽ ♊☝✋ ✋☐♦⬂☺☞❀☐☋

✂☙☋❀☞⬛⬀❀☐⬤❷⇖﴾ [الفتح :٥]، ودلالة العذاب في النار في قوله تعالى : ﴿☐◆③⇖➔⬜⓿☪☞✝☙

---

(١) نظم الدّرر : ١٨/ ٢٧٨.

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [الفتح :٦]، وفي قوله تعالى :

﴿[illegible]﴾ [الفتح:١٤]،

وفي قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [الفتح :١٧]، وفي قوله تعالى :

﴿[illegible]﴾ [الفتح :٢٩].

٨- تناسب فاتحة السورة دلالياً مع خاتمتها؛ لأن الفتح سبب في تحقيق وعد الله -تعالى- لرسوله والذين آمنوا معهُ بالمغفرة والأجر العظيم.

٩- اتساق الفواصل القرآنية في السورة وانسجامها ولّد ايقاعاً موسيقياً ونغماً يستشعر فيه السامع الجمال الباطن قبل الظاهر.

١٠- ائتلاف اللفظ مع اللفظ واللفظ مع المعنى مراعاةً للنظائر وتشابه الاطراف.

١١- مناسبة قولهِ : (فتحنا) لعظمة الله – تعالى- التي لا تثبت لها الجبال، وتعلقها بإتقان الاسباب المنتجة له من غير شكٍ؛ لذلك عَبّرَ عنه بصيغة الماضي، وزاد في إعظامه بقولهِ (مُبيناً) أي : لا لبس فيه، ((فهو رأس الفتوح كلها إذ لا فتح من فتوح الاسلام إلا وهو تحته ومتشعب فيه)) (١).

١٢- آثر التعبير القراني صفة (حكيم) و(عزيز) كُلّ في موضعه الذي تقتضيه دلالة المقام.

---

(١) الكشاف : ٢٢٦/٤.

ومن مظاهر اسلوب (التعليل) التي يبرز أثرها الدلالي في التعبير القرآني ماجاء في سورة (الكوثر) من قوله تعالى : ﴿♒①♦◎♋☼♐☒⅄ ·♍♉♌
♎◆❑➔ ⁄♐☼☞♒♦❸➔﴾ **[الكوثر:٣]**، فقد جُعلت هذه الآية علّةً لصيغة الأمر بالصلاة والأمر بالنحر؛ فالإقبال على هذه الأوامرِ ولإعراضٌ عن الشانئ والتحقير له بصفته وتعليلٌ للحكم عليه بأنه الأبتر، وفضلاً عن ان إضافة لفظ (الشانئ) إلى ضمير المخاطب وعدٌ للرسول ﷺ بأن كل من يبغضك هو المبتور أبداً، أضف إلى ذلك أن (فاء) التعقيب الدالةِ على السببية الواردة في صيغة الأمرِ (فَصَلِّ) أفادت دلالة (حُسن التعليل) بجعلِ النعم الكثيرة سبباً في شكر المنعم، فترتيبُ الأوامر بالصلاةِ والنحر سبباً في تأدية شكر نعمة العطاء، ومن الملاحظ أن لفظ (لربك) الجار والمجرور محذوفٌ مع صيغة الفعل (انحر)؛ فقد عَدل عن قوله (انحر لربك) لدلالة ما ذُكر عليه، فالأمر بالصلاةِ والنحرِ إشارةٌ إلى نوعين من العبادة، الأولى البدنية المتعلقة بالصلاة، والثانية المالية المتعلقةِ بالمُلك، فقال : (وانحر).

ومن الأساليب البديعية التي يظهر أثرها واضحاً في هذهِ السورة أسلوبُ الالتفاتِ من الخطاب إلى الغيبة، فقد أُلتقط التحول البنيوي في قوله تعالى (لربّك) في صرف الكلام وانزياحهِ من الضميرِ إلى الأسم الظاهرِ، مما أحدث تغيراً دلالياً في الخطابِ المُشكل بالصورة الالتفاتية، وفي هذا الأسلوب التفاتٌ من المتكلم عن ضمير العظمة إلى خصوص الربّ، وهذا من بديع الكلام ومحاسنهِ، فخصّ الربّ؛ لأنه المناسب للردِّ على زعمهم، فهو الذي يدبر أمره وما كان ليتركه، وقد تولى تربيته منذ صغرهِ، أما شانئيه فذكروا بالصفةِ لا بالاسم.

ثانياً : نمط من الايهام والتخييل :

أوحت سورة (الفتح) تضمنها دلالات تستند الى مقاييس الايهام والتخييل منها :

١- تكرار صيغة الفعل (فتح) ومشتقاتهِ، للدلالة على تصوير عظم الأمر، فمن خلاله ((فتح الله له بالإسلام والنبوّةِ والدعوة بالحجة والسيف، ولا فتح أبين منه

وأعظم، وهو رأس الفتوح كلها)) [1]، فقد ادت صيغة التكرار الاشتقاقي (فتحاً) أثرها الاسلوبي في توسيع المعاني وإثراء التعبير، فقد قيل : ان صيغة (فتحاً) تدلُ على أن مكة فُتحت عنوةً؛ ((لأن اسم الفتح لا يقع مطلقاً إلا على ما فُتحَ عنوةً. هذا هو حقيقة الاسم. وقد يُقال : فُتح البلد صُلحاً، فلا يفهم الصُّلح إلا بأن يُقرن بالفتح، فصار الفتح في الصلح مجازاً)) [2] وعلى هذا الامر تدل ظواهر الاخبار الثابتة.

٢- جاء قوله تعالى: ﴿◑♐︎❍♌︎◻︎ ✈︎✍︎✎︎⅄🔔︎♋︎⇦▫︎♒︎ ③◲⌛︎♦︎✍︎③♐︎➔◻︎◲✡︎♦︎🖮◰ ◑♐︎✡︎❋☺︎◰✍︎ ③◲🖮♦︎✍︎③♐︎➔◻︎◲♍︎♒︎ ✈︎✍︎✎︎⅄ ③♦︎⑨← ✈︎✍︎✎︎★ ▫︎♦︎◻︎⬀🖅▫︎♦︎ 🕮◻︎③⬃⑨✐︎⑨♧︎🏱☠︎⬀﴾ [الفتح :١٠] على سبيل التخييل، فقد أكد التعبير القرآني مسألة البيعة للرسول ﷺ بتصوير يدهِ الشريفة فوق أيدي المبايعين لهُ بالولاء والنصرة، والمعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله –تعالى– من غير تفاوتٍ بينهما.

٣- تتوالى الآيات في سورة الفتح بدءً من أول آية لِتبرز أثر (حُسن التعليل) في التعبير القرآني، ((فإن قلت : كيف جعل فتح مكة علَّةً للمغفرة؟ قلت : لم يُجعل علّة للمغفرة؛ ولكن لاجتماع ما عُدِّد من الأمور الأربعة؛ وهي : المغفرة، وإتمام النعمة، وهداية الصراط المستقيم، والنصر العزيز)) [3] وقد جوز المفسرون ان يكون فتح مكة من حيث أنه جهاد– للعدو– سبباً للغفران والثواب، والفتح والظفر بالبلد الأمين، ومن الملاحظ أن اسلوب (حُسن التعليل) في قوله تعالى: ﴿♎︎➔◻︎♦︎ ✈︎✍︎✎︎⅄🔔︎♋︎❽✓ 🕮◻︎✡︎❽♦︎✌︎♦︎ ✈︎✍︎✎︎♎︎❍❍⓿✡︎◻︎◻︎♦︎ ×♐︎❼ 🔔︎➔🖬➔◻︎☸︎✐︎ ✈︎✍︎✎︎♎︎⬂☺︎←♦︎⬃✌︎♋︎☪︎♋︎✓×♦︎ ♎︎♋︎❷⌘❾⬃⑩◰✈︎⑩←◻︎⊞☎︎ ◑♐︎③☺︎◰🕚︎☪︎✡︎✍︎ ✌︎◻︎➚◰ ◑♐︎③☺︎◰🕚︎❁✐︎♧︎🏱☠︎⬀﴾ [الفتح :٤] تمهيد لحسن تعليل متتالٍ في قوله

(١) الكشاف : ٢٢٦/٤.

(٢) الجامع لأحكام القران : ٢٩٨/١٩، وينظر : المصدر نفسه : ٣٥٢/١٤.

(٣) الكشاف : ٢٢٥/٤.

تعالى : ﴿ ♦×✓♋☪♋✌⬀⬧⇦☺⬂⬉⧫⬥⬃ ⬥⬥⬧⌘⇳⑨⬉⓿♋⧫⬉⧫ ⬧ ﴾ ❑⧫⬃⬥⬧⇦☺⬂⬉⧫✌♋✡❑◻❍♋ ♉⬜⬧◻☪◻❍⬦ ♋✌◻♑⬂❷⧫❽ ♊♋✌ ✌◻⧫⬂☺⬂⬧⧫⬥ ⬧⬥☸☞⬛⬃⬧◻❍❷⬉ ⌘◻⬃❍⬧⬃⬥♋⬉⬧ ▫♋❸⬧◻⬥ ❑⧫◻❸⬉⧫♏♑♋❍⬛⬉❷◻ ⬉⧫☪⬃♑⇦⇔ ﴾ [الفتح :٥] ثم يتابع وفقاً لهذا

الاسلوب في قوله تعالى: ﴿ ☎⬧◻⬉☪♋✌⬀⬧⇦✍♋⬧⬥ ⬥⬧♋⬧✒⬥⬥★ ❑⧫❻⧫⬅◻✒⬧♋⬚⬥⬥ ❑⧫⬅⬧⬅⬅❽⬛⬅⬅⬧❷◻⬅ ❑⧫⬅⬅◻⬉❷♋⬧⬅⧫⬅◻⬅ ❑⧫⬅⬧⬅◻⬛⬧✇⬅⬧⬅◻⬅ ⬅❷⬅◻☪ ⬅◻⬅⬧❑ ❑⧫⬛⬚◻⬕♋⓿⬕◻ ﴾ [الفتح :٩]، فقد جمعت هذه الآيات الأسباب

الموجبة لأن تجعلها علّة لما تقدمها، فإن كثيراً من الاشياء تكون لها أسباب كثيرة فيذكر بعضها مما يقتضيه المقام. أما في ختام السورة، فجاء (حُسن التعليل) واضحاً في تصوير صفات الذين آمنوا واتبعوا الرسول وتشبيههم بالزرع الذي استوى واستقام، مُعللاً سبب استقامتهِ واستواءهِ بحسن تعليل بديع في قوله تعالى:

﴿ ⬥♋⓿⧫⬄❿⬆⮽ ⬧⬧⬧⬧⬉ ⬧⬥⬥⬂⬧⬅⬧⬉⬧⬧⧫❻⬧ ﴾ [الفتح :٢٩] ((لما دلَّ عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقِّيهم في الزيادة والقوة، ويجوز أن يُعلَّل به (وعدَ الله الذين آمنوا)؛ لأن الكفار إذا سمعوا بما أُعد لهم في الآخرة مع ما يُعزُّهم به في الدنيا غاظهم ذلك)) (١).

٤- كثر إطلاق (الفتح) على النصر المقترن بدخول ارض المغلوب أو بلده ولم يطلق على انتصار كانت نهايته غنيمة وأسر دون اقتحام أرض؛ لذا جاء النصر معطوفاً على الفتح في قوله تعالى : ﴿ ⌘♊♋♓✌ ⬅❸⇔⬅⧫✡ ❑⧫▫⬥✍⬀⬧ ★✒⬧⬧ ⬧⬧❷⬥⬧③⬧⬧ ﴾ [الصف :١٣]؛ وقد علل ابن عاشور سبب جعل النصر من معاني مادة (الفتح)؛ لأن ((فتح البلاد هو أعظم النصر، وأن النصر يتحقق بالغلبة والغنيمة)) (٢).

---

(١) الكشّاف : ٢٣٩/٤.

(٢) التحرير والتنوير : ١٤٣/٢٦.

٥- جرى التعبير القرآني في قولهِ (فتحنا) على سنن سائر الأخبار الربانية بالصيغة الموضوعة للمضي بمعنى : قدرنا لك الفتح؛ للإيذان بتحققه لا محالة تأكيداً للتبشير، ويكون هذا الاستعمال من مصطلحات القرآن؛ لأنه كلام من له التصرف في الأشياء؛ وذلك أيضاً كناية عن علوِّ شأن المخبر[1]، كقوله تعالى :
﴿✂❼♦✌❒🕮 ⇖❷⬂✍❒🕮 ✂✍✍★ •☒♦▫
✍■○⇔✌♦➔⬀✗✐⊡➔❑■⇐ 🗐﴾ [النحل : ١].

٦- آثر التعبير القراني في سورة (الفتح) وصف النصر بـ (العزيز) على سبيل المجاز العقلي؛ وإنما العزيز هو النبي ﷺ المنصور، وقد اكد المفسرون أن النصر العزيز هو غير نصر الفتح المذكور؛ لأنه جعل علّة الفتح فهو ما كان من فتح مكة وما أعقبه من دخول القبائل العربية في الاسلام دون قتال.

٧- التصريح بذكر الاسم الظاهر؛ لأن الصراحة أدعى إلى السمع، والكلام مع الاظهار اعلق بالذهن فقال تعالى : (ليغفر لك الله)، وقال تعال : (وينصرك الله).

٨- اشتمال دلالة النصر على الاطمئنان الذي سّماه الله -تعالى- السكينة، فإنزال السكينة إيقاعها في العقل والنفس، وخلق أسبابها الجوهرية والعارضة، فأطلق على ذلك الايقاع فعل الانزال تشريفاً لذلك الوجدان بأنه كالشيء الذي هو في مكان مرتفع فوق الناس فألقي إلى قلوب الناس ((وتلك رفعة تخييلية مراد بها شرف ما اثبتت له على طريقة التخييلية)) [2] فالله تعالى قد علم أن السكينة إذ حصلت في قلوب المؤمنين رسخ إيمانهم؛ فجعل ذلك الازدياد كالعلة لإنزال السكينة عليهم.

٩- أطلق التعبير القراني لفظ (الجنود) على أسباب النصر؛ تشبيهاً لأسباب النصر بالجنود التي تقاتل وتنتصر، وجاء هذا على سبيل الإيهام والتخييل.

---

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم : ١٠٣/٨.

(٢) التحرير والتنوير : ١٥٠/٢٦.

١٠- ذكر التعبير القرآني المؤمنين مع المؤمنات؛ دفعاً لتوهم أن يكون الوعد بدخول الجنة مختصاً بالرجال، والمراد بإدخالهم الجنة الإدخال الخاص وهو إدخالهم منازل المجاهدين وليس الإدخال الذي استحقوه بالإيمان وصالح الأعمال الآخرى؛ لذلك عطف عليه قوله : (ويكفر عنهم سيئاتهم).

١١- الحديث عن جنود الله في معرض ذكر نصر الله يقتضي لا محالة فريقاً مهزوماً بتلك الجنود وهو العدو، فإذا كان النصر الذي قدره الله -تعالى- معللاً بما بشر به المؤمنين فلا جرم أنه اقتضى انه معلول بما يسوء العدو وحزبه، فذكر الله -تعالى- من علّة ذلك النصر أنه يعذب بسببه المنافقين (حزب العدو)، والمشركين (صميم العدو).

١٢- كنى التعبير القرآني عن دلالة اول النهار (البُكرة)، وعن آخر النهار بلفظ (الأصيل)، ((وهما كناية عن استيعاب الاوقات بالتسبيح والإكثار منه، كما يقال : شرقاً وغرباً؛ لاستيعاب الجهات، وقيل : التسبيح هنا كناية عن الصلوات الواجبة))[١] .

١٣- آثر التعبير القرآني صيغة المضارع المؤكد بحرف التأكيد (يبايعونك)؛ للاهتمام واستحضار حالة المبايعة الجليلة لتكون كأنها حاصلة في زمن نزول هذه الآية مع إنها قد أنقضت، وقد ادت الدلالة غاية المبايعة وغرضها وهو النصر لدين الله ولرسوله ﷺ.

١٤- هيئة صيغة المبايعة لأن تذكر بعدها الأيدي؛ لأن المبايعة يقارنها وضع المبايع يده في يد المبايَع -بالفتح-، فزاد التخييل حُسناً ادعاءً تخيل أن الله -تعالى- يبايعه المبايعون، بأثبات اليد التي هي من متعلقات المبايع على وجه التخييلية مثل اثبات الاظفار للمنية.

١٥- عمد التعبير القرآني إلى إيثار أسلوب (المشاكلة) بين (يدُّ الله) و (أيديهم) على اعتبار أن المشاكلة من المحسنات البديعية التي تثري المساحة الدلالية في التعبير، علماً أن الله -تعالى- منزه عن اليد وسّمات المحدثات.

(١) التحرير والتنوير : ١٥٦/٢٦.

١٦- جُعلت اليد المتخيلة فوق أيديهم؛ لأن الوصف بالفوقية من تمام التخييلية، وكانت اضافتها الى الله –تعالى- تقتضي تشريفها بالرفعة على أيدي الناس، ((وأيًّا مًّا كان فذكر الفوقية هنا ترشيح للاستعارة وإغراق في التخييل)) (١).

١٧- دلت صيغة الفعل المضارع (فسنؤتيه) بنون العظمة على ايهام الالتفات من الغيبة إلى التكلم، وقرأ بعض المفسرين بياءالغيبة عائداً ضميره على اسم الجلالة.

١٨- ظهر أسلوب التوجيه واضحاً في قوله تعالى: ﴿◑☜♌⬃ 🕮❐❍⑥◆✃⑩⍓ ✍☜⬀⅂⎗ ⬃❺❸•❺ ✃ 🕮❐❐⬃ 🕮❐❻◆✃⑩⍓ ✍☜⬀⅂⎗ ☼◆⊞⬂➔☺✍﴾ [الفتح :١١] إذ أن دلالة الآية تحتمل معنى الإرادة التي جرت على وفق علمهِ تعالى من إعطائه النفع أو إصابته بضرّ، أو أن تخلفهم سبب في حرمانهم من الفضيلة، فضيلة شهود بيعة الرضوان، وقدً صَرَح التعبير القرآني مفاتحتهم بهذا الابهام؛ لإلقاء الوجل في قلوبهم أن يغفر لهم، فجاء ظاهر السياق مقتضياً الاقتصار على نفي أن يملك أحد لهم شيئاً إذا أراد الله ضرّهم دون زيادة أو أراد بهم نفعاً(٢).

١٩- إيثار أسلوب التمثيل والتصوير في قوله تعالى: ﴿✍⊠❽◆❻⬀⬋✍ 🕮❐⌘⬃❷◆●⍓ ⅄⊠⮌⇳★◆○⟵🕛 ⬦★◆✍♒⍓❻◆■⟵🕛 ⊠↑■🖫⬂⬄◆☝⬄♒✍✍⬦ ⬦✍✍♒⬄☞◆❐◆❽▤ ⬉◆✍■❼▤ ♒⟵❐🔔♋○♋🕗 ③⬉➔⬃⬈🖅🖬⊃ ✃✍⑧♒❽▪✃⬋◆ 🖲♋❹◆🖅⑩↑⊠ ▯🖉🙵🖉☠⬉ ▤✃✍🖲⬂▤⬈⊞⊙✍❻◆﴾[الفتح :٢٩]، للدلالة على تشبيه حال بدء المسلمين ونمائهم حتى كثروا، بالإسلام بدأ ضعيفاً فاستحكم أمره وتغلب على اعدائهِ.

---

(١) التحرير والتنوير : ١٥٨/٢٦.

(٢) نظير هذه الآية ماجاء في سورة الأحزاب، من قوله تعالى : ((قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن اراد بكم سوءاً أو اراد بكم رحمة)) [الأحزاب :١٧]، وقوله تعالى : ((قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله)) [الاعراف :٧٧].

٢٠- إيثار صيغة المضارع في الخطاب القراني بقوله : (تراهم) للدلالة على تكرر الفعل، أي تراهم كلما شئت أن تراهم ركعاً سجداً، وفي ذلك ثناء عليهم بشدة إقبالهم على أفضل الاعمال.

وقد عدّه القدماء من باب الاستدلالِ بالتعليل والتمثيل[1]، وذكروا أن القرآن الكريم مشحونٌ بهذا المظهر من البديع بخلاف ما ذهب اليه ابن المعتز[2]، فمنه قوله تعالى حكاية عن إبراهيم الخليل عليه السلام : ﴿ [illegible] ﴾ [الأنعام: ٨٠ – ٨٣].

وفي السورة نفسها قوله تعالى : ﴿ [illegible]

---

(١) يُنظر : سرُ الفصاحة : ٢٧٧.

(٢) ينظر : البديع (ابن المعتز) : ٥٣، وتحرير التحبير : ١١٩/١، و الطراز : ١٣٩/٣-١٤٠، وأنوار الربيع : ٣٥٦/٤.

⬄⚐⬧ℓ◉ ✍□✎ ⚐⬅☞⇧☺ᴓ&◘⬉⬊◆□ ☎
✋⬧◆□ ⬄⚐⬅☞☼□🕮 ☎✂☑□⬅⚐⬧☢⬃➔⬧✍
○⚐➔⚐ ☎ ✦✏✍✂ ✍✍➔🔔 ☎ ⬀☠⬈✍⬈◆✏✍◆✉✂◆⬈
❁◆♌□⬅⌨⊠➔▫◘◆③ ⬀☠ℬ&⬁♉⬀□⊠⌘ ❼♉× ⬀☠➔♎⬀❻⬧❶

[الأنعام: ٩١].

في هذه الآياتِ من سورةِ الأنعام تبرز الحُجة البرهانية العقلية في أسلوبِ المحاورة والمجادلة بالدليلِ القاطعِ، ألهمها الله تعالى لكليمهِ إبراهيم عليه السلام في محاجتهِ لقومهِ وإثباتهِ أن دعواهم باطلة لا أساس لها من الصحةِ بعقدهِ مُقارنةً استفهامية في قولهِ ﴿**فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ فأثبت بذلك أن المؤمنين الذين لم يُخالط إيمانهم الظلم هم الفريقُ الآمن وهذه حجة اللهِ –تعالى– على قومهِ ليرفعَ بها درجاتِ الصادقين المؤمنين[1]، أما في الآية الحادية والتسعون من سورة الأنعام فقد قال اليهود في دعواهم الكاذبة : (ما أنزل اللهُ على بشرٍ من شيءٍ) ليتسنى لهم إنكار حقيقة أن القرآن مُنزل من عند الله –عز وجلَّ–، فجاء التعبير القرآني بمنهج تعليمٌ للرسولِ ﷺ ولكُلِّ مُسلمٍ أن يطرح عليهم سؤالاً يتضمنُ حجةً بُرهانية ضِدَّهُم وهي : مَن أنزل الكتابَ الذي جاءَ به موسى عليه السلام وهو التوراة ؟

والجواب : إنّهم يؤمنون قطعاً بأن الله –تعالى– أنزلهُ، وكتبهم شاهدة بذلك، فإذا جَحَدُوا أن يكونَ منزلاً من عند اللهِ –تعالى– فقد نقضوا قضيةً كبرى من قضايا إيمانهم في دينهم، وإذا قالوا كما يعتقدون : أنزله اللهُ على سيدنا موسى عليه السلام، فقد نقضوا أقوالهم بأن : (ما أنزل الله على بشرٍ من شيءٍ)، فالحجة البرهانية دامغةٌ لهم، وبهذا الأثر الأسلوبي يتبين أن التعبير القرآني يرتكزُ على أُسس عقليةٍ وبراهين منطقية لها دلالالتها الواضحة في التراكيب والسياقات من خلالِ سوق الحجج والشواهد والتدليل على المراد إثباتهُ، مما يؤكد حقيقة أن المظهر البديعي ليسَ تحسيناً عرضياً يؤتى به قصداً متكلفاً؛ بل العكس من ذلك.

ومن القضايا العقلية المنطقية أن النقيضين لا يجتمعان في شيءٍ واحدٍ، وإلى هذهِ الحقيقة أشارَ الله– عزَّ وجلَّ– بقولهِ في سورة الأحزاب : ﴿✍□✎
♊ᴓ♓✎ ℓ◉⬉♉◆❷ᴓ◉ ✦✏✍✂ ⬧⬉⊠➔⊠♉

(١) يُنظر : الكشاف : ١٠٧/٢؛ وإرشاد العقل السليم : ١٥٤/٣.

[illegible] [الأحزاب:٤]، ((أي : أن القلبُ الواحد لا يقبلُ فكرتين متناقضتين، والزوجاتُ لا تكون أُمّهات، والأدعياء لا يكونون أبناءً))[1]، وهذا الاستدلالُ بحقائق منطقية عقلية واقعية من صُلب الحياةِ يؤكد أن التعليل العلمي في التعبير القرآني يُساق للدفاع عن قضايا مصيرية وأحكامٍ شرعيةٍ وأمورٍ تربوية نفسية بالمنطقِ والجدل العقلي المحض تارةً، والمتخيل الوهمي تارةً أُخرى.

ومن التطبيقات القرآنية البديعةِ لهذا النوعِ ما جاء في سورة الرعد من قوله تعالى : [illegible] [الرعد:٤].

عُلّلت حجة القولِ في هذا التعبير بأنَّ الأرضَ تختلفُ تربتها باختلاف الأماكن، فمنها الطيب ومنها الخبيث، ويستبعد ذلك في المتقارب منها، فبيّنَ الله أن في الأرضِ قطعاً متجاورات يقتربُ بعضها من بعض، تُسقى بماءٍ واحدٍ وتختلفُ في مذاقها وطعمها، على العكس من إدعاء بعضهم أن اختلاف الأكل راجعٌ إلى اختلافِ التربة أو اختلاف الماءِ.

وقريب من أسلوب (حُسن التعليل) مظهر بلاغي بديعي يُعرف في اصطلاح البلاغين بـ (المذهب الكلامي)، وهو من الاساليب القديمة التي لا يُعلم لها تاريخ

---

(١) البلاغة العربية (الميداني) : ٤٤٨/٢.

نشأة، ويبدو أن أول من أشار الى هذا الاسلوب البديعي، هو الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في موضعين من كتابه[١]؛ لكنه لم يسمه صراحةً، وهو خامس أصول البديع عند ابن المعتز أخذه عن الجاحظ وقصد به الاحتجاج على طريقة علماء الكلام، قائلاً : ((وهو مذهب سمّاه عمرو الجاحظ المذهب الكلامي، وهذا باب ما أعلم أني وجدت في القرآن منه شيئاً، وهو ينسب إلى التكاف تعلى الله عن ذلك علواً كبيراً))[٢]، فقد نفى ابن المعتز ورود التعبير القراني بأسلوب المذهب الكلامي، معللاً نفيه بأن هذا الاسلوب قائم على اصطناع اساليب الفلاسفة والمتكلمين في الجدل والاستدلال.

أما أبو هلال العسكري فقد أورد هذا المصطلح في الفصل الثامن والعشرين تحت عنوان (المذهب الكلامي) ممثلاً لهُ بأمثلة نثرية وشعرية[٣]؛ إلا أن البحث لاحظ أن أبا هلال العسكري اورد ما يتعلق بمضمون هذا المفهوم في اول كتابهِ بقوله : ((ومن وضوح الدلالة وقرع الحجة قول الله –سبحانه– : ⌘⚬◆❸•◆❑ ✡❑ ♦▢◆♦ ⌘⚬⬧◆☼◆❑ ⬂⌫↖③ ♊◆ ◆✌ ☎ ◆⬅❍◆◗▫⌘ ⬗◆⬅ ⑩◆❻ "❻◆❑ ⌘☠◆→➔ ✓❽◆✍ ❑⓿⬄↖③ ➔ ◆❑➔◆❑ ☎ ▭❑❷◆ ◆❑❑❑ ✍⬜◆❑ [يس :٧٨-٧٩] فهذه دلالة واضحة على ان الله تعالى قادر على إعادة الخلق، مُستغنيةٌ بنفسها عن الزيادة فيها؛ لأن الإعادة ليست بأصعب في العقول من الابتداء))[٤] ثم استشهد أبو هلال العسكري بعد ذلك بقوله تعالى : ❽◆✍ ♉ ➔ • ❸❁⌘☞❀ ❷◆⌘♊ ⬅❍◆♓ ⬅☞☼❑ ✍✁❶ ✁✡❻◆✡

---

(١) الموضع الاول : كان تحت عنوان (باب من اللغز في الجواب)، ينظر : البيان والتبيين : ١٤٧/٢، والموضع الثاني : كان تحت عنوان (كلام يذهب السامع منه إلى معاني أهلهِ، وإلى قصد صاحبهِ)، المصدر نفسه : ٢٨١/٢.

(٢) البديع (ابن المعتز) : ٥٣.

(٣) ينظر : كتاب الصناعتين : ٣٧٦.

(٤) كتاب الصناعتين : ٢٢.

✍➔❑🕭♋⑨🡐❑♌♦﴿ [يس:٨٠]؛ فزادها شرحاً وقوة،؛ لأن من يخرج النار من اجزاء الماء، وهما ضدّان، ليس بمنكر عليه أن يعيد ما أفناه، وعلَّل قوله تعالى في السورة نفسها ﴿🕮❑❑◆⧳⧫⑩↕▫"" ✂☞✍⅄🕭♋❽ ❀⌂◘■⧇♦ ✂☞⧳⧫○○☺⌂◑❑◆⊙☠♋ ❑◆✂☞❀☜❻⬀⮛◆ ♋☎◑⧫⑨♋❻✌ ⬉◆✍■❼✂ 🕮❑♌ ⑥⧫③⬂◘➔⬛♦ ✎♋♆⬃◘■♑🡐⚐ ▤﴾[يس :٨١] بقوله : ((فقوَّاها أيضاً، وزاد في شرحها، وبلغ بها غاية الايضاح والتوكيد؛ لأنَّ إعادة الخلق ليست بأصعب في العقول من خلق السموات والارض ابتداء)) [1]

وقد عبَّر ابن رشيق القيرواني عن هذا اللون البديعي بقوله : ((هو مذهب كلامي فلسفي)) [2]، وعرفهُ القزويني بقوله : ((هو أن يورد المتكلم حجةً لما يدّعيه على طريق أهل الكلام)) [3] ومثل لهذا المفهوم بقوله تعالى : ﴿⧳⧫❑⬀ ❐⌧♌♦ ▫♋❸🙵🙴☺⌂☞✎ ⬈◆✂▬♋●❑❑⬊ ◑♋⧫⧫ ✂☞✎✦ ⧳⧫▦⌧○❁⑨⌂✍⧫☞﴾ [الأنبياء :٢٢]، وبقوله تعالى : ﴿❑◆⩜➔❑◆ ✂☞✍⅄🕭♋❽ ③◆⌨⬀⑨⌂◆⬈✂☎ ✂☞⧳⧫⊃⌂◘▫◘♦ 🏱➔🏱○ ③⬉➔♋⓪⑨🡐■🡐⓿ ◆❑⩜➔❑◆ 🕮❑⩜⬃❑◆♍⊃ ⬉◆◘■❶⬂○♋﴾ [الروم :٢٧] أي : أن الإعادة أهون عليه من البدء، والأهون من البدء أدخلُ في الإمكان من البدء؛ فالإعادة أدخل في الإمكان من البدء.

وقوله تعالى : ﴿▫◆◘■☺●☞✎ 🕮❑▫◆⬂• 🕭◆☞✌◆ ◆🖑﴾ [الانعام :٧٦] أي: القمر آفل، وربي ليس بآفل، فالقمر ليس بربّي، ((أثبتهُ بقياس اقتراني جليّ، واحتج بالتعبير على الحدوث، والحدوث على المحدث)) [4]، وقوله تعالى : ﴿🕭➔⬂⬀ ▫◆◘♋☠⌘

---

(١) المكان نفسه .

(٢) العمدة : ٨٠/٢.

(٣) الإيضاح : ٢٧٦/٢.

(٤) البرهان في علوم القران : ٤٧٠/٣.

[المائدة:١٨]، أي : أنتم تعذَّبون، والبنون لا يعذَّبون، فلستم ببنين لهُ، وهذا يعني تعلق الكلام بحجة عقلية منطقية تستند على اقناع برهاني ودليل عقلي مقبول قائم على اسلوب الحوار والجدل بالدليل القاطع؛ ولهذا السبب أُطلقت هذه التسمية على هذا النوع من البديع؛ ليذهب فيه الكلام مذهب علماء الكلام والاستدلال؛ ففيه يخرج الكلام مخرج الجدل، وإيراد الحُجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام[1]، ومن الشواهد الشعرية التي مُثلت لهذا النوع من البديع قول الفرزدق[2] :

لكُلِّ أمرئ نفسانِ : نَفْسٌ كَرِيمةٌ ونَفْسٌ يُعاصيها الفتى أو يُطيُعها

ونفسُكَ من نَفْسَيكَ تَشفعُ للنَّدى إذا قَلَّ من أحرارِهِنِّ شفيعُها

يقول : لكُلِّ إنسان : نفسٌ مطمئنة تأمره بالخير، ونفسٌ أمّارة تأمره بالشرّ، والإنسان يُعاصي الأمّارة مرّة ويُطيعها أُخرى، وأنت إذا أمرتْك الأمّارة بترك النّدى شفعت المطمئنة إليهت في الحالة التي يَقِلُّ فيها الشفيع في النّدى من النفوس، فأنت بذلك أكرمُ الناس، والمعنى يؤكد أنَّ الشاعر ذو نفسٍ حُرةٍ تدفعهُ إلى النوال حين يمتنع الآخرون ويقلّ عطاؤهم.

وقد أطلق عليه العلماء تسميات عديدة منها : (الاحتجاج النظري)[3]، و(إلجام الخصم بالحجة) [4]، وأنكروا على ابن المعتز في بديعهِ نفي وجود هذا النوع في القرآن، مؤكدين أنه كثيرٌ في كتاب الله -تعالى- وهو من أساليبهِ، وهذا كثيرٌ في كتاب الله -تعالى-[5]، وهذا يعني أن يأتي المتكلم البليغ على صحة دعواه وإبطال دعوى خصمه بحجة عقلية برهانية تقنع الطرف المجادل بالحوار المنطقي العقلي الملموس.

---

(١) ينظر : نهاية الأرب : ٩٥/٧.

(٢) ينظر : ديوان الفرزدق : ٣٥٨.

(٣) ينظر : الفوائد المشوق :١٣٦.

(٤) ينظر : البرهان في علوم القران : ٤٦٨/٣.

(٥) ينظر على سبيل المثال : سورة الأنعام: ٣٠ و٨٣، وسورة المؤمنون: ٩١، وسورة يس: ٧٩ و٨١، وسورة ص: ٢٦، وسورة الروم: ٢٧، وسورة الأنفال: ٢٣، وسورة الحج: ٥-٧، وسورة الواقعة: ٥٨-٥٩، وسورة الزخرف: ٨١.

وقد عدَّ الزركشي (ت ٧٩٤هـ) أن من هذا النوع، نوع آخر منطقي وهو ((استنتاج النتيجة من مقدمتين)) [١]، ومثَّل لذلك بقولهِ تعالى من أول سورة الحج إلى الآية السابعة : [illegible]

---

(١) البرهان في علوم القرآن : ٣/٤٦٩.

✍♦♊✖⓿ ✁✍⓿⓿✍⓿⓿✍ ➔🖮←❻❏❶⓿🙦 ﴾ [الحج :١-٧]، فمن الملاحظ أن في هذه الآيات عشر مقدمات اسفرت عن خمس نتائج يمكن تمثيلها بالشكل الآتي :

المقدمات	النتائج
١- الإخبار عن زلزلة الساعة.	١- ذلك بأن الله هو الحق .
٢- وصف أحوال الناس في ذلك اليوم.	٢- وأنه يحيي الموتى.
٣- بيان حال من يُجادل في الله بغير علم.	٣- وأنه على شئ قدير.
٤- بيان جزاء من يتولى الشيطان.	٤- وأن الساعة آتية لا ريب فيها.
٥- الإخبار عن الغيب.	٥- وأن الله يبعث من في القبور.
٦- الإخبار عن أصل الخلق.	
٧- بيان احوال الناس بعد الخلق.	
٨- وصف حال الارض.	
٩- بيان قدرة الله العظيمة في كل شئ.	
١٠- التأكيد على مسألة البعث.	

وتفصيل ترتيب المقدمات والنتائج أن يقال : أخبر الله -تعالى- أنَّ زلزلة الساعة شئ عظيم، وخبره هو الحق، ومن أخبر عن الغيب بالحق فهو حق بأنه هو الحق، وأنه يأتي بالساعةِ على تلك الصفات، ولا يُعلم صدق الخبر إلاّ بإحياء الموتى، ليدركوا ذلك، ومن يأتي بالساعة يحيي الموتى؛ فهو يحيي الموتى، وهكذا في جميع المقدمات والنتائج المستخلصة منها.

ومنه قوله تعالى : ﴿❏◆•• ✍•☺✸🖮⚠➚⇗

✁✍⓿⓿♑❏◆❽▤ ▫•⑩⇖⊘⇬⊡✸🖮⊠ ⇖◆♊ ⊗⊠⧗⚠⓿✎✍
✁✍✍✐★ ▤ ⓿⚠♌❏ ✁✍✍✐⅄🔔♌⇦✖◆ ③◆⊘⇬⊡⚙❏♌◆ ⇖◆♊
⊗⊠⧗⚠⓿✎✍ ✁✍✍✐★ ⓿✍•♑←☠⇙ ⇖◆⓿☒✁⚇⊘
⅄☒⑨♌③⑨🖮﴾[ص: ٢٦].

ففي هذه الآية مقدمتان ونتيجة يمكننا توضيحها في الآتي :

المقدمتان	النتيجة
١- إتباع الهوى يوجب الضلال.	١- إن إتباع الهوى يوجب سوء العذاب.

٢- الضلال يوجب سوء العذاب.

ونظير هذا النوع ما جاء في قوله تعالى : ﴿🕮❐✈🙰
⌘♊🙰♓✎ ◑❐◱♑🙰♍✂◆➚ ☎✂▦❐➚⓿⬩③✦✎🙰✂
⬀❐⬩♍ ⮰✗⮚⯐ ⬧♌❐⬅❸⭻⌑✡⬉③ ⬀☠➔♎ ⮰⮛⬀❻☞❀🙰✂
⬩⬧⧫◗ ➘❐❐●⧫▭✂◆➚ ✐🙰◱☺⸙🙵❸🙰▫ ⬧♌♎☒🖎
★✐🙰✂ ⌘♊🕔◱⬩⬀⌛⮀○⬩▫ 🗐 🙰⬧✍◱⑨❁○☒▦⬩♍ ✦✐🙰✂
⬧♌❐➔▩⭻🕔⧫③ 🙰⓿☺⧫⬉ ⭼🕗⬀❷◱➔⬂♍🙰✂ ⯑♌⬠⧫❻

[الأنبياء :٢١-٢٢]، ففي قوله تعالى : ﴿♍⬩❐⬀ 🖎☒♎♌⧫

🙰▫❸🙵⸙☺◱🙰✐ ➚◆✂▭⧫●❐❐➘ ◗⧫⬩ ✂🙰✐✦﴾ حجة

عقلية، تُعد ضمن هذا الأسلوب مقدمة يحتج بها، نتتبع عنها قوله تعالى : ﴿♍⬩▦☒○❁⑨◱✍⬧🙰﴾ وهذه هي القضية الكبرى؛ إلاّ أن الحقيقة التي يقبلها المنطق مُعللة بحُسن التعليل هي أن السموات والأرض ليس فيها الهةً بحق إلاّ الله ولو كان فيها لفسدتا، لكنها لم تفسد كما هو مشاهد في الواقع، والدليل فيه يسمى عند العلماء المنطق، قياساً استثنائياً له مقدمات ونتائج، فقد أشار الشريف الجرجاني (ت ٧٢٩هـ) الى أن هذه الآية ((هي مقدمة وشرطية، والاستثنائية نقيض التالي، أي لك لم تفسد السموات والأرض، نتبع : ليس فيهما إله غير الله، وبيان الملازمة ما ذكره المتكلمون وسمّوه برهان التمانع))(١).

وقد أشار عدد من المفسرين إلى هذا اللون من البديع عند تسميات مختلفة فقد سمّاه أبو السعود (الطريق البرهاني)، وكثيراً ما يرد ذكر هذا المصطلح في تفسيره، ومن المواضع التي وقف عندها البحث في هذا المجال قوله تعالى :
﴿♍⅄◗⬩⑨⇳ 🗏⬩▦☒❷⧫ ✂🙰✐⅄♎🙰⇦▫🙰 ♎⬩🙰♍➚❐☑✂☎
◗⧫♌❐ ✂🙰✐⅄ ♎➔❐⧫ ✂🙰♍⬂☺◱○⭻⑩☒⬅
✂🙰⇔⬂✖⬅ ✎⧫❹⇔③⧫☠⌘ 🗐 ♎➔⭹⬀ ▫⬩○☺◱♊ ③⧫☺⇳◨⧫⓵◐
✎🙰♊⌘ ✂🙰✐★ ⅄☒⓿⬂★🕔🙰 ◗⧫♍⇦ 🕮❐❻⧫✂⓾◱
🕮❐♌ ③⬉♑⇳◨⧫⓵🙰 ✂🙰♍⬂☺◱○⭻⓿☒◱ ✂🙰🖃⬀⮳🙰
✎⧫❷⬀③☠⌘ ❐⧫🕮⬆✎❐○⬅⓵ ❐⧫✎⧫⮳ ✖⧫❼
✂🙰❀☞❻⬀⮛⮰ ♎⬩🙰⓾➔✡🙰 🗏﴾ [المائدة :١٧]، علّق أبو السعود

(١) الإشارات والتنبيهات : ١٦٢.

على هذه الآية بقولهِ : ((ومن حق من يكون إلهاً أن لا يتعلق بهِ ولا بشأن من شؤونه؛ بل بشيءٍ من الموجودات قدرة غيره بوجه من الوجوه، فضلاً عن أن يعجز عن دفع شئ منها عند تعلقها بهلاكهِ)) (١).

وقد علل أبو السعود العجز الظاهر لسيدنا عيسى عليه السلام الذي يظهره بمعزل عمّا يقولون في حقهِ لا بطريق السخط والغضب، وإظهار المسيح على الوجه المنسوب اليه بالآلوهية بنفيه المالكية المذكورة بالاستفهام الانكاري بقوله: ★✏☙✂ ⌘♊♉✌ ◐①✎▣⇕☺♦③ ♊⌂☺⬩▫ ⬀✍➔🔔﴿

⮝☒⓿⬂★🕓☙﴾ عن كلِ احدٍ مع تحقق الالزام والتبكيت بنفيها عن المسيح فقط، واثبات المطلوب في ضمنه بالطريق البرهاني المستلزم للاستحالة الآلوهية، فمتى ظهر بالنسبة إلى الكُل ظهر بالنسبة الى المسيح على ابلغ وجهٍ وآكده، وهذا يظهر كمال العجز ببيان ان الكل تحت ملكوته –تعالى–، مما يؤكد أن ورود هذا الأسلوب في التعبير القرآني من صميم البلاغة مع ملاحظة أن المعالجة فيه تكون استناداً إلى رؤية المتكلمين.

المبحث الرابع : أُسلوب الجنـاس :

أولاً : مفهوم الجناس في اللغة والاصطلاح :

يُعد الجناس من أبرز المظاهر البديعية التي تُحقق انسجاماً في البُنية الشكلية من خلالِ الاتفاق والتماثل والتشابه بين وحدتين صوتيتين تُحدث إيقاعاً موسيقياً ونغماً متشابهاً في الشكل مختلفاً في الدلالةِ، إذ أنّهُ يعمل على ((المستويين الخارجي والداخلي في حركةٍ تحويلية تنطلق من اللفظ نحو المعنى))(٢)، وعلى الرغم مِن تعدد التسميات لهذا اللونِ من البديع فإن المسمَّى واحدٌ. فقد أسماهُ العلماءُ تجنيساً ومجانَسةً وتجانساً وهي ألفاظ ٌ مشتقةٌ من الجنسِ(٣)، والجناسُ في اللغةِ : ((الجنسُ لكلِّ ضربٍ من الناسِ والطيرِ والعرضِ والنحو، فمنه ما تكون الكلمة تجانس أُخرى

---

(١) إرشاد العقل السليم : ٣/ ١٩.

(٢) البديع، دراسة في البنية والدلالة : ١٧١.

(٣) يُنظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٢ / ٤١٤.

في تأليفِ حروفها ومعناها، أو يكون تجانسها في الحروف دون المعنى))[(١)]، وقد تناولت المعاجم العربية المدلول اللغوي للجناس وأكدت على أن الجِنسُ : الضربُ من كُلِّ شيءٍ، والجنسُ أعمّ من النوع، ومنهُ المجانسةُ والتجنيسُ، ويُقال : هذا يُجانسُ هذا أي يُشاكلهُ[(٢)].

أما الجناسُ في الاصطلاح البلاغي فقد اكتفى علماء البلاغةِ بوضعِ ضابطٍ محددٍ لكُلِّ صورهِ وأنواعهِ؛ لأنه من أكثر المظاهر البديعيةِ تشعباً وتفريعاً في كتب البلاغةِ من حيث الاصطلاح والأقسامِ، وهذا التنويعُ ناجمٌ عن عناية البلاغيين المفرطة بالجوانب الشكلية دون الالتفات إلى الإيقاع الموسيقي للألفاظِ المتجانسةِ وما تحدثهُ من أثرٍ نفسيٍ لدى المتلقي، وتأسيساً على ذلك فإن دلالة الجناس تتبعث من اتفاقِ وتشابهِ داليّن مقابل مدلولين مختلفين، وهو بذلك يعملُ على ربطِ اللفظِ بالمعنى ويتجلّى الربط بين المستويين الصوتي والدلالي من خلالِ توظيفهِ التكوينات الموسيقية بإعادة تشكيلها وتنظيمها بألوان متجددةٍ .

وقد اختلف البلاغيون حول تقسيمهِ وتبويبهِ؛ لتداخلِ أنواعهِ؛ فالجناس في مفهوم القدماء اتحاد طرفي الكلام وتشابههما في اللفظِ مع اختلافِ المعنى[(٣)].

وقد تعرضَ البلاغيون القدماء لهذا اللون البديعي منذُ أن تنبهَ لَهُ ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) في بديعهِ وحدّه بالآتي : ((التجنيسُ أن تجيءَ الكلمة تجانس اخرى في بيتِ شعرٍ وكلامٍ، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها))[(٤)]، ويعدّ أول من نبّه إلى الجناس المشتق، ولم يقصر ابن المعتز الجناس على المشابهةِ في حروف الكلمة؛ بل تعداهُ إلى معانيها سواءٌ تجانست أم اختلفت؛ لأنه استند الى تعريف الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) للجنس فكان مفهوم الجناسِ عند الخليل بالأصالةِ وعند ابن المعتز بالتبعية مفهوماً عاماً يشملُ الكلمات المتجانسة الحروف سواءٌ تجانست معنىً أم اختلفت.

---

(١) كتاب العين : مادة (جَنَسَ).

(٢) ينظر : : مادة (جَنَسَ) في : أساس البلاغة، ولسان العرب، والمصباح المنير : ١٥٤/٢.

(٣) ينظر : كتاب الصناعتين : ٢٨٩، والعمدة : ٣٢٣/١، وسرّ الفصاحة : ١٩٣، والمثل السائر : ٢٦٢/١.

(٤) البديع (ابن المعتز) : ٢٥.

وقد أدى تعريفهُ إلى وقوع اضطراب اصطلاحي بين مصطلحي (الجناس) و(الطباق) ردهُ اغلبُ البلاغيين إلى قدامة بن جعفر، وثعلب في كتابه (قواعد الشعر)، مع رفض الكثير من الباحثين إدراج هذا اللون البديعي تحت مصطلح (الطباق)، وهذا الرفضُ يؤكد وجهة نظرهم الفنية والأدبية في مجانبة الصواب؛ لأن الطباق قائم على التضادِ والتقابل بين الشيء وضدهِ، وهو بذلك خلاف ما يُعرف به الجناس من تماثلٍ ومشابهةٍ في الحروفِ وهيئتها وعددها مع أختلاف المعنى[(١)].

أما عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) فقد كانت نظرتهُ للجناس كعادته قائمةٌ على رهافة الحس والذوق الأدبي حيث يوصي الأديب أن يضعَ نصبَ عينيهِ المعنى أولاً فيجعله دليل القيادة بأن يطلب لنفسه، فترسل على سجيتها من دون تكلّف أو استكراه[(٢)]، فهو بذلك حدَّدَ المعيار البلاغي لحُسن الجناس المتمثل بقيادة المعاني للألفاظ المتجانسةِ لا العكس.

ومع كثرةِ تفرق العلماء في حدِّ هذا الفن البديعي واختلافهم فيه إلاّ انّه غدا أداة أساسية يتكأُ عليها الشاعرُ إيقاعاً ودلالة في بناء قصيدته. ومن هنا ترتسمُ صورة واضحة لهذا المظهر البديعي القائم على اختيار الالفاظ المتماثلة المناسبة للسياقِ مع مراعاةِ المعنى وهذه الألفاظ ((تُوهِمُ في البدء التكرير؛ لكنها تُفاجىء بالتأسيسِ واختلاف المعنى))[(٣)]، وقد حفلت كتب البلاغة القديمة والحديثة بشواهدِ هذا اللونِ من آي الذكر الحكيم ونصوص الشعر والنثر وكلها تجتمع على حقيقةٍ واحدةٍ هي (اللفظ المشترك).

ثانياً : أنواع الجناس وأقسامهِ :

صَنَفَ البلاغيون الجناس إلى قسمين رئيسين يندرج تحت كل قسمٍ منها تفريعاتٌ وملحقاتٌ متعددة أحصاها بعضُ الباحثين حتى وصلت إلى ما يقارب الخمسين نوعاً[(٤)]، ونحن نجد أن الدخول في المسميات والتفصيلات أمرغير محمودٍ؛

---

(١) ينظر : سرّ الفصاحة : ٢٠٠.

(٢) ينظر : أسرار البلاغة : ١٤.

(٣) البلاغة العربية (الميداني) : ٤٨٥/٢.

(٤) يُنظر : معجم المصطلحات البلاغية : ٤١٤/٢، للتعرف والاطلاع على أنواع الجناس وأقسامه.

لأنهُ يُذهب بالجناس الأصلي هيبتهُ للاستغراقِ في الشروح وإيجاد العلل والقرائن التي نحن في غنىً عنها ونكتفي بعرضِ قسميهِ الرئيسين وما يتعلق بهما.

النوع الأول : الجناس التام :

وهو اتفاقُ اللفظين المتجانسين في الشكل واختلافها في المعنى مع مراعاةِ أربعة أمورٍ للاتفاق هي :

١- نوع الحروف.

٢- وعددها.

٣- وترتيبها.

٤- وهيئتها أي (الحركات والسكنات).

فإذا كان لفظاهُ من نوعٍ واحدٍ كأن يكونا اسمين أو فعلين أو حرفين سُمي الجناس (مماثلاً)، أما إذا كان ركناهُ من نوعين مختلفين أي (يكون إحداهما اسّماً والآخر فعلاً أو يكون إحداهما حرفاً والآخر اسماً أو فعلاً) يُسمّى الجناس (مستوفياً)، أما النوع الثالث من أنواع الجناس التام فهو (المركب) وهو ما كان احد طرفيه مفرداً والآخر مركباً[1]، وكل نوعٍ من هذه الانواع لهُ تفريعاتٌ متعددة تجاوزها البحث واكتفى بذكر الظاهر منها، وقد كثرت شواهدُ هذا النوع من الجناس التام في التعبير القرآني وأبرزُ مظاهرهِ في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿☎✁❑↓❻✍❑⚐❑🕮◆❑ ✁✍❀☞❻⬀⬁◆ ❑◆⬃☒⁋◆❷⬉❑⚍⍄✍✎ 🕮❑🗎⇩✡⬩❸◆ ✌⚢☺⚫✍ ⬃☒⁋◆❷⬉❑⚍⍄✍﴾ [الروم: ٩].

في هذه الآية أثبت التعبير القرآني قدرتهُ الإعجازية والتمكن من السيطرة الأسلوبية على اللغةِ وطاقاتها وقواعدها وتوظيفها وفقاً للمقام والدلالةِ، فالجناس يحاول توظيف نوع من التآلف بين المدلولاتِ وإبراز الصلةِ بين مستويات التناسب والتكرار في الدال والمدلول في قولهِ تعالى: (وعمروها) الأولى و(عمروها) الثانية.

فقد أحدث هذا النمط التشكيلي للالفاظ المتجانسة نمطاً دلالياً مخالفاً إلى جانب الايقاع الموسيقي القائم على التماثل الصوتي في تكرار اللفظتين السريع العفوي الذي ينساب هادئاً، فلو أننا قلنا: (وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما سكنوها)

(١) ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٢/٤١٨-٤٢٢.

نجدُ إعمالاً للفكر وإكراهاً للفظٍ في غير موضعهِ، ((فالفرق بين التركيب الذي تدخلهُ الأسلوبية والتركيب الذي لا تدخلهُ يوجد في الشكل الخاصِ الذي يصنعهُ المبدع في الربط بين الدَّوالِّ والمدلولات من جهةٍ، ثم بين الدَّوالِّ بعضها بالبعض الآخر من جهةٍ ثانية))(١).

فسياق النص ليسَ مجرد تكوين كلماتٍ متجاورة؛ وإنما مجموعة العلاقات التي تولد الترابط الذاتي بين هذه الكلمات؛ إنَّ الصياغةَ القرآنية لهذا النصِ تكشفُ عن إمكاناتٍ جمالية تناسبية تتأتى من قدرة المبدع الأعظم على خلقِ الانسجام الشكلي والدلالي بين الوحدتين الصوتين (عمروها) الأولى و(عمروها) الثانية.

فالموقع السياقي للفظة الاولى أدى دلالة تتناسب مع بدء الآية وهو الفعل (أثاروا)، وقد رصد علماء اللغة هذه المفردة ووجدوا أنها تدّل على معنى الثورة والهيجان والانتشار(٢)؛ وهذا الفعل يتناسبُ مع صيغة اللفظِ (عمروها) الدلالية على معنى سرعة التشييد والانشغالِ بالبناءِ الدنيوي وهو نقيضُ الخراب، وهذا المعنى يقتضي الترابط اللغوي بين الفعل ودلالة الاسم الاولى؛ ولأن ((جو السورة وسياقها معاً يتعاونان في تصوير موضوعها الرئيسي، وهو الكشف عن الارتباطات الوثيقة بين أحوال الناس، واحداثِ الحياة))(٣)، فهذا يدعو الى توثيق الرابط الدلالي بين مفرداتها بما تحملهُ من معنى تعبيري عن الذين ((وقفواعند ظاهرالحياة الدنيا لايتجاوزونه إلى ما وراءه))(٤) لينشغلوا بعمارة الأرض أكثر من مدة أعمارهم وآجالهم المكتوبة لهم.

وقد كررت الآية الإيقاع الصوتي للتأكيد على هذا المعنى؛ لأن القيمة الإيقاعية لهذين اللفظين تتماهى في البُنى اللغوية التي يمكن أن نطلق عليها مصطلح (مولّد الجناس) وهو لفظ الفعل (أثاروا) إذ أن هذا التجنيس الصوتي الكثيف لحروفِ المفردات ِ يستدعي المعاني المترسخةِ في الذهن ضمن سلسلةٍ لفظية

(١) البلاغة والأسلوبية (د.محمد عبد المطلب) : ٢١٣.

(٢) ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٩٠.

(٣) في ظلال القرآن : مج ٥ ، ج٢١ ، ص٢٧٥٦.

(٤) المصدر نفسه : مج٥ ، ج٢١ ، ص٢٧٦٠.

سُرعان ما يكتشفها المتلقي من خلال ما تثيرهُ من مفاجئةٍ قائمة على المغالطة اللفظية التي أقرها الجناس وأخفتها الدلالة، فقد حافظ أسلوب الجناس في هذه الآية على بُنيتهِ من خلال تثبيت المعاني الدقيقة للوحدات الصوتية التي تجمع بينها.

وإذا ما سلمنا بحقيقة وجود علاقة ضرورية بين اللفظ والمعنى وأن الكلمات ما هي إلاّ وحداتٍ يبني منها المتكلمون كلامهم فنظم الكلام عند البلاغيين ((هو تنسيقُ دلالةِ الألفاظِ وتلاقي معانيها على الوجهِ الذي يقتضيهِ العقل))(١) بخلاف النص القرآني الذي هو ((جنسٌ فريدٌ في بابهِ له خصوصيته في استخدام التراكيب المستحدثة، التي استمدَّت كيانها من إمكانات النحو بشكلٍ متفرِّد))(٢) وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلُ على ارتباط الأسلوبِ بمبدعهِ، وأسلوب الإبداع في التعبير القرآني اعجز كثيراً من ارباب الفصاحةِ والبلاغةِ على الإتيانِ بمثلهِ.

تأمل قوله تعالى : ﴿ ✍♦◑➔□⇾⇖ ✁ᔕ◉♑○○ᔕ⇖♦□➔ ③⇖◑⇘○⇖⇾⓿ ✁ᔕ◉♑⇘☺⇖⇗⇳❷⊠⇖✌□⇖♌♦ ✌♦ᔕ ◉♑♦⌛⇖✞➔□✁☎⇘⊠❷⇗❸♦ᔕ⊠ᔕ⇖♦□⌨ ﴾ [الروم : ٥٥].

نهضَ الجناس في هذه الآية بتكثيف الايقاع بشقيهِ الصوتي والدلالي، فجاءت كلمة (الساعة) الأولى دالة على يوم القيامة، وقد وقع الاختيارعلى هذه اللفظة لما فيهِ من معنى السرعةِ والمفاجأة في حين أن كلمة (الساعة) الثانية عبرت أدق تعبيرٍ عن الحالةِ النفسية التي يعيشها هؤلاء المجرمين واحساسهم بقيمة الوقت الذي أدركوه بعد فوات آوانه؛ لأن الوقت الذي قضوهُ في حياتهم الدنيا لا يمكن أن يوصف ببرهةٍ أو دقيقةٍ، فجاءت كلمة (الساعة) الثانية خير دليل على شعورهم هذا.

نلحظ في هذه الآية لمحاتٌ أسلوبية طغى فيها الجوّ الصوتي للحروفِ على جانبها الدلالي فصوت (السين، والعين) وما ولَّدته هذه الحروف من تناغمٍ كشف للمتلقي قدرة لغويه على التوزيع الهندسي ملتصقاً بالدلالةِ الموحية التي تحملها هذهِ المفردات دون تلاعب متكلفٍ بها، أو إحساسٍ بصناعةٍ لفظية أو زينةٍ شكلية، وهذا يقع في قمة الإعجاز القرآني.

---

(١) البلاغة والمعنى في النص القرآني : ٣٤.

(٢) البلاغة والأسلوبية (د. محمد عبد المطلب) : ٤٧.

زيادةً على ما يخلقهُ أسلوب التكرار بوصفه ((القانون الأساس لظواهر الإيقاع في الكلام وهو مظهر مالي يعتمدُ على قوانين ثانوية علاوة على قيمتهِ الإيقاعية النغمية ذو الدلالة التعبيرية))(١) فإن القيم الصوتية لجرس الحروف أو الكلمات المكررة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالقيمة الفكرية والنفسية المعبرُ عنها، وهكذا تتولى آياتُ الجناس بمظاهرِهِ الأسلوبية الواضحة في التعبيرالقرآني والتي تزخرُ بأروع القيم الفكرية والإبداعية.

قال تعالى : [illegible] [النور:٤٣- ٤٤].

بدايةً لابُدّ من بيانِ البنية الجناسية للمظهر البديعي في هذا النص وابعادهِ التصويرية المنتجة للدلالة، فقد جمع النصُ بين وحدتين متجانستين متماثلين لفظاً الاولى (بالأبصار) والثانية لفظة (أولي الأبصار) إلاّ أنهما مختلفين معنىً، من خلالِ التماثل والتكرار الذي اظهر تشكيل اللفظة الموسيقية. ان التصوير الفني في سورة النورِ يوحي للمتدبر عرضَ صورٍ متقاربة مؤتلفة، وصورٍ متباعدةٍ مختلفة في آن واحدٍ تشكلُ بمجملها جو السورةِ العام الذي يركز على إبراز مكانة العقل البشري في الإدراكِ والتمييز بين النور والظلام من خلالِ نظر العين الذي يُدرك بالأبصار ونظر القلبِ الذي يُدرك بالبصيرة وهذا هو موطن الجناس التام في أدق مواضعهِ حيث ربط بين المستويين الصوتي والدلالي للفظتي (الابصار) من خلالِ إعادةِ توليد

---

(١) البلاغة والمعنى في النص القرآني : ١٨٧.

الجذور اللغوية وتوظيف إمكاناتها التعبيرية تتكشف بوضوحٍ من خلالِ حليتها الحسية المؤثرةِ في النفس دون تكلفٍ وبما يستدعيهِ المقام القرآني.

إن سياق سورة النورالعام تعدادٌ لنعم الله –تعالى– وفضله على عبادهِ، وفي هذا السياق نلحظُ البدء بعنصر تركيبي يمكن تحديده بقوله تعالى : ﴿[illegible]﴾، وذلك في سياقِ الاستفهام التعجبي، إذ أن هذا التركيب في الدراساتِ اللغوية والقرآنية يأتي للتعجب(1). والحق سبحانهُ وتعالى أوردهُ هنا ليسَ لغرضِ الاستفهام؛ ولكن لتفسير أمورٍ عجيبةٍ وفي مسائل خفيةٍ دقيقة تتطلب من ذوي بصائر القلوبِ التمعن فيها وإدراكها، والرؤية في هذه الآية رؤية عين(2)، والتقدير أن أمر الله وقدرتهِ في سوق كل ثقيل ومدافعته كالسحاب والإبل والبضاعة المزجاة التي تحتاج من الشفاعة والتحسين إلى ما هو كسوق الثقيل(3)، وهذه الرؤية مخالفة لرؤية الفكر التي توحي بها دلالة الآية السابقة(4)، المتضمنة معنى التنبيه فكأن السياق القرآني يوحي بقولهِ : إنتبه الله يسبح لهُ من في السمواتِ والأرض، أو أتسمع أن الله يسوق السحابَ(5)، والتسبيح هنا بمعنى التعظيم والتنزيه.

ففي هذه الصورةِ غاية الدقةِ والتصرفِ والتدبير حين سوقَ الله عز وجل السحابَ الأبيضَ الذي لا يأتلفُ بسهولةٍ فيجعلهُ ركاماً أسودَ ليمطرهُ بعد ذلك، وبخروج الماء الخفيف المصحوبِ بالبرقِ الأبيضِ يستوقفُ الأنظار لتُبصر فكيف لها أن تُنكر ما يخطفها ويذهبُ بها؟!

---

(1) يُنظر : التعبير القرآني : ٩٤.

(2) يُنظر : المحرر الوجيز : ١٨٩/٤.

(3) جاء في سورة يوسف قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [يوسف:٨٨]، ينظر : المحرر الوجيز : ١٨٩/٤.

(4) من قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [النور:٤١].

(5) رَجحَ سيبويه دلالة التنبيه في هذه الآية، والرؤية هنا فكرية، ينظر : الكتاب : ٤٠/٣.

من المظاهر الأسلوبية اللافتة في هذا التعبير القرآني العلاقات الترابطية بين فاتحة الآية ﴿[illegible]﴾ [النور :٤٣].

وخاتمتها (بالأبصار) علاقةٌ ترابطية بين الرؤية وبين البصرِ، ولو دققنا النظر في بُنية اللفظة الثانية المتجانسة (الأبصار) في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾[النور : ٤٤]، لوجدنا انها أُستعملت بطريقة تربط الفعل (يُقلبُ)؛ لأن عملية التقليب تتطلبُ حركةً متجددة ومستمرة لليل والنهارِ تنسجمُ وتتناسبُ مع حركة التفكير والعقل الإنساني المتجدد لإدراك تلك النِّعمِ والالتفات اليها بالتدبر والتأمل، وهذا يؤكد الطابع الخاص للعلاقات الترابطية الذي ((يبرز ويتميزُ في كُلّ نمطٍ تبعاً للمستويات، وتبعاً لكيفية انتهاك نمطية اللغة وسننها التَّقليدية))(١)، كما أنَّ اتفاق اللفظتين المتجانستين هنا في الايقاع الصوتي يُضفي على النص القرآني تنويعاً داخلياً لمكوناتهِ اللغوية مع المحافظة على حقولها الدلالية التي لم تقتصرعلى مجرد الإبلاغ وأداء الرسالة المطلوبة؛ بل تعدّتْهُ إلى القدرة على الإفصاح والتعبير عن المعنى.

النوع الثاني : الجناس غيرالتام :

وهو إخراج إحدى اللفظتين المتجانستين من دائرة الجناس التام لمخالفته إحدى الأمور الأربعة المشروطة في الجناس التام وقد قسمه البلاغيون إلى تفريعاتٍ وملحقاتٍ فيها من الاسرافِ والتعقيد ما تستغني عنه الدراسة الاكاديمية وقد طبق هذا

---

(١) البلاغة والأسلوبية (د. محمد عبد المطلب) : ٢١٤.

الإجراء عدد من الباحثين منهم الدكتور عبدة عبد العزيز قلقيلة، وقد عدّ المصطلح البديعي (ما لا يستحيلُ بالانعكاس) فرعاً من فروع الجناس الناقص وبالاخص منه (المستوي) وقد استند في عملهِ هذا على تسمية الحريري (ما لا يستحيل بالانعكاس) وأوضحَ أن الفرقَ بين التسميتين يكمنُ أن الجناس المستوي كما قال الحريري : (لايستحيل بالانعكاس) أي لا يتحول معناهُ بالانعكاس عما عرفناه قبل الانعكاس بل يبقى هو هو، ويكون عكس كلمتي الجناس كطردهما في أنه تمكن قراءتهما من آخرهما كما تمكن قراءتهما من أولهما من دون أن يتغير المعنى كقوله تعالى ﴿❒◆❏🙰↗🙴🙴 ✗⚲❼ ▫⧫⍰■⌨ ④❒○⬄⌨⧫⧫⇦❑♍🙰﴾ [يس : ٤٠]، وقوله تعالى : ﴿❒◆❻◆🙰✹⌨⍓ ▫⧫▤⧫◉⬎♓⬊❸⬃﴾ [المدثر:٣]، في حين أن الكثير من البلاغيين أفرد هذا اللون البديعي بقسم خاصٍ بهِ في كتب البلاغة من دون أن يكون ملحقاً بأي فنٍ بديعي آخر، وقد عدّه المحدثون من الوسائل التي تبعث النظم في الشعرِ.

والذي يراهُ البحث أن مصطلح (ما لا يستحيلُ بالانعكاس) من ملحقاتِ فن الجناسِ وحجتنا في ذلك أن البلاغيين القدماء[1] أوردوا هذه التسمية بمسمَّيات الجناس الناقص حين سموه (المقلوب) أو (المستوي)، وأشار إليه السكاكي بقوله : ((وكثيراً ما يلحق بالتجنيس الكلمتان الراجعتان إلى أصل واحد في الاشتقاق))[2]. فضلاً عن ما فيه من تكلّفٍ واضح يرهقُ المتلقي في استيعابهِ، مع قلة الشواهدِ القرآنية في هذا المجالِ؛ لذا لا يمكن عدّه مظهراً أسلوبياً بارزاً له أثره الجلي في التعبير القرآني.

ثالثاً : بُنية الجناس وقيمتهِ البلاغية :

عَدّ البلاغيون الجناسَ من المحسناتِ اللفظية في البديع لأمر يتعلقُ باللفظِ أولاً ثم بالمعنى، ووفقَ إجراء صوتي يعتمدُ على كمية الأصوات داخل الوحدات المعجمية، فاللغة تُجمعُ الألفاظ المتشابهة والمتماثلة كُلياً أو جزئياً؛ لتؤكد التداخل

(١) ينظر : خزانة الأدب (الحموي): ٢٣٧.

(٢) مفتاح العلوم : ٥٤١، ولم تذكر المصادر شواهد غير هذين الشاهدين، وقد كثر هذا اللون من البديع في النظم اكثر منه في الشعر.

المقصود منه اقترانُ الدالِ بمدلولهِ في سياقٍ واحدٍ يُوظف الألفاظ توظيفاً دلالياً محكماً يتحولُ بموجبهِ الإيهام الظاهر إلى عامل إثراء في المعنى وإمتاعٍ للذهن المترقب لعنصر المفاجأة، وذلك بالمحافظة على المعاني وإيرادها في لفظين منفصلين.

إنّ مصطلح (الجناس) بنمطيهِ التام والناقص يتقاسم الصيغ الصرفية المتقاربة والمتفقة ويوزعها بشكل تجنيسٍ داخلي من خلال الترديدات الصوتية التي تُحدثُ إثارةً مفاجئة في النفس لها وقعها الآخاذ، فتتكرر المادة الصوتية في السياقِ الواحدِ ضمن روابط واضحةٍ توحي بالاتفاقِ في المعنى للوهلةِ الأولى؛ الاّ أنها سُرعان ما تختفي إذا ما تعمقنا في باطنِ الدلالةِ.

ومن المعلوم أن الالفاظ تكتسب سمّتها الاسلوبية في انتظامها مع بعضها في حدود تركيبٍ يميزها[1]، لذلك فإنها تتحرك ضمن نطاقها الكلامي وخلال هذه الحركات التحويلية في اللفظِ ومعناه تتولد معانٍ متعددة اصطلح عليها بعض الباحثين (تداعي المعاني)[2]، حيثُ يقوم فيه أسلوب (الجناس) باستدعاء المعنى السابقِ في لفظٍ مختلفٍ يحملُ معناه الموضوع لهُ اضافة الى معنى السابقِ؛ لكنه سُرعان ما يتبدد عندما يكتشف المتلقي أثر المغالطة التي ولدّها هذا النوع البديعي فالأصل في الجناس المطابقة الدلالية أما ما يحدثهُ الجناس من لذةٍ فتكمن في الايقاعات الصوتية المتناغمة ممزوجةً بتحريك الذهن واشتغالهِ في البحثِ لإيجاد دلالة المعاني المخفية، وتتأصل تلك البِنية الجناسية في قوله تعالى : ﴿⬄🏱🙰🕭□🕯⧫⌧ □⧫♉⇳♑⌸⌧⌸ ⌧🕑🙰🙵✏♏🙰⇦✖✐ ✃🙵⑩⧫◑⧅⧁🙵✃ ☰🙲🏱☞﴾ [الروم : ٤٣]. وقوله تعالى : ﴿⌧❷⧫□⬀⌧⌧ ⌧□⧫❻⧫⑥⧅⧫□🙵🙵☊⋖﴾ [الواقعة : ٨٩].

إستناداً إلى قول القزويني إن من ملحقات الجناس شيئين أحدهما : أن يجمع اللفظين الاشتقاق[3]، فأن المادة اللغوية التي تجمعُ بين (أقم) و(القيم) وبين (روح)

(١) يُنظر : من بلاغة القرآن : ٤٩.

(٢) ينظر : البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم : ١٦٧.

(٣) ينظر : الإيضاح : ٢٩٣.

و(ريحان) مادة اشتقاقية إذ ((يمكن ان يُشتقَ من المادة الواحدة اكثر من اشتقاق))[1]. وعلى هذا الأساس فالاشتقاقُ نمطٌ مميزٌ عن أنماط التكرار البديعي كتشابهِ الأطرافِ، والترديد، والتعطف وغيرها. اضافةً الى أن الاشتقاق يولدُ بُعداً صوتياً يتجلى في التتابع والمولاةِ للالفاظِ مما جعل معظم البلاغيين يؤكدون على ضرورةِ إلحاقهِ بالجناس، أن للتكرار اللفظي في هذين النصين دورٌ في الربط بين أجزاء الكلام من خلال تنشيط ذاكرة المتلقي وتهيأتها لاستقبال الإحالة الثانية (القيم) إلى صيغة فعل الأمر التي بُدئت بها الآية (أقِم)، وإذا ما بررنا قولنا من أن هذا الشكل الاشتقاقي هو من باب التكرار اللفظي تأكيداً على أن للدلالة في اللفظين المكررين مخالفة بارزة لذا لم نقل تكراراً معنوياً ولأنتقلنا بهذا الى درج هذين النصين تحت قائمة الترادف أو شبه الترادف، جاءت الوحدة الصوتية المتمثلة بـ(القيم) في الآية القرآنية الأولى على الوجه الذي تقتضيهِ بلاغة القرآن لفظاً ومعنى فليست من باب التحسين أو التكلف، ولاختلاف الدلالة فأن ورود (القيم) على وزن فيعل وهى زِنةٌ تدّل على قوةِ ما تُصاغ منه أي الشديد القيام، والقيامُ مجازٌ في الإصابة؛ لأن الصواب يُشبه بالقيام وضدّهُ يُشبهُ بالعوج وقد جمعهما قوله تعالى : ﴿◻◆⬥⬧⬄ ⑥⬧♑⬂➔◻⬁ ✍⬏⚗🕮⬉⓿ ⬉⬉◻◆ⵊ◻⬁🔔🗎 ⬀⬁⬂ 🔔⬧⑩⬪✍☺✟♐﴾ [الكهف:١-٢][2] ولما كان فعل القيام مأخوذ من القيم جُعلت الزيادة في فعل الأمر مراعاةً لأصل الأشتقاق فكان ذكر القيام من الجناس المُعبرعنه بجناس الأشتقاق، وكأن المعنى زِدْ قياماً تُزد قيمةً، ولولا الجناس هنا بلفظتي (اقمْ) و(القيم) لما توصلنا لهذا المعنى بأي لفظ مستبدل آخر ولم تظهر قيمته البلاغية والفنية التي هو عليها.

وهذا ما ينطبق على قولهِ تعالى ﴿▫⬧❷◆◻⬀⬁🙰 ◻◆❻◆⑥⬂◆◻♐♌⋞﴾ [الواقعة:٨٩]، وقد أجمع الباحثون قديماً وحديثاً على أن الجناس قيمة بلاغية فنية تكمن في إثراء الجوانب الإيقاعية في النصوص لما يؤديه من دورٍ دلالي قائمٍ على التماثل الصوتي والتخالف الدلالي غير متكلف أو

---

(١) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية : ١٠١.

(٢) التحرير والتنوير : ٢٤٨/١٥.

مقصودٍ لغايةِ الزينة أو التزويق، فالأصلُ فيه الحُسن وهذا يبرز في ارتباط اللفظ بالمعنى في علاقاتٍ متينةٍ تُرسل على السجية؛ لأن المعاني إذا أرسلت على سجيتها وتركت وما تُريد، طلبت لانفسها الألفاظ، ولم تكتسِ إلاّ ما يليقُ بها، فأن كان خلافُ ذلك كان كما قال أبو الطيب المتنبي[1] :

إذا لم يُشاهدْ غيرَ حُسن شياتها وأعضائِها فالحُسْنُ عنك مغيِّبُ

إذن فقيمة الجناسِ في حُسنهِ والحُسن فيه ناجمٌ عن التكراراللفظي المستحسن والمناسب للسياق مع مراعاةِ المعنى وبذلك يوفّر مساحةً من التماثل الايقاعي للنصِ واقتضاءه المعنى الموجب لإيراده، وما يحققهُ من تداعي للمعاني بإسهامهِ الفاعل في حركتها التأثيرية للتعبير المباشر. أن هذا التماثل والتوازن الكاملين هيأ لبعض الباحثين فرصة إطلاق (المماثل) على هذا اللون البديعي، فقد وضع عبد القاهر الجرجاني مقياساً لمعرفة الجناس المقبول المؤدي للمراد منه بأن ((يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وسَاقَ نحوَهُ، وحتى تجده لا تبتغي به بدلاً، ولا تجدُ عنه حِوَلاً)) [2].

ومما تقدم يتبين أن قيمة الجناس الفنيةِ تكمنُ في حُسنهِ البديعي واقتضاءه للمعنى، وهذا يؤكد أن جمالُ الجناس وحسنه في عدم تكرارهِ، وقد التفت المحدثون إلى أن بلاغة (الجناس) تكمن في دقة اختيار الألفاظ الدالة على معانيها وفقاً لأسلوب يعتمد على نهج الاعتدال، وبُعدٍ عن التكلف المذموم، وهنا نستطيع إثبات أمر في غاية الأهمية وهو أن عناية الألفاظ في أسلوب (الجناس) موجهة الى تردد الأصوات في الكلام، وما ينتجُ هذا من إيقاعٍ موسيقي تطربُ لهُ الآذان وترق لهُ القلوب؛ لذلك أكدت الدراسات الحديثة على أن المظهر البديعي الجناسي هو ضرب من ضروب التكرار المؤكِد للنظم من خلالِ التشابه في تركيب الألفاظِ[3]، وهذا التشابه في الجرس يدفع الذهن الى التماس معنىً تتصرفُ إليهِ اللفظتانِ لتأدية الدلالة المقصودة، فلا تخرج نظرتهم عن حدود نظرية تداعي الألفاظِ أو(تداعي المعاني) في علم النفس، مما لم يكن معروفاً عند البلاغيين القدماء وهذا لا يعني أننا ننكر وجوده

---

(١) ديوان المتنبي : ١/١٨٠.

(٢) أسرار البلاغة : ١١.

(٣) يُنظر: البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم : ١٧٠.

في كتب الأقدمين؛ بل نؤكدَ على ذلك تأسيساً على الشواهد القديمة في تراثنا النقدي والبلاغي.

وقد كشف البحث أن براعة النظم في (الجناس) تكمن في تماثل الألفاظ تماثلاً يُفصح عن فطنةٍ عقليةٍ يمكن من خلالها إيهام المتقبل بالطرح اللفظي المكرر، ثم مفاجأتهِ بمعنىً غير متوقع مؤكداً أن هذا الفن من الفنون الأصيلة التي لا يقدر أن يستعملها إلاّ أديبٌ متمكنٌ تنقادُ له اللغة، وفقاً لإحساس مرهفٍ وطبيعةٍ ذوقية عالية.

وقد لاحظ البحثُ أن المظهر البديعي الجناسي لا يتأتى في التعبير القرآني زخرفةً صوتية أو تحسيناً لفظياً؛ بل استجابةً لاستواء النصِ على اعتبارِهِ ركناً أساسياً فيه إضافة لما يحملُ بين طياتهِ من شحنةٍ شعورية مُعبرة عن الافكار بما يتلأئمُ مع اجراس الصوت الموسيقي وتلاحمها مع ابنيتها بوشائج التناغم.

فالآيات القرآنية التي ذُكرت انموذجاً للمظهر الجناسي تختلفُ في نوع هذا اللونِ تبعاً للمعنى، وعلى الرغم من ذلك التباين فإن النص القرآني لم يتقيد بنوعٍ معين لمناسبةٍ معينةٍ؛ بل جاء لتوضيح الدلالةِ في كل موضعٍ يتطلبهُ، خلافاً للدراسات الحديثة التي أزهق فيها روح هذا الفنِ فجاءت متكلفة باردة مكرهةً تفوح منها رائحة التصنعِ والتعقيد.

الفصل الثانـي
مظاهر الإيـهام والتـخييل

فاعلية الإيهام والتخييل في النقد العربي :

أولاً : مفهوم الإيهام والتخييل في اللغة والاصطلاح :

لعلَّ مصطلحي الإيهام والتخييل يكَوّنان ثنائيتين متكاملتين تتلاءم أبعادهما وتتغلل جذورهما في عمق اللغة والفكر؛ لتصور عملية الخلق والإبداع الفني عبر عصور التاريخ المختلفة وفنونه المتنوعة، وهذا المنطلق يقودنا إلى التحرك وراء هذه المفاهيم بطرق أبوب المعاجم للإحاطة بمعطياتها الشمولية، وتتبع مؤشراتها، والكشف عن عناصرها وبيان أثرها الأسلوبي في لغة الخطاب.

تعدّ مادة (خَيَلَ) في معاجم اللغة من المواد اللغوية المتسعة دلالةً واشتقاقاً، وإذا ما تتبعنا جذورها نجد أنها تُحيل على معانٍ عديدة منها الظَنّ والتصّور والتفرسّ والتشبيه والتمثيل، وكلها دلالات متقاربة، فإن قلت : ((خلته زيداً خيلاناً بالكسر، وتخيَّله، وخَيَّل فيه، وخَيَّل عليه تخييلاً : وجه التّهمة إليه، وتخيلّ الشيء له إذا تشبّه))[1]، وفي اللسان : ((خالَ الشي يخال خَيْلاً، وخَيْلة : أي ظَنَّهُ))[2]، جاء في المثل : مَن يسمع يَخَل، أي : يظُنّ[3]، وقال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) : التَّخييلُ : تصوير خيال الشيء في النفس، والتَّخيُّل : تصور ذلكَ، وأصل الخيال الصُّورة المجردة كالصورة المتصوَّرة في المنامِ وفي المرآةِ وفي القلب بُعيدَ غيبوبة المرئي، ثم تستعمل في صورة كل أمرٍ مُتصوَّرٍ وفي كل شخصٍ دقيق يجري مجرى الخيال، ومنه : خِلتُ بمعنى ظننتُ، يقال اعتباراً بتصورُّ خيال المظنُون، وخيَّلتِ السماءُ : أبدت خيالاً للمطر، وفلان مُخِيلٌ بكذا، أي : خليقٌ وحقيقته أنه مُظهِرٌ خيال ذلك[4]، وكلّ ما تشَّبه لك في اليقظة والحلم من صورة فتراه كالظلِّ فهو مُخيَّل، وخُيِّل إليه أنه كذا، على ما لم يُسمَّ فاعله : من التخييل والوهم، ومنه قوله تعالى : ﴿⑥➆③⬧◆⓿▪⬧⬉ ⓿⬧☜⓿◆⓿⬧◯⬥ ✍⬥♊

(١) تهذيب اللغة : مادة (خَيَلَ).

(٢) لسان العرب : مادة (خَيَلَ).

(٣) قال أبو عبيدٍ : معنى المثل : مَنْ سمعَ أخبار الناس ومعايبهم يقع في نفسه عليهم المكروه، أي : أن مُجانبة الناس أسلم، ينظر : مادة (خَيَلَ) في تهذيب اللغة، ولسان العرب.

(٤) ينظر : المفردات في غريب القرآن : ١٦٩.

﴿ 🗐✐♦⬉⬄❍■✍ ✍✎❑✆❑✵❑🕮 ⬀☹☺♏⌧❷⬄♦⬁❑ ﴾ [طه: ٦٦]، أي يُشبَّهُ لهُ[١].

ومنه قول الشاعر[٢] :

والصدقُ أبلجُ لا يُخيل سبيلُهُ والصدقُ يعرفهُ ذوو الألبابِ

وقول الآخر[٣] :

فلستُ بنازلٍ إلاَّ أَلَمَّتْ برحلي أو خيالتُها الكذُوب

وقد أوجز العلوي دلالة التخييل اللغوية بأنها مصدرٌ لفعلين[٤] :

الأول : قولك : تخيَّلتُ الأمر إذا ظننتهُ على خلاف ما هو عليه.

الثاني : قولك : خيَّلتُ فيك خيراً، إذا ظننتهُ فيه.

ومنه الخيال ((وهو خشبة توضع عليها ثيابٌ سودٌ تُنصب للطير والبهائم فتظنهُ إنساناً فتبتعد عنه وتهابُه))[٥]، ولم يخرج الشريف الجرجاني في التعريفات عن هذا المعنى اللغوي، فالخيال من منظوره : ((قوة تحفظ ما يدركه الحسّ المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة، بحيث يشاهدها المشترك ومحلُّه مؤخراً البطن الأول من الدماغ))[٦]، كما لا تخرج تعريفات اللغويين عن الدلالات التي ذكرناها. يتأكد للبحث إتساع هذا المفهوم دلالياً واشتقاقياً؛ لارتباطه بمصطلحات تدور في فلكه التداولي منها : المُخيلة، والخيال، والتخيّل، والمُتخيلة.

أما الوهم والإيهام والتوهيم فهي من خطرات القلب، تقول : أوهمت غيري إيهاماً، إذا صرفته عما يُريد، وتوهَّم الشيء : تخيَّلهُ وتمثّله، كان في الوجود أو لم يكن، وأوهمتُ الشيء إذا أغفلتهُ، وتوهمتُ : أي ظننتُ، ومنه التُّهمه[٧]، والوهم :

---

(١) ينظر : لسان العرب، مادة (خَيَلَ).

(٢) أورد ابن منظور هذا البيت في اللسان قائلاً : أنشده الليث، ولم نعثر له على نسبة؛ لسان العرب، مادة (خَيَلَ).

(٣) الخيالة، يعني : الخيال، ألمت : نزلت، والبيت منسوب لرجلٍ من بُحتَر بن عَتُود، ينظر : ديوان الحماسة : ٥٨.

(٤) ينظر : الطراز : ٣/٣.

(٥) المكان نفسه.

(٦) التعريفات : ٨٤.

(٧) ينظر : لسان العرب، مادة (وَهَمَ).

((قوة جسمانية للإنسان من شأنها إدراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات، وهذه القوة حاكمة على القوى الجسمانية كلها، مستخدمة إياها استخدام العقل للقوى العقلية بأسرها، وهو إدراك المعنى الجزئي المتعلق بالمعنى المحسوس))[١]، وقد أوضحت كتب الفروق اللغوية أن دلالة تصور الشيء تكون مع العلم به، وتوهمه خلاف ذلك؛ لأن التوهم من قبيل التجويز وهذا مُنافٍ للعلم، وأكد أبو هلال العسكري هذا المعنى قائلاً إنَّ ((التوهم يجري مجرى الظنون، يتناول المدركُ وغير المدرك)) [٢]. مما يعزز قول الآخر في عدم مشروعية توهم الإنسان ما يمتنع وقوعه، كتوهم الشيء متحركاً ساكناً في حال واحدة، وبذلك يتحقق معنى التخييل المُقارب دلالياً لمعنى التوهم من خلالِ عملية استقبال خبرٍ ما من شخص لا تعرف صدقه عما لا يخيل العقل، فتتخيلهُ، ويزول ذلك التخيل بمجرّد تحقق مبدأ الصدق بالمخبر ووقوع العلم به فيزول معه التوهم[٣].

ومما يجب تأكيده أن دلالة (التخيل) تتضمن معنى تصور الشيء في الوقت الأول وفقدان هذا التصور في الوقت الثاني لعدم اكتمال أوصافهِ وهذا يعني أنهُ لا يثبت على حال؛ ولهذا السبب لا يتحقق؛ بالإضافة إلى إيحائهِ بدلالة التوهم المنافية للعلم ((كما أن الظنَّ والشك ينافيانه)) [٤]. وقد أكدت كتب البلاغة أن التوهم يحمل دلالة الإيهام والتورية وهو في عرف البلاغيين ضربان[٥]:

الأول : ضربٌ يستحكم حتى يصير اعتقاداً، فلا يدرك عدم إرادة المعنى القريب منه إلا بتأمل وطول نظر، كما في قول الشاعر[٦] :

حَملناهُمُ طُرّاً على الدُّهمِ بعدَما   خَلعنا عليهم بالطَّعانِ مَلابسا

---

(١) التعريفات، ٢٠٦-٢٠٧.

(٢) الفروق اللغوية : ١١٣.

(٣) ينظر : المكان نفسه.

(٤) المصدر نفسه : ١١٥.

(٥) ينظر : بغية الإيضاح : ٢٨/٤.

(٦) ورد البيت بلا نسبه.ولا يعرف قائلهُ في مفتاح العلوم : ٥٣٧، بغية الإيضاح : ٢٨/٤.

فقول الشاعر (طُرّاً) حال بمعنى جميعاً، والدُّهم : جمع أدهم يوحي بمعنيين[١] :

الأول : معنى قريب يُراد منه الفرس الأسود.

الثاني : معنى بعيد يُراد منه القيد من الحديد.

والمراد من المعنى هو الدلالة البعيدة، أي : القيد من الحديد بقرينة ما ذكره من خلع الدماء عليهم بالطعان حتى صارت لهم كالملابس؛ لأنهُ لا يصح مع هذا أن يكون المراد حملهم على الأفراس، وقد أدت دلالة الفعل (حملناهم) معنى استحكام التوهم في البيت حتى لا يدرك عدم إرادة القريب من المعنى إلاَّ بتأمل وطول نظر.

الثاني : ضربٌ لا يبلغ المبلغ الأول؛ ولكنه شيء يجري في الخاطر والمخاطب يعرف حالهُ، أي خلاف الأول فلا يحتاج عدم إرادة المعنى القريب فيه إلى تأمل وبُعد نظر كقول الشاعر[٢]:

لولا التَّطَيُّرُ بالخِلافِ وأنَّهم قَالوا : مريضٌ لا يعودُ مَريضَا

لقضيتُ نَحْبي في فنائِكَ خِدمةً لأكون مندوباً قضى مَفْروضَا

فاللفظ المتوهم في قول الشاعر هو (مندوبا) وهو اسم مفعول من النَدْبِ، يحمل دلالتين : الأولى قريبة توحي بمعنى (المسنون) أي : أحد الأحكام الشرعية، والثانية بعيدة وهي المقصودة من المعنى الدال على المرثي أو الميت الذي يُبكى عليه[٣]، فيكون المعنى بناءً على ذلك : لأكون ميتاً مرثياً قضى مفروضاً عليه وهو الموت حزناً على ذلك المريض؛ ومما يؤكد هذا المعنى قرينة الدلالة المعنوية واللفظية في البيت الأول، فلولا ذكر المفروض بعد المندوب لم ينتبه السامع لدلالة اللفظ الموهم به. ومما يجب التأكيد عليه أن الاكتفاء بمجرد خطور المعنى بالبال وإن لم يكن مستحكماً، أصلٌ لابُدَّ من اعتباره في كُلِّ شيءٍ بُني على التوهّم؛ ((لأن كثيراً من مطالب علوم البلاغة مبني على الإيهام، ولو قصر على الضرب الأول

---

(١) ينظر : بغية الإيضاح : ٢٨/٤.

(٢) البيتان لعبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع، ورد ذكرهما في الإيضاح : ٢٦٧، وبغية الإيضاح : ٢٨/٤، والإشارات والتنبيهات : ٢٤٧.

(٣) ينظر : الكلِّيات : ٢٧٨.

تعذر طرده في جميع هذه المطالب)) [١]، ومنه قول زهير بن أبي سلمى[٢] في معنى التَّوهُّم :

فلأياً عرفتُ الدارَ بعدَ توهُّمِ

ومنه قول عنترة بن شداد في أول كلمة قالها[٣] :

هلْ غادرَ الشُّعراءُ من مُتردِّمِ أمْ هَلْ عرفْتَ الدارَ بعدَ تَوَهُّمِ

وجميع اشتقاقات هذه المادة لغوياً تدور حول معاني التخيل والتمثيل والتصوير وهنا يتبين التوافق الدلالي لمفهومي الإيهام والتخييل، إلاَّ أن النظرة اللغوية الخالصة للمصطلح العلمي غير كافية لتحديد أبعاده، وبيان آثاره ما لم ترتبط من وجهة نظر المهتمين بدراسة العلوم التي تنتمي إليها هذه المفاهيم بدلالاتها الإصطلاحية.

وتأسيساً على ذلك نؤكد أن المادة اللغوية في دراستنا ليست غاية بقدر ما هي وسيلة أو مقدمة نسعى من خلالها إلى فهم المضامين والمحتويات الدلالية، والإحاطة الدقيقة الشمولية لجميع جوانبها.

إنَّ دراسة الإيهام والتخييل الاصطلاحية لا تتضح إلاَّ بمعرفة أصولها ومنابعها الأولى التي تمخضت عنها، فقد لقي مفهوم الإيهام والتخييل في التراث النقدي العربي القديم عناية بالغة واهتماماً كبيراً؛ نتيجة الوعي بقيمته الإدراكية وفاعليته الإبداعية، والتفت غير واحد من علمائنا القدماء إلى مناقشة هذه المفاهيم والنظر في خصائصها وطاقاتها التعبيرية، واتفقت بعض الآراء في تحديد طبيعتها حتى أصبح معناها واحداً من أهم مقومات الإبداع التصويري وتحقيق الصورة الفنية، وما تحتويه من استعارات وتشبيهات ومجازات، وكأنها الأقطاب التي تدور البلاغة عليها في مُتصرَّفاتها، وأقطارٌ تحيط بها من جهاتها[٤].

ثانياً : مفهوم النظرية التخييلية عند عبد القاهر الجرجاني والقرطاجني :

---

(١) بغية الإيضاح : ٢٨/٤.

(٢) صدر البيت في معلقته : وقفتُ بها من بَعدِ عشرين حِجَّةً، ينظر : ديوان زهير بن أبي سلمى : ١٠٣.

(٣) ينظر : شرح ديوان عنترة : ١٧١.

(٤) ينظر : أسرار البلاغة : ٢٧، ودلائل الإعجاز : ٥٢٠.

وقف البحث بدءً من القرن الخامس الهجري، وتحديداً بالشيخ الجليل الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، فهو أول عالم أطالَ النظر والفحص والتدقيق والتأمل في مفهوم التخييل حتى استغرقت هذه النظرية أكثر صفحات كتابه (أسرار البلاغة)، ونفتتح النقاش بالتساؤل الآتي : لماذا خصَّ الشيخ عبد القاهر الجرجاني نظرية التخييل بجُلِّ اهتمامه ؟

إنَّ التتبع الدقيق لـ (أسرار البلاغة) يكشف مدى حرص عبد القاهر على مواصلة البحث عن المعنى وطريقة النظم، حتى أنه أتخذ من هذا الأساس منطلقاً للدخول إلى معالجة أسلوب التخييل والكشف عن هويته حين قدَّم حدّاً منطقياً عقلياً مجرداً من الذائقة الشعورية، بنى عليه نظريته التخييلية من حيث وجودها وعلاقتها بالحقيقة، فيجمل حديثه بقولهِ : ((والذي أُريده بالتخييل ههنا ما يثبت فيه الشاعر أمراً غير ثابت أصلاً، ويدَّعي دعوى لا طريق إلى تحصيلها، ويقول قولاً يخدع فيه نفسه ويُريها ما لا ترى))[1].

نلاحظه في النص دقيقاً في عرض الآراء، روياً في إصدار الأحكام، فهو أولاً يخصص لنفسه رأياً شخصياً مستقلاً بقولهِ: (والذي أريده) يثبت فيه دليل وجود آراء عامة لعلماء آخرين من جانب، ومن جانب أخر يحاول أن يُفرد نسبة المفهوم التخييلي وما يتعلق به في هذا المقام لنفسه، مع التركيز على لفظة (ههنا) التي حَدَدَ بها ما أخرجه من دائرة التخييل، خلاف من عُني بالذكر أي – ما يثبت فيه الشاعر أمراً ثابتاً أصيلاً، فالتخييل عنده أداة من أدوات الإقناع التي تطلق العنان للصورة الفنية حتى تصل إلى الإدراك العقلي وتقنعه إشباعاً بالحسِّ، فالصورة لا تفرز قيمتها الدلالية إلاَّ في إطار النظم والسياق.

ولا ريب أن هذا الاهتمام نابع من عملية النضج الفكري بقيمة التخييل وأثره الفاعل في العمل الفني، فلا يستقيم البناء ويتكامل من وجهة نظر عبد القاهر الجرجاني؛ إلاَّ من خلال إجراءات الجمع بين الأشياء العقلية والأشياء المدركة حسياً

---

(١) أسرار البلاغة : ٢٧٥.

تجسدياً لعلاقات قائمة بينها، ومن خلال هذا القول يتحدد مفهوم عبد القاهر للتخييل بالأمور الآتية :

١- إثبات أمر غير ثابت أصلاً.

٢- إدعاء فكرة لا طريق إلى تحصيلها.

٣- مخادعة النفس بالقول.

٤- إيهام النفس ما هو غير موجود أو غير مدرك.

وبإجتماع هذه الأمور يتضخ معنى الإدراك الحسي والعقلي المرتبط بالتخييل إذ إنه عملية شديدة التعقيد في الإنسان تمثلها منظومة اللغة من خلال ارتباطها الوثيق بإنتاج المجاز واستقلاله[1]، وهذا لا يعني أن التخييل عملية كذب أو مخادعة، فقد أخرجه عبد القاهر من هذا الجانب السلبي إلى نطاق أوسع شمل الاستعارة والتشبيه والتمثيل وأكد ذلك في عدّة مواضع إذ يقول : ((وهذا نوعٌ آخر من التخييل، وهو يرجع إلى ما مضى من تناسي التشبيه وصرف النفس عن توهمُّه، إلاّ أنَّ ما مضى مُعلَّل، وهذا غير معلّل، بيان ذلك أنهم يستعيرون الصِّفة المحسوسة من صفات الأشخاص المعقولة، ثم تراهم كأنهم قد وجدوا تلك الصفة بعينها، وادركوها بأعينهم على حقيقتها، وكأنّ حديث الاستعارة والقياس يجرِ منهم على بال، ولم يَرَوْه ولا طيف خيال))[2]، وقد مثَّل عبد القاهر لهذا النوع من الاستعارة الداخلة ضمن حدود التخييل بقول أبي تمام[3] :

ويَصْعدُ حتَّى يظُنّ الجَهو　　　　لُ أنَّ لَهُ حاجةً في السَّماءْ

ويؤكد عبد القاهر منهجه في تقسيم التخييل إلى أنواع يدخل الاستعارة ضمنها؛ لأنه صورة فنية ينتجها الخيال، هذه الصورة قائمة على فكرة الادعاء لا النقل المجرد فيقول : ((فقد حصل من هذا الباب أن الأسم المستعار كلما كان قدّمهُ أثبت في مكانه، وكان موضعه من الكلام أضنَّ به، وأشدَّ محاماةً عليه، وأمنع لك

---

(١) ينظر : المجاز ورؤية العالم (بحث)، أحمد صبرة، مجلة علامات في النقد، يصدرها النادي الأدبي الثقافي بجدة، مج ١٧، ج٦، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص٤٧.

(٢) أسرار البلاغة : ٣٠٢.

(٣) ديوان أبي تمام : ٢/٢٠٠.

من أن تتركه وترجع إلى الظاهر وتصرِّح بالتشبيه، فأمرُ التخييل فيه أقوى، ودعوى المتكلم له أظهر وأتمُّ))[١]، وكأنه أراد بدخول الاستعارة والتشبيه في أسلوب التخييل نفي صفة الكذب والمخادعة؛ لورود هذه الأساليب في التعبير القرآني المنزه عن ذلك تنزيهاً كبيراً.

سجل عبد القاهر الجرجاني حضوراً فاعلاً للاستعارة والتشبيه والتمثيل في تكوين التخييل على أن الأخير في مفهوم عبد القاهر الجرجاني أمراً فرعياً لا يشمل الشعر كلّه ولا يهم سوى ((ما يثبت فيه الشاعر أمراً غير ثابت أصلاً))[٢]، إلاَّ أن الأمر المريب في هذا الحضور، التناقض الواضح في موقفهِ من التخييل، ففي مواضع يثبت الصلة الوثيقة بين هذا المفهوم وبين فنون الاستعارة والتشبيه والمجاز كما ذكرنا سابقاً، وفي مواضع أُخرى ينفي هذه الصلة بقوله : ((وأعلم أن الاستعارة لا تدخل من قبيل التخييل))[٣]، مؤكدا قوله باستدراك يعلل فيه نفي هذه الصلة ((فأما الاستعارة، فإن سبيلها سبيل الكلام المحذوف، في أنك إذا رجعت إلى أصله، وجدتَ قائله وهو يُثبت أمراً عقلياً صحيحاً، ويّدعي دعوى لها سِنْخٌ في العقل))[٤].

ويزول هذا التناقض بعودة عبد القاهر الجرجاني إلى تعظيم شأن التخييل، وبيان مكانته في آداب الشعوب لأنه ((النمط العَدْل والنُمرُقة الوسطى، وهو شيء تراه كثيراً بالآداب والحكم البريئة من الكذب))[٥].

---

(١) الإدعاء : مصطلح دقيق يعني إتحاد بين المشبه والمشبه به إلى درجة تُمكّن المستعير من جعل أحدهما الآخر، قال عبد القاهر : ((وفي الفعل والصفة شيء آخر، وهو أنك كأنك تدعي معنى اللفظ المستعار للمستعار له، فإذا قلت : (قد أنارت حجتُهُ) و(هذه حجة منيرة) فقد ادعيت للحجة لنور))، أسرار البلاغة :٢٤١ و٣١٨، وقد اكد عبد القاهر الجرجاني هذه الفكرة في موضع آخر، وأبطل كلام المثبتين للنقل المجرد مُبيناً ذلك بتحليل الأمثلة والشواهد، ينظر : دلائل الإعجاز: ٤٣٢ – ٤٣٣، فهو بذلك ((يفضي إلى تشكيل صورة في الذهن تزاوج بين معنيين في إطار تشبيهي واحد))، قراءات بلاغية : ١٠.

(٢) أسرار البلاغة : ٢٧٥.

(٣) المصدر نفسه : ٢٢٣، وينظر : دلائل الإعجاز : ٣٩٣ و٤٤٨.

(٤) المصدر نفسه : ٢٧٥.

(٥) المصدر نفسه : ٢٧٦.

وليس من شك في أن عبد القاهر الجرجاني في تعريفه المنهجي للتخييل قرُب كثيراً من المعنى اللغوي، إذ فسره بأنه توليد صور ذهنية يصنعها الخيال فيتضح بالانحراف اللغوي المقصود عن النظم القائم على الصور الناتجة من الاستعارات والتشبيهات وما يرافقها من إيحاءات دلالية يقبلها العقل والمنطق، وجدير بالذكر أن للشيخ الجليل وقفة لا يمكن إغفالها في هذا الجانب، إذ قسَّم التخييل إلى تقسيمات فرعية تنتج من أصل تقسيم ثنائي عام يشمل :

القسم الأول : القسم العقلي.

في هذا القسم يخضع المعاني لترتيب عقلي معين واستنباط منطقي للأدلة البيّنة، مجراه في الشعر والكتابة، والبيان والخطابة، مجرى الأدلة التي يستنبطها العقلاء، والفوائد التي يثيرها الحكماء، حيث تمثل المعاني العقلية قمة الصدق ولبّ الحقيقة بأسلوبٍ صريح وتعبير مباشر دون الحاجة إلى تأويل، يسعى العقل إلى الأخذ بها، والحكم بموجبها، لأن أكثرها ((منتزعاً من أحاديث النبي ﷺ وكلام الصحابة ﵃ ومنقولاً من آثار السلف الذين شأنهم الصدق، وقصدهم الحق، أو ترى له أصلاً في الأمثال القديمة والحكم المأثورة عن القدماء))[1]، وأعلاه مناسبةً وأجلّهُ وأفخره قول الله تعالى : ﴿ ⧫☞✡⚤✡☐ ☐📖☐🗏⇩❷♦✎♦▤➚☐⬀ ⬁ ⚤✡⑨⍓ ✂☞✍★ 📖☐✍⍃◑♦◉⍊▤➚☠⬀ ﴾ **[الحجرات: من الآية١٣]**، وقول الرسول الكريم ﷺ : ((من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبهُ))[2].

وقد علل عبد القاهر الجرجاني هذه القضية بعيداً عن كل جانب ((يُغترُّ به الجاهل، ويعتمده المنقوص))[3]، بالإحالة إلى إبطال النسب والتكثر والرجوع إلى الشرف، لما يحمله من معانٍ عقلية ((لم يزل العقلاء يقضون بصحتها، ويرى العارفون بالسياسة الأخذ بسنتها، وبه جاءت أوامر الله –سبحانه وتعالى–، وعليه

---

(١) أسرار البلاغة :٢٦٣.

(٢) سنن أبي داود، كتاب العلم، باب الحثّ على طلب العلم، حديث رقم (٣٦٤٣)، ٤٠/٤.

(٣) أسرار البلاغة : ٢٦٤.

جرت الأحكام الشرعية والسنن النبوية، وبه استقام لأهل الدين دينهم، وانتفى عنهم أذى من يفتنهم ويضيرهم))[1].

وقد ذكر عبد القاهر الجرجاني لهذا القسم من التخييل أنواع؛ إلاَّ أنه لم يورد سوى هذا النوع، وضربَ له أمثلة شعرية تتراءى كأنها كلام صريح ليس للصوة الفنية الخيالية فيها مكان؛ وإنما مكانها من العقل ما ظهر واستبان كقول أبي الطيب المتنبي[2] :

لا يسلمُ الشَّرفُ الرفيعُ من الأذى   حتَّى يُراقَ على جوانبهِ الدَّمُ

وعلّة المعنى في قول المتنبي من وجهة نظر عبد القاهر الجرجاني التخيلية أنَّ السيوف لم تُطبع ولم تُطلق فيها الحتوف؛ إلاَّ من أجل هؤلاء الطُغاة الماردين، والغواة المعاندين، الذين لا يعون الحكمة فتردعهم، ولا يتصوَّرون الرشدَ فيكُفَّهم ويمنعهم؛ لذا يجدوا في ألم السيوف ما يوجعهم ليحسوا بنقائض الغيّ والضلال في أنفسهم فيحبسوا على الأمر، ليستقيم الدين والدنيا، وينال أهل الشرف الرتبة العليا[3].

وكذا قوله[4] :

وكُلُّ أمرئٍ يُولى الجميل مُحبَّبٌ   وكُلُّ مكانٍ يُنبِتُ العزَّ طيِّبُ

فقد ظهر المعنى صريحاً واضحاً، أُلبست المعاني العقلية فيه رداء الشعر، وأدت من الاختصار والكشف ما دَلَّ على سِمّة العقل.

فقد درس عبد القاهر الجرجاني نظرية التخييل إستناداً إلى أثره الأسلوبي في العمل الفني بوصفهِ عنصراً من عناصر التصوير والإبداع، فحسن التعليل المنطقي والعقلي واحدٌ من أبرز الآثار والمظاهر الأسلوبية التي ركز عليها أسلوب التخييل في هذا النوع من أقسامهِ.

القسم الثاني : القسم التخييلي :

---

(١) المصدر نفسه : ٢٦٦.

(٢) ديوان المتنبي : ١٢٥/٤.

(٣) ينظر : أسرار البلاغة : ٢٦٦.

(٤) ديوان المتنبي : ١٨٣/١.

أفاضَ عبد القاهر الجرجاني الحديث في هذا القسم، وأدخل فيه مسألة (الصدق والكذب) في الشعر، وهي إحدى ثمرات منهجه الفلسفي، وقد آثر البحث الابتعاد عن إثارة هذه القضية؛ لانتفاء أثرها في ما يتعلق بخصوصية التعبير القرآني – موضوع البحث –.

يقول عبد القاهر الجرجاني في وصف هذا القسم : ((هو مفتتن المذاهب، كثير المسالك، لا يكادُ يُحصر إلاَّ تقريباً، ولايُحاط به تقسيماً وتبويباً، ثم إنه يجيء طبقات، ويأتي على درجات))[١]، ويعني عبد القاهر الجرجاني بهذا القسم كل ما ((لا يمكن أن يُقال إنه صدقٌ، وإن ما أثبته ثابت وما نفاه منفي))[٢].

أُسس النظرية التخيلية عند عبد القاهر الجرجاني تقسِّم هذا النوع من التخييل إلى ضروب هي :

الضرب الأول : التخييل المقابل أو التشبيه بالحقيقة :

وهذا التخييل أقرب إلى الصدق يشمل ما هو برئ من الكذب وهو شيءٌ تراه كثيراً بالآداب والحِكم الصادقة ومن أمثلتهِ قول أبي تمام[٣] :

لیسَ الحجابُ بمُقصٍ عنكَ لي أملاً   إنَّ السماءَ تُرجَّى حين تَحتجِبُ

وكذا قوله[٤] :

لا تُنكري عَطَلَ الكريم من الغنى   فالسَّيلُ حَرْبٌ للمكان العالي

يُجري عبد القاهر الجرجاني هذه الشواهد على القياس التخييلي وليس العقلي، وبمفهومه فهي ((قياس تخييل وإيهام، لا تحصيل وإحكام))[٥]؛ لأن طبيعة الشعر عنده قائمة على الخيال والتخييل والذهاب بالنفس إلى ما ترتاح إليه من التعليل[٦].

---

(١) أسرار البلاغة : ٢٦٧.

(٢) المكان نفسه.

(٣) ديوان أبي تمام :٣٨٢/٢.

(٤) المصدر نفسه : ٣٨/٢.

(٥) أسرار البلاغة : ٢٦٧.

(٦) ينظر : المصدر نفسه : ٢٧٠.

جمع أبو تمام في بيتيه معنيين من خلال صياغة تصويرية تخييلية محكمة تقتضي إيجاد روابط خفية بين أطراف الصورة، وفقاً لعملية تخييل معنى بواسطة معنى آخر، بإيهام المتلقي بوجود شبه بين الصورتين يتوصل إليه بالتأمل الدقيق فيلمحها ضمناً وهنا احتج عبد القاهر الجرجاني لفقر الكريم وعطله من الغنى بقياس أقرب إلى الإيهام والتخييل منه إلى العقل وهو صورة السيل في قوة انحداره وعدم إستقراره على الأماكن الشاهقة ((فالعلَّة في أن السيل لا يستقر على الأمكنة العالية، إن الماء سيال لا يثبت، إلاَّ إذا حصل له في موضع له جوانب تدفعه عن الانصباب، وتمنعه عن الانسياب، وليس في الكريم والمال، شيء من هذه الخلال))[1]، وقد وصلت هذه الصورة إلى الذهن من خلال تخييل أن رفعة القدر وعلو الشأن بمنزلة المكان الحسي المدرك، كما وأن المال متخيل بمنزلة الماء الدافق الذي ينساق إلى الرجل فيقضي منه وطره ثم يرسله إن شاء إلى بني الحاجات، وبذلك يكون المعنى أن مكانة الكريم لارتفاعها جعلت المال يمرُّ على يده ثم ينطلق بالبذل والأنفاق يستند إلى أن الماء يتجمع على ما ارتفع من وجه الأرض من هضابٍ، ((وهذا القياس ضربٌ من التخييل لا يجول في العقل إلاَّ ريثما ينظر إلى أن السبب في عدم استقرار الماء على الأماكن العالية؛ لأنه جرماً سيالاً))[2].

الضرب الثاني : التخييل الموهم بالنظير في الصفة :

وهو أقرب إلى التشبيه المقلوب، الذي يجعل الفرع أصلاً، والأصل فرعاً[3]، كقول الشاعر[4] :

وبدا الصبّاح كأنَّ غُرتَّهُ وَجهُ الخليفةِ حين يُمتدَحُ

صوّر وجه الخليفة أكمل وأتمّ نوراً وضياءً من الصباح، وأوهم المتلقي بما احتشده من معانٍ وردت على النفس بضربٍ من السرور والفرح العجيب[1].

---

(١) أسرار البلاغة :٢٦٧.

(٢) الخيال في الشعر العربي : ٩.

(٣) ينظر : أسرار البلاغة : ٢٢٣.

(٤) نُسب هذا البيت لمحمد بن وُهيب الحميري، شاعرٌ مطبوع مكثير من شعراء الدولة العباسية ، كان يتكسب بالمديح، ويتشيع وله ميراث في أهل البيت، ينظر : الكليّات : ٢٧١، الأعلام : ١٣٤/٧.

الضرب الثالث : التخييل المُعلل أو ما يعرف بـ (حُسن التعليل) :

هذا النوع من التخييل يقوم على الإدعاء في الصفة الثانية للشيء، إما لأمرٍ يرجع إلى تعظيم الممدوح، أو تعظيم أمرٍ من الأمور ((فهذا ليس من جنس ما مضى))[٢]، أي أنه ليس قائماً على التشبيه رغم أنه من عمل الخيال، إلاَّ أنه فيه من الخفاء طرفاً ألجأ المبدع إلى ((وضع المعنى وضعاً وصوَّره في صورةٍ خرج معها إلى ما لا أصل له في التشبيه))[٣].

ومن أجمل الصور التي نقلها عبد القاهر الجرجاني شاهداً على هذا الضرب قول أبي تمام[٤] :

كأنَّ السحاب الغُرَّ غَيَّبنَ تحتها حبيباً فما تَرقَا لهنّ مَدامِعُ

خدع الشاعر نفسه عن التشبيه وغالطها، وأوهم أن الذي جرى العُرف بأن يؤخذ منه الشَّبه قد حضرَ، فجعل للشيء عِلّة، وأقام عليه شاهداً، بأن جعل للسحابِ حبيباً قد غُيّب في التراب، وهذه الصورة بعيدة عن التشبيه، وإن كانت أصلها.

الضرب الرابع : التخييل غير المُعلل :

يرجع هذا النوع إلى ((ما مضى من تناسي التشبيه وصرف النفس عن توهمه))[٥]، حيث أن تناسي التشبيه يبلغ درجته القصوى بالنظرِ (إلى خاصيَّة ومعنىً دقيق يكون في المشبه به، ثم يثبت تلك الخاصية وذلك المعنى للمشبه))[٦]، وهنا يوهم العقل بحجة منطقية تجري مجرى الحقيقة التي لا يظن معها أن هناك تشبيهاً أو استعارة أو مجاز.

---

(١) ينظر : أسرار البلاغة : ٢٢٤.

(٢) أسرار البلاغة : ٢٧٨.

(٣) المكان نفسه.

(٤) معنى (تحتها)، أي : تحت الديار البلاقع؛ لأن ما قبل البيت قوله :

ألا إنّ صبري من عزائي بلاقعُ عشية شاقتني الديار البلاقعُ

ينظر : ديوان أبي تمام : ٤٤٩/٢.

(٥) أسرار البلاغة : ٣٠٢.

(٦) المصدر نفسه : ٣٠٥.

وخلاصة الأمر فإن رؤية عبد القاهر للتخييل ترتكز على استدعاء الجزئيات المكونة بالخيال واسترجاع الأفكار ((بعد تثبت وتذكر وفلْيٍ للنفس عن الصور التي تعرفها، وتحريك للوهم في استعراض ذلك واستحضار ما غابَ منه))[(١)]، وهذه النظرية بمظاهرها المتعددة لا تدرك ((إلاَّ إذا كان المتصفح للكلام حساساً، يعرف وحي طبع الشعر، وخفيِّ حركته التي كالخَلْسِ وكمسرى النَّفَسِ في النَّفْسِ))[(٢)].

ومن خلال دراسة النظرية التخيلية الجرجانية نتوصل للنتائج الآتية[(٣)] :

١- أصل التخييل استعارة أو تشبيه، وينحرف التخييل عند هذا الأصل بالادعاء والتناسي.

٢- أعلى مراتب التخييل ما يتولد عن الإيهام والادعاء بعيداً عن الإلتزام بمعطيات العقل والواقع.

٣- التخييل متأتٍ من قدرة المبدع على التصوير والإيهام وخلق نوع من التجاوز والانحراف والعدول الذهني عما هو مألوف، وتوسيع المساحة الدلالية للمادة اللغوية بتكسير حواجز الجمود في البناء الدلالي، والانزياح عن النسق الثابت والنظام (الترتيب) مع مراعاة المحافظة على المعاني لإيصالها استناداً إلى أداوات الإقناع الحسي والعقلي.

٤- يجري التخييل وفقاً لمعايير قياس ثابتة تخترق الحقيقة بخلاف غيرِه من الأنماط الأسلوبية المشابهة والداخلة ضمنه.

٥- النظرية التخيلية عند عبد القاهر الجرجاني نظرية شمولية غير محددة، فهي جزء لا يتجزا من العمل الفني، يظهر فيها حرصه الواضح على ربط هذا المفهوم بنظرية النظم.

٦- يخرج عبد القاهر الجرجاني في تقسيمه الثنائي للمعاني، المعاني العقلية من جوهر الشعر؛ إلا أن هذا لا يعني التقليل من شأنها؛ لأنها تمثل الحقائق

---

(١) أسرار البلاغة : ١٥٧.

(٢) المصدر نفسه : ٣٠٦.

(٣) ينظر : عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده : ١٣٣-١٣٨.

الواقعية الصادقة في التصوير المباشر، أما المعاني التخيلية فتستقل بعيداً عن قوانين الواقع الخارجي.

٧- ميز عبد القاهر بين مفاهيم (الوهم، الخيال، التخييل) فجعل الوهم أعلى درجات الخيال، والتخييل أحد اشكال الخيال على النحو الأتي :

الوهم ←—— الخيال ←—— التخييل.

يمتد الأساس التاريخي لدراسات الإيهام والتخييل في الفكر العربي ليشمل مفكراً آخر بنى أسس نظريته التخييلية على أعقاب ما جاء به عبد القاهر الجرجاني، وهو حازم القرطاجني، إلاَّ أن الفارق بينهما هو مسألة الربط، فمن خلال إستقراء المفهوم التخييلي عند القرطاجني نلاحظ الآتي :

١- اشترك حازم القرطاجني مع عبد القاهر الجرجاني في تدعيم هذه النظرية واعتمادها في ضبط تصور للشعرمع تأكيد عبد القاهر على نظرية النظم.

٢- عدَّ حازم القرطاجني التخييل قوام الشعر وقمة النضج الفني مستوعباً مفهومه بدقة مبيناً أثره الأسلوبي في تصويرالمعاني الذهنية وتقديمها في صورة محسوسة مُتخيلة تتشكل من مجموع الألفاظ والعبارات، وفقاً لعلاقاتٍ ترابطية، فـ((المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكل شيء له وجود خارج الذهن، فإنه إذا أُدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم))(١).

٣- التخييل عند حازم القرطاجني أكثر المفاهيم الفنية المميزة للغة الأدبية بوجه عام والشعرية بوجه خاص، فهو يربط بين المتلقي والتخييل في ناحية الجانب النفسي وذلك عندما ((تتمثل للسامع مع لفظ الشاعر المخيّل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصوّرها، أو تصوّر شيء آخر بها انفعالاً من غير روية إلى جهة من الانبساط أو الانقباض))(٢).

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ١٨ – ١٩.

(٢) المصدر السابق : ٨٩.

٤- حدد القرطاجني مناحي التخييل في الشعر من جهات أربع هي [١]:

أ- جهة المعنى.

ب- جهة الأسلوب.

ج- جهة اللفظ.

د- جهة النظم والوزن.

وبهذا التحديد أصبح التخييل نظرية متكاملة يبدو فيها التأثر الفكري بمنهج الفلاسفة واضحاً؛ لأن المفهوم دخل في قوالب القياسات المنطقية؛ رغبةً في وضع معايير ثابتة للخيال الفني ووسائله التعبيرية؛ ولشدة ولوعهِ بالتقسيمات المنطقية.

٥- جعل القرطاجني لكلٌ جهة من جهات التخييل تكويناً خاصاً، تدخل فيها تقاسيم فرعية تقوم على أساس المعاني المتخايلة التي أطلق عليها مصطلح (التخاييل الثواني)[٢]، الذي يرتكز بدوره على ما جاء في التقسيم الأول من جهة الأسلوب، لأنه في أصل تكوينه يتضمن اللفظ والمعنى والإيقاع، ويتم ذلك عن طريق تخييل طرائق أو أساليب لتلك المقاصد قد تكون متجانسة أو متخالفة تبعاً لمواضع التخييل فيها[٣].

٦- تندرج في إطار النظرية التخييلية عند حازم القرطاجني مفاهيم متعددة مثل الإدراك والإحساس وهي أصل التخييل عنده.

٧- ترتكز نظرية التخييل القرطاجنية على دعائم أساسية هي :

١- المتلقي.

٢- المبدع.

٣- الصورة التخييلية.

إذن فالخيال بهذا المفهوم :

١- وسيلة تواصلية بين المبدع والمتلقي.

---

(١) ينظر : منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ٨٩.

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٩٣.

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ١٠٩.

٢- أساس العمل الفني.

٣- هدف المبدع للوصول إلى إمتاع المتلقي وتوجيه سلوكه.

٤- نشاط خفي له أثره الواضح بالتصور والإدراك.

وهذا يؤكد فهم القرطاجني على أن التخييل هو الخيال.

٨- ميز القرطاجني بين الوهم والتخييل، فالثاني عنده مسألة ذوقية شعورية ترتبط بروح الشعر؛ لذا تخطى فيه مسألة التعقيد في قضية اللفظ والمعنى.

وقد اتخذ هذا المصطلح منحىً آخر مع الادراك بأهمية اللغة والوعي بقيمتها في الفكر الفلسفي؛ لأنها ((ليست أداة للإدراك، وإنما هي صورة الإدراك نفسه))[1]، فقد لخص العلوي (ت ٧٤٩هـ) الكيفية التي نرى فيها الأشياء وفقاً لإدراكها الحسي المرتبط بالتخييل فهو الأسلوب الذي خصه بوجوهٍ متعددة، مؤكداً أن هذا النوع من البديع يرتكز على أساس تشبيه غير المحسوس بالمحسوس ووصفهُ بأنه ((من مرامي سهام البلاغة المسدّدة، وعقدٌ من عقود لآليهِ وجُمانه المبددة)) [2]؛ وبسبب وضعهِ الذي أختص به وتفرد، حَسُنَ موقعه في البلاغة فهو ((أحقُ علومها بالإتقان وأولاها بالفحص عن لطائفهِ والإمعان))[3]؛ لتضمنه خلاصة ذكر ألفاظ لكل واحدٍ منها معنيان أحدهما قريب، والآخر بعيد، فإذا سمعه الإنسان سبق فهمه إلى القريب، ومراد المتكلم فهم البعيد، كقوله تعالى : ﴿❑◆✡◆▦☒②⬀☼➔ ▫⑩○ ♉⑥⑩❑❑⬑ℊ﴾ **[الحجر:٢٩]** فالظاهر الذي يسبق من هذا التعبير هو الروح المتردد في الخلق، وليس هو المعنى المقصود في هذا السياق؛ وإنما يُراد به دلالة روح الحياة، ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿⬄◆⬀ ③◆⑨⊠✁■⬅ ♉◆⧗⬀○⓿❑⬭⧫◆✍◆ℯℊ⬀﴾ **[المائدة : ٦٤]**، وقوله تعالى : ﴿♉❑♑⬂❷⧫❽ ⬄♇❑⬉⇳⓿⬉♈♉⬖◆✍﴾ **[القمر : ١٤]**.

---

(١) المجاز ورؤية العالم (بحث) : ٤٤.

(٢) الطراز : ٢/٣.

(٣) المكان نفسه.

وقد أجرى العلوي الكثير من الشواهد القرآنية والأمثلة الشعرية والنثرية على نعت التخييل ((فهي في الحقيقة دالة على ما وضعت له في الأصل؛ لكن معناها غير متحقق، وإنما هو أمرٌ خيالي)) [1]، وهذا الأجراء هو الذي عول عليه علماء البلاغة والمحققون من أهل البيان، فاليدُ والعين مثلاً دالان على الجوارح؛ لكن تحققهما في حقِّ الله– تعالى– غير معقول؛ ولكنه جارٍ على جهةِ التخييل أي أنه تصوير حقيقة الشئ حتى يتوهم أنه ذو صورةٍ تشاهد، ولو أخذنا في ذكر ما في القرآن الكريم من هذا النوع لأطلنا، ومن أنعم نظره فيه وجَدَ من ذلك مواضع كثيرة[2].

والذي يجب التأكيد عليه أن مذهب أهل الحق هو حَملُ صفات الله – جلّ وعلا– على الحقيقة ولا إيهام أو تخييل فيها، أي اننا نوافقها على ما هي عليه بإثباتها لله تعالى دون خروجنا بتأويلاتٍ أو مجازاتٍ توقع المتأول أو المشبه في إشكاليات عقائدية لا طائل للبحث من ورائها.

ثالثاً : الوظيفة الأسلوبية للإيهام والتخييل :

استلهم الدرس العربي الحديث النظريات والمفاهيم القديمة التي تعالج أشكال التخييل والإيهام، ومقتضياتهما في النظم والتصوير، وحاول صياغة تصور مفهومي مغاير يتقاطع مع ما سبقهُ ويؤسس لرؤية جديدة تربطه بركب العلوم الحديثة والمعاصرة، على أساس أن التخييل صناعةٌ ((من أجمل الفنون التي يرجع النظر فيها إلى جهة المعنى))[3]، وجرد العديد من الباحثين أقلامهم لتحرّي حقيقة هذه الأساليب في البلاغة العربية عموماً والبلاغة القرآنية على وجه الخصوص، وتتبعوا كيفية صناعتها، والغاية من مضامينها التي تختلب العقول وتخادع النفوس؛ وبذا شكلت هذه المصطلحات مفاهيم حامت حولها تفسيرات عديدة وفهمت وفقاً لمعايير أسلوبية تحدد في ضوئها طبيعة هذه المصطلحات؛ متجاوزة الكثير من المعوقات التي تحول دون بلورة نتاجاتها التعبيرية، مع ملاحظة النمو والتقدم الذي طرأ على

(١) الطراز : ٣/٧.

(٢) ينظر على سبيل المثال : سورة طه : ٥، وسورة الزمر : ٥٦ و٦٧، وسورة الذاريات : ٤٧، وسورة الرحمن : ٤٧، وسورة المائدة : ٦٤، وسورة الفتح : ١٠.

(٣) الخيال في الشعر العربي : ٢.

التراث العربي بتقدم الزمن واختلاف الثقافات وتعددها، فقد انعكس أثر ذلك على أساليب التجديد الحديثة الذي ظهرت على شكل اتجاهات، بعضها متمسك بالقديم لا يتجاوز حدود نظرتهِ التطبيقية، وبعضها ينطلق من إجراءات تؤكد أن البلاغة هي علم الخطاب الاحتمالي الهادف إلى التأثير أو الإقناع أو هما معاً، وأن الدراسة الأسلوبية لا تكتفي برصد الظواهر التعبيرية؛ بل تتعداها إلى تعميق الصياغة وتفكيك الظاهرة اللغوية وإعادة تركيبها للكشف عن علاقاتها الترابطية الكامنة والمعبرة عما ترمي إليه.

إن كلّ عمل إبداعي يسعى إلى تحقيق الانسجام والتوازن الدقيق من خلال غايته في نقل التجربة إلى المتلقي والتأثير فيه وامتاعه، وقد أكدت الكثير من الدراسات على أن المخيلة[1] هي المسؤول الأول في عملية تنظيم هذه الأعمال وضبط عملية التعادل والتوازن المنسجم فيها، مُعلنةً أهمية الخيال في تمثيل الأشياء الحسية وتصويرها؛ وفقاً لروافدهِ ومعطياتهِ الفنية التي تفرد الأعمال الابداعية وتميزها عن غيرها من الأعمال الأدبية.

إن إطلاق مصطلح (التخييل والإيهام) في صدد الحديث عن المعاني المتصورة المعقولة يهدف إلى دفع المتلقي لإعادة التأمل الخارجي للواقع الملموس من خلال ذائقته الحسية التي تتقاطع مع الذائقة الوهمية في الكشف عن أن مبدأ (التخيل) هو فعل المحاكاة في تشكلهِ، أما (التخييل) فهو الأثر المصاحب لهذا الفعل بعد تشكلهِ، وهذا ما التفت إليه جابر عصفور في معرضِ حديثه عن الصورة الفنية وأسس تشكيلها[2]، فقد تناول هذه المصطلحات مراعياً خصوصيتها الدلالية إذ أعطى لكلّ مصطلح منها قيمته التعبيرية الملموسة، فهو لا يتوخى فيه وجه الحقيقة وإنما يقصد به تحريك الأذهان، وشدِّ العقول لتحري سمّات الشعرية التي يقتضيها العمل الأدبي التي تعدّ شرط لازم لنجاح وديمومة أي عمل إبداعي، فالتمثيل والاستعارة

---

(١) المخيلة : هي المفكرة التي تتصرف في المعلومات بالتفصيل والتركيب، وهي قوة تتغير بحسب اختلاف الحال، فعندما يكون زمامها بيد العقل يسمونها مفكرة، وعندما تتفلت منه يسمونها مخيلة، ينظر : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي : ٩٦، ودلالة الألفاظ في النقد اللغوي القديم (بحث)، الدكتور نعمة رحيم العزاوي، مجلة لغة الضاد، منشورات المجمع العلمي، ج٦، ١٣٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص٤٠.

(٢) ينظر : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي : ١١.

والتورية كلها فنون ناتجة من عمل القوة المخيلة التي تتصرف في إخراج المعاني وتداعيها في صورة مبتكرة جديدة تحرك الذهن للتأمل والتطلع إلى ما بعد الصورة من بديع، ينتزعه الخيال بعد التصور ليشكل منه صورة فنية فريدة قريبة إلى النفس فيها من المناسبات الخفية ما تعجز عنده العقول عن المجاراة والألفةِ ((ومما لم تتداوله الأفكار وليس من البعيد أن يلاقيه المخاطب بالتعجب الذي هو مطية الإنكار)) [١]، وبذا يتمكن التخييل من النفس عن طريق تقويتهِ داعية الأمور وربط الصورة بالصورة لغرض تجسيدها بأبلغ وأكمل وجه كما في قول الشاعر[٢] :

ولا تجعلِ الشُّورى عَليكَ غَضَاضَةً مَكَانُ الخَوافِي قُوةٌ للقَوادمِ

ضرب الشاعر المثل للشورى في تثبيت الرأي وإقامته على وجه السداد، بصورة آخرى قربت تصور الأولى وجسدت ما فيها من حكمة وبلاغةٍ وغاية مقصودة، فصورة الخوافي من الجوانح التي تساعد على الطيران أقرب تمثيلاً للصورة الأولى ((وهذا التمثيل يلقى في نفس السامع أنه محتاج إلى الشورى حاجة القوادم إلى الخوافي ويؤكد داعيته إلى العمل على سنتها))[٣]، وهنا تدرك قوة التخييل وجودته وما يحرزه من أثر بليغ في نفس المتلقي، وهذا الجانب على أهميته في بناء العمل الأدبي؛ فإنه لا يمكن أن يتصور بمعزل عن مجمل العمل الفني؛ لذا فإن العلاقات بين المفاهيم داخل السياق اللغوي تحمل جوانبَ دلالية تركيبية تعكس الانفعالات والمؤثرات الوجدانية التي تختفي وراء الألفاظ، وهكذا يختلف الكلام تبعاً لاختلاف اجزاءه وجهاتِ تركيبهِ وألوان تصويره وأغراضهِ، إلا أن هذا الاختلاف ينجلي مع تأمل نظم القرآن الكريم الذي تبرز فيه البلاغة في أدق وجوهها فيخاطب العقل والقلب معاً في تصوير شمولي مُعبر، وهذا التعبير المزدوج المتضمن الإقناع العقلي والإقناع الوجداني يعدّ خصيصة من خصائص التعبير القرآني وسمّاته البلاغية.

فقد عَمدَ التعبير القرآني إلى إيقاظ الخيال وتحريك المشاعر واستنطاق المشاهد والصور لتلامس البصيرة والفطرة بأسلوبٍ سهلٍ رفيعٍ منتظم تعجز أمامه قرائح كبار

(١) الخيال في الشعر العربي : ٧٨.

(٢) البيت لبشار بن برد، ينظر : ديوانه : ١٧٣/٤.

(٣) الخيال في الشعر العربي : ٧٤.

الشعراء والأدباء ويقطع الشك باليقين ((ويتخطى القرآن في تعبيره وتصويره منطقة الذهن كلها، ومنطقة الحواس جميعاً، ليتصل مباشرةً بمكمن العقيدة، حيث تتصل النفس مباشرة بالمجهول، وتجد في غموضه وبعده عن الحس والذهن ملاذاً ومتاعاً مجتمعَيْن)) [١] معبراً عن ذلك بطريقةِ التصوير والتخييل تأمل قوله تعالى :

[illegible]

[الأنعام :٥٩].

تنبض هذه الآيات بالحياة والحركة المتجددة التي لا تلبث أن ترتقي بالصورة إلى مشاهد محسوسة منظورة متخيلة استوفت كل مقومات الإبداع الفني وعناصره الضرورية، فالخيال بكلّ ضروبه، من استعارة وتمثيل، وكناية وتخييل عنصر مهم من عناصر الصورة؛ زيادة على ما فيها من عناصر موسيقية متمثلة بجرس الألفاظ وموسيقاها كالجناس والمزاوجة والمشاكلة[٢]، وكل ((ما يتحدُّ فيه الوضع ويدق فيه الصنع))[٣]؛ ليظل التخييل متابعاً حركة الصورة التي لا تقف عند حدٍ معين؛ بل تستحضر ما يمكن استحضاره من خلال عملية الترابط الذهني للمعاني المتداعية في المخيلة لتتكون في النفس صورة مستمدة مستوحاة من تلك المعاني[٤]، فالآيات ليست مجرد تعبير عن شمولية العلم الآلهي ودقتهِ؛ بل هي صورة تخييلية مدهشة تتبع المبدأ والمنشأ والغيب والمجهول في عملية الخلق، لترتد بعد ذلك إلى يقين مطلق بأن مرجع ذلك لله تعالى وحده الذي أحاط بكل شيء علماً وحُكماً وقدرةً.

---

(١) الصورة الأدبية في القرآن الكريم : ١٨٦.

(٢) ينظر : الصورة الأدبية في القرآن الكريم : ٢٣.

(٣) دلائل الإعجاز : ٩٣.

(٤) ينظر : دلالة الألفاظ (إبراهيم أنيس) : ١٦٠.

فقد كان منهج القرآن الكريم إلى العقل والقلب منهجاً واحداً يتخذ من وسيلة التصوير طريقاً للتعبير والتأثير وبلوغ الغاية في الجمع بين الغرضين الديني والفني في نظام متكامل تقف عنده الأذهان عاجزة عن التحدي، ومن هنا يتأكد أن مظاهر التخييل والإيهام ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالصياغة الفنية، فالخيال ركن اساسي في كل عمل تهتز له القلوب والعقول معاً؛ وفقاً لأدوات تصويرية تعبيرية وليدة الخيال والطبع، ليصبح الخيال تأسيساً على هذا الفهم حركة تجديدية باعثة مولِّدة ذات ابتكارٍ منشود يحكم بموجب معايير الجمال والقوة والتأثير في أي نسقٍ تظهر فيه مقومات الصورة واضحة. إن لهذه الأساليب أثرها على العمل؛ لأنها تجذب المتلقي وتشدُّ انتباهه للتركيز على مسألة الخروج عن المألوف والعدول عنه قصداً بهدف تحقيق الوصول إلى المعاني المستترة الخفية في بواطن الألفاظ، فضلاً عن اضفاء طابع المفاجأة والدهشة الذي تضفيه مظاهر الخيال على الصورة المتخيلة أو المدركة والمحسوسة بإعادة تشكيل وتركيب الصور بعد فصلها بعضها عن بعض؛ مما يُحدث تأثيراً واضحاً في النفس في حدود الذوق والعقل فهو يعمل على تقريب المعاني إلى الأذهان وتقديمها في اشكال تتسم بالجمال والحس، والحركة المنتظمة.

تأمل قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾[البقرة:٢٦-٢٧] سيقت هذه الآية لبيان

أن ما استكبره الجهلة والسفهاء، وأهل العناد والممارة والجدال من الكفار، واستغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروباً بها المثل ليس للاستنكار والإستغراب، من قِبَل أن التمثيل إنما يُصار إليه؛ لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب، وتقريب المتوهم عن المشاهد، فإن كان المتمثل لهُ عظيماً كان المتمثل به مثله، وإن كان حقيراً كان المتمثل به كذلك؛ فليس العِظم والحقارة في المضروب به المثل؛ إلا إذا أمراً تستدعيه حال المتمثل له، فيعمل الضارب للمثل على حسب القضية[1]؛ ولا شك في أن المعاني المسوقة في الآيات هي صورة واضحة دقيقة جارية على سبيل التمثيل اشتملت على إخبار بأن الله تعالى لا يعبأ أن يضرب مثلاً بشيءٍ حقير أو غير حقير فهو تحدٍ للبلغاء بأن يأتوا بسورة مثل القرآن وعجزهم عن معارضة النظم، فجاءت هذه الآيات طريقاً لهم في للطعنِ في المعاني ((فلبسوا على الناس بأن في القرآن من سخيف المعنى ما ينزه عنه كلام الله ليصلوا بذلك إلى إبطال أن يكون القرآن من عند الله بإلقاء الشك في نفوس المؤمنين))[2]، يقول الزمخشري : ((ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة، فقالوا : أما يستحي ربُّ محمدٍ أن يضرب مثلاً بالذباب والعنكبوت؟، فجاءت الآية على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال)) [3]، وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول أبي تمام[4] :

مَن مبلغٌ أفناءَ يعرُبَ كلَّها   أني بَنيتُ الجارَ قبل المنزلِ

---

(١) ينظر : الكشّاف : ١/١٠٥.

(٢) التحرير والتنوير : ١/٣٥٧-٣٥٨.

(٣) الكشّاف : ١/١٠٧، وضرب المثل بالذباب إشارة إلى قوله تعالى : ﴿لن يخلقوا ذباباً﴾ [الحج : ٧٣] والعنكبوت إشارة إلى قوله تعالى : ﴿إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت﴾ [العنكبوت : ٤١]، ينظر : أسرار التنزيل وأنوار التأويل : ٥٩٢.

(٤) البيت لأبي تمام : جعل فيه اختيار الجار بناءً ليشاكل به بناء الدار، ينظر : ديوان أبي تمام : ٢/٢٥.

ويلاحظ في التعبير القرآني بقوله: ﴿ ❍♒︎♐︎◻︎ ⬧⧫⬧⧫ ⧫⬧ ⬥⬥ ③♦○⇔☝♦⌧⬀⧫⬆⬨⌚⬛ ﴾ أن اللفظ المشاكل هنا مجازي الدلالة، معناه : أن الله لا يترك الضرب بالبعوضة ترك من يستحي أن يمثّل بها لحقارتها؛ لأنَّ أصل الحياء والاستحياء : تغيرٌ في الهيئة تتعرض له النفس ((من قبيل الإنفعال، يظهر أثرها على الوجه وفي الإمساك عن ما من شأنه أن يُفعل))[1]، فتترك أثرها الذي يعتري الإنسان من تخوف ما يُعاب أو يُذمُّ، وهو بهذا المعنى لا يليق بجلال الله – تعالى–؛ لذا فهو منفي من أن يكون وصفاً لله تعالى.

وقد أضفى أُسلوب الإيهام في قوله تعالى : ﴿ ⬧◻︎⬧ ⬧⬧♦➔⬉❑⬂✽◘☪ ◽︎♦☺◻︎⬧ ◽︎♦❑⬃⬥♦♑︎◻︎⬧ ﴾ سمّة تعبيرية تشد انتباه السامع وتلفت ذهنه للبحث عن دلالية المعاني الخفية المبهمة، وبناء على ما ذكره المفسرون، فإن (ما) الأولى ((ابهامية وهي التي إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته أبهاماً، وزادته شياعاً وعموماً))[2] وتأكيد أن (ما) إيهامية مشروطٌ بنصب (بعوضة)؛ لأن الرفع يجعل (ما) موصولة[3]. وقد وجه المفسرون الفوقية في قوله تعالى (فما فوقها) توجيهين دلاليين[4] :

أحدهما : فما تجاوزها في المعنى الذي ضُربت فيه وهو القِلّة والحقارة.

ثانيهما : فما زاد عليها في الحجم.

وبما أن اسلوب التوجيه يحتمل إيراد معنيين للفظ الواحد لا وجود لقرينة دالة على إرادة أحدهما دون الآخر، فإن كلا المعنيين من الوجهة البلاغية موافق لدلالة السياق القرآني، وسنأتي على تفصيل ذلك في مبحث التورية وملحقاتهِ.

---

(١) التحرير والتنوير : ٣٦١/١.

(٢) الكشاف : ١٠٨/١.

(٣) ينظر : المكان نفسه.

(٤) ينظر : المكان نفسه.

ومن هنا يتبين أن مظاهر الإيهام والتخييل بوصفها اساليب خاضعة للعدول والإنزياح عن ما هو مألوف من خلال تشكيل صور جديدة تخرج عن نمط المعتاد إلى ما يمكن أن يفسره العقل ويتخيل وجوده، أو ما لا يمكن إدراكه بالحواس، كل ذلك يُضفي على التعبير سمّة التأثير والخلق الدلالي المتولد الناتج عن تصورات ذهنية تسهم المخيلة في تفعيلها، مع إشراك عناصر أخرى في التجربة الإبداعية للوصول إلى المعنى الدلالي المقصود.

وقد ركزت الدراسات المعاصرة على البحث عن نقطة التقاء التخييل والتصوير وحصرها في منطقة الإدراك ومحاولة توسيع الوصل بين هذه المفاهيم بما يسمح بجعلها منظومة متحدة تسهم في تحقيق الإبداع الفكري.

من هنا فقد تغير مفهوم الوظيفة الفنية للتخييل عند المحدثين؛ لاختلاف نظرتهم إليه عن نظرة القدماء اختلافاً كبيراً، فأصبحت وظيفته نفسية شعورية وجدانية تخاطب المشاعر والأحاسيس، بخلاف نظرة الجمود والتمسك بالصور المحسوسة المألوفة، وعدّها اقرب الى النفس من الغريب؛ لأن القياس هو((أن ما هو واضح اجمل من الخفي، والمألوف أقرب الى النفس من الغريب، وما يدرك بالحاسة اقوى مما يدرك بالعقل أو غيره، وما هو حاضر اوضح من الغائب، وما تعاينه بنفسك اقرب مما يُعلمك به غيرك))(١) وهذا يعني أن الوسائل التصويرية الحديثة والمعاصرة تنظر إلى الأسلوب على حسب سياقه؛ شريطة توليد علاقات دلالية أو صوتية أو تركيبية تتعانق فيها الصورة مع اجزائها في السياق العام؛ فيكسبها ظلالاً إيحائية تصويرية يستدعيها الحس الشعوري الذي يتجلى خلال الموقف التعبيري. ومن هنا يصبح التخييل وسيلة مؤثرة وعنصر بارز من عناصر الصورة الفنية المتضمنة خفايا وغموض التراكيب وما تنطوي عليه من عمق الدلالة أو سطحيتها، ((فالاستعارة والتمثيل والتورية ربما يخلق صورة، أو إن الصورة ممثلة لنا في شكل عبارة أو

---

(١) البيان، فن الصورة : ٧٩.

فقرة))[1]، وفي ضوء تلك الصياغة فإن الصورة التي تولدها أساليب التخييل ومظاهرة ناتجة من الترابط والتتابع الدلالي لصور متسلسلة في نسق تصويري منسجم تتفاعل معاً لتجسيد فكرة أو حقيقة منشودة؛ بالإضافة إلى أنَّ فكرة التخييل والإيهام تستثير المعاني الخفية، وتؤلف بينها لتشكّل صوراً ترتقي بالتعبير إلى قمة الإبداع الفني.

---

(١) **C. Day Lewis : The Poetic Image, Cambridge, 1946, P. 18.**

المبحث الثاني : أسلوب التجريد :

أولاً : مفهوم التجريد في اللغة والاصطلاح :

التجريد من الأساليب العربية القديمة التي تداولها فصحاء العرب تداولاً فطرياً وجرى على ألسنة شعرائهم وأُدبائهم وبرز على وجه الخصوص في مطالع قصائدهم كقول أمرئ القيس[(١)] :

قِفا نبكِ مِن ذكرى حَبيبٍ ومنزلِ   بسِقطِ اللوى بين الدَّخولِ فحوملِ

وقول الأعشى[(٢)] :

ودِعْ هُريرةَ إنَّ الركبَ مُرتَحِلٌ   وهل تُطيقُ وَداعاً أيُّها الرجلُ؟

وقول المتنبي[(٣)] :

لا خيلَ عندك تُهديها ولا مالُ   فليسعدِ النُّطقُ إنْ لم تُسعدِ الحالُ

فقد جرد الشعراء من أنفسهم أشخاصاً آخرين مثلهم في الصفة، وأخذوا بمخاطبتهم، بأن يجعل الشاعر نفسه في موضعٍ بديل عن شخص آخر فيمدح، ويهجو، ويصف ويعتب، ويشكو، ويرثي، وما إلى ذلك من أغراض شعرية متعددة.

وأصلُ التجريد في وضع اللغةِ : إزالة الشيء عن غيره في الاتصال، يُقال: جرّده من ثيابه فتجرد وانجرد، ومن المجاز : جرّد السيف من غمده، أي : انتضاؤه، وسيفٌ مُجرّد، كقولهم : سيفٌ عُريانٌ[(٤)]، قال ابن منظور (ت ٧١١هـ): ((جَرَدَ الشيء يجرده جرداً، وجرَّدهُ : قشره))[(٥)]، وكُلُّ شيء قشرّته عن شيءٍ فقد جردته عنه[(٦)] فالتجريد مأخوذٌ من النزع والتقشير وأخذ الشيء عن الشيء، ومنه قول رسولنا الكريم ﷺ: ((لا مدَّ ولا تجريدَ))[(٧)]، وأراد بذلك النهي في حدِّ القذف وحدّ الشرب عن

---

(١) وهي مطلع معلقته المشهورة، ينظر الديوان : ١١٠.

(٢) ديوان الأعشى: ٥٥.

(٣) ديوان المتنبي : ٢٧٦/٣.

(٤) ينظر : أساس البلاغة : مادة (جَرَدَ).

(٥) لسان العرب : مادة (جَرَدَ).

(٦) ينظر : الكُلِّيات : ٣٣٠.

(٧) نقله ابن الأثير في المثل السائر، ولم نعثر له على سند صحيح في الصحيحين، ينظر : المثل السائر : ١٦٠/٢.

أن يمد صاحبه على الأرض، وأن تُجرّد عنه ثيابه عند إقامة الحدِّ عليه، ثم نُقل هذا المعنى إلى نوع من أنواع علم البيان.

أما التجريد في المفهوم الاصطلاحي فقد نقلته كتب البلاغة العربية، وأشار إليه المؤلفون في مصنفاتهم المشهورة، فقد عرّفه ابن الأثير (٦٣٧هـ) بقولِهِ : ((فأما حدُّهُ (التجريد) فإنه : إخلاصُ الخطاب لغيرك، وأنت تريد به نفسك لا المخاطب نفسه))[١]، وأكد أن سرَّ هذه التسمية هو الارتباط الشديد بمعناها اللغوي، ويقول ابن الأثير في وقفةٍ مع الإبلاغ بواسطة التجريد الأسلوبية، يقول ابن الأثير في وقفةٍ مع الإبلاغ بواسطة آلية التجريد الأسلوبية ((وجدتُ له فائدتين إحداهما أبلغُ من الآخرى))[٢]، وهما شديدتا الارتباط بمسألة العدول الأسلوبي أو الالتفات، **الفائدة الأولى :** ((طلبُ التوسعُ في الكلام، فإنه إذا كان ظاهرهُ خطاباً لغيرك، وباطنه خطاباً لنفسك، فإنَّ ذلك من باب التوسُّع وأظنُ أنه شيء اختصت به اللغة العربية دون غيرها من اللغات))[٣].

والفائدة الثانية : ((وهي الأبلغ؛ ذلك أنه يتمكن المخاطب من إجراءِ الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه، إذ يكون مخاطباً بها غيره، ليكون أعذر وأبرأ من العهدة فيما يقوله غير محجور عليه))[٤].

ويلاحظ في أسلوب التجريد فضلاً عن هاتين الفائدتين مجيئه وفقاً لأغراض متنوعة تدل عليها سياقات الكلام وقرائن الأحوال منها : التوبيخ، والنصح والتحريض، والتعريض، والتمكن من إجراء الأوصاف على النفس؛ وبذا يتمكن التجريد من تحقيق التجاوب الخطابي بقدرتِهِ الإبلاغية على حمل هذا الكم من المشاعر والأحاسيس، ثم طرحها في شكل جمالي من شأنِهِ إحداث تأثيره في المتلقي بالتناسب مع طبيعة الخطاب، فتكمن بلاغة أسلوبِ التجريدِ في تحقيقهِ المبالغة وفقاً لوجود صفة في المنتزع منه، فقد بلغ من الاتصاف بها مبلغاً عظيماً إلى درجةِ أن

---

(١) المثل السائر : ١٥٩/٢.

(٢) المثل السائر : ١٦٠/٢.

(٣) المكان نفسه.

(٤) المثل السائر : ١٦٠/٢.

صارَ يفيضُ بها على غيرِه، مُثيراً الخيال بما في أقسامه من تصويرٍ وتخييلٍ وتنويعٍ وتلوينٍ في الصياغة، ولا يخفى على السامع أن مثل هذا الكلام يقعُ في النفس موقعه؛ لأن من شأن العقول التي أوقضت ونبهت أن تصغي بعناية، وعندئذٍ يقع بها الكلام بما فيهِ من تصويرٍ وتخييلٍ موقعاً حميداً.

ثانياً : أقسام التجريد وصوره :

وتأسيساً على ما ذكره ابن الأثير من فوائد يمكن تقسيم التجريد إلى قسمين:

القسم الأول : التجريد المحض :

ومعناه أن يأتي المتكلم بكلامٍ هو خطابٌ لغيره، وهو يقصد نفسه، وذلك كقول بعض المتأخِّرين في مطلع قصيدةٍ لهُ[(١)] :

إلامَ يراك المجدُ في زيِّ شاعرٍ ... وقد نَحَلت شوقاً فروعُ المنابرِ

كَتمْتَ بعيبِ الشِّعرِ حلماً وحكمةً ... ببعضهما ينقادُ صعبُ المفاخرِ

أَمَا وأبيكَ الخير إنّكَ فارِسُ الـ ... مَقال ومُحيي الدَّارساتِ الغوابرِ

وإنَّكَ أعييتَ المسامِعَ والنُّهَى ... بقولك عما في بطونِ الدَّفاترِ

فقد أجرى الشاعر في هذه الأبيات الخطاب على غيرِه، وهو يريد نفسه، ((كي يتمكن من ذكر ما ذكره من الصِّفات الفائقة، وعدِّ من عدَّه من الفضائل التائهة، وكل ما يجيء من هذا القبيل فهو التجريد المحض))[(٢)].

وقد خالف السكاكي ابن الأثير في إجراء هذا التطبيق على أسلوب التجريد، وعدّه من الالتفات[(٣)]، ومن الشواهد التي قُصد بها إفادة التوسع في الكلام خاصة، ما أورده ابن الأثير من قول الشاعر[(٤)] :

---

(١) وهو الشاعر المعروف بالحَيْصَ بَيْصَ : وهو أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن صيفي التميمي، الملقب بشهاب الدين، والمعروف بالحيصَ بيصَ، الشاعر المشهور، كان فقيهاً شافعي المذهب، أجادَ في الأدب ونظم الشعر مع جزالة اللفظ، وله رسائل بليغة، وكان أخبر الناس بأشعار العرب واختلاف لغتهم، توفي سنة (٥٧٤هـ) ببغداد، ودفن في الجانب الغربي في مقابر قريش، ينظر : وفيات الأعيان : ٣٦٢/٢، الفوائد المشوق : ١٦٧، والأعلام : ٨٧/٣.

(٢) المثل السائر : ١٦١/٢.

(٣) ينظر : مفتاح العلوم : ٢٩٦.

(٤) هو الصِّمة بن عبد الله القشيري من شعراء الحماسة، كان شريفاً ناسكاً عابداً غزلاً شاعراً مُقلاً من شعراء الدولة الأموية (ت ٩٥هـ)، ينظر : ديوان الحماسة : ٢٢٩.

حننتَ إلى ريّا ونَفسُكَ باعدتْ　　　مزارَك من ريًّا وشعباكُما معاً

فما حسنٌ أن تأتي الأمرَ طائعاً　　　وتجزعَ أنْ داعي الصبابةِ أسَمعا

وأذكرُ أيام الحمى ثمَّ أنثني　　　على كبدي من خشيةٍ أنْ تصدَّعا[١]

بنفسي تلكَ الأرضَ ما أطيب الرُبا　　　وَمَا أحسنَ المُصطافَ والمتَربَّعَا

فلو اكتفى الشاعر بذكر البيتين الأول والثاني لكان الخطاب تجريدياً محضاً بليغاً، ولو استمر على هذه الحالة في الخطاب لما قُضي عليه بالتوسع، وتأسيساً على ذلك يؤول البيتان ((بأن غرضه من خطاب غيره أن ينفي عن نفسه سُمعة الهوى ومعرَّة العشق؛ لما في ذلك من الشهرة والغضاضة))[٢]، لذا جاء البيتان الثالث والرابع فأزالا هذا التأويل بانتقالهِ عن التجريد أولاً إلى خطاب النفس والتوسع في الكلام، وعلى هذا الأسلوب أي – التوسع في الكلام – ورد قول أبي الطيب المتنبي[٣] :

لا خيلَ عندكَ تُهديها ولا مالُ فلْيسعد النُّطقُ إن لم تُسعدِ الحالُ

وْاجز الأميرَ الذي نعماهُ فاجئَةٌ　　　بغير قولٍ ونعمى القوم أقوالُ

وقد نفى ابن الأثير أن يكون في البيتين ((ما يدلُّ على وصف النفس، ولا على تزكيتها بالمديح؛ وإنما هو توسُّعٌ لا غير))[٤]، وفي هذا التوسع قبولٌ عند السامع وتطريةٌ لنشاطه، وتقوية لإدراكه الحسي في تخيل ما يمكن أن يتوقعه بالعدول عن أسلوبٍ إلى آخر.

القسم الثاني : التجريد غير المحض :

---

(١) رواية ديوان الحماسة تجعل هذا البيت أخر الأبيات التي اختارها أبو تمام جميعاً، وتورد البيت الذي بعده قبل هذا البيت بخمسة أبيات، ينظر : ديوان الحماسة : ٢٢٩.

(٢) المثل السائر : ١٦٢/٢.

(٣) هذان البيتان من مطلع قصيدة يمدح فيها أبي شجاع فاتكا الإخشيديِّ بمصر، وهي من غُرر شعره، بنى مطلعها على التوسع في الخطاب بمدحِ فاتك بالابتداء بالوصل قبل المدح، ديوان المتنبي : ٢٧٦/٣.

(٤) المثل السائر : ١٦٢/٢.

أما القسم الثاني من أقسام (التجريد) التي ذكرها ابن الأثير هو (التجريد غير المحض) ويُراد به : ((خطابٌ لنفسك لا لغيرك))[(١)]، ونتسائل هنا إذا كان الخطاب موجهاً للنفس مباشرةً ولا يحمل في طياته أي عدولٍ أو انتزاعٍ أو تجريدٍ، فكيف يُنسب لأسلوب التجريد، وما الفرق بين هذا القسم وبين الذي قبله؟

ذكر أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) –رحمه الله–[(٢)] : إنَّ العربَ تعتقد أنَّ في الإنسان معنًى كامناً فيه كأنه حقيقته ومحصوله، فتُخرج ذلك المعنى إلى ألفاظها مجرّداً من الأنسان كأنه غيره، وهو هو بعينه، نحو قولهم : ((لئن لقيتُ فُلاناً لتقلينَّ به الأسد، ولئن سألتهُ لتسألنَّ منهُ البحر، وهو عينه الأسدُ والبحر))[(٣)]، وقد أجاب أبو علي الفارسي بهذا القول عن استفهامنا في كيفية احتمال نسبة كلام النفس المباشر لأسلوب التجريد، مؤكداً أن الإنسان قد يخاطب نفسه، ويخيل إليه أنه يُقاول غيره، وبذلك ((لمس أبو علي الفارسي جانب القضية الفني))[(٤)]، وهنا يتضح الفارق الدلالي بين القسمين، فالتجريد المحض فصل واضح للمتكلم عن المخاطب بالعدول عن التصريح بالحقيقة إلى ما يقاربها وفقاً لإجراءات تنويع الخطاب واستهداف معاني محددة مقصودة تستدعي انتباهاً خاصاً لدلالتها المستمدة من قيمة الانتزاع الأسلوبية، وتسهم في تطوير الدلالة بالمحافظة على أساليب توصيل الخطاب والإبانة والإفصاح عنه، ومثَّل ابن الأثير لهذا القسم من أقسام التجريد بقول الشاعر[(٥)] :

أقولُ للنفسِ تأساءً وتعزيةً إحدى يديَّ أصابتني ولم تُرِدِ

---

(١) المثل السائر : ١٦٣/٢.

(٢) هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي الفسوي، كان إمام زمانه في علم النحو، صاحب كتاب (الإيضاح في النحو) و(الحجة) في القراءات، جرت بينه وبين أبي الطيب المتنبي مجالس، وصحب عضد الدولة حتى قال عنه : أنا غلام أبي علي في النحو، ولد سنة (٢٨٨هـ)، وتوفي ببغداد سنة (٣٧٧هـ)، ينظر : وفيات الأعيان : ٨٠/٢.

(٣) الخصائص : ٤٧٦/٢، والمثل السائر : ١٦٤/٢.

(٤) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور : ٤٨٦.

(٥) اختار أبو تمام هذين البيتين ونسبهما لأعرابي قَتَلَ أخوه ابناً لهُ، فقدِم إليه ليقاد منه فألقى السيف من يده، وقال الشعر مخاطباً به نفسه شاكياً متوجعاً من ألم الفراق على الأخ والابن، طلباً للتأسي وحسن الصبر، فالمخاطبُ هو المخاطب بعينه، ولا يصلح أن يكون خطاباً للغير، ينظر : ديوان الحماسة : ٣٧، وينظر : الخصائص : ٤٧٨/٢.

كلاهما خَلَفٌ من فُقْدِ صاحِبِهِ   هذا أخي حين أدعُوهُ وذا ولدِيَ

وهنا نُقر لابن الأثير بالدقة والضبط والتنظير الأسلوبي لظاهرة التجريد بنوعيه، وإبراز قيمتهِ الفنية ذات الخصوصية التي يقتضيها المقام على الرغم مما أخذ عليه من ادعاءات وتعليقات هشة وهبوط في قدرته على العرض الشعري، وعدم إجادته التامة في إجراء الأوصاف الفنية والصور الداخلية التي يتضمنها أسلوب التجريد وأقسامهِ، ومحاولاته الفاشلة في تشقيق جدل منطقي في ردوده على أبي علي الفارسي[(١)]، ((ومع ذلك فإن مثل هذه اللمسات التي تتناول داخل البناء اللغوي وتتنبه إلى فنية التركيب الأدائي تشكل جانباً طيباً لو أُتيح لها النمو وعدم الانسراب داخل متاهات الجزيئات))[(٢)]،

واستطاع الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) بمقتضى تعريفه للتجريد بقوله: ((هو أن ينتزع من أمرٍ ذي صفةٍ أمرٌ آخر مثله في تلك الصفة، مبالغةً في كمالها فيه))[(٣)]، أن يُدعم أسلوب التجريد بأركانٍ ثلاثة :

الأول : المجرد منه : وهو الموصوف المنتزع منه أمر آخر.

الثاني : المجرد : وهو الأمر الذي انتزع من الموصوف.

الثالث : الصفة : ويُراد من بيانها المبالغة فيها.

إلاَّ أنه لم يُحدد أقسامه، مكتفياً بذكر أمثلة للتجريد توحي بأنه على أنواع منها ما يكون بالباء ومنها ما يكون بـ (من)، ومنها ما يكون بمخاطبة الغير، مورداً شاهداً قرآنياً وأمثلة شعرية[(٤)]، سنأتي على تفصيل ذلك لاحقاً.

ومفهوم أسلوب التجريد أسبقُ من القزويني بكثير[(٥)]، وشواهدهُ سبق إليها ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في الخصائص[(١)]، وهي الشواهد التي تكررت في الكتب البلاغية

(١) ينظر : فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور : ٤٨٥.

(٢) المصدر نفسه : ٤٨٨.

(٣) الإيضاح : ٢٧٤، بغية الإيضاح : ٣٨/٤.

(٤) ينظر : الإيضاح : ٢٧٥، وبغية الإيضاح : ٤٠/٤.

(٥) ذكر سيبويه (ت ١٨٠هـ) في باب (ما يختارُ فيه الرفع ويكون فيه الوجه في جميع اللغات)، قال : ((ولو قال : أمَّا أبوك فلك أبٌ، لكان على قوله : فَلَكَ بهِ أبٌ أو فيه أبٌ، وإنما يريد بقولهِ: (فيه أبٌ) مجرى الأب على سعةِ الكلامِ، وليس إلى النصب ههنا سبيل))، الكتاب : ٣٩٠/١.

في حديثهم عن أسلوب التجريد، إلاَّ أن البحث وَجَدَ أن القزويني قَرَنَ التجريد بالمبالغة المقبولة وجعلها وسيلةً من وسائل التجريد، وتبعهُ في ذلك شراحه[2]، ولم يجد البحث أحداً من البلاغيين سارَ على نهج القزويني في إيجاد علاقةٍ بين (التجريد) و(المبالغة)، وبذلك نؤكد أن التجريد مصطلحاً يُحقق توازناً بين أمرين من خلال انتزاع صفة من أحدهما وإجرائها للآخر في نوعٍ من المبالغةِ، فقد ينفصل المتكلم عن ذاتهِ أحياناً ويتخذُ منها آخر يخاطبهُ ويحاورهُ، أو يجادلهُ ويسأله، أو يمدحهُ ويعظمهُ، فهو بذلك يأتي لإفادة المبالغة، وذلك لإدعاءكمال الصفة في أمرٍ ما، حتى كأنه بلغَ من الاتصافِ بها مبلغاً يصحُ معهُ أن يُنتزع منهُ موصوفٌ آخر متصفٌ بتلك الصفة، وبذلك يمكننا القول أن مبحث التجريد، ينسبُ في تراث المتقدمين الى أبي علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) وتلميذه ابن جني (ت٣٩٢هـ) إذا انتهى اليهما الدلالة على مفهومهِ وترسيخ قواعدهِ وبيان أثره الأسلوبي في توجيه الدلالة وتحديد موقعها، فكان جدهما طريقاً ممهداً يفتح المجال خصباً لمن جاء بعدهم.

ومن خلال تتبع شواهد التجريد في القرآن الكريم يستوقفنا قوله تبارك وتعالى :

[illegible]

---

(١) أفرد ابن جني (ت ٣٩٢هـ) للتجريد باباً يقول فيه ((اعلم أن هذا فصل من فصول العربية طريقٌ حسن، ورأيت أبا علي –رحمه الله– به غرياً معّنيا ولم يفرد له باباً؛ لكنه وسمه في بعض ألفاظهِ بهذه السمة، فاستقريتها منه وأنقت لها. ومعناه أن العرب قد تعتقد أن في الشيء من نفسه معنى آخر كأنه حقيقته ومحصوله. وقد يجري ذلك إلى ألفاظها لما عقدت عليه معانيها. وذلك نحو قولهم : ((لئن لقيت زيداً لتقلين منه الأسد))، و((لئن سألته لتسألن منه البحر))، الخصائص : ٤٧٣/٢، وقد ذكر الدكتور أحمد مطلوب أن أبا علي الفارسي من أوائل الذين تعرضوا لهذا الأسلوب وسمّاه تجريداً، ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٤١/٢، وتبع الدكتور أحمد مطلوب في هذا التصريح الدكتور منير السلطاني، ينظر : البديع تأصيل وتجديد : ١٧٤.

(٢) ينظر : بغية الإيضاح : ٤١/٤، شروح التلخيص : ٣٦٨.

⌘♊♋✋ ✍♦✡❑➚▤◆⓿♋♐ ✍◆☪♋✋✈⌧⑨⍓♎❐🕮
✈✍❀☞♓⇔⊞▩⌧◙⍉✓✗♦﴾ [فصلت : ٢٨-٢٩].

بين الحقُّ تعالى في هذه الآية سنته في الخلق الذين يعرضون عن دين الهدى والإسلام، وأخبر مؤكداً أنه سيذيق الذين كفروا عذاباً شديداً يوم القيامة ويجزيهم بحسب أقبح سيئاتهم التي كانوا يعملون، وذلك الجزاء المتوعد هو جزاؤهم العادل، النار في دار الخلد والإقامة الدائمة، فالتجريد ظاهرٌ في قوله تعالى :

﴿⌨❍●⬅☠⬀ ▫♋❸♣❑✍ ⑩⌧✈❻⬇ ✈✍⌨⍓③➔✈▫✍♋﴾

أي : لهم في جهنم، وهي نفسها دار الخلد بالنسبة إليهم؛ لكنه سبحانه وتعالى انتزع من جهنم داراً أُخرى مثلها في الصفة هي دار الخلد، يعذبُ فيها الكفار والمنافقين وجعلها معداً لهم، مبالغةً في وصف شدة العذاب الذي سيلاقيه أعداء الله، وكأنهم سيُعذبون في دارين، الأولى : جهنم الحقيقية، والثانية : جهنم التي انتزعت من جهنم الأولى، مبالغةً في التهويل والتعظيم لأمرها الشديد.

وقد علَّق عبد القاهر الجرجاني على هذه الآية بقوله : ((والمعنى: –والله أعلم– أنَّ النار هي دار الخلد، وأنت تعلم أن لا معنى ههنا لأن يُقال : إن النار شُبهت بدار الخلد، إذ ليس المعنى على تشبيه النار بشيء يسمى دار الخلد، كما تقول في زيد: إنه مثل الأسد، ثم تقول : هو الأسد، وإنما هو كقولك : ((النار منزلهم ومسكنهم))[١]، وبذلك أخرج عبد القاهر الجرجاني أسلوب التجريد من باب الاستعارة؛ لأنهما في الحقيقةِ لا يجريان مجرىً واحدٍ، أما الزمخشري فقد أكدَّ إجراء التجريد في الآية مفسراً معناها بقوله : ((أنَّ النار هي نفسها دار الخلد))[٢] مشبهاً هذا الأسلوب بقوله : ((لك في هذه الدار دارُ السرور، وأنت تعني الدار بعينها))[٣]، في الوقت الذي ذهب فيه البقاعي إلى تفسير قوله تعالى : (دار الخلد) بأنها ((المحل المحيط بهم مع إيذانه بالدوام واللزوم وعدم الانفكاك، وهو على التجريد بمعنى : هي لهم دار

---

(١) أسرار البلاغة : ٣٣٥.

(٢) الكشّاف: ١١٢/٤.

(٣) المكان نفسه.

خلود كما كان لهم في الدنيا دار سرور))[1]، وذكر أبو السعود أن جملة (لهم فيها دار الخلد) ((جملة مستقلة مقررة لما قبلها، أو النار مبتدأ هي خبره أي: هي بعينها دار إقامتهم على أن (في) التجريد وهو أن ينتزع من أمر ذي صفةٍ أمرٌ آخر مثله مبالغة لكماله فيها))[2].

وأكد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) أن التعبير القرآني في هذه الآية جاء وفقاً لإجراءات التجريد الصريحة بقولهِ : ((وهذا من أسلوب التجريد؛ ليفيد مبالغة معنى الخلد في النار، وهو معدود من المحسنات البديعية))[3]، وهنا يتأكد للبحث أن أسلوب التجريد يعتمد على بنية التركيب الأدائي، متناولاً داخل البناء اللغوي وفنيتهِ بحيث يشكل ذلك البناء وحدة هندسية تشكيلية متماسكة تعكس ظاهر الكلام من جهة وخفاياه الباطنية من جهةٍ أُخرى.

وقد أكد ابن قيم الجوزية (ت٧٥١ هـ) أن التجريد يأتي على قسمين :

القسم الأول : هو ما جُعل تحت عنوان ((خطاب الغير والمراد به المتكلم وهو أولى بأسم التجريد، وفائدته مع التوسع في الكلام أن يثبت الإنسان لنفسه ما لا يليق التصريح بثبوته لهُ))[4]، مُعللاً أن ذلك قد يكون فضيلة له، فأطلق عليه.

القسم الثاني : هو ((خطابُ المتكلم لنفسه مُخيلاً لها أنَّ معهُ غيره))[5] مستشهداً بقول الأعرابي الذي قتل أخوهُ ابنه[6]، مؤكداً أن هذا النوع في القرآن العظيم كثيرٌ جداً، إلاَّ أنه لم يذكره في هذا الموضع، وأشار إليه في فصل تلوين الخطاب[7]، مما يؤكد ارتباط هذه المظاهر البديعية وفقاً لعلاقات أسلوبية تعتمد على الخطاب العدولي بالخروج عن ما هو مألوفٌ في الأصل ما يُقابله إيهاماً بأن المراد هو : وقد ظهر أثر هذا الإجراء واضحاً في دليلٍ آخر من دلائل ولاية الله تعالى للمؤمنين

---

(١) نظم الدرّر : ١٨٠/١٧.

(٢) إرشاد العقل السليم : ١٢/٨.

(٣) التحرير والتنوير : ٢٧٩/٢٤.

(٤) الفوائد المشوق : ١٦٧.

(٥) المكان نفسه.

(٦) ينظر : ص من المبحث.

(٧) ينظر : الفوائد المشوق : ٩٨.

وإخراجه لهم من الظلمات إلى النور، وتوجيه الأمر بالذكر في العديد من الوقائع المقصودة بالتذكير والتفصيل كأنها حاضرة مشاهدة عياناً ممثلة في دعاءِ سيدنا إبراهيم ﷺ واستعطافهِ بلفظةِ (ربِّ) في قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [البقرة:٢٦٠].

قال القرطبي (ت ٦٧١هـ) : ((الاستفهام بـ (كيف) إنما هو سؤال عن حالةِ شيءٍ موجودٍ متقرر الوجود عند السائل والمسؤول))[١]، فأوحت دلالة السؤال في هذا التعبير تأييد شيء مُتيقن بالعيان أصلاً أُريد منه ازدياد اطمئنان قلب سيدنا إبراهيم ﷺ فهو أثبت الناس إيماناً وأقواهم يقيناً بقدرة الله عزَّ وجلَّ، وقد جاء ضربُ المثل بالطير تخصيصاً؛ ((لأنه أقرب إلى الإنسان وأجمع لخواص الحيوان))[٢]؛ لذا جاءت هذه القصة دليلاً مؤذناً بقدرة الله تعالى على البعث والنشور فضلاً عن إيذانها ((بأن ترتب تلك الأمور على الأوامر الجليلة واستحالة تخلفها عنها من الجلاء والظهور بحيث لا حاجة له إلى الذكر أصلاً))[٣]، وكشف الأسلوب الحواري عبر الخطاب المباشر بين الله تعالى وبين نبيهِ الخليل ﷺ عن دقةِ التعبير الدلالي واختيار اللفظ الموافق للدلالة على فضل الخليل ﷺ ويمن الضراعةِ في الدعاءِ وحُسن الأدب في السؤال، فقد طلب الخليل ﷺ ((بالسؤال تلويحاً، وأجيب بالمنع منها بوصف العزة تلويحاً))[٤]، وخُتم التعبير بأسلوبٍ تجريدي محض عَدَلَ فيه عن قولهِ تعالى : (وأعلم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٣١١/٤، وقد سبق أن تناول ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ) دلالة الاستفهام بـ(كيف) وإيحاءاته في التعبير القرآني، ينظر : المحرر الوجيز : ٣٥٣/١.

(٢) إرشاد العقل السليم : ٢٥٦/١.

(٣) المصدر نفسه : ٢٥٧/١.

(٤) نظم الدّرر : ٧٢/٤.

أني عزيزٌ حكيم)؛ إقتضاءً لما يتطلبه السياق القرآني من استكمال أوجه الخطاب والمحاورة، وجُرِّد التعبير بانتزاع الكلام مخالفةً لمقتضى الظاهر فقال تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ تأكيداً على أنه سبحانه غالبٌ على أمره لا يعجزه شيء عما يريده، ذو حكمةٍ بالغة في أفعالهِ.

ونظيرهُ قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ **[البقرة : ٢٥٩]**، بوصل الألف على قراءة حمزة والكسائي، وهنا يحمل لفظ (أعلم) وجهين[١]:

الأول : قال له الملك : أعلم، أي أمرهُ بالعلم والتثبت.

الثاني : هو أن يُنزل نفسه منزلة المخاطب الأجنبيِّ المنفصل، وعلى أساس ذلك يكون المعنى : ((فلما تبين له قال لنفسه : أعلمي يا نفس هذا العلم اليقين الذي لم تكوني تعلمين معاينةً))[٢]، والمعنى الثاني هو الأدق ((وهو جائز حسن))[٣].

ثالثاً : فاعلية التعبير بالتجريد في المظهر البديعي :

يحقق أسلوب التجريد فنية التركيب الأدائي بين أمرين عن طريق الانتزاع لصفةٍ ما وإجرائها على الآخر في نوعٍ من المبالغةِ، يقولُ ابن جني : ((أعلم أن هذا فصل من فصول العربية طريفٌ حسنٌ))[٤]، وكما هو واضحٌ من المظاهر التي جاء عليها هذا الفن أنه ليسَ مجرد تفنن في طريق القول وتنويع له بالانتقال من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ ومن صيغةٍ إلى أخرى؛ ولكنه إلى جانب ما سبق قَصَدَ إلى معانٍ وأغراض حين يأتي بالكلامِ ظاهرهُ خطاباً لغيرك وأنت تريده خطاباً لنفسك، فتكون قد جرّدت الخطاب عن نفسك، وخصصته لغيرك، وهذا يؤكد أن التجريد بأنواعهِ

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز : ٣٥١/١، الجامع لأحكام القرآن : ٣٠٨/٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٣٠٨/٤.

(٣) المصدر نفسه : ٣٠٩/٤.

(٤) الخصائص : ٤٧٥/٢.

المتعددة يُعين المتكلم على تأدية المعنى بطرائق وأساليب متنوعة، وكذلك يُتيح له مدحَ نفسه وخطابها وإيجاد القبول من السامعين؛ لانتزاعهِ من نفسه شخصاً آخر يمدحه ويُثني عليه والسامع يُصغي إلى ذلك فيرحب به نظراً لأن المدح في ذهنه لغير المتكلم فلو كان العكس من ذلك بأن يقع المدحُ مباشرةً دون تجريد فإنه في هذه الحال يكون ثقيلاً على الناس وترفضه الأسماع، ولا تصغي إليه؛ بل يُقابل بالتجاهل نظراً لتيقنهم من غرور المتكلم وافتتانهِ وإعجابه بنفسه، وهذا ما تمجه الفطرة السليمة.

ففي التجريد نلمحُ إثراء للمعاني وتوسيعاً لها، ومبالغةً في الصفة التي يُراد إثباتها للمتكلم أو المتحدث عنهُ فيتمكن بذلك من إجراء الأوصاف المقصودة من مدحٍ أو غيرهِ على نفسهِ إذ يكون مخاطباً بها غيره فيكون ذلك أعذر لهُ، فالمبالغة في وجود الصفة في المنتزع منه إثارةً للخيال وتنشيطاً للأذهان وتنبيهاً للعقول بما في أساليب هذا اللون البديعي من تصويرٍ وتخييل وتوسيع في الصياغةِ، ولا يخفى على السامع أن مثل هذا الكلام يقع في النفس موقعه؛ لأنه من شأن العقول التي أوقضت وتنبهت أن تصغي بعناية، وعندئذ يقع بها الكلام بما فيه من تصوير وتخييل موقعاً ملائماً، وبذلك يُحقق أسلوب التجريد انسجاماً تاماً وإحكاماً للصياغة اللغوية يبدو أثرها الجلي في دقة التأليف وسبك النظم وتوافق الألفاظ مع المعاني إبرازاً لبلاغة الكلمة العربية عموماً والقرآنية على وجه الخصوص.

ومن اللافت أن هناك علاقةً واتصالاً يمكن إدراكهُ بين أسلوب التجريد وأسلوب الالتفات من خلال تتبع الأثر الفني والأسلوبي والدلالة اللغوية للمصطلحين، وإلى هذا المعنى أشارت العديد من الدراساتِ البلاغية الحديثة، من أبرزها ما جاء في كتابِ فلسفةِ البلاغةِ بين التقنية والتطور حيث أكد الدكتور رجاء عيد أن ((ما نذكر لهُ – أي ابن الأثير – حُسن فهمهِ لما عُرف بمصطلح (التجريد) عندهُ وهو قريبٌ من الالتفات، وحبذا لو تمكن البلاغيون من ضمِّ شتات هذه المتفرقات لتعطي مصطلحاً واحداً))[1]، وأكد الدكتور رجاء عيد على أن التجريد صورةٌ فنيةٌ متمثلة

(١) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور : ٤٨٥.

بالحوارِ الداخلي فهي ألصقُ بذاتِ الفنانِ وأدلُ على التصاقهِ الفني والنفسي بأدائهِ الفني[1].

ومن هنا يمكننا القول إن مصطلح التجريد يرتكزُ على بنية التركيب الأدائي متناولاً داخل البناء اللغوي وفنيته بحيث يكون ذلك البناء وحدة متآلفة وهندسة تشكيلية، تأمل قوله تبارك وتعالى : ﴿ ·♍✎☽ ❼✎× ✐⌨▫◘⌂⌘
✂✍✍♻○○☺⌂◷□◆◷☠✎ ✂✍✍♦☞❻⬀▼⇦
□◆✂✍✍⌘⬀☞✎◘■◷✂✐ ✂✍✍♻⅄⑩⬂✍✐
□◆✂✍✍♻❄□&□✍❻✎ ⌂✞③♦◷*❀▭ ❀☯❄□✋▣✎❼
✂✍✍❀☞♻⬂⌛♦◷◘✐ ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

ذَكَرَ الله سبحانه وتعالى في هذه الآية كل ما يدّل على غناه، وافتقار العباد إليه، وما يدّلُ على ربوبيته لخلقهِ، وتدبيره لحياتهم وتصرفهِ في أمورهم، ففي إيجاد السموات والأرض من العدم، وفي اختلاف الليل والنهار بالطول والقصر والظلام والضياء، والتعاقب بذهاب هذا ومجيء ذاك، دلائل واضحات على قدرة الله تعالى، وبراهين ساطعة على ربوبيته لخلقهِ، وهي مظاهر عظيمة تبدو للناس في هذا العالم حتى يكون إيمانهم مستنداً إلى اليقين، قال الزمخشري في صفة أولي الألباب : ((هم الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار، ولا ينظرون إليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفِطَرِ))[2]، وبديع الخلق في الكون وفي النفوس، وقد صُدرت الآية الكريمة بحرف (إنَّ) للاهتمام والعناية بتحقق مضمون الجملة، فقد صوّر السياق القرآني ((خطوات الحركة النفسية التي ينشئها استقبال مشهد السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار في مشاعر أولي الألباب تصويراً دقيقاً))[3]، زيادة على أنها في الوقت نفسه تمثل تصويراً إيحائياً يمنح الدلالة منهجاً في التخاطب ((فظاهر الآية أن في العالم من نفسهِ آيات، وهو عينه ونفسه تلك الآيات))[4]، وهنا

---

(١) يُنظر : المكان نفسه .

(٢) الكشّاف : ٣٩٨/١.

(٣) في ظلال القرآن : مج١، ج٤، ص٥٤٥.

(٤) البرهان في علوم القرآن : ٤٤٨/٣.

يتضحُ أسلوب التجريد في اعتماده داخل البناء اللغوي، فهو توسعٌ في الكلام يمنح الصياغة اللغوية الإحكام التام والتوافق الدلالي.

ونظير ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿◑♎︎♌︎□ ×♌︎❼
♦♌︎♎︎⌧✍︎♌︎ ♊︎⍓☺︎♎︎♐︎ ▤❽♦❷⇩🗎♎︎♌︎•✎ ⍓⌨︎♎︎♐︎◷•❶
⍓➚⇧☺︎○○♐︎✍︎✂︎ ❼•🗏⬂♐︎□🕮 ⬃□□🕮 ⬉🖬▫🖬•♌︎ ◷⇦○•♐︎

⇦●▧❷⬂③➚⑥﴿ وقوله: [ق:٣٧]﴾⌀⑨⓿♎︎♍︎⌧⅄ ♦□➔♎︎♦□

♎︎◗✱⌀♒︎⓿⍓☺︎⬂♐︎✍︎✂︎ ⌘♊︎♎︎✌︎ ○❻□♦⬂🖳✍︎✂︎
⌘♊︎♎︎✌︎ ♎︎◗✱⌀♒︎⓿⍓☺︎⬂♐︎✍︎✂︎ ⇦●▧❷⬂③➔✌︎♦□

⌀⌀♉︎➔🏱▧❷♦③﴿ [٩٥]، [1] [الأنعام: ﴾⇞♍︎❻⍓◗⬂♐︎✍︎✂︎

□♦③♦❷▧♈︎⇦ ✌︎♎︎♊︎⇧ ➚♦✂︎✌︎✍︎ ③♦➔⬃◑➔□✇⌘ ☎︎ ﴾ [مريم: من الآية٦].

رابعاً : أنماط التجريد وأثرها في التعبير القرآني :

ذكر الخطيب القزويني لأسلوب التجريد صوراً متعددة؛ إلاَّ أنه لم يفصل القول فيها، ولم يخضعها لضوابط قياسية تُعرف بها، واكتفى بذكر الأمثلة لسبعةِ أقسامٍ منها[2]، ووجد البحث أن ابن معصوم المدني فصَّل ذكرها بعد أن حدد معنى التجريد في اللغةِ والاصطلاح بقولهِ : ((وفي الاصطلاح أن ينتزع من أمرٍ مُتصف بصفةٍ أمرٍ آخر مثله في تلك الصفة؛ مبالغةً لكمالها فيه حتى كأنه بلغ من الاتصاف بها مبلغاً يصحُّ أن ينتزع منه أمر آخر موصوف بتلك الصفة))[3]، وأوضح المدني أقسام التجريد التي جمعت ما ذكره السابقون على النحو الآتي :

القسم الأول: التجريد الذي يكون بدخول (من) التجريدية على المنتزع منه.

ومما جاء في سياق هذا القسم من التجريد قوله تعالى:
﴿□♦✂︎✍︎✎⅄♌︎♎︎⇦×♦ ③♦◑➔□♐︎➚□♍︎♐︎ ❻♦✉︎✹✡︎□✍︎
⇧♊︎♎︎✌︎ ✍︎□✡︎•♐︎ ⬄🖬⍓♎︎ ✍︎♦☾♒︎♉︎◷♦□⬂♐︎□🕮
🕮▫⬉✓⇧⬉□🕮 ■□▪❷➔♌︎ ✍︎□✡︎♎︎✇◷✹③⌀♒︎❻➔❶♦□

(١) المصدر نفسه : ٤٤٩/٣.

(٢) ينظر : الإيضاح : ٢٧٤، بغية الإيضاح : ٣٨/٤-٤١.

(٣) أنوار الربيع : ١٥٣/٦.

❑◆✂️⬧ℑ⧫⇧➔⬄□◆❑☼ ☺↙←☞✱☺ℑ✍✓□⬧

➔ ℑ⬧◆⧫◆⬧⬧ ⚫ [الفرقان:٧٤]. جاء التعبير القرآني في هذه الآية وصفاً لعباد الله الصالحين المتقين، الملتزمين بدعاءه تعالى إيماناً واعتقاداً بأن السؤال باب الجواب لقوله تعالى : ⚫ ✂️⬧⑩⬀⬉⬉❑❆⧫❼☑ ▯▯❑⬄☝⧫⬈✓⬄

⬃◆⬋⬈⧫⚫ ⚫[غافر:٦٠]، وقد ((سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجاً وأعقاباً عُمَّالاً لله يُسرُّون بمكانهم وتقرُّبهم عيونهم))(١)، وهذه صفة للمؤمنين تُبين أثر الدعاء في منهجهم العقائدي؛ لأن ((دعاءهم هذا من أسباب جزائهم بالجنة وإن كان فيه حظ لنفوسهم بقُرّة أعينهم))(٢)، فجاء دعاؤهم مُبتدءاً برزق الأزواج أولاً معطوفاً عليه الذرية؛ ((فليس شيءٌ أقرُّ لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله))(٣) إذا نشأوا نشأة إيمانية صالحة، وقد جُمع ذلك لهم في صفة قرة أعين، وكأنه قيل : (هب لنا قُرَّة أعين)، ثم جاءت صفة (القُرَّةُ) مُفسَّرةً بقولهِ : (من أزواجنا وذرياتنا)، لتؤدي الآية دلالة أن يجعلهم الله لهم قُرة أعين، هذا على احتمال أن تكون (من) بيانية، أما إذا احتمل أن تكون ابتدائية فدلالة السياق حينئذٍ تكون بمعنى : هب لنا من جهتهم ما تقرُّ به عيوننا من طاعةٍ وصلاحٍ(٤).

ومن الملامح الأسلوبية الواضحة في هذا التعبير عمومية الدعاء وشموليته ((وكما سألوا التوفيق والخير لأزواجهم وذرياتهم سألوا لأنفسهم بعد أن وفقهم الله إلى الإيمان أن يجعلهم قُدوةً يقتدي بها المتقون))(٥)، ليبلغوا بذلك الدرجات العليا من التقوى والإيمان، وقد آثر التعبير تنكير لفظة (أعين) دون (عيون)، ملائمةً لتنكير اللفظ قبله (قُرّة)؛ ((لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيرهِ إلاَّ بتنكير المضاف إليهِ))(٦)، أي أن مقتضى السياق يوحي بدلالة هب لنا منهم سروراً وفرحاً، فضلاً عن أن

---

(١) الكشّاف : ٣٤٥/٣.

(٢) التحرير والتنوير : ٨١/١٩.

(٣) نُقل هذا القول عن محمد بن كعب : وهو من العلماء ذوي الرأي والعقل والفكر، كانت تصدر عنه الحكمة، ويُستضاء برأيهِ في المسائل الدينية، وفيما يعن من الأمر، الكشاف : ٣٤٥/٣، وينظر : المصدر نفسه : ٣٩٦/١.

(٤) ينظر : الكشّاف: ٣٤٦/٣.

(٥) التحرير والتنوير : ٨٣/١٩.

(٦) الكشّاف : ٣٤٦/٣.

المعنى المقصود هو (أعين المتقين)، وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم، وقد جوَّز الزمخشري تنكير (أعين)، لعلَّة أن المراد منها أعينٌ خاصة، وهي أعين المتقين[1].

وقد فَسَّر البقاعي (من) في هذه الآية بقولِهِ : ((فـ (من) إما أن تكون مثلها في : رأيتُ منك أسداً، وإما أن تكون على بابها، وتكون القُرَّةُ هي الأعمال))[2]، أي : هب لنا منهم أعمالاً صالحة فجعلوا أعمالَ من يعزّ عليهم هبةً لهم، وأن لفظ (القُرَّة) مُفسراً بقوله : (من أزواجنا وذرياتنا)، وقد استحسن بعض البلاغيين أن تكون دلالة (من) في الآية ابتدائية؛ لأن (من) البيانية تشترط أن يتقدم عليها المبين، وهذا مخالف لما يتطلبه سياق (من) التجريدية[3].

القسم الثاني: التجريد الذي يكون بدخول (في) التجريدية الداخلة على المنتزع منه.

ومن أهم تطبيقاتها في البيان القرآني قوله تعالى : ﴿⇳⑨♦☽⅄☡◙ ★✎ℰ✁ ✐✌❑←❂◆❻ ❼⍓✖ ⬀☠➚▤♦☡◙ ♦♌♎☒✍ ♦♌♎☒✍ ♊⍓☺✎ℯ☡◙ ⮜❑◆☪✾○⍓○ ➘❑◆❑⬄❂⬆🕮 ♦⚐⬀❑◆⓿⬂☡◙ℰ✁◆❐ ⅄✎ℰ✁ ☎✁❑⬉♉⬀❷◆③ ⅄✎ℰ✁ ♦❷☒✍⬩❶◆❐ ♦❷⬁⌘☛⍓ℰ✁ ✍☒✞✎❷❸☪✁﴾ [الأحزاب:٢١]، لما أخبر الله تعالى عن المنافقين في غزوة الأحزاب بأحوالٍ هي غاية الدناءة، تنمُ عن جُبنٍ مفرط وتعدٍ على حدود الله – عز وجل – حتى بلغ بهم الأمر درجة تناسي رسول الله ﷺ – فأعرضوا عن مواساتهِ ومؤازرتهِ وتثبيتهِ بخلاف ما كان عليه حاله معهم حين آساهم بنفسه في الصبرِ على الجهاد، فجاء الردُّ حاسماً، أقبل عليهم إقبالاً يدُّلهم على تناهي غضب الله تعالى عليهم، فقال تعالى مؤكداً ومحققاً (لقد كان لكم) أيُها الناس كافة (في رسول الله)

---

(١) ينظر : الكشّاف : ٣٤٦/٣.

(٢) نظم الدرّر : ٤٣٤/١٣ ، وأكد البقاعي أن أصل القُرّة البرد؛ لأن العرب تتأذى بالحر، وتستروح إلى البرد؛ فجعل ذلك كناية عن السرور، ينظر : المكان نفسه.

(٣) ينظر : عروس الأفراح : ٣٥٧/٤.

الذي جاء لإنقاذكم من كل ما يسوءكم، فهو أشرفُ الخلائق وهو (الأُسوة) أي القدوة العظيمة، على قراءة عاصم بضم الهمزة، وهي القراءة المشهورة(١)، ورسول الله ﷺ هو نفسه الأسوة الحسنة، لكن التعبير جَرَدَ من لفظ (رسول الله) صفة (الأُسوة الحسنة) مبالغةً في الوصف وتأكيداً عليه، وقد وجه الزمخشري الآية وجهين دلاليين(٢) :

أحدهما : أن الرسول ﷺ هو نفسه أُسوةٌ حسنة أي : قدوة، وهو المؤتسى به، كما تقول : في البيضةِ عشرون مَنَا حديد أي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد(٣).

الثاني : أن فيه ﷺ خصلةً من حقِّها أن يُتأسّى بها وتُتّبع وهي المواساة بنفسهِ، وقد أوحت صفة (الحسنةُ) بمُطلق الصبر في البأساء ((ونبه على أن الذي يحمل على التآسي به ﷺ إنما هو الصدق في الإيمان ولا سيّما الإيمان بالقيامة))(٤)، ويجري مجرى هذا القسم كل ما يكون التجريد فيه بدخول (في) على المنتزع منه، كقوله تعالى : ﴿ ↓❻✁⍓⑩ ✍□&③⚇▫ ⇗☠←●○▤ ﴾ ✁⍓▤⊠③➔✁▫✍⚇ ﴾ [فصلت: ٢٨]، فإن جهنم هي نفسها دار الخلد، لكن أُنتزع منها مثلها وجعل مُعّداً فيها للكفار تهويلاً لأمرها.

القسم الثالث: أن يأتي التجريد بدون توسط حرف، فيأتي بالأمر المنتزع على وجه يفهم من الكلام بقرائن الأحوال.

كقوله تعالى : ﴿ ▫♦⊠⚇❶♦✁ ✁✍♦⌖♦◐⊙*💣⚇ ✁✍◙⍝○○☺⍓✍↗↓ ▫♦▤♦🔔✡♦*💣⇕ ❒◆❻⇗⑩⍓□☪ ⊠✍✍✍◙⍝⑨♎⚇♎⍓✍♌✈ ﴾ [الرحمن:٣٧]. بيّن الله –جلَّ وعلا– تشقق السماء يوم القيامة في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿ □◆✁✍✡⌖♦◐⊙*💣⚇ ✁✍◙⍝○○☺⍓✍↗↓ ▫♦💧⚇❻"

(١) يُنظر : الكشّاف : ٥٥٧/٣، ونظم الدّرر : ٣٢٣/١٥، وإتحاف فضلاء البشر : ٣٧٣/٢.

(٢) ينظر : الكشّاف : ٥٥٧/٣.

(٣) مَنَاً : مناً حديدٍ : كيلٌ وميزان، يثنى فيقال : منوان، الكشّاف : ٥٥٧/٣.

(٤) نظم الدّرر : ٣٢٣/١٥.

③♦❑⬀⬁♦⬦⬀⓿⌨ ❑♦⬀⬀⬀⬀⑩◆❑⮚﴾[الحاقة:١٦]، وقوله تعالى :
﴿❶⬀⓿•⬀ ⬀⬀⬀⬀⬀⭘⭘☺♦⬀⬀⬀⬀

⬀⬀⬀♦⬀◐⊙⬀⬀⇳﴾[الانشقاق:١]. وقوله تعالى : ﴿❑♦③♦❑⬀⬀♦
⬀■⬀♦◐⊙⬀⬀ ⬀⬀⬀⬀⬀⭘⭘☺♦⬀⬀⬀⬀
⬀⬀⬀⬀⬀⬀⬀⬀⬀♦☺⬀⬀⬀⬀⬀﴾[الفرقان: ٢٥][1]، فقد جاءت الآية السابعة والثلاثون من سورة الرحمن مُعبرة بالوصف عن انشقاق السماء، وأنّها إذا انشقت صارت وردة كالدِّهان، أي : حمراء كلون الورد، وهنا يظهر التشبيه واضحاً حين شبه حالة انشقاق السماء بانشقاق الوردة ((والوردة تنشقُ من أعلاها حين ينفتح بُرعُومُها فيوشك أنّ هُنَّ تفطَّرنَ أن يخررن على الأرض))[2] لما فشا فيها من فسادٍ وإشراك بالله – جلت قدرته –؛ لذا قررت هذه الآية دلالة عظمة الله وجلاله في تبديل الأرض غير الأرض والسماء، بدليل قوله تعالى : ﴿③♦❑⬀⬀♦ ⬀➔⌨♦⑨⓿⬀⬀
⬀⬀⬀⬀❻⬀⬀⓿ ♦❸⬀❷☒⬀ ⬀⬀⬀⬀❻⬀⬀⬀
❑♦⬀⬀⬀⬀⭘⭘☺⬀⬀❑♦⬀⬀⬀ ☎﴾[ابراهيم: ٤٨]، فتصبح السماء من كثرة الشقوق كأوراق الوردة، وهنا نلمح في الآية تشبيهين :

التشبيه الأول : تشبيه السماء بالوردة[3]، وهو تشبيهٌ بليغ، أي : كانت كوردة، ووجه الشبه شدة الحمرة الحاصل بتغير لون السماء الأزرق المعروف إلى الأبيض فيصير لونها أحمر، دليلاً على كثرة الشقوق، كأوراق الوردة الحمراء.

التشبيه الثاني : تشبيه السماء بالدِّهان[4]، أي أن السماء تصبح كالزيت المغلي، والرصاص المُذاب من شدة هول يوم القيامة واضطراب أحوالها، ووجه الشبه هنا التموج والاضطراب.

---

(١) أُختلف في (تشقق السماء) هنا، و(تشقق الأرض) في سورة (ق) فمنهم من قرأها بتخفيف (الشين) فيهما، ومنهم من قرأ بالتشديد، ينظر : إتحاف فضلاء البشر : ٣٠٧/٢.

(٢) التحرير والتنوير : ٣٠/٢٥.

(٣) الوردة : واحدة الورد، وهو زهر أحمر من شجرة دقيقة ذات أغصانٍ شائكة تظهر في فصل الربيع وهو مشهور، ينظر: التحرير والتنوير: ٢٦١/٢٧.

(٤) الدِّهان : بكسر الدال، جمعُ دهنٍ، يُراد به دردي الزيت، ينظر : الكشاف : ٣٢٣/٤.

وقد أكد الزمخشري أن في الآية أسلوب تجريد على قراءة رفع (وردةٌ)[١]، فيصبح المعنى: (حصلت منها سماءٌ وردةٌ)، ((وهو من الكلام الذي يسمَّى التجريد))[٢]، ومن خلال معرفتنا أن لـ((الواو، والراء، والدال أصلان، أحدهما: الموافاة إلى الشيء، والثاني: لون من الألوان))[٣]؛ نؤكد أن المعنى يصبح قريباً من دلالة (وردة) على (الفرس الوِرْد) الذي تتغير ألوانه وتختلف من حالٍ إلى حال، فيُقال للكميت : وردٌ، قال ابن عباس : فكانت كالفرس الوَرْد، في الربيع كميت أصفر، وفي أول الشتاء كميت أحمر، وإذا أشتد الشتاء تصبح كميت أغبر[٤].

وقد التفت البحث إلى أن أبا حيانٍ (ت ٧٤٥هـ) في تفسيرهِ ينقل مصطلح التجريد من الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) نصاً ومثّل له بالآية الكريمة نفسها، قائلاً : ((وقرأ عبيد بن عمير (وردةٌ) بالرفع، بمعنى : فحصلت سماءٌ وردةٌ))[٥]، وكقول الشاعر[٦] :

فلئن بقيتُ لأرحلنَّ بغزوةٍ   تَّحوي الغنائمَ أو يَموتَ كَرِيمُ

فالتجريد واضح في البيتِ بقولهِ (أو يموت كريمُ)، وقد أوحت لفظة (أو) هنا بدلالة (إلاَّ)، والفعل بعدها منصوبٌ بها، ويجوز رفعه عطفاً على (تَحوي)؛ لذا فإنَّ أثر التجريدُ ظاهرٌ بقرينة أنهُ عادلٌ بين احتوائهِ على الغنيمة وموت كريم، والجاري على الألسنة أن يُقال : لابُدَّ لي من الغنيمة أو الموت، فيفهم من البيت أن المراد من

(١) وهي قراءة عمرو بن عبيد : هو من كبار المعتزلة، وفيه قال المنصور، لنسكه وحُسن سيرته :

كلُّكُم طالبُ صيدٍ   غير عمرو بن عبيدٍ ، ينظر : الكشّاف : ٢٢/١ و ٣٢٣/٤.

(٢) الكشّاف : ٣٢٤/٤.

(٣) المعجم القرآني : ٧١٧/٣.

(٤) الكميت : الفرس الذي خالط حمرته صفرة، أي (الأحمر القاني) ولون الأكمت الكمتة؛ ينظر : لسان العرب : مادة (كَمَتَ)، وينظر : الجامع لأحكام القرآن :١٤٤/٢٠، والدر المنثور : ١٢٧/١٤.

(٥) أخطأ أبو حيان في نقله للأسم، فقال : عبيد بن عمير، والصواب ما أورده الزمخشري في كشافهِ، البحر المحيط : ١٩٤/٨، وينظر : الكشّاف : ٢٢/١.

(٦) وهو قتادة بن مسلمة الحنفي، وفيه يُقسِّم لئن عاش ليقومن بغزوةٍ يحوي فيها من الغنائم ما يشاء، وإلاَّ فالموت أجدرُ به، ينظر : ديوان الحماسة : ١٣٩.

لفظ (الكريم) نفسه[١]، وهنا يتبين أن المقصود من الكريم نفسه، فكأنه انتزع من نفسهِ كريماً مبالغةً في كلامهِ، لذلك عَدَلَ عن قوله : تحوي الغنائم أو أموت كريمُ، على سبيل المبالغة في تحقيق صفة الكرم والشجاعة فيه.

القسم الرابع : أن يأتي التجريد بدخول (الباء) التجريدية على المنتزع منه.

ومن أمثلة هذا القسم من التجريد قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [الفرقان: ٥٩].

أوحت الآية بدلالة التذكير بما لله تعالى من عظيم القدرة وما يلزمها من شمول العلم والحكمة البالغة، ولما كان تدبير الملك أمراً باهراً، أشار الله سبحانه وتعالى إليه بأداة التراخي (ثُم)، أي شرع في التدبر لهذا الملك الذي أوجدهُ من العدم، لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، وهو القادر على كل شيء، وقد عُدل عن قول (بينهنّ) إلى (بينهما)؛ لدلالته على المراد وهو الصنفين والنوعين والشيئين[٢]؛ ولأن السياق يقتضي قوله تعالى : (الذي خلق السموات وخلق الأرض)، مُشيراً بلفظ (الرحمن) إلى دلالة الرفق والحضّ عليه، زيادة على أنه دليلٌ على أن رحمة الله تسبقُ غضبه، وهو يُحسن إلى من يكفره، فالأجدر بعباده التخلق بهذا الخلق العظيم، ((والحاصل أنه أبدع هذا الكون وأخذ تدبيره بعموم الرحمة في إحسانه))[٣] لمن ينكر فضله ويجحد نعمته ويكفرها، ((ولما كان العلم لازماً للملك، سبب عن ذلك قوله على طريق التجريد : (فسئل به) أي بسبب سؤالك إياه (خبيراً) عن هذه الأمور وكل أمر تريده ليخبرك بحقيقتهِ ابتداءً وحالاً ومآلاً))[٤].

---

(١) ينظر : بغية الإيضاح : ٤٠/٤، الكُلِّيات : ٢٧٤.

(٢) ينظر : جامع البيان : ٦٢٠/٥، الجامع لأحكام القرآن : ٤٥٧/١٥.

(٣) نظم الدّرر : ٤١٥/١٣.

(٤) المكان نفسه.

ذكر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في قوله تعالى : ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ معانٍ وقراءات عدّة منها[١] :

أولاً : قُرِئ : فسَلْ : والباء في (به) صلةٌ (سَلْ) كقوله تعالى : ﴿♋⌧ⅱ❒✌♦ ♋⌧✍✎★✗✍⌨ ✍☜➔⌧⓿⌧✃✇⁂ ❒◆✃♎✍➚✐﴾ **[المعارج:١]**.

(فسألَ به) كقوله : اهتمَّ بهِ، واعتنى بهِ، واشتغل بهِ.

ثانياً : تكون (عن) صلةُ (فسَلْ)، كقوله تعالى : ﴿⚐➔⚐❍ ♉•☞⬅❍⬄★♦▣➔Ⅱ❍ ③♦❒⬀✍♦¤✗⓿✇ ↖♦Ⅱ✎ ✃✍♎☪❒➔✍⑩⚐✐﴾ **[التكاثر:٨]**.

و(سألَ عنهُ) كقولهِ : بحثَ عنهُ، وفتشَ عنهُ، ونقَّرَ عنه.

ثالثاً : المعنى : فسل عنه رجلاً عارفاً يخبرك برحمتهِ.

رابعاً : أو فسلْ بسؤالهِ خبيراً كقولك : رأيتُ به أسداً، أي : برؤيتهِ.

خامساً : أو معناه (إن سألتَه وجدتَهُ خبيراً).

سادساً : أو تريد به (فسَلْ عنه عالماً بكُلِّ شيءٍ)، بأن تجعله حالاً عن الهاء.

أما القرطبي (ت ٦٧١هـ) فقد نقل قول الزَّجاج (ت ٣٣١هـ) ((المعنى : فاسأل عنه خبيراً))[٢]، ممثلاً لهُ بمثال الزمخشري القرآني[٣]، وقول الشاعر[٤] :

هَلاَّ سَألتِ الخيلَ يا بنةَ مالِكٍ   إن كُنتِ جاهِلةً بما لمْ تعلمي

وأكد القرطبي أن جماعة من أهل اللغة أخذوا بهذا القول، مُبيناً أن (الباء) تكون بمعنى (عن)، إلاَّ أن علي بن سليمان أنكر هذا الرأي بقوله : ((أهل النظر

---

(١) ينظر : الكشّاف : ٣/٣٣٩، وقرأ (فسَلْ) بالنقل ابن كثير، والكسائي، وخلف وحمزة وقفاً، ينظر : إتحاف فضلاء البشر : ٢/٣١٠.

(٢) معاني القرآن (الزجَّاج) : ٤/٥٨، والجامع لأحكام القرآن : ١٥/٤٥٨.

(٣) الشاهد هو : الآية الأولى من سورة المعارج، ينظر : الكشاف : ٣/٣٣٩.

(٤) الشاعر هو عنترة بن شداد بن معاوية بن قراد العبسي، وهذا البيت أحد أبيات معلقته المشهورة التي كانت العرب تسميها (القصيدة المذهَّبة)، ينظر : شرح ديوان عنترة : ١٧١.

ينكرون أن تكون (الباء) بمعنى (عن)؛ لأن في هذا المعنى إفساد للمعاني))[١]، مستدركاً ومستشهداً بقول العرب : لو لقيت فلاناً للقيك به الأسد، والمعنى : المراد من الآية، فاسأل بسؤالك إياه خبيراً[٢]، والخبير هو الله تعالى، فنُصب على المفعول به بـ(السؤال)[٣].

والرأي الذي ذهب إليه القرطبي في قول الزجَّاج هو تخريجه على الوجه الحسن، ((وهو أن يكون الخبير غير الله، أي : فاسأل عنه خبيراً، بمعنى : عالماً به، أي : بصفاتهِ وأسمائه))[٤].

القسم الخامس من أقسام التجريد : هو أن يكون التجريد حاصلاً بدخول (باء المعية والمصاحبة) في المنتزع.

وهذا يعني أن أسلوب التجريد يأتي وفقاً لإجراء (باء) التجريد الداخلة على المنتزع، وتفيد فيه معنى المصاحبة، وهذا القسم لا يدّلُ على التشبيه[٥]، فهو خلاف القسم الرابع من أقسام التجريد؛ لأن (الباء) التجريدية فيه تدخل على المنتزع منه، لتؤدي دلالة المصاحبة، فتدّل حينئذٍ على التشبيه، ومن أمثلة هذا القسم قول الشاعر[٦]:

وَشَوهاءَ تَعْدُو بي إلى صَارخِ الوغَى بمُستلئمٍ مِثْلِ الفَنيقِ المُرَحَّلِ[٧].

(١) معاني القرآن (النّحاس) : ٨٣٧/٢، الجامع لأحكام القرآن : ٤٥٨/١٥.

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٤٥٨/١٥.

(٣) وهذا القول مذهب ابن جبير وابن عطية الأندلسي، ينظر : جامع البيان : ٦٢٠/٥، والمحرر الوجيز : ٢١٦/٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٤٥٨/١٥.

(٥) ينظر : بغية الإيضاح : ٣٩/٤.

(٦) البيت لا يعرف قائلهُ، ورد دون نسبةٍ في بغية الإيضاح : ٣٩/٤، والكُلِّيات : ٢٧٤.

(٧) الشوهاء : الفرس القبيحة المنظر لسعة أشداقها أو لتغيرها في الحرب، وصارخ الوغى : المستغيث في الحرب، والمستلئم : لابسُ اللأمة : وهي الدرع، والفنيق : الفحل المكرم من الإبل بترك ركوبه، والمرحل : المرسل غير المربوط، ينظر : بغية الإيضاح : ٣٩/٤.

ويقصد الشاعر هنا أن الفرس تعدو به ومعهُ؛ لكمال استعدادها للحرب، والمراد تشبيه الفرس به أو المستلئم، فـ (الياء) في (بي) للتعدية، وفي (بمستلئمٍ) للمصاحبة؛ لأنها باء التجريد[1].

القسم السادس من أقسام التجريد : هو أن يكون التجريد حاصلاً بطريق الكناية :

كقول الشاعر[2]:

يا خيرَ من يركبُ المطيَّ ولا   يشربُ كأساً بكَفِّ مَن بَخِلا

فقوله : (ولا يشرب كأساً بكفِّ من بخلا) كنايةُ عن شربهِ بكفِّ كريم، والأصل المعدول عنه أن الإنسان يشرب بكفِّ نفسه لا بكفِّ الآخرين؛ لكن الشاعر أنتزع من الممدوح شخصاً كريماً يشرب الممدوح من كفهِ مبالغةً في جودهِ وكرمهِ.

القسم السابع من أقسام التجريد : هو أن يكون التجريد حاصل بطريق مخاطبة الإنسان نفسه.

في هذا النوع من أنواع التجريد يأتي الخطاب ظاهرهُ لغيرك وباطنه لنفسك، حيث يتمكن المخاطب من إجراء الأوصاف المقصودة من مدحٍ أو هجاءٍ أو رثاء أو غيرها، على نفسهِ ليتوصل بهذا الأسلوب إلى تحقيق التجاوب الخطابي عن طريق القدرة الإبلاغية لما يهدف توصيله، وهذا مستلزم مبدأ العدول والانزياح عن ما وضعت لهُ اللغة أصلاً إلى غرضٍ ثانٍ عن طريق الانفصال عن الذات، مما يثري المعاني ويوزع المساحة الدلالية في الكلام، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿◐ᴙ♌□ ♦♌🔔☒📬 ♊⍓☺♉🕿 ▤❽♦❷⇩🗎♉🔔⬩✏ ⍓🖮♉🕿🕓⬩❶ ❼ᴙ× ⍓⬈⇳☺○○🕿🙥✁ ❼⬩🖃⬂🕿❐🕮 ⬃❐❐🕮 ⬉🖬▫🖬⬩🔔 ⌽⬅○⬩🕿 ◆❐➔♎◆❐ ⅄☒♑ᴙ⓿⑨ᴓ﴾[ق:٣٧]، وقوله تعالى : ﴿③♦❷⊠⚐➔♉ᴓᴓ ❐◆③♦❷⊠♈⬅ 👌♉♊⇳ ⬈◆✁✌⮰

(١) ينظر : بغية الإيضاح : ٣٩/٤.

(٢) البيت منسوب لأعشى قيس (الأعشى الكبير)، والمطي : جمع مطية وهي المركوب من الإبل، ينظر : أسرار البلاغة : ٣٣٥، وبغية الإيضاح : ٤٠/٤ ، والكُلِّيات : ٢٧٤، وقد عثرنا عليه في ديوانه : ٢٣٥.

⬅♌☸◆❻ ⇱🕮▫✂⌧➔⇳♉✍✂◆❑ ☎ ⌘☸❑➔◑⬀➔⧫③
❻◆⬃⬁⓿✽✍﴾ [مريم: ٦].

تتأكد في آيات الذكر الحكيم المتضمنة معنى التجريد إحدى مظاهر العدول الموهم في الخطاب بما يوحي بحقيقة أسلوبية تزيد من اشاعة الاحساس بمسألة الحضور والغياب في الخطاب القرآني إذ ينتزع المتكلم من نفسهِ مُعادلاً يتّحد نيابةً عنه، ليحقق ظاهرة اسلوبية معدولة عن أصل المألوف وهي (التجريد) المنطوي على قدرة إضافية توليدية ناتجة عن استعمال خلاف الأصل عدولاً عن الإجراءات الرتيبة، من خلال الكم الهائل للانفعالات التي يسقطها المتكلم من نفسهِ على من حوله، وهو يحشد لما يعتمل في صدره، ثم يُحيلها على المخاطب عبر إجراء (التجريد) وآلياتهِ القائمة على الإيهام، وكأن المتكلم يتحدث مع نفسه في مرآةٍ تعكس تقابلاً جمالياً، مستشعراً أصول المعاني العميقة في النص، وموظفاً آلية خطاب خاص يعدل فيها عن التصريح بنفسه إلى ما يقابله نيابةً.

إن الحديث عن ظاهرة (التجريد) يقودنا إلى تأكيد مفاده معرفة البلاغة العربية على مستوى النظرية والتطبيق، بمظاهر العدول ولإنزياح وفقاً لتحليلات اسلوبية تبرز فيها القيم الفنية التي من شأنها الإسهام في تقوية الشعور بأدبية اللغة، وفسح الطريق امام الابداع بتوفير بدائل للواقعة الأسلوبية دفعاً للمنطقية المحضة والتكرار الرتيب، وهنا نستطيع ان نقرر انطلاقاً من المعطيات الخاصة باللغة الناتجة عن الانفعال الصادق مع الحدث، إن أصل الكلام يقتضي الانطلاق بلسان المتكلم، والتجريد خلاف ذلك؛ لأنه عدول عن هذا الأصل.

المبحث الثالث : أسلوبُ حُسْنُ التعليل :

مفهوم التعليلُ في اللغة والاصطلاح : التعليل: تفعيلٌ من قولهم علَّلَ ماشِيتَهُ إذا سقاها مرةً بعد مرةٍ، وعلّلتُ هذا إذا جعلت لهُ عِلةً وسبباً، وسُمي المرضُ عِلَةً؛ لأنه سبب في تغيير حال الإنسان وفسادِ صحتهِ، يُقال : فلانٌ يُعلِّل نفسه بتعلةٍ : وتعلَّلَ به أي تلهى بهِ وشغل نفسه بما يُعللها[١].

أما في اصطلاح البديعيين : فهو أن تقصدَ إلى حكم من الأحكام، فتراهُ مستبعداً من أجلِ ما اختص بهِ من الغرابةِ واللطفِ والإعجاب أو غير ذلك، فتأتي على جهةِ الاستطرافِ بصفةٍ مناسبةٍ للتعليل فتدّعي كونها عِلَّةً للحُكم لتوّهم تحقيقه وتقريره نهاية التقرير؛ لغرض إثباتِ الشيء مُعلَلاً آكد في النفس من إثباته مجرداً عن التعليل[٢]، وبمعنى آخر فأنّه (حُسْن التعليل) هو أن يُدَّعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي، شريطة أن يكون هذا الاعتبار دقيق لا يدركه إلا من له تصرف في دقائق المعاني ووجه حسنه إظهار ما ليس بواقع متخيلاً[٣]

ففي ذكر العلة تقريرٌ للشيء وتأكيدٌ لهُ وتحقيقٌ في النفسِ لا يتأتّى في حالةِ تجردِ القولِ من التعليل، وهذا يعني أن المراد بحسن التعليل هو ذكر حكم واقع أو متوقع؛ يُقدِم المتكلم على اساس هذا الذكر علة وقوعه؛ لكون رتبة العلة أن تقدم على المعلول مما يؤكد أن اسلوب (حُسن التعليل) ينطوي على ادعاءٍ لوصفِ علَّة مناسبة نحو قوله[٤] :

لو لم تكن نِيةُ الجوزاءِ خِدمَتَهُ   لمَا رأيتَ عليها عِقدَ مُنتَطِقِ

فالشاعر اراد أن يثبت وصفاً غير ثابت وغير ممكن ايضاً، وهو نية الجوزاء خدمة الممدوح؛ لأن النية لا تكون إلا ممن عقلَ وأدركَ، فأراد الشاعر أن يثبت هذه النية العلة تخييلية لطيفة هي أن الجوزاء منتطقة، أي شادة النطاق على وسطها كحال

(١) ينظر: لسان العرب : مادة (عَلَلَ)، الطراز : ١٣٨/٣.

(٢) يُنظر : تحرير التحبير، ٢/ ٣٠٩؛ وبديع القرآن : ١٠٩/٢، الطراز : ١٣٨/٣، ونهاية الأرب : ٩٦/٧.

(٣) ينظر : أسرار البلاغة : ٢٧٧، الإيضاح : ٢/ ٢٧٧.

(٤) البيت في الإيضاح : ٢٨٠/٢ ورد دون نسبه وفيه أنه ترجمة بيت فارسي، وقيل هو لعبد القاهر الجرجاني ترجم به أصله الفارسي، ينظر : الإشارات والتنبيهات : ٢٥٧.

الخادم، فتّية الجوزاء هنا خدمته ممتنعة، وهذا النوع من حُسْن التعليل يُدرج تحت أصل بيان حُسن التعليل في الوصف غير الثابت الذي أُريد اثباته وهو غير ممكن. ومنه قول أبي الطيب المتنبي[١] :

ما بهِ قَتْلُ أعاديهِ ولكِن   يَتَّقِي إخلافَ ما ترجو الذّئابُ

فإن قتل الملوك أعداءَهم في العادة لإرادة هلاكهم؛ ولدفع أذاهم عن انفسهم، حتى يصفوَ لهم مُلكهم من منازعتهم، لا ما ادعَّاه الشاعر من علةٍ وهمية غير حقيقية عبّر عنها بأن طبيعة الكرم قد غلبت عليه، ومحبته أن يُصدّق رجاء الراجين بعثته على قتل اعدائه؛ لما علم أنه كلما غدا للحربِ غدتِ الذئاب تتوقع أن يتسع الرزق من قتلاهم، وفي هذا الامر مبالغة في وصف الممدوح بالجود والكرم، فضلاً عن مبالغته في وصفهِ بالشجاعة والإقدام حتى كأنه يتناهى في إظهار الشجاعة ليرعب بها الحيوانات العجْم، فترجو الذئاب أن تنال من لحوم أعدائه عند ذهابه للحرب، وقد ادعى الشاعر لوصف هذه العلة مبالغةً أُخرى في المدح، وهو أنه ليس ممن يُسرف في القتل طاعةً للحقدِ والانتقامِ، وطلباً للثأرِ، وقد عدَّ أرباب البلاغة هذا الوجه في المبالغة بإيجاد العلة المناسبة للوصف من باب (التخييل) [٢].

ومن تتبع نظرات علماء البلاغةِ في هذا الفنِ البديعي نجد أنه قائمٌ على أصلِ تضمنِ القولِ ذكراً للعللِ أو الأسباب أياً كان موضعها وهذا ينافي ما اشترطه (ابن أبي الأصبع) في تعريفهِ للتعليل بتقدم العلةِ على المعلولِ [٣]

ومما يتضح للبحث أن العلماء اختلفوا في طبيعة تلك العلل والأسباب فبعضهم من رجح كونها علل طبيعية تخيلية وليدة الخيال الخصب ونتاج الوجدان الحي والعواطف اليقظة يعمدُ إليها الكاتب ليوقظ الخيال ويُثير العاطفة بالتماسهِ عللاً غير العلل الحقيقية للأشياء، ولأغراضٍ متعددة كالمبالغة في المدحِ، وكإدخال السرور على الممدوح، فهي بذلك ليست عللاً طبيعية مطابقة للواقعِ؛ وإنما هي أساليب مستملحة متطرفة، تقع ضمن منظومة الإبداع الأدبي؛ لذا نجد أول تسمية أطلقت

(١) ديوان المتنبي : ١٣٤/١، وهذا البيت من قصيدة في مدح بدر بن عمار.

(٢) ينظر : الإيضاح: ٢٧٨.

(٣) ينظر : تحرير التحبير : ٢/ ٣٠٩.

على هذا المصطلح البديعي هي (التخييل)[١]، في الوقت الذي نجدُ أن بعض العلماء مالَ إلى تغليب التعليل العلمي المنطقي المبني على الحقائقِ الثابتةِ والتجارب المعملية مركزاً على العقلِ والتدبرِ ودقةِ التحليل في طبيعة الأشياء، الناتج عن الاستقراء الدقيق والبحث الدؤوب، والشرط فيها ملائمتها للمقام، وانسجامها مع الذوق والآداب الإسلامية، وإلاّ كانت سوء تعليلٍ لا حسن تعليل[٢].

واعتماداً على معايير الحُكمِ الموجِب لاقتضاء الوصف الثابتِ أو غير الثابتِ علةً، أو عدم اقتضائهِ قَسَّم البلاغيون القدماء هذا اللون من البديع إلى أربع أصولٍ ثابتة هي :

١- حُسن التعليل للوصفِ الثابتِ الذي ليسَ لهُ علّة في العادةِ، ويُراد بيان علته.

٢- حُسن التعليل للوصف الثابتِ الذي لهُ علّة غير العلة المذكورة، ويُراد بيان علّتهِ.

٣- حُسن التعليلِ للوصف غير الثابتِ الذي أُريد إثباته، وكان ممكناً.

٤- حُسن التعليل للوصفِ غير الثابتِ الذي أُريد إثباته، وكان غير ممكناً.

إنَّ هذه الأضرب الأربعة لحُسن التعليل لا تتعدى النظر العقلي وفكرة الممكن وغير الممكن المنطقية، وقد نبه لهذا الأمر علماء البلاغة والباحثين في علم النفس الادبي مؤكدين أن الأسس المتبعة في تقسيم هذا الفنِ غير شمولية أو موضوعية، وعللوا زعمهم بأن (حُسن التعليل) يرتكزُ على أساس الخيال والعاطفة، وهذا مردهُ إلى التمثيل والتخييل، زيادةً على التعليل العلمي الواقعي الذي يُشترط فيه الرجوعُ إلى الحقيقة أصلاً، والمزج بين التعليلين، وتأسيساً على ذلك وضع المعاصرون بُنيتهم الأسلوبية لهذا المظهر الإبداعي الفني.

---

(١) أفاض عبد القاهر الجرجاني الحديث عن التخييل وربطه بالإبداعات، ويُفهم من كلامه أنه يُريد به حُسن التعليل؛ فقد قال : ((وجملة الحديث الذي أُريد بالتخييل ههنا ما يثبيت فيه الشاعر أمراً هو غير ثابت أصلاً ويدعي دعوة لا طريق إلى تحصيلها، ويقول قولاً يخدع فيه نفسه ويريها ما لا ترى)) ودراسة عبد القاهر الجرجاني لهذا الفن من أبدع الدراسات وأحسنها؛ ينظر : أسرار البلاغة، ٢٧٥، وأطلق ابن سنان الخفاجي مصطلح (الاستدلال بالتعليل) و(الاستدلال بالتمثيل)، ينظر : سرُّ الفصاحة : ٢٧٧.

(٢) ينظر : البديع في ضوء أساليب القرآن: ١٢١، علم البديع : (بسيوني عبد الفتاح) : ٢٠٩.

هذا الأسلوب في التعبير القرآني ومن تتبع الشواهد القرآنية وفقاً لصورِ (حُسْنِ التعليل) الأربع، نجد أن أول ما يلفتنا من تطبيقاتهِ القرآنية قولهُ تعالى : [illegible] [الأنفال:٦٨].

في سياق هذه الآية يطلعنا الحقُ تبارك وتعالى على حقيقةٍ كونية أكيدة وثابتة تتعلقُ بحكمهِ الذي سبقَ إثباته في اللوحِ، بأن لا يعاقب أحداً بخطأ، وهذا البيان الإلهي جاءَ تأكيداً وارتباطاً مع ما تقدم هذا السياق في قوله تعالى : [illegible] [الأنفال:٦٧].

فقد سَبَقَ قضاءُ اللهِ وكتابهِ بأن لا يُغفر لأهل بدرٍ ما يفعلون، فوقاهم سبقَ قضائه فيهم ما كان يستحقه أخذهم الفداء من العذاب العظيم، فقد عرَّض القرآن الكريم في هذهِ الآياتِ من سورةِ الأنفالِ بالمسلمين لقبولهم الفدية في أسرى المعركة الأولى، وقد كَرَهَ لهم ذلك؛ لمعنى كبيرٍ عبرَّ عنه سيدنا عمر ﷺ في صرامةٍ ونصاعةٍ وهو يقول : ((وحتى يعلم الله أن ليسَ في قلوبنا هوادة للمشركين))[١]، أضف إلى ذلك معنىً أخر يُراد تقريره في النفوس وتثبيته في القلوب، أن غزوة بدرٍ هي المعركة الأولى بين المسلمين والمشركين، والمسلمون فيها قلة مقابلةً بكثرةِ المشركين، فكان نقصُ عدد المحاربين من المشركين؛ لأسرهم يكسر شوكتهم ويذلّ كبرياءهم ويعجزهم عن معاودة الكرةِ على المسلمين، فكان هذا هدفاً لا يعدله المال الذي يأخذه المسلمون فداءً لهم مهما كانوا فقراء؛ لذا وبقبولهم الفداء وإطلاقهم الأسرى خالفوا إرادة الله تعالى الخير والأبقى وأرادوا عرضَ الدنيا[٢]، [illegible]

(١) في ظلال القرآن : مج ٣، ج١٠، ص١٥٥٢.

(٢) ينظر : الكشاف : ٢٧١/٢، في ظلال القرآن : مج٣، ج١٠، ص١٥٥٢.

[illegible] ﴾، فقدرَّ للمسلمين النصرَ، وأقدرهم عليهِ، لحكمةٍ يُريدها من قطع دابر الكافرين ﴿ [illegible] ﴾ [الأنفال:٨].

في هذا السياق البديع عرَضَ القرآن الكريم الأسباب عرضاً مفصلاً مُقدماً، تَطلَّب هنا حاضراً متيقظاً لاستقبالِ الشكل اللغوي الذي يتمُّ بموجبهِ استمرارُ الحدثِ ونهايتهِ، فجاء التعليل بأحسن مظاهرهِ ليوقفنا عند قضية مهمةٍ وجادةٍ تتعلقُ بقدرة العقلِ على تقبل هذا المستوى من الصياغة من دون إفسادٍ للمطلوبِ، فالتعبير القرآني هنا يقصد الوصول إلى هذا المستوى من التعبير عن المعنى، فهو منجز بديعي يُثري القدرة التعبيرية للتراكيب اللغوية ودلالاتها، وللسياقُ دورٌ في تحديد المعنى المراد، من ذكر الأسبابِ مُقدمةً على النتائجِ والعللِ باعثاً روح التفاعل والترابط بين الدلالات اللغوية بالتنويع الذي يحرك وعي المتلقي، والإيحاء بأفكارٍ وأحداثٍ لها خصوصيتها البارزة في النظم القرآني.

ومن أبرز صور (حُسن التعليل) في التعبير القرآني ما جاء خطاباً لسيدنا شعيب عليه السلام على لسان قومهِ في قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [هود : ٩١].

فقد عبرت الآية عن تهاونهم وسخريتهم بنبي الله شعيب عليه السلام وهو تهاونٌ بالله – تعالى– فجعلوا سبب رهطهِ[١] عِلّة في سلامتهِ من قتل قومه لهُ شرَّ قتلة، فلولا هؤلاء القلة من القوم الذين اتبعوه، واحتراماً لهم واعتداداً بهم؛ لأنهم كانوا على ملتهم لا خوفاً من شوكتهم وعزتهم لما نجا شعيب من كيد قومهِ، فكان رهطه أعزُ عليهم من الله –تعالى–، ونظير هذه الآية ما جاء في سورة يونس من قوله تعالى : ﴿ [illegible]

(١) الرهطُ : من الثلاثة إلى العشرة، وقيل : إلى السبعة، ويُطلق هذا اللفظ للتقليل، ينظر : الكشّاف : ٢/٤٢٦.

🗐 ☎✁❑➔▦■◘♦☞⇗⌘✍✍♦▫ ☪❑⍓⑨♉❍🕓♦❑
♊♉✌ ⇳☀✳♦◗♦⌨⍓♋ ⍃❑⍓☺♐◘•🗎 ••⍌❑♦♑◙♦❑
⬄⚐⭠♑❑✡⇗❹♦✉ ⌘♈⇱♈➔◗♦♑◙ ♌①♐♓✉❍❻
❑♉♎♉▫✍⍓☺⑩♉▫ ❍♉⑥♦③⍃☞♦◘♐▦➔❑♍♌﴿ [يونس : ١٩]، فلو

وقفنا على قوله تعالى : ﴿ ❑♦❑◙♑♦❑⍌♦• 🗎•◘♐☺⍓❑⍃ ﴾ تأكدنا هذا التعبير ﴿ ⇳☀✳♦◗♦⌨⍓♋ ♊♉✌ ❻❍✉♓♐①♌ ﴾ سبب بقاء

الناس بعد أن قُضي الامر وسبقت كلمة الله وقضاؤهُ الفصل فيما فيه يختلفون، ونظير حُسن التعليل في السنة النبوية المطهرة قوله ﷺ : ((لولا أخافُ أن أشِقَّ على أُمتي لأَمرتهم بالسّواك عند كلّ صلاة))(١) فخوف المشقة على الأُمة هو العلّة في التخفيف عنهم من الامر بالسواك عند كلّ صلاة.

ومن المظاهر البديعية القرآنية التي تتكشف فيها الإشارة والتنبيه على علّة الحكم قوله تعالى : ﴿ ▫♦⌛♦⑨❍♦✌ ✁✍✍✏⅄🔔♉⬄▫♌ ⭠♦◘■☺⭠❑✁☎ 🔔♦❑⍌♦🕐 ♉❷⌧❷⍌❸♦ ✁✍✍✏⅄🔔♉⑨ 🔔♉⓿✍• ♑♦♑⚐⬄ ▫♦🕯❑☼❽♦◙♑⍃☪♦✍ ⇱♦✍■❼ ✁✍✍✏⅄🔔♉⬄✖♦ ⭠♦◘■☺⭠❑✁☎ ❻♈♉⇳❽✡✁ ✌♓♉♊⌘ ✁✍◙❍❍☺⍓✍♉⇗♉ ✉♐☺⍓✍ ✉⌧🔔✡⭠❑✁☎ ③♦▦⍃❍⓿◗➔❑♌♦﴿ [البقرة: ٥٩].

فقوله تعالى : ﴿ ▫♦🕯❑☼❽♦◙♑⍃☪♦✍ ⇱♦✍■❼ ﴾ ﴿ ✁✍✍✏⅄🔔♉⬄✖♦ ⭠♦◘■☺⭠❑✁☎ ﴾ تنبيهٌ على أن الاسم الظاهر هو السبب في الحكم، وإيثاره على المضمرِ؛ لإفادةِ الاسم الظاهر ما لا يفيده المضمر، فضلاً عن أن التفات الذهن بسبب هذه المخالفةِ يؤدي إلى مزيد من الاهتمام، وبالتالي فهو مدعاة لاستقرار المعاني، وتمكنها في النفس أتم تمكين، فمقتضى الظاهر أن يُقال : (فأنزلنا عليهم) لعودِ الضمير على الأسمِ الظاهر المتقدم، والسرُّ في العدولِ إلى الاسم الظاهرِ هو الإشارة إلى أن ظلمهم سبب لإنزال الرّجز عليهم، سواءٌ أكان الرّجز هو العذاب، أم كُثرة الموتى فيهم، ولم يفد الضمير هذه الإفادة، فلو

(١) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب السواك، حديث رقم (٢٥٢)، ص٧٤.

قيل : (فأنزلنا عليهم)، لم يفد أن سبب الإنزال هو سابقُ ظلمهم، وهذا هو السرّ البلاغي الكامن في هذا العدول(1).

ومثيلهُ قولهُ تعالى : ﴿ ⌗✐ ✂☒❒←⑨◆⬉ ◆♌🔔☒🖎 ♊◆✌
🕗♉🕮♐✂←♋↓❻◆❒ 🕗♉○♉✍☒⌛✆⯑✵🕛■▣◆✌◆❒
⅄✐♐✂ ·♍♐✉⬧▫ ⬧♎🖰⬧▤⓿♉✌◆❒ ⬧♎③♐❸⬀⧫⬁♉◆❒
⬉◆⑨←❒✌ ♓♏⬥▣▫⬧▤🕛⊞♉❷⊠③♊⌘ ﴾ [البقرة:٩٨].

فقوله تعالى : (فَإِنَّ اللَّهَ) وضعٌ للظاهر موضعَ المضمرِ؛ لأن التقدير : (فهو عدوٌ) ليسبق لفظِ الجلالةِ الذي يعود عليهِ، والأثر الأسلوبي في هذه المخالفةِ هو : أن الله سبحانه وتعالى يُريد أن يُبين أن كفرهم هو سببٌ لعداوةِ اللهِ- تعالى- لهم ولو عبَّر القرآن الكريم عن ذلك بالضميرِ لم تُسْتَحصل تلك الفائدة، ففي الآيةِ دلالةٌ على أن الله- تبارك وتعالى- عاداهم؛ لكفرهم، وأن عداوة الملائكة كفرٌ، وإذا كانت عداوة الأنبياء توصل للكفرِ، فما بالُ الملائكةِ وهم أشرفُ المخلوقاتِ، والمعنى من عاداهم عاداهُ الله تعالى، وجابهه بأشدِّ العقاب(2). وهذا مظهرٌ من مظاهرِ تشكيل البنية اللغوية بُحسن إيجاد العلّةِ للمعلول.

ومنهُ قولهُ تعالى : ﴿ ❒◆✌◆♐✐ 🕮❒❻⬀♋⍓▣▫☪◆♐✌♉♊
🕛♍⬂❶♐✉♐🖅 ◆⬋♐⬧⮌⬉⓿♉⬨ ·⬧♐◗ ♎✌❒←♋▪❻
❶♐◗ ⬀☠←♑✵✡❒🕮 ⬀❒⬧⬨◆❒ 🗐 ★✐♐✂
☒🖰❒↓⬈✐♐⍓♉ ⬀☠←♑❁○→▦✡❒🕮 ☎✂☑❒←☺■▣⊙←
⅄✐♐✂ ☎✂❒⬉❷☒▦⬂⬄◆☝⬄♋♐♐⬧▫
⬉✌❒←♋▪❷⬨♐✂ ❶⚐←♑⬧⬨ ◆❷☒▦⬂⬄◆☝⬄♋♐✂◆❒
♐🕉🖅✂▪❒⬧✍ ⅄✐♐✂ ☎✂❒←⑨⍓♊◆❒⬧⬨
❻▪○♉⓾☺✞♐ ﴾ [النساء: ٦٤].

ففي إطارِ المعنى العام للسياق القرآني نجد أن الصورة التعليلية تتسم بسعة الحجم في تفريعاتها مما يتطلب الوقوف عندها، ومن الطبيعي ألاَّ نَعزلَ هذا السياق عن مضمون السورة نفسه المتضمن حشداً من الأهدافِ والموضوعات على مدى أشواطٍ وأبعادٍ مترابطةٍ متتاليةٍ في نسقٍ عامٍ متكاملٍ، إحدى بُنياتهِ ومقوماته الأساسية أنه ((يقضي أن يكون للرسالةِ سلطان يُحقق المنهج، وتخضع لهُ النفوس خضوع

(1) ينظر : الكشاف : ١٣٤/١، وروح المعاني : ٢٦٧/١.

(2) ينظر : الكشّاف : ١٥٧/١، وروح المعاني : ١/ ٣٣٤.

طاعةٍ وتنفيذٍ))[1]، فالله تعالى أرسلَ رُسله ليُطاعوا بإذنهِ وفي حدودِ شرعهِ، فتكون طاعتهُ طاعة للهِ وبذلك تتأكد حقيقةً بـ (حُسْنُ التعليل)؛ لأن إرسالَ الرُسل ليس لمجرد التأثر الوجداني، وتبليغ الشعائر الدينية، بل لإقامة منهج ثابت لواقع الحياة وفهم الدين[2]، ففي الآية سبق وضعُ الاسم الظاهرِ في قوله تعالى :

❶⚐🡐♑⬧⧫ ♦❷☒▦⬂⬄♦☝⬄♌♐✄◆❑﴿

✄♐♌⧫❷▪♌🡐❑✌⬉﴾ موضعَ الضمير، وهو : (واستغفرت لهم)؛ ((تفخيماً لشأن الرسول ﷺ، زيادة على ما بهِ من تعظيم لاستغفارهِ))[3]، فالسرّ البلاغي متمثلاً بالعدولِ عن الظاهر أوضحَ أثرهُ البالغ في الدلالة القرآنية.

ومما جاء في التعبير القرآني من هذا القبيل قوله تعالى في سورةِ الأنعام : ▤❽◆❸♦☟⬂▫♐✄ ⮈♊⬤☺♉✌ ❶⚐■▪⬂🡐❑🕮 ⇳♊♦✌◆❑﴿ ⌘⬀⦿⓿☒✍ ⬃❑❑🕮 ♐◷✍⬋⓿☒✍ ★✎♐✄ ❼■✍♦⬉ ⧫⧫ ◑🡐❍✸✡♒◗ ▤ ▦◴♉❍♉☝◑♦⓷♐♦★♒✍ ⓷⬉▦⬂▪♒☒🡐 ✄♐⧫➔⅄◑▪♒☺🡐❑♌♦﴾ [الأنعام:١٢١].

وقد تفرَّد صاحبُ تفسير (أولى ما قيل في آيات التنزيل) بموضعِ شاهدٍ تعليليٍّ لهُ أثرهُ الدلالي في التعبير القرآني مؤكداً في تحديده النظر المتمثل على لطف ودقّة العلّة المناسبةِ للوصفِ التي تُدعى على اعتبارٍ غير حقيقيٍ، إذ لا تكون علّةً لهُ في الواقعِ[4]، والشاهد قوله تعالى : ﴿❑◆🕮❑♎⬂❍✿☺🡐❑✄☎ ⧫⧫ ▪ ⬀☠♒♑♉☪◑⮹☺⬃⓷❑🕮 ⮹⓽⇳♑⮹♉ ★✎♐♐♒✍ 🗐❼■✍♦✍ 🗐 🡐☠❑🡐☺♦⓷ ♊♦✌ ✦✎♐✄ 🡐✵⮹➔⬀⌨♦⓷ ⬤♊⬁▤◑⧫♌◆❑ ♐⮹◗⮹❍ ♉❍⬂⓿■▪♦⬉ ✄⬦⓽⇳⬉◆❑ ﴾✪♍❑🡐☺■▪⇳➔♦⓷ ⧫⧫ ⬅❑♐❑☪♌♐✄ ◆❸⧫✡⇩🗎❑🕮 [النحل:٣٨]. مُعلّقاً عليه بقولهِ : ((وقد أردف تحقيقُ البعثِ بوجهٍ من حُسنِ التعليل

(١) في ظلال القرآن : مج٢، ج٥٠، ص٦٩٦.

(٢) ينظر : المصدر نفسه.

(٣) الكشّاف : ٤٦٠/١، روح المعاني : ٧٠/٥.

(٤) ينظر : أولى ما قيل في آيات التنزيل : ٥/ ١٣١.

يتضمن الزجرَ لهم والتبكيت على أحسنِ الوجوهِ وأجملها))[١]، فقال تعالى: [illegible] [النحل: ٣٩].

ومثيلهُ قوله تبارك وتعالى: [illegible] [الفتح: ١ – ٣].

تتوالى الآيات في سورةِ الفتح لتكشف عن مظهرٍ دلالي يتضحُ من السياقِ العام للنظمِ البديعِ في قوله تعالى: [illegible] [الفتح: من الآية٤]، وقوله تعالى: [illegible] [الفتح: ٥].

ويستمرُ سياقُ الآيات بحُسن تعليلٍ في الصياغة القرآنية في قوله تعالى: [illegible]

---

(١) المكان نفسه.

○⑨♦⇖□🕮♦□ ⇔🏱←♑□✡⍓➔⬧♌◉♦□ ⬀♆✗🙵⬀❸■⍞♦⇖
⇳♆♦⬈✍🙵⍓♌♦□ ☎ ⌘🏱□✡⍓♑⍓♉ ⇔🏱←♑⬧♌◉
♐♦⊙⬁❷❸⊙☪→✂﴾ **[الفتح:٦]** ، وقد استوقفتنا سورة الفتح وقفاتٍ تحليلية نتلمس من خلالها الآتي :

الوقفة الأولى (التأملية) :

سورة الفتح مدنية، عدد آياتها تسع وعشرون آية(١)، اظهرت منهجاً عقائدياً تربوياً متكاملاً، لكُلِّ حرفٍ فيها معنى، ولكُلِّ لفظٍ فيها دلالة، ابتدأت السورة ببشارة النبي ﷺ بالفتح الاعظم وانتشار الاسلام بعد فتح مكة، وذكرت جهاد المسلمين وبيعة الرضوان(٢) التي بايع فيها الصحابة ﷺ رسول الله ﷺ على الجهاد في سبيل الله حتى الموت، وأن الله –تعالى– قدَّم مثلهم في التوراة والانجيل، ثم ذكرت بيعة الحديبية والتنويه بشأن من حضرها.

وتحدثت السورة عن الذين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ من الاعراب والذين في قلوبهم مرض، ومن المنافقين الذين ظنوا الظنون السيئة برسول الله ﷺ وبالمؤمنين فلم يخرجوا معهم، زيادة على اشتمالها على حديث الرؤيا الصادقة التي رآها رسول الله في منامهِ، وحدَّث بها اصحابه ففرحوا واستبشروا وهي دخول الرسول ﷺ والمسلمين مكة آمنين مطمئنين، وكان ختامها مسكاً وهو الثناء على الرسول ﷺ وأصحابه الأطهار(٣)، ووعدهم بالجنة بقولهِ تعالى: ﴿♐□⇔⬂▦♉❷♦□☪
□♦🕮□♉⇳❷⊙→✂ ⇖♦→♉⓿☺☺🙵﴾ **[الفتح:٢٩]**. اشتهرت تسمية هذه السورة (بسورة الفتح)، فقد قرأ النبي ﷺ يوم فتح مكة سورة الفتح، فرجَّع فيها(٤)، وقد ورد لفظ الفتح في بعض سور القرآن الكريم(٥)، ولا يعرف لهذه السورة اسم غير

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٩/ ٢٩٤.

(٢) لتفصيل بيعة الرِّضوان وقصتها وعدد المبايعين فيها وجزاؤهم، ينظر : الكشاف : ٢٣٢/٤.

(٣) ينظر : التحرير والتنوير: ١٤٣/٢٦.

(٤) رجّع فيها : أي ردد صوته تكراراً بالقراءة، والحديث في صحيح البخاري عن عبد الله بن مغفل ﷺ، ينظر : صحيح البخاري، كتاب التفسير (سورة الفتح) حديث رقم (٤٨٣٥)، ص٨٠٥.

(٥) ينظر: سورة النساء: ١٤١، وسورة المائدة: ٥٢، وسورة الأنفال: ١٩، وسورة السجدة: ٢٨–٢٩، وسورة الحديد: ١٠، وسورة الصف: ١٣، وسورة النصر: ١.

اسمها الذي سُميت بهِ، وقد بيّن الرسول ﷺ فضل هذه السورة بقولهِ : ((لقد أُنزِلت علَّي الليلة سورةٌ لهي أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس))[1] ثم قرأ :

﴿ ❶⚪✇✲❋✡ ﴾ ☐♦☜♦◆♦⇔✡☐ ◎☜♦⌨☒ ☐♦☝⇗♦☯

✌❿⌨✇❹☾✡ ﴾ [الفتح : ١].

الوقفة الثانية (المشاهد التصويرية) :

قامت سورة الفتح على لقطات متعددة في نظمها المعجز، الموجز لفظاً والجزل دلالةً إذ ان معناها يوحي بـ ((الجو الذي نزلت فيه، وتصوره اقوى تصوير، بأسلوب القران الخاص الذي لا يفصل الحوادث بترتيبها وتسلسلها؛ ولكنه يأخذ منها لمحات توجيهية وتربوية؛ ويربط الحادثة المفردة بالقاعدة الشاملة))[2] فتتناول السورة لقطاتٍ من حالاتٍ ثابتة في حالات شتى من حياة المؤمنين، وتبرز نقطة الارتكاز الاصلية في هذه الحياة، ضاربةً اروع الامثلة التي تبقى نموذجاً للاجيال، لتحقق معنى الاسمان في أعلى الدرجات، ومن جملة ما ظهر من ملامح تصويرية دالة نرصد الآتي :

١- إكرام الله –سبحانه وتعالى– لنبيه المصطفى ﷺ بالفتح والبشرى والرؤية الصادقة.

٢- إفاضة العطاء بالمنّ والسكينة والنصر؛ ليحقق ما قدره لهم من فوزٍ ونعيم.

٣- جو السورة يوحي أننا امام جماعة من المؤمنين نضج ادراكهم للعقيدة وتجانست مستوياتهم الايمانية؛ لتنهض بتكاليف هذا الدين وفق حكمة القيادة العليا للدعوة.

٤- نتلمس فيها الصراع بين الحق والباطل، بالإشارة إلى قوة المسلمين بالقياس الى قوة المشركين، زيادة على تضمنها إشارات إلى الفتوح المقبلة وظهور الدين على العالم كلّه.

٥- تصوير حقيقة النفوس في ظل الظروف المحيطة بها على وفق منهج قرآني، جعل صفة المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات هي ظن السوء بالله

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحهِ، كتاب التفسير، باب تفسير (سورة الفتح)، حديث رقم (٤٨٣٣)، ص٨٠٥.

(٢) في ظلال القرآن : مج٦، ج٢٦، ص٣٣١٤.

وبيّن حالهم وما أعدّه لهم من عقاب، في حين صوّر قلوب المؤمنين من اصحاب الرسول ﷺ وصفاتهم بأسلوبٍ بديعٍ ابتدأ بالوشائج التي تربطهم فخص منها :

اولاً : أشداء على الكفار، رحماء بينهم ((فهي الشدّة لله والرحمة لله)) [1].

ثانيا: هيئة الركوع والسجود وحالة العبادة، وهي هيئة دائمة اصلية متجددة.

ثالثاً : تصوير المشاعر الداخلية والسرائر الطامعة المتطلعة لفضل الله ورضوانه.

رابعاً : تصوير الملامح الخارجية التي تمثل حالة الخشوع الظاهرة على وجوههم في أكمل صورها.

٦- ضرب الله مثلاً للمؤمنين في التوراة والانجيل، وبشر بهم الارض قبل أن يأتوا اليها، وصوّر هذا المثل اروع تصوير، كزرعٍ اخرج فراخه وورقه وما خرج حوله أصوله، فهو زرعٍ نامٍ قوي خصب[2]، فكان هذا الإخراج سبب قوله (فآزرهُ)، أي : فأحاط به عوده، فقواه وطهَّرهُ من غير نبتةٍ نبتت عنه فتضعفه[3]، ثم سبب عن المؤازرة قوله : (فاستغلظ) اي فطلب المذكور من الزرع والشطأ الغلظ وأوجده فتسبب في اعتدالهِ واستقامتهِ (فاستوى) قوياً سوياً، قيل : ((أخرج شطأه بأبي بكر، فآزره بعمر، فاستغلظ بعثمان، فاستوى بعليٍّ)) [4]، وقد ضرب الله – تعالى– هذا المثل لتصوير حال الإسلام منذ بدئهِ حتى ترقيه في الزيادة الى أن اصبح قوياً مستحكماً.

٧- يلمح في السورة خطوط عريضة تُشير الى أن الاسلام كُلٌّ لا يتجزأ، وشريعة ومنهاج عقائدي، وأحكام تتمثل بالعمل الصالح الخالص من شوائب الشرك جميعاً.

٨- أكدت السورة على سبيل (التخييل) أموراً تقريرية منها قوله تعالى: ﴿ ❑♌⧅☽
⌂⌨♦☼❑⇖➔⧅③🙰♦⌛⇖③ ⧅⇦☺🔔⅄✎🙰✁
←⑨♦③ ⅄✎🙰✁ ⧅♍❑⇖➔⧅③🙰♦⌨⇖③ 🙰⌂☺✵☼⧅☽

---

(١) في ظلال القرآن : مج٦، ج٢٦، ص٣٣٣٢.

(٢) ينظر : الكشّاف : ٢٣٨/٤.

(٣) ينظر : نظم الدّرر : ١٨/ ٣٤٣.

(٤) الكشّاف :٤/ ٢٣٩.

♊⌂☺⬩◻ 🗐 ⬀☠⌀♺⑨✐⑨⬃③❐🕮 ⬩🗗🗅⬀❑⬩◻ ★✏🙰🙵
🗐❼■✍♦⬉ 🡐❁⬈▤☪♦③ 🙰⌂☺✵✡ঌ🖂⬩◻ ⌂❁⬩▤✵✡
🗐❼■✗⬃❐❐🕮 ⇳♊♦✌♦❐ ☎ 🕗ᴥ❍⬁❍⬂▦♦✡
⅄✏🙰🙵 🡐❍⬂⓿■⍰♦⬊ ⌂⑨⌂♑🕗♦⬉ 🙰⌂☺ঌ🙤
﴾🙰✞☺⓿ᴥ🡒♦⬉ 🙵🕗❷⇳♉❐🕮 ᴥ❍⓿ᴥ✍⬃⬩⬉⓿❁❍⬩◻

[الفتح : ١٠].

يريد أن يدَّ رسول الله ﷺ التي تعلوا أيدي المبايعين هي يدُّ الله، والله تعالى مُنزّه عن الجوارح وعن صفات الاجسام ((وإنما المعنى تقريرُ أنَّ عقدَ الميثاق مع الرسول كعقدهِ مع الله من غير تفاوتٍ بينهما)) [١]، كقوله تعالى : ﴿✌❐♊
♦⬋🙰⬩⬤❐🕮 ⇳⑨⬩◗⬩◻ ♦✌❑🡐ᴓ▪❷🙘🙰🙵 ⮫⬈ᴥ⮌⬉③
🙵🙰✏⅄ ☎﴾ **[النساء : ٨٠]**.

٩- تصوير التكريم الآلهي للرسول ﷺ والذين معهُ من المؤمنين بعد ذكر صفاتهم دليلٌ على تحقق الوعد بالمغفرة والأجر العظيم، فقد عبر النظم القرآني عن هذا الوعد بصيغةٍ عامة تجعلهم أول الداخلين فيها[٢].

١٠- أجملت سورة الفتح دروساً تتضمن حديثاً عن المؤمنين ومن معهم، ثم فصلّت مواضعَ الايمانِ والاعتقاد والعمل في صورٍ مشهودةٍ تكشف عن دقة البيان القراني وإعجازهِ، وقد تداخلت آراء المفسرين والعلماء من أن المراد من الفتح، فتح مكة أو الحديبية أو خيبر، أو فتح الروم، وأرجح الآراء هو فتح مكة[٣].

الوقفة الثالثة : عينات من الرصد الأسلوبي :

أولاً : نمط من التناسب والتقابل الدلالي

---

(١) الكشّاف : ٤/ ٢٢٨.

(٢) ينظر : في ظلال القرآن : مج٦، ج٢٦، ص٣٣٣٣.

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٩/ ٣١٩.

من الملاحظ ان سورة (الفتح) ترتبط بالسورة التي قبلها[1] ارتباطاً واضحاً من جهاتٍ منها :

١- إن سورة (محمد) لما أُمر فيها الذين آمنوا بقتال عدوهم في قوله تعالى :

♦✖⇦♉♎⅄✎♋✂ ◐⚐←☞⓿✐◑♦♑ ✂♦❶♐⌧♦▫﴿

✐♋♋♦♎▩♒❷♑♋✂ ⌘♋⇗❸✽➢♦▫ ☎✂❐⇖❷☒▦☒✍

⬄✍➔⇗❐←☺←☞☪♦③▫☼❐🕮 ✎✂♦❶♐◑ ✂⌀❐☹☐❍

♋❐✌♐⌧♦▫ ♦✍♋❐⚐◆❐⇘♑♋✂ ☎✂❐❻⑨➔⌖♦▫

: [محمد ♐◔⇗✎✂☐⑨♉▫ ♋❐✌♐◑◆❐ ←⑨⇗➔◆✍ ♋✌☪◆✌﴿

٤]، فكانت هذه السورة حثاً على الجهاد، في حين جاءت سورة (الفتح) بشارةً للمجاهدين من اهل هذا الدين بالفوز والنصر والظفر فافتتحت هذه بقولهِ على طريق النتيجة لذلك مؤكداً اعلاماً بأنه لابُدَّ منه وأنه مما ينبغي ان يؤكد لابتهاج النفوس[2].

٢- أُشعر الذين آمنوا بالمعونة عند وقوع الصدق في قوله تعالى :

⌘♊③♉♎⅄✎♋✂ ♋❐♇♈⑨❐♁✹◷◆③﴿

⅄✎♋✂ ☎✂❐←❸⌒♇☪♦✍ ♌♐◑ ☎✂☑❐⇖☪◆✌✂◆⇗

⇳♁♐❍⌛♦☯⇖③◆❐ ⇗☠⇗✍⇗❸⌒♇☪◆③

🕮❐♉⑨☐⇘♎❐⑨☐✂✌◆▤⇗✍⇗﴿ [محمد :٧]، استدعي ذلك تشوق النفوس إلى

حال العاقبة فعرفوا ذلك في سورة (الفتح) في قوله تعالى : ﴿◑♐☼✹♋

▫♦◆⇔☼❐♋ ♑♦⌨☐ ▫♦✋⇗♦☯♋ ✌❿⌨♐❹☪☼♋﴿ [الفتح :١]

فعرّف الله –تعالى– بنبيه الكريم ﷺ بعظيم صفة لهُ.

٣- أتبع الحق–تبارك وتعالى– ما سبق بذكر بشارة المؤمنين العامة فقال :

♦✌♦❽☼❐🕮 ✓❽♉♎⅄✎♋✂ ◆❐➔♎﴿

✐♋❐➔🖬➔♎ ❼♐✖ ♦❐❐☼⓿⬁▤❍❍♑♋✂

☎✂▦❐←❿✂☐❿⇗❾⌘❷♉♑ ♦✖✓♉☪♉✌⇗♦←☺⇘♑♋✂

[الفتح :٤]﴿▤ ⇗☠♇♈⇗✹◷☐☺③♐◑ ☐➚❐✌ ♋☼☪◷☐☺③♐◑

[1] السورة التي قبلها هي سورة (محمد) وهو الاسم التوقيفي لهذه السورة، أما اسماؤها الاجتهادية فهي : (سورة القتال)، و (سورة الذين كفروا)، ينظر : الكشّاف :٢١٠/٤، والجامع لأحكام القرآن : ٢٣٩/١٩، ونظم الدّرر : ١٩٤/١٨، والدُّرُّ المنثور : ٣٤٩/١٣ ، أضواء البيان : ٤٤١/٧.

[2] ينظر : جامع البيان : ٧٠٩/٦، ونظم الدّرر : ٢٧٤/١٨.

فالتحمت هذه الآية الى التعريف بحال من نكث من مبايعتهِ ﷺ وحكم المخلفين من الأعراب، والحض على الجهاد، وبيان حال ذوي الأعذار، وعظِم نعمته سبحانه على أهل بيعتهِ إلى ما ذكره –سبحانه– من عظيم نعمتهِ عليهم.

٤– تضمنت سورة (الفتح) تفصيلاً وتفسيراً لقوله تعالى في آخر سورة (محمد) :

❼■🖫🙠◗ ☎✂☑❑⬉⬉⇧⑨⬧✍◆❑ ☎✂❑⬉☪🙠♑⬧✍ ⬧☒⬧▭❁
◆♌⬀❑■🗗⇧⬉☞❀🙥✂ ◐🏲🡐☞☼❑🕮◆❑ ✐🏲▫🗗❍❍♒⚉🙥✂
⬄🏲⬈🖎◆❸🙰✋◆③ ♊⬧♒⚉◆❑ ⬀☠⬈▤⌂➔◆✌ ✦✎🙥✂◆❑
🕮❑⬋▫✆◆🕓🗗■▤⬈☠⬀❁ [محمد :٣٥]، فهذا القول أجمل عظيم ما منحهُ الله –تعالى– للمؤمنين وجليل ما أعطاهم، وفصَّل بعد ذلك في سورة الفتح ((وهو بُعد مفهوم مما سبق من الإشارات في الوجه الأول)) [1].

٥– يتضمن إخبار الله –تعالى– بـ (الفتح) عقب سورة (القتال) دلالة البشارة بظهور أهل هذا الدين وإدبار الكافرين؛ لذلك علل الفتح بالمغفرة.

٦– تضمنت سورة الفتح إشارات عديدة منها :

أ– الإيماء الى أن المراد من إخراجهِ إلى دار الفناء إنما هو إظهار الدين القيم وإزهاق الباطل.

ب– الفتح أحد العلامات المذكورة في سورة النصر، للإشارة الى تحققه وتمامه فهو السبب الاعظم في ظهور الدين على الدين كلّه.

٧– التقابل الدلالي الواضح في لفظتي (تقدم) و(تأخر)، وفي دلالة الدخول الى الجنة في قوله تعالى: ❁⚉♒🙲⓿🙰⓿⬉⑨⇧⌘⬁🙇⬧
🙰💣☼🕓❑✡🙰✌⬃⬧🡐☺⬂♒⚉🙥✂◆❑ ◆✗✓🙰☪🙰✌⬃⬧🡐☺⬂♒⚉🙥✂
🙥❑🙵✐☺⬂◆❑✌ ♊🙰✌ ❽▩❷⬂♑❑✌ ▭💣☼🕓❑☪⌂♉
🙥✂❀☞⌧⬃🙵❑🕓❷⬉❁ [الفتح :٥]، ودلالة العذاب في النار في قوله تعالى : ❁❑◆③⬉➔⌂⓿🙲✐✝🙞 ✂🙥⚉♒⬂☹⬉☪◆🕓▦🙰◗✐✓✗◆
🙰💣☼🕓⬧◗🙰▦🕓❑✡🡐☺⬂♒⚉🙥✂◆❑
◆✗✓🙰🖎🙠❸⇧⌑🡐☺⬂♒⚉🙥✂◆❑
🙰💣☼🕓☒🖎🙠❸⇧⌑🡐☺⬂♒⚉🙥✂◆❑
🙞▫✓🙰❑✡✎🙥⅄➔♒⚉🙥✂ ★✎🙥🙥🙠🖃 ⬧🢂⬧🡐

[1] نظم الدّرر : ١٨/ ٢٧٨.

{[illegible]} [الفتح :٦]، وفي قوله تعالى : {[illegible]} [الفتح:١٤]، وفي قوله تعالى : {[illegible]} [الفتح :١٧]، وفي قوله تعالى : {[illegible]} [الفتح :٢٩].

٨- تناسب فاتحة السورة دلالياً مع خاتمتها؛ لأن الفتح سبب في تحقيق وعد الله -تعالى- لرسوله والذين آمنوا معهُ بالمغفرة والأجر العظيم.

٩- اتساق الفواصل القرآنية في السورة وانسجامها ولّد ايقاعاً موسيقياً ونغماً يستشعر فيه السامع الجمال الباطن قبل الظاهر.

١٠- ائتلاف اللفظ مع اللفظ واللفظ مع المعنى مراعاةً للنظائر وتشابه الاطراف.

١١- مناسبة قولهِ : (فتحنا) لعظمة الله - تعالى- التي لا تثبت لها الجبال، وتعلقها بإتقان الاسباب المنتجة له من غير شكٍ؛ لذلك عَبّرَ عنه بصيغة الماضي، وزاد في إعظامه بقولهِ (مُبيناً) أي : لا لبس فيه، ((فهو رأس الفتوح كلها إذ لا فتح من فتوح الاسلام إلا وهو تحته ومتشعب فيه)) [1].

١٢- آثر التعبير القراني صفة (حكيم) و(عزيز) كُلّ في موضعه الذي تقتضيه دلالة المقام.

ومن مظاهر اسلوب (التعليل) التي يبرز أثرها الدلالي في التعبير القرآني ماجاء في سورة (الكوثر) من قوله تعالى : {[illegible]} [الكوثر:٣]، فقد جُعلت هذه الآية علّةً لصيغة الأمر بالصلاة والأمر بالنحر؛ فالإقبال على هذه الأوامرِ ولإعراضٌ عن الشانئ والتحقير له بصفته وتعليلٌ للحكم عليه بأنه الأبتر، وفضلاً عن ان إضافة

---

(١) الكشاف : ٢٢٦/٤.

لفظ (الشانئ) إلى ضمير المخاطب وعدٌ للرسول ﷺ بأن كل من يبغضك هو المبتور أبداً، أضف إلى ذلك أن (فاء) التعقيب الدالةِ على السببية الواردة في صيغة الأمرِ (فَصَلِّ) أفادت دلالة (حُسن التعليل) بجعلِ النعم الكثيرة سبباً في شكر المنعم، فترتيبُ الأوامر بالصلاةِ والنحر سبباً في تأدية شكر نعمة العطاء، ومن الملاحظ أن لفظ (لربك) الجار والمجرور محذوفٌ مع صيغة الفعل (انحر)؛ فقد عَدل عن قوله (انحر لربك) لدلالة ما ذُكر عليه، فالأمر بالصلاةِ والنحرِ إشارةٌ إلى نوعين من العبادة، الأولى البدنية المتعلقة بالصلاة، والثانية المالية المتعلقةِ بالمُلك، فقال : (وانحر).

ومن الأساليب البديعية التي يظهر أثرها واضحاً في هذهِ السورة أسلوبُ الالتفاتِ من الخطاب إلى الغيبة، فقد أُلتقط التحول البنيوي في قوله تعالى (لربّك) في صرف الكلام وانزياحهِ من الضميرِ إلى الأسم الظاهرِ، مما أحدث تغيراً دلالياً في الخطابِ المُشكل بالصورة الالتفاتية، وفي هذا الأسلوب التفاتٌ من المتكلم عن ضمير العظمة إلى خصوص الربّ، وهذا من بديع الكلام ومحاسنهِ، فخصّ الربّ؛ لأنه المناسب للردِّ على زعمهم، فهو الذي يدبر أمره وما كان ليتركه، وقد تولى تربيته منذ صغرهِ، أما شانئيه فذكروا بالصفةِ لا بالاسم.

ثانياً : نمط من الايهام والتخييل :

أوحت سورة (الفتح) تضمنها دلالات تستند الى مقاييس الايهام والتخييل منها :

١- تكرار صيغة الفعل (فتح) ومشتقاتهِ، للدلالة على تصوير عظم الأمر، فمن خلاله ((فتح الله له بالإسلام والنبوّةِ والدعوة بالحجة والسيف، ولا فتح أبين منه وأعظم، وهو رأس الفتوح كلها)) [١]، فقد ادت صيغة التكرار الاشتقاقي (فتحاً) أثرها الاسلوبي في توسيع المعاني وإثراء التعبير، فقد قيل : ان صيغة (فتحاً) تدلُ على أن مكة فُتحت عنوةً؛ ((لأن اسم الفتح لا يقع مطلقاً إلا على ما فُتحَ عنوةً. هذا هو حقيقة الاسم. وقد يُقال : فُتح البلد صُلحاً، فلا يفهم الصُّلح إلا بأن يُقرن بالفتح، فصار الفتح في الصلح مجازاً)) [٢] وعلى هذا الامر تدل ظواهر الاخبار الثابتة.

---

(١) الكشاف : ٢٢٦/٤.

(٢) الجامع لأحكام القران : ٢٩٨/١٩، وينظر : المصدر نفسه : ٣٥٢/١٤.

٢- جاء قوله تعالى: ﴿[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]﴾[الفتح :١٠] على سبيل التخييل، فقد أكد التعبير القرآني مسألة البيعة للرسول ﷺ بتصوير يدهِ الشريفة فوق أيدي المبايعين لهُ بالولاء والنصرة، والمعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله –تعالى– من غير تفاوتٍ بينهما.

٣- تتوالى الآيات في سورة الفتح بدءً من أول آية لِتبرز أثر (حُسن التعليل) في التعبير القرآني، ((فإن قلت : كيف جعل فتح مكة علَّةً للمغفرة؟ قلت : لم يُجعل علّة للمغفرة؛ ولكن لاجتماع ما عُدِّد من الأمور الأربعة؛ وهي : المغفرة، وإتمام النعمة، وهداية الصراط المستقيم، والنصر العزيز)) [1] وقد جوز المفسرون ان يكون فتح مكة من حيث أنه جهاد– للعدو– سبباً للغفران والثواب، والفتح والظفر بالبلد الأمين، ومن الملاحظ أن اسلوب (حُسن التعليل) في قوله تعالى: ﴿[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]﴾[الفتح :٤] تمهيد لحسن تعليل متتالٍ في قوله تعالى : ﴿[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]﴾ [الفتح :٥] ثم يتابع وفقاً لهذا الاسلوب في قوله تعالى: ﴿[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]﴾ [الفتح :٩]، فقد جمعت هذه الآيات الأسباب الموجبة لأن تجعلها علّة لما تقدمها، فإن كثيراً من الاشياء تكون لها أسباب كثيرة فيذكر

(١) الكشاف : ٢٢٥/٤.

بعضها مما يقتضيه المقام. أما في ختام السورة، فجاء (حُسن التعليل) واضحاً في تصوير صفات الذين آمنوا واتبعوا الرسول وتشبيههم بالزرع الذي استوى واستقام، مُعللاً سبب استقامتهِ واستواءهِ بحسن تعليل بديع في قوله تعالى: ﴿◆❻☙⊙▦➚▤⬂☜❻☙✁ ⇖☠⌀☙⌀▯ ☒↑⑩✐⬄◆⓿☙☜﴾ [الفتح :٢٩] ((لما دلَّ عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقِّيهم في الزيادة والقوة، ويجوز أن يُعلَّل به (وعدَ الله الذين آمنوا)؛ لأن الكفار إذا سمعوا بما أُعد لهم في الآخرة مع ما يُعزُّهم به في الدنيا غاظهم ذلك)) [1].

٤- كثر إطلاق (الفتح) على النصر المقترن بدخول ارض المغلوب أو بلده ولم يطلق على انتصار كانت نهايته غنيمة وأسر دون اقتحام أرض؛ لذا جاء النصر معطوفاً على الفتح في قوله تعالى : ﴿✡♦⬗⬄❸⊲ ✌♓☙♊⌘ ✁☙✐★ ◻◆▫⬧✍⬀☒⌀ ♘⬧❷☒③▪⌀﴾ [الصف :١٣]؛ وقد علل ابن عاشور سبب جعل النصر من معاني مادة (الفتح)؛ لأن ((فتح البلاد هو أعظم النصر، وأن النصر يتحقق بالغلبة والغنيمة)) [2].

٥- جرى التعبير القرآني في قوله (فتحنا) على سنن سائر الأخبار الربانية بالصيغة الموضوعة للمضي بمعنى : قدرنا لك الفتح؛ للإيذان بتحققه لا محالة تأكيداً للتبشير، ويكون هذا الاستعمال من مصطلحات القرآن؛ لأنه كلام من له التصرف في الأشياء؛ وذلك أيضاً كناية عن علوّ شأن المخبر[3]، كقوله تعالى : ﴿📖◻✌♦❼✁ 📖◻✌⬂❷⇖ ✁☙✐★ ▫♦☒•
⬂■○⬄✍♦➔⬀⬈✐▪➔◻■⬅ ▤﴾ [النحل :١].

٦- آثر التعبير القراني في سورة (الفتح) وصف النصر بـ (العزيز) على سبيل المجاز العقلي؛ وإنما العزيز هو النبي ﷺ المنصور، وقد اكد المفسرون أن النصر

(١) الكشّاف : ٢٣٩/٤.

(٢) التحرير والتنوير : ١٤٣/٢٦،

(٣) ينظر : إرشاد العقل السليم : ١٠٣/٨.

العزيز هو غير نصر الفتح المذكور؛ لأنه جعل علّة الفتح فهو ما كان من فتح مكة وما أعقبه من دخول القبائل العربية في الاسلام دون قتال.

٧- التصريح بذكر الاسم الظاهر؛ لأن الصراحة أدعى إلى السمع، والكلام مع الاظهار اعلق بالذهن فقال تعالى : (ليغفر لك الله)، وقال تعال : (وينصرك الله).

٨- اشتمال دلالة النصر على الاطمئنان الذي سّماه الله -تعالى- السكينة، فإنزال السكينة إيقاعها في العقل والنفس، وخلق أسبابها الجوهرية والعارضة، فأطلق على ذلك الايقاع فعل الانزال تشريفاً لذلك الوجدان بأنه كالشيء الذي هو في مكان مرتفع فوق الناس فألقي إلى قلوب الناس ((وتلك رفعة تخييلية مراد بها شرف ما اثبتت له على طريقة التخييلية)) [1] فالله تعالى قد علم أن السكينة إذ حصلت في قلوب المؤمنين رسخ إيمانهم؛ فجعل ذلك الازدياد كالعلة لإنزال السكينة عليهم.

٩- أطلق التعبير القراني لفظ (الجنود) على أسباب النصر؛ تشبيهاً لأسباب النصر بالجنود التي تقاتل وتنتصر، وجاء هذا على سبيل الإيهام والتخييل.

١٠- ذكر التعبير القرآني المؤمنين مع المؤمنات؛ دفعاً لتوهم أن يكون الوعد بدخول الجنة مختصاً بالرجال، والمراد بإدخالهم الجنة الإدخال الخاص وهو إدخالهم منازل المجاهدين وليس الإدخال الذي استحقوه بالإيمان وصالح الأعمال الآخرى؛ لذلك عطف عليه قوله : (ويكفر عنهم سيئاتهم).

١١- الحديث عن جنود الله في معرض ذكر نصر الله يقتضي لا محالة فريقاً مهزوماً بتلك الجنود وهو العدو، فإذا كان النصر الذي قدره الله -تعالى- معللاً بما بشر به المؤمنين فلا جرم أنه اقتضى انه معلول بما يسوء العدو وحزبه، فذكر الله -تعالى- من علّة ذلك النصر أنه يعذب بسببه المنافقين (حزب العدو)، والمشركين (صميم العدو).

١٢- كنى التعبير القرآني عن دلالة اول النهار (البُكرة)، وعن آخر النهار بلفظ (الأصيل)، ((وهما كناية عن استيعاب الاوقات بالتسبيح والإكثار منه، كما يقال :

---

(١) التحرير والتنوير : ١٥٠/٢٦.

شرقاً وغرباً؛ لاستيعاب الجهات، وقيل : التسبيح هنا كناية عن الصلوات الواجبة))[١]
.

١٣- آثر التعبير القرآني صيغة المضارع المؤكد بحرف التأكيد (يبايعونك)؛ للاهتمام واستحضار حالة المبايعة الجليلة لتكون كأنها حاصلة في زمن نزول هذه الآية مع إنها قد أنقضت، وقد ادت الدلالة غاية المبايعة وغرضها وهو النصر لدين الله ولرسوله ﷺ.

١٤- هيئة صيغة المبايعة لأن تذكر بعدها الأيدي؛ لأن المبايعة يقارنها وضع المبايع يده في يد المبايَع -بالفتح-، فزاد التخييل حُسناً ادعاءً تخيل أن الله -تعالى- يبايعه المبايعون، بأثبات اليد التي هي من متعلقات المبايع على وجه التخييلية مثل اثبات الاظفار للمنية.

١٥- عمد التعبير القرآني إلى إيثار أسلوب (المشاكلة) بين (يدُّ الله) و (أيديهم) على اعتبار أن المشاكلة من المحسنات البديعية التي تثري المساحة الدلالية في التعبير، علماً أن الله -تعالى- منزه عن اليد وسّمات المحدثات.

١٦- جُعلت اليد المتخيلة فوق أيديهم؛ لأن الوصف بالفوقية من تمام التخييلية، وكانت اضافتها الى الله -تعالى- تقتضي تشريفها بالرفعة على أيدي الناس، ((وأيًّا مًّا كان فذكر الفوقية هنا ترشيح للاستعارة وإغراق في التخييل)) [٢].

١٧- دلت صيغة الفعل المضارع (فسنؤتيه) بنون العظمة على ايهام الالتفات من الغيبة إلى التكلم، وقرأ بعض المفسرين بياءالغيبة عائداً ضميره على اسم الجلالة.

١٨- ظهر أسلوب التوجيه واضحاً في قوله تعالى: ﴿⬃♌⌧➀﴾ ... ﴾ **[الفتح :١١]** إذ أن دلالة الآية تحتمل معنى الإرادة التي جرت على وفق علمهِ تعالى من إعطائه النفع أو إصابته بضرّ، أو أن تخلفهم سبب في حرمانهم من الفضيلة، فضيلة شهود بيعة الرضوان، وقدٍ صَرَح التعبير القرآني مفاتحتهم بهذا الابهام؛ لإلقاء الوجل في قلوبهم أن يغفر لهم، فجاء

---

(١) التحرير والتنوير : ١٥٦/٢٦.

(٢) المصدر نفسه : ١٥٨/٢٦.

ظاهر السياق مقتضياً الاقتصار على نفي أن يملك أحد لهم شيئاً إذا أراد الله ضرّهم دون زيادة أو أراد بهم نفعاً[1].

١٩- إيثار أسلوب التمثيل والتصوير في قوله تعالى: ﴿✍⬋⬀❻♦❽☒✍
✆☐✆♦❷☐☒✆☑ ⊕⬉☽◆★⇳☐☒⅄ ⊕⬅■♦❻☐♋☙☙♦★♦▫
▤❼■✍♦⬉ ▤❽♦☐♦☞⇔☙☙☙♦▫ ☒↑■⬚⬂⇔♦✌⇔☙☙☙♦▫
♦⬋✂▪❻☙❽☙☙☙✂ ⊃⬚✍⬈⬃➔⬉③ ⊕☙○☙♁☐⬅☙
◆❻☙⊙⊞⬈▤⬂☙☙☙✂ ⬉☠✄✄✄▯ ☒↑❿✍⇔◆⓿☙☙
▤﴾[الفتح :٢٩]، للدلالة على تشبيه حال بدء المسلمين ونمائهم حتى كثروا، بالإسلام بدأ ضعيفاً فاستحكم أمره وتغلب على اعدائهِ.

٢٠- إيثار صيغة المضارع في الخطاب القراني بقوله : (تراهم) للدلالة على تكرر الفعل، أي تراهم كلما شئت أن تراهم ركعاً سجداً، وفي ذلك ثناء عليهم بشدة إقبالهم على أفضل الاعمال.

وقد عدّه القدماء من باب الاستدلالِ بالتعليل والتمثيل[2]، وذكروا أن القرآن الكريم مشحونٌ بهذا المظهر من البديع بخلاف ما ذهب اليه ابن المعتز[3]، فمنه قوله تعالى حكاية عن إبراهيم الخليل عليه السلام : ﴿☐◆■♦♁✎♉▪○⬅⊕
❼☙☐❄☑☐❼⬈✵⊕☐♦↑✍☐🕮 ♦✌☙♦♁ ▤ ⊕⬅○⬉✍⬀☐♦♁
✋♦◆☐ ▤ ⮈♊🗁☐♑☐♎ ⇳♑♦♁◆☐ ★✎☙✂ ❼☙✖
⊞⊕☙○☙✉ ☙♍☐⬈✍☙❸⇳⌑➔✍ ☙♦✍ ⬅☙♁♦❀☐🕮
▤ ☙ॐ★⬂⓿☒⅄ ❼☙■🗁◆❻ ◆⬈✎☙♦⌖☐④ ♌☐🕮 ✍♦☙◑
▤ ☙⊕☺▫⬚☙⬉ ✇⬈⇔✄☒★ ☐✍➔▤ ❼☙■🗁◆❻ ☐⬈✍☙◆☐
☐✂⬂⓿♦▤◆☐ ⮈☙✍✍ ♦♌☐⬉❷·▤☒⓿♦☞♦✍ •☒♦▫☐🕮
••◆☐ ⬀☠⬅✌⇩▤◆❸⬁⌖☐🕮 ✎☙♦✍ ⬅☙♁♦❀☐🕮
⚐⬅✌⬂✍◆❸⬁⌖☐🕮 ⬀☠⬈▤✵✡☐🕮 ☙♍☐➔▫☙♦③☐✍
⊕☙○☙✉ ⬀✌✄♓❾♦ॐ⬉③ ⬀☠♦☙ ☙♦✍ ★✎☙☙☙✉
❻❽☐🕯♦▫ ▤ ☙✡☪⊕♦⊃▫⬚⬅☙ ⬀☠➔⌛⬂⓿■⬚♦⬊
❻✉☐○☐🕮 ✍✖⬃✓♦◑③⊠❷☒⊞⬂☙☙✂
⬃☹⬈⬇☪⬈✍ ♌☙◑ ☎ ⮈♊⬂✍☞❀☙☙☙✉
♦✖⇦☙♁⅄✎☙✂ ⮈☙✍✍ ☙♍☐⬅☺■⬚⬃➔♦✍
☎✂☑☐⓿○☙⌛▫⬚♦③ ⇔⚐♦☙◆☐ ☎✂☐⬉☪♦✍✂◆⬈
☐⌨✄⯑✵⊕♦☙🕯☐↑🕮 ✌⚐▫⬚⓿➔☙✉ ⚐⬅♑◆☪⊕☐☺③☙◑

(١) نظير هذه الآية ماجاء في سورة الأحزاب، من قوله تعالى : ((قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن اراد بكم سوءاً أو اراد بكم رحمة)) [الأحزاب :١٧]، وقوله تعالى : ((قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله)) [الاعراف :٧٧].

(٢) يُنظر : سرُ الفصاحة : ٢٧٧.

(٣) ينظر : البديع (ابن المعتز) : ٥٣، وتحرير التحبير : ١١٩/١، و الطراز : ١٣٩/٣-١٤٠، وأنوار الربيع : ٣٥٦/٤.

[illegible] ﴾ [الأنعام: ٨٠ – ٨٣].

وفي السورة نفسها قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾

[الأنعام: ٩١].

في هذه الآياتِ من سورةِ الأنعام تبرز الحُجة البرهانية العقلية في أسلوبِ المحاورة والمجادلة بالدليلِ القاطعِ، ألهمها الله تعالى لكليمهِ إبراهيم عليه السلام في محاجتهِ لقومهِ وإثباتهِ أن دعواهم باطلة لا أساس لها من الصحةِ بعقدهِ مُقارنةً استفهامية في قولهِ ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فأثبت بذلك أن المؤمنين الذين لم يُخالط إيمانهم الظلم هم الفريقُ الآمن وهذه حجة اللهِ –تعالى– على قومهِ ليرفعَ بها درجاتِ الصادقين المؤمنين(١)، أما في الآية الحادية والتسعون من سورة الأنعام فقد قال اليهود في دعواهم الكاذبة : (ما أنزل اللهُ على بشرٍ من شيءٍ) ليتسنى لهم إنكار حقيقة أن القرآن مُنزل من عند الله –عز وجلَّ–، فجاء التعبير القرآني بمنهج تعليمٌ للرسولِ ﷺ ولكُلِّ مُسلمٍ أن يطرح عليهم سؤالاً يتضمنُ حجةً بُرهانية ضِدَّهُم وهي : مَن أنزل الكتابَ الذي جاءَ به موسى عليه السلام وهو التوراة ؟

---

(١) يُنظر : الكشاف : ١٠٧/٢؛ وإرشاد العقل السليم : ١٥٤/٣.

والجواب : إنّهم يؤمنون قطعاً بأن الله –تعالى– أنزلهُ، وكتبهم شاهدة بذلك، فإذا جَحَدُوا أن يكونَ منزلاً من عند اللهِ –تعالى– فقد نقضوا قضيةً كبرى من قضايا إيمانهم في دينهم، وإذا قالوا كما يعتقدون : أنزله اللهُ على سيدنا موسى عليه السلام، فقد نقضوا أقوالهم بأن : (ما أنزل الله على بشرٍ من شيءٍ)، فالحجة البرهانية دامغةٌ لهم، وبهذا الأثر الأسلوبي يتبين أن التعبير القرآني يرتكزُ على أُسس عقليةٍ وبراهين منطقية لها دلالالتها الواضحة في التراكيب والسياقات من خلالِ سوق الحجج والشواهد والتدليل على المراد إثباتهُ، مما يؤكد حقيقة أن المظهر البديعي ليسَ تحسيناً عرضياً يؤتى به قصداً متكلفاً؛ بل العكس من ذلك.

ومن القضايا العقلية المنطقية أن النقيضين لا يجتمعان في شيءٍ واحدٍ، وإلى هذهِ الحقيقة أشارَ الله– عزَّ وجلَّ– بقولهِ في سورة الأحزاب : ﴿[illegible]﴾ **[الأحزاب:٤]**، ((أي : أن القلبُ الواحد لا يقبلُ فكرتين متناقضتين، والزوجاتُ لا تكون أُمّهات، والأدعياء لا يكونون أبناءً))[1]، وهذا الاستدلالُ بحقائق منطقية عقلية واقعية من صُلب الحياةِ يؤكد أن التعليل العلمي في التعبير القرآني يُساق للدفاع عن قضايا مصيرية وأحكامٍ شرعيةٍ وأمورٍ تربوية نفسية بالمنطقِ والجدل العقلي المحض تارةً، والمتخيل الوهمي تارةً أُخرى.

ومن التطبيقات القرآنية البديعةِ لهذا النوعِ ما جاء في سورة الرعد من قوله تعالى : ﴿[illegible]

---

(١) البلاغة العربية (الميداني) : ٤٤٨/٢.

[illegible] ﴾ [الرعد: ٤].

عُلّلت حجة القولِ في هذا التعبير بأنَّ الأرضَ تختلفُ تربتها باختلاف الأماكن، فمنها الطيب ومنها الخبيث، ويستبعد ذلك في المتقارب منها، فبيّنَ الله أن في الأرضِ قطعاً متجاورات يقتربُ بعضها من بعض، تسقى بماءٍ واحدٍ وتختلفُ في مذاقها وطعمها، على العكس من إدعاء بعضهم أن اختلاف الأكل راجعٌ إلى اختلافِ التربة أو اختلاف الماءِ.

وقريب من أسلوب (حُسن التعليل) مظهر بلاغي بديعي يُعرف في اصطلاح البلاغين بـ (المذهب الكلامي)، وهو من الاساليب القديمة التي لا يُعلم لها تاريخ نشأة، ويبدو أن أول من أشار الى هذا الاسلوب البديعي، هو الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في موضعين من كتابه[١]؛ لكنه لم يسمه صراحةً، وهو خامس أصول البديع عند ابن المعتز أخذه عن الجاحظ وقصد به الاحتجاج على طريقة علماء الكلام، قائلاً : ((وهو مذهب سمّاه عمرو الجاحظ المذهب الكلامي، وهذا باب ما أعلم أني وجدت في القرآن منه شيئاً، وهو ينسب إلى التكاف تعلى الله عن ذلك علواً كبيراً))[٢]، فقد نفى ابن المعتز ورود التعبير القراني بأسلوب المذهب الكلامي، معللاً نفيه بأن هذا الاسلوب قائم على اصطناع اساليب الفلاسفة والمتكلمين في الجدل والاستدلال.

أما أبو هلال العسكري فقد أورد هذا المصطلح في الفصل الثامن والعشرين تحت عنوان (المذهب الكلامي) ممثلاً لهُ بأمثلة نثرية وشعرية[٣]؛ إلا أن البحث لاحظ أن أبا هلال العسكري اورد ما يتعلق بمضمون هذا المفهوم في اول كتابهِ بقوله : ((ومن وضوح الدلالة وقرع الحجة قول الله –سبحانه– :

---

(١) الموضع الاول : كان تحت عنوان (باب من اللغز في الجواب)، ينظر : البيان والتبيين : ١٤٧/٢، والموضع الثاني : كان تحت عنوان (كلام يذهب السامع منه إلى معاني أهلهِ، وإلى قصد صاحبهِ)، المصدر نفسه : ٢٨١/٢.

(٢) البديع (ابن المعتز) : ٥٣.

(٣) ينظر : كتاب الصناعتين : ٣٧٦.

﴿[illegible]﴾ [يس :٧٨-٧٩] فهذه دلالة واضحة على ان الله تعالى قادر على إعادة الخلق، مُستغنيةٌ بنفسها عن الزيادة فيها؛ لأن الإعادة ليست بأصعب في العقول من الابتداء))(١) ثم استشهد أبو هلال العسكري بعد ذلك بقوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [يس:٨٠]؛ فزادها شرحاً وقوة،؛ لأن من يخرج النار من اجزاء الماء، وهما ضدّان، ليس بمنكر عليه أن يعيد ما أفناه، وعلّل قوله تعالى في السورة نفسها ﴿[illegible]﴾[يس :٨١] بقوله : ((فقوَّاها أيضاً، وزاد في شرحها، وبلغ بها غاية الايضاح والتوكيد؛ لأنَّ إعادة الخلق ليست بأصعب في العقول من خلق السموات والارض ابتداء)) (٢)

وقد عبَّر ابن رشيق القيرواني عن هذا اللون البديعي بقوله : ((هو مذهب كلامي فلسفي)) (٣)، وعرفهُ القزويني بقولهِ : ((هو أن يورد المتكلم حجةً لما يدّعيه على طريق أهل الكلام)) (٤) ومثل لهذا المفهوم بقولهِ تعالى : ﴿[illegible]﴾ [الأنبياء :٢٢]، وبقوله تعالى : ﴿[illegible]

---

(١) كتاب الصناعتين : ٢٢.

(٢) المكان نفسه .

(٣) العمدة : ٨٠/٢.

(٤) الإيضاح : ٢٧٦/٢.

◆❑➔♎◆❑ ☼⇐■⇐⑨⓿☯➔⬉③ ❍⚐➔⚐ ♦✉▫◘⌂⊃⬂♒◉✍✂
🕮❑♎⬀❑◆♍⊃ ⬉♦◘■⓿⬂❍☯﴾ [الروم :٢٧] أي : أن الإعادة أهون عليه من البدء، والأهون من البدء أدخلُ في الإمكان من البدء؛ فالإعادة أدخل في الإمكان من البدء.

وقوله تعالى : ﴿▫♦◘■☺⓿✍✏ 🕮❑♦▫✍• ♎♦✍✌♦ ♦✋ 🕮❍⬆☯◘❹ ✂✍⌂☞▫☯◘⬊✓▫☙﴾ [الانعام :٧٦] أي: القمر آفل، وربي ليس بآفل، فالقمر ليس بربّي، ((أثبتهُ بقياس اقتراني جليّ، واحتج بالتعبير على الحدوث، والحدوث على المحدث)) [1]، وقوله تعالى : ﴿▫♦◘⬊☠⌘ ♎➔✍⬀ ▫♦◘⬊☠⌘

③⬉➔⌂⓿ⲉ✐✉⇐▤⬈☠ ✉⬊⓿⬈✡⇐❑✉⬊▤⬈☠ ☎﴾ [المائدة:١٨]، أي : أنتم تعذَّبون، والبنون لا يعذَّبون، فلستم ببنين لهُ، وهذا يعني تعلق الكلام بحجة عقلية منطقية تستند على اقناع برهاني ودليل عقلي مقبول قائم على اسلوب الحوار والجدل بالدليل القاطع؛ ولهذا السبب أُطلقت هذه التسمية على هذا النوع من البديع؛ ليذهب فيه الكلام مذهب علماء الكلام والاستدلال؛ ففيه يخرج الكلام مخرج الجدل، وإيراد الحُجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام[2]، ومن الشواهد الشعرية التي مُثلت لهذا النوع من البديع قول الفرزدق[3] :

لكُلِّ أمرئ نفسانِ : نَفْسٌ كَرِيمةٌ ... ونَفْسٌ يُعاصيها الفتى أو يُطيعُها
ونفسُكَ من نَفْسَيكَ تَشفعُ للنَّدى ... إذا قَلَّ من أحرارِهِنِّ شفيعُها

يقول : لكُلِّ إنسان : نفسٌ مطمئنة تأمره بالخير، ونفسٌ أمّارة تأمره بالشرّ، والإنسان يُعاصي الأمّارة مرّة ويُطيعها أُخرى، وأنت إذا أمرتْك الأمّارة بترك النّدى شفعت المطمئنة إليهت في الحالة التي يَقِلُّ فيها الشفيع في النّدى من النفوس، فأنت بذلك أكرمُ الناس، والمعنى يؤكد أنَّ الشاعر ذو نفسٍ حُرةٍ تدفعهُ إلى النوال حين يمتنع الآخرون ويقلّ عطاؤهم.

---

(١) البرهان في علوم القران : ٤٧٠/٣.

(٢) ينظر : نهاية الأرب : ٩٥/٧.

(٣) ينظر : ديوان الفرزدق : ٣٥٨.

وقد أطلق عليه العلماء تسميات عديدة منها : (الاحتجاج النظري)[(١)]، و(إلجام الخصم بالحجة) [(٢)]، وأنكروا على ابن المعتز في بديعهِ نفي وجود هذا النوع في القرآن، مؤكدين أنه كثيرٌ في كتاب الله –تعالى– وهو من أساليبهِ، وهذا كثيرٌ في كتاب الله –تعالى–[(٣)]، وهذا يعني أن يأتي المتكلم البليغ على صحة دعواه وإبطال دعوى خصمه بحجة عقلية برهانية تقنع الطرف المجادل بالحوار المنطقي العقلي الملموس.

وقد عدَّ الزركشي (ت ٧٩٤هـ) أن من هذا النوع، نوع آخر منطقي وهو ((استنتاج النتيجة من مقدمتين)) [(٤)]، ومثَّل لذلك بقولهِ تعالى من أول سورة الحج إلى الآية السابعة : [illegible]

[illegible]

---

(١) ينظر : الفوائد المشوق :١٣٦.

(٢) ينظر : البرهان في علوم القران : ٤٦٨/٣.

(٣) ينظر على سبيل المثال : سورة الأنعام: ٣٠ و٨٣، وسورة المؤمنون: ٩١، وسورة يس: ٧٩ و٨١، وسورة ص: ٢٦، وسورة الروم: ٢٧، وسورة الأنفال: ٢٣، وسورة الحج: ٥–٧، وسورة الواقعة: ٥٨–٥٩، وسورة الزخرف: ٨١.

(٤) البرهان في علوم القرآن : ٤٦٩/٣.

[illegible] [الحج :١-٧]، فمن الملاحظ أن

في هذه الآيات عشر مقدمات اسفرت عن خمس نتائج يمكن تمثيلها بالشكل الآتي :

المقدمات	**النتائج**
١- الإخبار عن زلزلة الساعة.	١- ذلك بأن الله هو الحق .
٢- وصف أحوال الناس في ذلك اليوم.	٢- وأنه يحيي الموتى.
٣- بيان حال من يُجادل في الله بغير علم.	٣- وأنه على شئ قدير.
٤- بيان جزاء من يتولى الشيطان.	٤- وأن الساعة آتية لا ريب فيها.
٥- الإخبار عن الغيب.	٥- وأن الله يبعث من في القبور.
٦- الإخبار عن أصل الخلق.	
٧- بيان احوال الناس بعد الخلق.	
٨- وصف حال الارض.	
٩- بيان قدرة الله العظيمة في كل شئ.	
١٠- التأكيد على مسألة البعث.	

وتفصيل ترتيب المقدمات والنتائج أن يقال : أخبر الله –تعالى– أنَّ زلزلة الساعة شئ عظيم، وخبره هو الحق، ومن أخبر عن الغيب بالحق فهو حق بأنه هو الحق، وأنه يأتي بالساعةِ على تلك الصفات، ولا يُعلم صدق الخبر إلاّ بإحياء

الموتى، ليدركوا ذلك، ومن يأتي بالساعة يحيي الموتى؛ فهو يحيي الموتى، وهكذا في جميع المقدمات والنتائج المستخلصة منها.

ومنه قوله تعالى : ﴿❒◆•• ✍•☺✹⌨⧅➚⇗

⚘⧅❍❒❏♑⧅❏◆❽▯ ▫•⑩↖✍⇖■✸⌨⊠ ↖◆♊ ⚜⊠❏⧅❍⊵⚒ ⚔⚘✏★ ▤ ❍⧅♌❏ ⚔⚘✏⚲⚠⚘⇦✖◆ ③◆✍⇖■✂❏♌◆ ↖◆♊ ⚜⊠❏⧅❍⊵⚒ ⚔⚘✏★ ♍•♑←✂⇗ ↖◆❶⊠⚔⚇✍﴾ ⅄⊠⑨⚘③⑨⌨﴿[ص: ٢٦].

ففي هذه الآية مقدمتان ونتيجة يمكننا توضيحها في الآتي :

<u>المقدمتان</u>	<u>النتيجة</u>
١- إتباع الهوى يوجب الضلال.	١- إن إتباع الهوى يوجب سوء العذاب.
٢- الضلال يوجب سوء العذاب.	

ونظير هذا النوع ما جاء في قوله تعالى : ﴿📖❒✈⚘

⚔⚘✍✦③•❶↗❒▦⚔☎ ↗◆⚔♍⚘♑❏❏☪ ✍♓⚘♊⌘ ⚔⚘❀☞❻⇗✈⇖ ⇗⚐➔✠⇗ ③↖✡⌑⇖❸⇐❏♌◆ ⚘⇗✂⚘⇖ ♍•❏⇗ ⚔⚘✏⚲⊠♌◆ ▫⚘❸⚘☺⊠✏ ↗◆⚔▬⧅●❏❏↘ ❍⧅•• ⚔⚘✏✦ ♍•▦⊠❍✹⑨⊠✍•✏ ▤ ▫•○❶⧖⇗•⊠⊙♊⌘ ⚔⚘✏★

❻◆⚇♌✌ ⚔⚘✏♍✂⇗⊠❷⇗⊙↯ ↖◆☺❍✏ ③◆⊙⇖▦➔❏♌◆﴿

[الأنبياء :٢١-٢٢]، ففي قوله تعالى : ﴿♍•❏⇗ ⊠⚠♌◆

▫⚘❸⚘☺⊠✏ ↗◆⚔▬⧅●❏❏↘ ❍⧅•• ⚔⚘✏✦﴾ حجة عقلية، تُعد ضمن هذا الأسلوب مقدمة يحتج بها، نتتبع عنها قوله تعالى : ﴿♍•▦⊠○✹⑨⊠✍•✏﴾ وهذه هي القضية الكبرى؛ إلاّ أن الحقيقة التي يقبلها المنطق مُعللة بحُسن التعليل هي أن السموات والأرض ليس فيها الهةً بحق إلاَّ الله ولو كان فيها لفسدتا، لكنها لم تفسد كما هو مشاهد في الواقع، والدليل فيه يسمى عند العلماء المنطق، قياساً استثنائياً له مقدمات ونتائج، فقد أشار الشريف الجرجاني (ت ٧٢٩هـ) الى أن هذه الآية ((هي مقدمة وشرطية، والاستثنائية نقيض التالي، أي لك لم تفسد السموات والأرض، نتبع : ليس فيهما إله غير الله، وبيان الملازمة ما ذكره المتكلمون وسمّوه برهان التمانع))[١].

---

(١) الإشارات والتنبيهات : ١٦٢.

وقد أشار عدد من المفسرين إلى هذا اللون من البديع عند تسميات مختلفة فقد سمّاه أبو السعود (الطريق البرهاني)، وكثيراً ما يرد ذكر هذا المصطلح في تفسيره، ومن المواضع التي وقف عندها البحث في هذا المجال قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [المائدة :١٧]، علّق أبو السعود على هذه الآية بقولهِ : ((ومن حق من يكون إلهاً أن لا يتعلق بهِ ولا بشأن من شؤونه؛ بل بشيءٍ من الموجودات قدرة غيره بوجه من الوجوه، فضلاً عن أن يعجز عن دفع شئ منها عند تعلقها بهلاكهِ)) (١).

وقد علل أبو السعود العجز الظاهر لسيدنا عيسى ﵇ الذي يظهره بمعزل عمّا يقولون في حقهِ لا بطريق السخط والغضب، وإظهار المسيح على الوجه المنسوب اليه بالآلوهية بنفيه المالكية المذكورة بالاستفهام الانكاري بقوله: ﴿ [illegible] ﴾ عن كلِ احدٍ مع تحقق الالزام والتبكيت بنفيها عن المسيح فقط، واثبات المطلوب في ضمنه بالطريق البرهاني المستلزم للاستحالة الآلوهية، فمتى ظهر بالنسبة إلى الكُل ظهر بالنسبة الى المسيح على ابلغ وجهٍ وآكده، وهذا يظهر كمال العجز ببيان ان الكل تحت ملكوته –تعالى–، مما يؤكد أن ورود هذا الأسلوب في التعبير القرآني من صميم البلاغة مع ملاحظة أن المعالجة فيه تكون استناداً إلى رؤية المتكلمين.

---

(١) إرشاد العقل السليم : ٣/ ١٩.

المبحث الأول : أسلوب التورية :

أولاً: مفهوم التورية في اللغة والاصطلاح :

حفل هذا الفن البديعي بجُلّ اهتمام أهل البلاغة والأدب قديماً وحديثاً، وشاع في مؤلفاتهم حتى بلغ عند بعضهم درجة إفرادها بكتبٍ وأبوابٍ وأجزاءٍ تحمل معناها(1)، قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) : لا أراه إلا مأخوذاً من وراء الإنسان، فإذا قال (ورّيته) فكأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر(2)، فمن الملاحظ أن معنى التورية في اللغة يُناسب معناها في الاصطلاح؛ لأن التورية لغةً مصدر ورّيْتُ الخبر وواريته توريةً إذا أخفيتَهُ وسترتَهُ وأظهرتَ غيره، وفي الحديث : أن النبي ﷺ كان إذا أراد سفراً ورّى بغيرهِ، أي ستره وكنى عنه وأوهم أنه يريد غيره(3)، وقد ورد ذكر (التورية) في القرآن الكريم في مواضع منها قوله تعالى: ﴿③♦🕓⌛♦♉✗✗♉✖ ↗♦✂⑩⊠⊳♦ 🔔•⑨⇕ 🕮❑☼❽♦◉↯☪♦✍ ↘♦▮■⓿⬂▤↗✍⬁ ◉↯✌⌨♦✍✝✍✗ ③↖❑♦🕓❻✗❽ ✍⊠❑⬀↗♦🕓✍▤↗☠⬀ ❑♦◉↯✌⌨♦✍□↓ ✂✍◉↯☪✌✱☽↘❑♦❽▤ ☎ ❑♦❻✗④⌖⌖✍ ⊠✌⌨⊠ ⌘⊠❷⬀❸↣ ▤﴾[الأعراف :٢٦]، وقوله تعالى حكايةً عن ابني آدم : ﴿🔔•✍♉♦ ③♦🕓❑♦③⬃▤■☹♦✗✂ 🕮❑↗♦⊳❑ 🕮❑♌⬃ ✌✍✗☨⬃✍• 🕮❑↖♦↗⊠❽⬃☠← ✂✍◉↯⬄↗❹✿✂⊕⚐ ▫•✇↑❑♦🕓❻✗❽⊠ ♎⊠🕓⓿☒✂ ✍⊠❑⬀↗♦❑■ 🕮❑①⬀✗☎﴾ [المائدة :٣١].

إن المعنى اللغوي يرشدنا إلى اصطلاح البديعيين في أن التورية تُطلق على اللفظ المفرد الذي يحمل معنيين حقيقيين، أو حقيقةً ومجازاً، أحدهما قريب ودلالة

---

(١) منهم ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ) حين خصص للتورية مئة وخمساً وثلاثين صفحة من أصل خمسمئة وخمس وسبعين صفحة، وهي مجمل كتابه المؤلف المعروف الذي أعرب فيه عن نيته بعد الفراغ منه واكماله، تأليف كتاب خاص بالتورية والاستخدام يسميه (كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام)، وقد عدّ الحموي التورية من المحسنات المعنوية في علم البديع فهي ((من أعزّ أنواعه، وأعلاها رتبة))، خزانة الأدب (الحموي) : ٢٩٥/٢، وكذلك ابن معصوم المدني الذي أفرد التورية بمئة وثلاث عشرة صفحة من الجزء الخامس من مؤلفه (أنوار الربيع في أنواع البديع)، ينظر : المصدر المذكور.

(٢) ينظر : معجم مقاييس اللغة : مادة (ورى).

(٣) ينظر : لسان العرب : مادة (ورى).

اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية مستترة(١)، فإذا أراد المتكلم المعنى البعيد فإنه يوري عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريدُ القريب وليس كذلك؛ ولأجل ما سبق سُمي هذا النوع البديعي إيهاماً، وهنا يتضح أن للتورية عناصر أربعة هي :

١- لفظٌ يحمل معنيين بينهما تفاوت في القرب والبعد الدلالي.

٢- لفظ قريب ظاهر غير المراد، يحصل به الخفاء ويُسمّى (المورى به).

٣- لفظٌ بعيد خفي ، يقع عليه الخفاء لقلة استعماله ويسمى (المورى عنه).

٤- قرينة في الأسلوب دالة على المعنى البعيد الذي يقصده المتكلم.

يتبين من ذلك أن للتورية معنيان، معنى قريب يستر المعنى البعيد ويخفيه شريطةَ أن يتفاوت المعنيين؛ ليؤكد بذلك إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر بحمله على غير مرادهِ الذي يحتمله اللفظ الموضوع له، وهذا يعني أن أُسلوب التورية يرتكز أساساً على التمويه والإيهام اعتماداً على قرينة مقصودة تُتخذ معياراً دلالياً على المعاني الخفية، بسبب أن وضوحها في التعبير يجعل المعنى ظاهراً ملحوظاً لا تحس فيه خفاءً؛ لأن الخفاء يشوق السامع إلى توهم المعنى وتخيلهُ، فضلاً عما فيها ((من المفاجأة والإثارة، وفيها ما فيها من الحرية في التعبير حيال ضغط الرقيب، وفيها ما فيها من الطرافة والرشاقة، وروح الفكاهة، وبراعة الفن)) (٢).

وقد عبّر السيوطي (ت ٩١١هـ) عن التورية بـ(الإيهام) مستشهداً بقول الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): ((لا ترى باباً في البيان أدق ولا ألطف من التورية ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المتشابهات في كلام الله تعالى ورسوله ﷺ، وكلام صحابته ﵃ من التورية))(٣)، وعّد السيوطي من التورية في القرآن قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ**﴾ **[سبأ:٢٨]**، التورية في لفظ (كافة) الموحية بدلالتين بينهما

---

(١) ينظر : الإيضاح : ٢٦٧، وخزانة الأدب (الحموي) : ٢٣٩/٢.

(٢) البديع تأصيل وتجديد : ١٩٥.

(٣) لم نتمكن من الوقوف على النص في الكشّاف الذي بين أيدينا، واعتمدنا نقله عن مصادر قديمة وحديثة، ينظر : خزانة الأدب (الحموي) : ٢٩٦/٢، والإتقان في علوم القرآن : ٨٣/٢، والبلاغة العربية (الميداني) : ٣٧٣/٢، والبديع تأصيل وتجديد : ٢٠٦، والبديع، دراسة في البنية والدلالة : ٨١.

تفاوت من حيث القرب والبعد، فالدلالة الأولى للفظ (كافة) هي : المانع الذي يكفّ الناس عن الكفرِ والمعصية، والهاء فيها للمبالغة[1]، وهذا المعنى هو البعيد المراد، في حين توحي اللفظة بمعناها القريب بدلالة (جميعاً) أي جامعة الناس؛ ((لكن منع من حمله على ذلك أن التأكيد يتراخى عن المؤكد، فكما لا تقول رأيت جميعاً الناس لاقول رأيت كافة الناس))[2]؛ ولا شك أن في الوصول للمعنى البعيد متعة ذهنية وقدرة على فهم الكلام وتحليلهِ.

وقد تعددت تسميات هذا اللون البديعي وعُرف تحت مصطلحات بارزة كان أشهرها على الإطلاق مصطلح (التورية)، فهو أولى بالتسمية، لقُربه من مطابقة المسمّى[3]، وشاع بين البلاغيين تسميته بـ(الإيهام)، و(المغالطة المعنوية)، و(التوجيه)، و(التخيير والإيهام)، و(التخييل)، و(الألغاز والأحاجي)، فقد لاحظ البحث أن السكاكي أدرج مصطلح (التورية) تحت تسميتين :

الأولى : تسمية الإيهام :

((وهو أن يكون للفظِ استعمالان : قريب وبعيد، فيذكرلإيهام القريب في الحال إلى أن يظهر أن المراد به البعيد))[4] ومثّل السكاكي (ت ٦٢٦هـ) بقول الشاعر[5] :

حملناهُم طرّاً على الدُّهمِ بعدما خَلعنا عليهم بالطعانِ مَلابسَا

ومنه قوله تعالى : ﴿✂✍✍❶◘❑✍❑✌♊⇦ ⬉♦✍■❼ ✂✍✍♒❶➔⊠❷⬀⏲⬂ ✂✍✍❶⇔✌♦❑◆❽≣﴾ [طه :٥] وكذلك قوله تعالى : ﴿❑◆✂✍✍❀☛❻⬀▽❶ ♉⊠☺♋⓿➔✡✍✍ ♎⬩⌛⬀♋⬩✂⬅○⬅⓵ ⓷♦❑⬀⏵♦ ✂✍✍♒❶◗⬂⓾◆⓵☺⊠❑♋ ❑◆✂✍✍♒○○☺⊠⓵❑◆⓵✝⓿ ✍♦➲⇧❑⬀⓷✸⓵☀⌨﴾

---

(١) ينظر : معترك الأقران : ٢/٢٢٦.

(٢) الإتقان في علوم القرآن : ٢/٨٤.

(٣) رَجَحَ الحموي مصطلح التورية؛ لقربه من المسمّى، ينظر : خزانة الأدب (الحموي) : ٢/٢٩٥.

(٤) مفتاح العلوم : ٥٣٧.

(٥) أورد السكاكي البيت بلا نسبهِ، مؤكداً ان الشريف محمد بن علي الجرجاني أورده بلا عزو، ينظر : مفتاح العلوم : ٥٣٧؛ والإشارات والتنبيهات، ٢٧٢. وقد أراد الشاعر بـ(الحمل على الدهم) دلالة تقييد العدا بقيود من حديد، فأوهم إركابهم الخيل الدهم، ينظر : مفتاح العلوم : ٥٣٧.

﴿ ✍♐⓿◆☺♑⓾✡♑❍♑⌚ ﴾ [الزمر:٦٧]، وأكثر المتشابهات من هذا القبيل، بمعنى أن جميع الآيات التي يوحي ظاهرها إثبات شيء لا يليق بجلال الله تعالى، كالاستقرار واليد والقبضة والوجه وما شابه ذلك، تدخل في باب الإيهام والتورية، ومن المؤكد أن ((التورية وردت في القرآن الكريم حكاها القرآن على ألسنة البشر، ولا تورية فيما وصف به الله تعالى نفسه))(١).

الثانية : تسمية التوجيه :

والتوجيه في اصطلاح السكاكي هو ((إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين))(٢)، كقول من قال للأعور: ليت عينيه سَواء(٣)، وقد جعل السكاكي من هذا الأسلوب متشابهات القرآن بقوله : ((وللمتشابهات من القرآن مدخل في هذا النوع باعتبار))(٤).

أما ابن الأثير فقد آثر يسميه (المغالطات المعنوية) وعدّها من أحلى ما استعمل في الكلام وألطفه، لما فيه من التورية مُعرفاً إياها بقوله : ((أن يذكر معنى من المعاني له مِثْلٌ في شيءٍ آخر ونقيض، والنقيض أحسنُ موقعاً وألطف مأخذاً))(٥)، ومثل لهذا المصطلح بقول أبي الطيب المتنبي(٦) :

(١) البديع تأصيل وتجديد : ١٩٥، وينظر : العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي : ١٥٥.

(٢) مفتاح العلوم : ٥٣٧

(٣) هذا القول شطر بيت شعري منسوب لبشّار بن برد يصف خياطاً أعور يسمى عمروا، إذ يقول :

خـاطَ لـي عَمـرو قبـا ليـت عينيـهِ سَوا
قلتُ شعراً ليس يدري أمــديحٌ أمْ هِجـا

والقباء : ثوبٌ يلبس فوق الثياب، ينظر : لسان العرب : مادة (قبب)، والبيت هنا يحتمل وجهين : الذم : أي أن تُصاب العين السليمة فيصبح أعمى، والمدح : أن تشفى العين العوراء، فيصبح مبصراً، ينظر : ديوان بشار بن برد : ٩/٤.

(٤) مفتاح العلوم : ٥٣٧.

(٥) المثل السائر : ٧٦/٣.

(٦) من قصيدته في مدح سيف الدولة لما أوقع ببني عقيل وقشير، وبني العجلان وبني كلاب، حين خالفوا عليه، ينظر : ديوان المتنبي : ١٠٤/٢، ومراد المتنبي من البيت أنّ هذا الرمح يترك من يلتفت إليه من الأعداء ونحره مطعون يدخل ثعلبه في نحره؛ لذا فالمغالطات المعنوية في الأسمين (ثعلب) و(جار)، ظهرت في أتفاق الألفاظ واشتراكها في الدلالة على معنيين، ينظر: المثل السائر :٧٦/٣.

يَشّلُهُمْ بكُلِّ أقبّ نَهْدٍ لفارسِهِ على الخيلِ الخيارُ
وكُلِّ أصمّ يعسِلُ جانباهُ على الكعبين منهُ دمٌ مُمارُ
يُغادرُ كُلّ ملتفتٍ إليهِ ولبّتُهُ لثعلبهِ وِجارُ

وأضافَ ابن الأثير لما سبق، أن أحسن ما سمعهُ في هذا الباب قول الشاعر في الإبل[١] :

صُلبُ العصا بالضّربِ قَدْ دَمّاهَا تَودُّ أنَّ الله قَدْ أفْنَاهَا
إذا أرادت رَشَداً أغواها مِحالُهُ مِنْ رِقّةِ إيّاهَا

تشتمل هذه الأبيات على الفاظٍ مشتركة يُراد بها معنيين[٢]، فهي ليست من باب اللغز كما يظن بعض الناس؛ لإن اللغز يستخرج عن طريق الحَزْر والحدْس، لا من دلالة اللفظ عليه[٣]، لذلك أخرجه ابن الأثير من التعبير القرآني بقوله : ((وقد تأملتُ القرآن الكريم فلم أجد فيه شيئاً منها، ولا ينبغي أن يتضمن منها شيئاً))[٤]، وقد أورد ابن الأثير ذكر (التورية) ووصفها باللطيفة في وصفه لكريمٍ حين قال ((ولقد نزلتُ منه بمهلّبي الصنع أحنفيّ الأخلاق، ولقيتهُ فكأني لم ارَعْ ممن أحِبُّ بلوعةِ الفراق، ولا كرامة للأهل والوطن حتى أقول إني قد استبدلت به أهلاً ووطناً، وعهدي بالأيام وهي من الإحسان فاطمة، ما ستولد تُها بجواره حُسْنا))[٥]، وقد وجه ابن

---

(١) يريد الشاعر الفيلسوف أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرّي المولود في المعرة سنة (٣٦٣هـ) والمتوفى بها سنة (٤٤٩هـ)، ولم نعثر على البيتين في (سقط الزند) ولا في (اللزوميات)، وقد ورد ذكرها في لسان العرب مادة (دَمَى).

(٢) الألفاظ المشتركة هي :

١- الضرب : يطلق على الضرب بالعصا، وعلى الضرب في الأرض وهو السير فيها.

٢- دَمّاها : أي أسال دمها، أو جعلها كالدمية وهي الصورة.

٣- الفَنا : أي ذهاب الشيء ولم يبقَ منه بقية، أو هو عنب الثعلب.

٤- الرشد والغوى : نباتان تسمن عليهما الإبل، وتطلق على الهداية والضلال أيضاً. ينظر : المثل السائر :٧٨/٣.

(٣) ينظر : المثل السائر :٨٤/٣ و ٢٩٦/٤.

(٤) المصدر نفسه :٩١/٣.

(٥) وردت التورية في لفظتين (فاطمة) الدالة على اسم بنت رسول الله ﷺ، وعلى اسم الفاعل من (الفِطام)، يُقال فَطَمتْ فهي فاطمة، وكما يقال فُطِم فهو فاطِم، القاموس المحيط : مادة (فَطَمَ)، ولفظة (حُسنا) الدالة على اسم (الحسن) ولدُ فاطمة عليها السلام، والحين المراد به الشيء الحسن الأسلوب. ينظر : المثل السائر:٨٠/٣.

الأثير نقداً موضوعياً نابعاً من حكم الذوق السليم لهذا الأسلوب، مؤكداً أنه صعبُ المسلك في التعبير عن المعاني، فضلاً عن أن الإجادة فيه قليلة.

وتأسيساً على ما سبق يستنتج البحث من تتبع التسميات لمصطلح (التورية)، اختلاف رأي البلاغيين في تداول هذا الفن بين المتقدمين والمتأخرين؛ على الرغم من إجماعهم على أن مجيئها في أدب القدماء يأتي في سياقٍ عفوي دون قصدٍ أو تكلفٍ أو إرهاقٍ للفظِ على حساب المعنى، فهي بناءً على ذلك لونٌ من البديع يحتاج إلى عُمقٍ من التفكير وطول تدبرٍ في اختيار الألفاظ وملائمتها للدلالة الموضوعة لها بعيداً عن المبالغة، فالقديم يميل إلى التعبير الفطري الذي لا تكلف فيه ولا مشقة وعناء، بخلاف ما هي عليه في أدب العصور المتأخرة حيث بدتْ المبالغة إلى حدّ الإسراف لدرجة أنها تحولت في مؤلفاتِ الكثيرين إلى رياضة ذهنية وحيلٍ لفظية، مثْلها مثل بندقٍ فارغٍ خلى من المعنى ولكن يُفرقع[1]، لذا تدور في أدبهم ضمن فلك الضعة والصبغ البديعي والتكلف الشديد في التعامل مع أساليبها وصورها.

ومن نتائج التتبع الدقيق لمظاهر (التورية)، كشف البحث أن زاوية الاختلاف بين البلاغيين تكمن في أسبقية التنبيه إلى هذا الفن البديعي تاريخياً، وقد ((وقع الإجماع على أن المتأخرين، هم الذين سَموا إلى أفق التورية، واطلعوا شموسها، ومازجوا بها أهل الذوق السليم))[2].

---

(١) ينظر : علم البديع (د.عبد العزيز عتيق) : ١٣٤.

(٢) خزانة الأدب (الحموي) : ٢٩٨/٢.

وهكذا نرى أن أسلوب التورية من الأساليب المتداخلة والمتشعبة؛ إلا أنها سُرعان ما استقرت إصطلاحياً متجاوزةً التذبذب الحاصل في نطاقها بين السعة المفرطة حتى تُدخل الكناية، والضيق المناسب باحتوائها لمصطلح (الاستخدام)[1].

ثانياً : أقسام التورية وصورها :

من خلال تتبع أقسام التورية وشواهدها التي أُقتطفت من بساتين النظم القرآني نجد أن كثيراً من الأمثلة القرآنية التي ذكرها علماء البلاغة غير مقطوع بتخريجها، بل خرّجوها على وجوهٍ مُغايرة لمفهوم التورية؛ لِما فيها من خفاء وإيهام وتخيلٍ يحتاج الى تأويل لا يتلاءم مع خصوصية التعبير القرآني وما بُني عليه من وضوحٍ ودقةٍ وتيسيرٍ وهداية للناس أجمعين، وخصوصاً فيما يتعلق بآيات الأسماء والصفات التي تدخل في باب المحكم والمتشابه، والمؤتلف والمختلف، والمطلق والمقيد وغير ذلك من أبواب الفقه والأصول والعقيدة؛ لذا قلت شواهد هذا الفن في التعبير القرآني، وبالمتابعة الدقيقة وجدت الباحثة أن أسلوب التورية يتنوع الى أقسام متعددة لكل قسم منها صورهُ وأشكاله التي تتردد تداولها في كتب البلاغة والتفسير والأدب ومن أهم أقسام التورية ما يأتي :

١- التورية المرشَّحة.
٢- التورية المجرَّدة.
٣- التورية المبيَّنة[2].

---

(١) ينظر : البديع تأصيل وتجديد : ٢٠٥.

(٢) التورية المبيَّنة : هي التي ذُكر فيها لازم المورى عنه قبل لفظ التورية أو بعده، ينظر : الكُلِّيات : ٢٧٨.

٤- التورية المهيَّأة[١].

والذي نراه مناسباً تقسيم القزويني (ت ٧٣٩هـ)[٢] الذي يعدّ أقرب طبعاً، وأدقُ تعبيراً، وأغنى حُجةً؛ لما فيه من تلخيصٍ للأنواع المذكورة التي تحمل تعقيداً وتكراراً وتداخلاً لا طائل منه، فقد قسّم التورية إلى قسمين رئيسين هما :

١- التورية المرشّحة.

٢- التورية المجرّدة.

القسم الأول : التورية المرشَّحة :

هي التورية التي يُذكر معها ما يلاءم المعنى القريب (المورى به) فيرشحه ويقويه؛ لذا جاء وصفها بالترشيح[٣]، وقد يأتي ذكر هذا الملائم قبل التورية أو بعدها، إذ لا يشترط فيه التقديم أو التأخير، وقد أكد ابن أبي الأصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) أن هذا القسم من التورية على قلته في أشعار المتقدمين وكثرته في أشعار المحدثين؛ إلا أن أبدع تورية وقعت في شعر المتقدمين، ومنها قول عمر بن أبي ربيعة[٤]:

أَيُّها المُنكِحُ الثُّريا سُهيْلاً   عَمرَكَ اللهَ، كيفَ يلتقيانِ
هي شاميّةٌ إذا ما استقلّتْ   وسُهيلٌ إذا استقلَّ يماني

ففي البيتين تورية مرشحة يتوصل إليها من خلال القرينة الدّالة وهي لفظ (المنكِح)، من النكاحِ، أي : التزويج[٥]، فَذكرَ الشاعر لفظتي (الثُريا) و (وسهيلاً)؛ لإيهام السامع أنه يريد النجمين المشهورين، على أساس أن المراد من لفظ (الثُريا) منازل القمر الشامية، ومن لفظ (سهيلا) أحد النجوم اليمانية؛ إلا أن المعنى البعيد

---

(١) التورية المهيَّأة : هي التي لا تقع في التورية ولا تتهيأ إلاّ باللفظ الذي قبلها، ينظر : المكان نفسه.

(٢) ينظر : الإيضاح : ٢٦٧.

(٣) ينظر : تحرير التحبير : ٢٦٨/٢.

(٤) ديوان عمر بن أبي ربيعة : ٣٩٧.

(٥) ينظر : لسان العرب مادة (نَكَحَ).

المقصود هو ما أهمل دلالته المراد منها اسم امرأة ورجل[1]، فتمكن الشاعر بذلك من بلوغ أسلوب التورية عن شخصين بإيهام السامع بدلالة الألفاظ على نجمين معروفين؛ ليبلغ من الإنكار على من جمع بينهما ما أراد، وقد ذهب بعض البلاغيين إلى أن هذه التورية مُهيأة وليست مرشحة؛ لأنها جاءت في لفظتين يهيئ كل منهما للتورية في الآخر، فذِكرُ (الثُريا) هو الذي نبه المتلقي لـ (سُهيل) النجم المعروف، وكل منهما هيأ صاحبه للتورية.

ولبيان أثر هذا النوع من أنواع التورية وصوره في التعبير القرآني نبدأ بقوله تعالى في حكاية قول بعض أولاد يعقوب عليه السلام، حين أخذ يحسُ بريح يوسف عليه السلام ولم يك قد وصل البشير إليه حاملاً قميصه من مِصرَ، ولم يك قد علم بمصير أبناءه الذين ذهبوا ليطلبوا الإفراج عن بنيامين شقيق يوسف، فقال تعالى مصوِّراً هذا الموقف بأدق الألفاظ وأوجز الدلالات : ﴿ [illegible] ﴾ **[يوسف: ٩٤-٩٥]**.

لو توقفنا عند التركيب الفني اللغوي وتتبعنا دقته في هذا التعبير القرآني، نتأمل أسلوب المواجهة بين أخوة يوسف عليه السلام وأبيهم، التي احتلت جزءاً ملحوظاً في السورة بدءاً من قوله تعالى : ﴿ [illegible]

---

(١) هي الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث الأموية، وسهيل : رجل مشهور من أهل اليمن هو ابن عبد الرحمن بن عوف، ويروى أن سُهيلاً تزوج الثريا مع أن البون بينهما شاسعاً، فالثريا مشهورة بالجمال، وسُهيل قبيح المنظر، وهي شامية الدار، وهو يماني؛ لذا قال الشاعر كيف يلتقيان؟، ينظر : الكُلِّيات : ٢٧٩.

[illegible] [يوسف:٥-٨]. نستنتج أن الصراع ناتج من اتهام الأبناء إبيهم بمضاعفة الحُبّ ليوسف وأخيه مما يولد من الناحية النفسية وليست الدينية (ضلالاً)، وهذا (الضلال) هو محور التورية البديعية، أي : إنك ((لفي ذهابك عن الصواب قِدماً في إفراط محبتك ليوسفَ، ولهجك بذكره، ورجائك للقائهِ))[(١)]، وقد تكرر هذا المحور بشكل ملحوظ في مواضع متعددة من السورة نفسها[(٢)]؛ ليؤكد أن دلالة (الضلال) المورى بها، ليست الدلالة المعاكسة للهداية، بل هي إفرازٌ للشغف والهيام التي هي أقصى درجات الحُب والتعلق المكنون في قلب يعقوب عليه السلام، وزليخة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام، فقد أصدر النسوة بحقها حُكماً عاطفياً وليس خُلقياً لما بلغ الحُبّ مداه، فوصفنها بأنها في ضلال مُبين. أكد ابن أبي الأصبع المصري أن أثر التورية الأسلوبي وصل إلى الغاية القصوى في إيراد لفظ (الضّلال) المحمول على محملين[(٣)] :

الأول : ضلالٌ ضد الهدى، وقرينته قول سيدنا يعقوب عليه السلام :

﴿ [illegible] ﴾ [يوسف:٩٤-٩٥]، وهذا المعنى القريب(المورى به)

---

(١) الكشاف : ٤٩٦/٢.

(٢) تكرر قوله تعالى : ﴿إن أبانا لفي ضلال مبين﴾ في الآيات ٨، ٣٠، ٩٥ من سورة يوسف.

(٣) ينظر : تحرير التحبير :٢٧٠/٢.

الثاني : ضلالٌ بمعنى الحُب (حُب يعقوب لابنه يوسف ﷺ)، وقرينته قول أخوة يوسف : ﴿⬂❶⬊◗ ♎⧫☞◉⬧⇗□✂☎ ◉⬧⧫⓿⇖□♒←✂←
□⧫⬧⇗⌘□📖⧫□ ❹🖪🖾○□📖 ✂❼■🖫⬊◗ ☞□✡⓾⬊🖅□📖
□♌⬊◗ ⬊□⧫🖮⬄🕒⇖⇖ ←♊⬂⧫⧫✞⧫□ ☞□✡⬊✌
📖□🖅⧫☞✡☞⧫ ❼⬀✂⧫◉ ◉⬂🕒■🖪❁⬁ ✌⓾🖮⬊✓✗✌﴾ **[يوسف:٨]**. وهذا المعنى البعيد، والمراد هنا ما أُهمل لا ما استعمل؛ لأنه أوجز لفظاً وأبلغ دلالةً. يقول (الميداني) محدداً ومشيراً الى المعنى الأول القريب الموهم به في سياق الآية أن سيدنا يعقوب ﷺ ((ما زال ضالاً مع أوهامه، بعد نيف وثلاثين سنة من غياب يوسف في ان يعود إليه أو يلتقي به، وضالاً في شغل نفسهِ بالحزن عليه حتى يكون حرضاً))[1].

وفي ضوء هذا التصوير للتورية يتحدد المعنى البعيد الذي أكدته كتب التفسير بأنه ما زال ضالاً في إيثاره يوسف وشقيقه بنيامين عن سائر بنيه وهذا المعنى الدلالي هو الذي ذكره أخوة يوسف قبل إلقائه في غيابةِ الجُب، وقد أبّانه الله بقوله في أوائل السورة : ﴿⬂❶⬊◗ ♎⧫☞◉⬧⇗□✂☎ ◉⬧⧫⓿⇖□♒←✂←
□⧫⬧⇗⌘□📖⧫□ ❹🖪🖾○□📖 ✂❼■🖫⬊◗ ☞□✡⓾⬊🖅□📖
□♌⬊◗ ⬊□⧫🖮⬄🕒⇖⇖ ←♊⬂⧫⧫✞⧫□ ☞□✡⬊✌
📖□🖅⧫☞✡☞⧫ ❼⬀✂⧫◉ ◉⬂🕒■🖪❁⬁ ✌⓾🖮⬊✓✗✌﴾ **[يوسف:٨]**.

فالنظرات الأسلوبية تكشف بوضوح أن الأسلوب الفني في مفهوم التورية هو شكل لغوي خاص يستمدُ تلك الخصوصية من تجسيده للمعنى وفقاً لِما حددهُ البلاغيون من سياقاتٍ يدّل وجودها على المقصود وأسموّها بـ (القرائن)، يبدأ عملها برصدِ اللفظِ المشترك والنظرِ إليهِ على أنه شكلٌ مستقل قائمٌ على الربط الدلالي الذي لا يمكن تحقيقهُ إلا بالتوقفِ عند جزئيات التراكيب.

إنّ اشتراط خفاء القرينة يُبرز أثر اللفظ (الموري به) و (الموري عنه) في الكلام؛ لتقويته بملائم لمعناه على الإيهام بهِ وعلى التوجيه إليه من جهةٍ، وعلى إبعاد

---

(١) البلاغة العربية (الميداني) : ٣٧٥/٢، وينظر : في ظلال القرآن : مج٤ ، ج١٣، ص٢٠٢٥.

الذهن –نوعاً ما– عن (الموری عنه) من جهة ثانية[1]، من ثمّ فإن إدراك المزيةِ في ذلك الأسلوب لن يتحقق إلا بعمق تفكيرٍ وطول تدبرٍ في الألفاظ ومعانيها لتُداعب الأذهان وتروض الإفهام بما فيها من خداعٍ وإيهام، وتفنن في الكلام واتساعٍ يظهر القدرة على تصريف الألفاظ وكيفية توجيهها الدلالي بما يتناسب مع السياق. ومن منطلق هذا الوعي فان الالتزام بالقرينةِ الخفية يُذهب التوّهم قبل التأمل، وإن وضوح تلك القرينة يُخرج اللفظ من أسلوب التورية إلى الوضوح، فالإيهام الذي تؤديه التورية يتضاعفُ حين يقرن بـ (الموری به) مع ما يلائمه، وهذا الملائم من ((مصاحبات الموری به))[2] إمعاناً ومضاعفةً لعملية الإيهام.

عوداً على سورة يوسف نلمحُ أثر اللفظ المشترك المحتمل معنيين في قوله تعالى : ﴿ ◑✡✵○⬅◑ ❻◆▱■❼☑ 🕮□○⇧○✽♊⌘ ✌◆♦✝⬀□◆✂❽⍓ ☎ ◑✡✵○⬅◑ •• ③⬉▦⍂▣⊠⬅ ✂♐◉♑⬈⍏◔▣⊙⬅□♍♒ ﴾ [يوسف:٢٣] فهذا البيان القرآني يُكشف حقيقة موقف يوسف عليه السلام الإيماني العقائدي التربوي الحازم؛ إذ يمكن ((بالقهرِ والجبرِ تحكمّ ظاهري وتسلط سطحي؛ لكن الغلبة للإيمان، والتأثير بإلقاء حلاوته في الأرواح))[3]، وهذا الإيمان فطريٌ ملازمٌ لمواقف يوسف عليه السلام الحكيمة السديدة، حين جاء الردّ حاسماً بقوله : (معاذ الله)، أي أعوذُ باللهِ معاذاً[4]، فمن الملاحظ أن البنية التركيبية لهذه الآية توحي بالتداخل والتحكم، في رسمها لدوائر داخلية وخارجية تتعلق بعملية المراودة المنسوبة بالفعل (راودته) في قوله تعالى : ﴿ □◆❻◆◷□◆⑩⍓✍⍂○⬅ ✂♐◉♑⍏☹☞⊘ ♎➔□◆ ×♒⑥ ✍◆❹⬀☛♒♑⍓♐ ♊◆⬉ ✡✵▦⍂○⬀○♒⊙ □◆⇧⍓▣✵◑•✵♒ ✂♐✿☛✍⬀□◆◷✝♒ □◆⍾•♐◉♑•✵♒⇧ ♎➊⍂⍓✵◓ ✽ ◉•♑♒ ﴾ [يوسف:٢٣] فالنسبة إلى امرأة العزيز، وليس لسيدنا يوسف عليه السلام، وهذا ما يؤكد براءته، فالمسألة ليست مسألة إرادة أو عدم استطاعة؛

(١) ينظر : البلاغة الاصطلاحية : ٢٩٩.

(٢) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية :١٢١.

(٣) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز : ٢١٢.

(٤) يُنظر : الكشّاف : ٤٥٥/٢.

ولكن هُنا كائناً حياً لهُ الحق عليه وعليها وهو (المورى عنه) بلفظ (الرّب)، فالربُّ هنا صاحبُ البيتِ؛ لأن توظيف لفظ (المثوى) قرينة دالة جاءت على لسانهِ في قوله تعالى : ﴿□◆□♎♦✌♦◆⬜✏⅄✂ ❽♋♎⅄✏✂ ✂✍⅄♋⬄♏❸◆▭○🡐

♊♋♎ ◆❸⬄♋♎♓♎ ⌧○♋○♋✍□🕮♦❷♎♏♏♦ 🕮□⬜⇩❷⌧✌♎❼ ♎♦♦□✋◆▭○🡐 ⬉♦◉✹✂ 🕮□♌ ❸♦✡⌧🡒♎✡□✍✏ 🕮□□✋ ✡♦✹❷♋⓪⌧■🡐⓿ ▭◆♦▤•⓪⌧⏲⏲♋⌨ ♎♦▤⅄✡□✍ ♎♦✏✍✝✂ 🗐

⏲♋⓪⬉□✍🡐✂⌧ ﴾ [يوسف:٢١]؛ ولأنه ليسَ من العدل تقديمُ الخيانةِ لمن أكرم المثوى، وكسرُ العهد بالظلم لهُ ((فما جزاؤهُ أن أخلفهُ في أهلهِ سوء الخلافةِ وأخونَه فيهم ﴿⓿♋✡✹○🡐⓿ •♦ ❸⬉♏♎♋⌧🡐

✂✍⏲🡒⅄⓿♋☺🡐□♍♎ ﴾ الذين يُجازون الحسن بالسيء))[(١)]. هذه المسألة ترتبط ارتباطاً حيوياً بقانون عام يبدأ بـ(معاذ الله) وهذا التركيب هو الذي يفرقُ بين الله –تعالى– والربُّ أو السيد ((فالله هو المرجع العام، والربُّ يمثل المرجع الخاص في مثل هذا الموقف))[(٢)].

والجمع بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي يؤكد أن المعنى الأول لا يصدر إلا عن متقٍ لله حق تقاته، فهو مستلزم للمعنى الثاني دالاً عليه بالدلالة الالتزامية، وهذه التورية لا تفهمها المرأة وإنما هي مضمرة في نفسِ يوسف ﷺ؛ ولكنها فهمت منهُ التقريع والتأنيب لها؛ بأنها داست كرامة زوجها وحقوق الإحسان إليه وحقوق الثقة بين الزوجين[(٣)]. قد علّق الدكتور عقيد خالد العزاوي على هذا القول بالآتي : ((لم أجد أحداً من المفسرين من قال بهذا الرأي فهو من انفرادات رشيد الخطيب))[(٤)].

ومن أبدع ما جاء في التعبير القرآني موحياً بدلالة التورية قوله تعالى : ﴿□◆♎🡒□◆ ✂✍✏⅄♎♋❽ ❸⬉ॐ♦❾♓✌⬉

(١) المصدر نفسه : ٤٥٦/٢.

(٢) البلاغة القرآنية : ٢١٨.

(٣) ينظر : أولى ما قيل في آيات التنزيل : ١٧/٥.

(٤) البيان القرآني : ١٤٥.

✂♐♏♒⬂⬄♦⓿⬂❅⌧ ✍♎♊🕮 🕮♦➔⬀⑨♎ ✍♦♏♐
🕭⬟☪☛❏➲❏⌧✂☎ ❏♦③✡⌑➔❸← ❻♦❍⇳☺⌧✌♦❍❶ 🗐
❏♦♎♏➔❏♦ ✂♐♏♒⬂❏♦🖫♘❼❺ ✂♐♏♒⬂⬩⌧☺♎⓿⑨←⁅

[الشورى:٢٨][1]. تشير الآية إلى أن إنزال الغيث أمرٌ جامع للنعمة الإلهية التي فيها رزق العباد الحقيقي ومعاشهم الدنيوي، ودليلٌ على بديع صنع الله –تعالى– وعظيم قدرته المقتضية إنفراده بالإلوهية؛ لذا فإن الغيث سبب رزقٍ عظيم ينزلهُ الله تعالى بقدرٍ هو أعلم به، خصهُ بالذكر دون غيرهِ من النعم الدنيوية، لأنهُ نعمة لا يختلف الناس في أنها أصلُ دوام الحياة وتجددها.

ومن خلال تلمس الأثر الأسلوبي للمظاهر البديعية في هذا التعبير تمكنت الباحثة من تشخيص علاقات أُسلوبية على المستوى المعجمي والدلالي فيما وراء التراكيب، وبين الجمل والمفردات، لها أثرها البارز في إيجاد نقلة منهجية من دلالة الجملة أو التركيب إلى دلالة النص بتمامهِ مما يحقق وحدة دلالية موضوعية، فقد آثر التعبير القرآني صيغة المضارع (ينزل)؛ لإفادة تكرر النزول وتجديده، في الوقت الذي نلمح فيه استناد التعبير بصيغة الماضي في قوله: (من بعد ما قنطوا)؛ للإشارة إلى حصول القنوط وتقرره بمضي زمان عليه، بانقطاع إمارات الغيث المعتادة وضيق الوقت عن الزرع، مع ملاحظة عدول التعبير في هذه الآية عن لفظ (المطر) إلى لفظ (الغيث)؛ لدلالة الغيث على ما كان نافعاً في وقته، في حين أن المطر يكون نافعاً وضاراً في وقته وغير وقته[2]، وعند الوقوف على قوله تعالى: ⁅❏♦➔⚖♦❏ ✂♐✎⅄🕭♎❽ ③⇖ॐ♦❾⌘🖉✌⇖

✂♐♏♒⬂⬄♦⓿⬂❅⌧⁆ نجد أن أسلوب القصر أدى دلالة نفي ظن المشركين وبعض المسلمين الغافلين في أن نزول الغيث قد يكون من تصرف أنواء الكواكب والتأكيد على أن مصدر الغيث هو الله تعالى، وهذا غير منوط بالأسباب المعتادة

---

(١) نزلت هذه الآية في انحباس المطر عن أهل مكة، ودوام القحط عليها سبع سنين، بسبب دعاء النبي ﷺ عليهم بقولهِ: ((اللهم أعني عليهم بسبعٍ كسبع يوسف))، فاستسقاه قومه بعد ذلك فأنزل الله تعالى الغيث: وهو المطر الآتي بعد الجفاف، وسُمي غيثاً بالمصدر؛ لأن به غيث الناس المضطرين، ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤٧٧/١٨، والتحرير والتنوير: ٢٤/٢٥،والحديث في صحيح البخاري، كتاب تفسير سورة الدخان، حديث رقم (٤٨٢٣)، ص٨٠٣.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤٧٧/١٨.

لنزول الغيث[١]، وقد أُستعير الفعل (ينشر) لبيان التوسيع والامتداد في نشر رحمة الله الله تعالى التي هي أعمُّ مما في الغيث، والمراد بالرحمةِ هنا ظهور الشمس، لأن المطر إذا دام سُئِم، فتجيء الشمس بعده لإزالة الملل والسأم[٢]، وقد ناسب التعبير في ختام الآية بالجمع بين صفتي (الولي) و(الحميد) مناسبةً لمقتضى السياق الذي يتطلب الإغاثة وطلب الرحمة، ويبدو أثر أسلوب التورية واضحاً في لفظ (الولي) فالدلالة المعجمية للفظ (الولي) تحتمل معنيين :

المعنى الأول : القريب (المورى به) الدال على اسم من أسماء الله تعالى يعني المتولي لأمور عباده المؤمنين بالرحمةِ والمغفرةِ القائم بها، المحسن إليهم، فهو المحب لعبادهِ المدبر المتصرف[٣]، وهو –جلَّ جلاله– مع حبه لعبادهِ الصالحين يقبل منهم القليل من العمل ويحمدهم عليه، فالولي صفة كمال ((تجري في الصفة على المُعان والمُعِين))[٤]، و(الحميد) قرينة هذا المعنى الدالة عليه وهو اسم من أسماء الله تعالى أيضاً، قال إبن الأثير (ت ٦٠٦هـ): (الحميد) هو ((المحمود على كل حال، فعيل بمعنى مفعول، والحمدُ والشكر متقاربان، والحمدُ أعمهما؛ لأنك تحمد الإنسان على صفاته الذَّاتية وعلى عطائه، ولا تشكره على صفاته))[٥]، وهذا يدلّ على أن الحميد هنا بمعنى المحمود؛ إلاّ أن صفة (الحميد) أبلغُ من صفة (المحمود)؛ ((لأن الحميد : هو الذي له من الصفات وأسباب الحمد ما يقتضي أن يكون محموداً، وإن لم يحمده غيره، فهو حميدٌ في نفسه))[٦]، زيادة على أنها صيغة

---

(١) في حديث زيد بن خالد الجُهني قال : ((خطبنا رسول الله ﷺ على إثر سماءٍ كانت من الليل، فقال : أتدرون ماذا قال ربكم؟ قال : قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فأما من قال : مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن لي كافرٌ بالكواكب، وأما من قال : مُطرنا بنوء كذا ونوء كذا فذلك كافرٌ بي مؤمن بالكواكب))، التحرير والتنوير : ٩٥/٢٥، والحديث في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، حديث رقم (٧١)، ص٣٠.

(٢) ينظر : البحر المحيط : ٤٩٦/٧، ((يُروى أن عمر ﷺ قيل له قد أَجدبت الأرض وقنِط الناس، فقال : مُطِروا إذن لهذه الآية))، معاني القرآن وإعرابه (الزجاج) : ٣٠٣/٤.

(٣) ينظر : أسماء الله الحسنى، دراسة في البنية والدلالة : ٨٢.

(٤) الفروق اللغوية : ٣١٨.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر : ٤٣٧/١؛ وينظر : الفروق اللغوية : ٦٠.

(٦) الطريقة المثلى لإحصاء أسماء الله الحسنى : ٩٦.

مبالغة على وزن (فعيل) بمعنى مفعول(١)، وعلى أساس هذا التوجيه المعنوي فإن الضمير (هو) راجعٌ إلى لفظ الجلالة الله –تعالى.

المعنى الثاني : البعيد (المورى عنه) الذي يحتم أن يكون لفظ (الولي) دالاً على أحد أسماء المطر الذي يلي الوَسْمِيِّ وهو (مطر الربيع)(٢)؛ لذا فـ(الحميد) وفقاً لهذا التوجيه الدلالي يعني (المحمود) إسم مفعول، وعلى أساس هذا التوجيه فإن الضمير المنفصل (هو) يعود على لفظ (الغيث)(٣).

وهنا يتبين للبحث أن المصاحبة المعجمية للألفاظ تعدُّ وسيلة من وسائل تضعيف الإيهام؛ لأن التعبير بالمفردات اللغوية المحتملة لمعنيين يصحب الذهن إلى وقع دلالي ينسجم مع القرينة اللفظية الدالة عليه، زيادة على توازنه مع السياق العام؛ فإنّ للمصاحب المعجمي للألفاظ أثره الأسلوبي في الكشف عن المعاني البعيدة المورى عنها، والتي توهم إرادة دلالات أخرى مختلفة عن المعنى المراد.

القسم الثاني : التورية المجرَّدة :

هي التي لم يذكر فيها لازم من لوازم المورّى به، وهو المعنى القريب ولا من لوازم المورى عنه، وهو المعنى البعيد، بمعنى أنه لا يُذكر فيها ما يُلائم المعنى القريب ولا المعنى البعيد ومن أمثلة هذا النوع من أنواع التورية في القرآن الكريم ما جاء في سورة طه من قوله تعالى ﴿✂☞♋☜❷▪❑⁉⬃❑⏲♊⬅ ⬉♦✍■❼ ✂☞♋☜⬂➔⊠❷⬀⏲⬎ ✂☞♋☜⬄✌♦❑◆❽▤﴾ [طه:٥].

فلفظ (استوى) له معنيان :

١- معنى قريب دال على الاستقرار في المكان، وليس هو المقصود؛ لاستحالة استقراره الحسي، فهو –سبحانه وتعالى- منزه عن ذلك.

٢- معنى بعيد دال على الاستيلاء والملك، وهو المقصود.

---

(١) ينظر : أسماء الله الحسنى، دراسة في البنية والدلالة : ٥١.

(٢) ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٥٤٩، القاموس المحيط، مادة (وَلِيَ).

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٣/٤٤٦.

فالتورية هنا مجردة، حيث لم يذكر فيها ما يلائم المعنى القريب أو البعيد، والقرينة استحالة الاستقرار الحسي على الله –تعالى– ((وإنما كانت خفية لأنها تتوقف على أدلة نفي الجرمية عنه –تعالى– وهي مما لا يفهمه كلّ الناس))[١]، فمن المناسب هنا التنبيه على ((أن الآية لو حُملت على التمثيل فلا تورية فيها))[٢]، وقيل إن التورية هنا يحتمل أن تكون مرشحة؛ لأن ذكر قوله : ﴿ ⇱♦✍■❼ ✂︎♐︎◉︎♋︎⊠➔⊡❷⬀◷✓ ﴾ يلائم المعنى القريب[٣].

ومن أمثلة هذا النوع من التورية في السنة النبوية المطهرة ما روي عن النبي ﷺ أنه لما خرج مع أصحابه إلى بدر، سألهم سائل (ممن أنتم؟) فلم يُرد النبي ﷺ أن يُعلم السائل بمكانه الحقيقي، فقال له إيهاماً : أنا من ماء، أراد أنه مخلوق من ماء، فورّى بذلك عن قبلية يُ ًقال لها ماء، وهو يُريد أنه مخلوق من اصل الخلق وهو الماء بدليل قوله تعالى : ﴿ ⌘↗◘♐︎✇♦ ✌︎♓︎Ⅱ ✌︎□♋︎✏︎↗🕮 ⑩⊡✂︎▫︎♉︎⊟♐︎ ⬀♉︎⬁ ⑥⬧③⬂❷⇱●← ✌︎♉︎Ⅱ✇ ✇♦✓⬃✖⬀ ✂︎♋︎◉︎♐︎⓿❺◘▫︎◘⬀ □♦✂︎♋︎◉︎♐︎✋▲❸♦✂︎✏︎✶⌀◘⬀ ﴾ [الطارق : ٦-٧].

ومنها أيضاً ما روي عن أبي بكر ﷺ حين سأله سائل عن النبي ﷺ، وهما في طريقهما إلى المدينة مهاجرين، فقيل له من هذا؟ فقال أبو بكر ﷺ : ((هادٍ يهديني السبيل))[٤]، والمعنى القريب الذي أراده من هذا القول هو دليل السفر الذي يهتدي به في الطريق، أما المعنى البعيد : يهديني إلى الإسلام والإيمان، وهو المراد، وليس في التورية هنا ما يلائم المعنى القريب أو البعيد؛ لذا فهي تورية مجرّدة، والقرآن الكريم زاخر بالشواهد التي لا تعد ولا تحصى[٥].

---

(١) بغية الإيضاح : ٤/٢٦.

(٢) الكلِّيات : ٢٧٧.

(٣) ينظر : بغية الإيضاح : ٤/٢٦.

(٤) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، حديث رقم (٣٩١١)، ص٦٣٤.

(٥) ينظر على سبيل المثال : سورة البقرة : ١٤٣، وسورة البقرة : ١٤٥، وسورة يونس : ٩٢، وسورة الفتح : ١٠.

ويقتربُ من أسلوب التورية في دلالته الاحتمالية على وجهين من المعاني، أسلوب أطلق عليه البلاغيون مصطلح (التوجيه) حيث تتجلى في هذا الأسلوب البديعي علاقة الإيهام واضحة فهو في عُرف اللغويين (تفعيلٌ) من قولك وجهتُ هذا البُرد، إذا جعلتُ لهُ وجهاً يحسنُ لأجله ويُرغب فيه(١)، أما في اصطلاح البلاغيين يعني : إيراد الكلام محتملاً معنيين متضادين : كالمدح، والهجاء، ليبلغ غرضهُ الذي يريده بما لا يمسك عليه، وبمعنى آخر هو الاتيان بكلام يحتمل وجهين من المعنى احتمالاً مطلقاً من غير تقييد، فيستعمل المتكلم أحد الاحتمالين ويهمل الآخر، ومراده ما أهملهُ لا ما استعمله(٢).

وقد أدت إحتمالية المعنى في أُسلوب التوجيه، إلى تسميته عند بعض البلاغيين بـ (الإبهام)(٣)؛ لأنه يفيد إيهام السامع بأحد الاحتمالين، والتفت ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) إلى دلالة المصطلح واضعاً إيّاه في القسم الثاني والأربعين من الفوائد المشوق تحت تسمية (المحتمل الضدين) مؤكداً أن منه في القرآن كثير(٤). والتفت السيوطي إلى دلالة هذا الأسلوب عند تفسيره قوله تعالى :

﴿ ③◆🕐✸ ̊❒③⓾♑⊠🙵 ✁🙵✎⅄🔔🙰⇦▫🙵

◆↗✁◆✁✡↖❒✁☎ •• ✍◆◑➔❒◙⅄↗❒✁☎ ⑥◆🕐↖🙰☪◆🙵
❒◆🔔➔❒◙⅄↗❒✁☎ ✁🙵✡➔⓿❷⇗✡◆🙵
❒◆✁🙵ᘓ⇔☺⊠➔↖❒✁☎ ▤ ❒◆◙⅄🙰▣▫⌛⊠🕐⊞🙰❷⊠⇦▫🙵
↖◆⓿⊠✁⚇↖ 📖❒◙⅄🙰⓾⚐🙰 ﴾ [البقرة: ١٠٤].

كان المسلمون يقولون لرسول الله ﷺ إذا ألقى عليهم شيئاً من العلم : راعِنا يا رسول الله، أي : ((راقبنا، وانتظرنا، وتأن بنا حتى نفهمهُ ونحفظهُ))(٥)، فقصدوا بها

---

(١) ينظر : لسان العرب : مادة (وَجَهَ).

(٢) ينظر : الإيضاح، ٢٨٤.

(٣) أفردهُ المصري بباب خاص مستقل، في حين أنه عند السكاكي والقزويني وشراح التلخيص هو التوجيه نفسه، ينظر : تحرير التحبير : ٥٩٦/٤، بديع القرآن : ٣٠٦/٢.

(٤) ينظر : الفوائد المشوق : ١٦٥.

(٥) وجاء في هامش الكشّاف معنىً مؤكداً لدلالة لفظ (راعنا)، أي: امنحنا نظرتك ورعايتك، الكشّاف، ١٦٠/١، معترك الأقران : ١٨٦/٢.

الرعاية والمراقبة لمقصد الخير وخفض الجانب، فاغتنمها اليهود ووجهوا الكلام لغير ما وضع له سخريةً واستهزاءً؛ لموافقتها كلمة عبرانية أو سريانية هي (راعينا) المقصود بها الرعونة وهي إفراط الجهالة، فنهاهم الله –تعالى– عن موافقتهم في القول منعاً للصحيح الموافق في الصورة لشبهه من القبيح[1]، وأمرهم بما هو في معناها مما لا يتطرق إليه فساد، وهو لفظ (انظرنا)، ((من نظرَه إذا انتظره : أي أمهلنا حتى نحفظ))[2]، فأبقى المعنى وصرف اللفظ.

وقد التفت الفرّاء (ت ٢٠٧هـ) إلى هذا الأسلوب التوجيهي وإن لم يسمهِ عند تفسيره هذه الآية[3]، إذ يفهم من سياقها أن لفظة (راعنا) تحتمل وجهين يمكن تفسيرهما بالآتي:

أولاً : توجيه دلالة (راعنا) من باب المدح : أي امنحنا رعايتك وتأن بنا.

ثانياً : توجيه دلالة (راعنا) من باب الذم : أي شبه كلمة عبرانية أو سريانية كان اليهود يتسابون بها، قصدوا منها الرعونة وإفراط الجهالة سخريةً بالدين واستهزاءً بالرسول ﷺ، وهذا ما نهي المسلمون عنه؛ لما فيه من الجفاء وقلة التوقير.

ونظير هذه الآية ما جاء في شأن اليهود وموقفهم من النبي ﷺ وكلامهم معه الذي يحتمل ظاهرهُ الاحترام والتوقير، وباطنه السخرية والاستهزاء وقصد الإهانة حيث قال تعالى : [illegible]

(١) ينظر : نظم الدّرر : ٨٦/٢.

(٢) الكشّاف : ١٦١/١، وأكد السيوطي أنه من النظر، أو الانتظار، ينظر : معترك الأقران : ١٨٦/٢.

(٣) ينظر : معاني القرآن (الفرّاء) : ٦٩/١.

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [النساء:٤٦][١].

عبرت الآية ببيان واضح صريح عن موقف اليهود من التوراة، وسوء أفعالهم وأقوالهم، وتحريفهم الكلمات بالميل بها عن معناه الصريح المقصود إلى معانٍ باطلة بالتأويل والتضليل، والليِّ[٢] بألسنتهم فتلاً لما يضمرونه من الإساءة والأذى للرسول ﷺ فيقولون سمعنا دعوتك وعصيانك؛ وذلك إظهاراً لتمسكهم بدينهم ليزول طمع الرسول في إيمانهم، ثم أعقبوه بقولهم : (اسمع غير مسمع)، وفي هذا التركيب توجيه يحتمل معنيين متضادين :

المعنى الأول : يحتمل الذم :

أي أسمع : مدعواً عليك – بلا سمعت – أو أسمع : غير مجاب ما تدعو إليه، فكأنك لم تسمع صوتاً من متكلم؛ لأنه يصيرُ أصمّ لا يعي[٣]، أو أسمع غير مسمع كلاماً ترضاه، وهذا كفرٌ صريح[٤].

المعنى الثاني : يحتمل المدح :

أي أسمع منا كلاماً غير مكروهٍ، إظهاراً للتأدب مع النبي ﷺ، فاللفظ يوهم أنهم قصدوا الظاهر المتبادر من قولهم، والذي كان إطلاقه معروفاً بين العرب في معنى الكرامة والتلطّف؛ لكنهم أرادوا بها معنى آخر انتحلوه من شيء يسمح به تركيب اللفظ الوضعي مقصوداً به الذم، وكذا الحال في قولهم (راعنا)[٥]، وقصدهم من إيراد كلام ذي وجهين أن يُرضوا الرسول ﷺ والمؤمنين ويُرضوا أنفسهم بسوء نيتهم مع الرسول ﷺ فلا يجدوا عليه حجة[٦].

---

(١) روي أن هذه الآية نزلت في فريق من اليهود منهم رفاعة بن زيد بن التَّابوت، أحد عظماء اليهود بالمدينة، كان إذا كلم رسول الله ﷺ لوى لسانه، وقال : راعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك، ثم طعن في الإسلام؛ لذا أنزل الله تعالى هذه الآية؛ نهياً وتعريضاً باليهود، ينظر : الجامع لأحكام القرآن :٢٩٣/٢ و٤٠٠/٦، والتحرير والتنوير : ٧٤/٥.

(٢) الليُّ : فتلُ الحبلِ، والمراد هنا هو تحريف الكلام لفظاً ومعنىً، ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٤٦٠، والكشّاف : ٤٥١/١، معترك الأقران : ٦٦/٣.

(٣) ينظر : الكشّاف : ٤٥١/١، والتحرير والتنوير : ٧٥/٥.

(٤) ينظر : الكشاف : ٤٥١/١.

(٥) ينظر : ص من مبحث التورية.

(٦) ينظر : التحرير والتنوير، ٧٤/٥.

وقد أدتْ صيغة المصدر المنتصب على المفعول الملطق (ليّاً) دلالة المعاني التوجيهية المذكورة؛ لأن أصلَ الليّ باللسان، أي : القول، وفي أقوالهم السابقة فتلٌ وتحريفٌ وتثنيةٌ بالألسنة؛ ليعطي الكلام صورة تشبه صورة كلمة أُخرى، فيفتلون ما تضمره قلوبهم من الإساءة إلى ما تظهره ألسنتهم من التوقير والإجلال نفاقاً[١].

وقد ذكر الزركشي مصطلح (التوجيه) بمعناه المتداول، مُحدداً إياه بمعيارٍ تُعرف به فطنة المخاطب وتنبهه إلى ما يحتمله الكلام من توجيهاتٍ مستشهداً بمثالين :

المثال الأول : قوله تعالى حكايةً عن أخت موسى عليه السلام : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ **[القصص:١٢]**.

فالضمير (لهُ) يحتمل توجيهين :

التوجيه الأول : أن يكون عائداً على موسى عليه السلام.

التوجيه الثاني : أن يكون عائداً على فرعون.

وعلى أساس التوجيه الثاني ((تخلصت أُخت موسى عليه السلام من قولهم : (إنكِ عرفتِه)، فقالت : أردتُ : ناصحون للملك))[٢]، واعتُرض على هذا القول بأنه في لغة العرب لا في كلامها المحكي، فرد الزركشي هذا الاعتراض مُعللاً أن الحكاية مُطابقة لما قالتهُ، وإن كانت بلغةٍ أُخرى[٣].

المثال الثاني : قول ابن الجوزي جواباً لمن سأله : أي الرجلين أفضل عند النبي ﷺ : أبو بكر أم علي ؟ فقال ابن الجوزي : (مَن كانت ابنته تحته)، وهذه الإجابة تحتمل وجهين دلاليين:

---

(١) ينظر : الكشّاف : ٤٥١/١.

(٢) البرهان في علوم القرآن : ٣١٤/٢.

(٣) ينظر : المكان نفسه.

التوجيه الأول : تفضيل أبي بكر ﷺ على علي ﷺ، إذا كان الضمير في (ابنته) عائد على الأول، فيعود الضمير في (تحته) على النبي ﷺ، لأن المراد عائشة ﷺ.

التوجيه الثاني : تفضيل علي ﷺ على أبي بكر ﷺ، إذا كانت دلالة الضمير في (ابنته) عائد على النبي ﷺ، والضمير في (تحته) عائد على علي ﷺ؛ لأن المراد فاطمة الزهراء – عليها السلام –.

ونظيره قوله تعالى : ﴿❒◆③⬉➲⇧➔✍☺⇦❑♌◆ ✁✍⓿❒↗▲➔⊠✍⚐◆ ⬉◆✍■❼▤ ❍⬉⌨❍⊗❍✍🕗 ✍✍⇔▤⬀⑩☪✡✍ ❑◆③◆☹✍⑩☺✝✍ ❑◆🕮❑⚭⬀❷❸🕗✁﴾ **[الإنسان:٨]**. اختلف المفسرون في مرجع الضمير على رأيين :

الرأي الأول : أن يكون الضمير راجعاً للطعام لذكره قبله، والمعنى : أنهم يطعمون الطعام وهم يحبونه لاحتياجهم إليه، وتعلق أغراضهم به، تأكيداً وعملاً بقوله تعالى : ﴿♊♦♑ ✍✡❑♑✍↗❑✁☎ ✁✍♑⬂♑✐❸▪ ❍⊠☹✸⌀▤ ✍➔☪▦✍◗➔❑✁☎ ✍✍☺●✍ ✍↑◆✍⌛✍❑♍✍﴾ **[آل عمران:٩٢]**، وقوله تعالى : ﴿❑◆③⬉◆⬃⚐✍❷⬉❑♍✍ ⬉◆✍■❼✁ 🕮❑☼▦➔❍⬀✍✍✍⬀ ❑◆♑◆❑⬀ ✍⊠☒♌◆ ▯✍✍✍⬀ ⌘⊠🕗✸✍🕒✸❑⊲﴾ **[الحشر:٩]**. وقد خرَّج الزمخشري المعنى على هذا التوجيه[1].

الرأي الثاني : أن يكون الضمير راجعاً إلى اسم الجلالة من باب الإضمار ولم يُذكر لقوة ظهورهِ، وعليه فالمعنى الذي يقتضيه السياق وفقاً لهذا التوجيه :

ويطعمون الطعام على حُبِّ الله لا حب غيره، لا يريدون عليه جزاءً ولا شكورا

ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى بعده : ﴿◑❍✝▲▦❑✍ ✡⬅➲⇧➔✍☺⬉▤↗✍⬀ ♑✍❑◆♉⇧❍✍ ✁✍✎★ •• ✡⬅❷▩③⑨⬅ ✍✍☪▤↗⚐⬄ ♉⊠❽◆✁✎↗☯ ❑◆•• ▲↗▤↗❑❻🕗✁﴾ **[الانسان:٩]**، بإخلاص العمل في إطعام الطعام لله تعالى.

---

(١) ينظر : الكشّاف : ٥١٤/٤.

ونظير ما سبق قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾[سبأ:١٨-١٩].

أورد الزمخشري في هذه الآية توجيهين[١] :

التوجيه الأول : برفع (ربُّنا) على الابتداء وفتح الدال والعين من (بَاعَد)، أي فعل ماضٍ من المباعدة، فالمعنى في ضوء هذه الصياغة خبر يشكون فيه من بُعد أسفارهم، ويطلبون قربها.

التوجيه الثاني : بنصب (ربَّنا) على أنه منادى مضاف، وبناء (باعِدْ) على السكون أمراً من المباعدة، فالمعنى في ضوء هذه الصياغة إنشاءً طلبياً يشكون فيه من قرب أسفارهم ويطلبون بُعدها.

والتفت البلاغيون إلى اتساع نطاق الإيهام والتورية ليشمل مصطلحاً بديعياً مهماً يُعرف بـ (الاستخدام) ولهم فيه عبارتان :

الأولى : أن يؤتى بلفظٍ له معنيان فأكثر مراداً به أحد معانيه، ثم يؤتى بضميره مُراداً به المعنى الآخر[٢].

كقول الشاعر[٣] :

إذا نزل السَّماءُ بأرضِ قومٍ   رعيناه وإنْ كانوا غِضاباً

---

(١) ينظر : الكشّاف : ٦٠٢/٣.

(٢) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٨٤/٢، ومعترك الأقران : ٢٨٥/١، وبغية الإيضاح : ٢٩/٤.

(٣) ورد ذكر البيت في معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب : مادة (سما) منسوباً إلى معاوية بن مالك بن جعفر معوِّد الحكماء، وللفرزدق في تاج العروس : مادة (سما)، وقد ذُكر أن نسبة البيت لجرير هو المشهور إلاّ أننا لم نعثر عليه في ديوانه، ينظر : بغية الإيضاح : ٢٩/٤ ، وورد بلا نسبة في المخصص : ١٩٥/٧، ٣٠/١٦.

وقد أراد الشاعر بلفظ (السماء) دلالة الغيث، أما المراد من ضميرها في الفعل (رعيناه) هو (النَّبْتَ)[1]، متضمناً المعنى العام من البيت وهو وصفهم بالغلبةِ لغيرهم، والظاهر أن كلا المعنيين مجازي، فلا يشترط في أسلوب (الاستخدام) أن يتحدد بين المعنيين فرقٌ من حيث الحقيقة أو المجاز أو الإختلاف.

الثانية : أن يؤتى بلفظٍ مشترك ثم بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين ومن اللفظ الآخر المعنى الثاني[2].

كقول البحتري[3] :

فَسقَى الغَضَا والسَّاكِنِيهِ وإنْ هُمُ   شَبُّوهُ بين جوانِحٍ وقُلُوبِ

أراد الشاعر بأحد الضميرين الراجعين إلى (الغضا)[4] وهو المجرور في قوله : (الساكنيهِ) المكان، في حين أراد بالضمير الآخر المنصوب في قولهِ : (شبوهُ)[5] النار أو الشجر، بمعنى أنهم أوقدوا بين جوانحي وفي قلبي نار الهوى التي تشبه نار الغضا، والظاهر أن كلا المعنيين مجازي وليس حقيقي.

وقد ذكر السيوطي مصطلح (الاستخدام) ووصفه بأنه والتورية ((أشرف أنواع البديع، وهما سيّان؛ بل فضَّلهُ بعضهم عليها))[6]، ونَسَبَ السيوطي خلال حديثه عن معنى أسلوب الاستخدام بإحدى عبارتيه إلى السكاكي بقوله : ((وهذه طريقة السكاكي واتباعه))[7]، مُضيفاً أنه استخرج بفكره الثاقب آيات من القرآن الكريم على طريقة السكاكي، وعند البحث في مفتاح العلوم لم نعثر على أي ملامح لهذا الفن.

---

(١) ينظر : الإيضاح : ٢٦٨.

(٢) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٨٤/٢.

(٣) البيت من قصيدة للبحتري مطلعها :

كَمْ بالكثيبِ من اعتراضِ كثيبِ   وَقَوامِ غُصنٍ في الثيابِ رَطيبِ

ديوان البحتري : ١ / ٢٤٦.

(٤) الغضا : شجر من الأثل خشبةُ من أصلب الخشب وجمره يبقى زمناً طويلاً لا ينطفي؛ يكثر في (نجد) ويسمون لذلك أهل الغضاء، ينظر : بغية الإيضاح : ٣٠/٤.

(٥) شبوه : بمعنى أوقدوا نار الهوى التي تشبه نار الحطب، ينظر : المكان نفسه، وينظر : الكُلِّيات : ١٠٤.

(٦) الإتقان في علوم القرآن : ٨٤/٢.

(٧) المكان نفسه.

ومن خلال ما تقدم ذكره في دلالة أسلوب (الاستخدام) الاصطلاحية، يمكن التأكيد على المعيار الأسلوبي الذي ينطلق من خلاله، وهو أن يكون اللفظ بمعنى، ويعود إليه ضميره بمعنى آخر، ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

جاءت الآية الكريمة تعبيراً عن مضامين إرشادية دعوية تنبه للمصالح العامة والخاصة وما يقتضيه ذلك من إستدلالٍ على الهدى والبينات، وبأسلوبٍ بديعي يظهر فيه أثر (الاستخدام) للألفاظ المحتملة لمعانٍ متعددة بدلالة قرائن لغوية تلمح من السياق العام، فقوله تعالى : ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ يحتمل دلالتين :

الأولى : إنَّ كُلِّ من حَضَرَ أيام رمضان ولم يكن مسافراً أو غائباً أو مريضاً (فليصمه)، فقد عاد الضمير في صيغة فعل الأمر على المعنى المراد وهو (أيام رمضان)[1].

الثانية : أن كل من شاهد الهلال فليصم الشهر، بناءً على أن الشهر هنا يُراد به (الهلال)[2]، بدليل أن الهلال لا يصلح أن يتعدّى إليه فعل (شَهَدَ) بمعنى حضر؛ لأنه مُعلقٌ بالرؤية والمشاهَدَة.

وتأسيساً على ذلك؛ فإن للفظة (الشهر) معنيان، الأول الهلال، والثاني أيام رمضان، والمراد به المعنى الأول، والمراد بالضمير (الهاء) في (فليصمه) المعنى

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٧٣/٢.

(٢) ينظر : معاني القرآن (الزّجاج): ٢١٩/١ و٢٢٤/١.

الثاني، فظهر أثر أسلوب الاستخدام في مجيء لفظ (الشهر) بمعنى، وعودة ضميره إليه بمعنى آخر.

ومن مواضع أسلوب (الاستخدام) في التعبير القرآني قوله تعالى : ⬙▩♉⬀ ♉☹✍♦☝⬏▤ ♒●♒⊠♉❏🕮 ⬀♏♒⬈▤♉♒❁ ↓⬈✏✍♦⊕❏④ ✍♦✌ ✦✏✍✂ ☎✂❏⬅⬧⇧☺♦③ ❻⚐⬆🕮 ▦◑⬅■⊠⑨✡♉⬉♦❏ ☎ ➔💣♎⌛⬃✞⬉③♦❏ ✂✍●♒⌛⬏☝♦◑🖬⬁ ❀ [الرعد : ٣٨ – ٣٩]، فلفظة (كتاب) تحتمل أن يُراد بها دلالتين[1] :

الدلالة الأولى: الأجل المحتوم.

الدلالة الثانية: الكتاب المكتوب.

وببيان موقعها التركيبي المتوسط بين لفظتي (أجل) و(يمحو)، نلحظ أنها استخدمت أحد مفهوميها وهو (الأمد) بقرينة دالة هي ذكر لفظ (الأجل)، أو قد تستخدم المفهوم الثاني وهو (الكتاب) بقرينة (يمحو) الدالة عليه.

ومثله قوله تعالى : ❁③♦◑✵🕯❏⑨☙&❏✍ ✂✍✍✏⅄🔔♉⇦✖♦ ☎✂❏⬅✉♦❷⬂◑⬧✍ ⬥⬥ ☎✂❏⬉✡♦✌✂♦⬈ ▤❽♦❷◑⬧▤⬅♌ ⬄⚐⬅☞✡❏🕮♦❏ ■❏🗐❏■🖬○◑♒●✍✂ ♦♌❏⬈♒❏➔◑⬧✍ ✍♦✌ ☎✂❏⬅☺■🖬⬃➔⬧✍ 🗐✍✸☹⊠○ ❁✍✍⓿♎⌛⊠♌ ❽▩❷♎✉✍♦⬉ ⬥⬧♎◑ ✍◑🖮⬉✡⬉♉ ⬥⬥♦❏

[النساء:٤٣].

يظهر أثر أسلوب (الاستخدام) في هذا التعبير عند لفظ (الصلاة) المحتمل لمعنيين[2] :

المعني الأول : فعل الصلاة، والدليل عليه قوله تعالى: ❁○⊠☹✸✍🗐 ✍⬧➔⬃🖬■☺⬅❏✂☎ ✌♦✍ ✍⬧◑➔❏●♒⬈❏♌♦❀ **[النساء : من الآية ٤٣].**

(١) ينظر : بديع القرآن : ١٠٥/٢، والبرهان في علوم القرآن : ٤٤٧/٣، والإتقان في علوم القرآن : ٨٤/٢، والوجوه والنظائر : ٦٦٨.

(٢) ينظر : الفوائد المشوق : ٢١٦ ، الإتقان في علوم القرآن : ٨٤/٢.

المعنى الثاني : موضع الصلاة، والدليل عليه قوله تعالى : ﴿⬥◆⧫◑⬥⬩ ⬉⧫◆⬧⬧⬧⧫⓶⬩⬧⓼⬩⬩⬩⓿⬩⬩⬩⬩﴾ **[النساء : من الآية ٤٣].**

فجاء استخدام (الصلاة) بلفظٍ واحدٍ، دلت عليه قرينتي السياق المحتمل معنيين مما أثرى الجانب الدلالي في التعبير القرآني.

ولو تأملنا قوله تعالى : ﴿📖❒✌◆❼✂ 📖❒✌⬂❷⬉ ✂✍✍★﴾

▫⬥☒⬥ ✍■○⬄✌◆➔⬃↗✍✍⬅■❒➔■⬅﴾ [النحل:١]، لوجدنا أن صيغة (أمر الله) مشترك لفظي لزم استعماله في دلالتين :

الدلالة الأولى : أن المراد من (أمر الله) قيام الساعة والعذاب.

الدلالة الثانية : هي بعثة النبي ﷺ.

وقد نقل السيوطي في معترك الأقران هذه المعاني بقوله : ((كما أخرج ابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿**أتى أمر الله**﴾ – قال: محمد، وأُعيد الضمير عليه في (تستعجلوه) مُراداً به قيام الساعة والعذاب))[1]

وهذا يؤكد أن قوله تعالى : (أمر الله) يراد به معنيين :

الأول : قيام الساعة والعذاب.

الثاني : بعثة النبي ﷺ.

ومن أمثلة التورية قوله تعالى : ﴿❒◆◑⬩♌⬂ ⌘⬀▦⬂✌⬈☹⬂

📖❒⬥⬥ ✍➔◑⬂○⬀⬩➲❒✂☎ ×⬩❼ ✂✍✍⬂⓿◆✋◆◔☺◆❻▤
⬥▫✍✍✍☼▤⬀⬥⬅❒✂☎ ✌◆✍ ⬥✍☢⌘ ⬂⬥▤↗☠ ✌♓⬩♊⌘
✂✍⬂✡♓⬩○❁✍✍⬩ ✌◆✦⬂♉❒⛔▤ ❒◆⚐➔▪■◔❁⊠
📖❒⬥⬥ ⌘⬀▦⬂☞⬅⚐⬄ ▫⬥☒⬩♌⬂ ☎ ❒◆⬥◔◆⬂⬩↗⊠
✍⬥➔⬂⑨⬩⬩↗❒✂☎ ▫⬥❒◆◔■⬩⑨⊠❒◔ 📖❒❒⬂ ✌◆✍
⬆✦*◆■▪◆✌ ⬂📖❒③⬂☺⊠◔✡⬉▤↗☠⬀ ▤ ❶◆◔♍⬩⌨⊠
📖❒⑩⬂❄❒❼✂ 📖❒⬥✍⬥➔⬉❒♍↗❒✂☎﴾ **[النساء:٣].**

يكشف سياق التعبير القرآني عن الرخصة في التعدد، مع التحفظ الذي قرره الإسلام عند خوف العجز عن العدل، والاكتفاء بواحدة أو بما ملكت اليمين، وقد أوحت لفظة (تعولوا) بدلالتين :

---

(١) معترك الأقران : ٢٨٦/١، وينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٨٤/٢.

الدلالة الأولى : من العول : أي الميل في الحكم إلى الجور، يُقال عال يعول عولاً : جار ومال عن الحق(١)، ويترشح هذا المعنى بتقوية قوله تعالى قبله : ﴿[illegible]﴾ والقسط هو العدل؛ لذا يكون العول مُقابلاً للعدل ومقارباً منه دلالياً، ((والعدل أجدر أن يُراعى في المحضن الذي يضم الأسرة))(٢).

الدلالة الثانية : تتمثل في توجيه بعض المفسرين للمعنى بدلالته على كثرة العيال، على أن (العول) هنا ((من عالَ الرجلُ عِيالَهُ يعولهم أي مانهم، فعبَّر عن كثرة العيال بكثرة المؤنة))(٣)، ويؤيد هذا المعنى قراءة أن تعيلوا، وهذا المعنى يؤكد أن الكثرة أيضاً مظنّة الميل والجور والعجز، وهذا هو المعنى البعيد للتورية.

فالقيمة الأسلوبية في احتمالية ورود معنيين للفظ الواحد تثري السياق القرآني بدلالات إضافية تؤكد أن كثيراً من مظاهر البديع التي وُضعت في الأصل لتزيين اللفظ تحمل في ثناياها مدلولات نفسية وإشارات معنوية تُفيد المعنى أيما فائدة، وتضفي على اللفظ بهاءً ورونقاً، ومن الملاحظ أن فاصلة الآية أدت إيقاعاً صوتياً مخالفاً للفواصل الأُخر، وهذا الموضع أحد أربعة مواضع خلاف مراعاة الفاصلة في السورة(٤).

ومثله قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾

---

(١) ينظر : لسان العرب : مادة (عَوَلَ).

(٢) في ظلال القرآن : مج١، ج٤، ص٥٨٤.

(٣) إرشاد العقل السليم : ١٤٣/٢، وقد سبق الراغب الأصفهاني أبي السعود في توضيح هذا المعنى، ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٣٥٦.

(٤) ينظر : إتحاف فضلاء البشر : ٥٠١/١.

·♍♑◗ 🗐 ☎✃☑❑⬉☪❑❹⧫🖮⧫☞⬧◘ ⬀☠➔⌛⬂⓿■🖬⧫⬉ ✦✏♐✃
♓♍❑➔🖬⍓☺⬁➔⬧✍ ♐⍓☺♑🖫 ♓♍🕭⌧🕮 ⅄✏♐✃
⌘⍓⌛♑❷❸☪✃ ﴾ [النساء: ٩٤].

يلمس التعبير القرآني هنا القلوب فينفض عنها كُلّ شائبة من طمعٍ في الغنيمة أو تسرعٍ في الحكم، أو أي هدف تبتغي به عرض الحياة الدنيا، ويتجه إلى تشريع الحدود بإقامة نظام متكامل يبين الشرائع والأحكام ويؤكد على ضرورة الالتزام بها، فقد أوحى التركيب (ضربتم في الأرض) بدلالته على معانٍ متعددة اختلفت فيها كتب التفسير، فأصل الضَّرْب في اللغة : ((إيقاع الشيء على الشيء، ولتصور اختلاف الضرب خولف بين تفاسيرها، كضَرَبِ الشيء باليد والعصا والسيف ونحوها))[1]، قال تعالى : ﴿ ⬧◘♐♐☎✃❑⇦🖫♑❸⇳⍨♐♐⬧◘ ⧫🕮⬀❑⬧◘
☎✃❑⇦🖫♑❸⇳⍨♐✃⧫❑ ⬏🕮♐❑✡⇳⬉☞❀♐✃
✌♑❁⬋⍣⬁❁♑☠⬀ 🗎➔✍❑ 🖫⧫☪⧫♐♌🗏 ﴾[الأنفال: ١٢]، وقال تعالى: ﴿ ⬧◘⮚❁❸⬁⚇⌘ ✃♐⍝❷⯑⛆🕭⬧♐⚇⬏ ﴾[محمد: ٤]، ((والضَّربُ في الأرض : الذَّهاب فيها بضربها بالأرجل))[2]، أو الخروج للجهاد في سبيل الله[3]؛ لذا فإن المعنى القريب المتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى هو الخروج في الأرض طلباً لمرضاة الله تعالى، لأي غرضٍ كان، وقد يحتمل اللفظ دلالة المعنى البعيد الذي يحتاج إلى ربط أجزاء السياق مع بعضها والبحث عن قرائن لفظية ومعنوية دالة عليه، فقوله تعالى : ﴿مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ يوحي بدلالة القتال أو الجهاد في سبيل الله، ويؤكد هذا المعنى المرشح أيضاً سبب نزول الآية[4]، ليكشف التعبير القرآني عن وحدة متكاملة توحي ألفاظها بضلال المعاني وتعددها من حيث القرب والبعد.

---

(١) المفردات في غريب القرآن : ٢٩٨.

(٢) المكان نفسه.

(٣) ينظر : في ظلال القرآن : مج٢، ج٥، ص٧٣٧.

(٤) وردت روايات كثيرة في سبب نزول الآية : منها ما أورده أبو السعود أن رجلاً من بني سليم مرَّ بنفرٍ من أصحاب الرسول ﷺ وكان يرعى غنماً له فسلم عليهم، فقالوا : لا يسلم علينا إلاَّ ليتعوذ منا، فعمدوا إليه فقتلوه، وأتوا بغنمه النبي ﷺ، فنزلت الآية تحرج على مثل هذا التصرف؛ ينظر : إرشاد العقل السليم : ٢١٩/٢.

ومن الملاحظ أن القرآن الكريم يستعمل اللفظ الواحد في مواضع متعددة، لكلِّ موضع دلالة مُغايرة عن الموضع الآخر، وبهذا يتفرد التعبير القرآني بتغليب جانب المعنى على اللفظ، يقول الجاحظ : ((إنه – أي القرآن – قد يدّلُ بالكلمة الواحدة والكلمات المختصرة على معانٍ متعددة يطول شرحها، وإذا أراد المتكلم العادي التعبير عن المعاني التي أرادها القرآن لم يصل إلى بغيته إلاَّ بلفظٍ أطول، وأقل دلالة))[(١)]، وهذا القول يؤكد ثراء معاني القرآن وتعدد استعمالها مع التأكيد على دلالاتها المتسعة والمتجددة وفقاً لمبرّرات منهجية دقيقة تُنتقى فيها الألفاظ مؤتلفة متناسبة مع معانيها؛ لتحقيق الغرض المقصود حتى كأنه ((يُخيل إليك أنك قد أحطت به خُبراً، ووقفت على معناه محدداً، ولو رجعت إليه كَرّةً أُخرى لرأيتك منه بإزاء معنىً جديد، غير الذي سبق إلى فهمك أول مرة))[(٢)]، وهذا الاختلاف أو التغاير الدلالي يرفد التعبير القرآني بخصائص وسمّات بلاغية تفرده بالإعجاز البلاغي اللغوي فكان بذلك مثالاً للبيان والتحدي.

وقد أكد باحث معاصر أن التعبير القرآني يعتمد منهجاً في اختياره الألفاظ الدالة وفقاً لمعايير أهمها : مطابقة اللفظ لمعناه بالجرس، أو بالظل، أو بالجرس والظل معاً، واصفاً هذا المنهج بأنه ((لونٌ من التناسق أعلى من البلاغة الظاهرية، وأوقع من الفصاحة اللفظية))[(٣)]، التي جعلها بعض الباحثين من مزايا القرآن، وضرب مثلاً لتوافق اللفظ مع المعنى بالظل بقوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [الأعراف: ٤٠].

---

(١) البيان والتبيين : ٩٤.

(٢) النبأ العظيم : ١٤٧.

(٣) خصائص التعبير القرآني : ٢٦٢/١.

أوضحت هذه الآية شأن المكذبين بآيات الله –تعالى– المستكبرين عن عبادته وما أُعد لهم من جزاءٍ يتناسب مع جنس العمل، فبسبب إعراضهم وكفرهم يترتب عدم دخولهم إلى الجنة فهو أمر مستحيل يصوره –تعالى– تصويراً دقيقاً بدخول الحبل الغليظ في الثقب الدقيق لآلة الخياطة، حيث أطلق لفظ (الجمل) مُراده منه معنىً ثانٍ لا يكاد يتصوره السامع وهو (الحبل الغليظ)، فقد آثر التعبير في هذا الموضع لفظ (الجَمَل) مُراداً منه لفظ (الحَبْل) لأسباب منها :

١– أن لفظ (الجمل) مشتركٌ لفظي بين الحبل والحيوان الضخم المعروف.

٢– دلالة (الجمل) أعمق وأبلغ؛ (فالحبل مهما كان غليظاً لا يبلغ ضخامة الجمل)[١]، فضلاً عن أن لفظ (الحبل) ينطوي على دلالة متفاوتة في الدقة والغلظ.

٣– لو صُرِّح بلفظ (الحبل)، لوقع في الوهم أنه الحبل الدقيق فيبتعد التصوير والتمثيل حينئذٍ عن الإستحالة، وسدِّ طريق الدخول بالكلية، أي : ((حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم فيما علم في ضيق المسلك، وهو ثقب الإبرة))[٢].

٤– لتأكيد دلالة الحرمان والشقاء لحال المكذين المستكبرين وقطع كل أمر في الرجاء، بتعظيم أمر المشبه به وندرة اطلاقه.

٥– إن للفظ (الجمل) معنىً ثانياً لا يمكن أن يدركه الخيال؛ لذا جاء التعبير بظل اللفظ الأول المقصود وهو (الحبل)، قصد الإثارة والتشويق.

الفروق الأسلوبية بين :

أولاً : التورية والتوجيه :

علمنا مما سبق أن أسلوب التوجيه يؤدي دلالة إيهام السامع بأحد الاحتمالين الموجهين حين يرد الكلام محتملاً معنيين متضادين احتمالاً مطلقاً من غير تقييد فيستعمل المتكلم أحد المعنيين ويهمل الآخر، ومرادهُ ما أهمله لا ما استعمله، ويؤكد هذا المفهوم أبو البقاء الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) في الكُلِّيات حين عبَّر عن مصطلح التوجيه بقوله : ((هو أن يبهم المتكلم المعنيين بحيث لا يرشح أحدهما على الآخر

---

(١) ينظر : خصائص التعبير القرآني : ٢٦٢/١.

(٢) إرشاد العقل السليم : ٢٢٧/٣.

بقرينة))[١]، وضرب مثلاً لقوله هذا، بيت بشار بن برد وهو يصف خياطاً أعور، مؤكداً أن معنى التوجيه المذكور هو ما جاء في عُرف البلاغيين المتقدمين الذين أنزلوه منزلة الإبهام وسموه توجيهاً.

أما التوجيه في عُرف المتأخرين : ((فهو أن يؤلف المتكلم مفردات بعض الكلام أو جملياته ويوجهها إلى أسماء متلائمات صفاتها اصطلاحاً من أسماء أعلام أو قواعد علوم، أو غير ذلك مما يتشعب لهُ من الفنون، توجيهاً مطابقاً لمعنى اللفظ الثاني من غير اشتراك حقيقي))[٢] والتوجيه بهذا المفهوم يخالف مفهوم التورية ويفترق عنها من وجهين :

الأول : أن أسلوب التورية يأتي باللفظة المشتركة، أما التوجيه فيكون باللفظ المصطلح.

الثاني : يأتي أسلوب التورية باللفظة الواحدة لا يتعداها إلى أكثر من ذلك، أما أسلوب التوجيه فلا يصلح وروده إلاّ بعدة ألفاظ متلائمة.

ثانياً : التورية والاستخدام :

كثيراً ما يلتبس أسلوب التورية بالاستخدام؛ لأنه المفهوم الأكثر قرباً من التورية، وعند تحديد الفروق الأسلوبية بين المصطلحين يتجلى هذا اللبس، فقد تأكد للبحث أن أسلوب التورية يعتمد على استعمال المعنيين في اللفظ لغرض الإيهام شريطة إهمال المعنى الآخر، والمراد من المعنيين هو البعيد، أما أسلوب الاستخدام فيعتمد على استعمال اللفظ بمعنيين معاً وبقرينتين، شريطة تحقيق إرادة المعنيين في آنٍ واحد، وهذا يجعلنا نؤكد أن المشترك اللفظي إن أُستعمل في مفهومين معاً فهو داخل في باب الاستخدام، أما إذا أُريد به أحد اللفظين مع مراعاة لمح الآخر الموهم به باطناً فهو من باب التورية[٣]، وهذا يُبين أن دلالة الأسلوبين تقترب من بعضها في جوانب مشتركة وتفترق في جوانب أُخر.

---

(١) الكُلِّيات : ٣٠١.

(٢) المكان نفسه.

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٣/٤٤٧.

وقد عبرت بعض كتب البلاغة عن أسلوب الاستخدام وفقاً لأساليب متعددة منها[١]، ما يكون فيه الاستخدام بالاستثناء، ومنها ما يكون باسم الإشارة، ومنها ما يكون بالتمييز، وفي جميع هذه الأساليب تتحقق إرادة المعنيين وفقاً لمبدأ (المشترك اللفظي) الداخل في باب (الاستخدام) شريطة مراعاة معيار (الانتباه والإلماح) للفظ الموهَم الباطن، وتوظيفه وفقاً للدلالة الأسلوبية التي يتضمنها التعبير.

المبحث الثاني : أسلوب التجريد :

أولاً : مفهوم التجريد في اللغة والاصطلاح :

التجريد من الأساليب العربية القديمة التي تداولها فصحاء العرب تداولاً فطرياً وجرى على ألسنة شعرائهم وأُدبائهم وبرز على وجه الخصوص في مطالع قصائدهم كقول أمرئ القيس[٢] :

قِفا نبكِ مِن ذكرى حَبيبٍ ومنزلِ　　　بسِقطِ اللوى بين الدَّخولِ فحوملِ

وقول الأعشى[٣] :

ودِعْ هُريرةَ إنَّ الركبَ مُرتَحِلٌ　　　وهل تُطيقُ وَداعاً أيُّها الرجلُ؟

وقول المتنبي[٤] :

لا خيلَ عندك تُهديها ولا مالُ　　　فليسعدِ النُّطقُ إنْ لم تُسعدِ الحالُ

فقد جرد الشعراء من أنفسهم أشخاصاً آخرين مثلهم في الصفة، وأخذوا بمخاطبتهم، بأن يجعل الشاعر نفسه في موضعٍ بديل عن شخص آخر فيمدح، ويهجو، ويصف ويعتب، ويشكو، ويرثي، وما إلى ذلك من أغراض شعرية متعددة.

وأصلُ التجريد في وضع اللغةِ : إزالة الشيء عن غيره في الاتصال، يُقال: جرّده من ثيابه فتجرد وانجرد، ومن المجاز : جرّد السيف من غمده، أي : انتضاؤه، وسيفٌ مُجرّد، كقولهم : سيفٌ عُريانٌ[٥]، قال ابن منظور (ت ٧١١هـ): ((جَرَدَ

---

(١) ينظر : بغية الإيضاح : ٢٩/٤.

(٢) وهي مطلع معلقته المشهورة، ينظر الديوان : ١١٠.

(٣) ديوان الأعشى: ٥٥.

(٤) ديوان المتنبي : ٢٧٦/٣.

(٥) ينظر : أساس البلاغة : مادة (جَرَدَ).

الشيء يجرده جرداً، وجرَّدهُ : قشره))[1]، وكُلُّ شيء قشرّته عن شيءٍ فقد جردته عنه[2] فالتجريد مأخوذٌ من النزع والتقشير وأخذ الشيء عن الشيء، ومنه قول رسولنا الكريم ﷺ: ((لا مدَّ ولا تجريدَ))[3]، وأراد بذلك النهي في حدِّ القذف وحدّ الشرب عن أن يمد صاحبه على الأرض، وأن تُجرّد عنه ثيابه عند إقامة الحدِّ عليه، ثم نُقل هذا المعنى إلى نوع من أنواع علم البيان.

أما التجريد في المفهوم الاصطلاحي فقد نقلته كتب البلاغة العربية، وأشار إليه المؤلفون في مصنفاتهم المشهورة، فقد عرّفه ابن الأثير (٦٣٧هـ) بقولهِ : ((فأما حدُهُ (التجريد) فإنه : إخلاصُ الخطاب لغيرك، وأنت تريد به نفسك لا المخاطب نفسه))[4]، وأكد أن سرَّ هذه التسمية هو الارتباط الشديد بمعناها اللغوي، ويقول ابن الأثير في وقفةٍ مع الإبلاغ بواسطة التجريد الأسلوبية، يقول ابن الأثير في وقفةٍ مع الإبلاغ بواسطة آلية التجريد الأسلوبية ((وجدتُ له فائدتين إحداهما أبلغُ من الآخرى))[5]، وهما شديدتا الارتباط بمسألة العدول الأسلوبي أو الالتفات، **الفائدة الأولى :** ((طلبُ التوسعُ في الكلام، فإنه إذا كان ظاهرهُ خطاباً لغيرك، وباطنه خطاباً لنفسك، فإنَّ ذلك من باب التوسُّع وأظنُ أنه شيء اختصت به اللغة العربية دون غيرها من اللغات))[6].

والفائدة الثانية : ((وهي الأبلغ؛ ذلك أنه يتمكن المخاطب من إجراءِ الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه، إذ يكون مخاطباً بها غيره، ليكون أعذر وأبرأ من العهدة فيما يقوله غير محجور عليه))[7].

ويلاحظ في أسلوب التجريد فضلاً عن هاتين الفائدتين مجيئه وفقاً لأغراض متنوعة تدل عليها سياقات الكلام وقرائن الأحوال منها : التوبيخ، والنصح

(١) لسان العرب : مادة (جَرَدَ).

(٢) ينظر : الكُلِّيات : ٣٣٠.

(٣) نقله ابن الأثير في المثل السائر، ولم نعثر له على سند صحيح في الصحيحين، ينظر : المثل السائر : ١٦٠/٢.

(٤) المثل السائر : ١٥٩/٢.

(٥) المثل السائر : ١٦٠/٢.

(٦) المكان نفسه.

(٧) المثل السائر : ١٦٠/٢.

والتحريض، والتعريض، والتمكن من إجراء الأوصاف على النفس؛ وبذا يتمكن التجريد من تحقيق التجاوب الخطابي بقدرتهِ الإبلاغية على حمل هذا الكم من المشاعر والأحاسيس، ثم طرحها في شكل جمالي من شأنهِ إحداث تأثيره في المتلقي بالتناسب مع طبيعة الخطاب، فتكمن بلاغة أسلوبِ التجريدِ في تحقيقهِ المبالغة وفقاً لوجود صفة في المنتزع منه، فقد بلغ من الاتصاف بها مبلغاً عظيماً إلى درجةِ أن صارَ يفيضُ بها على غيرهِ، مُثيراً الخيال بما في أقسامه من تصويرٍ وتخييلٍ وتنويعٍ وتلوينٍ في الصياغة، ولا يخفى على السامع أن مثل هذا الكلام يقعُ في النفس موقعه؛ لأن من شأن العقول التي أوقضت ونبهت أن تصغي بعناية، وعندئذٍ يقع بها الكلام بما فيهِ من تصويرٍ وتخييلٍ موقعاً حميداً.

ثانياً : أقسام التجريد وصوره :

وتأسيساً على ما ذكره ابن الأثير من فوائد يمكن تقسيم التجريد إلى قسمين:

القسم الأول : التجريد المحض :

ومعناه أن يأتي المتكلم بكلامٍ هو خطابٌ لغيره، وهو يقصد نفسه، وذلك كقول بعض المتأخرِّين في مطلع قصيدةٍ لهُ[(١)] :

إلامَ يراك المجدُ في زيِّ شاعرٍ   وقد نَحلت شوقاً فروعُ المنابرِ
كَتمْتَ بعيبِ الشِّعرِ حلماً وحكمةً   ببعضهما ينقادُ صعبُ المفاخرِ
أَمَا وأبيكَ الخير إنّكَ فارِسُ الـ   مَقال ومُحيي الدَّارساتِ الغوابرِ
وإنَّكَ أعييتَ المسامِعَ والنُّهَى   بقولك عما في بطونِ الدَّفاترِ

فقد أجرى الشاعر في هذه الأبيات الخطاب على غيرهِ، وهو يريد نفسه، ((كي يتمكن من ذكر ما ذكره من الصِّفات الفائقة، وعدِّ من عدَّه من الفضائل التائهة، وكل ما يجيء من هذا القبيل فهو التجريد المحض))[(٢)].

---

(١) وهو الشاعر المعروف بالحَيْصَ بَيْصَ : وهو أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن صيفي التميمي، الملقب بشهاب الدين، والمعروف بالحيصَ بيصَ، الشاعر المشهور، كان فقيهاً شافعي المذهب، أجادَ في الأدب ونظم الشعر مع جزالة اللفظ، وله رسائل بليغة، وكان أخبر الناس بأشعار العرب واختلاف لغتهم، توفي سنة (٥٧٤هـ) ببغداد، ودفن في الجانب الغربي في مقابر قريش، ينظر : وفيات الأعيان : ٣٦٢/٢، الفوائد المشوق : ١٦٧، والأعلام : ٨٧/٣.

(٢) المثل السائر : ١٦١/٢.

وقد خالف السكاكي ابن الأثير في إجراء هذا التطبيق على أسلوب التجريد، وعدّه من الالتفات(١)، ومن الشواهد التي قُصد بها إفادة التوسع في الكلام خاصة، ما أورده ابن الأثير من قول الشاعر(٢) :

حننتَ إلى ريّا ونَفسُكَ باعدتْ مزارَك من ريَّا وشعباكُما معاً

فما حسنٌ أن تأتي الأمرَ طائعاً وتجزعَ أنْ داعي الصبابةِ أسَمعا

وأذكرُ أيام الحمى ثمَّ أنثني على كبدي من خشيةِ أنْ تصدَّعا(٣)

بنفسي تلكَ الأرضَ ما أطيب الرُّبا وَمَا أحسنَ المُصطافَ والمتَربَّعَا

فلو اكتفى الشاعر بذكر البيتين الأول والثاني لكان الخطاب تجريدياً محضاً بليغاً، ولو استمر على هذه الحالة في الخطاب لما قُضي عليه بالتوسع، وتأسيساً على ذلك يؤول البيتان ((بأن غرضه من خطاب غيره أن ينفي عن نفسه سُمعة الهوى ومعرَّة العشق؛ لما في ذلك من الشهرة والغضاضة))(٤)، لذا جاء البيتان الثالث والرابع فأزالا هذا التأويل بانتقالهِ عن التجريد أولاً إلى خطاب النفس والتوسع في الكلام، وعلى هذا الأسلوب أي – التوسع في الكلام – ورد قول أبي الطيب المتنبي(٥) :

لا خيلَ عندكَ تُهديها ولا مالُ فلْيسعد النُّطقُ إن لم تُسعدِ الحالُ

وْاجز الأميرَ الذي نعماهُ فاجئَةٌ بغير قولٍ ونعمى القوم أقوالُ

وقد نفى ابن الأثير أن يكون في البيتين ((ما يدلُّ على وصف النفس، ولا على تزكيتها بالمديح؛ وإنما هو توسُّعٌ لا غير))(٦)، وفي هذا التوسع قبولٌ عند

---

(١) ينظر : مفتاح العلوم : ٢٩٦.

(٢) هو الصِّمة بن عبد الله القشيري من شعراء الحماسة، كان شريفاً ناسكاً عابداً غزلاً شاعراً مُقلاً من شعراء الدولة الأموية (ت ٩٥هـ)، ينظر : ديوان الحماسة : ٢٢٩.

(٣) رواية ديوان الحماسة تجعل هذا البيت أخر الأبيات التي اختارها أبو تمام جميعاً، وتورد البيت الذي بعده قبل هذا البيت بخمسة أبيات، ينظر : ديوان الحماسة : ٢٢٩.

(٤) المثل السائر : ١٦٢/٢.

(٥) هذان البيتان من مطلع قصيدة يمدح فيها أبي شجاع فاتكا الإخشيديّ بمصر، وهي من غُرر شعره، بنى مطلعها على التوسع في الخطاب بمدحِ فاتك بالابتداء بالوصل قبل المدح، ديوان المتنبي : ٢٧٦/٣.

(٦) المثل السائر : ١٦٢/٢.

السامع وتطريةٌ لنشاطه، وتقوية لإدراكه الحسي في تخيل ما يمكن أن يتوقعه بالعدول عن أسلوبٍ إلى آخر.

القسم الثاني : التجريد غير المحض :

أما القسم الثاني من أقسام (التجريد) التي ذكرها ابن الأثير هو (التجريد غير المحض) ويُراد به : ((خطابٌ لنفسك لا لغيرك))(١)، ونتسائل هنا إذا كان الخطاب موجهاً للنفس مباشرةً ولا يحمل في طياته أي عدولٍ أو انتزاعٍ أو تجريدٍ، فكيف يُنسب لأسلوب التجريد، وما الفرق بين هذا القسم وبين الذي قبله؟

ذكر أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) –رحمه الله–(٢) : إنَّ العربَ تعتقد أنَّ في الإنسان معنًى كامناً فيه كأنه حقيقته ومحصوله، فتُخرج ذلك المعنى إلى ألفاظها مجرّداً من الأنسان كأنه غيره، وهو هو بعينه، نحو قولهم : ((لئن لقيتُ فُلاناً لتقلينَّ به الأسد، ولئن سألتهُ لتسألنَّ منهُ البحر، وهو عينه الأسدُ والبحر))(٣)، وقد أجاب أبو علي الفارسي بهذا القول عن استفهامنا في كيفية احتمال نسبة كلام النفس المباشر لأسلوب التجريد، مؤكداً أن الإنسان قد يخاطب نفسه، ويخيل إليه أنه يُقاول غيره، وبذلك ((لمس أبو علي الفارسي جانب القضية الفني))(٤)، وهنا يتضح الفارق الدلالي بين القسمين، فالتجريد المحض فصل واضح للمتكلم عن المخاطب بالعدول عن التصريح بالحقيقة إلى ما يقاربها وفقاً لإجراءات تنويع الخطاب واستهداف معاني محددة مقصودة تستدعي انتباهاً خاصاً لدلالتها المستمدة من قيمة الانتزاع الأسلوبية،

---

(١) المكان نفسه.

(٢) هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي الفسوي، كان إمام زمانه في علم النحو، صاحب كتاب (الإيضاح في النحو) و(الحجة) في القراءات، جرت بينه وبين أبي الطيب المتنبي مجالس، وصحب عضد الدولة حتى قال عنه : أنا غلام أبي علي في النحو، ولد سنة (٢٨٨هـ)، وتوفي ببغداد سنة (٣٧٧هـ)، ينظر : وفيات الأعيان : ٨٠/٢.

(٣) الخصائص : ٤٧٦/٢، والمثل السائر : ١٦٤/٢.

(٤) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور : ٤٨٦.

وتسهم في تطوير الدلالة بالمحافظة على أساليب توصيل الخطاب والإبانة والإفصاح عنه، ومثَّل ابن الأثير لهذا القسم من أقسام التجريد بقول الشاعر[١] :

أقولُ للنفسِ تأساءً وتعزيةً إحدى يديَّ أصابتني ولم تُرِدِ

كلاهما خَلَفٌ من فُقدِ صاحِبِهِ هذا أخي حين أدعُوهُ وذا ولِدِيَ

وهنا نُقر لابن الأثير بالدقة والضبط والتنظير الأسلوبي لظاهرة التجريد بنوعيه، وإبراز قيمتِهِ الفنية ذات الخصوصية التي يقتضيها المقام على الرغم مما أخذ عليه من ادعاءات وتعليقات هشة وهبوط في قدرته على العرض الشعري، وعدم إجادته التامة في إجراء الأوصاف الفنية والصور الداخلية التي يتضمنها أسلوب التجريد وأقسامهِ، ومحاولاته الفاشلة في تشقيق جدل منطقي في ردوده على أبي علي الفارسي[٢]، ((ومع ذلك فإن مثل هذه اللمسات التي تتناول داخل البناء اللغوي وتتنبه إلى فنية التركيب الأدائي تشكل جانباً طيباً لو أُتيح لها النمو وعدم الانسراب داخل متاهات الجزيئات))[٣]،

واستطاع الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) بمقتضى تعريفه للتجريد بقوله: ((هو أن ينتزع من أمرٍ ذي صفةٍ أمرٌ آخر مثله في تلك الصفة، مبالغةً في كمالها فيه))[٤]، أن يُدعم أسلوب التجريد بأركانٍ ثلاثة :

الأول : المجرد منه : وهو الموصوف المنتزع منه أمر آخر.

الثاني : المجرد : وهو الأمر الذي انتزع من الموصوف.

الثالث : الصفة : ويُراد من بيانها المبالغة فيها.

---

(١) اختار أبو تمام هذين البيتين ونسبهما لأعرابي قَتَلَ أخوه ابناً لهُ، فقدِم إليه ليقاد منه فألقى السيف من يده، وقال الشعر مخاطباً به نفسه شاكياً متوجعاً من ألم الفراق على الأخ والابن، طلباً للتأسي وحسن الصبر، فالمخاطبُ هو المخاطب بعينه، ولا يصلح أن يكون خطاباً للغير، ينظر : ديوان الحماسة : ٣٧، وينظر : الخصائص : ٤٧٨/٢.

(٢) ينظر : فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور : ٤٨٥، وظاهرة العدول في البلاغة العربية : ١٦٥.

(٣) المصدر نفسه : ٤٨٨.

(٤) الإيضاح : ٢٧٤، بغية الإيضاح : ٣٨/٤.

إلاَّ أنه لم يُحدد أقسامه، مكتفياً بذكر أمثلة للتجريد توحي بأنه على أنواع منها ما يكون بالباء ومنها ما يكون بـ (من)، ومنها ما يكون بمخاطبة الغير، مورداً شاهداً قرآنياً وأمثلة شعرية(١)، سنأتي على تفصيل ذلك لاحقاً.

ومفهوم أسلوب التجريد أسبقُ من القزويني بكثير(٢)، وشواهدهُ سبق إليها ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في الخصائص(٣)، وهي الشواهد التي تكررت في الكتب البلاغية في حديثهم عن أسلوب التجريد، إلاَّ أن البحث وَجَدَ أن القزويني قَرَنَ التجريد بالمبالغة المقبولة وجعلها وسيلةً من وسائل التجريد، وتبعهُ في ذلك شراحه(٤)، ولم يجد البحث أحداً من البلاغيين سارَ على نهج القزويني في إيجاد علاقةٍ بين (التجريد) و(المبالغة)، وبذلك نؤكد أن التجريد مصطلحاً يُحقق توازناً بين أمرين من خلال انتزاع صفة من أحدهما وإجرائها للآخر في نوعٍ من المبالغةِ، فقد ينفصل المتكلم عن ذاتهِ أحياناً ويتخذُ منها آخر يخاطبهُ ويحاورهُ، أو يجادلهُ ويسأله، أو يمدحهُ ويعظمهُ، فهو بذلك يأتي لإفادة المبالغة، وذلك لإدعاءكمال الصفة في أمرٍ ما، حتى كأنه بلغَ من الاتصافِ بها مبلغاً يصحُ معهُ أن يُنتزع منهُ موصوفٌ آخر متصفٌ بتلك الصفة، وبذلك يمكننا القول أن مبحث التجريد، ينسبُ في تراث المتقدمين الى أبي علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) وتلميذه ابن جني (ت٣٩٢هـ) إذا انتهى

---

(١) ينظر : الإيضاح : ٢٧٥، وبغية الإيضاح : ٤٠/٤.

(٢) ذكر سيبويه (ت ١٨٠هـ) في باب (ما يختارُ فيه الرفع ويكون فيه الوجه في جميع اللغات)، قال : ((ولو قال : أمَّا أبوك فلك أبٌ، لكان على قوله : فَلَكَ بهِ أبٌ أو فيه أبٌ، وإنما يريد بقولهِ: (فيه أبٌ) مجرى الأب على سعةِ الكلامِ، وليس إلى النصب ههنا سبيل))، الكتاب : ٣٩٠/١.

(٣) أفرد ابن جني (ت ٣٩٢هـ) للتجريد باباً يقول فيه ((اعلم أن هذا فصل من فصول العربية طريقٌ حسن، ورأيت أبا علي –رحمه الله– به غرياً معّنيا ولم يفرد له باباً؛ لكنه وسمه في بعض ألفاظهِ بهذه السمة، فاستقريتها منه وأنقت لها. ومعناه أن العرب قد تعتقد أن في الشيء من نفسه معنى آخر كأنه حقيقته ومحصوله. وقد يجري ذلك إلى ألفاظها لما عقدت عليه معانيها. وذلك نحو قولهم : ((لئن لقيت زيداً لتقلين منه الأسد))، و((لئن سألته لتسألن منه البحر))، الخصائص : ٤٧٣/٢، وقد ذكر الدكتور أحمد مطلوب أن أبا علي الفارسي من أوائل الذين تعرضوا لهذا الأسلوب وسمّاه تجريداً، ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٤١/٢، وتبع الدكتور أحمد مطلوب في هذا التصريح الدكتور منير السلطاني، ينظر : البديع تأصيل وتجديد : ١٧٤.

(٤) ينظر : بغية الإيضاح : ٤١/٤، شروح التلخيص : ٣٦٨.

اليهما الدلالة على مفهومهِ وترسيخ قواعدهِ وبيان أثره الأسلوبي في توجيه الدلالة وتحديد موقعها، فكان جدهما طريقاً ممهداً يفتح المجال خصباً لمن جاء بعدهم.

ومن خلال تتبع شواهد التجريد في القرآن الكريم يستوقفنا قوله تبارك وتعالى :

﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [**فصلت : ٢٨-٢٩**].

بين الحقُّ تعالى في هذه الآية سنته في الخلق الذين يعرضون عن دين الهدى والإسلام، وأخبر مؤكداً أنه سيذيق الذين كفروا عذاباً شديداً يوم القيامة ويجزيهم بحسب أقبح سيئاتهم التي كانوا يعملون، وذلك الجزاء المتوعد هو جزاؤهم العادل، النار في دار الخلد والإقامة الدائمة، فالتجريد ظاهرٌ في قوله تعالى :

﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾

أي : لهم في جهنم، وهي نفسها دار الخلد بالنسبة إليهم؛ لكنه سبحانه وتعالى انتزع من جهنم داراً أُخرى مثلها في الصفة هي دار الخلد، يعذبُ فيها الكفار والمنافقين وجعلها معداً لهم، مبالغةً في وصف شدة العذاب الذي سيلاقيه أعداء الله، وكأنهم سيُعذبون في دارين، الأولى : جهنم الحقيقية، والثانية : جهنم التي انتزعت من جهنم الأولى، مبالغةً في التهويل والتعظيم لأمرها الشديد.

وقد علَّق عبد القاهر الجرجاني على هذه الآية بقوله : ((والمعنى: -والله أعلم- أنَّ النار هي دار الخلد، وأنت تعلم أن لا معنى ههنا لأن يُقال : إن النار شُبهت بدار الخلد، إذ ليس المعنى على تشبيه النار بشيء يسمى دار الخلد، كما تقول في زيد: إنه مثل الأسد، ثم تقول : هو الأسد، وإنما هو كقولك : ((النار منزلهم

ومسكنهم))[١]، وبذلك أخرج عبد القاهر الجرجاني أسلوب التجريد من باب الاستعارة؛ لأنهما في الحقيقةِ لا يجريان مجرىً واحدٍ، أما الزمخشري فقد أكدَّ إجراء التجريد في الآية مفسراً معناها بقوله : ((أنَّ النار هي نفسها دار الخلد))[٢] مشبهاً هذا الأسلوب بقوله : ((لك في هذه الدار دارُ السرور، وأنت تعني الدار بعينها))[٣]، في الوقت الذي ذهب فيه البقاعي إلى تفسير قوله تعالى : (دار الخلد) بأنها ((المحل المحيط بهم مع إيذانه بالدوام واللزوم وعدم الانفكاك، وهو على التجريد بمعنى : هي لهم دار خلود كما كان لهم في الدنيا دار سرور))[٤]، وذكر أبو السعود أن جملة (لهم فيها دار الخلد) ((جملة مستقلة مقررة لما قبلها، أو النار مبتدأ هي خبره أي: هي بعينها دار إقامتهم على أن (في) التجريد وهو أن ينتزع من أمر ذي صفةٍ أمرٌ آخر مثله مبالغة لكماله فيها))[٥].

وأكد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) أن التعبير القرآني في هذه الآية جاء وفقاً لإجراءات التجريد الصريحة بقولهِ : ((وهذا من أسلوب التجريد؛ ليفيد مبالغة معنى الخلد في النار، وهو معدود من المحسنات البديعية))[٦]، وهنا يتأكد للبحث أن أسلوب التجريد يعتمد على بنية التركيب الأدائي، متناولاً داخل البناء اللغوي وفنيتهِ بحيث يشكل ذلك البناء وحدة هندسية تشكيلية متماسكة تعكس ظاهر الكلام من جهة وخفاياه الباطنية من جهةٍ أُخرى.

وقد أكد ابن قيم الجوزية (ت٧٥١ هـ) أن التجريد يأتي على قسمين :

القسم الأول : هو ما جُعل تحت عنوان ((خطاب الغير والمراد به المتكلم وهو أولى بأسم التجريد، وفائدته مع التوسع في الكلام أن يثبت الإنسان لنفسه ما لا يليق التصريح بثبوته لهُ))[٧]، مُعللاً أن ذلك قد يكون فضيلة له، فأطلق عليه.

---

(١) أسرار البلاغة : ٣٣٥.

(٢) الكشّاف: ١١٢/٤.

(٣) المكان نفسه.

(٤) نظم الدرّر : ١٨٠/١٧.

(٥) إرشاد العقل السليم : ١٢/٨.

(٦) التحرير والتنوير : ٢٧٩/٢٤.

(٧) الفوائد المشوق : ١٦٧.

القسم الثاني : هو ((خطابُ المتكلم لنفسه مُخيلاً لها أنَّ معهُ غيره))[١] مستشهداً بقول الأعرابي الذي قتل أخوهُ ابنه[٢]، مؤكداً أن هذا النوع في القرآن العظيم كثيرٌ جداً، إلاَّ أنه لم يذكره في هذا الموضع، وأشار إليه في فصل تلوين الخطاب[٣]، مما يؤكد ارتباط هذه المظاهر البديعية وفقاً لعلاقات أسلوبية تعتمد على الخطاب العدولي بالخروج عن ما هو مألوفٌ في الأصل ما يُقابله إيهاماً بأن المراد هو : وقد ظهر أثر هذا الإجراء واضحاً في دليلٍ آخر من دلائل ولاية الله تعالى للمؤمنين وإخراجه لهم من الظلمات إلى النور، وتوجيه الأمر بالذكر في العديد من الوقائع المقصودة بالتذكير والتفصيل كأنها حاضرة مشاهدة عياناً ممثلة في دعاءِ سيدنا إبراهيم عليه السلام واستعطافهِ بلفظةِ (ربِّ) في قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ **[البقرة: ٢٦٠]**.

قال القرطبي (ت ٦٧١هـ) : ((الاستفهام بـ (كيف) إنما هو سؤال عن حالةِ شيءٍ موجودٍ متقرر الوجود عند السائل والمسؤول))[٤]، فأوحت دلالة السؤال في هذا التعبير تأييد شيء مُتيقن بالعيان أصلاً أُريد منه ازدياد اطمئنان قلب سيدنا إبراهيم عليه السلام فهو أثبت الناس إيماناً وأقواهم يقيناً بقدرة الله عزَّ وجلَّ، وقد جاء ضربُ المثل بالطير تخصيصاً؛ ((لأنه أقرب إلى الإنسان وأجمع لخواص الحيوان))[٥]؛ لذا جاءت

---

(١) الفوائد المشوق : ١٦٧.

(٢) ينظر : ص من المبحث.

(٣) ينظر : الفوائد المشوق : ٩٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٣١١/٤، وقد سبق أن تناول ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ) دلالة الاستفهام بـ(كيف) وإيحاءاته في التعبير القرآني، ينظر : المحرر الوجيز : ٣٥٣/١.

(٥) إرشاد العقل السليم : ٢٥٦/١.

هذه القصة دليلاً مؤذناً بقدرة الله تعالى على البعث والنشور فضلاً عن إيذانها ((بأن ترتب تلك الأمور على الأوامر الجليلة واستحالة تخلفها عنها من الجلاء والظهور بحيث لا حاجة له إلى الذكر أصلاً))[١]، وكشف الأسلوب الحواري عبر الخطاب المباشر بين الله تعالى وبين نبيهِ الخليل ﷺ عن دقةِ التعبير الدلالي واختيار اللفظ الموافق للدلالة على فضل الخليل ﷺ ويمن الضراعةِ في الدعاءِ وحُسن الأدب في السؤال، فقد طلب الخليل ﷺ ((بالسؤال تلويحاً، وأجيب بالمنع منها بوصف العزة تلويحاً))[٢]، وخُتم التعبير بأسلوبٍ تجريدي محض عَدَلَ فيه عن قولهِ تعالى : (وأعلم أني عزيزٌ حكيم)؛ إقتضاءً لما يتطلبه السياق القرآني من استكمال أوجه الخطاب والمحاورة، وجُرِّد التعبير بانتزاع الكلام مخالفةً لمقتضى الظاهر فقال تعالى : ﴿□◆✂☞✍➘⬀■☠⬁ 🕮□♌□ ✂☞✍⅄ ⬉◆⑩✍③⑧➘ ❍⬔▤⬂➚☹⋖﴾ تأكيداً على أنه سبحانه غالبٌ على أمره لا يعجزه شيء عما يريده، ذو حكمةٍ بالغة في أفعالهِ.

ونظيرهُ قوله تعالى : ﴿▫◆⬁■☺●☞✍ ✍◆⌨◆✓□▫✂ ♋◆❍⬅⓵ ♎◆☞✌◆ 🕮□⬉⇕⬁■☠⬉ 🕮□♌□ ✂☞✍⅄ ⬉◆✍■❼🗐 🗎➔✍♏✍ ★☒✍⇔➚🕮 ♎◆⑨✍③❷☒﴾ [البقرة : ٢٥٩]، بوصل الألف على قراءة حمزة والكسائي، وهنا يحمل لفظ (أعلم) وجهين[٣]:

الأول : قال له الملك : أعلم، أي أمرهُ بالعلم والتثبت.

الثاني : هو أن يُنزل نفسه منزلة المخاطب الأجنبيِّ المنفصل، وعلى أساس ذلك يكون المعنى : ((فلما تبين له قال لنفسه : أعلمي يا نفس هذا العلم اليقين الذي لم تكوني تعلمين معاينةً))[٤]، والمعنى الثاني هو الأدق ((وهو جائز حسن))[٥].

ثالثاً : فاعلية التعبير بالتجريد في المظهر البديعي :

---

(١) إرشاد العقل السليم : ٢٥٧/١.

(٢) نظم الدّرر : ٧٢/٤.

(٣) ينظر : المحرر الوجيز : ٣٥١/١، الجامع لأحكام القرآن : ٣٠٨/٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٣٠٨/٤.

(٥) المصدر نفسه : ٣٠٩/٤.

يحقق أسلوب التجريد فنية التركيب الأدائي بين أمرين عن طريق الانتزاع لصفةٍ ما وإجرائها على الآخر في نوعٍ من المبالغةِ، يقولُ ابن جني : ((أعلم أن هذا فصل من فصول العربية طريفٌ حسنٌ))[1]، وكما هو واضحٌ من المظاهر التي جاء عليها هذا الفن أنه ليسَ مجرد تفنن في طريق القول وتنويع له بالانتقال من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ ومن صيغةٍ إلى أخرى؛ ولكنه إلى جانب ما سبق قَصَدَ إلى معانٍ وأغراض حين يأتي بالكلامِ ظاهرهُ خطاباً لغيرك وأنت تريده خطاباً لنفسك، فتكون قد جرّدت الخطاب عن نفسك، وخصصته لغيرك، وهذا يؤكد أن التجريد بأنواعهِ المتعددة يُعين المتكلم على تأدية المعنى بطرائق وأساليب متنوعة، وكذلك يُتيح له مدحَ نفسه وخطابها وإيجاد القبول من السامعين؛ لانتزاعهِ من نفسه شخصاً آخر يمدحه ويُثني عليه والسامع يُصغي إلى ذلك فيرحب به نظراً لأن المدح في ذهنه لغير المتكلم فلو كان العكس من ذلك بأن يقع المدحُ مباشرةً دون تجريد فإنه في هذه الحال يكون ثقيلاً على الناس وترفضه الأسماع، ولا تصغي إليه؛ بل يُقابل بالتجاهل نظراً لتيقنهم من غرور المتكلم وافتتانهِ وإعجابه بنفسه، وهذا ما تمجه الفطرة السليمة.

ففي التجريد نلمحُ إثراء للمعاني وتوسيعاً لها، ومبالغةً في الصفة التي يُراد إثباتها للمتكلم أو المتحدث عنهُ فيتمكن بذلك من إجراء الأوصاف المقصودة من مدحٍ أو غيرهِ على نفسهِ إذ يكون مخاطباً بها غيره فيكون ذلك أعذر لهُ، فالمبالغة في وجود الصفة في المنتزع منه إثارةً للخيال وتنشيطاً للأذهان وتنبيهاً للعقول بما في أساليب هذا اللون البديعي من تصويرٍ وتخييل وتوسيع في الصياغةِ، ولا يخفى على السامع أن مثل هذا الكلام يقع في النفس موقعه؛ لأنه من شأن العقول التي أوقضت وتنبهت أن تصغي بعناية، وعندئذ يقع بها الكلام بما فيه من تصوير وتخييل موقعاً ملائماً، وبذلك يُحقق أسلوب التجريد انسجاماً تاماً وإحكاماً للصياغة اللغوية يبدو أثرها الجلي في دقة التأليف وسبك النظم وتوافق الألفاظ مع المعاني إبرازاً لبلاغة الكلمة العربية عموماً والقرآنية على وجه الخصوص.

---

(١) الخصائص : ٤٧٥/٢.

ومن اللافت أن هناك علاقةً واتصالاً يمكن إدراكهُ بين أسلوب التجريد وأسلوب الالتفات من خلال تتبع الأثر الفني والأسلوبي والدلالة اللغوية للمصطلحين، وإلى هذا المعنى أشارت العديد من الدراساتِ البلاغية الحديثة، من أبرزها ما جاء في كتابِ فلسفةِ البلاغةِ بين التقنية والتطور حيث أكد الدكتور رجاء عيد أن ((ما نذكر لهُ – أي ابن الأثير – حُسن فهمهِ لما عُرف بمصطلح (التجريد) عندهُ وهو قريبٌ من الالتفات، وحبذا لو تمكن البلاغيون من ضمِّ شتات هذه المتفرقات لتعطي مصطلحاً واحداً))[1]، وأكد الدكتور رجاء عيد على أن التجريد صورةٌ فنيةٌ متمثلة بالحوارِ الداخلي فهي ألصقُ بذاتِ الفنانِ وأدلُ على التصاقهِ الفني والنفسي بأدائهِ الفني[2].

ومن هنا يمكننا القول إن مصطلح التجريد يرتكزُ على بنية التركيب الأدائي متناولاً داخل البناء اللغوي وفنيته بحيث يكون ذلك البناء وحدة متآلفة وهندسة تشكيلية، تأمل قوله تبارك وتعالى : [illegible] [آل عمران: ١٩٠].

ذَكَرَ الله سبحانه وتعالى في هذه الآية كل ما يدّل على غناه، وافتقار العباد إليه، وما يدّلُ على ربوبيته لخلقهِ، وتدبيره لحياتهم وتصرفهِ في أمورهم، ففي إيجاد السموات والأرض من العدم، وفي اختلاف الليل والنهار بالطول والقصر والظلام والضياء، والتعاقب بذهاب هذا ومجيء ذاك، دلائل واضحات على قدرة الله تعالى، وبراهين ساطعة على ربوبيته لخلقهِ، وهي مظاهر عظيمة تبدو للناس في هذا العالم حتى يكون إيمانهم مستنداً إلى اليقين، قال الزمخشري في صفة أولي الألباب : ((هم الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار، ولا ينظرون إليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفِطَرِ))[3]، وبديع الخلق في الكون وفي النفوس، وقد

---

(١) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور : ٤٨٥.

(٢) يُنظر : المكان نفسه ، والمحسنات البديعية، محاولة لدراسة بعضها بين الصيغ والوظيفة (بحث)، د. قصي سالم علوان، مجلة الفكر العربي–بيروت، ع٣٦/حزيران ١٩٨٧، ص٤٦.

(٣) الكشّاف : ٣٩٨/١.

صُدرت الآية الكريمة بحرف (إنَّ) للاهتمام والعناية بتحقق مضمون الجملة، فقد صوّر السياق القرآني ((خطوات الحركة النفسية التي ينشئها استقبال مشهد السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار في مشاعر أولي الألباب تصويراً دقيقاً))[1]، زيادة على أنها في الوقت نفسه تمثل تصويراً إيحائياً يمنح الدلالة منهجاً في التخاطب ((فظاهر الآية أن في العالم من نفسهِ آيات، وهو عينه ونفسه تلك الآيات))[2]، وهنا يتضحُ أسلوب التجريد في اعتماده داخل البناء اللغوي، فهو توسعٌ في الكلام يمنح الصياغة اللغوية الإحكام التام والتوافق الدلالي.

ونظير ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿❼✗☒☐♌⚇☐ ♦♌♎☒☝ ♊☐☺♉♐ ▤❽♦❷⇩▤♉♎♦✎ ☐⌨♉♐◷♦❶ ☐➚⇧☺○○♐☞✂ ❼♦☰☐♐☐🕮 ☐☐☐🕮 ☐☐♦♎ ◷←○♦♐ ◆☐➔♎◆☐ ⅄☒♑☒♑⓪⓿ ﴾[ق:٣٧]. وقوله: ﴿⑥⬀③⬂❷☒●← ♉♦✳☐♒⓿☐☺⬂♐☞✂ ⌘♊♉✌ ○❻☐♦⬂☐☞✂ ⌘♊♉✌ ♉♦✳☐♒⓿☐☺⬂♐☞✂ ←●☒❷⬂③➔✌♦☐ ☐☐♉➔⚐☒❷♦③ ﴾، [الأنعام: ٩٥]، ﴿☎ ⌘☸☐→◑⬃➔♦③ ✌✂♦↗ ⇧♊♉✌ ←♈☒❷♦③♦☐ ﴾ [مريم: من الآية٦] [3].

رابعاً : أنماط التجريد وأثرها في التعبير القرآني :

ذكر الخطيب القزويني لأسلوب التجريد صوراً متعددة؛ إلاَّ أنه لم يفصل القول فيها، ولم يخضعها لضوابط قياسية تُعرف بها، واكتفى بذكر الأمثلة لسبعةِ أقسامٍ منها[4]، ووجد البحث أن ابن معصوم المدني فصَّل ذكرها بعد أن حدد معنى التجريد في اللغةِ والاصطلاح بقولهِ : ((وفي الاصطلاح أن ينتزع من أمرٍ مُتصف بصفةٍ أمرٍ آخر مثله في تلك الصفة؛ مبالغةً لكمالها فيه حتى كأنه بلغ من الاتصاف بها

---

(١) في ظلال القرآن : مج١، ج٤، ص٥٤٥.

(٢) البرهان في علوم القرآن : ٤٤٨/٣.

(٣) ينظر : تعليق الدكتور عبد الخالق عظيمة تحت باب (القراءات السبعية في رفع الجواب) والآراء التي نقلها في هذا الموضوع، ينظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم : ٣٤٣/١١-٣٤٤.

(٤) ينظر : الإيضاح : ٢٧٤، بغية الإيضاح : ٣٨/٤-٤١.

مبلغاً يصحُّ أن ينتزع منه أمر آخر موصوف بتلك الصفة))[1]، وأوضح المدني أقسام التجريد التي جمعت ما ذكره السابقون على النحو الآتي :

القسم الأول: التجريد الذي يكون بدخول (من) التجريدية على المنتزع منه.

ومما جاء في سياق هذا القسم من التجريد قوله تعالى:

﴿❐◆✃✍✍✍⬥✖⬄✎♁⅄✍✍ ⓷⬥☽➔❐⑩↗❐♍♣ ❻◆⬆✹✡❐✍✍ ⚖◚⬛⬄ ⑩♑✡❐✍✍ ✌✎♊⇳ 📖❐∞⬂❐◆⏲♉⬁☪◆✍✍ ❐◆❶➔❻♒⚣③✹⏲✍✎✡❐✍✍ ⍾➔❷▪❐■ 📖❐⇱⇳✓⇱▫📖 ❐◆✃✍✍♉⇳➔◚⬛▫✡❐✍✍ ⑩♑✎⬛▫☺←☛✹☽✐✓▫♣ ◑✎✋◆✍✍✋⏲✍✍﴾ **[الفرقان: ٧٤]**. جاء التعبير القرآني في هذه الآية وصفاً لعباد الله الصالحين المتقين، الملتزمين بدعاءه تعالى إيماناً واعتقاداً بأن السؤال باب الجواب لقوله تعالى : ﴿✃✍✍⑩⬀⇱⇱❐✻✎❼☑ 📖❐∝⬄✌◆⬈✐⬛⬄ ⑩♑◆▤↗⬛⬁﴾ **[غافر: ٦٠]**، وقد ((سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجاً وأعقاباً عُمَّالاً لله يُسرُّون بمكانهم وتقرُّبهم عيونهم))[2]، وهذه صفة للمؤمنين تُبين أثر الدعاء في منهجهم العقائدي؛ لأن ((دعاءهم هذا من أسباب جزائهم بالجنة وإن كان فيه حظ لنفوسهم بقُرّة أعينهم))[3]، فجاء دعاؤهم مُبتدءاً برزق الأزواج أولاً معطوفاً عليه الذرية؛ ((فليس شيءٌ أقرُّ لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله))[4] إذا نشأوا نشأة إيمانية صالحة، وقد جُمع ذلك لهم في صفة قرة أعين، وكأنه قيل : (هب لنا قُرَّة أعين)، ثم جاءت صفة (القُرَّةُ) مُفسَّرةً بقولهِ : (من أزواجنا وذرياتنا)، لتؤدي الآية دلالة أن يجعلهم الله لهم قُرة أعين، هذا على احتمال أن تكون (من) بيانية، أما إذا احتمل أن تكون ابتدائية فدلالة السياق حينئذٍ تكون بمعنى : هب لنا من جهتهم ما تقرُّ به عيوننا من طاعةٍ وصلاحٍ[5].

---

(١) أنوار الربيع : ١٥٣/٦.

(٢) الكشّاف : ٣٤٥/٣.

(٣) التحرير والتنوير : ٨١/١٩.

(٤) نُقل هذا القول عن محمد بن كعب : وهو من العلماء ذوي الرأي والعقل والفكر، كانت تصدر عنه الحكمة، ويُستضاء برأيهِ في المسائل الدينية، وفيما يعن من الأمر، الكشاف : ٣٤٥/٣، وينظر : المصدر نفسه : ٣٩٦/١.

(٥) ينظر : الكشّاف: ٣٤٦/٣.

ومن الملامح الأسلوبية الواضحة في هذا التعبير عمومية الدعاء وشموليته ((وكما سألوا التوفيق والخير لأزواجهم وذرياتهم سألوا لأنفسهم بعد أن وفقهم الله إلى الإيمان أن يجعلهم قُدوةً يقتدي بها المتقون))[١]، ليبلغوا بذلك الدرجات العليا من التقوى والإيمان، وقد آثر التعبير تنكير لفظة (أعين) دون (عيون)، ملائمةً لتنكير اللفظ قبله (قُرّة)؛ ((لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيرهِ إلاَّ بتنكير المضاف إليهِ))[٢]، أي أن مقتضى السياق يوحي بدلالة هب لنا منهم سروراً وفرحاً، فضلاً عن أن المعنى المقصود هو (أعين المتقين)، وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم، وقد جوَّز الزمخشري تنكير (أعين)، لعلَّة أن المراد منها أعينٌ خاصة، وهي أعين المتقين[٣].

وقد فَسَّر البقاعي (من) في هذه الآية بقولهِ : ((فـ (من) إما أن تكون مثلها في : رأيتُ منك أسداً، وإما أن تكون على بابها، وتكون القُرَّةُ هي الأعمال))[٤]، أي : هب لنا منهم أعمالاً صالحة فجعلوا أعمالَ من يعزّ عليهم هبةً لهم، وأن لفظ (القُرَّة) مُفسراً بقوله : (من أزواجنا وذرياتنا)، وقد استحسن بعض البلاغيين أن تكون دلالة (من) في الآية ابتدائية؛ لأن (من) البيانية تشترط أن يتقدم عليها المبين، وهذا مخالف لما يتطلبه سياق (من) التجريدية[٥].

القسم الثاني: التجريد الذي يكون بدخول (في) التجريدية الداخلة على المنتزع منه.

ومن أهم تطبيقاتها في البيان القرآني قوله تعالى : ﴿⇧⑨♦◑⅄♉◉
★✐☙✁ ☞✌❑←☙◆❻ ❼✇✖ ⇗☠⇗▤♦♉◉ ♦♌♔☒✍
♦♌♔☒✍ ♊☑☺☙☙♉◉ ⊲❑◆☪❁○⊡○ ➘❑◆❑⬄☙⬆📖
♦⚐⇗❑◆⓿⇘♉◉☙✁◆❑ ⅄✐☙✁ ☎✁❑⇖♉⇗❷♦③

(١) التحرير والتنوير : ٨٣/١٩.

(٢) الكشّاف : ٣٤٦/٣.

(٣) ينظر : الكشّاف : ٣٤٦/٣.

(٤) نظم الدرّر : ٤٣٤/١٣، وأكد البقاعي أن أصل القُرّة البرد؛ لأن العرب تتأذى بالحر، وتستروح إلى البرد؛ فجعل ذلك كناية عن السرور، ينظر : المكان نفسه.

(٥) ينظر : عروس الأفراح : ٣٥٧/٤.

⧫❷⬀⌘☞◻︎◰♏︎ ⧫❷☒✍︎⬧❶⧫◻︎ ⬆︎✍︎♏︎⬏
✍︎☒✞♎︎❷❷❸☪︎⬏﴾ [الأحزاب:٢١]، لما أخبر الله تعالى عن المنافقين في غزوة الأحزاب بأحوالٍ هي غاية الدناءة، تنمُ عن جُبنٍ مفرط وتعدٍ على حدود الله – عز وجل – حتى بلغ بهم الأمر درجة تناسي رسول الله ﷺ – فأعرضوا عن مواساتهِ ومؤازرتهِ وتثبيتهِ بخلاف ما كان عليه حاله معهم حين آساهم بنفسه في الصبرِ على الجهاد، فجاء الردُّ حاسماً، أقبل عليهم إقبالاً يدُّلهم على تناهي غضب الله تعالى عليهم، فقال تعالى مؤكداً ومحققاً (لقد كان لكم) أيُها الناس كافة (في رسول الله) الذي جاء لإنقاذكم من كل ما يسوءكم، فهو أشرفُ الخلائق وهو (الأُسوة) أي القدوة العظيمة، على قراءة عاصم بضم الهمزة، وهي القراءة المشهورة[١]، ورسول الله ﷺ هو نفسه الأسوة الحسنة، لكن التعبير جَرَدَ من لفظ (رسول الله) صفة (الأُسوة الحسنة) مبالغةً في الوصف وتأكيداً عليه، وقد وجه الزمخشري الآية وجهين دلاليين[٢] :

أحدهما : أن الرسول ﷺ هو نفسه أُسوةٌ حسنة أي : قدوة، وهو المؤتسى به، كما تقول : في البيضةِ عشرون مَنَا حديد أي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد[٣].

الثاني : أن فيه ﷺ خصلةً من حقِّها أن يُتأسّى بها وتُتّبع وهي المواساة بنفسهِ، وقد أوحت صفة (الحسنةُ) بمُطلق الصبر في البأساء ((ونبه على أن الذي يحمل على التآسي به ﷺ إنما هو الصدق في الإيمان ولا سيّما الإيمان بالقيامة))[٤]، ويجري مجرى هذا القسم كل ما يكون التجريد فيه بدخول (في) على المنتزع منه، كقوله تعالى : ﴿▭○●⬅︎☠⬀ ▫︎♎︎❸🙵◻︎♏︎ ⑩◰⬏❻⬇︎ ⬏♏︎▫︎♎︎﴾ [فصلت: ٢٨]، فإن جهنم هي نفسها دار الخلد، لكن أُنتزع منها مثلها وجعل مُعّداً فيها للكفار تهويلاً لأمرها.

(١) يُنظر : الكشّاف : ٥٥٧/٣، ونظم الدّرر : ٣٢٣/١٥، وإتحاف فضلاء البشر : ٣٧٣/٢.

(٢) ينظر : الكشّاف : ٥٥٧/٣.

(٣) مَنَاً : مناً حديدٍ : كيلٌ وميزان، يثنى فيقال : منوان، الكشّاف : ٥٥٧/٣.

(٤) نظم الدّرر : ٣٢٣/١٥.

القسم الثالث: أن يأتي التجريد بدون توسط حرف، فيأتي بالأمر المنتزع على وجه يفهم من الكلام بقرائن الأحوال.

كقوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ **[الرحمن:٣٧]**. بيّن الله -جلَّ وعلا- تشقق السماء يوم القيامة في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾**[الحاقة:١٦]**، وقوله تعالى : ﴿[illegible]﴾**[الانشقاق:١]**. وقوله تعالى : ﴿[illegible]﴾**[الفرقان: ٢٥]**[1]، فقد جاءت الآية السابعة والثلاثون من سورة الرحمن مُعبرة بالوصف عن انشقاق السماء، وأنّها إذا انشقت صارت وردة كالدِّهان، أي : حمراء كلون الورد، وهنا يظهر التشبيه واضحاً حين شبه حالة انشقاق السماء بانشقاق الوردة ((والوردة تنشقُ من أعلاها حين ينفتح بُرعُومُها فيوشك أنّ هُنَّ تفطَّرنَ أن يخررن على الأرض))[2] لما فشا فيها من فسادٍ وإشراك بالله - جلت قدرته -؛ لذا قررت هذه الآية دلالة عظمة الله وجلاله في تبديل الأرض غير الأرض والسماء، بدليل قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾**[ابراهيم: ٤٨]**، فتصبح السماء من كثرة الشقوق كأوراق الوردة، وهنا نلمح في الآية تشبيهين :

---

(١) أُختلف في (تشقق السماء) هنا، و(تشقق الأرض) في سورة (ق) فمنهم من قرأها بتخفيف (الشين) فيهما، ومنهم من قرأ بالتشديد، ينظر : إتحاف فضلاء البشر : ٢/٣٠٧.

(٢) التحرير والتنوير : ٣٠/٢٥.

التشبيه الأول : تشبيه السماء بالوردة[١]، وهو تشبيهٌ بليغ، أي : كانت كوردة، ووجه الشبه شدة الحمرة الحاصل بتغير لون السماء الأزرق المعروف إلى الأبيض فيصير لونها أحمر، دليلاً على كثرة الشقوق، كأوراق الوردة الحمراء.

التشبيه الثاني : تشبيه السماء بالدِّهان[٢]، أي أن السماء تصبح كالزيت المغلي، والرصاص المُذاب من شدة هول يوم القيامة واضطراب أحوالها، ووجه الشبه هنا التموج والاضطراب.

وقد أكد الزمخشري أن في الآية أسلوب تجريد على قراءة رفع (وردةٌ)[٣]، فيصبح المعنى: (حصلت منها سماءٌ وردةٌ)، ((وهو من الكلام الذي يسمَّى التجريد))[٤]، ومن خلال معرفتنا أن لـ((الواو، والراء، والدال أصلان، أحدهما: الموافاة إلى الشيء، والثاني: لون من الألوان))[٥]؛ نؤكد أن المعنى يصبح قريباً من دلالة (وردة) على (الفرس الوِرْد) الذي تتغير ألوانه وتختلف من حالٍ إلى حال، فيُقال للكميت : وردٌ، قال ابن عباس : فكانت كالفرس الوَرْد، في الربيع كميت أصفر، وفي أول الشتاء كميت أحمر، وإذا أشتد الشتاء تصبح كميت أغبر[٦].

وقد التفت البحث إلى أن أبا حيانٍ (ت ٧٤٥هـ) في تفسيرهِ ينقل مصطلح التجريد من الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) نصاً ومثّل له بالآية الكريمة نفسها، قائلاً :

---

(١) الوردة : واحدة الورد، وهو زهر أحمر من شجرة دقيقة ذات أغصانٍ شائكة تظهر في فصل الربيع وهو مشهور، ينظر: التحرير والتنوير: ٢٦١/٢٧.

(٢) الدِّهان : بكسر الدال، جمعُ دهنٍ، يُراد به دردي الزيت، ينظر : الكشاف : ٣٢٣/٤.

(٣) وهي قراءة عمرو بن عبيد : هو من كبار المعتزلة، وفيه قال المنصور، لنسكه وحُسن سيرته :

كلُّكُم طالبُ صيدٍ غير عمرو بن عبيدٍ ، ينظر : الكشّاف : ٢٢/١ و ٣٢٣/٤.

(٤) الكشّاف : ٣٢٤/٤.

(٥) المعجم القرآني : ٧١٧/٣.

(٦) الكميت : الفرس الذي خالط حمرته صفرة، أي (الأحمر القاني) ولون الأكمت الكمتة؛ ينظر : لسان العرب : مادة (كَمَتَ)، وينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٤٤/٢٠، والدر المنثور : ١٢٧/١٤.

((وقرأ عبيد بن عمير (وردةٌ) بالرفع، بمعنى : فحصلت سماءٌ وردةٌ))[١]، وكقول الشاعر[٢] :

فلئن بقيتُ لأرحلنَّ بغزوةٍ   تَّحوي الغنائمَ أو يَموتَ كَريمُ

فالتجريد واضح في البيتِ بقولهِ (أو يموت كريمُ)، وقد أوحت لفظة (أو) هنا بدلالة (إلاَّ)، والفعل بعدها منصوبٌ بها، ويجوز رفعه عطفاً على (تَحوي)؛ لذا فإنَّ أثر التجريدُ ظاهرٌ بقرينة أنهُ عادلٌ بين احتوائهِ على الغنيمة وموت كريم، والجاري على الألسنة أن يُقال : لابُدَّ لي من الغنيمة أو الموت، فيفهم من البيت أن المراد من لفظ (الكريم) نفسه[٣]، وهنا يتبين أن المقصود من الكريم نفسه، فكأنه انتزع من نفسهِ كريماً مبالغةً في كلامهِ، لذلك عَدَلَ عن قوله : تحوي الغنائم أو أموت كريمُ، على سبيل المبالغة في تحقيق صفة الكرم والشجاعة فيه.

القسم الرابع : أن يأتي التجريد بدخول (الباء) التجريدية على المنتزع منه.

ومن أمثلة هذا القسم من التجريد قوله تعالى : ﴿✈✍♋❄◆⬟❁ ⑧♣◆❒✵☺❍❍♓♋✈ ◆❐■❒⬟❁ ♓☠◐◆❑◐⬟☺❍❍♓♋✈ ◆❑ ♓❑✱✌✎♋ ❼♈✖ ♋⬟☺⬅♑◆☪⬃❹◆❐ ♋◆✌◆❑ ❼■✍◆⬉ ▤❽◆❑◆✌⇔♋♈✈ ❍⚐➔⚐ ▯✈♋✱③❑📖 ⬀✍◆★⇔❍⬩▫ ⬅♊◐⬟☺⇳❍▪❷♓♋✈ ▤♍◔⬀❷⬟➔⬂♓♋✈ ❐❑❍♓◐ ⌘⬟⌛❑❷❸◆✈﴾ [الفرقان: ٥٩].

أوحت الآية بدلالة التذكير بما لله تعالى من عظيم القدرة وما يلزمها من شمول العلم والحكمة البالغة، ولما كان تدبير الملك أمراً باهراً، أشار الله سبحانه وتعالى إليه بأداة التراخي (ثُم)، أي شرع في التدبر لهذا الملك الذي أوجدهُ من العدم، لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، وهو القادر على كل شيء، وقد عُدل عن قول (بينهنّ) إلى (بينهما)؛ لدلالته على المراد وهو الصنفين والنوعين

---

(١) أخطأ أبو حيان في نقله للأسم، فقال : عبيد بن عمير، والصواب ما أورده الزمخشري في كشافهِ، البحر المحيط : ١٩٤/٨، وينظر : الكشّاف : ٢٢/١.

(٢) وهو قتادة بن مسلمة الحنفي، وفيه يُقسِّم لئن عاش ليقومن بغزوةٍ يحوي فيها من الغنائم ما يشاء، وإلاَّ فالموت أجدرُ به، ينظر : ديوان الحماسة : ١٣٩.

(٣) ينظر : بغية الإيضاح : ٤٠/٤، الكلِّيات : ٢٧٤.

والشيئين[1]؛ ولأن السياق يقتضي قوله تعالى : (الذي خلق السموات وخلق الأرض)، مُشيراً بلفظ (الرحمن) إلى دلالة الرفق والحضّ عليه، زيادة على أنه دليلٌ على أن رحمة الله تسبقُ غضبه، وهو يُحسن إلى من يكفره، فالأجدر بعباده التخلق بهذا الخلق العظيم، ((والحاصل أنه أبدع هذا الكون وأخذ تدبيره بعموم الرحمة في إحسانه))[2] لمن ينكر فضله ويجحد نعمته ويكفرها، ((ولما كان العلم لازماً للملك، سبب عن ذلك قوله على طريق التجريد : (فسئل به) أي بسبب سؤالك إياه (خبيراً) عن هذه الأمور وكل أمر تريده ليخبرك بحقيقتهِ ابتداءً وحالاً ومآلاً))[3].

ذكر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في قوله تعالى : ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ معانٍ وقراءات عدّة منها[4] :

أولاً : قُرِئ : فسَلْ : والباء في (به) صلةٌ (سَلْ) كقوله تعالى : ﴿♦✌❑♁⌂⊗﴾ ﴿♦🖱⬈✍🔔✁◆❑ ▯☢✁☒⓿⌂➔✍📪 ⌨✍✍★✏☞⌂⊗﴾ **[المعارج:١]**.

(فسألَ به) كقوله : اهتمَّ بهِ، واعتنى بهِ، واشتغل بهِ.

ثانياً : تكون (عن) صلةُ (فسَلْ)، كقوله تعالى : ﴿❍⚐➔⚐ ⬖♊♦⬉ ☢⓿✍⌑♦✍⬀❑♦③ ❍♊➔🖫♦★⬄○⬅☞♦♌📷 ✁☞♌📷☾❑➔✍⑩⚐⬋﴾ **[التكاثر:٨]**.

و(سألَ عنهُ) كقولهِ : بحثَ عنهُ، وفتشَ عنهُ، ونقَّرَ عنه.

ثالثاً : المعنى : فسل عنه رجلاً عارفاً يخبرك برحمتهِ.

رابعاً : أو فسلْ بسؤالهِ خبيراً كقولك : رأيتُ به أسداً، أي : برؤيتهِ.

خامساً : أو معناه (إن سألتَه وجدتَهُ خبيراً).

سادساً : أو تريد به (فسَلْ عنه عالماً بكُلِّ شيءٍ)، بأن تجعله حالاً عن الهاء.

---

(١) ينظر : جامع البيان : ٦٢٠/٥، الجامع لأحكام القرآن : ٤٥٧/١٥.

(٢) نظم الدّرر : ٤١٥/١٣.

(٣) المكان نفسه.

(٤) ينظر : الكشّاف : ٣٣٩/٣، وقرأ (فسَلْ) بالنقل ابن كثير، والكسائي، وخلف وحمزة وقفاً، ينظر : إتحاف فضلاء البشر : ٣١٠/٢.

أما القرطبي (ت ٦٧١هـ) فقد نقل قول الزَّجاج (ت ٣٣١هـ) ((المعنى : فاسأل عنه خبيراً))[١]، ممثلاً لهُ بمثال الزمخشري القرآني[٢]، وقول الشاعر[٣] :

هَلاَّ سَأَلتِ الخيلَ يا بنةَ مالِكٍ   إن كُنتِ جاهِلةً بما لمْ تعلمي

وأكد القرطبي أن جماعة من أهل اللغة أخذوا بهذا القول، مُبيناً أن (الباء) تكون بمعنى (عن)، إلاَّ أن علي بن سليمان أنكر هذا الرأي بقوله : ((أهل النظر ينكرون أن تكون (الباء) بمعنى (عن)؛ لأن في هذا المعنى إفساد للمعاني))[٤]، مستدركاً ومستشهداً بقول العرب : لو لقيت فلاناً للقيك به الأسد، والمعنى : المراد من الآية، فاسأل بسؤالك إياه خبيراً[٥]، والخبير هو الله تعالى، فنُصب على المفعول به بـ(السؤال)[٦].

والرأي الذي ذهب إليه القرطبي في قول الزجَّاج هو تخريجه على الوجه الحسن، ((وهو أن يكون الخبير غير الله، أي : فاسأل عنه خبيراً، بمعنى : عالماً به، أي : بصفاتهِ وأسمائه))[٧].

القسم الخامس من أقسام التجريد : هو أن يكون التجريد حاصلاً بدخول (باء المعية والمصاحبة) في المنتزع.

وهذا يعني أن أسلوب التجريد يأتي وفقاً لإجراء (باء) التجريد الداخلة على المنتزع، وتفيد فيه معنى المصاحبة، وهذا القسم لا يدّلُ على التشبيه[٨]، فهو خلاف القسم الرابع من أقسام التجريد؛ لأن (الباء) التجريدية فيه تدخل على المنتزع منه،

---

(١) معاني القرآن (الزجَّاج) : ٥٨/٤، والجامع لأحكام القرآن : ٤٥٨/١٥.

(٢) الشاهد هو : الآية الأولى من سورة المعارج، ينظر : الكشاف : ٣٣٩/٣.

(٣) الشاعر هو عنترة بن شداد بن معاوية بن قراد العبسي، وهذا البيت أحد أبيات معلقته المشهورة التي كانت العرب تسميها (القصيدة المذهَّبة)، ينظر : شرح ديوان عنترة : ١٧١.

(٤) معاني القرآن (النّحاس) : ٨٣٧/٢، الجامع لأحكام القرآن : ٤٥٨/١٥.

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٤٥٨/١٥.

(٦) وهذا القول مذهب ابن جبير وابن عطية الأندلسي، ينظر : جامع البيان : ٦٢٠/٥، والمحرر الوجيز : ٢١٦/٤.

(٧) الجامع لأحكام القرآن : ٤٥٨/١٥.

(٨) ينظر : بغية الإيضاح : ٣٩/٤.

لتؤدي دلالة المصاحبة، فتدّل حينئذٍ على التشبيه، ومن أمثلة هذا القسم قول الشاعر[(١)]:

وَشَوهاءَ تَعْدُو بي إلى صَارخِ الوغَى بمُستلئمٍ مِثْلِ الفَنيقِ المُرَحَّلِ[(٢)].

ويقصد الشاعر هنا أن الفرس تعدو به ومعهُ؛ لكمال استعدادها للحرب، والمراد تشبيه الفرس به أو المستلئم، فـ (الياء) في (بي) للتعدية، وفي (بمستلئمٍ) للمصاحبة؛ لأنها باء التجريد[(٣)].

القسم السادس من أقسام التجريد : هو أن يكون التجريد حاصلاً بطريق الكناية :

كقول الشاعر[(٤)]:

يا خيرَ من يركبُ المطيَّ ولا   يشربُ كأساً بكَفِّ مَّن بَخِلا

فقوله : (ولا يشرب كأساً بكفِّ من بخلا) كنايةُ عن شربهِ بكفِّ كريم، والأصل المعدول عنه أن الإنسان يشرب بكفِّ نفسه لا بكفِّ الآخرين؛ لكن الشاعر انتزع من الممدوح شخصاً كريماً يشرب الممدوح من كفهِ مبالغةً في جودهِ وكرمهِ.

القسم السابع من أقسام التجريد : هو أن يكون التجريد حاصل بطريق مخاطبة الإنسان نفسه.

في هذا النوع من أنواع التجريد يأتي الخطاب ظاهرهُ لغيرك وباطنه لنفسك، حيث يتمكن المخاطب من إجراء الأوصاف المقصودة من مدحٍ أو هجاءٍ أو رثاء أو غيرها، على نفسهِ ليتوصل بهذا الأسلوب إلى تحقيق التجاوب الخطابي عن طريق القدرة الإبلاغية لما يهدف توصيله، وهذا مستلزم مبدأ العدول والانزياح عن ما

---

(١) البيت لا يعرف قائلهُ، ورد دون نسبةٍ في بغية الإيضاح : ٣٩/٤، والكُلِّيات : ٢٧٤.

(٢) الشوهاء : الفرس القبيحة المنظر لسعة أشداقها أو لتغيرها في الحرب، وصارخ الوغى : المستغيث في الحرب، والمستلئم : لابسُ اللأمة : وهي الدرع، والفنيق : الفحل المكرم من الإبل بترك ركوبه، والمرحل : المرسل غير المربوط، ينظر : بغية الإيضاح : ٣٩/٤.

(٣) ينظر : بغية الإيضاح : ٣٩/٤.

(٤) البيت منسوب لأعشى قيس (الأعشى الكبير)، والمطي : جمع مطية وهي المركوب من الإبل، ينظر : أسرار البلاغة : ٣٣٥، وبغية الإيضاح : ٤٠/٤ ، والكُلِّيات : ٢٧٤، وقد عثرنا عليه في ديوانه : ٢٣٥.

وضعت لهُ اللغة أصلاً إلى غرضٍ ثانٍ عن طريق الانفصال عن الذات، مما يثري المعاني ويوزع المساحة الدلالية في الكلام، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ ◐♈♌□ ✗♈❼ ❶⬩◔☜☚⌨◰ ✍⬩♎☜🗎⇩❷⬧❽▤ ☜☞☺◰♊ 🗐☒♎♌⬧ ❍⬩○⬅⯀ ♎⬩◙◙▭⬩ ▯◘◘⬃ 🕮□□⬃ ☠☜☜☞◘⬩❼ ✂☞○○☺⇧➚◰ □⬧➔♎□⬧ ⅄☒♍♈❿⓪◑∅﴾[ق:٣٧]، وقوله تعالى :

﴿③⬧❷⬧☒⚐➔♉∅∅ □⬧◆③⬧❷☒♈⬅ ☝♊♊⇧ ↗⬧✂✌☝ ③⬧➔☐➔◐➔□☸⌘ ☎ □⬧✂☞⇧➔◰▫🕮⬉ ❻⬧☸♌☝ ❻⬧⬧➔➬❺✿☞﴾ [مريم:٦].

تتأكد في آيات الذكر الحكيم المتضمنة معنى التجريد إحدى مظاهر العدول الموهم في الخطاب مما يوحي بحقيقة أسلوبية تزيد من اشاعة الاحساس بمسألة الحضور والغياب في الخطاب القرآني إذ ينتزع المتكلم من نفسهِ مُعادلاً يتّحد نيابةً عنه، ليحقق ظاهرة اسلوبية معدولة عن أصل المألوف وهي (التجريد) المنطوي على قدرة إضافية توليدية ناتجة عن استعمال خلاف الأصل عدولاً عن الإجراءات الرتيبة، من خلال الكم الهائل للانفعالات التي يسقطها المتكلم من نفسهِ على من حوله، وهو يحشد لما يعتمل في صدره، ثم يُحيلها على المخاطب عبر إجراء (التجريد) وآلياتهِ القائمة على الإيهام، وكأن المتكلم يتحدث مع نفسه في مرآةٍ تعكس تقابلاً جمالياً، مستشعراً أصول المعاني العميقة في النص، وموظفاً آلية خطاب خاص يعدل فيها عن التصريح بنفسه إلى ما يقابله نيابةً.

إن الحديث عن ظاهرة (التجريد) يقودنا إلى تأكيد مفاده معرفة البلاغة العربية على مستوى النظرية والتطبيق، بمظاهر العدول والإنزياح وفقاً لتحليلات اسلوبية تبرز فيها القيم الفنية التي من شأنها الإسهام في تقوية الشعور بأدبية اللغة، وفسح الطريق امام الابداع بتوفير بدائل للواقعة الأسلوبية دفعاً للمنطقية المحضة والتكرار الرتيب، وهنا نستطيع ان نقرر انطلاقاً من المعطيات الخاصة باللغة الناتجة عن الإنفعال الصادق مع الحدث، إن أصل الكلام يقتضي الإنطلاق بلسان المتكلم، والتجريد خلاف ذلك؛ لأنه عدول عن هذا الأصل.

المبحث الثالث : أسلوبُ حُسْنُ التعليل :

مفهوم التعليلُ في اللغة والاصطلاح : التعليل: تفعيلٌ من قولهم علَّلَ ماشِيتَهُ إذا سقاها مرةً بعد مرةٍ، وعلّلتُ هذا إذا جعلت لهُ عِلةً وسبباً، وسُمي المرضُ عِلَةً؛ لأنه سبب في تغيير حال الإنسان وفسادِ صحتهِ، يُقال : فلانٌ يُعِلّل نفسه بتعلةٍ : وتعلَّلَ به أي تلهى بهِ وشغل نفسه بما يُعللها(١).

أما في اصطلاح البديعيين : فهو أن تقصدَ إلى حكم من الأحكام، فتراهُ مستبعداً من أجلِ ما اختص بهِ من الغرابةِ واللطفِ والإعجاب أو غير ذلك، فتأتي على جهةِ الاستطرافِ بصفةٍ مناسبةٍ للتعليل فتدّعي كونها عِلَّةً للحُكم لتوّهم تحقيقه وتقريره نهاية التقرير؛ لغرض إثباتِ الشيء مُعلَلاً آكد في النفس من إثباته مجرداً عن التعليل(٢)، وبمعنى آخر فإنّ (حُسْن التعليل) هو أن يُدَّعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي، شريطة أن يكون هذا الاعتبار دقيق لا يدركه إلاّ من له تصرف في دقائق المعاني ووجه حسنه إظهار ما ليس بواقع متخيلاً(٣)

ففي ذكر العلة تقريرٌ للشيء وتأكيدٌ لهُ وتحقيقٌ في النفسِ لا يتأتّى في حالةِ تجرد القولِ من التعليل، وهذا يعني أن المراد بحسن التعليل هو ذكر حكم واقع أو متوقع؛ يُقدِم المتكلم على اساس هذا الذكر علة وقوعه؛ لكون رتبة العلة أن تقدم على المعلول مما يؤكد أن اسلوب (حُسن التعليل) ينطوي على ادعاءِ لوصفِ علَّة مناسبة نحو قوله(٤) :

لو لم تكن نِيةُ الجوزاءِ خِدمَتَهُ   لمَا رأيتَ عليها عِقدَ مُنتَطِقِ

فالشاعر اراد أن يثبت وصفاً غير ثابت وغير ممكن ايضاً، وهو نية الجوزاء خدمة الممدوح؛ لأن النية لا تكون إلا ممن عقلَ وأدركَ، فأراد الشاعر أن يثبت هذه النية لعلّةٍ تخييلية لطيفة هي أن الجوزاء منتطقة، أي شادة النطاق على وسطها كحال الخادم، فنّية الجوزاء هنا خدمته ممتنعة، وهذا النوع من حُسْن التعليل يُدرج تحت أصل بيان حُسن التعليل في الوصف غير الثابت الذي أُريد اثباته وهو غير ممكن.

---

(١) ينظر: لسان العرب : مادة (عَلَلَ)، الطراز : ١٣٨/٣.

(٢) يُنظر : تحرير التحبير، ٢/ ٣٠٩؛ وبديع القرآن : ١٠٩/٢، الطراز : ١٣٨/٣، ونهاية الأرب : ٩٦/٧.

(٣) ينظر : أسرار البلاغة : ٢٧٧، الإيضاح : ٢/ ٢٧٧.

(٤) البيت في الإيضاح : ٢٨٠/٢ ورد دون نسبه وفيه أنه ترجمة بيت فارسي، وقيل هو لعبد القاهر الجرجاني ترجم به أصله الفارسي، ينظر : الإشارات والتنبيهات : ٢٥٧.

ومنه قول أبي الطيب المتنبي[1] :

ما بهِ قَتْلُ أعاديهِ ولكِن   يَتَّقِي إخلافَ ما ترجو الذّئابُ

فإن قتل الملوك أعداءَهم في العادة لإرادة هلاكهم؛ ولدفع أذاهم عن انفسهم، حتى يصفوَ لهم مُلكهم من منازعتهم، لا ما ادَّعاه الشاعر من علةٍ وهمية غير حقيقية عبّر عنها بأن طبيعة الكرم قد غلبت عليه، ومحبته أن يُصدّق رجاء الراجين بعثته على قتل اعدائه؛ لما علم أنه كلما غدا للحربِ غدتِ الذئاب تتوقع أن يتسع الرزق من قتلاهم، وفي هذا الامر مبالغة في وصف الممدوح بالجود والكرم، فضلاً عن مبالغته في وصفهِ بالشجاعة والإقدام حتى كأنه يتناهى في إظهار الشجاعة ليرعب بها الحيوانات العجْم، فترجو الذئاب أن تنال من لحوم أعدائه عند ذهابه للحرب، وقد ادعى الشاعر لوصف هذه العلة مبالغةً أُخرى في المدح، وهو أنه ليس ممن يُسرف في القتل طاعةً للحقدِ والانتقامِ، وطلباً للثأرِ، وقد عدَّ أرباب البلاغة هذا الوجه في المبالغة بإيجاد العلة المناسبة للوصف من باب (التخييل) [2].

ومن تتبع نظرات علماء البلاغةِ في هذا الفنِ البديعي نجد أنه قائمٌ على أصلِ تضمنِ القولِ ذكراً للعللِ أو الأسباب أياً كان موضعها وهذا ينافي ما اشترطه (ابن أبي الأصبع) في تعريفهِ للتعليل بتقدم العلةِ على المعلولِ [3]

واعتماداً على معايير الحُكمِ الموجِب لاقتضاء الوصف الثابتِ أو غير الثابتِ علةً، أو عدم اقتضائهِ قَسَّم البلاغيون القدماء هذا اللون من البديع إلى أربع أصولٍ ثابتة هي :

١- حُسن التعليل للوصفِ الثابتِ الذي ليسَ لهُ علّة في العادةِ، ويُراد بيان علته.

٢- حُسن التعليل للوصف الثابتِ الذي لهُ علّة غير العلة المذكورة، ويُراد بيان علّتهِ.

٣- حُسن التعليلِ للوصف غير الثابتِ الذي أُريد إثباته، وكان ممكناً.

٤- حُسن التعليل للوصفِ غير الثابتِ الذي أُريد إثباته، وكان غير ممكنٍ.

---

(١) ديوان المتنبي : ١٣٤/١، وهذا البيت من قصيدة في مدح بدر بن عمار.

(٢) ينظر : الإيضاح: ٢٧٨.

(٣) ينظر : تحرير التحبير : ٢/ ٣٠٩.

إنَّ هذه الأضرب الأربعة لحُسن التعليل لا تتعدى النظر العقلي وفكرة الممكن وغير الممكن المنطقية، وقد نبه لهذا الأمر علماء البلاغة والباحثين في علم النفس الأدبي مؤكدين أن الأسس المتبعة في تقسيم هذا الفنِ غير شمولية أو موضوعية، وعللوا زعمهم بأن (حُسن التعليل) يرتكزُ على أساس الخيال والعاطفة، وهذا مردهُ إلى التمثيل[1] والتخييل، زيادةً على التعليل العلمي الواقعي الذي يُشترط فيه الرجوعُ إلى الحقيقة أصلاً، والمزج بين التعليلين، وتأسيساً على ذلك وضع المعاصرون بُنيتهم الأسلوبية لهذا المظهر الإبداعي الفني.

ومن خلال تتبع هذا الأسلوب في التعبير القرآني وفقاً لصورِ (حُسْنِ التعليل) الأربع، نجد أن أول ما يلفتنا من تطبيقاتهِ القرآنية قولهُ تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ **[الأنفال:٦٨]**.

في سياق هذه الآية يطلعنا الحقُ تبارك وتعالى على حقيقةٍ كونية أكيدة وثابتة تتعلقُ بحكمهِ الذي سبقَ إثباته في اللوحِ، بأن لا يعاقب أحداً بخطأ، وهذا البيان الإلهي جاءَ تأكيداً وارتباطاً مع ما تقدم هذا السياق في قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ **[الأنفال:٦٧]**.

فقد سَبَقَ قضاءُ اللهِ وكتابهِ بأن لا يُغفر لأهل بدرٍ ما يفعلون، فوقاهم سبقَ قضائه فيهم ما كان يستحقه أخذهم الفداء من العذاب العظيم، فقد عرَّض القرآن الكريم في هذهِ الآياتِ من سورةِ الأنفالِ بالمسلمين لقبولهم الفدية في أسرى المعركة الأولى، وقد كَرِهَ لهم ذلك.

---

(١) يرتبط التمثيل بالتخييل؛ فهو أداة تصويرية وغايته جمالية تثير انفعال المتلقي، ينظر : المصطلح النقدي في كتب الإعجاز القرآني : ٢٢١.

في هذا السياق البديع عرَضَ القرآن الكريم الأسباب عرضاً مفصلاً مُقدماً، تَطلَّب هنا حاضراً متيقظاً لاستقبالِ الشكل اللغوي الذي يتمُّ بموجبهِ استمرارُ الحدثِ ونهايتهِ، فجاء التعليل بأحسن مظاهرهِ ليوقفنا عند قضية مهمةٍ وجادةٍ تتعلقُ بقدرة العقلِ على تقبل هذا المستوى من الصياغة من دون إفسادٍ للمطلوبِ، فالتعبير القرآني هنا يقصد الوصول إلى هذا المستوى من التعبير عن المعنى، فهو منجز بديعي يُثري القدرة التعبيرية للتراكيب اللغوية ودلالاتها، وللسياقُ دورٌ في تحديد المعنى المراد، من ذكر الأسبابِ مُقدمةً على النتائجِ والعللِ باعثاً روح التفاعل والترابط بين الدلالات اللغوية بالتنويع الذي يحرك وعي المتلقي، والإيحاء بأفكارٍ وأحداثٍ لها خصوصيتها البارزة في النظم القرآني.

ومن أبرز صور (حُسن التعليل) في التعبير القرآني ما جاء خطاباً لسيدنا شعيب عليه السلام على لسان قومهِ في قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [هود : ٩١].

فقد عبرت الآية عن تهاونهم وسخريتهم بنبي الله شعيب عليه السلام وهو تهاونٌ بالله – تعالى– فجعلوا سبب رهطهِ[1] عِلّة في سلامتهِ من قتل قومه لهُ شرَّ قتلة، فلولا هؤلاء القلة من القوم الذين اتبعوه، واحتراماً لهم واعتداداً بهم؛ لأنهم كانوا على ملتهم لا خوفاً من شوكتهم وعزتهم لما نجا شعيب من كيد قومهِ، فكان رهطه أعزُ عليهم من الله –تعالى–، ونظير هذه الآية ما جاء في سورة يونس من قوله تعالى:

﴿❑⧫◆✍☞ ☜✂♑✡❑☞❑↓ ➋❝◆✌ 🕮↑✍❑❑☪ ❑◆⧫⌚○☜⑨⌧❑☪ ▫◆☞☞⌘⇗☛◆🖬■▦→❑✂☎ 🗐 ❑◆⚈◆▫◆◆ 🖹◆🖬➋☺⌧❑⋖ ♒⌧⌨◆☽◆*♠⇕ ✍☜Ⅱ ❻○⌫)◆⊙➋①☙ 🖭◆❹⇗✡❑♑←🏳⇔ ❑☜⑩☺⌧☞ ▫☜⑩○☜ ⑥◆③⇘☞◆🖬➋▦→❑♍☙﴾ [يونس : ١٩]، فلو

وقفنا على قوله تعالى : ﴿❑◆⚈◆▫◆◆ 🖹◆🖬➋☺⌧❑⋖ ♒⌧⌨◆☽◆*♠⇕ ✍☜Ⅱ ❻○⌫)◆⊙➋①☙﴾ يؤكد هذا التعبير أن سبب بقاء الناس بعد قضاء الأمر، وسبق كلمة الله الفصل فيما فيه يختلفون، ونظير حُسن التعليل في السنة النبوية المطهرة قوله صلى الله عليه وسلم : ((لولا أخافُ أن أشِقَّ على أُمتي لأَمرتهم بالسّواك عند كلّ صلاة))[2] فخوف المشقة على الأُمة هو العلّة في التخفيف عنهم من الأمر بالسواك عند كلّ صلاة.

ومن المظاهر البديعية القرآنية التي تتكشف فيها الإشارة والتنبيه على علَّة الحكم قوله تعالى : ﴿▫◆⌛◆⑨●✌◆ ✂☞✏⅄🔔☜⇦▫☙ ←◆🖬■☺←❑✂☎ 🔔◆❑⇗◆◑ ➘⌧❷⇗❸◆ ✂☞✏⅄🔔☜⑨ 🔔☜❿☙◆ ⅋◆⇗🏳⇔ ▫◆⚲❑☼❽◆♑⇘☪◆☞ ↖◆✍■❼ ←◆🖬■☺←❑✂☎ ✂☞✏⅄🔔☜⇦×◆ ❻✍⚯⇕❽✡✂ ✍♓☜Ⅱ⌘ ✂☞♑○○☺⌧☜⇗☜ ⌫➋☺⌧☞ ✍⌧🔔✡←❑✂☎ ③◆▦⇘○❶❷→❑♌◆﴾ [البقرة: ٥٩].

فقوله تعالى : ﴿▫◆⚲❑☼❽◆♑⇘☪◆☞ ↖◆✍■❼ ←◆🖬■☺←❑✂☎ ✂☞✏⅄🔔☜⇦×◆﴾ تنبيهٌ على أن الاسم الظاهر هو السبب في الحكم، وإيثاره على المضمرِ؛ لإفادةِ الاسم الظاهر ما لا يفيده المضمر،

(١) الرهطُ : من الثلاثة إلى العشرة، وقيل : إلى السبعة، ويُطلق هذا اللفظ للتقليل، ينظر : الكشّاف : ٤٢٦/٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب السواك، حديث رقم (٢٥٢)، ص٧٤.

فضلاً عن أن التفات الذهن بسبب هذه المخالفةِ يؤدي إلى مزيد من الاهتمام، وبالتالي فهو مدعاة لاستقرار المعاني، وتمكنها في النفس أتم تمكين، فمقتضى الظاهر أن يُقال : (فأنزلنا عليهم) لعودِ الضمير على الأسمِ الظاهر المتقدم، والسرُّ في العدولِ إلى الاسم الظاهرِ هو الإشارة إلى أن ظلمهم سبب لإنزال الرّجز عليهم، سواءٌ أكان الرّجز هو العذاب، أم كُثرة الموتى فيهم، ولم يفد الضمير هذه الإفادة، فلو قيل : (فأنزلنا عليهم)، لم يفد أن سبب الإنزال هو سابقُ ظلمهم، وهذا هو السرّ البلاغي الكامن في هذا العدول[1].

ومثيلهُ قولهُ تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [البقرة:٩٨].

فقوله تعالى : (فَإِنَّ اللَّهَ) وضعٌ للظاهر موضعَ المضمرِ؛ لأن التقدير : (فهو عدوٌ) ليسبق لفظِ الجلالةِ الذي يعود عليهِ، والأثر الأسلوبي في هذه المخالفةِ هو : أن الله سبحانه وتعالى يُريد أن يُبين أن كفرهم هو سببٌ لعداوةِ اللهِ- تعالى- لهم ولو عبَّر القرآن الكريم عن ذلك بالضميرِ لم تُسْتَحصل تلك الفائدة، ففي الآيةِ دلالةٌ على أن الله- تبارك وتعالى- عاداهم؛ لكفرهم، وأن عداوة الملائكة كفرٌ، وإذا كانت عداوة الأنبياء توصل للكفرِ، فما بالُ الملائكةِ وهم أشرفُ المخلوقاتِ، والمعنى من عاداهم عاداهُ الله تعالى، وجابهه بأشدِّ العقاب[2]. وهذا مظهرٌ من مظاهرِ تشكيل البنية اللغوية بُحسن إيجاد العلّةِ للمعلول.

ومنهُ قولهُ تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [النساء:٦٤].

---

(١) ينظر : الكشاف : ١٣٤/١، وروح المعاني : ٢٦٧/١، والأسرار البلاغية في وضع الظاهر موضع المضمر : ٢٨٠.

(٢) ينظر : الكشّاف : ١٥٧/١، وروح المعاني : ١/ ٣٣٤.

ففي إطارِ المعنى العام للسياق القرآني نجد أن الصورة التعليلية تتسم بسعة الحجم في تفريعاتها مما يتطلب الوقوف عندها، ومن الطبيعي ألاَّ نَعزلَ هذا السياق عن مضمون السورة نفسه المتضمن حشداً من الأهدافِ والموضوعات على مدى أشواطٍ وأبعادٍ مترابطةٍ متتاليةٍ في نسقٍ عامٍ متكاملٍ، إحدى بُنياتهِ ومقوماته الأساسية أنه ((يقضي أن يكون للرسالةِ سلطان يُحقق المنهج، وتخضع لهُ النفوس خضوع طاعةٍ وتنفيذٍ))[1]، فالله تعالى أرسلَ رُسله ليُطاعوا بإذنهِ وفي حدودِ شرعهِ، فتكون طاعتهُ طاعة للهِ وبذلك تتأكد حقيقةً بـ (حُسْنُ التعليل)؛ لأن إرسالَ الرُسل ليس لمجرد التأثر الوجداني، وتبليغ الشعائر الدينية؛ بل لإقامة منهج ثابت لواقع الحياة وفهم الدين[2]، ففي الآية سبق وضعُ الاسم الظاهرِ في قوله تعالى :

﴿❑◆✂✓❍✍◆⇔✍◆⇘▦☒❷◆ ⚈♑✦←⚐➊

✂✍✍⚈❷▪❷✍←❑✌↖﴾ موضعَ الضمير، وهو : (واستغفرت لهم)؛ ((تفخيماً لشأن الرسول ﷺ، زيادة على ما بهِ من تعظيم لاستغفارهِ))[3]، فالسرّ البلاغي متمثلاً بالعدولِ عن الظاهر أوضحَ أثرهُ البالغ في الدلالة القرآنية.

ومما جاء في التعبير القرآني من هذا القبيل قوله تعالى في سورةِ الأنعام :

﴿❑◆✎♦⇕ ❑←⇘▪⚐➊ ✎☺●⚐⇐ ✂✍▫⇘✋♦❸◆❽▤

↖♦✍■❼ ✂✍✏★ ✍☒⓿✍✍◷✍ ❑❑✍ ✍☒⓪⊙✇⌘

✍★♦✍③♦✍✍◯✍✍▦ ▤ ⚈✡✵◯←⓵ ♦♦

③↖▦⇘✍☒← ✂✍✍⚈→⏶⚈✍☺←❑♌♦﴾ [الأنعام:21].

فقد تفرَّد صاحبُ تفسير (أولى ما قيل في آيات التنزيل) بموضعِ شاهدٍ تعليليٍّ لهُ أثرهُ الدلالي في التعبير القرآني مؤكداً في تحديده النظر المشتمل على لطف ودقّة العلّة المناسبةِ للوصفِ التي تُدعى على اعتبارٍ غير حقيقيٍ، إذ لا تكون

---

(1) في ظلال القرآن : مج2، ج5، ص696.

(2) ينظر : في ظلال القرآن : مج2، ج5، ص696.

(3) الكشّاف : 460/1، روح المعاني : 70/5، وينظر : الأسرار البلاغية في وضع الظاهر موضع المضمر (بحث)، د. محمد حمدي علي عبد العاطي، مجلة جامعة الدراسات العربية والإسلامية، جامعة الأزهر، فرع المنصورة، ع35، 1413هـ-1993م، ص288.

علّةً لهُ في الواقعِ[1]، والشاهد قوله تعالى : ﴿ ... ﴾ [النحل:٣٨]. مُعلِّقاً عليه بقولِهِ : ((وقد أردف تحقيقُ البعثِ بوجهٍ من حُسنِ التعليل يتضمن الزجرَ لهم والتبكيت على أحسنِ الوجوهِ وأجملها))[2]، فقال تعالى: ﴿ ... ﴾ [النحل:٣٩].

ومثيلهُ قوله تبارك وتعالى : ﴿ ... ﴾ [الفتح:١ – ٣].

تتوالى الآيات في سورةِ الفتح لتكشف عن مظهرٍ دلالي يتضحُ من السياقِ العام للنظمِ البديعِ في قوله تعالى: ﴿ ... ﴾ [الفتح: من الآية٤]، وقوله تعالى : ﴿ ... ﴾ [الفتح:٥].

(١) ينظر : أولى ما قيل في آيات التنزيل : ٥/ ١٣١، والبيان القرآني : ١٤٦.

(٢) المكان نفسه.

ويستمرُ سياقُ الآيات بحُسن تعليلٍ في الصياغة القرآنية في قوله تعالى :

﴿ [illegible] ﴾ [الفتح:٦] ، وقد استوقفتنا سورة الفتح وقفاتٍ تحليلية نتلمس من خلالها الآتي :

الوقفة الأولى (التأملية) :

سورة الفتح مدنية، عدد آياتها تسع وعشرون آية[١]، اظهرت منهجاً عقائدياً تربوياً متكاملاً، لكُلِّ حرفٍ فيها معنى، ولكُلِّ لفظٍ فيها دلالة، ابتدأت السورة ببشارة النبي ﷺ بالفتح الأعظم وانتشار الاسلام بعد فتح مكة، وذكرت جهاد المسلمين وبيعة الرضوان[٢] التي بايع فيها الصحابة ﵃ رسول الله ﷺ على الجهاد في سبيل الله حتى الموت، وأن الله –تعالى– قدَّم مثلهم في التوراة والانجيل، ثم ذكرت بيعة الحديبية والتنويه بشأن من حضرها.

وتحدثت السورة عن الذين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ من الأعراب والذين في قلوبهم مرض، ومن المنافقين الذين ظنَّوا الظنون السيئة برسول الله ﷺ وبالمؤمنين فلم يخرجوا معهم، زيادة على اشتمالها على حديث الرؤيا الصادقة التي رآها رسول الله في منامهِ، وحدَّث بها اصحابه ففرحوا واستبشروا وهي دخول الرسول ﷺ والمسلمين مكة آمنين مطمئنين، وكان ختامها مسكاً وهو الثناء على الرسول ﷺ وأصحابه الأطهار[٣]، ووعدهم بالجنة بقولهِ تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [الفتح:٢٩]. اشتهرت تسمية هذه

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٩/ ٢٩٤.

(٢) لتفصيل بيعة الرِّضوان وقصتها وعدد المبايعين فيها وجزاؤهم، ينظر : الكشاف : ٢٣٢/٤.

(٣) ينظر : التحرير والتنوير: ١٤٣/٢٦، وعظمة القرآن الكريم : ٤٣٦.

السورة (بسورة الفتح)، فقد قرأ النبي ﷺ يوم فتح مكة سورة الفتح، فرجَّع فيها[(١)]، وقد ورد لفظ الفتح في بعض سور القرآن الكريم[(٢)]، ولا يعرف لهذه السورة اسم غير اسمها الذي سُميت بهِ، وقد بيّن الرسول ﷺ فضل هذه السورة بقولهِ : ((لقد أُنزِلت علَّي الليلة سورةٌ لهي أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس))[(٣)] ثم قرأ : ﴿ ◑☜✡❋ ✍ ☐♦☜♦⬥⇔✡☐ ✍ ◉♦✉☐ ☐♦☝✍♦☯ ✍ ✌⑩✉♐❹☪✡✍ ﴾ [الفتح : ١].

الوقفة الثانية (المشاهد التصويرية) :

قامت سورة الفتح على لقطات متعددة في نظمها المعجز، الموجز لفظاً والجزل دلالةً إذ ان معناها يوحي بـ ((الجو الذي نزلت فيه، وتصوره أقوى تصوير، بأسلوب القران الخاص الذي لا يفصل الحوادث بترتيبها وتسلسلها؛ ولكنه يأخذ منها لمحات توجيهية وتربوية؛ ويربط الحادثة المفردة بالقاعدة الشاملة))[(٤)] فتتناول السورة لقطاتٍ من حالاتٍ ثابتة في حالات شتى من حياة المؤمنين، وتبرز نقطة الارتكاز الأصلية في هذه الحياة، ضاربةً أروع الأمثلة التي تبقى نموذجاً للأجيال، لتحقق معنى الإنسانية في أعلى الدرجات، ومن جملة ما ظهر من ملامح تصويرية دالة نرصد الآتي :

١- إكرام الله –سبحانه وتعالى- لنبيه المصطفى ﷺ بالفتح والبشرى والرؤية الصادقة.

٢- إفاضة العطاء بالمنّ والسكينة والنصر؛ ليحقق ما قدره لهم من فوزٍ ونعيم.

---

(١) رجّع فيها : أي ردد صوته تكراراً بالقراءة، والحديث في صحيح البخاري عن عبد الله بن مغفل ﷺ، ينظر : صحيح البخاري، كتاب التفسير (سورة الفتح) حديث رقم (٤٨٣٥)، ص٨٠٥.

(٢) ينظر: سورة النساء: ١٤١، وسورة المائدة: ٥٢، وسورة الأنفال: ١٩، وسورة السجدة: ٢٨-٢٩، وسورة الحديد: ١٠، وسورة الصف: ١٣، وسورة النصر: ١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحهِ، كتاب التفسير، باب تفسير (سورة الفتح)، حديث رقم (٤٨٣٣)، ص٨٠٥.

(٤) في ظلال القرآن : مج٦، ج٢٦، ص٣٣١٤.

٣- جو السورة يوحي أننا امام جماعة من المؤمنين نضج ادراكهم للعقيدة وتجانست مستوياتهم الإيمانية؛ لتنهض بتكاليف هذا الدين وفق حكمة القيادة العليا للدعوة.

٤- نتلمس فيها الصراع بين الحق والباطل، بالإشارة إلى قوة المسلمين بالقياس الى قوة المشركين، زيادة على تضمنها إشارات إلى الفتوح المقبلة وظهور الدين على العالم كلّه.

٥- تصوير حقيقة النفوس في ظل الظروف المحيطة بها على وفق منهج قرآني، جعل صفة المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات هي ظن السوء بالله وبيّن حالهم وما أعدّه لهم من عقاب، في حين صوّر قلوب المؤمنين من اصحاب الرسول ﷺ وصفاتهم بأسلوبٍ بديعٍ ابتدأ بالوشائج التي تربطهم فخصَّ منها :

اولاً : أشداء على الكفار، رحماء بينهم ((فهي الشدّة لله والرحمة لله)) (١).

ثانيا: هيأة الركوع والسجود وحالة العبادة، وهي هيئة دائمة اصلية متجددة.

ثالثاً : تصوير المشاعر الداخلية والسرائر الطامعة المتطلعة لفضل الله ورضوانه.

رابعاً : تصوير الملامح الخارجية التي تمثل حالة الخشوع الظاهرة على وجوههم في أكمل صورها.

٦- ضرب الله مثلاً للمؤمنين في التوراة والإنجيل، وبشر بهم الارض قبل أن يأتوا اليها، وصوّر هذا المثل أَروع تصوير، كزرعٍ أَخرج فراخه وورقه وما خرج حول أصوله، فهو زرعٍ نامٍ قوي خصب(٢)، فكان هذا الإخراج سبب قوله (فآزرهُ)، أي : فأحاط به عوده، فقواه وطهَّرهُ من غير نبتةٍ نبتت عنه فتضعفه(٣)، ثم سبب عن المؤازرة قوله : (فاستغلظ) اي فطلب المذكور من الزرع والشطأ الغلظ وأوجده فتسبب في اعتدالهِ واستقامتهِ (فاستوى) قوياً سوياً، قيل : ((أخرج شطأه

---

(١) في ظلال القرآن : مج٦، ج٢٦، ص٣٣٣٢.

(٢) ينظر : الكشّاف : ٢٣٨/٤.

(٣) ينظر : نظم الدّرر : ١٨/ ٣٤٣.

بأبي بكر، فآزره بعمر، فاستغلظ بعثمان، فاستوى بعليٍّ)) [١]، وقد ضرب الله – تعالى– هذا المثل لتصوير حال الإسلام منذ بدئهِ حتى ترقيه في الزيادة الى أن اصبح قوياً مستحكماً.

٧- يلمح في السورة خطوط عريضة تُشير الى أن الإسلام كُلٌّ لا يتجزأ، وشريعة ومنهاج عقائدي، وأحكام تتمثل بالعمل الصالح الخالص من شوائب الشرك جميعاً.

٨- أكدت السورة على سبيل (التخييل) أموراً تقريرية منها قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ **[الفتح : ١٠]**.

يريد أن يد رسول الله ﷺ التي تعلو أيدي المبايعين هي يدُّ الله، والله تعالى مُنزّه عن الجوارح وعن صفات الاجسام ((وإنما المعنى تقريرُ أنَّ عقدَ الميثاق مع الرسول كعقدهِ مع الله من غير تفاوتٍ بينهما)) [٢]، كقوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ **[النساء : ٨٠]**.

٩- تصوير التكريم الآلهي للرسول ﷺ والذين معهُ من المؤمنين بعد ذكر صفاتهم دليلٌ على تحقق الوعد بالمغفرة والأجر العظيم، فقد عبَّر النظم القرآني عن هذا الوعد بصيغةٍ عامة تجعلهم أول الداخلين فيها[٣].

١٠- أجملت سورة الفتح دروساً تتضمن حديثاً عن المؤمنين ومن معهم، ثم فصلّت مواضعَ الإيمانِ والإعتقاد والعمل في صورٍ مشهودةٍ تكشف عن دقة البيان

---

(١) الكشّاف :٤/ ٢٣٩.

(٢) المصدر نفسه : ٤/ ٢٢٨.

(٣) ينظر : في ظلال القرآن : مج٦، ج٢٦، ص٣٣٣٣.

القرآني وإعجازِهِ، وقد تداخلت آراء المفسرين والعلماء من أن المراد من الفتح، فتح مكة أو الحديبية أو خيبر، أو فتح الروم، وأرجح الآراء هو فتح مكة[1].

الوقفة الثالثة : عينات من الرصد الأسلوبي :

أولاً : نمط من التناسب والتقابل الدلالي

من الملاحظ ان سورة (الفتح) ترتبط بالسورة التي قبلها[2] ارتباطاً واضحاً من جهاتٍ منها :

١- إن سورة (محمد) لما أُمر فيها الذين آمنوا بقتال عدوهم في قوله تعالى :

♦✗⇦♉♎⅄✏✍✁ ❶⚐⬅☞⓿✐◑♦♋ ✁♦❶♐☒♦▫﴾
✐♋✍♦♎☒♒❷♑♋✍✁ ⌘♋⬀❸❁➤♦▫ ☎✁❒⬉❷☒▦☒✍
⇔✍➔☐⇦☺⇦☞☪♦③▫☼❒🕮 ✏✁♦❶♐◑ ✁✆❒☹☒❍
✍❒✌♐✉♦▫ ♦✍✍❒⚐◆❒⬂♋✍✁ ☎✁❒❻⑨➔⌖♦▫
﴿🕒⬈✏✁☒⑨♉▫ ✍❒✌♐◑◆❒ ⇦⑨⬀➔♦✍ ✍✌☪♦✌

[محمد : ٤]، فكانت هذه السورة حثاً على الجهاد، في حين جاءت سورة (الفتح) بشارةً للمجاهدين من أهل هذا الدين بالفوز والنصر والظفر فافتتحت هذه بقولهِ على طريق النتيجة لذلك مؤكداً اعلاماً بأنه لابُدَّ منه، وأنه مما ينبغي ان يؤكد لابتهاج النفوس[3].

٢- أُشعر الذين آمنوا بالمعونة عند وقوع الصدق في قوله تعالى :

⌘♊③♉♎⅄✏✍✁ ✍❒✌♓⑨❒♁✵🕓♦③﴾
⅄✏✍✁ ☎✁❒⇦❸⬆♈☪♦✍ ♌♐◑ ☎✁☑❒⬉☪♦✌✁◆⬈
⇳♠♐❍⌛♦☯⬉③◆❒ ⬀☠⬈✍⬂❸⬆♈☪♦③

🕮❒♎⬂⑨☒✁✌♦▤⬈✍⬀﴾ **[محمد :٧]**، استدعي ذلك تشوق النفوس

إلى حال العاقبة فعرفوا ذلك في سورة (الفتح) في قوله تعالى : ﴿◑♐☼✵✍

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٩/ ٣١٩.

(٢) السورة التي قبلها هي سورة (محمد) وهو الاسم التوقيفي لهذه السورة، أما اسماؤها الاجتهادية فهي : (سورة القتال)، و (سورة الذين كفروا)، ينظر : الكشّاف :٢١٠/٤، والجامع لأحكام القرآن : ٢٣٩/١٩، ونظم الدّرر : ١٩٤/١٨، والدُّرُّ المنثور : ٣٤٩/١٣ ، أضواء البيان : ٤٤١/٧.

(٣) ينظر : جامع البيان : ٧٠٩/٦، ونظم الدّرر : ٢٧٤/١٨.

﴿ ◻︎⬧☞⧫◆⬄✡︎◻︎𝄞 ⧫⬥❒⬥⧫⬥❑ 𝄞⬦❒◆☯︎𝄞 ⬦⓾✍︎⧫⬧❹☪︎✡︎𝄞 ﴾ [الفتح

:١] فعرّف الله –تعالى– بنبيه الكريم ﷺ بأعظم صفة لهُ.

٣- أتبع الحق–تبارك وتعالى– ما سبق بذكر بشارة المؤمنين العامة فقال :

﴿ ⧫◻︎➔♎︎◆ ⧫✌︎⧫❽✡︎◻︎🕮 ✓❽⧫🔔⅄✏︎𝄞✈︎
✈︎𝄞⬧❍⬧◻︎◻︎✡︎⓿⧫◻︎◻︎⧫ ❼⬧✗ ✍︎☺︎◻︎➔◻︎➔🔔
⧫✗✓⧫☪︎⧫✌︎⬀⧫🡐☺︎⬂⬧𝄞✈︎
⬧⓾✈︎⬀❾⌘❷⧫⬧ ☎︎✈︎◻︎🡐⓾✈︎⬔⓾ ❹☪︎✡︎𝄞 ❶⬧❸☺︎⬔⬔◻︎✌︎⬔
❶⬧❸☺︎⬔❶❄︎✍︎&✍︎⬀ ﴾ [الفتح :٤] فالتحمت هذه الآية الى

التعريف بحال من نكث من مبايعتهِ ﷺ وحكم المخلفين من الأعراب، والحض

على الجهاد، وبيان حال ذوي الأعذار، وعظِم نعمته سبحانه على أهل بيعتهِ إلى

ما ذكره –سبحانه– من عظيم نعمتهِ عليهم.

٤- تضمنت سورة (الفتح) تفصيلاً وتفسيراً لقوله تعالى في آخر سورة (محمد) :

﴿ ◻︎⧫⬧✍︎⧫♑︎⬧☪︎◻︎✈︎☎︎ ◻︎⧫✍︎⧫❾⇧⬉⬉◻︎☑︎✈︎☎︎ ❶⬧⬧❼
✈︎𝄞⬧❍◻︎⧫⬧◻︎◻︎✈︎ ◻︎⧫🕮◻︎✡︎☞🡐⚐︎❶
✈︎𝄞✿☞⬉⇧❍◻︎⬀♌︎⧫ ◻︎⧫✈︎𝄞✏︎✦ ⧫⧫➔◻︎⬀⬀
◻︎⧫⬧♊︎ ❸⧫✋︎⬧❸⧫✍︎⬀⬀⇔ 🕮◻︎⬃◻︎⧫◆❶◻︎◻︎⬀⬀ ﴾ [محمد

:٣٥]، فهذا القول أجمل عظيم ما منحهُ الله –تعالى– للمؤمنين وجليل ما

أعطاهم، وفصَّل بعد ذلك في سورة الفتح ((وهو بُعد مفهوم مما سبق من

الإشارات في الوجه الأول)) [١].

٥- يتضمن إخبار الله –تعالى– بـ (الفتح) عقب سورة (القتال) دلالة البشارة بظهور

أهل هذا الدين وإدبار الكافرين؛ لذلك علل الفتح بالمغفرة.

٦- تضمنت سورة الفتح إشارات عديدة منها :

أ- الإيماء الى أن المراد من إخراجهِ إلى دار الفناء إنما هو إظهار الدين القيم

وإزهاق الباطل.

ب- الفتح أحد العلامات المذكورة في سورة النصر، للإشارة الى تحققه وتمامه

فهو السبب الاعظم في ظهور الدين على الدين كلّه.

---

(١) نظم الدّرر : ١٨/ ٢٧٨.

٧- التقابل الدلالي الواضح في لفظتي (تقدم) و(تأخر)، وفي دلالة الدخول الى الجنة في قوله تعالى: ﴿☜♎☘⓿⬉⑨⇧⌘⬁✍•
✁☞☜♎☺⬂⬃✋⬃☪⬃✓✗♦
◻◆✁☞☜♎☺⬂⬃✋⬃✡◻⏲☼💣⬃ ♉◰☪◻⏲☼💣🖮
✋◻♑⬂❷⬓❽ ✋⬃♊ ✋◻♦⬂☺✍⬃◻☞
✁☞☼☜⬂⬃◻⏲❷⬉﴾ [الفتح :٥]، ودلالة العذاب في النار في قوله تعالى : ﴿◻◆③⬉➔◰⓿☜✍✝☙
✁☞☜♎☺⬂⬉☪◆⏲⊞⬃☽✍✓✗♦
◻◆✁☞☜♎☺⬂⬅✡◻⏲⊞⬃☽⏲•⏲☼💣⬃
◻◆✁☞☜♎☺⬂⬅⌑⇧❸⮿✍⬃✓✗♦
◻◆✁☞☜♎☺⬂⬅⌑⇧❸⮿✍⏲☒⏲☼💣⬃
✁☞⬈➔⅄☞✍☼◻⬃✓▫☙ ✋☞☞✍★ ⬅•⬀·
✁☞☜○○◻⇗⬈⬃﴾ [الفتح :٦]، وفي قوله تعالى : ﴿③◆⇔⬂⊞⬃❷⬉ ☜⬃☺◰♊ ④◻⌖◆☞✍⬈⬇
◻◆③⬉➔◰⓿☜✍◴➲ ✋◆♊ ④◻⌖◆☞✍⬈⬇﴾ [الفتح:١٤]،
وفي قوله تعالى : ﴿◻◆✋♊ ③⬉➲⬃⬈⬀ ✁☞✍⅄
◻◆❻◆☞⬅◻✍•🕮⬉⏲ ③⬉⑨⇧⌘⬁✁▫🕮⬉ ♉◰☪◻⏲☼💣🖮
✋◻♑⬂❷⬓❽ ✋⬃♊ ✋◻♦⬂☞⬃♑◰☞
✁☞☼☜⬂⬃◻⏲❷⬉ ☎ ◻◆✋♦♊ ③◆♦✍◆◻◆✌⦿
③⬉➔◰⓿☜✍✍⬀○⬅ ⬉◆⓿☒✁✍⏲☞
🕮◻☜⬃⑩☺✝☞﴾ [الفتح :١٧]، وفي قوله تعالى : ﴿🕮◻⅄⬃⑨●✁✍⬈⬇ ⬉◆✍■❼ ✁☞☜♎⬂≣⬈⊞⦿☞❻∅
❻⬇◻☒✋◆☞✍⬈⬇ ✍◆❹⬃☪◆♒⬂☠⬀ ☎﴾ [الفتح :٢٩].

٨- تناسب فاتحة السورة دلالياً مع خاتمتها؛ لأن الفتح سبب في تحقيق وعد الله -تعالى- لرسوله والذين آمنوا معهُ بالمغفرة والأجر العظيم.

٩- اتساق الفواصل القرآنية في السورة وانسجامها ولّد ايقاعاً موسيقياً ونغماً يستشعر فيه السامع الجمال الباطن قبل الظاهر.

١٠- ائتلاف اللفظ مع اللفظ واللفظ مع المعنى مراعاةً للنظائر وتشابه الاطراف.

١١- مناسبة قولهِ : (فتحنا) لعظمة الله – تعالى- التي لا تثبت لها الجبال، وتعلقها بإتقان الأسباب المنتجة له من غير شكٍ؛ لذلك عَبّرَ عنه بصيغة الماضي، وزاد

في إعظامه بقولهِ (مُبيناً) أي : لا لبس فيه، ((فهو رأس الفتوح كلها إذ لا فتح من فتوح الإسلام إلا وهو تحته ومتشعب فيه)) [١].

١٢- آثر التعبير القراني صفة (حكيم) و(عزيز) كُلّ في موضعه الذي تقتضيه دلالة المقام.

ومن مظاهر اسلوب (التعليل) التي يبرز أثرها الدلالي في التعبير القرآني ماجاء في سورة (الكوثر)[٢] من قوله تعالى : ﴿ ☽☉♍· ⅄☒✍☼♎◎♦①♒ ♎➔❑◆ ✂✍❀☞✉♂✋♦❸➔ ﴾ [الكوثر:٣]، فقد جُعلت هذه الآية علَّةً لصيغة الأمر بالصلاة والأمر بالنحر؛ فالإقبال على هذه الأوامرِ والإعراض عن الشانئ والتحقير له بصفته تعليلٌ للحكم عليه بأنه الأبتر، فضلاً عن ان إضافة لفظ (الشانئ) إلى ضمير المخاطب وعدٌ للرسول ﷺ بأن كل من يبغضك هو المبتور أبداً، أضف إلى ذلك أن (فاء) التعقيب الدالةِ على السببية الواردة في صيغة الأمرِ (فَصَلِّ) أفادت دلالة (حُسن التعليل) بجعلِ النعم الكثيرة سبباً في شكر المنعم، فترتيبُ الأوامر بالصلاةِ والنحر سبباً في تأدية شكر نعمة العطاء، ومن الملاحظ أن لفظ (لربك) الجار والمجرور محذوفٌ مع صيغة الفعل (انحر)؛ فقد عَدل عن قوله (انحر لربك) لدلالة ما ذُكر عليه، فالأمر بالصلاةِ والنحرِ إشارةٌ إلى نوعين من العبادة، الأولى البدنية المتعلقة بالصلاة، والثانية المالية المتعلقةِ بالمُلك، فقال : (وانحر).

ومن الأساليب البديعية التي يظهر أثرها واضحاً في هذهِ السورة أسلوبُ الالتفاتِ من الخطاب إلى الغيبة، فقد أُلتقط التحول البنيوي في قوله تعالى (لربّك) في صرف الكلام وانزياحهِ من الضميرِ إلى الأسم الظاهرِ، مما أحدث تغيراً دلالياً في الخطابِ المُشكل بالصورة الالتفاتية، وفي هذا الأسلوب التفاتٌ من المتكلم عن ضمير العظمة إلى خصوص الربّ، وهذا من بديع الكلام ومحاسنهِ، فخصّ الربّ؛

---

(١) الكشاف : ٢٢٦/٤.

(٢) ينظر : الفصل الأول، مبحث المقابلة.

لأنه المناسب للردِّ على زعمهم، فهو الذي يدبر أمره وما كان ليتركه، وقد تولى تربيته منذ صغرهِ، أما شانئيه فذكروا بالصفةِ لا بالاسم.

ثانياً : نمط من الايهام والتخييل :

أوحت سورة (الفتح) تضمنها دلالات تستند الى مقاييس التخييل منها :

١- تكرار صيغة الفعل (فتح) ومشتقاتهِ، للدلالة على تصوير عظم الأمر، فمن خلاله ((فتح الله له بالإسلام والنبوّةِ والدعوة بالحجة والسيف، ولا فتح أبين منه وأعظم، وهو رأس الفتوح كلها)) (١)، فقد ادت صيغة التكرار الاشتقاقي (فتحاً) أثرها الاسلوبي في توسيع المعاني وإثراء التعبير، فقد قيل : ان صيغة (فتحاً) تدلُ على أن مكة فُتحت عنوةً؛ ((لأن اسم الفتح لا يقع مطلقاً إلا على ما فُتحَ عنوةً. هذا هو حقيقة الاسم. وقد يُقال : فُتح البلد صُلحاً، فلا يفهم الصُّلح إلا بأن يُقرن بالفتح، فصار الفتح في الصلح مجازاً)) (٢) وعلى هذا الامر تدل ظواهر الاخبار الثابتة.

٢- جاء قوله تعالى: ﴿❑♌❑♓❑ ✃✍✎⅄⌂☃⇦☐☙ ❍✉⚙☼❀☺◰✍ ❍◆❑☂❍☼◇✠◰ ✍♓➔⬉❑♍❍✍ ③♦⑨← ★✍✎✃ ❑⬉◆⚙③☐⬉⑨☜⑨✋◆⬉☐◆⬉❑◆﴾[الفتح :١٠] على سبيل التخييل، فقد أكد التعبير القرآني مسألة البيعة للرسول ﷺ بتصوير يدهِ الشريفة فوق أيدي المبايعين لهُ بالولاء والنصرة، والمعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله –تعالى– من غير تفاوتٍ بينهما.

٣- تتوالى الآيات في سورة الفتح بدءً من أول آية لِتبرز أثر (حُسن التعليل) في التعبير القرآني، ((فإن قلت : كيف جعل فتح مكة علَّةً للمغفرة؟ قلت : لم يُجعل علّة للمغفرة؛ ولكن لاجتماع ما عُدِّد من الأمور الأربعة؛ وهي : المغفرة، وإتمام النعمة، وهداية الصراط المستقيم، والنصر العزيز)) (٣) وقد جوز المفسرون ان

---

(١) الكشاف : ٢٢٦/٤.

(٢) الجامع لأحكام القران : ٢٩٨/١٩، وينظر : المصدر نفسه : ٣٥٢/١٤.

(٣) الكشاف : ٢٢٥/٤.

يكون فتح مكة من حيث أنه جهاد- للعدو- سبباً للغفران والثواب، والفتح والظفر بالبلد الأمين، ومن الملاحظ أن اسلوب (حُسن التعليل) في قوله تعالى:

♦✌♦❽✡❒🕮 ✓❽♋♌⅄✏♐♑ ◆❑➔♎

✍❂❑➔🖬➔♌ ❼♈✖ ⬧❑❑✡⓿⇖▤○○♈♐♑

♦✖✓♋☪♋✎⬃⬧⬅☺⬂♈♐♑

⍓➚❑✎ ♐✡☪⏀⍓☺③♈➀ ☎♑▦❑⬅⑩♑⍓⑩⬃❾⌘❷♋♈

➀♈③☺⍓⏀✲⚐♐♑♏♐⬀﴿ [الفتح :٤] تمهيد لحسن تعليل متتالٍ في قوله

تعالى : ﴿♈♏♋⓿⇖⑨⇧⌘⇖⬩♑♐♈♌⬂☺⬅⬧⬃✎♋☪♋✓✖♦

⌨♁⏀❑☪⍓♉ ♋♁⏀❑✡♋✎⬃⬧⬅☺⬂♈♐♑◆❑

♐❑♏✍☺⬂♦❑✎ ♊♋✎ ❽⌧❷⬂♑❑✎

♐❑♏❸♋▫ ♦✖⇦♋♐♈♑⏀⍓⌘ ⇖❷⏀❑♏⬃⌧☛❁♐♑

⬄⚐⬅♑⬃☪♦⇖ ♦❷♋♏▦⌧⌛⇖③◆❑

﴾♐⬀✎⚐♏⌧☛♐♦★✎♒⑩⍓♒﴿ [الفتح :٥] ثم يتابع وفقاً لهذا

الاسلوب في قوله تعالى: ﴿♈♏♐♋✌⬅⬧⬃✎♋☪⇖❑♑☎

◷♋🕮♈✏❑⬅♒◆❻◆❑ ★✏♐♐♈✉

⬅■❑⇖❷♋♏♌◆❑➔✍◆❑ ⬅■❑⬇❻⌧♒❽⍓➔➔✍◆❑

☪❑♦❷⇩⌛⬅✉ ⬅■❑⬅⬧♈○⌨❁○➔♏◆❑

﴾◷⌧⓿♋◷❑🕮◆❑﴿ [الفتح :٩]، فقد جمعت هذه الآيات الأسباب

الموجبة لأن تجعلها علّة لما تقدمها، فإن كثيراً من الاشياء تكون لها أسباب كثيرة فيذكر بعضها مما يقتضيه المقام. أما في ختام السورة، فجاء (حُسن التعليل) واضحاً في تصوير صفات الذين آمنوا واتبعوا الرسول وتشبيههم بالزرع الذي استوى واستقام، مُعللاً سبب استقامتهِ واستوائهِ بحسن تعليل بديع في قوله تعالى:

﴾♦❻♐⦿▦➚▤⬂♈♐♑ ⇖☠♐♏♐▯ ⌧⬆⑩✍⬄♦⓿♋♈﴿

[الفتح :٢٩] ((لما دلَّ عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقِّيهم في الزيادة والقوة، ويجوز أن يُعلَّل به (وعدَ الله الذين آمنوا)؛ لأن الكفار إذا سمعوا بما أُعد لهم في الآخرة مع ما يُعزُّهم به في الدنيا غاظهم ذلك)) (١).

٤- كثر إطلاق (الفتح) على النصر المقترن بدخول ارض المغلوب أو بلده ولم يطلق على انتصار كانت نهايته غنيمة وأسر دون اقتحام أرض؛ لذا جاء النصر

---

(١) الكشّاف : ٢٣٩/٤.

معطوفاً على الفتح في قوله تعالى : ﴿✡♦⬲⇔❸≺ ✌♓♋♊⌘ ✃☞✎★ ☐♦◆▫♦✌⇗☒☒♉ ♙♦❷☒③▪☛﴾ [الصف :١٣]؛ وقد علل ابن عاشور سبب جعل النصر من معاني مادة (الفتح)؛ لأن ((فتح البلاد هو أعظم النصر، وأن النصر يتحقق بالغلبة والغنيمة)) [١].

٥- جرى التعبير القرآني في قولهِ (فتحنا) على سنن سائر الأخبار الربانية بالصيغة الموضوعة للمضي بمعنى : قدرنا لك الفتح؛ للإيذان بتحققه لا محالة تأكيداً للتبشير، ويكون هذا الاستعمال من مصطلحات القرآن؛ لأنه كلام من له التصرف في الأشياء؛ وذلك أيضاً كناية عن علوِّ شأن المخبر[٢]، كقوله تعالى: ﴿🕮☐✌♦❼✃ 🕮☐✌⬂❷⬉ ✃☞✎★ ▫♦☒• ⬋■○⇔✌♦➔⇗✗✐▪➔☐■⬅ 🗐﴾ [النحل :١].

٦- آثر التعبير القراني في سورة (الفتح) وصف النصر بـ (العزيز) على سبيل المجاز العقلي؛ وإنما العزيز هو النبي ﷺ المنصور، وقد اكد المفسرون أن النصر العزيز هو غير نصر الفتح المذكور؛ لأنه جعل علّة الفتح فهو ما كان من فتح مكة وما أعقبه من دخول القبائل العربية في الاسلام دون قتال.

٧- التصريح بذكر الاسم الظاهر؛ لأن الصراحة أدعى إلى السمع، والكلام مع الاظهار اعلق بالذهن فقال تعالى : ﴿ليغفر لك الله﴾، وقال تعالى : ﴿وينصرك الله﴾.

٨- اشتمال دلالة النصر على الاطمئنان الذي سّماه الله –تعالى– السكينة، فإنزال السكينة إيقاعها في العقل والنفس، وخلق أسبابها الجوهرية والعارضة، فأطلق على ذلك الايقاع فعل الانزال تشريفاً لذلك الوجدان بأنه كالشيء الذي هو في مكان مرتفع فوق الناس فألقي إلى قلوب الناس ((وتلك رفعة تخييلية مراد بها شرف ما اثبتت له على طريقة التخييلية)) [٣] فالله تعالى قد علم أن السكينة إذ

---

(١) التحرير والتنوير : ١٤٣/٢٦،

(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم : ١٠٣/٨.

(٣) التحرير والتنوير : ١٥٠/٢٦.

حصلت في قلوب المؤمنين رسخ إيمانهم؛ فجعل ذلك الازدياد كالعلة لإنزال السكينة عليهم.

٩- أطلق التعبير القرآني لفظ (الجنود) على أسباب النصر؛ تشبيهاً لأسباب النصر بالجنود التي تقاتل وتنتصر، وجاء هذا على سبيل الإيهام والتخييل.

١٠- ذكر التعبير القرآني المؤمنين مع المؤمنات؛ دفعاً لتوهم أن يكون الوعد بدخول الجنة مختصاً بالرجال، والمراد بإدخالهم الجنة الإدخال الخاص وهو إدخالهم منازل المجاهدين وليس الإدخال الذي استحقوه بالإيمان وصالح الأعمال الآخرى؛ لذلك عطف عليه قوله : (ويكفر عنهم سيئاتهم).

١١- الحديث عن جنود الله في معرض ذكر نصر الله يقتضي لا محالة فريقاً مهزوماً بتلك الجنود وهو العدو، فإذا كان النصر الذي قدره الله -تعالى- معللاً بما بشر به المؤمنين فلا جرم أنه اقتضى انه معلول بما يسوء العدو وحزبه، فذكر الله -تعالى- من علّة ذلك النصر أنه يعذب بسببه المنافقين (حزب العدو)، والمشركين (صميم العدو).

١٢- كنى التعبير القرآني عن دلالة اول النهار بلفظ (البُكرة)، وعن آخر النهار بلفظ (الأصيل)، ((وهما كناية عن استيعاب الاوقات بالتسبيح والإكثار منه، كما يقال : شرقاً وغرباً؛ لاستيعاب الجهات، وقيل : التسبيح هنا كناية عن الصلوات الواجبة))[١] .

١٣- آثر التعبير القرآني صيغة المضارع المؤكد بحرف التأكيد (يبايعونك)؛ للعناية واستحضار حالة المبايعة الجليلة لتكون كأنها حاصلة في زمن نزول هذه الآية مع إنها قد أنقضت، وقد ادت الدلالة غاية المبايعة وغرضها وهو النصر لدين الله ولرسوله ﷺ.

١٤- هُيئت صيغة (المبايعة) لأن تذكر بعدها الأيدي؛ لأن المبايعة يقارنها وضع المبايع يده في يد المبايَع -بالفتح-، فزاد التخييل حُسناً ادعاء تخيل أن الله -تعالى- يبايعه المبايعون، بأثبات اليد التي هي من متعلقات المبايع على وجه التخييلية مثل اثبات الاظفار للمنية.

---

(١) التحرير والتنوير : ١٥٦/٢٦.

١٥- عمد التعبير القرآني إلى إيثار أسلوب (المشاكلة) بين (يدُ الله) و (أيديهم) على اعتبار أن المشاكلة من المحسنات البديعية التي تثري المساحة الدلالية في التعبير، علماً أن الله –تعالى– منزه عن اليد وسّمات المحدثات.

١٦- جُعلت اليد المتخيلة فوق أيديهم؛ لأن الوصف بالفوقية من تمام التخييلية، وكانت اضافتها الى الله –تعالى– تقتضي تشريفها بالرفعة على أيدي الناس، ((وأيًّا مَّا كان فذكر الفوقية هنا ترشيح للاستعارة وإغراق في التخييل)) [1].

١٧- دلت صيغة الفعل المضارع (فسنؤتيه) بنون العظمة على ايهام الالتفات من الغيبة إلى التكلم، وقرأ بعض المفسرين بياءالغيبة عائداً ضميره على اسم الجلالة.

١٨- ظهر أسلوب التوجيه واضحاً في قوله تعالى: ﴿◑♌♋♌⬃ 🕮❐❐⬃ ♇•❸⑤✁ ✍♋☰↗☠⬀ 🕮❐❻◆✁⑩⍓ 🕮❐❻◆✁⑩⍓ ✍♋☰↗☠⬀ ✡◆▦⬂➔☺✍✍﴾ [الفتح :١١] إذ أن دلالة الآية تحتمل معنى الإرادة التي جرت على وفق علمهِ تعالى من إعطائه النفع أو إصابته بضرّ، أو أن تخلفهم سبب في حرمانهم من الفضيلة، فضيلة شهود بيعة الرضوان، وقدً صَرَح التعبير القرآني مفاتحتهم بهذا الابهام؛ لإلقاء الوجل في قلوبهم أن يغفر لهم، فجاء ظاهر السياق مقتضياً الاقتصار على نفي أن يملك أحد لهم شيئاً إذا أراد الله ضرّهم دون زيادة أو أراد بهم نفعاً[2].

١٩- إيثار أسلوب التمثيل والتصوير في قوله تعالى: ﴿✍⊠❽◆❻⬀⬋✍ 🕮❐⌘⬃❷◆●⍓ ⅄⊠➲⇳★◆❍⬅⏀ ▫⬥★♦✍✍♋⍓❻◆■⬅⏀ ▫⬥✍✍♋⇔✌◆⬂■↑⊠ ▫⬥✍✍♋⇔☛◆❐◆❽☰ ⬉◆✍■❼☰ ♚⬅❐♙♋❍♋⏀ ③⬉➔⬃⬈⬀🗔➲ ✁⬉◆❾⬢❻■✁⬉◆ ♋⬢❍◆⇔⬀⑩↑⊠ ☰⬁♋⬁☠⬉ ☰✁✍⬢⬂☰↗▦⊙✍❻◆﴾[الفتح :٢٩]، للدلالة على تشبيه حال بدء

---

(١) التحرير والتنوير : ١٥٨/٢٦.

(٢) نظير هذه الآية ماجاء في سورة الأحزاب، من قوله تعالى : ((قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن اراد بكم سوءاً أو اراد بكم رحمة)) [الأحزاب :١٧]، وقوله تعالى : ((قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله)) [الاعراف :٧٧].

المسلمين ونمائهم حتى كثروا، بالإسلام بدأ ضعيفاً فاستحكم أمره وتغلب على اعدائهِ.

٢٠- إيثار صيغة المضارع في الخطاب القراني بقوله : (تراهم) للدلالة على تكرر الفعل، أي تراهم كلما شئت أن تراهم ركعاً سجداً، وفي ذلك ثناء عليهم بشدة إقبالهم على أفضل الاعمال.

وقد عدّه القدماء من باب الاستدلالِ بالتعليل والتمثيل[1]، وذكروا أن القرآن الكريم مشحونٌ بهذا المظهر من البديع بخلاف ما ذهب اليه ابن المعتز[2]، فمنه قوله تعالى حكاية عن إبراهيم الخليل عليه السلام : ﴿[illegible]﴾ [الأنعام: ٨٠ – ٨٣].

وفي السورة نفسها قوله تعالى : ﴿[illegible]

---

(١) يُنظر : سرُ الفصاحة : ٢٧٧.

(٢) ينظر : البديع (ابن المعتز) : ٥٣، وتحرير التحبير : ١١٩/١، و الطراز : ١٣٩/٣-١٤٠، وأنوار الربيع : ٣٥٦/٤.

[illegible]

[الأنعام: ٩١].

في هذه الآياتِ من سورةِ الأنعام تبرز الحُجة البرهانية العقلية بأسلوبِ المحاورة والمجادلة بالدليلِ القاطعِ، ألهمها الله تعالى لكليمهِ إبراهيم ﷺ في محاجتهِ لقومهِ وإثباتهِ أن دعواهم باطلة لا أساس لها من الصحةِ بعقدهِ مُقارنةً استفهامية في قولهِ ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فأثبت بذلك أن المؤمنين الذين لم يُخالط إيمانهم الظلم هم الفريقُ الآمن وهذه حجة اللهِ –تعالى– على قومهِ ليرفعَ بها درجاتِ الصادقين المؤمنين[١]، أما في الآية الحادية والتسعون من سورة الأنعام فقد قال اليهود في دعواهم الكاذبة : (ما أنزل اللهُ على بشرٍ من شيءٍ) ليتسنى لهم إنكار حقيقة أن القرآن مُنزل من عند الله –عز وجلَّ–، فجاء التعبير القرآني بمنهج تعليمي للرسولِ ﷺ ولكُلِّ مُسلمٍ بأن يطرح عليهم سؤالاً يتضمنُ حجةً بُرهانية ضِدَّهُم وهي : مَن أنزل الكتابَ الذي جاءَ به موسى ﷺ وهو التوراة ؟

والجواب : إنّهم يؤمنون قطعاً بأن الله –تعالى– أنزلهُ، وكتبهم شاهدة بذلك، فإذا جَحَدُوا أن يكونَ منزلاً من عند اللهِ –تعالى– فقد نقضوا قضيةً كبرى من قضايا إيمانهم بدينهم، وإذا قالوا كما يعتقدون : أنزله اللهُ على سيدنا موسى ﷺ، فقد نقضوا أقوالهم بأن : (ما أنزل الله على بشرٍ من شيءٍ)، فالحجة البرهانية دامغةٌ لهم، وبهذا الأثر الأسلوبي يتبين أن التعبير القرآني يرتكزُ على أُسس عقليةٍ وبراهين منطقية لها دلالالتها الواضحة في التراكيب والسياقات من خلالِ سوق الحجج والشواهد والتدليل على المراد إثباته، مما يؤكد حقيقة أن المظهر البديعي ليسَ تحسيناً عرضياً يؤتى به قصداً متكلفاً؛ بل العكس من ذلك.

(١) يُنظر : الكشاف : ١٠٧/٢؛ وإرشاد العقل السليم : ١٥٤/٣.

ومن القضايا العقلية المنطقية أن النقيضين لا يجتمعان في شيءٍ واحدٍ، وإلى هذهِ الحقيقة أشارَ الله- عزَّ وجلَّ- بقولهِ في سورة الأحزاب : ﴿ ☐✌︎◻︎♒︎

♉︎◻︎➔◻︎✍︎• ✂︎♒︎♒︎✏︎✦ ♑︎♉︎❷♦︎♉︎⬉✍︎♑︎ ✋︎♓︎♎︎♊︎
🔔︎•◻︎◻︎✓︎◻︎☞︎ ❍︎♎︎❼ ♉︎◻︎◻︎◻︎◻︎♎︎❍︎♎︎🕐︎ 🗐 ◻︎✋︎♦︎✋︎♒︎
♉︎◻︎➔◻︎✍︎• 🕮︎◻︎♋︎◻︎♦︎🕓︎♉︎◻︎◻︎⬈☠︎⬉ ✂︎♒︎♑︎⅄🕒︎✷★♎︎❻
✍︎➔→•🕔︎♍︎♎︎❷⬉◻︎♌︎♦︎ ✋︎♎︎☸︎✍︎🙵⬋♊︎❍︎
♉︎◻︎➔◻︎✍︎• ◻︎♦︎✋︎♦︎♒︎ 🗐 🕮︎⬆︎✋︎◻︎♍︎◻︎🕔︎✌︎♎︎◻︎⬈🕭︎✍︎
🕮︎◻︎⑩⬉♎︎⑩♎︎♦︎♒︎✏︎⬈♦︎🕮︎⬈☠︎✍︎ 🕮︎◻︎🕭︎✍︎✡︎◻︎♒︎✏︎⬈♦︎🕮︎⬈☠︎✍︎
🗐 ●•🕔︎♑︎♎︎◻︎⬈☠︎✍︎ 🔔︎•◻︎✍︎♑︎⬈◻︎⬈☠︎ 🕭︎♎︎🕯︎◻︎◻︎♦︎🕓︎♎︎◻︎⬈☠︎✍︎
☎︎ ◻︎♦︎✂︎♒︎✏︎✦ ③♦︎◐︎→◻︎✌︎⬉ ✂︎♒︎♑︎◻︎♦︎◻︎◻︎ ◻︎♦︎♎︎→◻︎♦︎

③♦︎♍︎⇳⑨♎︎❽ ✂︎♒︎♑︎○○⌛︎♎︎⓿✍︎•﴾ [الأحزاب:٤]، ((أي : أن القلبُ الواحد لا يقبلُ فكرتين متناقضتين، والزوجاتُ لا تكون أُمّهات، والأدعياء لا يكونون أبناءً))[1]، وهذا الاستدلالُ بحقائق منطقية عقلية واقعية من صُلب الحياةِ يؤكد أن التعليل العلمي في التعبير القرآني يُساق للدفاع عن قضايا مصيرية وأحكامٍ شرعيةٍ وأمورٍ تربوية نفسية بالمنطقِ والجدل العقلي المحض تارةً، والمتخيل الوهمي تارةً أُخرى.

ومن التطبيقات القرآنية البديعةِ لهذا النوعِ ما جاء في سورة الرعد من قوله تعالى : ﴿ ◻︎♦︎✖︎♎︎❼ ✂︎♒︎✿☞︎❻⬀⮟⮹ 🔔︎♎︎◐︎•⬈⊘

✌︎⑩✋︎♦︎✗◻︎◻︎🕔︎◻︎⮹♦︎🕔︎☠︎♎︎ ◻︎♦︎♉︎◻︎☪︎◻︎🕔︎✲●◀︎ ✋︎♓︎♎︎♊︎⇳
🕮︎◻︎⬉⇳☪︎♦︎🕔︎◼︎▯ ◻︎♦︎♋︎◻︎❻⬀⬋◀︎ ◻︎♦︎✝︎•③♎︎⑩✍︎◀︎
🕔︎♎︎☪︎⬀◻︎♦︎✂︎♌︎◀︎ ◻︎♦︎⬊◻︎❷⬀❸⬅︎ 🕔︎♎︎☪︎⬀◻︎♦︎✂︎♌︎▯
④⬅︎○⬄◻︎•❼🗐 ✍︎♍︎☺︎◻︎✏︎⬈🕮︎ ◻︎♦︎🕔︎■♎︎⑨⌨︎
◻︎♦︎✡︎⬅︎⌧◻︎♏︎⮹⬉ ✍︎♦︎→⬀⌫✾🙵◻︎✂︎ ⬉♦︎✍︎■⑥🗐
✍︎♦︎→⬀⮝🖫 ✖︎♍︎❼ ✂︎♒︎✾✝︎🗎→✍︎☝︎ 🗐 ◐︎♍︎♌︎◻︎ ✖︎♍︎❼
●•🕔︎♑︎♎︎①♓︎ ◻︎③♦︎🕔︎✲●▭ ♑︎♏︎♎︎◐︎•◻︎⬀✈︎▯

③♦︎→⬀◐︎☞︎🖬→◻︎♍︎♓︎﴾ [الرعد:٤].

عُلّلت حجة القولِ في هذا التعبير بأنَّ الأرضَ تختلفُ تربتها باختلاف الأماكن، فمنها الطيب ومنها الخبيث، ويستبعد ذلك في المتقارب منها، فبيّنَ الله أن في الأرضِ قطعاً متجاورات يقتربُ بعضها من بعض، تسقى بماءٍ واحدٍ وتختلفُ في

(١) البلاغة العربية (الميداني) : ٤٤٨/٢.

مذاقها وطعمها، على العكس من إدعاء بعضهم أن اختلاف الأكل راجعٌ إلى اختلافِ التربة أو اختلاف الماءِ.

وقريب من أسلوب (حُسن التعليل) مظهر بلاغي بديعي يُعرف في اصطلاح البلاغين بـ (المذهب الكلامي)، وهو من الأساليب القديمة التي لا يُعلم تاريخ نشأتها، ويبدو أن أول من أشار الى هذا الأسلوب البديعي، هو الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في موضعين من كتابه[١]؛ لكنه لم يسمه صراحةً، وهو خامس أصول البديع عند ابن المعتز أخذه عن الجاحظ وقصد به الاحتجاج على طريقة علماء الكلام، قائلاً : ((وهو مذهب سمّاه عمرو الجاحظ المذهب الكلامي، وهذا باب ما أعلم أني وجدت في القرآن منه شيئاً، وهو ينسب إلى التكلف تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً))[٢]، فقد نفى ابن المعتز ورود التعبير القراني بأسلوب المذهب الكلامي، معللاً نفيه بأن هذا الاسلوب قائم على اصطناع اساليب الفلاسفة والمتكلمين في الجدل والاستدلال.

أما أبو هلال العسكري فقد أورد هذا المصطلح في الفصل الثامن والعشرين تحت عنوان (المذهب الكلامي) ممثلاً لهُ بأمثلة نثرية وشعرية[٣]؛ إلا أن البحث لاحظ أن أبا هلال العسكري اورد ما يتعلق بمضمون هذا المفهوم في اول كتابهِ بقوله : ((ومن وضوح الدلالة وقرع الحجة قول الله –سبحانه– : [illegible] [يس :٧٨-٧٩] فهذه دلالة واضحة على ان الله تعالى قادر على إعادة الخلق، مُستغنيةٌ بنفسها عن الزيادة

(١) الموضع الاول : كان تحت عنوان (باب من اللغز في الجواب)، ينظر : البيان والتبيين : ١٤٧/٢، والموضع الثاني : كان تحت عنوان (كلام يذهب السامع منه إلى معاني أهلهِ، وإلى قصد صاحبهِ)، المصدر نفسه : ٢٨١/٢، وينظر : أبحاث في بلاغة القرآن : ١٢٠.

(٢) البديع (ابن المعتز) : ٥٣.

(٣) ينظر : كتاب الصناعتين : ٣٧٦.

فيها؛ لأن الإعادة ليست بأصعب في العقول من الابتداء))[1] ثم استشهد أبو هلال

العسكري بعد ذلك بقوله تعالى : ﴿ •✍□➔□♉ ❽♉♎⅄✏✍✂
♑❸✽➢⬀⌘☞❀✍✂ ▩❷□♐⊙⌖♍✍✂ ⌘♊♉♓✌ ✉➚▤⬧♍
🡐❍⬀☪♉♓✌ 🏱🡐☞✡❑🕮 ✏✂⬧➊♑✉⬧▫ ✂✡❻✍⧫✡
✍➔❑🡐❾♉♎❑♌⧫♌﴾ [يس:٨٠]؛ فزادها شرحاً وقوة،؛ لأن من يخرج النار

من اجزاء الماء، وهما ضدّان، ليس بمنكر عليه أن يعيد ما أفناه، وعلَّل قوله تعالى

في السورة نفسها ﴿ 🕮❑❑⧫♍⬧❿⬂▪" ✂✍✏⅄♎♉❽ ❀□⬛■🗂⧫
✂✍♍❍❍☺□🕔❑⧫🕓☠♉ ❑⧫✂✍❀☞❻⬀⮛⧫
✌🗂♑◗⬧🕘❾♉❻✌ ⬉⧫✍■❼✂ 🕮❑♌ ❻⬧❸⬂🗳➔🗂⧫
✌♉⧫⬀🗳■♑🡐🏱 ▤﴾[يس :٨١] بقوله : ((فقوّاها أيضاً، وزاد في شرحها،

وبلغ بها غاية الايضاح والتوكيد؛ لأنَّ إعادة الخلق ليست بأصعب في العقول من

خلق السموات والارض ابتداء)) [2]

وقد عبَّر ابن رشيق القيرواني عن هذا اللون البديعي بقوله : ((هو مذهب

كلامي فلسفي)) [3]، وعرفهُ القزويني بقوله : ((هو أن يورد المتكلم حجةً لما يدّعيه

على طريق أهل الكلام)) [4] ومثل لهذا المفهوم بقولهِ تعالى : ﴿ ♍⬧❑⬀
◗♑⬧• ➘❑❑●♑⌨✂⧫➚ ✏✍□☺♋♊❸♉▫ ⧫♌♎☒✍
✂✍✏✦ ♍⬧▦☒❍✽❾□✍⬧✍﴾ [الأنبياء :٢٢]، وبقوله تعالى :

﴿ ❑⧫♎❑➔❑⧫ ✂✍✏⅄♎♉❽ ❸⧫🖮⬀❾□⧫➚✂☎
✂✍♍⬂⊃□▣▫🗂⧫ 🏱➔🏱❍ ❸⬉➔♉⓿❾🡐■🡐🕛 ❑⧫♎➔❑⧫
🕮❑♎⬀❑⧫♍⊃ ⬉⧫▣■⓿⬂❍♉﴾ [الروم :٢٧] أي : أن الإعادة أهون

عليه من البدء، والأهون من البدء أدخلُ في الإمكان من البدء؛ فالإعادة أدخل في

الإمكان من البدء.

---

(١) كتاب الصناعتين : ٢٢.

(٢) المكان نفسه .

(٣) العمدة : ٢/٨٠.

(٤) الإيضاح : ٢/٢٧٦.

وقوله تعالى : ﴿◆□◆■☺●♋♏✍ 🕮❑□◆♌⧫• 🕭◆♋♏✌⧫ ◆☝

🕮⬆❍♋■④ ✁♋♏⌧☞□♋■♋✓♋□ ﴾ [الانعام :٧٦] أي: القمر آفل، وربي ليس بآفل، فالقمر ليس بربّي، ((أثبتهُ بقياس اقتراني جليّ، واحتج بالتعبير على الحدوث، والحدوث على المحدث)) [١]، وقوله تعالى : ﴿🕭➔♌⬀ □◆■♋♋⚇⌘

③⬉➔⌧⓿♏☞⬅□♋♋ ⚇⬈▤♋⓿⬈☼⬅❑♋♋ ⚇⬈▤ ☎﴾

[المائدة:١٨]، أي : أنتم تعذَّبون، والبنون لا يعذَّبون، فلستم ببنين لهُ، وهذا يعني تعلق الكلام بحجة عقلية منطقية تستند على اقناع برهاني ودليل عقلي مقبول قائم على اسلوب الحوار والجدل بالدليل القاطع؛ ولهذا السبب أُطلقت هذه التسمية على هذا النوع من البديع؛ ليذهب فيه الكلام مذهب علماء الكلام والاستدلال؛ ففيه يخرج الكلام مخرج الجدل، وإيراد الحُجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام[٢]، ومن الشواهد الشعرية التي مُثلت لهذا النوع من البديع قول الفرزدق[٣] :

لكُلِّ أمرئ نفسانِ : نَفْسٌ كَرِيمةٌ ... ونَفْسٌ يُعاصيها الفتى أو يُطيُعها

ونفسُكَ من نَفْسَيكَ تَشفعُ للنَّدى ... إذا قَلَّ من أحرارِهِنِّ شفيعُها

يقول : لكُلِّ إنسان : نفسٌ مطمئنة تأمره بالخير، ونفسٌ أمّارة تأمره بالشرّ، والإنسان يُعاصي الأمّارة مرّة ويُطيعها أُخرى، وأنت إذا أمرتْك الأمّارة بترك النّدى شفعت المطمئنة إليها في الحالة التي يَقِلُّ فيها الشفيع في النّدى من النفوس، فأنت بذلك أكرمُ الناس، والمعنى يؤكد أنَّ الشاعر ذو نفسٍ حُرةٍ تدفعهُ إلى النوال حين يمتنع الآخرون ويقلّ عطاؤهم.

وقد أطلق عليه العلماء تسميات عديدة منها : (الاحتجاج النظري)[٤]، و(إلجام الخصم بالحجة) [٥]، وأنكروا على ابن المعتز في بديعهِ نفي وجود هذا النوع في القرآن، مؤكدين أنه كثيرٌ في كتاب الله -تعالى- وهو من أساليبهِ، وهذا كثيرٌ في

---

(١) البرهان في علوم القران : ٤٧٠/٣.

(٢) ينظر : نهاية الأرب : ٩٥/٧.

(٣) ينظر : ديوان الفرزدق : ٣٥٨.

(٤) ينظر : الفوائد المشوق :١٣٦.

(٥) ينظر : البرهان في علوم القران : ٤٦٨/٣.

كتاب الله –تعالى–[1]، وهذا يعني أن يأتي المتكلم البليغ على صحة دعواه وإبطال دعوى خصمه بحجة عقلية برهانية تقنع الطرف المجادل بالحوار المنطقي العقلي الملموس.

وقد عدَّ الزركشي (ت ٧٩٤هـ) أن من هذا النوع، نوع آخر منطقي وهو ((استنتاج النتيجة من مقدمتين)) [2]، ومثّل لذلك بقولهِ تعالى من أول سورة الحج إلى الآية السابعة : [illegible]

(١) ينظر على سبيل المثال : سورة الأنعام: ٣٠ و٨٣، وسورة المؤمنون: ٩١، وسورة يس: ٧٩ و٨١، وسورة ص: ٢٦، وسورة الروم: ٢٧، وسورة الأنفال: ٢٣، وسورة الحج: ٥–٧، وسورة الواقعة: ٥٨–٥٩، وسورة الزخرف: ٨١.

(٢) البرهان في علوم القرآن : ٤٦٩/٣.

[illegible] ﴾ [الحج :١-٧]، فمن الملاحظ أن في هذه الآيات عشر مقدمات اسفرت عن خمس نتائج يمكن تمثيلها بالشكل الآتي :

النتائج	المقدمات
١- ذلك بأن الله هو الحق .	١- الإخبار عن زلزلة الساعة.
٢- وأنه يحيي الموتى.	٢- وصف أحوال الناس في ذلك اليوم.
٣- وأنه على شئ قدير.	٣- بيان حال من يُجادل في الله بغير علم.
٤- وأن الساعة آتية لا ريب فيها.	٤- بيان جزاء من يتولى الشيطان.
٥- وأن الله يبعث من في القبور.	٥- الإخبار عن الغيب.
	٦- الإخبار عن أصل الخلق.
	٧- بيان احوال الناس بعد الخلق.
	٨- وصف حال الارض.
	٩- بيان قدرة الله العظيمة في كل شئ.
	١٠- التأكيد على مسألة البعث.

وتفصيل ترتيب المقدمات والنتائج أن يقال : أخبر الله -تعالى- أنَّ زلزلة الساعة شئ عظيم، وخبره هو الحق، ومن أخبر عن الغيب بالحق فهو حق بأنه هو الحق، وأنه يأتي بالساعةِ على تلك الصفات، ولا يُعلم صدق الخبر إلاّ بإحياء الموتى، ليدركوا ذلك، ومن يأتي بالساعة يحيي الموتى؛ فهو يحيي الموتى، وهكذا في جميع المقدمات والنتائج المستخلصة منها.

ومنه قوله تعالى : ﴿ [illegible]

ᏰⓄ✂☒⓿♦⇱ ⬀☠←♑⬩♐ ★✐☞✂ ✍✍⓿⚲⌛⍓♉
⅄☒⑨③♋⑨🖮﴾[ص: ٢٦].

ففي هذه الآية مقدمتان ونتيجة يمكننا توضيحها في الآتي :

<u>المقدمتان</u> <u>النتيجة</u>

١- إتباع الهوى يوجب الضلال. ١- إن إتباع الهوى يوجب سوء العذاب.

٢- الضلال يوجب سوء العذاب.

ونظير هذا النوع ما جاء في قوله تعالى : ﴿🕮❒✈♋ ⌘♊♋♓✍ ☪❒⍓♑♋♐✂◆⬈ ☎✂▦❒⬈⓿⬩③✦✍☞✂ ⬀❒⬩♐ ⭍✗➬✍ ♦♌❒⇦❸⬗⌑✡⇱③ ⬀☠➔♎ ⭍⮟⬀❻☛❀☞✂ ⬩⍓♐ ➘❒❒●⍓▭✂◆⬈ ✐☞⍓☺✍♋❸♋▫ ♦♌⍓☒✍ ★✐☞✂ ⌘♊🕔⍓⬩⬀⌛⬩❍⬩▫ 🗐 ☞⬩✍⍓⑨❁❍☒▦⬩♐ ✦✐☞✂ ⬀♌⍓◆❻ ☞⓿☺◆⇱ ⬂⏲⬀❷⍓➔⬂♐☞✂ ⬙♌☺◆❻ ☞⓿☺◆⇱ ⬂🕒⬀❷⍓➔⬂♐☞✂ ⬙♌☺◆❻﴿

[الأنبياء :٢١-٢٢]، ففي قوله تعالى : ﴿♐⬩❒⬀ ♦♌⍓☒✍﴾ ➘❒❒●⍓▭✂◆⬈ ✐☞⍓☺✍♋❸♋▫ ﴿✦✐☞✂ ⬩⍓♐ حجة عقلية، تُعد ضمن هذا الأسلوب مقدمة يحتج بها، نتتبع عنها قوله تعالى : ﴿♐⬩▦☒❍❁⑨⍓✍⬩☞﴾ وهذه هي القضية الكبرى؛ إلاّ أن الحقيقة التي يقبلها المنطق مُعللة بحُسن التعليل هي أن السموات والأرض ليس فيها الهةً بحق إلاَّ الله ولو كان فيها لفسدتا، لكنها لم تفسد كما هو مشاهد في الواقع، والدليل فيه يسمى عند العلماء المنطق، قياساً استثنائياً له مقدمات ونتائج، فقد أشار الشريف الجرجاني (ت ٧٢٩هـ) الى أن هذه الآية ((هي مقدمة وشرطية، والاستثنائية نقيض التالي، أي لك لم تفسد السموات والأرض، نتبع : ليس فيهما إله غير الله، وبيان الملازمة ما ذكره المتكلمون وسمّوه برهان التمانع))[1].

وقد أشار عدد من المفسرين إلى هذا اللون من البديع عند تسميات مختلفة فقد سمّاه أبو السعود (الطريق البرهاني)، وكثيراً ما يرد ذكر هذا المصطلح في تفسيره، ومن المواضع التي وقف عندها البحث في هذا المجال قوله تعالى : ﴿♐⅄◗⬩⑨⇳ 🗎⬩▦☒❷♦ ✂☞✐⅄🕭♋⇦▫🙞 🕭⬩☞♐⬈❒☑✂☎

---

(١) الإشارات والتنبيهات : ١٦٢.

←☒⑩⬁○⍓☺⬂♍◉✍✂ ◆❑➔♎ ⅄✏✍✂ ❑♌❤◑
⊂①❤◘⇕☺◆③ ♊⍓☺⬩▫ ⬀⬥➔♎ 🗐 ⌘⚵◆③⇔④◆✌ ←✗⬂⇔✍✂
⍓⑩✂◆⑥❑🕮 ⇦♍❤◑ ✍⏲★⬂⓿☒⅄ ★✏✍✂ ⌘♊♉✌
⬩⬀⬀⍄✍✂ ⍓☒⓿⬁○⍓☺⬂♍◉✍✂ ⬩①❤◘⇕♑⬉③ ♌❑🕮
❼❤✗ ⬀◆✌◆❑ ◑←○❑✌⬆🕮◆❑ ⌘⚵◆③⬀❷◆✌

✂✍⚘☛❻⬀⍌⬘ ♎⬧♈⑩♉➔✡✍ ▤ ﴾ [المائدة :١٧]، علَّق أبو السعود على هذه الآية بقولهِ : ((ومن حق من يكون إلهاً أن لا يتعلق بهِ ولا بشأن من شؤونه؛ بل بشيءٍ من الموجودات قدرة غيره بوجه من الوجوه، فضلاً عن أن يعجز عن دفع شئ منها عند تعلقها بهلاكهِ)) [١].

وقد علل أبو السعود العجز الظاهر لسيدنا عيسى عليه السلام الذي يظهره بمعزل عمّا يقولون في حقهِ لا بطريق السخط والغضب، وإظهار المسيح على الوجه المنسوب اليه بالآلوهية بنفيه المالكية المذكورة بالاستفهام الانكاري بقوله: ﴿ ⬀⬥➔♎ ♊⍓☺⬩▫ ⊂①❤◘⇕☺◆③ ⌘♊♉✌ ★✏✍✂ ⅄☒⓿⬂★⏲✍ ﴾ عن كلِ احدٍ مع تحقق الالزام والتبكيت بنفيها عن المسيح فقط، واثبات المطلوب في ضمنه بالطريق البرهاني المستلزم للاستحالة الآلوهية، فمتى ظهر بالنسبة إلى الكُل ظهر بالنسبة الى المسيح على ابلغ وجهٍ وآكده، وهذا يظهر كمال العجز ببيان ان الكل تحت ملكوته –تعالى–، مما يؤكد أن ورود هذا الأسلوب في التعبير القرآني من صميم البلاغة مع ملاحظة أن المعالجة فيه تكون استناداً إلى رؤية المتكلمين.

المبحث الرابع : أُسلوب الجناس :

أولاً : مفهوم الجناس في اللغة والاصطلاح :

يُعد الجناس من أبرز المظاهر البديعية التي تُحقق انسجاماً في البُنية الشكلية من خلالِ الاتفاق والتماثل والتشابه بين وحدتين صوتيتين تُحدث إيقاعاً موسيقياً ونغماً متشابهاً في الشكل مختلفاً في الدلالةِ، إذ أنّهُ يعمل على ((المستويين الخارجي والداخلي في حركةٍ تحويلية تنطلق من اللفظ نحو المعنى))[٢]، وعلى الرغم مِن تعدد

(١) إرشاد العقل السليم : ٣/ ١٩.

(٢) البديع، دراسة في البنية والدلالة : ١٧١.

التسميات لهذا اللونِ من البديع فإن المسمَّى واحدٌ. فقد أسماهُ العلماءُ تجنيساً ومجانَسةً وتجانساً وهي ألفاظ ٌ مشتقةٌ من الجنسِ[١]، والجناسُ في اللغةِ : ((الجنسُ لكلِّ ضربٍ من الناسِ والطيرِ والعرضِ والنحو، فمنه ما تكون الكلمة تجانس أُخرى في تأليفِ حروفها ومعناها، أو يكون تجانسها في الحروف دون المعنى))[٢]، وقد تناولت المعاجم العربية المدلول اللغوي للجناس وأكدت على أن الجِنسُ : الضربُ من كُلِّ شيءٍ، والجنسُ أعمّ من النوع، ومنهُ المجانسةُ والتجنيسُ، ويُقال : هذا يُجانسُ هذا أي يُشاكلهُ[٣].

أما الجناسُ في الاصطلاح البلاغي فقد اكتفى علماء البلاغةِ بوضعِ ضابطٍ محددٍ لكُلِّ صورهِ وأنواعهِ؛ لأنه من أكثر المظاهر البديعيةِ تشعباً وتفريعاً في كتب البلاغةِ من حيث الاصطلاح والأقسامِ، وهذا التنويعُ ناجمٌ عن عناية البلاغيين المفرطة بالجوانب الشكلية دون الالتفات إلى الإيقاع الموسيقي للألفاظِ المتجانسةِ وما تحدثهُ من أثرٍ نفسيٍ لدى المتلقي، وتأسيساً على ذلك فإن دلالة الجناس تنبعث من اتفاقِ وتشابهِ داليّن مقابل مدلولين مختلفين، وهو بذلك يعملُ على ربطِ اللفظِ بالمعنى ويتجلَّى الربط بين المستويين الصوتي والدلالي من خلالِ توظيفهِ التكوينات الموسيقية بإعادة تشكيلها وتنظيمها بألوان متجددةٍ [٤].

---

(١) يُنظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٢ / ٤١٤.

(٢) كتاب العين : مادة (جَنَسَ).

(٣) ينظر : : مادة (جَنَسَ) في : أساس البلاغة، ولسان العرب، والمصباح المنير : ١٥٤/٢.

(٤) ينظر : : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٤١٤/٢.

ومع كثرةِ تفرق العلماء في حدِّ هذا الفن البديعي واختلافهم فيه إلاّ انّه غدا أداة أساسية يتكئُ عليها الشاعرُ إيقاعاً ودلالة في بناء قصيدته. ومن هنا ترتسمُ صورة واضحة لهذا المظهر البديعي القائم على اختيار الالفاظ المتماثلة المناسبة للسياقِ مع مراعاةِ المعنى وهذه الألفاظ ((تُوهِمُ في البدء التكرير؛ لكنها تُفاجىء بالتأسيسِ واختلاف المعنى))[1]، وقد حفلت كتب البلاغة القديمة والحديثة بشواهدِ هذا اللونِ من آي الذكر الحكيم ونصوص الشعر والنثر وكلها تجتمع على حقيقةٍ واحدةٍ هي (اللفظ المشترك).

ثانياً : أنواع الجناس وأقسامهِ :

صَنَفَ البلاغيون الجناس إلى قسمين رئيسين يندرج تحت كل قسمٍ منها تفريعاتٌ وملحقاتٌ متعددة أحصاها بعضُ الباحثين حتى وصلت إلى ما يقارب الخمسين نوعاً[2]، ونحن نجد أن الدخول في المسميات والتفصيلات أمرغير محمودٍ؛ لأنهُ يُذهب بالجناس الأصلي هيبتهُ للاستغراقِ في الشروح وإيجاد العلل والقرائن التي نحن في غنىً عنها ونكتفي بعرضِ قسميهِ الرئيسين وما يتعلق بهما.

---

(١) البلاغة العربية (الميداني) : ٤٨٥/٢.

(٢) يُنظر : معجم المصطلحات البلاغية : ٤١٤/٢، للتعرف والاطلاع على أنواع الجناس وأقسامه.

النوع الأول : الجناس التام :

وهو اتفاقُ اللفظين المتجانسين في الشكل واختلافهما في المعنى مع مراعاةِ أربعة أمورٍ للاتفاق هي :

١- نوع الحروف.

٢- وعددها.

٣- وترتيبها.

٤- وهيأتها أي (الحركات والسكنات).

فإذا كان لفظاهُ من نوعٍ واحدٍ كأن يكونا اسمين أو فعلين أو حرفين سُمي الجناس (مماثلاً)، أما إذا كان ركناهُ من نوعين مختلفين أي (يكون أحدهما اسّماً والآخر فعلاً أو يكون أحدهما حرفاً والآخر اسماً أو فعلاً) يُسمّى الجناس (مستوفياً)، أما النوع الثالث من أنواع الجناس التام فهو (المركب) وهو ما كان احد طرفيه مفرداً والآخر مركباً[(١)]، وكل نوعٍ من هذه الانواع لهُ تفريعاتٌ متعددة تجاوزها البحث واكتفى بذكر الظاهر منها، وقد كثرت شواهدُ هذا النوع من الجناس التام في التعبير القرآني وأبرزُ مظاهرِهِ في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿☐◆🕮☐🏱☐🙞⑥🡻☐✃☎ ◆❸⬩✡⇩🖹☐🕮 ✎🙞⊡⚍☐⇖❷◆🖗☒⬋◆☐ ◆⮛⬀⑥☞❀🙞✃ ✌❍☺☙🙞 ⬋☒🖗◆❷⇖☐⚍⊡🙞﴾ [الروم: ٩].

في هذه الآية أثبت التعبير القرآني قدرتهُ الإعجازية والتمكن من السيطرة الأسلوبية على اللغةِ وطاقاتها وقواعدها وتوظيفها وفقاً للمقام والدلالةِ، فالجناس يحاول توظيف نوع من التآلف بين المدلولاتِ وإبراز الصلةِ بين مستويات التناسب والتكرار في الدال والمدلول في قولهِ تعالى: (وعمروها) الأولى و(عمروها) الثانية.

فقد أحدث هذا النمط التشكيلي للالفاظ المتجانسة نمطاً دلالياً مخالفاً إلى جانب الإيقاع الموسيقي القائم على التماثل الصوتي في تكرار اللفظين السريع العفوي الذي ينساب هادئاً، فلو أننا قلنا: (وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما سكنوها) نجدُ إعمالاً للفكر وإكراهاً للفظٍ في غير موضعهِ، ((فالفرق بين التركيب الذي تدخلهُ الأسلوبية والتركيب الذي لا تدخلهُ يوجد في الشكل الخاصِ الذي يصنعهُ المبدع في

(١) ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٢/٤١٨-٤٢٢.

الربط بين الدَّوالِّ والمدلولات من جهةٍ، ثم بين الدَّوالِّ بعضها مع بعضها الآخر من جهةٍ ثانية))[1].

فسياق النص ليسَ مجرد تكوين كلماتٍ متجاورة؛ وإنما مجموعة العلاقات التي تولد الترابط الذاتي بين هذه الكلمات؛ إنَّ الصياغةَ القرآنية لهذا النصِ تكشفُ عن إمكاناتٍ جمالية تناسبية تتأتى من قدرة المبدع الأعظم على خلقِ الانسجام الشكلي والدلالي بين الوحدتين الصوتين (عمروها) الأولى و(عمروها) الثانية.

فالموقع السياقي للفظة الاولى أدى دلالة تتناسب مع بدء الآية وهو الفعل (أثاروا)، وقد رصد علماء اللغة هذه المفردة ووجدوا أنها تدّل على معنى الثورة والهيجان والانتشار[2]؛ وهذا الفعل يتناسبُ مع صيغة اللفظِ (عمروها) الدلالية على معنى سرعة التشييد والانشغالِ بالبناءِ الدنيوي وهو نقيضُ الخراب، وهذا المعنى يقتضي الترابط اللغوي بين الفعل ودلالة الاسم الاولى؛ ولأن ((جو السورة وسياقها معاً يتعاونان في تصوير موضوعها الرئيسي، وهو الكشف عن الارتباطات الوثيقة بين أحوال الناس، واحداثِ الحياة))[3]، فهذا يدعو الى توثيق الرابط الدلالي بين مفرداتها بما تحملهُ من معنى تعبيري عن الذين ((وقفواعند ظاهرالحياة الدنيا لايتجاوزونه إلى ما وراءه))[4] لينشغلوا بعمارة الأرض أكثر من مدة أعمارهم وآجالهم المكتوبة لهم.

وقد كررت الآية الإيقاع الصوتي للتأكيد على هذا المعنى؛ لأن القيمة الإيقاعية لهذين اللفظين تتماهى في البُنى اللغوية التي يمكن أن نطلق عليها مصطلح (مولّد الجناس) وهو لفظ الفعل (أثاروا) إذ أن هذا التجنيس الصوتي الكثيف لحروفِ المفردات ٍ يستحضر المعاني المترسخةِ في الذهن ضمن سلسلةٍ لفظية سُرعان ما يكتشفها المتلقي من خلال ما تثيرهُ من مفاجئةٍ قائمة على المغالطة

---

(١) البلاغة والأسلوبية (د.محمد عبد المطلب) : ٢١٣.

(٢) ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٩٠.

(٣) في ظلال القرآن : مج ٥ ، ج٢١ ، ص٢٧٥٦.

(٤) المصدر نفسه : مج٥ ، ج٢١ ، ص٢٧٦٠.

اللفظية التي أقرها الجناس وأخفتها الدلالة، فقد حافظ أسلوب الجناس في هذه الآية على بُنيتهِ من خلال تثبيت المعاني الدقيقة للوحدات الصوتية التي تجمع بينها.

وإذا ما سلمنا بحقيقة وجود علاقة ضرورية بين اللفظ والمعنى وأن الكلمات ما هي إلاّ وحداتٌ يبني منها المتكلمون كلامهم فنظم الكلام عند البلاغيين ((هو تنسيقُ دلالةِ الألفاظِ وتلاقي معانيها على الوجهِ الذي يقتضيهِ العقل))[1] بخلاف النص القرآني الذي هو ((جنسٌ فريدٌ في بابهِ له خصوصيته في استخدام التراكيب المستحدثة، التي استمدَّت كيانها من إمكانات النحو بشكلٍ متفرِّد))[2] وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلُ على ارتباط الأسلوبِ بمبدعهِ، وأسلوب الإبداع في التعبير القرآني اعجز كثيراً من ارباب الفصاحةِ والبلاغةِ عن الإتيانِ بمثلهِ.

تأمل قوله تعالى : ﴿وَيَوم [illegible]﴾ **[الروم : ٥٥]**.

نهضَ الجناس في هذه الآية بتكثيف الايقاع بشقيهِ الصوتي والدلالي، فجاءت كلمة (الساعة) الأولى دالة على يوم القيامة، وقد وقع الاختيارعلى هذه اللفظة لما فيهِ من معنى السرعةِ والمفاجأة في حين أن كلمة (الساعة) الثانية عبرت أدق تعبيرٍ عن الحالةِ النفسية التي يعيشها هؤلاء المجرمين واحساسهم بقيمة الوقت الذي أدركوه بعد فوات آوانه؛ لأن الوقت الذي قضوهُ في حياتهم الدنيا لا يمكن أن يوصف ببرهةٍ أو دقيقةٍ، فجاءت كلمة (الساعة) الثانية خير دليل على شعورهم هذا.

نلحظ في هذه الآية لمحاتٍ أسلوبية طغى فيها الجوّ الصوتي للحروفِ على جانبها الدلالي فصوت (السين، والعين) وما ولَّدته هذه الحروف من تناغمٍ كشف للمتلقي قدرة لغويه على التوزيع الهندسي ملتصقاً بالدلالةِ الموحية التي تحملها هذهِ المفردات دون تلاعب متكلفٍ بها، أو إحساسٍ بصناعةٍ لفظية أو زينةٍ شكلية، وهذا يقع في قمة الإعجاز القرآني.

---

(١) البلاغة والمعنى في النص القرآني : ٣٤.

(٢) البلاغة والأسلوبية (د. محمد عبد المطلب) : ٤٧.

زيادةً على ما يخلقهُ أسلوب التكرار بوصفه ((القانون الأساس لظواهر الإيقاع في الكلام وهو مظهر مالي يعتمدُ على قوانين ثانوية علاوة على قيمتهِ الإيقاعية النغمية ذو الدلالة التعبيرية))[1] فإن القيم الصوتية لجرس الحروف أو الكلمات المكررة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالقيمة الفكرية والنفسية المعبرُ عنها، وهكذا تتولى آياتُ الجناس بمظاهرهِ الأسلوبية الواضحة في التعبيرالقرآني والتي تزخرُ بأروع القيم الفكرية والإبداعية.

قال تعالى : [illegible] [النور:٤٣- ٤٤].

بدايةً لابُدّ من بيانِ البنية الجناسية للمظهر البديعي في هذا النص وابعادهِ التصويرية المنتجة للدلالة، فقد جمع النصُ بين وحدتين متجانستين متماثلين لفظاً الاولى (بالأبصار) والثانية لفظة (أولي الأبصار) إلاّ أنهما مختلفتين معنىً، من خلالِ التماثل والتكرار الذي اظهر تشكيل اللفظة الموسيقية. ان التصوير الفني في سورة النورِ يوحي للمتدبر عرضَ صورٍ متقاربة مؤتلفة، وصورٍ متباعدةٍ مختلفة في آن واحدٍ تشكلُ بمجملها جو السورةِ العام الذي يركز على إبراز مكانة العقل البشري في الإدراكِ والتمييز بين النور والظلام من خلالِ نظر العين الذي يُدرك بالأبصار ونظر القلبِ الذي يُدرك بالبصيرة وهذا هو موطن الجناس التام في أدق مواضعهِ حيث ربط بين المستويين الصوتي والدلالي للفظتي (الابصار) إثرَ إعادةِ توليد

(١) البلاغة والمعنى في النص القرآني : ١٨٧.

الجذور اللغوية وتوظيف إمكاناتها التعبيرية تتكشف بوضوحٍ من خلالِ حليتها الحسية المؤثرةِ في النفس دون تكلفٍ وبما يستدعيهِ المقام القرآني.

إن سياق سورة النورالعام تعدادٌ لنعم الله –تعالى– وفضله على عبادهِ، وفي هذا السياق نلحظُ البدء بعنصر تركيبي يمكن تحديده بقوله تعالى : ﴿[illegible]﴾، وذلك في سياقِ الاستفهام التعجبي، إذ أن هذا التركيب في الدراساتِ اللغوية والقرآنية يأتي للتعجب(١). والحق سبحانهُ وتعالى أوردهُ هنا ليسَ لغرضِ الاستفهام؛ ولكن لتفسير أمورٍ عجيبةٍ وفي مسائل خفيةٍ دقيقة تتطلب من ذوي بصائر القلوبِ التمعن فيها وإدراكها، والرؤية في هذه الآية رؤية عين(٢)، والتقدير أن أمر الله وقدرتهِ في سوق كل ثقيل ومدافعته كالسحاب والإبل والبضاعة المزجاة التي تحتاج من الشفاعة والتحسين إلى ما هو كسوق الثقيل(٣)، وهذه الرؤية مخالفة لرؤية الفكر التي توحي بها دلالة الآية السابقة(٤)، المتضمنة معنى التنبيه فكأن السياق القرآني يوحي بقولهِ : إنتبه الله يسبح لهُ من في السمواتِ والأرض، أو أتسمع أن الله يسوق السحابَ(٥)، والتسبيح هنا بمعنى التعظيم والتنزيه.

ففي هذه الصورةِ غاية الدقةِ والتصرفِ والتدبير حين سوقَ الله عز وجل السحابَ الأبيضَ الذي لا يأتلفُ بسهولةٍ فيجعلهُ ركاماً أسودَ ليمطرهُ بعد ذلك، وبخروج الماء الخفيف المصحوبِ بالبرقِ الأبيضِ يستوقفُ الأنظار لتُبصر فكيف لها أن تُنكر ما يخطفها ويذهبُ بها؟!

---

(١) يُنظر : التعبير القرآني : ٩٤.

(٢) يُنظر : المحرر الوجيز : ١٨٩/٤، درة التنزيل وغرّة التأويل : ٣٢١.

(٣) جاء في سورة يوسف قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [يوسف:٨٨]، ينظر : المحرر الوجيز : ١٨٩/٤.

(٤) من قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [النور:٤١].

(٥) رَجحَ سيبويه دلالة التنبيه في هذه الآية، والرؤية هنا فكرية، ينظر : الكتاب : ٤٠/٣.

من المظاهر الأسلوبية اللافتة في هذا التعبير القرآني العلاقات الترابطية بين فاتحة الآية ﴿[illegible]﴾ [النور :٤٣].

وخاتمتها (بالأبصار) علاقةٌ ترابطية بين الرؤية وبين البصرِ، ولو دققنا النظر في بُنية اللفظة الثانية المتجانسة (الأبصار) في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [النور : ٤٤]، لوجدنا انها أُستعملت بطريقة تربط الفعل (يُقلبُ)؛ لأن عملية التقليب تتطلبُ حركةً متجددة ومستمرة لليل والنهارِ تنسجمُ وتتناسبُ مع حركة التفكير والعقل الإنساني المتجدد لإدراك تلك النِّعمِ والالتفات اليها بالتدبر والتأمل، وهذا يؤكد الطابع الخاص للعلاقات الترابطية الذي ((يبرز ويتميزُ في كُلّ نمطٍ تبعاً للمستويات، وتبعاً لكيفية انتهاك نمطية اللغة وسننها التَّقليدية))(١)، كما أنَّ اتفاق اللفظتين المتجانستين هنا في الايقاع الصوتي يُضفي على النص القرآني تنويعاً داخلياً لمكوناتهِ اللغوية مع المحافظة على حقولها الدلالية التي لم تقتصرعلى مجرد الإبلاغ وأداء الرسالة المطلوبة؛ بل تعدّتْهُ إلى القدرة على الإفصاح والتعبير عن المعنى.

النوع الثاني : الجناس غيرالتام :

وهو إخراج إحدى اللفظتين المتجانستين من دائرة الجناس التام لمخالفته إحدى الأمور الأربعة المشروطة في الجناس التام وقد قسمه البلاغيون إلى تفريعاتٍ وملحقاتٍ فيها من الاسرافِ والتعقيد ما تستغني عنه الدراسة الاكاديمية وقد طبق هذا

---

(١) البلاغة والأسلوبية (د. محمد عبد المطلب) : ٢١٤.

الإجراء عدد من الباحثين منهم الدكتور عبدة عبد العزيز قلقيلة، وقد عدّ المصطلح البديعي (ما لا يستحيلُ بالانعكاس) فرعاً من فروع الجناس الناقص وبالاخص منه (المستوي) وقد استند في عملهِ هذا على تسمية الحريري (ما لا يستحيل بالانعكاس) وأوضحَ أن الفرقَ بين التسميتين يكمنُ أن الجناس المستوي كما قال الحريري : (لايستحيل بالانعكاس) أي لا يتحول معناهُ بالانعكاس عما عرفناه قبل الانعكاس بل يبقى هو هو، ويكون عكس كلمتي الجناس كطردهما في أنه تمكن قراءتهما من آخرهما كما تمكن قراءتهما من أولهما من دون أن يتغير المعنى كقوله تعالى ﴿□◆◆✍↗✍✍ ✗♐❼ ▫♦■■▬ ④□○⇔▦♦←□♍♒﴾ [يس : ٤٠]، وقوله تعالى : ﴿□◆❻◆✍✹▦◻ ▫♦▤♦◉♌♓✍❸↙﴾ [المدثر:٣]، في حين أن الكثير من البلاغيين أفرد هذا اللون البديعي بقسم خاصٍ بهِ في كتب البلاغة من دون أن يكون ملحقاً بأي فن ٍ بديعي آخر، وقد عدّه المحدثون من الوسائل التي تبعث النظم في الشعرِ.

والذي يراهُ البحث أن مصطلح (ما لا يستحيلُ بالانعكاس) من ملحقاتِ فن الجناسِ وحجتنا في ذلك أن البلاغيين القدماء[1] أوردوا هذه التسمية بمسمَّيات الجناس الناقص حين سموه (المقلوب) أو (المستوي)، وأشار إليه السكاكي بقوله : ((وكثيراً ما يلحق بالتجنيس الكلمتان الراجعتان إلى أصل واحد في الاشتقاق))[2]. زيادة على ما فيه من تكلّفٍ واضح يرهقُ المتلقي في استيعابهِ، مع قلة الشواهدِ القرآنية في هذا المجالِ؛ لذا لا يمكن عدّه مظهراً أسلوبياً بارزاً له أثره الجلي في التعبير القرآني.

ثالثاً : بُنية الجناس وقيمتهِ البلاغية :

عَدّ البلاغيون الجناسَ من المحسناتِ اللفظية في البديع لأمر يتعلقُ باللفظِ أولاً ثم بالمعنى، ووفقَ إجراء صوتي يعتمدُ على كمية الأصوات داخل الوحدات المعجمية، فاللغة تُجمعُ الألفاظ المتشابهة والمتماثلة كُلياً أو جزئياً؛ لتؤكد التداخل

---

(١) ينظر : خزانة الأدب (الحموي): ٢٣٧.

(٢) مفتاح العلوم : ٥٤١، ولم تذكر المصادر شواهد غير هذين الشاهدين، وقد كثر هذا اللون من البديع في النظم اكثر منه في الشعر.

المقصود منه اقترانُ الدالِ بمدلولهِ في سياقٍ واحدٍ يُوظف الألفاظ توظيفاً دلالياً محكماً يتحولُ بموجبهِ الإيهام الظاهر إلى عامل إثراء في المعنى وإمتاعٍ للذهن المترقب لعنصر المفاجأة، وذلك بالمحافظة على المعاني وإيرادها في لفظين منفصلين.

إنّ مصطلح (الجناس) بنمطيهِ التام والناقص يتقاسم الصيغ الصرفية المتقاربة والمتفقة ويوزعها بشكل تجنيسٍ داخلي من خلال الترديدات الصوتية التي تُحدثُ إثارةً مفاجئة في النفس لها وقعها الآخاذ، فتتكرر المادة الصوتية في السياقِ الواحدِ في ضمن روابط واضحةٍ توحي بالاتفاقِ في المعنى للوهلةِ الأولى؛ الاّ أنها سُرعان ما تختفي إذا ما تعمقنا في باطنِ الدلالةِ.

ومن المعلوم أن الالفاظ تكتسب سمّتها الاسلوبية في انتظامها مع بعضها في حدود تركيبٍ يميزها[1]، لذلك فإنها تتحرك في ضمن نطاقها الكلامي وخلال هذه الحركات التحويلية في اللفظِ ومعناه تتولد معانٍ متعددة اصطلح عليها بعض الباحثين (تداعي المعاني)[2]، حيثُ يقوم فيه أسلوب (الجناس) باستحضار المعنى السابقِ في لفظٍ مختلفٍ يحملُ معناه الموضوع لهُ اضافة الى معنى السابقِ؛ لكنه سُرعان ما يتبدد عندما يكتشف المتلقي أثر المغالطة التي ولدّها هذا النوع البديعي فالأصل في الجناس المطابقة الدلالية أما ما يحدثهُ الجناس من لذةٍ فتكمن في الايقاعات الصوتية المتناغمة ممزوجةً بتحريك الذهن واشتغالهِ في البحثِ لإيجاد دلالة المعاني المخفية، وتتأصل تلك البِنية الجناسية في قوله تعالى : ﴿⬄⚐♋⚐☐⬧◆☐ ☐☐☐♑⇕♉◆☐ ⬄✗⇦♋♏☞✂♋♐◉ ✂☞♐◉⚐⬥◑⚐⚘⇦⬀﴾ [الروم : ٤٣]. وقوله تعالى : ﴿⬄⬥❷◆☐⬀☐⚘ ☐◆❻◆⑥⬀◆☐☞♌⋞﴾ [الواقعة : ٨٩].

إستناداً إلى قول القزويني إن من ملحقات الجناس شيئين أحدهما : أن يجمع اللفظين الاشتقاق[3]، فإن المادة اللغوية التي تجمعُ بين (أقم) و(القيم) وبين (روح)

(١) يُنظر : من بلاغة القرآن : ٤٩.

(٢) ينظر : البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم : ١٦٧، المشترك اللفظي في اللغة العربية : ٢١٦.

(٣) ينظر : الإيضاح : ٢٩٣.

و(ريحان) مادة اشتقاقية إذ ((يمكن ان يُشتقَ من المادة الواحدة اكثر من اشتقاق))[١]. وعلى هذا الأساس فالاشتقاقُ نمطٌ مميزٌ عن أنماط التكرار البديعي كتشابهِ الأطرافِ، والترديد، والتعطف وغيرها. اضافةً الى أن الاشتقاق يولدُ بُعداً صوتياً يتجلى في التتابع والمولاةِ للالفاظِ مما جعل معظم البلاغيين يؤكدون على ضرورةِ إلحاقهِ بالجناس، أن للتكرار اللفظي في هذين النصين دورٌ في الربط بين أجزاء الكلام من خلال تنشيط ذاكرة المتلقي وتهيأتها لاستقبال الإحالة الثانية (القيم) إلى صيغة فعل الأمر التي بُدئت بها الآية (أقِم)، وإذا ما بررنا قولنا من أن هذا الشكل الاشتقاقي هو من باب التكرار اللفظي تأكيداً على أن للدلالة في اللفظين المكررين مخالفة بارزة لذلك لم نقل تكراراً معنوياً ولأنتقلنا بهذا الى درج هذين النصين تحت قائمة الترادف أو شبه الترادف، جاءت الوحدة الصوتية المتمثلة بـ(القيم) في الآية القرآنية الأولى على الوجه الذي تقتضيهِ بلاغة القرآن لفظاً ومعنى فليست من باب التحسين أو التكلف، ولاختلاف الدلالة فإن ورود (القيم) على وزن فيعل وهى زِنةٌ تدّل على قوةِ ما تُصاغ منه أي الشديد القيام، والقيامُ مجازٌ في الإصابة؛ لأن الصواب يُشبه بالقيام وضدّهُ يُشبهُ بالعوج وقد جمعهما قوله تعالى : ﴿◻◆♒︎⬥⇔ ⑥⬥♑︎➔⌂⬗ ✏⅄🕮⬉⓿ ⬉♉︎◻◆♊︎⌂🕭🗏 ⬀⬁⬃ 🕭⬥⑩♒︎✗☺✞☞﴾ **[الكهف:١-٢]**[٢] ولما كان فعل القيام مأخوذ من القيم جُعلت الزيادة في فعل الأمر مراعاةً لأصل الأشتقاق فكان ذكر القيام من الجناس المُعبرعنه بجناس الأشتقاق، وكأن المعنى زِدْ قياماً تُزد قيمةً، ولولا الجناس هنا بلفظتي (اقمْ) و(القيم) لما توصلنا لهذا المعنى بأي لفظ مستبدل آخر ولم تظهر قيمته البلاغية والفنية التي هو عليها.

وهذا ما ينطبق على قولهِ تعالى ﴿▫⬥❷◆◻⬀⌂✗ ◻◆❻◆⑥⬂◆◻☞♌︎⋞﴾ **[الواقعة:٨٩]**، وقد أجمع الباحثون قديماً وحديثاً على أن الجناس قيمة بلاغية فنية تكمن في إثراء الجوانب الإيقاعية في النصوص لما يؤديه من دورٍ دلالي قائمٍ على التماثل الصوتي والتخالف الدلالي غير متكلف أو

---

(١) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية : ١٠١.

(٢) التحرير والتنوير : ٢٤٨/١٥.

مقصودٍ لغايةِ الزينة أو التزويق، فالأصلُ فيه الحُسن وهذا يبرز في ارتباط اللفظ بالمعنى في علاقاتٍ متينةٍ تُرسل على السجية؛ لأن المعاني إذا أرسلت على سجيتها وتركت وما تُريد، طلبت لانفسها الألفاظ، ولم تكتسِ إلاّ ما يليقُ بها، فأن كان خلافُ ذلك كان كما قال أبو الطيب المتنبي[1] :

إذا لم يُشاهدْ غيرَ حُسن شياتها وأعضائِها فالحُسْنُ عنك مغيِّبُ

إذن فقيمة الجناسِ في حُسنهِ والحُسن فيه ناجمٌ عن التكراراللفظي المستحسن والمناسب للسياق مع مراعاةِ المعنى وبذلك يوفّر مساحةً من التماثل الايقاعي للنصِ واقتضائه المعنى الموجب لإيراده، وما يحققهُ من تداعي للمعاني بإسهامهِ الفاعل في حركتها التأثيرية للتعبير المباشر. أن هذا التماثل والتوازن الكاملين هيأ لبعض الباحثين فرصة إطلاق (المماثل) على هذا اللون البديعي، فقد وضع عبد القاهر الجرجاني مقياساً لمعرفة الجناس المقبول المؤدي للمراد منه بأن ((يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وسَاقَ نحوَهُ، وحتى تجده لا تبتغي به بدلاً، ولا تجدُ عنه حِوَلاً)) [2].

ومما تقدم يتبين أن قيمة الجناس الفنيةِ تكمنُ في حُسنهِ البديعي واقتضائه للمعنى، وهذا يؤكد أن جمالُ الجناس وحسنه في عدم تكرارهِ، وقد التفت المحدثون إلى أن بلاغة (الجناس) تكمن في دقة اختيار الألفاظ الدالة على معانيها وفقاً لأسلوب يعتمد على نهج الاعتدال، وبُعدٍ عن التكلف المذموم، وهنا نستطيع إثبات أمر في غاية الأهمية وهو أن عناية الألفاظ في أسلوب (الجناس) موجهة الى تردد الأصوات في الكلام، وما ينتجُ هذا من إيقاعٍ موسيقي تطربُ لهُ الآذان وترق لهُ القلوب؛ لذلك أكدت الدراسات الحديثة على أن المظهر البديعي الجناسي هو ضرب من ضروب التكرار المؤكِد للنظم من خلالِ التشابه في تركيب الألفاظِ[3]، وهذا التشابه في الجرس يدفع الذهن الى التماس معنىً تنصرفُ إليهِ اللفظتانِ لتأدية الدلالة المقصودة، فلا تخرج نظرتهم عن حدود نظرية تداعي الألفاظِ أو(تداعي المعاني) في علم النفس، مما لم يكن معروفاً عند البلاغيين القدماء وهذا لا يعني أننا ننكر وجوده

(١) ديوان المتنبي : ١٨٠/١.

(٢) أسرار البلاغة : ١١.

(٣) يُنظر: البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم : ١٧٠.

في كتب الأقدمين؛ بل نؤكدَ على ذلك تأسيساً على الشواهد القديمة في تراثنا النقدي والبلاغي.

وقد كشف البحث أن براعة النظم في (الجناس) تكمن في تماثل الألفاظ تماثلاً يُفصح عن فطنةٍ عقليةٍ يمكن من خلالها إيهام المتقبل بالطرح اللفظي المكرر، ثم مفاجأتهِ بمعنًى غير متوقع مؤكداً أن هذا الفن من الفنون الأصيلة التي لا يقدر أن يستعملها إلاّ أديبٌ متمكنٌ تنقادُ له اللغة، وفقاً لإحساس مرهفٍ وطبيعةٍ ذوقية عالية.

وقد لاحظ البحثُ أن المظهر البديعي الجناسي لا يتأتى في التعبير القرآني زخرفةً صوتية أو تحسيناً لفظياً؛ بل استجابةً لاستواء النصِ على اعتبارهِ ركناً أساسياً فيه إضافة لما يحملُ بين طياتهِ من شحنةٍ شعورية مُعبرة عن الافكار بما يتلائمُ مع اجراس الصوت الموسيقي وتلاحمها مع ابنيتها بوشائج التناغم.

فالآيات القرآنية التي ذُكرت انموذجاً للمظهر الجناسي تختلفُ في نوع هذا اللونِ تبعاً للمعنى، وعلى الرغم من ذلك التباين فإن النص القرآني لم يتقيد بنوعٍ معين لمناسبةٍ معينةٍ؛ بل جاء لتوضيح الدلالةِ في كل موضعٍ يتطلبهُ، خلافاً للدراسات الحديثة التي أزهق فيها روح هذا الفنِ فجاءت متكلفة باردة مكرهةً تفوح منها رائحة التصنعِ والتعقيد.

المبحث الخامس : أسلوبُ ردُّ الأعجَازِ على الصدُور :

أولاً : بنية التصدير وإحكام المعنى :

كشف علماء البديع النقاب عن مظهر من مظاهر تدعيم الأسلوب وإحكام جودة المعنى فيه، وبيان أسس الترابط في النغم الداخلي، والنظم الموسيقي للفواصل، وبين تقرير الدلالة التي يُضيفها على النص من خلال مصطلح بديعي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بموسيقى الشعر، عُرف عند أغلب البلاغيين تحت عنوان (ردُّ العجز على الصدر) أو (ردّ الأعجاز على الصدور)، فكان عبد الله ابن المعتز من أوائل السباقين إلى إطلاق تسمية (ردّ أعجاز الكلام على ما تقدمها)[١] على الباب الرابع من الأبواب الرئيسية الخمسة لفن البديع، مبيناً أثره في الشعر والنثر، في حين ورد عرضاً في مصنفات العلماء المتقدمين عليه[٢]، أما المتأخرون فقد أطلقوا عليه تسمية (التصدير)[٣] أو (الترديد) منطلقين من النصوص الأدبية التي ((تعطي لوناً من الإيقاع الموسيقي يتقارب مع الغناء الذي يُطلب فيه ترداد بعض ألفاظ بعينها، يدركها السامعون على البديهة بمجرد الإنشاد))[٤]، وهذا يؤكد أن مصطلح (التصدير) أخف على المستمع وأليق بالمقام[٥].

وشكلت تسمية (التصدير) تناسباً دقيقاً بين المعنى اللغوي الدال على التقدم وإعطاء الأولوية في الصدارة؛ لأن التصدّر هو نصب الصدر في الجلوس، وصدَّره في المجلس فتصدَّر، والتصدير : حزام الرحل والهودج[٦]، وبين المعنى الاصطلاحي الصادر عن رؤية شاملة للأبعاد التي يتضمنها هذا الأسلوب، فالوقع البليغ على المتلقي متأتٍ من ((إيراد أحد اللفظين المكررين، أو المتجانسين، أو الملحقين بهما، في أول الفقرة، والآخر في آخرهما))[٧] هذا في النثر، ومن الأمثلة الواردة على أسلوب (ردّ العَجزُ على الصدر) تبعاً للتعريف الاصطلاحي لهذا الاسلوب ما يأتي :

---

(١) ينظر : البديع (ابن المعتز) : ٤٧.

(٢) ذكره الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) عرضاً دون تمثيل أو إفراد ببيان مستقل، يُنظر : البيان والتبيين : ١١٦/١.

(٣) ينظر : العمدة : ٣/٢، وتحرير التحبير : ١/ ١١٦، والفوائد المشوق : ٢٣٩.

(٤) البلاغة والأسلوبية (د. محمد عبد المطلب) : ٢٩٩.

(٥) يُنظر : خزانة الأدب (الحموي) : ١/ ٢٥٥، المنزع البديع: ٤٠٦.

(٦) يُنظر : لسان العرب، مادة (صَدَرَ).

(٧) الإيضاح : ٢٩٤.

أولاً : مثال (ردّ العجز على الصدر) في اللفظين المكررين :

قوله تعالى : ﴿❑◆❑✌③⬂⬀⬁ ✂☞⬣☪❑☞❑" ❑◆✂☞✍✦

❑❑⬀⬃⬉❻ ❑❑♌ ✌❑③⬂✦♦⬣☪❍🡸 ☎﴾ [**الأحزاب : ٣٧**] جيء

بالتعبير القرآني مُصدرًّاً بلفظةِ (تخشى) خطاباً لرسولنا الكريم ﷺ، فقد أورد المفسرون للفظ (الخشية) في هذه الآية دلالات أربع هي[1] :

الاولى : تستحي منهم، والله أحقُّ أن تخشاه، وتستحي منه، فالخشية بمعنى الاستحياء كثيرة في اللغة.

الثانية : تخشى الناس أن يعاتبوك، وعتابُ الله أحقُّ أن تخشاه في كُلِّ الأحوال.

الثالثة : وتخشى الناس أن يتكلموا فيك.

الرابعة : تخشى الناس أن يفتتنوا من أجلك، وينسبوك إلى ما لا ينبغي، والله أحقُّ أن تخشاه؛ فإنه مالك القلوب، وبيده النواصي والألسنة.

وأرجح الدلالات في تأويل هذه الآية عند أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين، هو خشية الرسول ﷺ أن يلحقه قولٌ من الناس في شئٍ قد أباحهُ الله – تعالى– له فعاتبهُ الله على هذا القَدْرِ، و أعلمهُ أن الله أحقُّ بالخشية، أي: في كُلِّ حالٍ[2].

وقد تكررت هذه الصيغة في الآية نفسها في قولهِ (تخشاه)، مما يدل على ورودها بأسلوبِ (ردِّ العجز على الصدر)، ويكاد التكرار اللفظي في هذه الآية ((يأخذُ طابعاً متميزاً في قدرته على ترتيب الدلالة والنمو بها تدريجياً في نسقٍ أسلوبيٍّ يعتمد على التكرار اللفظي))[3]، فالتصدير بلفظة متقدمة تتبعها أُخرى وفقاً للنمط التكراري، تحقيق دفع المعنى تدريجياً للوصول إلى الدلالة المقصودة.

ثانياً : مثال (ردّ العجز على الصدر) في اللفظين المتجانسين :

---

(١) أحكام القرآن (لابن العربي) : ٣/ ٥٧٦، الجامع لأحكام القرآن : ١٧/ ١٥٦.

(٢) ينظر : جامع البيان : ١٦٧/١ و ٢٠٣/٦، والمحرر الوجيز : ٤/ ٣٨٦.

(٣) البلاغة والأسلوبية (د. محمد عبد المطلب) : ٣٠٠.

قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ **[الروم : من الاية ٦٣]**، وقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ **[الواقعة : ٨٩]**، وقول النبي ﷺ ((الظلمُ ظلماتٌ يوم القيامة))[1]، وقولهم : (سائلُ اللئيم يرجعُ ودمعُهُ سائل) و(الحيلة ترك الحيلة)[2].

ثالثاً : مثال (ردُّ العجز على الصدر) في اللفظين المشتقين :

قوله تعالى ﴿ [illegible] ﴾ **[نوح : ١٠]**، وقوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ **[القلم :٩]**، وقوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ **[آل عمران : ٨]**.

رابعاً : مثال (ردُّ العجز على الصدر) في ما يشبه الاشتقاق وما يلحق به :

قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ **[الشعراء : ١٦٨]**.

يمثل التكرار اللفظي في جميع انواع التصدير حلقة مُغلقة يرتبط فيها الكلام بآخرهِ، ويهدف إلى إثراء المعاني من خلال الإيحاء الناتج من إطلاق اللفظ الأول بتوقع الذهن لما يلحقه من اللفظ الثاني؛ لتقرير الدلالة وتبيينها في السياق، والتدليل عليها، بوصفها رابطاً من روابط التّذكر، وهذا التوسع والثراء المعنوي يؤدي إلى استغلال اكبر قدر ممكن من إمكانية اللغة إلى درجة يوصل فيها المتلقي من خلال هذا الاسلوب القائم على التكرار الايقاعي، إلى تخيُّل الألفاظ المترددة ودلالة كلٌّ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، حديث رقم (٢٤٤٧)، ص٣٩٢.

(٢) الإيضاح : ٢٩٤، وبغية الإيضاح : ٤/ ٧٧.

منها على المعنى المقصود[1]. أما في الشعر فهو إيرادُ أحد اللفظين في آخر البيت، والآخر في أول الصدر أو وسطه أو آخره أو في أول العجز[2] ومن ذلك قول أبي تمام[3] :

أظنُ الدمعَ في خدّي سيبقى رُسُوماً من بُكائي في الرُّسُومِ.

إن المعنى الاصطلاحي لبنية التصدير يوصلنا إلى نقطةٍ مهمة يجب الوقوف عندها لبيان المراد منها والمغزى الذي ترمي إليه، وهي قولهم (أحد اللفظين) تخصيصاً وتأكيداً وعدولاً عن قولهم (اللفظين كلاهما)، فهذا التركيب ذو أثر واضح في بيان الفرق بين مصطلح (ردّ العجز على الصدر) وبين مصطلح (التجنيس أو الجناس) إذ يمكننا تحديد الفارق بين الأسلوبين بالأتي :

أولاً : التصدير قائم عى الاشتقاق وشرطه مجيء أحد اللفظين في أول الكلام والثاني في آخرهِ، ولا يُشْتَرَطُ هذا في الجناس.

ثانياً : توحد بنية تصدير المعنى في اللفظين المكررين في حين يشترط في أسلوب الجناس إختلاف الدلالة في اللفظين.

ثالثاً : يجمع التصدير بين الجناس والتكرار اللفظي، بخلاف ما نراه في أسلوب الجناس، فاللفظان المكرران هما المتفقان في اللفظ والمعنى، المتجانسان هما المتشابهان في اللفظ دون المعنى، وكذا الملحقين بالمتجانسين

والواقع أن ارتكاز بنية التصدير على الاشتقاق كان سبباً رئيساً في إلحاق بعض البلاغيين هذا الأسلوب ضمن نطاق (الجناس) واضعين إياه تحت مسميات عديدة منها (شبه جناس الاشتقاق) و(الجناس المطلق)[4] و(المتلاقيان في الاشتقاق) و(المتلاقيان فيما يشبه الاشتقاق)، عدّ ابن الأثير (ردُّ العَجْزِ على الصَدْرِ) من باب

---

(١) ينظر : البلاغة والأسلوبية (د. محمد عبد المطلب) : ٢٩٩.

(٢) يُنظر : الإيضاح : ٢٩٤، وبغية الإيضاح، ٤/ ٧٧.

(٣) ديوان أبي تمام : ٢٨٨/٢.

(٤). إنما سُمّي مطلقاً؛ لأنه لما كانت حروفه مختلفة ولم يشترط فيه أمر سواه، مع اتفاق الكلمتين في أصل واحد يجمعهما الاشتقاق ينظر : الطراز : ٣٩٢/٢.

التجنيس ((وهو ضربٌ منه، وقسم من جملة أقسامه))[١] وقد أخرج منهُ ما لا يوافق المعنى بقوله: ((وربّما جَهل بعض الناس، فأدخل في التجنيس ما ليس منه؛ نظراً إلى مساواة اللفظ دون اختلاف المعنى))[٢] وهذا ليس من التجنيس في شئ إذ أن حدّ التجنيس هو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، وأشار إلى بيت أبي تمام، مُعلقاً عليه بأنه من باب اتفاق اللفظ والمعنى معاً[٣].

وقد ذهب العلوي إلى أن أسلوب التصدير والاشتقاق متقاربان، إلاَّ أن ردّ العجز على الصدر أعمُّ من الاشتقاق؛ لأن أسلوب (ردُّ العَجْزِ على الصَدْرِ) كما يرد في مختلف اللفظ، فقد يرد متساوياً، بخلاف الاشتقاق، فقد يكون وارداً فيما اختلف لفظه وبينهما جامع في الاشتقاق[٤]، والواقع أن هذه التفريعات تعودُ في الأصل إلى مادة واحدة توحي بأن اللفظين المكرّرين أو المتجانسين من أصلٍ واحد؛ لكن الحقيقة خلاف ذلك في الأصل فلكلِّ أسلوب بنية خاصة مستقلة، فهو يجمعُ بين الجناس والتكرار اللفظي، بما يضيفه على النصوص من إيقاع داخلي مؤداه ربط المعاني بعضها ببعض من خلال تقرير المعنى بترديد اللفظ ومجيئه مجانساً للفظ الآخر مما يؤكد معناه في الذهن ويقرر الدلالة التي يرمي إليها ((فهو أشبه بوثاقٍ رقيقٍ أو نغمةٍ موحدة تربط بين شطري البيت))[٥]، وهذا يعزز الدور المعنوي الذي ينهض به هذا الأسلوب الذي يرسخ المعاني بين طرفين مترابطين بعلاقة توافقية محكمة ينتج عنها إيقاعاً صوتياً يوحّدهُ الاشتقاق الجامع والبارز في المستوى الخارجي لوحدتين صوتيتين مكررتين، لإيصال بعد دلالي أعمق يُفصح عنه التكرار الناجم من عملية الربط الصوتي للألفاظ.

يمكننا بعد ذلك أن ندرك أن أسلوب (التصدير) سمة بارزة لها نظامها الخاص المستقل عن أسلوب الجناس، فأحدهما مخالف للآخر، لهذا أُفرِدا بأبواب

---

(١) ينظر : المثل السائر : ٢٦٧/١.

(٢) المكان نفسه.

(٣) ينظر : المكان نفسه.

(٤) ينظر : الطراز : ٣٩٢/٢.

(٥) البديع : دراسة في البنية والدلالة : ١٨٦.

مستقلة في أغلب كتب البلاغة، وقد كَثُرَتْ شواهد هذا الفن في الأدب العربي شعره ونثره، حتى أن البلاغيين القدماء أشادوا بأثره الفني في النص الإبداعي؛ لأنَّ ((لهُ موقعاً جليلاً من البلاغة، ولهُ في المنظوم خاصة محلاً خطيراً))(١).

وعدّه بعضهم ((من ضروب البيان وفنون التلعب باللسان))(٢)، وتختلف صور هذا اللون من البديع تبعاً لما يقتضيه المقام وما يحتمه السياق وما توجهه المناسبة التي سيق من أجلها، حتى أن المتتبع لآثاره يجد أن كثيراً من ألفاظه جاءت وفقاً لمنهج معتدل بعيد عن التكلف المذموم.

لقد وظف التعبير القرآني بنية التصدير في إحكام المعنى من خلال انفتاح هذا الشكل الأسلوبي على مساحة لفظية صوتية ذات عمق دلالي متتابع ينهض دورهِ التوكيدي للمعنى من خلال الربط بين طرفين يجري كل منهما على نسق بديع خارج عن المعروف من نظام جميع كلام العرب، ويقوم في طريقته التعبيرية على أساس مباين للمألوف من طرائقهم، وفقاً للأنواع المتعددة التي تشكل طابعه العام، وهذا يمكّن المتلقي من الكشف عن مواطن إحكام المعنى والمبنى معاً وفقاً لتلاؤمٍ نسقي وإيقاع مؤثر، وترتيب تقتضيه الدلالة بما يتسع للأغراض القرآنية المتعددة وبما ينسجم مع الفواصل الموسيقية لتحقيق الترابط والتناسب بين البداية والنهاية في التعبير بمجيء إحدى الكلمتين في أول الجملة والثانية في آخرها.

ثانياً : التنوع في أُسلوب التصدير :

أورد علماء البديع أنواعاً متعددة للتصدير(٣)، أعرضَ عنها الكثير من أرباب الصناعة؛ بسبب عدم ورودها في كلام البلغاء، ولحصول الالتباس والتداخل الكبير في مفاهيمها إذ إن أغلبها متكلف، وقد اعتمدالبحث الأنماط التي جاء بها ابن المعتز أثناء تقسيمه لهذا اللون وقد سار عليها أغلب الباحثين وهي ثلاثة أنواع :

النوع الأول : توافق آخر الفاصلة مع آخر كلمة في صدر ما قبلها :

---

(١) كتاب الصناعتين : ٣٥١.

(٢) الفوائد المشوق : ٢٣٩.

(٣) ينظر : الطراز : ٣٩٢/٢.

تأمل قولهُ تعالى : ﴿[illegible]﴾ [الأنبياء:٨٧]. كثيراً ما نجد في أسلوب عرض القصص القرآني جريانه على مستوىً رفيعٍ واحدٍ على الرغم من تنوع المعاني والموضوعات، ولا نعثر في القرآن على معنىً يتكرر في أسلوبٍ واحدٍ أو قالبٍ من التعبير متشابهٍ بل نراه يتجدد في عرضهِ للدلالات المقصودة وفقاً لاقتضاء المقام، وبطرق تصويرية مختلفة ومن ذلك ما نلمحهُ في أسلوبهِ القصصي المراد به العبرة والموعظة وبيان قدرتهِ تعالى في الأخذِ بالظالمين وتمكنهِ منهم بأسلوبٍ مقتصرٍ على حوادثِ القصةِ وما يتعلق بغرضها، أي أننا قلَّما نجد السرد التاريخي في وقائع وأحداث القصة القرآنية؛ لأن ذلك يبعدها عن مقصدها المنشود.

وقد كشفت هذهِ الآية عن وصفِ حال نبي من أنبياء الله تعالى في مشهدٍ يلفت النظر ويشدُّ الانتباه والترقب لما وراء تلك المناجاة الخفية في ظلماتٍ لا يعلمها إلاَّ الله، وإذا ما تأملنا هذا النص بمستواهُ التركيبي وصفاً وتحليلاً لدلالاتهِ نجد أنهُ ينتج مجموعةً من القيم الجمالية البديعيةِ، فالطاقة الدلالية التي تحكمهُ متمثلة بملمح الترديد الصوتي في لفظتي (الظلمات، والظالمين) التي تعبر عن مكوناتهِ اللغوية من دلالاتٍ وتراكيب بحيث لا نستطيع أن نفصلها عن أسلوبها البلاغي المعبر عنه، فقد أفرزت تلك الترديدات اللغوية مطابقةً للتراكيب والدلالة بشكلٍ ينسجمُ مع السياق القرآني وهذا يؤكد أن المظاهر البديعة ليست فنوناً تحسينية جيء بها من أجلِ التنميق فحسب؛ وإنما هي في صُلب المعنى وجوهر النظم). فالعلاقة المتبادلة بين لفظة (ظلمات) و(الظالمين) علاقة اشتقاقية أتاحت للدلالة مساحة تتناسبُ مع المظهر البديعي وآليته التي يعمل بها في التعبير القرآني، وانطلاقاً من هذه العلاقة اللغوية وتشكيلاتها على وفق تقنيات الشكل والأسلوب نلمح ترابطاً بين بنية التصدير وبنية التجنيس من خلال الكشفِ عن إيقاع الحروف المتكررة داخل وحدة الصوت (الظلم)؛ إلاَّ أن ما يلفت النظر هنا إتحادُ الدلالة مما يؤكد أن البنية البلاغية لهذا

الشكل التعبيري هي (ردُّ الأعجاز على الصدور)؛ ولأن فاعلية المكان وقعت على دالة (الظلم) الأولى، في حين أن الدالة الثانية جمع أسم الفاعل (الظالمين) جاءت تُجلي الإثارة المترقبة التي يصدرها وقع (الظلم) في ذهن المتلقي، وهذا الإدراك يُتيح للمتلقي ((تكوين مساحة حرة في عملية التلقي –فضاء التوقع– ذلك أن المتلقي في هذا الدال يفترض توقعاتٍ مختلفة ومتعددة))(١).

إن ارتباط القدرة بالظلم يوحي بدلالات لها آثارها في التناسق القرآني الذي يرسم صورة الموضوع بجرسهِ الذي يلقيه في الأذن، والتدرج في الظلالِ بما يحقق الجو العام المنسق مع الفكرة والموضوع.

النوع الثاني : توافق أول كلمة مع آخر كلمة في الآية :

((والأكثر فيه أن تكون الكلمة التي في العجز عين الكلمة التي في الصدر لفظاً، وإنّ قبل اللفظ اشتراكاً زاد النوع حُسناً))(٢).

ومن أمثلة هذا النوع من التصدير قوله تعالى : ﴿❒◆♎⍓◘⬄ ✍◆☪⬧ ♊⚓✍ ⬧☼➔⌨⍓ ❻◆❍⇳☺⍓❑⌚ ▤ ⍟⬮❑⬧ ⍓◻⬤☼⌨⍓ ❑⬤☼❑✽❀ ✂⬧⬧⬥⬧❑◆⬧❑⬧⬧⍓ ◌❑♒⌐﴾ **[آل عمران:٨]**،

وقوله تعالى : ﴿⬧◆⬧✌◆ ⬧⬧❑❄☐⬧❼ ⬧⬥⬧⍓☺⍓◘⬧⬧➔⬧⍓⌐⬧⬥⬧﴿ ⬧⬧⬥⬧⬧⬥✌⬧◆⬧ ⬧⬧❍⬧⬧﴾ **[الشعراء:١٦٨]**، وقوله تعالى: ﴿❒◆❍⬧❷⬧⬧⬧◆ ⬧⬧◼❿⬧⬧◆⬧ ⬧⬧❿⬧❾⬅

⬧⬧⬧⬧❸⬧⬧⬧ ⬧◆⬧⬧ ⬧⬅⬧⬧⬅⬧⬄ ❍⬧❷⬧⬧⬧⬧﴾ **[المائدة:٩٦]**، وقوله تعالى : ﴿❒◆⬧⬧⬧⬧⌘ ✂⬧⬧✦ ⬧⬧⬧◻⬧▤ ⬧⬧⬧⬧❿☺✞⬧﴾ **[النساء:١٦٤]**، وقوله تعالى :

﴿✂⬧⬧⬄⬧⬄◆⬧⬧⬧❷⬧☐✂☎ ❻◆⬧⬧⬧⬧⬧

⬧⬧❍⬧⬧⬅⬧⬧ ⬧⬧⬧⬧⬧ ⬧⬧⬧⬧⬧⬧⬧⬧❻⬧✂﴾ **[نوح:١٠]**، وقوله تعالى: ﴿❒◆⬧⬧⬧⇳⬧⬧⬧⬧⬧☐✂☎ ⬧ ⬧⬧⬧☐ ✂⬧⬧⬧

(١) سلطة النص على دالات الشكل البلاغي : ٧٤.

(٢) خزانة الأدب (الحموي) : ١/ ٢٥٦.

وقوله ❹■✎♦↗⑥ ⊁♦×✓✎☪⇖○⇔•←☺⇘♌☺✍⊁ ﴾ [البقرة:١٩٥]، تعالى: ﴿ ♦⊡⊡♎⊡♒♦□ ⊁✍☺♌⇘⌛♦⊙⊃✎⇖ 🗐 □♌⇘⊙ ♦♌☺⊃✎⇖• ﴾ ♌⊡♎➔❑♎❁✍ ♦♌♎⊠☞ ♦♌☺⊃✎⇖• ⊁✍☺♌⇘⌨♦⊙⊃✎⇖•

[الإسراء:٨١].

وهذه بعض صور التصدير ومظاهرِ في التعبير القرآني، التي يتجلى فيها اللفظان المكرران مرتبطان بعلاقة الاشتقاق وشبهه، وفيها تنفتح النصوص القرآنية على مساحةٍ مرئيةٍ من العلاقاتِ الاشتقاقية المتصدرة، وهذه العلاقاتُ ((تفتحُ باباً للقلبِ والعقل ليتدبر، ويُراجع ويفهم))[١]، وإذا تعمَّقْنا في هذه الصياغة القرآنية نجدُ ذلك الترابط والتناغم الموسيقي الناجم عن عملية الاشتقاق الصوتي، والدقة المتناهية في إحكام مواقع الدالاتِ وفقاً لبُنيةِ التصدير فلفظةُ (وهّاب) و(غفَّار) صيغة مبالغة على وزن (فعّال)، ويجدر الذكر هنا أن هذهِ الصيغة صيغةٌ قياسية، ألفِها العربُ في استعمالهم الشعري والنثري وعلموا لها قاعدةً ضبطوها في استعمالهم، وهي كل لفظة جاءت على وزن (فعّال) تدّل على الحرفة[٢].

وإذا تفحصنا مكونات النصوص القرآنية الأُخرى فإننا نجد أن لفظ (المُحسنين) مثلاً جمعُ أسم فاعل مشتقٌ من صيغة الفعل (أحسَنَ) بتناسب وتناسق دقيق يدلُ على وضوح الدلالةِ فيهِ، فالإحسانُ صفة المُحسنين، وبذلك انتجَتْ العلاقة الترابطية بين الدالين المتمثلة بالتكرار الصوتي تناسباً دالياً يقتضيهِ المقام.

فجاءت صفة (المُحسنين) بما تحملهُ من شُحنةٍ إيقاعية صوتية ترددية تتناسبُ مع ما تصدّر به النص من دالة الفعل لتعبر عن الحركة الفاعلة التي أحدثها هذا اللفظ في النص ويمكن أن نطلق على هذه الحركة تسمية (الحركة التقابلية الصوتية).

ويبرز في النصوص القرآنية –مثال التطبيق– التوافق بين الدالين (زهق) و(زهوقا) في المستويين السطحي والعميق، فالمستوى السطحي يتشكل في حروف الوحدةِ الصوتية المؤلفة من (الزاي، والهاء، والقاف)، أما المستوى العميق فيتمثل

(١) مراجعات في أصول الدرس البلاغي : ٢٥٥.

(٢) ينظر : معاني الأبنية : ٩٤.

فيما أحدثهُ ذلك التوافق الشكلي للحروفِ من موافقةٍ في المعنى أولاً وفي ((التكرار الممثل للبنية العميقة التي تحكم حركة المعنى في مختلف ألوان البديع))[1]، وثانياً التوافق الصوتي الدلالي الذي يُحقق جُملةً من المعاني المتقاربة والمؤتلفة بينها من خلال شريفُ النظم، وقد أوجزها الباقلاني في آية القصصِ من قوله تعالى :

﴿❐◆✈✂✍◆☝♑①☙ ▫♋⓿☺⊠✍✎ ↗◆✂✍◆☝♑①☙
✂✍✎✂✍⊙✂❻◆ ✂✍⊠☞⌘⚘❷◆☐■ ☎ ❐◆••
✍•✡☯☙ ✡◆⏲⚘⑩⌨◆⌨⊠ ✌♋⇗☙ ✂✍♑⓽❻✡⇙⓿◆✍ ☎
❐◆📖❐⇳❍⚘♊ 🗎•☺⊠✍✎ 📖❐⇳❍✽♊⌘ ✂✍✎✦
⑰☯⓿⚘⇘⑩◆❐ ☎ ❐◆••✍⌨⇗☞⇗ ✂✍♑⇘⊞⊠❍✽✍⑩⊠
✖⚛⓿ ☎ ⑰⚛⚏❐ ✂✍✎⅄ •• ❻↗◆♋⊡❹
✂✍☺⇘⊞⇘❍⚘⓽♋⇦✖◆﴾ [القصص:٧٧]. حين قال : ((هي خمسُ كلماتٍ متباعدةٍ في المواقعِ، نائيةُ المطارح قد جعلها النظم البديع أشدَّ تآلفاً من الشيءِ المؤتلفِ الأصل، وأحسنُ توافقاً من المتطابقِ في أولِ الوضعِ))[2].

ولو تأملنا الباقلاني بوقفةٍ دقيقةٍ أمام هذا التعبير القرآني نجد أن كل لفظٍ من ألفاظهِ يحملُ خصوصية مستقلةً في الموقع والأداء، ولو أبدلنا لفظٍ مكان آخر لاختلت قيم التوازن البديعي فيهِ، فالخطابُ القرآني هنا محمَّلٌ بالعواطفِ والانفعالاتِ متجددٌ في التعبير، متماسكٌ في الربط العفوي متجهٌ إلى فردٍ متكررٍ وهو قارون بخاطبٍ يتصدرُهُ فعلُ أمرٍ مرتبطٍ بالصيغة الاشتقاقية التي ينتظرها الذهن المتمثلة ظاهرياً بقولهِ (لا تبغ) وفقاً لعلاقة التكرار اللفظي فدلالة الفعلين تُشير إلى معنى السعي وشدة الطلبِ.

النوع الثالث : توافق بعض كلماته مع بعض في أي موضعٍ كان :

ومن أمثلة هذا النوع من أنواع التصدير قوله تعالى : ﴿❐◆⑩♑•◑•⓽♋
✂✍♌⇔☺⇠♐⇗❽⌧☒ ✉⚗❷⇖♌⇠✇♑ ✌♓♋♊
♎◆⌚⇗▣⚗⌨⊠ ▫••⊠✍⎗• ✉⚗✍✍✎⅄⚠♋⇦▫✈
♌⊠②♋❷⇖❐✂☎ ✌♋✡⇙♑⇠⚐ ✌❐✍ 🗎•✍✡⇠❐✂☎
✉⚗❍♋⏲ ④❐❍⇔☺◆♐⇗❽⌧↗⇓❐♌◆﴾ [الأنعام: ١٠]، وقوله تعالى

(١) بناء الأسلوب في شعر الحداثة : ١٠٩.

(٢) إعجاز القرآن (للباقلاني) : ١٩٤.

: [illegible] [الأنبياء : ٣٧]، وقوله تعالى :

[illegible] [الإسراء :٢١]، وقوله تعالى

: [illegible] [طه : ٦١].

ترصد في هذه النصوص القرآنية نمطاً تكرارياً لهُ طبيعته الشكلية القائمة على خصائص تركيبية لصيغٍ مختلفة تؤدي وظيفة دلالية في بناء التعبير، فـ((الجملة بطبيعتها تتكون من مجموعة متآلفة من المفردات التي تكوّن في النهاية معنىً مفيداً، وهذا المعنى تكوّن اساساً في صورة ذهنية لدى المتكلم))[١] ينتقل بعد ذلك في صياغة مكتملة وفقاً لأساليب إبداعية تكشف عن كيفية ارتباط اللفظ بدلالاتهِ الموافقة والمعبرة عن المعنى المراد، فقد خضعت هذه التعابير القرآنية المتصدرة بألفاظٍ يوافق بعضها بعض ما جاء في سياق التعبير ذاتهِ، انسجاماً شكلياً وتلاؤماً دلالياً يؤكده اللفظ والمعنى معاً، حيث ترد الالفاظ في السياق القرآني متلاحمة بما بعدها، ثم يزداد المعنى بتكرار الالفاظ عينها في مواضع متنوعة لا تقتصر على البدء أو الختام، لتوحي بدلالات تثري المعنى وتهدف إلى تقريرِهِ وتوضيحهِ ((حتى يمكن أن نعتبر اطِّراد المعنى تداخل مع وجوه الحال المناسبة فيه)) [٢].

وقد يُفضي التوافق اللفظي إلى حدِّ المُفارقةِ حين يأتي اللفظُ الأول مثبتاً يقابله الثاني بصيغة النفي كما في قوله تعالى : [illegible]

---

(١) البلاغة والأسلوبية (د. محمد عبد المطلب) : ٢٩٠.

(٢) البلاغة والأسلوبية (د. محمد عبد المطلب) : ٣٠٠.

☎✁☑❑➚⓿❑➔🔔 ♊⇖▤🕔⬧⓿◆❑ ☎✁❑⬉⬊⬀✌⬂⬧➔✍
🕮❑⬄♋⬢■⬛☺⇳✡❑✍ ﴾ [الحجرات: من الآية ١٤].

جاءت هذه الآية نفياً للإيمان المُطلق لا لمطلقِ الإيمانِ لوجوهٍ نذكرُ منها[١] :

أولاً : أنّه أَمرهم أو أذن لهم أن يقولوا : أسلمنا، والمنافقُ لا يُقال له ذلك.

ثانياً : أنّه قال (قالتْ الأعراب آمنا) ولم يقل المنافقون.

ثالثاً : إن الذين نادوا رسول الله ﷺ من وراء الحجرات هم هؤلاء الأعراب الذين وَصفهم بعض العلماء بـ (الجُفاة)، لغلظتهم ونداؤهم ليس نفاقاً وكفراً؛ بل جفاءً وغلظةً، ولو كانوا منافقين لما قال الله تعالى: ﴿❑◆⓿⬧☺⓿✍ ③◆⑨⇳⌘➚⬊⬀ ✁✍"⬧③☺⬓🕔♊← ×⬁❼ 🔔➔⬛➔❑⬚⬁▤➚☠⬀﴾، أي أنه نفى الإيمان وليس الإسلام[٢]، ومن الملاحظ أن بنية التصدير في الآية الكريمة تحركت باتجاهين؛ لإثباتِ النفي (آمنا، لم تؤمنوا)، مرتكزةً على الترديد الصوتي لإحكام العلاقةِ الدلالية المتمحورة حول العمق المتتابع في حركةِ الأصواتِ المنسجمةِ والمتجانسةِ، فيكون لها من الإيقاع الموسيقي ما لا يمكن إنكاره إضافة للبعد الدلالي الجديد في اللفظِ الثاني (المنفي) والدال على موقفٍ متعارضٍ مع الأول المتمثل بـ (آمنا)، وعلى الرغم من تلمس الموافقة اللفظية بين طرفي التصدير فإن التنافر والتخالف الدلالي يظهر جلياً؛ ليؤكد بظهوره حركة مُعاكسة لُكلّ من اللفظين من حيث الدلالة.

أما قوله تعالى : ﴿③◆❑⬀⬊◆ ✍⬧❷◆❑⬂✡◆♑⬓✍ ⬀⬁✁⬀▤ ❻⬊➔🗎 ✌⬁❷⬀⬂⬄➔⬓❑③ ⬉◆☺⓿✍✎ 🕮❑❻⬀⬂➔⬓✽➔⬓✱⬧⇳﴾ [الحج: من الآية ٢].

فإنَّ قمةُ البلاغةِ والإعجاز يتمثّلُ في هذه الآيةِ التي وقف المفسرون والبلاغيون والعلماء لاكتشافِ السرّ البديع في عدولهِ تعالى عن قولهِ (مُرضعٍ) إلى (مُرضعةٍ)، فكان التعليل المنطقي أن ((المُرضعُ : من لها وَلَدٌ تُرضِعهُ، والمرضِعَةُ: من ألقمتِ الثدي للرضيعِ، فالمقام هنا يقتضي ما جاء به السياق القرآني، لأنه أبلغ؛

(١) بدائع الفوائد : ١٣٢٥/٤.

(٢) يُنظر : المكان نفسه.

ولأن المرأة قد تذهلُ عن الرَّضيعِ إذا كان غير مباشرٍ للرّضاعةِ، فإذا التقم الثَّدي، واشتغلت برضاعهِ لم تُذهل عنه إلاَّ لأمرٍ هو أعظمُ عندها من اشتغالها بالرِّضاع))[١]، وقد جيء بالتاء في لفظِ (المُرْضِعةِ) لإثبات فعل الرضاعةِ دون التَهيُؤ لها.

فاشتقاقُ الدال من صيغة الفعل الثلاثي (رَضَعَ) فَسَرَ البنية الأسلوبية لتصدّرِ اللفظة الأولى (مُرضِعةٍ) وردهِ إلى الفعل (أرضعت) وفقاً لقوانين الاشتقاق الصرفي الصوتي؛ لأن مناط الإعجاز القرآني الدلالي في هذه الآية هو اللفظ المتكرر؛ لأنه متعلقٌ بـ ((سّر النظم وطريقة التأليف من الجملة الى الكلمة إلى الحرف، وهو مذهب استبد به نظم القرآن، حتى كأنه استوفى من اللغة كلّ ما يمكن أن يتهيأ منه)) [٢] فطاقة الإيحاء هنا تكمن في اللغةِ التي تُغني عن الكم بما تحققه من إتفاقٍ وتلاحمٌ في النظمِ والتوزيع للمفردات تفادياً لخلل والتفاوت والتباين، وانسجاماً مع مراعاة السياق القرآني.

أما ما تتردُ فيه الألفاظ ويختلفُ المعنى فقد صرّحَ به الزمخشري عند تفسيرهِ لقولهِ عز وجل : [illegible]
[illegible] **[الأنفال: ٧ – ٨]**.

حيث يقول ((فإن قلت : أليس هذا تكرير ؟ قلت : لا؛ لأن المعنين متباينان؛ وذلك أن الأول تمييزٌ بين الإرادتين))[٣]، فالإرادة الأولى إحقاقُ الحقِ، أما الثانية فهي إبطال الباطلِ، وبين كلتي الإرادتين اختلافٌ دلاليٌ قائمٌ على الترديد والتصدير للألفاظ المشتقةِ من نفس الجنس مما يُحدثُ جِرْساً موسيقياً متناغماً تطربُ له النفوس.

---

(١) بدائع الفوائد : ١٣٣٢/٤.

(٢) إعجاز القران والبلاغة النبوية : ١٣٧.

(٣) الكشّاف : ٢٣٩/٢.

وبذلك يتأكد أن مظاهر التصدير في التعبير القرآني ليست مقصورة على الألفاظِ المتكررة والمتجانسة والمشتقة؛ بل تمتدُ لتشمل صوراً من صور هذا الفن وتطبيقاته في قولهِ تعالى : ﴿❑◆⓾♋❑✂☎ ♏❑♦⬀ ✍➔⑨⇧♎♎⬅ ⬄ ◻♦⓾⬉⑨⇧♎♎☪⬉❑♍♏☙﴾ [القلم:٩].

لعلك أن تجد على قلةٍ كتاباً جمعَ شتات الحق، وخرجَ مخرج الحقِ كلّه وإنْ وجدت ذلك –وهو نادرٌ قليل– فإنك لا تجد غير القرآن كتاباً على مختلفِ العصور والأزمنةِ والأجناس كُلّ ما فيه حق وكُلّ حق على وجهِ الأرضِ حواه قال تعالى : ﴿❑◆☼◆❽❑♏⬂☪◆☞ ⬉◆⬛⓿⬂①☙ ✂☞♏⬂⬛⬀✌◆◷⬛✽ ✍♎⬄⓿◆◷☪✡☞ ♏⬄♎⬛⬈⬀♏ ★⊠⬀⬄⬈🕮 ❑◆⑧✡☪ ❑◆❻◆❍⇧☺⬕❑☪ ❑◆⬜⬅⌑⇧❸◆❽⬛ ♏♎⬛⬛☺⬅❍⇔⬛⬛☺♎✓✕◆﴾ [النحل: من الآية ٨٩].

إن الأداء البلاغي في الآية الكريمة دقيقُ الدلالةِ؛ لأنهُ يرتكزُ على التكرار اللفظي وفقاً لأسلوبِ الترديدِ البديعي الذي وظف الكثير من العلاقات التي تربط بين المفاهيم من خلالِ توسيعِ نطاقها في الكشفِ عن الأثر الأسلوبي بين الجمل والفقراتِ، والنصِ بتمامهِ، وهذه العلاقات الرابطة قد تبدو واضحةً، وقد تختفي فتحتاج من القارئ استخداماً فعالاً لمخزونهِ المعلوماتي لاستجلائها وتحديدها، ومن خلال إجماع أهل التفسير على أن معنى النص في قوله تعالى : ﴿❑◆⓾♋❑✂☎ ♏❑♦⬀ ✍➔⑨⇧♎♎⬅ ◻♦⓾⬉⑨⇧♎♎☪⬉❑♍♏☙﴾ [القلم:٩]، هو محاولة لاستمالةِ الرسول ﷺ وامتناعهِ بالعدولِ عن الدعوةِ واللينِ في جانب الحقِ مُقابل أن يلين في الجانب الآخر المشركون، قال تعالى : ﴿❑◆⓾❑ 🗎•✞♎❷❸⮘ ♐♓♎⬀⬄ 🕮❑♎⬃⬂✐ ✂☞♏⬂⬛⬀✌◆◷⬛✽ ♏❑♦⬀ ③◆❷⬉⓾♋❑✡◆⬛⬈☠ ✍♓♎♊🖅 🖅♦➔⬃⑨♎ ☽♎☺☺③⬕◷☪♎⬛⬈☠⬀ 🖅⬈⬛⬛⊙☞❻◷✂﴾ [البقرة: من الآية ١٠٩]، وقوله تعالى : ﴿❑◆⓾❑☠ ⬖☞⯅✍★⬀⬛⊠❑⮘ ♐♓♎♊⇧ 🕮❑♎⬃⬂✐ ✂☞♏⬂⬛⬀✌◆◷⬛✽ ♏❑♦⬀ ③⬉⬀⬛♏❑✡◆⬛⬈🖅⬀﴾ [آل عمران: من الآية ٦٩]، فهذا الخطابُ لأشرفِ المخلوقاتِ يؤكد عدم مشروعية طاعةِ هؤلاء فيما يطالبون؛ لأنهم تمنوا واحبوا

لو تركن وتلين فيما لا ينبغي فتمالئهم بسكوتك على آلهتهم فيدهنون بالكفِ عن أيذائك[1].

وقد تعددت أقوال المفسرين التي تجمعُ بين اللغة والمعنى في حقيقة الإدهان، فذهب بعضهم على أنهُ ((إظهارُ المقاربة مع الاعتقاد للعداوة؛ فإن كانت المقارَبةُ باللين فهي مُداهنة، وإن كانت مع سلامة الدين فهي مُداراة أي مُدافعة))[2].

وهنا نلمح أصلاً حسياً للفظِ (تُدهن) مأخوذٌ من (الإدهان) و(المداهنة) ومعناها الملاينة والمصانعة، وحقيقةُ هذا الفعلِ أن يجعل لشيء دهُناً إما لتليينهِ وإما لتلوينهِ وهو الأقرب، ومن هذين المعنيين تفرعت معاني الإدهان كما أشار إليها أصحابُ المعاجم العربية[3].

نلحظ تعبير القرآن عن التلون والمصانعة بفعل (تُدهن) و (يُدهنون)، وفي هذا التكرار الاشتقاقي من نفس مادة الفعلِ وحروفهِ ((تأثيرٌ في نفس السامع ما لا يخفى على المتأدب المتذوقِ من لغةِ القرآن))[4]، ومن خلالِ الإطار البلاغي الذي هو أبرز خصائص الأسلوب القرآني ومظهر من مظاهر إعجازه، يتضحُ أن أسلوب التصدير والترديد في هذهِ الآيةِ قائم على النمط الإيقاعي المتمكن فيها، أبرزتْهُ حروف المفردات الدالةِ على المعنى بأدقِ تعبير.

إنَّ ما يُضيفه القرآن الكريم من حسن التعبير ودقة الاختيار للغة القرآنية تبرز من خلال خصائص التراكيب اللغوية، ففي معرضِ الخطاب الإلهي الذي يمثل أعلى درجات الآداب والمحاورة ربط الفعل (ودّوا) بالفعلين (تُدهن) و(يُدهنون) وهذا يُحيل القارئ على تطبيق (بنت الشاطئ) عند وقوفها على هذه الآية إذ تقول : ((وشغلُ نُحاة ومفسرون بعقد الصنّعة الاعرابية، عن لمح سرِّ التعبير بـ (لو) التي تُعطي حسَّ

---

(١) يُنظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢١/ ١٤٧، والتحرير والتنوير : ٢٩/ ٦٩.

(٢) أحكام القرآن : ٣٠٥/٤.

(٣) ينظر : كتاب العين : مادة (دهنَ)، والصحاح : مادة (دَهنَ)، وتهذيب اللغة : مادة (دَهَنَ)، والمفردات في غريب القرآن : ١٨٠.

(٤) المنهج البياني في تفسير القرآن : ١١٥.

التمني البعيد، فوقفوا طويلاً عند ثبوت النون في (فيدهنون) والقاعدة عندهم أنها تحذف على النصب في جواب التمني في (ودوّا) لتضمنه معنى (ليت))[1].

وقفت (بنت الشاطئ) على هذا التعبير مُبينةً أثرهُ الأسلوبي دون الخوضِ في الخلافِ بين أراء المفسرين مرجحةً قول أبي حيان على إثباتِ (النون) وأنه لا داعي لالتماس الحيل لتسوية الصنعة الإعرابية ثم تُبين عدم جواز عرض البيان إلاّ على قواعد النحاة وأنه الأصل والحجة، وتُبقي الآيةَ على وجهها بإثبات (النون) رفعاً بالعطفِ على (تُدهن)، وبذلك يتبين أن للقاعدة النحوية في الدراسات الأسلوبية أثراً بالغاً لما تحققهُ من معطيات تذكي المعنى وتنشط القيمة التعبيرية، وهذا الاسلوب سمة من سمّات التعبير القرآني فهو يفرد الحق على جمع الباطل في كل موضعٍ من مواضع القرآن الكريم، كقوله تعالى : ﴿ ◻●▩❷⬀②←✌♑♒ ♑◆☼◻☺➔◘♓→♒◉✍✁ ⌘♊♑✍ "◻✍◻☪♒◉✍✁ ❼■◻♐❺◻☹✡♒◉✍✁ ◑■▣♐◑ ﴾ **[إبراهيم : من الآية ١]**.

والمعنى الذي يصحبنا إليه الفعل المضارع المرفوع بثبوت النون مع المد العارض للسكون بـ (الواو) في قوله : (تُدهنون)، إلى أستطالة المشركين بالمداهنة جمعاً وفرادى، إلى أن طال عليهم الأمد ولم يتحصلوا على مرادهم من شخص النبي ﷺ وهو متفرد لوحده[2].

ويتقارب مع هذا اللون البديعي في قيمتهِ الاسلوبية ما سمّاه البلاغيون بـ(العكس والتبديل)، حيث يأخذ الاسلوب العكسي أهمية خاصة؛ لأن الألفاظ فيه هي المحرك الاساسي لجوهر المعاني، وهو في عُرف العلماء الإتيان بكلام يقدم فيه جزء ويؤخر آخر، ثم يقدم المؤخر ويؤخّر المقدم[3]، كقوله تعالى : ﴿ ⧫⧫ ♎➔♊○ ♦♌◻☛◘♑♦⑥ ⬀☠➔♎ ⧫◆◻ ⬀☠←●⌗▭ ✍✍♑○ ▭●←♊○ ﴾ **[الممتحنة : ١٠]** وقدَّره الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) بأنَّ لا حِلَّ بين

(١) التفسير البياني للقرآن : ٢/٥٥.

(٢) يُنظر : المصدر نفسه : ٢/٥٧.

(٣) ينظر : الإتقان في علوم القران : ٢/ ٩٢.

المؤمنة والمشرك[١]، فقد صرَّحَت الآية بنفي الحلَّ من الجهتين[٢]، وقد سُئل عن الحكمة من إيراد الكلام بأسلوب العكس اللفظي، فأجاب العلماء أن فائدة ورودهِ بهذه الصيغة هي الإشارة إلى أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة، وأن كلّ واحد من فعل المؤمنة والكافر منفي عنه الحلَّ، أما فعل المؤمنة فيحرم؛ لأنها مخاطبة، وأما فعل الكافر فنفي عنه الحلّ باعتبار أن هذا الوطء مشتمل على مفسدة[٣] وقد أكد السيوطي في الإتقان أن المخاطب هنا هم الائمة ومن قام مقامهم، وذلك يمنع المفاسد؛ لأن الشرع أمر بإخلاء الوجود من المفسدة؛ لذا جاء النفي عن المؤمنة باعتباره، وعن الكافر باعتبار آخر[٤]. ومثله قوله تعالى :

↖☠↗▤⬩♒︎◉ ❏⍝♋︎❍↑🕮 ⧫⚐︎⬀︎❏◆⓿⬂︎♒︎◉︎♐︎✂︎﴿
↖⚐︎♐︎⍓︎➔⬩⬤◆❏ ☎︎ ➔💣︎☼🕐︎⧫⌛︎♑︎♒︎⓿⅄⬭︎♒︎◉︎♐︎✂︎
✽🖬︎🕐︎⧫✌︎⍓︎▤⬂︎♒︎◉︎♐︎✂︎ ☎︎✂︎❏➔✍︎❏↑🕮 ⧫✖︎⇦♋︎🔔︎⅄✏︎♐︎✂︎
⍝⍝♋︎❍ ⬀︎☠↗▤↖✍︎♐︎⍓︎➔⬩⬤◆❏ ⬀︎🖃︎↗▤⅄♒︎◉︎ ⍝⍝♋︎❍
🖮︎⌗●🡸☠⬀︎﴾ [المائدة:٥] ففي هذه الآية رخصة للمسلمين في ان ذبائحهم، وقيل : جميع مطاعمهم، حلالٌ ((فلا عليكم أن تطعموهم؛ لأنه لو كان حراماً عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم إطعامُهم))[٥]، ومثله قوله تعالى : ﴿✍︎⧫♐︎
♊︎♋︎♓︎✍︎ ☠♎︎♑︎♎︎🖃︎♐︎✽❍♋︎❍ ⇳♊︎♋︎✍︎ ♔︎①⬂︎⓿■🖬︎⧫↖
⍓︎🖮︎♎︎🖃︎♐︎✽❍♋︎❍ ⇳♊︎♋︎✍︎ ♐︎⧫✍︎◆❏ 🕮↗⬄♑︎☒★
⬊⧫■🖬︎⑩⬂︎♑︎♎︎🏱︎ ✍︎♓︎♋︎♊︎ ★☒♑︎⬄↗🕮﴾ [الأنعام : ٥٢]، وقوله تعالى : ﴿♎︎➔♊︎⓿ ♒︎♋︎⌛︎⧫♐︎❏♑︎ ◉︎♒︎⅄▤↗☠⬀︎ ◆❏🕮❏☼☞🡸☠⬀︎
◉︎♋︎⌛︎⧫♐︎❏♑︎ ◉︎♒︎⅄♑︎🡸♊︎⓿﴾ [البقرة : من الآية ١٨٧].

حيث نلاحظ التعبير القرآني يستغل أكبر قدر من إمكانيات اللغة في خطابهِ حيث تتوالى الألفاظ متكررة تاركةً للمتلقي تخيُّل الدلالة المعنوية التي يقتضيها السياق، وفق نظام إيقاعي تتركب فيه الألفاظ ثم تعكس وتُرتب لتؤدي معنىً يعجز

---

(١) ينظر : الكشّاف : ٤/ ٣٨١.

(٢) ينظر : البرهان في علوم القران : ٣/ ٤٦٧.

(٣) ينظر : الإتقان في علوم القران : ٢/ ٩٢.

(٤) ينظر : المكان نفسه.

(٥) الكشّاف : ٢/١٠.

عنه نظم بديل قد يتوهم القارئ أنه يمكن أن يُستعاض بهِ ليفي بالغرض الدلالي المقصود من السياق العام؛ إلاّ أن حقيقة التعبير القرآني تؤكد الدقة في اختيار المفردات وملاءمتها للمعنى الموضوع له.

يمكننا إدراك القيمة الأسلوبية للعلاقات الترابطية بين الألفاظ ودلالتها من خلال إثراء الصورة التعبيرية وتوسيع مساحتها الدلالية بفضل إمكانيات اللغة الهائلة، ويتجلى في أسلوب (العكس والتبديل) علاقة التقابل واضحة حين يقع بين متعلقي فعلين في جملتين كقوله تعالى : ﴿⑥↗③⬂❷▩●← ✂︎🙰♋︎⬂☪◻⑥○ ⌘♊︎🙫✎ ✂︎🙰♋︎⬂☺◻⓿♒︎🚫✱♌︎🙫 ◻◆⑥↗③⬂❷▩●← ✂︎🙰♋︎⬂☪◻⑥♍︎⛐ ✎🙫⬀☛ ✂︎🙰♋︎⬂☺◻⓿♒︎🚫✱♌︎✿ ﴾ [يونس : ٣١]، وكذلك حين يقع بين لفظين في طرفي جملتين كقوله تعالى : ﴿♎︎➔♊︎○ ♋︎🙫⌛♦🙰◻🚫 ♋︎⬆▤↗☠⬃ ◻◆◻📖◻☼☛←☠⬃ ♋︎🙫⌛♦🙰◻🚫 ♋︎⬆♑︎←♊︎○ ﴾ [البقرة : ١٨٧]، حيث توحي التعابير القرآنية بالربط المنعكس إيهاماً للدلالة فيها، وقد أطلق السجلماسي على هذا الأسلوب مصطلح (المقايضة)[1]، بشرط أن لا يقع هذا الاسلوب إلا بين جملتين أو قضيتين تشتركان في الجزئين يكون موضوع أحدهما محمول الأخرى، ومحمول إحداهما موضوع الاخرى[2]، وأمثلة هذا النوع من البديع في التعبير القرآني لا حصر لها[3].

من كل ما سبق يمكننا التأكيد أنَّ أسلوب (التصدير) يمثل شكلاً خاصاً متميزاً من أشكال البديع، فهو بمثابة عملية اشتقاقية للألفاظ تتولد داخل السلسلة اللغوية؛ لتتفرد بتحقيق اتساعٍ لنطاق الدلالة فيها وإثراء المعاني المتولدة المتباينة حيناً، والمتشابهة حيناً آخر، زيادة على ما يحققه هذا الأسلوب من ايقاع داخلي يجمع بين دفتيه الخيار والتكرار وفقاً لنمط توكيدي من خلال الربط بين طرفي العملية التصديرية عن طريق ردّ المعاني إلى ما يلائمها، وإحكام تلك العلاقات بين البدء والختام تبعاً للتتابع الحركي في التعبير الذي يوحّد الألفاظ على المستوى الخارجي،

---

(١) ينظر : المنزع البديع : ٣٨٦.

(٢) ينظر على سبيل المثال : ما جاء به السجلماسي في قوله تعالى: ﴿③⬉◻♋︎🙫&← ✂︎🙰♋︎⬆⑩⬂⬊• ×🙪❼ ✂︎🙰♋︎☪◻♑︎◻🙰❻🚫 ◻◆③⬉◻♋︎🙫&← ✂︎🙰♋︎☪◻♑︎◻🙰⑥◆ ×🙪❼ ✂︎🙰♋︎⬆⓿⬂⬊🙬 ﴾ [فاطر : من الآية ١٣].

(٣) ينظر على سبيل المثال: سورة يوسف: ٢٦-٢٧، وسورة الأنعام: ٥٢.

ويخالف الدلالة على المستوى الضمني، فلكل لفظ منها حركة معاكسة لحركة اللفظ الآخر.

المبحث السادس : أُسلوبُ تأكيد الفِكرة بِما يُشبهُ تَقرير ضِدِّهَا[1]:

أولاً : النشأة والتنوّع :

يعدُّ هذا الأسلوبُ البديعي من الأساليب البلاغية الموهِمَة والخادعة، تستندُ بنيتهُ الأسلوبية على المبالغة في بلوغ الغاية والنهاية فيما يقصد إليه القائل، والتأكيد متخذاً من الاستثناء عنصراً أساسياً في تقوية وإثبات المرادِ في القولِ.

يُعدّ ابن المعتزِ الواضع الأول لهذا الفن تحت تسميةِ (تأكيدُ المدح بما يُشبه الذَّمِّ) وسَار على نهجهِ من تبعهُ من العلماءِ[2]، ثم ظهرت لهذا الفنِ بعد ذلك تسمياتٌ متعددة ترد في كثيرٍ من دراساتِ البلاغيين متطابقةً مع تسمية ابن المعتزِ، ومتداخلةً مع مصطلحي الاستدراكِ والرجوعِ[3]، فسمّاه البلاغيون (الاستثناء)[4]، لأنه قائمٌ على مفاجأةِ السامعِ بصفةٍ من صفاتِ المدحِ حيثُ كان يتوقع صفة الذم، وذلك باستعمال أداةٍ من أدواتِ الاستثناءِ أو الاستدراكِ، وهذا يعني كسر أفق التوقع ومثله تأكيد الذم بما يشبه المدح، ويتحقق التأكيد والمفاجأة بهذا الأسلوبِ سواء أكان المستثنى منهُ مثبتاً أو منفياً، وسواءٌ وجد المستثنى أم كان الاستثناء مفرغاً، ويتحقق كذلك إذا كان الاستثناء متصلاً أم منقطعاً، لأن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلاً[5].

وهكذا تراوحت تسمياته عند القدماء بين الاستثناءِ والاستدراك والرجوعِ والتوجيهِ، وتأكيد الشيء بما يشبه نقيضه، والسلب والايجاب[6]، ومن أمثلته الشعرية المشهورة قول ابن الرومي[7] :

---

(١) هو العنوان الذي وضعه (عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني) بديلاً عن تسمية تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه تأكيد الذم بما يشبه المدح وقد وجدته الدراسة أكثر شمولية وأدق وصفاً للمعنى المُراد، يُنظر : البلاغة العربية (الميداني) : ٣٩٢/٢.

(٢) ينظر : البديع (ابن المعتز) : ٦٢، والتلخيص : ٣٨، والإيضاح : ٢٨١، وبغية الإيضاح : ٥١/٤.

(٣) ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ١ / ١٢٤

(٤) أطلق أبو هلال العسكري مصطلح (الاستثناء) على هذا اللون من البديع على أساس أن الأثر الأسلوبي فيه متولد من أداة الاستثناء، ينظر : كتاب الصناعتين : ٣٧٤.

(٥) ينظر. نهاية الأرب : ١٠١/٧.

(٦) ينظر : الطراز : ١٣٦/٣، وخزانة الأدب (الحموي) : ٥٧/٤، والعمدة : ٤٨/٢.

(٧) ديوان ابن الرومي : ٥٠٦/٣.

ليسَ له عيبٌ سوى أنَّهُ لا تقعُ العينُ على شِبهِهِ

فجعل الشاعر انفراد صاحبه بالحُسنِ والجمال دون أن يكون له قرين يؤنسه عيباً، فزاد بذلك توكيد حسنه وجمالهِ، وجاء على أسلوب المدح في هذا البيت وفق لآلية عَمَدَ إليها الشاعر، فنفى عن الممدوح وصفاً معيناً ثم أعقبه بالاستثناء، فأوهم السامع أنه استثنى من صفة المدح صفة ذم؛ إلاّ أنه أتى بما من شأنه أن يبالغ في مدح الممدوح فدخل هذا الأسلوب في باب تأكيد المدح بما يشبه الذم.

والحق أن التسمية التي عنونا بها مبحثنا، تسميةٌ جديرةٌ بالقبولِ؛ لأنها تجمعُ اللونينِ تحت مصطلحٍ واحدٍ، تنضوي تحتَهُ معاني المدح والذمِ وغيرهما، ويبدو من بنية التعريف الاصطلاحي ملمح اشتراك أو مماثلة بين أمرين أو أكثر في صفة قائمة بينهما للدلالة على غرض يقصده المتكلم.

وقد جعل البلاغيون الاستثناء ركناً مهماً في بنية هذا الأسلوب إلاَّ أنه لا مانع من مجيئهِ بغير أداةِ استثناء، فبنيتهُ معتمدة على التقابل من خلالِ ما تتضمنهُ من عدولٍ عن القولِ أو المعنى السابق مذكوراً أو متضمِّناً بطريقةِ النقضِ والنفي أو الاستدراك والرجوع، مما يوقع في ذهن السامعِ تلاعباً نفسياً من خلال تثبيتِ فكرةٍ وتمكينها في نفس المتلقي أو نفيها حتى إذا ما حصل التمكين وتأكد، بدأ

المتكلمُ بإيرادِ صفةٍ جديدةٍ في مدحٍ أو ذمٍ بعد أن أورد الاستثناء، وهذه الصفة غالباً ما تُختار وفقاً لبُعدها عن الشكِ واثارتها عنصر المفاجأةِ بقلبِ توقعات الحدثِ المترقبِ بعد الاستثناء زيادة على أن هذا الأسلوبُ من الكلام يُعدّ من الأساليبِ غير المباشرةِ المتأتيةِ على غير انتظارٍ أو توقعٍ، مما يُزيد المعنى حُسناً وجمالاً، فالسامع يتوّهم بمجرد التلّفظ بأداة الاستثناء وقبل النطقِ بما بعدها أن يؤتى بصفةٍ مُخالفةٍ لما ذُكِر قبل الاستثناءِ إلاَّ أن ما يحدث هو غير المتوقعِ مما سيُبدد وهم السامع بمفاجأةٍ لفظية – دلالية في آنٍ واحدٍ، ومن هنا فإن لهذا الفن المعنوي من البديع ((حركةٌ في النفسِ تُشبه الجَزْر فالمدَّ السّريع الأقوى من الجَزْر))[1]، فيتضح أن المقصود بـ(تأكيد الفكرة بما يشبه تقرير ضدها) هو أسلوب متضمن أسلوبين:

الأول : (تأكيد المدح بِما يشبه الذم).

الثاني : (تأكيد الذم بما يشبه المدح)، والجامع بين الأسلوبين هو التشابه، وتأكيد المستثنى للمستثنى منه، فالأسلوب الثاني نقيض الأول.

النوع الأول : تأكيد المدح بِما يشبه الذم :

سُمِّي هذا اللون بتأكيد المدح بما يشبه الذم باعتبار الأعم الأغلب؛ لأنه يقع في المدح والذمِ، ومن هنا يحسن أن يسمَّى : تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه[2]، وفيه يبالغ المتكلم في المدح، فيأتي بعبارة يتوهم السامع منها في بادئ الأمر أنها ذم، فإذا به يفاجأ أنّها مدح.

وهذا الفن على ضربين :

الضربُ الأول : أن يُستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح، بتقدير دخول صفة المدح المستثناة في صفة الذم المنفية[3].

أي بذكر صفة ذم منفية، ثم يأتي بأداة استثناء، فيتوهم السامع بادئ الأمر أنه يريد أن يستثنى من هذه الصفة المنفية شيئاً يذم به الممدوح، فإذا به يفاجأ أن

---

(١) البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٣٩٢.

(٢) ينظر : المطول : ٤٣٩.

(٣) ينظر : نهاية الأرب : ١٠١/٧.

هذا المستثنى مدحاً يؤكد به المدح السابق على أداة الاستثناء، وهو (مدحٌ بعد مدحٍ للتأكيد)، وهذا تأكيد للمدح بما يشبه الذم.

وتأتي نماذجُ التعبير القرآني غايةً في البديعِ والدقة في الاختيار والتنظيم، ومنها قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [المائدة:٥٩].

يتوجهُ الخطاب القرآني إلى الرسول ﷺ ليواجه أهل الكتاب، فيسألهم بصيغة الاستفهام الإنكاري الذي يُفيد النفي، أي ماذا ينقمون من الجماعة المسلمة ؟ وهل ينقمون منها إلاَّ الإيمان باللهِ، وما أُنزل إلى أهلِ الكتابِ، وما أنزله الله للمسلمين ويعد أهل الكتاب ؟ هل ينقمون إلاَّ أن المسلمين يؤمنون، وأنهم هم –أهل الكتاب– أكثرهم فاسقون ؟ وهي مواجهةٌ مُخجلة، ولكنها كاشفة وحاسمة ومجردة لأصل العدواة، بدليل قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [البقرة:١٢٠].

فالسؤال إستنكاري؛ ((لاستنكار الواقع منهم، واستنكار البواعث الدافعةِ عليه، وهو في الوقت ذاتهِ توعية للمسلمين، وتنفير لهم في موالاةِ القوم الكافرين، وتقريرٌ لما سبق في النداءات الثلاثة الواردة من نهي عن هذه الموالاة وتحذير))(١)، والصفة المذمومة المنفية المسبوقة بأداة الاستثناء (إلاَّ) شكلت علاقة دلالية قائمة على ((إيهام الربط المنعكس))(٢)؛ لأن ما بعدها صفةُ مدحٍ، وهي الإيمان باللهِ، وبما أُنزل إلى المسلمين فكان مدحاً بعد مدحٍ.

ومثلهُ قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾

---

(١) في ظلال القرآن : مج ٢ ، ج٦ ، ص٩٢٤، وينظر : الآيات : ٥١ – ٥٤ – ٥٧ من سورة المائدة.

(٢) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١٧٣.

✃☞♐♋✌♦❑☺⑨⓪♋♉⑨﴾ [البروج:٨]، ومن مظاهر هذا الضرب البديعي في التعبير القرآني قوله تعالى :

﴿⬥⬧④❑○⬄☺⌺➔⬉❑⌒♦ ⬧♉❸⬃❑☞ ⬤⬧⬄⬂❑✡✃ ❑◆⬥⬥ ☞⬧⬥♦⬧♉⓪☺⌚☞ ⬃⬧⬆⬥ ⌂♉⓾☒⬧ ⬥☾⬆⬥ ⬄⌺⬛⬛⌚☺✞☞ ⬄⌺⬛⬛⌚☺✞☞﴿ [الواقعة:٢٥–٢٦].

ففي هاتين الآيتين يبرز أثرُ هذا اللون من البديع في نفي صفةِ ذمٍ عن الجنةِ وهي : اللغو التأثيم، ثُم ذُكرت أداة الاستثناءِ (إلاَّ) وقد أعقبها ورود صفةِ مدحٍ هي التسليمُ وقولُ السلامِ، أي أن ما قبل (إلاَّ) في الآية الأولى نفيٌ لسماعِ اللّغوِ التأثيمِ، وما بعد (إلاَّ) في الآية الثانية، إثباتٌ للتحيةِ بالسلام، وكلاهما صفة مدح، فتأكد بذلك ما يتناهى إلى الأذن في الجنةِ من عدمِ سماع اللغو والتأثيم، بإيراد صفة مدح تاليةٍ للأولى في قوله تعالى : (سَلاماً سَلاماً).

ومثلُهُ قوله تعالى في سورةِ مريم : ﴿⬥⬧④❑○⬄☺⌺➔⬉❑⌒♦ ⬧♉❸⬃❑☞ ✃⬅❑⬄⬧♉ ⬥☾⬆⬥ ⌂⬄⌺⬛⬛⌚☺✞☞ ☎ ❷⬆♉⬅⌚♉➔♑⬅☠⬀ ❷⬅●○⬛⬥❑ ☞⬧♉❸⬃❑☞ ⬅⬛⬀❷⬥❑◆☪ ❑⬥⬉⬥⬦⓪♋✿☞﴿ [مريم:٦٢].

فصفة الذم المنفية عن الجنةِ في دار الآخرة هي اللّغوِ والتأثيم، استُثنيت منها صفةُمدحٍ هي التسليمُ، وقول السلام، أي أن أهل الجنةِ لا يسمعون فيها لغواً ولا هزلاً ولا إثماً أبداً إلاَّ قول السلامِ، لأن قول (السلام) هزلاً محال، فيكون ثبوت اللغو والتأثيم ووجودهِ في الجنةِ مُحال، ((فكأنهُ في المعنى تعليقٌ على المُحالِ كما قيل: لو رأيت حلمة أذنك –بدون مرآة طبعاً– فيكون ذلك تأكيد لمدح الجنة وخلوها من اللغو ومن التأثيم بطريقةِ تشبيه الذم))[1]، ومثله قوله تعالى: ﴿⬥⬧③♦⓪⬀❑⌂➔❑♍⬄ ⬄⓾♑⬛☞ ✃☞♐⬊☺⬛⬛⬀✞⬄ ⬥♑⬄ ✃☞♐⬊☺⬛⬛⬀⬧♦⬥❑⬥ ✃☞✿✞❑⬛⬛❼⬛﴿ [الدخان: ٥٦].

(١) وشي الربيع بألوان البديع : ١٣٠.

الضربُ الثاني : أن يثبت لشيءٍ صفة مدح، وتعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى لهُ[١].

كقولهِ تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ **[الحج: ٤٠].**

فإثباتُ صفة مدح للمهاجرين وهي أنهم أُخرجوا من ديارهم بغير حقٍ مغلوبين على أمرهم ثم أداة بعد هذه الصفة بأداة استثناء (إلاّ) فأشعرَ ذلك وأوهم أنه سيأتي بصفةِ ذمٍّ بعدها؛ لكنه وصفهم بأنهم مؤمنون باللهِ، وهذا من صفات الكمال، فيكون بذلك مدحاً على مدحٍ وهذا يُفيد التأكيد، فظاهر الاستثناء أنَ ما بعده سيكون صفة تقتضي إخراج المهاجرين من ديارهم؛ ولكننا وجدنا أن صفة مدح تقتضي الإكرام لا الإخراج فيكون ذلك تأكيد بما يشبه الذم، فالاستثناء بـ (إلاّ) و(سوى) والاستدراك بـ (لكن) كلها بمعنى واحدٍ في هذا النوعِ من البديعِ لإفادتها معنى الاستثناء.

ومما يلفتُ النظرَ أن هذا النوع من (تأكيد المدح بما يشبه الذم) أقلُ بلاغةً من الضربِ السابقِ؛ ذلك لأنه أفاد التأكيد من جهةٍ واحدة وهي أن ذكر أداة الاستثناء قبل ذكر المستثنى موهم إخراج شيء بما قبلها، فإذا ذكرت بعد الأداة صفة مدح أخرى جاء التأكيد، ولا يفيد التأكيد من جهة أنه كدعوى الشيءِ بالبرهان والدليل كما في النوعِ الأولِ[٢]، بمعنى أن أصل الاستثناء في هذا الضرب أن يكون منقطعاً؛ لكنه بقي على حاله ما لم يُقدِّر متصلاً فلا يفيد التأكيد إلاَّ من الوجه الثاني من الوجهين المذكورين، ولهذا كان الضرب الأول هو الأفضل.

---

(١) الإيضاح : ٢٨١.

(٢) ينظر : نهاية الأرب : ١٠١/٧.

تأمل قوله تعالى : ﴿ ◯◖ ⬗⬙⬘ ✍♦✍ 🕮❐☼❽♦◉♒☪◆✍ ⬉♦■❶♒⌨⍓ ⊹♒◉♒◑➔❷⬀↗◆✂ℌ♦ ◉♒☜♦⬖⇧▤♦❼✂ ⬗⌘⬘ ◑❷⬥◆ ✍♦❶⬁▤⬐❷♦❐☪ ◉♒ℯ♒☺⍓Ⅱ ❻♦❸♒◈⍓▤ ﴾ [طه: ١ – ٣].

في هذهِ الآية جيءَ بمستثنى فيه معنى المدح معمولاً لفعلٍ فيه معنى الذم، فيكونُ الاستثناء في هذه الحالةِ مُفرَّغاً، وسُمِّيَ بذلك لأن العامل الذي فيهِ معنى الذم والمتقدم على الأداة الاستثنائية قد تفرَّغ للعلم فيما بعد أداة الاستثناءِ وهو هنا المستثنى الذي فيه معنى المدح.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ✍♦✍ 🕮❐☼❽♦◉♒☪◆✍ ⬉♦■❶♒⌨⍓ ⊹♒◉♒◑➔❷⬀↗◆✂ℌ♦ ◉♒☜♦⬖⇧▤♦❼✂ ⬗⌘⬘ ◑❷⬥◆ ✍♦❶⬁▤⬐❷♦❐☪ ◉♒ℯ♒☺⍓Ⅱ ❻♦❸♒◈⍓▤ ﴾ [طه: ٢ – ٣].

فجملة : (مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى) أي : ((ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب به وتُحزن قلبك ونفسك بتحّملِ أعباء تحويل الناس وهدايتهم من الكفرِ إلى الإيمانِ؛ بل لتبلغهم وتذكّرهم، وتريح قلبك ونفسك بأنك أديت واجبك))[1]، جاءت بعد هذه الجملةِ كلمة (إلاَّ) تُشعر أنهُ سيليها مستثنى يُحمِّلهُ تكليفاً فيه بعضُ شقاءٍ لهُ، فإذا بالمستثنى يتضَّمنُ تأكيد الفكرةِ التي جاءت في الجملةِ السابقةِ لأداةِ الاستثناءِ.

النوع الثاني : تأكيد الذمِ بما يشبه المدح :

أما تأكيد الذم بما يشبه المدحِ فهو في بنيتهِ مشابه لتأكيد المدح بما يشبه الذم لأنه قائمٌ على الاستثناء أيضاً وهو ضربان :

*** الضرب الأول : أن يُستثنى من صفةِ مدحٍ منفية عن الشيء صفة ذمٍ بتقديرِ دخول صفة الذم المستثناة في صفة المدح، ودخولها فيها.**

كقولهِ تعالى: ﴿ ▫♦☒♦ ◷✽⑨❍⬀♦ ❐◆♦♦ ◷✽✍⅄❼▤ ⬘⬙▩⬗ ❐◆♦◉♒◷▤⬁Ⅱ ⬀☒⓪◎⊛⌘ ❐◆✍♦❐◆🖫✽❼▤ ﴾ [القيامة: ٣١– ٣٢].

(١) البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٣٩٣.

قد تُشعر كلمة (لكِنْ) في الوهلة الأولى بأنه فعل شيئاً من الخبر استدراكاً على أنه كذَّب بالرسولِ ولم يُصَلِّ للهِ -عزَّ وجلَّ-، فإذا بالمستَدَركِ بهِ يتضمّنُ تأكيد ما جاء قبلَهُ، فقد كَذَب الرسول وكذبَ ما جاء به، فتولَّى مُدْبراً ولم يعبدْ ربَّه بعبادةٍ ما(١).

ومثلهُ قوله تعالى : ﴿⬧◆ ③♒⬧⬧⬧⬧ ⬧◆ ... ﴾ [النبأ: ٢٤ - ٢٥]، فالتركيب السابق لأداة الاستثناء (إلاَّ) يوحي بدلالة نفي إذاقة البرد والشراب في جهنم، أما بعد الأداة فيتضمن دلالة إثبات إذاقة الحميم والغسّاق، وفي كلتا الصفتين دلالة الذم لأهل النار.

*** الضربُ الثاني : أن يثبت لشيءٍ صفة ذم منفية يعقبها أداة استثناءٍ أو إستدراكٍ، تليها صفةُ ذم أخرى.**

ومثالُ هذا الضرب من تأكيد الذم بما يشبه المدح في القرآنِ الكريم قوله تعالى : ﴿⑥⬧◆⬧ ... ﴾

[التوبة: ٧٤].

فهؤلاء المنافقون الذين اقترفوا تلك الجرائم، ما أنكروا وما عابوا لعِلَّةٍ من العلل؛ إلاَّ لإغناء اللهِ إياهم، فلقد كانوا حينما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينةِ في غايةِ من ضنكِ العيشِ لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنية، فأثروا بالغنائم(٢)، والإغناءُ من شأنِهِ أن يكون صفة مدح، ولكنه مع هؤلاء صفةُ ذمٍ لاقترانهِ بالنكرانِ والجحودِ، ولا شك في أن الإغناء مع النكرانِ والجحودِ يدّلُ على طبعٍ رديءٍ وخسّةٍ وهذا من

---

(١) ينظر : المكان نفسه.

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ١٤٠/١٦.

صفات الذم، وقد استثنيت تلك الصفة من قوله (وَمَا نَقَمُوا) تأكيداً للذم على وجهٍ أبلغ، إذ أن المقام يقتضي التنفير من صفاتِ المنافقين وشدّة التحذيرِ من مكرهم.

ومن اللافت للنظر في هذا البابِ، أن الاستثناء لا يُعدُّ مظهراً بديعياً إلاَّ إذا تضمنَّ معنىً زائداً على المعنى اللغوي الموضوع للاستثناء الذي يختص به علم النحو، وقد ذكر الدكتور عبد القادر حسين أن لهذا المظهر البديعي أثراً أُسلوبياً وفائدةً في الكلام إذ يقول: ((وفائدةُ هذا الأسلوبِ: إثباتُ المحاسنِ وسلب المساوئ، فتتضاعفُ المحاسن وتتأكدُ في الممدوح لدى الناس؛ لأن كل إنسان مهما اشتمل عليهِ من صفاتِ الحُسن، لا يسلمُ من بعضِ المساوئ))[1]، وهذا يؤكد حقيقةً أن القرآن الكريم نسيجٌ منتظمُ التأليفِ في ألفاظهِ ودلالاتهِ، وما هذه المظاهر البديعية إلاَّ من مقتضياتِ نظمهِ التي لا يمكن أن تُحيط بإعجازهِ أو أن يُحاط بها إلاَّ بعلم اللهِ تعالى، وقد ألحق القزويني (ت ٧٣٩هـ) في الإيضاح، بأسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم ضربٌ ثالث، وهو : أن يأتي الاستثناء مُفرَّغاً، كقوله تعالى في سورة الأعراف :

﴿❑◆♑♦❑ ⌧♦☾◐☞⚇⇖ ♑☝☾◻☞✐ ◐⧅♦⁋ 🕮❑♍⇦ ➚◆✂♑♦☾❑☞ ⌧☞♦★⧅♦③☞♦⊕♦☞♦ ❻◆♦⌫■⧅☾◆☞ ⌘♦☺❍☞ ♊⌼⍝✐➚◆☞⧅☾◆☞﴾ [الأعراف: ١٢٦].

يحكي الله عزَّ وجلَّ في هذه الآيةِ مقالة سحرة فرعون لما آمنوا بموسى عليه السلام فيقولون لفرعون، وما تعيب منا إلاَّ لمس أصول النجاةِ وهو الإيمانُ باللهِ وآياتهِ، وإن كان الإيمانُ باللهِ عيباً، وعدّ الإيمان عيباً من المستحيلات، وبذلك يكون ثبوت العيب منهم مستحيلاً؛ لذا نلمحُ في الآية صفة ذم منفية استثنى منها صفة مدح، والمستثنى معمولٌ للفعل الذي فيه معنى الذم، على الاستثناء المفرّغ، إذ يبرز أثرُهُ الأسلوبي في تأدية الدلالةِ المطلوبةِ؛ لإفادهِ التأكيد في تحويل الاستثناءِ من الاتصال الذي كان مترقباً إلى الانقطاع الذي لم يكُنْ متوقعاً، مُحققاً بذلك معنى المفاجأة التي تكسبه طرافةً وتثير حولهُ الانتباه.

ثانياً : الأثر الأسلوبي لمظهر (تأكيد الفكرة بما يشبهِ تقرير ضدها) :

١- تأكيد وتقوية وإثبات المراد مدحاً أو ذماً أو غيرهما.

---

(١) فن البديع : ٩٥.

٢- إفادة التأكيد من جهةٍ أو جهتين، إما إثباتٌ للشيءِ ببنيةٍ أو برهان بتعليقِ وجودهِ على المحالِ، وأن النطق بأداة الاستثناء يوهم أن ما بعدها مخرج مما قبلها؛ ولكنه هنا يأتي من جنسه، إذا يكون مؤكدِاً ومقرراً لهُ، فإن كان مدحاً تأكد المدح، وإن كان ذماً تأكد الذم.

٣- بعض ضروب هذين اللونين يُفيد التأكيد من ناحية الاستثناء وعلى كُلٍّ ففي الأسلوبين تأكيدٌ وتقوية.

٤- في هذين اللونينِ من البديع طرفٌ من الخداع والإيهام والمباغتة المفاجئة، فتأتي النتيجة فيهما غير متوقعة بخلاف ما يترقب من المقدمات لها، وهذا يُثير الفكر، ويوقظ العقل، ويشوق النفس، ويدفع إلى التأمل والتدبر، والاندماج في خبايا الأسلوب لكشفِ الحقيقة.

٥- اللونانِ يساعدانِ على ربط الكلامِ، ويعملان على تقوية أواصر العلاقة بين مفرداتهِ من خلال الاستثناء الذي يجعل ما قبله شديد الصلة بما بعده، إذ بهما تكتمل الفائدة ويتحدد المراد.

٦- عنوانُ هذين الفنين من البديع يوحي بقصرهما على معاني المدحِ والذَّمِ إلاَّ أن التحقيق يُبين عدم اقتصارهما على ذلك، فيأتيان في كافةِ المعاني، وقد نبه العلامة التفتازاني على هذا الأمر الدقيق، فذكر أن هذهِ التسمية جارية على الأعم الأغلب، وإلاَّ فقد يكون ذلك في غير المدحِ والذمِ، ويكون من محسنات الكلام كقولهِ تعالى: ﴿ ◻♦♦• ✍♦☪▤⮰♦←❑✂☎👌♦👓 ☼♦▤♦☒⍓
↗♦✂📪♦👓✏♦↗📄→☠ 👌♓🙰➬🙵
✂👓📷♒✡♓🙰○❀👓✏↗🙰 ✆⮿♦• 👌♦👓 🔔♦⑨⇕
ᘓ⍓▥■✂⍓ ﴾ [النساء:٢٢].

٧- جعل البلاغيون الاستثناء عنصراً مهماً في بنية هذا الأسلوب بيد أن التحقيق في ذلك من خلال الشواهدِ والأمثلةِ القرآنية يُبين أنه لا مانع من مجيئها بغير أداة الاستثناء.

المبحث السابع : أُسلوبُ المشاكلة أو الإزدواج اللفظي :

أولاً : مفهوم المشاكلة في اللغة والإصطلاح :

المشاكلة لُغةً : مُفاعلة من الشَّكل؛ يقال : شَكَلت الدابة والشِّكَالُ ما يُقيَّد به، وتشاكل الشيئان، وشَكَلَ كُلّ واحدٍ منهما صاحبه أي : شابههُ وماثلهُ[1]، قال ابن فارس : ((الشين، والكاف، واللام معظم بابه المماثلة، تقول : هذا شِكلُ هذا، أي : مِثلُهُ. ومن ذلك يقال أمرٌ مُشْكِل، كما يُقال أمرٌ مشتبِهٌ، أي هذا شابه هذا، وهذا دَخَلَ في شكل هذا))[2]، والمشاكلة في الهيأة والصورة والنِّد في الجنسية والشبه في الكيفية[3]، قال تعالى: ﴿⇗➔🔔 ⬀⊠➔ 🗎 ➔⊠⊠ ③♦➔⬃☺◻⊠⇖ ⇖♦⊠■❼▤ ⅄⊠◅◍◍⊠■☛◊⊠○◊⊠⊙﴾ [الإسراء:٨٤] أي : على سجيته التي قيدته وذلك أن سلطان السجية على الإنسان قاهر، وقال تعالى : ﴿◻♦⬀♦⊁⌘◻❷⇖ ✎⊠♊ ⅄⊠▤⇖■◊○⊠⊙▦ ▥◻∞⊠◻♦⊕●⇖﴾ [ص : ٥٨] أي : مثلهُ في الهيئة وتعاطي الفعل))[4].

أما في العرف البلاغي فالمشاكلة هي : ((ذِكرُ الشيء بلفظ غيرِهِ لوقوعِهِ في صحبتهِ تحقيقاً، أو تقديراً))[5]، أي : هي التعبير عن المعنى بلفظِ غيره فنذكر اللفظة ولا نريد معناها إنما نذكرها لوقوعها في مصاحبة لفظةٍ تشبهها، فهي بذلك مظهر من مظاهر البديع المعنوي الذي يكون التحسين فيه راجعاً إلى المعنى أولاً، زيادة على أنها أسلوبٌ من أساليب اتحاد اللفظ واختلاف المعنى، وهذا الأسلوب يعتمد أساساً على انحراف دلالة أحد اللفظين الدالين المتشاكلين ((وفيها يلعب الخيال دوراً مؤثراً عن طريق التقارن، فتأتي أهمية هذا اللون من طبيعة العدول المتمثلة فيه))[6] وتأسيساً على ذلك فإن أسلوب المشاكلة قائم على مبدأ العدول والانحراف عن مقتضى الظاهر، شريطة الالتزام بمبدأ آخر هو التكرار اللفظي، فينتج عن هذا التحرك العدولي مماثلة وموافقة على مستوى الشكل، ويأخذ مستوى المضمون امتدادهُ

(١) ينظر : لسان العرب : مادة (شَكَلَ).

(٢) معجم مقاييس اللغة : مادة (شَكَلَ) : ٢٠٤/٣.

(٣) ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٢٣٩.

(٤) المكان نفسه.

(٥) الإيضاح : ٢٦٣/٢، وبغية الإيضاح : ١٩/٤.

(٦) البديع، دراسة في البنية والدلالة : ٧١.

الطبيعي مما يوسع مساحة التوالد الدلالي الجديد الذي يجمع بين الشكل والمضمون معاً(١).

تحقق مسألة المصاحبة اللفظية ظاهراً وتقديراً، إيهاماً يفرزه التأمل الدقيق وإطالة النظر في فهم المعاني، فيُخيل للمتلقي أن دلالة اللفظة الثانية الموضوعة للمشاكلة، هي نفسه دلالة اللفظة الأولى؛ ويزول هذا التوهم تحت تأثير استجابة المتلقي لداعي المشاكلة والسياق معاً، فيجد المتلقي نفسه أمام مدلول جديد ناتج عن التحرك العدولي الدلالي المعبر عنه بلفظ غيره تحقيقاً أو تقديراً، ومن أشهر ما ذُكر في المشاكلة الشعرية قول عمرو بن كلثوم(٢) :

أَلاَ لا يَجهلَنْ أحدٌ عَلَينا   فَنَجْهَل فَوقَ جَهْلِ الجَاهِلينَا

فالتماثل ظاهرٌ بين (يجهل – فنجهل)، إذ أن اللفظ الأول حقيقي يشاكلهُ ما وقع في صحبتهِ وهو اللفظ الثاني (فنجهل) للدلالة على سياق المعنى المراد الذي اقتضى المبالغة على جهل الظالم والقوة في ردعهِ بالتحدي والوقوف موقفاً مماثلاً لمن يحاول الاعتداء، إذ نلحظ قوة الشاعر الأسلوبية في توظيف ألفاظ المشاكلة والمماثلة اللفظية باستعمال حرف (الفاء) الدال على قوة الردّ الحاسم وسرعة البديهة والارتجال؛ إيماناً منهُ بأن المبالغة في الجهل هو الجزاء الأمثل والعقوبة العادلة، وهذا مخالف لطبيعة الفطرة الإنسانية وما جُبِلَتْ عليه بدليل قوله تعالى : [illegible] **[البقرة:١٩٤]**.

وقوله تعالى: [illegible] **[النحل:١٢٦]**.

وقوله تعالى: [illegible]

---

(١) ينظر : بناء الأسلوب في شعر الحداثة : ٣١٦.

(٢) ديوان عمرو بن كلثوم : ٧٨.

❹🖬🙰♦➚⑥ •• ➀🡨❍✷✡🙵☽ ▤ ★✐🙤✃
✃🙤⑩➔⅄➀🖬🙵☺🙰✓×♦ ﴾ [الشورى : ٤٠].

هذه المعاني القرآنية توحي بالعفو والصفح والمغفرة لمن اعتدى وظلم واقترف السيئات، زيادة على تضمنها دلالة الترغيب بالابتعاد عن كُلّ هذه الأعمال والسمو والترفع عن البدء بها مخافة الوقوع في الظلم.

فقد وظف التعبير القرآني الدوال المشتركة عن طريق التصاحب المعجمي والربط بين الدوال شكلياً، مما يمهد لتحقيق تعادل دلالي باطني يسهم في إنتاج الدلالة وإثراء المعاني التي تخدم السياق للتعبير عن المراد.

أشرَ مفهوم المشاكلة اللغوي لتطورٍ بلاغي ملحوظٍ واكب تطور البلاغة في أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع للهجرة، فقد أورد النحاة الأوائل مقابلة اللفظِ بلفظٍ مماثل له يختلف عنه في معناه، واطلقوا عليه إزدواجاً في الكلام وهو اسمٌ يقتربُ من الاسم البلاغي (المشاكلة)؛ لأن الازدواج لفظٌ يعبّر عن اقترانِ شيئين في أصلٍ ما مع اختلافهما في حيز التطبيق[1].

ويُعدّ الفراء أول من فتح بابَ القولِ في هذا الفنِ بمعناه الخاص في تفسيرِهِ قوله تعالى : ﴿▫♦•☒• ⇱⇱⑨⇧☐♦◷♌♦ ☽🙵♦• ⇱♦✍■❼
✃🙤⑩➔⅄➀⚇🙵🙰✓×♦﴾[البقرة:١٩٣]، بقوله عزَّ وجلّ :
﴿▫♦☺⌂ⵊⵊ⮰ ✃🙤⇱⇧✌♦⑨⌂❽▤ ⇲♦🖬■⓿⬂▤➚☠⬀
▫♦🙤🙤⇱⇧☞♦⑨🡨☐✃☎ ⇱♦🖬■⓿⬂❍🙰 🙵☺🙰✞⬃⬁⬀
🙤♦✋ ✃🙤⇱⇧✌♦⑨⌂❽▤ ⇲♦🖬■⓿⬂▤➚☠⬀﴾[البقرة:١٩٤]، ((فالعدوان من المشركين في اللفظِ ظلمٌ في المعنى، والعدوان الذي أباحهُ الله وأمر به المسلمين، إنما هو قصاص))[2].

وقد درسها البلاغيون القدماء وعرضوا لها تحت مسمياتٍ مختلفة وردت في مؤلفاتهم، فقد وضعها الرماني (ت ٣٨٦هـ) تحت مصطلح (التجانس)، وبيَّنه بقولِهِ :

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (النحّاس) : ٣٩/١.

(٢) معاني القرآن (الفرّاء) : ١١٧/١.

((تجانُس البلاغةِ هو بيانٌ بأنواعِ الكلام الذي يجمعه أصلٌ واحدٌ في اللغةِ))[1]، والتجانسُ على وجهين، مزاوجة ومناسبة، فالمزاوجة تقعُ في الجزاءِ ومنه قوله تعالى : ﴿⑥↗③⬧⓪⑨ↂ↖↖□♌⬧ ✂︎✍✍ ◻⬥♎➔□⬥﴾

⌘⌧⓪⑨ↂ↖↖♍←☠↗﴿[النساء:١٤٢]، أي مُجازيهم على خديعتهم، ووبال الخديعة راجع عليهم؛ لأن أصل المخادَعة في اللغة : ((إظهار خلاف الاعتقاد، وتسمى التقَّةُ خِداعاً، وهو يكون من واحد، قال ابن كيسان : لأن فيه معنى راوغْت، كأنه قابل شيئاً بشيء))[2]، فعقوبة المخادعة ترجع عليهم. وفرَّقَ أهل اللغة بين (خَادَعَ) و(خَدَعَ)، فقالوا : خادع أي قَصَدَ الخدْع، وإن لم يكن خدعٌ، ومعناه : بلغ مراده، والاختيار عندهم (يخادعون) في الأول؛ لأنه غير واقع، والاختيار في الثاني : (يخدعون)؛ لإخباره –تعالى– أن الخداعَ واقعٌ بهِم، لما يطَّلع عليه من أخبارهم، فعاد ما ستروه، وأظهروا غيره ووبالاً عليهم[3].

أما النوع الثاني من التجانس فهو ((المناسبة، ومنه قوله تعالى: ﴿⚐➔☠▪ ☎✂□➔▫⬧❷✽⓪✡✍✂ 🗐 ✽❸⬥❼☙ ✦✍✍✂ ♁➔◘➔□▥⬥✍✍↙☠﴾[التوبة:١٢٧]، فجُونس بالانصراف عن الذِّكر صرفُ القلبِ عن الخيرِ، والأصل فيه واحد وهو الذهاب عن الشيء، أما هم فذهبوا عن الذِّكر، وأما قلوبهم فذهب عنها الخير))[4].

ويعرض ابن رشيق القيرواني (المشاكلة) تحت مصطلح (المزاوجةِ)[5]، والجامع بين التسميات المتفرقة أن المسمى واحد والشواهد عليه متقاربة، ويبدو أن الدكتور أحمد مطلوب أرجع بدايات نشوء مصطلح (المشاكلة) إلى أبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)[6]، ويرى بعضُ المحدثين أن اللفظة المترددة تكراراً في العبارةِ يكتملُ

---

(١) النُّكت في إعجاز القرآن : ٩٩.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (النحّاس) : ٣٧/١، وأكد النيسابوري (ت ٥٣٣هـ) أن أصلُ الخداع إظهارُ غير ما في النفس، والمراد هنا : مُخادعة الرسول والمؤمنين، ينظر : إيجاز البيان عن معاني القرآن : ٧٧/١.

(٣) ينظر : المكان نفسه.

(٤) النكت في إعجاز القرآن ٩٩.

(٥) ينظر : العمدة، ٣٣١/١.

(٦) ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٢٥٨/٣.

معها الايقاع الموسيقي الذي يولدُ التكرار الصوتي وبالإمكان إستبدالُ هذه المفردة بغيرها في المرة الثانية، إلاَّ أن بقاءها أدعى وأوجب لتحقيق التماثلِ، زيادة على أن معناها ما زال قادراً على إثراء الكلامِ بالموضع الذي ترد فيه اللفظة المتكررة[١].

فيأتي التماثل في (المشاكلة) عن طريقِ المصاحبة المعجمية التي قد تأتي ظاهرة أحياناً، ومقدَّرة أحياناً أُخرى، وفيها يقوم الخيال بدور مؤثر عن طريقِ التقارن، وبذلك تبرز أهمية هذا اللون وأثره في الكلامِ من خلال طبيعةِ العدولِ المتمثلةِ فيه عن طريق أسلوب ((التحولِ الحاصل في التركيب بإعادة عنصرِ بنائه على نسق مخالفٍ لما سبقَ ذكرهُ في السياقِ نفسه، وهذهِ الظاهرة من أبرز الظواهر الأسلوبيةِ في التعبير القرآني))[٢].

وهذا ما يُعبّر عنه بـ (الانحراف)[٣] (Deviation)، أو التحرك العدولي، وإن كان على مستوى الشكل، فإن الدلالة تأخذ امتدادها الطبيعي على مستوى المضمون، وهنا يحدث التوالد الدلالي الجديد الذي يحتوي على الشكل والمضمون معاً، فقد يتوهّم المتلقي أن اللفظة موضع (المشاكلة) وردت بمدلولٍ مماثلٍ للكلمةِ الأولى السابقةِ، إلاَّ أن طول التأملِ والتدبرِ والوقوفِ بتمعنٍ أما المعاني وتجلياتها، يُزيل الإيهام الحاصل عن التكرار اللفظي والتماثل فتجد أنك أمام مدلول مُغاير عبر عنه بلفظِ غيرهِ، استجابةً لداعي المشاكلة والسياق معاً.

وبذلك يمكن أن نُخالف من عَدَّ مصطلح (المشاكلة) مُحسناً لفظياً مكانهُ الطبيعي علم البيان لا علم البديع[٤]، بالنظر إلى أن الألفاظ حلّت محلّ ألفاظٍ أُخر لتشاكلُها لا لتشاكل المعاني فيها.

وقد أُدرجت المشاكلة ضمن أنماط البديع المشتركة بعلاقات التكرار اللفظي مع اختلافِ المعنى مثل الجناس التامِ، والجناس المطرّف، وشبه الاشتقاق إذ أنّ

(١) ينظر : البديع تأصيل وتجديد : ١٠١.

(٢) الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي : ٥.

(٣) مصطلح شاع في الدراسات الأسلوبية الحديثة يمثل ظاهرة أسلوبية فنية؛ لأنه عدول عن المستوى النمطي العادي من اللغة إلى المستوى الفني من الكلام، ينظر : الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي : ١٢.

(٤) عدَّ الدكتور عبدة عبد العزيز قلقيلة التعبير في المشاكلة مجازاً لغوياً علاقته المشابهة وقد تسامح إدخاله في التحسين اللفظي أما المعنوي فلا، ينظر : البلاغة الاصطلاحية : ٣٦٧.

((اختلاف المعنى في هذه الأنماطِ، يحولُ دون إسهامها في السبك المعجمي؛ لكن قد يكون في ضوءِ مراعاة خصوصية اللغة الأدبية أن نرى في هذه الأنماط لحظة سبك معجمي، وإن كانت لحظة واهمة سرعان ما تتبدد))[١]، أي أن فكرة المشاكلة قد بُنيت على أساس الإيهام والمخادعة والتخييل، التي كشف عنها عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) حين قال : ((واعلم أن النكتة التي ذكرتها في التجنيس، وجعلتها العِلَّة في استجابة الفضيلة، وهي حُسْنُ الإفادة، مع أن الصورة صورة التكرير والإعادة))[٢]، وهذا يعني ان فكرة توهم السبك المعجمي بُنيت أصلاً على أساس (المخادعة) التي كشف عنها القدماء في تحليلاتهم البلاغية والنقدية.

ففي لحظة التكرار اللفظي ترديدٌ للمستويات الصوتية أولاً، وتوهمٌ أن في السياقِ تكرارٌ للمعنى نفسهُ، يتبينُ عكسه إذا ما استكمل المتلقي السياق وتأمل الدلالة فيهِ ببصيرةٍ ودقّةٍ ويمكن تسمية هذا الإيهام بـ((التوهم اللحظي للسبك المعجمي))[٣]، والمشاكلة الحقيقية هي ضربٌ من ضروبهِ ووسائلهِ في التعبير.

وبذلك تبدو (المشاكلة) قريبة الشبه بمصطلح (الجناس) مع تكريره اللفظِ واختلاف الدلالة، وبالتعامل الأسلوبي مع أفق التوقّع، فإن المشاكلة ترتكزُ على التماثل اللفظي بين كلمتين مما يبرر التعامل معها على أنه تكراري؛ لذا أدرجها العلوي تحت مُسَمَّى ((مقابلة الشيء بما يماثلهُ))[٤]، لما للتكرار أو التماثل من نتيجةٍ تقابلية دلالية بين اللفظين، وقد يتسائل الباحث ما الفرقُ بين المشاكلة مصطلحاً بديعياً وبين الجناس كذلك ؟

تقتربُ المشاكلةُ من الجناس في كونهما من التكرار اللفظي أي فيما تكرر لفظهُ دون معناه، مع فارقِ أن الجناس باستثناء الجناس (المشتق منه) يستندُ إلى تشابه الدوال اللغوية، الذي يمنحهُ معجم اللغة؛ بينما تستند المشاكلة إلى تشابه لفظي يصنعه التوسّع في الدلالة أي (دلالة اللفظ الثاني) بمقتضى السياق، وليس أصل

---

(١) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١٠٥.

(٢) أسرار البلاغة : ١٧.

(٣) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١٠٧.

(٤) الطراز : ٢/ ٣٨٦.

الوضع اللغوي لمدلول الكلمات، هذا زيادة على أن المشاكلة كثيراً ما تصل إلى حدود المقابلة أو المفارقة الدلالية بين اللفظين المتماثلين، أوضحُ مما يظهر في أمثلة الجناس[1]، وسنأتي على تفصيل ذلك في مبحث الجناس.

ومن المشاكلة في القرآن الكريم ما يقع بألفاظٍ منها :

أولاً : المشاكلة بلفظِ الخداعِ :

فقد ذكر أهل اللغةِ (الازدواج) أو (المشاكلة) في تسمية جزاء المنافقين بالخداع؛ لأن وبال هذا الخداع راجعٌ إليهم؛ وذلك لأنهم لا يخدعون إلاَّ أنفسهم، قال أهل اللغةِ في قوله تعالى : ﴿☽♌♌☐ ✁✍✎⚐✉☺☎☂⚙☾✕✓♦ ⑥↗③⬧⊙⑨⚛⇖⇖♌☐♦ ✁✍✎⚐ ◻◆♎⇒◻◆ ⌘◰⊙⑨⚛⇖⇖♑←☠✉﴾ [النساء:١٤٢]، سُمِّيَ الثاني خداعاً لأنه مجازاةٌ فسُميّ خداعاً على الازدواج[2] بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر فيدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية، والله خادعهم أي: مجازيهم على خداعهم فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيّه ﷺ على ما أضمروه من الكفر والنفاق، ليحققنوا دماءهم وأموالهم، ويظنون أنّهم قد نجوا وخَدَعوا؛ وإنما خدعوا أنفسهم فيعاقبون في الآخرة[3].

ثانياً : المشاكلة بلفظِ السخرية :

كما في قوله عزَّ وجلّ : ﴿✁✍✎⚐⅄♎⇔◻ ③♦⊡☺⑧⚗◻♍ ✁✍✎⚐☺←⊃⅄◻⚌⇗⇖⚛✓ ✎♌⚗♊⌘ ✁✍✎⚐☺←⬧⚗⚛⚐✓✕♦ ⑥♌✕ ✁✍✎⚐⊙○⑨◰♎⬧⚛✱⚛ ◻♦✁✍✎⚐♎⇔◻ •• ⑥⬧♑⇖⑨←◻♌♦ ♌☽•• ♉⇖♑⑨◰⇧◘⚑⚐ ⇔ ◻⬧❹♦○⇔②◰❷⇖◻♌♦ ⚗⚛❁⚐&⇙☠⇗ · ⚭◰②⚛❷♦ ✁✍✎✦ ⚗⚛❁⚐&⇙☠⇗ ◻♦▭○●←☠⇗ ⇖♦⓿⊠✁⚇⇖ ⚐◻⚗✍↗☹↘﴾ [التوبة:٧٩].

---

(١) ينظر : البديع وفنونه : ٩٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (النحّاس) : ٣٧/١.

(٣) ينظر : المحرر الوجيز : ٩٠/١، والجامع لأحكام القرآن : ٢٩٧/١.

اللافت للنظر في هذا السياق القرآني البديع أن الآية ذكرت صفة أُخرى من صفات المنافقين وهم يعيبون المتطوعين تبرعاً بأموالهم للفقراء، وما يقابل ذلك من سخرية الله تعالى من المنافقين وبيان حالهم، بأسلوب الدعاء عليهم حيث صاروا إلى النار، فبينت الآية على سبيل (المشاكلة) بلفظِ (سِخَر الله منهم) أي مجازاتهم على ذلك الذنب ((فسمَّى العقوبة باسم الذنب))(١)، وسُمي الثاني باسم الأول على الازدواج.

ثالثاً : المشاكلة بلفظ العقوبة :

وهو ما ورد في قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ **[النحل:١٢٦]**.

هذا التعبير يدعو المؤمنين إلى أن يردوا الظلم والاعتداء جزاءً بمثلِه، فجاء لفظ (العقوبة) الثانية من جنس لفظ (العقوبة) الأولى، الأول ليس بعقوبة، فيسمي الأول بإسم الثاني؛ لأنهما من جنسٍ واحدٍ على الإزدواج؛ كما يسمى الثاني باسم الأول، ((فلا ينال من أُصيب بظُلامة من ظالمه إذا تمكَّن منه إلاّ مثل ظُلامته لا يتعداه إلى غيره))(٢)، وقد تضمنت هذه الآية دلالتين هي :

١- جواز التماثل في القِصاص، فمن قَتَل بحديدة قُتل بمثلها، ومن قَتَل بحجر قُتِل بمثلِه، ولا يتعدى قدرَ الواجب(٣).

٢- سمَّى الله -تعالى- الإذناب في هذه الآية عقوبةً، ((والعقوبة حقيقةً إنما هي الثانية، وإنما فعل ذلك ليستوي اللفظان، وتتناسب ديباجة القول))(٤).

رابعاً : المشاكلة بلفظ الاستهزاء :

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٣١٤/١، وهذا قول جمهور العلماء.

(٢) جامع البيان : ٣٢/٥، المحرر الوجيز : ٤٣٢/٣.

(٣) ينظر : أحكام القرآن (لابن العربي) : ١٧٦/٣.

(٤) المحرر الوجيز : ٤٣٢/٣.

وهو ما ورد في قوله تعالى : ﴿ ✁✍✏ ✦ ④ ☐○⇔☺♦ ✆✏ ❽ ✇ ✌ ⬀ ✏

❼✈✖ ⬃☹➔♏❻❾←☺♦③◆☐ ⬀☠✆✏✆✏

➔⇔⬂⑩◆⬤✡✆♑✈☠⬀ ③♦➔⬃☺⌧♑←☐♌♦﴾ [البقرة:١٥].

أي : ينتقم منهم ويُعاقبهم ويسخر بهم، ويجازيهم على استهزائهم، فسمّى العقوبة باسم الذنب. وهذا قول الجمهور من العلماء، والعرب تستعمل ذلك كثيراً في كلامهم[1]، وأصل الاستهزاء : الانتقام، فقد أورد ابن منظور أن معنى استهزاء الله بهم ((أن أظهر لهم من أحكامه في الدنيا خلاف ما لهم في الآخرة، كما أظهروا للمسلمين في الدنيا خلاف ما أسروا))[2] والوجه المختار عند أهل اللغة، أن يكون معنى يستهزئ بهم يجازيهم على هُزئهم بالعذاب ((أو يرجع وبالهُ عليهم، أو يستدرجهم بالزيادة في النعم على الإملاء في الطُغيان))[3]، فسُمّي جزاء الذنب باسمه من باب (المشاكلة).

خامساً : المشاكلة بلفظِ السيئة :

وهو ما ورد في قوله تعالى : ﴿☐◆♉⌧❽♦⏀♦⬈✁☎

☎ ✍⌧♑➔⬙⬃⬗✆♓✌ ⊲☐⌧◎✆♒⑩⌧♌ ⌨☐⌧◎✆♒⑩⌧♌

⏀←■⬉❷⇳♉☐🕯⬩ ⌧☒■⬙⇳◷☐🕮◆☐ ✍☒⬛♦⬉ ⇳♊⌧☺⬩

❹⬙✆♦⬈⑥ ⬩⬥ ⏀←○❋✡✈◗ 🗐 ★✏✍✁ ❼■✍♦⬉

✁✍⬤♌➔⬆⏀⬙✈☺✆✓✖♦﴾ [الشورى:٤٠]، فإطلاق لفظ (السيئة) الثاني مشاكلة على جزاء السيئة الأولى، فاللفظة الثانية ليست بسيئة في الحقيقة إنما سُميت سيئةً لازدواج الكلام، فقد عُدِل عن قولهِ (عقوبة) إلى قولهِ (سيئة)؛ لأن اللفظة الأولى سيئة في الشكل والمضمون، أما الثانية فهي سيئة في اللفظ وليست في المعنى، زيادةً على أن الذي فعل الثانية ليس مُسيئاً؛ ليعلم أن الثانية جزاء على الأولى؛ وبذا حقق العدول والانحراف في التعبير القرآني مظهراً من مظاهر البديع وهو (المشاكلة) مراعاةً لمقتضى السياق وإثراءً للجانب الدلالي فيه.

سادساً : المشاكلة بلفظ الاعتداء :

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز : ٩٧/١، الجامع أحكام القرآن : ٣١٤/١.

(٢) لسان العرب : مادة (هَزَأ).

(٣) إيجاز البيان عن معاني القرآن : ٧٨/١.

وهو ما ورد في قوله تعالى : ﴿⌧⧫☺⍓♓◆⧫⌦⧫♑⇧⇖ ⧫◆ ☎✂☐⇐⑨⧫☞⇧⇖ ⬀⌛♋⬥⬧◆⧫⧫ ⧫◆⧫⬧⬀ ⧫◆⧫⬧ ⧫◆ ⇧⇖ ﴾ [البقرة: ١٩٤].

لا خلاف بين العلماء أنَّ هذه الآية أصلٌ؛ والمُماثلة في القصاص واجبة(١)، شريطة أن لا يتعدى قدر الواجب، والاعتداء هو التجاوز، قال الله تعالى : ﴿☐◆⧫✋◆③ ♓⧫◆➔⍓⑨⧫⊙ ■⇖⑨←☐⑩⍓ ✂⧫⬀✎★ ﴾ [البقرة: ٢٢٩]

أي : يتجاوزها(٢)، وربما يتوهم في بادئ النظر أن المعنى الثاني هو المعنى الأول نفسه؛ وإنما جيء به للمشاكلة اللفظية فحسب؛ لكن التدبر الدقيق وإطالة النظر بتمعن في معنى الآية يُزيل هذا التوهم، إذ يتأكد أن التعبير القرآني يستعمل أسلوب المشاكلة اللفظية للإيحاء بدلالات عميقة أهمها التنفير من ارتكاب السيئة والترفع عنها والابتعاد عن اقترافها.

ثانياً : ضربا المشاكلة :

ذكرَ الخطيب القزويني ضربين للمشاكلة هما(٣) :

الأول : المشاكلة التحقيقية.

الثاني : المشاكلة التقديرية.

المشاكلة التحقيقية :

وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعهِ في صحبتهِ تحقيقاً، كقوله(١) :

---

(١) ينظر : أحكام القرآن (لابن العربي) : ١٦١/١.

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٥٥/٣.

(٣) اتفقت بعض أمثلة القزويني للضرب التحقيقي من المشاكلة مع نصوص ابن حجة الحموي عن المشاكلة اللفظية : وهي أن يأتي المتكلم في كلامهِ بأسم من الأسماء المشتركة في موضعين، فيشاكل إحدى المشاكلتين اللفظتين الأخرى في الخط والنقط، ومفهومهما مختلف، يُنظر : خزانة الأدب (الحموي) : ٦/٤ ، وتعتمدُ باقي أمثلة (القزويني) على مشاكلة اللفظة الأخرى غير واردة أو مذكورة لفظاً، اعتماداً على قرينة السياق، أو الاستنتاج العقلي؛ يُنظر : ضروب المشاكلة عند القزويني؛ ولا سيّما ما عرض حول قوله تعالى : ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾[البقرة : ١٣٨]، فهي مشاكلة لما يظهره النصارى من صبغتهم أولادهم، أي تعميدهم وتطهيرهم في ماءٍ أصفر، فكان الأمر للمسلمين بأن يقولوا (صبغة الله) مشاكلة لقول النصارى؛ ينظر : الإيضاح :٢٦٤/٢.

قالوا: اقترِحْ شيئاً نُجِدْ لكَ طبخَهُ   قلتُ: اطبُخُوا لي جُبَّةً وقميصا

فذكر الشاعر الخياطة بلفظ الطبخ؛ لوقوعها في صحبته تحقيقاً، كأنه قال : خيطوا لي[٢] .

ومنه قول أبي تمام الطائيِّ[٣] :

من مُبلغٌ إفناءَ يعرُبَ كُلَّها   أني بنيتُ الجارَ قبلَ المنزلِ

فبناء الجار إنّما سوغَهُ بناء المنزل وهو متأخرٌ عنهُ، فلولا بناء الدار لم يصحّ بناءُ الجارِ.

ومن أمثلة الضرب الأول في القرآن الكريم قوله تعالى : [illegible]

[الشورى: ٤٠].

فالبنية التماثلية بين : (سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ)، والسيئة الأولى جاءت على التحقيق، أما اللفظة الثانية فجاءت على المشاكلة، وهنا يتحرك المعنى من اللفظ الأول للثاني، وسبقت حركة اللفظ حركة المعنى، إذ أن السيئة الثانية جزاءٌ على السيئة الأولى، والجزاءُ الاسمي سيئة، إنما أُطق عليه من باب المشاكلة اللفظية، لوقوعه في صُحبةِ السيئة الأولى الحقيقية، مما يدلُ على أن الجزاء والعقاب عن السيئة سيكون قاسياً وشديداً كذنبهِ الذي اقترفهُ وكان سيئاً، فالتماثل قائمٌ على أساس التكرار بين اللفظتين الأولى حقيقية والثانية من بابِ الاستعارة أو المجاز يُقصد بها الجزاء، فالتوهم قائمٌ على التكرار المحضِ طارحا فكرة المخادعة في ذهن المتلقي، لأن المشاكلة التحقيقية تحقّقت من خلالِ (الاستعارة)، فالأصل : وجزاءُ سيئةٍ عقوبة مثلها، فَعَدَل عن هذا

---

(١) ورد البيت في الإيضاح منسوباً لابن الرقعمق (أحمد بن محمد الأنطاكيِّ)، ينظر : الإيضاح : ٢٦٣/٢، وبغية الإيضاح : ١٩/٤.

(٢) ينظر : الإيضاح : ٢٦٣/٢.

(٣) ديوان أبي تمام : ٢٥/٢.

الأصلِ تحقيقاً للمعنى المقصود وجذباً للمتلقي، ومخايلة لهُ لوقوعها في صُحبةِ لفظٍ مشابهٍ ومماثل لهُ.

ونظيره قوله تبارك وتعالى : ﴿✍︎⬧➔⬀■⬛︎✠⬉ 👌︎⬧♦︎◆ ✕🙰❼ ☼♦︎▦⬂⊙⬁✍︎ ☐◆⬧🖑 🕮☐⬉⇧⬛︎■⚐❶ 👌︎⬧♦︎◆ ✕🙰❼ ☼♦︎▦⬂○⬁⌨⬚⬓﴾ [المائدة: ١١٦].

السياقُ هنا يُظهر عبر مُخادعةِ القارئ وإيهامهِ بأن الأمر محض تكرير للألفاظ وترديد صوتي في رصدِ الدوال المتماثلة والمتشابهة بينما هو في الحقيقة عدولٌ عن الأصلِ (تعلمُ ما في نفسي ولا أعلمُ ما عندك)؛ لأن الحق، تعالى وتقدَّسَ، لا يستعمل في حقهِ لفظة (النفس)، إلاَّ أنها أُستعملت هُنا بأسلوب المُشاكلة لما تقدم ذكرهُ من لفظة (النفس) التي أُطلقت على ذات اللهِ سبحانه – لوقوعها في صحبة اللفظ الثاني (نفسي)، فيتوهم القارئ في بادئ النظر أن المعنى الثاني هو المعنى الأول، وجيئ به للمشاكلة اللفظية فحسب؛ لكن عند التأمل والتدبر في فهم معنى الآية، يزول التوهل ويتضح أن اللفظ المُشاكل هو الثاني، الذي يحملُ دلالة عيسى عليه السلام لمشاكلتهِ اللفظة الأولى، ((والحق أن ما في الآية ليس من قبيل المشاكلة؛ لأن إطلاق النفس على ذات الله ورد في قوله تعالى : ﴿**ويحذركم الله نفسه**﴾**[آل عمران :٣٠]**، فيكون إطلاقه على معناه لا على معنى غيره))[١].

ومنهُ قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿⬧♦︎☺⬚♊︎⬲ ✂︎🙰⬉⇧✍︎♦︎⑨⬚❽▤ ⬊♦︎⬛︎■⓿⬂▤⬈☠⬀ ⬝♦︎🙰🙰⬉⇧☞♦︎⑨←☐✂︎☎ ⬉♦︎⬛︎■⓿⬂○⯊ 🖃⯊☺⯊✞⬀✍︎⬀ 👌︎⬧♦︎◆ ✂︎🙰⬉⇧✍︎♦︎⑨⬚❽▤ ⬊♦︎⬛︎■⓿⬂▤⬈☠⬀ 🗐 ☐♦︎✂︎🙰✍︎☐◑→☐✂︎☎ ✂︎🙰⬏⅄ ☐♦︎✂︎🙰⬉⇧⬛︎■☺←☐☑✂︎☎ 🕮☐♌︎☐ ✂︎🙰⬏⅄ 👌︎⬧⬈⬚ ✂︎🙰⬝♎︎⬂☺←☞✸◑🖅✓✕♦︎﴾ [البقرة: ١٩٤].

أصل التعبير يقتضي قوله: (فمن اعتدى عليكم فجازوه على عدوانه) ، فعَدَلَ عن هذا الأصل لما ورد في سياق الآيةِ تحقيقاً وإظهاراً لعلاقةِ المشاكلةِ والمماثلةِ، إذ أن مقابلة الاعتداءِ بمثلهِ لا يُسمى في الأصلِ اعتداءً؛ ولكن سوّغ هذا الإطلاق داعي المشاكلة، وليُعطي اللفظ معنى المماثلة في تطبيق العقوبة دون زيادة؛ لأن معنى كلمة (اعتدى) في الأصل تجاوز حُدود الحقِّ، ومن العدلِ أن يُقابل التجاوز بتجاوزٍ

(١) هذا ما ذهب إليهِ الأستاذ عبد المتعال الصعيدي في شرح بغية الإيضاح : ٢٠/٤.

مماثلٍ لهُ[1]، وقد عبَّر الدكتور أحمد بدوي عن هذا الأسلوب بأنه عدول عن الأصل؛ لأجل المشاكلة نافياً اللبس والتوهم عن القرآن بقولهِ: ((ولكنني أرى القرآن أجلُّ من أن يسمّي الشيءَ بغير اسمهِ لمجرّد وقوعهِ في صحبتهِ؛ بل أرى هذا التعبير يحملُ معنى، وجيء به ليوحي إلى القارئ بما لا يستطيع أن يوحي بهِ، ولا أن يدلّ عليه ما قالوا : إنه الأصل المعدول عنهُ، فتسميةُ جزاء السيئة سيئةً؛ لأن العمل في نفسهِ سوء، وهو يوحي بأن مقابلة الشرّ بالشرِّ، وإن كانت مُباحة، سيئة يجدر بالإنسان الكامل أن يترفّع عنها، وكأنه بذلك يُشير إلى أن العفو أفضل وأولى))[2]، وشواهدُ هذا النوع من المشاكلةِ التحقيقية أكثر من أن تُحصى في القرآن الكريم[3]، وعلى هذا النسقِ تماماً ورد قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [البقرة:١٩٤]، وقوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [البقرة:١٤-١٥].

تأمل قوله عزَّ وجلّ : ﴿[illegible]﴾ [الأنفال:٣٠].

(١) ينظر : البلاغة العربية (الميداني) : ٤٣٨/٢.

(٢) من بلاغة القرآن : ١٤٢.

(٣) ينظر : سورة الأنفال : ٣٠، وسورة الجاثية : ٣٤، وسورة سبأ : ١٥ – ١٦، وسورة النحل : ١٣٦، وسورة آل عمران : ٥٤، وسورة النساء : ١٤٢، وسورة المائدة: ١١٦، وسورة البقرة : ١٣٨، وسورة الأعراف : ٥١، وسورة التوبة : ٦١، وسورة الحج : ٦٠، وسورة التوبة : ٦٧، وسورة يونس : ٢١، وسورة المؤمنون: ٧٢، وسورة التوبة : ١٢٧.

سياق الآية يوحي بأن تسمية جزاءُ اللهِ وعقابهِ للذين يمكرون برسولهِ الكريم ﷺ (مكراً) ليُشاكل به مكر هؤلاء الكفار، زيادةً في ترويعهم ومبالغةً في تعنيفهم وإيحاءً بأن جزاءهم سيكون شديداً أليماً، فالتماثل بين (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ) والمكرُ الأول حقيقي، والمكر الثاني يُقصده الجزاءُ والعقاب على المكر الأول؛ ولكن أُطلق عليه اسم المكر من باب المشاكلة؛ لوقوعه في صحبة المكر الأول، وقد جات كلمة (مكر) الثانية لدلالات معنوية وإيحائية مبالغةً[1] تطلبها سياق الآية الكريمة، بما أضافته من معنى دلالي في سياق الإنذار والتهديد، ((لم يكن ليتحقق دون ذكرها، وهي الزيادة في ترويعهم، والمبالغة في تعنيفهم، والإيحاء بأن جزاءهم سيكون شديداً عسيراً، مما يدعوهم إلى التنفير من مكرهم السيء، والترفع عن صنيعهم الممقوت))[2].

الضربُ الثاني : المشاكلة التقديرية :

وفيها يُذكر المعنى بلفظِ غيرهِ لوقوعهِ في صحبته تقديراً، بمعنى أن يكون هناك ((فعل له لفظ دلّ عليه ولم يذكر، فيذكر لفظ كاللفظ الدال على ذلك الفعل))[3]، فالمعنى فيها يكون مُقدراً كما في قوله تعالى : ﴿♦□♦⇔⬀⌨♑◷ ★✏♋✁ ☎ □◆✌♦♊⇕ ▯□○⇕○❁♊← ✍♑⬀☙ ★✏♋✁ ◷♑⌨⬀⇔♦□☪ ☎ □◆✝♦♦⬂♊← ✏♦▯⬉◷ ⬉♦◷⌨♑⑨←□♌♦♦﴾ **[البقرة:١٣٨]**.

سياق النص القرآني في خطاب أهل الكتاب، نلمحُ فيه مجيء اللفظ المُشاكل مُقدراً توحي به الدلالة، فقوله تعالى (صبغة الله) مصدرٌ مؤكد منتصب[4] لمضمون قوله –عزّ وجلّ ﴿⬈◆✁✌♦✡□♋ ✉♑♋♋✏★﴾ **[البقرة:٨]**

---

(١) ينظر : إعجاز القرآن والدلالات الصرفية : ٨٨.

(٢) البديع، دراسة في البنية والدلالة : ٧٣.

(٣) ينظر : الكُلِّيات : ٨٤٣.

(٤) قولنا مصدر مؤكد؛ لأنه اسم هيئة على وزن فعلة، أما قولنا منتصب؛ لأن ناصبه محذوف دلّ عليه قوله (آمنا) تقديره: صبغنا اللهُ بالإيمان صبغةً، ينظر : الإيضاح : ٢٦٤/٢، وصيغ فَعَلة وفعِلَة وفُعلة في القرآن الكريم : ١٩٧.

فعدل عن قولِه الأصل (تطهير الله) للمشاكلة تقديراً؛ لأن الإيمان يطهر النفوس؛ لذا وردت صيغة (صِبْغَةَ الله)[1] في صحبة (صبغة النصارى) المُقدرة، والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماءٍ أصفرٍ يسمونه (المعمودية)، زاعمين بذلك أن الولدَ يصبح نصرانياً، ويصيرُ طاهراً بفعلهم هذا، فأمرَ الله تعالى المسلمين أن يقولوا صبغنا الله بالإيمانِ، وطهّرنا تهطيراً، لا مثل تطهيرهم، فالإيمان هو الذي يُطهر النفوس، فجيئ بلفظ (الصبغة) للمشاكلة، وإن لم يكن قد تقدم لفظ (الصبغ)؛ لأن قرينة الحال التي هي سبب النزول من غمس النصارى أولادهم بالماء الأصفر، دلّت على ذلك[2].

فالصيغة المذكورة هنا في الآية الكريمة (صِبغة اللهِ) جاءت في صحبةِ صبغةِ النصارى لأولادهم، للمشاكلةِ التقديرية، ولدلالاتٍ معنوية مقصودة ، فسياق المعنى المُراد أنّ الله عزَّ وجلّ هو الذي أوجبَ هذه المماثلة واستدعاها، وليس لمراعاةِ المشاكلةِ فحسب، وإن كنا لا نهملُ أثر المشاكلةِ في جلاء المعنى وتقويته، والإسهام في تحقيق المتعة والتأثير في نفسِ المتلقي.

والفرق الدلالي بين المشاكلة التحقيقية والتقديرية، هو أن الصحبة في التحقيق متأخرة عن الذكر، في حين تأتي الصُّحبة متقدمة على الذكر في المشاكلة التقديرية[3].

ثالثاً : بلاغة المشاكلة وأثرها في التعبير القرآني :

عُني البلاغيون والمفسرون بهذا اللون من البديع عنايةً واضحة لما فيه من دفعِ شبهةٍ قد ترد في نسبةِ الألفاظ التي لا تليقُ بذات اللهِ –تعالى– كالنسيانِ، والخديعة وما إليها، فقد صَرَّحَ الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) بتسمية هذا اللون من البديع

(١) صِبْغَةَ الله : يعني دين الله، كأن نور الطهارة وَسِيْما العبادة شبيه اللون الذي يظهر عند الصبغ، ينظر : إيجاز البيان عن معاني القرآن : ١٢٠/١.

(٢) ينظر : الإيضاح : ٢٦٤/٢.

(٣) ينظر : الكلِّيات : ٨٤٤.

بـ(المشاكلة)[1]، في حين سمّاها البيضاوي (المزاوجة)[2]، ونهج الشوكاني والآلوسي منهج الزمخشري في إطلاق مصطلح (المشاكلة)[3] على هذا المظهر البديعي.

أما الزركشي فقد عدَّ المشاكلة من المجاز وعبّر عنها بقوله : ((وهو أن تجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر، فتتجوز بالمجاز الأول عن الثاني لعلاقة بينهما))[4] وجعلها تحت باب إطلاق اسم الضدين على الآخر، فهو بذلك يُطلق (المجاز) إصطلاحاً على وفق ما جاءت به العرب لمثل هذا النوع من البلاغة، ولا شك في أن إيراد (المشاكلة) في باب المجاز متأت من علاقة ترابطية بين الأسلوبين، وهي علاقة (التقارن في الخيال)، لا الوقوع في الصحبة كما هو المشهور[5].

وإذا تأملنا الآيات القرآنية الكريمة التي جاءت بمعنى المشاكلة مظهراً بديعياً، وجدنا أن (المشاكلة) فيها أفادت كمال المبالغة في التحذير والتنفير من ارتكاب السيئات، والاستهزاءِ باللهِ تعالى والمكرّ به والاعتداء على حرماتهِ، فجزاء تلك الأفعال لن يكون (جزاءً وعقاباً)؛ بل يكون (مكراً) و(اعتداءً) و(استهزاءً من الله) و(سيئةً)، وهكذا نجد أن هذا الفن يحقق مزايا ومحاسن نفتقدها عندما نعبر بالألفاظ الحقيقية لتلك المعاني الواردة، وعند تأمل شواهدِ هذا الفنِ نجد أن معظمها من قبيل المجاز المرسل أو الاستعارة، ففي قوله تعالى : ﴿□◆♉⍓❽◆⏲⬈✁☎ ♒⍓⑩♒ﾂ◎⍓□⌨ ♒⍓⑩♒ﾂ◎⍓□◀ ✍♓♎✤❑🖬➔♑⍓✍﴾[الشورى: ٤٠]، وقوله تعالى : ﴿□◆✍◆⑨●✍♌✡□⏲♑←☠ 🗎⏲♑□☪□☺□❸⬀♓♎☠⬀﴾ [سبأ: ١٦]، وقوله تعالى : ﴿♉⍓☪□☞◆✓⬀✗⬀﴾ ✁✍✍☆⊙♓❷⬀❷⬉ ...

---

(١) ينظر : الكشّاف : ٢١٥/١.

(٢) ينظر : أنوار التنزيل : ١٠٩/١ و٣٦٥/٢.

(٣) ينظر : فتح القدير، ١٥٧/١، روح المعاني، ١٨٩/١٧.

(٤) البرهان في علوم القرآن : ٢٩٨/٢.

(٥) ينظر : الكلِّيات : ٨٤٤.

[illegible] **[البقرة: ١٩٤]**.

نجد أن الآيات الكريمة تتضمنُ مجازاتٍ مُرسلة علاقتها السبية حيث أطلق السبب وأراد المسبب، وعلى الرغم من ذلك فإن للمشاكلة دورها في حُسن التعبير وبلاغته إسهاماً مع المجاز في جمال الأسلوب وحسنه وتأثيره البليغ.

ونلاحظُ مما سبقَ اختلافُ آراء البلاغيين في (المشاكلة)، فمنهم من عدّها من علم البيانِ، من قبيل المجاز المرسل وعلاقته السببية بإطلاق السبب على المسبب، ومنهم من عدّها من علم المعاني من حيث مخالفتها لمقتضى الظاهر، ويرى آخرون، وهم الأكثرية أنها من مسائل علم البديع المعنوية، لها أثرها الواضح في حسن التعبير وبلاغته وأرجح الآراء أن (المشاكلة) من المحسنات البديعية؛ لأنها تنقل المعنى من لباس إلى لباس آخر غير مألوف، فيحدث عجباً أو طرباً، أما قولهم أن (المشاكلة) من باب المجاز المرسل وعلاقته المجاورة، فهو قولٌ مردود؛ لأن علاقة المجاورة تكون بين مدلول اللفظين لا بين اللفظين كما في (المشاكلة)، فهي تصحّ بمجرد وقوع اللفظ في صحبة آخر ولو لم توجد علاقة بين مدلوليهما كما في قول أحمد بن محمد الأنطاكي[1]، وقد توجد علاقة بين مدلوليهما كما في قوله تعالى: [illegible] **[الشورى: ٤٠]** فإن المراد بالسيئة الأولى (المعصية)، أما لفظ السيئة الثانية فمرادٌ منه جزاء السيئة الأولى، والعلاقة بينهما علاقة السببية[2].

وقد ذهب البلاغيون إلى أن (المشاكلة) قد تأتي بلفظٍ مناسبٍ للمذكور معه وأطلقوا عليها (المشاكلة بالمناسب)[3]، ومن أمثلة هذا النوع من المشاكلة ما ورد أن رجلاً قال لوهب : أليس قد ورد أن (لا إله إلاّ الله) مفتاح الجنة؟ فقال له وهب :

---

(١) ينظر : ص ٣٧٨ من مبحث المشاكلة، هامش رقم (١).

(٢) ينظر : بغية الإيضاح : ٢١/٤.

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٢٠/٤.

بلى؛ ولكن ما من مفتاح إلاّ له أسنان، فإذا جئت بالأسنان فُتح لك، وإلاّ لم يُفتح لك. فقد عبَّر الرجل عن معنى (لا إله إلاّ الله) بالمفتاح، وعبَّر عن الأعمال بالأسنان مُشاكلة بالمناسب، وهذا النوع من المشاكلة يختلف عما عُرف به هذا الأسلوب من ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعهِ في صحبته بلفظٍ مُضادٍ للمصاحب لهُ، كما في حكاية شريح لرجلٍ شهد عنده، فقال : ((إنك لسبط الشهادة فقال الرجل : إنها لم تُجعد عَّني))[١]، فالسبط في الشهادة تعني الاستمرار في حفظها أو قبولها دائماً والاسترسال في ترديدها؛ لأن معنى السبوط في الأصل إنطلاق الشعر وامتدادهِ فاسترسل القوة الذاكرة إياها واستحضر أولاها وأخراها، أما التجعد فدلالتهُ الأصلية ضد السبوطة، يعني أنها لم تقصر عن إدراكهِ وحفظهِ؛ والمسوغ لتجعيد الشهادة في قول الرجل هو مراعاة المشاكلة، فلولا سبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها، وهذا النوع من المشاكلة ما يسمى (المشاكلة بالتضاد)، حيث قابل التجعيد بالسبوط، وتسمى أيضاً (المشاكلة المحضة)[٢]؛ لأنه شبه انقباض الشهادة عن الحفظ، وتأتيها عن القوة الذاكرة بتجعيد الشعر، واستعمل التجعيد في مقابلة السبوط[٣].

ولعلَّ اتساع مفهوم (المشاكلة) في تراثنا البلاغي وثراء الصور التعبيرية فيها، أدى إلى تباين البلاغيين المتأخرين في تبويبها ووضعها تحت التسمية الملائمة، سواءٌ كانت مظهر بديعي لفظي أو معنوي؛ فالأمر يرجع إلى القيمة التعبيرية للمشاكلة وما تنطوي عليه من أثرٍ تكريري يثري الايقاع الموسيقي الناتج عن التردد من جهة، والأثر التخييلي الحسن الذي يستبقي أثرها المعنوي في سياق مواضعها التي آثرت التعبير بها من جهة أُخرى.

---

(١) المكان نفسه.

(٢) ينظر : الكُلِّيات : ٨٤٤.

(٣) المكان نفسه.

الفصل الثالث
مظاهر الإجمال والتفصيل

مُقدمة :

مفهوم الإجمال والتفصيل في الدرس النقدي العربي :

شهد مصطلح (الإجمال والتفصيل) تنازعاً شديداً في إثبات دلالاته، وتذبذباً واضحاً في بلورة مفهومه، وتفرّقت شذراته في مدونات المعجمات وبطون كتب التفسير، واللغة، والبلاغة، والأصول، فالمكتبة العربية تفتقر إلى الإفادة الدلالية من هذه الظاهرة النصية، ولم تفرد بدراسات مستقلة تكشف عن أبعادها، وإحكامها بضواط وقواعد تسهم في تأصيل وجودها في لغة الخطاب القرآني، ونحن إذ نتتبع هذه الظاهرة لا نقف عند حدودها السطحية، ولا نكتفي بعرضها، وجمع أدواتها بضم بعضها إلى بعض، وإنما تفكيك بنيتها، ونلحقها بأحكام ودلالات أساسها استيعاب الغموض، ومناقشة القضايا والمرتكزات العالقة، وسدّ الفراغ الحاصل في الدرس الأسلوبي، الناتج من التقيد بالمعيارية الصارمة في عرض المصطلح والوقوف على شواهد متكررة ومتداولة، وعليه جاء المصطلح محاولة علمية لجمع الجذور المتأصلة في اللغة والبلاغة والتفسير، وتوليد خلاصة للمضامين الفكرية المختزلة، الناتجة في حدود لا يمكن القفز عليها أو تجاوزها، فهي مُبينة لما أُختصر، ومتباينة تبعاً للعلوم والفنون ومصنفاتها؛ لذا ترتبط قيمة المصطلح عموماً في منظور الباحثين بقيمة معناه على أساس أن المعيار في تحقيق ذلك الترابط هو الجانب التأثيري للمعنى.

وانطلاقاً من ذلك لابد من الوقوف على دلالات مادة (جَمَلَ) و(فَصَلَ) اللغوية، وبيان أوجه التقارب مع المفهوم الاصطلاحي للجذرين؛ لتحديد أهم الأدوات الأسلوبية التي يمكننا التعامل معها في حدود التطبيق المنهجي للتعبير القرآني.

يقول الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) : ((جَمَلَ : الجَمَلُ : يستحق هذا الاسم إذا بَزَلَ، وناقة جمالية أي في خلق جمل ... ومن أمثال العرب : أتخذ فلان الليل جملاً إذا سَرَى الليل كلّه، أو إذا ركبته ومضيت))(١)، أما الجوهري (ت ٣٧٠هـ) فيستند إلى الفراء (ت ٢٠٧هـ) في القول بأن الجَمَل هو ((الذَّكرُ من الإبل، والجمع جمال وأجمال وجمالات وجمائل))(٢)، وقد زاد ابن منظور (ت ٧١١هـ) على هذا

---

(١) كتاب العين : مادة (جَمَلَ).

(٢) الصحاح : مادة (جَمَلَ)، وينظر : فقه اللغة وأسرار العربية : ٣٠٥.

التحديد قيل : ((إنما يكون جملاً إذا أَربع، وقيل : إذا أَجذَع، وقيل إذا بَزَل، وقيل إذ أَثنى))[١]، قال الراجز[٢] :

نحن بنوضَبّةَ أصحابُ الجَمَل

الموتُ أحلى عندنا من العَسَل

وقد نقل الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، المعاني المتعددة لهذه اللفظة، مشيراً إلى دلالة المُجمل بقوله : ((ومنه قيل للحساب الذي لم يُفصَّل والكلام الذي لم يُبيَّن تفصيله مُجمَلٌ وقد أجملتُ الحساب واجملتُ في الكلام، قال تعالى : ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً**﴾ **[الفرقان : ٣٢]**، أي : مجتمعاً لا كما أنزل نجوماً متفرقة))[٣]، وأكد الأصفهاني أن حقيقة المجمل ((هو المشتمل على جملة أشياء كثيرة غير مُلخَّصةٍ))[٤].

وترى الباحثة أنّ في هذا القول إلماح إلى أن المجمل يوحي بتضمنه دلالة الجملة، ((والجملة : جماعة كل شيء بكامله من الحساب))[٥]؛ ولأن مادة (جَمَلَ) تحيل على جمع الشيء بعد التفصيل والتفريق، يقال : ((أجمل الشيء : جمعه عن تفرقة؛ وأكثر ما يستعمل في الكلام الموجز))[٦].

ومن الملاحظ أن أبا هلال العسكري (ت ٣٩٦هـ) تناول هذا المصطلح من قبيل الكلام : التفسير والتأويل، مخالفاً بذلك أصحاب المعجمات في عدم التصريح بذكر لفظ (المجمل)، وإنما إيراد الدلالة تحت مفهوم الجملة، فيقول: ((المجمل ما

---

(١) المحكم : ٣١٢/٧.

(٢) ينظر : لسان العرب : مادة (جَمَلَ)، واختُلف في قائل الرجز فقيل : هو حيان بن ربيعة الطائي أخو بني أخزم، ينتهي نسبه إلى عمرو بن ثعل وهو من الشعراء الجاهليين، وقيل هو الأعرج المعني، وذهب آخرون إلى أن قائل البيت من شعراء الإسلام وهو عمرو بن يثربي الضبي، ينظر : ديوان الحماسة : ٥٣-٥٤، والمحكم : ٣١٢/٧.

(٣) المفردات في غريب القرآن : ١٠٥.

(٤) المكان نفسه.

(٥) كتاب العين : مادة (جَمَلَ).

(٦) المحكم : ٣١٤/٧.

يتناول جملة الأشياء أو ما ينبئ عن الشيء على وجه الجملة دون التفصيل))[١] و((هو ما لا يمكن أن يعرف المراد به خلاف المُفسَّر))[٢]، وقد وَجَد البحث في حدِّ الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دقة في التعريف مع معيارية أشترط فيها أن يكون المجمل ((ما خفي المراد منه بحيث لا يُدرك بنفس اللفظ إلاَّ ببيان))[٣]، فالمجمل عنده هو الخفي المبهم، وشرطه أن لا يفسر من اللفظ الذي وقع عليه الإجمال، وإنما يتوجب إيراد لفظ يفصل ويوضح ما خفي، وبذلك يوافق ما ذهب إليه أبو البقاء الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) في أن الإجمال يتحقق بـ((إيراد الكلام على وجه يحتمل أموراً متعددة))[٤]، فيحتاج إلى تفصيل وتوضيح، لتعيين تلك المحتملات، وبذلك يتأكد أن (المجمل) هو ما لا يوقف على المراد منه إلاَّ ببيان.

وسط هذا التباين الاصطلاحي الذي أوجزه البحث، كان لزاماً أن يسعى لإجراء ضبط دلالي لأبعاد هذه الظاهرة، دعت إليه الحاجة العملية والتطبيقية، مؤكداً أن ما جاء به العلوي كان الأول في قائمة أرباب البلاغة بياناً لمفهوم الإجمال إذ أطلق عليه مصطلح (الإبهام)[٥]، وقسمه على قسمين :

الأول : ما ورد مبهماً من غير تفسير، لما فيه من المحتملات المتعددة.

الثاني : الإبهام الذي ظهر تفسيره، هنا لاحظ البحث أن شرط التفصيل ليس واجباً في كل مجمل، معززاً رؤيته المنهجية بغاية مفادها توخي إزالة اللبس والخفاء والإبهام الحاصل من قرع الكلام مسامع المتلقي؛ لأن ((المعنى المقصود إذا ورد في الكلام مبهماً فإنه يفيده بلاغةً، ويكسبه إعجاباً وفخامة؛ وذلك لأنه إذا قرع السمع على جهة الإبهام، فإن السامع له يذهب في إبهامه كل مذهب))[٦]، معللاً مجيء الكلام على

(١) الفروق اللغوية : ٧٠.

(٢) المكان نفسه.

(٣) التعريفات : ١٦٧.

(٤) الكلِّيات : ٤٢.

(٥) ينظر : الطراز : ٢/٧٨ – ٨٥.

(٦) الطراز : ٢/٧٨.

جهة الإبهام يوقع السامع في حيرة وتفكُّر واستعظام، فيشد الذهن إليه بالترقب طلباً للإيضاح والتفسير، ورغبةً في التوصل إلى المعنى المراد.

ومما أُثر عن المفسرين في بيان دلالة الإجمال ما جاء به القرطبي[١] (ت٦٧١هـ) من معانٍ تجمع على الإبهام وعدم وضوح الفهم من المرادِ، إذ ترد قيمة الإجمال عنده من لدن المسار الذي تفرضه زاوية الطرح والتناول بما يتوافق فيها مع أرباب اللغة والبلاغة؛ لوجود معيار مشترك هو الافتقار إلى البيان.

ومما تجدر الإشارة إليه أن من علماء البلاغة من سَوَّغ عملية التوصل إلى المجمل بالتأمل دون التصريح بذكرِهِ، إذ يستشف من مباحث الفصل والوصل في علم المعاني الذي تبنى فيه التراكيب ((على ثنائيات تربط بينها علاقات تختلف باختلاف التراكيب))[٢]، فتركيب الإجمال والتفصيل ينبني على العلاقة بين المجمل والمفصَّل، والإبهام والوضوح والإيجاز والإطناب التي تمثل مكونات أساسية في الخطاب القرآني الذي يمتاز بتجاوز حدود هذه العلاقات في التعبير الواحد إلى مستويات عدة سنفصلها في ثنايا المباحث القادمة.

مما تقدم نؤكد أن مصطلح (المجمل) من المصطلحات الجامعة دلالات متعددة، تدور حول المعاني الآتية :

١- الإبهام.

٢- الاختصار.

٣- الإيجاز.

٤- الإيهام.

٥- التوجيه.

وقد ذُكرت هذه المعاني تصريحاً وتلمحياً في أغلب المصنّفات، إذ يذهب البحث إلى ترجيح الدلالة المتضمنة معنى ((إيراد الكلام على وجه يحتمل أموراً

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٨/٢.

(٢) محاضرات في علم البيان : ٢٣٥.

متعددة))[١]، فلا يوقف على المراد منه إلاَ ببيان من جهة المتكلم بوصفه عنصراً مهماً في عملية التلقي[٢].

وبهذا المعنى يكون المجمل أقرب إلى المستوى الدلالي منه إلى المستوى الصوتي، فنظم القرآن الكريم يجمع بين الأجناس المختلفة في صور مؤتلفة، محكمٌ لا تعارض في آياته، ولا إشكال في أخباره ووقائعه، وبإدراك المفصّل بعد المجمل وعندئذٍ يزول الإبهام ويتضح المعنى المقصود، وهنا –أي في مفهوم المفصّل– وقف البلاغيون مواقف شتى يمكن أن نحددها في اتجاهين للمنظومة المصطلحية المتعلقة بظاهرة (التفصيل بعد الإجمال)، يتمثل الاتجاه الأول في تداخل المصطلحات مع هذا المصطلح، ويتمثل الاتجاه الثاني في دخول بعض المصطلحات في إطار تصنيف الظاهرة إلى أنماط سياقية تتضح فيها قدرة المبدع وتمكنه من شدّ انتباه السامع لتفصيلات ترضي فضوله المرتقب بعد الإجمال لتهيئته لمعرفة المزيد بعد توطئة موجزة مختصرة تحتمل أموراً عدة، تتفاوت فيها العلاقات بتفاوت المصطلحات.

إن الذي يدعونا إلى عرض هذه المنظومة المصطلحية لأسلوب (التفصيل) إنّما هو ارتباطها الوثيق بالكشف عن دلالات المجمل، فلم يبتعد كثيراً كما في قرينه عن حدود المعطى المعجمي لمادته اللغوية، ولعل مصطلح (التفصيل)، هو المصطلح الذي احتفظ بوجوده إلى جانب مصطلح (الإجمال)، فكثيراً ما يطلق المُصنّفون على هذين المصطلحين بالإجماع (الإجمال والتفصيل) أو (التفصيل بعد الإجمال).

لقد وردت مفاهيم ودلالات عدة عند المتقدمين من العلماء، جيء بها على سبيل الإيضاح للمصطلح بذكر دوال متعددة تحيل على المدلول نفسه، فقد حدد أصحاب المعجمات دلالة (فَصَلَ) اللغوية بالبون بين الشيئين حتى يكون بينهما

---

(١) الكُلِّيات : ٤٢.

(٢) ينظر : المكان نفسه.

فرجة، والفصل من الجسد : موضع المَفصِل، والفصال : التفريق بين الصبي وأمه في الرضاعة(١).

وقد أشار الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) إلى أن معنى المِفْصَلُ بكسر الميم وفتح الصاد : اللسان(٢) : لأنه الأداة التي تُفصل الأمور وتميزها، في حين صرح بهذا المعنى ابن فارس حين قال إن معنى التفصيل ((يدل على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه))(٣)، وبذلك نقترب كثيراً من المفهوم الاصطلاحي للتفصيل وقد تمسك بعض العلماء بالدلالة اللغوية لمادة (فَصَلَ)، وأسسوا عليها مفهومهم الاصطلاحي كما فعل أبو هلال العسكري إذ قال : ((التفصيل هو ذكر ما تضمنته الجملة على سبيل الإفراد))(٤)، وبهذا التحديد فرّق بينه وبين كثير من المصطلحات المتداخلة معها كالشرح والتفسير والتأويل والتقسيم مؤكداً ((أن التفصيل وصف آحاد الجنس وذكرها معاً))(٥)؛ لذا قد يحتاج التفصيل من وجهة نظره إلى الشرح والبيان والتفسير.

ومن خلال هذا المفهوم يتأكد أن دلالة (التفصيل) عند أبي هلال العسكري تعني التفريق بين أمور متداخلة مبهمة تحتاج إلى شرحٍ وإيضاح، وقد ضمنّه في موضع أخر من كتابه دلالة ((البيان عن كل قسم بما يزيد على ذكره فقط))(٦).

ومن المعالجات القيمة لمفهوم (التفصيل) ما أورده الشريف الجرجاني في (التعريفات) حين أسهم عند مستوى التطبيق بتحديد انتماء المصطلح إلى جنس بيان التفسير، الذي يزول به الخفي المبهم من المجمل(٧)، وطرح تفسيراً دقيقاً للمُفصِّل في قوله تعالى: ﴿❑◆⬛□⬛❑... ■□▤❑■▣○◷...﴾

(١) ينظر : كتاب العين، ولسان العرب، والمفردات في غريب القرآن : ٣٨٣.

(٢) ينظر : كتاب العين : مادة (فَصَلَ)، ومقاييس اللغة مادة (فَصَلَ).

(٣) معجم مقاييس اللغة : مادة (فَصَلَ).

(٤) الفروق اللغوية : ٧٠.

(٥) المصدر نفسه : ٧١.

(٦) المكان نفسه.

(٧) ينظر : التعريفات : ٣٨.

❏◆➚◆✁✍♦❏↓✁☎ ✁✍♓❽❐▪❐▤♦❑▤❐■﴾[البقرة:من الآية ٢٧٧]، قائلاً : ((إن الصلاة مجمل، فلحقه البيان بالسُّنة، والزكاة مجمل في حق النِّصاب والمقدار فلحقه البيان بالسُّنة))[1]، المُفسِّرة ما أُجمل من النظم القرآني.

وفي إطار الدراسات البلاغية العربية تتكشف الضوابط التي يخضع لها هذا الأسلوب في عملية الرصد، وما رافقه من تداخل مع مصطلحات أخر، شخَّصها البلاغيون وحددوا العناصر الأساسية التي يمكن أن تشترك في تكوين مفهوم ثابت واضح المعالم، يوفق بين التصورات اللغوية والدلالات الاصطلاحية ذات الصلة بمفهوم التفصيل.

وقد عَرَض القزويني لمصطلح (التفصيل) تحت مسمَّى آخر هو (الإطنابِ) مُعرفاً إياهُ بـ((الإيضاح بعد الإبهام؛ ليُرى المعنى في صورتين مختلفتين، أو ليتمكن في النفس فضل تمكُّنٍ))[2]، فنجد أن دلالة التفصيل هي الإيضاح في حين أن الإبهام هو الدلالة المقابلة لما تضمنه الإجمال، وهذا يعني أن التفصيل هو عملية خروج مرتبة من دائرة الخفاء والإبهام إلى نطاق أوسع هو الإيضاح والبيان، حين تأتي المعاني عميقة يشوبها الغموض واللبس، فيجلي التفصيل بوضوح ما خفي منها، ويترتب على ذلك شمولية المعاني ببيانها واستدعاء المتلقي لتلمس هيئتين متضادتين، تتمثل الأولى بالمجهول الذي ترتقبه النفس وتتشوق بعده للمعلوم المتمثل بالهيئة الثانية، فتحصل اللذة التي توصف بأنها ((عقيب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم))[3].

وهنا نقف قليلاً لنوثق أن صاحب الطراز فسَّر مفهوم الإيضاح بأنه ((عبارة عن أن يُرى في كلامك لبساً يكون موجَّهاً، أو خَفِيَ الحكم فتردفه بكلامٍ يوضِّح توجيهه ويُظهر المراد منهُ))[4]، وهذا يقتضي ترابط طرفي الظاهرة الأسلوبية، فخفاء

---

(١) التعريفات : ٣٨.

(٢) الإيضاح : ١٥١/١.

(٣) المصدر نفسه : ١٥٢/١.

(٤) الطراز : ١٠٢/٣، وينظر : تحرير التحبير : ٥٥٩/٢.

الكلام ولبسه، إبهام يُراد به الإجمال، يُردف بما يوضحه ويوجه دلالته ويُبين عن المقصود بالتفصيل.

وقد أفاض علماء البيان في الحديث عن أسلوب المفصَّل والمجمل في صدد تناولهم لبلاغة التشبيه، وارتباط وجه الشبه بحكم تقسيمه إلى (تشبيه مجمل) و(تشبيه مفصل)، فقد مهّدت تلك التقسيمات إلى الوقوف على دلالة المجمل الذي لم يذكر فيه وجه الشبه، فكأنَّ خفاؤه يورث الإبهام وعدم الوضوح في حين أن المفصل عكس ذلك، فالتفصيل كمن يبتغي الشيء من بين جملة أشياء يُريد تمييزه مما اختلط به[(١)]، ليزول الإبهام ويتحقق البيان من الكلام.

وقد قدم المفسرون مفهوماً منسقاً متكاملاً للتفصيل يؤكد ويدعم ما جاء قبله، ولا يبتعد كثيراً عن مساره الطبيعي من أنَّهُ ظاهرة نصية في التعبير القرآني تثري الصورة وتزيد من كثافتها الدلالية بفضل الأدوات اللغوية القائمة عليها، للخروج بالتراكيب من دلالتها الظاهرة إلى جملة من المقاصد المنطوية عليها، لتبين وتُفسر وتشرح وتُقسم وتوضح ما أبهم في نطاق المجمل المقابل له، فلا تخرج دلالة التفصيل عند المفسرين عن معنى البيان والإيضاح والتمييز والتفريق.

من خلال ما سبق يمكننا القول إن العلماء –على اختلاف مصنفاتهم وتباين وجهات نظرهم– أجمعوا على ارتباط الصياغة اللغوية بالدلالة الاصطلاحية لمفهومي الإجمال والتفصيل، ففي الإجمال إبهام يستوعب احتمالات عدة، تزول وتتكشف بالإيضاح والبيان في بنية الخطاب، فتتحدد المعاني وتخرج من حيز التعريف إلى نطاق الوضوح، ويتم ذلك وفقاً لأدوات أسلوبية ودلالات يقتضيها السياق، سنأتي على تفصيلها في المباحث القابلة.

المبحث الأول : أُسلوبُ الإجمال والتفصيل :

أولاً : إجراءات الإجمال والتفصيل من منظور الدراسات المعاصرة.

تأسيساً على ما سبق لم تجد الباحثة فارقاً منهجياً لأسلوب الطرح والمناقشة عند الباحثين المحدثين، فيما أظهرته دراساتهم من أن مظاهر الإجمال والتفصيل لم

(١) ينظر : محاضرات في علم البيان : ٢٦.

تكن بالشمولية والاستقلالية المطلوبة، فضلاً عن افتقار أدواتها والجهود الحثيثة المرتبطة بها إلى الدقة؛ بسبب التداخل الكبير في المفاهيم والمصطلحات، فنجد الميداني في كتابه (البلاغة العربية) يُقارب هذا الأسلوب دلالياً من مفهوم الإيجاز والإطناب القائم على اختصار الكلام وتقليل ألفاظه مع مراعاة بلاغته من جهة الإيجاز، وتكثير الجمل وبسط المعاني لدواعٍ بلاغية يقتضيها المقام من جهة الإطناب[1]، مؤكداً أن للزيادات الكلامية التي يحصل بها الإطناب المفيد طرائق من القول، متبعاً منهج التحرير والتصنيف متوصّلاً إلى نتائج منطقية تؤكد التصورات العقلية للعلاقات الرابطة بين التراكيب، وتكشف عن تواصل دقيق لجهات الكلام واطرافه ومن أبرز إجراءات الزيادات الإطنابية ودواعيها ما يأتي[2]:

الإجراء الأول : الإيضاح بعد الإبهام.

يطرح الميداني في بداية حديثه عن الإيضاح بعد الإبهام مجموعة من المظاهر المرتبطة بالإجمال والتفصيل، التي تمكننا من فهم هذه الظاهرة والدلالات التي تنطوي عليها، بعد أن بيَّن دلالة هذا المصطلح بقوله : ((وذلك بأن يُورد المتكلم المعنى مبهماً، وبعد ذلك يورده موضحاً))[3]، معتمداً قول أهل البيان : ((إذا أردت أن تُبهم ثم توضح فإنك تُطنب))[4]، وهو بذلك يُقرر أن الإيضاح بعد الإبهام إطنابٌ، لما فيه من تقديم للمعاني في صورتين مختلفتين إحداهما مبهمة والأخرى موضَّحة، زيادة على ما فيه من تمكين للمعنى في نفس المتلقي تمكيناً زائداً، لوقوعه بعد استشراف النفس إليه بالإبهام، فيجلي النقص الحاصل من الخفاء بالإيضاح

---

(١) ذكر (ابن حبنكة الميداني) الدواعي البلاغية خلال تطبيقاته القرآنية مفصلاً القول فيها وهي : إظهار التحسر، الترغيب، الترهيب، التوجيه، الاحتراس، التقرير، التعظيم؛ ينظر : البلاغة العربية (الميداني) : ٦٢/٢ – ٦٥.

(٢) جمع الميداني خمس عشرة طريقة منها : الايغال، والاعتراض، والتكميل، والتذييل، والتتميم، والاستقصاء، والطرد العكس، والتفسير، ووضع الاسم الظاهر موضع المضمر، وزيادة بعض التوابع من الكلام، والتعليل؛ ينظر : المصدر نفسه :٢/ ٦٦ – ١١٩.

(٣) المصدر نفسه : ٦٦/٢.

(٤) البلاغة العربية (الميداني) : ٦٦/٢.

والتبيين ((وتكميل لذّة العلم به))[1]، فيبرز الكلام بأسلوب متكامل يجتمع فيه (الإيجاز) المتمثل بـ (الإجمال) أو الإبهام، مع (الإطناب) المتمثل بـ(التفصيل) أو (الإيضاح).

تأمل قوله تعالى : ﴿ ☎✁❑➔♎⧫⍷◆⑥ ✍❑⍃☺✺⌧➔🗎 ♦⑥✍✿♎⧫⍷ⵝ⑥ ✍❑⍃☺✺⌧➔🗎 ⌨❑♦❷⌧☺❑⚐ ⵊ⍯✌ ✍❑⍃⇗⌧✺⍯✌ ⑧⍯♎⅄✎✍✁ ✁⌧⓿⌚⌧♎ ☎✁❑↗⧫✍✆♎ ⑥⍷◆⧫✡❑⌧♎ⵊ⍯✌ ☎⬉✍⌛✆♎ ☎ ﴾ [البقرة: ٢٥].

أوضح الله تعالى اللَّبس الحاصل عند المخاطب؛ ((لكونه لا يدري هل أراد الله تعالى بقوله حكاية عنهم : ﴿ ⑧⍯♎⅄✎✍✁ ✁⌧⓿⌚⌧♎ ⑥⍷◆⧫✡❑⌧♎ⵊ⍯✌ ☎⬉✍⌛✆♎ ☎ ﴾ الإشارة إلى صنف الثمرة، أو مقدار ما يؤتون به من ذلك))[2]، بإيراد قوله تعالى : ﴿ ☎✁❑➔✍⬆📖◆❑ ✍❑✡♑⍷⌨⌚◆⌖◆☞⬉✌ ⌚⍯○⍷✉ ﴾، أي : يشبه بعضه بعضاً في المنظر، ويختلف في الطعم[3]، لإيضاح ما أُبهم من الدلالة على المقصود، وقد أورد المفسرون في دلالة قوله تعالى ﴿ ⵊ⍯✌ ☎⬉✍⌛✆♎ ﴾ معنيين[4] :

الأول : يعني في الدنيا، وفيه وجهان : أحدهما : أنهم قالوا : هذا الذي وعدنا به في الدنيا، وثانيهما هذا الذي رُزقنا في الدنيا؛ لأن لونها يشبه لون ثمار الدنيا، فإذا أكلوا وجدوا طعمه غير ذلك.

الثاني : يعني في الجنة؛ لأنهم يُرزقون ثم يُرزقون، فإذا أُتوا بطعام وثمار في أول النهار فأكلوا منها، ثم أُوتوا منها في آخر النهار، قالوا : هذا الذي رُزقنا من قبلُ، يعني : أُطعمنا في أول النهار، لأن لونه يشبه ذلك، فإذا أكلوا منها وجدوا لها طعماً غير الطعم الأول الذي ألفوه في الدنيا، مما يؤكد مجيء لذات الجنة على

---

(١) المكان نفسه.

(٢) تحرير التحبير : ٥٦٠/٣.

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٣٦١/١.

(٤) ينظر : جامع البيان : ١٦٣/١، المحرر الوجيز : ١٠٩/١، وإرشاد العقل السليم : ٦٩/١.

صور لذات الدنيا؛ لأن الإنسان بالمألوف آنس، وإلى المعهود أميل[1]، لذا جاء قوله تعالى ﴿❑◆📖⬆✍➔❑✁☎ ✍🖎🕲⚪🕘﴾ إيضاحاً لإبهام جاء في السياق رَفَع اللبس من ذهن السامع، ومكّن المعنى تمكينا زائداً، بعد أن تشوقت النفس إلى جلاء ما خفي من الدلالة في سياق الآية، وفي ظل هذه الصياغة نستنبط حقيقة أكيدة هي أن حال هذه الدنيا غير تلك الحال في الآخرة وأن بينهما من جانب الحقيقة والجوهر والكيفية والمعنى بوناً كبيراً، فشتان بين الدارين.

ومثيل ذلك قوله تعالى : ﴿❑◆⬩⬩ ✍⬧☽⬂☜⬅🖩➔❑☑✁☎ 📖❑❑⬀🙰⬧🕒⑨⌻🗎➔☠ 🖎🕲⚪🕘■🖩⬂ ⬄⬀🕲⚪ ☎ ✡⬧⬥❂⬄⬅ ✡⬧❷⬀🙵⬉🔔➔⌛➔☠⬀ ❑◆☽⚪🕲③✹🙪♎➔☠⬀ ☎﴾ [الأنعام:١٥١]، وفي موضع آخر قال تعالى : ﴿❑◆⬩⬩ ✍⬧☽⬂☝⬅🖩➔❑☑✁☎ 📖❑❑⬀🙰⬧🕒⑨⌻🖆⬈☠⬀ ⌘⌻⌖⇳⓿◆❑⬧ 🖎🕲⚪🕘■🖩⬂ ☎ ✞✦◆⬂⌶⬅ ✡◆❷⬀🙵⬉🔔➔♑⬅☠⬀ ❑◆☽⚪🕲③✹🙪🖆⬈🖅⬀﴾ [الإسراء:٣١].

جاء التعبير القرآني في الآيتين بالنهي عن الوأد معطوفاً على جملة من الوصايا والأوامر والتشريعات الإلهية المتضمنة الإحسان بالوالدين، وإيفاء الكيل والميزان، والعدل في القول، ومراعاة عهد الله، فجعل قتل الأولاد سبباً لما يعيش فيه الأباء من الفقر، لذلك أخبر الله – تعالى – أنه سيرزق الآباء، فقال : ﴿✡✹⬧⬄⌶⬅ ✡◆❷⬀🙵⬉🔔➔⌛➔☠⬀﴾، ثم ذكر بعده رزقهُ أولادكم، فقال : ﴿❑◆☽⚪🕲③✹🙪♎➔☠⬀﴾، مُقدماً المسند إليه على المسند الفعلي، أي قدَّم الوعد برزقهم على أولادهم؛ فالخطاب موجه إلى الفقراء ((وكأن السياق يُشعر بتشفيع الأولاد في رفع فقر الآباء القاتلين))[2]، وهنا إشارة إلى أن الله تعالى كما رزق الآباء يرزق الأبناء[3]، وجاء الترتيب بخلاف هذا في سورة الإسراء فقال :

(١) إلى هذا التوجيه ذهب الزمخشري وأبو السعود، ينظر : الكشّاف : ١٠٣/١، وإرشاد العقل السليم : ٦٩/١.

(٢) نظرات لغوية في القرآن الكريم : ١٧٦.

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٥٩/٨.

⬀ ⬀ ﴿ ... ﴾، والخطاب في هذه الآية يدل على أن الآباء أغنياء وإنما هم يخشون الفقر[1]؛ ولأن الخشية خوفٌ يشوبهُ تعظيم[2]؛ لذا جاء الخطاب بتقديم رزق الأولاد على رزق الآباء تجنباً لهذه الخشية، أي : (لا تظنوا أنكم تُرزقون الأولاد من رزقكم فتفقرون، نحن نرزقهم، فجاءت الآيتين إيضاحاً لما أُشكل وتداخل الفهم في المراد منه، ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ ... ﴾ [الأنعام: ٩٥].

افتتح التعبير القرآني باستئناف ابتدائي انتقل به من تقرير التوحيد والبعث والرسالة وآفانين المواعظ والبراهين إلى الإستدلال والإعتبار بخلق الله تعالى وعجائب قدرته المتفرد بها، فاستهل التعبير بالجملة الأسمية للدلالة على ثبات تعلق الفعل بالفاعل، ووصف القدرة الإلهية على فلق الحب والنوى[3]، وإخراج الحي من الميت، وإخراج الميت من الحي في البعث والنشور، فجاءت جملة (يُخرج الحي من الميت) إيضاحاً وبياناً للمقصود من الجملة قبلها وهو (الفَلْق) الذي يخرج منه نباتاً أو شجراً نامياً ذا حياة نباتية بعد أن كانت الحبة جسماً لا حياة فيه ولا نماء، لذا رجحَ المفسرون فصل هذه الجملة عن التي قبلها، إلاَّ أنها أعم منها لدلالتها على إخراج الحيوان والنامي من النطفة أو من البيض، مؤكدين أن جملة (فالق الحبّ والنوى) مجملة؛ ((لأن فلق الحب عن النبات والنوى عن الشجر يشمل أحوالاً مُجملة))[4].

(١) ينظر : المصدر نفسه : ٨٧/١٥.

(٢) ينظر : المفردات في غريب القرآن : ١٥٥، والفروق اللغوية : ٢٧٠، ودقائق الفروق اللغوية : ١٨١.

(٣) الفلق : شقٌّ وصدع بعض أجزاء الشيء عن بعض، والمقصود الفلق الذي تنبثق منه وشائج النبت والشجر وأصولها، أما الحبّ فهو اسم جمع لما يثمره النبت، والنوى اسم جمع نواة، وهي قلب الثمرة، ويطلق على ما في الثمار من القلوب التي منها ينبت شجرها مثل العنب والزيتون، ينظر : التحرير والتنوير : ٣٨٨/٧.

(٤) التحرير والتنوير : ٣٨٨/٧ ، وينظر : الكشّاف : ١١١/٢.

يُتسائلُ هنا عن سرِّ الإخبار والتفصيل بصيغة الفعل (يُخرج) وتقديمها على صيغة اسم الفاعل (مُخرِج)؟ ويجيب ابن عاشور عن هذا التساؤل إجابة علمية دقيقة قائلاً : جيء بجملة (يخرج الحي من الميت) فعلية للدلالة على أن الفعل يتجدد ويتكرر في كلّ آن، فهو مراد معلوم وليس على سبيل المصادفة والإتفاق، وجيء بجملة: (مخرج الحي من الميت) اسماً للدلالة على الدوام والثبات، وفي كلا التعبيرين تلمح دلالة التجدد والتكرار، وقد رجح الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) عطف التركيب المبدوء باسم الفاعل على صيغة الجملة الفعلية؛ لأنه كالتكملة لهُ، أي : يفعل الأمرين معاً[١].

وقد ذهب ابن أبي الأصبع المصري إلى تعليل سرِّ هذا التقديم، بربط صيغة الفعل بلفظ (الحي) بعدها تقديماً على الميت، للدلالة على الحركة التي تعين الحي عند الخروج فيكون خروجه أسهل من خروج الميت من الحي، فاقتضت البلاغة تقديمه بلفظ الفعل الدال على الحال والاستقبال، فيكون ذكر خروج الميت بعده انتقالاً من الأدنى إلى الأعلى، مما جعل خروج الميت في التعبير الثاني ((مستنداً إلى لفظ الفاعل المضاف الدّال على المضيّ، ليكون خروج الأصعب مفروغاً من وقوعه، وهذا أدلّ على القدرة وأبلغ في التمدّح))[٢].

الإجراء الثاني : التَّوشِيع[٣].

---

(١) ينظر : الكشّاف : ١١١/٢.

(٢) تحرير التحبير : ٥٦٢/٣.

(٣) التوشيع ويُقال له التوسيع، ينظر : الطراز : ٨٩/٣، ويعني لغةً : دخول الشيء في الشيء، إذ يقال : وشع القُطن وغيره ووشعهُ، أي : لفَّهُ؛ ينظر : لسان العرب، مادة (وَشعَ)، أما اصطلاحاً : فهو الإتيان بمثنى مفسر بأسمين أحدهما معطوف على الآخر في عجز الكلام، ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٢٣٩/١، تحرير التحبير : ٣١٦/٢، وكان حبُّ البديع والتفريع فيه دافعاً لابن أبي الإصبع المصري لنظم أبياتٍ في التوشيع نُسجت على منوال من سبقه، غير أنه أطلق عليها اسماً جديداً هو (تطريف التوشيع) قائلاً فيها :

بي محنتان مُلامٌ في هَوىً بهما ... رَثى لي القاسيان : الحُبُّ والحَجَرُ

لولا الشَّفيقان من أُمنيَّة وأَسى ... أودى بي المُرديان : الشوقُ والفِكَرُ

ينظر : تحرير التحبير : ٣١٧/٢.

عرَّفه العلوي في الطراز بقوله : ((أنْ يأتي المتكلم بمثنى يُفسِّرهُ بمعطوفٍ ومعطوف عليه، وذلك من أجل أنَّ التثنية أصلها العطف، فيوقع الاسم المثنى بما يدلّ على معناه ويرشد إليه على جهة العطف))[١]، كقول الرسول ﷺ : ((يَهرمُ ابنُ آدم ويشبُّ منه اثنتان : الحرصُ على المالِ، والحرصُ على العُمرِ))[٢].

وقول ابن الرُّوميّ[٣] :

إذا أَبو قاسمٍ جادتْ لنا يدُهُ   لم يُحمد الأَجودانِ : البحرُ والمَطرُ

وإن أضاءَت لنا أنوارُ غُرَّتِهِ   تضَاءَلَ النَّيِّرانِ : الشمسُ والقمرُ

وإن نَضَا حَدَّهُ أو سلَّ عزمتَهُ   تأخَّر الماضيان : السيفُ والقدرُ

من لم يبت حذراً من سَطو سطوته   لم يَدْرِ ما المُزعجان : الخوفُ والحذرُ

وهو أسلوب قريب من التقسيم الذي أشار إليه ابن أبي الأصبع المصري وقسمه على قسمين متصل، ومنفصل، ((فالمتصل منه كل وقع بعد (أمّا) و(أمَّا)؟ وقيل ذلك إجمال وما بعد أما تفصيل))[٤]، كقوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ **[التوبة:٣٦]**. يعهد سياق الآية بأسلوب إجمالي

---

(١) الطراز : ٨٩/٣.

(٢) الحديث صحيح أخرجه البخاري عن أنس، وروي عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : ((لا يزال قلبُ الكبير شاباً في اثنين : في حُبِّ الدّنيا، وطولِ الأملِ))، صحيح البخاري، كتاب الرِّقاق، باب في الأمل وطوله، حديث رقم (٦٤٢٠)، ص١٠٣٩، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إباحة الأخذ لمن أعطي من غير مسألة ولا إسراف، حديث رقم (١٠٤٧)، ص٢٤٧.

(٣) هذه الأبيات لابن الرُّومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج (ت ٢٨٣هـ) ، يمدح فيها عبيد الله بن سليمان بن وهب، ديوان ابن الرومي : ١٧١/٢.

(٤) بديع القرآن : ١٥٤.

حُدِّدَ فيه معيار الزمن ودورته الطبيعية الثابتة، بذكر عدّة الشهور عند الله وهو اثنا عشر شهراً، أُقيم على هذا التحديد المجمل نظام الكون على وفق قانون ثابت لا زيادة فيه ولا نقصان، فقسَّم بعد ذلك تفصيلات هذه الشهور وذكر عددها، وأحكامها الشرعية، وما حُرم فيها بحيث لا يجوز تحريفها بالهوى، ولا تحريكها تقديماً وتأخيراً، فجاء قوله – تعالى- ﴿[illegible]﴾[1] تفصيل وبيان لعدة الشهور الاثني عشر، وهذه الأربعة الحُرُم هي رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وقد حَرَّم الله تعالى فيها القتال؛ لأن العرب قبل الإسلام كانت تتلاعب فيها وتُنسؤها[2] وتؤجلها وفقاً للأهواء من عام إلى عام؛ لذا شرَّع الله سبحانه حرمتها وأقام هذه الحرمة على أمره تعالى، تفصيلاً وبياناً لشأنها وتعظيماً لأجر العمل الصالح فيها.

مما سبق نستنتج أن لأسلوب التوشيع ((وظيفتين : الأولى على مستوى المعنى؛ فإنه تفسير للمفردة، فيجزئ المعنى على مفردتين مفسّرتين ففيهما إيضاح للمعنى، وإن كان هو نوع من الإطناب، والثانية على مستوى الإيقاع؛ فإنه يتحقق في روي المفردة المثناة))[3].

التفصيل بعد الإجمال بنية تلقائية في المجيء المباشر في السورة نفسها، وضمن السياق المحدد دلالته، لدواعٍ بلاغية تظهرها التفصيلات المبينة لما أُجمل ابتداءً، مما يُحفز البحث إلى تتبع أبنية أخرى لأسلوب التفصيل بعد الإجمال تخرج عن نطاق المألوف إلى حدود أوسع لتشمل السورة جميعها أو مواضع متفرقة منها تشرح وتفصل ما أُجمل ذكره في مواضع متباعدة، ومن النماذج التطبيقية التي

---

(١) حُرُم : جمعُ (حَرَام)، وهو وصفٌ للأشهر التي حُرِمَ القتالُ فيها، ووردتْ بصيغةِ الجمعِ المكسرَّ الحَامِل ((دلالة الكثرة والمبالغة؛ ليكثر الناس تحريم القتال فيها، كما أن توالي الضمات يكشف عن أسلوب القوة في تعظيم حرمة هذه الأشهر، أما انغلاق الشفتين أثناء النطق بها فيدعو إلى كفِّ الشرور وإغلاق بابه))، تجليات الدلالة الإيحائية : ٢٠٩.

(٢) النسءُ : اللعب بالشهور الحُرم وتأخيرها عن مواقيتها، والمحاربة فيما كانت الحرب مجدية فيه منها، الكشاف : ٢٩٧/٢، أما النسءُ فهو تأخير في الوقت، والذي كانت العرب تفعله في تأخير بعض الأشهر الحرم إلى شهر آخر، لقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾[التوبة : ٣٧]، المفردات في غريب القرآن : ٤٩٢.

(٣) المصطلح النقدي في كتب الإعجاز القرآني : ٢٣٩.

استوقفتنا ما جاء في سورة الأعراف من قوله تعالى على لسان بني إسرائيل :

🖎✍⬀⌨♦🔔 ♊♉✌ ✍□✡③♉❶□⬆🕮 ☎✂☑□⬈♑◉✍♦🔔⸙
✍♦✌ ♉⑨⬀➔♦📨 📬♊♉✌♦□ ✍♦☪♦⓿♉✍▫🕯♦✍ ♌□🕮
⬀☠⬈▤☙📨♦❻ 🗐✐❁⊙♦⬉ ♦✌✍♦🔔 🗐 ✍□✡□☹⬂⊙⬁♉
⬀☠➔🗎□□⬅⑨♦⬉ ☙①⮷🖬⇳♑⬉③ ♌□🕮
⬁⮟⬀❻☞❀✍✂ ❼⮷✗ ⬀☠➔⌛☒▩⮷🖬⬀②♦✍⬄○♦③♦□
⸙♦♌□➔🖬⌂☺⬀➔♦✍ ⌂✂⬂⓿•🗎 ♦❷⋒➔☪♦⓿♦▫

[الأعراف:١٢٩]. فقولهم أوذينا، أي : بابتلائنا بذبح أبنائنا مخافة ما كان يتوقع فرعون من هلاك ملكه على يدِّ المولود الذي يولد منا، قال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) : ((من قبل أن تأتينا أي : من قبل مولد موسى عليه السلام إلى أن استنبأ، ومن بعد ما جئتنا، إعادة ذلك عليهم، فهذه شكواهم لما لحقهم من استعباد وتكليف بأعمال شاقة، فضلاً عن قتل أولادهم الذكور واستحياء نسائهم، قُوبلت بتصريح من سيدنا موسى عليه السلام بما رمز إليه من البشارة قبل، وكشف عنه وهو إهلاك فرعون واستخلافهم بعده في أرض مصر))[1]، وقد حقق هذا الرجاء أسلوب الإجمال في تمني وقوع الهلاك، وتحقيق الوعد بالاستخلاف؛ لكن دون التعريف والتوضيح بكيفية وقوع الهلاك والاستخلاف في الأرض، ودون التصريح بذكر علامات دالة على ذلك.

ومع تتبع آيات السورة يُلمح المشهد التفصيلي بعد سبع آيات، حين يدعُ موسى عليه السلام وقومه ((ويسدل عليهم الستار؛ ليرفعه من الجانب الآخر على مشهد سادس : مشهد فرعون وآله، يأخذهم الله بعاقبة الظلم والطغيان))[2]، بعد أن ساق الله تعالى آيات شتى للعذاب منها (الطوفان، والضفادع، والقمل، والدم، والجراد)، لكنها لم تكن سبب هلاكهم فالانتقام أشدّ لقوله تعالى :

⬀☠⬋🙵⬀❁♉✌ ✍♦☪⇳☺♦◗♦☞✡✍✍♦▫⸙
🖑♎⚐♦⑩⬂♑◉✍✂ ❼⮷✗ ⬀☠⬅♑🕔□✡⬂🔔♦❷⬂⬊□🕯♦▫
☎✂□⬅📨⊙⓿☒📬 ⬀☠⬋🙵□❄□🕯⮷📨
✍□🙵⬀❁♦⬉ ☎✂□⬅✡🔔•🗎♦□ ✍♦☪♉🖓🕔♦③✍♦★⮷📨
⬊☒🕔▩♉🖬⮷✓▫☙⸙[الأعراف:١٣٦]. أما الوعدُ بالاستخلاف الوارد ذكره

(١) الكشّاف : ١٨٩/٢.

(٢) في ظلال القرآن : مج ٣، ج ٩، ص١٣٥٦.

إجمالاً في الآية التاسعة والعشرين بعد المئة من سورة الأعراف، فجاء تفصيله بعد سبع آيات أيضاً، ببيان أنه امتحان وابتلاء تأكيداً لما ذُكر إجمالهُ في قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾؛ لذا قال تعالى : ﴿[illegible]﴾ [الأعراف:١٣٧].

وفي سورة الكهف شواهد بيانية تفصيلية للأسلوب المجمل البليغ، الذي ابتدأت به القصة منذ إيواء الفتية إلى الكهف ودعاؤهم الله تعالى بطلب الرحمة وتهيئة الأمر الرشَّد في الآية العاشرة إلى الآية الخامسة والعشرين، التي فصلت قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾[الكهف:١١]، وقد جاء التعبير القرآني بلفظ الفعل (ضربنا) الموحي بدلالة القوة(١) المشعرة بوقعها في نفس السامع، أي : ضربنا عليها حجاباً فأنِمْناهم إنامةً ثقيلة لا تُنَبّهم فيها الأصوات(٢)، وجيء التعبير بهذه الصيغة توافقاً مع طبيعة مدة الإقامة الطويلة التي قدرها الله تعالى لبقائهم الذي يحتاج إلى قوة وشدة تحمل، أما قول (سنين عددا)، فالمراد به ذوات عددٍ، قال الزَّجاج : ((إذا قلَّ العدد فُهِمَ مقداره ومقدار عدده، فلم يحتج إلى أن يُعدّ، فإذا كَثُرَ أحتاج إلى أن يُعدّ))(٣)، وهنا ذكر الله سبحانه وتعالى تفاصيل المدة الزمنية التي لبثوها، فهي بيان لما أُجمل بقوله تعالى : ﴿[illegible]

(١) ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٢٩٨.

(٢) ينظر : الكشّاف : ٥٢/٣.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (الزَّجاج) : ٢٢١/٣، وينظر : الكشاف : ٥٢/٣.

[الكهف:٢٥]. وما أخبرنا به الله تعالى عن هذه المدة هو الحق ﴿ ﴾ [الكهف:من الآية٢٦]، وما بين هذين الأسلوبين – أي الإجمال والتفصيل – تتقلب المشاهد كتقلب أصحاب الكهف بين الإيقاظ والرقود.

وفي إطار النصوص القرآنية المتفرقة أمتد مفهوم التفصيل بعد الإجمال إلى دلالات أعمق تثري التعبير القرآني في مجال اللفظة المفردة وما يتعلق بها من آثارٍ في المعنى، وفي مجال التراكيب المتعددة، بأبعاد ذات قدرة على تحقيق التكامل بين الشكل والمضمون وفقاً لما يقتضيه السياق من إبراز لدلالة المعنى المقصود، وإزالة الإشكال ودفع اللبس الموهم للسامع والمتوقع حصوله نتيجة إجراءات مفهوم (الإجمال) وما يرافقها من إبهام وخفاء، و(التفصيل) المؤدي وظيفة اتصالية في حيز النص دون تأخير أو إرجاء مما يُسهل عملية الإيضاح والإفهام.

ومن خلال الدأب المتواصل في متابعة دلالات هذا الأسلوب يبرز للبحث منحىً ثالث يُضاف إلى ما سبق، يتمثل في ورود دلالة الإجمال في سورة ثم التوصل إلى تحديد تفاصيله في سورة أخرى، توضح وتفسر وتبين العناصر الأساسية التي تشترك في تكون المدلول الإجمالي وطبيعة عناصره وأهدافه وهنا يمكننا تقسيم دلالات التفصيل المنفصل إلى قسمين رئيسين :

أولاً : دلالة التفصيل المنفصل باستحضار الخطاب القرآني :

من ذلك قوله تعالى : ﴿ ﴾ [المائدة:٣].

وردت في التعبير القرآني لفظة (الدَّم) مجملة مبهمة من دون إيضاح أو تحديد لماهية هذا الدم وسبب حرمته، ولو اكتفى المسلم بهذا الحكم الشرعي المطلق، لحُرم عليه كلّ دم؛ لذا جيئ بتفصيل صفة هذا المجمل في نص قرآني آخر منفصل

في سورة الأنعام قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

فصَّل التعبير القرآني في هذه الآية ماهية المجمل وبيَّن دلالته على المعنى المراد، فقيّد الإيضاح الحكم الشرعي المُطلق، واصفاً الدم بـ (المسفوح)، فأهل الجاهلية كانوا يأكلون هذه المحرمات(١)، وفي هذا التفصيل تنبيه على أن التحريم إنما يثبت بوحي الله تعالى وشرعه، لا بهوى الأنفس، إذا ما علمنا أن المسفوح من الدم في أثناء تذكية الذبيحة هو المصبوب سائلاً خارجاً عنها(٢)، ((ويأتي لفظ (السفح) في الإراقة مطلقاً سواء في الدَّم أو غيره))(٣) بخلاف السفك المقيد الاستعمال، إذ لا يأتي إلاّ في القتل، يتضح تفصيل ما حُرم من الدم بتقيد صفته، مع التأكيد على ترخيص الدم الباقي في عروق الذبيحة بعد التذكية، فيدخل الدّم المسفوح في نطاق المحلل لتقييده بالنص المنفصل(٤).

ومثيل دلالة التفصيل الاسمي بنصّ منفصل ما جاء في سورة الحج من قوله تعالى : ﴿ [illegible]

---

(١) المحرّمات هي : البهيمة التي تموت حتف أنفها، والفصيد، وهو الدم في مواضع البعر وهي الأمعاء، وما أُهل لغير الله به، أي : رفع الصوت به لغير الله كقولهم واللات والعُزَّى، والمنخنقة : التي خنقوها حتى ماتت، والمؤقوذة : التي أثخنوها ضرباً بعصاً أو حجر حتى ماتت، والمتردِّية : التي تردَّت من جبل أو في بئر فماتت، والنطيحة : التي نطحتها أُخرى فماتت بالنطح، وما أكل السبع : بعضاً منه وتداركتم بعضه وهو يضطرب ويتدفق الدم من عروقه، وما ذُبح على النصب : أي ما يتقرب به للحجارة المنصوبة حول البيت، ينظر : الكشاف : ٢/٥-٦.

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ١٣١/٢.

(٣) دقائق الفروق اللغوية : ٧٢.

(٤) ينظر : الاتقان في علوم القرآن : ٨٣/٢.

﴿[illegible]﴾ [الحج:٢٣-٢٤].

ما الطيب من القول الذي هُدِيَ إليه أصحاب الجنة المتنعمون فيها ؟ جاء الجواب مفصّلاً موضحاً بنص قرآني في سورة فاطر قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾[فاطر:٣٣-٣٤]، فقوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ تفصيل ما أُجمل في قوله ﴿[illegible]﴾.

ذكر الزمخشري عن ابن عباس أن الله –تعالى– هداهم وألهمهم أن يقولوا : ((الحمدُ لله الذي صدقنا وعدَه وهداهم إلى طريق الجنة))[1]، وأكد هذا المعنى المفصَّل الزركشي[2]، وقد أقترن دعاء أهل الجنة الفائزين بنعيمها بلفظ (الحمدّ) الذي ((يقع مطلقاً في كُلِّ حال))[3]، ومنه قول النبي ﷺ ((ولك الحمدّ على كلّ حالٍ))[4]، بخلاف (الشكر) المقيد بسياق التعبير القرآني الدال على مقابلة النعمة؛ ((لأنه لا يكون إلاّ بعد إسداء المعروف))[5]، فالحمدُ دعاءٌ وكلمة جامعة للشكر، ومن الملاحظ أن لفظ الحمد في القرآن يأتي ابتداءً مُصَدِّراً القول للثناء على الله تعالى في

---

(١) الكشّاف : ٢١٩/٣.

(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ١٨٩/٢.

(٣) دقائق الفروق اللغوية : ٧٢.

(٤) سنن أبي داود، والحديث صحيح عن أبي هريرة ﷺ، كتاب الآداب، باب ما جاء في تشميت العاطس، حديث رقم (٥٠٣٣)، ص٥٤٣، وينظر : الجامع الصغير : حديث رقم (١٥٢٢)، ٩٥/١.

(٥) دقائق الفروق اللغوية : ٧٢.

مواضع متعددة منها قوله تعالى: ﴿✂☙☙🖳⬂♦☐☺⇳⑨🡐 🖉★ ⌑◆☙☙☗❷⊠ ✂☙☙◉ⴻ○○☺⊠⊙☐◆⊙☠ⴸ ☐◆✂☙☙❀☞❻⬀▽⬁﴾ [فاطر:من الآية١] وقوله تعالى:

﴿✂☙☙◉ⴻ⬂♦⊠☺⇳⑨🡐 🖉★ ❻◆✞♉⬉

✂☙☙◉ⴻ⬂➔⊠⊙🖬■☺ⴸ✓⌑☙﴾[الفاتحة : ١]، يعترف فيه العبد بنعم الله تعالى الذي أذهب عنهم كلَّ ما يحزن ((من حُزنٍ في مقاسٍ أو حُزنٍ لعذابٍ، أو حُزنٍ للموت))[1]، وقد أكدَّ أهل الجنة قولهم الطيب ودعاءهم بـ(إنَّ) المؤكدة الثقيلة، فضلاً عن نسبة لفظ (ربّ) لأنفسهم في قوله تعالى (إنَّ ربنا) تأكيداً على قربهم من الله تعالى ومحبتهم إياه، والسرُّ في إيثار لفظ (ربنا) دون لفظ (الله) أن قاعدة التوجه بالدعاء إلى الله تستلزم صيغة الربوبية، لأنها أدعى للرحمة والقبول.

فكان ختام قولهم الطيب وصف الله –سبحانه– بالشكور ((دليلٌ على أن القومَ كثيروا الحسنات))[2]، وبذلك يتحقق بيان المجمل في نص منفصل عن النص الوارد فيه ذلك الإجمال.

وقد وردت دلالة التفصيل بعد الإجمال بنص قرآني منفصل في لفظتي (عهدي) و(عهدكم) المجملة لدلالة السياق القرآني الذي خاطب فيه الله تعالى بني إسرائيل وأمرهم بذكر النعم الإلهية التي أنعمها عليهم، وأن يوفوا بعهدهم لله مقابل وفاء الله – تعالى – بعهدهِ لهم في قوله تعالى : ﴿③◆⊙⌛♦♉⊘⊘✖ ✂☙❶⬂✍⬈❷⬉☐✂☎ ⊙☠⬄❸◆⊙⬈☙③✎• ✂☙☙◉ⴻ⬆☹⬋⊘✖ ☼☙➔⬃☺⊠☹⬋⊘⌘ 🕮☐☼⬃➔⊠☺⇳*💣➔ ⬊♦🖬■⓿⬂▤⬈⬋☙■◆🕮☐☐⬃⌑➔☐✂☎ ✎⊙⬆⊠&⬀⑨☙❽✓ 🕮⬆☐☙⬉ ✎⊙➔⊠♑⇳⑨☙✍⬈☠⬀ ☐◆⊙③✸⊙❻" ⌑◆☙☙❻⬀♎⊠🖮🡐☐♌⬀﴾ [البقرة: ٤٠].

جاء تفصيل هاتين اللفظتين في نص أخر منفصل من سورة المائدة في قوله تعالى : ﴿☐◆◉ⴻ•⊙•⑨⇳ 🕮☐⌘⊠⓿⊠ ✂☙🖉✦ ✌☙⓿✞•⊙🖭◆ ✎♦♉⊘♉✖ ⊙☠⬄❸◆⊙⬈☙③✎• ☐◆✎◆➔⊠✞⬃☪◆☙ ✌☙☼⬃♑🡐⚐◑ ✂☙⚐⬂♉☐⊘⬄ ⬉♦⌑✺❸◆ ☼◆⊙⬋⓿🖮☼☙﴾

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (الزجَّاج) : ٢٠٤/٤.

(٢) الكشّاف : ٦٣٥/٣.

[illegible] [المائدة:١٢].

وأوضحت كتب التفسير أن ميثاق بني إسرائيل هو عهدهم الذي أخذه الله منهم بالإيمان والتوحيد والطاعة، فبعث منهم اثني عشر نقيباً[١] يقيمون فيهم العدل، ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر وقد ناسب ذكر ميثاق بني إسرائيل عقب ميثاق المسلمين لقوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [المائدة : ٧]، أما عهدُ الله تعالى فجزاءٌ مشروط بـ (اللام) الموطئة للقسم في قوله (لئن)، جاء الجواب لها مؤكداً معلقاً بالوعد العظيم في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ دلالة على تعظيم شأن هذه المواثيق وبيان ضرورة الالتزام بها[٢].

ومن الملامح الأسلوبية في التعبير القرآني الوارد في سياق سورة المائدة والمبين تفصيلات ما تضمن عهد الله من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان بالرسل وتصديقهم، مجيء صيغة الفعل (أقرضَ) الذي وُظف للتعبير عن الإنفاق الحسن، وعند تحديد مجالات استعمال هذه اللفظة في اللغة عموماً تجد انها تدل على ما

---

(١) النقيب الذي يُنقب عن أحوال القوم، ويفتش عنها، كما يُقال له عريف؛ لأنه يتعرَّفها، فأختار الله تعالى من كل سبطٍ نقيباً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أُمروا به توثقةً عليهم، ينظر : معاني القرآن وإعرابه (النحّاس) : ٢٧٦/١، الكشّاف : ١٤/٢ – ١٥.

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ١٣٩/٦.

أسلفت من عمل صالح أو سيئ[١]، والدلالة القرآنية هنا لا تحتمل القرض السيء؛ لأن الله تعالى أثنى على القرض فوصفه بأنه (حسن)[٢]، وقد اقترنت هذه الصفة في جميع آيات القرض[٣]، مع ملاحظة أن دلالة الإقراض هنا مجازية؛ لأنها تحمل معنى الإعادة المضاعفة من لدن الله تعالى؛ تحفيزاً وترغيباً على طلب الأجر والثواب بكثرة الإنفاق في وجوه الخير والبرِّ، وبالصدقات غير الواجبة[٤] التي يبذلها القادرون عليها دون رياء أو أذًى.

وقد بَيَّنَتْ لفظة (سيِّئاتكم) المضافة إلى الضمير، ما تَضَمَّنَهُ عهد الله وما أُعدّ من الثواب للذين يوفون بعهده –تعالى–، فتكفير السيئات عموماً يقع على جميع السيئات، ((فَجَعَلَ الطاعة والتوبة مكفرتين عن المعاصي))[٥]، مما له أثره الدلالي في زيادة دواعي الترغيب للوفاء بعهده تعالى، ويتحقق معنى العطاء الجزيل والثواب العظيم في قوله تعالى : ﴿♉⍄✡☐⌚●*▭ ✎☐♑⍂❷▩❽ ✎♋♊ ✎☐♦⍂☞♋♑⍄ ✎☐♦⍂☞♋♑⍄☐♦✎ ✁ ☞✿☼⬀♑⍄⌚❷↖﴾، إذ أن إيثار لفظ (جنات) جمعاً وتنكيراً، عدولاً عن الإفراد والتعريف، مع تقديم بيان وتفصيل وصفها بالجار والمجرور في قوله (من تحتها) على (الأنهار)، أي : من تحت قصورها وأشجارها لبيان سعتها؛ فنسب (الجري) إلى الأنهار توسعاً؛ وإنما يجري الماء وحده، فحذف اختصاراً[٦]، إشارة إلى إيصال الثواب[٧]، وزيادة التكريم الدائم غير المنقطع

(١) معاني القرآن وإعرابه (الزجّاج) : ٣٢٤/١.

(٢) دقائق الفروق اللغوية : ١٥٠.

(٣) كقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾[البقرة: ٢٤٥]، وسورة الحديد في قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾[الحديد:١٨]، وقوله تعالى : ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾[التغابن:١٧]، وقوله تعالى : ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾[المزمل:٢٠].

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ١٤٢/٦.

(٥) التحرير والتنوير : ١٤٢/٦.

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٣٥٩/١.

(٧) ينظر : التفسير الكبير : ١٩٠/١١.

في جريانها، ليتم بذلك الوصف بيان عِظم الجزاء وتفصيل أحواله للتأكيد على أنه شرط مقابل للوفاء بالعهد.

جاء في سورة المجادلة قوله تعالى : ﴿③♦❑⬀⚐♦
♎♦⚐♋❶➔✡✍ ✂✍✏✦ ③♦⌨⬀⍄➔☪⬅♉♋♊⇖
✍⌧☺⌧✍ ⓘ⬅❍♦♑ ⑩♦◆⇔♦◘♑▦➔❑♌♦
♦♌❑⬅⌨✽❍⬂♦♦⑥◆❑ ☎ ⬀✍⬈▤♦♑ ⑥♦♦⬂◘♑▦➔❑♌♦
✋♦❑🕮 🗐 ✇⬈⇔✐⌧★ 🗐❼■✍♦⇖ ⬀♊♋♉❑✠❑🕮
♎♦♦♌❑⬅✍✎⓿✇♦▤⬂♑✍✂ ⇖♊➔♎ ⬀♊♋♉◻✠♑◑﴾

[المجادلة:١٨]. الجملة الفعلية في قوله تعالى (يَحْلِفُونَ) مجملة لمعانٍ عديدة يتضمنها سياق الآية، تحتاج إلى تفصيل يوضح ما تنطوي عليه من دلالة؛ لذا فصّلها الله تعالى بنص منفصل في قوله تعالى : ﴿⚐➔⚐❍ ♑♦⚐⇔ ✍♦▤⬈♊
☎✂❑⬈♑✍♦♎ ♌❑🕮 ✍♦♑◑ ⬀♊⬂♒⬅☛♦♈⬃☛♉◘
✍❑☪⬈✍ ✍♦✌ ✍❑✡♑■✍♦⓿ ★✏✍✂♦❑
✌⇖⌑⇧❸♑✍♉✓✕♦﴾ [الأنعام:٢٣].

ومن أهم السمّات الأسلوبية التي يتلمسها البحث في الآيتين ما يأتي :

١- بيان وتفصيل دلالة المجمل في قوله تعالى (يَحْلِفُونَ) يُفسرها قوله تعالى : ﴿❑♦✂✍✏★ ⓿♦✍■♑✡❑✍﴾، هذا الحلف كما أوضح أهل التفسير، حلفٌ كاذب ((فسُميّ فتنةً؛ لأنه كذبٌ))[1]، زيادة على ((أن المحلوفَ عليهِ كذبٌ بحتٌ))[2]، فيحلفون على الله الكذب الذي هو ادعاءُ الإسلام في الدنيا وفي الآخرة، وقد أكدت الآية حقيقة كذبهم بمؤكدات عدّة هي ﴿🕮❑♦✋ ◑♑✠❑♉♋♊⬀ ♎➔♊⇖ ✂✍♑⬂▤♦✇⓿✎✍⬅❑♌♦♦﴾، لتوكيد توغلهم في النفاق وتعودهم عليه، والتعبير القرآني بلفظ (الحلف) يدل على الكذب؛ و(القسم) يدلّ على الصدق، وهو مطرد في القرآن الكريم.

٢- بيان الغاية من الإصرار على الحلف الكاذب، وهي الدفع عن أنفسهم وأموالهم واستحواذ فوائد دنيوية، وهي غاية لا مطمع وراءها.

---

(١) الكشّاف : ٨٥/٢.

(٢) المصدر نفسه : ٣٦٠/٤.

٣- بيان سبب حلفهم الكاذب لله تعالى في الآخرة وهو عالم الغيب والشهادة.

٤- أوضح التفصيل بلفظ (وَاللَّهِ رَبِّنَا)، شدة التوسل والاستعطاف باسم الله الأعظم، وهو (ربّ) المضافة إلى ضمير الجماعة للتكثير؛ لكثرة دعوة الداعين به، لما يشعر به هذا الوصف من الصلة بين الربِّ والمربوب، مع ما تتضمنه من العطف والرحمة والافتقار في كل حال[١].

ثانياً : دلالة التفصيل المنفصل باستحضار البيان النبوي :

قد يرد المجمل في نص قرآني منفصل يحتاج إلى ما يُبين توضيح دلالته، فيأتي هنا دور السنّة النبوية الشريفة وأسلوبها مسدَّد اللفظ، محكم الوضع جزل التركيب، متناسب الأجزاء، متمكن المعنى، ناصع البيان، لا ترى فيه إحالة ولا استكراهاً[٢]، يوضح إبهام اللبس وخفاء المعنى في كثير من الأحكام والتشريعات والقصص القرآنية، إذ أن من خصائص الوصف في البيان النبوي تفصيل ما اجمله القرآن الكريم، وقد ذكر السيوطي وغيره[٣] أن الذي صحَّ من التفصيل النبوي للنصوص القرآنية قليل جداً؛ لحكمة أرادها الله -عزَّ وجلَّ- وهي أن يظل القرآن الكريم كتاباً مفتوحاً مع الزمن، إلاّ أنه مع ذلك لا ينفي أثر البيان والتوضيح النبوي ودقته وأصالته لكثير من مشاهد القيامة، ووصف نعيم الجنة، وتفسير قصص الأنبياء والأمم السابقة، وغير ذلك من موضوعاتٍ تمس حاجة المسلم، لاتصالها بعقيدته وعبادته وأخلاقه، فالقرآن والسنة كلاهما وحي من الله، إلاَّ أن القرآن وحي بلفظه ومعناه، والسنة وحي بالمعنى دون اللفظ، لقوله تعالى : ﴿ □◆♦♒◆♦♐
③♦◆⊃☪♐⊟⇦ ⇖♦Ⅱ⇦ ✂♐▭▫●□□◆❽✂ ⇦▩⇦ ⑦♐♌⇙
♎➔□◆ ⑦♐◆· □◆□⇔♐⊠ ③⇖□□⊠♐▤ ﴾ [النجم: ٣-٤]. وقد عبّر الرسول ﷺ عن هذه المنحة الإلهية بقولِهِ : ((أُعطيتُ جوامع الكلم))[٤]، زيادة

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢١٢/١، وقد وردت هذه اللفظة في مواضع متعددة من القرآن الكريم منها : آخر سورة آل عمران، وسورة إبراهيم : ٣٧ و٣٨ و٤١.

(٢) ينظر : تاريخ آداب العرب : ٣٢٥/٢، والخصائص البلاغية في البيان النبوي : ٢٧.

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ١٥٦/٢، الإتقان في علوم القرآن : ١٧٩/٢ ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ١٢.

(٤) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم (٥٢٣)، ص١٢٧.

على أن كثير من المفسرين ذكروا أن دلالة الحكمة في سورة الأحزاب التي جاءت خطاباً لنساء النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [الأحزاب:٣٤]، المراد من لفظ الحكمة هنا سُنَّةُ الله على لسان نبيهِ[١]، وهذا يؤكد قول كثير من علماء البلاغة القرآنية أن البيان النبوي تفصيلٌ جامع لسمات الأسلوب وخصائصه الإعجازية، و((ما جاءنا عن أحد من روائع الكلم ما جاءنا عن رسول الله ﷺ))[٢]، وهذا يعني أن التفسير النبوي للقرآن مقبول بالنص والإجماع لقوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [الحشر:٧].

وقوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [النحل: ٤٤].

فالبيان منه ﷺ على ضربين :

الضرب الأول : بيان المجمل في الكتاب، ومثال ذلك بيانه للصلوات الخمس في مواقيتها، وركوعها وسجودها، وسائر أحكامها، وبيان مقدار الزكاة ووقتها، وما الذي تؤخذ منه من الأموال، وبيانه لمناسك الحجّ، قال ﷺ إذا حجَّ الناس: ((خُذوا عني مناسككم))[٣]، وقال ﷺ ((صلوا كما رأيتموني أُصلي))[٤].

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز : ٣٨٥/٤، والجامع لأحكام القرآن : ١٤٧/١٧، والدُّرُّ المنثور : ٤٥/١٢.

(٢) هذا القول نقله الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) عن محمد بن سلام عن يونس بن حبيب في البيان والتبيين : ١٨/٢.

(٣) أخرجه مسلم من حديث جابر بلفظ (لتأخذوا مناسككم)، حديث رقم (١٢٩٧)، ص٣١٩.

(٤) أخرجه البخاري من حديث مالك بن الحويرث، كتاب الآذان، باب الآذان للمسافر إذا كان في جماعة، حديث رقم (٦٣١)، ص١١٧.

والضرب الثاني : زيادةٌ على حكم الكتاب، كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها، وتحريم الحُمُر الأهليَّة، وكل ذي نابٍ من السباع، والقضاء باليمين مع الشاهد، وغير ذلك من أحكام وتشريعات وقواعد إلهية ثابتة.

ومما فُصِّل بسنة الرسول ﷺ ما جاء في سياق المقامات القرآنية للأغراض الآتية :

١- مقام الوصف بالإيجاز :

قال تعالى: ﴿❒◆⬥♑◐⬥⑨⇳ ⬈◆✈✍⬥❹⬃✡❒🕒🖮⌂ ⌘♊♎♓✋ ☹⬀⌂🖮⬁➔✡☙ ✈☙⬀♑◉⬂☺⌂✞⬥☙❄⬮❼ ❒◆✈☙⬀♑◉⬂◐➔❷⬁⬈◆✈♌⬥ ✈☙⬀♑◉⬂➔⌂➔♎⬈☹◆⬥﴾ **[الحجر:٨٧]**. آثر النبي ﷺ تفسير التعبير القرآني الوارد في الآية بكلماتٍ محددة موجزة يسهل فهمها وحفظها على المسلمين؛ مراعاةً منه لمقتضى حال المخاطبين، مع التركيز على دقة العبارة النبوية، قال ﷺ : ((الحمدُ لله رب العالمين هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته))[1]، فقد خصَّ ﷺ سورة الفاتحة بمنزلة عظيمة بيّن من خلالها جزيل ثوابها وعظم أجرها، فالسبع المثاني هي فاتحة الكتاب؛ لاشتمالها على سبع آيات تضمنت أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى، وحوت جميع العلوم في التوحيد والعبادة والوعظ والتذكير[2]، والقرآن العظيم وصف ثانٍ للفاتحة؛ لأن الواو ليست عاطفة، وإنما تفصيلية كما في قوله تعالى : ﴿▫♎❸🙵🙰☺◆☙ ▫⬥🕒▤⬉♑⌂❒⮜ ❒◆✞⬥③⬂⬀⮜ ❒◆❻⬇✋❒☙♌⮜﴾ **[الرحمن:٦٨]**. فالوصف الموجز الأول لسورة الفاتحة

(١) الحديث أخرجه البخاري عن ابي سعيد بن المُعلَّى، قال : كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أُجبه، فقلت : يا رسول الله كنت أُصلي، فقال : ((ألم يقل الله ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[الأنفال:٢٤]، ثم قال : لأعلمنك سورة هي أعظم السُّور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له : ألم تقل : لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن ؟ قال : (الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته))، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، حديث رقم (٤٤٧٤)، ص٧٢١، وهو من إفرادهِ.

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٧١/١.

هي تفصيل ما أُجمل في الآية من قوله (سبعاً من المثاني)[1]، أما الوصف الثاني فهو (القرآن العظيم)، أحدهما معطوف على الآخر، والتقدير : إتيان ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم، : الجامع لهذين النعتين، وعطف القرآن على السبع المثاني من باب عطف العام على الخاص؛ تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات، وإليه أشار الرسول ﷺ بقوله : (ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن).

٢- مقام التصوير والتشبيه وضرب الأمثال :

صوَّر رسول الله ﷺ موقف بني إسرائيل حين أمرهم الله تعالى أن يدخلوا من باب بيت المقدس، وأن يسجدوا شكراً وتواضعاً لله، سائلين إياه المغفرة بقولهم (حِطة) الواردة في سياق سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ ☞□✡▫◘➔🔔 ⬂❶⚐◑◆□
⬧□◆③⬄④⬧◑⬂⧫☞✂ ⚐■⚐⓪◷⊠♎ ☎✂□➔◘⬈⌘⬃⑩☞✂
⬃☹⬈⬇⬃◎⚐⅄ ⬅❁⬂⓿⊠○ ☞⊠♑⬃☪⚐✌ ☎✂□➔◘➔⌛⬧▫
☙✞☞⧫⌛⬂⧫☞✂ ☎✂□➔◘⬈⌘⬃⑩☞✂◆□ ✂✡⑨⊠⬊◆❻
⮜□⅄➲⚐○ ☎✂□⬈⧫□➔🔔◆□ ✂✡⑨⊙⬈⬅♒
▤ ⬀☠⬈▤◷◆⓿◷⬧➲⊠⌘ ⬀✍⬈▤⬧⧫ ⬀❷⚐▦⬂⬄✵✡
﴾◆✕✓⚐☪⬀○⬄⬧⬅☺⬂⧫☞✂ ⬅⑨③⚐❾◆ॐ⊠♒◆□

[البقرة:٥٨]. فقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال تفصيلاً لهذا الموقف : ((قيل لبني إسرائيل: ﴿ □◆✂☞⑩⬃⌘⬈◘➔□✂☎ ✂☞⧫⬂⌛⧫☞✞☙

⬅⬈⊙⑨✡✂ □◆🔔➔□⧫⬈□✂☎ ○⚐➲⅄□⮜ ﴾ [البقرة : ٥٨].

فدخلوا يزحفون على أستاهم فبدّلوا، وقالوا حِطّةٌ : حبة في شعرةٍ))[2]، فبدل اليهود لفظ (حِطَّة)[3] بقولهم (حبة في شعرة)، وهذا التبديل والتحريف مخالفةً لأمر الله ليس

---

(١) اختلف العلماء في سبب تسميتها (المثاني)، فقيل : لأنها تُثَّنى في كل ركعة : أي تُعاد، وقيل : لأنها ثناء على الله تعالى، وقيل : لأنها أُستثنيت لهذه الأمة فلم تنزل على أحدٍ قبلها ذُخراً لها، الجامع لأحكام القرآن : ١٧٣/١، والذي يرجحه البحث أنها سميت (المثاني)؛ لأنها نزلت مرتين في مكة والمدينة.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:٥٨]، حديث رقم (٤٤٧٩)، ص٧٢٢، ومسلم، كتاب التفسير، حديث رقم (٣٠١٥)، ص٧٦١.

(٣) حِطَّة : فِعْلَة من الحِطّ كالجلسة والركبة، ومعناها : مسألتنا حِطَّة، أو أمرك حِطَّة أي : حِطَّ عنا ذنوبنا، وهي خبر لمبتدأ محذوف في قراءة الرفع، والأصل النصب، بمعنى : حِطَّ عنا ذنوبنا حِطةً، وإنما رُفعت لتعطي معنى الثبات، ينظر : الكشّاف : ١٣٣/١.

في الأقوال؛ بل والأفعال، فعدلوا عن أمر الله تعالى بدخول باب القبلة ساجدين؛ بل زحفاً على استاهم، وأعرضوا عن طلب التوبة والاستغفار إلى قول يحمل بين طياتهِ الاستهزاء والعصيان ومخالفة أمر الله تعالى، فبدل أن يسألوه تعالى أن يغفر عنهم ذنوبهم، استكبروا وعصوا وبدلوا القول بـ (حبة في شعرة) على سبيل الاستهزاء، وقيل : قالوا مكان حِطَّة : حنطة، عدولاً عن طلب ما عند الله إلى طلب ما يشتهون من أعراض الدنيا(١).

يلمح في هذا التفصيل المصوّر إشارة موجزة إلى ما أراد النبي ﷺ أن يلفت الأنظار إليه وهو تقبيح أمر اليهود وبيان أخلاقهم وأفعالهم الخبيثة، فلا عجب أن يحرفوا التوراة جحوداً وإنكاراً لنبوة رسولنا الكريم ﷺ، ولا عجب أن يكتبوا الكتاب بأيديهم ليشتروا به ثمناً قليلاً، ويحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون، فهم قتلة الأنبياء، ومبدلوا تعاليم السماء، وهذا هو البيان النبوي للنظم القرآني.

٣- مقام تفسير مشاهد من القيامة :

قال تعالى : ﴿□◆□🕮□☼⓿✐❻✍♎➔🏱⬄ ③♦□✍🏲♦
✂✍✎❀☞✎⚐◆□◆➔❿⚑❸◆□◆☆⓿◆□⚐◆❷⇗ ⌘⚐⚐➔🔔 ⚐⓿⚐⓿ ✂✍✎❀☞✎⚐❷⇖
□◆♎➔☠✍ ⓿⚐✖ ✍☠➔♎◆□ ⌨🕯✂⚐▦☒↘ ••
③⇖✦✍✎⚐☪⇖□♌◆♦﴾ [مريم:٣٩]. فسرَّ النبي ﷺ مشهد من مشاهد يوم القيامة في سياق حديثه الشريف إذ يقول : ((يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي منادٍ يا أهل الجنة، قال : فيشرئبون، وينظرون، فيقول، هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم، هذا الموت وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت))(٢)، ثم قرأ : ﴿□◆□🕮□☼⓿✐❻✍♎➔🏱⬄ ③♦□✍🏲♦
✂✍✎❀☞✎⚐◆□◆➔❿⚑❸◆□◆☆⓿◆□⚐◆❷⇗ ⌘⚐⚐➔🔔 ⚐⓿⚐⓿ ✂✍✎❀☞✎⚐❷⇖

---

(١) ينظر : الكشّاف : ١٣٤/١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، حديث رقم (٤٧٣٠)، ص٧٧٦، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، حديث رقم (٢٨٤٩)، ص٧٢١.

●● ⬀☠➔♎◆❑ ⌨🕯⬧✂⬂▩☒➘ ❼⧴⨯ ⬀☠➔♎◆❑
③⇖⬃⬧✌⬉❑⍓◆⬧ ﴾ [مريم: ٣٩].

جاء البيان النبوي بمثالٍ تصويري، يظهر الموت بهيئة كبش أملح، يُذبح تمثيلاً ليؤكد معنى قضاء الأمر في الآخرة، وليكشف عن مدى الحسرة في خلود أهل النار في جهنم، فخلود بلا موت نهاية المشهد للطرفين، وسرُّ الحسرة في رؤيتهم للموت وتيقنهم بأن لا حياة ولا موت بعد ذلك، وقد أكد ابن كثير[1] أن يوم الحسرة أسم من أسماء يوم القيامة عظمّهُ الله تعالى وحذر منهُ عباده.

ومما فُصل بسُنّة الرسول ﷺ دلالة المجمل في قوله تعالى : ﴿◻⬧🕯❑✌❑◻☞ ✌◆⌶⇳ 🕮⬆❑✌⧴⑥☙ ✍❑✌◆⌨◐◆⬅⓿
◻◆◐✽❑⬀☞◆ ⬗✌⬗ ⬕⧴⓿◆☺⧴⑩✡⧴◐⧴◷
◐⧴◐✽☞✍ॐ☞ ⑥⬈◆❑☞⌧⍐⮌
④❑◐⬀❷❸⬖✂ ﴾[الانشقاق: ٧ – ٨]. المجمل في قوله تعالى (حساباً يسيراً)، إذ يقول النبي ﷺ في تفسيره : ((ليس أحد يُحاسب يوم القيامة إلاَّ هلك، فقلت: يا رسول الله : أليس قد قال الله تعالى: ﴿◻⬧🕯❑✌❑◻☞ ✌◆⌶⇳ 🕮⬆❑✌⧴⑥☙
⬗✌⬗ ⬕⧴⓿◆☺⧴⑩✡⧴◐⧴◷ ✍❑✌◆⌨◐◆⬅⓿
◐⧴◐✽☞✍ॐ☞ ⑥⬈◆❑☞⌧⍐⮌ ◻◆◐✽❑⬀☞◆
④❑◐⬀❷❸⬖✂ ﴾، فقال رسول الله ﷺ: إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذِّب))[2]، والمراد بالحساب اليسير : السهل الهين الذي لا يناقش فيه، ولا يعترض بما يسوءه ويشقُّ عليه كما يُناقش أصحاب الشمال[3]، و(العرض) في قول المصطفى ﷺ مفصلاً ومبيناً لموقف الحساب وقد جيء به مُفسراً بنص قرآني آخر في سورة الحاقة من قوله تعالى : ﴿③◆❑⬀✌◆⬥⨸⓿⌨ ✍➔➔⬀❷◆⬂➔❑♌◆ ●● ✌❑③⬂✂⬧❼🗐
✌◆⌶⇳ ◻⬧🕯❑✌❑☞ ⬗⬂⧴⬗ ⬖⬧◆⑩⧴◻◆❑⮘ ✌⧴⬉▤⬈⬃⬄
🕮⬆❑✌⧴⑥☙ ✍❑✌◆⌨◐◆⬅⓿ ⬕⧴⓿◆☺⧴⑩✡⧴◐⧴◷
◻⓿◆◑➔❑✌⬉ ♎⌧☞✎◆⬈⬉⬉ ✂☞⬉⬂❷◆⬈⬇❑✂☎

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) : مج٣، ج٥، ص٢٣٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذّب، حديث رقم (٦٥٣٧)، ص١٠٥٤.

(٣) ينظر : الكشّاف : ٥٦٦/٤.

﴿❐♑☜♦⌚♉♒⓿◆○⇗﴾ [الحاقة: ١٨ – ١٩]، فـ(أما) في قوله تعالى تفصيل للعرض، وهذا العرض مشهد من مشاهد القيامة تنشر فيه الصحف، فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله، وبذلك يكون ختام العرضات الثلاثة[1].

وفي موضع آخر يأتي التفصيل النبوي بياناً لفطرة الله التي فَطَرَ الناس عليها، فيقول ﷺ : ((ما من مولود إلاَّ يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء))[2] ثم يقول : ﴿▫♑⊃⇕❷♦☠❁ ✈♐✍★ ✈♐⅏⅄☹✐✌ ▫♦⊃♦❷♦ ✈♐⅏☾□♐□" ⬂♦◘■❸⇗♔□♐✈ ▤ ♦♦ ♐♦▦⇗⑨♑③♐♦ ⅏♐⅏✈ ★✍♐✈ ▤ ❶♦⊙⅏♑①♐ ✈♐✍♐♏♑⇦▫♈ ✈♐⅏⅄♒⓾♦⊙♏⇧ ❶⊙♦⊙♦□♦◆ ▢◘♦⊙❐⇖ ▢□▤⇩✡♦❸◆ ✈♐⅏☾□♐□⇘ ♦♦ ③♦◆➔⇕◘■☺←□♌♦◆﴾ [الروم: ٣٠].

وفطرة الله في الناس أنه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الإسلام غير نائين عنه ولا منكرين له؛ لكونه مجاوباً للعقل مساوقاً للنظر الصحيح حتى لو تُركوا لما اختاروا عليه ديناً آخر، ومَن غوى منهم فبإغواء شياطين الإنس والجن، وما ينبغي أن تُبدل تلك الفطرة أو تُغير؛ لأن هذا الدين حسنه موجود في النفوس، وإنما يَعْدِل عنه لآفة من الآفات البشرية والتقليد[3]، وقد أفادت (مَن) في قوله ﷺ استغراق العموم؛ للدلالة على أن كل إنسان إنما يولد على الهُدى، وقد وضح الرسول ﷺ أن الانحراف عن هذه الفطرة بالتهويد والتنصير والتمجيس، مماثل لتغيير خلقة البهيمة السليمة، وقد فسرت أداة التشبيه (الكاف) الصورة التشبيهية بالتشويه في أصل وضع البهيمة الجمعاء[4]، فيجدعون منها بقطع أنفها أو أذنها أو كيها، ووجه الشبه هو التغير

---

(١) ينظر : الكشّاف : ٥٦٦/٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم (٢٦٥٨)، ص٦٧٥.

(٣) الفطرة : الخِلْقَةُ، الكشاف : ٥١٠/٣، الجامع لأحكام القرآن، ٤٢٦/١٦.

(٤) جمعاء : سالمةً لم يذهب من بدنها شيء ما، وسميت بذلك لاجتماع سلامة أعضائها، خلافاً للجدعاء، ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٤٢٦/١٦.

والتبديل لخلق الله ودينه، ولفطرة الإسلام، ومنه قوله ﷺ : ((كل عبادي خُلقت حنفاء ما اجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بي غيري))(١).

وفي مقام بيان تثبيت الله تعالى للمؤمن في القبر عند السؤال، يُفسر النبي ﷺ دلالة التثبيت في قوله تعالى : [illegible] [إبراهيم:٢٧]، فيقول : ((المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله))(٢)، فذلك قوله : [illegible].

فدلالة الثبات المجملة، تُفصل بالشهادتين في البيان النبوي مع التركيز على الإيمان، فهو أساس العقيدة والتوحيد، وقد حرص النبي ﷺ على بيان السؤال في القبر عن أمورٍ عقائدية تستوجب سرعة الإجابة لتعلقها بالعمل الخالص الصادق بدلالة ورود اسم الإشارة (ذلك) في بيان المصطفى ﷺ فتثبيتهم في الآخرةِ مرهون بالقول الثابت الراسخ دون تردد أو شك، وكل ما بعد ذلك من أعمال تبعٌ لهذا القول ونتيجة لهُ.

٤- مقام ضرب الأمثال التصويرية :

ومن الأساليب البديعية في الدعوة ضرب الأمثال لتصوير الأمور المعنوية والذهنية في صورة حسية مشاهدة تستقر في ذهن المخاطب، مع (زيادة إفهام وتذكير

---

(١) الحديث صحيح، أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، حديث رقم (٢٨٦٥)، ص٧٢٤، اجتالتهم الشياطين : حوّلتهم عن قصدهم، ينظر : الكشاف : ٥١٠/٣.

(٢) القول الثابت : الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده، واطمأنت إليه نفسه، وتثبيتهم به في الدنيا عند الفتنة في دينهم فلم يزلّوا، أما تثبيتهم في الآخرة فهو الثبات في سؤال القبر، ينظر:الكشّاف : ٥٣٨/٢، والحديث صحيح، أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة إبراهيم، حديث رقم (٤٦٩٩)، ص٧٦٦.

وتصور للمعاني) قال تعالى : ﴿[illegible]﴾ [إبراهيم: ٢٤].

أجمع كثير من المفسرين على أن الشجرة المخصوصة بالذكر هنا هي (النخلة)[١]، فجاء المثل النبوي مقتفياً أثر المثل القرآني في بيان صفات تلك الشجرة وإيضاح أوجه التشابه والاختلاف بينها وبين المؤمن في قوله ﷺ : ((إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله بن عمر : ووقع في نفسي أنها النخلة، فأستحييت، ثم قالوا : حدثنا ما هي يا رسول الله ؟ قال : (هي النخلة)))[٢].

أما دلالة (الكلمة الطيبة)، فقد ذكر القرطبي أنها الثمر، وحُذفت لدلالة الكلام عليه[٣]، ونُقل عن ابن عباس ﷺ أن معنى الكلمة الطيبة : لا إله إلا الله، أي : التوحيد، والشجرة الطيبة : المؤمن[٤]، جاء في حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : ((إنَّ مثل الإيمان كمثل شجرة ثابتة، الإيمان عروقها، والصلاة أصلها، والزكاة فروعها، والصيام أغصانها والتآخي في الله نباتها، وحُسن الخلق ورقها، والكفُّ عن محارم الله ثمرتها))[٥]، وفي هذا الحديث بيان وتفصيل لمعنى الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة، فقد خصّ النبي ﷺ الوصف بالنخلة من سائر الأشجار، وضرب بها مثلاً للمؤمن؛ لتأكيد أوجه التشابه بين الاثنين، مع لفت الأنظار إلى خصيصة هامة تجمع المشبه بالمشبه به هي دوام العطاء وكثرة الخيرات في كل الأحوال، ويقابل ذكر هذه

(١) ينظر : جامع البيان : ٦٣٩/١٣، والكشّاف : ٥٣٨/٢، والجامع لأحكام القرآن : ١٣٢/١٢.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن مثل النخلة، حديث رقم (٢٨١١)، ص٧١٤.

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٣٢/١٢

(٤) لم نقف على تخريج الحديث من الصحيحين، أخرجه الطبري ذكره القرطبي في في جامع البيان، ٥٨٩/٤، قال مجاهد وابن جريج : الكلمة الطيبة : الإيمان، والشجرة الطيبة النخلة، وذهب الربيع بن أنس إلى أنها المؤمن نفسه، ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٣٢/١٢.

(٥) الحديث رواه القرطبي عن أنس ﷺ ، الجامع لأحكام القرآن، ١٣٢/١٢.

الشجرة في التعبير القرآني بذكر ما يُضادها وهي (الشجرة الخبيثة)[1]، ويمكننا توضيح أهم الصفات والخصائص الجامعة بين المسلم والشجرة الطيبة بما يأتي :

١- وَصَفَ التعبير القرآني النخلة برسوخ أصلها في الأرض وامتداد جذورها إلى الأعماق في المنبت، فهي كالمؤمن في تأصيل الإيمان في قلبه وفطرتهِ الإلهية.

٢- شبه التعبير القرآني ارتفاع فروع النخلة وشموخها في السماء، بعمل المؤمن الخالص لوجه الله تعالى، الذي يرتفع إلى السماء.

٣- تعطى النخلة ثمرها في كل حين[2]، فهي دائمة العطاء غير منقطعة، في كل أوقات السنة التي وقتها الله لأثمارها بتيسير خالقها وتكوينه، وكذلك المؤمن لا يخلو من الخير في الأوقات كلها.

٤- استقامة النخلة واعتدالها يماثل سلوك المؤمن المستقيم المعتدل في أمور دينه ودنياه.

٥- جمال النخلة في أوراقها وثمارها، وكذا جمال المؤمن بتقواه وعمله الصالح.

الإجراء الثالث : الإجمال بعد التفصيل :

وهو الإجراء الثالث الذي اعتمده (الميداني) وإليه أشار ابن أبي الإصبع المصري حين قسمه إلى قسمين : الأول : متصل، والثاني : منفصل، فالمتصل منه كل كلام وقع بعد (إما)، وقيل ذلك إجمال وما بعد (إما) تفصيل.

وهنا يأتي أسلوب التفصيل والبيان والإيضاح مقدماً على الإجمال المتضمن خلاصة الأمر وموجزه، وقد كشفت الدراسة أن هذا الأسلوب يتضح في النصوص القرآنية من خلال المواطن الآتية :

١- مجيء التفصيل قبل الإجمال في سورة واحدة.

---

(١) ذهب أهل العلم إلى أن الشجرة الخبيثة هي (الحنظل)، وقيل هي الكُوث أو الكَشُوث : وهو نبتٌ كالعليق يتسلق أغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض، ينظر : معاني القرآن وإعرابه (الزجّاج) : ١٣٢/٣، والكشّاف : ٥٣٨/٢.

(٢) شَبّه عملَ المؤمن لله عز وجل في كل وقت بالنخلة التي تؤتي ثمرها في أوقات مختلفة، قال الضحاك : كل ساعة من ليل أو نهار، شتاءً أو صيفاً، ينظر : جامع البيان : ٥٩٠/٤، الجامع لأحكام القرآن : ١٢ / ١٣٥، وذهب النحّاس إلى أن معنى (حين) عند جميع أهل اللغة : الوقت، يقع لقليل الزمان وكثيره، ينظر : معاني القرآن (النحّاس) : ٥٨٦/١.

كقوله تعالى في سورة البيِّنة : ﴿[illegible]﴾[البينة:٥]. جَمَعَ التعبير القرآني في هذه الآية بين أهل الكتاب والمشركين في شمولية الأمر الإلهي بإخلاص العبادة لله تعالى وحده، والالتزام بالدين الحنيف[1]، الذي يأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فهو دين الملة القيمة؛ ولكنهم حرفوا وبدّلوا وتفرقوا عما جاءت به الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل، ومن الملاحظ أن الإجمال في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [2] سُبق بتفصيل ماجاء به من تعاليم تؤكد مضمون الاستقامة في أصل هذا الدين.

ونظير مجيء التفصيل سابق للإجمال قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [البقرة: ١٩٦].

فقد ذكر النص تفصيل الأيام العشرة بداية، فقال : ثلاثة أيام في الحج، وسبعة أيام عند العودة، وحاصل جمع هذه الأيام ما أُجمل بعد التفصيل، وهو العشرة كاملة، لرفع توهم أن (الواو) في قوله ﴿[illegible]﴾ بمعنى (أو)[3]، فتكون الثلاثة داخلة في السبعة، وقد ذهب بعض العلماء إلى تعليل ذلك بأن الصوم في الحج فيه مشقة أكثر، وعِبء

---

(١) الحنيف : المائل عن الباطل إلى الحق، ينظر : الكشّاف : ٦١٩/٤.

(٢) فسَّر القرطبي (دِينُ القَيِّمَة) : بأنه الدين الذي أمروا به وهو الدين المستقيم،؛ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٤١٢/٢٢.

(٣) عدّها الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) من الفذلكة، أي : التفريق ثم الجمع كما في قوله تعالى : ﴿أو إطعام في يوم ذي مسغبةٍ يتيماً﴾ [البلد:١٤]، ينظر : الكشّاف، ٢٢٠/١.

أكبر على الصائم، من عودته إلى بيته، فيمكن أن تقوم الثلاثة في الحج مقام السبعة في الوطن؛ لذا أراد التعبير القرآني نفي ذلك التوهم فاعلم أن العشرة مفترضة عليها[١].

ومن ذلك قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿❏◆❏◆❍⇧⑨⬥☼⇧⑨◆☼✡⇧⑨◆⛤ ✍❏◆⚗⬧☐ ✌⬧⧫❍⬤✓▫❼ ⚱ ☼⧫⬧✗✌ ✍⚗⬧⬧⬤❏◆⧫⬥✌⬤☐ ☼⧫⬧⬤❍➔ ❏◆❏◆⚗⬧☐ ⚈⬥⬧⬥⬧⬤➔ ✡⬧❒⬧➔◆⧫ ⬧⬧⬤❹❏➔❏◆⚗ ⬧⬤❏⧫⬧✗⬧◆❒⚈✌ ⚗⬧☐⬧⬥⬧❏◆❏ ❏◆⚗⬧☐✍⬧⧫✗⚱ ﴾ [الأعراف:١٤٢].

روي أن موسى عليه السلام وَعَد بني إسرائيل وهو بمصر ((إن أهلك الله عدوَّهم آتاهم بكتابٍ من عند الله فيه بيانُ ما يأتون وما يذرون، فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب، فأُمر بصوم ثلاثين يوماً، وهو شهر ذي القعدة))[٢]، فأفسد تمام صيامه بالسواك، إنكاراً منه لخلوف فيه؛ لذا أوحى الله تعالى إليه أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة، وأن يعمل فيها من الطاعات ما يقربه من الله تعالى، فأُجمل ذكر الأربعين ليلة بعد تفصيلها ابتداءً، فتمَّ ميقات ربه، أي : ما وقته له من الوقت، ببلوغ المدة المحددة، وقد ذكر الزمخشري أن ورود (الأربعين ليلة) أُجمل في سورة البقرة من قوله تعالى : ﴿❏◆❑⧫❶⬧⬤☐ ❏◆☼⇧⑨◆☼✡⇧⑨◆⛤ ✍❏◆⚗⬧☐✌ ⚗⬧⬤❏◆⚗⬧☐ ⚱ ☼⧫⬧✗✌ ⌘♊⑩⬧➔◆⧫⬧❻❏⬧ ✌⬧⧫⬧❸❏◆✦⬧⬧➔ ⬧⬧⬤➔⬧⬧⬧❍⬧ ⬧♊⬧⬧ ⚗⬧⬧⬤⑨⬧➔◆⧫ ❏⬧◆❏◆⬧☼⬧⬧⬧ ⬧◆⬧⬧⬧❏⬧⬧⬤♍❏⬧﴾[البقرة:٥١]. وجاء تفصيله في سورة الأعراف[٣]؛ لرفع توهم أن قوله (وأتممناها بعشر) تعني كون (ثلاثين ليلة) كانت عشرين أُتمت بعشرٍ فصارت ثلاثين، فدفع اللبس الحاصل مسبقاً بالإجمال لاحقاً[٤].

٢- مجيء التفصيل قبل الإجمال في سورتين مختلفتين.

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (الزجّاج) : ٢٣١/١.

(٢) خلوف فِيهِ : تغير رائحة فمه، الكشّاف : ١٩٦/٢.

(٣) ينظر : الكشاف : ١٣٠/١ و١٩٦/٢، والآيات : ١٤٢ – ١٥١ من سورة الأعراف.

(٤) ينظر : البلاغة العربية (الميداني) : ٦٨/٢.

لما حَمَلَ الشيطان سيدنا آدم وزوجه حواء عليهما السلام على الزّلة بسبب وسوسته لهما إطلاق الأكل من الجنة على الرغم من النهي الإلهي عن شجرة واحدة من بين أشجارها عصى آدم ربَّه، فندم، بعدَ أن تلقى أمراً بالهبوط جميعاً إلى الأرض موضع الإستقرار والتمتع بالعيش، وتوجه إلى ربه طالباً التوبة والمغفرة، ((على عادة الأولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات، واستصغارهم العظيم من الحسنات))[1] : ❁⬧⧫◼︎◑⦿❻⚹ ↗◆⚹⑩⊠⊳↖ ♑︎♋︎♊︎
❻▪︎⌨◼︎♑︎❍♋︎⌚ ⌫⊠☺⊠◴✱⬬▭ ▫︎⬧◆⧫♐︎⊚⌘ ↖◆◙◼︎⓿⬂❍♋︎
▤ ◗♑︎❍✡✸❍⬅︎⊕ ♎︎⬌⊔◆ ⚹♐︎⊛✍✹▫︎▪︎⚹⊛➲
⚹♐︎⊛♒︎❷▪︎❍♋︎⬈⊗↖❁[البقرة:٣٧]. فجاء تفصيل هذه الكلمات في سورة الأعراف من قوله تعالى : ❁⬦◆♐︎⊚⬥ ❻◆⊠✱☾◆♐︎
⬅︎◆⊛◆⚑⬃✡▫︎♐︎✍ ⊠⊡▫︎✡⊠→❍❀☾◆♐︎ ▫︎◆◗♑︎♌︎ ♒︎⅄⧈⬄
✍◆⬄⧈⬂♋︎❷⬀ ♒︎◆☾◆♐︎ ▫︎◆✍◆❷⬀❍⊠☺⇧✡▫︎♐︎
♒︎◆☾◆⊡⬈▫︎⬄◆×▫︎ ♑︎♋︎♊︎⌘ ⚹♐︎♒︎⬂②⊠⑩●⬁❸♑︎③♊︎⌘❁[الأعراف:٢٣]. ومن ذلك نلاحظ أن التعبير القرآني جاء بالتفصيل أولاً في سورة الأعراف المكية، ثم الإجمال لاحقاً في السورة المدنية[2].

الإجراء الرابع : التكرير وقيمته الدلالية في السياق القرآني :

يشكل التكرار ظاهرة صوتية ذات قيمة جمالية ناجمة من توسعه المعاني على مستوى الألفاظ مما ((يستدعي إعادة الألفاظ على أوجه مختلفة من الهيئات أو الدلالات المجازية أو الرمزية؛ لاستيفاء المعاني))[3]، ومما يؤكد أصالة هذه الظاهرة في الفنون عامة ومظاهر البديع خاصة، اتصالها بالمثير النفسي، وإثارة المستمع وتشويقه في شتى الأغراض، إذ يقوم هذا الإجراء بتتبع الأنماط اللغوية قصد تمكين المعنى وتأكيده في نفس المتلقي لدواع إبلاغية منها ما يؤدي وظيفة التوكيد ومنها ما يؤدي زيادة التنبيه أو بقصد التهويل أو التعظيم إلاَّ أن التكرير أبلغُ من التأكيد[4].

---

(١) الكشّاف : ١٤٩/٢.

(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ١٩٣/١– ١٩٤

(٣) التكرير بين المثير والتأثير : ٧.

(٤) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٦٦/٢.

وقد ظهر التكرير في القرآن الكريم بأنواع :

النوع الأول : تكرار القصص والأخبار.

إذ يتحقق الإجمال فيها بإعادة بعض حلقاتها بشكل متصل أو منفصل بحيث يكون الجزء المكرر مناسباً للسياق الوارد فيه خدمةً للغرض العام، ومن اللافت في هذا النوع من التكرار إعادة القصة الواحدة بعبارات أُخرى وبأسلوب مغاير، يؤكد خصوصية التعبير القرآني وقدرته الإعجازية في التصرف في فنون القول، مع الأخذ بنظر الاعتبار مقياس الالتزام بالمعاني المتحدة مما يؤكد ((أن عجيب نظمه، وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها))[(١)].

إن تكرار التفصيلات الدقيقة لكثير من الأمور التي يتطلبها التعبير القرآني تحقق استمرارية تواصل النسب الإيقاعية للوحدات التنغيمية فتشكل بذلك عنصر إثارة ومفاجأة يسهم في احتمال التوسع من أجل البناء الصوتي للنص وربط عناصر الأحداث منذ بدئها إلى نهايتها، فتظهر القصة وحدة عضوية موضوعية متكاملة، وبناءً على ذلك فالتكرار سمة غالبة في القصص القرآني يؤكد ذلك توجيه الزركشي لهذه الظاهرة وبيان دواعيها ودلالاتها في النص القرآني مدعماً كلامه بالأدلة القرآنية حيث يؤكد أن الفرق الأساسي للتكرار القصصي هو إفادته التقرير والتوكيد ((وقد قيل : إن الكلام إذا تكرر تقرر))[(٢)]، وهنا يسلك الزركشي طريقاً مماثلاً يقربه من نظرة الزمخشري في التصريح بأن دواعي التكرار هي ((تقرير المعاني في النفوس وتمكينها في القلوب))[(٣)].

وَجَدَ البحث في قصة سيدنا آدم ﵇ إنموذجاً أسلوبياً متكرراً بشكل ملحوظ في التعبير القرآني في سبعة مواضع من سور متعددة[(٤)]، وقد قدَّم الدكتور فاضل

(١) إعجاز القرآن (للباقلاني) : ٣٦.

(٢) البرهان في علوم القرآن : ١٠/٣، والإتقان في علوم القرآن : ٦٦/٢.

(٣) الكشاف : ٦٠٨/٤.

(٤) السور هي : البقرة من الآية ٣٠ إلى الآية ٣٨، والأعراف من الآية ١١١ إلى الآية ١٢٥، والحجر من الآية ٢٦ إلى ٤٤، والإسراء من الآية ٦١ إلى الآية ٦٥، والكهف الآية الخمسون، وطه من الآية ٧١ إلى الآية ٨٥ وطه من الآية ١١٥ إلى الآية ١٢٧.

السامرائي تحليلاً بيانياً موجزاً لدواعي التكرار وقيمته الفنية، وأطلق عليه مصطلح (الحشد الفني في القصص القرآني)[١]، كما أجاد الدكتور عبد العظيم المطعني وبيان حكمة وروده في التعبير القرآني، مؤكداً أنه فن قولي معروف، زيادةً على أنه رخصة في الأسلوب[٢]، ومن الوقفات الجديرة بالذكر ما سجله الدكتور منّاع القطان من ملاحظات أسلوبية حول فوائد التكرار القصصي الإجمالي والتفصيلي وحكمته الدلالية في بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها[٣].

من خلال وقفات هؤلاء العلماء يستنتج البحث أن مجيء التكرار في القصص القرآني ليس مطلقاً، وإنما هو تكرار نسبي يرد لأداء وظيفتين هما :

١- وظيفة دينية، لتقرير وتوكيد وبيان أمر ما أو دفع شبهة، وردّ الأباطيل الواجفة، وإفحام دعوى المبطلين وإدعاءاتهم المتكررة، أو لتثبيت النبي ﷺ وتسليته.

٢- وظيفة فنية، فكل جزء من جزئيات القصة القرآنية هو تأكيد للمعاني وإبرازها بوضوح وبيان، على الرغم من عرض القصص بأساليب مختلفة إلاَّ أن المؤدى واحد.

وعلى هذا الأساس فإن التكرار القصصي يختلف من سورة إلى أخرى من حيث الصياغة الفنية والأسلوبية، ومن حيث الطول والقصر، وطريقة عرض الأحداث، إلاَّ أنه بمجمله يشكل ظاهرة متجددة دائماً – لا مدعاة للسأم والملل – كما يزعم المغرضون[٤].

فالقصص القرآني يترجم أحداثاً معنوية بتعبيرات لفظية مختلفة، تكمل كل واحدة منها الأخرى، وقد عزى بعض الباحثين مبعث الاختلاف اللفظي إلى الإطناب والإيجاز[٥]، وطالعنا التعبير القرآني بنماذج متعددة للقصص المتكرر الذي يصور أحوال الأنبياء وسرد أحداث الأمم الغابرة معهم وبيان معجزاتهم، وتمكين الله تعالى

(١) ينظر : التعبير القرآني : ٢٨٣.

(٢) ينظر : خصائص التعبير القرآني : ٣٢١/١.

(٣) ينظر : مباحث في علوم القرآن (القطّان) : ٢٨١.

(٤) ينظر : خصائص التعبير القرآني : ٣٣٤/١؛ مباحث في علوم القرآن (القطّان) : ٢٨٢.

(٥) ينظر : الجانب الفني في قصص القرآن الكريم : ٢٤٤.

لهم في الأرض، وخير مثال على ذلك موقف موسى عليه السلام مع فرعون، وطريقة إثبات حجته فقد تكرر هذا الموقف في ثلاث سورٍ أربع مرات هي :

١- سورة الأعراف من الآية ١٠٩ إلى الآية ١١٧.

قال تعالى : [illegible]

[الأعراف:١٠٩ - ١١٧].

٢- سورة طه من الآية ٥٧ إلى الآية ٦٩.

قال تعالى : [illegible]

[illegible]

[illegible] ﴾[طه : ٥٧ - ٦٩].

٣- سورة الشعراء من الآية ٣٤ إلى الآية ٤٥.

قال تعالى : ﴿ [illegible]

[illegible]

[الشعراء : ٣٤ - ٤٥].

وقد أبان الحق سبحانه في مطلع سورة القصص عن الغاية من التسلسل الفكري لأحداث وجوانب القصة حين قال :

[القصص : ١- ٣].

ويمكن تسجيل أهم اللمسات الأسلوبية للتكرار القصصي في هذه السور بما يأتي :

١- ترتيب السور التي وردت فيها نصوص القصة حسب النزول وهي : سورة الأعراف – سورة طه – سورة الشعراء، وهذه السور مكية النزول؛ لذا فإن نصيب العهد المكي من قصة موسى عليه السلام كان كبيراً، في حين لم ترد أي جزئيات للقصص القرآني في سور العهد المدني مما يؤكد أن ((كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة فهي مكية سوى البقرة))[1].

(١) مباحث في علوم القرآن (القطّان) : ٥٧.

٢- عناصر القصة وجزئياتها مشتركة في سورة الشعراء تصور بتفصيل وسرد دقيق موقف فرعون وملئه من موسى عليه السلام وقذفه بالسحر والمهارة فيه، فقد عُزي القول في سورة الأعراف إلى الملأ من قوم فرعون، في حين عزي في سورة طه والشعراء إلى فرعون نفسه، وقد ذهب الزمخشري إلى أن الأصل في الكلام لفرعون ابتداءً فتلقاه منه الملأ عن طريق التبليغ[1]، والدليل عليه أنهم أجابوه في قولهم : ﴿☎✁☑❑➚♍●✍⧫♁﴾ ⬀❍⬁♉⬀❻❑🕮 ❼⬀✗ ⬀⬀⬁⬀⬀❻❑🕮◆❑ ⬅■♁⧫❀❑🕮◆❑ ⧫✗⇦⬀❸⬁⌑⏲⍓❍ ⬀✗⬀⬂✎✁⍓❾⍓☺⬂♍●✍✁ ⬀❷⬁⧫⏲⍓♒ ⬀♏⬀➚▤⬀✉ ☙②❑➔✍▫⚲⧫③ ⬀⬀⬀⬀⬀ ⬂⧫⬛⬀➚☹🖰⬀ ﴿ [الأعراف: ١١١ - ١١٢]. وهذا يعني بناء القصة في سورة الأعراف على الاختصار والإيجاز، في حين بُنيت في سورة الشعراء على التفصيل.

٣- التصريح بذكر المؤامرة أو المشاورة رداً على تساؤل فرعون بقوله : (ماذا تأمرون)؟ في سورتي الأعراف والشعراء.

٤- تفصيل أسلوب الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام وفرعون، وبيان ما يلوح في نفس فرعون من خوف وارتعاد فرائص؛ لما جاء به موسى عليه السلام من حق.

٥- مقابلة جانب الحق المتمثل بسيدنا موسى وأخيه هارون عليهما السلام، وجانب الباطل المتمثل بـ فرعون وسحرته.

٦- الاسترسال والإطناب والتفصيل في شرح موقف موسى عليه السلام مع سحرة فرعون في سورة الشعراء وهذا يعني ((أن ما في سورة الشعراء إنما هو جانب مما في الأعراف))[2].

٧- اختلاف الصياغة القرآنية من موضع إلى أخر لاقتضاء المقام الدلالة المناسبة، ففي السور الثلاثة نلحظ إتفاق تصدير الآيات بصيغة الفعل الماضي (قال) مع الاختلاف في نسبة القول إلى الفاعل.

---

(١) ينظر : الكشّاف : ١٨٥/٢.

(٢) التعبير القرآني : ٣٢٦.

٨- زيادة بعض الألفاظ المناسبة مقام التفصيل، ففي سورة الشعراء قال تعالى ﴿③⬉❷▩③⑨← 🕮◻♌ ⑥⬈③⬊❷▩♉◿▤⬈☠ 👌♓🙰♊⇳ 🕮◻❻⬀⮳⮰⌛→☠ 🗀🙶○⮰⬩⬄❷▩■🙵🕗﴾، فزاد لفظ (السحر) للتأكيد على أمر السحر واختصاصه بالإيضاح والبيان(١).

٩- مجيء بعض الألفاظ بصيغة تختلف عن صيغتها في السور الأخرى مثل قوله (ساحر) و(سحار)، لاقتضاء السياق اللفظة الواردة فيه.

١٠- إيثار لفظ (الإلقاء) في خاتمة الآيات، ((تنبيهاً على أنه دهمهم وجعلهم في حكم غير المختارين))(٢).

١١- إجمال ذكر عصا موسى عليه السلام في مواضع متعددة من النظم القرآني(٣)، في حين فُصلت أوصافها في سورة طه(٤)، مما ينمّ عن قوة الإحكام، ووضع اللفظة في مكانها المناسب.

١٢- تصوير مشهد إلقاء عصا موسى عليه السلام أمام عصي السحرة وبمرأى من الجميع في خاتمة الآيات مما يدل على تنويع المفاجأة والتشويق في موقف التحدي، وسرعة اللقف بإجمال بديع، ينمُّ عن جانب الإيجاز في السرد من جانب والتفصيل والتبيين من جانب آخر، وهذا دليل على روعة القصص القرآني واختلاف أساليبه مع الإتقان في المعنى(٥)، ومن خلال ما تقدم ندرك أن عرض المعنى الواحد في القصص القرآني يأتي بأساليب مختلفة، وطرق متعددة، يدل دلالة قاطعة على أن بلاغة القرآن في أعلى مراتبها؛ لأنها ترجمة للمشاعر والسلوك النفسي والعملي في قوةِ إحكامٍ ودقةِ تناسبٍ للشكل والمضمون.

النوع الثاني: تكرار الألفاظ والأدوات والتراكيب.

---

(١) ينظر : المصدر نفسه : ٣٢٩.

(٢) المفردات في غريب القرآن : ٤٥٧.

(٣) ورد إجمال ذكر عصا موسى (عليه السلام) في سورة القصص : ٣١، وسورة النمل : ١٠.

(٤) ورد تفصيل أوصاف العصا وفوائدها في سورة طه : ١٧ – ١٩، وسورة القصص : ٣١، والشعراء : ٢٩ – ٣٠.

(٥) ينظر : الجانب الفني في قصص القرآن الكريم : ٢٤٤.

اتضح مفهوم هذا النوع من التكرار في الدراسات البلاغية انطلاقاً من وصفه بأنه ((دلالة اللفظ على المعنى مردداً، كقولك لمن تستدعيه : أسرع أسرع، فإنَّ المعنى مردَّد، واللفظ واحد))[١].

وبما أن مفهوم الأطناب ((هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدةٍ))[٢]، إذن يرتبط بمفهوم التكرار، إذ يُعد في دراسات بعض البلاغيين جزءاً من الإطناب لقولهم ((فأما الذي يأتي لفائدةٍ فإنه جزءٌ من الإطناب، وهو أخصُّ منه))[٣].

وقد حدد العلماء الدلالات الأسلوبية لظاهرة التكرار من خلال لمساته الدقيقة في رسم المعالم البارزة للنص القرآني، وتحديد مضامينه حين ((يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد))[٤]، فيشكل ظاهرة مقصودة توجه الأنظار؛ لتقرير حقيقة أو إبراز هدف وتوكيده بأسلوب يتناسب مع سياق السورة العام.

لنتأمل الإطناب بالتكرير في فاصلة سورة الرحمن في قوله تعالى : ﴿⬩◻⧗❽⧠⌧⧫⬧ ➚◆✂⬧✋➚⌧ ❻◆✉■⌧▤➚☺⌧✍ ✍➔▤⬧⓿⧫⧫✍◆✍⌧✍﴾ الواردة إحدى وثلاثين مرة[٥]، لدواع يقتضيها المقام، فسياق سورة الرحمن هو ذكر النعم وتعداد الآلاء الربانية؛ لذا جعل الله – سبحانه – هذه الآية فاصلة بين كل نعمة وأخرى، زيادة على تضمنها دلالة التبكيت والتقريع والتوبيخ؛ لأن تعداد نعم الرحمن تبكيت لمنكريها كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها[٦]، ومن مظاهر الإطناب بالتكرار ما جاء في فاصلة سورة القمر من قوله تعالى : ﴿◻◆⧫⬧⧫⬧⑨⇳ ④◻⧫❸⬀☼◆✍ ✂✍⬧⧫➔❷⬀➚◆✂⧫◆ ⬧⧫✂♎⬧⌧❷⬧⬩♑⌧⬀﴾

---

(١) المثل السائر : ٢/٣٤٥.

(٢) المصدر نفسه : ٢/٣٤٤.

(٣) المصدر نفسه : ٢/٣٤٥، وينظر : البلاغة العربية (الميداني) : ٢/٦٦.

(٤) تحرير التحبير : ٣/٣٧٥.

(٥) التكرار الوارد في سورة الرحمن أكثر صور التكرار في القرآن على الإطلاق، ينظر : خصائص التعبير القرآني : ١/٣٢٩، والمظاهر البديعية في خطب الإمام علي (عليه السلام) : ٣٧.

(٦) ينظر : خزانة الأدب : ١٤٤ – ١٤٥.

﴿ ♍♋♊♎♐⓿♑⓿♒♓✍♋⓿♔♕ ﴾[1]، فقد اشتمل هذا التركيب على إخبار تصدَّرَتْ به الآية وهو تمهيد لما جاء بعده من استفهام استنكاري لحال المكذبين.

ومن الملاحظ في السورة نفسها التكرار التركيبي لقوله تعالى : ﴿ ⌂⬧⍽⬧⧫❑☼→⬅⧫◆ ◆⬧⬧ ⬧⬧⧫◆ ◆⬧◆❑⬧ ❍⧫⬧ ⬧◆⬧ ﴾[2]، فسياق السورة يؤشر تتابع المعجزات وترادف الآيات، إلاَّ أن الكافرين مع ذلك أنكروا ما جاء به الأنبياء والرسل من نُذر[3]، فجاءت الآيات مكررة عقب سياق كل قصة؛ ((لتكون تلك العبرُ حاضرةً للقلوب مصورةً للأذهان، مذكورةً غير منسية في كلِّ أوان))[4]. وهنا ندرك شدة اقتضاء المقام لهذا التكرار الممهد له بطابع قصصي جرت أحداثه في سياق السورة.

ومن خلال ما سبق يتوصل البحث إلى أن هناك فروقاً بين أسلوب التكرار بالإطناب وبين أسلوب التفصيل والإجمال نوجزه بالآتي :

١- التكرار هو الأتيان بشيء مرة بعد مرة في سياق واحد لدواع يقتضيها المقام في حين أن أسلوب الإجمال والتفصيل هو بيان وتوضيح بعد مجيء لفظ مبهم موجز يحتمل أموراً متعددة، وقد وصف الكفوي ذلك بقوله : ((التفصيل بالنسبةِ إلى الإجمال إفادة، والتكرار إعادة))[5]، فهو بيان بعد إبهام.

٢- التكرار في القرآن الكريم يقع على وجوه منها ما يكون المكرر أداة أو كلمة أو فاصلة أو قصة فهو بذلك ((فن قولي معروف لا يسلم معه من القلق والاضطراب))[6].

---

(١) وردت الفاصلة مكررة في أربع آيات من السورة هي : ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

(٢) وردت هذه الآية فاصلة مكررة من سورة القمر في : ١٦، ١٨، ٢١، ٣٠.

(٣) تضمنت هذه السورة قصص الأنبياء نوح وهود وعاد وصالح وثمود، ينظر : الكشّاف : ٣١٤/٤.

(٤) الكشّاف : ٣١٤/٤.

(٥) الكُلِّيات : ٢٩٧.

(٦) خصائص التعبير القرآني : ٣٢٢/١.

ثانياً : أبنية الإجمال والتفصيل ومستوياتها المتغايرة.

كشف البحث الأسلوبي المعاصر في المستويات الدلالية لأسلوب الإجمال والتفصيل عن تعاضد بُنيتين مُتغايرتين تسهم في تشكيل ملامح هذه الظاهرة البديعية وتُعَدُّ وسيلة من وسائل الكشف عن طبيعة تشكيل هذين الأسلوبين، والعلائق الخفية التي تربط بينهما من جهة اللفظ والدلالة، إذا ما عُدّ أن التغاير عملية إجرائية تنبثق من اختلاف الدلالة من جانب، ومن جانب آخر أن التعبير القرآني يمثل وحدة متكاملة دلالياً وفكرياً، لإرتباط آياته بعضها ببعض، وقد أسس الدكتور فايز عارف القرعان على ما سبق تقسيمه لأبنية الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم إلى بنيتين تتحرك هذه الظاهرة في حدودهما، ضمن مستويات متغايرة هي :

أولاً : البنية الثنائية : وهي البنية التي ترتكز على أن ((يتعلق بالإجمال عنصران متضمنان في التفصيل لا أكثر))[١]، وتتحرك هذه البنية في التعبير القرآني استناداً إلى مستويين يشكلان بنية التفصيل وعناصره الجزئية وهما :

المستوى الأول : المستوى الإفرادي.

وهو المستوى الذي تظهر فيه العناصر منفردة مستقلة على المستوى الشكلي للبنية اللغوية، فهي غير مرتبطة بمفردات أو تراكيب تلحقها بالإجمال، بل تخصص لنفسها محوراً إفرادياً مكتفياً بجزئياته دون الحاجة إلى بنية خارجية توصلها إلى الإجمالي، ففي قوله تعالى : ﴿🕮□⑥♦⬂❍✿❍⬊... ✂☙"☼✱●✿❍✿⏱♊←

←✿➡︎⚑... ⬅︎❍⬂✪... ✂✏♎♎... ♦②☒...

✂☙ ⬂✓⬂☒♉⬂□□⑧... ⑧□□🕮 ... ⑥⬂⏱⬊♦⬈⑥

✂☙✈□✿□□⬀✌♦⑦🗐﴾ **[القيامة: ٣٦ – ٤٠]**. يمثل لفظ (الزوجين) في التعبير القرآني بنية الإجمال، أما جزئيات التفصيل فتتمثل في العنصرين المنفردين

---

(١) الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم (دراسة تحليلية) : (بحث) د. فايز عارف القرعان، مجلة أبحاث اليرموك، جامعة اليرموك، الأردن، مج١٢، ع١، س١٩٩٤م، ص١٥.

(الذكر) و(الأنثى)، إذ لم يلحق بهما على المستوى الشكلي لفظ أو تركيب آخر، أما على المستوى البنائي فإنهما يتواصلان معاً بالتركيب؛ لأن كل عنصر منهما يشكل جزءاً من اللفظ الإجمالي (الزوجين)، أي : الصنفين[1] (الذكر) و(الأنثى)، إذ أن حقيقة الزوج اسم لكل فرد من اثنين من صنف واحد[2].

بيّنت هذه الآية عظيم قدرة الله تعالى في كيفية الخلق واختلاف أحوال الماء في الرحم إلى أن صار منه الزوجان الذكر والأنثى، وهذا دليل على البعث بالقدرة على الابتداء، فضلاً عن دلالتها على الإنكار الضمني المسوق للاستدلال بقوله : ﴿🕮❐⑥⬧♦⬂❍✽🖪➲ ✈⬧⬄“🖝❍☼✽🕔♊⬅ 🕮❐♌ ③⬉✋⬂❸◆⬁🖰☒ ⬂⬅⑨⬦❽﴾ **[القيامة:٣٦]**، الذي جُعل تكريراً وتأييداً لمضمون ما افتتحت به السورة من إنكار في قوله : ﴿🕮❐⑥⬧♦⬂❍✽🖪➲ ✈⬧⬄“🖝❍☼✽🕔♊⬅ 🕮❐🙰⬆♊ ✞✦♑⬂☺⬁⬈⬁ ⬉⬂➔⬧⬄🖎❍♦❍⬅🕔﴾ **[القيامة:٣]**، فالتعبير متصل المعنى في تهيئته لما سيعقبه من دليل قاطع وبرهان ساطع على إمكان البعث من جانب المادة بدليل تعداد مراحل الخلق[3]، ومن الملاحظ في هذه الآيات عطف فعل (كان علقةً) بحرف العطف (ثم) للدلالة على التراخي الرتبي، ((فإن كونه علقة أعجب من كونه نطفة))[4]، وهذا يعني أن مرحلة العلقة جاءت بعد أن كان الخلق ماء فأختلط بما تفرزه رحم الأنثى من البويضات فكان من مجموعها علقة، ثم جاء عطف (الخلق) بالفاء على مبدأ الخلق (العلقة)؛ (لأن العلقة يعقبها مضغة)[5]، وهكذا ترتيب مراحل الخلق، إنكاراً على الكافرين تكذيبهم بالبعث والإعادة، فالله تعالى لم يخلق الإنسان سُدى أي : مهمل من التكليف والجزاء فجيء بقوله تعالى : ﴿🕮❐♌

---

(١) ينظر : الكشّاف : ٥١١/٤.

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٣٦٨/٢٩.

(٣) ينظر : الآيات، ٣٧ – ٣٩ من سورة القيامة.

(٤) النطفة : هي القليل من الماء سُمِّيَ بها ماء التناسل، أما العلقة : فهي القطعة الصغيرة من الدم المتعقد، التحرير والتنوير : ٣٦٧/٢٩.

(٥) التحرير والتنوير : ٣٦٧/٢٩

③⇱✋⇘❸◆🖰☒♌←⑨⬦❽﴾، ((استدلالاً عقلياً على وقوع الحشر))[1]، فعُدل عن بناء فعل (يُترك) للفاعل وبُني للنائب إيجازاً؛ لأن الفاعل معلوم.

وجاء ختام الآيات استفهاماً إنكارياً؛ تقريراً لإثبات ثقة المتكلم بأن المخاطب عاجز عن الإنكار، هنا نلمح مظهراً أسلوبياً يجمع بين ما افتتحت به الآيات وبين خاتمتها وهو (ردُّ العَجْزِ على الصَدْرِ).

ونظير هذه الآية ما جاء من إجمال وتفصيل في بنيته الثنائية على المستوى الإفرادي في سورة الفرقان من قوله تعالى : ﴿❒◆♎➔❑◆ ✁✍✎⅄🔔♑❽ ❀⍓☐■▆◆ ✁✍⏾⇘☺⍓✍↗♑ ☐☐¤✽❸☪✁ ▫⬩↗⍓➔⍓✁⬩🕮⇖🕛 ⬧■❍✽🖮✡✍ ❒◆🕓♑♍⇳❷ॐ✁ ▤ ❒◆⍓☒🔔♌⬧ ❻◆🖅❿🖮⍓ ﴿✁ॐ❷③♑⑨⬩🔔﴾ [الفرقان: ٥٤].

فالإجمال في لفظة (بشراً)، أما بنية التفصيل فتتمثل في العنصرين (نسباً) و(صهراً) المفردين، قال الزمخشري في تفسير هذه الآية : ((قَسَّم البشر قسمين : ذوي نسبٍ أي ذكوراً يُنسب إليهم فيقال : فلان بن فلانٍ، وفلانةُ بنتُ فلان، وذواتُ صِهرٍ أي : إناثاً يصاهرُ بهنَّ))[2]، وهذا من عظيم اقتداره – عزَّ وجلَّ – حيث خلق من النطفة الواحدة بشراً نوعين ذكراً وأنثى، وهذا استدلال على الانفراد بالخلق ((بدقيق آثار القدرة في تكوين المياه وجعلها سبب حياة مختلفة الأشكال والأوضاع))[3]، وقد جيء بحرف (الواو) في قوله (نسباً وصهراً) للدلالة على التقسيم بمعنى (أو)، ((وحرف (الواو) أجود من (أو) في التقسيم))[4]، وقد أوحت صيغة المبالغة في ختام الآية (قديراً) بالدلالة على قوة القدرة المقتضية تمام الإرادة والعلم.

ومثيل هذه الآيات قوله تعالى : ﴿❒◆♏⬧◗⬧⑨⇳ 🕮❒❻⬀♌◘▣☐◘◆⇜☼ ←❒■☯🔔 ❒◆◗⍓🖅⬀❷◆🕓♎♑↗☹◆ ❒◆⍓♉⍓➔⍓▣✡❒✍ ✖⍓❼ ❶➔❻♒⊁③✸✌♑♍⍓☺⍓✍ ✁✍♐⬧✡🖮←❒▪❒■ ❒◆✁✍♐⇘⌛♉✌◆🕓▣✽ ☎ ▫⬩☺♑✽⇗♉&⇙☠ ❿♍⇳☞◆⑨🖮 ☎ ❒◆▤⬩⌖♑❷❸⍃

---

(١) روح المعاني : ١٤٩/٢٩.

(٢) الكشّاف : ٣٣٧/٣.

(٣) التحرير والتنوير : ٥٥/١٩.

(٤) التحرير والتنوير : ٥٥/١٩.

﴿✍ℋ♉❁⚘✍⚘✓✗✍▫ ⬧◆◆☺◑→❑♌◆⬧﴾ [الحديد:٢٦]. يخبر المولى (عزَّ وجلّ) أنه شرَّفَ نوحاً وإبراهيم عليهما السلام بالرسالة وجعل في ذريتهما النبوة والكتاب، فما جاء بعدهما أحد بالنبوة إلا وكان من نسلهما مؤكداً الآية بثلاث مؤكدات هي : القسم المحذوف، و(اللام)، و(قد) مع تقديم النبوة على الكتاب؛ ((لأن كمال حال النبي أن يصير صاحب الكتاب والشرع))[1]، فكل رسول معه كتاب، وذكر القرطبي أن التعبير جاء على سبيل ((فَصَّل ما اجمل من إرسال الرسل بالكتب))[2] ابتداءً ثم أعقبه تفصيل افتراق الذرية إلى فرقتين، إذ تختص لفظة (ذريتهما) بالإجمال، بعد تفصيل نوعي الذرية المتقابلين (فمنهم) أي : من ذرية الأنبياء : من هو مهتدٍ إلى الحق، ومنهم من هو ضالّ خارج عن طاعة الله، وهو المراد بلفظ (الفاسق)؛ لدلالة السياق على جعل الفُسَّاق بالضدِّ من المهتدين[3]، وقد وصف سيد قطب –رحمه الله– البنية الثنائية في تفصيل الفريقين بأنها ((تلخيص قصير لذلك الخط الطويل))[4].

المستوى الثاني : المستوى التركيبي :

١– التقابل بين أصحاب الجنة وأصحاب النار :

يتضح الأثر الدلالي للتضاد التقابلي في جزئيات البنية الثنائية المركبة المعتمدة على ألفاظ وتراكيب تقيم من خلالها الصلات والعلاقات بالإجمال أي –الطرف الأول – من البنية الثنائية التركيبية في سياق الإجمال والتفصيل الوارد في سورة الجاثية والذي يصور موقف الجثو[5] على الركبتين في خشوعٍ وصمت وترقب استعداداً لهول الموقف، حيث تُدعى كُلّ أُمةٍ إلى كتابها وهذا المشهد جامع شامل للمؤمنين والكافرين في العمل والجزاء، بقوله تعالى : ﴿❑◆✍⬧❷◆❽▤

(١) التفسير الكبير : ٢٩/٢٤٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٢٠/٢٧٠، وينظر : المصدر نفسه : ١٧/٢٦٠.

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٠/٢٧٠.

(٤) في ظلال القرآن، مج ٦، ج ٢٧، ص٣٤٩٥.

(٥) الجُثُوّ : مصدر من جثى على ركبتيه جُثُوّاً وجُثيّاً فهو جَاثٍ، وجيء الاسم في سورة الجاثية دلالة على الجمع؛ ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٩٥.

[illegible]

[الجاثية:٢٨- ٣١]. تمثلت بنية الإجمال في قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾، وجيئ بهذا التركيب مكرراً في قوله (كل أمة)، لبيان شدة الهول وعظم الأمر[1]، زيادة على إيثار صيغة المبني للمجهول في الفعل المضارع (تُدعى)، لزيادة قوة التهويل في بنية الإجمال والإشارة إلى موقف الجزاء والحساب، ثم يأتي التفصيل في البنية الثنائية، لبيان مصير كل فريق ﴿[illegible]﴾ [الجاثية:٣٠]، ابتدأ الآية (بالفاء) ((لعطف المفصل على المجمل))[2]، ثم فصّل وصف حال المؤمنين وهو العنصر التركيبي الأول من عناصر البنية الثنائية، مميزاً في التفصيل أوجه المفارقة بين حال الكافرين والمؤمنين بقوله ﴿[illegible]﴾ أي (المؤمنين) وهذا

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٣٦٨/٢٥.

(٢) المصدر نفسه : ٣٧٠/٢٥.

الوصف جامع لمظاهر النعيم والفوز المبين، موجزاً التعبير بالرحمة؛ إرادة عموم الكرامات في الجنة، أما الفريق الثاني وهم (الكافرين)، فافتتح بيان حالهم بما يخالف حال المؤمنين، مطنباً القول في توبيخهم وتقريعهم ففي قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ استفهام استنكاري فضلاً على أن مقول القول محذوف مع ذكر الكفار، للتأكيد على أن الخطاب صادر من متكلم من جانب الله تعالى، ويلمح في خطاب الكافرين تفصيلاً وتذكيراً بحالهم في الدنيا واستكبارهم على الأخذ بآيات الله تعالى (أي القرآن) زيادة على وصفهم ((بالإجرام الذي صار خلقاً لهم وخالط نفوسهم وكان من مقومات قوميتهم))(١).

ومن هنا يتبيّن أن عنصري الإجمال انفردا بأوصافهما، فقد جَسَدَ كل عنصر جزئيات تركيبه التفصيلي بما يستوفي إيضاحه، مع بيان أن العنصرين يشتركان في علاقة تضادية تقابلية كما هو موضح بالمخطط الآتي :

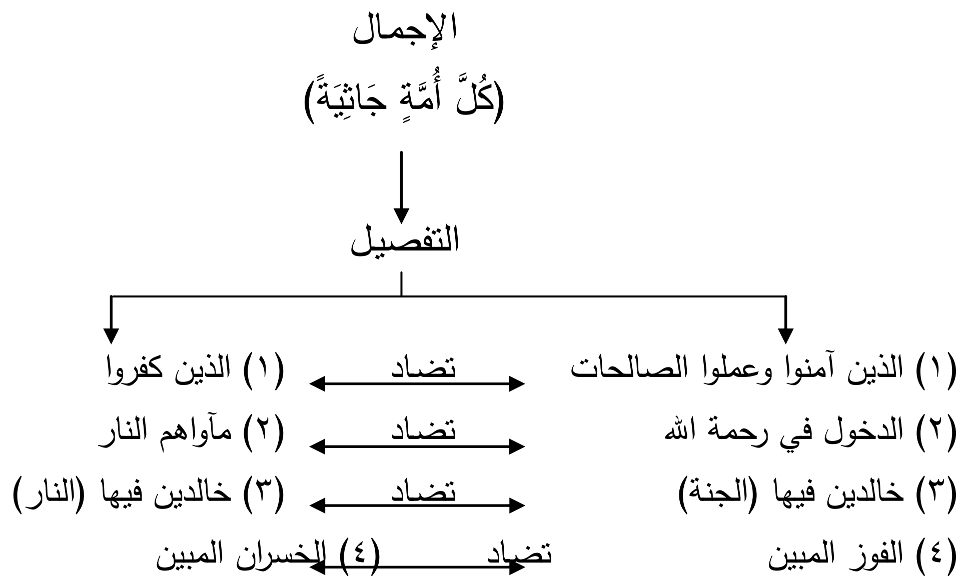

٢- التقابل بين صورة المؤمنين وصورة الكافرين :

---

(١) التحرير والتنوير : ٣٧١/٢٥.

في سورة الغاشية[١] نلمح مشهد يجمع بين صورتين متضادتين لوجوه فُصّل وصفها فتجسد مفارقة في ذهن المتلقي بعد استيفاء جزئيات ما ذُكر مُجملاً في قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [الغاشية: ١ – ١٦].

حيث اشتملت هذه السورة على تهويل يوم القيامة وما فيه من الثواب والعقاب، قوم ناعمة حالتهم، وقوم مشوّهة حالتهم على سبيل الإجمال الترغيبي والترهيبي، والإشارة إلى ما يُبين ذلك الإجمال كله بالإنكار على قوم لم يهتدوا بدلالة خلق الله، افتتح الآيات باستفهام صوري يكنى به عن أهمية الخبر بـ (هل) المفيدة معنى (قد)؛ وفي ذلك مزيد تشويق إلى بيان ما سيأتي بعده ليتمكن الخبر في ذهن المتلقي ويشدّ الذهن لتقبلهِ[٢].

جاءت الحركة البنائية في التعبير القرآني بذكر أول عناصر الإجمال، والأقرب إلى جواب الاستفهام المبتدأ به، والممهد لذكر (الوجوه الخاشعة)، فجاءت

---

(١) أجمع أهل التفسير على أن الغاشية : هي القيامة التي تغشى الخلائق بأهوالها وأفزاعها، مشتقة من الغشيان وهو تغطية متمكنة من العقول، ينظر : الكشّاف : ٥٨١/٤، والجامع لأحكام القرآن : ٢٣٨/٢٢، والبحر المحيط : ٤٥٧/٨، والتحرير والتنوير : ٢٩٤/٣٠.

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩٤/٣٠.

الجملة الأسمية بياناً لحديث الغاشية[1]، وقد أُثر التعبير بلفظ (وجوه) تنكيراً قُصِد منه النوع، وكناية عن أصحابها، لأن الوجه عنوان يُنْبئ عما يجده صاحبه من نعيم أو شقوة، وأُثر الوصف الأول للوجوه بـ (الذليلة) و(المكلفة بالعمل الشاقّ) و(المتعبة) تعريضاً بأهل الشقاء وتذكيرهم بما أُمروا به فكان جزاؤهم الخشوع والذل والمشقة[2]، وتتابع الأخبار عن حال هذه الوجود يبين أوصاف النار التي تُصلى بها، لزيادة الترهيب والتهويل، ولتهيئة الذهن ولفت الانتباه إلى أن ذكر الاحتراق بالنار يتطلب إطفاء حرارتها بالشراب فجعل شرابهم من عين آنية، ويستدعي ذكر الشراب لوزامه من الطعام، فجيء بالخبر السادس المبين حال طعامهم الذي لا نفع فيه ولا يرفع عنهم الألم والتعذيب.

ومن اللافت أن الضمير في جملة (ليس لهم طعام) ضمير جماعة ذكور؛ للدلالة على تغليب الذكور على الإناث، ثم يأتي التتابع والترتيب منسجماً ملائماً لمقابلة تفاصيل ما أجمل في العنصر الثاني وأجزائه في قوله : ﴿⋖■❑⇖♉⇖❑⋗ ③♦❑⬀♦⬥⬧⓿⌨ ✡❄☙⬋⏲⍗♦❑⋗﴾ [الغاشية:٨].

وتتسائل الباحثة هنا لِمَ فَصَلَ هذه الجملة عما سبقها، وكان حقها العطف بـ(الواو) لتعزيز التواصل في المعنى العام الدال على المشاركة في حكم بيان حديث الغاشية كما في قوله تعالى: ﴿❑♦❑⇖♉⇖❑■⋗ ③♦❑⬀♦⬥⬧⓿☢ ⬊♦⬛❸■⬀☙ ⬊☒⬉⬀❸♦❑⋗﴾ [عبس:٤٠]، عطفاً على جملة ﴿❑⇖♉⇖❑■⋗ ③♦❑⬀♦⬥⬧⓿⌨ ⑩○⇔▦❷♦❑⋗﴾ [عبس:٣٨]؟

والجواب أن وجه الفصل في هذه الجملة هو مجيئها استئنافاً بيانياً جواباً عن سؤال مقدر تثيره الجملة السابقة فيتساءل السامع: هل من حديث الغاشية ما هو مغاير لهذا الهول ؟

والسؤال بصيغة أُخرى : هل هناك نعيم يقابل العذاب المذكور سابقاً ؟

---

(١) المكان نفسه.

(٢) ينظر : الكشّاف : ٥٨١/٤.

فجاءت الجملة تنبيهاً على أن المقصود من الاستفهام الإعلام بحال المعرضين وترهيبهم فأظهرت وجه المفارقة بين حالي الفريقين والغرض من تفصيل أوصافهم المتمثل بالترهيب والترغيب.

وبذلك يرتبط النص القرآني بعناصره الإجمالية والتفصيلية، ليجسد صفات المغايرة عبر علاقات التضاد القائمة بين أجزاء الوصف كما هو موضح في المخطط الآتي :

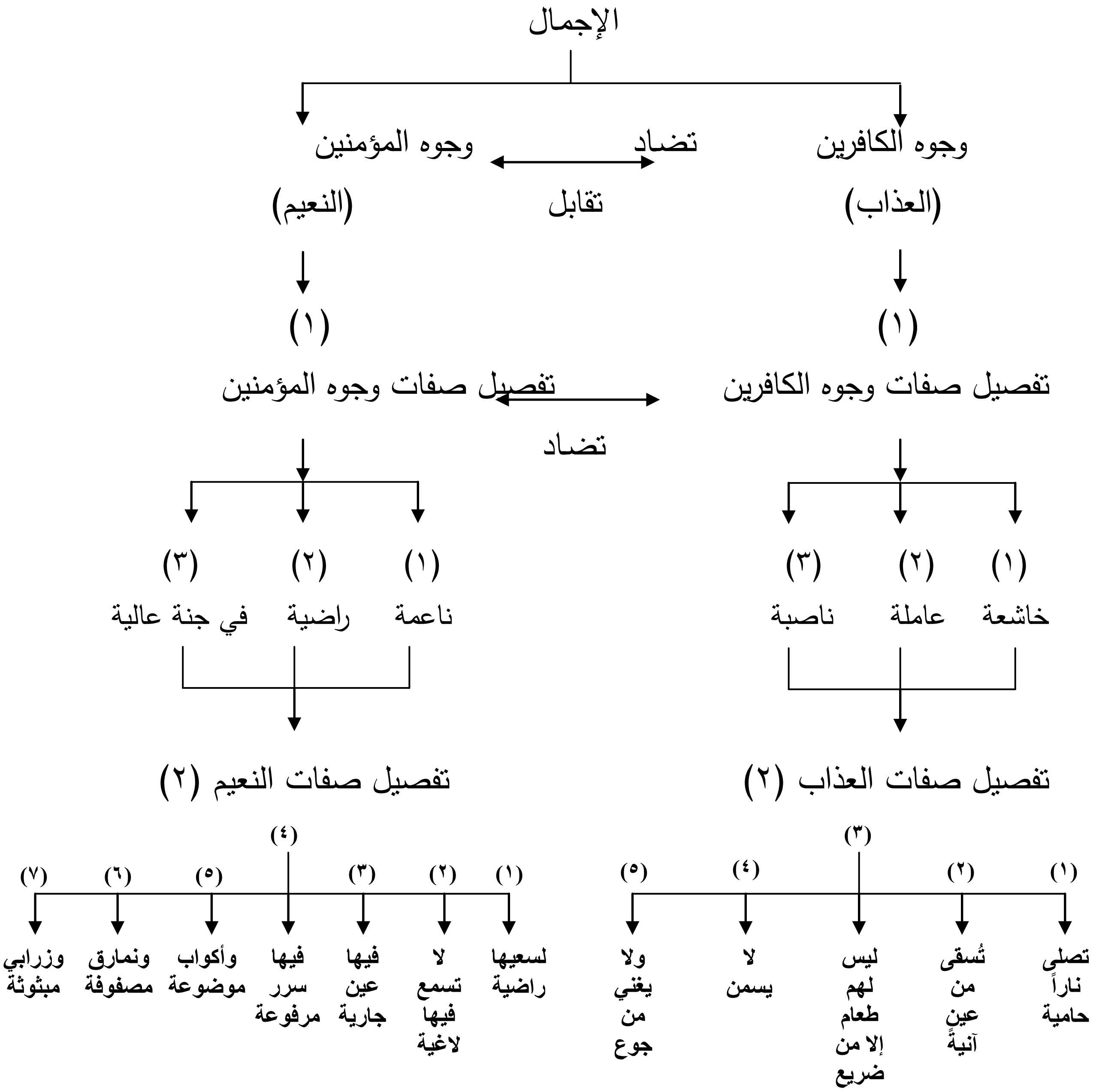

ثانياً : البنية المتعددة :

وهي البنية الثانية من أبنية الإجمال والتفصيل، وهذه البنية تتحرك من خلال إيراد ثلاثة عناصر أو أكثر في التفصيل، وتتشكل من مستويين مشابهين لمستويي البنية الثنائية[١].

---

(١) ينظر : الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم (بحث) : ١٦.

المستوى الأول : الإفرادي :

ويعتمد هذا المستوى على العناصر الإفرادية التي لا تحيط بها المفردات والتراكيب ومثال ذلك ما جاء في سورة الأنعام في قوله تعالى :

❏♁♦⌛♦✡ ⬀☠♉♑⬂⑩■◘♦⬂ ⬉⬂⬂✍✍✂◆❏﴿

⬅❍◷❏✡⬂⓿⬧✍✂◆⬈ ✓❽♑♫⅄✎✍✂

✍⌧♑⬃✡♑✌ ⌧⑦■◘❁❍⬥✍✍⬧▫ ✍❏✡♑☞◷♦③✂◆⬈

♦♌♫⬧▤⬧▫ ⬅♊◷⬧⮌⬂⓿⨀⊕⚘✍✂ ⬅❍⌧➔♦⌨⬂✍❏♁⬧▫

✌♑♊⌘ ✂✍⚘⬂⬄♦✍❏⬀⇦▫⚮﴾ [الأعراف: ١٧٥].

تضعنا هذه الآية أمام موقف دقيق يصور خطوات إنحراف الفطرة وتعطل الإدراكات الحسية، فالسياق القرآني ينطوي على مظاهر أسلوبية تصور وتشبه وتُقابل وتماثل وتُفصل وتُجمل بشكل لا يكاد يلتفت إليه إلاَّ القارئ الحصيف من خلال تهيئته للإثارة الذاتية المتولدة نتيجة التفاعل التكثيفي لمجريات الحدث نفسياً وفكرياً، وبذلك تنفي عن المظاهر البديعية في التعبير القرآني صفة الجمود والركاكة، إذ أن بنيته اللغوية تعتمد على إيحاءات دلالية، فظاهر المعنى هو التبكيت والتقبيح بقصد تحذير بني البشر من التلبس ببقايا مكر الشيطان من تسويل إياهم الإنسلاخ عن الطبيعة الإنسانية كما تنسلخ الحية عن جلدها بإعراضهم عن الحق المتمثل بآيات الله والنفور منها إلى الدنيا وبريقها الخداع حتى يصل إلى ذروة الارتباط بمن يليق أن يُشبَّه به وهو الكلب لينتج ((مشهد حي متحرك، عنيف الحركة، شاخص السمات، بارز الملامح، واضح الانفعالات، يحمل إيقاعات الحياة الواقعة، إلى جانب إيقاعات العبارة الموحية))[١].

أما الوجهة الأسلوبية فتُجمل (نبأ الذي آتيناه آياتنا) فكان محوراً ومجمعاً لدلالات تفصيلية لطبيعة هذه الشخصية التي تحتضن (الإنسلاخ)[٢] و(الغواية)[٣]

---

(١) في ظلال القرآن : مج٣ ، ج٩، ص١٣٩٦، وينظر : التصوير الفني في القرآن : ٤٥.

(٢) حقيقة الانسلاخ خروج جسد الحيوان من جلده، أُستعير في الآية تعبيراً عن الانفصال المعنوي، والإقلاع عن العمل بما تقتضيه آيات الله، ينظر : التحرير والتنوير : ١٧٦/٩.

(٣) المراد بالغاوين : المتصفين بالغي وهو الضلال، وهذا الوصف أشدّ مبالغة في الإتصاف بالغواية من قوله (غوى) أو (كان غاوياً)، ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٥٥/١٤.

و(إتباع الشيطان) تفصيلات وصفية تقريرية، دارت عليها مجالات المستوى الإفرادي، فقد جُمعت هذه الصفات مرتبة عبر محور الدلالة وبؤرتها المتكررة (الفاء) العاطفة، بحسب ترتيبها في الحصول، فالتصور العقلي لهذه العلاقات يجدها تقوم على التسلسل المنطقي من جهاتٍ متعددة تبرز المعنى في بنية تفصيلية لشيءٍ واحد، ومن الملاحظ أن ضمير الغيبة (عليهم) وُجه إلى المشركين على سبيل العبرة والموعظة وقصِّ أخبار الأمم السالفة، وهو أسلوب متبع في مواطن كثيرة من القرآن[1]، ناسب فعل التلاوة للمراد من السياق وهم (المشركين)، للدلالة على التبليغ والتعليم؛ لأنهم قوم تغلب عليهم الأمية فأراد الله أن يبلغ حالهم التساوي مع أهل الكتاب في التلاوة، وأوحت دلالة اسم الموصول المفرد أن صاحب الصلة واحد معين ممن للعرب إلمام بمجمل خبره[2]، صار بعد ذلك في زمرة الغواة المتمكنين من الغواية.

يتبين مما سبق أن تفصيل الإجمال في الآية جاء على سبيل ضرب المثل للمشركين المكذبين بالقرآن؛ لأن للأمثال واستحضار النظائر شأناً عظيماً في اهتداء النفوس، وتقريب الأحوال الخفية بالتذكر ومشاهدة الحالة بالحواس[3]، وذلك بترتيب أفعال الانسلاخ والاتباع والكون من الغواية بحسب الوقوع تفصيلاً تعددياً إفرادياً.

وفي موضع آخر جيئ بالتفصيل منبثقاً من إجمال فعل (إتيان الغواية) المتضمن دلالة قسم إبليس على الترصد للبشر بالإغواء والإضلال بشتى الطرائق والوسائل، وتحديد الجانب الحركي المكاني وبيان جهاتهِ الأربع في قوله تعالى :

❻♎☪□😐⬃③◆❑⬂⬊❒🕮 ✏👓⌂☺♐⌛⬧▫ ◆✌👓⬧🔔🏵

⌂⌨⬧⬅🕓◆❸⮪🕛 ⬀☠←●❍▭ □♌⌂⑨⬉➔⬂🔔✞🏵

▪☠➔⚐ ⮨⮯♎⮫ ⧫☹⬈⬿⚈⧫☛⬄❍⬉😐⬂♒🕾👓✁

⮫✖⬃✓⧫📪 📬♊♎♓👌 ⚐←♑□✡◆⓿♎✍✞⌂

⬀☠♐♑♎▩⊞▫⌺⌂⌘ ⇳♊♎👌◆❒ ⬀☠♏&⑨⬿⑨⬃③❒🕮

(١) ينظر على سبيل المثال : سورة يونس : ٧١، سورة الشعراء : ٦٩، وسورة القصص : ٣.

(٢) اختلفت الروايات في شخصه، وأجمع بعض المفسرين على أنه رجل يُقال له بلعام بن باعوراء، وهو من الكنعانيين في زمن سيدنا موسى ، ينظر : الكشّاف : ٢٢٠/٢، المحرر الوجيز : ٤٧٦/٢، الجامع لأحكام القرآن : ٣٨٣/٩، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) : مج٢، ج٣، ص٥٠٧.

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١٧٤/٩.

﴿[illegible]﴾ [الأعراف:١٦-١٧]. بدأ النص حركته التفصيلية المتعددة بعد بيان الفعل المجمل المتضمن دلالة الجهد الذي يبذله الشيطان في صدِّ بني آدم عن طرق الخير وتحسين طرق الشر بخطوات ملتوية بقوله (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ)، و(اللام) هنا لتأكيد حصول الفعل، وتحقيق العزم عليه؛ لإفادتها دلالة التهجم على بني آدم بشتى الوسائل، قال الزمخشري : ((ثم لآتيَّنهم من الجهات الأربع التي يأتي منها العدوُّ في الغالب، وهذا مثلٌ لوسوسته إليهم، وتسويله ما أمكنه وقدرَ عليه))[1]، كقوله : ﴿[illegible]﴾ [الإسراء:٦٤] ، فقد مثلت هيأة الإغواء بهيأة الباحث الحريص على أخذ العدو من كل جهةٍ حتى يصادف الجهة التي يتمكن فيها من أخذه، فهو يأتيه من (بين يديه) و(من خلفه) و(عن يمينه) و(عن شماله) حتى تخور قوة مدافعته، وهذا التصوير للمخاتلة والمراوغة إنما هو مجاز تمثيلي وليس من الحقيقة في شيء؛ لذا جعل الطاهر بن عاشور هذا السبب علّة لعدول التعبير القرآني عن قوله (من فوقهم) و(من تحتهم)، ((إذ ليس ذلك من شأن الناس))[2]، وإنما من شأن الخالق لقوله : ﴿[illegible]﴾ [الأنعام:٦٥]، وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [العنكبوت:٥٥].

وفي ذكر الاتجاهات الأربعة عُلِّق التعبيران (بين أيديهم) و(خلفهم) بحرف الجر (من)، للدلالة على أصلها وهو الابتداء، في حين عَلَّق اللفظين (أيمانهم)

---

(١) الكشّاف : ١٤٦/٢.

(٢) التحرير والتنوير : ٤٩/٨.

و(شمائلهم) بحرف الجر (عن) جرياً على ما هو شائع في لسان العرب وأصل معناها المجاوزة[١].

وآثر التعبير القرآني ترتيب هذه البنية المتعددة في تفصيل الاتجاهات وفقاً لأهميتها بالنسبة للشيطان، إذ إن كل جهة تحمل شحنة دلالية حركية مغايرة منها ما توقع العباد في الشرك والكفر ومنها ما توقع العباد في البدعة ومنها ما توقعهم في الذنوب والمعاصي ومنها ما تفسد عليهم الطاعات، وفي كل ذلك فلأنَّ الأداة المستخدمة في الغواية هي المتاع واللذة والشهوة وهي نقطة الضعف التي ركبها الله في كيان الإنسان[٢]، فضلاً عن أن ذكر الاتجاهات تباعاً يتضمن دلالة الحركة المتتابعة والمستمرة للشيطان في استدراج الإنسان والمكر به والإملاء له تحقيقاً لوعدهِ بالضلالة والانحراف عن طريق الحق بإضافته الغواية إلى نفسه بخلاف إضافة الصراط إلى الله تعالى.

المستوى الثاني من مستويات البنية المتعددة : المستوى التركيبي الذي يأتي فيه العنصر الإجمالي مركباً مرتبطاً بمفردات وتراكيب تفصل أحواله وتبين صفاته بشكل تركيبي مختلف، أي أن التفصيل يتضمن عناصر مركبة تتصل بالمجمل وتُقسم عناصره المتكررة إلى جزئيات ذات أبعاد دلالية ثلاثية أو رباعية أو خماسية يبرز أثرها الأسلوي الواضح في الكشف عن التباين ووجوه المفارقة بين المفصلات ومستوياتها الدلالية والصوتية والتركيبية[٣].

وخير مثال على ذلك ما جاء في سياق بيان عاقبة أقوام الأنبياء والمرسلين الذين زين لهم الشيطان أعمالهم واستكبروا في الأرض، فأخذهم الله بذنوبهم العظيمة وعصيانهم أمر الله وانحرافهم عن سبيل الحقِّ والرشاد في قوله تعالى :
☎ ⌚♉❍♐⌛✍✡⌧⓿♐✍ ✍✓♦✡⬁⓿♦❁❒🕮 ⑧⌧⬈▤♦▭⧫
♉❍⬂⓿■⍰♦⬉ ✍✓◆☪▭⍰⍓♒⬀❻❒🕮 ⇳♊❒✌ ☠←♑⬃✡♉☺♦▭

---

(١) ذهب الزمخشري وابن عاشور إلى القول بأن معنى أتاه من بين يديه، أي من المكان المواجه له، والشائع في لسان العرب تعدية الأفعال إلى أسماء الجهات، فأصل (عن) المجاوزة، أي من جهة يمينه مجاوزاً ومجافياً له، ينظر : الكشّاف : ١٤٦/٢، التحرير والتنوير : ٤٩/٨.

(٢) ينظر : في ظلال القرآن : مج٣، ج٨، ص١٢٦٨.

(٣) من أمثلة المستوى الثاني للبنية المتعددة في التعبير القرآني، ينظر : سورة البقرة : ٧٤، وسورة النور : ٤٥.

←○⬂✍☒⓿⬧❀❑🕮 ⇳♊❑✋ ⚐←♑⬀✡♈✋◆❑ ⬄✡⌛♈🕒🔔◆■
⇦⬀❑✋ ⚐←♑⬀✡♈✋◆❑ ➔❑⍓⬧⬂⑩●🕐♐🎯⬄✂
☙←⬀❻☞❀⬄✂ ♈○♈🖃 ⬄❑✡⬂▦✽○⍓⌘
⬄◆✋◆❑ 🗐 ⬄❑✡⬂🔔◆❷⬂⬊❑🕮 ⇳♊❑✋ ⚐←♑⬀✡♈✋◆❑
⬄⚐←♑⍓☺♈⬛⇳➔◆⓿♈♐ ✦✏⬄✂ ☙♍🔔•🗎
⬄⚐←♑✽○➔▦✡❑🕮 ☎✂☑❑⬅✡🔔•🗎 ♊⬀🗏🕒⬧♐◆❑
③◆➔⇳⬛♈☺←❑♍☙﴾ [العنكبوت: ٤٠].

جاء التعبير القرآني في قوله تعالى: ﴿⌑🗏⬈☒⑧ 🕮❑❀⬧⓿⬁✡◆⬄ ♈🖃♈⓿☒✡🖃⌛♈○♈🕒﴾، بنية إجمالية تركيبية فيها قوله (كلا) و(أخذنا) جزأين مبهمين، ثم ذكر تفصيل أنواع أخذهم بإيراد (الفاء) التي أفادت تفريع ذلك التفصيل على الإجمال الذي تقدمه فتحصل خصوصية الإجمال ثم التفصيل، وللدلالة على عظيم تصرف الله[1]، فكان أخذُ الله أخذ عزيز مقتدر بإتلافهم وإهلاكهم ((بجامع إزالة الشيء من مكانه))[2]، جزاءً على أعمالهم.

وجاء التفصيل على الترتيب الزمني في الذكر القرآني لأقوام الأنبياء والمرسلين، ابتداءً بذكر عذاب قوم عاد في قوله تعالى ﴿❑◆🕮❑✡✽○←🕐▦ 🕮❑♎⬀⬛■🖮⍓ ⬊◆🔔⑩🕐✂
⬀⬄⌑☺⍓ ☎✂⍓⑩❑←☺❑⚐◆❑ ⎗♈⬅⎘ 🗐❼■🖫❑✞❀⬄✂
🕮❑🖃⬀🖅⬧❼🗐﴾ [النجم: ٥٠ – ٥١]. فأما الذين أرسل عليهم حاصباً[3] فهم عاد، قال تعالى : ﴿❑◆🕮❑✋❑⬄ ⬉◆⬄⑩⮘
✌❸✽🕐⬀❷✽🕒 🖰☒③⌧❷♈🖃 ☎✂❑➔⌛♈⬛⬀⚖⬆🕯⬧⌑
⬊◆🔔✍♈⑩◆❑🖮﴾ [الحاقة: ٦]. ثم ذُكر عذاب ثمود الذين أُهلكوا بالطاغية، أي : أخذتهم الصيحة فأهمدتهم[4]، قال تعالى : ﴿♐♈✡✹⬄✏
🕮❑❻⬀🙵⍓⬛⌑☪◆⬄ ⬉◆⬛■❸⬀🙴🙰☠⬀ 🕒✽⓿⬂⬧⍓❑☪

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٥١/٢٠.

(٢) المكان نفسه.

(٣) الحاصب : الريح الشديدة، سميت حاصباً؛ لأنها تقلع الحصباء من الأرض، وسُمّيَتْ صرصراً لما فيها من صرصرة، فهي تحرق لشدة صوتها وبردوتها، ينظر : الكشّاف : ٤٥٣/٤، التحرير والتنوير : ٢٥١/٢٠.

(٤) أُختلف فيها، فقيل : الواقعة المجاورة للحدِّ في الشدة، وقيل : الرجفة، وعن ابن عباس : الصاعقة، وعن قتادة : الصيحة؛ وقيل : هي مصدر كالعافية : أي بطغيانهم، ينظر : الكشّاف : ٤٥٣/٤.

[القمر: ٣١].

والذين خسفت به الأرض هو قارون وأهله، قال تعالى :

[القصص: ٨١]، وقوم لوط عليه السلام:

[هود: ٨٢].

ثم جاءت الأخذة الرابعة بتفجير الأرض وإغراق من عليها من قوم نوح (عليه السلام)، قال تعالى :

[نوح: ٢٥] ثم تبعهم في الإغراق فرعون وهامان وقارون ومن كان معهم من أقوامهم، قال تعالى :

[الذاريات: ٤٠].

يلاحظ في البنية المتعددة لمستويات الإجمال والتفصيل التركيبية في هذا التعبير ظاهرة أسلوبية كشفت عن مفارقات مجملة في وحدات موجزة فُصلت بذكر أبعادها الرباعية الدالة على أشكال العذاب وألوانه المتفرقة، بشكل مترابط متسلسل حقق الوحدة الموضوعية للسياق العام، زيادة على تكرار عناصر الإجمال في اللفظ (منهم) والتي تعود إلى المستوى الإجمالي الأول في قوله (كلا) يؤكد أن المفردات والتراكيب وحدة متكاملة ذات دلالات موحية بالتخويف يستشفها المتلقي بالتأمل الدقيق والمتابعة المستمرة للنصوص المتضمنة دلالة العذاب للأقوام السابقة بهدف الوعظ والترهيب.

ومما يؤكد ارتباط النص القرآني وتماسك أجزائه أن عناصر التفصيل قائمة على أساس علاقات التضاد والمغايرة الواضحة في حركة صنوف العذاب المتقابلة فمنها

ما يأتي من الأعلى كالريح الحاصبة والصيحة، ومنها ما يأتي من الأسفل كخسف الأرض وإغراقها.

فالقيمة الأسلوبية للإجمال والتفصيل تفصح عن نفسها بعيداً عن اللبس والغموض؛ وذلك بتحقيق الناتج الدلالي لكل عنصر من عناصر أبنيتها الإفرادية والتركيبية، للتواصل معاً عبر تعالق دلالي يؤدي إلى تكثيف المعنى وديمومة تجدده واستمراريته، وبذلك يتحدد مفهوم هذه الظاهرة الأسلوبية على وفق علاقاتها البنائية المختلفة ووظيفتها المعنوية في التعبير.

ومن ذلك يتبين ما يأتي :

١- إن أسلوب الإجمال والتفصيل من المظاهر البديعية القائمة على التغاير الدلالي للأبنية الإفرادية والتركيبية، تسهم في إثراء النص القرآني بما تحمله من قدرة إبداعية على التمكن من الكشف عن العلاقات التقابلية المتضادة في السياق بين الدلالات والمختلفة.

٢- تتحلل طبيعة أسلوب الإجمال والتفصيل إلى عناصر جزئية تتحرك في مستويات محددة لتكون فكرة عامة يمكن تجزئتها وتقسيمها وتفريقها إلى وحدات أصغر تشارك مجتمعة في إنتاج صور جديدة في حدود السياق القرآني.

٣- إن لأسلوب الإجمال والتفصيل دلالات وأهدافاً أسلوبية منها فنية وأخرى دينية غالباً ما تأتي في التعبير القرآني في مواضع الترهيب والتفخيم والتعظيم تهدف إلى بيان المعنى القرآني في صورة متكاملة، وإبراز عنصر التشويق الفني الذي يدعو المتلقي للتحول والتغاير من الإبهام إلى البيان.

٤- تشكل أبنية الإجمال والتفصيل أبنية متشابهة من حيث الخصائص البنائية، تأخذ نمطاً أسلوبياً واحداً يعمد في الأصل إلى ذكر شيء في صورة إجمالية ثم يفصله في عناصر مختلفة، أو يعكس البنية فيعمد إلى ذكر عناصر التفصيل ثم ينتهي إلى الإجمال، وتأسيساً على ذلك فهي جميعاً تشترك في خاصية التجميع والتفريق مع اختلاف الدلالات السياقية لكل مظهر من هذه المظاهر التعبيرية.

المبحث الثاني : أسلوب الجَمْعُ :

أولاً – مفهوم الجَمْع في اللغة والاصطلاح :

الجَمعُ لغةً : مصدر قولك جمعتُ الشَّيء، أي : ((جعلته جميعاً فبقي جميعاً ولم يكد يتفرق، يُقال : جمعت أمري إذ جعلته جميعاً كالراي المعزوم عليهِ المُمضي))[1]، ومنه قوله تعالى : ﴿☎✂☑□⇖➔⚢⚐⬂♎□♁⬥▫﴾ ⬂☠⬈✍◆⬈✎♎⊠✍◆❸➔⌗◆□ ⬂☠⬈✍✿❹⬂✎□🕮 ﴿ [يونس : ٧١]، ذكر الجاحظُ في كتابهِ (الحيوان) قول خلف الأحمر في الجمعِ : ((لم أرَ أجمعَ من بيتٍ لامرئِ القيس))[2] وهو قولهُ[3] :

أفادَ فجادَ وسَادَ فزَادَ وَقَادَ فَذَادَ وَ عَادَ فأَفضلْ

وأدرجَ السكاكي الجمعَ في المحسنات المعنوية فقال : ((هو أن تُدخِلَ شيئين فصاعداً في نوعٍ واحدٍ))[4]. في الوقت الذي ذكره ابن رشيق القيرواني بعد باب التقسيم قائلاً : ((هذا وما قبلهُ يُسمى جمع الأوصافِ، وسمّاه بعض الحُذَّاق من أهلِ الصنَّاعةِ (التعقيب)))[5]، وقد أدرجهُ العسكري في بابِ جمع المؤتلف والمختلفِ مُراداً بهِ : ((أن يجمعَ في كلامٍ قصيرٍ أشياء كثيرة مختلفة أو متفقة))[6].

ومن ذلك يمكن القول إنّ مصطلح الجمعِ من المصطلحات البديعية التي كثر الإختلاف فيها، نتيجة أختلاف أقوالِ المؤلفين، إذ عبروا عنه في بعضِ المؤلفاتِ بعبارتٍ وأمثلةٍ غير سديدة[7]، فقد عَبَّرَ السبكي[8] عن وجهةِ نظرهِ التي يرى فيها أن بداعةَ الجمعِ مشروطةٌ بالإخبارِ عن المتعدداتِ بمُفردٍ يصدقُ على الجميع؛ بوصفه مصدراً نحو قوله تعالى : ﴿✂✍♉⬂☺⊠✍✌⇖ ➔□◆☪③⚢♾ □◆✂✍♉⬂⌛◆☪⇖□♌◆ ☎ ✍◆⓿⬃✡❻⑨♉✂ ✂✍♉⬂⬥⊠⑩◆□▤□⌀

---

(١) لسان العرب : مادة (جَمَعَ).

(٢) الحيوان : ٣/٥٣.

(٣) ينظر : ديوان امرئ القيس : ١٥١.

(٤) مفتاح العلوم : ٥٣٥.

(٥) العمدة : ٢ / ٢٥.

(٦) كتاب الصناعتين : ٣٦٧.

(٧) ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٢ / ٤١٠.

(٨) ينظر : عروس الأفراح : ٤ / ٢٢٥.

[illegible] ﴿[illegible]﴾ **[الكهف:٤٦]**. جاعلاً على شرطِهِ لفظة (زينةُ) خبراً مُفرداً للجمعِ بين لفظ (المالُ) ولفظ (البنون) في الآية الكريمة، في حين أنه لا يشترط في الحكم الذي جُمع فيه بين الأشياء أن يقعَ خبراً عن المتعددِ[١].

والذي يتضح للبحث أن التعريف الاصطلاحي الجامعِ لمفهومِ (الجمع) هو ما أوردهُ باحثٌ معاصر تحت بابِ ((بدائع متجانسة حَولَ أحوالِ روابطِ المعاني ووجه اجتماعها وافتراقها وتقسيمها وتفرُّعِها))[٢]، وهو من أبرز التعريفات الحديثة وأدقها، يتناول في هذا البابِ الكلامَ ضمن اختياراتٍ بديعية تضم المعاني التالية :

الجمع، والتقسيم، والتفريق، الجمعُ مع والتقسيم، والجمع مع التفريق، والجمع مع التفريق والتقسيم، والتفريع.

وقد بيّن مُحدداً معالمَ كُلّ فنٍ من هذه الفنونِ بوضوحٍ، عارِضاً الحالاتِ، والأسلوب البديعي الذي يُحسن إختيارهُ في كل منها. وقد أطلق على فن (الجمع) في علم البديع مصطلح ((الجَمعُ في الحُكمِ))[٣]. وفسرَّ مفهومهُ تفسيراً منطقياً لا يتعارضُ مع مفهومهِ اللغوي حين قال : ((أن يجتمع مُعَيَّنَّانِ أو صنفانِ أو نوعانِ أو جنسانِ أو أيُّ مختلفين فأكثر في حُكمٍ واحدٍ، وفي هذهِ الحالةِ يكون من الإيجاز من جهةٍ، ومن بديعِ الكلامِ من جهةٍ أُخرى، صياغةُ تعبيرٍ واحدٍ مختصر، تُذكر فيه المختلفات إما بإفرادها إذا كان كُلّ فردٍ فيها مُعيناً، وإما بلفظٍ كُليٍّ يجمعها إذا لم يكن للمتكلم غرضٌ في تعيين الأشخاص، أو كان الأفرادُ غير محصورين، وكان الغرضُ تعميمَ الحُكمِ على كُلِّ الأفرادِ))[٤]، فالمعاني تتواردُ على فكرِ المتكلمِ فيرى بينها مفردات قضايا قابلة للجمع في قضيةٍ كليةٍ واحدة، فيدعوه الإيجاز والاقتصاد في التعبير إلى جمعها في قضيةٍ واحدةٍ وهذا مسلكٌ بديعٌ في جمعِ الأشباهِ والنظائرِ وإعطائها جميعاً حُكماً واحداً إذا كانت مشتركة فيهِ.

---

(١) ينظر : الجملة العربية والمعنى : ١٨١، الجملة العربية، تأليفها وأقسامها : ٢٨.

(٢) البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٤١٥.

(٣) البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٤١٧.

(٤) المكان نفسه.

ومما يُلحظ في تلك الالفاظِ الجامعةِ لمعانٍ كلية أنها ترتقي في أسلوبِ الجمعِ ذروة تحقيق الدلالات المطلوبة سواءٌ كانت تلك الدلالات على سبيل الحقيقة أو على سبيل المجاز، أو على سبيل تعزيزِ غرضٍ بلاغيٍ مُعين، وفي كل تلك الأحوالِ فإن وظيفةَ المعاني الأولى هي التأثير في المتلقي وإثارةِ أحاسيسهِ ومشاعرِهِ، ولفت الذهن إلى ما هو مبتغَى من الكلام وهو تحقيق الحكم الجامع، وعلى هذا الأساس فالجمعُ في حقيقتهِ هو تعدادٌ لأقسام الشيءِ والجمعُ بينها وفقاً لما يقتضيه المعنى، أي أن المقرر في هذا اللون البلاغي هو التعاملُ مع الألفاظ أو المعاني على أنها وحدة أو مجموع وحدات تضم تعداداً وتنوعاً فيكون القصدُ إبرازُ التعدد في الوحدةِ، أو كشفِ وحدة المتعدد[1].

وتتجلى علاقةُ الإضافة – المتكافئة– وهي علاقةٌ دلالية ((قابلة للتطبيقِ على مختلفِ اللغات))[2] في أسلوبِ (الجمعِ) أحياناً؛ لأن فيهِ جمعاً بين شيئين أو أشياء في حُكمٍ واحدٍ، كقولهِ تعالى : ﴿ ✂︎🙰🙵🙷☺︎⌧✆✌︎⬉

❒◆✂︎🙰🙵🙷⍓◆☪︎⬉❒♌︎◆ ♏︎❸☪︎◆❒➔
☎︎ ✂︎🙰🙵🙷❾❻☼⬀❶◆🙰 ✂︎🙰🙵🙷⍓◆⌧❿◆❒🗐❒⌀
❒◆✂︎🙰🙵🙷⍓⌨︎◆🕗🕓☽⬖❿◆🕗*💣➔ ✂︎🙰🙵🙷🕗🕓❍🕗⬛︎⬉⍓⌧🕗*💣➔
⌘⌧❷⬀❸➘ ⬉⍣☪︎❾⌧ ❻◆🖃■⬉⌨︎⌧ 🏱❒❒◆✂︎🖃ॐ🙵
❒◆⌘⌧❷⬀❸➘ 🕮❒✍︎◆⌧⌖ ﴾ [الكهف:٤٦].

من المظاهر الأسلوبيةِ التي شكّلت مُثيراً بارزاً في الآيةِ أسلوب (الجمع)، فقد جاء سياق الآية مُعبراً عن نعم الله تعالى في الدنيا والآخرة حينَ جمعَ القولَ بين لفظتي (المالُ) و(البنون) وهما زينةُ الحياةِ الدنيا، وما يُقابلها في الدلالة وهي (الباقياتُ الصالحات)،[3] وهي خيرٌ وأبقى في الآخرة، أي ما يتعلّق بها من الثوابِ وما يتعلقُ بها من الأملِ، لأن صاحبها يأمل في الدنيا ثوابَ اللهِ، ويصيبهُ في الآخرة أجرهُ.

---

(١) ينظر : البديع وفنونه : ١٣١.

(٢) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١٤٧.

(٣) فسرَّ الزمخشري (الباقيات الصالحات) بأنها أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للإنسان، وتفنى عنه كل ما تطمح نفسه من حظوظ الدنيا، وقيل : هي الصلوات الخمس، وقيل : هي سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ الله والله أكبر، وكل ما أُريد به وجه الله تعالى، ينظر : الكشّاف : ٧٠/٣، ووافقه السيوطي في ذلك، ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ١٩٩/٢.

يُلمح في تركيب الآية ظاهرةُ التكرار في (المسند)، ويبدو هذا التكرار أكثر وأدقّ وضوحاً لو فُكَّ الجمعُ الوارد في التركيب بين الألفاظ : أي أننا نقول : المالُ زينةُ الحياة الدنيا، والبنون زينةُ الحياة الدنيا، مما يؤكد حقيقة الجمع التي قادت إلى الإيجاز في الألفاظ وإثراء المعاني، زيادةً على ارتكاز هذا التعبير على دراسةِ المقاطع وتشكيلها في المقارنة بين المتقابلات المعنوية، فالمقابلةُ تضعُ أمام العقل طرفين :

الطرف الأول : الدنيا بزخرفها وتعلق الإنسان بها، ونهايتها المحزنة لأهلها.

والطرفُ الثاني : العمل الصالح المؤدي إلى رضوانِ الله تعالى.

فالطرف الأول يتشكل من خمسة عشر مقطعاً، يُقابلهُ خمسة وعشرون مقطعاً في الطرف الثاني، والفرقُ بين الطرفين ملحوظُ بالتمثيل الآتي :

المالُ والبنون زينة الحياة الدنيا ← والباقياتُ الصالحاتُ خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ أملاً

الطرف الأول ← (مقابل) الطرف الثاني

↓

الزينة في الدنيا ← (مقابل) جزيل النعم في الآخرة

ويلاحظ التمركز في الشكل المقطعي في العبارة الثانية أي قوله تعالى: ﴿❐◆✃✍⑩⌨⧫⚪◑⯑◆⑩🕒⚫➔

✃✍⑩🕒⚪🕒⧫⬥⯑🕒⚫➔ ⌘⓶⬀⓷➘ ⬉🙰☪⑨⬔
⓺◆⬔■⯑⌨⬔ ⚐❐❐◆✃⬔ॐ✍ ❐◆⌘⓶⬀⓷➘

🕮❐✎⧫⊠⯁﴾، فنقطة الإرتكاز هي قوله تعالى: ﴿⬉🙰☪⑨⬔

⓺◆⬔■⯑⌨⬔ ⚐❐❐◆✃⬔ॐ✍﴾، وقد تتابعت المقاطع القصيرة لتشكلُ عنصر جذبٍ وانتباهٍ، إذ تشكل هذهِ النقطة مركزية المعادل الموضوعي للجمعِ بين الطرفين على أساس معياري هو قوله تعالى : ﴿⬉🙰☪⑨⬔

⓺◆⬔■⯑⌨⬔﴾.

وقد آثر التعبير القرآني هنا ظاهرةُ التقديمِ للترتيبِ، وذلك لرابطٍ نفسي يتمثل في علاقةِ الثوابِ بالأملِ، فمن المعلومِ أن الشعور بالأمل لهُ سببان يتقدمانه، فالتقدم بالخيرِ والحسنات والأعمالِ الصالحة في وصفها الله تعالى بالباقياتِ الصالحات حيث يبرز تقديمُ الصفة التي تتعلق بها نفس المؤمن أن تبقى حسناتهِ بل وتزيد، وبما أن الثوابُ هو أساسُ العملِ، فمراعاةً للسياق تقدم الثوابُ على الأملِ، فالعمل الحسن الصالح الذي يسعى الإنسانُ إلى الوصولِ إليهِ هو الذي أشارت إليه الآيات في أوائل سورة الكهفِ في قولهِ تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [الكهف:٧]، وقوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [الكهف: ٤٤].

ويؤكد بأنَّ ما عندَ الله من خير الثوابِ، وخير العاقبة مرتبطٌ بحُسُنِ العملِ والأملِ، بأسم التفضيل (خيرٌ) المؤكد لهذا الربط في المعنى، ويَعَمدُ التعبير القرآني في هذهِ الآيات إلى الإيجاز وتمكين علاقاتِ الإضافة والتكافؤ في أسلوبِ الجمعِ بين الالفاظ تحقيقاً لدلالاتٍ أعمق وأشمل.

ومن نعم الله التي سخّرها لعبادهِ، الأنعام وما فيها من منافع لا تنتهي مهما أمتد الزمان وتقدم الإنسان وتطور، وخَلْقُ هذه الأنعام وتكاثرها آيةٌ من آيات اللهِ ودلائل قدرته، وتذليلها وتسخيرها للإنسان نعمةٌ من نعم الله الكبيرة، لذلك وَرّدَ ذكرُها في آيات كثيرة، من ذلك قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [غافر: ٧٩ – ٨٠].

يظهر أثر المظهر البديعي في أسلوبِ الجمعِ بين السفرِ بالإبلِ، والسفر بالفُلك وهو ((جمعٌ لطيفٌ، فالإبلُ سفائنُ البرِّ))[1]، فمن المظاهر اللافتة للنظر في سياق الآية العدول عن قوله تعالى : ﴿❐◆⇱⧫✍■❼ ✁⌫⌦⧫⬄✇⧫➔⧫⌧⬄ ﴾ حين تبرز تجليات الدلالة الايحائية في العدول السياقي في أسلوبي المزاوجة[2] والمشاكلة مع الجار والمجرور (عليها)، زيادةً على تكرارِ حرف الجر (على) اختصاصاً بلفظِ (الفُلكِ)، وتأكيداً على خصوصيتها بالذكرِ، فكان حرف الجر (عليها) مرتبطاً مع لفظِ (الفُلك) كالتوطئهِ لها[3]، وللدلالةِ على معنى الاستعلاءِ ((لأن الفُلكَ وعاءٌ لمن يكون فيها حمولةٌ لهُ يستعليها))[4] أي أن معنى قولهِ ﴿❐◆⬊⧫■❿⬄♑⌸⌦ ❐◆⇱⧫✍■❼ ✁⌫⌦⧫⬄✇⧫➔⧫⌧⬄ ✌⬆⧫⬄☺⌸⧫➔❑♍☜﴾ وعلى الأنعام وحدّها لا تحملون، ولكن عليها وعلى الفلك في البرِّ والبحرِ.

وفي الآية يظهر أثرُ أسلوب تقديم المجرورات واضحاً؛ لأن سياق التعبير يقتضي تقديم الجار والمجرور في قولهِ : ﴿❐◆✌⬧❁⬂⬀&❑⌦ ⧫➔⧫⬈⬧⧫⬈⬧⧫✍﴾ وفي قولهِ ﴿❐◆⬄⬈⬇⬈⬈☠⬇ ⬅⓿♑⌸⌦﴾، وقوله : ﴿❐◆⇱⧫✍■❼ ✁⌫⌦⧫⬄✇⧫➔⧫⌧⬄﴾، فالمقام يقتضي ذلك التقديمِ لمجيءِ الخبرِ على سبيل الإجمالِ، أعقبهُ التفضيل بذكرِ الأهمِ والأغلب من المنافعِ وذلك في قولِهِ تعالى : ﴿⬄⬅☝⧫❸⬃⬅❑⬅❑✁☎ ⬅⬅❑⬅❑⬅⬅ ❐◆⬅❑⬅❑⬅⬅ ⬅⬅⬅⬅❑➔⧫⬅❑♍☜﴾ أي : لتركبوا منها بعضاً، ومن بعضها تأكلون فحذف إستغناءً بدلالة الكلامِ على ما

(١) سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية : ٩٨.

(٢) المزاوجة : يقال ازدوج الكلام وتزاوج : أشبه بعضه بعضاً في السجع أو الوزن، والمزاوجة والازدواج بمعنى، ينظر : لسان العرب : مادة (زوج)، وفي الاصطلاح معناه أن يزواج بين معنيين في الشرط والجزاء، ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ١٤١/٢.

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٤ / ٢١٧.

(٤) الكشّاف : ٤ / ٩٩.

حُذف[1]، (فمنها) الأولى دالةٌ على التبعيض؛ لأن المذكور ليس كُلّ الأنعامِ؛ بل ((الإبل الخاصة))[2]، أما (منها) الثانية فهي لبيان الجنس؛ لأن الجميعَ منها يؤكل.

ومما يُلحظ أيضاً تقديمُ الركوبِ على الأكل؛ ((لأن أكل لحوم الأنعام يأتي بالمرتبةِ الثانية))[3]. وقد روعيت الفاصلة القرآنية زيادةً على ما مرّ تفصيلهُ إنسجاماً مع السياق القرآني المقصود، تنشطياً للسامعِ، وتفنُناً في الكلامِ، واتساقاً مع المعاني الموجزة والبديعة.

لقد أثرى البناء الفني لهذه الآياتِ الصيغَ والتراكيب بدلالاتٍ معبّرة أدقَ تعبيرٍ عن نعم اللهِ تعالى على الإنسانِ، وتسخير مخلوقاتهِ جميعاً لخدمتهِ، فكيفَ بأولي الألباب والابصار انكار تلك النعم أو جحودها ؟ وكيف لهم أن يُقابلوا ذلك بالشكر والامتنان ؟

ويعرضُ النظم القرآني نموذجاً آخر للجمعِ في الحُكم بين الأشياء في قوله تعالى : ﴿③◆⑪☸❄︎⑨❐☙&❐✍ ✂✍✒⅄♁✍⇦×◆ ⬈◆✂☝◆✡⬉❐☑✂☎ ◐✍✡☸☺⍂✍ ✂✍⌨⍂③⬧☺⇧⓶⬉ ❐◆✂✍☯⍂☺⍂⑩⍂○⬁③← ❐◆✂✍❀☞✡⑪✿✍☢⊃ ❐◆✂✍❀☞♾⍂☯⬧⑪☠⬉ ⑥☞♉⇧▪☞ ✍♓☞⍟⇧⬉◆☺⍂✍☝ ✂✍☯⊕⊙⓿⍂⊃⬧⑪♊⬁ ⬧▫✍✍♉⇧✌◆♈☞⌨←❐■← ☯⬧→❐⍂⊞⍂☞⬨❐✦▤⬈☠⬁✍ →⍂☯⬧←❐♌◆﴾ [المائدة: ٩٠].

جُمعت الأصنافُ المتعددة وهي (الخمرُ، والميسر، والأنصابُ، والأزلام) في حُكمٍ واحدٍ ليشمل دلالةَ الرجسّ، وهذا الرجسُّ رِجساً معنوياً؛ لكونِ الله تعالى أمرَ المؤمنين باجتنابها جميعاً[4]. فقد ذكرت كتب التفاسير ومعاجم ألفاظ القرآن ما تضمنته دلالات الألفاظ المجموعة في حُكمٍ واحدٍ؛ لأن الخمرُ في أصلِ اللغةِ سترُ الشيءِ، وسُمّيت بذلك لكونها خامرةٍ لمَقرِّ العقلِ، وهي عند بعضِ الناسِ اسمٌ لكُلِّ

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٨٣/١٢ و٣٨٥/١٨.

(٢) الكشّاف : ٤ / ٩٨.

(٣) سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية : ٩٨.

(٤) ينظر : البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٤١٨.

مسُكرٍ، وعند بعضهم اسم للمتَخَذِ من التمرِ والعنب لقولهِ ﷺ : ((الخمرُ من هاتين الشجرتين النخلةِ والعِنَبة))(١).

أما المَيْسرُ فهو اللعب بالورقِ، ومنه (لعبُ الميسر) والقمار والقْمر إذ ((لا مباينة بين من عَبَدَ صنماً وأشركَ باللهِ في علم الغيبِ وبين من شرِبَ خمراً أو قَامَرَ))(٢)، أما دلالة الانصابِ فاللغويةُ من نَصْبُ الشيءِ وضعهُ وضعاً ناتئاً، والنصيبُ : الحجارةُ تُنصَبُ على الشيء، وجمعهُ أنصابٌ ونُصْبٌ ونصائب، وكان للعرب حجارة تعبُدها وتذبحُ عليها(٣)، أما الأزلامُ فقد جاء معناها في معاجم اللغةِ بمعنى القِداح إذ قيل : ((الزَّلمُ وجمعهُ أزلام وهي القِداح التي لا ريشَ لها، كانت العربُ تستقسم بها عند الأمور إذ همَّ بها أحدهم مكتوبٌ عليها أفعل لا تفعل))(٤).

أما معناها الاصطلاحي فقد ذكر المفسرون أن لها معانيَ عّدة منها القداح التي يقسمون بها ويضربونها إذا أرادوا السفرَ أو الغزو أو التزويج وغير ذلك، ومنها معنى : الحصى البيض التي كانوا يضربون بها، وأقربها إلى المفهومِ الشاملِ هي أنها ((الشطرنج أو كعاب فارس التي يقمرون بها وسهام العرب))(٥) التي يقتضي اجتنابها مطلقاً.

لقد حقق التعبيرُ بالجمع دلالة التأكيد على تحريم تلك الأصنافِ مجتمعة أو مفردةً بدليلِ تصدير الجملةِ بـ (إنّما)، ومنها أنه قَرَنَ لفظتي (الخمر) و(الميسر) بعبادةِ الأصنامِ، وجعلهما رِجْساً، والرّجْسُ : القذر المؤدي إلى العذابِ؛ لذا فقد نهى الله تعالى عنهما آمراً بالاجتنابِ، زيادةً على اقترانهما بعملِ الشيطان، والشيطانُ لا يأتي منه إلاَّ الشرَّ البحت، وقد ذَّكر الله تعالى خاصاً بالذكر الذين آمنوا أن ما ينتجُ

(١) المفردات في غريب القرآن : ١٦٥، والحديث صحيح، أورده السيوطي في الجامع الصغير، عن أبي هريرة ﷺ، ينظر : الجامع الصغير، حديث رقم (٤١٤٣) : ٢٥٢/٢.

(٢) الكشّاف : ٢ / ٦٠.

(٣) المفردات في غريب القرآن : ٤٩٦.

(٤) كتاب العين، ولسان العرب، والقاموس المحيط : مادة (زَلَمَ).

(٥) التفسير الكبير : ١٣٨/١١، وروح المعاني : ٥٨/٦، وأضواء البيان : ١٥٤/٢، ومعجم ألفاظ القرآن، دراسة لغوية تفسيرية : ٤١.

عنها هو الوبالُ ووقوع التعادي والتباغض والتي هي سببٌ في الصدِّ عن ذكرِ اللهِ وعن مراعاة أوقاتِ الصلاةِ.

وعِلَّةُ جمعِ هذهِ الأوصافِ في حُكمٍ واحدٍ جاء تعليلاً لأنّها خطاباً للمؤمنين ((فقد جَمَعَ الخمرَ والميسر مع الآنصابِ والأزلامِ ثم أفردهما آخراً))[1]، ففي سياق الآية نهيٌ واضحٌ عن ما كانوا يتعاطونهُ من شُربِ الخمرِ واللعبِ بالميسر، ثم جاء التأكيد بعدها بذكر الأنصابِ والأزلام والحثِّ على وجوبِ تحريمِ كل ذلك، وإظهارِ أن هذه الأوصاف جميعاً من أعمالِ الجاهليةِ وأهلِ الشركِ، أما الإفرادُ فيها؛ فلعلّةِ التأكيد على أن المقصودَ بالذكرِ الخمرُ والميسر[2]، فحكم عليها بأنها رجسٌ من عَمَلِ الشيطان.

وفي سورةِ الرحمن يظهر أثر الجمعِ في قولهِ تعالى :

﴿ ✂︎⬥︎❑︎⬧︎✂︎⬥︎❑︎ ←▪⇧☺⊙⌖ ⬉❷⊠☺⬧☽⬂ ⬉☠⇧☓☐☪ ⬘⧄⬀ ▤⧄◆⌨⬄○⬅◆⏲▤ ⬉❷⊠☓⊙⌖ ④☐○⬄☓→⑨⊠✂ ﴾ [الرحمن: ٥ – ٦].

فجمَعَ سبحانه وتعالى بين الشمسِ والقمرِ في حُكمٍ واحدٍ وهو الحسبان أي : الحسابُ الدقيق والمعلوم، لأنهما آيتان من آيات الله تجريان بنظامٍ معلومٍ وتوقيتٍ دقيقٍ، ويتخدها الناسُ علامةً على الأيامِ والشهور والسنين والحساب، أما حُكم الجمع الثاني في هذا التعبير فيُلحظ في جمعهِ بين لفظتي (النجمِ) و(الشجرِ) وحكمهُما هو السجودُ أي : الانقياد لإرادةِ اللهِ سُبحانه وتعالى، والنجمُ : النبات الذي لا ساق لهُ.

ثانياً : أُسلوبية الجمع وعللهِ المنطقية :

تتضحُ بلاغةُ أسلوبِ الجمعِ في ما يؤديهِ من ترتيبٍ منتظم للافكارِ وانساقها في حُكمٍ جامعٍ، وإصابةُ الغرضِ المقصودِ من إجتماعِ أشياءَ في حكم واحدٍ، مما يُدل على دقةِ ملاحظةِ الأديب، فيتميزُ الأسلوب بالإيجاز، والبلاغة الإيجاز زيادةً على ما ينطوي عليهِ من دليلٍ وبرهانٍ على إتفاقِ الأشياءِ المتعددة في حُكمٍ يجمعهما، فإذا

---

(١) الكشّاف : ٦٠/٢.

(٢) ينظر : الكشّاف : ٦٠/٢.

تأملنا قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [البينة:٦].

نجد أن هذهِ الآيةِ أستهلت بالتوكيد بـ (إنَّ) بياناً لحالِ الكافرين من أهلِ الكتاب والمشركين ومآلهم إلى نار جهنم خالدين فيها، فقد جَمَعَ الله سبحانهُ بين أهلِ الكتابِ والمشركين في حُكمٍ واحدٍ وهو الخلودُ في نار جهنم، وتعليلُ الجمع يعود إلى ((أنهم كانوا على علمٍ بهِ لوجودهِ في كتبهم، فإذا وُصفوا بالتفرقِ عنهُ كان من لا كتابَ لهُ أدخل في هذا الوصفِ))[1]، في حين نلحظ إفرادَ أهل الكتابِ في قولهِ تعالى: ﴿[illegible]﴾ [البينة:٤]. لوصفهم بالتفرقِ بعد الإجماعِ على الكتابِ، فالجمعُ بين الأشياء في حكم واحدٍ يُحدثُ لوناً من التقابل الأسلوبي والذي يُضفي على التعبير حُسناً زائداً لما يؤديه من دلالات إيحائية مترابطة بأسلوبِ الإيجاز البديعي، ولو جُعل لكُلّ شيء من هذهِ الأشياء حُكم على حدّة؛ لطال الكلام وخَرَج عن حدِّ الاعتدال، وفي الجمع إثارةٌ للفكر وتشويقٌ للنفس، فإذا ذُكرت الأشياءالمتعددة تلو بعضها دون بيانِ حُكمٍ لها يجعل النفس تتشوقُ لذلك الحكم زيادة على إيجاد علةٍ منطقية لمجيء الحكم، فيبعث العقل على التفكير في تصور كنههِ، فإذا جاء بعد ذلك دَخَل على النفسِ وهي في شوقٍ إليه فتمكّن منها فَضَل تمكنٍ.

وكُلّما كثرت الأشياء التي يُراد جمعها في حُكمٍ واحدٍ كلما زادَ ذلك من تشويق المتلقي وإثارةِ أفكارهِ، وضاعف من لهفتهِ على معرفةِ الحكم، وهذا يدفعهُ إلى الإنفعالِ بالموضوعِ والتفاعلِ مع الأسلوبِ، والوقوعِ على المراد من المعنى.

تأمل قوله تعالى: ﴿[illegible]

(١) الكشّاف : ٤ / ٦١٩.

☎ ✍✂☯♉🕒◆❒⬂♏❑🕮 ☝🏱🕒⌧➔⬃☼☞❀✍✂
❝▪⬂⑩♦♌◉ 🗐 ♎❍⑩♎▫ ⬀☠➚✍🗋➚♦◆❻⬁⓿♦③
◆❒➔♎◆❒ ☎ ⌧➚⇦⑥⌧★ 🕘♎❍♎🖬⬃✦♎☺⌧🗋
✂✍◉♌❍❍☺♎⑩➚← ✂✍◉♌⬂⌨♦🕒⬀❷❸← ﴾[الشورى: ١١].

وصورُ الجمعِ في القرآنِ الكريم كثيرة، يبرز فيها أثر الجمعِ واضحاً من خلال بنية التوالي والتتابع المنطقي المترابط بين هيئات الأشياء وأشكالها، وصورها وأجناسها، فهي تضفي جواً نفسياً يجذب السامع للترقبِ والإصغاءِ متأملاً في الحكم الجامعِ الذي طالما تعلقت النفس بهِ لاستحصال المعرفةِ والفائدةِ المرجوة.

ففي الآية الكريمة تجتمعُ نعمةُ خلقِ الأزواجِ من الناس ومن الانعام ((وهي صورةٌ أرضية يتمثلها الأنسان بشكلٍ محسوسٍ ويتدبرُ فيها، فخلقُ الإنسانِ والأنعامِ من أعجبِ أحوالِ خلقِ الأرضِ))[١].

فسياق التعبير يقوم على تعداد نعم الله تعالى على خلقهِ، منها نعمةُ خلقِ الأزواجِ وقد جمع ذلك في خيرٍ واحدٍ وهو الإنسانُ والحيوان ومن اللافت للنظر أن لفظ أنفسكم الدالةِ على الإنسانِ تقدّمت بالذكر على لفظِ (الأنعام) تكريماً وإعلاءً لمنزلة بني آدم على غيرهِ من المخلوقات وأنها مُسخَّرةٌ لهُ، في الوقت الذي نلمحُ فيه أيضاً أن الخطابَ للجميعِ مع تغليب المخاطب على الغائبِ والعقلاء على غيرهم في قوله تعالى: ﴿③♦⓿⬁❻◆♦➚🗋✍➚☠⬀ ▫♎⑩❍♎﴾، وتغليب العقلاء على غيرهم في الجار والمجرور (لكم) والذي يختص بالعقلاءِ.

لقد أفادت صيغة الفعل المضارع دلالة التجدد وهو ما يناسب سياقَ الامتنان، والمعنى يكثركم، وهو من (الذرءِ) أي البثِ[٢]، وقيل أنها الخلق[٣].

وقد ارتبط هذا الفعل بحرف الجر (في) أي : في بُطونِ أُمهاتِكم أو أرحامهن دلالةً على معنى السببية ((تشبيهاً للسبب بالظرفِ في احتوائهِ على مسبباتهِ كاحتواء المنبع على مائهِ))[٤].

(١) سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية : ٨٢.

(٢) كتاب العين : مادة (ذرأ)، واللسان : مادة (ذرأ)، والقاموس المحيط : مادة (ذرأ).

(٣) معجم الفاظ القرآن، دراسة لغوية تفسيرية : ٢٤٨.

(٤) التحرير والتنوير : ٢٥ / ٤٥.

فالجمع بين الأزواج من الإنسانِ والأنعامِ دليلٌ من دلائلِ قدرة الله العظيمة، أوحت بأثر الأسلوبي بالتأمل في شؤون الخلقِ وقدرة الخالقِ، زيادة على ما في التعبير من تلائم وتكافؤٍ بين الألفاظِ ودلالالتها المقصودة إذ إن لكل مقام مقال.

ومثله قوله تعالى : ﴿♎⍓⊠⓿⏲☒✂ ✇♦⏲✾⏲✱✪⇗❸🡐 ♒❐⬥♏⚐❐❑☸⍓☐⇘ ❐♦♎⬥➔⑨✡❽ ❐♦⬥❻⬥❍⇕☺⍓❐⊀ ♒♏⬧⇓❐⬧♏✈▯ ❸⇖❐⚠♓⇖☸♏❐⇖♍♓⬧♏♎﴾ [الجاثية: ٢٠].

من أروعِ ما وصف به القرآن الكريم أنه دستورٌ للبشرية جمعاء فيه تفصيلٌ وتنظيمٌ، فهو هُدىً للناسِ وبيّناتٍ من الهُدى والفرقان، والمتدبر يلحظ في القرآن الكريم تكرر وصفهِ بالهدى في مواضع عديدة، ففي سياق سورةِ الجاثية جَمَعَ التعبير القرآني أوصافاً لهذا الكتابِ هي (بصائِرُ) و(هُدًى) و(رحمةً)، حين يبتدأ النظمُ باسم الإشارةِ (هذا)، دالاً على حضور القرآن في الأذهانِ أولاً، وسبق ذكرهِ في سورهِ بصفاتٍ كثيرة، زيادةً على أن الإشارةِ إليهِ وإعادةِ وصفهِ بـ (الهُدى) تنويهٌ بشأنهِ ومتبعيهِ، وتعريضٌ بمن أعرضِ عنهُ(١).

لقد أدت كُلّ صفةٍ من صفاتِ القرآن في هذا الموضعِ دلالةً توحي بنظم إعجازهِ وبديع مفرداتهِ وتلاؤمها مع السياقِ والمعنى الذي تَعَمدَ إليهِ القرآنُ، كما أضفى الجمع المتناسق للأوصاف القرآنية عُنصر التشويقِ والترقّبِ لمعرفةِ الحُكم الواقعِ على المجتمعاتِ معاً وهو شمولية القرآن بالنور والهداية، فقد تمكّن من النفسِ لتوافقهِ مع ما تطمحُ إليهِ وقوعاً على المطلوب، وهو الدقة في إختيار التراكيب وأداء المعاني.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿◗⍓♌❐

✂⬧♏⍓⬧☺🡐❍⬄⍈☺⍓♎✓▫♒
❐◆✂⬧♏⍓⬧☺🡐❍⬄⍈☺⍓⌧⏲✱♎
❐◆✂⬧♏⍓⬧☺🡐⬧⬀✌♎⍈♎✓▫♒
❐◆✂⬧♏⍓⬧☺🡐⬧⬀✌♎✡❐⏲✱♎
❐◆✂⬧♏⍓⬧◗⬧⏲⍈♎☝♎✓✖◆
❐◆✂⬧♏⍓⬧◗⬧⏲⍈♎☞◆⏲✱♎
❐◆✂⬧♏⍓⏲⭘⏲⑨♎⍝♎✓✖◆ ❐◆✂⬧♏⍓⏲⭘⏲⑨♎⍝⬧⏲✱♎
❐◆✂⬧♏⍓⏲⭘⏲⍓✐❸⍓⇦✖◆
❐◆✂⬧♏⍓⏲⭘⏲⍓✐❸◆⏲☠♎

(١) ينظر : سور الحواميم دراسة بلاغية تحليلية : ٦٥.

[الأحزاب:٣٥].

وقوله تعالى :

[البقرة:١٦٤].

تأمل ما في قوله تعالى

[التغابن:١٥].

لقد جمعت الآيات وجوهاً وصفاتٍ وهيئات متعددة لو فُصلت عن بعضها لاختل النسق القرآني البديع، ولو عَدَل عن أي لفظٍ منها إلى غيرهِ لما أوحى بالدلالة المطلوبة في السياق القرآني، فقد ربط الجمعُ أسلوبَ الكلامِ من خلالِ تقويةِ العلاقةِ بين المفردات وتناسبها وتعلقها بالحُكمِ الذي جُمعت فيه، ولا يمكن فصلها بأي حالٍ من الأحوالِ ومن هُنا يمكننا أن نُخلص القولَ إن بلاغة أسلوبِ الجمع بين المتعدداتِ تبرز من خلالِ تنميةِ التشكيلات البلاغية في حُكمٍ واحدٍ يُثمر بالدلالات

الناطقة التي تُفسر المطلوب بدقةٍ وإعجازٍ ونظامٍ بديعي لهُ خصائصهُ وأدواتهُ الكاشفة عن الأثر الأسلوبي في النص القرآني.

وكذا الحال لو دققنا النظر في قوله تعالى : ﴿ … ﴾ [آل عمران: ١٤].

أروعُ ما يتجلى في هذا التعبير أسلوبُ الجمعِ بين شهواتِ الدنيا التي أحصاها الله تبارك وتعالى لمعرفتهِ جلت قُدرتهُ بالنفس البشرية وما جُلبت عليهِ، ذلك الجمعُ الواضح أثرهُ في إثراء المعنى الدلالي للآية فالشهوات متعددة، وقد وصفها الله –عزَّ وجلّ– بأنها متاع الحياة الدنيا إلاَّ أنه نفضلَّ ما عندَ الله فهو خير وأبقى ثواباً وأجراً.

قد حقق المظهر البديعي المتمثل بجمعِ المتعدداتِ علاقاتٍ دلالية قائمة على ذكر المُجملِ ثم تفصيلهِ وهذا آكد للمعاني المرادة من النصِ بجعلها أقوى سبكاً وأثرى دلالةً لتفاعلها مع مجريات السياق وفقاً لنمطٍ بلاغي وجِّهَ بحسب أسلوبِ المتلقي وفي محيط إدراكهِ للمعنى أو ما يدور حولهُ من معانٍ مقصودة.

المبحث الثاني : أسلوب الجَـمْـعُ :

أولاً – مفهوم الجَمْع في اللغة والاصطلاح :

الجَمعُ لغةً : مصدر قولك جمعتُ الشَّيء، أي : ((جعلته جميعاً فبقي جميعاً ولم يكد يتفرق، يُقال : جمعت أمري إذ جعلته جميعاً كالراي المعزوم عليهِ المُمضي))[١]، ومنه قوله تعالى : ﴿▫♦🕯❐♎⬂☟✍➔⬉❑☑✁☎ 🕮❐👌⬂❹❀📫➚☠⬀ ❐◆⌖➔❸◆📫⌧🔔✎➚◆📫➚☠⬀﴾ [يونس : ٧١]، ذكر الجاحظُ في كتابهِ (الحيوان) قول خلف الأحمر في الجمعِ : ((لم أرَ أجمعَ من بيتٍ لامرئِ القيس))[٢] وهو قولهُ[٣] :

أفادَ فجادَ وسَادَ فزَادَ وَقَادَ فَذَادَ وَ عَادَ فأَفضلْ

وأدرجَ السكاكي الجمعَ في المحسنات المعنوية فقال : ((هو أن تُدخِلَ شيئين فصاعِداً في نوعٍ واحدٍ))[٤]. في الوقت الذي ذكره ابن رشيق القيرواني بعد باب التقسيم قائلاً : ((هذا وما قبلهُ يُسمى جمع الأوصافِ، وسمّاه بعض الحُذَّاق من أهلِ الصنَّاعةِ (التعقيب)))[٥]، وقد أدرجهُ العسكري في بابِ جمع المؤتلف والمختلفِ مُراداً بهِ : ((أن يجمعَ في كلامٍ قصيرٍ أشياء كثيرة مختلفة أو متفقة))[٦].

ومن ذلك يمكن القول إنّ مصطلح الجمعِ من المصطلحات البديعية التي كثر الإختلاف فيها، نتيجة أختلاف أقوالِ المؤلفين، إذ عبروا عنه في بعضِ المؤلفاتِ بعبارتٍ وأمثلةٍ غير سديدة[٧]، فقد عَبَّرَ السبكي[٨] عن وجهةِ نظرهِ التي يرى فيها أن بداعةَ الجمعِ مشروطةٌ بالإخبارِ عن المتعدداتِ بمُفردٍ يصدقُ على الجميع؛ بوصفه

---

(١) لسان العرب : مادة (جَمَعَ).

(٢) الحيوان : ٥٣/٣.

(٣) ينظر : ديوان امرئ القيس : ١٥١.

(٤) مفتاح العلوم : ٥٣٥.

(٥) العمدة : ٢ / ٢٥.

(٦) كتاب الصناعتين : ٣٦٧.

(٧) ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٢ / ٤١٠.

(٨) ينظر : عروس الأفراح : ٤ / ٢٢٥.

مصدراً نحو قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [الكهف:٤٦]. جاعلاً على شرطهِ لفظة (زينةُ) خبراً مُفرداً للجمعِ بين لفظ (المالُ) ولفظ (البنون) في الآية الكريمة، في حين أنه لا يشترط في الحكم الذي جُمع فيه بين الأشياء أن يقعَ خبراً عن المتعددِ[١].

والذي يتضح للبحث أن التعريف الاصطلاحي الجامعِ لمفهومِ (الجمع) هو ما أوردهُ باحثٌ معاصر تحت بابِ ((بدائع متجانسة حَولَ أحوالِ روابطِ المعاني ووجه اجتماعها وافتراقها وتقسيمها وتفرُّعِها))[٢]، وهو من أبرز التعريفات الحديثة وأدقها، يتناول في هذا البابِ الكلامَ ضمن اختياراتٍ بديعية تضم المعاني التالية :

الجمع، والتقسيم، والتفريق، الجمعُ مع والتقسيم، والجمع مع التفريق، والجمع مع التفريق والتقسيم، والتفريع.

وقد بيّن مُحدداً معالمَ كُلّ فنٍ من هذه الفنونِ بوضوحٍ، عارِضاً الحالاتِ، والأسلوب البديعي الذي يُحسن إختيارهُ في كل منها. وقد أطلق على فن (الجمع) في علم البديع مصطلح ((الجَمعُ في الحُكمِ))[٣]. وفسرَّ مفهومهُ تفسيراً منطقياً لا يتعارضُ مع مفهومهِ اللغوي حين قال : ((أن يجتمع مُعَيَّنَانِ أو صنفانِ أو نوعانِ أو جنسانِ أو أيُّ مختلفين فأكثر في حُكمٍ واحدٍ، وفي هذهِ الحالةِ يكون من الإيجاز من جهةٍ، ومن بديعِ الكلامِ من جهةٍ أُخرى، صياغةُ تعبيرٍ واحدٍ مختصر، تُذكر فيه المختلفات إما بإفرادها إذا كان كُلّ فردٍ فيها مُعيناً، وإما بلفظٍ كُليٍّ يجمعها إذا لم يكن للمتكلم غرضٌ في تعيين الأشخاص، أو كان الأفرادُ غير محصورين، وكان الغرضُ تعميمَ الحُكمِ على كُلِّ الأفرادِ))[٤]، فالمعاني تتواردُ على فكرِ المتكلمِ فيرى بينها

---

(١) ينظر : الجملة العربية والمعنى : ١٨١، الجملة العربية، تأليفها وأقسامها : ٢٨.

(٢) البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٤١٥.

(٣) المصدر نفسه : ٢ / ٤١٧.

(٤) المكان نفسه.

مفردات قضايا قابلة للجمع في قضيةٍ كليةٍ واحدة، فيدعوه الإيجاز والاقتصاد في التعبير إلى جمعها في قضيةٍ واحدةٍ وهذا مسلكٌ بديعٌ في جمعِ الأشباهِ والنظائرِ وإعطائها جميعاً حُكماً واحداً إذا كانت مشتركة فيهِ.

ومما يُلحظ في تلك الالفاظِ الجامعةِ لمعانٍ كلية أنها ترتقي في أسلوبِ الجمعِ ذروة تحقيق الدلالات المطلوبة سواءٌ كانت تلك الدلالات على سبيل الحقيقة أو على سبيل المجاز، أو على سبيل تعزيزِ غرضٍ بلاغيٍ مُعين، وفي كل تلك الأحوالِ فإن وظيفةَ المعاني الأولى هي التأثير في المتلقي وإثارةِ أحاسيسهِ ومشاعرهِ، ولفت الذهن إلى ما هو مبتغَى من الكلام وهو تحقيق الحكم الجامع، وعلى هذا الأساس فالجمعُ في حقيقتهِ هو تعدادٌ لأقسام الشيءِ والجمعُ بينها وفقاً لما يقتضيه المعنى، أي أن المقرر في هذا اللون البلاغي هو التعاملُ مع الألفاظ أو المعاني على أنها وحدة أو مجموع وحدات تضم تعداداً وتنوعاً فيكون القصدُ إبرازُ التعدد في الوحدةِ، أو كشفِ وحدة المتعدد[1].

وتتجلى علاقةُ الإضافة – المتكافئة– وهي علاقةٌ دلالية ((قابلة للتطبيقِ على مختلفِ اللغات))[2] في أسلوبِ (الجمعِ) أحياناً؛ لأن فيهِ جمعاً بين شيئين أو أشياء في حُكمٍ واحدٍ، كقولهِ تعالى : ﴿✂☞☜☺☐♒☜☞✌⇖

☐◆✂☞☜♒☐⬂⌛♦☪⇖☐♌♦ ❧♉☪☐◆➔
✂☞☜♒☐⬂♦⑩☐◆☐▤☐♉ ✂☞☜♒⑨⑥✡⬀⓿◆☞ ☎
☐◆✂☞☜♒⬂♦⑩⑩⓿◆⑩⓿⬀⓿♦➔ ✂☞☜♒⓿⓿⓿⑥⬀♦⓿⬀⓿♦➔
⌘☐❷⬀❸➘ ⬉⬂☪⑨☐ ⑥◆⬄■⬀⌨☐ ⚐☐☐◆✂⬄ॐ☞
☐◆⌘☐❷⬀❸➘ ☐☐✍♦☒⌖ ﴾ [الكهف:٤٦].

من المظاهر الأسلوبيةِ التي شكّلت مُثيراً بارزاً في الآيةِ أسلوب (الجمع)، فقد جاء سياق الآية مُعبراً عن نعم الله تعالى في الدنيا والآخرة حينَ جمعَ القولَ بين لفظتي (المالُ) و(البنون) وهما زينةُ الحياةِ الدنيا، وما يُقابلها في الدلالة وهي

---

(١) ينظر : البديع وفنونه : ١٣١.

(٢) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١٤٧.

(الباقياتُ الصالحات)،[1] وهي خيرٌ وأبقى في الآخرة، أي ما يتعلّق بها من الثوابِ وما يتعلقُ بها من الأملِ، لأن صاحبها يأمل في الدنيا ثوابَ اللهِ، ويصيبهُ في الآخرة أجرهُ.

يُلمح في تركيب الآية ظاهرةُ التكرار في (المسند)، ويبدو هذا التكرار أكثر وأدقّ وضوحاً لو فُكَّ الجمعُ الوارد في التركيب بين الألفاظ : أي أننا نقول : المالُ زينةُ الحياة الدنيا، والبنون زينةُ الحياة الدنيا، مما يؤكد حقيقة الجمع التي قادت إلى الإيجاز في الألفاظ وإثراء المعاني، زيادةً على ارتكاز هذا التعبير على دراسةِ المقاطع وتشكيلها في المقارنة بين المتقابلات المعنوية، فالمقابلةُ تضعُ أمام العقل طرفين :

الطرف الأول : الدنيا بزخرفها وتعلق الإنسان بها، ونهايتها المحزنة لأهلها.

والطرفُ الثاني : العمل الصالح المؤدي إلى رضوانِ الله تعالى.

فالطرف الأول يتشكل من خمسة عشر مقطعاً، يُقابلهُ خمسة وعشرون مقطعاً في الطرف الثاني، والفرقُ بين الطرفين ملحوظٌ بالتمثيل الآتي :

المالُ والبنون زينة الحياة الدنيا ← والباقياتُ الصالحاتُ خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ أملاً

الطرف الأول ← مقابل الطرف الثاني

↓

الزينة في الدنيا ← مقابل جزيل النعم في الآخرة

ويلاحظ التمركز في الشكل المقطعي في العبارة الثانية أي قوله تعالى: [illegible]

---

(١) فسرَّ الزمخشري (الباقيات الصالحات) بأنها أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للإنسان، وتفنى عنه كل ما تطمح نفسه من حظوظ الدنيا، وقيل : هي الصلوات الخمس، وقيل : هي سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاَّ الله والله أكبر، وكل ما أُريد به وجه الله تعالى، ينظر : الكشّاف : ٧٠/٣، ووافقه السيوطي في ذلك، ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ١٩٩/٢.

🕮□✍♦☒⌖﴾، فنقطة الإرتكاز هي قوله تعالى: ﴿⬉♉☪⑨⍓ 🕮□✍♦☒⌖⍓ ◆✂⌨📘☒ □🏳◆✂🕉✍﴾، وقد تتابعت المقاطع القصيرة
لتشكلُ عنصر جذبٍ وانتباهٍ، إذ تشكل هذهِ النقطة مركزية المعادل الموضوعي للجمعِ
بين الطرفين على أساس معياري هو قوله تعالى : ﴿⬉♉☪⑨⍓
⑥◆✂■♉⌨⍓﴾.

وقد آثر التعبير القرآني هنا ظاهرةُ التقديمِ للترتيبِ، وذلك لرابطٍ نفسي يتمثل في علاقةِ الثوابِ بالأملِ، فمن المعلومِ أن الشعور بالأمل لهُ سببان يتقدمانه، فالتقدم بالخيرِ والحسنات والأعمالِ الصالحة في وصفها الله تعالى بالباقياتِ الصالحات حيث يبرز تقديمُ الصفة التي تتعلق بها نفس المؤمن أن تبقى حسناتهِ بل وتزيد، وبما أن الثوابُ هو أساسُ العملِ، فمراعاةً للسياق تقدم الثوابُ على الأملِ، فالعمل الحسن الصالح الذي يسعى الإنسانُ إلى الوصولِ إليهِ هو الذي أشارت إليه الآيات في أوائل سورة الكهفِ في قولهِ تعالى : ﴿☽♉✡❋✍ ♉⍓➔⍓▫✡□✍ ✎♦✍
⬉♦✍■❼ ✂✍❀☞⑥⬀⬇✍ ⍓♉✡③□□☪ ▭⌗●□✍
⍓♉✡□⌨⬀□➔◆♎➔🏳⇔ 🕮□⑨☠☠⬃☠⬀ 🕮□○⇧○❁⫼←
⬉♦☺⍓☒⌖﴾ [الكهف:٧]، وقوله تعالى : ﴿♎➔☪◆✍⍓ ⌨⍓
✂✍⍓⍓□◆⍓○◆□➔ ✐★ ✂✍⍓⍓♦□⍓♎⬀ 🗐 ♎➔□◆
⌘⍓❷⬀❸⬊ □◆⌘⍓❷⬀❸⬉ 🏳□□◆✂✍🕉✍ ⬉⬉☽⍓⌛✡✍﴾
[الكهف: ٤٤].

ويؤكد بأنَّ ما عندَ الله من خير الثوابِ، وخير العاقبة مرتبطٌ بحُسُنِ العملِ والأملِ، بأسم التفضيل (خيرٌ) المؤكد لهذا الربط في المعنى، ويَعَمدُ التعبير القرآني في هذهِ الآيات إلى الإيجاز وتمكين علاقاتِ الإضافة والتكافؤ في أسلوبِ الجمعِ بين الالفاظ تحقيقاً لدلالاتٍ أعمق وأشمل.

ومن نعم الله التي سخّرها لعبادهِ، الأنعام وما فيها من منافع لا تنتهي مهما أمتد الزمان وتقدم الإنسان وتطور، وخَلْقُ هذه الأنعام وتكاثرها آيةٌ من آيات اللهِ ودلائل قدرته، وتذليلها وتسخيرها للإنسان نعمةٌ من نعم الله الكبيرة، لذلك وَرّدَ ذكرُها في آيات كثيرة، من ذلك قوله تعالى : ﴿✂✍✐✦ ✂✍✐⅄🔔⍓❽
♉➔⍓▦•⬉☠⬈▤• ✂✍❀☞✡⬀➔⍓⏲☠⌘

🙰□&🙯✍❁♋✌◆□ 🙰□&🙯✍❁♋✌ ☎✂□←🖮•🗎✍❸◆✋✌♋♑♎
🙰□⍓♑⓿♋▫ ✍☠➚🗏⬧♑♎◆□ ⯐♑♑⯑ ♒♍□➔🖬➚✍🕮▫♂⬧✍
☎✂□➚⬄➔🖬✍🖮♦☛♋♑♎◆□ ←➚♋▦⏲□✡◆✌
✍☠➔🗎✍⓿□←⑨←🕓 ❼♑× ☪□⍓♉🕭◆■ 🙰□&🙯✍❸■🖬◆⬊
⬉🖮▫🖬➔▦⬂♑♎🙰✂ ❼■✍◆⬉◆□ 🙰□⍓♑⬂⑩■🖬◆⬊◆□
✌◆⬆◆⬂☺⍓🖬□➔□♍♒ ﴿ [غافر: ٧٩ – ٨٠].

يظهر أثر المظهر البديعي في أسلوبِ الجمعِ بين السفرِ بالإبلِ، والسفر بالفُلك وهو ((جمعٌ لطيفٌ، فالإبلُ سفائنُ البرِّ))[1]، فمن المظاهر اللافتة للنظر في سياق الآية العدول عن قوله تعالى : ﴿□◆⬉◆✍■❼ ✂🙰♎♑⬂▦➔🖬▫🖮⬉﴾ حين تبرز تجليات الدلالة الايحائية في العدول السياقي في أسلوبي المزاوجة[2] والمشاكلة مع الجار والمجرور (عليها)، زيادةً على تكرارِ حرف الجر (على) اختصاصاً بلفظِ (الفُلكِ)، وتأكيداً على خصوصيتها بالذكرِ، فكان حرف الجر (عليها) مرتبطاً مع لفظِ (الفُلك) كالتوطئهِ لها[3]، وللدلالةِ على معنى الاستعلاءِ ((لأن الفُلكَ وعاءٌ لمن يكون فيها حمولةٌ لهُ يستعليها))[4] أي أن معنى قولهِ ﴿□◆⬊◆🖬■⑩⬂♑⍓□🙰 ❼■✍◆⬉◆□ ✂🙰♎♑⬂▦➔🖬▫🖮⬉ ✌◆⬆◆⬂☺⍓🖬□➔□♍♒﴾ وعلى الأنعام وحدّها لا تحملون، ولكن عليها وعلى الفلك في البرِّ والبحرِ.

وفي الآية يظهر أثرُ أسلوب تقديم المجرورات واضحاً؛ لأن سياق التعبير يقتضي تقديم الجار والمجرور في قولهِ : ﴿□◆✌♋❁✍🙯&□🙰 ✍♂▫🕮✍➚🖬➔□♍♒﴾ وفي قولهِ ﴿□◆♎♑⬧🗏➚☠✍ ▫♋⓿♑⍓□🙰﴾، وقوله : ﴿□◆⬉◆✍■❼ ✂🙰♎♑⬂▦➔🖬▫🖮⬉﴾، فالمقام يقتضي ذلك التقديمِ لمجيءِ الخبرِ على سبيل الإجمالِ، أعقبهُ التفضيل بذكرِ الأهمِ والأغلب من

(١) سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية : ٩٨.

(٢) المزاوجة : يقال ازدوج الكلام وتزاوج : أشبه بعضه بعضاً في السجع أو الوزن، والمزاوجة والازدواج بمعنى، ينظر : لسان العرب : مادة (زوج)، وفي الاصطلاح معناه أن يزواج بين معنيين في الشرط والجزاء، ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ١٤١/٢.

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٤ / ٢١٧.

(٤) الكشّاف : ٤ / ٩٩.

المنافعِ وذلك في قولِه تعالى : ﴿☞✁❑←⌨•🗎⬀❸♦✋♉⦻ ☎✁❑←⌨•🗎⬀❸♦✋ ✍♏❑➔⬛⬈✌▫⌘♦✍ ✍❑&⬀❁♉✋♦❑ ✍❑&⬀❁♉✋﴾ أي :

لتركبوا منها بعضاً، ومن بعضها تأكلون فحذف إستغناءً بدلالة الكلامِ على ما حُذف[1]، (فمنها) الأولى دالةٌ على التبعيض؛ لأن المذكور ليس كُلّ الأنعامِ؛ بل ((الإبل الخاصة))[2]، أما (منها) الثانية فهي لبيان الجنس؛ لأن الجميعَ منها يؤكل.

ومما يُلحظ أيضاً تقديمُ الركوبِ على الأكل؛ ((لأن أكل لحوم الأنعام يأتي بالمرتبةِ الثانية))[3]. وقد روعيت الفاصلة القرآنية زيادةً على ما مرّ تفصيلهُ إنسجاماً مع السياق القرآني المقصود، تنشطياً للسامعِ، وتفنُناً في الكلامِ، واتساقاً مع المعاني الموجزة والبديعة.

لقد أثرى البناء الفني لهذه الآياتِ الصيغَ والتراكيب بدلالاتٍ معبّرة أدقَ تعبيرٍ عن نعم اللهِ تعالى على الإنسانِ، وتسخير مخلوقاتهِ جميعاً لخدمتهِ، فكيفَ بأولي الألباب والابصار أنكار تلك النعم أو جحودها ؟ وكيف لهم أن يُقابلوا ذلك بالشكر والامتنان ؟

ويعرضُ النظم القرآني نموذجاً آخر للجمعِ في الحُكم بين الأشياء في قوله تعالى : ﴿❸♦🕐❁🕯❑⑨✍&❑✍ ✁✍✎⅄🔔⦻⇦✖♦ ⬈♦✁✋♦✡⬉❑☑✁☎ ☽⦻✡❁☺⊠✍ ✁✍❷⇳☺•❸⬂💻✍⇗❶ ❑♦✁✍❀☛✡🕐❁✍⚇⊃ ←❸⬑⭘⬂⑩⊠☺⬂♉✍✁♦❑ ❑♦✁✍❀☛♋⬂♉•🕐☠⬉ ❻⛤♉⇳■⛤ ✋♓♉♊⇳ ⬉♦☺⊠🕮⇗ ✁✍♉⊕⦿⓿⬂⊃•🕐♊⬗ ▫•✍✍♉⇳☝♦♈⦻⌨←❑■← ♉•➔⊠⬛✦▤⬈☠⬀✍➔▦⬂⬛⬉•←❑♌♦﴾ [المائدة: ٩٠].

جُمعت الأصنافُ المتعددة وهي (الخمرُ، والميسر، والأنصابُ، والأزلام) في حُكمٍ واحدٍ ليشمل دلالةَ الرجسّ، وهذا الرجسُّ رِجساً معنوياً؛ لكونِ الله تعالى أمرَ المؤمنين باجتنابها جميعاً[4]. فقد ذكرت كتب التفاسير ومعاجم ألفاظ القرآن ما

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٨٣/١٢ و٣٨٥/١٨.

(٢) الكشّاف : ٤ / ٩٨.

(٣) سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية : ٩٨.

(٤) ينظر : البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٤١٨.

تضمنته دلالات الألفاظ المجموعة في حُكمٍ واحدٍ؛ لأن الخمرُ في أصلِ اللغةِ سترُ الشيءِ، وسُمّيت بذلك لكونها خامرةٍ لمَقرِّ العقلِ، وهي عند بعضِ الناسِ اسمٌ لكُلِّ مسُكرٍ، وعند بعضهم اسم للمتَخَذِ من التمرِ والعنب لقولهِ ﷺ : ((الخمرُ من هاتين الشجرتين النخلةِ والعِنَبة))[١].

أما المَيْسرُ فهو اللعب بالورقِ، ومنه (لعبُ الميسر) والقمار والقْمر إذ ((لا مباينة بين من عَبَدَ صنماً وأشركَ باللهِ في علم الغيبِ وبين من شرِبَ خمراً أو قَامَرَ))[٢]، أما دلالة الانصابِ فاللغويةُ من نَصْبُ الشيءِ وضعهُ وضعاً ناتئاً، والنصيبُ : الحجارةُ تُنصَبُ على الشيء، وجمعهُ أنصابٌ ونُصْبٌ ونصائب، وكان للعرب حجارة تعبُدها وتذبحُ عليها[٣]، أما الأزلامُ فقد جاء معناها في معاجم اللغةِ بمعنى القِداح إذ قيل : ((الزَّلمُ وجمعهُ أزلام وهي القِداح التي لا ريشَ لها، كانت العربُ تستقسم بها عند الأمور إذ همَّ بها أحدهم مكتوبٌ عليها أفعل لا تفعل))[٤].

أما معناها الاصطلاحي فقد ذكر المفسرون أن لها معانيَ عّدة منها القداح التي يقسمون بها ويضربونها إذا أرادوا السفرَ أو الغزو أو التزويج وغير ذلك، ومنها معنى : الحصى البيض التي كانوا يضربون بها، وأقربها إلى المفهومِ الشاملِ هي أنها ((الشطرنج أو كعاب فارس التي يقمرون بها وسهام العرب))[٥] التي يقتضي اجتنابها مطلقاً.

لقد حقق التعبيرُ بالجمع دلالة التأكيد على تحريم تلك الأصنافِ مجتمعة أو مفردةً بدليلِ تصدير الجملةِ بـ (إنّما)، ومنها أنه قَرَنَ لفظتي (الخمر) و(الميسر) بعبادةِ الأصنامِ، وجعلهما رِجْساً، والرِّجْسُ : القذر المؤدي إلى العذابِ؛ لذا فقد نهى الله تعالى عنهما آمراً بالاجتنابِ، زيادةً على اقترانهما بعملِ الشيطان، والشيطانُ لا

(١) المفردات في غريب القرآن : ١٦٥، والحديث صحيح، أورده السيوطي في الجامع الصغير، عن أبي هريرة ﷺ، ينظر : الجامع الصغير، حديث رقم (٤١٤٣) : ٢٥٢/٢.

(٢) الكشّاف : ٢ / ٦٠.

(٣) المفردات في غريب القرآن : ٤٩٦.

(٤) كتاب العين، ولسان العرب، والقاموس المحيط : مادة (زَلَمَ).

(٥) التفسير الكبير : ١٣٨/١١، وروح المعاني : ٥٨/٦، وأضواء البيان : ١٥٤/٢، ومعجم ألفاظ القرآن، دراسة لغوية تفسيرية : ٤١.

يأتي منه إلاَّ الشرَّ البحت، وقد ذَّكر الله تعالى خاصاً بالذكر الذين آمنوا أن ما ينتجُ عنها هو الوبالُ ووقوع التعادي والتباغض والتي هي سببٌ في الصدِّ عن ذكرِ اللهِ وعن مراعاة أوقاتِ الصلاةِ.

وعِلَّةُ جمعِ هذهِ الأوصافِ في حُكمٍ واحدٍ جاء تعليلاً لأنّها خطاباً للمؤمنين ((فقد جَمَعَ الخمرَ والميسر مع الآنصابِ والأزلامِ ثم أفردهما آخراً))[1]، ففي سياق الآية نهيٌ واضحٌ عن ما كانوا يتعاطونهُ من شُربِ الخمرِ واللعبِ بالميسر، ثم جاء التأكيد بعدها بذكر الأنصابِ والأزلام والحثِّ على وجوبِ تحريمِ كل ذلك، وإظهارِ أن هذه الأوصاف جميعاً من أعمالِ الجاهليةِ وأهلِ الشركِ، أما الإفرادُ فيها؛ فلعلّةِ التأكيد على أن المقصودَ بالذكرِ الخمرُ والميسر[2]، فحكم عليها بأنها رجسٌ من عَمَلِ الشيطان.

وفي سورةِ الرحمن يظهر أثر الجمعِ في قولهِ تعالى : ﴿✄✍⑩⌖⊙☺⇧▪← ⇱❷⌧☺⬩◑⍢⑩✍✄◆❑ 🗎⏲♦⬅○⬄⌨♦✍♌▯ ⬀⍇⭾ ⇱☠⇧☓❑☪⑩✍✄◆❑ ⇱❷⌧☓⊙⌖⑩✍✄◆❑ ④❑○⬄☓→⑨⌧✄♌⬀﴾ [الرحمن: ٥ – ٦].

فجمَعَ سبحانه وتعالى بين الشمسِ والقمرِ في حُكمٍ واحدٍ وهو الحسبان أي : الحسابُ الدقيق والمعلوم، لأنهما آيتان من آيات الله تجريان بنظامٍ معلومٍ وتوقيتٍ دقيقٍ، ويتخدها الناسُ علامةً على الأيامِ والشهور والسنين والحساب، أما حُكم الجمع الثاني في هذا التعبير فيُلحظ في جمعهِ بين لفظتي (النجمِ) و(الشجرِ) وحكمهُما هو السجودُ أي : الانقياد لإرادةِ اللهِ سُبحانه وتعالى، والنجمُ : النبات الذي لا ساق لهُ.

ثانياً : أُسلوبية الجمع وعللهِ المنطقية :

تتضحُ بلاغةُ أسلوبِ الجمعِ في ما يؤديهِ من ترتيبٍ منتظم للافكارِ وانساقها في حُكمٍ جامعٍ، وإصابةُ الغرضِ المقصودِ من إجتماعِ أشياءَ في حكم واحدٍ، مما يُدل

---

(١) الكشّاف : ٦٠/٢.

(٢) ينظر : المكان نفسه.

على دقةِ ملاحظةِ الأديب، فيتميزُ الأسلوب بالإيجاز، والبلاغة الإيجاز زيادةً على ما ينطوي عليهِ من دليلٍ وبرهانٍ على إتفاقِ الأشياءِ المتعددة في حُكمٍ يجمعهما، فإذا تأملنا قوله تعالى : ⧫×⇦⧓♎⅄✍✍✁ □♌⧓◗⦃
✍✂☐➋☒▦☒☎ ⇳♊⧓✌ ✐✍✍♎□📖
⧫×✓⧓✍⧓❸⇳⌑⇦☺⍰⧓✍✂⧫□ ✎◘⏲⧫☝✎⧗⍰⧓✍✂
⧫×⇦⧓✍⧓✂⏲⍓⌘ ⌘⚐□✡⍓♑⍓♉ ☃❻✍⧫☼ ❼⧓×
❿❸•⌗ ⬀☠➔♎ ⍓⌨☃⟐✵⏲⧫⧓♁□⬆📖 ▤ ✍✍□✓❸⧓▫
✂✍⧓⍰⧓⍓❸⧓③✵□⧓⦄ [البينة:٦].

نجد أن هذهِ الآيةِ أستهلت بالتوكيد بـ (إنَّ) بياناً لحالِ الكافرين من أهلِ الكتاب والمشركين ومآلهم إلى نار جهنم خالدين فيها، فقد جَمَعَ الله سبحانهُ بين أهلِ الكتابِ والمشركين في حُكمٍ واحدٍ وهو الخلودُ في نار جهنم، وتعليلُ الجمع يعود إلى ((أنهم كانوا على علمٍ بهِ لوجودهِ في كتبهم، فإذا وُصفوا بالتفرقِ عنهُ كان من لا كتابَ لهُ أدخل في هذا الوصفِ))[1]، في حين نلحظ إفرادَ أهل الكتابِ في قولهِ تعالى: ⦃□⧫✌⧫✍ ✍⧫▦☒❷▪✍⧫ ⧫×⇦⧓♎⅄✍✍✁
☎✂□➔✍□⬆📖 ✽◘⏲⧫☝✎⧗⍰⧓✍✂ ·⧫⧓◗ ✍♊⧓✌
⧓❾⬀➔⧫✍ ✍⧫✌ ⬉☠⬋✓⍰☜⧫⬈✍♎⍓♊
✂✍⧓⍰⧓⌨⧫❹⌘✎☪⧫□➔⦄ [البينة:٤]. لوصفهم بالتفرقِ بعد الإجماعِ على الكتابِ، فالجمعُ بين الأشياء في حكم واحدٍ يُحدثُ لوناً من التقابل الأسلوبي والذي يُضفي على التعبير حُسناً زائداً لما يؤديه من دلالات إيحائية مترابطة بأسلوبِ الإيجاز البديعي، ولو جُعل لكُلّ شيء من هذهِ الأشياء حُكم على حدّة؛ لطال الكلام وخَرَج عن حدِّ الاعتدال، وفي الجمع إثارةٌ للفكر وتشويقٌ للنفس، فإذا ذُكرت الأشياءالمتعددة تلو بعضها دون بيانِ حُكمٍ لها يجعل النفس تتشوقُ لذلك الحكم زيادة على إيجاد علةٍ منطقية لمجيء الحكم، فيبعث العقل على التفكير في تصور كنههِ، فإذا جاء بعد ذلك دَخَل على النفسِ وهي في شوقٍ إليه فتمكّن منها فَضَل تمكنٍ.

---

(١) الكشّاف : ٤ / ٦١٩.

وكُلّما كثرت الأشياء التي يُراد جمعها في حُكمٍ واحدٍ كلما زادَ ذلك من تشويق المتلقي وإثارةِ أفكارهِ، وضاعف من لهفتهِ على معرفةِ الحكم، وهذا يدفعهُ إلى الإنفعالِ بالموضوعِ والتفاعلِ مع الأسلوبِ، والوقوعِ على المراد من المعنى.

تأمل قوله تعالى : ﴿ ♉⍓⍄➔⍓♉•♐⍄♦▤♐✍ ⇕♊♋♓✍ ⌘♊♋✍♦❒ ✍☯♉⍟♦❒⍓♌❒📖 ⬀♒⬈▤♒○➔▦☼❒📖 ☎ ✍☯♉⍟♦❒⍓♌❒📖 ⌂⚐⍟⍓➔⬃☼☞❀✍✂ “▪⍓⑩♦♐ 🗐 ♋○⑩♋▫ ⬀♒⬈✍⬈♦♦❻⬁⓿♦③ ♦❒➔♎♦❒ ☎ ⊠⬈⇦⑥⊠★ ⍟♋○♋▣⬃♆♋☺⊠✍ ✂✍♐○○☺♋⑩⬈← ✂✍♐⍓⌨♦⍟♒❷❸← ﴾[الشورى: ١١].

وصورُ الجمعِ في القرآنِ الكريم كثيرة، يبرز فيها أثر الجمعِ واضحاً من خلال بنية التوالي والتتابع المنطقي المترابط بين هيئات الأشياء وأشكالها، وصورها وأجناسها، فهي تضفي جواً نفسياً يجذب السامع للترقبِ والإصغاءِ متأملاً في الحكم الجامعِ الذي طالما تعلقت النفس بهِ لاستحصال المعرفةِ والفائدةِ المرجوة.

ففي الآية الكريمة تجتمعُ نعمةُ خلقِ الأزواجِ من الناس ومن الانعام ((وهي صورةٌ أرضية يتمثلها الأنسان بشكلٍ محسوسٍ ويتدبرُ فيها، فخلقُ الإنسانِ والأنعامِ من أعجبِ أحوالِ خلقِ الأرضِ))(١).

فسياق التعبير يقوم على تعداد نعم الله تعالى على خلقهِ، منها نعمةُ خلقِ الأزواجِ وقد جمع ذلك في خيرٍ واحدٍ وهو الإنسانُ والحيوان ومن اللافت للنظر أن لفظ أنفسكم الدالةِ على الإنسانِ تقدّمت بالذكر على لفظِ (الأنعام) تكريماً وإعلاءً لمنزلة بني آدم على غيرهِ من المخلوقات وأنها مُسخَّرةٌ لهُ، في الوقت الذي نلمحُ فيه أيضاً أن الخطابَ للجميعِ مع تغليب المخاطب على الغائبِ والعقلاء على غيرهم في قوله تعالى: ﴿ ♋○⑩♋▫ ⬀♒⬈✍⬈♦♦❻⬁⓿♦③ ﴾، وتغليب العقلاء على غيرهم في الجار والمجرور (لكم) والذي يختص بالعقلاءِ.

لقد أفادت صيغة الفعل المضارع دلالة التجدد وهو ما يناسب سياقَ الامتنان، والمعنى يكثركم، وهو من (الذرءِ) أي البثِ(٢)، وقيل أنها الخلق(١).

---

(١) سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية : ٨٢.

(٢) كتاب العين : مادة (ذرأ)، واللسان : مادة (ذرأ)، والقاموس المحيط : مادة (ذرأ).

وقد ارتبط هذا الفعل بحرف الجر (في) أي : في بُطونِ أُمهاتِكم أو أرحامهن دلالةً على معنى السببية ((تشبيهاً للسبب بالظرفِ في احتوائهِ على مسبباتهِ كاحتواء المنبع على مائهِ))[٢].

فالجمع بين الأزواج من الإنسانِ والأنعامِ دليلٌ من دلائلِ قدرة الله العظيمة، أوحت بأثر الأسلوبي بالتأمل في شؤون الخلقِ وقدرة الخالقِ، زيادة على ما في التعبير من تلائم وتكافؤٍ بين الألفاظِ ودلالالتها المقصودة إذ إن لكل مقام مقال.

ومثله قوله تعالى : ﴿♎⊠⓿🕔⊠⊠♎ ✂ ✉♦🕔❁🕔✵✪✐❸🡐 ⊙✡✡✡🗖⊡✈⊡✡⊡⬄ ❽✡❾🡒♎◆❑ ⋖❑⊠☺⇳❍◆❻◆❑ ⊙✡✡⊡♦◐✡✡ ⊡⬁⬝✈⊡ ❸⊡⬁⊡♈✡⬁❑♍♒﴾ [الجاثية:٢٠].

من أروعِ ما وصف به القرآن الكريم أنه دستورٌ للبشرية جمعاء فيه تفصيلٌ وتنظيمٌ، فهو هُدىً للناسِ وبيّناتٍ من الهُدى والفرقان، والمتدبر يلحظ في القرآن الكريم تكرر وصفهِ بالهدى في مواضع عديدة، ففي سياق سورةِ الجاثية جَمَعَ التعبير القرآني أوصافاً لهذا الكتابِ هي (بصائرُ) و(هُدًى) و(رحمةً)، حين يبتدأ النظمُ باسم الإشارةِ (هذا)، دالاً على حضور القرآن في الأذهانِ أولاً، وسبق ذكرهِ في سورهِ بصفاتٍ كثيرة، زيادةً على أن الإشارةِ إليهِ وإعادةِ وصفهِ بـ (الهُدى) تنويهٌ بشأنهِ ومتبعيهِ، وتعريضٌ بمن أعرضِ عنهُ[٣].

لقد أدت كُلّ صفةٍ من صفاتِ القرآن في هذا الموضعِ دلالةً توحي بنظم إعجازهِ وبديع مفرداتهِ وتلاؤمها مع السياقِ والمعنى الذي تَعَمدَ إليهِ القرآنُ، كما أضفى الجمع المتناسق للأوصاف القرآنية عُنصر التشويقِ والترقّبِ لمعرفةِ الحُكم الواقعِ على المجتمعاتِ معاً وهو شمولية القرآن بالنور والهداية، فقد تمكّن من النفسِ لتوافقهِ مع ما تطمحُ إليهِ وقوعاً على المطلوب، وهو الدقة في إختيار التراكيب وأداء المعاني.

---

(١) معجم الفاظ القرآن، دراسة لغوية تفسيرية : ٢٤٨.

(٢) التحرير والتنوير : ٢٥ / ٤٥.

(٣) ينظر : سور الحواميم دراسة بلاغية تحليلية : ٦٥.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: ١٦٤].

تأمل ما في قوله تعالى ﴿[illegible]﴾ [التغابن: ١٥].

لقد جمعت الآيات وجوهاً وصفاتاً وهيئات متعددة لو فُصلت عن بعضها لاختل النسق القرآني البديع، ولو عَدَل عن أي لفظٍ منها إلى غيرهِ لما أوحى بالدلالة المطلوبة في السياق القرآني، فقد ربط الجمعُ أسلوبَ الكلامِ من خلالِ تقويةِ العلاقةِ بين المفردات وتناسبها وتعلقها بالحُكمِ الذي جُمعت فيه، ولا يمكن فصلها بأي حالٍ من الأحوالِ ومن هُنا يمكننا أن نُخلص القولَ إن بلاغة أسلوبِ الجمع بين المتعدداتِ تبرز من خلالِ تنميةِ التشكيلات البلاغية في حُكمٍ واحداٍ يُثمر بالدلالات الناطقة والتي تُفسر المطلوب بدقةٍ وإعجازٍ ونظامٍ بديعي لهُ خصائصهُ وأدواتهُ الكاشفة عن الأثر الأسلوبي في النص القرآني.

وكذا الحال لو دققنا النظر في قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [آل عمران: ١٤].

أروعُ ما يتجلى في هذا التعبير أسلوبُ الجمعِ بين شهواتِ الدنيا التي أحصاها الله تبارك وتعالى لمعرفتهِ جلت قُدرتهُ بالنفس البشرية وما جُلبت عليهِ، ذلك الجمعُ الواضح أثرهُ في إثراء المعنى الدلالي للآية فالشهوات متعددة، وقد وصفها الله –عزَّ وجلّ– بأنها متاع الحياة الدنيا إلاَّ أنه نفضلَّ ما عندَ الله فهو خير وأبقى ثواباً وأجراً.

قد حقق المظهر البديعي المتمثل بجمعِ المتعدداتِ علاقاتٍ دلالية قائمة على ذكر المُجملِ ثم تفصيلهِ وهذا آكد للمعاني المرادة من النصِ بجعلها أقوى سبكاً وأثرى دلالةً لتفاعلها مع مجريات السياق وفقاً لنمطٍ بلاغي وجِّهَ على حسب أسلوبِ المتلقي وفي محيط إدراكهِ للمعنى أو ما يدور حولهُ من معانٍ مقصودة.

المبحث الثالث : أُسلوبُ التقسـيم :

أولاً : مفهوم التقسيم في اللغة والاصطلاح :

التقسيم من الأساليب العربية الأصيلة، يتحدد مفهومه اللغوي بالدلالة على التجزئة والتفريق، فهو مصدر قسمتُ الشيء إذا جزأته، يُقال : قسَمتُ الشيء بين الشركاء وأعطيتُ كل شريكٍ قسمهُ[1].

أما في الاصطلاح فاختلفت العبارات، وكلها راجعة إلى مقصدٍ واحدٍ، وهو تقسيم المعنى بأقسام تستكمله وتستغرقهُ، فلا تنقص عنه ولا تزيد عليه، أورده قدامة بن جعفر (ت ٣٧٧هـ) فكان أول أبوابه قائلاً : ((هو أن يؤتى بالأقسامِ مستوفاةٍ لم يخل بشيءٍ منها، ومخلَصةً لم يدخل بعضها في بعضٍ))[2]، مفرقَاً بين تمام الأقسام وصحة التقسيم بقولهِ : ((وصحة التقسيم أن توضح معانٍ تحتاج إلى تبيين أحوالها، فإذا شرحت أتى بتلك المعاني من غير عدول عنها ولا زيادة عليها ولا نقصان منها))[3]، وأكد الدكتور أحمد مطلوب أن صحة التقسيم التي حدّها قدامة غير التقسيم المعروف الذي نحنُ بصدده ((وإنما هو نوعٌ من اللف والنشر))[4].

وقف البلغاء أمام مصطلح (التقسيم) مفسرين إياه، فكان ابو هلال العسكري (ت ٣٩٦هـ) من أوائل من عَرِضَ له وفسَّره بقوله : ((التقسيم الصحيح : أن تُقسّم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنوعهِ، ولا يخرج منها جنس من أجناسه))[5]، ومثل له بقوله تعالى : ﴿ ♎➔❑◆ ✄⧸✍⧸✏⅄🕭🙵❽ ③↖❷▩③⧗➔⚉↖ ✄✍⧸◉ᘐ⧅ᘐ⍓③⬀✠⸙ ⌘⍓❑⬀▫❁✍ ❑◆⬬⬩☺⍓➔✡✍﴾ **[الرعد:١٢]**، مُعلقاً : ((وهذا أحسنُ تقسيم؛ لأن الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع، ليس فيهم ثالث))[6].

---

(١) ينظر : لسان العرب : مادة (قَسَمَ)..

(٢) تناسب المعاني والألفاظ : ١٥.

(٣) المصدر نفسه : ١٦.

(٤) ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٣٣٠/٢.

(٥) كتاب الصناعتين : ٣٠٨.

(٦) المكان نفسه.

وذكر إبن سنان الخفاجي (صحة الأقسام) بأن تذكر الأقسام من غير إخلال بشيءٍ منها ولا تكرار أو تداخل لبعضها تحت بعض[1]، وأكد إبن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣هـ) أن التقسيم هو ((استقصاء الشاعر جميع أقسام ما ابتدأ به))[2]، في حين وصفه عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) بأنه من النظم الجيدة، ولا سيّما إذا تلاه جمعٌ[3]، وأدخل السكاكي (ت ٦٢٦هـ) التقسيم في المحسنات المعنوية ((وهو أن تذكر شيئاً ذا جزأين أو أكثر، ثم تضيف إلى كل واحدٍ من أجزائه ما هو له عندك))[4]، ولا يخرج كلام كثير من العلماء المتقدمين عما تقدم في التحديد والتقسيم والأمثلةِ[5].

والذي لفت إنتباهنا ما ذهب إليه النويري (ت ٧٣٣هـ) وابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، والزركشي (ت ٧٩٤هـ) من تأكيد عدم إرادة علماء البيان بالتقسيم، القسمة العقلية التي يتكلم عليها المتكلم، وإنما المقصود استيفاء المتكلم أقسام المعنى؛ بحيث لا يغادر منه شيئاً، وهو آلة الحصر ومظنة الإحاطة بالشيء[6].

كقولهِ تعالى : [illegible]

[illegible]

[فاطر:٣٢]، فهذه العناصر الثلاثة مستوفية أركان التقسيم الجامع لأصناف البشر وهي من أدق التقسيمات وأوضحها.

فلا يخلو العالم من هذه الأقسام الثلاثة : إما ظالم نفسه، وإما سابق مبادر بالخيرات، وإما مقتصدٌ فيها، وهذا من أوضح التقسيمات وأكملها.

---

(١) ينظر : سرّ الفصاحة : ٢٣٥.

(٢) العمدة : ٢/٢٠.

(٣) ينظر : دلائل الإعجاز : ٩٤.

(٤) مفتاح العلوم : ٥٣٥.

(٥) انفرد العلوي بإطلاق مصطلح (الاستيعاب) على هذا الأسلوب، ينظر : الطراز : ١٠٦/٣، ينظر : ١٠٦/٣٠، ينظر : خزانة الأدب : ٣٦٢/٢، ومنهاج البلغاء : ٥٥، والإتقان في علوم القرآن : ٨٩/٢.

(٦) ينظر : نهاية الأرب : ١١٣/٧، والفوائد المشوق : ٩٠، والبرهان في علوم القرآن : ٣ / ٤٧١.

وإذا نظرنا إلى هذا المصطلح بإمعان يتضح من مفهومهِ ((الحرصَ على استيفاء الأقسام ووجود الجامع المانع ابتداءً من قدامة ومن تلوه؛ فالاهتمام بالأقسام التي يضعها الشاعر واستيفاء كل قسمةٍ منها يحول الشعر إلى حجاجٍ عقلي محض))[1]، أي أن بنية مصطلح صحة التقسيم ترتكز عند القدماء على الجدل المنطقي متأثراً بالفكر الفلسفي في تقسيم الأشياء إلى أقسامٍ يتوقف عندها التقسيم إلى أنواعٍ أُخر.

ويتضحُ أثر الجو الفكري الممنطق الذي يميل إلى تغليب جانب المعنى على جانب العقل في عرض ابن الأثير لصحة التقسيم قائلاً : ((ولسنا نريد بذلك هاهنا ما تقتضيهِ القسمة العقلية كما يذهب إليهِ المتكلمون ... وإنما نريدُ بالتقسيم هاهنا ما يقتضيهِ المعنى مما يمكن وجوده، من غير أن يُترك منها قسم واحد))[2].

ثم يذكر قوله تعالى : ﴿ ■☠➔⚐ 📖❐❐⬃❻◆⚐⬂☪◆✍
✂✍☸⬂▤☜☝◆⏲◘❁ ✂✍✒⅄♙⬀⇦✖◆
✂✍⏲⇧⊃◆⊞▩☒⑩⬂☪◆✍ ⍟⬀⬃⬂Ⅱ⇧ ⬆⬃⌨◆✍⑩⬃☼◆✍ ☎
▫◆☺⬃✡⬃♑←⚐⇨ ←◆✍☸⬃⚐⬃ ☸☞⬃☪◆▦⬂○⬃○⏲
❒◆⍟⬃☸⬃⬃⊡☠ ⍟⑩◑⬂☛◆⏲⬃⑨⬃ ❒◆⍟⬃⬃☸⬃⬀☠⬄
⊡⬀⊟⬃⬀⊟⌨ ⬃⬀✍✍☸⬂②⊡❷⬄❸◆⏲☠⬃
⬀⬃⊠⬃❶⬂♌⇗ ✂✍✒★﴿ [فاطر:٣٢].

وقد أكد الدكتور رجاء عيد أن المنطق الذي يدعو إليه أرباب البلاغةِ ما هو إلاَّ طريقٌ للوصولِ إلى كتاب اللهِ وهو قمة الفصاحة والبلاغة، وهذا لا يتم بالجري اللاهث وراء كلّ من يظنّ أنه استكشف براعةً أسلوبية واستكشافية إنما هو تمحلٌ ذهني أو أثرٌ منطقي ينطلق البلاغيون من خلالهِ إلى إيجادِ تقيسماتٍ في كتاب الله تماثل ما هو مستكشف[3]، وفي ضوء التعريفات السابقة يمكن القول أنَّ للتقسيم اطلاقاتٌ ثلاثة لكُلِّ نوعٍ منها ضابطٌ على حدّة[4]، يمكن إدراجها تحت عنوان

---

(١) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور : ٤٥٤.

(٢) المثل السائر : ٣/١٦٦ – ١٦٧.

(٣) ينظر : فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور : ٤٥٧.

(٤) اعتمد البحث التقسيم الذي أجراه عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني صاحب كتاب (البلاغة العربية) في جزئها الثاني لما فيه من دقةٍ وتفصيل وتنظيم، البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٤٠٨.

(إطلاقات التقسيم وضوابطه الموضوعية) إذ إن لكلّ إطلاق خصوصيته التعبيرية في النظم القرآني يتبين أثرها واضحاً من خلال الكشف عن سماتها الأسلوبية وقيمتها الفنية وكما هو موضح في الآتي :

ثانياً : إطلاقات التقسيم وضوابطه الموضوعية :

الإطلاق الأول للتقسيم :

تقسيم اللّف والنشر :

هو ذكر متعدد أولاً مفصل أو مجمل، واتباعه بمتعدد آخر يتعلق كل واحدٍ من أعداده بواحدٍ من المتعدد السابق، باستثناء قيدٍ واحدٍ، فالتقسيمُ فيه تعيين كُلِّ واحدٍ من المتعدد اللاحق بصاحبهِ في المتعدد السابق، وهذا يخالف اللف والنشر إذ القيدُ فيه أن يكون بدون تعيين، وأن يكون الاعتماد فيه على فهم المتلقي، وهذا هو الفرق بينهما، وكما أن للّفّ والنشر مقتضيات أحوال يحسن فيها، فإنَّ للتقسيم أيضاً مقتضيات أحوالٍ يحسن فيها، ومن الأحوال التي يحسن فيها التقسيم[١] :

١- الأحوال التي يُراد فيها النصّ الواضح القاطع للاحتمالاتِ.

٢- الأحوال التعليمية.

٣- أحوال المخاطبين الذين يعسر عليهم التوزيع الملائم بين المتعددات اللاحقة والمتعددات السابقة.

٤- الأحوال التي يحصل فيها اللبسُ لولا التعيين.

ومن أمثلة التقسيم في القرآن الكريم قوله عزَّ وجلَّ في سورة الحاقة :

[illegible] [الحاقة: ٤ – ٦].

جاءَ المتعدد الأول في قولهِ (ثمود وعاد) مُفصلاً، وجاء المتعدد اللاحق المتصل به والتابع لهُ مُضافاً إلى كُلّ منهما ما لهُ على سبيل التعيين مفصلاً لأمن

(١) ينظر : البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٤٠٩.

اللبس، ومثيله قوله تعالى : ﴿[illegible] [illegible]﴾ [الانشقاق: ٦ – ١٢].

جاء المتعدد الأول مجملاً بقولهِ : ﴿[illegible]﴾. وجاء تقسيمه وأحكام كل قسم منها بقولهِ تعالى : ﴿[illegible]﴾ [الانشقاق:٧]، وقوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [الانشقاق : ١٠ – ١٢]، ومنهُ قوله تبارك وتعالى : ﴿[illegible]﴾ [آل عمران: ١٠٦– ١٠٧]. مَثَّل السيوطي بهذا الشاهدِ لـ (اللّفِّ والنشرِ المعكوس)(١)، وواضحٌ أنه ليس من اللف والنشر نظراً لمجيء المتعدد الأول مفصلاً في قوله تعالى : ﴿[illegible]

(١) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٢/٩٤.

❑⧅✌❑⧅■⋖ ❑◆⧅■⬄❑◆⑩ⓒ ❑⧅✌❑⧅■⋖﴾ ، ومجيء التقسيم والبيان لأحكام كل قسمٍ على التعيين في قوله تعالى: ﴿⌑♦⬙❑✎❑⚭ ⚔⚭⚭✍⅄♫⧅⬄×♦ ⬄❑◆⑩❑☠⇳ ⚔⚭⚭✍⅄♫⧅⬄×♦ ⬄❑◆⑩ⓒ⚭❑⚭ ❑⧅✌❑⧅ ❑⬄☠⇳﴾ ، وقوله تعالى ﴿❑◆📖❑✎❑⚭ ⚔⚭⚭✍⅄♫⧅⬄×♦ ❑⧅✌❑⧅➔♑←☠⬄﴾ ⚔⚭⚭✍⅄♫⧅⬄×♦ ⇳💣☀✍❍◆⓿⬄⚭ ❑⧅✌❑⧅➔♑←☠⬄﴾.

الإطلاق الثاني للتقسيم :

التقسيم المُذيَّل :

((هو أن تُذكر متعددات ويُذكر إلى جانب كُلِّ واحدٍ منها ما يتعلّقُ به، ويحسنُ أن يسمى هذا النوع من التقسيمِ (التقسيمُ المُذيل)))[1].

ومن مواضعهِ في القرآن الكريم قوله تبارك وتعالى في سورة المائدة : ﴿⌑♦❍✽❑⬄⚭♦ ③♦✎⌑✌⧅❼ ✦✍⚭⚔ ⬒⧅☽♦❑⬄✈⍰ ⑥⧅♦✍⧅⚭✍☠⬄ ❑◆⑥⧅♦⧅⚱⚭❑☼◆❍←⏲⊞ 📖❑❶⧅✍⅄✎✌ ⧅♦✍❼ ⚔⚭⚭✍⧅←♦⧅⚭⧅❁ 📖❑⧅❽❑❑⚇ ⧅♦✍■❼ ⚔⚭⚭⬄⊞❷⧅⧅⬄×♦ ⑥⧅♑❑⑨←❑♍☘ ×⧅❼ ⚭⧅⬒⧅❍⚭⬀ ⚔⚭⚭✍★ ❑◆♦♦ ⑥♦③♦⚭❑➔❑♌♦﴾ ⚭⧅❑⬄♦✎◆❑♦ ♦✋★⧅⚐⍰﴾ [المائدة: ٥٤].

إذ ذُكر في هذا السياق القرآني أحوالَ القوم الذين يحبهم الله تعالى مُضافاً إلى كُل حالٍ ما يليقُ بها.

وفي هذا الأسلوب تفصيلٌ بعد إجمالٍ، وإيضاح بعد إبهام حيث يذكر المتعدد ثم يُفصل أحواله، أو يذكر الشيء ثم يُضيف إليهِ ما يليقُ به، فيزداد المعنى بذلك فخامةً وتأكيداً؛ لكونه ذُكر مرتين على هيأتين مختلفتين، وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث الشريف في عدة مواضع[2] تصلح لإطلاق التقسيم الثاني.

---

(١) البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٤١١، وحدُّ التذييل عند علماء البيان هو أن يُذيل المتكلم كلامه بعد تمامه بحرفٍ أو جملة يحقق ويؤكد بها ما قبلها أو قد تخرج مخرج المثل السائر كقوله تعالى : (ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلاّ الكفور)[سبأ: ١٧]، ومثله في القرآن كثير، ينظر : الطراز : ١١١/٣، الفوائد المشوق : ١٢١.

(٢) منها قوله ﷺ : ((كُلُّ الناس يغدو فبائعٌ نفسه، فمعتقها أو موبقها))، وقوله ﷺ : ((الطهورُ شطر الإيمانِ، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله تملآن ما بين السماء والأرضِ، والصلاة نور، والصدقة برهانٌ ...))، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، حديث رقم (٢٢٣)، ص٦٩.

ثالثاً : أنماط التقسيم وعناصره الإجمالية :

التقسيم في جميع أنماطه وأحوالهِ يُفّصِل أو يُقسّم مجملاً، وعلاقة التقسيم أو التفصيل هذهِ غالباً ما تتجلى على السطح ظاهرةً فيحصل التقسيم بأدواتٍ لغوية معينة، يقول ابن الأثير : ((فتارة يكونُ التقسيمُ بلفظة (إمَّا)، وتارة بلفظة (بين)، كقولنا : بين كذا وكذا، وتارةً بلفظة (منهم) كقولهم : منهم كذا ومنهم كذا، وتارةً بأن يذكر العدد المراد أولاً بالذكر ثم يُقسم))[1]، وقد يظهر أثرُ التقسيم في التعبير القرآني واضحاً خلال آلية التوازي الصوتي بين أجزاء التقسيم حين تتعاضدُ التقاسيم الدلالية مع المتوازيات الصوتية لتُنتج نصاً مسبوكاً محبوكاً معاً[2].

يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ ✏ ⌗ ✌⇖◘▫①⊂
❐◆✂✍⊕❀☞❻⬀⍱⇷ ❐ ✂✍○○☺⍓☺❐◆☺☠♋
❻♦③⊻◘➔◘⇠ ✌◆✍ ④❐⊕♦✍✏⇗↓ ❐ ⑨◆♋❐◘⊃
♑◎☺⍓♊ ④❐⊕♦✍✏⇗↓ ☽♋✡♦◷✝☪✍ ❐◆③♦♑⍓❐◘⊃
♑◎☺⍓♊ ④❐⊕♦✍✏⇗↓ ✂✍✏♎☎✍⇗❐❻◆ ✍♋✍⇷
📖❐❐⇙ ③⇖❽◆❐♓✍♉⇖♑⇠☠⬀ ❶➔✍⇘❷◆✂✡☪✍
❐◆☽♋✡♦◷✝☪✍ ☎ ❐◆❻♦♑⇘➔⍓❐⇖ ✌◆♊
④❐⊕♦✍✏⇗↓ ⇖◆☽✍⓿☺◷✍ ❐ ☽♋✡✹○⇠◷ ⇘◆◘♋⑩⊩✍
♎♦⑨♋③❷⊠﴾ [الشورى: ٤٩–٥٠].

تأتي هذه الآية في سياق توالي ذكر النعم الإلهية التي وهبها الله تعالى لعباده خلقاً وإيجاداً وتدبيراً، فبعد أن جَعَلَ الأرض قراراً والسماءَ بناءً وصوّر الإنسان بأحسن الصور، ورزقه من الطيبات وَعَرض عليه مراحل خلقه وحياته ودلائل القدرة الإلهيةِ في ذلك، وهبّهُ زوجة خلقها من نفسهِ تشاركهُ حياته، وكذلك الأنعام خلقها من ذكرٍ وأنثى وأعطاها خلقها ثم هدى وبعد ذلك يستكمل على الإنسان نعمة الذرّية، فهي مظهر من مظاهر النعم، قريبة من نفس الإنسان، ظاهرة يحسُّها ويتعلق بها ويعمل لأجلها طوال حياتهِ، وهي استكمال لبسط الرزق وقبضه، فالذرية رزقٌ من عند الله كالمالِ والثمرات.

لقد جاء التعبير القرآني استئنافاً بيانياً على سبيل الفصلِ عمّا قبل هذه الآية؛ لأنه تعالى ذكر إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بضدها في قوله تبارك وتعالى :

---

(١) المثل السائر : ٣ / ١٦٧.

(٢) ينظر : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١٦١.

﴿[illegible]﴾ [الشورى:٤٨].

وهو ما يثير في نفس السامع تساؤلاً عن سبب فطر الإنسان على هذين الخُلقين اللذين يتلقى بهما نعمة ربّه وبلائه، ولمَ لم يفطر على الخلق الأكمل؟ وتساؤلاً آخر عن سبب إذاقة الإنسان النعمة مرة والبؤس مرةً فيبطر ويكفر؟ ((فجاءت الآية جواب إجمالي إقناعي يناسب حضرة الترفع عن الدخول في المجادلة عن الشؤون الإلهية))[1].

فلله المُلك يُقسم النعمة والبلاء كما يشاء بحكمتهِ لا كما يشاء الإنسان بهواه، وهو المتصرف في السموات والأرض يخلقُ فيها ما يشاء وهذا جوابٌ إجمالي على سبيل تخصيص الملك لله، يشمل السموات والأرض، وخلق كل ما يشاء بقدرتهِ ومشيئتهِ، ثم يأتي بعد ذلك تفصيل لشيءٍ من هذا الإجمال يتعلقُ بنعمةِ الخلقِ والإيجاد، والتذكير بها رداً على منكري البعث، وامتناناً على العباد لعلهم يشكرون، وتقديم قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ هو التقديم المناسب لكُلِّ جزيئةٍ بعد ذلك من توابع هذا المُلك العام، فضلاً عمّا يحققهُ هذا الإجمال من تشويقٍ لمعرفةِ ما سيُذكر بعده[2]، فالتفصيل بعد الإجمال ((إبدالٌ وإدماجٌ مثلٌ جامعٌ لصورِ إصابة المحبوب وإصابةِ المكروه))[3].

وفي سياق الآية نجد نعمةَ الذرية وهي نعمةُ إيجادٍ من عدمٍ وخلقٍ جديد، وهبة من الله تعالى، فقد آثر التعبير القرآني هُنا صيغة الفعل المضارع (يهبُ) لما لهُ من

---

(١) التحرير والتنوير : ٢٥ / ١٣٧.

(٢) سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية : ٨٧.

(٣) التحرير والتنوير : ٢٥ / ١٣٨.

دلالات موحيةٍ بالمعنى المُرادِ، ((فالهبة تقتضي التمليك))[1]، وبذلك تختلفُ عن المنح والهدية، كما أن الهبة عطية منفعة في حين نجد الدلالات المذكورة ليست كذلك، فجاءت هذه اللفظة مناسبة لدلالة المقام الذي وردت فيه.

ومن اللافت بديع التقسيم في هذا التعبير، واستيفاؤه أقسام المعنى جميعاً فقد قَسَمَ الله سبحانه وتعالى حال الزوجين إلى أربعةِ أقسامٍ أشتمل عليها الوجود، لأنه عزَّ وجلّ إما أن يُفرد العبدَ بهبةِ الإناث أو بهبةِ الذكور، أو يجمعهما لهُ معاً، أو لا يهبهُ شيئاً.

شَكَّلَ الحرف (أو) نقطة الابتداء، ويشمل كل ما ذُكر من تفصيلٍ للإجمالِ وهو استيفاء المتكلم أقسام المعنى جميعاً لم يترك منه شيئاً، وتجلَّت صحةُ التقسيم في اتساق التقاسيم والتدرج في ذكرها من الأدنى إلى الأعلى، فبدأ بهبة الإناث، ثم هبة الذكور، ثم هبة الذكور والإناث معاً، فجاءت كُلّ أقسام العطية بلفظ الهبة، ثم عُدِلَ عنها في قوله تعالى : (ويجعل) مُراداً منها دلالة الحرمان مناسبة مع لفظِ (عقيماً) لتلائم الألفاظ المعاني المناسبة، وقد أفرد هذه الدلالة أي (الحرمان) بالتّأخر؛ ((لأن إفضالهُ على عبادهِ أهم من حرمانهِ إياهم، وتقديم الأهم أولى))[2]، وبذا شكلت صحةُ التقسيم في النظم القرآني البديع ما يسمى بالموسيقى الخارجية[3].

وقد تعددت مظاهر البديع في هذا التعبير القرآني فنجد الطباق واضحاً بين (ذُكراناً) و(إناثاً) لما في التزويج من دلالة الاقتران وارتباط الشيءِ بالشيء فيصيرُ زوجاً، والمرادُ جعلهم زوجاً في الهبة أي ((يهبُ لهم ذكراناً مشفعَين بإناثٍ))[4]، وهنا إشعارٌ بعظمة النعمة الإلهيةِ وما يتوجّب على الإنسان إزاءها من الشكر والطاعة.

ومن لطائف البلاغة أيضاً تناسبُ خاتمة الآية الكريمة في قولهِ تعالى : ﴿⌧❷③✍⑨♦🔔 ✍⚐⑩✍◘♦⬋ 🕛⬅○✸✹✍✆﴾ مع السياق المرتبط بالذكرِ فيها، فخلقهُ ما يشاء كان عن حكمةٍ؛ لأنه واسعُ العلمِ، وخلقهُ الأشياءِ يجري

---

(١) الفروق اللغوية : ١٨٩.

(٢) البديع في ضوء أساليب القرآن : ٩٥.

(٣) ((وهي الموسيقى التي تتألف من إرتباط ألألفاظ مع بعضها في البيان العربي، وتشكل الإيقاع العام للجملةِ ممّا له أثر نفسي في المتلقي والسامع لهذهِ الآيات))، سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية : ٨٩.

(٤) التحرير والتنوير : ٢٥ / ١٣٨.

على وفق علمهِ وحكمتهِ وهو قديرٌ على ذلك، فإذا علم الحكمة في خلقِ شيءٍ أرادهُ، جرى على قُدرتهِ، فهو العلامُ بما يناسب الإنسان من نعمة الذرية فيهبها لهُ وهو على كُلّ أحوالِ هبةِ هذه النعمة قديرٌ نافذُ القدرةِ، والجمعُ بين (العلم والقدرة) يوحي بدلالة الإرادة والحكمة[1].

ومن بديع الآيةِ تقديمُ لفظِ (الإناثِ) على (الذكور)، مناسباً مجيء التقديم مع تنكير (إناثاً) مقابل تأخير (الذكور) مُعرفاً؛ ((لأن التنكيرَ هو الأصلِ في أسماءِ الأجناسِ، تعريف الذكور بـ(اللام)، لأنهم الصنف المعهود للمخاطبين، فـ(اللام) لتعريف الجنس))[2]، والمعنى : يهبُ ذلك الصنف الذي تعهد وتتحدثون عنه وترغبون فيهِ، ولمّا قابل التعبير القرآني تنكير (إناثاً) بتعريف (الذكور) ((جَبَر نقص الأنوثة بالتقديم وجَبَر نقص التأخير للذكور بالتعريف، فإنّ التعريف تنزيه، كأنه قال: ويهبُ لمن يشاءُ الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم))[3].

وقد ذكر ابن الأثير أن سبب التقديم هُنا يرتكزُ أولاً على مناسبة سياق الكلام المتضمن دلالة وقوع مشيئة الله لا مشيئة الإنسان، ومن ثمَّ مبدأ الأهم فالمهم؛ فالإناثُ أهمُّ في تكثير النسلِ، والأهمُ واجبُ التقديم[4]، والآيةُ هنا خلافُ العادةِ في تقديم الذكور على الإناثِ، حيثما ورد في النظم القرآني مثل قوله تعالى : ﴿◑⛛✿✱✍ ⌘◰■■◑☐✡☐◷≣↗✉ ✎♓♉♊ ●♦✍⊠❷◉ ☐◆📖⬆✡ॐ♦✍≣﴾ **[الحجرات:١٣]**، وقوله تعالى في سورةِ القيامة : ﴿▫○♍☐➔⊠✎• ✍♉C✍○⬅ ✂✍◉❽☐☐✍♉⊠✓✍✖✍ ✂✍✎📂♦❷♦ ◆☐◆✂✍❁✦✡ॐ♦✍✂﴾ **[القيامة:٣٩]**.

أما البقاعي فقد أوردَ في تفسيرهِ هذه الآية، معنى التقسيم بالإناثِ والذكور ((ولمّا فَرَغ من القسمين الأولين عَطَفَ عليهما قسيماً لهما ودلَّ على أنه قَسَّم بـ (أو) فقال : (أو يزوجهم) ... ورتبهما هُنا على الأصلِ تنبيهاً على أنه ما فعل

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٣٩/٢٥.

(٢) التحرير والتنوير : ٢٥ / ١٣٨.

(٣) التفسير القيم : ٤٣٣.

(٤) ينظر : المثل السائر : ٢ / ٢٢٦.

غير ذلك فيما مضى إلاَّ لنكتٍ جليلة))[١]، فالخلقُ هو الكُلّ ثم جاء التقسيم بالإناثِ والذكور، إذ ذكر قسمة الأولاد فقدم الإناث؛ لأن تمام الدلالة ما شاء كان ولا راد له وما لم يشأ لم يكن[٢].

وقد فسَّر البقاعي سبب التقديم في سياق الآية بمجيئه منسجماً مع الأوهام العادية التي قد تكتنف العقل فتحجبه عن تأمل محاسن التدبيرات الإلهية، وترمي بها في مهاوي الأسباب الدنيوية، أي أن التقديم هنا لغرض الاهتمام بأمرهِنّ وتعريض بالكافرين الذين قال عنهم سبحانه وتعالى : [illegible] [النحل:٥٨]، ونقل حديثاً عن صحابته ﷺ يتضمن الإحسان إليهن وما يترتب عليه من أجرٍ كبير[٣]، وقد بين الزركشي (ت ٧٩٤هـ) أن التقديم هُنا تشريفٌ للإناثِ وإيناس بهن ولذلك جُعلن من مواهب الله، فضلاً عن أن التقديمَ حثاً على الإحسانِ إليهنّ[٤].

رابعاً : الاحتجاج على طريقة التقسيم :

وما ذكره الزركشي والبقاعي (ت ٨٨٥هـ) يعضده التعبير القرآني الذي يعكسُ أثرَ التقسيم وصحتهِ في بديع آياتهِ في موطنٍ آخر من قولهِ تعالى : [illegible]

---

(١) نظم الدرّر : ١٧ / ٣٥٥.

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٣٥٦/١٧.

(٣) قال واثلة بن الأسقع (رضي الله عنه) : ((من يُمنِ المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر، لأنَّ الله تعالى بدأ بالإناث))، نظم الدّرر : ٣٥٤/١٧.

(٤) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٣ / ٢٦٥.

﴿✌♦♊⇳ ⛣➔❑♦ ✌⬉●⇳❸⬉✍⬉ ☝⌧⓿⊙✃☹☹♉﴾ [غافر:٢٨].

تتجلى في الآيةِ دقةُ اختيار التعبير القرآني للألفاظ التي عبرت عن النظم المعجز بأسلوب الاحتجاج العقلي الذي بدأه رجلٌ من آلِ فرعون بعد أن رَكن موسى ﷺ إلى ربّه، هذا الرجلُ قد وقعَ الحقَّ في قلبهِ؛ ولكنه كتمَّ إيمانهُ وسلك في خطابهِ لفرعون وملئه مسالك شتى يدافع فيها عن موسى ﷺ.

ودقيق ما نلحظه في هذه الآيةِ تقديمُ الوصف بالمفردِ على الوصفِ بالجملةِ للايحاء بثبوت الإيمان في قلبهِ واستقرارهِ، وتنكير لفظةِ (رجل) تعظيماً لشأنهِ، أي: ((رجلٌ كاملٌ في رجوليته))[١]، فيلتفت التعبير الحواري إلى بدء قولِ الرجلِ بالاستفهام الإنكاري بصيغة التعجب في قوله : ﴿🕮❑✍♦⧅☜⬅◘➔❑♌♦ ❻♦♉⬉⌧◷ 🕮❑♌ ③♦◗➔❑✌♦ ❻♦🗁■⬉❻" ✃♐✎✦﴾ تعريضاً وتوبيخاً لقومهِ في إرادتهم قتل موسى ﷺ بأسلوبٍ يلائم مقتضى الحال الذي هم عليه أي : ((أن من يقول ربيَّ الله لا يقتضي أن يُقابل بالقتلِ كما لا تقابلون بالقتلِ إذا قلتم : ربنا فرعون، كيف وقد جَعَلَ ربَّهُ من هو رُبّكم، فكان عليكم أن تُعزروه لا أن تخذلوه))[٢].

لقد أبرز التعبير القرآني ذكاء هذا الرجلِ وحذقه في أسلوب الحوار والاحتجاج بالأدلةِ العقليةِ والمنطقيةِ الداحضة، مُبْتدئاً بافتراض الكذب قبل الصدق، وجاء بذلك على سبيل التقسيم حين قال : ﴿❑◆◗⬉♌ ③♦⌨➔ 🗎•◷⓿✐🖃ॐ♐ ◆➔⬒■⓿⬂○♉ ⌧⓿✐🖃⬅○⬅◷ ☎ ❑◆◗⬉♌ ③♦⌨➔ ◷♐⓫♉🕭♐ ③⬉◷⬁⧗⬀▤⬈☠ 🖃♦➔⬃⮝↓ ✃♐✎⮝🕭♉❽ ③♦➔♉⓽⬅🖃☠⬈⬀﴾ مُبعداً بذلك دلالة ظنهم به الدفاع والانتصار لموسى ﷺ، ساعياً للظهور أمامهم بمظهر المهتم بأمر قومهِ تلطفاً وإنصافاً وابتعاداً عن التعصب في أسلوب الاحتجاج لذلك قَدَمَ إحتمال الكذبِ على الصدقِ تأكيداً على ذلك المراد.

---

(١) ينظر : نظم الدرّر : ٣٥/١٧

(٢) ينظر : روح المعاني : ٢٤ / ٦٤.

ويضفي (الطباق) أثراً أسلوبياً واضحاً في دلالة السياق القرآني بين لفظتي (كاذباً) و(صادقاً) وهو طباق حقيقي طرفاهُ ذكرا للجمعِ بين الشيء وضدهِ وضوحاً في بيان الدلالة التي يقتضيها المقام، فكان أسلوب الطباق هنا أبلغُ في تأكيد المعنى وملاءمتهِ للفظِ، ومراعاةً للسياق الذي يقتضي الإيجاز في الوعظ والإتيان بأقل الألفاظ التي تُنبئ بلهفةِ مؤمن آل فرعون إلى الإسراعِ لردّ عزم قومه على قتل موسى عليه السلام لذلك حُذفت نون الفعل (يكن)، وَعَدَل عن قولهِ (أو صادقاً) بدلاً من قولهِ (وإن يكُ) ((لئلا يكون قد نقص الجانب المقصود بالذاتِ حقه، فيكون قد أخلَّ ببعض الأدبِ، فقال مُظهراً لفعل (الكون) عادلاً عمّا لهُ إلى ما عليهم))[1] فاقتضى الحال غاية الإيجاز، ثم أنهى الآية بقولهِ تعالى : ﴿☐♌︎♑︎♐︎ ✈︎✍︎✎︎⅄ •• ⑨◆✂︎⑨⬀✂︎❽ ⇧♊︎♦︎✋︎ ♎︎➔❐◆ ✋︎◗●⇧❸♑︎✍︎♑︎ ✍︎☒⓿⨀✈︎☹︎✂︎﴾.

أَكَد الآلوسي أن في المعنى ((مبالغة في التحذير، فقد يكون إسرافه على نفسه، وكذبه على ربِّهِ))[2] إشارةً إلى موسى عليه السلام وهو تذييل جاء على سبيل الفصل والتوكيد بـ (أن) على لسان مؤمن آلِ فرعون فهو احتجاجٌ ذو وجهين :

الأول : أنه لو كان مُسرفاً كذاباً لما هداهُ الله تعالى إلى البينات ولما عضده بتلك المعجزات.

والثاني : إن كان كذلك خذلهُ الله وأهلكهُ فلا حاجةَ إلى قتلهِ.

ولعلّهُ أرادَ به المعنى الأول، وأوهمهم أنه أراد الثاني، ودلالة الإسرافِ هنا عامةٌ تشمل الشركَ وسفك الدماء بغير حقٍ، فجاء التعبير عنها بصيغةِ إسم الفاعل (مُسرِف) دلالةً على إستمرار فاعلهِ وثبوتهِ فيه[3]، أما لفظ (كذابٍ) فهي صيغةُ مبالغةٍ من فعّال دالة على معنى التجددِ، والاستمرارِ والتكريرِ والمزاولةِ[4]، دلالة على أن المراد من سياق النظم في هذه الآيةِ أن الله لا يعطي الهُدى من هو مسرف

---

(١) نظم الدّرر : ١٧ / ٥٤.

(٢) ينظر : روح المعاني : ٢٤ / ٦٥.

(٣) ينظر : معاني الأبنية في العربية : ٤١.

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٩٦، وصيغ فَعلة وفِعلة وفُعلة في القرآن الكريم : ٢١٦.

كذاب، كما أثبت ذلك في سورة طه في قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾ [طه :١٢٧].

تأمل قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [آل عمران: ١٩٠ – ١٩١]

لقد آثر التعبير القرآني هنا أسلوب التقسيم لهيئات الذاكرين وصورها واستيفاء أقسامها وهي : القيام والقعود والاضطجاع، أي : أنهم يذكرون الله ولا يغفلون عنه بأي حالٍ من أحوالِ ذكرهم لاطمئنانِ قلوبهم بذكر اللهِ واستغراق سرائرهم في مراقبتهِ بدليل قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [الرعد:٢٨].

ولا شك في أن تكرار هيئاتِ الذكر وأقسامها سَاعَدَ على بروز عنصر الإجمال الذي أعقبه التفصيل في ((صورة وحداتٍ متوازنة متوازية، عن طريق ذكر أقسام المعنى المتعددة، وتعيينها، وتنسيقها))[١]، فجيئ بعناصر التفصيل مباشرة (قياماً) و(قعوداً) و(على جنوبهم) و(يتفكرون في خلق السموات والأرض) بعد إبراز عنصر الإجمال في قوله تعالى (يذكرون الله)؛ لبيان الجانب الحركي لأحوال العبادة المتضمن دلالة التدبر والتفكر والإقرار بخلق الله الحق الذي لا جدال فيه.

ومن الملاحظ ترابط عناصر التقسيم المفصلة وفقاً لعلاقات متضادة متقابلة دلالياً، تعكس لنا الجوانب الحركية لحال الذاكرين، فلم يترك سبحانه قسماً من أقسام الهيئات حتى أتى به، مستوفياً بذلك جميع أقسام المعنى الإجمالي وتفاصيله.

---

(١) البديع وفنونه : ١٢٦.

ومنهُ قوله تعالى: ﴿ له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ﴾[مريم: ٦٤]، فقد استوفت الآية جامعةً أقسام الزمان الثلاثة أي: الحال في قوله تعالى ﴿ ما بين أيدينا ﴾، **والماضي في قوله تعالى** ﴿ وما خلفنا ﴾، والمستقبل بقوله تعالى: ﴿ وما بين ذلك ﴾ [(١)].

ومن هنا يمكننا التأكيد على أن التقسيمَ من شأنهِ أن يُصير القول أجزاء تعين أقسام الشيء وأحوالهِ، أو تستوفيها، أو تعدد ما يلائمهُ على نحوٍ قريبٍ مما تصنعه أشكال أخر كالترصيع والموازنة، مع إختلافات تخصُّ الوزن والتقفية، غير أن أهم ما يُميز التقسيم أيضاً هو الاتكاء على المعنى، أي أن صحة التقسيم أو فساده إنما يرجعُ إلى المعاني واتساق أقسامهِ أو منطقيتها قبل أي شيء آخر[(٢)].

أنعم النظر في قوله تعالى: ﴿ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ﴾ [النور: ٤٥].

من دقائق التعبير في الآيةِ أن الأقسام وقعت على ترتيبِ البلاغةِ في التدرج والانتقالِ بين الأنواعِ والهيئاتِ مجملاً القول في (خلق كل دابة)، ومفصلاً عناصر الإجمال المركبة المتكررة في لفظ الضمير (منهم)، العائد على لفظ (دابة)؛ ليربط بين دلالة الأسلوب التصويري المعبر عن قدرة الله وعظيم خلقه، وبين أجزاء النظم المقسَّم وما ينطوي عليه من تفاصيل دقيقة. فخلقُ اللهِ متنوعٌ بين من يمشي على بطنهِ من المخلوقاتِ وبين من يمشي على رجلين وبين من يمشي على أربعة ولهُ في خلقهِ تصريفٌ وشؤون.

---

(١) ينظر: علم البديع: (عبد العزيز عتيق): ١٣٦.

(٢) ينظر: البديع وفنونه: ١٢٩.

وقد تتعاضدُ دلالة التقسيم مع مصطلح المقابلة؛ وذلك حين تتقابل أجزاءَ التقسيم دلالياً، ومن ثم تتوافر علاقتان دلاليتان هما : الإجمال والتفصيل، والتقابل، ومن ثم تزدادُ درجة الحبك[1]، ومما جاءت دلالة التقسيم فيه مدمجة في المقابلة، قوله تعالى : ﴿⌑⬧⭕⬤⬧⌛🡕⬧⍓🕔♊⌘ ✂🙞✏★ ❍🙜✓×♦ ✍➔☺⇳⬤⬤❑♍🙟 ❑◆■🙜✓×♦ ✍➔🕔⬄⌛🙜⬧←❑♌◆♦ ⬀🙜⬀⬀ ❑◆✏⬧🕮⇖ ✂🙞⑩⬧⍓☺⇳⑨← ×🙜⑦ ❑◆✂🙞❁☛❻⬀⬀⬀ ✂🙞⑩⭕⭕☺⍓🕔❑◆🕔✞⬀ ❑◆⇖♦⌖🙜⓿❃🙞 ❑◆■🙜✓×♦ ✍➔➔⇳♑🙜❷⇖❑♌◆♦﴾ [الروم: ١٧ – ١٨].

اعترضت في الآية الكريمة المطابقة بين القسمين المتقابلين، واستوعب الكلام أقسام الأوقاتِ من طرفي كل يوم وليلة ووسطها، فصحت أقسام أجزاء الطرف الزماني، وجهتي العلو والسفل من الطرف المكاني، وصف ابن أبي الاصبع المصري هذه الآية بقوله : ((من أعجب ما وقع فيه مقابلة من الكلام؛ لأنك إذا جعلت كُلّ ضد منها مقابلاً لطرفٍ من طرفها كانت مقابلةً بالموافق، فإن المساء موافقٌ للعشي لا مخالف، والإصباح موافقٌ للإظهار لا مخالف، والمقابلة تكون بالأضدادِ وبغير الأضدادِ من الموافقِ والمخالفِ))[2].

يعتمد اقتران التقسيم بالمقابلة دلالياً على إفراز عناصر كل قسم في الطرف الأول ومقابلتها بألفاظ وتراكيب في الطرف الثاني تجمع بينهما صلات وعلاقات دلالية كقوله تعالى : ﴿✂🙞✏✦ ❑◆🖫⬀❼❺ ✂🙞✏⅄🕭🙜⇦⌑🙟 ➚◆✂🖏♦⅁⇖❑✂☎ ③⇖②⬃❷⬀♉⇖♑← ⚐ 🖏♓🙜♊⌘ ✂🙞⑩♐→♾🖬➔☺⍓🕔✱🙜 ⑤🙜⬀🖫■⑦ ✂🙞⑩♑✡♋❑❻⬀ ☎ ❑◆✂🙞✏⅄🕭🙜⇦⌑🙟 ✍☒⊞☒❷⇖❑⊞✂☎ ✂🙞⑩⬎⅄🕔⇔➚❑☠← 🕮❑❑⬃⑩🙜⑩◆🙞✏♦➚⚡➔☠⇖ ③⇖②⬃❷⬀♉⇖❑☼♦♑←☠ 🖏♓🙜⇗🙟 ✂🙞⑩♑✡♋❑❻⬀ ⑤🙜⬀🖫■⑦ ✂🙞⑩♐→♾🖬➔☺⍓🕔✱🙜 ▤ 🕮⬆❑🕯⑩⬧🕔✸⬖⬀①🙟

---

(١) الحبك (coherence) : هو المعيار الثاني من معايير النصية عند ديبو جراند ودايسلر، وهو معيار يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص (Textual world)، ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم concepts، والعلاقات Relation الرابطة بين هذه المفاهيم. ينظر : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١٤١.

(٢) بديع القرآن : ٦٦/٢.

🙰❑🙵❸⧉▫ ⬀☠➔♎ ☎ ⌀❻🙰❑✡ᘯ🙰✃ ➲🖪🕔⌂⬧⇳🕔❑🕮
⌘⌂🕔✃ᛗ🙰➔❑♍🙢 ﴾ **[البقرة : ٢٥٧]**.

فُصِّل الإجمال في قوله (الولاية) بالطرفين المتقابلين المرتبطين بعناصر أخرى في السياق قائمة على أسلوب التضاد الدلالي بين (الله تعالى) و(الطاغوت) وبين (الإخراج من الظلمات إلى النور) ومن (النور إلى الظلمات) وكما هو موضح في المخطط الآتي [1]:

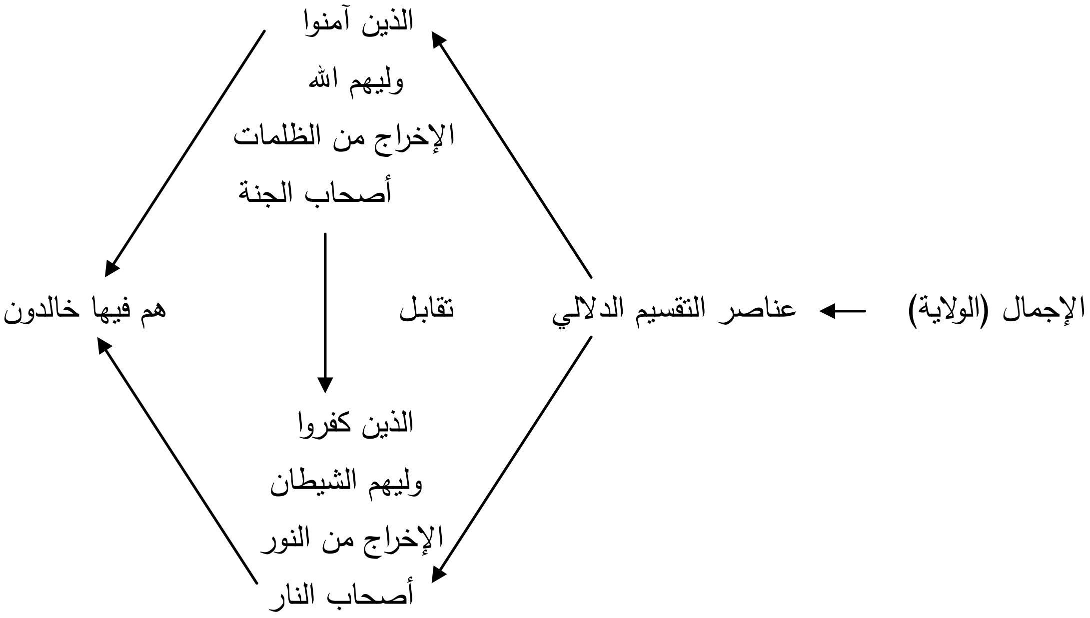

ومما جاء في سورة الواقعة قولهُ تعالى : ﴿❑◆🗈☟✡⬈✌⬇⬈☹⬂
➲🖪🕔⌂⬧⇳🕔❑ⓘ⬧▫ ⬰⌀⬀ ☪❑⬧⌖🕔■🖪❑🏱 🕭☯♊🕔◆❑⬂♾❑🕮
➲🖪🕔❑◆⬁🕗❑🕮 ✎🙰◆✍ ⧉❑◆☪⌂☺⬂⓿⌂☺⬂ᘯ🙰✃
➲🖪🕔❑◆⬁🕗❑🕮◆❑ ⬰⧉⬀ ⧉❑◆☪⌂☺⬂⓿⌂☺⬂ᘯ🙰✃
➲🖪🕔❑◆⬁🕗❑🕮 ✎🙰◆✍ ⧉❑⌂☺◆★⇳⌖❑✡▫➝🙰✃
⬰⌀⬀ ⧉❑⌂☺◆★⇳⌖❑✡▫➝🙰✃
﴾◆♌❑➔◗⬀🖮🕔❍❍ᘯ🙰✃ ◆♌❑➔◗⬀🖮🕔❍❍ᘯ🙰✃◆❑

[الواقعة: ٧ – ١٠].

فالتعبير القرآني هنا يعمد إلى القسمة العقلية المنطقية؛ ((لأن أصحابَ المشأمةِ هم الظالمون لأنفسهم، وأصحابُ الميمنة هم المقتصدون، والسابقون هم

---

(١) ومثيل ذلك في التعبير القرآني ما جاء في :
١- سورة آل عمران : ١٣.   ٢- سورة الحديد : ٢٦.   ٣- سورة الزلزلة : ٦-٨.

السابقون بالخيرات))[1]، وقد علَّق ابن حبنكة الميداني على هذا التعبير بقولهِ : ((من الإطلاقِ الثالثِ للتقسيم الذي تُستوفى به أقسامُ الشيء الموجودة في الواقعِ، أو تستوفى به الأقسام العقلية))[2]، فالناسُ يوم القيامة يُفرزون إلى ثلاثة أقسامٍ :

القسمُ الأول : الكافرون، وهم أصحابُ المشأمة.

القسم الثاني : المؤمنون غير السابقين، وهم أصحابُ الميمنة.

القسم الثالث : المؤمنون السابقون، ذوو الدرجات العُليا.

فقد ذكر النصُّ أصحابَ الميمنةِ أولاً ثم أصحابَ المشأمةِ، ثم فرز بعد هذا التقسيم العقلي الصريح السابقين من أصحابِ الميمنةِ تمييزاً لهم وإعلاءً لمكانتهم، وباستكمالِ قراءة سورةِ الواقعةِ نجدُ تفسيراً لهذه الأقسام الثلاثة بدأ بـ﴿ ✂︎◆❒︎✂︎◆♌︎❒︎→◑︎⌨︎🕔︎○○♋︎◉︎✍︎✂︎◆❒︎◆

✂︎✍︎◉︎♋︎○○🕔︎⌨︎◑︎→❒︎♌︎◆﴾ [الواقعة:١٠]، وتلى هذه الآية مباشرة قوله تعالى: ﴿ 🕮︎↑❒︎◉︎✱︎◆🕔︎✻︎◇︎⌨︎⌧︎ ✂︎✍︎◉︎♋︎⬂︎☺︎←◑︎◆❷︎■︎✍︎←❒︎♌︎◆

✐︎✐︎✐︎✐︎ ❼︎ ♉︎ ⌧︎☪︎❒︎🕔︎✱︎ ✂︎✍︎◉︎♋︎☪︎❒︎→❿︎🏳︎✐︎﴾ [الواقعة: ١١ – ١٢]، واستمر التفسير على امتدادِ ست عشرة آية، آخرها قوله تعالى : ﴿ ◑︎⬧︎•• 🔔︎❿︎⌧︎⬧︎ ♋︎⌧︎🖬︎■︎🕔︎☺︎✝︎✍︎ ♋︎⌧︎🖬︎■︎🕔︎☺︎✝︎✍︎﴾

[الواقعة:٢٦]، وبعد هذه الآية مباشرةً، بدأ تفسير (أصحاب الميمنة) حين قال تعالى : ﴿ ✂︎✍︎◉︎♋︎⬂︎⓿︎◆☺︎✓︎✗︎✐︎ ✌︎◆✍︎✎︎ 🕮︎❒︎🕗︎⬁︎◆❒︎🕔︎🖬︎➲︎
✂︎✍︎◉︎♋︎⬂︎⓿︎◆☺︎✓︎✗︎✐︎ ✐︎✐︎✐︎✐︎ ❼︎♉︎✗︎ ♋︎⬀︎⓽︎⇳︎❻︎◉︎♋︎
✍︎⓪︎⬂︎❸︎♎︎→❒︎❿︎⌨︎ ✐︎✐︎✐︎ ❒︎◆⬤︎◆🖬︎▫︎⌧︎🖰︎ ✌︎❒︎☪︎♎︎→❒︎❿︎⌨︎
✐︎✐︎✐︎ ❒︎◆←✐︎♏︎◉︎♋︎ ✌︎❒︎☺︎⇳︎⓽︎←❒︎❿︎⌨︎ ✐︎✐︎✐︎
❒︎◆✌︎◆✍︎✎︎⬈︎🕮︎ ✌︎❒︎○⬄︎▤︎⬈︎❒︎✇︎▯︎ ✐︎✐︎✐︎ ❒︎◆▫︎◆🕔︎▤︎⬀︎♑︎⌧︎❒︎⌨︎
🖎︎⌧︎⧫︎✐︎❷︎❸︎◆❒︎▭︎﴾ [(الواقعة:٢٧–٣٢]، ويستمرُ التفسيرُ على امتدادِ أربع عشرةَ آية، آخرها قوله تعالى : ﴿ 🏳︎➔︎✂︎▲︎🕯︎⋖︎ ✌︎♓︎✐︎⬀︎☙︎
✂︎✍︎❁︎☞︎❒︎❒︎◉︎✐︎✓︎✗︎◆ ✐︎✐︎✐︎ ❒︎◆🏳︎➔︎✂︎▲︎🕯︎⋖︎ ✌︎♓︎✐︎♊︎⌘︎
✂︎✍︎⌧︎☞︎⌘︎⬀︎❷︎✐︎⇦︎✗︎◆﴾ [الواقعة:٣٩ – ٤٠]، وبعدها مباشرةً بدأ بتفسير

---

(١) المثل السائر : ٣ / ١٦٧.

(٢) البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٤١٢.

(أصحاب المشأمة)، حيث قال تعالى : ﴿ [illegible]
[illegible]
[illegible] ﴾ [الواقعة: ٤١-٤٢]، إلى آخرِ قولهِ تعالى:
﴿ [illegible]
[illegible] ﴾ [الواقعة:٥٦].

من كُلِّ ما سبق نثبت ونؤكد تجاوز ظاهرتي (التقسيم) و(التفسير) مستوى الجملة؛ بل مستوى النصّ، زيادةً على التأكيد على علاقات الترابط القائمة بين التقسيم والتفسير الذي تتجلى فيه بنية التعميم البارزة في مظاهر التخصيص أو الإجمالِ والتفصيل.

فالتفسيرُ في أدقِ حدودهِ قائمٌ على استيفاء الشروحِ لما يُبتدأ به الكلام مجملاً ((وهو أن يأتي المتكلم في أولِ كلامهِ بمعنىً لا يستقل الفهم بمعرفةِ فحواه، إما أن يكون مُجملاً يحتاجُ إلى تفصيلٍ، أو موجهاً يفتقرُ إلى توجيهٍ، أو محتملاً يحتاج المرادُ منهُ إلى ترجيحٍ، لا يحصلُ إلاَّ بتفسيرهِ وتبيينهِ))[١]، وبذلك يقتربُ هذا الفن من فن التقسيم ضمن علاقاتٍ تبعية قائمة على الإجمال والتفصيل والشرح والإيضاح وصفاً للحالات المختلفة التي يكون عليها الكلام المجمل، ثم يتحدد دور التقسيم أو التفسير تبعاً لذكرِ المتعدداتِ وإضافةِ أو استيفاء ما لكُلِّ منها على التعيينِ أو الترتيبِ.

وفي ضوءِ هذه العلاقاتِ بين المجملِ وتفسيرهِ، قسَّم حازم القرطاجي التفسير إلى ستةِ أنواعٍ هي : تفسيرُ الإيضاح، وتفسير التعليل، وتفسيرُ السبب، وتفسير الغاية، وتفسيرُ التضمن، وتفسير الإجمالِ والتفصيل، وقد عرّف بكلِّ نوعٍ من هذه الأنواعِ ممثلاً لها بشواهدَ أدبية شعرية ونثرية[٢]، أما إبن الاثير فقد أضاف لهذه

(١) بديع القرآن : ٧٤/٢.

(٢) ينظر : منهاج البلغاء : ٥٧-٥٨، ولبيان معنى هذه الأنواع ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٢ / ٣١٤.

الأنواع ثلاثةً أخرى منها : تفسير العدد، وتفسير الإبهام، وتفسير التبرع[1]، ويتنوع التفسير من حيث مجيئهِ على ترتيب المجمل، وعلى غير ترتيبه، على النحو الآتي :

أولاً : ما جاء فيه التفسير على ترتيب المجمل : ومثالهُ قوله تعالى :

[illegible] **[هود:١٠٥-١٠٨]**.

تتعدد الأساليب البلاغية وتتلون الفنون الأدبيةِ في نظم القرآن الكريم لتتضافرَ جميعاً في تحقيق ما يرمي إليهِ، وهو بذلك كُلّه يختارُ ما يناسب كل مقامٍ، وسياقٍ بأدق الألفاظِ والمعاني التي تتفجرُ حكمةً وبلاغةً.

تأتي هذه الآيات في سياق بيان المشاهد الدالة على يوم القيامةِ ترهيباً وتخويفاً لعبادهِ ((وأنه يومٌ لابدَّ من أن يكون ميعاداً مضروباً لجمْعِ الناسِ، وأنه الموصوف بذلك صفةً لازمةً))[2]، فهو يومٌ مجموعٌ ومشهودٌ فيه، طويلٌ له مواقف ومواطن، والناسُ فيه مقسمون بين من يُجادلُ عن نفسهِ، وبين من يكفون عن الكلامِ فلا يؤذن لهم، وبين من يؤذن لهم فيتكلمون، وبين من يختمُ الله على أفواههم وتتكلم أيديهم، وتشهدُ أرجلهم، فأما الشقي منهُم فهو الذي وجبت لهُ النار لإساءتهِ، وأما السعيدُ فهو الذي وجبَتْ لهُ الجنة لإحسانهِ.

---

(١) ينظر : المثل السائر : ٢ / ٢٧٣، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٢ / ٣١٥.

(٢) الكشّاف : ٢ / ٤٢٩.

وقد أكدَّ الزمخشري (ت٥٣٨هـ) أن هذه الآيات جاءت مفسرة بعضها بعضاً مرتبةً على ترتيب المُجملُ[١]، فقد قدمَ السياقُ لفظَ (الشقي) وفَصَلَ لهُ التفسير المُبين أقسامهُ وصورهُ، ثم فَصَّلَ القول في لفظِ (السعيد) ووعيده بالجنة خالداً فيها ما دامت السموات والأرض.

ثانياً : ما جاء في التفسير على غير ترتيبِ المجمل : كقوله تعالى : ﴿[illegible]﴾[آل عمران: ١٠٦ – ١٠٧].

ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم كثيرة[٢].

وقد احتمَلَ باحثٌ معاصر[٣]، مجيء التفسير في سورةٍ كاملةٍ من سور القرآن مؤكداً احتمالهُ بما قيل عن العلاقة بين سورة الفاتحة وبقية سور القرآن الكريم كلّها، فقد قيلَ إن الفاتحة أجملت ثلاثة أقسام، جاء تفصيلها على امتداد القرآن كلِّهِ، يقول الزركشي : ((أمُّ علوم القرآن ثلاثة أقسام : توحيدٌ وتذكيرٌ وأحكام؛ فالتوحيد تدخل فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائهِ وصفاتهِ وأفعالهِ. والتذكير، ومنه الوعدُ والوعيد والجنة والنار، وتصفية الظاهر والباطن. والأحكام؛ ومنها التكاليف كلّها وتبيين المنافع والمضار، والأمر والنهي والندب))[٤]، وأكمل الزركشي حديثه معللاً بهذا السبب تسمية ((فاتحةُ الكتابِ أمَّ الكتابِ؛ لأن فيها الأقسام الثلاثة : فأما التوحيد فمن أولها إلى قولهِ (يَوْمِ الدِّينِ). وأما الأحكام فـ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

---

(١) ينظر : الكشّاف : ٢ / ٤٣٢.

(٢) ينظر على سبيل المثال : سورة يونس : ١٢، سورة النور : ٤٨ – ٥٠، سورة الواقعة : ٦٣ – ٦٥، سورة آل عمران : ١٩٠ – ١٩١، سورة الرعد : ١٢.

(٣) ينظر : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١٥٩.

(٤) البرهان في علوم القرآن : ١/١٧.

نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة : ٤]، وأما التذكيرُ فمن قولِه (آهدنا) إلى آخرها؛ فصارت بهذا أمّاً؛ لأنه يتفرعُ عنها كُلّ نبتٍ))[1]، وبهذا يقتربُ فنُ التفسير من فن التقسيم؛ لأنه يقوم على علاقةِ الإجمالِ والتفصيل إعتماداً على ذكر المتعدداتِ، ثم إضافةِ ما لكل واحدٍ على التعيين أو الترتيب.

والذي يراهُ البحث أن التقسيم ببنيتهِ المتوخية تحقيق الإجمال والتفصيل من دون إخلالٍ بالرجوع إلى المعاني واتساق الأقسام ومنطقيتها يُقارب إمكانيات مصطلح التفسير التي تسمحُ كثيراً في حدودِ علاقاتِ الإجمالِ والتفصيلِ بالمنطقية والتأكيد على المعاني وأئتلاف التقسيمات وإيجادِ التفسيرات والمبرّرات العقلية الواضحة فهو لا يخالفُ شروط التقسيم في إحداث أثر الدلالة، وفي ظلِّ هذا يصبح واضحاً جمع التقسيم مع التفسير في ضمن علاقات ترابطية من شأنها التعميم أو التخصيص لتقديم الشروح والأنواعِ مُجملة ومفصلةً مما يُزيد في قوةِ درجةِ الحبك في الكلام.

وهذه العلاقات يمكن أن تتسع لتشتمل أكثر من مفهوم، فالتبيينُ مثلاً يرتبط في كتب البلاغةِ بصحةِ التفسير، وهو تفصيلُ المجملُ، وذلك بأن يضع المتكلم كلاماً ثم يلحقهُ بما يبينهُ، فقد أسماهُ قُدامة ابن جعفر (صحة التفسير)[2]، حيث تتجلى في هذين الفنين العلاقات المنطقية المرتكزة على الإجمالِ والتفصيل؛ لتحقيق أثرٍ دلالي في نفس المتلقي قائم على الترتيبِ والتلاؤم والانسجام، مما يُظهر حقيقة ما أشترطه البلاغيون في صحة هذا الفنِ من إفادتهِ المعاني دون إخلالٍ في أقسامها واستيعاب جميع أقسام المعنى وجميع أحوالهِ بعيداً عن تجاوز أي شيءٍ منها.

تأمل قولهُ تبارك وتعالى: ❁♎➔❑◆ ✂✍✏⅄🔔&❽
✍➔❷♦✂☢▯ ⚐➔☠▪ ❀♦▪■◑♦⌛➔☠ ✋♓&♊ ✋&♊
☼✎➲↖🏁▦☒❑⌨ ⚐➔☠▪ ✋&♊⇳ ↘♦▪■◑♦❑⌨ ⚐➔☠▪
⑥➚③↘❷▩♉↖▤➚☠⬀ ⊂&▦▩↘☒⌖ ⚐➔☠▪
☎✂☑❑➚⬄➔▪⬀⌨♦☞&☏ 📖❑⅄➚⑨◉▤➔☠⬀ ⚐➔⚐○
☏&☞♦▤➚❑☼⬅❑✂☎ ⅄➚⑩↖❑❁✡🔔❁ [غافر: من الآية٦٧].

---

(١) المكان نفسه.

(٢) ينظر : نقد الشعر : ١٣٥.

بعد ذكر العديد من النعم الإلهية في الآفاقِ، ثمّ ذكر شيء منها يتعلق بظاهر الأنفس وهو جانب التصوير في الآيات السابقة من سورة غافر، يذكر التعبير القرآني نعمة خلقِ الإنسانِ بكُلِّ مراحلها التي كانت عند نزول القرآن غيباً مجهولاً عن إدراكِ العرب لها، فكانت البينات مقوّية لأدلة العقل ومؤكدة لها، ومتضمنة ذكرها. فجاء سياق الآية مُعبّراً عن المراحل التي يمرُّ بها خلق الإنسان في رحلةٍ عجيبة يقفُ أمامها العقل متدبراً قدرة خالقهِ العظيم، فقد آثر التعبير القرآني صيغة الفعل (خلقكم)، واستخدم من قبل (صوّركم)؛ لأن الحديث هنا عن مراحل خلق النفس الإنسانية بكل أجهزتها ومراحل نموها وليس ظاهرها فحسب؛ فالتصوير لظاهر الأشياء يتطلب مجيء صيغة الفعل (صوّركم)، ولا شك في أن الحديث عن هذه المراحل فيه تشريفٌ للإنسان، لأنها تدلّ على عناية الله تعالى به، ((لأن الموجود شرفٌ والمعدوم لا عناية بهِ))[(١)].

زيادةً على أن غاية الخبر هنا التعظيم، وتكرار حرف العطف (ثُم) المفيد للترتيب والتراخي فيه تأكيد حاجة المخلوق في مُدّة الحمل إلى عناية البارئ حتى ساعةِ الوضعِ، وهكذا في مراحل الحياة الأخرى، كل ذلك يدل على قدرته العظيمة، وقد أدى تكرار الحرف (ثمّ) دلالة التنبيه على خطورة ما يلي :

١- (ثُمّ) من المعاني، فالمعنى قبلها يبلغ الذروة فيما بعدها، فتكون ضَرَباً من ضروب التوكيد لما بعدها[(٢)].

٢- الترتيب والتّراخي الزماني المنطوي تحت دلالة هذا الحرفِ شكلٌ من أشكال الوقفِ أو الانقطاع في الكلامِ يزيدُ من ذلك التنبيه.

٣- التعبير القرآني متى ما أرادَ الارتقاء في المعنى بأنْ يجعلهُ أشدَّ وأقوى أو أكثر استغراباً عَمَدَ إلى الربطِ بـ (ثُمَّ)[(٣)].

وآثر التعبير القرآني لفظةُ (طفلاً) كإيثارها في قوله تعالى : ﴿■☠➔⚐ ✞⬆③⬂❷▩Ⴘ⬉▤⬈☠⬀ ⬅ⴘ▦⬂☒✦﴾ [الحج: ٥]؛ ذلك أن الآيتين تتحدثان

(١) التحرير والتنوير : ٢٤ / ١٩٧.

(٢) ينظر : التعبير القرآني : ١٩٦.

(٣) ينظر : التعبير القرآني: ١٨٧.

عن خلقِ الإنسانِ من تُرابٍ ثم من نطفةٍ ثم من علقةٍ، مجملة مرتبة مفسرة بالتفصيل في آياتٍ أُخر من قولهِ تعالى :

﴿❀◰◨■✡☙ ⁓⁓✂︎〰︎"☀︎♠︎♠︎○❁◷♊︎⌘ ✌︎♉︎♊︎ ◷❁◨▫︎◷❁◷☙︎⑩

❤︎◰☒❷☺︎⚘⓿⓬〰︎❻⚘﴾ [الرحمن:١٤]، وصفاً للتُراب، وقوله تعالى : ﴿□◆⑩⬥◑⬥⑨⇧ ⌘◰◨■◑⬂✡□〰︎ ✂︎〰︎"☀︎♠︎♠︎○❁◷♊︎⌘ ✌︎♉︎♊︎

⬅︎◨■◷✂︎⬥♙⌨︎ ✌︎♓︎♉︎♊︎ ☪︎♉︎✓✗🕮 ⬀⌘⬃⬅︎ ⚐➔☠︎▪︎
♉︎◰➔◰◨▫︎✡□○⬅︎ ✡⬅︎⬆︎◨☒□☪︎ ✗⬃❼ ⚐⬥❷⬥✂︎❻⑩

✒︎□◆✂︎〰︎✏︎✦ :﴿□◆✂︎〰︎✏︎✦﴾ وقوله تعالى : ﴿✌︎□▤⬂✓✗🕮﴾ [المؤمنون:١٢-١٣]، وقوله تعالى : ﴿❀⬥◨■◑⬥▤⬈◸
⬋♑︎➔❷⬥✂︎☹︎▤ ✌︎♓︎♉︎♊︎ ⚐➔☠︎▪︎ ✌︎♉︎♊︎
✡⬥⬅︎◫☒□⌨︎ ⚐➔⚐○ ♉︎◰➔◰◨■▤⬈◸⬀

🕮□⬂⬂◆◷♊︎☯︎⚐﴾ [فاطر: من الآية١١].

فقد بُني الكلام في هذه التعبيرات على خلقِ الجنس وليس على خلقِ الإفراد، فلم يقل (نُطَفٌ) و(علقات) و(مُضغات)؛ بل بناه على المفرد الذي يفيد الجنس، والنطفة والعلقة والمضغة تخرج طفلاً لا أطفالاً، فناسب ذلك التعبير بيان الجنس[1]، زيادةً على أن كلمة (طفلاً) في كلام العرب تستعمل للمُفرد والجمع، فكان ذلك غايةً في التناسب، في حين قال في موضعٍ آخر من سورة النور : ﴿□◆◑⬃❶⬥✂︎
◸⬥◨■⬀☒ ✂︎〰︎❀☛︎☪︎⇧◫☒◷⬉ ✌︎♉︎☪︎▤⬈☠︎⬉
✂︎〰︎◗⬂⬥⬅︎◨➔⚐⌘ ⬥◨▫︎❿◆○⇔☛︎◆★⬂❿✍︎✡⬅︎□✂︎☎︎
▤●☺︎◰〰︎ ✂︎〰︎♒︎⇔♦︎★⬂⓿☒♌︎◆ ✂︎〰︎✏︎⬆︎♙⇔▫︎☙ ✌︎♉︎♊︎
⚐⬥⬉◨♏︎⬃♑︎⬃☠︎⬀ ▤ ✍︎☒⓿☒◷☙︎♉︎①☙ ③⬉⌨︎◆✓♓︎⬃✗⬅︎
✂︎〰︎✏︎✦ ☙⬥⬆︎➔☠︎⬀ ⬈◆✂︎③◆◷✍︎♉︎○♉︎◷ ▤ □◆✂︎〰︎✏︎✦

⬊◆◨⬃❿⚐⬋ ○◰⬆︎⬂❿⚐☙﴾ [النور:٥٩]، ففي الآية جاء اللفظ على الجمعِ لا على الإفرادِ ولا على الجنسِ، وهي مُبينة لعلاقات الأفراد في المجتمع، والسياق يتحدثُ عن العلاقاتِ الإجتماعية، مما يتطلبُ مجتمعاً كاملاً لا فرداً في المجتمعِ، فناسب الجمعَ أيضاً.

وهكذا نجد أن الآية القرآنيةِ في سورة غافر تختص بترتيب المراحل الخلقية بدءً بالترابِ أولاً ثم النطفة وهي المرحلة الثانية، ثم العلقة وهي المرحلة التي تلي

---

(١) بيان الجنس : جنس الإنسان وهو مفهوم من واحدهِ، يُنظر : الكشّاف : ٤ / ٩٥.

النطفة ثم الإخراج النهائي في الاستقراء طِفلاً في أحسنِ وأكمل الصور ، وهذا الترتيبُ والتفسير والتقسيم الإلهي المتكامل والمعجز يوحي بدلالاتِ المعاني التي أدت ألفاظها الأداء الدقيق ضمن إيحاءات تجلت في قُدرة الخالقِ الأعظم على الإيجادِ من العدم، فلو أعدنا النظر في الآيةِ السابعة والستين من سورة غافر متأملين الصيغ (يخرجكم) و(لتبلغوا) و(تكونوا)، و(لعلكم تتقون)، نجد أنها جاءت في نظامٍ متكاملٍ دقيق الاختيار أدت فيه كل صيغة مع ما يناسبها دلالياً، على الرغم من ثراء اللغة ولا سيما لغة القرآن ونظمهِ؛ إلاَّ أن الاختيار جاء في قوالبَ مسبوكةٍ منتظمة، فلفظةُ (يخرجكم) أدت دلالة العناية الربانية للجنينِ وهو في بطنِ أمهِ، فهي توحي بأن ساعة الوضعِ لا يعلمها إلاَّ الله تعالى بعلمهِ وقدرتهِ، ولا تتم إلاَّ بمشيئتهِ.

أما لفظة (لتبلغوا) التي أوثرت مع وصفِ وصول الإنسان إلى ذروته في القوةِ والعقل وكأن ما قبلها من مراحل كان وسيلة للوصول إلى هذه المرحلة، في حين أوحت لفظة (تكونوا) مع وصف مرحلةِ الشيخوخة ببدء النزولِ من قمةِ النمو الجسدي والعقلي، مشيراً بقولهُ تعالى : (من قبل) إلى أن الوفاة قبل الإخراج وقبل بلوغ الأشد أو الشيخوخة فكُلّ هذه المراحل لم تكن اختيارية؛ بل موقوفة في حكم قولهِ تعالى : ﴿**وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمّىً**﴾؛ أي أنَّ هذه الأصناف ميسرة ليبلغ كل واحد منها أجلاً مسمى لا يتخطاه وهو وقت الموت، وقيل : يوم القيامة(١).

وجاء ختام الآيةِ بقوله تعالى : ﴿**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ دلالة على التأكيد بأن تلك البيناتِ والحجج ما هي إلاّ أدلة عقلية تحتاجُ إلى تدبرٍ وإدراكٍ، فناسب ذكرُ العقل مع سياقِ ورودِ الآياتِ الدالَّة عليهِ.

خامساً : أسلوب التفريع وأثره في الدلالة القرآنية :

من المظاهر البديعية التي تبرز علاقاتُها الإجمالية والتفصيلية من خلال ما تتركهُ من أثرٍ أسلوبي في الدلالة مصطلحُ (التفريع)، الذي يرتبط بما ذُكر من مصطلحاتِ التقسيم والتفسير والترتيبِ. فـ(التفريعُ) مصدر قولك : ((فرعتُ من هذا

(١) ينظر : الكشّاف : ٤ / ٩٦.

الأصلِ فروعاً : إذا استخرجتها))[1]، جاء ورودهُ في اللسانِ مادة (فَرَعَ) الدالةِ على التفريقِ، و((فَرْعُ كُلّ شيءٍ : أعلاه، وتفرَّعتْ أغصانُ الشجرة، أي كَثُرتْ))[2]، قال إبن رشيق : ((وهو من الإستطرادِ كالتدريج من التقسيم))[3].

ولأسلوب التفريعِ معنيان عند علماء البديع :

المعنى الأول : ((وهو أن يثبت لمتعلقٍ أمر حكم بعد إثباته لمتعلقٍ أخر))[4].

المعنى الثاني : ((هو أن يصدر المتكلم كلامهُ بأسم منفي بـ (ما) خاصة، ثم يصف الأسم المنفي بمعظم أوصافهِ اللائقة بهِ إما في الحُسنِ أو القبحِ ثم يجعلهُ أصلاً يفرع منهُ معنى))[5].

ومن هُنا يتضحُ أن مصطلح التفريع هو أن ((يرى المتكلم الأديب أن المعنى الذي يُعبر عنهُ بعبارةٍ ما يتفرع عنه معنىً آخر، ويرى فنياً أن من البديعِ في القولِ أن يعبّر عمّا لاحظهُ على سبيلِ التخيُّل أو الإدّعاء)) [6]، ومن المعلوم أنَّ كونَ الشيء فَرعاً لآخر ينتج عن ارتباطه ارتباط الفرعِ بالأصلِ، والمتكلم الأديب يبني على ما تصور، فيفرعَ فكرة عن فكرة، ويبني عليها، ((كما يكون الولدُ لأبويهِ، وتكون أغصانُ الشجرةِ ونواميها فروعاً لساقها وجذورها))[7]، أي أن التفريع حالٌ من أحوال ربط المعاني ووجوه اجتماعها وتفرقها؛ لذا يرتبط مع المصطلحات السابقة في حدود علاقات الإجمال والتفصيل.

تأمل قوله تعالى : ⧫◻⬥☸⧫⑨●✌⧫ ✄✍✐⅄🔔♎⇦◻❥
❾♎🔔⅄✐✍✄ ◆❸⬀❷⌧➘ 🕔⬥⬀❑⬥🔔 ☎✄❑🡐☺■⧯⬥🡐
❼■✍⧫⬉ ✍◆☪⬂⧫❽✡❑🕯⬥◻ ⬄⚐🡐♑⬥ ⬥✍⓿♎🔔
⌘♊♎♓✋ ✄✡❽⇳♉✍❻ ☎✄❑🡐☺■⧯⬥🡐 ⧫✖⇦♎🔔⅄✐✍✄

---

(1) أنوار الربيع : 6 / 111.

(2) لسان العرب : مادة (فَرَعَ).

(3) العمدة : 2 / 42.

(4) الإيضاح : 280، التلخيص : 379.

(5) البديع في نقد الشعر : 123، وقد سمّاه بعضهم (النفي والجحود)، ينظر : أنوار الربيع : 6 / 112.

(6) البلاغة العربية (الميداني) : 2 / 425.

(7) المكان نفسه.

☎✂❑🡐✡🔔⌧✍ ✍❑⌫☺⊗✍ ☊↗✏✍❑⌫☺❍❍♑♐✍✂
③♦▦⬂❍❶❶➔❑♌♦♦ ﴾ [البقرة:٥٩].

بَعَد أن أمر الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل بالدخول إلى بيتِ المقدسِ بعد تيههم في مصر، أمرهُم بالسجودِ عند الإنتهاء إلى الباب، شكراً للهِ وتواضعاً، وأن يدعوا الله ليغفرَ لهم ويحطّ عنهم، ووعدهم أن يغفرَ لهم خطاياهم، وأن يزيدَ المحسنين من فضلهِ ونعمتهِ، فخالفوا هذا كلَّه كعادةِ اليهودِ[1]، فجاءت الآيةُ التاسعة والخمسون من سورة البقرةِ إيضاحاً وتخصيصاً بالذكرِ للذين ظلموا، ((إما لأنهم كانوا فريقاً منهم هو الذي بَدَلَ وظَلَم. وإما لتقرير وصف الظلم لهم جميعاً))[2]، فبدلوا ما أُمروا بهِ من القول وهو (حِطّة)[3] قولاً غيرهُ، ولم يمتثلوا أمرَ اللهِ تعالى، عدولاً عن طلبِ ما عندَ اللهِ إلى طلبِ ما يشتهون من أعراضِ الدنيا، فتفَرعَ عن فسقهم عن طاعةِ اللهِ بتبديلِ القولِ الذي قيل لهم معاقبتهُم بإنزال الرجز[4] من السماء لظلمهم وجحودهم وعصيانهم، ويلحظ أن التعبير القرآني هنا عَمَد إلى أسلوب التكرار في قولهِ تعالى : ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾؛ لدلالةٍ إيحائيّة تُزيد في تقبيح أمرهم، وإيذاناً بأن إنزال الرجز عليهم لسبب الظُلم.

تأمل قوله تعالى في سورة البقرة التي جاءت في سياق الإستمرار بوصفِ مزاعم اليهودِ وتمردهم وعصيانهم لأمر الله في قولهِ تعالى :
﴿❑♦🔔♦✍♐↗❑✂☎ ♍♦♊ ✍♦◐❍❍⌫☺♦✍
✂✍♐✡❑✍❶⬇ ❶⊗♦⚐ 🕮❑③✹✍✌✡✍
✌❑➔⑨🡐❑⑩⌫❑◐ ▤ 🔔➔✍⬀ 🕮❑✌✦③♦⓿⬁✍➔☠⬀
⬉♑⇳⑨✡✂ ♦▫▪♊ ⑥↗③⬂▪⊗✂⌫ ⬉☊◐⑨⌫ ✂✍✏★
✂✍✏✦ ⬉♦♑⇳⑨⌫■🡐①▦ ☎ 🕮❑⊳⬀ ✍♦❶➔❑♐↗❑♌♦

(1) ينظر : في ظلال القرآن : مج١ ، ج١ ، ص٧٣.

(2) المصدر نفسه.

(3) كلمة (حِطَّة) على وزن فِعلة وهي خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ أي : مسألتُنَا حِطةٌ : والحطةُ طلبُ المغفرة، فاللفظ الذي أُمر به بني إسرائيل يحملُ معنى الاستغفار والشكر، والانتهاء إلى وضع تعودون فيه إلى الله وإلى دينهُ الصحيح بدليل قوله تعالى : ﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: من الآية٥٨]، ينظر : الكشّاف : ١ / ١٣٤.

(4) الرجز : هو العذاب الذي نزل على بني إسرائيل من السماء، فأهلك به من أهلَكَ منهم، ينظر : الكشّاف : ١٣٤/١.

⬉♦✍■❼ ✂♋♌ ★✏♋♌✍♦✍ ♦♦ ✍♦➔⬀🖬■☺←❑♍♒﴿ [البقرة : ٨٠]، أي : أتَّخذتم عند اللهِ عَهداً فيتفرعَ عنهُ أن لا يُخلف الله عهده[1].

وقولهُ تبارك وتعالى في سورةِ طه حكايةً لما قالَ موسى عليه السلام لسحرة لِفرعون : ﴿🔔♦♋✌♦ ♒♦♑←🏱 ✌❿❑♎⬔✆▤ ❑♦③⬀🖬■▤↗☠⬀ ♦♦ ✉⬀●❍ ✉♋♌✂ ✏★ ✍🖎✋♦❸←❑✂☎ ⬉♦✍■❼ ✂♋♌ ★ ✉■ ❑♦🔔♦⑨⇳ ☎ ▫♦❿⬉○⬄♦✌✐♦▤↗✉ ✉♐➔⌧❍⌧✂⊚▯ ⚙♦🔔⊚⌘ ✌♦♊⬁ ✂♋♌▫✉✋♦❸♦❽▤﴾ [طه:٦١].

يثبِّت التعبير القرآني حقيقةً واضحةً هي أن القصة القرآنية بوصفها أسلوبٌ من أساليب الدعوة أثرٌ في المخاطبِ إذ تتجلى جمالياتُ الخطابِ عندما يسهم في رسمِ صورتين متناقضتين؛ ليؤدي إلى الكشفِ عن طبيعة هاتين الصورتين، فقد ركزت الآية على شخصية سيدنا موسى عليه السلام وإبراز صفات النصح والأمانة فضلاً عن دلالتها الإيحائية في الكشفِ عن جانبِ الجفوةِ والافتراءِ والوقاحةِ المتمثل في قومِ فرعون وملئهِ في حين أفصحت دلالة الحدثِ عن معنى التحذيرِ أي : لا تفتروا على اللهِ كذباً بأعمال السحر التي تخدعون بها أعين الناسِ، ((ولا تدعّوا آياتهِ ومعجزاتهِ سِحراً[2]، فيستأصلكُمْ بعذابٍ شديدٍ؛ والمعنى أن هذا الاستئصال يتفرّعُ عن افترائكُم على الله كذباً))[3]، وبذلك يتحققُ التوازن بين أجزاء القولِ من خلالِ إقامةِ تكافؤٍ أو توازٍ بين طرفين أو حكمين، أو وضعين لطرفٍ واحدٍ، وتأسيساً على ذلك فالتفريع هو جعلُ الفرعِ بموازاةِ الأصلِ في الكلامِ، أي : جعل المعاني التي تفرعت من أصلٍ واحدٍ، تقف مساوية للأصل ومكافئة لهُ.

تأمل قوله تعالى : ﴿▤♦⓿⊙🖃♦✱💣⇳ 🔔♦⌛⬀🖬■♑←☠⬀ 🔔♦❑⬀→← ☼←❑⌧🖰 ❑♦✂♋❀☞○⇳❽♦✂⚇⊃ ✌✍♊✐ 🖃➔♓♦✍ ➔⬀⑨♉♎♉☠⬀ ☎ ❑♦♎⌧☺❍✱💣⇳ 🖹➔✍❻ 🕮↑✌❑❑◎ ♒♉❽♦❍♈❀♉➔⓿⬈❑■← ☎ 🖃♈❷♦♉ ❑←❑🖭♈●♉☠⬀ ❑♦✗♉⌧⑨⌧♈♒ ✍♈♋♋♒↘⌨♦⌚⊃♉✍✐ ❑♦♉⌧⑨⌧♒↗❑✂☎ 🖃♈○♉ ✂♋⬂♦❑🖃❑ ♒♉⓿⬉⑨⇳○♉♉➔❑✂☎﴾

♦♌🔔☒✍ ⍓✂⬂⓿♦▤♦◻ ☎ ⬀☠⬋&→☜⬁⓿⍓⌘❒🕯♦◻
⬉♑◑♦🙰☹✌ ﴾ [غافر:٥].

تأتي هذه الآية في سياقِ خطاب الرسول ﷺ بعد قصر الجدل في آياتِ اللهِ على الكافرين إذ يخاطبهُ الله تعالى بقولهِ : ﴿◻♦☒• ③♦⇔⬂❷⬉❻⬀🖰☒ ✍♦◑♦🖬🖮🖫🖶🖳↓&⬋☠⬀ ✗♑❼ ✂🙰⚘⬂🖮♑🖬■🕓⑨♑ ﴾ [غافر:٤]، فهي تسلية للرسولِ ﷺ لتشابه حال المجادلين من قومهِ بحالِ أمثالهم من الأمم السالفة، فذكرت من أرادوا قتل الرسُلِ وإهلاكهم وجادلوا ليدحضوا الحقَّ بالباطلِ، ولكنّ الله ناصِرُ رُسله في كل زمانٍ ومكان، فما كان حالُ المكذبين إلاَّ الهلاك وفي الآخرة مأواهم النار وبئس المصير.

أُبتدأت الآيةِ بلفظِ الفعلِ (كذَّبَ) الموحي بدلالة التكثير والإصرارِ على القيام بالفعل وقيل ((إنَّ التأنيث فيه تأنيث الجماعةِ، أي : كذَّبتِ الرُّسُلِ))(١)، مشيراً بتأنيث الفعل إلى ((ضعفهم عن المقاومة، وتلاشيهم عند المصادمةِ وإن كانوا في غاية القوة))(٢). فقد جاءت الآيات الأولى من سورةِ غافرِ بياناً لقولهِ تعالى : ﴿◻♦☒• ③♦⇔⬂❷⬉❻⬀🖰☒ ✍♦◑♦🖬🖮🖫🖶🖳↓&⬋☠⬀ ✗♑❼ ✂🙰⚘⬂🖮♑🖬■🕓⑨♑﴾ [غافر:٤]؛ فالسياق الذي وردت فيه هذه الآية لا يقتضي توكيداً خلافاً لما ورد ذكرهُ في سورة آل عمران في قوله تعالى : ﴿♦♦ ③♦⇔⬈❷▪☼✹🖮⍓ ✍♦◑♦🖬🖮🖬⮌ ✂🙰✎⅄🔔♑⇦✗♦ ☎✂❒⬉❷☒▦☒✍ ✗♑❼ ✂🙰⚘⬂⌛♑🖬■🕓⑨♑﴾ [آل عمران:١٩٦]، بإعتبار التفريع الواقع بعد الآيةِ الرابعةِ في قولهِ تعالى : ﴿◻♦🕯❒⌘⍓⓿⬁☜→&⬋☠⬀ ☎ ◻♦▤♦⓿⬂✂⍓ ✍☒🔔♌♦ ⬉♑◑♦🙰☹✌﴾ [غافر: ٥]، يقتضى توكيداً للنهي بـ (النونِ)؛ ملائمةً للسياقِ القرآني الموحي بدلالة إبتلاء المسلمين في أموالهم وأنفسهم والأذى الذي أصابهم إلى درجة إخراجهم من ديارهم(٣).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٣٢٩/١٨.

(٢) ينظر : نظم الدرّر : ١٧ / ٨.

(٣) ينظر : التعبير القرآني : ١٣٤.

تتجلّى دقة التعبير القرآني فيما نلمحهُ من مظاهر بديعية متنوّعة تتضمن :

أولاً : معنى الطباق بين لفظتي (قبلهم) و(بعدهم).

ثانياً : معنى المشاكلة التحقيقية الذي يبرزُ أثرهُ واضحاً بين لفظتي (ليأخذوه) و(أخذتهم)، وفي ذلك ((إنذارٌ للمشركين ووعيدٌ بأن هممهم بقتلِ الرسول محمد ﷺ هو منتهى أمد الإمهال لهم))[١].

ثالثاً : ردُّ العَجْزِ إلى الصَدْرِ في قوله تعالى : (فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ)، فقد عبّر الباقلاني راصداً هذا المظهر بقوله ((هل تقعُ في الحسن موقع قولهِ : (ليأخذوه) كلمةٌ؟ وهل تقوم مقامه في الجزالةِ لفظةٌ؟ وهل يسدُّ مسدَّه في الأصالةِ نكتةٌ؟ لو وَضَع موضع ذلك (ليقتلوه)، أو (ليرجموهُ)، أو (لينفوهُ)، أو (ليطردوهُ)، أو (ليهلكوه)، أو (ليذلوه) ونحو هذا، ما كان ذلك بديعاً ولا بارعاً، ولا عجيباً ولا بالغاً))[٢].

لقد حقَّق التعبير القرآني الدقة في اختيار المفردات وإصابة المعاني ووضعها في مكانها المناسب لدلالاتها اللغوية والدينية، فيُلحظ في سياقِ هذا التعبير معنى الاستفهام التقريري المتضمنِ تعريضاً بالمشركين وتنبيهاً لهم على ما سبق أمثالهم من الأمم السالفة زيادةً على تضمنه من معنى التعجب ((فكما وجب إهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب إهلاكهم بعذاب النار في الآخرة))[٣].

أما مظهرُ الإجمال بعد التفضيل فيبرز أثرهُ واضحاً في مجيء الخبر مجملاً يوحي به ما تضمنهُ السياقُ من دلالةِ التسليةِ لرسول الله ﷺ ففي الالفاظِ الواردة في التعبيرِ دلالات أعمّ لتضمنها معنى النفي، والطرد، والإهلاكِ، والإذلالِ، والقهرِ، والتنكيلِ، ((ولم يؤكد الخبر؛ لأن الرسول ﷺ والمؤمنين خلاة الأذهان عنهُ؛ ولأن الخطاب صادرٌ من الله تعالى ولا يعتريهم شكّ فيهِ))[٤].

---

(١) سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية : ١٤٠.

(٢) إعجاز القرآن (للباقلاني) : ١٩٧.

(٣) الكشّاف : ٤ / ٧٢.

(٤) سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية : ١٤٢.

وفي سياق ما تضمنتهُ سورةُ الزخرفِ من جوانبَ تشهدُ بالنظم والإعجاز في إحدى روائع القصص القرآني، وفي قصةِ سيدنا عيسى عليه السلام تحديداً في قوله تعالى :

﴿[illegible]﴾ [الزخرف : ٦٣ – ٦٥].

أولُ ما يُطالعنا في هذه الآياتِ البينات، المعجزاتِ الدالةِ على نبوةِ سيدنا عيسى عليه السلام من إحياءٍ للموتى، وإبراءٍ للأسقامِ، والمائدة، وخلقِ الطير، وكل تلك البيناتِ من باب الحكمةِ، أي : النبوة[1]، وهذه الحكمة سببٌ لما اختلفَ الأحزابُ أو لبعضهِ إيغالاً في الدقةِ، ثم أن مجيئ قولهِ تعالى: ﴿[illegible]﴾، تركيبٌ شمولي لما في الحكمةِ من تفاصيلَ دقيقةٍ، وايضاحٌ عامٌ لكُلِّ ما يختلفُ فيهِ الأحزاب؛ لذا فهي تحملُ معنى التعميم بعد التخصيصِ الوارد في لفظِ (بعض)، أو تتضمن دلالة العام بعد الخاصِ، على تفسير الإختلافِ في تبديل التوراةِ[2].

ومن دقائقِ هذا التعبير التوكيدُ بـ (إنَّ) زيادةً على ضمير الفعلِ (هو)، يقول الدكتور فاضل صالح السامرائي : إن زيادة الضمير الفصلي هنا يحرز مفهومهُ معنىً ضرورياً دعا إليهِ ما تقدم في الآيةِ قبله[3]، ومعنى ذلك أن زيادة ضمير الفعل ((أفادَ قصر الربوبية على الله تعالى وإعلان وحدانيتهِ وتفرّدِهِ بها))[4]، زيادةً على

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٧٣/١٩.

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٦ / ١٠٨.

(٣) ينظر : التعبير القرآني : ١٤٧.

(٤) سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية : ٢٠٩.

ورودهِ في سياقِ سورةِ الزخرفِ خلافاً لما ورد في سورتي مريم وآل عمران[1]، أما تقديمُ قولهِ (ربّي) على قوله (ربّكم)، فقد عَمَدَ التعبيرِ القرآني لذلك عمداً؛ ((لقصدِ سَدِّ ذرائعِ الغلو في تقديس عيسى عليه السلام، وفَرَعَ على إثبات التوحيدِ للهِ الأمرَ بعبادتهِ بقولهِ : (فاعبدوهُ)؛ لأنه إذا ثبت تفردهُ بالربوبية توجه الأمرُ بعبادتهِ عن إستحقاقٍ وجدارةٍ))[2].

أما دلالة الآية الخامسة والستين من السورة نفسها فقد وصفها إبن عاشور بأنها جاءت على سبيلِ التعميم لما تحملهُ من دلالةٍ على موقفِ قوم عيسى عليه السلام من دعوتهِ إذ أجمل ذكر اختلافهم الذي وقع تفصيله في آياتٍ متعددة، وَفَرَعَ على ذكر الإختلافِ تهديدٌ بقوله : ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، وهذا من بابِ تفريع التذييل على المذيل لشمولهِ المشركين جميعهم بدليل ولهِ تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ **لقمان:١٣]**، وفي ذكر هذا الوصفِ إيحاءٌ بأن الاختلاف أفضى بهم إلى الإشراكِ وهو ما يوحي بهِ ارتباطُ التذييل بالمذيل[3]، كما آثر التعبير القرآني في هذه الآية الوصفَ بلفظِ (الظلم) خلافاً لما وصفهم به في سورة مريم عليه السلام في قوله تعالى : ﴿▫⬧◆❑③⬃✍➢ 📷🙵🙵🙰✂➤🔔🙰⇦×♦ 📬☒⊞▩☒❷⬉❑✂☎ 👌🙰♊ 👌❑☆⇳🙵❑⑨🙰 ③♦❑⬀✈👌 ⬉♦→🙰➚☹✍﴾ **[مريم:٣٧]**. السبب يعودُ إلى بروز أثر الشرح والتفصيل في سورة مريم، وذكر نسبتهم عيسى عليه السلام إلى الله تعالى، مما اقتضى ذكر لفظِ (الكفر)، مقابلةً مع سياقِ القصةِ في سورة الزخرفِ التي وردت مجملةً، فوصفهم الله سبحانه بلفظِ دون ذلك وهو (الظلم)[4].

من خلالِ ما تقدم يتبينُ أن المعوّل في القيمة الفنية لمصطلحات الإجمالِ بعد التفصيل الخاصة بالتقسيم، والتفسير، والترتيب، والتفريع، وما قد يصاحبها من

---

(١) أكدَّ الدكتور فاضل صالح السامرائي على زيادة ضمير الفصل (هو) في آيةِ الزخرفِ دون الآية : ٥١ من سورة آل عمران، والآية : ٣٦ من سورة مريم ((وذلك أن آية الزخرف قيلت في سياق عبادة عيسى وإتخاذهِ إلهاً بخلافِ غيرها، فناسب ذلك تأكيد ربوبية الله لهُ))، التعبير القرآني : ١٤٧.

(٢) سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية : ٢٠٩.

(٣) التحرير والتنوير : ٢٥ / ٢٥٠.

(٤) ينظر : سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية : ٢١٠.

تصرف في الألفاظِ أو الدلالاتِ، رهنٌ بصلاح المعاني وعدم الإخلالِ بها أو إفسادِها، وإنَّ التعاملَ مع تحديدات هذه المظاهر يبرز أثرها المنطقي وصياغتها التركيبية في الأسلوب، لما لهُ من أثرٍ واضحٍ في نفس المتلقي، كما تبين أن الانتقال في الكلامِ بين المعاني المختلفة والمؤتلفة فيما قُصد فيه المظاهر المذكورة يجب أن تُراعى التناسب، بأن يكون المعنى الثاني مما يحسن إقترانه بالأولِ، ويُفيد حُسن موقعٍ من النفسِ، فإذا جاء خلافاً لذلك كان من قبيل الحشو والتذييل الذي لا يحسن.

ويُلحظ في مظاهرِ التقسيم والتفريع والتفسير تناسقٌ صوتيٌ بديع ينشأ من الجمل المتساوية والأقسام المحددة، وما فيها من توازنٍ وسجعٍ غالباً، كما أن حصر أقسام الشيء واستيفائها بالذكرِ، لهُ أثرٌ جليلٌ في تثبيت المعاني وتمكينها، حيث يُحاط بالشيء من كافة أقسامهِ ويحصرُ من جميع وجوههِ، فلا يبقى أمام العقلِ إلاَّ أن يُسلّم بما عُرضَ عليه، ويتفرّغ لفهمهِ واستيعابهِ.

المبحث الرابع : أُسلوبُ التفريق :

أولاً : مفهوم التفريق في اللغة والاصطلاح :

الفَرْقُ : ((خِلافُ الجَمْعِ، فَرَقَهُ يفرقُهُ فَرْقاً وفرَقَةً، وقيل : فَرَقَ للصلاحِ فَرْقاً وفَرَّقَ للإفسادِ تفريقاً))[1]، يُقال : فَرْقاً اعتباراً بالانفصالِ، قال تعالى : ﴿❒◆◑🙪❶⬂ ⌑•❷⧫🕭⬂☪◆🙰 🕮🙪▤➚☠⬉ ✂🙰🙵◉⬂⌨◆•⬄❷◆⧫﴾ [البقرة:٥٠]، وفرقْتُ بين الشيئين فصلتُ بينهما سواءٌ كان ذلك بفصلٍ يُدرِكهُ البصرُ أو بفصلٍ تُدركهُ البصيرة[2]، وجرى على المعنى اللغوي الاستعمال القرآني المنضبط، قال تعالى : ﴿⌑⬃❸🙵❒🙰 ③⬉▦⬂❷⧫➚📭 ❻🖎➚🖎 🕮❒✌⬂❷🖎 ❍⍓▤⬁⑩🏱✌﴾ [الدّخان:٤]، وقال تعالى: ﴿•⌑🙰🙰⬂❷⬉📭⬂ 🕮⧫❹⬀✡❒✡•🙰 ❒◆🕮✓⬀⌑🙪 ✂🙰🙵⬂◑•❒⬁✈🙵 ✂🙰🙵◉⬂⊞⊠⏲❍⬁◑⭌✓✗⧫﴾ [المائدة:٢٥].

والتفريقُ تفعيلٌ لتكثيرِ الفعلِ وهو ((جعلُ الشيءِ مُفارقاً لغيرِهِ حتى كأنهُ جُعل بينهما فرقاً بعد فرقٍ حتى تباينا))[3]، أما ما يتضمنه المصطلح الأسلوبي من دلالاتٍ فيمكن الكشف عنها ابتداءً بما أوردهُ السكاكي في بيانِ هذا الفنِ حين قال:((هو أن تقصد المتكلم إلى شيئين من نوعٍ، فتوقع بَينهما تبايناً))[4]، أما القزويني فحدُّهُ للتفريقِ يتقاربُ مع حدِّ السكاكي حين قال : ((هو إيقاعُ تباينٍ بين أمرين من نوعٍ واحدٍ في المدحِ وغيرِهِ))[5]، ويقترب العلوي منهما في التعريف وذكر الشواهد على ذلك[6].

ويختلفُ عرضُ مصطلحُ الجمعِ في الدراساتِ البلاغية المعاصرة عما ورد في الدراسات القديمة في قضية الطرح من جانبِ العلاقة التي تتحقق نتيجة وقوعهِ في الكلامِ إذ أكدت الدراسات الحديثة أن علاقة المقارنة في فن التفريقِ يمكنُ تمييزها

---

(١) لسان العرب : مادة (فَرَقَ).

(٢) ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٣٧٩.

(٣) الفروق اللغوية : ١٧٠.

(٤) مفتاح العلوم : ٥٣٥.

(٥) الإيضاح : ٣ / ٢٦٩

(٦) ينظر : الطراز : ١٤١/٣.

بوضوحٍ؛ ((لأنه يقوم على إبرازِ أوجهِ المفارقةِ بين أمرينِ))[١]، ومعنى ذلك أن يكون بعضُ ما ينطبقُ عليه اللفظ الكُليّ من إفرادٍ لهُ حُكمٌ خاصٌ، وبعضهُ الأخر لهُ حُكمٌ آخر، ((وفي هذه الحالةِ يكونُ من الإيجازِ في التعبير من جهةٍ، ومن بديعِ الكلام من جهةٍ أُخرى، ذِكرُ اللفظِ الكُلّي للدلالةِ بهِ على أنَّ أفرادهُ يجمعُها معنىً جامع، وبعدَ ذلك يُفرقُ في الحكم، فيُعطى لكُلِّ قسمٍ حُكمهُ الخاص بهِ))[٢]، وقد أُطلق على هذا الأسلوبِ البلاغي (التفريقُ في الحُكمِ).

ترتكز بنية التفريق على توافر صفةٍ يشتركُ بها أمرانِ سواءٌ كانت مدحاً أو ذماً أو نسيباً أو غيرهِ من الأغراض الأدبيةِ التي يؤتى بها في الكلام، شريطةَ أن يكونَ الأمرانِ في الكلامِ من نوعٍ واحدٍ، فإذا وقع فَرْقاً وتبايناً بينهما من دون مبالغةٍ أو زيادةٍ في الفرقِ كانَ ذلك من بابِ التفريقِ البديعي الذي يجمعُ المتعددات في صفةٍ مشتركةٍ ثم يُفرقُ بينهما من جهة حالهما أو هيأتهما أو صفتهما.

ومن واقعِ جُهد البلاغيين في التفريق يتبينُ الآتي :

أولاً : إن أسلوب التفريق ليسَ مقصوراً على المدحِ، فيأتي في كل المعاني والأغراض الأدبية.

ثانياً : إن جهة التفريق أو حالها ترجعُ إلى التصريح بعدم التساوي بين شيئين، ((فهما وإن اشتركا في صفةٍ إلاَّ أنهما يفترقان من ناحية أخرى تتعلقُ بهذهِ الصفة))[٣].

ثالثاً : نلمحُ في أسلوبِ التفريقِ لوناً من تفصيل المجمل، وذلك بتمييز أفرادهِ، وإزالةِ وهم الإتحاد بينها، مما يؤدي إلى بيانِ خصائص المتحدث عنه، وإظهار تباينه عما يشبههُ في الغرضِ المرادِ.

رابعاً : أثر التفريقِ في الكلامِ يظهر في ما يُضفيهِ من ملامح أسلوبية تقوم على التناسب والترابط اللفظي والمعنوي، نظراً لاتصال الكلام بعضه ببعضٍ، وارتكازهِ حولَ محورٍ ثابتٍ.

---

(١) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١٥٤.

(٢) البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٤١٩.

(٣) دراسات منهجية في علم البديع : ٢٣٧.

خامساً : يأتي أسلوبُ التفريق في الكلامِ لفائدةٍ معنوية إما زيادةً في الصفة، أو ترجيحاً وتفصيلاً فيما هو بصدده من مدحٍ أو ذمٍ أو غيرهِ من الأغراض الأدبية.

ومن تطبيقاتهِ في القرآنِ الكريمِ قوله تعالى في سورة فاطر : [illegible]

[illegible] **[فاطر:١٢].**

لما ذَكَر التعبير القرآني قولهُ (وَمَا يَسْتَوِي) نفى صفة التسوية بين شيئينِ، فكان التفريقُ أولُ ملامح البديع القرآني في هذهِ الآية، فَفَرقَ سبحانه وتعالى بين أمرين من نوعٍ واحدٍ وهما (البحرانِ) مشتركان في صفةٍ واحدةٍ هي الطعم، فجعَلَ أحدهما عذبَ الطعم في حين جَعَلَ الأخر ملحاً أُجاجاً، فقد ضَرَبَ اللهُ تعالى لفظ (البحرين) العذبَ والمالح ((مثلين للمؤمن والكافر، ثم قال على سبيل الاستطراد في صفةِ البحرينِ وما علَّقَ بهما من نعمتهِ وعطائهِ (وَمِنْ كُلٍّ) أي : ومن كُلِّ واحدٍ منهما))(١).

ثم جاءت صفةُ الجمع بعد التفريق بين البحرين في طعمهما بأن اجتمعا على ضمِّ اللحم الطري وهو السمَّك، واستخراج الحلية وهي اللؤلؤ والمرجان، وتسيير السفن المواخر أي : الشواقَّ للماء بجريها(٢).

نلحظُ في سياق الآية دلالةُ أسلوب التفريق على الإجمالِ ثم التفصيل، فالمقام يقتضي الكلام على البحرِ وأنواعهِ وما أودع اللهُ فيه من نعمٍ؛ لذا قَدَمَ ضميرَ البحرِ على المُخر فقال : [illegible]

---

(١) الكشّاف : ٣ / ٦٢٧.

(٢) ينظر : المكان نفسه.

[illegible]، في حين قَدَمَ المواخرَ؛ لأنها من صفاتِ الفلكِ الاقتضاء المقامِ الكلام على وسائطِ النقل والفلكِ في آيةٍ أخرى من سورةِ النحلِ في قوله تعالى : [illegible] [النحل:١٤]. ناسبَ سياقُ الآيةِ تقديمَ لفظِ المواخرِ لتقدم الكلام على وسائطِ النقلِ(١)، فالقرآنُ الكريم دقيقٌ في إختيار مواطنِ اللفظِ وملائمتهِ للمعنى في نظام دقيقٍ عجيبٍ مراعاةً لسياقِ الكلامِ والنسقِ العام في التعبير القرآني.

لنقف أيضاً عند قولهِ تعالى : [illegible] [غافر:٨١].

أشارت الآيات السابقة من سورة غافر إلى مجملِ آياتِ اللهِ في الآفاقِ وفي أنفسنا على سبيل التعميم كقولهِ تعالى : [illegible] [فصلت:٣٧]، ومن آياتهِ المذكورة في القرآنِ قوله تعالى : [illegible]

(١) ينظر : التعبير القرآني : ٦٨.

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [فصلت:٣٩]، وقوله تعالى :

﴿[illegible]﴾ [الجاثية: ٣ – ٥]، وآياتُ الله أكثر من أن تُعدّ وتُحصى، فالإجمالُ يُلمح في لفظِ (آياتٍ) والتفصيلُ يأتي لاحقاً مُفرقاً بين كُلّ آيةٍ وأخرى وجميعها تدعو إلى النظرِ والتفكرِ في دلائل نعمةِ الخالقِ وتوحيده وإخلاص العبادةِ لهُ، فقد جاءت الآية الحادية والثمانين من سورة غافر بياناً مُجملاً لآياتِ الله تعالى وقدرتهِ، ثم فَرّقَ بين هذهِ الآياتِ على اعتبار أنها تُرى بالعين الباصرة أي كونية مرئية، أو لا يمكن إدراكُها إلاَّ ببصيرةِ القلبِ، بإيقاظهِ من غفلتهِ وتدبر نعم اللهِ عز وجلّ التي لا يمكن إنكارُها، ولا نملك أمامها إلاَّ السجود والتذلل طاعةً واعترافاً بعظمة القدرةِ الإلهية.

ويؤثر التعبير القرآني في هذه الآياتِ أسلوبَ الخطابِ، وهو خطابٌ عام، والمعنى : ومن العلامات الواضحةِ أن الله (يُريكم) للدلالةِ على التجددِ، حتى لا تبقى حجةً لمنكرٍ، وقد عَدَلَ السياق القرآني عن قولهِ : (فأيةُ آياتِ الله) إلى قولهِ : (فأيّ آياتِ) مُناسبةً لمقامِ الإنكارِ إذ لا شيءَ من آياتِ الله يمكن أن يُنكر[1]، ومن بلاغةِ الإنكارِ بالاستفهامِ تنبيه السامعِ؛ حتى يرجع إلى نفسهِ فيخجل ويرتدع ويعيي

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٥ / ٣٨٥

بالجوابِ[١]، وقد تضمن العدول هنا معنى التفرقة، فقد جاءت لفظة (أيَّ) على اللغةِ المستفيضة؛ لأن في قولنا (أيةُ آياتِ الله) غرابةً، فالتفرقةُ بين المذكر والمؤنث في الأسماء غير الصفات[٢]، فقد تجلّى أسلوبُ التفريق في توجيه القلبِ والعقل معاً والالتفات على عظمِ دلائل آياتِ الخالقِ المبدعِ والتي تستحق الحمدَ والشكر والطاعة.

تأمل قوله تعالى في سورةِ هود بشأنِ يوم القيامةِ : ﴿③♦❑⬀⮳ ③♦⍰☠⬥♏ ⬥⬥ ✡♦⧫⬆❑⬉ ➒⧇❖⬥▯ ▯◼⊡⬥⧫⬧⊛⛅☾ 🗐 ☺⬗▯ ✪⧫⧮⬅⬅ ⍾⬅⬄ ⅄☒☰☐⬄❼☐ ❑⧫⬥⯃⬆⬄➔⬆⬗❶⬅⬦⧰﴾ [هود: ١٠٥].

تأتي هذه الآية بعد ذكر أنباء القُرى الظالمة لنفسها التي لم تُغنِ عنهم آلهتهم التي يدعون من دونِ اللهِ من شيء، فأخذهم الله سبحانه وتعالى وهم ظالمون أخذاً أليماً شديداً، ففي الآية تهديدٌ ووعيدٌ ((وتحذيرٌ من وخامةِ عاقبةِ الظلم لكلِّ أهلِ قريةٍ ظالمةٍ من كفار مكة وغيرها، بل لكُلِّ من ظلم غيره أو نفسه بذنبٍ يقترفه))[٣]، كما أن فيها إشاراتٌ إلى يومِ القيامةِ بدلالة ورودِ قولهِ : (عَذَابَ الآخِرَةِ).

ومن أبرز ملامحِ ذلك اليومِ الموعودِ أنه لا يتكلم فيه أحدٌ إلاَّ بإذن اللهِ، كما قال تعالى : ﴿③♦❑⬀⮳ ③♦➔❑⮳⬉ ⇦⬔❑❾❷⬆⬗⬅ ❑♦⬅⬆⬗⬔☺⬔⬛⬔⌚☸⬥⬛⬉➔ ⌚✿⬛⬔⬗⬅ ☎ ⬥⬥ ③♦☝♦⬛⬥☸⬔⬅❑♏⬅ ⬥⬥ ✂⬥♦Ⅱ⇧ 📖❑❶⬆♌♦ ✎⬥📖⬉ ⬅⬗⬅❷⬛❑⬅❑⬅Ⅱ⬅ ❑♦🔔⬥⬅✌♦﴾ [النبأ: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿⌚✿❑♦⬗⬅❑☸⬆⌘⬔⌖♦♦➔⬔☄ ⬅⬗⬅✿☜⌚⇧❑♦⬗⬅☠⬅ ⬗⬆⬛❷▪❑⬋⬥♦⌚Ⅱ⬅ ▫♦☒• ⬆■◯⬄☺⬔⬈⬅ ⌚⬥⬥ ⬘⬔☺⇧◯☸⬅﴾ [طه: ١٠٨].

---

(١) ينظر : دلائل الإعجاز : ١١٩.

(٢) ينظر : الكشّاف : ٤ / ٩٩.

(٣) الكشّاف : ٢ / ٤٢٩.

وقد ساق ابن كثير في تفسير هذا المقام حديثُ الشفاعةِ الطويل[1]، ففي الآية تفريقٌ في الحُكمِ بين النفوس ، بعد أن كانت داخلة في عموم كلمةِ (نفس) التي هي لفظٌ كُليٌّ يدلّ دلالةً شمولية على كُلِّ فردٍ ذي نفسٍ من خَلْقِ اللهِ عز وجلَّ مسؤولةٌ عن اختياراتها، وتتمثل الأوجه البلاغية في الآية الكريمة بأسلوبِ الجمعِ أولاً في قوله تعالى : ﴿ ◆❸❑➧ ✡♦▦⊠⬀◼⬉ ✍♦⌛⊠◼✵☠⬉ ♦♦ ✍♦❸◆♁▫☠♉ ❸◆❑⬀⊳ ☽☈☈♦▫ ❷◼☒♪✡♉○♉◷ ﴾ فإن قوله (نفسٌ) متعدد معنىً؛ ((لأن النكرة في سياقِ النَّفي تعمُّ))[2]، في حين يتمثل المظهر الثاني وهو التفريق في قوله تعالى : ﴿ ▫♦☺♉✡⬃♑⬅⚐ ⅄⊠▤⬁❼✍ ❑◆♒⬚➔♉⓿⑨⚐ ﴾، وفيه فَرَقَ بين الأنفس البشرية في صفةِ الشقاوةِ والسعادةِ، وأكملَ قوله تعالى : ﴿ ▫♦♁❑✎❑✍ ✁✍✏⅄♎♉⬄✕♦ ⅄⊠◑➔❑✁☎ ▫♦✂⬁❼ ✁✍✍♒◍☾❑✍❻⚐ ▤○●⬅☠⬀ ▫♉❸♑❑✍ ♏⬚▫♉❷❸◁ ❑◆⅄⊠♑❼◑✉➘ ﴾ [هود:١٠٦].

ابتدأت هذه الآية بتقسيم الناسِ بعد تفريقِ صفاتهم الداخلةِ في حُكمٍ واحدٍ، فالقسمُ الأول منهم هم الذين شقوا، فقد بيّن تعالى مآلهم ومصيرهم وجزاءهم من العذابِ ﴿ ⌘⬚◷✁♒✍♉⬄▫♒ ▫♉❸♑❑✍ ✍♦♉ ⑩⬚✁✍♦●♉ ✁✍✍◍♒○○☺◆◷❑◆◷✞⓫ ❑◆✁✍✍❀☞❻⬀⋎➊ ◑♒♦ ✍♦♉ ⅄⊠✍✍✎⬈◆ ❻◆✉⑩▤⬚ ▤♒❑ ❻◆✉✵▤⬚ ▫♦➔❑✍✌⬅ ✍♉♉☺⬚✍ ❸⬉❷▩❸⑨⬅ ﴾ [هود:١٠٧]، في حين يبقى الخلودُ جزاءً لأصحابِ القسم الثاني إلاَّ أنه خلودٌ في الجنةِ وهم السُعداءُ ﴿ ⌘⬚◷✁♒✍♉⬄✕♦ ▫♉❸♑❑✍ ✍♦♉ ⑩⬚✁✍♦●♉ ✁✍✍◍♒○○☺⬚◷❑◆◷☠⬅ ❑◆✁✍✍❀☞❻⬀⋎➊ ◑♒♦ ✍♦♉ ⅄⊠✍✍✎⬈◆ ❻◆✉⑩▤⬚ ☎⬉◆➲♦✍✎⬈◷ ➘⊠❷⬀❸◆ ♉⊠♑⬂⓿⬈❑⓿▤ ﴾ [هود:١٠٨].

(١) االحديث في صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب سورة نوح، حديث رقم (٣٣٤٠)، ص٥٤٢، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم (١٩٤)، ص٦٢، يُنظر : تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) مج٣، ج٥، ص٣١٧.

(٢) بدائع الفوائد : ٤ / ١٣٠٥.

وقد ناسبت خاتمةُ كُلّ آيةٍ السياق القرآني الموضوع لهُ فجاء قوله تعالى :

﴿◆❶☎✳⌨◆❻ ⊠◆□➔♦▫ ⌨✌◆□ ...﴾ مُناسباً وملائماً لمقتضى حالِ الأشقياء في جهنم وخلودهم فيها، أي أن عذاب أهل النار مردود إلى مشيئتهِ، وقد آثر التعبيرِ القرآني وصفهم بالأشقياء دلالةً على معنى الخسرانِ؛ لأنَّ ((للسياق الذي ترد فيهِ الآية سمَّة تعبيرية خاصة، فتترد فيه ألفاظُ معينة بحسب تلك السمِّة))[1].

أما خاتمةُ الآية التي تليها فقوله تعالى : ﴿◆⬉◆➲♦✍⬈◷ ⬊⊠❷⬀❸◆ ...﴾ فقد جيئ به ملائماً لمقتضى الحالِ، فالذين سُعدوا وهم أتباع الرسل، (ففي الجنة)، ماكثين مُقيمين فيها أبداً، عطاءً غير مقطوع ((لئلا يتوهم متوهم بعد ذكره المشيئة أن ثم انقطاعاً، أو لبساً، أو شيئاً، بل ختمَ لهُ بالدوامِ وعدم الانقطاعِ))[2]، فناسب دلالة المقصود أنه بعدلهِ وحكمتهِ عَذّبهم في قولهِ تعالى: ﴿▫♦➔□ ✌ ... ③⬉❷⊠③⑨←﴾، في حين أنه طيبَ القلوب وثبَّت المقصود بقولهَ : ﴿⬉◆➲♦✍⬈◷ ⬊⊠❷⬀❸◆ ... ❶□⬈⓿⌨﴾[3].

لقد قَصَدَ التعبير القرآني تلك الدلالات تعميماً وتخصيصاً، إجمالاً وتفصيلاً، لتكون تذييلاً منسجماً مع مضمون الآيةِ، تُحمل في طياتها مظاهرَ أسلوبية جمالية مُثرية للإيقاع والمحتوى الدلالي في دقةٍ ونظامٍ يتلاءمُ فيه التركيبُ عضوياً مع أداءِ المحتوى في تناسبٍ وتوافقٍ يُشيع التوازن اللفظي والمعنوي في السياق القرآني.

لنتأمل قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿□◆♎➔□◆ ...

...﴾

(١) التعبير القرآني : ٢٣٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) : مج٣، ج٤، ص٣٥٢.

(٣) ينظر : المكان نفسه.

✃♦④◆✍⌫❁☸✐☺⌧✍ ✍◆❷✍⌧❀⌧✡🔔 ❑◆○♉✗⇕❷ॐ✃
✍☉◆⍌✗➔❑❻✡✃ ﴾ الفرقان:٥٣].

الآيةُ واضحةٌ بينةٌ لمن تدبّر، إذ يخبر القرآنِ على سبيلِ الإجمالِ والتفصيل إنَّ الله تعالى ((هو الذي تركَ البحرين، الفرات العذب والملح المرّ، يجريان ويلتقيان، فلا يختلطان ولا يمتزجان؛ إنما يكون بينهما برزخٌ وحاجزٌ من طبيعتهما التي فطرها الله))[1]، فالتقديرُ الإلهي أن لا يطغى الماءُ المالحُ على العذبِ في هذا الكونِ كما لا تطغى مياه المحيطات على الأنهار ولا على اليابسةِ، وقد وصف الله تعالى الماءَ بـ(الفرات) لشدةِ عذوبتهِ حتى يُضرب إلى الحلاوة، أما (الأُجاجُ) فهو نقيضهُ[2].

ومن لطائف نظم الآية ما يوحي به أسلوب التفريقِ الظاهرِ في قولهِ تعالى:

﴿ ⚖⌧◐⓪⌧✃ ⬉◆⓪⬁☹♑ ▫➔❷◆✃☠⚠ ❑◆⚖⌧◐⓪⌧✃

✌♉⌧▫➚ 📖⬆♊⌧🔔●♉ ﴾ فقد عَقَدَ النظم القُرآني مُفارقةً بين صفتين لشيءٍ واحدٍ وهو (البحر)، ذاكراً أولاً اللفظ الكلي للدلالة بهِ على أن ما يتفرع عنهُ يلتقي في معنىً جامعٍ، ومن ثمةَّ يأتي التفريق والتمييز في الحكم، فيضعُ لكُلِّ قسمٍ من أقسامِ الشيءِ المُفرق حُكْمهُ الخاصّ بهِ أو صفته أو هيئتهُ دون مبالغةٍ أو تكلفٍ، يخرج بالكلامِ مخارجَ بعيدة عن المقصودِ، فقد أضفت الآية الكريمة لوناً من التناسب اللفظي والانسجام المعنوي توحي بها تجليات الدلالة الواردة في السياق مما أشاعَ جواً فيه مظاهر الإثارة والترقبِ للسامعِ يتحقق في إطلاقِ الحُكمِ على المتعدداتِ بعد تفرقها وتحديد صفاتها وأنواعها.

ثانياً : الأثر الأُسلوبي للتفريق في التعبير القرآني :

١- أثرُ التفريق بين الفعلين :

وقد يأتي التفريقُ في كتاب الله تعالى بين الفعلين، كقولهِ تعالى:

﴿ ⌧ 📖❑♉⌧➔⌧▫⬇➚☹✐ ⊗⬀◑♦✍③♦❑♦

✃✍⌨⍌♦❑✍✎●⚖⬀ ❑◆⬉♉☺⌧✍❻◆❑■
✃✍◙⍌☺⌧○⇔✗⬈⑨♉ ✃✍⌨⍌♦❑❷♦✃✈♉

---

(١) في ظلال القرآن : مج ٥ ، ج ١٩ ، ٢٥٧٢.

(٢) ينظر : الكشّاف : ٣ / ٣٣٦.

★✐🙵🙵⧅🖃 ⌘♊♦✍✃♦⬈ ⇳♊◰☺☒✍
☒❷⬀⌘☛◰🙵✃ ⬂✈⬀❑◆⓿⬂⬂🙵✃♦❑
•• 🗐 ★✐🙵✃ ✍⬊⓿⧅⌛◰♒ ❼⧅× ◰⑨◰♑⏲◰♉◆❑
•• ✦✐🙵✃◆❑ 🗏 ★✐🙵✃ ◰⑨☪⬂⬉ ♦♌⏲⬇❑♦☛⬄❍♦③

﴿♦×✓⬂✍⬂🏵⏲⅄➔⬂🙵✃ ♦🏱⬀❑•◑⬂⬂🙵✃ ❽⬂⑨⬀&♦⑨﴾ [التوبة:١٩].

نلحظُ أن الأداء القرآني افتتح بالاستفهام الإنكاري للدلالةِ على نفي التساوي بين فعلين، والمعنى : ((ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرينِ متنافيين، عمارة متعبدات اللهِ مع الكفرِ باللهِ وبعبادتهِ))[١]، فالسياق القُرآني ((يُرشدُ إلى تبيين المجملِ، وتعيينِ المحتملِ، والقطعِ بعدمِ احتمالِ غير المرادِ))[٢]، وهو من أعظم القرائن الدالَّة على مراد المتكلم، والمرادُ الذي رجحهُ أهلُ التفسير هُنا للقراءةِ بالجمعِ في قولهِ ﴿❑◆⬉⬂☺◰🙵❻◆❑■ ✃🙵⬂⬂☺◰❍⬄✗✍⑨⬂﴾، هو جنسُ المساجدِ، وإذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنسها دَخَلَ تحت ذلك ألاَّ يعمروا المسجد الحرامِ الذي هو صدرُ الجنسِ ومقدَّمتهُ[٣]، فلا يستوي عملُ السقاية مع عملِ العمارةِ، لذا نزلت الآية تأكيداً لما سبقها في قولهِ تعالى : ﴿✍♦🙵 ✍☒🔔♌♦ ⬂⬂🖬☺⬅⌑⇳❸⧅✍⬂✓×♦ 🕮❑♌

③◆➔⬃☺⬅❷⬉❑✃☎ ✍♦❍❁⏲✗✍⑨◰ ✃🙵✐★
⅄☒⏲♑⧅⑨⬂③♊⌘ ⬉♦✍■❼✃ 🕮❑☼▦➔❍⬀♑⧅☠
⧅🖃⧅🙵🙵⬂⬂🗏⬈▦⬂❷☒ 🗐 🕮⬆❑🕯⬂•⏲❋⯎✍🖮◰
❍◰🖮⧅➲•*⚈⇳ 🕮❑⬉⇳☺◰⏲🖬➔♑⬅🏱⬄ ❑♦×⧅❼
✃🙵⬂☪❑🙵❻✍ ♎➔☠⬀ ⌘◰⏲✃⧅🙵⬅❑♍♋﴾ [التوبة:١٧].

فقولهُ ﴿❍◰🖮⧅➲•*⚈⇳ 🕮❑⬉⇳☺◰⏲🖬➔♑⬅🏱⬄﴾ التي هي العمارةُ والحجابةُ والسقاية وفك العناة[٤]، وقد دلَّت صيغة الفعل المنفي في قولهِ

---

(١) الكشّاف : ٢ / ٢٨٥.

(٢) بدائع الفوائد : ٤ / ١٣١٤.

(٣) ينظر : الكشّاف : ٢ / ٢٨٥.

(٤) الحجابةُ : هي حراسةُ الكعبة والمحافظةُ عليها، أما العناةُ : فهي الأسرى، وفكُ العناة : أي فكُ الأسرى. الكشاف : ٢ / ٢٨٥.

(لا يَسْتَوُونَ) على معنى التفاعلِ والتشارك، أي : لا يتساوون في الفعل، كما دلت على معنى آخر هو الصيرورة في الصفةِ، أي لا يصيرون متساوين[1]، وبذلك أضفت هذه الصيغة بدلالاتها الإيحائية معنى التفريق وعدم التساوي، وأكسبت السياقَ معانٍ دلالية حددّت الفرقَ القائم بين المصدرين السقاية والعمارة وبين من آمن باللهِ واليوم الآخر وجاهدَ في سبيلِ اللهِ، للتأكيد على الإنكار في تشبيه المشركين بالمؤمنين، وأعمالهم المحيطة بأعمالِ المؤمنين المثبتة، وأن يسوَّى بينهم، وجَعَلَ تسويتهم ظُلماً بعد ظلمهم بالكُفرِ[2].

ومن المظاهر الأسلوبية في الآية القرآنية أن المشتقات المجتمعةِ وفقاً لأسلوبِ التفريقِ، أدّت وظيفةً دلالية مهمة لها دورها اللغوي والفني في التركيبِ، فالمصدرانِ (سِقاية) و(عِمارة) على صيغة (فِعالة) تضمنا وظيفة أسم الفاعلِ لتكون بمعنى : ((سقاة الحاجِ وعُمّار المسجدِ الحرام))[3]، وتتأكد هذهِ الدلالة وسيقيمُ تحليلُها بالتعرفِ على وجهٍ من وجوهِ قراءاتها وهي ((سقاة الحاجِ جمعَ ساقٍ، وعَمرّة المسجد الحرامِ بفتح العينِ والميم جمع عامر))[4].

ومن اللافتِ في هذا النظم الإعجازي ما نلمسهُ من دلالاتٍ معنوية إذا ما قُرأت بالوصلِ فإنها ((تُعطى دلالة، أن جملة لا يستوون مفعولٌ منصوبٌ للفعل (جعلتم)))[5]، أما قراءتها بالوقفِ على الفعل المنفي (لا يستوون) فإنها ((تُعطى دلالة إستواء عمل الطرفين))[6]، وهذا لا يستقيمُ مع الوجهِ التفسيري الصحيح ومع أثر المظهر البلاغي الذي تضمنه مقتضى السياق القرآني.

٢- أثرُ التفريقُ بين الفاعِلين :

---

(١) ينظر : تجليات الدلالة الايحائية : ٢٢٦.

(٢) ينظر : الكشّاف : ٢ / ٢٨٦.

(٣) تجليات الدلالة الإيحائية : ٢١٦.

(٤) التحرير والتنوير : ١٠ / ٥١.

(٥) تجليات الدلالة الإيحائية : ١٥٥.

(٦) المصدر نفسه.

قد يأتي أسلوب التفريق في القرآن الكريم بين الفاعلين نحو قولهِ تعالى :

⌘♊︎♑︎✌︎ ♦♌︎❑←⑨♑︎➔🕛︎♦◗⬂♏︎🙵✃ ❽⬀❑♦☝︎⬄❍❑④ ••❁
❼⌧🖫︎🕯︎❑↑🕮︎ ←❸⬀❷☒➘ ♦×✓♑︎☪︎♑︎✌︎⬂♦←☺︎⬂♏︎🙵✃
❼♍︎× ♦♌︎❑←⑨♍︎♑︎🕛︎⍓⬀←☼▫︎➛🙵✃◆❑ ⌧❻◆◆❸⬳⮚♏︎🙵✃
♒︎⍓♍︎❍⬀⬀ ✃🙵✒︎★❁ [النساء:٩٥].

♦×⬄♑︎🔔︎⅄✒︎🙵✃ ❽⬀❑♦☝︎⬄❍❑④ ⬀⬀⍓♎︎❁
•• ♦×⬄♑︎🔔︎⅄✒︎🙵✃◆❑ ♦♌︎❑←🏱︎♦⯐⇳➔♦③
⬉❷⅄🖎︎☒⓿♦☝︎♦③ 🙵⍓☺︎✸☼♍︎◗ 🗏 ♦♌︎❑←☺︎■🖬︎⇳➔♦③
🕮︎↑❑🕯︎♏︎⬈❑✃☎︎ ✃🙵❀☞︎♏︎⬂🖮︎♦🕛︎🖬︎✐︎❁ [الزمر:٩]، ونظير هذه

الآية قوله تعالى : ❁🕮︎❑▫︎♦☺︎⍓♊︎ ③♦➔⬃🖬︎■🏱︎◖ 🕮︎❑☼✸☺︎⍓🙵✒︎

🕮︎↑☼❽⌧✌︎♦ ◗♍︎♏︎♦⓿⬂🖮︎⍓ ♑︎✌︎♊︎ ❻⓿🖃︎♓︎♍︎🖮︎⍓
🗐 ✃❻⍓☺︎⇳⬉❑🕮︎ ◆❑➔♎︎ ⇳♊︎⍓☺︎☒🖎︎ ❻🖃︎❑♦⬂💻︎🙵✃
☎︎✃❑⬈♏︎🕯︎❑↑🕮︎ ⬉❷⅄🖎︎☒⓿♦☝︎♦③ ◗♍︎✞︎⅄🖽︎❑🙵
✃🙵❀☞︎♏︎⬂⌛︎♦🕛︎🖬︎✐︎❁ [الرعد:١٩]، في المفاضلة بين الذي يعلم والذي لا

يعلم وهو أمرٌ عقلي.

جيء بالفعل (يتذكر)؛ لأن العلم يحتاج إلى النظر الطويل والتدرج في المعرفة، ثم يعود التعبير القرآني إلى نفي التساوي بين صفتين تحملُ كُلّ منهما دلالة الفاعلِ، أي : لا يستوي في الدرجة والثواب (القاعدون) اسم فاعل والمراد بهِ المتخلفون عن الجهادِ، ومن المؤمنين، غير أهلِ الأعذارِ من مرضٍ أو عاهةٍ أو عجزٍ، (والمجاهدون) صيغة فاعل بمعنى المقاتلون في سبيلِ إعلاء كلمة الله، المجاهدون بالأموال والأنفس، فضلَّ الله تعالى المجاهدين على القاعدين المتخلفين درجة، فقد جَعَلَ لهم سُمعة عالية، ومثوبةٌ حُسنى في الآخرة، وكلا الفريقين : المجاهدون والقاعدون، وُعِدُوا بالجنةِ؛ بسبب وجود الإيمان والنيات الطيبة عند القاعدين، وفضلَّ الله تعالى المجاهدين على المتخلفين عن الجهادِ بغيرِ عُذرٍ وبثوابٍ عظيمٍ، مبالغةً وتأكيداً[١].

---

(١) قال زيدٌ بن ثابت وهو من أصحاب رسول الله ﷺ ومن كتّاب وحيه، وكتاب رسائلهِ، وقد تعلم السريانية لخدمة الإسلام، وكان له شأنه ومكانة بين أبنائه، قال : كنت عند النبي ﷺ حين نزلت عليه : ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ

ومما يُلمح في هذه الآية أن للقراءةِ القرآنية أثرها المحلوظ في تشكيل الدلالةِ وبيان المعنى المتضمن، فقد قُرِئَت : (غيرُ أولي الضرر) بالحركات الثلاث، ((فالرفعُ صفة للقاعدون، والنصب إستثناءٌ منهم أو حالٌ عنهم، والجرُّ صفة للمؤمنين))[1]؛ لتُفيد نفي الإستواء بدلالةِ الإنكار بما بين القاعدِ بغير عُذرٍ والمجاهدِ في سبيلِ اللهِ وبيان التفاوت العظيم والبون البعيدة، ليأنف القاعدُ ويترفعَّ بنفسهِ عن انحطاط منزلتهِ، فيهتَّز للجهادِ، ويرغب فيه، وفي إرتفاع طبقتهِ ونحوه : ﴿⬀♎⌻♐⍓

♦♌❑🡐✍⧫☺⇳➔⧫③ ⧫✗⇦♉🕭⅄✎✍✂ ➑✍❑⧫✌⇔❍❑④

❑◆✂✍✍✎⅄🕭♉⇦✗⧫ ⧫⧫ ③⧫➔⇳▪■☺⇦❑♌⧫﴾ [الزمر: ٩]، فقد فَرّقَ بين شرف العلمِ عن صفةِ الجهلِ.

٣- أثرُ التفريق بين الجزآينِ :

ومن التطبيقاتِ القرآنية على هذا النوعِ قولهُ تعالى : ﴿⧫⧫

🙰➏✍❑☪♑✍✂ ⮌▪⌚❑⧫⬁⌚❑🕮 ✓➑✍❑⧫✌⇔❍❑④

🗐 ♉❑❑✡⍓✗⍃♑✍✂ ⮌▪⌚❑⧫⬁⌚❑🕮⧫❑

⬉☠➔♎ ♉❑❑✡⍓✗⍃♑✍✂ ⮌▪⌚⍓⧫⇳⌚❑🕮

✂✍♑⍃▦☒✍✎★🙰➑🡓❑♌⧫﴾ [الحشر: ٢٠].

بَعَدَ أن قرر الله -تعالى- في سياقِ الآياتِ السابقة حال الفاسقين والمنحرفين الخارجين عن جادةِ الصوابِ وطريقِ الهُدى هو النار، أشارَ في هذهِ الآيةِ الكريمة أن للمؤمنين طريقاً غير طريقهم؛ وهم أصحابُ الجنة إذ ((لا يستويانِ طبيعةً وحالاً، ولا طريقاً وسلوكاً،ولا وجهةً ولا مصيراً، فهما على مفرقِ طريقين لا يلتقيان أبداً))[2]،

الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء : ٩٥] ولم يذكر (أولي الضرر) فقال إبن أم مكتوم : كيف وأنا أعمى لا أبصر ؟ فنَزَلَ قوله (غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ)، ينظر : الكشّاف : ١ / ٤٨٠، ومثله قوله تعالى : ﴿لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [الحديد: ١٠].

(١) الكشّاف : ١ / ٤٨٠.

(٢) في ظلال القرآن : مج٦ ، ج٢٨ ، ص٣٥٣١.

وقد أكّدَ التعبير القرآني في قولهِ تعالى : ﴿🕮❑🕒⇳⬧⍓🕔❒⬛➲
✄⬧⬧⬤⬭⬭⬷⬜✡❑❑⬢⬩ ⬮➔☠⬉

✄⬧⬧⬤⬭⬭⬸⊠⬧✐★⬩⬨⬤⬅❑⬘⬥﴾ مصيرَ أصحابِ الجنةِ وثبتَ جزاءَهم في حين ((يدع مصيرَ أصحابِ النار مسكوتاً عنه، معروفاً، وكأنه ضائع لا يعني به التعبير))[١]، وفي الآية تنبيهٌ للناسِ، وإيذانٌ لهم بأنهم لفرطِ غفلتهم، وقلةِ تفكرهم في العاقبةِ وتهالكهم على إيثار العاجلة، واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرقَ بين الجنةِ والنارِ، والبون العظيم بين أصحابها[٢]، وزيادةً في التأكيدِ عَمَدَ التعبير القرآني إلى ظاهرةِ التكرار في الألفاظِ في قولهِ تعالى : (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ)، لما لها من أثرٍ في تفعيل إمكانيات الدال اللغوي وطاقاتهِ النغمية والدلالية داخل سياق مُحدد ((وما يقوم به التكرير من وظيفةٍ أو دورٍ بالنسبة للسياقِ، أي –لمجموع العلاقات التركيبيةِ والدلالية – هو الذي يمنحهُ قيمتُهُ وأهميَّتُهُ))[٣].

وقد عدَّ المفسرون مقاصد متنوعة في اللجوءِ إلى أسلوبِ التكرارِ، ومما نلحظهُ في سياقِ الآيةِ الكريمةِ أن الغرضَ البلاغي للتكرارِ هو التوكيد وزيادة التنبيه على عظم الفرق والتفاوت بين الفريقين[٤]، فقد أثرى أسلوبُ التكرارِ في هذا الموضع القرآني التعبيرَ بوجودٍ جديد زيادةً على التشكيل الدلالي وهو الوجود الصوتي والتنغيمي إذ إنه أضفى على المعنى تعميقاً وتوسيعاً وتضعيفاً ولم يختفي دورهُ الأسلوبي أمام سيادةِ الوظيفة الدلالية للتركيب المكرر في قولهِ تعالى :
﴿🕮❑🕒⇳⬧⍓🕔❒⬛➲ ✄⬧⬧⬤⬭⬭⬷⬜✡❑❑⬢⬩ ⬮➔☠⬉

✄⬧⬧⬤⬭⬭⬸⊠⬧✐★⬩⬨⬤⬅❑⬘⬥﴾، ومن الملاحظِ أيضاً أن للتكرار دورٌ مهمٌ في وصلِ أوّلِ الكلامِ بآخرهِ، إتماماً لهُ وتحقيقاً للتماسكِ والتوافقِ اللفظي والمعنوي.

---

(١) المكان نفسه.

(٢) ينظر : الكشّاف : ٤ / ٣٧٣.

(٣) البديع وفنونه : ٩٨.

(٤) ينظر : التفسير الكبير : ٢٩٣/٢٩، وروح المعاني : ٦١/٢٨، وأضواء البيان : ٩٥/٨.

ويتلخصُ أثر مظهرُ التفريق في الآية القرآنية في الآتي :

١- الإتساق والالتئام اللفظي مع الإيقاع الداخلي.

٢- التوافق والانسجام في التشكيلات الدلالية لفظاً ومعنى.

٣- دلالتها بأقصر المفرداتِ على أوسعِ المعاني وأوجزها.

٤- إبراز الأحكام الخاصة المتعلقة بالمتعددات وفقاً لعلاقةِ المُقارنةِ بينها وإيجاد صلةٍ تربط الطرفين زيادةً في الصفةِ وترجيحاً عليها.

وقد جَمَعَ اللهُ تعالى بين الأساليبِ التي ينفي فيها التساوي في قولهِ تعالى :

▤❻◰☺⇳⇖☞❀👓✂ ❽⇪❑♦☝⇔○□④ 👓♦👌◆❑❁

•⬩◆❑ ⇱⇲⊘⇪ ←❸❷⇖⌚♦⌨⇘♌☎👓✂◆❑
⇱✗⇪⇪ ↓❻❑❻☪☎👓✂ •⬩◆❑ →💣⌚◰☺➔💾♋→♌☎👓✂
↓❻❑⇖❷❑♦⇘💻👓✂ •⬩◆❑ ❻✍&ℯ→♌☎👓✂ •⬩◆❑
❽⇪❑♦☝⇔○□④ 👓♦👌◆❑ ⇱✗⇲⇪
⬆✞⌚◆❑⇘👌☞❀👓✂ •⬩◆❑ ↓↗✎👓◆⓿⇳○☞❀👓✂

▤❁[فاطر: ١٩ – ٢٢].

فقد ذَكَرَ الإمام ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) هذه الآية الجامعة مُبيناً أن لكل لفظٍ دلالة ((فالأعمى والبصيرُ : الجاهلُ والعالم، والظلمات والنور : الكفرُ والإيمان، والظل والحرورُ : الجنّةُ والنار، والأحياء والأموات : المؤمنون والكفار))(١)، فقد تنوعت الدلالة القرآنية في هذا السياقِ، وقد عدَّ أهلُ العلمِ ذلك من أعظمِ القرائنِ الدالةِ على مُرادِ المتكلمِ.

ومن الجدير بالذكر أنَّ الزمخشري (ت ٥٨٣هـ) سبقه بالالتفات إلى أن هذه المتفرقات إنما ضُربت مثلاً للكافرِ والمؤمنِ في قولهِ تعالى : (الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ) كما ضَرَبَ البحرين مثلاً لهما أو للصنمِ ولله عزَّ وجلَّ، مؤكداً قوله ((الظلمات والنور والظلُّ والحرورُ مثلان للحقِ والباطلِ، وما يؤديان إليهِ من الثوابِ والعقابِ، والأحياء والأمواتُ مثلٌ للذين دخلوا في الإسلام والذين لم يدخلوا فيه وأصرُّوا على الكفرِ))(٢).

---

(١) بدائع الفوائد : ٤ / ١٣١٤.

(٢) الكشّاف : ٣ / ٦٣٠.

ومما يُلحظ في هذا التعبير تكرارُ حرفِ (الواو) وهو حرفُ عطفٍ، جاء مقترناً بـ (لا) النافية زيادةً في تأكيد دلالة النفي[١]، وقد لاَحَظَ بعض المفسرين أن هُناك فَرقَاً بين هذهِ الواوات المتكررةِ فـ((بعضها ضمتّ شفعاً إلى شفعٍ وبعضُها وتَرَاً إلى وترٍ))[٢]، ومن أبرز ما نلمسهُ في صياغةِ تلك الدلالاتِ أن هُناك صلات حسيةً بين طبيعةِ تلك الدلالاتِ مع مدلولاتها وما يتعلقُ بها وبين طبيعةِ الكفرِ وطبيعةِ كل من العمى والظلمة والحرورِ والموتِ صلةٌ، كما أن هُناك صِلّةٌ بين طبيعةِ الإيمان وطبيعةِ كُل من النورِ والبصرِ والظلِّ والحياةِ، فقد أوجز التعبير بأدِقِ الألفاظِ وأدلّها، وعَدَلَ عن الإطنابِ في كثيرٍ من التراكيب اللغوية قصداً للبلاغةِ والإعجازِ، فجَمَعَ بين متضاداتٍ متقابلةٍ مُفرّقاً بين مدلولاتها ليصِلَ بذلك إلى قمةِ الإعجازِ والبلاغةِ والبيان.

المبحث الخامس : أسلوب جمع المتفرقات :

أولاً : أُسلوبُ الجمع مع التقسيم :

إذا كان الكلام فيما تقدّم من فنونِ تعدادِ الأقسامِ وجمعها وتفريقها كُلٌّ على حِدَّة، فيتصل الحديث عن (الجمع والتقسيم) وذلك أنهما من واد ٍواحدٍ، وهو (فنُ البديع)، فالمقررُ في هذه المظاهر جميعها هو التعاملُ مع الألفاظِ ودلالاتها على أنها وحداتٌ أو مجموعاتٌ تركيبية تنطوي على متعدداتٍ تنويعية، يكونُ القصدُ من إبرازها إظهارُ أثر التعدد أو التفريقِ أو التقسيم في التراكيب السياقية بالكشفِ عن وحدات المتعدد مجتمعةً أو متفرقةً وربطها للوصولِ إلى دلالة متكاملة.

فقد يتقدمُ التقسيمُ على جمعِ مُتعدد في حُكمٍ واحدٍ، أو يتأخر، وهو ما يسمّى (الجمعُ مع التقسيم)، ودلالتهُ هو أن يجمع المتكلم بين شيئين أو أكثر في حُكمٍ واحدٍ ثم تقسيمه، أو تقسيمهُ ثم جمعهُ[٣].

---

(١) ينظر: المكان نفسه.

(٢) أي أنها ضمت أكثر من فردٍ إلى مثله وبعضها ضمت فرداً إلى فرد، الكشّاف : ٣ / ٦٣٠.

(٣) ينظر : الإيضاح : ٢٧١

يحقق هذا اللون من البديع توازناً وإنسجاماً في الكلام لدوره الواضح في توثيق العلاقات الترابطية بين أجزاء الكلامِ وجعلها أشدّ ارتباطاً وأكثر إلتحاماً.

وقد حَرَصَ البلاغيون على تثبيت القاعدة الصحيحة لهذهِ المصطلحات تجنباً للخلطِ ففرقوا بينها، فرأى السكاكي أن مصطلح (الجمع مع التقسيم) داخلٌ ضمن المحسنات المعنوية مُفرقاً بينه وبين الفنون الأخرى بقولهِ : ((هو أن تجمع أموراً كثيرة تحت حُكمٍ ثم تُقسم، أو تُقسم ثم تجمع))[١]، وعلى أساس هذا التعريف نجد أن لفن (الجمع مع التقسيم) قسمين :

الأول : الجمعُ الذي يتلوهُ التقسيم.

الثاني : التقسيم الذي يتلوه الجمع.

وقد مثّل السكاكي لهذا اللون البديعي بأمثلةٍ وشواهدَ شعريةٍ، تبعه في منهجهِ هذا عدد من البلاغيين والمفسرين[٢].

يُفهم مما سَبقَ أن المعنى الكُلّي الذي دلَّ عليه المتكلم بلفظٍ ما، ذا أقسامٍ يُحسن لديهِ فنياً أن يُبَيّنها، ويرى أن لها حكماً واحداً وضمن إجراءات أسلوبية يُبين نقطة الاجتماع فيها، فيعبرّ عن الأمرين معاً بكلامٍ واحدٍ، يُقسِمُ فيه أولاً ويجمعُ ثانياً، أو يُحدثُ العكس وإذا ما تمَّ إحدى الإجراءين يُطلق على هذا اللون من البديع (الجمع مع التقسيم)[٣].

إن المعول في بلاغة هذه المصطلحاتِ والإعتداد بها أمران :

الأول : تأكيد العلاقات القائمة على (الإجمال والتفصيل) التي يندرج تحتها النوع الأول من (الجمع مع التقسيم)، وعلاقتهُ (التفصيل بعد الإجمال) التي تضمُ النوع الثاني من هذا اللونِ البديعي.

الثاني : بيان أن كل شكل من أشكال البديع فيها هو تنظيمٌ لمواقع الوحدات اللغوية، والتي تُحدث أثراً في حركة المعنى من خلالِ إتجاهات الإجراءات المتسلسلة والمنطقية المتوالية في مستويات الكلام على وفق نظامٍ تركيبي دقيق.

---

(١) مفتاح العلوم : ٥٣٦.

(٢) الإيضاح : ٢٧١، وخزانة الأدب : ٣٥٦، معترك الأقران : ١ / ٣٠٦، والإتقان في علوم القرآن : ٢ / ٩٢.

(٣) ينظر : البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٤٢٢.

وعلى الرغم من اجتماعِ هذه المصطلحات على أنها تشقيقاتٌ للونٍ بلاغي واحدٍ هو (التقسيم) إلاَّ أننا لا يمكن عدَّ هذه الألوان وكساً على البلاغة العربية كما وصفها باحث معاصر[١]؛ لأنهُ بذلك تجنى على جزءٍ ليس باليسير من هذا الإرث العربي، بتعبيرٍ أدق : إن وصفه تعميمٌ خاطئ في الحُكم وإطلاق جائر كان ينبغي أن يعود إلى أصول البلاغة العربية لمعرفة الجذور الأولى، كما ضَرَب صفحاً عن المؤلفات الشامخة في الدراسات القرآنية وعلومها وكثيراً من قواعد البلاغة العربية وأصولها الموروثة التي لها إسهامات فاعلة وأصيلة في دراسة أساليب الكلامِ وفنون القولِ، عدّها القدماء وكثير من المحدثين فنوناً قائمة على التحوّلِ والانتقالِ في إطار علاقاتِ الإجمال والتفصيل، فألغى بوصفهِ هذا جُهدَ علماء كبار وما أسسوا لهُ في مؤلفاتهم خدمةً لهذا العلم الجليل.

وحري بالدراسة هنا أن تنظر نظرة تدقيقٍ في تناول عبد القاهر الجرجاني لمصطلح (الجمع مع التقسيم) لتأكيد أصالتهِ أولاً، وإبراز أثرهِ الواضح في الكلامِ وربط أجزائهِ فقال : ((وأعلم أن مما هو أصلٌ في أن يدّق النظر، ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت، أن تتحدَ أجزاءُ الكلامِ ويدخل بعضها في بعض، ويشتدُّ ارتباط ثانٍ منها بأولٍ، وأن تحتاج في الجملةِ إلى أن تضعها في النفسِ وضعاً واحداً، وأن يكون حالك فيها حال الباني، يضع بيمينه ههنا حالَ ما بيسارهِ هناك، نعم، وفي حالِ ما يُبصر مكان ثالثٍ ورابعٍ يضعهما بعد الأولين نقطة وليسَ لما شأنه أن يجيء على هذا الوصفِ، حدّ يحصرهُ وقانون يحيط به، فإنه يجيءُ على وجوهٍ شتى، وأنحاءٍ مختلفة))[٢].

ومن اللافت أن عبد القاهر الجرجاني لم يُصرح بتسمية مصطلح (الجمع مع التقسيم)؛ بل عَرَضَ لهُ بوصفهِ وجهاً من وجوه ترابط أجزاء الكلام، مُمثلاً لمصطلح

---

(١) أدخل الدكتور عبدة عبد العزيز قلقيلة : مصطلحات (الجمع، والتفريق، والتقسيم، والجمع مع التقسيم، والجمع مع التفريق، والجمع مع التقسيم والتفريق) ضمن مجوعة ألوان بديعية زائدة على البلاغة يجب إخراجها منها لما فيها من وكسٍ، ينظر : البلاغة الاصطلاحية : ٣٢٧.

(٢) دلائل الإعجاز : ٩٣.

(المزاوجة) وأنواعها، و(التقسيم) و(التقسيم مع الجمع) مستشهداً لهذهِ الأنواع بنماذج أدبية شعرية ونثرية[1].

وخَطى على نفس خُطى عبد القاهر الجرجاني السجلماسي[2]، مع مزيدٍ من التفصيل والتحليل، فقد عدَّ من (البناء) ضرباً أسمّاه (البناء بطريقِ الإجمال والتفصيل)، وذلك بأن تتقدم التفاصيل والجزئيات في القولِ، ومن هذا الوضع قولهُ عز وجلّ :

[illegible]

---

(١) ينظر : دلائل الإعجاز : ٩٤ – ٩٦.

(٢) ينظر : المنزع البديع : ٤٨٠.

♦✌🕒◆❑⬂✍❒🕮 ⬁❑🙰❑☪🙵🙰✃
🙰♦☼⇳⑨♦☝⇳⬉❑🕮◆❑ 🗐 ✐✍🙵⮌🕓♦🖮⬂🙵🙰🙰🙵✎
🙰🕒✎✃☒⓿♦⬉ ⬀☠⬋🙴⬃❁🙵✍ ♦✖⇦❇❷🙵▦🕓⬩▤▫▣🙵🙵❑🕮
❑🕮🙵⑩☺✞🙰 ﴾ [النساء: ١٥٥ – ١٦١].

إنطلق السجلماسي في تحليله لهذهِ الآيات من أسلوب الإجمال في بناء الذكر الجملي على ما سبقَ في القول من التفصيلي فقوله تعالى : (فبظلم) إجمالٌ لما تقدم في السياق من تفصيل تمثل دلالة النقضِ في قوله تعالى : ﴿▫⌛🙵☺⍓🙰 ☼♦◗⬂⌧⬁🙴✍☠ ✍♓🙵⓿✞⬩🕓⬩◗⬩♑←⚐⬄﴾، ودلالة الكفرِ في قوله تعالى: ﴿❑◆🖅⬈▩⬂❷❇♎🙵☠ ✎🙵★♦🙰③♦🕓☀💣🙵﴾ ودلالة قتل الأنبياء في قوله تعالى: ﴿★✏🙰✃﴾، ﴿❑◆🔔⬩☛⬃▣🙵♑🙵☠⬉ ✃🙰❀☛☼✎⌨🙵⑩◆🙰✏⬈◆﴾، ودلالة قولهم على أنفسهم أن قلوبهم غُلفٌ ﴿🙵◉♎✎⍓❍ ✎🙵⬄♦❷⬀❸🙵﴾ في قوله تعالى: ﴿❑◆🔔⬩❑⬀🙵🙵♑🙵⚐⬄ 🔔➔▣➔❑✎←✡❑🙰﴾، ﴿⌨✃▫▣⬈⬊﴾، ودلالة قولهم على مريم ﷺ البهتان العظيم في قوله تعالى: ﴿❑◆🔔⬩❑⬀🙵🙵♑🙵☠⬀ ⬉♦✍■❼🗐 ✍♦❷⬀③♦⚐⌘﴾، ودعوى قتل المسيح ﷺ في قوله تعالى: ﴿⌛⬊🙴⬀☛♦🕓☪🕐🙰 ⬉♦➔🙵⑩☺✞🙰﴾، ﴿❑◆🔔⬩❑⬀🙵🙵♑🙵☠⬀ ◗🙵☼✹🙰 🔔⬩☝♦▣▫☪◆🙰 ✃🙰✈▫☼❑❍⬁⓿☒⍓ ⬉🙵⑩⊙✹🙵 ✃🙰⬄⬂✖♦ ✍♦❹⬄③♦☠⌘ ❻◆🙵←❑✌♦ ✃🙰✏★﴾.

فقد عمَّ لفظ (فبظلمٍ) كُلّ ما تقدم في السياق القرآني وانطوى عليهِ من دلالاتٍ، كما أنه مشتملٌ أيضاً على كُلِّ ما تأخرَ من آياتٍ قرآنية ابتداءً من قولهِ تعالى : ﴿✍♓🙵♊⌘ ✃🙰✏⮝🔔🙵⬄▫🙶 ♎⍓🙰⑩←❑✃☎ ❍⍓❷▪✍⬂✡❑🙰 ⬉♦▣■❸⬀🙴🙵☠⬀ ⬬⬩⑩♒🙵⌨♦🕓☀💣✍ 🕮⬆❍🙵▣✹☀💣⇳ ⌸❍●←☠⬀﴾ [النساء : ١٦٠] إلى آخر الآية الحادية

والستين بعد المائة، وقد تخلل هذه الآيات أسلوبُ (الاعتراض)[١] في موضعين هما : في قوله تعالى : [illegible] [النساء:١٥٥]، والاعتراضُ الثاني في قولهِ تعالى : [illegible] [النساء:١٥٩].

وعلى الرغم من تأكيد السجلماسي على بيان وتفصيل علاقاتِ الجمع مع التقسيمِ في هذه الآياتِ بأسلوبٍ منطقي منظم، فإن ما يؤخذ عليه هُنا أنهُ فصَّل ثم أجملَ ثم فصلَّ ضمن علاقاتٍ مُعقدة أو مركبة.

لنتأمل أسلوبَ الجمع مع التقسيمِ بصورةٍ مُبسطةٍ أكثرُ قبولاً للتحليل المنطقي في قولهِ تعالى : [illegible] [المؤمنون:١ – ٥].

---

(١) الاعتراضُ لغةً : الدخولُ بين الشيئين حتى يكون الداخل المعترض فاصلاً بينهما ويسمى (عارضاً)، ينظر : لسان العرب : مادة عَرَضَ)، أما في الاصطلاح : فهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين بجملةٍ أو أكثر لا محل لها من الإعراب بنكتة بلاغية سوى دفع الإيهام، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ١ / ٢٤٣، والبلاغة العربية (الميداني) : ٢/٨٠، والقطوف الدواني في علم المعاني : ١٦٦، وعلم المعاني (د. عبد العزيز عتيق) : ٢١٢.

يظهرُ واضحاً أثرُ اللفظِ في إثراءِ المعنى وترابطهِ مع بعضهِ البعض للوصولِ إلى هذهِ الصورة القرآنية التي يصفُ بها الله تعالى المؤمنين مجتمعين ضمن نطاقِ (أسلوبِ الجمعِ) مع تقسيم أوصافها بعد ذلكَ تفصيلاً في القولِ بأنهم خاشعون في صلاتهم، معرضون عن اللغوِ، فاعلون للزكاةِ، حافظون لفروجهم إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم.

ومن الملاحظ في هذه الآيات أن التفصيل هنا جاء منفصلاً في سورة واحدة فبعد أن فَصَّلَ السياق القرآني في أوصاف المؤمنين وبشرهم بما كانوا يتوقعون من أخبار ثباتِ الفلاحِ والظَّفرِ بالمُرادِ، والبقاءِ في الخيرِ[1]، فَصَّلَ القولَ بالاستثناء في قولهِ تعالى : ﴿[illegible]﴾ أي : أنهم لا يلامون على كُلِّ مطلق إلاّ على أزواجهم، ثم أخبر بعد ذلك عن ((من أحدث ابتغاءَ وراءِ هذا الحدِّ من فسحتهِ واتساعه وهو إباحة أربع من الحرائر ومن الإماءِ من شئت فأولئك هم الكاملون في العدوانِ المتناهون فيهِ))[2].

وأعقب هذا الفصل الموضحِ تفصيلاً ثانياً للمؤمنين بالاستمرارِ في ذكرِ صفاتهم في قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [المؤمنون:٨ – ١١].

ويتضح في هذه الآيات أن قولهُ تعالى : ﴿[illegible]﴾ [المؤمنون:٧]، التي جاءت فصلاً للوصفِ القرآني تحمل دلالة إجمالِ المحرمات فجاءت مُفسرة في قوله تعالى : ﴿[illegible]

(١) ينظر : الكشّاف : ٣ / ٢٤٠.

(٢) الكشّاف : ٣/٢٤٢.

☙⇗♉♓✌ ☠→▤➚♦✐☙♦✉✂♦➚ ⌧⌧⬩▤♦✡
▤ ⌧✂■◘⌧ ⇕⑨⬩♫ ☙♦✌ ⬩⬩◗ ♉➚✐☙✿❍♉♓✡☙✂
☙ॐ☜⧅◗♦✌♦❒ ☪❑♦⌖⬩⬩◗⬩ ♦♌☙⬩▤ ◗⬅❍✸✡◗
❑♦⬩☙⌧♦➚ ❑⌧⓿⌧ ﴾ **[النساء:٢٢]** إلى قولهِ تعالى :
﴿❑♦❑♦⬩✂✐➚♦ ☙❑✌ ☠➚▤⬩ ❑♉❍⬆♦❑♦⑥♦✂✐➚♦
➊⬩☺♉☠→♉☺⬩ ﴾ **[النساء:٢٤]**؛ ولأنها اشتملت على خمسة عشر محرماً من
أصنافِ النساء –ذوات الأرحام– ثلاثة عشر صنفاً، ومن الأجانبِ صنفان))[1].

ويُلحظ في التعبير القرآني ظاهرةُ التكرارِ في ذكر الصلاةِ في قولهِ تعالى :
﴿✂☙✐⬆♫♉⇦×♦ ♎→☠⬀ ×♉❼ ☺✿⌧⬩☜♉&♉☠⬀
⌘⌧◗⬩♉→◳❑♌♦﴾ **[المؤمنون:٢]**، وقوله تعالى :
﴿❑♦✂☙✐⬆♫♉⇦×♦ ⬀➹◳⬀ ◳♦✍■❼▤
☺✿◘■❑♦◗☜⌧&♉☠⬀ ⑥➚♦❑☙⬩♉→➊❑♌♦﴾ **[المؤمنون:٩]**؛
إذ إن دلالة التكرارِ ذات أثر لفظي ومعنوي يقتضيها السياق ويتطلبها المقام، فقد افتتح الله ذكر هذهِ الصفات الحميدة بالصلاةِ، واختتمها بالصلاة، فدَّل على أفضلِيتها، كما قال رسولُ الله ﷺ ((استقيموا ولن تُحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يُحافظ على الوضوءِ إلاَّ مؤمن))[2]، وهنا يتأكد أن دلالة التكرارِ في الآية جاءت لغرضِ التأكيد على أهميةِ الصلاة والتنبيهِ والتذكير بفضلها وعظيم أجرها، وقد أوحت هذه الظاهرة بقدرةِ الألفاظ المتكررة على أداءِ أوسع المعاني والدلالات ضمن سياقٍ واحدٍ مما لهُ أثرهُ في إحالة المعاني إلى مواضعها المناسبة وتجسيدها على أتمِّ وأكملِ وجهٍ.

وتتجلى دقة التعبير في اتساع المسافة الفاصلة بين الإجمال والتفصيل، وإتحاد أجزاء الكلامِ في وحدةٍ موضوعيةٍ تضمَّ من الألفاظ أخيرها ومن الدلالات أعمقها وأشملها، ويتأكد لنا ذلك بالوقوف عند قولهِ تعالى :
﴿✂☙✐⬆♫♉⇦×♦ ⑥⬩♦⧅☺♉◘→❑♌♦ ✂☙◙⧅→⌧❷⬀☺⌘

---

(١) بديع القرآن : ٣١٦.

(٢) الحديث صحيح عن سليمة بن الأكوع في الجامع الصغير، حديث رقم (٩٩٤)، ٦٦/١.

[illegible] [غافر:٧].

تأتي هذه الآية الكريمة بعد ذكر المجادِلِين في آيات اللهِ، وتماثل حالهم مع المكذبين من الأمم السابقة، وبيان مصيرهم وهلاكهم في الحياة الدنيا، وأنّهم في الأخرةِ أصحابُ النارِ، ((فيقابل ذلك بذكر المؤمنين، وبيانِ منزلتهم، فلا يعرض حالهم الذي يُقابل ما ذكر حال الكافرين، وأنما يُظهر ما يُدخل البشرى في نفوسهم ويدع الكافرين في حسرة وندم))[١].

فحملةُ العرش من الملائكة ومن حولهُ وهُم الدائمي التسبيح غير المنقطعين عنهُ، يواصلون تسبيحهم بطلبِ المغفرة للمؤمنين، داعين لهم بالمغفرةِ مختصين بدعائهم الذين تابوا واتبعوا سبيل الهِ، وقد أفادت الدلالة هنا التخصيص لا العموم ((على سبيل التفصيل بعد الإجمال، تضمّن إمعاناً في إستقصاء التفاصيل وتعداد النعوت والأوصاف، فهو تلذذٌ واستمتاعٌ بهذا المقام يوحي بالثقةِ بإجابةِ السؤال وقبولِ الرّجاء))[٢].

من الملاحظ أن هذه الدلالة جاءت في موطنٍ آخر من سورة الشورى في قوله تعالى : [illegible] [الشورى:٥]، إلاَّ أن الفرقَ واضحٌ بين دلالة التعبيرين ففي سورة غافر خُصص الاستغفارُ للمؤمنين في

(١) سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية : ٣٠٤.

(٢) المكان نفسه.

حين أنها في سورة الشورى جاءت بصيغة العموم أي بجميع من في الأرضِ، وقد علل الدكتور فاضل صالح السامرائي هذه الظاهرة بالعلل الآتية : أن آية سورة غافر ذكرت جماعة مخصوصة من الملائكة، خلافاً لآية سورة الشورى الدالة على عموم الملائكة، فناسب أن تستغفر خاصة الملائكة للخاصة من الناسِ، زيادةً على ما يُحققه التناسب الدلالي بين وصف الملائكة بالإيمان وبين من أتصف بذلك من أهل الأرضِ، أما فيما يتعلق بالدعاء بالمغفرةِ للذين تابوا واتبعوا سبيل الله فكما ذكرنا سابقاً أنه يدّل على التخصيص لا العوم، فلا يصلح هذا مع عموم أهل الأرضِ، ويؤكد سؤالهم في سورةِ غافر بأن يقيهم الله عذابَ الجحيم ويدخلهم جناتِ عدنٍ، أنه لا يكون إلاَّ للمؤمنين فناسب ذلك التخصيص، ولم يرّد ذلك في سورة الشورى[1]، ويظهر أثر الجمع مع التقسيم في قوله تعالى : ﴿❻◆🖃✸☪◆✍ ❑◆♒⬁➔⬀☼❀ 🗎➔✎❑ ★☒⌀⬄➚🕮 ❻▪❍⇧☺⍓❑☪ ❑◆⬉✎🖬▫☺✞✍﴾ [غافر: ٧].

يوحي توجه الملائكة بالثناء والدعاءِ إلى الله تعالى بطلب الغفرانِ، فأقتضى تضمين الدعاءِ ذِكُر سِعّة العلم، وسعةِ الرحمةِ، وجاء ذلك على سبيل التمييز ﴿❻▪❍⇧☺⍓❑ ❑◆⬉✎🖬▫☺✞✍﴾ فكان ذلك تفصيلاً بعد الإجمال في قولِهِ تعالى : ﴿❑◆♒⬁➔⬀☼❀ 🗎➔✎❑ ★☒⌀⬄➚🕮﴾، وقد حقق هذا التفصيل تمكيناً للصفة في النفسِ، فاتباع رحمتهِ وعلمهِ أمرٌ لا يتوصرهُ عقل؛ ولذلك عَدَل إلى أسلوب التمييز تنبيهاً على ذلك، مع ما فيه من إثارة السامع وتشويقهِ بالإبهامِ إلى الإعلام[2]، فضلاً عما أفاده تقديم الرحمةِ على ذكر العلم تناسباًُ مع ما يقتضيهِ المقام لأن دعاءهم بالاستغفارِ لا يتلاءم إلاَّ مع ذكر الرحمةِ في هذا الموضعِ ((كُلّ ذلك مراعى من سياق الكلامِ والاتساق العام في التعبير على أكمل وجهٍ وأبهى صورة))[3].

---

(١) ينظر : التعبير القرآني : ١٨٣.

(٢) ينظر : نظم الدّرر : ١٧ / ١٤.

(٣) التعبير القرآني : ٥٣.

ومن مظاهر الجمع مع التقسيم ما نلمحهُ في سورةِ فُصلّت في قولهِ تعالى
•✍⓿♉♎ ⇳⑨⧫♎ ☞✍⧫✌ ⬧⧫⧩➀ ⌧⌨⧫⧄ ⬉✌☞⧫➀⬉③ ☞❑✌⬘
❑♌⧩➀ ✌ ⌧⌨⧩⧯⬀⌨⧫♎ ⬥♏✌ ⬀✍⬅⧨➒➋⧯♉⧄
❐➔➊◆❐ ▭❑⧫➋♉⧫⧓⇔⧫✌ ❐⬀♎⧫✏ ⌧⌨✸✋◆➏
⬉♉⧫➀☞⧗⧄❑🕮 ✌⧗⧄❑🕮➉♉⬄▯⬘[فصلت:٤٣]، فقولهُ تعالى: (مَا يُقَالُ لَكَ)
صيغة المبني للمجهول تُناسب إفادة إنكار الفاعلِ وقولهُ وتجاهلهُ، وتجمعُ هذه الصيغة قائلاً ومقولاً لهُ، فكان الإيماءُ بوصف (ذو مغفرةٍ) إلى المقولِ لهُ، وهم الرسول ﷺ والمؤمنون، ووصفِ (وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ) إشارةً إلى القائلين وهم الكافرون، وهذا الجمع مع التقسيم ((جارٍ على طريقةِ اللفِّ والنشر المعكوس وقرينةُ المقام ترِدُّ كُلاً إلى مناسبه))[١].

وقد أكدت كتب التفسير أن سياق الآية يحملُ دلالتين[٢] :

الدلالة الأولى : المُراد بها التسلية والأمر بالصبر عن مقالات قومهِ، أي : اصبر على ما يقول لك المشركون، وتعزَّ بمن كان قبلك من الرُسل الذين أوذوا، فتأسَّ بهم، وامض لأمر الله ولا يهمنك شأنهم.

الدلالة الثانية : أن تكون الآية تلخيصاً لمعاني الشرع، أي ما يقال لك من الوحي، وتخاطب به من جهة الله –تعالى– إلاَّ ما قد قيل للرسل من قبلك، وقد كشفت هذه المعاني عن جماع النهي والزجر والموعظة، وإليها يرجع كُلُّ نظر.

ومن المظاهر البديعية الملحوظة في سياق الآية الكريمة أسلوبُ الطباق بين لفظِ (مغفرة) وبين لفظ (عقاب) فقد جيئ باللفظين نكرتين إفادةً للتكثير، لتضم هذه الكلمات بهذا النظم جماع الزجر والنّهي والموعظة[٣].

وقد يأتي الجمعُ مُقدراً، كما قد يأتي التقسيم مُقدَّراً، ومن أمثلة الجمع التقديري مع التقسيم قولهُ تعالى : ⬘♎⧯⌧ ⧄❑❍⇔☞⧫✡▤⬀✂⧄
✂☞⧫⧄⬂☺⧄❍⧬⬅ 🕮❑♌ ③⧫▤⬀❑♍♐ ⬉⧫⌨⬀⑨✡✂ ✏#
◆❐ ✂☞⧫⧄⬂☺⧄❍⧮❑⏲✸⬗▤♉⬧◆➔
✂☞⬀✡⬅♎⧫➋⬛⧩⬅❑♌⧫ ◆❐♉⧫ ⧄❍⇔♉⧫☪▤⬀✂⇳

[illegible]

[illegible] ﴾ [النساء:١٧٢ – ١٧٣]، فَعَدَلَ عن قولِهِ (ومَن يستنكف ومن لم يستنكف) وحذِفَ في الجمعِ ذكر المؤمنين؛ وذلك لدلالةِ التقسيم اللاّحق عليهِ في قولِهِ : ﴿ [illegible] ﴾، وذكر الله تعالى جزاء المؤمنين وجزاء المستكبرين معاً مُقسِماً بعد جمعهم وحشرهم إليهِ إلى فريقين (مؤمن وكافر)، ومن التقسيم التقديري قولهُ تعالى عقب الآيات السابقة من سورة النساء : ﴿ [illegible] ﴾ [النساء:١٧٤ – ١٧٥]، ((فذَكَرَ في هذه الآيات جزاء المؤمن، ولم يذكر جزاء الكافر))[١] أولاً، ثم أعقب ذلك بذكرِ صفاتِ المؤمنين مُقسمّةً بعد إجمال الحُكم فيها.

وقد سبق أن أشار الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) إلى هذا، ففي الموضعِ الأول ذكر أن التفصيل اشتمل على الفريقين والمفصَّل على فريقٍ واحدٍ، وفي الموضع الثاني اشتمل التفصيل على فريقٍ واحدٍ بعد ذكر الجميع في المفصّل ((فحُذف ذكرُ أحد الفريقين لدلالةِ التفصيل عليهِ؛ ولأن ذكر أحدهما يدلُّ على ذكر الثاني، كماحُذف

(١) دراسات منهجية في علم البديع : ٢٥٣.

أحدهما في التفصيل في قوله عقيبَ هذا ﴿[illegible]﴾))[١]، وقد استشهد البحث في أسلوب التقسيم الذي مرَّ ذكرهُ بقوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [فاطر: ٣٢].

يمكن تطبيق هذه الآية على أسلوب الجمعِ مع التفريقِ، فالجمعُ واضحٌ في بيان أن أمة محمد ﷺ هي الأمة التي اصطفاها الله تعالى وأورثها الكتاب الجامع للكتب السماوية السابقة وهو القرآن، أما التقسيم فيظهرُ واضحاً في أقسام هذه الأمة الثلاثة وهم[٢] :

أولاً : قسمٌ ظالمٌ لنفسهِ بالمعاصي مع صدقِ الإيمان والإسلام.

ثانياً : وقسمٌ مقتصدٌ بفعل الواجبات وتركِ المحرماتِ من دون توسعٍ في النوافلِ والقُربات، وهذه درجة سقف التقوى.

ثالثاً : وقسمٌ سابقٌ في الخيراتِ بإذن الله، وأهلُ هذا القسمِ إما الأبرار، وإما محسنون، وجاء في القرآن تكريمهم باسم (عباد الرحمن).

فالآيةُ جمعت بين : العباد في الإصطفاءِ، ثم قسمتهم إلى ثلاثة أنواعٍ : ظالمٌ لنفسه يرتكب الذنوب التي تؤدي إلى نقصان الثواب، ومقتصدٌ، وسابقُ لغيرهِ بالخيراتِ، وكلهم من أهل الجنة[٣].

ومن خلال تحليل الشواهد السابقة نستنتج أن أسلوبَ الجمعِ مع التقسيمِ من أساليب البديع التي تنماز بحركتيها المتطورة والمتجددة، فقد يتقدم أسلوبُ على

---

(١) الكشّاف : ١ / ٥١٦.

(٢) البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٤٢٢.

(٣) ينظر : البديع، دراسة في البنية والدلالة : ١٢٦.

أسلوبٍ وقد يتأخر وقد يُقدرُ محذوفاً حسب طبيعة السياق الموضوع لهُ لا يمكن حّده في قوالبُ جامدة لما يحملهُ من طاقاتٍ دلاليةٍ لا شمولية تستقصي علاقات الترابط العميقة داخل النظم الواحدِ، فتتداخلُ لتشكل تركيباً متوحداً يجمع عناصرَ الكلامِ في حدودِ المنطقي والمعقول، فتكشف عن فاعليةِ الأواصرِ الدلالية التي تبعثها قوانين الإجمالِ والتفصيل أو التفصيل والإجمال. ويبرز أثرها في تمكين المتلقي المُتَهيّئ للاستجابة بتحريك حسِّه الذوقي على استقبال الصياغةِ التي تزخر بالمقومات المنبثقة من الطبعِ والفطرةِ والسليقةِ تاركةً التكلف والتعقيد جانباً.

إن النظر المتفحص في أطرافِ تلك الأساليب متفرقةً أو مجتمعةً أمرٌ لا يمكن إدراكهُ بسهولةٍ؛ لذا يتطلب إعمالاً للفكرِ وتنشيطاً للذهن في استحضار العلاقاتِ المنطقية متجاوزاً الحدود المعيارية الصارمة. وتتداخل هذه الفنون معاً لكون الجامع بينها هو علاقة الإجمال والتفصيل التي تتمثلُ في ذكر المُجمل أو المفصل، مجامعاً ومؤتلفاً، مُقدماً أو مؤخراً لاعتباراتٍ دلالية تُحقّق أصالةً كنه العلاقات وجدواها.

أما النظرة الفنية النقدية فتجعلنا نربأ بهذه الفنون البديعية عن جعلها مجرَّد محسنات أو مظاهر لفظية أو معنوية؛ لذا قننها البحث في إطارِ العلاقاتِ الدلالية والتركيبية من دون تفضيل شكلٍ منها عن الآخرِ اعتداداً بطرق الصياغةِ التي هي مناط التفضيل والتي تُظهر في ذاتها ولا ترتبطُ بالتصنيف النوعي أو الكمي لمثل هذه المظاهر.

ثانياً : أُسلوبُ الجمعُ مع التفريق :

بعد دراستنا لأساليب الجمع والتفريق والتقسيم كُلّ على حدّة اختص مبحثنا في هذه المرحلة بالجمع بين هذه المظاهرِ ودراستها مجتمعةً مع بعضها بوصفها واحدة من أهم المظاهر البديعية المرتبطة بعلاقات الإجمالِ والتفصيلِ التي يرتكز عليها هذا الفصل.

الجمع والتفريق لفظان متضادانِ في اللغةِ، تضاد النقيض للنقيض، فالجمعُ ضمُّ المتفرقِ بتقريبِ بعضه من بعضٍ، وهو مصدر جَمَعَ يَجمَعُ، يُقال : جَمَعَ الشيء

عن تفرقةٍ يجمَعهُ جمعاً، وأجمعتَهُ، وجَمّعْتُهُ بالتثقيل مبالغةً فاجتمع[١]، والجمعُ الدّقل، لأنهُ يُجتمعُ وُخلط من تمرِ خمسينَ نخلةٍ، وقيل : كلُّ لون من النخلِ لا يُعرف اسمهُ فهو جَمْعٌ، ثم غلبَ على التمر الردئ، ومنه الحديث ((بِعْ الجَمْعَ بالدَّراهمِ ثم ابتعْ بالدَّراهم جنيباً))[٢].

أما التفريقُ فقد ذكرت المعاجم العربية لهذهِ المادة جُملة من الدلالاتِ أهمّها: أن التفريق خلافُ الجمعِ وعكسهُ، ((فرقتُ بين الشيئينِ تفريقاً وتفرِقةً، فانفرقَ وافترقَ وتفرَّقَ))[٣]، وتدّلُ هذهِ اللفظة على كتابِ الله تعالى : إذ هو الفرقان يفرقُ بين الحقِ والباطلِ ((في الاعتقادِ والصدقِ والكذبِ في المقالِ والصالحِ والطالحِ في الأعمالِ))[٤]، فالتفريقُ هو الفصلُ بين الشيئينِ بخلافِ التقريبِ والجمعِ.

أما المفهوم الاصطلاحي للجمعِ والتفريقِ فمن خلال تتبعنا لآثار هذا الفن البلاغي في تراثنا العربي وجدنا أن السكاكي أدخلهُ في المحسنات المعنوية وقال : ((هو أن تُدخلَ شيئينِ في معنىً واحد، وتفرِق جهتي الإدخالِ))[٥]، وهو أقرب إلى المعنويات، وتحدث النويري عن هذا الأسلوبِ وفقاً لما جاءَ به السكاكي، مع اختلافِ الشاهد الشعري الذي أوردهُ السكاكي، وذكر مثلهُ أيضاً ابن حجة الحموي[٦]، أما القزويني فعرّفهُ بقوله : ((ومنهُ : الجمعُ مع التَّفريقِ، وهو : أن يُدخِلَ شيئينِ في معنى واحد ويُفَرَّق بين جهتي الإدخال)) [٧] ذاكراً قولهُ تعالى : ﴿□◆♉☐⧄➔⧄▣☐☪◆✍◆⚐✗☽✍⚐⚬◉✈• ☎ ☐◆✂✍⚬✤☐☙☐✍⑥◆ ◆↗◆✂③◆✌✓✔✗✍ ✍⚬✤☐☙☐✍⑥◆ ◆↗◆✂③◆☐◆ ✍⚐✗☽✍⚐⚬◉✈✍ ▫◆☺⧄◆⧄☐⬀☼◆✍✏ ◆↗◆✂③◆☐◆ ✍⚬✤☐☙☐✍⑥Ø ✍☐◆⧄▣☐☪◆✍✏ ✍↖⌨⬀⬐⬂❸◆☐☪﴾ [الإسراء:١٢].

(١) ينظر :مادة (جَمَعَ) في : جمهرة اللغة، وتهذيب اللغة، وتاج العروس.

(٢) صحيح البخاري، كتاب البيو' باب بيع تمر بتمر خير منه، حديث رقم (٢٢٠٢)، ص٣٤٩.

(٣) الصحاح : مادة (فَرَقَ).

(٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن : ٣٩١.

(٥) مفتاح العلوم : ٥٣٥.

(٦) خزانة الأدب : ٢ / ٣١٤.

(٧) الإيضاح : ٢٧٠.

وَسَارَ على هذا النهج عدد من البلاغيين والمفسرين[١]، أما الدراسات البلاغية المعاصرة فقد عرفت هذا اللون من البديع بأنه ((جمعُ المتكلمِ بين شيئين في معنىً ويفرق بين جهتي الجمعِ))[٢]، ومعنى ذلك أن هناك إجراءين بلاغيين في آنٍ واحدٍ الاجتماعُ ثم التفريق وضمن حُكمٍ واحدٍ يدخل تحتهُ كُل من الجمعِ والتفريقِ، وهو من أوضح الأساليب البلاغية الدالةِ على سرٍّ من أسرارِ البلاغةِ لتضمنها وحدات المعنى الكُلي في الكلام الذي ((دلَّ عليها المتكلم بعبارةٍ ما، تجتمعُ في حُكمٍ وتفترقُ في حُكمٍ آخرٍ يلمحهُ أديبٌ فَطِنٌ بقدرتهِ البلاغية، فيسوق تعبيره الأدبي البديع دالاً به على حُصول الأجتماعٍ من جهةِ الحُكمِ الجامعِ، وحصولُ الافتراق من جهةِ الحُكمِ المختلفِ))[٣].

فإذا كانت جهة التفريقِ جهةَ تفاضلٌ في نسبةِ الصفةِ لا جهةِ وجود الصفة وعدمها؛ فأنه في هذه الحالة يأخذ تسميةً اصطلاحيةً معروفةً في علم البديعِ بـ((جمعِ المؤتلفِ والمختلفِ))[٤] والفرقُ واضحٌ بين الأسلوبين من جهةِ التفاضلِ ووجود الصفة أو عدمها.

تأمل قوله تعالى : [illegible]

[الزمر: ٤٢].

ينبه التعبير القرآني في هذه الآيةِ بنظمٍ مُعجزٍ إلى قدرةِ الله تعالى على الإحياء والإماتةِ، والناسُ في قبضتهِ في صحوهم ونومهم وفي كُلِّ حالةٍ من حالاتهم، يتصرّف بهم كما يشاء ((فالله يستوفي الآجال للأنفس التي تموت، وهو يتوفاها كذلك

(١) ينظر : أنوار الربيع : ٥ / ١٦٨، والإتقان في علوم القرآن : ٩٢/٢، ومعترك الاقتران : ١ / ٣٠٦.

(٢) البديع في ضوء أساليب القرآن : ١٠٠، علم البديع (د. عبد العزيز عتيق) : ١٦٠.

(٣) البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٤٢٠.

(٤) ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٢ / ٤٠٧.

في منامها- وإن لم تمت بعد – ولكنَّها في النومِ متوفاة إلى حين، فالتي حان أجلها يمسكها فلا تستيقظ، والتي لم يحن أجلها بعد يرسلها فتصحوا، إلى أن يحلَّ أجلها المسمّى))[١]، ومعنى ذلك أن الله تعالى يتوفى الأنفسَ وقت موتها المحدّد لها، وهذه هي الوفاة الحقيقية، ويتوفى الأنفس التي لم تمت حقيقة أي (النائمة)، وذلك تشبيهاً للنوم بالموتِ، فيمسك الأنفس التي كتب عليها الموت الحقيقي فلا ترجعُ حيّة، ويُرسل الأخرى النائمة حتى يأتي الأجل المحدد لموتها الحقيقي[٢].

ويظهرُ أثرُ أسلوبِ الجمعِ واضحاً في لفظة (الأنفس) والمقصود بها النفسين التي تموتُ فيمسكها إليه تعالى، والتي لم تمت والحُكم واحدٌ هو (التوفي)، وقد أجرى هذا التعبير أسلوب الجمعِ بدقةٍ بالغةٍ توخى فيها اختيار الحُكم المناسب للفظِ والدلالةِ معاً وقد ((عَلَّقَ الله عزَّ وجلَّ التَّوفى والموت والمنام جميعاً بالأنفس))[٣]، ثم فَرَّقَ بعد ذلك بين جهتي التوفي بالحُكمِ، بالإمساكِ والإرسالِ، أي : أن الله يتوفى الأنفسَ بالإمساكِ والإرسالِ ويقتضي ذلك توفي الأنفس التي تُقبض والتي لم تُقبض، فيمسك الأولى، ويُرسل الأخرى[٤]، والمنحى الأسلوبي الدقيق الذي يتفتق من هذه الآية لفظ (الوفاة) فهو الرأس والدّال العام في حقله الدلالي؛ لأنه مع ما ذُكر من مجموع الدلالات السابقة يُضفي دالاً فاعلاً في معنى السياق العام، فتوفية الله عزّ وجلّ لأجل الأنفس يشكل موتها النهائي وإيفائها مدة ما بقي من حقها في العيش حتى ينقضي رزقها المحتوم في الحياة.

وفي سورة (ص) نلمحُ أسلوبَ الجمعِ مع التفريقِ بين جهتي الإدخال في قولهِ تعالى : ﴿🔔♦✍♦✌♦ 📖❐☼♦✍⚐ ⌘⌧❷⬀❸⮘ 👌♓&☪⬃❍⬅ ☎ ⌘⌧▪■☎⬂☞♦♉✍✍ 👌&♊ ☼✵✍❻☏⌇ ❐♦⌘⌧▪■☎⬂☝♦❍⬅◷ 👌&♊ ⊂&✓✗📖﴾ [ص:٧٦]، حيث تمثّلُ هذهِ الآية مشهداً من مشاهد مناظرة إبليس عدوّ الله في شأنِ آدم عليه السلام وإبائهِ السجود

(١) في ظلال القرآن : مج٥ ، ج٢٤ ، ص٣٠٥٥.

(٢) ينظر :روح المعاني : ٩/٢٤.

(٣) الكشّاف : ٤ / ٥٥.

(٤) ينظر : معترك الأقران : ١ / ٣٠٦.

لهُ، بأسلوبٍ تمثيلي حيٍّ، يسيرُ البيان القرآني في عرضه متتبعاً سلسلة الوقائع والأحداثِ مع التعرضِ لتوضيحِ وتفسير كثيرٍ من جزئياتِ القصة بمنهجيةٍ متكاملة غير مبتعدة عن الغرض الأساس والعبرة والعِظة التي سيقت من أجلها مع متابعةِ تهيئةِ الآياتِ للمناسبةِ وتوجيهها إلى الدلالةِ المقصودةِ من السياقِ، تتضمنُ هذهِ القصة لوناً من ألوان الحسدِّ في نفسِ الشيطان، لاستكثارهِ على آدم عليه السلام فضلُ اللهِ الذي كرمه إياه، بأن يقعَ الملائكةُ لهُ ساجدين، إلاَّ أبليس فسقَ عن أمرِ ربِّهِ وعصى واستكبرَ فكانَ من الكافرين.

ويستمرُ السياق القرآني في عرضِ قصةِ البشريةِ، وما دار في الملأ الأعلى بشأنها، منذ أن بدأ الله تعالى الخلق لآدم وخصّه بالتشريفِ بأن خلقَهُ بيديهِ ونفخَ فيه من روحهِ قال تعالى : [illegible] [ص: ٧١ – ٧٦].

من لطائفِ البلاغةِ في هذا النظم القرآني تكرارُ ذكر الله تعالى لها في مُحكم كتابهِ، وإخبارهِ أن إمتناعَ أبليسَ من السُجود كان كبراً منه وكفراً، وإباءٍ، وإن دعواه أنه خيرٌ من آدم دعوى كاذبة باطلة، لشبهةٍ ذكرها تعنتاً في أن أصلَ خلقهِ النار، وأصل آدم وعنصرهِ التراب، وما يترتّب عن ذلك من خيرٍ فهو باطِلٌ من وجوهٍ عديدةٍ ذكرها إبن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) مفَصلاً فيها القولَ، ومؤكداً بيان فسادها(١)، والسرُّ في

(١) ينظر : بدائع الفوائد : ٤ / ١٥٥٤.

هذا التكرارِ هو التدبّر والحذرُ من ((أن يكون للعالم نصيبٌ من هذا الرأي والقياس وهو لا يشعر، فقد أقسمَ عدوُّ اللهِ أنه ليغويَنَّ بني آدم أجمعين إلاَّ المخلصين منهم، وَصدَّق تعالى ظَنَّهُ عليهم، وأخبرَ أن المُخلصين لا سبيل له عليهم))[1].

ولم يكتفِ التعبير القرآني في هذهِ الآيةِ بظاهرةِ التكرار، وإنما أبدعَ في إبرازِ مظاهرِ الإجمالِ والتفصيل من خلالِ أسلوب الجمع مع التفريقِ دالاً على المعنى وموضحاً أسرارهُ البلاغية، حين جَمَعَ في أصلِ الخلقةِ بين آدم عليه السلام وإبليسَ، إذ إن الله تعالى خالقُ كلَّ شيءٍ ومليكهُ، ثم بَدَى أثر التفريق بعد ذلك واضحاً في بيانِ جنس الخلقةِ أهي من طينٍ أم من نارٍ؟

ولا شكَ في أن اجتماعَ أسلوبي (الجمعِ) مع (التفريقِ) في مظهرٍ بلاغي مشتركٍ يُعدُّ من فنون (الازدواجِ)[2] التي تُزيد الكلامَ جمالاً وترابُطاً وقوةً، طالما لم يصحبها تكلفٌ ولا تعقيدٌ، ولم تكن طاغية على جانبِ المعنى من أجلِ التحسينِ البديعي، لنقف عند قولهِ تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [الإسراء:١٢].

تمثل هذه الآية أنموذجاً لاجتماعِ عددٍ من المظاهرِ البديعية مما يُضفي تفرداً أسلوبياً يُخاطبُ القلوب والعقول معاً، ويرسخُ في النفس التأثير التلقائي المباشر بتراكيبها وصورها البلاغية المتنوعة، فالليلُ والنهار آيتان من آيات اللهِ يحصل بوجودها الضوء والظلام فكأنه يُريد الدلالة على (الشمس والقمر) بهما يتم الإبصارُ وبعدمهِ أي : محوها ينطمسُ الضوءُ؛ لذا جاءت الإضافة في الآيتين للدلالة على التبيينن كإضافة العدد إلى المعدودِ[3]، فظاهر السياق القرآني يوحي بقوله : (فمحونا الآية التي هي الليل، وجعلنا الآية التي هي النهار مُبصِرة).

وأول ما نلحظهُ من مظاهر البديع فيها أسلوبُ الطباقِ والجمع بين الألفاظِ المتضادّةِ في لفظتي (الليل) و(النهار)، مما حقق علاقة التكافؤ القائمة على التقابلِ

---

(١) بدائع الفوائد : ٤ / ١٥٦٠.

(٢) فنون الإزدواج هي ذاتها فنون الإجمال والتفصيل، فقد آثر الدكتور الشحات أبو ستيت هذه التسمية، ينظر : دراسات منهجية في علم البديع : ٢٥٥.

(٣) ينظر : روح المعاني : ٢٦/١٥.

في المعاني، والعنصرُ الجمالي في الطباقِ هو ما فيه من التلاؤم الواضح بينهُ وبينَ تداعي الأفكار في الأذهان، باعتبار أنّ المتضاداتِ أقربُ تخاطراً إلى الأذهانِ من المتشابهاتِ والمتخالفاتِ.

ومن مظاهر البديع في النصِ، إبانتهُ أن الليلَ والنهارَ قد اجتمعا بوصفهما آيتين من آيات الله -عزَّ وجلَّ- في الكون، وهذا هو وجهُ (الاجتماعِ)، أما وجهُ (التفريقِ) فيبرزُ في دلالةِ آية الليلِ على المحوَّ، أي : إزالةُ سببِ رؤية ذوي الأبصار، أي : آيةُ الايجادِ سببِ رؤية ذوي الأبصار للأشياء.

ومن المظاهر الأسلوبيةِ الدالةِ على البديعِ في هذا النص (اللفُّ والنشر) يظهر أثرُ أسلوبِ اللفِّ في ذكر المتعدداتِ التي يتعلقُ بكلِّ واحدٍ منها أمرٌ لاحقٌ والذي يُشارَ إليهِ أولاً في قوله تعالى : (الليل والنهار) ففي ذكرهما مجتمعينِ معاً ترقُبٌ للمُرادِ بالإشارةِ إليهِ، أما أسلوبُ النشر فأثرهُ هو دلالتهُ على ما يأتي لاحقاً لتأكيد وتوضيح وبيان ما هو مقصودٌ من التراكيب لغرضِ الدلالةِ عليهِ في قوله تعالى : ﴿☎✁❑➚⬄♦✌⬀▭♦✌♉♏♋◉ ⌖⊠⇕✎▫ ♊♉♓✎ ⏍⑩⏍⑨♦⬉ ☎✁❑➔☺■⌷⬀➔♦✌♉♌◉♦❑ ⬄⚐➚▤⚡■⌨▪❻ ⌘⚇✍✽❍♉♦⬂⌨✍✁♦❑ ♦✗✓♉☪⬀♌❍♌◉✍✁ ▤ ⌖⊠⑩⬀⏲⬂▦▪✍ ⬅❍⏲❑✡▫⌷❍⏲▫ ⧉➚⬄✐⊠★ ❑➘➔▤♦❑﴾

[الإسراء:١٢].

فالنشرُ في بيانِ الحكمةِ من النهارِ، وهي أن يبتغي الناسُ أرزاقهم وحاجاتهم من فضل اللهِ، وفي بيانِ الحكمةِ من التعاقبِ بين الليل والنهارِ، وهي أن يعلمَ الناسُ عد السنين والحساب، عن طريقِ ما يجري فيهما من تغيراتٍ سببها حركةُ الأرض حول نفسها وحولَ الشمس، بإشارةِ قوله تعالى : ﴿☎✁❑➔☺■⌷⬀➔♦✌♉♌◉♦❑ ⏍⑩⏍⑨♦⬉ ♦✗✓♉☪⬀♌❍♌◉✍✁ ❑♦✁✍⌨⬂♦♉❍✽✍⚇⌘﴾ **[الإسراء:١٢]**))، وفي سورة الجاثية يرسمُ التعبير القرآني صورةً من صورِ استقبال المشركين للدعوةِ الإسلامية، وتعبر عن الطريقةِ التي يسلكونها في مواجهةِ حقيقتها وما جاءت به من الآياتِ والبراهين، حين

نرى فريقاً من الناسِ يقابلون دعوة الرُّسلِ بالسُّخريةِ والإصرارِ على الضلالةِ بعنادهم واستكبارهم في قوله تعالى : ﴿□◆③✍⊁≺ ♎♏♐♑♒♓ ✍♏♐♑➷☸❍♏✍

←➚◆☺⬄○◆③ ⚲♋✍ ▯⚐⑩♋⚐□📖 ☸✋✍⅄▫□📖
♋○⬂⓿■⬛◆⬉ 🗐❼■✍☞✌➔✍ ★✎✍✂ ♋💣☼◆③✂◆➚
♌□☎☒✍ ✂☪❸✍♐⬁▤◆✌⬄○⬉✌ ❿❸⬁⬁⬉③ ▪☠➔⚐
←■☞❸⬁♏⌑◆⌛▫ ☎ ✍⧅♑☞➔⧅☺⬄○□④ ⬄⚐⅄♐
✂•❶♋☽◆□ ⬁♋✍ ✋☹➚♋♐□📖 ✌☸✂☒⓿⧅➔♋✍
✍✆★⬂⓿☒⅄ ✍◆☪♋☞✆◆③✂◆➚ ⇳♊♋✌ ⌘☠♋⬛◆⬊
🗐 ✂✆□⬇❽➔♎ ✍⧅♎☒⓿•③✦✌✍✂
♋☸✂☒⓿◆⬉ ⬀☠←●○⌨ ⧅⌨♋❖✸✆•♐✋□⬆📖
✌❿♑♋✓✗≺﴾ [الجاثية:٧ – ٩]، جمعت الآية الكريمة صفاتٍ سيئةً يستحقُّ صاحبُها العذابَ المهين[(١)]، حين ابتدأت بالتهديد والوعيدِ لكُلِّ متخلِّق بها ((والآيةُ عامةٌ في كُلِّ ما كان مُضَارّاً لدين اللهِ))[(٢)]، فقد ناسبَ أسلوبَ التهديد والوعيد إيثار لفظ (ويل) تعجيلاً وتقوية في التأكيد على الإنذارِ، وقيل أن (الويل)[(٣)] وادٍ في جهنم أُريد به من قال الله –تعالى– ذلك فيه واستحقَّ مَقراً من النارِ وثبت له كقولهِ تعالى : ﴿▫•□◆③✍⊁≺ ♐⅄♑←☠ ✌♓♋☺❍✍ ▤•✌◆⌛◆💣⇳
📖□③☞⑨♋③♑♐☠⬀ □◆□◆③✍⊁≺ ♐⅄♑←☠ ✌♓♋☺❍✍
③◆▤⬁○⬂⬁⌨←□♌◆♦﴾ [البقرة: ٧٩].

وقد قَرَن هذا العذاب أي الويل بكُلِّ ((أفّاكٍ : كذَّاب، أثيم : متبالغ في اقترافِ الآثامِ))[(٤)]، مؤثراً تقديم الإفكِ على الإثم؛ لأن الأول سببٌ للآخرِ، ثم يسترسلُ بدقةٍ وبلاغةٍ عجيبةٍ في تفريقِ ما أجتمعَ من صفاتٍ عامةٍ بذكرِ حالِ هذا الأثيم إذ إنهُ رغم سماعهِ آياتِ اللهِ تتلى عليهِ، فإنه مُصِرٌّ مستكبرٌ والأصلُ في صيغة الفعلِ

---

(١) قيل أن سبب نزولها في النضر بن الحارث وهو من شياطين قريش، وقف في سبيل الدعوة، وناوأها أشدَّ المناوأة، وكان يزعم أنه قادر على أن يأتي بمثل ما جاء به سيدنا محمد ﷺ كمّا كان يشتري أساطير الفرسِ، ويشغل الناس بها عن الدعوة وما جاءت به، ينظر : الكشّاف : ١٨٦/٤.

(٢) الكشّاف : ٤ / ١٨٧.

(٣) يُنظر : المفردات في غريب القرآن : ٥٥٠.

(٤) الكشاف : ٤ / ١٨٦.

(يُصرّ) ((من إصرار الحمارِ على العانةِ[1] وهو أن يُنحِي عليها صاراً أذنيهِ))[2]، مستكبراً يوحي استكبارهُ بتعمدِ الصرِّ، وقد ذكر الزمخشري أن دلالة (ثُمَّ) في قولهِ : ﴿⚐➔☠▪ ③⇖⇍⇖❸❿ ✌⇗○⬄✍♦▤⇖◉♌✐❸☪✁﴾ هي إفادة التأكيد على الإصرارِ في الاستكبارِ على الرغم من سماعِ ما يُتلى عليهِ من آياتِ اللهِ، وكان من الحقِّ والعدلِ أن يركن إليها لا يبتعد عنها ((وهو إستجابة عكسية لهذا المثير النفسي الذي يدعوهم إلى الحقِّ، وتأبى نفوسهم الخاوية إلاَّ الاستكبار المتكلف الذي يجهدون أنفسهم فيه لمقاومة الإعجاز التأثيري لآيات القرآن))[3]، فصفةُ الإصرار ثم الاستكبارِ يأتي بعدها السخرية والاستهزاء بها في قوله تعالى : ﴿✍⊠☎□♌ ◉♌⅄⚐⬄ ④□○⬄☺⊠➔⇗♑⊠✍﴾ وقوله تعالى: ﴿✁✍✌✦③•⓿⊠♎⊠✍ ♎➔❽⬇□⏲✁﴾ فقد جَمَعَ صفات الإفك والأثمِ والإصرار والاستكبار والاستهزاء والسخرية ((وناسبَ هذا الجمع أن يأتي بعده التهديد والوعيد على سبيل الجمعِ أيضاً))[4]، فجمع به الإفراد رداً للكلامِ على معنى الكُلِّ، مُفرقاً كل صفةٍ للإشارةِ إلى منزلتها من العذابِ بقولهِ تعالى : ﴿▫•⌛♦⌑♏⇖❸⇗■⬅ ✉♉➔⊠⓿⊠✁☮✌ 🕮□◉♌♉➚☹🖰﴾ [الجاثية:٨]، وقوله تعالى : ﴿🕮⬆□🕯◉♌•⏲✵⯑✍⌨⊠ ▭○●⬅☠⬀ ⇖♦⓿⊠✁☮✍ ✌❿♑♉✓✗⮘﴾ [الجاثية:٩].

وقد آثر التعبير القرآني اسم الإشارة (أولئك)؛ ليكسب السياق دلالة الشمولية فقد أشار بهذا الاسم إلى كُلِّ أفاكٍ أثيم لتضمّنه معنى (الأفّاكية) جميعاً[5].

---

(١) المراد بالعانة هنا : الأتان.

(٢) الكشّاف : ٤ / ١٨٦.

(٣) سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية : ٣٥١.

(٤) المصدر نفسه : ٣٥٢.

(٥) ينظر : الكشاف : ١٨٨/٤.

ومن هنا تجب الإشارةِ إلى أن القرآن الكريم مليءٌ بمظاهرِ الجمعِ مع التفريقِ التي تحتاج إلى دراسة مستقلة تبحث في ميدانها الأدائي وتأثيرها الأسلوبي بشكل تفصيلي.

ثالثاً : أسلوب الجمع مع التفريقِ والتقسيم :

يمتدُ هذا المصطلح ليُكمل ما سبق ذكره مفرداً ويؤكد باتصالهِ اتساعَ علم البديعِ وشموليتهِ التي تمثّل ضرباً من الإحاطة والتنويعِ في الأساليب، حيث شكلت ظاهرة (الجمع مع التفريقِ والتقسيم) مُثيراً أسلوبياً استقر وتوقل حتى عمَّ التراث النقدي والبلاغي عموماً وعلم البديع على وجه الخصوصِ، يوحي به الأثر البارز في السياق الذي يتجاوز كُلّ قيدٍ أو محاولةَ حصرٍ في التطبيقِ لغاية تُثري الدلالة بالنفاذِ إلى معانٍ ثانية إنطلاقاً من مفهوم الدرس الأسلوبي الحديث الذي يقرُّ بأن ((الصيغة المعجمية تكتسب دلالةً ثانية عندما تدخلُ في تجاور سياقي مع وحداتٍ كلامية أُخرى يُراعى في ذلك حُسن التناسق بين المعاني وحُسن الموقعِ للألفاظ))(١).

يُفهم من ذلك أن المعنى الكُلي للألفاظِ التي جاءت مجتمعة للدلالة على ما يُبتغى من الكلامِ قد تنقسم وتتفرق في وضعٍ دلالي واحدٍ يحملُ الحُكم نفسه؛ لأن في تفريقها وتقسيمها بعد الاجتماع بيانٌ لوظيفتها الدلالية الناطقةِ بالتلازمِ بين مكوناتِ التركيب اللغوي حيث يُنظر فيها إلى الشكل والمضمون بوصفهما طرفين متلازمين، وعلى هذا الأساس حدد الجرجاني بصورة دقيقة كيفية اختيار المتكلم للمعاني والألفاظ بقولهِ : ((إن الألفاظ إذْ كانت أوعية للمعاني، فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وَجَبَ لمعنىً أن يكون أولاً في النفسِ، وَجَبَ للفظ الدالِ عليه أن يكون مثلهُ أولاً في النطقِ))(٢).

وعلى أساسٍ مما سبق نجدَ أن المتأمل في معالجات بلاغينا لهذهِ الألوانِ من البديعِ القائمة على علاقة الإجمال والتفصيل، يكتشفُ أن أظهر شيءٍ فيها إحصاؤهم للمظهرِ دون التأكيد على بيانِ قيمتهِ الفنية والأسلوبية في إثراء المعنى وتكثيفهِ، بمعنى أنهم استقروا الظاهرة ورصدوها وصنّفوها في ضمن علم البديع من دون جُهدٍ

---

(١) علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي : ١٤٩.

(٢) دلائل الإعجاز : ٥٢.

نقدي تحليلي مُقارنة بين ما تنطوي عليهِ من مُعالجات لمستويات لغوية مختلفة، إذ تأتي إجراءاتهم لتهيّئ المفاتيح التي تتُخذ منطلقاً لمزيد من التتبع والبحث الاستقرائي، وخيرُ مثالٍ على ذلك ما فعله السكاكي حين أدخلَ هذه الألوان من البديع في المحسنات المعنوية من دون الالتفات إلى أثرها والتنبيهِ إليهِ أو الوقوف على مواطنِ الجمالِ والبلاغةِ فيه[١].

أما بعضُ البلاغيين فوجد في الجمع بين هذه الأساليب الثلاثة في الكلام صعوبةً ومُشكل للغاية[٢]، في حين عدّها العلوي في (الطراز) من عوارضَ البلاغة ((إذا وقعت في الكلام بلغَ مبلغاً عظيماً في حُسن التأليف وإعطاء الفصاحةِ حقها))[٣].

فمظهر الجمع مع التفريق والتقسيم مرهونٌ بتحقيق فائدةٍ دلالية لها أثرها الأسلوبي في السياق مما يُحقق انسجاماً متكافئاً بين أجزاء القولِ المفصّلِ أو المُقسّم دون تكلفٍ أو إرهاقٍ للألفاظ أو المعاني.

وعند الانتقال إلى النظرِ في تفاصيل هذا المظهر البديعي في الدرس الأسلوبي يستوقف الناظر ما يلحظهُ فيه من دقةٍ محكمةٍ في ذكرِ المتعدداتِ جمعاً وتفريقاً تقسيماً وتفصيلاً أو إجمالاً، وكُلّ هذه المظاهر ما هي إلاّ تفريعاتٍ لمصطلحٍ واحدٍ أساسهُ التقسيم ((إذ أن التقسيم في حقيقته هو تعدادٌ لأقسام الشيء/ المعنى على أنه (وحدة) أو مجموع وحدات يضمُّ (تعدداً) وتنوعاً، فيكونُ القصدُ إبرازُ التعدد في الوحدة أو كشف وحدةِ المتعدد))[٤].

وهذا يُشير إلى أن للتقسيم عمليتين متصلتين فهو لا يتأتى إلاّ من اجتماعِ متعدداتٍ تتمثل في انتظام المعاني في الذهن يصحبها حُسن اختيارٍ للدلالات المناسبة للموقف الكلامي، ومن ثم وضع حدٍّ فاصلٍ للتفريق بينها في الحُكمِ بإيجاد

---

(١) ينظر : مفتاح العلوم : ٥٣٦.

(٢) هذا ما ذهب إليه الدكتور أحمد مطلوب في معجمه البلاغي مُعللاً مذهبه بقول الوطواط : ((جمع هذه الأشياء الثلاثة مع بعضها مشكل للغاية))، ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٢ / ٤١٣.

(٣) الطراز : ٣ / ١٤١.

(٤) البديع وفنونه : ١٣١.

تعليلاتٍ منطقية لأسبقية بعضها على بعضٍ استناداً إلى معيار التغير الدلالي واللفظي معاً.

وسواءٌ كان التفريقُ سابقٌ للتقسيم أو مُتقدمٌ عليه إلاَّ أن الحُكم واحدٌ، وخيرُ تطبيقات هذا اللونِ من البديع في النظم القرآني ما جاء في سورة البقرة في قوله تعالى : [illegible]

[illegible] [البقرة:١-٥].

جاءت هذه الآيات الكريمةِ من الوجهة البلاغية على سبيل الجمع مع التفريق والتقسيم إيذاناً بما انطوت عليهِ التراكيب اللغوية من دلالاتٍ إجمالية تفصيلية فقولهُ تعالى: [illegible] أي : القرآن الذي أنزل على الرسول الكريم محمد ﷺ وهو الكتاب المنزل الموعود الكامل(١)، ومما يلفتُ النظر أن بعضَ المفسرين(٢) بحثوا في حكمةِ استعمالِ أسم الإشارةِ للغائبِ مع أن المشار إليه حاضر، وأكدوا ذلك بتعليلٍ بلاغي مغزاهُ بُعدُ المكانةِ وعلو المرتبةِ، كما في قوله سبحانه وتعالى: [illegible]

---

(١) ينظر : الكشاف : ٣٥/١.

(٢) ينظر : الكشاف : ١ / ٣٤، التحرير والتنوير : ٢ / ٦٣١، الجامع لأحكام القرآن : ٣ / ٦١٥.

وقوله [السجدة:٦]، ﴿ ⓿⚐⑩♉○▪❷♑♋♐✈ ↓❽③⛷❽⌧➔♒♑♋♐✈ ﴾

تعالى : ﴿ ✍♉■☐⌨⌧ ↗◆✈③◆⏲☀● → ✈♐✏★

☼◆☞☑■➔❑♎⌧♐ ↖◆■⓿♒①♪ 📬♎♐♐♋♑♒♦⌧📬♎☞ 🗐

❑◆⓿♎♉☼✱⌨⌧ ♋♦☺♉♊⌘ ✈♐♋♑♒☺←❷♎♏⌧■♎✓▫♪ ﴾

[البقرة:٢٥٢].

أدى اسم الإشارة في سياق التعبير القرآني دلالةً تُظهر أن القُرآن وقت نزولِ أولِ هذه السورةِ ما كان كلُّه حاضراً؛ بل كان بعضه قد أُنزل في سنين عدة مضت بمكة وفي أول العهد بالمدينة، وبعضه سينزل فلعدمِ حضورهِ كلهِ وقت نزولِ هذه الآياتِ أُشير إليه بأسم الإشارة البعيد، وقد جُمعت صفاتُ هذا القرآنِ في خبرٍ بعد خبرٍ، الأول (لا ريب فيه) أي : لا شك فيه، وبما أن النكرة في سياق النفي تعم، فالمعنى : ليسَ فيه ريبٌ من أية ناحية، لا من ناحية أنه من عند اللهِ، ولا من ناحية أنه هُدى للمتقين، ولا من ناحية أنه معجز، ولا من ناحية صدقِ مبادئهِ وعدالةِ تشريعهِ وسلامةِ عقائدهِ.

والخبر الثاني (هُدىً لِلْمُتَّقِينَ)، فقد عَدَلَ عن قولهِ (ذلك الكتابُ لا ريبَ فيه، وذلك الكتابُ هُدىً للمتقين)، والهدايةُ هُنا وصفٌ دالٌ على طريقِ الخيرِ وطريقِ الشرِّ للناسِ كافة[١]. وقد جَمَعَ حُكم الهدايةِ في المُتقين، وهم الذين يقون أنفسهم عذاب الله وسخطه في الدنيا والآخرة، وذلك بالوقوفِ عند حدودهِ وامتثال أوامرهِ واجتنابِ نواهيهِ. ثم قَسَمَ صفاتهم إلى خمسٍ هي أمهات الفضائلِ، ودلائل الفطرة السليمة، وأسبابُ الاهتداءِ في الآياتِ الرابعة والخامسةِ والسادسةِ من سورة البقرة.

اشتملت الآية الكريمة على علاقاتٍ أحكمت التنظيم والتنسيق والترتيب وجعلت الجملة كياناً متماسكاً لها جمالها اللغوي والبياني المميز متآلفةً مع التركيب والسياق العام حين ((يستعمل اللفظ بدلالة معينة لا يمكن أن يؤديها لفظٌ أخرٌ في

(١) ينظر : الفروق اللغوية : ٣١٦.

المعنى الذي تحشدُ لهُ المعاجم وكتب التفسير عدداً أقل أو أكثر من الألفاظ))[1]، فيبرزُ فيها التحام النسج وارتباط البناء ظاهراً في وصفِ القُرآن بالكمالِ الذي لا يعلقُ به الريب، لا في أخبارِهِ، ولا في نسبتِهِ إلى الله تعالى، فتتمثلُ تلك العلاقات الملحوظةِ في التعبير القرآني بالتفصيل بعد الإجمال يدّل عليها الإشارةُ إلى صفاتِ المتقين بعد إبراز حُكم التقوى وخصّ المتقين بها؛ ((لأنها وصفٌ للذين ينتفعون بالقرآن، فهم الذين يوقنون بما أنبأهم به من أمورٍ غائبة لا يرونها، ويقومون بواجبهم لله، فيؤدون الصلاة كما يجب أن تؤدى، وواجبهم للمجتمع، فيقدمون من أموالهم ما يساعدون به البائس والمعتر ولا يتعصبون لرسولٍ دون رسولٍ، بل يؤمنون بما أنزل الله على محمدٍ، وما أُنزل من قبلهِ، ورأس الإيمان وأساسه هو إيمانهم باليوم الآخرِ))[2].

ويتجلى أسلوبُ الجمع والتفريق والتقسيم، في ما أظهرهُ التعبير القرآني من اختياراتٍ نسقية أبرزت بجلاءٍ صفات المتقين، فقد جمع لفظ (المتقين) كُلَّ من أنزل إليه القرآن هادياً لا ريب فيه، ثم بدأ بعد ذلك بالتفريقِ والتقسيم عند قوله تعالى: ﴿♦✖⇦♎♎♙⅄✍♋♏✁﴾ ♦♌❑⬉☪♎✎⬃⬧⬉③

﴿♐♏♍♏♋♋♐⬂⇦♦⓿⬂♐🕮﴾ و ﴿❑◆⬉③✋⓿✍⓿☺⬉❑♌♦

﴿♏♋♐⏲♐🕖❍♐■❑♐❑■﴾ و ﴿❑◆☜⬂♐✹♏♋

⓺◆♏⬄⬂♎☪◆🕖♑←☠⬀ ﴿♦♌❑➔☽♎♐☪⬉③﴾

و ﴿❑◆✁♋♏✍⅄♙♎⇦✖♦ ♦♌❑⬉☪♎✎⬃⬧⬉③ ♐♎♐❑♏✍

﴿♎♋♐⬂⓿⬂♏⬂⌸﴾ ♦✌♐❽☼↑🕮 و ﴿❑◆✌♦♏✍ ♦✌♐❽☼↑🕮

♐♎♍ ♙⬧⌸⬀♐♎⌸⬂﴾ و ﴿❑◆♐♎♋♋⬂☜⌘♒❷♦❑♐

⬀♐⬉✗ ﴿♦♌❑⬉☪♎♙❑⬉③﴾ و ﴿🕮↑❑♐♐⬂🕖✸⬗♐⌸⬂

⬉♦♐■♐❼♐ ♎⬅⑨➔♎ ♐♓♎♊ ⓺■♐♎♑♎☠⬀ ﴾☎

---

(١) الإعجاز البياني للقرآن : ١٩٨.

(٢) البلاغة القرآنية : ٩٠.

و ﴿❖□◆□🕮⬆□🕯◉♋⬧🕔✴⬗✍🖮⌧ ⇖☠➔♎

✃🙰♋◉♌☺⬅⊞♌🖫♐⬧⬅□♍♏🙵﴾؛ ((ولأن الإيمان يدفعُ إلى العملِ الصالحِ، وينهى عن المنكر والبغي، فلا جرمَ إن كان أولئك على هُدًى من ربهم وكانوا هم المفلحين))[1]، ومن الملاحظ في هذه الآيات أن أثر التقسيم مُتقدمٌ على أثر التفريق إذ أنه أعقب صفاتِ المتقين وتوضيحها في ترتيب وتناسق مُحكمٍ يبرز فيه التحام السياق القرآني، وارتباط بناء بعضها ببعضٍ بطريقة تسلم فيها الجملة إلى أختها في التئام واتساقٍ، ثم يأتي التفريقُ بين من اجتمعت فيهم هذه الصفات من (الذين آمنوا، والذين اتقوا الله) و(بين الذين كفروا) فقال تعالى : ﴿◑♐♌♌□

✃🙰✍⬆🕭♎⬄▫🙵 🕮⌧⊞⌧❷⇖□✃☎ 🙢⌧□◆✃✍↗⬋
⬊◆🖬■⑩⬂♑♐⚐⇔ ↗◆🕮□✡⓿⌧❻⬀🙬♑⬅☠⬀ 🕮□⚐⬃
♉⬧☠⬀ ➔⬧⓿⬄⓿⬀♎➔☠⬀ •• ③⇖⬧⬂✎♎⬅⇖□♌◆ ⬂♎⬅
⌘⌧☜◆☠⌘ ✃🙰✍✦ ⇖◆🙬■❼🗐 🕭➔🖬➔□🖅♐♑♐☠⬀
□◆⇖◆🙬■❼🗐 🙢⌧☺⇳➔♎♑♐☠⬀ ☎ □◆⇖◆🙬■❼✃
🕮□🖅⬀🕔⬀❁🕔❷⛝♎♎☠⬀ ⬊♎⌖◆🕔□◆□⬃ ☎ □◆◉♋◆♑⬅☠⬀
⇖◆⓿⌧✃☹⇖ ⇖◆➔♎⑩⚐♉﴾ [البقرة:٦-٧].

فقد أظهر التعبير القرآني في هذهِ الآية الفرق واضحاً بين ما اجتمع في المتقين من صفاتِ إيمانية دالةٍ على هداية الله تعالى لهم وشموليتهم بالفلاحِ والرضا الإلهي، وبين ما وصفَ به الكافرين من استكبارٍ يُبين مدى عاقبتهم في الدنيا والآخرة، فقد استكملت الآيات الأولى من سورة البقرة الجامعة لأوصاف المتقين المفلحين، بذكرٍ ما يُقابل ذلك دلالياً ليعكس لنا صورةً من أروع صور القرآن الكريم في وصفِ شأنِ الفريقِ الثاني من الفرقِ الثلاث التي انقسمَ إليها الناس بإزاء الاهتداء بالقرآنِ، الفريق الثاني مُقابل للفريق الأول الذي بُينت أوصافه وجزاءهُ في الآياتِ الأربع السابقة من سورةِ البقرةِ.

من ذلك يتضحُ أن تعدد أساليب البديع ومظاهره في النظم القرآني يُفصح عن معنى الإعجاز البلاغي وهو إعجاز ((عجيبٌ يُدرك ولا يمكن وصفهُ كاستقامة الوزنِ تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة))[2]، فالجمع مع التفريقِ والتقسيم يعتمد آلية حسية فنية ذات أصولٍ في المعرفة بالبيان العربي وموضوعاتهِ الإنسانية.

---

(١) من بلاغة القرآن : ٨٦.

(٢) مفتاح العلوم : ٦١٤.

تأمل قولهُ تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [هود: ١٠٣ – ١٠٥].

في هذا البيان القُرآني يُظهر أسلوبُ الجمعِ في لفظِ فـ(نفس) متعدد معنىً؛ ((لأن الفكرة في سياق النفي تعم))(١)، فقد جَمَعَ كُلّ الأنفسِ بأنها لا تتكلم يوم القيامة إلاَّ بإذن الله تعالى. ويتابع النص فيقولُ الله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾. وفي هذا البيان تفريقٌ في الحُكمِ، ففريقٌ شقيٌ وفريقٌ سعيد.

أما أسلوبُ التقسيم فيبرزُ أثرهُ واضحاً في شرح حالِ الأقسامِ المتعددة وتوضيح دلالاتها إذ يقولُ تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [هود: ١٠٦– ١٠٧].

فقد شرح في هاتين الآيتين حالُ القسمِ الأول، وهم أهل الشقاوة ويتابعُ النص القرآني التقسيم فيقولُ الله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [هود:١٠٨].

فأما أهلُ السعادة فجزاؤهم الجنة خالدين فيها، و((الشقيُّ الذي وجبت له النار لإساءته، والسعيد الذي وجبت له الجنة لإحسانه))(٢).

---

(١) بدائع الفوائد : ٣١٢/١.

(٢) الكشاف : ٢ / ٤٣١.

ومثيل ذلك ما ورد في سورة آل عمران في قوله تعالى : ﴿ ♎➔❒◆

⇖◆⍰■⓿⍰⍰⍰ ◆✌◆❽☼❒🕮 ✓❽♑♎⅄✏✍✂
⇗◆✂❸◆⌚*💣⋖ ♑✌♑☪⇙❍⇦ ✽⍰⌚◆✌⇧▤⍰⍰✍✂
✂✍⍰⍰▤⇧✌◆⌚⍰✍ ❻⚐↑🕮 ●♊➔♎ ⇗💣*⌚⍰☺⬧▤⍰◆❼☝
✍❒✌❒✌⬧⌑ ☎ ⋖💣*⌚⍰♑♑⍰⌚◆⌖◆☞⇖✌ ⇖❷⍰⌘↑🕮◆❒
♑⇙⇙❸⍰♒ ⬄⚐♑♑♑⍰❒➔⍰➔♎ ❼♑✗ ◆✗⇦♑♎⅄✏✍✂
⇦❍⇙☪♑✌ ◆❍◆⍰⌚◆⌖⬧✍ ✍◆✌ ◆♌❒⇖➔♑⌛✹☹◆❿⬧⌑
♑❒◆☪⇙✌♑⍰⍰⍰⍰✍✂ ◆⇗✏✍◆⬄♑✌⇗⍰✍✂
▤ ⌚♑🕮♑✂❸⍰❒⌑✌⬧✍ ◆⇗✏✍◆⬄♑✌⇗⍰✍✂◆❒
⬧◆♑◑ ⍰⌚⇖🕮⬧✂❸⍰❒⌑✌⬧✍ ⇖☠■⍰⇙➔◆❸ ✍◆✌◆❒
❼♑✗ ◆♌❒⇖❷⇧⍰⌚⬝❷⍰✍✂◆❒ ▤ ✦✏✍✂
✍❒☪◆✌✂◆⇗ ◆♌❒⇗⍰❒➔◑◆❸ ⍰⚐⌑⍰♑➔⍰⍰✍✂
✍◆☪♑■⍰◆❻ ♑❾☪♑⇖ ⇳♊♑♓✌ ✍✍⇗⍰ ⌚♑❍♑⍰

▤﴾[آل عمران: ٧].

يُظهر التعبير القرآني فَضَلَ الله تعالى على المؤمنين بإنزال الكتاب هُدىً للناس وبيناتٍ من الهدى والفرقان منهُ أياتٌ أُحكمت عباراتها بأن حُفظت من الاحتمال والاشتباهِ[1]، ((ومنهُ آياتٌ (مشتبهاتُ محتملاتٌ) ﴿ ♎➔❒● 🕮↑⚐❻ ✂✍⍰⍰▤⇧✌◆⌚⍰✍﴾ أي : أصلُ الكتابِ تحملُ المتشابهات عليها وتردُّ إليها))[2].

تبتدئ الآية بأسلوب الجمع في قولهِ تعالى: ﴿🕮❒☼❽◆✌◆ ⇖◆⍰■⓿⍰⍰⍰ ✂✍⍰⍰▤⇧✌◆⌚⍰✽﴾ والمُرادُ بالكتاب هُنا القرآن، وقد أدت هذهِ الآية دلالة المُرادِ من الكتابِ تفريقاً عن التوراة والإنجيل، ((فالقُرآن نزل مُنجماً ونزل الكتابان جُملةً))[3].

ويسهم أسلوب التكرار الوارد بلفظ (الكتابِ) في التأكيد على عِظم شأن القُرآن الكريمِ، ابتداءً بتقرير أن القرآن منزل على الرسول بالحق، وأنه مصدق لما سبقه من التوراة والإنجيل، ثم بالتفريق بين آياته ومُتبعيها فهم بإزاء ما تشابه منها فريقان أهلُ علم يقولون آمنا بهِ، وأهلُ زيغ يبتغون به الفتنة.

---

(١) ينظر : الكشاف : ١ / ٢٩٧.

(٢) المكان نفسه.

(٣) الكشاف : ١ / ٢٩٧.

وقد عَبَرَ سبحانه وتعالى عن وصفٍ ثالثٍ للقُرآنِ في هذهِ الآيات من سورة آل عمرانِ، وهو أنه مُنزلٌ على ضربين : منه آياتٌ محكماتٌ لا يتطرقُ إلى فِهْمِ المراد منها احتمالٌ أو اشتباه وهُن أصلُ الكتابِ وأكثره، ومنه آياتٌ متشابهاتٌ أي يتطرق إلى فهم المراد منها احتمالٌ واشتباه، ومردها إلى المحكمات، وعلى ضوئها تُفهم.

ويبرز أثرُ الجمعِ واضحاً في التعبير القرآني بإظهار الضميرِ المسندِ إلى اللهِ تعالى وصوغِ الجملةِ أسمية، ولم يعبّر عنه كما عَبَّر عن الوصف الأول للقُرآن في قولهِ تعالى: ﴿[illegible]﴾ [آل عمران:٣]، لأن في هذا التعبير أبلغُ ردٍّ على الذين جادلوا في أن القرآن مُنزل من عند اللهِ تعالى، واستندوا في جدالهم الباطل إلى ما في القُرآن من مشتبهات فيها مجالٌ فسيحٌ للاحتمالات والاشتباهات في فهم المرادِ منها(١).

ولا نريد الخوضَ طويلاً في ماهيةِ المُحكمِ والمتشابهِ والمراد منهما وإنما نبتغي إبراز التقسيم والتفريق بينهما في الدلالةِ على المعنى المقصودِ من السياق القرآني لحكمةٍ بالغةٍ أرادها سبحانه وهي ابتلاءُ الإيمان، وإظهارُ حقيقة ما في القلوب، وشحذ العقولِ ببحثها في رد المتشابهِ إلى المحكمِ، وفي التوفيقِ بين آياتِ القُرآن(٢).

ويتجلى أسلوبُ التقسيم في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾

[آل عمران:٧].

أما القسم الثاني من الذين انقسموا إزاء تأويل المتشابه من آياتِ القُرآنِ فهم (الراسخون في العلمِ) وهم أقوياء العقيدة والإيمانِ(٣).

(١) من روائع القرآن : ٣٥.

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٤٢٠/٣.

(٣) ينظر : البلاغة القرآنية : ٢١٥.

ويتواشجُ في هذهِ الآياتِ الجمعُ والتفريقُ والتقسيمُ تبعاً لمتطلبات السياق القرآني وتوضيحاً لمرتكزاتِ الدلالة فيهِ، بما يضفي على النظمِ ترابطاً وقوةً غير متكلفة أو معقدة، أبدعت تلك الألوان مزدوجة في إظهار المعاني ملائمةً للألفاظِ غير طاغيةٍ عليها لا لقصدِ التحسين البديعي؛ وإنما توجب حُسناً نشيط السامع ويُهبج الفكر، بالانتقالِ المنسجم والمتناسب من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ، مؤدياً المعاني بصورٍ مختلفةٍ في نظمٍ واحدٍ.

إن في اجتماعِ تلك الفنونِ توسيعٌ للمعاني وإيجازٌ للدلالات بأوضحِ الألفاظِ إذ إن التفصيل بعد الإجمال تحقيقٌ لما يرتقبهُ الذهن وما يتشوقُ إليه السمعُ من صورٍ تفصحُ عن أدقِ التفاصيلِ بأوجز العباراتِ الدالة.

المبحث السادس : أُسلوبُ اللَّفِّ والنَّشر :

أولاً : مفهوم اللَّفِّ في اللغة والاصطلاح :

اللّف أو الطيّ في اللغة :

اللَّفُّ نقيضُ النَّشر، يدلّ معناهما على الجمع والتفريق، فاللَّفُّ مصدر ((لفَّ الشّيء يلفّهُ لفّاً، أي جَمَعَهُ، واللَّفُّ: الصّنف من الناسِ، والحزب والطائفة من الالتفاف، وجمعُهُ ألفافٌ؛ والتَفَّ الشيء : تجمَّع وتكاثف))[(١)]، وجاء في الصحاح أنَّ اللفِيف ما اجتمع من الناس من قبائل شتى، وباب من العربية يُقال له اللفِيفُ؛ لاجتماع الحرفين المعتلّين في ثُلاثيهِ، نحو دَوِيٍّ وحَيِيٍّ[(٢)]، جاء في التنزيل العزيز: (وجناتٍ ألفافاً)، قال الزجّاج : ((أي وبساتين مُلتفَّة، والتفاف النبت : كثرتُهُ))[(٣)].

ونظيره الطّيُّ، يُقال : اطوِ لنا الأرض، أي قرّبها لنا وسهل السير فيها حتى لا تطول علينا، فكأنّها قد طُويت، وفي الحديث : أنَّ الأرضَ تُطوى بالليل ما لا تُطوى بالنهار، أي تُقطعُ مسافتها؛ لأن الإنسان فيه أنشط منه في النهار وأقدرُ على

(١) لسان العرب : مادة (لَفَفَ).

(٢) ينظر : الصحاح : مادة (لَفَفَ).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (الزجّاج) : ٢١٢/٥.

السير[١]، ومعنى ذلك يدل أنه نقيض النَّشر؛ لأن دلالة النَّشر هي البسطُ والتفريق ضد الطَّيِّ.

*** أما المفهوم الاصطلاحي :**

فقد ذكر القزويني اللَّفّ والنّشْر بأنه ((ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكُلِّ واحدٍ من غير تعيين ثقةً بأنَّ السامع يردُّه إليهِ))[٢] أما ابن حجة الحموي فأورد قائلاً : ((الطيُّ والنشرُ هو أن تذكر شيئين فصاعداً إما تفصيلاً فتنص على كلِّ واحدٍ منهما، وإما إجمالاً فتأتي بلفظٍ واحدٍ يشتمل على متعددٍ، وتفوض إلى العقل ردَّ كُلّ واحدٍ إلى ما يليق به؛ لأنك لا تحتاج إلى أن تنصّ على ذلك))[٣]، وأدرج السكاكي هذه المظهر الأسلوبي تحت القسم الأول من أقسام البديع، وهو القسم المعنوي وحدّهُ بقولهِ : ((هما أن تلفَّ بين شيئين في الذكرِ، ثم تتبعهما كلاماً مشتملاً على متعلقٍ بواحدٍ وبآخر من غير تعيين، ثقةً بأن السامع يردُّ كُلاً منهما إلى ما هو لهُ))[٤]، وبذلك ضمَّن تعريفه قيداً يُخرج فيه ما كان مُعيناً، والذي ترجوه الدراسة هو تركُ التعيين من أجل الوثوقِ بأن السامع يردّ إلى كل ما هو لهُ بناءً على القرينةِ[٥].

وجاء في الطراز أن ((ذكرَ الشيئين على جهة الاجتماعِ مطلقين عن التقييد، ثم يوفى بما يليقُ بكل واحدٍ منهما اتكالاً على أن السامع، لوضوح الحال يُردّ إلى كُلِّ واحدٍ منهما ما يليق به))[٦] هو من باب الطيِّ والنشرِ أو اللَّفِّ والنشر.

وقد عرّفه أكثر من باحثٍ مُعاصرٍ بأنه ذُكرُ أشياء عدّة على التفصيل أو الإجمالِ، ثم ذكر ما يناسب كل واحدٍ، وما يتصل به من غير تعيين، اعتماداً على

---

(١) ينظر : لسان العرب : مادة (نَشَرَ)

(٢) الإيضاح : ٢٦٨/٢، التلخيص : ٣٦١.

(٣) خزانة الأدب (الحموي) : ١ / ١٤٩.

(٤) مفتاح العلوم : ٥٣٤.

(٥) ينظر : خزانة الأدب (الحموي) : ١ / ١٤٩.

(٦) الطراز : ٢ / ٤٠٤، وينظر : نهاية الأرب : ١٠٧/٧.

فهم المتلقي وعلمه بالقرائن اللفظية أو المعنوية[1]، فلا تخرج الدلالة الاصطلاحية الحديثة عن مفهوم القدماء وبذلك يُظهر أسلوب اللّفِّ عملية الجمع بين دلالات متفرقة، وبسطها عن طريق علاقات النشر وفقاً لروابط خفية تحرك المتلقي بإثارته محاولاً الكشف عن طبيعة تلك الروابط وكيفية تشكيلها في التعبير القرآني بإعادة كل عنصر من عناصر المظهر البديعي إلى مدلوله المتضمن جزئيات إجمالية وتفصيلية؛ ليتحدد بعد ذلك أثر بنية هذه الظاهرة الأسلوبية، وقيمتها اللغوية في الصياغة القرآنية، ومعنى ذلك أن القيمة الأسلوبية لـ(اللَّفِّ) تتحدد بذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال، أما (النشر) فيمكن تحديد قيمته الأسلوبية بذكر ما يناسب كل واحد من المتقدم وما يتصل به من غير تعيين، ثقةً بأن المتلقي سيردّ كل واحدٍ إلى ما يليق به، ويناسبهُ لوضوح الحال، وسبب تسمية هذا اللون من البديع باسم (اللَّفِّ والنشر) أن المتعدد المذكور على التفصيل أو الإجمالِ انطوى في حكمهِ؛ لأنه اشتمل عليه من غير تصريح به، فسُمي لذلك بـ (اللّفِّ) أو (الطيّ)، فلما صَرَح بعد ذلك بالحكم المطوي، كان كأنه نشرٌ وإبرازٌ لما كان فيه؛ لذا سُمي بالنشر[2].

تأمل قولهُ تبارك وتعالى في سورة المائدة : ﴿ ◑☝☼❋☺⌧✍
♦♌❑←✍✎✍❏♦↗⑥ ♦✖⇦✌♎⅄✎✍✄ ☎✄↗♦⏲♦⑧⌧♉
♦♌⬀❑⌧➔⇨❍♦③♦❑ ⏲↖🕮♦✎❑←✍♦⑥♦❑ ⅄✎✍✄
♌❑🕮 ✄⏲⑩✍❁❍♦▫ ✌✓⬀⑥☞❀✍✄ ❼☝✖
☎✄☑❑←⌛❋■❁⏲↖③ ⬃❑❑🕮 ☎✄☑❑➔■✷✍♦◑↖③
⇨⚐☝♑③✌⑨⬃③❑🕮 ⌧➚⅄➲♦◑➔✍ ⬃❑❑🕮
⬃❑❑🕮 ✌✄⏲■■⬁⌘ ⇳♊✌♓✍ ☠←♑➔■↖♉⬀⑥❑🕮♦❑
✍①✌⌂◎⏲♦❶ 🗐 ✌✓⬀⑥☞❀✍✄ ✍⬀✌✍ ☎✄⬀❑☒✍✡↖③
☎ ✍♦⓿⬃☼⑥⑨⌂◎✍✄ ❼☝✖ ✍❽⬃❽⬁⌘ ⇨⚐←♑♦⌂◎

---

(١) ينظر : البديع في ضوء أساليب القرآن : ٨٨، وعلم البديع : (د. عبد العزيز عتيق) : ١٧٥، والبديع، دراسة في البنية والدلالة : ١١٩، والبديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١١٧.

(٢) ينظر : علم البديع (د. عبد العزيز عتيق) : ١٧٥، والبديع دراسة في البنية والدلالة : ١١٩، واللف والنشر في القرآن الكريم : ٩٢.

⬉☹✂☒⓿♦⬉ ✉❑♦❷⬀⌘☞⍓✍✂ ❼⚇✖ ⬄⚐⬅♑⬧⬥❑ ⬉♦➔⚇⑩⚐⬋ ﴾ [المائدة:٣٣]*.

ذُكر في الآية متعدد على جهةِ الإجمال في قولهِ تعالى : ﴿⑥⬈♦❑✍❻✉⬅❑♌♦ ✂✍✎⅄ ❑♦❻♦⬅❑✎⬥📖⬉⓵﴾

فمحاربة المسلمين في حكم محاربة الله ورسولهِ، إذ إن المحاربة تشمل القتل أو أخذ المال أو الإخافة أو الجمع بين القتل وأخذ الأموال، أو بين أخذِ الأموالِ والإخافة، فأجملَ كل ذلك في قولهِ تعالى : ﴿⑥⬈♦❑✍❻✉⬅❑♌♦ ✂✍✎⅄ ❑♦❻♦⬅❑✎⬥📖⬉⓵﴾، ثم جاء النشرُ بقولهِ: ﴿📖❑♌ ③⬉◑⬥✌✱◙➔❑☑✂☎﴾، إذا كانت المحاربة قتالاً فقط، ﴿📖❑❑⬀ ③⬉⓵❁◙❋⌛⬅❑☑✂☎﴾، أي مع التقتيل إذا جمعوا في المحاربة بين القتل وأخذ المالِ، ﴿📖❑❑⬀ ✍➔◑⬥➲⅄⬈⍓ 📖❑③⬀⑨⚇③♑⚇⚐⬄ ❑♦📖❑❻⬀♉⬉◙➔♑⬅☠✍♓⚇♊⇳ ⌘⬀◙■⓿✂✌﴾، إذا جمعوا بين أخذ الأموال والإخافة، ﴿📖❑❑⬀ ③⬉✡▦☒❑⬀✂☎ ✍⚇⬀➷﴾ إذا كانت المحاربة إخافة فقط(1)، لذا فقد جمعت الآية عناصر دلالية إجمالية تمثلت في لفِّ الحكم الشرعي بمعانٍ خفية تثير في نفس المتلقي عامل الإعادة في إحالة كل عنصر إلى ما يفصله تصريحاً بذكرِهِ الدال عليه والمقابل لهُ، ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الآتي :

عناصر اللَّفِّ		عناصر النَّشر
القتل	←	القتل
أخذ المال	←	قطع اليد
الإخافة	←	النفي من الأرض
إخافة السبيل	←	قطع الرجل
	←	

(*) نزلت هذه الآية في قوم هلال بن عويمر، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهدٌ، وهو في سبيله إلى فتح مكة على ألاّ يكونوا معه أو عليه؛ حتى يتفرغ لفتحها، فنقضوا عهدهم، فأوحى الله تعالى إلى رسوله هذا الحكم القاطع في أمرهم، ينظر: الكشّاف : ٢٥/٢.

(١) ينظر : الكشّاف : ٢٥/٢

القتل + أخذ المال　　　　　قتل وصُلِب

يرتكز هذا الفن على ظاهرة المصاحبة المعجمية حيث نلمحُ فيه زيادةً على السبك المعجمي ((أن كل مفردة من المفردات الملفوفة، لها ما يتصاحب معها من المفردات المنشورة، والأخيرة تأتي على ترتيب المفردات الملفوفة تارةً، وعلى غير ترتيبها تارةً أخرى))[1]، وبذلك تُثرى الدلالة بما تحمله من إمكانيات تعبيرية تتعالق معاً لتكثيف الصورة وردّ كل جهة منها إلى دلالته المقابلة.

ثانياً : أنماط اللَّفِّ والنشر :

وبناءً على بنية اللف والنشر المذكورة قسم الدكتور فايز عارف القرعان هذا اللون إلى ضربين رئيسين هما[2] :

الضرب الأول : اللَّفِّ والنَّشر التفصيلي :

وهو أن يكون المتعدد مذكوراً على جهة التفصيل وهو نوعان :

أحدهما : أن يكون النشرُ على ترتيب اللَّفِّ : بأن يكون الأول من المتعدد في النشر للأول من المتعدد في اللّف، والثاني للثاني وهكذا، وهذا النوعُ هو الأكثر وروداً وشهرةً في هذا الفن البديعي، ويسمى مظهره (اللَّفُّ والنّشر المرتب)، ومثالهُ في القرآن الكريم قولهُ تعالى : ﴿◻◆♋✋♊ ❻▪❍⇧☺⍓✌♋❍♋◷ ♉⍓⍓➔⍓✍• ♌♓⇖▤♐↓ ✂♈♌⍓❶⇖✍• ◻◆♐♌⍓♈❍♌❍⍓❍⊕♋◻ ♎⍓❍❍♋⇔▤⇗☪⇖❑✂☎ ▫♋⑩❍♋ ◻◆♌♋✌♦▭⇗✌♦⇔⇗❑✂☎ ♉♋✌ ▫♦✌⇕✂⍓♋□♋◷ ◻◆♌•➔⍓◘✹▤⇗✍⇗ ✍■⌖⇕▤⇗❷⇖❑ⓡ♦♦﴾ [القصص:٧٣].

فالآية ذكرت متعدداً على جهة التفصيل بواو العطف، وهو (الليل والنهار)، اللذان يشكلان طرفي اللّف الزمنيين المردفين بفعلي النشر الحركيين بدون تعيين في قوله : ﴿♌♋♋⍓❍⊕❍⇔▤⇗☪⇖❑✂☎ ▫♋⑩❍♋ ◻◆♌♋✌♦▭⇗✌♦⇔⇗❑✂☎ ♉♋✌ ▫♦✌⇕✂⍓♋□♋◷﴾ فجمعَ أولاً بين الليل والنهار بواو العطف، ثم أضاف لكل واحدٍ منهما ما يليق به فأضاف السكونَ إلى الليلِ، من جهة أنَّ تصرفُ الخلقِ يقلُّ ليلاً لأجلِ ما يعتريهم من النوم،

---

(١) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١١٨.

(٢) ينظر : اللف والنشر في القرآن الكريم، دراسة تحليلية (بحث)، د. فايز عارف القرعان، ص٩٢.

أما قوله تعالى : ﴿ ♊︎♎︎✍︎ ☎︎✃︎❑︎⬈︎⬄︎⧫︎✌︎⬀︎🖳︎⧫︎✌︎♎︎➰︎◉︎◆︎❑︎ ︎◌︎ ✆︎✆︎ ⌚︎♎︎🕮︎🕮︎♐︎✃︎⇳︎♌︎⬧︎ ﴾، فقد أضافهُ إلى النهارِ؛ لأن ابتغاءِ الأرزاقِ إنما يكونُ نهاراً بالتصرفِ والاضطراب، واكتفى في البيانِ والتفصيل بما يظهر من قرينةِ الحالِ في معرفةِ حُكمِ كل واحدٍ منهما[1]؛ ليتبين أن لكلٍّ من الليل والنهار على الترتيبِ ما يليقُ بهِ ويناسبهُ، من دون تعيين أو تحديد اعتماداً على أن المتلقي يردّ كُل واحدٍ إلى ما يليقُ به، لوضوح دلالته وتقدم كل مقابل لطرفه الدلالي المقابل له.

قال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) : ((زاوجَ بين الليل والنهار لأغراضٍ ثلاثة : لتسكنوا في أحدهما وهو الليل، ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار، ولإرادة شكركم، وقد سُلكت بهذه الآية طريقة اللّف في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء؛ إيذاناً بأن لا شيءَ أجلبُ لغضب الله من الإشراك به، كما لا شيء أدخلُ في مرضاتهِ من توحيده))[2] وختم الآية بقوله : ﴿ ⬀︎🖃︎⬈︎▤︎❋︎🖬︎⍓︎➔︎⬧︎➰︎◉︎◆︎❑︎ ♏︎■︎⌖︎⇳︎▤︎⬈︎❷︎⬉︎❑︎♌︎⧫︎ ﴾ دلالة على عدم محدودية عبادة الشكر وإطلاقها في كل وقت من هذه الأوقات، ومنه قوله تبارك وتعالى : ﴿ ❑︎◆︎⬧︎⬧︎ ✍︎❑︎♑︎⬂︎➔︎⍓︎♏︎⬀︎ ⍒︎⧫︎⑨︎⍓︎⌧︎ ✍︎⧫︎⬄︎⬂︎🖬︎➔︎❑︎✏︎⬧︎♁︎⌚︎ ◑︎♐︎◑︎🖫︎■︎❼︎🗐︎ ⬉︎⬉︎⭗︎⬉︎◑︎🏱︎🖮︎⍓︎ ❑︎◆︎⬧︎⬧︎ ♐︎⬧︎⌛︎⬀︎○︎⬤︎⮌︎⇳︎♑︎⍓︎🙰︎ ✍︎⬈︎♐︎❑︎ ✃︎🙰︎➰︎⬂︎⌛︎⧫︎○︎⬄︎⬤︎⬁︎ ⬧︎☞︎⧫︎◑︎⬂︎➔︎⬉︎⑨︎⍓︎ ✍︎⧫︎🖬︎➔︎❑︎✍︎✡︎🙰︎ 👍︎⊙︎⧫︎⬂︎○︎⬤︎❑︎❻︎⌚︎✃︎ ﴾ [الإسراء:٢٩].

يُرسي التعبير القرآني قاعدة كبرى للتوازن الاقتصادي ترتقي بحياة الفرد في المجتمع الإسلامي إلى الانضباط من خلال جعل مبدأ التوسط والاعتدال في الإنفاق أساساً في عملية تنظيم مصالح الخلق، ومعياراً من معايير ترشيد السلوك وحسن التصرف والتدبير، فقد حملت الآية نهياً واضحاً عن مجاوزة الحدِّ في النفقة إفراطاً وتفريطاً في جملة واحدة ملفوفة أجملت الغلو والتضييق بين طرفين متضادين، الطرف الأول في قوله : ﴿ ❑︎◆︎⬧︎⬧︎ ✍︎❑︎♑︎⬂︎➔︎⍓︎♏︎⬀︎ ⍒︎⧫︎⑨︎⍓︎⌧︎ ✍︎⧫︎⬄︎⬂︎🖬︎➔︎❑︎✏︎⬧︎♁︎⌚︎ ◑︎♐︎◑︎🖫︎■︎❼︎🗐︎ ⬉︎⬉︎⭗︎⬉︎◑︎🏱︎🖮︎⍓︎ ﴾، أي : لا تمسك

(١) ينظر : الطراز : ٢ / ٤٠٤.

(٢) الكشّاف : ٣ / ٤٦٥.

عن الإنفاق لدرجة الشحّ والبخل بأن تكون يدك مشدودة إلى عنقك فتمنع ذوي الحقوق حقوقهم؛ فـ((الشحّ مفسدة للمحاويج ولصاحب المال إذ يجرّ إليه كراهية الناس إياه وكراهيته إياهم))(١)، والعلاقة السياقية التي يدركها المتلقي في هذا الطرف علاقة مناسبة للمنع وضيق اليدِّ وهي الملامة، فالملوم راجع بطريقة النشر المرتب إلى النهي الأول المقصود به الشحّ، أما الطرف الثاني المقابل له فيتمثل بقوله تعالى : ﴿❒◆••✍♦⌛⬀○⬤⬆⇕♑⌧✍ ⬛⬈✍☐ ✈✍⬤⬗⌛♦○⇔⬆﴾،

اي : لا تبذر ولا تسرف حدّ الندامة والحسرة، فالمحسور يرجع إلى النهي الثاني المراد به التبذير، ((وكلا النهيين جوابٌ موزعٌ بطريقة النشر المرتب))(٢) وجاء سياق النهي في الآية على سبيل التمثيل والتصوير؛ لـ((يرسم البخل يداً مغلولة إلى العنق، ويرسم الإسراف يداً مبسوطةُ كلَّ البسط لا تمسك شيئاً))(٣)، وكلا الحالين نهاية مرفوضة مُقيدة بقعدة كقعدة الملوم المحسور.

ومنهُ قوله تعالى : ﴿❒❒⬤♦☠⬀ ⑥♦♑✍⑨⇕🖰⌧ ③◆☹⑩☺✞✍ ⬝♦★♦✍❒◆❽▤ ✍⑤✍ ❒◆❒◆♊⌧⑨⌧🖰⌧ ⬂✿✍✎♦” ⬝♦♑⌧⑨⌧❽▤ ✍⑤✍ ❒◆❒◆♊⌧⑨⌧🖰⌧ ⬊◆♔✎★✍⌧⬙ ⬝♦⍳❒⬊⬂♉❒✍▦ ✍⑤✍ ⬝♦⍳❒✎❒✍ ✈✍⬤⬂⑩◆☺⑤⑩⚐⌘ ⬝♦⌧• ✍♦☽⬂♑⌧❷⬀ ✍⑤✍ ❒◆❒✎❒✍ ✈✍⬤○○✍✎★✍⬈• ⬝♦⌧• ✍♦☸⬀✍❷⬀ ✍✎✍⬊ ❒◆❒✎❒✍ ✍⑤☪⬊⑤➔⬀☺⌧❒⑤ ❻◆✍▪⑤⌨⌧ ⬝♦☾⌧⑨♎⑤♈⇕﴾ [الضحى:٦ – ١١]، في الآية نشرٌ على ترتيب اللَّفِّ يمكن تمثيلهُ بالآتي :

(النَّشر على ترتيب اللَّفِّ)

مكونات بنية اللَّفِّ		**مكونات بنية النَّشر**
أولاً : (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى)	تقابل ⟵	(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ)
ثانياً : (وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى)	تقابل ⟵	(وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ)
ثالثاً : (وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى)	تقابل ⟵	(وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)

---

(١) التحرير والتنوير : ٨٤/١٥.

(٢) المصدر نفسه : ٨٥/١٥.

(٣) في ظلال القرآن : مج ٤، ج ١٥، ص ٢٢٢٣ .

فاللَّفُّ المفصل في قوله تعالى ﴿⊠🖰⇳⑨✐♑⬩⑥ ⬀☠⬧⬩⬥⬧◻🕮 ⊠🖰⧄⑨⧄♊◆❑◆❑ ⬂☂⬀ ▤⑧◆❑⬧✎◆★⬩▫ ✎✞☺⑩☂☺◆③ ⊠🖰⧄⑨⧄♊◆❑◆❑ ⬂☂⬀ ▤⑧⧄⑨⧄♑⬩▫ ”⬩✏✎❁➩ ⬂◆⬧☠★✏♎⬥⬩▫ ✞⊠☠★✏♎◆⬂﴾ [الضحى : ٦ – ٨]، والنشر في قوله تعالى : ﴿⬩▫ ⌘⚐⑩☂☺◆⑩⬂⬧✎✄ ✎◻✍◻⬩▫﴾ ⬩✍☠★✏✎○○⬧✎✄ ✎◻✍◻🕮◆❑ ⬂☂⬀ ⬀❷⧄♑⬂☽⬩✍ ✎◻✍◻🕮◆❑ ⬂➩✐⬀ ⬀❷❑&⬃❁⬩✍ ⬩⊠⬩▫ ﴿⇳♈☂♎⑨⧄⬖⬩▫ ⧄⌨☂■✉◆⑥ ☂❑⧄☺⬃➔☂☪☂✉﴾ [الضحى : ٩ – ١١] وذلك؛ لأن قولهُ تعالى : ﴿✎◻✍◻⬩▫﴾ ⌘⚐⑩☂☺◆⑩⬂⬧✎✄ ⬩⊠⬩▫ ⬩✍☽⬂♑⧄❷⬀﴾ راجعٌ إلى قوله تعالى : ﴿⬀☠⬧⬩⬥◻🕮 ⊠🖰⇳⑨✐♑⬩⑥ ✎✞☺⑩☂☺◆③﴾ وقوله تعالى : ﴿✎◻✍◻🕮◆❑ ⬂☂⬀ ⬀❷❑&⬃❁⬩✍ ⬩⊠⬩▫ ⬩✍☠★✏✎○○⬧✎✄﴾ راجعٌ إلى قولهِ تعالى : ﴿⊠🖰⧄⑨⧄♊◆❑◆❑ ➩❁✎✏⬩” ▫⬩♑⧄⑨⧄⑧▤﴾، إذا كان المراد بالسائل هنا –على حدِّ قول بعض المفسرين[1]– هو (طالب العلمِ)، وقولهُ تعالى: ﴿✎◻✍◻🕮◆❑ ☂❑⧄☺⬃➔☂☪☂✉ ⧄⌨☂■✉◆⑥﴾ راجعٌ إلى قولهِ تعالى : ﴿⊠🖰⧄⑨⧄♊◆❑◆❑ ⬂☂⬀ ▤⑧◆❑⬧✎◆★⬩▫ ✞⊠☠★✏♎◆⬂﴾، أما إذا كانت دلالة السائل هي (طالب المال)، فالنشر حينئذ يكون على غير ترتيب اللَّفِّ وكالآتي :

(النَّشر على غير ترتيب اللَّفِّ)

(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ)	يقابل ←	(أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى)
(وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ)	يقابل ←	(وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى)
(وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)	يقابل ←	(وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى)

وبناءً على ما سبق يتضحُ لنا التصاحبُ الدقيق في المفرداتِ حيث نلاحظُ السبك المعجمي بين كل مفردة من المفردات الملفوفة وما يتصاحبُ معها من

(١) ينظر : روح المعاني : ١٦٤/٣٠.

المفردات المنشورة، الناتج من إجراء لفِّ التعبيرين المتقابلين دلالياً بطريقة اللَّفِّ والنشر المرتب.

ثانيهما : أن يأتي النَّشر على غيرِ ترتيبِ اللَّفِّ :

ويسمى مظهره (اللَّفُّ والنَّشر المشوش)، كقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [آل عمران:١٠٦ - ١٠٧].

عناصر اللَّفِّ هي :		عناصر النَّشر هي :
١- يوم تبيضّ وجوه	⤫	١- فأما الذين اسودّت وجوههم
٢- يوم تسودّ وجوه		٢- وأما الذين ابيضّت وجوههم
تقابل		تقابل

فالعنصر الأول من اللّفِّ يوافق ويوازي ما جاء في العنصر الثاني من النشر، والعنصر الثاني من اللّفِّ يوافق ويوازي العنصر الأول من النشر مع ملاحظة التقابل الدلالي بين عناصر الطرفين، وبذلك يمثل أسلوب اللّف التكرار المعني(١).

قال البقاعي : ((بدأ بهم –أي بالذين اسودت وجوههم– لأن النشرَ المشوش أفصحُ، ولأن المقامَ للترهيب وزيادة النكاية لأهلهِ))(٢). وهو بذلك يخالف الزمخشري والبيضاوي(٣)، بذكره النشر المشوش، والغرض الذي سيق من أجلهِ، ((وهذا مما لم نجدهُ عند قسم كبير من المفسرين))(٤)، وجاء ذكر المتعدد مفصلاً في اللفِّ ﴿[illegible]﴾ حيث قدم البياضَ على السوادِ، ثم جاء النشر على غير ترتيب اللفِ (اسودت وجوههم) على (ابيضت وجوهُهم) فصار النشرُ على عكس ترتيبِ

---

(١) ينظر : المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (عليه السلام) : ٥٦.

(٢) نظم الدرّر : ٥ / ٢٢.

(٣) ينظر : الكشّاف : ١ / ٣٥١، أنوار التنزيل : ١ / ١٧٤.

(٤) النظم القرآني في تفسير نظم الدرر : ٣١٢.

اللفّ؛ لأن سياق المعنى القرآني استدعى هذا التغيير في الترتيب، ((فالوصف الأخير يعم كل كافرٍ))[1] لذا يمثّل هذا الطرف الثاني لأسلوب اللّف.

وقد أكدت بعض المصادر الحديثة[2] أن كتب التفسير لم تنصّ على اللّفِ والنّشر المشوش، فهو من انفرادات البقاعي في تفسيره حيث خالف الزمخشري والبيضاوي في تفسير كثير من آياتِ اللَّفِّ والنشر كما في تفسيره قوله تعالى :

[illegible]

[آل عمران:١٤٨]. وهذه الآية من مخالفات البقاعي للزمخشري والبيضاوي، إذ بيّن البقاعي أنها على طريق اللَّفِّ والنشر المشوش[3].

ومن أمثلة هذا النوع قوله تبارك وتعالى : [illegible]

[هود:١٩-٢٤].

---

(١) الإعجاز البلاغي في الخطاب القرآني : ٢٠٩.

(٢) ينظر : النظم القرآني في تفسير نظم الدرّر : ٣١٣.

(٣) ينظر : نظم الدرّر : ٥ / ٨٩، والنظم القرآني في تفسير نظم الدرّر : ٣١٣.

جيئ بالنشر في هذه الآية على ترتيب اللَّفِّ، مراعياً جمع لفظ (الفريقين) لكلِّ ما ذكر من أحوالٍ تخص المشركين والمؤمنين وما يؤول إليه مصيرهم يوم القيامة، وقد أحال التعبير القرآني على المتلقي مهمة الإعادة الدلالية والترتيب التدريجي، لأوصاف كل فريق وما يتعلق به؛ لذا جاء النشر مرتباً يتضمن المعاني الخفية المصورة بالتشبيه والتمثيل ما يقابل أحوال الفريقين كُلّ على حدة، وكما هو موضح بالمخطط الآتي :

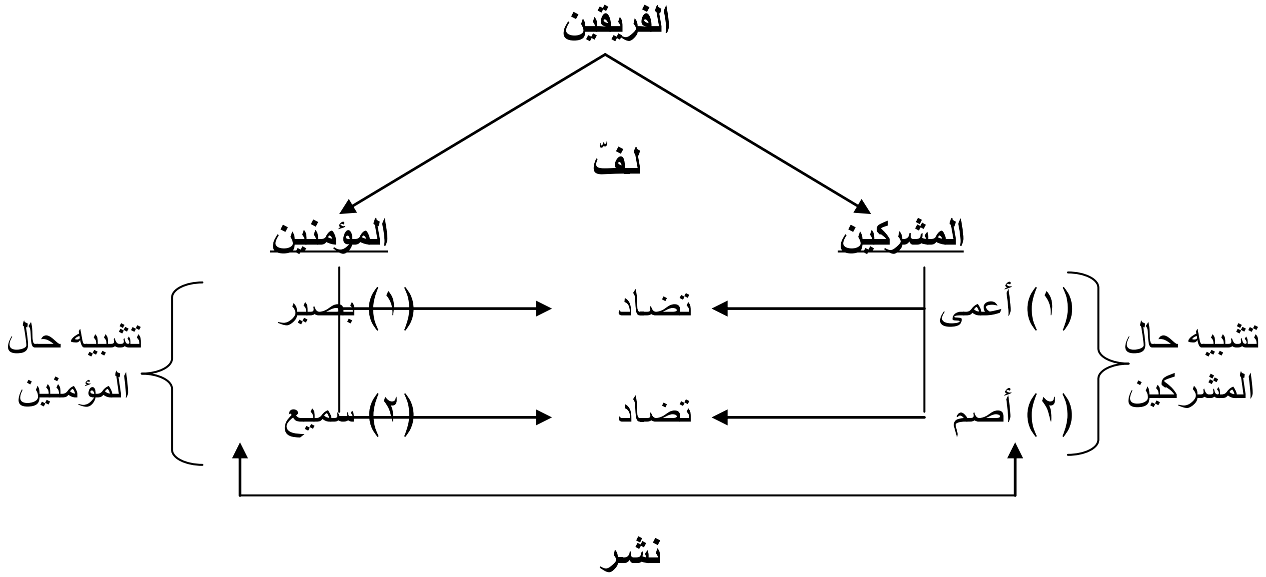

فَسَّرَ الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) الآية من باب (اللَّفِّ والطباقِ) على أنها من التشبيه وتابعهُ البيضاوي حتى في التسميات[١]، أما صاحب نظم الدُرّر فقال : ((ولما استوفى أوصاف الحزبين وأجزاءهم، ضَرَبَ للكلِّ مثلاً بقولهِ ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ أي الكافرين والمؤمنين، وهو من باب اللَّفِّ والنشر المرتب، فإن الكافر ذُكر فيما قبل أولاً كـ(الأعمى) –أي العام العمي– في بصره وبصيرته، (والأصم) في سمعه))[٢]، أما حال المؤمن فمثّل له بالسميع والبصير على أتم أحوالهما، وبذا حدد البقاعي نوعَ اللَّفِّ والنشرِ في تفسيره؛ ((لأن المصطلح البلاغي البديعي في عهده كان أكثرُ نضجاً وأكثر تماسكاً حتى أنَّ القارئ ليجد أن مصطلحات علم البديع أشمل من

---

(١) ينظر : الكشّاف : ٢ / ٣٩٧، أنوار التنزيل : ١ / ٤٥٤.

(٢) نظم الدرر : ٩ / ٢٦٣.

غيرها وأوضح في قسمٍ كبيرٍ من التفاسير))[1] وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على أن ((هذه التفاسير متقدمةٌ، وقسمٌ كبيرٌ منها اهتم بالجوانب اللغوية، والشرعية، والتي اهتمت بالجوانب البلاغية لم تكن الصنعة البديعية واللفظية سائدة فيها في ذلك العصر))[2].

الضرب الثاني : اللّفِّ والنّشر الإجمالي :

هو أن يكون المتعدد مذكوراً على جهةِ الإجمالِ، وهذا النوع لا يقتضي ترتيباً أو عدم ترتيب؛ لأنَّ اللَّفِّ مجمل يبينهُ نشره الذي بعده وهذا ما أكده القزويني آخذاً من كلام الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)[3]، ومن أمثلته قولهِ تبارك وتعالى : ﴿□◆♁□•⧫🙰♏ ✂☎ ♓•♏ ♊ ③⧫⑨⇧⌘⬈•🙰 ✂🙰♏⬂⬈☒✡□□♦ ◑⧫•♦ ♊ 🕮☒🔔♌⧫ ♎➔□⑩🕐✂ 🕮□□⬃ ☼⧫🕐✽🕐❷⧫❽▤ ✍♌□⑦⑩⑩ 🔔➔✍ ▤ 🕮□♨⧫♁🙰☼♏⓪⑩⑨➔☠⬀ 🔔➔✍⬀ ▤ ◑⧫♌ ✍🙰☒☎ 🙰⬅❷⬀♎☒🕐☪◆⌛➔☠⬀ ◑⧫♌ ♎☒🙰✍➔□✂☎ 🗎➔☪☝⬅⚐⬄ 🕒✽🕐⑨♏🔔♏☑▫♨﴾ [البقرة:١١١].

فإن الضمير في (قالوا) يرجعُ إلى أهل الكتابِ كلّهم من اليهودِ والنصارى بقرينة ما جاء بعده ﴿◑⧫•♦ ♊ 🕮☒🔔♌⧫ ♎➔□⑩🕐✂ 🕮□□⬃ ☼⧫🕐✽🕐❷⧫❽▤﴾، وهنا جاء ذكرُ الفريقين على وجهِ الإجمالِ، ثم ذكرَ ما لكلٍ منهما، والتقدير : وقالت اليهودُ : لن يدخل الجنةَ إلاَ من كان هوداً، وقالت النصارى : لن يدخل الجنةَ إلاَّ من كان نصارى وهو المعنى على النشر[4]، فلفَّ بين القولين إجمالاً؛ لوضوح المراد وعدم اللبس بقولهِ: (وقالوا)، والأصل: وقالت اليهودُ، وقالت النصارى، ثم ذكر النشر (هوداً أو نصارى) بدون تعيين؛ ثقةً بأن المتلقي يردُّ إلى كلِّ فريقٍ قوله، ((لما عُلِم من التعادي بين الفريقين، وتضليل كل واحدٍ منهما

---

(١) ينظر : النظم القرآني في تفسير نظم الدّرر : ٣١٤.

(٢) النظم القرآني في تفسير نظم الدرّر : ٣١٤.

(٣) ينظر : الكشّاف : ١٦٣/١.

(٤) ينظر : التحرير والتنوير: ٦٧٣/١.

لصاحبهِ))[1] بدعوى أن داخل الجنة هو لا صاحبه ((وهذا القسم من اللَّفِّ والنشرِ لا يقتضي ترتيباً أو عدم ترتيب))[2].

ومن اللَّفِّ والنشر نوع لم يشر إليه الخطيب القزويني وذكره الزمخشري، يأتي فيه النشرُ فاصلاً بين أجزاءِ اللفّ كما في قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [الروم:٢٣]، فاللَّفُّ في قولهِ تعالى : ﴿[illegible]﴾ و ﴿[illegible]﴾ والنشرُ في قولهِ تعالى: ﴿[illegible]﴾، ﴿[illegible]﴾، وهو فاصلٌ بين أجزاء اللفِ، وإلى ذلك أشار الزمخشري بقوله : ((هذا من باب اللَّفِّ وترتيبهِ : ومن آياتهِ منامكم وابتغاؤكم من فضلهِ بالليلِ والنهار، إلاَّ أنه فَصَل بين القرينين الأوَّلَينِ بالقرينين الآخرين؛ لأنهما زمانان والزمان والواقع فيهِ كشيءٍ واحدٍ مع إعانة اللَّفِّ على الاتحادِ))[3].

تأمل قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿[illegible]﴾ [البقرة: ٢٣٨ – ٢٣٩].

---

(١) الكشّاف : ١ / ١٦٣.

(٢) علم البديع (د. عبد العزيز عتيق) : ١٧٩.

(٣) الكشّاف : ٣ / ٥٠٥.

جاء اللَّفُّ المجمل في هذه الآيةِ في قولهِ تعالى : ﴿▫⬧✉⧄♌⬃ ⌘⧄⊞⬂☜⬅⚐⬄﴾ خطاباً مجملاً للمؤمنين في حالة الحربِ، وبعده جيء بالنشرِ المفصل، في قوله تعالى : ﴿▫⬧❷⧄♉⍓⬥🕔 ⬃❑❑🕮 ❻⬇⬂⌨⬧☪⬥☼⧅☾﴾ أي : فالرجالُ يُصلَون رجالاً، والركبان منكم يُصلون رُكباناً على قدر استطاعة كُلِّ منهم(١)، فيبرز اللَّفُّ والنَّشرُ الأسلوبي الذي يُثير الفكر وينشّط العقل ويشوّق النفس نتيجة ذكر متعدد غير تام الفائدة، فإذا جاء النشر ظهرت الفائدة اعتماداً على القرائنِ مما يجعل المتلقي مشدوداً مُصغياً إلى الأسلوبِ متفاعلاً معهُ باحثاً عن أسرارِهِ وأغواره حتى يثبت ويتأكد لديهِ، ما يحقّقهُ من قدرةٍ على ربطِ أجزاءِ الكلامِ بعضها ببعض، ويزيد من تلاحم عناصرهِ؛ نظراً لأنه مكون من طرفين كل منهما محتاجٌ إلى الآخر لتكتمل الفائدة ويتضح المراد، وهذا من أقوى الصلات بين أجزاء الكلام(٢)، ثم يتجلى دور المتلقي في عملية الاتصال وإيجاد العلاقات الجامعة لأطراف العملية الإجمالية والتفصيلية، إذ ينبغي ردَّ كُلّ مفردة من المفردات المنشورة إلى ما يصاحبها من المفردات الملفوفة، فعلى أي أساسٍ سيؤدي المتلقي هذه المهمة؟

سيؤديها على أساسِ معرفتهِ بتصاحب اللفظِ مع اللفظِ دلالياً، إذن فالمصاحبة المعجمية ستوظف من قبل المتلقي في عملية الإحالة الدلالية، وعلى هذا الأساس يُصبح للمصاحبة المعجمية وظيفتان : السَّبك، ورد المنشور إلى الملفوف(٣).

تأمل قوله الله عزَّ وجلَّ : ﴿❑◆✌⬧☜ ⧅☜⊠♎⬥♌ ♎⬥❑⬀⬧♑⬄⇔ ☉⧄⬥⬦ 🕮❑♌ ♎☜⬥⬧⬀⇗❑✂☎ ❻◆⧅✹☾◆☜ ✂☜⬂⊞⬂❷⬀ ⬥☾◆☜ ❶➔☼⬅❑⧅▫☼⬥☜ ❑◆⧄☉⬄❸◆✂▫☼⬥❑☜ ☒⧄❼☑ 🕮❑⬥❷⧅☼◆☜ ❑◆⚐❑⧗○⧄*❸⇳ 🕮❑♎⬂❾⍓✂✌☼⬥❑☜ ❑◆✂☜☼🕔❶❷⬀☼◆☜ ⬉◆✍▬❼ ✂☜⬥♎⬂☉❑⬥⬀✈⬃ ✂☜⬥♎⬂⧄⊠🕔⊞⬃❷⧄⧅⬄⬥✗◆ ⬀⧅⧄⬃⬃ ▫⬥★◆☜⬦✍⬥♎⬅☠⇖ ✂☜⬧✎✦ ⚐❑❑◆✂⚇⌘ ✂☜⬥♎❾❻☼⬃⓿◆☜﴾

____

(١) رجالاً : جمعُ (راجل) وهو الماشي على قدميه خلاف الراكب، ينظر : المفردات في غريب القرآن : ١٩٦.

(٢) ينظر : دراسات منهجية في علم البديع : ٢٣٠، وبنى البديع في القرآن الكريم : ٢١٢.

(٣) ينظر : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١١٩.

[آل عمران: ١٤٧ - ١٤٨].

فقد جمعوا في دعائهم بين أمري الدنيا والآخرة وقدموا دعاء الآخرة بإضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم بقولهم : ﴿ ... ﴾ **وأخروا ما للدنيا بقولهم:** ﴿ ... ﴾ وهذا متعدد، مع ملاحظة اختصاص ثواب الآخرة بالحسن؛ دلالة على فضله وتقدمه، وإيذاناً بأنه المعتد به عند الله تعالى، بدليل قوله : ﴿ ... ﴾ **[الأنفال:٦٧]**، ثم جاء النشرُ على غير ترتيبِ اللَّفِّ حين قدم ثواب الدنيا على ثواب الآخرة، لسرٍّ دلالي يرجع إلى أن المقامَ مقامُ جهادٍ وقتالٍ، والنفوس في هذا المقامِ متطلِّعة للنصر والفوز به (فآتاهم الله ثواب الدنيا) وهو المحور الأول للنشر، ثم أتبعه بما يكمل فاعلية النشر دلالياً وهو (حسن ثواب الآخرة) المقابل للعنصر الأول من اللفِّ.

ومنه قوله تعالى : ﴿ ... ﴾ **[البقرة:٢١٤]**. جاء التعبير القرآني متضمّناً خطاباً للمسلمين يوحي بدلالة البشارة بقرب النصر بعد ما لاقاه المسلمين من قوارع صدر الآية ما ملأ القلوب رعباً ((والقصد منه إكرام هذه الأمة بأنها لا يبلغ ما يمسّها مبلغ ما مسّ

من قبلها))[1] زيادة على ما توجيه دلالة إكرام الرسول بمجيء النصر قبل استبطائه إشارة إلى فتح مكة، وهنا يأتي دور المتلقي في الكشف عن عناصر اللَّفِّ والنشر وترتيبها وفقاً لمعايير استشعار التوافق الدلالي بين الطرفين، فقد آثر السياق القرآني قولين على سبيل اللَّفِّ، الأول يتمثل بقول الرسول ﷺ معطوفاً عليه القول الثاني المتمثل بقول الذين آمنوا معه (متى نصرُ اللهِ)، الموحية بدلالة ((الاستفهام المستعمل في استبطاء زمان النصر))[2]، يعقبه مباشرة العنصر الثاني من عناصر النشر الوارد جواباً مؤكداً ومثبتاً الإعلام بقرب وقت النصر وتحققه، فتعود كل جملة لما يناسبها من عناصر وفقاً لبنية النشر على غير ترتيب اللف[3] يمكن تمثيله في الآتي :

عناصر اللفّ		عناصر النَّشر
١- (يقول الرسول)	استفهام	١- (متى نصرُ الله)
٢- (والذين آمنوا معه)	جواب	٢- (ألا إن نصر الله قريب)

فالعنصر الأول من النّشر للأخير من اللَّفِّ.

تأمل قوله تعالى : [illegible]

---

(١) التحرير والتنوير : ٣١٧/٢.

(٢) المصدر نفسه : ٣١٦/٢.

(٣) أكد السيوطي أن دلالة الآية تضمنت أسلوب النشر على عكس ترتيب اللَّفِّ، ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٩٤/٢، أما البقاعي فأثبت أن دلالة الآية استنتاجاً وتنبيهاً وجمعاً للقلوب بتأكيد النصر عن طريق النشر المشوش، مؤكداً أن استعماله في القرآن أكثر من المرتب، ينظر : نظم الدرّر : ٢١٢/٣.

✦✐🙰✃ ➲🏵🙵❸⇳➢❑④ ⌂⌨🙲⍝🕒⌧⓿⌧🖎
✃🙰❀☞✍⍍✦⬧✌🙰♦⧫ 🙪 **[الرعد:١٧]**.

أشار التعبير القرآني في هذه الآية إلى موعظة وعبرة تتنبه عندها الأفهام إلى حكمة الله –تعالى– في تبهيج المؤمنين وتحدي المشركين، وما جمعته بلاغة القرآن وإعجازه من دقة التمثيل وتشخيص دقائق القدرة الإلهية عن طريق ضرب المثل بأسلوب النشر على غير ترتيب اللفّ، فتمحورت عناصر اللَّفِّ حول لفظتي (الحقّ) و(الباطل) موجزة الدلالة التي تضمنها السياق مفصحاً عنها بأسلوب النشر المشوش بفرعيه، الأول : 🙪⬧♁❑✍❑🙰 ✃🙰⍝❽❑🖎♦⑨⇦

⬧⑩◆⓿⬁⍊⌂⍈➲ ♉⬉▦⌧🙰✐⬈☯ ☎ 🙪 الموازي دلالياً للعنصر الثاني من عناصر اللَّفِّ (الباطل)، في استحالة بقائه وعدم الانتفاع به، أما الفرع الثاني للنشر ففي قوله : 🙪❑◆🕮❑✍❑🙰 ✍◆🙰 ③◆☪▦⌧➚⇦

✃🙰⍝☪❑🙰❑“ ⬧⓿◆☺⇳▤⬈❁⇦ ✗🙵❼ ✃🙰❀☞❻⬀⮟⮊ 🙪 الموازي دلالياً للعنصر الأول من عناصر اللَّفِّ (الحقّ) في دوامِهِ واستمرار الانتفاع به، مبتدءً بتقديم الأهم في الترتيب[1] وبذلك ترسم بنية اللفّ والنشر صورة إيحائية موجزة لفظاًَ مكثفة دلالةً من خلال توظيف أسلوب التشبيه في جعل الماء مثلاً للحق، والزبد مثلاً للباطل ((فارتقى عند ذلك إلى ما في المثلين من صفتي البقاء والزوال إلى البشارة والنذارة لأهل الحقّ وأهل الباطل))[2]، فالفريق الأول هو الباقي الدائم، أما الفريق الثاني فزائل بائد.

ثالثاً : فاعلية أسلوب اللفِّ والنشرِ :

أطلق باحثٌ معاصر على هذا الأسلوب من البديع مُصطلح ((ذكرِ المتعدداتِ مع ذكرِ ما تتعلقُ بكُلّ واحدٍ منها))[3]، فهو من المظاهر القائمة على المتعدداتِ التي يتعلقُ بكل واحدٍ منها أمرٌ لاحق، فاللفُ يُشار به إلى المتعدد الذي يؤتى به أولاً، والنشر يُشار به إلى المتعدد اللاحق الذي يتعلق كُلّ واحدٍ منه بواحدٍ

---

(١) ينظر : نظم الدرّر : ٣١٨/١٠.

(٢) التحرير والتنوير : ١٢٠/١٣.

(٣) البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٤٠٣.

من السابقِ دون تعيينٍ، وبهذا التفصيل في البيان نميّزُ بين أسلوب التقسيم يوصفهِ ذكر المتعدداتِ مع تعيين ما يتعلق بكُلٍّ واحدٍ منها وبين أسلوب اللّف والنّشر.

ومن اللف والنشر نوعٌ لطيفُ المسلك أشار إليهِ الزمخشري في قولهِ تعالى :

[illegible]

[البقرة: من الآية١٨٥].

قال الزمخشري : ((الفعل المعلّل محذوف مدلول عليه بما سبقَ تقديره))[١]

[illegible]

شرّع ذلك، يعني جملة ما ذكر أمر الشاهدِ بصوم الشهر، وأمر المرخص له بمراعاةِ عدة ما أفطرَ فيهِ، ومن الترخيص في إباحةِ الفطرِ، فقوله تعالى : (ولتكملوا) علَّة الأمر بمراعاة العدة، (وَلِتُكَبِّرُوا) علَّة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطرِ، (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) علة الترخيصِ والتيسير، ((وهذا نوعٌ من اللَّفِّ لطيفُ المسلك لا يكاد يهتدي إلى تبيُّنهِ إلاَّ النّقاب المحدّث من عُلماءِ البيان))[٢].

يتضحُ مما سبق أن ما تضمنه الأسلوب القرآني من لطائف الإجمال والتفصيل واشتمل عليهِ من محاسن اللَّفِّ والنشر ليسَ مجرد حليةٍ شكلية؛ وإنما هو مرتبطٌ بالمعنى والوظيفة التي تبحث عنها الصورة.

وفي إشاراتٍ عديدةٍ لباحثين محدثين نجد أن مصطلح (اللَّفِّ والنشر) ((دالٌ على استقامة الذهن وقوةُ الطبعِ وجودة القريحة)) [٣] وبهِ تصبح أجزاءُ الكلامِ أقوى

---

(١) المراد بالفعل المُعلّل : المتضمن للسبب والعلة، فيما شرع الله من الصوم وعلى النحو الذي شرعه، الكشّاف : ١ / ٢٠٧

(٢) أراد الزمخشري بالنقاب : من ينقب عن الأسرار الخفية ودقائق الكلام، ينظر : الكشّاف : ٢٠٨/١.

(٣) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور : ٤٩٣.

ارتباطاً وأشدُّ التحاماً؛ وبذلك يعمل هذا الأسلوب على إعمال الفكر وجذب الانتباهِ، فيشتاقُ المتلقي إلى ردِّ كُلِّ واحدٍ من أقسامهِ إلى ما يليقُ بهِ ضمن علاقات دلالية يوحي بها السياق.

وخلاصة الأمر أن أسلوب اللَّفِّ والنشرَّ لا يكونُ بليغاً حتى يكون خالياً من التكلفِ والتصنّع والتعقيد في التركيب، جامعاً بين السهولة في الألفاظ والمعاني وقد عانى هذا اللون البديعي من الحشو المفرط عند كثيرٍ من الشعراء المتأخرين حتى أنهم خرجوا بهِ عن نطاق البلاغةِ، فركبهُ التنافر والثقل، ولم يشفع في فصاحة قولهم وبلاغتهِ كثرة اللَّفِّ والنشر المُزيَّن بهِ، وأمثلة اللَّفِّ والنَّشر في التعبير القرآني كثيرة[١].

ففي اللَّفِّ والنشر لونٌ من الإيضاح بعد الإبهامِ، والتفصيل بعد الإجمالِ حيث يُذكر المتعدد مبهماً، ثم توضح صفات أفرادهِ، وفي هذا تعميمٌ لهُ وتعظيمٌ لشأنهِ؛ لأن ابهامه يدعُ النفس تذهبُ في تصور تفصيلهِ كل مذهب، فإذا فُسر كان هذا أحلى موقعاً في النفسِ.

---

(١) ينظر على سبيل المثال : سورة الإسراء : ١٢ و٢٠، وسورة مريم : ٧٥، وسورة الحج : ٢٧، وسورة فصلت : ٤٣، وسورة الفتح : ١١، وسورة النجم :٣.

المبحث الخامس :

أولاً : أُسلوبُ الجمع مع التقسيم :

إذا كان الكلام فيما تقدّم من فنونٍ تعدادِ الأقسامِ وجمعها وتفريقها كُلٌّ على حِدَّة، فيتصل الحديث عن (الجمع والتقسيم) وذلك أنهما من واد ٍواحدٍ، وهو (فنُ البديع)، فالمقررُ في هذه المظاهر جميعها هو التعاملُ مع الألفاظِ ودلالاتها على أنها وحداتٌ أو مجموعاتٌ تركيبية تنطوي على متعدداتٍ تنويعية، يكونُ القصدُ من إبرازها إظهارُ أثر التعدد أو التفريقِ أو التقسيم في التراكيب السياقية بالكشفِ عن وحدات المتعدد مجتمعةً أو متفرقةً وربطها للوصولِ إلى دلالة متكاملة.

فقد يتقدمُ التقسيمُ على جمعِ مُتعدد في حُكمٍ واحدٍ، أو يتأخر، وهو ما يسمّى (الجمعُ مع التقسيم)، ودلالتهُ هو أن يجمع المتكلم بين شيئين أو أكثر في حُكمٍ واحدٍ ثم تقسيمه، أو تقسيمهُ ثم جمعهُ[١].

يحقق هذا اللون من البديع توازناً وإنسجاماً في الكلام لدوره الواضح في توثيق العلاقات الترابطية بين أجزاء الكلامِ وجعلها أشدّ ارتباطاً وأكثر إلتحاماً.

وقد حَرَصَ البلاغيون على تثبيت القاعدة الصحيحة لهذهِ المصطلحات تجنباً للخلطِ ففرقوا بينها، فرأى السكاكي أن مصطلح (الجمع مع التقسيم) داخلٌ ضمن المحسنات المعنوية مُفرقاً بينه وبين الفنون الأخرى بقولهِ : ((هو أن تجمع أموراً كثيرة تحت حُكمٍ ثم تُقسم، أو تُقسم ثم تجمع))[٢]، وعلى أساس هذا التعريف نجد أن لفن (الجمع مع التقسيم) قسمين :

الأول : الجمعُ الذي يتلوهُ التقسيم.

الثاني : التقسيم الذي يتلوه الجمع.

وقد مثلّ السكاكي لهذا اللون البديعي بأمثلةٍ وشواهدَ شعريةٍ، تبعه في منهجهِ هذا عدد من البلاغيين والمفسرين[٣].

---

(١) ينظر : الإيضاح : ٢٧١

(٢) مفتاح العلوم : ٥٣٦.

(٣) الإيضاح : ٢٧١، وخزانة الأدب : ٣٥٦، معترك الأقران : ١ / ٣٠٦، والإتقان في علوم القرآن : ٢ / ٩٢.

يُفهم مما سَبقَ أن المعنى الكُلّي الذي دلَّ عليه المتكلم بلفظٍ ما، ذا أقسامٍ يُحسن لديهِ فنياً أن يُبَّينها، ويرى أن لها حكماً واحداً وضمن إجراءات أسلوبية يُبين نقطة الاجتماع فيها، فيعبرّ عن الأمرين معاً بكلامٍ واحدٍ، يُقسِمُ فيه أولاً ويجمعُ ثانياً، أو يُحدثُ العكس وإذا ما تمَّ إحدى الإجراءين يُطلق على هذا اللون من البديع (الجمع مع التقسيم)(١).

إن المعول في بلاغة هذه المصطلحاتِ والإعتداد بها أمران :

الأول : تأكيد العلاقات القائمة على (الإجمال والتفصيل) التي يندرج تحتها النوع الأول من (الجمع مع التقسيم)، وعلاقتهُ (التفصيل بعد الإجمال) التي تضمُ النوع الثاني من هذا اللونِ البديعي.

الثاني : بيان أن كل شكل من أشكال البديع فيها هو تنظيمٌ لمواقع الوحدات اللغوية، والتي تُحدث أثراً في حركة المعنى من خلالِ إتجاهات الإجراءات المتسلسلة والمنطقية المتوالية في مستويات الكلام على وفق نظامٍ تركيبي دقيق.

وعلى الرغم من اجتماعِ هذه المصطلحات على أنها تشقيقاتٌ للونٍ بلاغي واحدٍ هو (التقسيم) إلاَّ أننا لا يمكن عدَّ هذه الألوان وكساً على البلاغة العربية كما وصفها باحث معاصر(٢)؛ لأنهُ بذلك تجنى على جزءٍ ليس باليسير من هذا الإرث العربي، بتعبيرٍ أدق : إن وصفه تعميمٌ خاطئ في الحُكم وإطلاق جائر كان ينبغي أن يعود إلى أصول البلاغة العربية لمعرفة الجذور الأولى، كما ضَرَب صفحاً عن المؤلفات الشامخة في الدراسات القرآنية وعلومها وكثيراً من قواعد البلاغة العربية وأصولها الموروثة التي لها إسهامات فاعلة وأصيلة في دراسة أساليب الكلامِ وفنون القولِ، عدّها القدماء وكثير من المحدثين فنوناً قائمة على التحوّلِ والانتقالِ في إطار علاقاتِ الإجمال والتفصيل، فألغى بوصفهِ هذا جُهدَ علماء كبار وما أسسوا لهُ في مؤلفاتهم خدمةً لهذا العلم الجليل.

---

(١) ينظر : البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٤٢٢.

(٢) أدخل الدكتور عبدة عبد العزيز قلقيلة : مصطلحات (الجمع، والتفريق، والتقسيم، والجمع مع التقسيم، والجمع مع التفريق، والجمع مع التقسيم والتفريق) ضمن مجوعة ألوان بديعية زائدة على البلاغة يجب إخراجها منها لما فيها من وكسٍ، ينظر : البلاغة الاصطلاحية : ٣٢٧.

وحري بالدراسة هنا أن تنظر نظرة تدقيقٍ في تناول عبد القاهر الجرجاني لمصطلح (الجمع مع التقسيم) لتأكيد أصالتهِ أولاً، وإبراز أثرِهِ الواضح في الكلامِ وربط أجزائهِ فقال : ((وأعلم أن مما هو أصلٌ في أن يدّق النظر، ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت، أن تتحدَ أجزاءُ الكلامِ ويدخل بعضها في بعض، ويشتدُّ ارتباط ثانٍ منها بأولٍ، وأن تحتاج في الجملةِ إلى أن تضعها في النفسِ وضعاً واحداً، وأن يكون حالك فيها حال الباني، يضع بيمينه ههنا حالَ ما بيسارهِ هناك، نعم، وفي حالِ ما يُبصر مكان ثالثٍ ورابعٍ يضعهما بعد الأولين نقطة وليسَ لما شأنه أن يجيء على هذا الوصفِ، حدّ يحصرهُ وقانون يحيط به، فإنه يجيءُ على وجوهٍ شتى، وأنحاءٍ مختلفة))[١].

ومن اللافت أن عبد القاهر الجرجاني لم يُصرح بتسمية مصطلح (الجمع مع التقسيم)؛ بل عَرَضَ لهُ بوصفهِ وجهاً من وجوه ترابط أجزاء الكلام، مُمثلاً لمصطلح (المزاوجة) وأنواعها، و(التقسيم) و(التقسيم مع الجمع) مستشهداً لهذهِ الأنواع بنماذج أدبية شعرية ونثرية[٢].

وخَطى على نفس خُطى عبد القاهر الجرجاني السجلماسي[٣]، مع مزيدٍ من التفصيل والتحليل، فقد عدَّ من (البناء) ضرباً أسمّاه (البناء بطريقِ الإجمال والتفصيل)، وذلك بأن تتقدم التفاصيل والجزئيات في القولِ، ومن هذا الوضع قولهُ عز وجلّ : [illegible]

(١) دلائل الإعجاز : ٩٣.

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٩٤ – ٩٦.

(٣) ينظر : المنزع البديع : ٤٨٠.

﴿[illegible]﴾ [النساء: ١٥٥ – ١٦١].

إنطلق السجلماسي في تحليله لهذهِ الآيات من أسلوب الإجمال في بناء الذكر الجملي على ما سبقَ في القول من التفصيلي فقوله تعالى : (فبظلم) إجمالٌ لما تقدم في السياق من تفصيل تمثّل دلالة النقضِ في قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾، ودلالة الكفرِ في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾، ودلالة قتل الأنبياء في قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾، ودلالة قولهم على أنفسهم أن قلوبهم غُلفٌ في قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾، ودلالة قولهم على مريم عليها السلام البهتان العظيم في قوله تعالى :

﴿ ﴾، ودعوى قتل المسيح عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ ﴾.

فقد عمَّ لفظ (فبظلمٍ) كُلّ ما تقدم في السياق القرآني وانطوى عليهِ من دلالاتٍ، كما أنه مشتملٌ أيضاً على كُلِّ ما تأخرَ من آياتٍ قرآنية ابتداءً من قولهِ تعالى : ﴿ ﴾ [النساء : ١٦٠] إلى آخر الآية الحادية والستين بعد المائة، وقد تخلل هذه الآيات أسلوبُ (الاعتراض)[1] في موضعين هما : في قوله تعالى : ﴿ ﴾ [النساء:١٥٥]، والاعتراضُ الثاني في قولهِ تعالى : ﴿ ﴾ [النساء:١٥٩].

---

(١) الاعتراضُ لغةً : الدخولُ بين الشيئين حتى يكون الداخل المعترض فاصلاً بينهما ويسمى (عارضاً)، ينظر : لسان العرب : مادة عَرَضَ)، أما في الاصطلاح : فهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين بجملةٍ أو أكثر لا محل لها من الإعراب بنكتة بلاغية سوى دفع الإيهام، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ١ / ٢٤٣، والبلاغة العربية (الميداني) : ٢/٨٠، والقطوف الدواني في علم المعاني : ١٦٦، وعلم المعاني (د. عبد العزيز عتيق) : ٢١٢.

وعلى الرغم من تأكيد السجلماسي على بيان وتفصيل علاقاتِ الجمع مع التقسيمِ في هذه الآياتِ بأسلوبٍ منطقي منظم، فإن ما يؤخذ عليه هُنا أنهُ فصَّل ثم أجملَ ثم فصلَّ ضمن علاقاتٍ مُعقدة أو مركبة.

لنتأمل أسلوبَ الجمع مع التقسيمِ بصورةٍ مُبسطةٍ أكثرُ قبولاً للتحليل المنطقي في قولهِ تعالى : [illegible] [المؤمنون:١ – ٥].

يظهرُ واضحاً أثرُ اللفظِ في إثراءِ المعنى وترابطهِ مع بعضهِ البعض للوصولِ إلى هذهِ الصورة القرآنية التي يصفُ بها الله تعالى المؤمنين مجتمعين ضمن نطاقِ (أسلوبِ الجمعِ) مع تقسيم أوصافها بعد ذلكَ تفصيلاً في القولِ بأنهم خاشعون في صلاتهم، معرضون عن اللغوِ، فاعلون للزكاةِ، حافظون لفروجهم إلاَّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم.

ومن الملاحظ في هذه الآيات أن التفصيل هنا جاء منفصلاً في سورة واحدة فبعد أن فَصَّلَ السياق القرآني في أوصاف المؤمنين وبشرهم بما كانوا يتوقعون من أخبار ثباتِ الفلاحِ والظَّفَرِ بالمُرادِ، والبقاءِ في الخيرِ[1]، فَصَّلَ القولَ بالاستثناء في قولهِ تعالى : [illegible] أي : أنهم لا يلامون على كُلِّ مطلق إلاَّ على أزواجهم، ثم أخبر بعد ذلك عن ((من أحدث ابتغاءَ وراءِ هذا الحدِّ من فسحتهِ واتساعه وهو إباحة أربع من الحرائر ومن الإماءِ من شئت فأولئك هم الكاملون في العدوانِ المتناهون فيهِ))[2].

وأعقب هذا الفصل الموضحِ تفصيلاً ثانياً للمؤمنين بالاستمرارِ في ذكرِ صفاتهم في قوله تعالى : [illegible]

(١) ينظر : الكشّاف : ٣ / ٢٤٠.

(٢) الكشّاف : ٢٤٢/٣.

[المؤمنون:٨ – ١١].

ويتضح في هذه الآيات أن قولهُ تعالى :

[المؤمنون:٧]، التي جاءت فصلاً للوصفِ القرآني تحمل دلالة إجمالِ المحرمات فجاءت مُفسرة في قوله تعالى :

[النساء:٢٢] إلى قولهِ تعالى :

[النساء:٢٤]؛ ولأنها اشتملت على خمسة عشر محرماً من أصنافِ النساء –ذوات الأرحام– ثلاثة عشر صنفاً، ومن الأجانبِ صنفان))(١).

ويُلحظ في التعبير القرآني ظاهرةُ التكرارِ في ذكر الصلاةِ في قولهِ تعالى :

[المؤمنون:٢]، وقوله تعالى :

[المؤمنون:٩]؛ إذ إن دلالة التكرارِ ذات أثر لفظي ومعنوي يقتضيها السياق ويتطلبها المقام، فقد افتتح الله ذكر هذهِ الصفات الحميدة بالصلاةِ، واختتمها بالصلاة، فدَّل على

(١) بديع القرآن : ٣١٦.

أفضلِيتها، كما قال رسولُ الله ﷺ ((استقيموا ولن تُحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يُحافظ على الوضوءِ إلاَّ مؤمن))[1]، وهنا يتأكد أن دلالة التكرارِ في الآية جاءت لغرضِ التأكيد على أهميةِ الصلاة والتنبيهِ والتذكير بفضلها وعظيم أجرها، وقد أوحت هذه الظاهرة بقدرةِ الألفاظ المتكررة على أداءِ أوسع المعاني والدلالات ضمن سياقٍ واحدٍ مما لهُ أثرهُ في إحالة المعاني إلى مواضعها المناسبة وتجسيدها على أتمِّ وأكملِ وجهٍ.

وتتجلى دقة التعبير في اتساع المسافة الفاصلة بين الإجمال والتفصيل، وإتحاد أجزاء الكلامِ في وحدةٍ موضوعيةٍ تضمَّ من الألفاظ أخيرها ومن الدلالات أعمقها وأشملها، ويتأكد لنا ذلك بالوقوف عند قولهِ تعالى :

[illegible] [غافر:٧].

تأتي هذه الآية الكريمة بعد ذكر المجادِلِين في آيات اللهِ، وتماثل حالهم مع المكذبين من الأمم السابقة، وبيان مصيرهم وهلاكهم في الحياة الدنيا، وأنّهم في الأخرةِ أصحابُ النارِ، ((فيقابل ذلك بذكر المؤمنين، وبيانِ منزلتهم، فلا يعرض حالهم الذي يُقابل ما ذكر حال الكافرين، وأنما يُظهر ما يُدخل البشرى في نفوسهم ويدع الكافرين في حسرة وندم))[2].

فحملةُ العرش من الملائكة ومن حولهُ وهُم الدائمي التسبيح غير المنقطعين عنهُ، يواصلون تسبيحهم بطلبِ المغفرة للمؤمنين، داعين لهم بالمغفرةِ مختصين بدعائهم الذين تابوا واتبعوا سبيل الهِ، وقد أفادت الدلالة هنا التخصيص لا العموم

(١) الحديث صحيح عن سليمة بن الأكوع في الجامع الصغير، حديث رقم (٩٩٤)، ٦٦/١.

(٢) سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية : ٣٠٤.

((على سبيل التفصيل بعد الإجمال، تضمّن إمعاناً في إستقصاء التفاصيل وتعداد النعوت والأوصاف، فهو تلذذٌ واستمتاعٌ بهذا المقام يوحي بالثقةِ بإجابةِ السؤال وقبولِ الرّجاء))[1].

من الملاحظ أن هذه الدلالة جاءت في موطنٍ آخر من سورة الشورى في قوله تعالى : ﴿✍●♦▤♦🔔⑩← ✂〰☜○○☺⌂⏲❑♦⏲☠← ③♦✌♦▦⊠⊃⅄❷⬀♍☙ ✎♉♈ ▫♦❑⬀🔔♉♑♈♊○ ▤ ❑♦✂〰☜⚟☺⌂▪■⏲✸◈✎▤♦❑➔ ④←○✿▦○♈♦←❑♌♦ ♉⑨⇳☺❑♦⏲▤ ❻♦◆▤♒✎&✎☠⬀ ❑◆④❑○⇔☛♦⇔⧅▦♉❷⬉❑♍☙ ☜♉☺⌂♊ ❼♈✖ ✂〰✿☛❻⬀⬂♦ ▤ ▭♦✋ ♈♌❑ ✂〰✏⅄ ♎➔❑♦ ✂〰☜⧅▦➔❑❻↓ ✂〰☜❷▪○♉➚☹⬉﴾ [الشورى:٥]، إلاَّ أن الفرقَ واضحٌ بين دلالة التعبيرين ففي سورة غافر خُصص الاستغفارُ للمؤمنين في حين أنها في سورة الشورى جاءت بصيغة العموم أي بجميع من في الأرضِ، وقد علل الدكتور فاضل صالح السامرائي هذه الظاهرة بالعلل الآتية : أن آية سورة غافر ذكرت جماعة مخصوصة من الملائكة، خلافاً لآية سورة الشورى الدالة على عموم الملائكة، فناسب أن تستغفر خاصة الملائكة للخاصة من الناسِ، زيادةً على ما يُحققه التناسب الدلالي بين وصف الملائكة بالإيمان وبين من أتصف بذلك من أهل الأرضِ، أما فيما يتعلق بالدعاء بالمغفرةِ للذين تابوا واتبعوا سبيل الله فكما ذكرنا سابقاً أنه يدّل على التخصيص لا العوم، فلا يصلح هذا مع عموم أهل الأرضِ، ويؤكد سؤالهم في سورة غافر بأن يقيهم الله عذابَ الجحيم ويدخلهم جناتِ عدنٍ، أنه لا يكون إلاَّ للمؤمنين فناسب ذلك التخصيص، ولم يرّد ذلك في سورة الشورى[2]، ويظهر أثر الجمع مع التقسيم في قوله تعالى : ﴿❻♦✉✸☪♦〰 ❑♦◆♎✸☜➔⬀✸❻♦ ▤➔✎❑ ★⊠✎⇔➚🕮 ❻▪○⇳☺⌂❑☪ ❑♦⬉♉▦▫☺✞〰﴾ [غافر:٧].

يوحي توجه الملائكة بالثناء والدعاءِ إلى الله تعالى بطلب الغفرانِ، فأقتضى تضمين الدعاءِ ذِكُر سِعّة العلم، وسعةِ الرحمةِ، وجاء ذلك على سبيل التمييز

---

(١) سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية : ٣٠٤.

(٢) ينظر : التعبير القرآني : ١٨٣.

﴿❻▪❍⇳☺◰❑ ❑◆⬉♉▣▫☺✞ⴰⴰ﴾ فكان ذلك تفصيلاً بعد الإجمال في قولهِ تعالى : ﴿❑◆⬉ⴰⴰ⇖➔⬀✲◆✽ 🗎 ➔⬉❑ ★⌧⊘⬄⬈🕮﴾، وقد حقق هذا التفصيل تمكيناً للصفة في النفسِ، فاتباع رحمتهِ وعلمهِ أمرٌ لا يتوصرهُ عقل؛ ولذلك عَدَل إلى أسلوب التمييز تنبيهاً على ذلك، مع ما فيه من إثارة السامع وتشويقهِ بالإبهامِ إلى الإعلام[1]، فضلاً عما أفاده تقديم الرحمةِ على ذكر العلم تناسباً ُ مع ما يقتضيهِ المقام لأن دعاءهم بالاستغفارِ لا يتلاءم إلاَّ مع ذكر الرحمةِ في هذا الموضعِ ((كُلّ ذلك مراعى من سياق الكلامِ والاتساق العام في التعبير على أكمل وجهٍ وأبهى صورة))[2].

ومن مظاهر الجمع مع التقسيم ما نلمحهُ في سورةِ فُصلّت في قولهِ تعالى ﴿✍❑ⴰⴰ ③⬉◗⬧ⴰⴰ✌⬉ ◙⬧⌨◰ ◗⧄⬧◆ ✍◆ⴰⴰ ♤◆⑨⇳ ♤⧄⓿✍⬧ ❑ⴰⴰ⧄◙⬉❷❾⬸←✍⬸ ♤⬧⌨⬀▣⧄◙⌨◰ 🗐 ◗⧄⬧♌❑ ❻◆⬧⬄✸⌨◰ ⬀⬧♤⬈❑ ✍⬧⬄⬅⬀▦⧄❷◆❑▭ ❑◆❶➔❑ ⬉⧄◗⬧ⴰⴰ⬨✌ 🕮❑⬧⧄❿⬳⬸﴾[فصلت:٤٣]، فقولهُ تعالى: (مَا يُقَالُ لَكَ) صيغة المبني للمجهول تُناسب إفادة إنكار الفاعلِ وقولهُ وتجاهلهُ، وتجمعُ هذه الصيغة قائلاً ومقولاً لهُ، فكان الإيماءُ بوصف (ذو مغفرةٍ) إلى المقولِ لهُ، وهم الرسول ﷺ والمؤمنون، ووصفِ (وَذُو عِقابٍ أَلِيمٍ) إشارةً إلى القائلين وهم الكافرون، وهذا الجمع مع التقسيم ((جارٍ على طريقةِ اللفِّ والنشر المعكوس وقرينةُ المقام تردُّ كُلاً إلى مناسبه))[3].

وقد أكدت كتب التفسير أن سياق الآية يحملُ دلالتين[4] :

الدلالة الأولى : المُراد بها التسلية والأمر بالصبر عن مقالات قومهِ، أي : اصبر على ما يقول لك المشركون، وتعزَّ بمن كان قبلك من الرُسل الذين أوذوا، فتأسَّ بهم، وامض لأمر الله ولا يهمنك شأنهم.

---

(١) ينظر : نظم الدّرر : ١٧ / ١٤.

(٢) التعبير القرآني : ٥٣.

(٣) التحرير والتنوير : ٢٤ / ٣١٠.

(٤) ينظر : المحرر الوجيز : ١٩/٥ – ٢٠.

الدلالة الثانية : أن تكون الآية تخليصاً لمعاني الشرع، أي ما يقال لك من الوحي، وتخاطب به من جهة الله –تعالى– إلاّ ما قد قيل للرسل من قبلك، وقد كشفت هذه المعاني عن جماع النهي والزجر والموعظة، وإليها يرجع كُلُّ نظر.

ومن المظاهر البديعية الملحوظة في سياق الآية الكريمة أسلوبُ الطباق بين لفظِ (مغفرة) وبين لفظ (عقاب) فقد جيئ باللفظين نكرتين إفادةً للتكثير، لتضم هذه الكلمات بهذا النظم جماع الزجر والنّهي والموعظة(١).

وقد يأتي الجمعُ مُقدراً، كما قد يأتي التقسيم مُقدَّراً، ومن أمثلة الجمع التقديري مع التقسيم قولهُ تعالى : [illegible]

[illegible]

[illegible] [النساء:١٧٢ – ١٧٣]، فَعَدَلَ عن قولهِ (ومَن يستنكف ومن لم يستنكف) وحذفَ في الجمعِ ذكر المؤمنين؛ وذلك لدلالةِ التقسيم اللاّحق عليهِ في قولهِ : [illegible]، وذكر الله تعالى جزاء المؤمنين وجزاء المستكبرين معاً مُقسِماً بعد جمعهم وحشرهم إليهِ إلى فريقين (مؤمن وكافر)، ومن التقسيم التقديري قولهُ تعالى عقب الآيات السابقة من سورة النساء : [illegible]

[illegible]

---

(١) ينظر : سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية : ٢٤٧.

☎✂❑⇱✡⧫✌✂⧫↗ ★✏☞☞⚡✉
❑⧫✂☞⇱⇳☞⧫✇✽☺←❑✂☎ ✇⚡❍⚡✇
⬀☠←♑➔🖬⬁⌘⇳⑨⇱⓿✽❍⬧⬚ ❼⚡✗ ⑥⧫❑⬃✍⧫❑⌨
←❍⬃☪⚡♓✌ ⚐✉⇳✇⬧⬚⧫❑ ⬀☠✏⚐⑨⚡⑨⬀⚐⧫⑨⧫❑
⚡❍⬂⓿⬧⚐⚡⚀ ☞✞☪⏲⧫❸⬁⏲ ✧☞✞☺⑩✍☽⧫✌⬄❍⑩✌

[النساء:١٧٤ – ١٧٥]، ((فذَكَرَ في هذه الآيات جزاء المؤمن، ولم يذكر جزاء الكافر))[1] أولاً، ثم أعقب ذلك بذكرِ صفاتِ المؤمنين مُقسمّةً بعد إجمال الحُكم فيها.

وقد سبق أن أشار الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) إلى هذا، ففي الموضعِ الأول ذكر أن التفصيل اشتمل على الفريقين والمفصَّل على فريقٍ واحدٍ، وفي الموضع الثاني اشتمل التفصيل على فريقٍ واحدٍ بعد ذكر الجميع في المفصّل ((فحُذف ذكرُ أحد الفريقين لدلالةِ التفصيل عليهِ؛ ولأن ذكر أحدهما يدلُّ على ذكر الثاني، كماحُذف أحدهما في التفصيل في قوله عقيبَ هذا ✧⬧⬚❑✌❑☞✂☞✏⅄⚠⚡⬄⬚⚘

☎✂❑⇱✡⧫✌✂⧫↗ ★✏☞☞⚡✉
❑⧫✂☞⇳☞⧫✇✽☺←❑✂☎ ✉⚡❍⚡✇✧))[2]، وقد استشهد

البحث في أسلوب التقسيم الذي مرَّ ذكرهُ بقوله تعالى : ✧⚐➔☠▪

📖❑❑⬃❻⧫⚐⬂☪⧫☞ ✂☞⚡⬂▤⬁✌⧫⏲✽
✂☞✏⅄⚠⚡⬄✗⧫ ✂☞⏲⇳⊃⬧⊞▩☒⑩⬂☪⧫☞ ✌⚡♊⇳
⇱⚡⌨⧫☞⑩⚡✡⧫☞ ☎ ⬧⬚☺⚡✡⬃♑←⚐⬄ ←⬧☞⚡⚐⚐⬀
⚡℮☪⚡⊞▩⬂❍⬀❍⚡✇ ❑⧫✌⚡☸⬃♋⇲☠ ✌⑩☽⬂☞⧫✇⬁⑨⚀
⚠⚡☠⬃♋⇲☠❑ ☪⚠☞✉⚡☞⚠⌨
☞☞⚡✉☞⚡☞⬂②⚠❷⬀❸⧫⏲☠⚡ ✉⚡☒⚡❶⬂♌✐ ✂☞★ 🗐
☯⏲⚡①⚘ ♎➔❑⧫ ✂☞⚡⬂▩☒♋⇳⚡⇱
✂☞⚡⬂⧗☒⌨⚡❷❸← ✧ **[فاطر:٣٢]**.

يمكن تطبيق هذه الآية على أسلوب الجمعِ مع التفريقِ، فالجمعُ واضحٌ في بيان أن أمة محمد ﷺ هي الأمة التي اصطفاها الله تعالى وأورثها الكتاب الجامع للكتب السماوية السابقة وهو القرآن، أما التقسيم فيظهرُ واضحاً في أقسام هذه الأمة الثلاثة وهم[3] :

---

(١) دراسات منهجية في علم البديع : ٢٥٣.

(٢) الكشّاف : ١ / ٥١٦.

(٣) البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٤٢٢.

أولاً : قسمٌ ظالمٌ لنفسهِ بالمعاصي مع صدقِ الإيمان والإسلام.

ثانياً : وقسمٌ مقتصدٌ بفعل الواجبات وتركِ المحرماتِ من دون توسعٍ في النوافلِ والقُربات، وهذه درجة سقف التقوى.

ثالثاً : وقسمٌ سابقٌ في الخيراتِ بإذن الله، وأهلُ هذا القسمِ إما الأبرار، وإما محسنون، وجاء في القرآن تكريمهم باسم (عباد الرحمن).

فالآيةُ جمعت بين : العباد في الإصطفاءِ، ثم قسمتهم إلى ثلاثة أنواعٍ : ظالمٌ لنفسه يرتكب الذنوب التي تؤدي إلى نقصان الثواب، ومقتصدٌ، وسابقُ لغيرهِ بالخيراتِ، وكلهم من أهل الجنة[1].

ومن خلال تحليل الشواهد السابقة نستنتج أن أسلوبَ الجمعِ مع التقسيمِ من أساليب البديع التي تنماز بحركتيها المتطورة والمتجددة، فقد يتقدم أسلوبُ على أسلوبٍ وقد يتأخر وقد يُقدرُ محذوفاً حسب طبيعة السياق الموضوع لهُ لا يمكن حّده في قوالبُ جامدة لما يحملهُ من طاقاتٍ دلاليةٍ لا شمولية تستقصي علاقات الترابط العميقة داخل النظم الواحدِ، فتتداخلُ لتشكل تركيباً متوحداً يجمع عناصرَ الكلامِ في حدودِ المنطقي والمعقول، فتكشف عن فاعليةِ الأواصرِ الدلالية التي تبعثها قوانين الإجمالِ والتفصيل أو التفصيل والإجمال. ويبرز أثرها في تمكين المتلقي المُتَهيّئ للاستجابة بتحريك حسّه الذوقي على استقبال الصياغةِ التي تزخر بالمقومات المنبثقة من الطبعِ والفطرةِ والسليقةِ تاركةً التكلف والتعقيد جانباً.

إن النظر المتفحص في أطرافِ تلك الأساليب متفرقةً أو مجتمعةً أمرٌ لا يمكن إدراكهُ بسهولةٍ؛ لذا يتطلب إعمالاً للفكرِ وتنشيطاً للذهن في استحضار العلاقاتِ المنطقية متجاوزاً الحدود المعيارية الصارمة. وتتداخل هذه الفنون معاً لكون الجامع بينها هو علاقة الإجمال والتفصيل التي تتمثلُ في ذكر المُجمل أو المفصل، مجامعاً ومؤتلفاً، مُقدماً أو مؤخراً لاعتباراتٍ دلالية تُحقّق أصالةً كنه العلاقات وجدواها.

---

(١) ينظر : البديع، دراسة في البنية والدلالة : ١٢٦.

أما النظرة الفنية النقدية فتجعلنا نربأ بهذه الفنون البديعية عن جعلها مجرَّد محسنات أو مظاهر لفظية أو معنوية؛ لذا قننها البحث في إطارِ العلاقاتِ الدلالية والتركيبية من دون تفضيل شكلٍ منها عن الآخرِ اعتداداً بطرق الصياغةِ التي هي مناط التفضيل والتي تُظهر في ذاتها ولا ترتبطُ بالتصنيف النوعي أو الكمي لمثل هذه المظاهر.

ثانياً : أُسلوبُ الجمعُ مع التفريق :

بعد دراستنا لأساليب الجمع والتفريق والتقسيم كُلّ على حدّة اختص مبحثنا في هذه المرحلة بالجمع بين هذه المظاهرِ ودراستها مجتمعةً مع بعضها بوصفها واحدة من أهم المظاهر البديعية المرتبطة بعلاقات الإجمالِ والتفصيلِ التي يرتكز عليها هذا الفصل.

الجمع والتفريق لفظان متضادانِ في اللغةِ، تضاد النقيض للنقيض، فالجمعُ ضمُّ المتفرقِ بتقريبِ بعضه من بعضٍ، وهو مصدر جَمَعَ يَجمَعُ، يُقال : جَمَعَ الشيء عن تفرقةٍ يجمَعهُ جمعاً، وأجمعتَهُ، وجَمّعْتُهُ بالتثقيل مبالغةً فاجتمع[١]، والجمعُ الدّقل، لأنهُ يُجتمعُ وُخلط من تمرِ خمسينَ نخلةٍ، وقيل : كلُّ لون من النخلِ لا يُعرف اسمهُ فهو جَمْعٌ، ثم غلبَ على التمر الردئ، ومنه الحديث ((بِعْ الجَمْعَ بالدَّراهمِ ثم ابتعْ بالدَّراهم جنيباً))[٢].

أما التفريقُ فقد ذكرت المعاجم العربية لهذهِ المادة جُملة من الدلالاتِ أهمّها: أن التفريق خلافُ الجمعِ وعكسهُ، ((فرقتُ بين الشيئينِ تفريقاً وتفرِقةً، فانفرقَ وافترقَ وتفرَّقَ))[٣]، وتدّلُ هذهِ اللفظة على كتابِ الله تعالى : إذ هو الفرقان يفرقُ بين الحقِ والباطلِ ((في الاعتقادِ والصدقِ والكذبِ في المقالِ والصالحِ والطالحِ في الأعمالِ))[٤]، فالتفريقُ هو الفصلُ بين الشيئينِ بخلافِ التقريبِ والجمعِ.

أما المفهوم الاصطلاحي للجمعِ والتفريقِ فمن خلال تتبعنا لآثار هذا الفن البلاغي في تراثنا العربي وجدنا أن السكاكي أدخلهُ في المحسنات المعنوية وقال : ((هو أن تُدخلَ شيئينِ في معنىً واحد، وتفرق جهتي الإدخالِ))[٥]، وهو أقرب إلى المعنويات، وتحدث النويري عن هذا الأسلوبِ وفقاً لما جاءَ به السكاكي، مع اختلافِ الشاهد الشعري الذي أوردهُ السكاكي، وذكر مثلهُ أيضاً ابن حجة الحموي[٦]، أما

(١) ينظر :مادة (جَمَعَ) في : جمهرة اللغة، وتهذيب اللغة، وتاج العروس.

(٢) صحيح البخاري، كتاب البيو' باب بيع تمر بتمر خير منه، حديث رقم (٢٢٠٢)، ص٣٤٩.

(٣) الصحاح : مادة (فَرَقَ).

(٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن : ٣٩١.

(٥) مفتاح العلوم : ٥٣٥.

(٦) خزانة الأدب : ٢ / ٣١٤.

القزويني فعرّفهُ بقوله : ((ومنهُ : الجمعُ مع التَّفريقِ، وهو : أن يُدخِلَ شيئينِ في معنى واحد ويُفَرَّق بين جهتي الإدخال)) [١] ذاكراً قولهُ تعالى :

❁□◆⊠♉⊠➔⊠▣▫☪◆✍ ✁✍⊕⤳▲⓿⊘⊠•

☐◆✁✍⊕⤳❁□✃□✍❻◆◆ ↗◆✁③◆◆✌✓⇗✖✍ ☎
▫◆☺⊠◆⊠□⇗☼◆✍✎ ↗◆✁③◆□◆ ✁✍⊕⤳▲⓿⊘⊠✍
□◆♉⊠➔⊠▣▫☪◆✍✎ ↗◆✁③◆□◆ ✁✍⊕⤳❁□✃□✍❻✍
✌↖⌨⇗⊠⊠❸◆□☪ ❁ [الإسراء:١٢].

وَسَارَ على هذا النهج عدد من البلاغيين والمفسرين[٢]، أما الدراسات البلاغية المعاصرة فقد عرفت هذا اللون من البديع بأنه ((جمعُ المتكلمِ بين شيئين في معنىً ويفرق بين جهتي الجمعِ))[٣]، ومعنى ذلك أن هناك إجراءين بلاغيين في آنٍ واحدٍ الاجتماعُ ثم التفريق وضمن حُكمٍ واحدٍ يدخل تحتهُ كُل من الجمعِ والتفريقِ، وهو من أوضح الأساليب البلاغية الدالةِ على سرٍّ من أسرارِ البلاغةِ لتضمنها وحدات المعنى الكُلي في الكلام الذي ((دلَّ عليها المتكلم بعبارةٍ ما، تجتمعُ في حُكمٍ وتفترقُ في حُكمٍ آخرٍ يلمحهُ أديبٌ فَطِنٌ بقدرتهِ البلاغية، فيسوق تعبيره الأدبي البديع دالاً به على حُصول الأجتماعِ من جهةِ الحُكمِ الجامعِ، وحصولُ الافتراق من جهةِ الحُكمِ المختلفِ))[٤].

فإذا كانت جهة التفريقِ جهةَ تفاضلٌ في نسبةِ الصفةِ لا جهةِ وجود الصفة وعدمها؛ فأنه في هذه الحالة يأخذ تسمية اصطلاحيةً معروفةً في علم البديعِ بـ((جمعِ المؤتلفِ والمختلفِ))[٥] والفرقُ واضحٌ بين الأسلوبين من جهةِ التفاضلِ ووجود الصفة أو عدمها.

تأمل قوله تعالى : ❁✁✍✎✦ ③◆◆✌◆□◆✖✹❼

✁✍❀☞☼▦➔▪❝ ❍♉✓✖◆ ✌◆□⇗✍♍♑⊠✍
☐◆✁✍⊕⤳▲☹☛✌ ⊕⤳◆⚐⇔ ✍◆☺←✹💣⇧ ×⊗❼

---

(١) الإيضاح : ٢٧٠.

(٢) ينظر : أنوار الربيع : ٥ / ١٦٨، والإتقان في علوم القرآن : ٩٢/٢، ومعترك الاقتران : ١ / ٣٠٦.

(٣) البديع في ضوء أساليب القرآن : ١٠٠، علم البديع (د. عبد العزيز عتيق) : ١٦٠.

(٤) البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٤٢٠.

(٥) ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٢ / ٤٠٧.

⌀☞☹⅄♎🖲🙰✁ ◐①⬂○⇳☺⇦⑩⬩▫ ☎ 🙰⮹♑🙵🖎🙰❑✡⧫🖎
✽⚴⬀❑⮹☺⬂♎🖲🙰✁ 🙰❑🙵⬀❸■🖪⧫⬂ 🗐⌀✽⌀⬩🕭
✁❼■🖫🕵☽ ✁❽⧫❷⬃⌘⯌❀🙰✁ ⬉🕸⬂🙔⬀❷⬉③⧫❑
🙖①🙵♎🕒⬩❶ ❼🕵🗴 ❑♌🕵☽ 🗐 ❻❼☺✽○❿🖎 ♎🕸⮹♉❑🕮
🙚🙖♍❑⬉❷⅄▤☒▦⧫🖏⧫③ 🖁✈⬀❑⬩☽🙵♏♎ ▭💣✳🕑⧫③✞⮹

[الزمر:٤٢].

ينبه التعبير القرآني في هذه الآيةِ بنظمٍ مُعجزٍ إلى قدرةِ الله تعالى على الإحياء والإماتةِ، والناسُ في قبضتهِ في صحوهم ونومهم وفي كُلِّ حالةٍ من حالاتهم، يتصرّف بهم كما يشاء ((فالله يستوفي الآجال للأنفس التي تموت، وهو يتوفاها كذلك في منامها– وإن لم تمت بعد – ولكنَّها في النومِ متوفاة إلى حين، فالتي حان أجلها يمسكها فلا تستيقظ، والتي لم يحن أجلها بعد يرسلها فتصحوا، إلى أن يحلَّ أجلها المسمّى))[١]، ومعنى ذلك أن الله تعالى يتوفى الأنفسَ وقت موتها المحدّد لها، وهذه هي الوفاة الحقيقية، ويتوفى الأنفس التي لم تمت حقيقة أي (النائمة)، وذلك تشبيهاً للنوم بالموتِ، فيمسك الأنفس التي كتب عليها الموت الحقيقي فلا ترجعُ حيّة، ويُرسل الأخرى النائمة حتى يأتي الأجل المحدد لموتها الحقيقي[٢].

ويظهرُ أثرُ أسلوبِ الجمعِ واضحاً في لفظة (الأنفس) والمقصود بها النفسين التي تموتُ فيمسكها إليه تعالى، والتي لم تمت والحُكم واحدٌ هو (التوفي)، وقد أجرى هذا التعبير أسلوب الجمعِ بدقةٍ بالغةٍ توخى فيها اختيار الحُكم المناسب للفظِ والدلالةِ معاً وقد ((عَلَّقَ الله عزَّ وجلَّ التَّوفى والموت والمنام جميعاً بالأنفس))[٣]، ثم فَرَّقَ بعد ذلك بين جهتي التوفي بالحُكمِ، بالإمساكِ والإرسالِ، أي : أن الله يتوفى الأنفسَ بالإمساكِ والإرسالِ ويقتضي ذلك توفي الأنفس التي تُقبض والتي لم تُقبض، فيمسك الأولى، ويُرسل الأخرى[٤]، والمنحى الأسلوبي الدقيق الذي يتفتق من هذه الآية لفظ (الوفاة) فهو الرأس والدّال العام في حقله الدلالي؛ لأنه مع ما ذُكر من مجموع الدلالات السابقة يُضفي دالاً فاعلاً في معنى السياق العام، فتوفية الله عزّ وجلّ

(١) في ظلال القرآن : مج٥ ، ج٢٤ ، ص٣٠٥٥.

(٢) ينظر : روح المعاني : ٩/٢٤.

(٣) الكشّاف : ٤ / ٥٥.

(٤) ينظر : معترك الأقران : ١ / ٣٠٦.

لأجل الأنفس يشكل موتها النهائي وإيفائها مدة ما بقي من حقها في العيش حتى ينقضي رزقها المحتوم في الحياة.

وفي سورة (ص) نلمحُ أسلوبَ الجمعِ مع التفريقِ بين جهتي الإدخال في قولهِ تعالى : ﴿[illegible]﴾ [ص:٧٦]، حيث تمثلُ هذهِ الآية مشهداً من مشاهد مناظرة إبليس عدوّ الله في شأنِ آدم عليه السلام وإبائهِ السجود لهُ، بأسلوبٍ تمثيلي حيٍّ، يسيرُ البيان القرآني في عرضه متتبعاً سلسلة الوقائع والأحداثِ مع التعرضِ لتوضيحِ وتفسير كثيرٍ من جزئياتِ القصة بمنهجيةٍ متكاملة غير مبتعدة عن الغرض الأساس والعبرة والعِظة التي سيقت من أجلها مع متابعةِ تهيئةِ الآياتِ للمناسبةِ وتوجيهها إلى الدلالةِ المقصودةِ من السياقِ، تتضمنُ هذهِ القصة لوناً من ألوان الحسدِّ في نفسِ الشيطان، لاستكثارهِ على آدم عليه السلام فضلُ اللهِ الذي كرمه إياه، بأن يقعَ الملائكةُ لهُ ساجدين، إلاَّ أبليس فسقَ عن أمرِ ربِّهِ وعصى واستكبرَ فكانَ من الكافرين.

ويستمرُ السياق القرآني في عرضِ قصةِ البشريةِ، وما دار في الملأ الأعلى بشأنها، منذ أن بدأ الله تعالى الخلق لآدم وخصّه بالتشريفِ بأن خلقَهُ بيديهِ ونفخَ فيه من روحهِ قال تعالى : ﴿[illegible]

✡❋✍❻⑩ღ ◻◆⌘⍓◼◑♦☝♦○🡐◑ ✌♋Ⅱ ⊂♋✓×📖 ﴾ [ص: ٧١ – ٧٦].

من لطائفِ البلاغةِ في هذا النظم القرآني تكرارُ ذكر الله تعالى لها في مُحكم كتابهِ، وإخبارهِ أن إمتناعَ أبليسَ من السُجود كان كبراً منه وكفراً، وإباءٍ، وإن دعواه أنه خيرٌ من آدم دعوى كاذبة باطلة، لشبهةٍ ذكرها تعنتاً في أن أصلَ خلقهِ النار، وأصل آدم وعنصرهِ التراب، وما يترتّب عن ذلك من خيرٍ فهو باطِلٌ من وجوهٍ عديدةٍ ذكرها إبن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) مفَصلاً فيها القولَ، ومؤكداً بيان فسادها[١]، والسرُّ في هذا التكرارِ هو التدبّر والحذرُ من ((أن يكون للعالم نصيبٌ من هذا الرأي والقياس وهو لا يشعر، فقد أقسمَ عدوُّ اللهِ أنه ليغوِيَنَّ بني آدم أجمعين إلاَّ المخلصين منهم، وَصّدَّق تعالى ظَنَّهُ عليهم، وأخبرَ أن المُخلصين لا سبيل له عليهم))[٢].

ولم يكتفِ التعبير القرآني في هذهِ الآيةِ بظاهرةِ التكرارِ، وإنما أبدعَ في إبرازِ مظاهرِ الإجمالِ والتفصيل من خلالِ أسلوب الجمع مع التفريقِ دالاً على المعنى وموضحاً أسرارهُ البلاغية، حين جَمَعَ في أصلِ الخلقةِ بين آدم عليه السلام وابليسً، إذ إن الله تعالى خالقُ كلَّ شيءٍ ومليكهُ، ثم بَدَى أثر التفريق بعد ذلك واضحاً في بيانِ جنس الخلقةِ أهي من طينٍ أم من نارٍ؟

ولا شكَ في أن اجتماعَ أسلوبي (الجمعِ) مع (التفريقِ) في مظهرٍ بلاغي مشتركٍ يُعدُّ من فنون (الازدواجِ)[٣] التي تُزيد الكلامَ جمالاً وترابُطاً وقوةً، طالما لم يصحبها تكلفٌ ولا تعقيدٌ، ولم تكن طاغية على جانبِ المعنى من أجلِ التحسينِ البديعي، لنقف عند قولهِ تعالى : ﴿◻◆♉⍓➔⍓◼☪◆✍ ✂✍⑩ღ⓿⍓⊠• ◻◆✂✍⑩ღ❁◻&◻✍❻◆ ➚◆✂③♦☝♦✓⇗×✍ ☎ ▫♦☺⍓♦⍓◻⇗✡◆✍✎ ➚◆✂③♦◻♦ ✂✍⑩ღ⓿⍓⊠✍ ◻◆♉⍓➔⍓◼☪◆✍✎ ➚◆✂③♦◻♦ ✂✍⑩ღ❁◻&◻✍❻✍✌↖⌨⇗⇖⇖❸◆◻☪ ﴾ [الإسراء: ١٢].

---

(١) ينظر : بدائع الفوائد : ٤ / ١٥٥٤.

(٢) بدائع الفوائد : ٤ / ١٥٦٠.

(٣) فنون الإزدواج هي ذاتها فنون الإجمال والتفصيل، فقد آثر الدكتور الشحات أبو ستيت هذه التسمية، ينظر : دراسات منهجية في علم البديع : ٢٥٥.

تمثل هذه الآية أنموذجاً لاجتماعِ عددٍ من المظاهرِ البديعية مما يُضفي تفرداً أسلوبياً يُخاطبُ القلوب والعقول معاً، ويرسخُ في النفس التأثير التلقائي المباشر بتراكيبها وصورها البلاغية المتنوعة، فالليلُ والنهار آيتان من آيات اللهِ يحصل بوجودها الضوء والظلام فكأنه يُريد الدلالة على (الشمس والقمر) بهما يتم الإبصارُ وبعدمهِ أي : محوها ينطمسُ الضوءُ؛ لذا جاءت الإضافة في الآيتين للدلالة على التبيينن كإضافة العدد إلى المعدودِ[١]، فظاهر السياق القرآني يوحي بقوله : (فمحونا الآية التي هي الليل، وجعلنا الآية التي هي النهار مُبصِرة).

وأول ما نلحظهُ من مظاهر البديع فيها أسلوبُ الطباقِ والجمع بين الألفاظِ المتضادّةِ في لفظتي (الليل) و(النهار)، مما حقق علاقة التكافؤ القائمة على التقابلِ في المعاني، والعنصرُ الجمالي في الطباقِ هو ما فيه من التلاؤم الواضح بينهُ وبينَ تداعي الأفكار في الأذهان، باعتبار أنّ المتضاداتِ أقربُ تخاطراً إلى الأذهانِ من المتشابهاتِ والمتخالفاتِ.

ومن مظاهر البديع في النصِ، إبانتهُ أن الليلَ والنهارَ قد اجتمعا بوصفهما آيتين من آيات الله –عزَّ وجلَّ– في الكون، وهذا هو وجهُ (الاجتماعِ)، أما وجهُ (التفريقِ) فيبرزُ في دلالةِ آية الليلِ على المحوَّ، أي : إزالةُ سببِ رؤية ذوي الأبصار، أي : آيةُ الايجادِ سببِ رؤية ذوي الأبصار للأشياء.

ومن المظاهر الأسلوبيةِ الدالةِ على البديعِ في هذا النص (اللفُّ والنشر) يظهر أثرُ أسلوبِ اللفِّ في ذكر المتعدداتِ التي يتعلقُ بكلٍّ واحدٍ منها أمرٌ لاحقٌ والذي يُشارَ إليهِ أولاً في قوله تعالى : (الليل والنهار) ففي ذكرهما مجتمعينِ معاً ترقُبٌ للمُرادِ بالإشارةِ إليهِ، أما أسلوبُ النشر فأثرهُ هو دلالتهُ على ما يأتي لاحقاً لتأكيد وتوضيح وبيان ما هو مقصودٌ من التراكيب لغرضِ الدلالةِ عليهِ في قوله تعالى : ⚘✇♐♏♑☝♦▭⬀☝♦⬄⬈❑✂☎ ▫♦♑⇳☒⌖ 👌♓♑♊
❻▪📪■♒📄⬈🏳⬄ ❐◆✇♑☝♦➔⬋💾■☺⬅❐✂☎ ⬉♦⑨⬔⑩⬔
✂👓✇○♌⬀☪♑✓✗♦ ❐◆✂👓💻⬂♦♑○❁👓✇⌘ 🗐

---

(١) ينظر : روح المعاني : ٢٦/١٥.

﴿⬥⌧⑩⬁⏲⬂▦⬩✍ ⬅❍⏲❑✡▫◘⬤⏲⬩▫ 🕮⬈⬄⌀⌧★ ❑⬂➔🗎◆❑﴾ [الإسراء:١٢].

فالنشرُ في بيانِ الحكمةِ من النهارِ، وهي أن يبتغي الناسُ أرزاقهم وحاجاتهم من فضل اللهِ، وفي بيانِ الحكمةِ من التعاقبِ بين الليل والنهارِ، وهي أن يعلمَ الناسُ عد السنين والحساب، عن طريقِ ما يجري فيهما من تغيراتٍ سببها حركةُ الأرض حول نفسها وحولَ الشمس، بإشارةِ قوله تعالى : ﴿❑◆◉⬂✍☺◆➔◘■☺⬅❑✂☎ ⬁⑨⬁⑩⬁ ✂⬂◉⬂❍⬁⬅⬆✓✗◆ ❑◆✂⬂⬂❍✿⬆◆⬂▭⬂⌘﴾[الإسراء:١٢]))، وفي سورة الجاثية يرسمُ التعبير القرآني صورةً من صورِ استقبال المشركين للدعوةِ الإسلامية، وتعبر عن الطريقةِ التي يسلكونها في مواجهةِ حقيقتها وما جاءت به من الآياتِ والبراهين، حين نرى فريقاً من الناسِ يقابلون دعوة الرُّسلِ بالسُخريةِ والإصرارِ على الضلالةِ بعنادهم واستكبارهم في قوله تعالى : ﴿❑◆③⬂⬂◆ ◉⬂⬂🗎⬈⬂♏⬂

🕮❑▫⬆⬂⬂✋☹ 🕮❑⬁⬁⑩⬁ ⬂⬂⬂ ③◆❍⬄☺◆⬈⬅
⬈◆✂③◆⏲✱⬂ ✂⬂✏★ ✍⬂☝⬂✍■❼🗐 ⬁◆◘⬤⬂❍⬂
⬁➔☠▪ ③⬁⬂⬁❸⑩ ✌⬁❍⬄☝◆🗎⬁⬂⬂❸⬂✂ ⬂⬂☎❑♌
⬂✋⬁⬄ ④❑❍⬄☺⬁➔⬁♑⬁⬂ ☎ ▫⬩⌛◆⌑♏⬁❸⬂■⬅
⬂⬂➔⬁❍⬁⌧✂☹✌ 🕮❑◉⬂⬂⬈☹✋ ⬂⬂⬁ ❑◆⬂⬂❶⬩✂
⬂◆■⌘☠⌘ ✌⬂♊⇳ ⬈◆✂③◆⏲☛⬂⬂◆⬂ ✋⌧❍⬂★⏲⬂
✂⬂✌✦③⬩❍⌧♎⬁⬂ ♎➔❽⬇❑⏲✂ 🗐
🕮⬆❑⬂◉⬂⏲✱⬂⌀⌨⬁ ⬂❍●⬅☠⬀ ⬉◆❍⌧✂☹⌀

✌⑩♑⬂✓✗⋖﴾ [الجاثية:٧ – ٩]، جمعت الآية الكريمة صفاتٍ سيئةً يستحقُّ صاحبُها العذابَ المهين(١)، حين ابتدأت بالتهديد والوعيدِ لكُلِّ متخلِّق بها ((والآيةُ عامةٌ في كُلِّ ما كان مُضَارّاً لدين اللهِ))(٢)، فقد ناسبَ أسلوبَ التهديد والوعيد إيثار

---

(١) قيل أن سبب نزولها في النضر بن الحارث وهو من شياطين قريش، وقف في سبيل الدعوة، وناوأها أشدَّ المناوأة، وكان يزعم أنه قادر على أن يأتي بمثلِ ما جاء به سيدنا محمد ﷺ كمّا كان يشتري أساطير الفرسِ، ويشغل الناس بها عن الدعوة وما جاءت به، ينظر : الكشّاف : ١٨٦/٤.

(٢) الكشّاف : ٤ / ١٨٧.

لفظ (ويل) تعجيلاً وتقوية في التأكيد على الإنذارِ، وقيل أن (الويل)[1] وادٍ في جهنم أُريد به من قال الله –تعالى– ذلك فيه واستحقَّ مَقراً من النارِ وثبت له كقولهِ تعالى : ﴿▫♦□◆③✍⮜ ⚗⅄♑←☠ ✍✋♓ⴰ☺●〰 🗎•✌♦⌛♦*💣⇕ 🕮□③✍⑨ⴰ③♑🙵☠⬀ □◆□◆③✍⮜ ⚗⅄♑←☠ ✍✋♓ⴰ☺●〰 ③♦▤⬂○⮛⌨⬅□♌♦﴾ [البقرة: ٧٩].

وقد قَرَن هذا العذاب أي الويل بكُلِّ ((أفّاكٍ : كذّاب، أثيم : متبالغ في اقترافِ الآثامِ))[2]، مؤثراً تقديم الإفكِ على الإثم؛ لأن الأول سببٌ للآخرِ، ثم يسترسلُ بدقةٍ وبلاغةٍ عجيبةٍ في تفريقِ ما أجتمعَ من صفاتٍ عامةٍ بذكرِ حالِ هذا الأثيم إذ إنهُ رغم سماعهِ آياتِ اللهِ تتلى عليهِ، فإنه مُصِرٌ مستكبرٌ والأصلُ في صيغة الفعلِ (يُصرّ) ((من إصرار الحمارِ على العانةِ[3] وهو أن يُنحِى عليها صاراً أذنيهِ))[4]، مستكبراً يوحي استكبارهُ بتعمدِ الصرِّ، وقد ذكر الزمخشري أن دلالة (ثُمَّ) في قولهِ : ﴿⚐➔☠▪ ③⬉⮘⮛❸⑩ ✌⬉○⬄✍♦▤⬂⚗⮰❸☪✁﴾ هي إفادة التأكيد على الإصرارِ في الاستكبارِ على الرغم من سماعِ ما يُتلى عليهِ من آياتِ اللهِ، وكان من الحقِّ والعدلِ أن يركن إليها لا يبتعد عنها ((وهو إستجابة عكسية لهذا المثير النفسي الذي يدعوهم إلى الحقِّ، وتأبى نفوسهم الخاوية إلاَّ الاستكبار المتكلف الذي يجهدون أنفسهم فيه لمقاومة الإعجاز التأثيري لآيات القرآن))[5]، فصفةُ الإصرار ثم الاستكبارِ يأتي بعدها السخرية والاستهزاء بها في قوله تعالى : ﴿✍⊠☎□♌ ⚗⅄⚐⬄ ④□○⬄☺⮹➔⬀♑⮹〰﴾ وقوله تعالى : ﴿✁〰✌✦③•⓿⊠⮹⚖⮹〰 ⚖➔❽⏲↓□⏲✁﴾ فقد جَمَعَ صفات الإفك والأثمِ والإصرار والاستكبار والاستهزاء والسخرية ((وناسبَ هذا الجمع أن يأتي بعده

(١) يُنظر : المفردات في غريب القرآن : ٥٥٠.

(٢) الكشاف : ٤ / ١٨٦.

(٣) المراد بالعانة هنا : الأتان.

(٤) الكشّاف : ٤ / ١٨٦.

(٥) سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية : ٣٥١.

التهديد والوعيد على سبيل الجمعِ أيضاً))[1]، فجمع به الإفراد رداً للكلامِ على معنى الكُلِّ، مُفرقاً كل صفةٍ للإشارةِ إلى منزلتها من العذابِ بقولهِ تعالى : ﴿⌂•♦⌛♦⌑♏⇖❸⬀■← ✇⊠⓿⍓➔⊗✂☮✌ 🕮□◉☜♐⬈☹🖰﴾ [الجاثية:٨]، وقوله تعالى : ﴿🕮⬆□♁◉☜♦◷✵⟐✍⌨⍓ ▭○●←☠⬀ ♦⓿⊠✂☮✍♎⓾♑⊗✓✗⋖﴾ [الجاثية:٩].

وقد آثر التعبير القرآني اسم الإشارة (أولئك)؛ ليكسب السياق دلالة الشمولية فقد أشار بهذا الاسم إلى كُلِّ أفاكٍ أثيم لتضمّنه معنى (الأفّاكية) جميعاً[2].

ومن هنا تجب الإشارةِ إلى أن القرآن الكريم مليءٌ بمظاهرِ الجمعِ مع التفريقِ التي تحتاج إلى دراسة مستقلة تبحث في ميدانها الأدائي وتأثيرها الأسلوبي بشكل تفصيلي.

---

(١) المصدر نفسه : ٣٥٢.

(٢) ينظر : الكشاف : ١٨٨/٤.

المبحث السادس : أُسلوبُ اللَّفِّ والنَّشر :

أولاً : مفهوم اللَّفِّ في اللغة والاصطلاح :

اللّف أو الطيّ في اللغة :

اللَّفُّ نقيضُ النَّشر، يدلّ معناهما على الجمع والتفريق، فاللَّفُّ مصدر ((لفَّ الشّيء يلفُّهُ لفّاً، أي جَمَعَهُ، واللَّفُّ: الصّنف من الناسِ، والحزب والطائفة من الالتفاف، وجمعُهُ ألفافٌ؛ والتَفَّ الشيء : تجمَّع وتكاثف))[1]، وجاء في الصحاح أنَّ اللفِيف ما اجتمع من الناس من قبائل شتى، وباب من العربية يُقال له اللفِيفُ؛ لاجتماع الحرفين المعتلّين في ثُلاثيهِ، نحو دَوِيٍّ وحَيِيٍّ[2]، جاء في التنزيل العزيز: (وجناتٍ ألفافاً)، قال الزجّاج : ((أي وبساتين مُلتفَّة، والتفاف النبت : كثرتُهُ))[3].

ونظيره الطّيُّ، يُقال : اطوِ لنا الأرض، أي قرِّبها لنا وسهل السير فيها حتى لا تطول علينا، فكأنّها قد طُويت، وفي الحديث : أنَّ الأرضَ تُطوى بالليل ما لا تُطوى بالنهار، أي تُقطعُ مسافتها؛ لأن الإنسان فيه أنشط منه في النهار وأقدرُ على السير[4]، ومعنى ذلك يدل أنه نقيض النَّشر؛ لأن دلالة النَّشر هي البسطُ والتفريق ضد الطَّيِّ.

*** أما المفهوم الاصطلاحي :**

فقد ذكر القزويني اللَّفّ والنّشْر بأنه ((ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكُلِّ واحدٍ من غير تعيين ثقةً بأنَّ السامع يردُّه إليهِ))[5] أما ابن حجة الحموي فأورد قائلاً : ((الطيُّ والنشرُ هو أن تذكر شيئين فصاعداً إما تفصيلاً فتنص على كلِّ واحدٍ منهما، وإما إجمالاً فتأتي بلفظٍ واحدٍ يشتمل على متعددٍ، وتفوض إلى العقل ردَّ كُلّ واحدٍ إلى ما يليق به؛ لأنك لا تحتاج إلى أن تنصّ على ذلك))[6]، وأدرج السكاكي هذه المظهر الأسلوبي تحت القسم الأول من أقسام البديع،

---

(١) لسان العرب : مادة (لَفَفَ).

(٢) ينظر : الصحاح : مادة (لَفَفَ).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (الزجّاج) : ٢١٢/٥.

(٤) ينظر : لسان العرب : مادة (نَشَرَ)

(٥) الإيضاح : ٢٦٨/٢، التلخيص : ٣٦١.

(٦) خزانة الأدب (الحموي) : ١ / ١٤٩.

وهو القسم المعنوي وحدّهُ بقولهِ : ((هما أن تلفَّ بين شيئين في الذكرِ، ثم تتبعهما كلاماً مشتملاً على متعلقٍ بواحدٍ وبآخر من غير تعيين، ثقةً بأن السامع يردُّ كُلاً منهما إلى ما هو لهُ))[1]، وبذلك ضمَّن تعريفه قيداً يُخرج فيه ما كان مُعيناً، والذي ترجوه الدراسة هو تركُ التعيين من أجل الوثوقِ بأن السامع يردّ إلى كل ما هو لهُ بناءً على القرينةِ[2].

وجاء في الطراز أن ((ذكرَ الشيئين على جهة الاجتماعِ مطلقين عن التقييد، ثم يوفى بما يليقُ بكل واحدٍ منهما اتكالاً على أن السامع، لوضوح الحال يُردّ إلى كُلِّ واحدٍ منهما ما يليق به))[3] هو من باب الطيِّ والنشرِ أو اللَّفِّ والنشر.

وقد عرّفه أكثر من باحثٍ مُعاصرٍ بأنه ذُكرُ أشياء عدّة على التفصيل أو الإجمالِ، ثم ذكر ما يناسب كل واحدٍ، وما يتصل به من غير تعيين، اعتماداً على فهم المتلقي وعلمه بالقرائن اللفظية أو المعنوية[4]، فلا تخرج الدلالة الاصطلاحية الحديثة عن مفهوم القدماء وبذلك يُظهر أسلوب اللّفِّ عملية الجمع بين دلالات متفرقة، وبسطها عن طريق علاقات النشر وفقاً لروابط خفية تحرك المتلقي بإثارته محاولاً الكشف عن طبيعة تلك الروابط وكيفية تشكيلها في التعبير القرآني بإعادة كل عنصر من عناصر المظهر البديعي إلى مدلوله المتضمن جزئيات إجمالية وتفصيلية؛ ليتحدد بعد ذلك أثر بنية هذه الظاهرة الأسلوبية، وقيمتها اللغوية في الصياغة القرآنية، ومعنى ذلك أن القيمة الأسلوبية لـ(اللَّفِّ) تتحدد بذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال، أما (النشر) فيمكن تحديد قيمته الأسلوبية بذكر ما يناسب كل واحد من المتقدم وما يتصل به من غير تعيين، ثقةً بأن المتلقي سيردّ كل واحدٍ إلى ما يليق به، ويناسبهُ لوضوح الحال، وسبب تسمية هذا اللون من البديع باسم (اللَّفِّ والنشر) أن المتعدد المذكور على التفصيل أو الإجمالِ انطوى في حكمهِ؛ لأنه

---

(١) مفتاح العلوم : ٥٣٤.

(٢) ينظر : خزانة الأدب (الحموي) : ١ / ١٤٩.

(٣) الطراز : ٢ / ٤٠٤، وينظر : نهاية الأرب : ١٠٧/٧.

(٤) ينظر : البديع في ضوء أساليب القرآن : ٨٨، وعلم البديع : (د. عبد العزيز عتيق) : ١٧٥، والبديع، دراسة في البنية والدلالة : ١١٩، والبديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١١٧.

اشتمل عليه من غير تصريح به، فسُمي لذلك بـ (اللّفّ) أو (الطيّ)، فلما صَرَح بعد ذلك بالحكم المطوي، كان كأنه نشرٌ وإبرازٌ لما كان فيه؛ لذا سُمي بالنشر[1].

تأمل قولهُ تبارك وتعالى في سورة المائدة : ﴿[illegible]﴾ [المائدة:٣٣][*].

ذُكر في الآية متعدد على جهةِ الإجمال في قولهِ تعالى : ﴿[illegible]﴾ فمحاربة المسلمين في حكم محاربة الله ورسولهِ، إذ إن المحاربة تشمل القتل أو أخذ المال أو الإخافة أو الجمع بين القتل وأخذ الأموال، أو بين أخذِ الأموالِ والإخافة، فأجملَ كل ذلك في قولهِ تعالى : ﴿[illegible]﴾، ثم جاء النشرُ بقولهِ: ﴿[illegible]﴾، إذا كانت المحاربة قتالاً فقط، ﴿[illegible]﴾، أي مع التقتيل إذا جمعوا في المحاربة بين القتل وأخذ المالِ، ﴿[illegible]﴾، إذا جمعوا بين أخذ الأموال والإخافة، ﴿[illegible]﴾ إذا كانت المحاربة إخافة فقط[2]، لذا فقد جمعت الآية

---

(١) ينظر : علم البديع (د. عبد العزيز عتيق) : ١٧٥، البديع دراسة في البنية والدلالة : ١١٩.

(*) نزلت هذه الآية في قوم هلال بن عويمر، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهدٌ، وهو في سبيله إلى فتح مكة على ألاّ يكونوا معه أو عليه؛ حتى يتفرغ لفتحها، فنقضوا عهدهم، فأوحى الله تعالى إلى رسوله هذا الحكم القاطع في أمرهم، ينظر : الكشّاف : ٢٥/٢.

(٢) ينظر : المكان نفسه.

عناصر دلالية إجمالية تمثلت في لفِّ الحكم الشرعي بمعانٍ خفية تثير في نفس المتلقي عامل الإعادة في إحالة كل عنصر إلى ما يفصله تصريحاً بذكرِهِ الدال عليه والمقابل لهُ، ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الآتي :

عناصر اللَّفِّ		عناصر النّشر
القتل	←	القتل
أخذ المال	←	قطع اليد
الإخافة	←	النفي من الأرض
إخافة السبيل	←	قطع الرجل
القتل + أخذ المال	←	قتل وصُلِب

يرتكز هذا الفن على ظاهرة المصاحبة المعجمية حيث نلمحُ فيه زيادةً على السبك المعجمي ((أن كل مفردة من المفردات الملفوفة، لها ما يتصاحب معها من المفردات المنشورة، والأخيرة تأتي على ترتيب المفردات الملفوفة تارةً، وعلى غير ترتيبها تارةً أخرى))[1]، وبذلك تُثرى الدلالة بما تحمله من إمكانيات تعبيرية تتعالق معاً لتكثيف الصورة وردّ كل جهة منها إلى دلالته المقابلة.

ثانياً : أنماط اللَّفِّ والنشر :

وبناءً على بنية اللف والنشر المذكورة يمكننا تقسيمُ هذا اللون إلى ضربين رئيسين هما :

الضرب الأول : اللَّفِّ والنَّشر التفصيلي :

وهو أن يكون المتعدد مذكوراً على جهة التفصيل وهو نوعان :

أحدهما : أن يكون النشرُ على ترتيب اللَّفِّ : بأن يكون الأول من المتعدد في النشر للأول من المتعدد في اللّف، والثاني للثاني وهكذا، وهذا النوعُ هو الأكثر وروداً وشهرةً في هذا الفن البديعي، ويسمى مظهره (اللَّفُّ والنّشر المرتب)، ومثالهُ في القرآن الكريم قولهُ تعالى : ﴿ ⌛♉❍♉✌⌂☺⇧❍▪❻ ♊♉✍◆❒
•⬂⬁⓿⅄♌◉♈✃ ↓✉↗▤♦♌◉ •⬂⌂➔⌂♉
♉❍⑩♉▫ ☎✃❑⬉☪↗▤⬄❍❑☹♉♌◉ ◆❻♈⌂♑❑✡♌◉♈✃◆❑

[1] البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١١٨.

⌚ᘔ📖ᘔ✂⇕ᘔ⬧▫ ♊ᘔ✍ ☎✂❑➚⬄⧫☝⬀▬⧫☝ᘔ⚇◉◆❑
﴿❑◆◉⚇⬧➔⊠⬛✴▤➚📨⬀ ✍■⌖⇕▤➚❷⬉❑ℓ⧫﴾ [القصص:٧٣].

فالآية ذكرت متعدداً على جهة التفصيل بواو العطف، وهو (الليل والنهار)، اللذان يشكلان طرفي اللّف الزمنيين المردفين بفعلي النشر الحركيين بدون تعيين في قوله : ﴿ᘔ⚇ᘔ☺❑○⬄▤➚☆⬉❑✂☎ ▫ᘔ⓾○ᘔ﴾

﴿❑◆◉⚇ᘔ☝⧫▬⬀☝⧫⬄➚❑✂☎ ✍ᘔ♊ ▫⬧ᘔ⇕✂ᘔ📖ᘔ⌚﴾ فجمعَ أولاً بين الليل والنهار بواو العطف، ثم أضاف لكل واحدٍ منهما ما يليق به فأضاف السكونَ إلى الليلِ، من جهة أنَّ تصرفُ الخلقِ يقلُّ ليلاً لأجلِ ما يعتريهم من النوم، أما قوله تعالى : ﴿❑◆◉⚇ᘔ☝⧫▬⬀☝⧫⬄➚❑✂☎ ✍ᘔ♊ ▫⬧ᘔ⇕✂ᘔ📖ᘔ⌚﴾، فقد أضافهُ إلى النهارِ؛ لأن ابتغاءِ الأرزاقِ إنما يكونُ نهاراً بالتصرفِ والاضطراب، واكتفى في البيانِ والتفصيل بما يظهر من قرينةِ الحالِ في معرفةِ حُكمِ كل واحدٍ منهما[1]؛ ليتبين أن لكلٍّ من الليل والنهار على الترتيبِ ما يليقُ بهِ ويناسبهُ، من دون تعيين أو تحديد اعتماداً على أن المتلقي يردّ كُل واحدٍ إلى ما يليقُ به، لوضوح دلالته وتقدم كل مقابل لطرفه الدلالي المقابل له.

قال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) : ((زاوجَ بين الليل والنهار لأغراضٍ ثلاثة : لتسكنوا في أحدهما وهو الليل، ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار، ولإرادة شكركم، وقد سُلكت بهذه الآية طريقة اللّف في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء؛ إيذاناً بأن لا شيءَ أجلبُ لغضب الله من الإشراك به، كما لا شيء أدخلُ في مرضاتهِ من توحيده))[2] وختم الآية بقوله : ﴿❑◆◉⚇⬧➔⊠⬛✴▤➚📨⬀ ✍■⌖⇕▤➚❷⬉❑ℓ⧫﴾ دلالة على عدم محدودية عبادة الشكر وإطلاقها في كل وقت من هذه الأوقات، ومنه قوله تبارك وتعالى : ﴿❑◆⬧⬧ ✍❑♑⬂➔⊠✍⬀ ③⧫⑨⊠🖱⊠ ✍⧫⬄⬂⬛➔❑✏⬧🕯⌚ ◗ᘔ💾■❼📄 ⬉⬉☆⬉◗⚸⌨⊠ ❑◆⬧⬧ ✍⬧⌛⬀○❶⬭⇕♑⊠✍ ⬉✍➚✍❑ ✂✍⚇◉⬂⌛○⬄❶⬉﴾

---

(١) ينظر : الطراز : ٢ / ٤٠٤.

(٢) الكشّاف : ٣ / ٤٦٥.

◘♦☜♦◗⬂➔⬉⑨⌺ ✌♦◘➔❑✌✡🙵 ✍⊙♦⬂○⓿❑❻⑦✁﴾

[الإسراء:٢٩].

يُرسي التعبير القرآني قاعدة كبرى للتوازن الاقتصادي ترتقي بحياة الفرد في المجتمع الإسلامي إلى الانضباط من خلال جعل مبدأ التوسط والاعتدال في الإنفاق أساساً في عملية تنظيم مصالح الخلق، ومعياراً من معايير ترشيد السلوك وحسن التصرف والتدبير، فقد حملت الآية نهياً واضحاً عن مجاوزة الحدِّ في النفقة إفراطاً وتفريطاً في جملة واحدة ملفوفة أجملت الغلو والتضييق بين طرفين متضادين، الطرف الأول في قوله : ﴿❑◆•• ✌❑♑⬂➔⌺🙵⬀ ③♦⑨⌺🖰⌧ ✌♦⇔⬂◘➔❑✏♦♁◔ ◑⚟⍓■❼▤ ⬉⬉☪⬉◑✍⌨⌺﴾، أي : لا تمسك عن الإنفاق لدرجة الشحّ والبخل بأن تكون يدك مشدودة إلى عنقك فتمنع ذوي الحقوق حقوقهم؛ فـ((الشحّ مفسدة للمحاويج ولصاحب المال إذ يجرّ إليه كراهية الناس إياه وكراهيته إياهم))(١)، والعلاقة السياقية التي يدركها المتلقي في هذا الطرف علاقة مناسبة للمنع وضيق اليدِّ وهي الملامة، فالملوم راجع بطريقة النشر المرتب إلى النهي الأول المقصود به الشحّ، أما الطرف الثاني المقابل له فيتمثل بقوله تعالى : ﴿❑◆•• ✍♦⌛⬀○⓿⮌⇳♑⌺🙵 ✌❑⬈⬀ ✁🙵◙⬂⌛♦○⇔⓿⬁﴾،

اي : لا تبذر ولا تسرف حدّ الندامة والحسرة، فالمحسور يرجع إلى النهي الثاني المراد به التبذير، ((وكلا النهيين جوابٌ موزعٌ بطريقة النشر المرتب))(٢) وجاء سياق النهي في الآية على سبيل التمثيل والتصوير؛ لـ((يرسم البخل يداً مغلولة إلى العنق، ويرسم الإسراف يداً مبسوطةً كلَّ البسط لا تمسك شيئاً))(٣)، وكلا الحالين نهاية مرفوضة مُقيدة بقعدة كقعدة الملوم المحسور.

ومنهُ قوله تعالى : ﴿🕮❑◙⬀☠⬀ ⑥♦♑✍⑨⇳🖰⌧

③♦☺⑩☺✞🙵 ◘♦★♦🙵❑♦❽▤ ✍⚢⬉ ❑♦❑♦⌶⌺⑨⌺🖰⌧
➬✾🙵✏♦” ◘♦♑⌺⑨⌺❽▤ ✍⚢⬉ ❑♦❑♦⌶⌺⑨⌺🖰⌧
⬂♦🔔✏★✌⌧✙ ◘♦♁❑⬊⬂♉❑✌▤ ✍⚢⬉ ◘♦♁❑✌❑🙵

(١) التحرير والتنوير : ٨٤/١٥.

(٢) المصدر نفسه : ٨٥/١٥.

(٣) في ظلال القرآن : مج ٤، ج ١٥، ص ٢٢٢٣ .

⭾𝒮⬀ ⬀❷◻♑⬂☽⬧✍ ⬧⌧⬧◻ ⌘⚐⑩♉☺◆⑩⬂⭗✍✂
⬀❷◻⚭⬀❁⬧✍ ⬧⌧⬧◻ ⬧⬁⬁★✏✍○○⭗✍✂ ✍◻✎◻🕮◆◻
◻⌨⬁■⬂◆❻ ♉◻◻☺⬀➔♉☪⬁⬂ ✍◻✎◻🕮◆◻ ⭾⬁⬀⬀
⬧◻◻⑨◻♎♉♈⇳⬗ ﴾ [الضحى:٦ – ١١]، في الآية نشرٌ على ترتيب اللَّفِّ يمكن تمثيلهُ بالآتي :

(النَّشر على ترتيب اللَّفِّ)

مكونات بنية اللَّفِّ		**مكونات بنية النَّشر**
أولاً : (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى)	تقابل ⟵	(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ)
ثانياً : (وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى)	تقابل ⟵	(وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ)
ثالثاً : (وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى)	تقابل ⟵	(وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)

فاللَّفُّ المفصل في قوله تعالى ﴿🕮◻⭗⬧☠⬀ ❻⬧♑✐⑨⇳🖰⌧
③◆☺♉⑩☺✞✍ ⬧★◆✍◻◆❽▤ ⬀♉⬂ ◻◆◻◆♊◻⑨◻🖰⌧
⬂❁✍✏⬧” ⬧◻♑◻⑨◻❽▤ ⬀𝒮⬂ ◻◆◻◆♊◻⑨◻🖰⌧
⬂◆🔔✏★⬁⌧✙ ⬧◻⬧◻⬊⬂♉◻⬁▤﴾ [الضحى : ٦ – ٨]، والنشر في قوله تعالى ﴿◻⬧◻✎◻✍ ✂✍⭗⬂⑩◆☺♉⑩⚐⌘ ◻⬧⌧⬧
⬧✍☽⬂♑◻❷⬀ ⬀𝒮⬂ ◻◆🕮◻✎◻✍ ✂✍⭗○○✍✏★⬁⬁⬧
◻⬧⌧⬧ ✍⬧❁⬀⚭◻❷⬀ ⬀⬀⬁⬂ ◻◆🕮◻✎◻✍
⬁⬂☪♉➔⬀☺◻◻♉ ❻◆⬂■⬁⌨◻ ◻⬧◻⑨◻♎♉♈⇳﴾ [الضحى : ٩ – ١١] وذلك؛ لأن قولهُ تعالى : ﴿◻⬧◻✎◻✍
✂✍⭗⬂⑩◆☺♉⑩⚐⌘ ◻⬧⌧⬧ ✍⬧☽⬂♑◻❷⬀﴾ راجعٌ إلى قوله تعالى : ﴿🕮◻⭗⬧☠⬀ ❻⬧♑✐⑨⇳🖰⌧ ③◆☺♉⑩☺✞✍
وقوله تعالى : ﴿◻⬧★◆✍◻◆❽▤﴾ ﴿◻◆🕮◻✎◻✍
✂✍⭗○○✍✏★⬁⬁⬧ ◻⬧⌧⬧ ✍⬧❁⬀⚭◻❷⬀﴾ راجعٌ إلى قولهِ تعالى : ﴿◻◆◻◆♊◻⑨◻🖰⌧ ⬂❁✍✏⬧” ◻⬧♑◻⑨◻❽▤﴾، إذا كان المراد بالسائل هنا –على حدِّ قول بعض المفسرين[1]– هو (طالب العلمِ)، وقولهُ تعالى: ﴿◻◆🕮◻✎◻✍ ⬁⬂☪♉➔⬀☺◻◻♉ ❻◆⬂■⬁⌨◻

---

(١) ينظر : روح المعاني : ١٦٤/٣٠.

⌧☝⍓⑨⍓♊◆❒◆❒ ﴿ راجعٌ إلى قولهِ تعالى : ﴿⇳♈♉♎⑨⍓⬤♦▫ ﴾ ⍓⑨◆⍓♊☝⌧

⇲◆⍓♈✶🖉✇⌧⌖ ▫♦🕯❒⬊⬁♉❒✇🗐﴾، أما إذا كانت دلالة السائل هي (طالب المال)، فالنشر حينئذ يكون على غير ترتيب اللَّفِّ وكالآتي :

(النَّشر على غير ترتيب اللَّفِّ)

(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ) ← يقابل ← (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى)

(وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ) ← يقابل ← (وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى)

(وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) ← يقابل ← (وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى)

وبناءً على ما سبق يتضحُ لنا التصاحبُ الدقيق في المفرداتِ حيث نلاحظُ السبك المعجمي بين كل مفردة من المفردات الملفوفة وما يتصاحبُ معها من المفردات المنشورة، الناتج من إجراء لفِّ التعبيرين المتقابلين دلالياً بطريقة اللَّفِّ والنشر المرتب.

ثانيهما : أن يأتي النَّشر على غيرِ ترتيبِ اللَّفِّ :

ويسمى مظهره (اللَّفُّ والنَّشر المشوش)، كقوله تعالى: ﴿③◆❒⬀⛿◆
⮜■❒⬉♉⬉❒ ♋⑩◆❒⬄❍■✍◆❒ ⮜■❒⬉♉⬉❒ ❺⮙◆⓿⬀▭♦✍
⇳☠❒⑩◆❒⬄♋✍✂ ◆✖⬄♎🔔⮝🖉✍✂ ✍❒✍❒🕯♦▫ 🗐
⍓⑨⬃➔♦📬 ☹⬈■⬀❷⌧▦⌧✍❒📖 ⬀☠←♑➔♎❒⬉♉⬉❒
☎✂❒➔🔔❒⬈⓿♦▫ ⬀☠⬈▥♎✡🕓⍓☺③♐☽
⬃☹⬈⬇☪⬈✍ ✍⍓☺♐📬 ⌘☹✂⌧⓿⍓➔⬂🕯✍✂
✍❒✍❒📖◆❒ ⬖⬗⬘♎⬙ ◆♌❒⬉❷➔▦⬁▤♦✍
⬀☠←♑➔♎❒⬉♉⬉❒ ⇳💣·♎◆⓿⬀📬✍✂ ◆✖⬄♎🔔⮝🖉✍✂
✍❒&❸♎▫ ⬀☠➔♎ ★🖉✍✂ ♎❒◆✎⬃❒◆❻ ❼⬀✂♦▫
⌘⍓🕓✂♐✍➔❒♌◆﴾ [آل عمران:١٠٦ – ١٠٧].

	عناصر اللَّفِّ هي :		**عناصر النَّشر هي :**
تقابل	١– يوم تبيضّ وجوه ٢– يوم تسودّ وجوه	⤨	١– فأما الذين اسودّت وجوههم ٢– وأما الذين ابيضّت وجوههم	تقابل

فالعنصر الأول من اللّفِّ يوافق ويوازي ما جاء في العنصر الثاني من النشر، والعنصر الثاني من اللّفِّ يوافق ويوازي العنصر الأول من النشر مع ملاحظة التقابل الدلالي بين عناصر الطرفين.

قال البقاعي : ((بدأ بهم –أي بالذين اسودت وجوههم– لأن النشرَ المشوش أفصحُ، ولأن المقامَ للترهيب وزيادة النكاية لأهلِهِ))[1]. وهو بذلك يخالف الزمخشري والبيضاوي[2]، بذكره النشر المشوش، والغرض الذي سيق من أجلِهِ، ((وهذا مما لم نجدهُ عند قسم كبير من المفسرين))[3]، وجاء ذكر المتعدد مفصلاً في اللفِّ [illegible] حيث قدم البياضَ على السوادِ، ثم جاء النشر على غير ترتيب اللفِ (اسودت وجوههم) على (ابيضت وجوهُهم) فصار النشرُ على عكس ترتيبِ اللفّ؛ لأن سياق المعنى القرآني استدعى هذا التغيير في الترتيب.

وقد أكدت بعض المصادر الحديثة[4] أن كتب التفسير لم تنصّ على اللّفِ والنّشر المشوش، فهو من انفرادات البقاعي في تفسيره حيث خالف الزمخشري والبيضاوي في تفسير كثير من آياتِ اللَّفِّ والنشر كما في تفسيره قوله تعالى : [illegible] [آل عمران:١٤٨]. وهذه الآية من مخالفات البقاعي للزمخشري والبيضاوي، إذ بيّن البقاعي أنها على طريق اللَّفِّ والنشر المشوش[5].

ومن أمثلة هذا النوع قوله تبارك وتعالى : [illegible]

---

(١) نظم الدرّر : ٥ / ٢٢.

(٢) ينظر : الكشّاف : ١ / ٣٥١، أنوار التنزيل : ١ / ١٧٤.

(٣) النظم القرآني في تفسير نظم الدرر : ٣١٢.

(٤) ينظر : النظم القرآني في تفسير نظم الدرّر : ٣١٣.

(٥) ينظر : نظم الدرّر : ٥ / ٨٩، والنظم القرآني في تفسير نظم الدرّر : ٣١٣.

[هود:١٩-٢٤].

جيئ بالنشر في هذه الآية على ترتيب اللَّفِّ، مراعياً جمع لفظ (الفريقين) لكلِّ ما ذكر من أحوالٍ تخص المشركين والمؤمنين وما يؤول إليه مصيرهم يوم القيامة، وقد أحال التعبير القرآني على المتلقي مهمة الإعادة الدلالية والترتيب التدريجي، لأوصاف كل فريق وما يتعلق به؛ لذا جاء النشر مرتباً يتضمن المعاني الخفية المصورة بالتشبيه والتمثيل ما يقابل أحوال الفريقين كُلّ على حدة، وكما هو موضح بالمخطط الآتي :

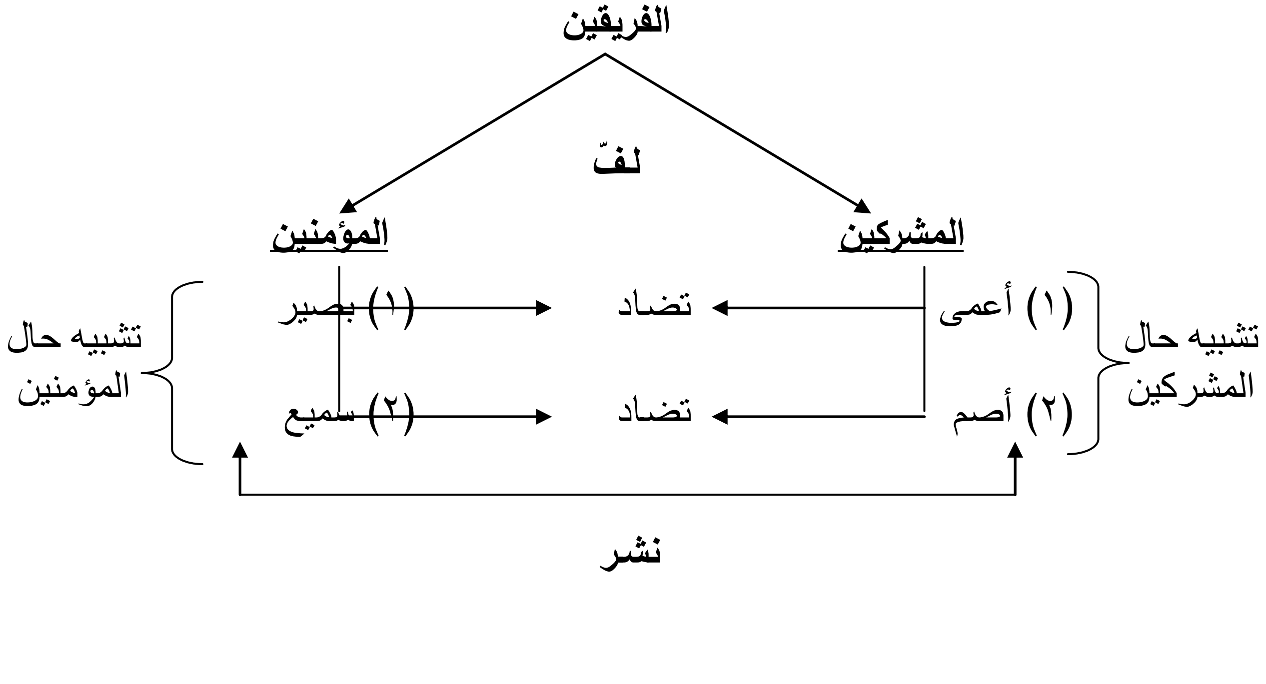

فَسَّرَ الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) الآية من باب (اللَّفِّ والطباقِ) على أنها من التشبيه وتابعهُ البيضاوي حتى في التسميات[1]، أما صاحب نظم الدُرّر فقال : ((ولما استوفى أوصاف الحزبين وأجزاءهم، ضَرَبَ للكلِّ مثلاً بقولهِ ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ أي الكافرين والمؤمنين، وهو من باب اللَّفِّ والنشر المرتب، فإن الكافر ذُكر فيما قبل أولاً كـ(الأعمى) –أي العام العمي– في بصره وبصيرته، (والأصم) في سمعه))[2]، أما حال المؤمن فمثّل له بالسميع والبصير على أتم أحوالهما، وبذا حدد البقاعي نوعَ اللَّفِّ والنشرِ في تفسيره؛ ((لأن المصطلح البلاغي البديعي في عهده كان أكثرُ نضجاً وأكثر تماسكاً حتى أنَّ القارئ ليجد أن مصطلحات علم البديع أشمل من غيرها وأوضح في قسمٍ كبيرٍ من التفاسير))[3] وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على أن ((هذه التفاسير متقدمةٌ، وقسمٌ كبيرٌ منها اهتم بالجوانب اللغوية، والشرعية، والتي اهتمت بالجوانب البلاغية لم تكن الصنعة البديعية واللفظية سائدة فيها في ذلك العصر))[4].

الضرب الثاني : اللَّفِّ والنّشر الإجمالي :

هو أن يكون المتعدد مذكوراً على جهةِ الإجمالِ، وهذا النوع لا يقتضي ترتيباً أو عدم ترتيب؛ لأنَّ اللَّفِّ مجمل يبينهُ نشره الذي بعده وهذا ما أكده القزويني آخذاً من كلام الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)[5]، ومن أمثلته قولهِ تبارك وتعالى : ﴿[illegible]﴾ **[البقرة:١١١]**.

---

(١) ينظر : الكشّاف : ٢ / ٣٩٧، أنوار التنزيل : ١ / ٤٥٤.

(٢) نظم الدرر : ٩ / ٢٦٣.

(٣) ينظر : النظم القرآني في تفسير نظم الدّرر : ٣١٤.

(٤) النظم القرآني في تفسير نظم الدرّر : ٣١٤.

(٥) ينظر : الكشّاف : ١٦٣/١.

فإن الضمير في (قالوا) يرجعُ إلى أهل الكتابِ كلّهم من اليهودِ والنصارى بقرينة ما جاء بعده ﴿♌︎⧇◆·· ♊◆♌♎⌧♏♐ ♦♌♎♏➔◻⑩◷✂ 🕮◻❒⬀﴾ ، وهنا جاء ذكرُ الفريقين على وجهِ الإجمالِ، ثم ذكرَ ما لكلٍ منهما، والتقدير : وقالت اليهودُ : لن يدخل الجنةَ إلاَ من كان هوداً، وقالت النصارى : لن يدخل الجنةَ إلاَّ من كان نصارى وهو المعنى على النشر[1]، فلفَّ بين القولين إجمالاً؛ لوضوح المراد وعدم اللبس بقولهِ: (وقالوا)، والأصل: وقالت اليهودُ، وقالت النصارى، ثم ذكر النشر (هوداً أو نصارى) بدون تعيين؛ ثقةً بأن المتلقي يردُّ إلى كلِّ فريقٍ قوله، ((لما عُلِم من التعادي بين الفريقين، وتضليل كل واحدٍ منهما لصاحبهِ))[2] بدعوى أن داخل الجنة هو لا صاحبه ((وهذا القسم من اللَّفِّ والنشرِ لا يقتضي ترتيباً أو عدم ترتيب))[3].

ومن اللَّفِّ والنشر نوع لم يشر إليه الخطيب القزويني وذكره الزمخشري، يأتي فيه النشرُ فاصلاً بين أجزاءِ اللفّ كما في قوله تعالى : ﴿❒◆✌♊⇳

[illegible]

﴾ [الروم:٢٣]، فاللَّفُّ في قولهِ تعالى : ﴿[illegible]﴾ و﴿[illegible]﴾ والنشرُ في قولهِ تعالى: ﴿[illegible]﴾ ﴿[illegible]﴾، وهو فاصلٌ بين أجزاء اللفِ، وإلى ذلك أشار الزمخشري بقوله : ((هذا من باب اللَّفِّ وترتيبهِ : ومن آياتهِ منامكم وابتغاؤكم من فضلهِ بالليلِ والنهار، إلاَّ أنه فَصَل بين

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير: ٦٧٣/١.

(٢) الكشّاف : ١ / ١٦٣.

(٣) علم البديع (د. عبد العزيز عتيق) : ١٧٩.

القرينين الأوَّلَيَنِ بالقرينين الآخريين؛ لأنهما زمانان والزمان والواقع فيهِ كشيءٍ واحدٍ مع إعانة اللَّفِّ على الاتحادِ))[1].

تأمل قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ۝ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٨ – ٢٣٩].

جاء اللَّفُّ المجمل في هذه الآيةِ في قولهِ تعالى : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ خطاباً مجملاً للمؤمنين في حالة الحربِ، وبعده جيء بالنشرِ المفصل، في قوله تعالى : ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ أي : فالرجالُ يُصلَون رجالاً، والركبان منكم يُصلون رُكباناً على قدر استطاعة كُلِّ منهم[2]، فيبرز اللَّفُّ والنَّشرُ الأسلوبي الذي يُثير الفكر وينشّط العقل ويشوّق النفس نتيجة ذكر متعدد غير تام الفائدة، فإذا جاء النشر ظهرت الفائدة اعتماداً على القرائنِ مما يجعل المتلقي مشدوداً مُصغياً إلى الأسلوبِ متفاعلاً معهُ باحثاً عن أسرارهِ وأغواره حتى يثبت ويتأكد لديهِ، ما يحقّقهُ من قدرةٍ على ربطِ أجزاءِ الكلامِ بعضها ببعض، ويزيد من تلاحم عناصرهِ؛ نظراً لأنه مكون من طرفين كل منهما محتاجٌ إلى الآخر لتكتمل الفائدة ويتضح المراد، وهذا من أقوى الصلات بين أجزاء الكلام[3]، ثم يتجلى دور المتلقي في عملية الاتصال وإيجاد العلاقات الجامعة لأطراف العملية الإجمالية والتفصيلية، إذ ينبغي ردَّ كُلّ مفردة من المفردات المنشورة إلى ما يصاحبها من المفردات الملفوفة، فعلى أي أساسٍ سيؤدي المتلقي هذه المهمة؟

---

(١) الكشّاف : ٣ / ٥٠٥.

(٢) رجالاً : جمعُ (راجل) وهو الماشي على قدميه خلاف الراكب، ينظر : المفردات في غريب القرآن : ١٩٦.

(٣) ينظر : دراسات منهجية في علم البديع : ٢٣٠.

سيؤديها على أساسِ معرفتهِ بتصاحب اللفظِ مع اللفظِ دلالياً، إذن فالمصاحبة المعجمية ستوظف من قبل المتلقي في عملية الإحالة الدلالية، وعلى هذا الأساس يُصبح للمصاحبة المعجمية وظيفتان : السَّبك، ورد المنشور إلى الملفوف(١).

تأمل قوله الله عزَّ وجلَّ : ﴿❒◆✍♦♌ ✉♦⚐☒♌♦

☎✈❒↗♍✍♦♁ ♌❒🕮 ⚑♦☜◑ ⇔⚐←♑♦♍↗❒♦♁ ✍◆☪♦♍ ↗❷♉▦⬂⬊✍✈ ✍◆☪✸⚐◆❻ ☑❼☜✖ ✍❒✡♦▫✈◆❸⇔·☜◑◆❒ ✍❒✡♦⚐❒←☼➔❶ ✍❒✡♦✌✈⍓⑨⬂♁❒🕮 ⇕💣☜○⌛❒⚐◆❒ ✍♦☼▩❷⬂✌❒🕮 ♉✈↗❒♦◑⬂♍✍✈ ❼■✍♦⇖ ✍♦☼↗❷⓿🕓☼✍✈◆❒ ⇖☠←♑♍♦✍✍♦★♦▫ ⬂⬃⚘⚘ ♦✖⇦⚘❷♉▦🕓☒⌛⬂♍✍✈ ✍◆⓿⬃☼❻⑨♍✍✈ ⌘☹✈◆❒❒⚐ ✦✎✍✈

❒◆○⇖○⇔♊⌘ ⚐❒❒◆✈☹⚐ ✈✍⍓☞⌘⬁❷◆❒⚘﴾ [آل عمران: ١٤٧ - ١٤٨].

فقد جمعوا في دعائهم بين أمري الدنيا والآخرة وقدموا دعاء الآخرة بإضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم بقولهم : ﴿❻◆◆✸☪◆✍ ✈✍⬊⬂▦♉❷↗ ✍◆☪♦♍ ❶➔☼←❒⚐✡❒✍ ❒◆◑☜·⇔❸◆✈▫♦✡❒✍ ✖☜❼☑ 🕮❒✌⬂❷▩☼♦✍﴾ **وأخروا ما للدنيا بقولهم:** ﴿❒◆⚐❒⌛○☜💣⇕ 🕮❒♁⬂⑨⍓✈✌♦✡❒✍ ❒◆✈✍☼🕓⓿❷↗☼♦✍ ⇖♦✍■❼ ✈✍♍⬂◑♦❒↗✈♉ ✈✍♍⬂⌛☒🕓▦♉❷⚘⇦✖♦﴾ وهذا متعدد، مع ملاحظة اختصاص ثواب الآخرة بالحسن؛ دلالة على فضله وتقدمه، وإيذاناً بأنه المعتد به عند الله تعالى، بدليل قوله : ﴿✍➔❷▩③⑨←❒♍☙ ⇖♦❷♦▽◆ ✈✍♍⑨❻☼⬃⓿◆✍ ❒◆✈✍✎✦ ③⇖❷▩③⑨← ✈✍⍓☞⌘⬁❷◆❒■﴾ **[الأنفال:٦٧]**، ثم جاء النشرُ على غير ترتيبِ اللَّفِّ حين قدم ثواب الدنيا على ثواب الآخرة، لسرٍّ دلالي يرجع إلى أن المقامَ مقامُ جهادٍ وقتالٍ، والنفوس في هذا المقامِ متطلّعة للنصر والفوز به (فآتاهم الله ثواب الدنيا) وهو المحور الأول للنشر، ثم أتبعه بما يكمل فاعلية النشر دلالياً وهو (حسن ثواب الآخرة) المقابل للعنصر الأول من اللفِّ.

---

(١) ينظر : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : ١١٩.

ومنه قوله تعالى : [illegible] [البقرة: ٢١٤]. جاء التعبير القرآني متضمّناً خطاباً للمسلمين يوحي بدلالة البشارة بقرب النصر بعد ما لاقاه المسلمين من قوارع صدر الآية ما ملأ القلوب رعباً ((والقصد منه إكرام هذه الأمة بأنها لا يبلغ ما يمسّها مبلغ ما مسّ من قبلها))[1] زيادة على ما توحيه دلالة إكرام الرسول بمجيء النصر قبل استبطائه إشارة إلى فتح مكة، وهنا يأتي دور المتلقي في الكشف عن عناصر اللَّفِّ والنشر وترتيبها وفقاً لمعايير استشعار التوافق الدلالي بين الطرفين، فقد آثر السياق القرآني قولين على سبيل اللَّفِّ، الأول يتمثل بقول الرسول ﷺ معطوفاً عليه القول الثاني المتمثل بقول الذين آمنوا معه (متى نصرُ اللهِ)، الموحية بدلالة ((الاستفهام المستعمل في استبطاء زمان النصر))[2]، يعقبه مباشرة العنصر الثاني من عناصر النشر الوارد جواباً مؤكداً ومثبتاً الإعلام بقرب وقت النصر وتحققه، فتعود كل جملة لما يناسبها من عناصر وفقاً لبنية النشر على غير ترتيب اللف[3] يمكن تمثيله في الآتي :

عناصر اللفّ		عناصر النَّشر
١- (يقول الرسول)	استفهام	١- (متى نصرُ الله)
٢- (والذين آمنوا معه)	جواب	٢- (ألا إن نصر الله قريب)

---

(١) التحرير والتنوير : ٣١٧/٢.

(٢) التحرير والتنوير : ٣١٦/٢.

(٣) أكد السيوطي أن دلالة الآية تضمنت أسلوب النشر على عكس ترتيب اللَّفِّ، ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٩٤/٢، أما البقاعي فأثبت أن دلالة الآية استنتاجاً وتنبيهاً وجمعاً للقلوب بتأكيد النصر عن طريق النشر المشوش، مؤكداً أن استعماله في القرآن أكثر من المرتب، ينظر : نظم الدرّر : ٢١٢/٣.

فالعنصر الأول من النّشر للأخير من اللَّفِّ.

تأمل قوله تعالى : [illegible]

[illegible] [الرعد:١٧].

أشار التعبير القرآني في هذه الآية إلى موعظة وعبرة تتنبه عندها الأفهام إلى حكمة الله –تعالى– في تبهيج المؤمنين وتحدي المشركين، وما جمعته بلاغة القرآن وإعجازه من دقة التمثيل وتشخيص دقائق القدرة الإلهية عن طريق ضرب المثل بأسلوب النشر على غير ترتيب اللفِّ، فتمحورت عناصر اللَّفِّ حول لفظتي (الحقّ) و(الباطل) موجزة الدلالة التي تضمنها السياق مفصحاً عنها بأسلوب النشر المشوش بفرعيه، الأول : [illegible] الموازي دلالياً للعنصر الثاني من عناصر اللَّفِّ (الباطل)، في استحالة بقائه وعدم الانتفاع به، أما الفرع الثاني للنشر ففي قوله : [illegible] الموازي دلالياً للعنصر الأول من عناصر اللَّفِّ (الحقّ) في دوامهِ واستمرار الانتفاع به، مبتدءً بتقديم الأهم في الترتيب[1] وبذلك ترسم بنية اللفّ والنشر صورة إيحائية موجزة لفظاًَ مكثفة دلالةً من خلال توظيف أسلوب التشبيه في جعل الماء مثلاً

---

(١) ينظر : نظم الدرّر : ٣١٨/١٠.

للحق، والزبد مثلاً للباطل ((فارتقى عند ذلك إلى ما في المثلين من صفتي البقاء والزوال إلى البشارة والنذارة لأهل الحقّ وأهل الباطل))[1]، فالفريق الأول هو الباقي الدائم، أما الفريق الثاني فزائل بائد.

ثالثاً : فاعلية أسلوب اللفِّ والنشرِ :

أطلق باحثٌ معاصر على هذا الأسلوب من البديع مُصطلح ((ذكرِ المتعدداتِ مع ذكرِ ما تتعلقُ بكُلّ واحدٍ منها))[2]، فهو من المظاهر القائمة على المتعدداتِ التي يتعلقُ بكل واحدٍ منها أمرٌ لاحق، فاللفُ يُشار به إلى المتعدد الذي يؤتى به أولاً، والنشر يُشار به إلى المتعدد اللاحق الذي يتعلق كُلّ واحدٍ منه بواحدٍ من السابقِ دون تعيينٍ، وبهذا التفصيل في البيان نميّزُ بين أسلوب التقسيم بوصفهِ ذكر المتعدداتِ مع تعيين ما يتعلق بكُلِّ واحدٍ منها وبين أسلوب اللّف والنّشر.

ومن اللف والنشر نوعٌ لطيفُ المسلك أشار إليهِ الزمخشري في قولهِ تعالى :

♦❷⬀&⊙☆♏♋✁ ⬉☠⬈▤✡♉✍ ⌧⑨✎&⌧✸ ♊⌧☺⬧⬨⬩
♋⌑✎③✎❺⬧✎ ♦♌♋⬧▤ ♊♦✍◆❑ ☎ ⬅○⇳☺⬆⏲◆⑩⬨⬛⬧⬨
⇳♊♉♓✍ ⬅❑●⑨♉➔⬧⬨ ♏❷⌧⊞⌧♒ ▥❼■✍♦⬉ ⬃❑❑🕮
✦✏♋✁ ⬅⑨③⌘❷⬉③ ▤ ♦❷⌧⌘⬆🕮 ✍✈♋✸③❑🕮
⬅⑨③⌘❷⬉③ ⬧⬧◆❑ ♦❷⬄○⬉⑩⬂♏♋✁ ⬉☠➔⌛♐✉
◆❸⇳●⬉➔⬂♏♋✁ ⬉☠➔⌛♐✉
■❑●⑨♉➔⬂♏♋✁ ☎✁❑➔⬛♉☺⇩⌛⬅✌♉♏◆❑
♋♦✍ ▥❻■✍♦⬉ ⅄✏♋✁ ☎✁❑⬅❸✐♓♏⌧⌛⬅✌♉♏◆❑
♎♏♍❑⬉❷⬈▤⇳⌖■✍ ⬀☠➔⌛✹⬛⌧➔⬧♏◆❑ ⬀☠⬈▤🗁⌧⑨⌧♎

[البقرة: من الآية١٨٥].

قال الزمخشري : ((الفعل المعلّل محذوف مدلول عليه بما سبقَ تقديره))[3]

■❑●⑨♉➔⬂♏♋✁ ☎✁❑➔⬛♉☺⇩⌛⬅✌♉♏◆❑⬩
♋♦✍ ▥❻■✍♦⬉ ⅄✏♋✁ ☎✁❑⬅❸✐♓♏⌧⌛⬅✌♉♏◆❑
♎♏♍❑⬉❷⬈▤⇳⌖■✍ ⬀☠➔⌛✹⬛⌧➔⬧♏◆❑ ⬀☠⬈▤🗁⌧⑨⌧♎

شرّع ذلك، يعني جملة ما ذكر أمر الشاهدِ بصوم الشهر، وأمر المرخص له بمراعاةِ عدة ما أفطرَ فيهِ، ومن الترخيص في إباحةِ الفطرِ، فقوله تعالى : (ولتكملوا) علَّة

---

(١) التحرير والتنوير : ١٢٠/١٣.

(٢) البلاغة العربية (الميداني) : ٢ / ٤٠٣.

(٣) المراد بالفعل المُعلِّل : المتضمن للسبب والعلة، فيما شرع الله من الصوم وعلى النحو الذي شرعه، الكشّاف : ١ / ٢٠٧

الأمر بمراعاة العدة، (وَلِتُكَبِّرُوا) علّة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطرِ، (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) علة الترخيصِ والتيسير، ((وهذا نوعٌ من اللَّفِّ لطيفُ المسلك لا يكاد يهتدي إلى تبيُّنِه إلاَّ النّقاب المحدّث من عُلماءِ البيان))[1].

يتضحُ مما سبق أن ما تضمنه الأسلوب القرآني من لطائف الإجمال والتفصيل واشتمل عليهِ من محاسن اللَّفِّ والنشر ليسَ مجرد حليةٍ شكلية وإنما هو مرتبطٌ بالمعنى والوظيفة التي تبحث عنها الصورة.

وفي إشاراتٍ عديدةٍ لباحثين محدثين نجد أن مصطلح (اللَّفِّ والنشر) ((دالٌ على استقامة الذهن وقوةُ الطبعِ وجودة القريحة)) [2] وبهِ تصبح أجزاءُ الكلامِ أقوى ارتباطاً وأشدُّ التحاماً؛ وبذلك يعمل هذا الأسلوب على إعمال الفكر وجذب الانتباهِ، فيشتاقُ المتلقي إلى ردِّ كُلِّ واحدٍ من أقسامهِ إلى ما يليقُ بهِ ضمن علاقات دلالية يوحي بها السياق.

وخلاصة الأمر أن أسلوب اللَّفِّ والنشرَّ لا يكونُ بليغاً حتى يكون خالياً من التكلفِ والتصنّع والتعقيد في التركيب، جامعاً بين السهولة في الألفاظ والمعاني وقد عانى هذا اللون البديعي من الحشو المفرط عند كثيرٍ من الشعراء المتأخرين حتى أنهم خرجوا بهِ عن نطاق البلاغةِ، فركبهُ التنافر والثقل، ولم يشفع في فصاحة قولهم وبلاغتهِ كثرة اللَّفِّ والنشر المُزيَّن بهِ.

ففي اللَّفِّ والنشر لونٌ من الإيضاح بعد الإبهامِ، والتفصيل بعد الإجمالِ حيث يُذكر المتعدد مبهماً، ثم توضح صفات أفرادهِ، وفي هذا تعميمٌ لهُ وتعظيمٌ لشأنهِ؛ لأن ابهامه يدعُ النفس تذهبُ في تصور تفصيلهِ كل مذهب، فإذا فُسر كان هذا أحلى موقعاً في النفسِ، وأمثلة اللَّفِّ والنَّشر في التعبير القرآني كثيرة[3].

---

(١) أراد الزمخشري بالنقاب : من ينقب عن الأسرار الخفية ودقائق الكلام، ينظر : الكشّاف : ٢٠٨/١.

(٢) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور : ٤٩٣.

(٣) ينظر على سبيل المثال : سورة الإسراء : ١٢ و٢٠، وسورة مريم : ٧٥، وسورة الحج : ٢٧، وسورة فصلت : ٤٣، وسورة الفتح : ١١، وسورة النجم :٣.

المبحث الثامن
الجمع مع التفريقِ والتقسيم

يمتدُ هذا المصطلح ليشمل ما سبق ذكره مفرداً ويؤكد باتصالهِ اتساعَ علم البديعِ وشموليتهِ التي تمثل ضرباً من الإحاطة والتنويعِ في الأساليب، حيث شكلت ظاهرة (الجمع مع التفريقِ والتقسيم) مرتكزاً أسلوبياً استقر وتنوقل حتى عمَّ التراث النقدي والبلاغي عموماً وعلم البديع على وجه الخصوصِ، يوحي به الأثر البارز في السياق الذي يتجاوز كُلّ قيدٍ أو محاولةَ حصرٍ في التطبيقِ لغاية تُثري الدلالة بالنفاذِ إلى معانٍ ثانية إنطلاقاً من مفهوم الدرس الأسلوبي الحديث الذي يقرُّ بأن ((الصيغة المعجمية تكتسب دلالةً ثانية عندما تدخلُ في تجاور سياقي مع وحداتٍ كلامية أُخرى يُراعى في ذلك حُسن التناسق بين المعاني وحُسن الموقعِ للألفاظ))[1].

يُفهم من ذلك أن المعنى الكُلي للألفاظِ التي جاءت مجتمعة للدلالة على ما يُبتغى من الكلامِ قد تنقسم وتتفرق في وضعٍ دلالي واحدٍ يحملُ الحُكم نفسه، لأن في تفريقها وتقسيمها بعد الاجتماع بيانٌ لوظيفتها الدلالية الناطقةِ بالتلازمِ بين مكوناتِ التركيب اللغوي حيث يُنظر فيها إلى الشكل والمضمون بوصفهما طرفين متلازمين، وعلى هذا الأساس حدد الجرجاني بصورة دقيقة كيفية اختيار المتكلم للمعاني والألفاظ بقولهِ : ((إن الألفاظ إذْ كانت أوعية للمعاني، فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وَجَبَ لمعنىً أن يكون أولاً في النفسِ، وَجَبَ للفظ الدالِ عليه أن يكون مثلهُ أولاً في النطقِ))[2].

وعلى أساسٍ مما سبق نجدَ أن المتأمل في معالجات بلاغينا لهذهِ الألوانِ من البديعِ القائمة على علاقة الإجمال والتفصيل، يكتشفُ أن أظهر شيءٍ فيها إحصاؤهم للمظهرِ دون التأكيد على بيانِ قيمتهِ الفنية والأسلوبية في إثراء المعنى وتكثيفهِ، بمعنى أنهم استقروا الظاهرة ورصدوها وصنّفوها ضمن علم البديع من دون جُهدٍ نقدي تحليلي مُقارنة بين ما تنطوي عليهِ من مُعالجات لمستويات لغوية مختلفة، إذ تأتي إجراءاتهم لتهيّئ المفاتيح التي تتُخذ منطلقاً لمزيد من التتبع والبحث الاستقرائي، وخيرُ مثالٍ على ذلك ما فعله السكاكي حين أدخلَ هذه الألوان من البديع في

---

(١) علم الدلالة : ١٤٩.

(٢) دلائل الإعجاز : ٥٢.

المحسنات المعنوية من دون الالتفات إلى أثرها والتنبيهِ إليهِ أو الوقوف على مواطنِ الجمالِ والبلاغةِ فيه[1].

أما بعضُ البلاغيين فوجد في الجمع بين هذه الأساليب الثلاثة في الكلام صعوبةً ومُشكل للغاية[2]، في حين عدّها العلوي في (الطراز) من عوارضَ البلاغة ((إذا وقعت في الكلام بلغَ مبلغاً عظيماً في حُسن التأليف وإعطاء الفصاحةِ حقها))[3].

فمظهر الجمع مع التفريق والتقسيم مرهونٌ بتحقيق فائدةٍ دلالية لها أثرها الأسلوبي في السياق مما يُحقق انسجاماً متكافئاً بين أجزاء القولِ المفصّلِ أو المُقسّم دون تكلفٍ أو إرهاقٍ للألفاظ أو المعاني.

وعند الانتقال إلى النظرِ في تفاصيل هذا المظهر البديعي في الدرس الأسلوبي يستوقف الناظر ما يلحظهُ فيه من دقةٍ محكمةٍ في ذكرِ المتعدداتِ جمعاً وتفريقاً تقسيماً وتفصيلاً أو إجمالاً، وكُلّ هذه المظاهر ما هي إلاّ تفريعاتٍ لمصطلحٍ واحدٍ أساسهُ التقسيم ((إذ أن التقسيم في حقيقته هو تعدادٌ لأقسام الشيء المعنى على أنه (وحدة) أو مجموع وحدات يضمُّ (تعدداً) وتنوعاً، فيكونُ القصدُ إبرازُ التعدد في الوحدة أو كشف وحدةِ المتعدد))[4].

وهذا يُشير إلى أن للتقسيم عمليتين متصلتين فهو لا يتأتى إلاّ من اجتماعِ متعدداتٍ تتمثل في انتظام المعاني في الذهن يصحبها حُسن اختيارٍ للدلالات المناسبة للموقف الكلامي، ومن ثم وضع حدٍّ فاصلٍ للتفريق بينها في الحُكمِ بإيجاد تعليلاتٍ منطقية لأسبقية بعضها على بعضٍ استناداً إلى معيار التغير الدلالي واللفظي معاً.

---

(١) ينظر : مفتاح العلوم : ٥٣٦.

(٢) هذا ما ذهب إليه الدكتور أحمد مطلوب في معجمه البلاغي مُعللاً مذهبه بقول الوطواط : ((جمع هذه الأشياء الثلاثة مع بعضها مشكل للغاية))، ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٢ / ٤١٣.

(٣) الطراز : ٣ / ١٤١.

(٤) البديع وفنونه : ١٣١.

وسواءٌ كان التفريقُ سابقٌ للتقسيم أو مُتقدمٌ عليه إلاَّ أن الحُكم واحدٌ، وخيرُ تطبيقات هذا اللونِ من البديع في النظم القرآني ما جاء في سورة البقرة في قوله تعالى : [illegible] [البقرة:١ – ٥].

جاءت هذه الآيات الكريمةِ من الوجهة البلاغية على سبيل الجمع مع التفريق والتقسيم إيذاناً بما انطوت عليهِ التراكيب اللغوية من دلالاتٍ إجمالية تفصيلية فقولهُ تعالى : [illegible] أي : القرآن الذي أنزل على الرسول الكريم محمد ﷺ وهو الكتاب المنزل الموعود الكامل(١)، ومما يلفتُ النظر أن بعضَ المفسرين(٢) بحثوا في حكمةِ استعمالِ أسم الإشارةِ للغائبِ مع أن المشار إليه حاضر، وأكدوا ذلك بتعليلٍ بلاغي مغزاهُ بُعدُ المكانةِ وعلو المرتبةِ، كما في قوله سبحانه وتعالى : [illegible] [السجدة:٦]، وقوله تعالى : [illegible]

(١) ينظر : الكشاف : ٣٥/١.

(٢) ينظر : الكشاف : ١ / ٣٤، التحرير والتنوير : ٢ / ٦٣١، الجامع لأحكام القرآن : ٣ / ٦١٥.

❒◆☽♐☼✵⌨◰ ♓•☺♋⌶⌘ ✃♐♋♓☺←❷⇗♌◰◘♐✓▫♈♠

[البقرة:٢٥٢].

أدى اسم الإشارة في سياق التعبير القرآني دلالةً تُظهر أن القُرآن وقت نزولِ أولِ هذه السورةِ ما كان كلُّه حاضراً؛ بل كان بعضه قد أُنزل في سنين عدة مضت بمكة وفي أول العهد بالمدينة، وبعضه سينزل فلعدمِ حضورهِ كلهِ وقت نزولِ هذه الآياتِ أُشير إليه بأسم الإشارة البعيد، وقد جُمعت صفاتُ هذا القرآنِ في خبرٍ بعد خبرٍ، الأول (لا ريب فيه) أي : لا شك فيه، وبما أن النكرة في سياق النفي تعم، فالمعنى : ليسَ فيه ريبٌ من أية ناحية، لا من ناحية أنه من عند اللهِ، ولا من ناحية أنه هُدى للمتقين، ولا من ناحية أنه معجز، ولا من ناحية صدقِ مبادئهِ وعدالةِ تشريعهِ وسلامةِ عقائدهِ.

والخبر الثاني (هُدىً لِلْمُتَّقِينَ)، فقد عَدَلَ عن قولهِ (ذلك الكتابُ لا ريبَ فيه، وذلك الكتابُ هُدىً للمتقين)، والهدايةُ هُنا وصفٌ دالٌ على طريقِ الخيرِ وطريقِ الشرِّ للناسِ كافة[1]. وقد جَمَعَ حُكم الهدايةِ في المُتقين، وهم ((الذين يقون أنفسهم عذاب الله وسخطه في الدنيا والآخرة، وذلك بالوقوفِ عند حدودهِ وامتثال أوامرهِ واجتنابِ نواهيهِ))[2]. ثم قَسَمَ صفاتهم إلى خمسٍ هي أمهات الفضائلِ، ودلائل الفطرة السليمة، وأسبابُ الاهتداءِ في الآياتِ الرابعة والخامسةِ والسادسةِ من سورة البقرة.

اشتملت الآية الكريمة على علاقاتٍ أحكمت التنظيم والتنسيق والترتيب وجعلت الجملة كياناً متماسكاً لها جمالها اللغوي والبياني المميز متآلفةً مع التركيب والسياق العام حين ((يستعمل اللفظ بدلالة معينة لا يمكن أن يؤديها لفظٌ أخرٌ في المعنى الذي تحشدُ لهُ المعاجم وكتب التفسير عدداً أقل أو أكثر من الألفاظ))[3]، فيبرزُ فيها التحام النسج وارتباط البناء ظاهراً في وصفِ القُرآن بالكمالِ الذي لا يعلقُ به الريب، لا في أخبارهِ، ولا في نسبتهِ إلى الله تعالى، فتتمثلُ تلك العلاقات الملحوظةِ في التعبير القرآني بالتفصيل بعد الإجمال يدّل عليها الإشارةُ إلى صفاتِ

---

(١) ينظر : الفروق اللغوية : ٣١٦.

(٢) ينظر : نحو المعاني : ١٦٩.

(٣) الإعجاز البياني للقرآن : ١٩٨.

المتقين بعد إبراز حُكم التقوى وخصّ المتقين بها؛ ((لأنها وصفٌ للذين ينتفعون بالقرآن، فهم الذين يوقنون بما أنبأهم به من أمورٍ غائبة لا يرونها، ويقومون بواجبهم لله، فيؤدون الصلاة كما يجب أن تؤدى، وواجبهم للمجتمع، فيقدمون من أموالهم ما يساعدون به البائس والمعتر ولا يتعصبون لرسولٍ دون رسولٍ، بل يؤمنون بما أنزل الله على محمدٍ، وما أُنزل من قبلهِ، ورأس الإيمان وأساسه هو إيمانهم باليوم الآخرِ))[١].

ويتجلى أسلوبُ الجمع والتفريق والتقسيم، في ما أظهرهُ التعبير القرآني من اختياراتٍ نسقية أبرزت بجلاءٍ صفات المتقين، فقد جمع لفظ (المتقين) كُلَّ من أنزل إليه القرآن هادياً لا ريب فيه، ثم بدأ بعد ذلك بالتفريقِ والتقسيم عند قوله تعالى :

﴿✂✍✏⅄🔔♐⇦×♦ ③⇖♦⇙✌♐☪⇖❑♌♦

﴿✍✍✍◉⌨⇘⇔♦⓿⇘🖬🙰﴾ و ﴿❑◆③⇖☽☞⓿☺⇖❑♌♦

✂✍◉⌨🕐○🖬■❑🗐☐■﴾ و ﴿❑◆☜⮊▦✸✍

❻◆♾⌧🔔⇘☪◆🕐♑←☠⇙ ﴿③⇖☪▦♐☽→❑♌♦﴾

و ﴿❑◆✂✍✏⅄🔔♐⇦×♦ ③⇖♦⇙✌♐☪⇖❑♌♦ ▤♐▦❑✍✏

🕮⬆☼❽⌧✌♦ ☽⌧◉⌨•⓿⇘⌨⌧﴾ و ﴿❑◆✌♦✍✏ 🕮⬆☼❽⌧✌♦

✌♐♊ 🔔•⌨⇗🖬⌧⌨⌧﴾ و ﴿❑◆🙰⌧✍✍⌧☞⌘⮋❷♦❑🙰

⇗🙰⇖⇗ ③⇖❑🔔♐☪⇖❑♌♦﴾ و ﴿🕮⬆❑🕯◉⌨•🕐✵⬦🙰⌨⌧

⇖♦✍■❼🗐 ♎➔⑨⌖❽ ✌♓♐♊ ❻▪🙰■⌧♑⌧☠⇗ ﴿☎

و ﴿❑◆🕮⬆❑🕯◉⌨•🕐✵⬦🙰⌨⌧ ♎➔☠⇖

✂✍◉⌨⇘☺←▦⇘🖬⌧•←❑♍🙠﴾، (ولأن الإيمان يدفعُ إلى العملِ الصالحِ، وينهى عن المنكر والبغي، فلا جرمَ إن كان أولئك على هُدًى من ربهم وكانوا هم المفلحين، ومن الملاحظ في هذه الآيات أن أثر التقسيم مُتقدمٌ على أثر التفريق إذ أنه أعقب صفاتِ المتقين وتوضيحها في ترتيب وتناسق مُحكمٍ يبرز فيه التحام

---

(١) البلاغة القرآنية : ٩٠.

السياق القرآني، وارتباط بناء بعضها ببعضٍ بطريقة تسلم فيها الجملة إلى أختها في التئام وإتساقٍ، ثم يأتي التفريقُ بين من اجتمعت فيهم هذه الصفات من (الذين آمنوا والذين اتقوا الله) و(بين الذين كفروا) فقال تعالى : ﴿☐♌☒◑☐
⬋↗✎✂◆❑⍓♋ ☎✂❐⬉❷☒▦⊞☒✍ ✈▫⇦♎♎🔔⅄✎✂ ⬃⚐❑🕮 ⬀☠←♑⬩✍⬀❻☒⓿☼❑🕮◆↗ ⬄⚐☒♑⬂⑩■🖬◆⬂ ⬲♎⬀ ◆♌❑⬉☪♎✌⬃⬩⬉③ ⬩⬩ ⬀☠➔♎⬀❻✐⓿☾➔✍ ⬀☠⬩♐🌕 ⬀☠☒♑☒✍❑➔🖬➔🔔 🗐❼■✍◆⬉ ✦✎✂ ⌘☠◆☞⍓⌘ ✂❼■✍◆⬉◆❑ ☎ ⬀☠☒♑♎➔⇳☺⍓♋ 🗐❼■✍◆⬉◆❑ ⬀☠←♑⬩♐🌕◆❑ ☎ ⮜❑◆❑🕔◆⌖♎⬊ ⬀☠♎♎❏❷🕔❁🕔⬀✍❑🕮 ⬉◆⓿☒✂⚇⬉ ⬉◆⬉➔♎⑩⚐♎﴾ [البقرة:٦-٧].

فقد أظهر التعبير القرآني في هذهِ الآية الفرق واضحاً بين ما اجتمع في المتقين من صفاتِ إيمانية دالةٍ على هداية الله تعالى لهم وشموليتهم بالفلاحِ والرضا الإلهي، وبين ما وصفَ به الكافرين من استكبارٍ يُبين مدى عاقبتهم في الدنيا والآخرة، فقد استكملت الآيات الأولى من سورة البقرة الجامعة لأوصاف المتقين المفلحين، بذكرِ ما يُقابل ذلك دلالياً ليعكس لنا صورةً من أروع صور القرآن الكريم في وصفِ شأنِ الفريقِ الثاني من الفرقِ الثلاث التي انقسمَ إليها الناس بإزاء الاهتداء بالقرآنِ، الفريق الثاني مُقابل للفريق الأول الذي بُينت أوصافه وجزاءهُ في الآياتِ الأربع السابقة من سورةِ البقرةِ.

من ذلك يتضحُ أن تعدد أساليب البديع ومظاهره في النظم القرآني يُفصح عن معنى الإعجاز البلاغي وهو إعجاز ((عجيبٌ يُدرك ولا يمكن وصفهُ كاستقامة الوزنِ تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة))[1]، فالجمع مع التفريقِ والتقسيم يعتمد آلية حسية فنية ذات أصولٍ في المعرفة بالبيان العربي وموضوعاتهِ الإنسانية.

تأمل قولهُ تعالى : ﴿❶⬩🕔🌕♎🖮⍓ ③◆❑⬀⚐⮜
⍓🖮♎🌕🕔⬩❶◆❑ ⬇❑✂❑✡🌕✂ ←❍⅄🌕 ⮜⬋❑←☺⬂♑⊙✌ ✂◆✌◆❑ ⬲⬰✐▩⬀ ⮜⑩❑←♑⇳⌖❑✌ ⮜⚐⬀❑◆③ 🖮⑩❐←⑨⬃➔❑✌ 🌕✍⍓♉☹✾ ⬩◆☒◑ ▦⓵←■⬉❷⓻ℯ⌘☒⬩←☼ ⬉▪⬂▦◆☼ ⬉☠✵🖬☒⌛⬩✍ ⬩⬩ ♎☠▫🕯◆③ ◆⚐⬀❑◆③ ⬲⬰✐♎⬀ ⬄⚐←♑⬃✡♎☺⬩▫ 🗐 🕔♎❍♎☼⬂❶☒✉☒✍ ⬩◆☒◑ ⅄☒🗏⬘❼✍❑◆♋⍓➔♎⓿⑨♎﴾ [هود: ١٠٣ – ١٠٥].

(١) مفتاح العلوم : ٦١٤.

في هذا البيان القُرآني يُظهر أسلوبُ الجمعِ في لفظِ فـ(نفس) متعدد معنىً؛ ((لأن الفكرة في سياق النفي تعم))[1]، فقد جَمَعَ كُلّ الأنفسِ بأنها لا تتكلم يوم القيامة إلاَّ بإذن الله تعالى. ويتابع النص فيقولُ الله تعالى : ﴿[illegible]﴾. وفي هذا البيان تفريقٌ في الحُكمِ، ففريقٌ شقيٌ وفريقٌ سعيد.

أما أسلوبُ التقسيم فيبرزُ أثرهُ واضحاً في شرح حالِ الأقسامِ المتعددة وتوضيح دلالاتها إذ يقولُ تعالى : ﴿[illegible]﴾ [هود: ١٠٦ - ١٠٧].

فقد شرح في هاتين الآيتين حالُ القسمِ الأول، وهم أهل الشقاوة ويتابعُ النص القرآني التقسيم فيقولُ الله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [هود:١٠٨].

فأما أهلُ السعادة فجزاؤهم الجنة خالدين فيها، و((الشقيّ الذي وجبت له النار لإساءته، والسعيد الذي وجبت له الجنة لإحسانه))[2].

ومثيل ذلك ما ورد في سورة آل عمران في قوله تعالى : ﴿[illegible]

---

(١) بدائع الفوائد : ٣١٢/١.

(٢) الكشاف : ٢ / ٤٣١.

▤ ◷♉🕮♈✃③♉❒▫♗♦✍ ◆➚✎♋♋◆⬄♉✌☝✍♋♋✃◆❒
♦•♈☽ ▦Ⓘ⇖🕮♦✃③♉❒▫♗♦✍ ⇖☠■🖬⬃➔◆③ ♋♋◆✌◆❒
❼♈✖ ◆♌❒⇖②⬁♋◷▪❷♑♋♋✃◆❒ ▤ ✦✎♋♋✃
♋♋❒☪◆✌✃◆➚ ◆♌❒➚♑❒➔☽◆③ ✐⚐▫🖬♉➔⬁♑♋♋✃
♋♋◆☪♈■✍◆❻ ♉⑨☪♉⇖ ⇳♊♉♓✌ ✍✍➚✍ ◷♉❍♈✍
▤﴾[آل عمران:٧].

يُظهر التعبير القرآني فَضَلَ الله تعالى على المؤمنين بإنزال الكتاب هُدىً للناس وبيناتٍ من الهدى والفرقان منهُ أياتٌ أُحكمت عباراتها بأن حُفظت من الاحتمال والاشتباهِ[1]، ((ومنهُ آياتٌ (مشتبهاتٌ محتملاتٌ) ﴿♎➔❍♊ 🕮🡅⚐❻ ✃♋♋♑⬁▤⬁☝◆Ⓘ🖬✐﴾ أي : أصلُ الكتابِ تحملُ المتشابهات عليها وتردُّ إليها))[2].

تبتدئ الآية بأسلوب الجمعِ في قولهِ تعالى : ﴿🕮❒☼❽◆✌◆ ⇖◆🖬■⓿⬁⌨⌂ ✃♋♋♑⬁▤⬁☝◆Ⓘ🖬❁﴾ والمُرادُ بالكتاب هُنا القرآن، وقد أدت هذهِ الآية دلالة المُرادِ من الكتابِ تفريقاً عن التوراة والإنجيل، ((فالقُرآن نزل مُنجماً ونزل الكتابان جُملةً))[3].

ويسهم أسلوب التكرار الوارد بلفظ (الكتابِ) في التأكيد على عِظم شأن القُرآن الكريمِ، ابتداءً بتقرير أن القرآن منزل على الرسول بالحق، وأنه مصدق لما سبقه من التوارة والإنجيل، ثم بالتفريق بين آياته ومُتبعيها فهم بإزاء ما تشابه منها فريقان أهلُ علم يقولون آمنا بهِ، وأهلُ زيغ يبتغون به الفتنة.

وقد عَبَرَ سبحانه وتعالى عن وصفٍ ثالثٍ للقُرآنِ في هذهِ الآيات من سورة آل عمرانِ، وهو أنه مُنزلٌ على ضربين : منه آياتٌ محكماتٌ لا يتطرقُ إلى منهم المراد منها احتمالٌ أو اشتباه وهُن أصلُ الكتابِ وأكثره، ومنه آياتٌ متشابهاتٌ أي يتطرق إلى فهم المراد منها احتمالٌ واشتباه، ومردها إلى المحكمات، وعلى ضوئها تُفهم.

---

(١) ينظر : الكشاف : ١ / ٢٩٧.

(٢) المكان نفسه.

(٣) الكشاف : ١ / ٢٩٧.

ويبرز أثرُ الجمعِ واضحاً في التعبير القرآني بإظهار الضميرِ المسندِ إلى اللهِ تعالى وصوغِ الجملةِ أسمية، ولم يعبّر عنه كما عَبَّر عن الوصف الأول للقُرآن في قولهِ تعالى : [illegible] [آل عمران:٣]،

لأن في هذا التعبير أبلغُ ردٍّ على الذين جادلوا في أن القرآن مُنزل من عند اللهِ تعالى، واستندوا في جدالهم الباطل إلى ما في القُرآن من مشتبهات فيها مجالٌ فسيحٌ للاحتمالات والاشتباهات في فهم المرادِ منها.

ولا نريد الخوضَ طويلاً في ماهيةِ المُحكمِ والمتشابهِ والمراد منهما وإنما نبتغي إبراز التقسيم والتفريق بينهما في الدلالةِ على المعنى المقصودِ من السياق القرآني لحكمةٍ بالغةٍ أرادها سبحانه وهي ابتلاءُ الإيمان، وإظهارُ حقيقة ما في القلوب، وشحذ العقولِ ببحثها في رد المتشابهِ إلى المحكمِ، وفي التوفيقِ بين آياتِ القُرآن.

ويتجلى أسلوبُ التقسيم في قوله تعالى: [illegible] [آل عمران:٧].

أما القسم الثاني منهم الذين أنقسمَ إليهما الناسُ لإزاء المتشابه من آياتِ القُرآنِ وهم (الراسخون في العلمِ) وهم أقوياء العقيدة والإيمانِ(١).

ويتواشجُ في هذهِ الآياتِ الجمعُ والتفريقُ والتقسيمُ تبعاً لمتطلبات السياق القرآني وتوضيحاً لمرتكزاتِ الدلالة فيهِ، بما يضفي على النظمِ ترابطاً وقوةً غير متكلفة أو معقدة، أبدعت تلك الألوان مزدوجة في إظهار المعاني ملائمةً للألفاظِ غير طاغيةٍ عليها لا لقصدِ التحسين البديعي؛ وإنما توجب حُسناً نشيط السامع ويُهيج

(١) ينظر : البلاغة القرآنية : ٢١٥.

الفكر، بالانتقالِ المنسجم والمتناسب من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ، مؤدياً المعاني بصورٍ مختلفةٍ في نظمٍ واحدٍ.

إن في اجتماعِ تلك الفنونِ توسيعٌ للمعاني وإيجازٌ للدلالات بأوضحِ الألفاظِ إذ أن التفصيل بعد الإجمال تحقيقٌ لما يرتقبهُ الذهن وما يتشوقُ إليه السمعُ من صورٍ تفصحُ عن أدقِ التفاصيلِ بأوجز العباراتِ الدالة.

الخـاتـمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أقول : إن الخاتمة المبتغاة هي إتمام العمل لوجهه الكريم ابتغاء رضاه تعالى، والخاتمة الحسنةُ ترتبط بمرضاة الله، أحمدُهُ وأشكره إذ منَّ عليّ بهذه الوريقات التي تبحث في بلاغة القرآن حتى وصلتُ إلى الخاتمة، وهي نعمة ومتعة، وميّزة ورِفعة، فاضت فيها الأماني فكشفت عن جانب من التعبير القرآني، وبعد :

فإن هذه الرسالة (المظاهر البديعية وأثرها الأسلوبي في التعبير القرآني) تبحث في حقيقة مفادها أن مصطلح (المظاهر) من المصطلحات المقترنة بإجراءات التحليل الأسلوبي؛ والمظهر يمثل العنصر اللافت الذي يستقطب العلاقات السياقية التي يبحث فيها علم اللسانيات، ويشير إلى الملامح البارزة ذات الوظيفة الدلالية التي تتجاوز دورها اللغوي، وتشكل نسبة ورود عالية في النص، تجعله يتميّز عن نظائره في المستوى والموقف، وتسهم المظاهر في كيفية إدراك الأداء الوظيفي أسلوبياً؛ وهذا يؤكد أصالة المصطلح وفاعليته في التعبير من خلال الموضوعية والعلمية التي يُهيّئها في إجراءات التحليل.

إنّ لكل مظهر من المظاهر البديعية تأثيره وأبعاده المتميزة، التي تتجلى في توليد صور ذهنية ونفسية تحاكي إدراك المتلقي، وتعمل على إقامة علاقات بين الصيغ التعبيرية من خلال الجمع بين اللفظ والمعنى، والقضاء على فكرة الثنائية بردِّ تكاثرها التصنيفي ونماذجها المتعددة إلى الأبنية الرئيسة الممثلة لها، التي لا تخرج عن حدود التوافق والتضاد، واستخلاص وظائفها الجمالية من تحليل النصوص ذاتها، مع استبعاد فكرة (البديع) بوصفه زينة تضاف إلى الكلام؛ لأنها أبنية يتركب منها هذا الكلام؛ ليحل محلها التصوّر البنيوي عن تداخل المستويات اللغوية. فإذا كانت تستثمر –على سبيل المثال– جانباً صوتياً مثل الجناس؛ فإن درجة كفاءتها في هذا الصدد لا تُقاس بكثرة الحروف المتجانسة في التعبير، بقدر ما تقاس بمدى ما ينتجه من تأثير دلالي، وبذلك نؤكد أن (المظهر البديعي) مُنجز أسلوبي يرصد مديات التشابه والاختلاف في الأداء التركيبي داخل منظومة التعبير في كُلِّ الأعمال الإبداعية.

وتأسيساً على ما سبق كان منحى التحليل أسلوبياً بتتبع الظاهرة في بنية التعبير القرآني، واستنباط خصائصها والوقوف على لوزامها الأسلوبية؛ لذا كان البحث يقوم على دراسة أسلوبية تطبيقية تفيد من التراث، وتستثمر المناهج الأسلوبية الحديثة في الكشف عن القيم الفنية؛ بوصفها وسائل تعبيرية تتصل ببنية النص، وهذه دعوة إلى ضرورة إبقاء البلاغة في أحضان النقد بعيداً عن المنهج التقريري الذي يحكم بمقتضى أفكار جاهزة.

بدأت هذه الدراسة بمحاولة لتأصيل مفهوم (المظهر البديعي) ثم الكشف عن عدد كبير من النتائج والملاحظات العلمية التي يمكننا إجمالها في الآتي :

١-إن مصطلح (المظاهر) بديل لكثير من المفاهيم القديمة التي أثيرت على الساحة النقدية والبلاغية، كالأصول، والألوان، والمحسنات، والأنواع، والفنون، وهذا المصطلح يوفر لمعاني البديع الوضوح والجلاء ويُشعر أننا أمام جديد، محاولةً للتطوير والنهوض والإبداع.

٢-للمظهر البديعي معايير أسلوبية تُناسب الخطاب القرآني، إذ تجلت فيه على نحوٍ خاص متمثلة بالمعايير الصوتية وما يرافقها من مظاهر التكرار، والهمس والجهر، والشدة والرخاوة، والتفخيم والترقيق، والتنغيم، وما تحدثه أصوات الحروف من إيقاعات ومؤثرات تنماز بعلاقاتها التلازمية مع معطيات اللغة ودلالتها الهادفة نحو التأثير، أما المعايير التركيبية وما ينجم عنها من انزياحات موضعية فتُسهم في توليد عناصر دلالية جديدة متكاملة؛ في الوقت الذي تسعى فيه المعايير الدلالية التي تمثل نقطة الارتكاز وقطب الرحى في الدراسات القرآنية إلى تأكيد المعاني وظلالها، وإقامة علاقات لفظية بين مستويات التعبير القرآني بوصفه نسيجاً متكاملاً.

٣-شكل مصطلح (البديع) بمعناه الفني، نقطة خلاف عند الكثير من علماء البلاغة الأوائل الذين اشتغلوا بذكر التعريفات والأقسام المتعددة بعيداً عن الوقوف أمام المظهر البديعي وبيان مكنوناته الجمالية؛ لذا أكد البحث أن البديع تعرض إلى جفوة واضحة عزلتهُ عن التأثير في النفوس فأصبح مجرّد

حلية تحسينية؛ فعمد البحث إلى توجيه البديع من خلال ربطه بالقرآن الكريم وجعله محيطاً بأهم أبعاده بوصفهِ رسالة ودعوة وحجة ودليل.

٤-أكد البحث أن مفهوم البديع يتميز عن البلاغة بمفهومها العام، ويستقل بقسم ثالث يُصار إليه لقصد غاية ترتبط ببيان أصالة المعاني والابتعاد عن الشكلية، والربط بين المستوى الشكلي المحسوس، والمستوى الباطن غير المحسوس في ميدان التطبيق البديعي.

٥-إن النظر في المظاهر البديعية بمجملها يؤكد فاعليتها في تحسس بناء الجملة؛ بوصفه الوحدة الصغرى للخطاب اللغوي، واعتمادها توظيف عناصر الجملة توظيفاً يبدأ من الحروف المعزولة عن الدلالة، وصولاً إلى التراكيب ومكوناتها الإفرادية وعلاقاتها النحوية.

٦-من خلال تتبع مظاهر البديع وحركتها في التعبير القرآني نتلمس عمق العلاقات الجامعة بينها؛ فهي علاقات حتمية تفرضها طبيعة الخطاب القرآني، وما يرافقها من تحولات في المعنى والدلالة، -فعلى سبيل المثال- ياتي الطباق نوعاً من التقابل في المعنى، من خلال توظيف مفردات متقابلة دلالياً قد تحقق نمطاً إيقاعياً يتفاعل مع التكرار الذي يرتبط به.

٧-إنَّ الدراسات الأسلوبية الحديثة تثمن قيمة المظاهر البديعية وفقاً لأدائها في إنتاج الخطاب وبنائه، وتنتفي في إطار هذه النظرة التفرقة المفترضة بين محسّنات لفظية ومحسنات معنوية، بمعنى أن المعالجة الأسلوبية تفرض نظرتها إلى التحسين المنوط بالبديع على أنه قيمة جمالية جوهرية ذات اثرٍ محكوم بعدد من العلاقات والمعايير المنهجية التي بإمكانها استيعاب النص بشمولية الدرس البلاغي القديم، والدراسات اللغوية الحديثة.

٨-وجد البحث أن المظاهر البديعية تشكل تقانات فنية ترتقي بالتعبير إلى تصيد المعاني والدلالات؛ لتقديمها في قوالب لفظية تستثير إعجاب المتلقي من خلال حضوره إلى رحاب الصياغة، وبما تحمله من إبداع فني يتمثل في الأسلوب العميق المتصل بالفصاحة المعنوية؛ زيادةً على سعيها لضبط جهات الحسن في التعبير، وبذلك يشارك البديع أخويه في تحقيق الحسن

البلاغي بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة، مع احتفاظه باستقلاله الوظيفي في خصوصية التناول ونوعية المعالجة التي تقتضي تمايزاً بين علوم البلاغة الثلاثة.

٩- أكد البحث أن عملية توظيف المصطلح العلمي في التراث العربي القديم تفرض سلطتها على الباحث والناقد؛ فهي خاضعة لتقلبات التطور الدلالي الذي تفرضهُ بنية اللغة وعناصرها عبر مسارها التأريخي المتجدد؛ للوصول إلى فهم جامعٍ محدد يُمكِّن الباحث من تأصيل تلك المفاهيم وتثبيت جذورها الأولى، ومن ثمَّ المناقشة المنطقية التي تُسفر عن نتائج موضوعية.

١٠- يُعدّ مفهوم التناسب من المفاهيم العربية النقدية القديمة التي يُستدل بمظاهرها على بديع النظم القرآني؛ تأكيداً على ضرورة التعامل مع القرآن الكريم بوصفه وحدة واحدة متكامة الأجزاء، فقد يأتي التناسب لفظياً وعلى مستوى الجملة لا المفردة كما هو الحال في الحاق النظير بالنظير، وتشابه الأطراف، والإرصاد والتسهيم، وقد يأتي معنوياً، كما هو الحال في الطباق، والمقابلة، ومراعاة مواضع التأنق في التعبير القرآني.

١١- قاد البحث إلى تشخيص مرجعية التناسب القرآني في مراعاة السياق، فهو من الأسس الموضوعية التي اعتمدها المفسرون في الترجيح بين الأقوال في كثير من الآيات، مؤكدين عدم جواز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره؛ إلاّ بحجة مُسلّمة أو دلالة ظاهرة.

١٢- تختلف زاوية التناول والمعالجة لمفهوم التناسب القرآني عند البلاغيين العرب، وعلماء لغة النص من خلال التركيز على النص القرآني من جانب إعجازه، والوقوف على مستوى الشاهد؛ فالتناسب بذلك أصلٌ من أصول البديع، لهُ ابعاده التركيبية ومستوياته التنظيمية وقرائنه الوظيفية في النسق الدلالي عموماً.

١٣- تستوعب بنية التناسب كثيراً من مظاهر البديع وفنونه؛ لأنها تعكس الوظيفة التي يحققها هذا الفن؛ باعتماده أساس ظاهرة (المصاحبة المعجمية) في

الدراسات الأسلوبية، إذ تتجلى في هذه الفنون علاقات (السبك المعجمي) و(القرائن) التي تحقق ضرباً من التماثل والتكافؤ.

١٤- أكد البحث نفي الإهمال المنسوب لعلم المناسبة من المفسرين قديماً وحديثاً، موضحاً أن الدقة في التعبير أمانة علمية، وأن البراعة في هذا العلم نادرة؛ لاسيما في الأعصر الأولى لعمقهِ ودقته؛ ولعدم تمهيد سبيله، فهو من العلوم التي تتقبل مداخل سياقية تنسجم مع ذائقة العصر، والتطور الحاصل في التوجهات والإجراءات.

١٥- أكد البحث اتساع مجال الاستثمار الدلالي عند علماء المناسبة في الدراسات القرآنية؛ وذلك للكشف عن الوحدة العضوية والموضوعية في الألفاظ والجمل، ثم تجاوز ذلك إلى الآيات، ثم إلى السور بأكملها، على وفق دعائم لفظية ومعنوية تؤذن باتصال الكلام وما يقتضيه؛ ليؤدي إلى ائتلاف الألفاظ مع معانيها.

١٦- جدَّ البحث في توظيف العلاقة بين اللفظ والمعنى أو ما يصطلح عليه بـ(الدال والمدلول)؛ لأنهما جوهر العملية الدلالية، وفقاً لنظرية النظم التي أرسى قواعها عبد القاهر الجرجاني.

١٧- تتنوع وجوه التناسب البديعي في التعبير القرآني تبعاً لتنوع الروابط العضوية ودلالالتها، سواءٌ كانت عامة أو خاصة، عقلية أو حسية أو خيالية أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، وهذا يمنح كل سورة احتواءً لمجموعة من المعاني المتلاحقة، في ضمن شبكة من العلاقات الرامية إلى غاية محددة تتناسب فيها الألفاظ ودلالاتها، فتشكل نظاماً من البديع القرآني المعجز.

١٨- كشف البحث عن توافر علاقات بين مفهوم التوازي وبين البديع في مظاهره الفنية الخاضعة لمعطيات علمية منظمة، وموسيقى صوتية ذات قيمة جمالية؛ لأن العلاقة بين البديع والتوازي علاقة أخذ وعطاء والمعْبَر لهذه العلاقة هو التنسيق الصوتي داخل منظومة العمل الأدبي.

١٩- شَكَّلَ التفاوت في المعنى الاصطلاحي لأي مظهر بديعي مسألة لافتة في البحث، فمثلاً اسلوب الإرصاد يتخذ مسميات متعددة عند أصحاب المصنفات البلاغية، ما بين تسهيمٍ، وتوشيعٍ، وتبيينٍ، وتوأمٍ، وكذا أسلوب مراعاة النظير الذي يتفرع إلى مسمَّيات منها : الائتلاف، والمؤاخاة، والتوفيق، والتلفيق، والتناسب، والتفويت، وإيهام التناسب، وتشابه الأطراف. وكل هذه التسميات تؤدي دلالة معنوية واحدة، مع عدم إغفالنا مسألة التوافق الدلالي بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي لكثير من مظاهر البديع؛ بما يحقق الانسجام الظاهر في دلالة تلك المفاهيم.

٢٠- لتحقيق عملية الاستناد التقابلي في الدلالة لابُدَّ من استحضار المعاني الغائبة في الكلام، وتمكينها من الذهن بذكر ما يُضادها؛ تناسباً مع الموجودات المتناقضة سلباً أو إيجاباً.

٢١- يقوم اسلوب الطباق والمقابلة على تقانات خاصة تتناسب مع الآليات التي تعمل بها؛ لإفراز دلالات تقود إلى فهم الجوانب الجمالية وتمكينها في النفس، حيث تسهم التشكيلات التجميعية المتضادة والمتلاحقة في تعضيد الدلالة التي تنتجها هذه الأساليب في التعبير القرآني.

٢٢- تعمد أساليب التضاد اللفظي والمعنوي على تكوين ثنائيات متطابقة، أو متقابلة تفرض هيمنتها المطلقة على النص بذكر الأضداد التي هي أقدر على تمييز الأشياء وتجليتها، وهذا يحيلنا على ضرورة الالتفات إلى العامل النفسي؛ لأن المتلقي يُفاجأ بالضدِّ من المعنى، بعد إذعانه وتسليمه للمعنى الأول.

٢٣- أثبت البحث أن للنوع الطباقي والتقابلي بنًى متغايرة، فهي ليست مجرّد تباين بين الشيء ونقيضه، وليست مجرَّد شكل بلاغي يتمحل الأعداد الإحصائية؛ بل هي فكرة تُدعم بأثرها الأُسلوب البين في الدلالة، وتشرح العلاقات القائمة بينها باستحضار مدلولاتها من ألفاظها.

٢٤- تتجاوز مظاهر الطباق والمقابلة مستوى الدلالة في حدود الجملة الواحدة، إلى إحداث قوة سابكة بين الجمل المتجاورة، زيادةً على عدم التقيد بالتعاقب

المباشر بين الجمل وأطرافها المتبادلة؛ مما يوسع مساحة الأثر الدلالي ويكسبه بعداً إضافياً كالبعد الصوتي الذي يقتضي الموالاة بين الأطراف السياقية إبرازاً للتوزان الذي يحتويه.

٢٥- يتعاضد في الفاصلة القرآنية المستوى الصوتي مع التقابل الدلالي بحيث يصبح أسلوب المقابلة ركيزة أساسية في فاصلة سورة بأكملها؛ على اعتبار أن السورة وحدة دلالية كبرى تتصف بالترابط العضوي الموضوعي، كسورة الليل -مثالاً-.

٢٦- تجاوزت أساليب التقابل في التعبير القرآني حدود المعنى باتجاه المبنى، إلى فضاء أرحب حين تتعمق الدلالات المتوافقة بما يقابلها شريطة الترتيب في التقابل؛ فإذا انعدم هذا الشرط انعدمت المقابلة شكلاً ومضموناً.

٢٧- إن فاعلية المقابلة في النص القرآني تكمن في توزيعها المحكم للأجزاء على وفق معايير الدلالة، وإقامة التناسب بدقة متناهية تتناسق فيها مع الإيقاع الصوتي.

٢٨- تتداخل الحدود الزمانية والمكانية في مظاهر التقابل القرآني مُشَكِّلَة مواقف تُحيل التقابل على صورة فنية تعكس البناء الكلي للنص بتمامهِ.

٢٩- تعمل بنية التقابل على تحقيق الناتج الدلالي؛ لأنه الغاية الأولى التي يسعى إليها علم البديع؛ زيادةً على توفيرها مساحة تلاؤمية لتثبيت التوازن النصي الكامن في الإيقاع الداخلي الذي ترد فيه، والمدعوم بتناسق حركة المعنى وانتظامها.

٣٠- يعد أسلوب المقابلة وما يرافقه من تقعيد وتصنيف، من الأساليب البديعية كثيرة الورود في القرآن الكريم، إذا لم يكن أكثرها نظماً فيه، فالتعبير القرآني يذكر (الإيمان والكفر)، و(الظلمات والنور)، و(النفع والضرّ)، و(الجنة والنار)، و(الحياة والموت)، إلى غير ذلك في سياق واحدٍ، وهذا يؤكد أصالة هذه المظاهر بعيداً عن التكلف والترَّف في الأسلوب.

٣١- أسهم التوازي التقابلي عبر الأفعال والأزمان والأحداث في توزيع الأنساق التعبيرية؛ لتقف في مواجهة المقابل لها على سبيل إظهار التعارض والتناقض

تاركةً أثرها الأسلوبي في إبراز الدلالة والكشف عن قيمتها، وتفاعلها مع بقية مكونات البنية التعبيرية.

٣٢- شكلت بعض المتقابلات حلقة زمنية متسلسلة متوازية تقتضي الإقرار بسلطة السياق في التعبير القرآني، إذ إن هناك دلالات زمنية لا تُفهم إلاّ بترشيح السياق بوصفها قرينة دالة على زمن الحدث.

٣٣- للحدث في التعبير دلالات سياقية متداخلة تتناسب مع الزمن الحركي للصيغة التي يرد فيها، فيشكل محور اهتمام أساسي قائم على الترتيب؛ ليفصح عن مشاهد تقابلية تصويرية متكاملة تهدف إلى عرض حادثة أو مشهد أو قصة، وتكشف عن مغزى وعبرة وموعظة يتضمنها السياق القرآني.

٣٤- يقوم أسلوب مراعاة النظير وما يلحقه من مظاهر بديعية وتقسيمات شكلية على اعتباراتٍ أهمها : الدقة في اختيار الألفاظ ومناسبتها للمعاني، وإحكام وضع الألفاظ وضعها المناسب لدلالاتها، وتنمية قدرات اللغة الكامنة في التعبير، وتشكيل صور مختلفة بتعانق الألفاظ واقتباس الركائز، وتشابه الأطراف؛ مما له أثره على مستوى التخاطب والتواصل، زيادةً على مستواها الفني الجمالي.

٣٥- قد يأتي التناسب في تشابه الأطراف خفياً، بدرجات متفاوتة في الخفاء تبعاً لعلاقاته الدلالية، فيحتاج إلى طول وقوف وتأمل دقيق.

٣٦- يؤكد مصطلح اقتباس الركائز أن معنى الكلمة المصاحب لها ما زال قادراً على العطاء، وإن ارتباط الألفاظ مع بعضها يمنح التعبير قيمة دلالية أوسع من خلال إمدادها بشحنات فاعلة تثري مساحات التصدير في التراكيب اللغوية بعمق الدلالات المشتملة عليها.

٣٧- يبرز أثر الإرصاد والتسهيم الأسلوبي في إيراد ما يتم السياق به؛ لأن الذهن يرصد دلالة مناسبة تربط اللفظ بالمعنى وتحقق التلاؤم في الأسلوب.

٣٨- وجد البحث أن الممارسة التطبيقية لظاهرة أسلوبية كالسجع أو الفاصلة القرآنية لا تقتصر على مجرّد الجمع بين فاصلتين متفقتين في حرف واحد، ولو كان الأمر كذلك؛ لسهل على الكثيرين الإتيان به والإبداع فيه؛ بل هو

مظهر من مظاهر الإعجاز البلاغي الصوتي التي تجلت في أبهى صورها في النظم القرآني، وهو سمّة أسلوبية من سمّات التعبير القرآني له قواعده وتقاناته الخاصة.

٣٩- كشف منجز الفاصلة في التعبير القرآني عن مجموعة من المعطيات التي وجهت الفكر البلاغي في تحركه على مستوى التقعيد للفواصل القرآنية؛ فأثبت تعدد المفاهيم الخاصة به في التراث العربي؛ مما له الأثر في بلورة قواعده وتحديد مظاهره، كما أكد أن الباحثين في قضية الإعجاز الصوتي سلكوا مسالك متعددة في التفريق بين مصطلح السجع والفاصلة؛ ليُشكل ذلك ابتعاداً عن زاوية التناول الموضوعية لهذه القضية، كما أظهر هذا المنجز عدداً من الظواهر الأسلوبية التي حققت توازنات صوتية نتج عنها عمليات تكرار، وحذف، وتقديم وتأخير، وإبدال وترادف، وإحلال صيغة محل صيغة، وتغاير وتفرد، وأكدت متابعة العلاقات الرابطة للمفردات في التعبير القرآني توافر نظام نسقي يتفرد به النظم القرآني، يشكل عاملاً أساسياً من عوامل إعجازه وبلاغته، كما قادنا البحث في منجز الفاصلة إلى ملاحظة التمايز الدقيق بين طول فقرات التعبير القرآني ومخالفتها للسجع؛ لأن النص القرآني يتوخى في طول عباراته، المناسبة بين طول السورة وطبيعة المخاطبين؛ لذا يُعدّ هذا التميز سمّة من سمّات التعبير القرآني.

٤٠- ينحى التعبير القرآني في خواتمه منحى السياق العام في المجيء بالألفاظ عنيفة قوية في مقام التهديد والوعيد، وألفاظ جزلة عذبة في مقام التبشير والترغيب.

٤١- شكلت خواتم بعض الآيات والسور القرآني مشاهد تصويرية وأحكاماً تشريعية، وأموراً عقائدية، إشارةً إلى ما جاء في السياق العام؛ مما يؤكد التناسب الموضوعي والترابط العضوي لكل مفصل من مفاصل التعبير القرآني.

٤٢- أثارت المطالع القرآنية جدلاً كبيراً في أوساط العلماء والمفسرين؛ إلا أنها أجمعت التأكيد على الأثر الأسلوبي لهذا الافتتاحيات في دلالاته المتعددة

على التنبيه أولاً، والتمهيد الموسيقي المتسق مع ما بعدها وقبلها، ودلالة الإيحاء الموسيقي الذي يُحسّ أكثر مما يعبر عنه، وباجتماع هذه الدلالات تتشكل الظاهرة الأسلوبية لهذه المطالع؛ لتكون افتتاحاً ممتداً على مساحات موسيقية واسعة تربط فواصل اللاحق بالسابق.

٤٣- يعد مصطلحي الإيهام والتخييل ثنائيتين متكاملتين تتلاءم أبعادهما، وتتغلغل جذورهما في عمق اللغة والفكر؛ إذ تعدُّ مادة (خَيَلَ) من أكثر المواد اللغوية دلالةً واتساعاً، أما مادة (وَهَمَ) فجميع اشتقاقاتها تدور حول معاني التخييل والتصوير مما يُبين التوافق الدلالي للمفهومين.

٤٤- يؤكد البحث أن المادة اللغوية ليست غاية بقدر ما هي وسيلة أو مقدمة، يسعى من خلالها إلى فهم المضامين والمحتويات الدلالية، والإحاطة الشمولية بجميع جوانبها.

٤٥- كشف البحث أن الوعي بقيمة مصطلحات الإيهام والتخييل والمظاهر المندرجة تحته يقودنا إلى إثبات فاعليتها الإدراكية، وطاقاته التعبيرية، حتى أصبحت من أهم مقومات الإبداع التصويري، وخلق الصورة الفنية وما تحتويه من مظاهر بلاغية؛ وكأنها الأقطاب التي تدور عليها البلاغة في متصرفاتها.

٤٦- وجد البحث أهمية في توجيه عدد من المظاهر البديعية؛ استناداً إلى القراءات القرآنية بشكلٍ يدعم الناتج الدلالي؛ تناسباً مع ما يتضمنه السياق العام.

٤٧- صرحت الدراسة بأن مظاهر الإجمال والتفصيل تشكل أحد أهم المظاهر الأسلوبية في علم البديع؛ لأنها تكشف عن مضامين الخطاب ودقة بنائه وفقاً لأدوات لفظية وصيغ تركيبية لها تداعياتها الدلالية على مضمون النص، وتؤكد عمق العلاقة الجدلية بين مفهومي الإجمال والتفصيل وإجراءاتهما النقدية.

٤٨- كشف البحث عن مظاهر التوافق والاختلاف بين مفهوم الإجمال؛ بوصفه أحد مقتضيات الإبهام في النص، ومصطلحات توليد الإبهام والخفاء والإيجاز الأخرى، وكل ما لا يدرك إلا ببيان، مؤكداً أن الوقوف على الظاهرة الأسلوبية

وتحديد مساحات إنتاجها الدلالي يخرج الخطاب من إشكالية التمازج والاختلاط بين المفاهيم المتقاربة ويُبين بعض جوانب الإعجاز البديعي في التعبير القرآني.

٤٩- تجلت الوظيفة الإيحائية الدلالية لمظاهر البديع القرآني في تأكيد المعاني وظلالها، وإقامة علاقات لفظية بين مستويات التعبير بوصفها وحدة متكاملة.

٥٠- وجد البحث أن أكثر المظاهر البديعية في التعبير القرآني تقوم على نمط من العدول والانزياح عن المألوف على مستوى اللفظ؛ لاسيّما في أساليب الجناس، والفاصلة القرآنية، ورد الأعجاز على الصدور، والمشاكلة، وعلى مستوى المعنى من خلال توجيه الألفاظ بفعل السياق باتجاه معين، يعدل عنها إلى دلالة أخرى تحتملها، فتكشف بذلك عن الأثر الجمالي الذي توحي به، وتوسع المساحة الذهنية للمتلقي في معرفة مقاصد التعبير وأغراضه، ويظهر ذلك واضحاً في أساليب التورية، والتوجيه، والاستخدام، والتجريد، وحسن التعليل، وتأكيد الفكرة بما يشبه تقرير ضدها.

٥١- وجد البحث أنَ مصطلحي (الجمع) و(التقسيم) وما يُشتق منهما من مصطلحات (الجمع مع التقسيم) و(الجمع مع التفريق)، و(الجمع مع التقسيم والتفريق)، فيها مبالغة في التدقيق قد تُضعف الإجراء الأسلوبي، وهو واحد من المظاهر التي دعت المعاصرين إلى انتقاد القدماء، وإلى ذلك أشار ابن الأثير حين أكد أن هذه التقسيمات لها علاقة مباشرة بالمنطق.

٥٢- وجد البحث أن مظاهر البديع اللفظية والمعنوية لا تحدّها حدود الشكل الذي فرضه علماء البلاغة، وما كان يفعله القدماء من فصل بين المحسّنات اللفظية والمعنوية؛ إنما هو عمل إجرائي لا يتعداه، فكثيراً ما يطغى المعنى على اللفظ في المحسّنات اللفظية، وكثيراً ما تستعين المظاهر المعنوية بمستويات شكلية (لفظية) في حدودٍ ترتبط بالتعبير القرآني وخصوصيته.

٥٣- بعد دراسة المظاهر البديعية وإحصائها وبيان أثرها الأسلوبي في التعبير القرآني توصي الباحثة بالعناية بدراسة كل مظهر من هذه المظاهر دراسة مستقلة وتوظيفها توظيفاً أسلوبياً من خلال التعامل مع النص القرآني المعجز

في نظمه ومعناه مما يتطلب جهداً علمياً كبيراً وصبراً وأناة، ومن ذلك (حسن التعليل وأثره الأسلوبي في التعبير القرآني) و(المذهب الكلامي وأثره الأسلوبي في التعبير القرآني) وغيرها من موضوعات البديع المختلفة.

والله ولي التوفيق والسداد

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أولاً- المصادر والمراجع العربية :

١. أبجد العلوم، الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تأليف: صدِّيق بن حسن القنّوجي (ت١٣٠٧هـ - ١٨٨٩م)، وضع فهارسه: عبد الجبار زكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٨م.
٢. أبحاث في بلاغة القرآن الكريم، محمد كريم الكوّاز، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.
٣. إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عَشر، المسمّى (منُتهى الأماني والمسرّات في علوم القراءات)، تأليف: العلاّمة الشيخ أحمد بن محمد البَنَّا (ت١١١٧هـ-١٧٠٥م)، تح: الدكتور شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت- لبنان، مكتبة الكُليّات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٤. الإتقان في علوم القرآن، تأليف: شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي (ت٩١١هـ)، وبالهامش: إعجاز القرآن، تأليف: القاضي أبي بكر الباَقلاني، دار الندوة الجديدة، بيروت – لبنان، (جزآن).
٥. أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، تأليف : أحمد حسن الباتوري، الناشر: دار المعارف للنشر والتوزيع، د.ت، د.ط.
٦. أحكام القُرآن، لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العَربي (٤٦٨-٥٤٣هـ)، راجعه وعلّق عليه وخرّج أحاديثة: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العالمية، بيروت- لبنان، ط٣، ٢٠٠٣م-١٤٢٤هـ، (٤)أقسام.
٧. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السُعُود)، لقاضي القضاة الإمام أبي السُعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، د.ت، (٩)أجزاء.
٨. إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المتشابهات، تأليف: الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد المؤمن ابن اللبَّان الشَّافعي

(ت٧٤٩هـ)، تح: أيمن عبد الجابر البحيري، عمرو مصطفى الورداني، دار البيان العربي، القاهرة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٩. أساس البلاغة، تأليف: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تح: محمد باسل عيون السُّود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٠. أسرار البلاغة، تأليف: أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت٤٧١هـ)، تح: محمود محمد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع، الناشر: دار المدني بجدة، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

١١. أسرار التنزيل وأنوار التأويل، للإمام فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار واسط للنشر والتوزيع، تح: محمود أحمد محمد، صالح محمد عبدالفتاح، بابا علي الشيخ عمر، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

١٢. أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، الدكتور حسن طبل، الناشر: دار الفكرالعربي، القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

١٣. الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، د. فتح الله أحمد سليمان، د.ط، الدار الفنية للنشر والتوزيع، المطبعة الفنية، ١٩٩٠م.

١٤. أسماء الله الحسنى، دراسة في البنية والدلالة، تأليف:الدكتور أحمد مختار عُمر الناشر: عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٥. أسماء سور القرآن وفضائلُها، تأليف: د.منيرة محمد ناصر الدوسري، تقديم: الأستاذ الدكتور مهند بن عبد الرحمن بن سُليمان الرُّومي، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٦. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تأليف: بديع الزّمان سعيد النّوارسي، تح: إحسان قاسم الصالحي، دار الأنبار للطباعة والنشر، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٧. الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن علي الجرجاني (ت٧٣٩هـ)، تح: عبد القادر حسين، دار نهضة مصر، القاهرة، (د.ت).

١٨. الإصابة في تمييز الصحابة، تأليف: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي الكناني العسقلاني الشافعي المعروف بابن حجر (٧٧٢هـ-٨٥٢هـ)، طبعة (موافقة للنسخة المطبوعة سنة ١٨٥٣، كلكتا)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (٩) أجزاء.
١٩. الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، لأبي البركات بن الأنباري (ت٥٧٧هـ)، تح:الدكتور جودة مبروك محمد مبارك، مراجعة:الدكتور رمضان عبدالتّواب، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، د.ت.
٢٠. الأصوات اللغوية، الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٧م، مطبعة محمد عبدالكرم حسان.
٢١. الأصول، دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، د.تمّام حسّان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق،١٩٨٨م.
٢٢. أضواء البيان في إيضاح القُرآن بالقُرآن، تأليف الشيخ العلَّامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطيَّ (١٣٢٥-١٣٩٣)، إشراف بكر بن عبدالله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، د.ط، (٩)مجلدات.
٢٣. الإعتصام، تصنيف العلامة المحقق أبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي (ت٧٩٠هـ)، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة التوحيد، د.ت، (٤) مجلدات.
٢٤. الإعجاز البلاغي في الخطاب القرآني (الالتفات إنموذجاً)، تأليف: الدكتور مازن موفق صديق الخيرو، مكتبة دار البيان، دمشق، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٢٥. الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي في القرآن الكريم، د. عبد الله علي الهتاري، دار الكتاب الثقافي، عمان – الأردن، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٢٦. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، الناشر: دار المعارف، مصر، مكتبة الدراسات الأدبية، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٢٧. إعجاز القرآن للباقلاني – منهجه ومسائله – وإشكالية بديعه، د.فاضل عبود التميمي، المطبعة المركزية، جامعة ديالى، ط١، ٢٠١١م.
٢٨. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٥م.
٢٩. إعجاز القرآن والدلالات الصرفية، د. يوسف مرعشلي، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.
٣٠. إعجاز القرآن، تأليف: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، تح: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط٤، د.ت.
٣١. إعجاز الكلمة في القرآن الكريم، تأليف: حسام البيطار، عمان – الأردن، دائرة المكتبة والوثائق الوطنية، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
٣٢. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، تأليف: خير الدِّين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢م.
٣٣. إنباء الغمر بأبناء العمر، لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ –٨٥٢هـ)، تح: حسن حبيش، إشراف: محمد توفيق عويضة، القاهرة، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م.
٣٤. أنور التنزيل وأسرار التأويل (المُسّمى تفسير البيضاوي)، تأليف: إمام المحققين وقدوة المدققين القاضي ناصر الدِّين أبي سعيد عبدالله محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، دار الكتب العالمية، بيروت – لبنان، ط٤، ٢٠٠٨م – ١٤٢٩هـ.

٣٥. أنوار الربيع في أنواع البديع، تأليف: السيد علي صدر الدِّين بن معصوم المدني (١٠٥٢هـ – ١١٢٠هـ)، تح: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م، (٤) أجزاء.
٣٦. أولى ماقيل في آيات التنزيل، تأليف رشيد الخطيب الموصليّ (ت١٩٧٩م)، ١٣٩٢هـ–١٩٧٢م.

٣٧. إيجاز البيان عن معاني القرآن، تأليف : محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري (ت ٥٥٣.)، تح: د. علي بن سليمان العبيد، مكتبة التوبة، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، (جزآن).

٣٨. الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، تأليف: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، تح: إبراهيم شمس الدِّين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٣م – ١٤٢٤هـ.

٣٩. بدائع الفوائد، تأليف الإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب إبن القيم قيم الحوزية (ت ٦٩١–٧٥١هـ)، تح:علي بن محمد العمران، إشراف: بكر بن عبدالله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ، (٥) أجزاء.

٤٠. البديع – دراسة في البنية والدلالة، د. عزّة محمد جدوع، مكتبة الرشد، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٤١. بديع القرآن، لابن أبي الاصبع المصري (ت٦٥٤هـ)، تح: حفني محمد شرف، دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٧م.

٤٢. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د. جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٤٣. البديع تأصيل وتجديد، د.منير سلطان، الناشر:منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٦م.

٤٤. البديع في ضوء أساليب القرآن، تأليف الدكتور عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٤٥. البديع في نقد الشعر، أُسامة بن مُنقد (ت٥٨٤هـ)، تح:د.أحمد أحمد بدوي، ود.حامد عبدالمجيد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، (د.ت).

٤٦. البديع والتوازي، د.عبد الواحد حسن الشيخ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفني، مصر، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
٤٧. البديع وفنونه – مقاربة نسقية بنيوية، د. شكري الطوانسي، الناشر مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.
٤٨. البديع، تأليف: أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل (ت ٢٩٦هـ)، نشره: اغناطيوس كراتشوفسكي، لندن، ١٩٣٥م.
٤٩. البرهان في علوم القرآن : للإمام بدر الدِّين محمد بنعبدالله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط.
٥٠. بُغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، تأليف : عبد المُتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ط، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
٥١. البلاغة الاصطلاحية، الدكتور عبدة عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٤، ١٤٢١- ٢٠٠١م.
٥٢. البلاغة العربية أُسسُها، وعُلُومُها، وفُنُونها، وصورُ من تطبيقاتها بهيكلٍ جديد من طريفٍ وتليد، تأليف وتأَمل: عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م، جزآن.
٥٣. البلاغة العربية في ثوبها الجديد – علم البديع، الدكتور بكري شيخ أمين، العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط٧، ٢٠٠٣م.
٥٤. البلاغة العربية قراءة أُخرى، د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط١، ١٩٩٧م.
٥٥. البلاغة القرآنية، دراسة في جماليات النص القرآني، أ.د.أحمد درويش، أ.د.عزة جدوع، مكتبة الرُّشد، ناشرون، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١،١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.
٥٦. بلاغة النُّور، جماليات النص القرآني، د. نفيد كرماني، ترجمة : محمد أحمد منصور، محمود محمد حجاج، أحمد عبد النبي معوض، محمد سالم يوسف، كاميران حوج، مراجعة : سعيد الغانمي، منشورات الجمل، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

٥٧. البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط١، ١٩٩٤م.
٥٨. البلاغة والأسلوبية، د. يوسف أبو العدوس، المكتبة الأهلية للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط١، ١٩٩٩م.
٥٩. البلاغة والمعنى في النص القرآني – تفسير أبي السعود أنموذجاً –، د. حامد عبد الهادي حسين، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، العراق، ٢٠٠٧م.
٦٠. بناء الأُسلوب في شعر الحداثة – التكوين البديعي، د.محمد عبد المطلب، القاهرة، ١٩٨٨م، د.ت.
٦١. بُنى البديع في القرآن الكريم (دراسة فنية)، د. أميرة جاسم خلف العتّابي، مؤسسة البديل للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.
٦٢. البيان القرآني في تفسير أولى ماقيل في آيات التنزيل لرشيد الخطيب الموصلي، تأليف: الدكتور عقيد خالد حمودي العزاوي، دار العصماء، ط١، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.
٦٣. البيان والتبيين، تأليف: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ–١٩٩٨م.
٦٤. البيان، فن الصورة، مصطفى الصاوي الجويني، دار المعرفة الجامعية، مصر، الاسكندرية، ١٩٩٣م.
٦٥. تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: السيد محمد مرتضى الحسيني الزّبيدي، سلسلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والآداب – الكويت، تحقيق: مجموعة من المحققين، د.ت.
٦٦. تأريخ آداب العرب، تأليف: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط٢، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

٦٧. التبيان في أقسام القرآن، تأليف : الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيّم الجوزية (ت ٦٩١هـ - ٧٥١هـ)، تصحيح وتعليق : محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ١٩٨٢م.
٦٨. التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان، للإمام العلامة الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي (ت١٣٣٨)، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، خرّجهُ: سليمان بن عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الأسلامية، بيروت - لبنان، ط٤، ١٤٢٥هـ.
٦٩. تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني في ضوء اللسانيات المعاصرة، سورة التوبة إنموذجاً، د. فخرية غريب قادر، عالم الكتب الحديثة، أربد – الأردن، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
٧٠. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لإبن أبي الأصبع المصري (٥٨٥ - ٦٥٤هـ)، تح: د.حفني محمد شرف، إشراف: محمد توفيق عويضة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٣هـ.
٧١. التراث والمتغيرات، البلاغة العربية نموذجاً، تأليف : الدكتور سعد أبو الرضا، مصر – القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٧٢. التصوير الفنيّ في القرآن، سيدَّ قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١٦، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٧٣. التصوير المجازي - أنماطه ودلالاته - في مشاهد القيامة في القرآن، الدكتور إياد عبد الودود عثمان الحمداني، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق – بغداد، ط١، ٢٠٠٤م.
٧٤. التعبير القرآني، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان، ط٥، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.
٧٥. التعريفات، السيِّد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
٧٦. تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ علي محمد

معوّض، قرَّضه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م – ١٤٢٨هـ.

٧٧. التفسير البياني للقرآن الكريم، الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف، مصر، (جزآن).

٧٨. تفسير التحرير والتنوير، تأليف: سماحة الأستاذ العلامة الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م،

٧٩. تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) تقريب وتهذيب، لإمام المفسرين والمؤخرين أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠هـ)، هذّبهُ وقربه: د.صلاح عبد الفتاح الخالدي، تخريج: إبراهيم محمد العالي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٨٠. تفسير الفخر الرّازي، المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام محمد فخر الدِّين الرازي (٥٤٤-٦٠٤هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٨١. تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠-٧٧٤هـ)، تح: سامي بن محمد السّلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، (٥) مجلدات.

٨٢. التَّفسير القَيّم للإمام ابن القيّم (٦٩١-٧٥١هـ)، جمَعهُ: محمد أويس الندوي، حققه: محمد حامد الفقي، دار الكتب العالمية، بيروت- لبنان، ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م.

٨٣. تفسير غريب القرآن، أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قُتيبة (٢١٣ – ٢٧٦هـ)، تح: السيد أحمد صقر، دار الكتب العالمية، بيروت – لبنان، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

٨٤. التقابل الجمالي في النص القرآني، دراسة جمالية فكرية وأسلوبية، الأستاذ الدكتور حسين جمعة، منشورات دار النمير، دمشق، ط١، ٢٠٠٥م.

٨٥. التكرير بين المثير والتأثير، تأليف:الدكتور عِزّالدِّين علي السَّيد، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

٨٦. تناسب المعاني والألفاظ، اختصار (جواهر الألفاظ) لقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ)، تأليف : أبو نوران حامد بن عبد الحميد، دار المحدِّثين للبحث العلمي والترجمة والنشر، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٨٧. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (٣٧٠هـ)، تح: عبد السلام محم هارون، مراجعة : محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والنشر، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

٨٨. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرُّماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تح: د.محمد زغلول سلام، ومحمد خلف الله أحمد، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٨م.

٨٩. الجامع الصحيح، سنن الترمذي : لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ – ٢٧٩هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، (د.ت)، (٥ أجزاء).

٩٠. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، تأليف: الإمام جلال الدِّين بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ٢٠٠٤م – ١٤٢٥هـ، جزآن.

٩١. الجامع لأحكام القُرآن والمُبيَّن لما تضمَّنهُ من السُّنَّةِ وآيِ الفُرقان، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القُرطُبيَّ (ت٦٧١هـ)، تح: الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي، شارك في تحقيق اجزائهِ مجموعة من كبار المحققين، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، (٢٤)جزء.

٩٢. الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، تأليف: الدكتور عمر محمد عمر باحاذق، دار المأمون للتراث، بيروت- لبنان،ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٩٣. الجملة العربية تأليفها وأقسامها، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمَّان، ط٢، ٢٠٠٧م – ١٤٢٧هـ.

٩٤. الجملة العربية والمعنى: الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمّان، ط١، ٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ.
٩٥. جمهرة اللغة، تأليف: أبو بكر بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، تح:رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٧م.
٩٦. الحيوان، تأليف: أبي عثمان عمرو بن بحر الحافظ (ت٢٥٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م، (٨) أجزاء.
٩٧. خزانة الأدب وغاية الأرب، للشيخ تقي الدَّين أبي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي (ت٨٣٧هـ)، تح: عصام شعيتو، الناشر: دار مكتبة الهلال، بيروت – لبنان.
٩٨. خزانة ولُبّ لُباب لسان العرب، تأليف: عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٩٩. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د.عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، الناشر:مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، جزآن.
١٠٠. الخصائص، صنعة أبي الفتح عثمان بن جني، تح: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد-العراق، ط٤،١٩٩٠م.
١٠١. الخصائص البلاغية للبيان النبوي، تأريف الدكتور محمد أبو العلا الخمراوي، مكتبة الرشد، ناشرون، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
١٠٢. الخطاب الاستثاري للحواس في القرآن الكريم، د. علي غانم سعدالله، دار الكتاب الثقافي، الأردن – أربد، ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
١٠٣. الخيال في الشعر العربي، الأُستاذ السيد محمد الخضر حسين التونسي، المكتبة العربية، دمشق، ط١، ١٣٤٠هـ-١٩٢٢م.

١٠٤. الدُّرّ المَصُون في علوم الكتاب المكنون، تأليف:أحمد بن يوسف المعروف بالسَّمين الحلبيّ (ت٧٥٦هـ)، تح: الدكتور أحمد محمد الخّراط، دار القلَم، دمشق، د.ط، (١١)جزء.
١٠٥. درّة التنزيل وغُرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، تأليف : أبي عبد الله محمد بن عبدالله المعروف بالخطيب الإسكافي، برواية ابن أبي الفرج الاردستاني، طبعة مصححة ومقابل على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٧٧م.
١٠٦. الدُّرُّ المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي (٨٤٩هـ-٩١١هـ)، تح: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والأسلامية، الدكتور عبدالسند حسن يمامه، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، (١٧)جزء.
١٠٧. دراسات قرآنية، تأليف : محمد قطب، دار الشروق، بيروت – لبنان، (د.ت)، (د.ط).
١٠٨. دراسات منهجية في علم البديع، الدكتور الشحات محمد عبدالرحمن أبو ستيت، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
١٠٩. دراسات نقدية في اللغة والنحو، تأليف الدكتور كاصد ياسر الزيدي، دار أُسامة للنشر والتوزيع، الأردن – عمان، ط١، ٢٠٠٣م.
١١٠. دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، تأليف: الدكتور محمد ياس خضر الدوري، دار الكتب العالمية، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ.
١١١. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ أو ٤٧٤ هـ)، تحقيق: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٢م.
١١٢. دلائل النظام، عبد الحميد الفراهي، الدار الحميدية ومكتبتها، الهند، ١٣٨٨هـ.

١١٣. دلالة الألفاظ، تأليف د. إبراهيم أنيس، الناشر مكتبة الانجلو المصرية، (د.ت)، (د.ط).
١١٤. دور الكلمة في اللغة، تأليف: ستيفن أولمان، ترجمه وقدّم له وعلّق عليه: د.كمال محمد بشر، الناشر مكتبة الشباب، القاهرة، ط٢٠، ١٩٨٦م.
١١٥. ديوان ابن الرُّومي، شرح الأُستاذ: أحمد حسن بَسَج، منشورات دار الكتب العالمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، (٣) أجزاء.
١١٦. ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري (المُسمّى بالتبيان في شرح الديوان)، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأنباري، عبد الحفيظ شلبي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، (٤)أجزاء.
١١٧. ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، تح: د.محمد حسين، الناشر: مكتبة الآدب بالجماميز، المطبعة النموذجية، مصر، ١٩٥٠م.
١١٨. ديوان البُحتري، تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر – القاهرة، ط٣، ١٩٦٣م، (٥) مجلدات.
١١٩. ديوان الحماسة، تأليف: أبي تمّام حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ) برواية أبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي (ت ٥٤٠هـ)، تعليق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٨هـ–١٩٩٨م.
١٢٠. ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه: الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العالمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٢١. ديوان امرئ القيس، ضبطهُ وصححه: الأُستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب، بيروت – لبنان، ٢٠٠٤م - ١٤٢٥هـ.
١٢٢. ديوان بشار بن برُد، جمع وتحقيق: فضيلة العلامة الأُستاذ محمد الطاهر بن عاشور، صادر عن وزارة الثقافة، الجزائر، ٢٠٠٧م، (٤) أجزاء.
١٢٣. ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٢٤. ديوان زُهير بن أبي سلمى، شرحهُ وقدّم له:الأُستاذ علي حسن فاعور، دار الكتب العالمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
١٢٥. ديوان عمر بن أبي ربيعة، قدَّم له ووضع فهارسه:د.فايز محمد، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
١٢٦. ديوان عمرو بن كلثوم، تح: د.أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
١٢٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، العلامة السيد محمود شكري الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، (٣٠)جزء.
١٢٨. الزمن في القرآن الكريم، دراسه دلالية للأفعال الواردة فيه، الدكتور بكري عبد الكريم، دار الكتاب الحديث،١٤٢١هـ–٢٠٠١م.
١٢٩. سِرُّ الفصاحة، للأمير أبي محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجيَّ (ت٤٦٦هـ)، دار الكتب العالمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٢م – ١٤٠٢هـ.
١٣٠. سلطة النص على دالات الشكل البلاغي، الدكتور فايز عارف القرعان، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، ط١، ١٤٣١هـ– ٢٠١٠م.
١٣١. سنن أبي داود، للإمام الحافظ المصنِّف المُتقن أبي داوود سُليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢ – ٢٧٥هـ) دار ابن حزمَ للطباعة والنشر والتوزيع، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدّعاس، وعادل السَّيد، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
١٣٢. سُور الحواميم – دراسة بلاغية تحليلية، تأليف: الدكتور عبد القادر عبدالله فتحي علوش الحمداني، دار الكتب العالمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١١م.
١٣٣. شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، تأليف:أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (٤٢١هـ)، تعليق:غرّيد الشيخ، وضع فهارسه

العامة:إبراهيم شمس الدَّين، دار الكتب العالمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٣م –١٤٢٤هـ، (٤) اجزاء.

١٣٤. شرح ديوان عنترة، للخطيب التبريزي، قدّم له ووضع فهارسه: مجيد طرّاد، الناشر:دار الكتاب العربي، بيروت –لبنان، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

١٣٥. ديوان أبي تمّام بشرح الخطيب التبريزي، قدم له ووضع فهارسه: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، (جزآن).

١٣٦. الصبغ البديعي في اللغة العربية، د. أحمد إبراهيم موسى، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م.

١٣٧. الصِّحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور العطّار، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط٢، ١٣٩٩هـ–١٩٧٩م.

١٣٨. صحيح البُخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤–٢٥٦هـ)، طبعة متميزة مرقمة بترقيم فتح الباري، ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

١٣٩. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القُشيري النيسابوري (٢٠٦–٢٦١هـ)، مكتبة الرُّشد، ناشرون، الرياض – المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

١٤٠. الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الدكتور صلاح الدَّين عبد التّواب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط١، ١٩٩٥م.

١٤١. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د.جابر أحمد عصفور، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.

١٤٢. صيغ فَعَلة وفعِلَة وفُعلة في القرآن الكريم (دراسة صرفية ودلالية)، تأليف: زيزفان قاسم أحمد البرواري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١١م.

١٤٣. طبقات المفُسرين، تأليف:أحمد بن محمد الأدنروي (من علماء القرن الحادي عشر)، تح: سُليمان بن صالح الخزيَّ، الناشر: مكتبة العلوم والحِكَم، المدينة المنوّرة- المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٤٤. طرائق المعاني، قراءة في فهم طائفة من النقاد المحدثين للشعر والبلاغة، الدكتور عادل حسين يوسف، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

١٤٥. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تأليف:السيد الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني، مطبعة المتقطف، مصر، ١٣٢٢هـ-١٩١٤م، ٣ أجزاء.

١٤٦. الطريقة المثلى لإحصاء أسماء الله الحُسنى من الكتاب والسُّنة وفهم سلف الأمة، إعداد: غريب بن محمد علي أبو عارف، راجعة ووافق على مادته العلمية مجموعة من الأساتذة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

١٤٧. ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين، دراسة بلاغية نقدية، د. محمد الواسطي، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، مكتبة الحرم المكي، الرياض – المملكة العربية السعودية، د.ت.

١٤٨. الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، نذير حمدان، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

١٤٩. عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، تأليف : الدكتور أحمد مطلوب، الناشر وكالة المطبوعات، بيروت، ط١، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.

١٥٠. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين أبو حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧٣هـ)، تح:د.خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العالمية، بيروت- لبنان،ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٥١. عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو، تأليف : أديث كيرزويل، ترجمة : جابر عصفور، آفاق عربية، بغداد – العراق، ١٩٨٥م.

١٥٢. عظمة القرآن الكريم، تأليف : محمد بن أحمد بن صالح الدوسري، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الدمام، ط١، ١٤٢٦هـ.
١٥٣. على طريق التفسير البياني، الدكتور فاضل صالح السامرائي، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ج٢.
١٥٤. علم الأسلوب – مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٢م.
١٥٥. علم البديع، الدكتور عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
١٥٦. علم البديع، دراسة تأريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٢م.
١٥٧. علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل، منشورات اتحاد كُتّاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.
١٥٨. علم اللسانيات الحديثة نظم التحكم وقواعد البيانات، د. عبد القادر عبد الجليل، دار الأردن، ط١، ١٩٩٨م.
١٥٩. علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازِهِ، الأستاذ الدكتور: نور الدِّين عتر، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق – سوريا، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
١٦٠. علوم القرآن، مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، الدكتور عدنان محمد زرزور، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
١٦١. العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، تأليف: أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (٤٦٣هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

١٦٢. العين مرتباً على حروف المعجم، تأليف: عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠–١٧٥هـ)، تح: د. عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٣م – ١٤٢٤هـ.
١٦٣. الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، دار عماد للنشر والتوزيع، عمّان، ط٢، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م.
١٦٤. فتح القدير الجامع بين فنّي الرّواية والدّراية من علم التفسير، تأليف : الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) تح: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ٢٠٠٧م – ١٤٢٨هـ، (جزآن).
١٦٥. الفروق اللغوية، تأليف أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت٢٩٥هـ)، علق عليه ووضع حواشيه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العالمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
١٦٦. فقه اللغة وأسرار العربية، تأليف الإمام أبي منصور عب الملك الثعالبي (ت٤٣٠هـ)، تح: عزت زينهم عبدالواحد، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط١، ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م.
١٦٧. فلسفة البلاغة بين التقنية والتطوير، الدكتور رجاء عيد، الناشر: منشأة المعارف بالاسكندرية، ط٢، د.ت.
١٦٨. فن البديع، الدكتور عبدالقادر حسين، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م.
١٦٩. الفوائد المشوَّق الى عُلوُم القُرآن وعلم البيان، للإمام العالم شمس الدَّين أبي عبدالله محمد ابن ابي بكر ابن أيّوب الزرعي المعروف بابن القيم إمام الجوزيةِ (ن٧٥١هـ)، دار الكتب العالمية، بيروت– لبنان،د.ت.
١٧٠. في ظلال القرآن، سيَّد قطب، دار الشروق، الطبعة الشرعية الرابعة والثلاثون، ١٤٢٥هـ –٢٠٠٤م، (٦) مجلدات.

١٧١. القاموس المحيط، العلامة مجد الدِّين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي (٧٢٩-٨١٧هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
١٧٢. قراءات بلاغية، د. فاضل عبود التميمي، دار الضياء، النجف الأشرف، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١٧٣. قضية الطبع والتكلف في التراث النقدي والبلاغي، قراءة جديدة، د. عبد علي مهدي بلبع، دار الوفاء، مكتبة الرشد – ناشرون، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٩٩٩م.
١٧٤. القطوف الدواني في علم المعاني، تأليف: الدكتور عبد الرحمن الطيب عبد الواحد، مكتبة الرشد، ناشرون، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١٧٥. كتاب الصناعتين – الكتابة والشعر، تأليف: أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ.
١٧٦. كتاب سيبويه، أبي بشر عَمرو بن عثمان بن قنبر، تح:عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت ط٣، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، (٥) أجزاء.
١٧٧. الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، شرحهُ وطبعه وراجعه: يوسف الحمَّادي، الناشر: مكتبة مصر، (٤) أجزاء.
١٧٨. الكُلِّيات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت١٠٩٤هـ - ١٦٨٣م) تح:عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٧٩. الكناية، محاولة لتطوير الإجراء النقدي، أ.د.إياد عبد الودود عثمان الحمداني، المطبعة المركزية – جامعة ديالى، ط١، ٢٠١١م.

١٨٠. كيف نقرأ تراثنا البلاغي، الأستاذ الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، ط١، ١٩٩٩م.
١٨١. لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت ٧١١هـ)، تح: يوسف خياط، ونديم مرعشلي، المطبعة المنيرية الكبرى، بيروت – لبنان، ط٣، د.ت.
١٨٢. اللغة بين المعيارية والوصفية، د. تمّام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، ط٤، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
١٨٣. اللغة العربية وقيم الأصول (الرسالة العربية)، بحث لغوي، قيمي، سياسي، فلسفي، الدكتور : ميشال إسحق، مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
١٨٤. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر، عمّان، ط٣، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٣م.
١٨٥. لهجة تميم في قراءة أبي عمرو (دراسة نحوية وصرفية)، تأليف : د. مختار عبد الحافظ عطية، دار طيبة الخضراء، المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
١٨٦. مباحث في علوم القرآن، د.صبحي الصالح، مطبعة الجامعة السورية، ١٣٧٧هـ – ١٩٨٥م.
١٨٧. مباحث في علوم القرآن، منّاع القطّان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٣٥، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
١٨٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير (ت٦٣٧هـ)، تح: د.أحمد الحوفي، د.بدوي طباعة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط٢، د.ت.
١٨٩. مُجمل اللغة، لأبي الحُسين أحمد بن فارس بن زكريّا اللّغوي (ت ٣٩٥هـ)، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

١٩٠. محاضرات في علم البيان، د. علي عيد مهدي بلبع، مكتبة الرشد، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
١٩١. المُحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطيّة الأندلسُي (ت٥٤٦هـ)، تح: عبد السَّلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العالمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، (٦)أجزاء.
١٩٢. المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تأليف:علي بن إسماعيل بن سَّيدة (ت ٤٥٨هـ)، تح: محمد علي البخار، ط١، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.
١٩٣. المخصَّص، تأليف: أبي الحسن علي بن إسماعيل النَّحوي اللغوي الأندلسي، المعروف بابن سَّيدة (ت٤٥٨هـ)، دار الكتب العالمية، بيروت- لبنان، د.ت.
١٩٤. مراجعات في أصول الدرس البلاغي، د.محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
١٩٥. مشاهد القيامة في القرآن، سيِّد قطب، دار الشروق، مصر، د.ت.
١٩٦. المشترك اللفظي في اللغة العربية، تأليف الدكتور عبد الكريم شديد محمد، مركز البحوث الدراسات الإسلامية، العراق – بغداتد، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.
١٩٧. مُشكل القرآن الكريم، تأريف عبد الله بن حمد المنصور، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الدمام، ط١، ١٤٢٦هـ.
١٩٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف: العالم العلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، وزارة المعارف العمومية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط٥، ١٩٢٢م، (٢) جزء.
١٩٩. المصطلح النقدي في كتب الإعجاز القرآني حتى نهاية القرن السابع الهجري، الدكتور إبراهيم محمد محمود مصطفى الحمداني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٩م.

٢٠٠. المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (عليه السلام)، دراسة بلاغية، حيدر أحمد حسين الزبيدي، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق – بغداد، ط١، ٢٠١٣م.
٢٠١. معاني الأبنية في العربية، د.فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، ط٢، ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م.
٢٠٢. معاني القرآن، تأليف أبي زكريّا يحيى بن زياد الفرّاء (ت٢٠٧هـ)، عالم الكتب، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٠٣هـ– ١٩٨م.
٢٠٣. معاني القرآن وإعرابه (للزجّاج) : أبي إسحاق إبراهيم بن السّريِّ (ت٣١١هـ)، تح: د. عبد الجليل عبدة شلبي، تخريج: الأستاذ علي جمال الدين محمد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، (٥) مجلدات.
٢٠٤. معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)، تح: د.يحيى مرُاد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، (مجلدان).
٢٠٥. معاني النحو، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان – الأردن، ط٣، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
٢٠٦. مُعتَرك الأقران في إعجاز القُرآن، للشيخ الإمام العلامة أبي الفضل جلال الدَّين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي الشافعي (ت٩١١هـ)، تح: أحمد شمس الدَّين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م، (٣) مجلدات.
٢٠٧. معجم ألفاظ القرآن، دراسة لغوية تفسيرية، تأليف : د. نشأت صلاح الدين حسين، د. حامد عبد الهادي حسين، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد – العراق، ط١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.
٢٠٨. المعجم العربي وعلم الدلالة، د. محمد أحمد حماد، د. أحمد محمد عيسى، د. أحمد محمد كشك، دار النشر الدولي للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٧٧هـ – ٢٠٠٦م.

٢٠٩. المعجم القرآني، دراسة معجمية لأصول ألفاظ القرآن الكريم، تأليف: د.حيدر علي نعمة، د.أحمد علي نعمة، مطبعة السيمياء، بغداد، ط١، ٢٠١٣م، (٣) مجلدات.
٢١٠. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، تأليف الدكتور أحمد مطلوب، الدار العربية للموسوعات، ط١، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م، (٣) أجزاء.
٢١١. المعجم المفصَّل في علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، إعداد: الدكتورة إنعام فوّال عكّاوي، مراجعة:أحمد شمس الدين، طبعة جديدة ومنقحة، دار الكتب العالمية، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
٢١٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بحاشية المُصحف الشريف، وضعهُ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٣٦٤هـ.
٢١٣. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ط٤، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢١٤. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا (٢٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٢١٥. المفارقة القرآنية، تأليف الدكتور محمد العبد، مكتبة الآداب، مصر – القاهرة، ط٢، ٢٠٠٦م.
٢١٦. مفتاح العلوم، تأليف أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، تح: د.عبد الحميد هنداوي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢،٢٠١١م.
٢١٧. المفردات في غريب القرآن، تأليف: أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تح: محمد خليل عيتاني، دار المغرقة، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢١٨. المُفضّليَّات، عامر بن عمران بن زياد المعروف بالمفضل الضبيّ (ت١٧٨هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، عبد السَّلام محمد هارون، الناشر: دار المعارف، القاهرة، ط٦، د.ت.

٢١٩. المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية، د. جمال حضري، مجد المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.
٢٢٠. مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، د. حماد صالح خلف الربيعي، مكتبة الحرم المكي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
٢٢١. المقتَضب، صنعة أبي العباس محمد بن يزيد المبرِّد (٢١٠-٢٨٥هـ)، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، (٤) أجزاء.
٢٢٢. من بلاغة القرآن، تأليف: الدكتور أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٢٢٣. من روائع القرآن، تأملات علمية وآدبية في كتابة الله عزَّ وجلّ، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٢٢٤. المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، لأبي محمد القاسم الأنصاري السجلماسي (ت٧٠٤هـ)، تح: علاّل الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط١،١٩٨٠م.
٢٢٥. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ)، تقدم وتحقِيق:محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط٣، ١٩٨٦م.
٢٢٦. المنهج البياني في تفسير القرآن في العصر الحديث، تأليف: الأستاذ الدكتور عقيد خالد حمودي محيي العزاوي، دار العصماء، ط١، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.
٢٢٧. مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ابن يعقوب المغربي، ضمن شروح التلخيص، دار الهادي، بيروت- لبنان، ط٤، ١٩٩٢م.
٢٢٨. موسيقى الشعر: تأليف : د. إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٦٥م.

٢٢٩. النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، تأليف: د.محمد عبدالله درراز، اعتنى به وخرَّج أحاديثه: عبد الحميد الدّخاضني، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٢٣٠. النثر الفني في القرن الرابع الهجري، زكي مُبارك، دار الكتاب العربي، مصر، د.ت.
٢٣١. النحو القرآني، طريقة منهجية في الربط بين القواعد النحوية وكتاب رب البرية (المقدمات والأفعال)، تأليف الكتور إبراهيم سيد البليزي، دار المحدثين للبحث العلمي والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠٠٩م.
٢٣٢. نظرات لغوية في القرآن الكريم، أ.د.صالح بن حسين العايد، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٢٣٣. نظم الإرتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
٢٣٤. نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور، للإمام المُفسر برهان الدَّين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ-١٤٨٠م)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٢٣٥. النظم القرآني في تفسير نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور، تأليف: الأستاذ الدكتورعقيد خالد حمودي محيي العزاوي، دار العصماء، ط١، ١٤٣٣هـ -٢٠١٢م.
٢٣٦. نقد الشعر، أبو الفرج قُدامة بن جعفر (٣٣٧هـ)، تح:د.محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العالمية، بيروت- لبنان، (د.ت).
٢٣٧. نهاية الأرب في فنون الأدب، تأليف: شهاب الدَّين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت٧٣٣هـ)، تح: د.مُفيد قميحة، دار الكتب العالمية، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٤م - ١٤٢٤هـ.

٢٣٨. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تأليف الإمام فخر الدين بن عمر بن الحسن الرازي (ت٦٠٦هـ)، جمعه وعلّق عليه : د. نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.
٢٣٩. النَّهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجدّ الدَّين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (٥٤٤-٦٠٦هـ)، تح: محمود محمد الطناحي، طاهر أحمد الزاوي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، د.ت، (٥) أجزاء.
٢٤٠. الوجوه والنظائر لألفاظ كتب الله العزيز ومعانيها، تصنيف الشيخ الإمام أبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني (ت٤٧٨هـ)، تح: فاطمة يوسف الخيمي، تقديم: سعدي أبو حبيب، مكتبة الفارابي، دمشق – سوريا، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
٢٤١. وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، الدكتورة عائشة حسين فريد، الناشر:دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١،٢٠٠٠م.
٢٤٢. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان، لأبي العباس شمس الدَّين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٠٨-٦٨١هـ)، تح: د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت- لبنان، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، (٨) مجلدات.

ثانياً : الرسائل والأطاريح الجامعية :

١. أثر البديع في النص الشعري في التراث النقدي والبلاغي (أطروحة دكتوراه)، حيدر صاحب شاكر، إشراف: أ.د. أحد شاكر غضيب الربيعي، كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.
٢. أثر النظم في تناسب المعاني في سورة العنكبوت (رسالة ماجستير)، مقبولة علي مسلم الحصيني، اشراف: أ.د.عبد الحافظ إبراهيم البقيري، كلية اللغة العربية، فرع الأدب، جامعة أم القرى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٣. أساليب البديع في نهج البلاغة (أطروحة دكتوراه)، خالد كاظم حميدي الحميداوي، إشراف : أ.د. مشكور كاظم العوادي، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
٤. الأساليب البلاغية في خواتيم السور القرآنية (رسالة ماجستير)، عباس حميد مجيد السامرائي، كلية التربية، جامعة الأنبار، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٥. أسلوب التفصيل بعد الإجمال وأغراضه في القرآن الكريم (رسالة ماجستير)، هاني خضر مصطفى، إشراف الدكتور : عودة عبدالله، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس – فلسطين، ٢٠١٢م.
٦. الأسلوب الحكيم في القرآن الكريم (أطروحة دكتوراه)، أحمد جلعو إذياب الراشدي، إشراف: الأستاذ المساعد الدكتور هناء محمود شهاب الحمو، كلية التربية، جامعة الموصل، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
٧. الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، (أطروحة دكتوراه)، محمد الكوّاز، مقدمة إلى كلية الآداب – جامعة بغداد، إشراف د. ماهر مهدي هلال، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٨. الخضرمة في الشعر العربي بين العصرين العباسي والحديث، دراسة تأريخية وفنية (أطروحة دكتوراه)، عبد العزيز محمد الحاج مصطفى، إشراف: الدكتور داود سلّوم، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٩. ظاهرة العدول في البلاغة العربية، مقاربة أُسلوبية (رسالة ماجستير)، عبد الحفيظ مراح، إشراف: الدكتور حسين أبو النجا، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
١٠. المفردات الفذّة في القرآن الكريم، دراسة لغوية (رسالة ماجستير)، خالد حامد عطية، إشراف: د.سحاب محمد رشم الأسدي، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٣م.

ثالثاً : البحوث المنشورة في المجلات والدوريات :

١. الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم، دراسة تحليلية (بحث)، د. فايز عارف القرعان، مجلة أبحاث اليرموك- الأردن، مج ١٢،ع ١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٢. الأسرار البلاغية في وضع الظاهر موضع المضمر في الآيات القرآنية (بحث)، د. محمد حمدي علي عبد العاطي، مجلة جامعة الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، جامعة الأزهر، فرع المنصورة، ع٣٥، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٣. أسلوب التهكم في القرآن الكريم (بحث)، د. فايز عارف القرعان، مجلة أبحاث اليرموك ضمن مجموعة بحث مهداة إلى محمود السمرة، نشر بدعم من الجامعة الأردنية للبنات، الناشر: دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ١٩٩٦م.
٤. إشكالية البديع وإعجاز القرآن: رؤية (الباقلاني) مثالاً (بحث)، د.فاضل عبود التميمي، مجلة العرب، ج ٧و٨، س ٤٦، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
٥. البنية الناطقة، قراءة تطبيقية لمنهج التحليل الأُسلوبي في سورة الضحى (بحث)، د.إياد عبد الودود عثمان الحمداني، مجلة المورد، مج ٣٦، ع ٣، ٢٠٠٩م.
٦. التصوير بالفاصلة القرآنية (بحث)،أ.د.إياد عبد الودود عثمان الحمداني، مجلة المهرة، جامعة حضرموت، ع ٣، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
٧. ثلاث قضايا حول الموسيقى في القرآن (بحث)، نعيم اليافي، مجلة التراث العربي، دمشق، ع ١٧، ١٩٨٤م.
٨. دلالة الألفاظ في النقد القديم (بحث)، الدكتور نعمة رحيم العزاوي، مجلة لغة الضاد، منشورات المجمع العلمي، ج٦، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٩. دور التنغيم في تحديد معنى الجملة العربية (بحث)، د. سامي عوض، وعادل علي نعامة، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية – سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (٢٨)، العدد (١)، س ٢٠٠٦م.

١٠. الفاصلة وبنية الانسجام الشكلي في سورة الأنسان (بحث)، أ.م.د.إياد عبد الودود الحمداني،م.د.خيري جبير الجميلي، مجلة ديالى، كلية التربية– جامعة ديالى، ع ٢٣، ٢٠٠٦م.
١١. في جدل الحداثة الشعرية (بحث)، عبد السلام المسدي، مجلة (الأقلام)، ع١، السنة الحادية والعشرون، ١٩٨٦م.
١٢. اللغة والأسلوب (بحث)، الدكتور سلمان داود الواسطي، مجلة لغة الضاد، منشورات المجمع العلمي، ج٦، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
١٣. اللّفُّ والنشرُ في القرآن الكريم، دراسة تحليلية، الدكتور فايز عارف القرعان، مجلة إبحاث اليرموك، مج١٣، ع١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
١٤. المجاز ورؤية العالم (بحث)، أحمد صبرة، مجلة علامات في النقد، مج ١٧، ج ٦٧، ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م.
١٥. المحسّنات البديعية، محاولة لدراسة بعضها بين الصبغ والوظيفة (بحث)، د.قصي سالم علوان، مجلة الفكر العربي، بيروت، ع ٤٦، حزيران ١٩٨٧م.
١٦. من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم (بحث)، محمد سليمان العبد، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مج ٩، ع ٣٦، ١٩٨٩م.

رابعاً : المراجع الأجنبية :

1. Fox, James, J. ((Roman Jakobson and the Comparative Study of Parallelism)) To Honor Roman, Jakobsons's seventieth birthday. Mouton, 1970.
2. Robert - A Lain De Beaugtande and Wolfgang Ulrich Dressler : Introduction to text linguistics, Longman, London and New York, 1981.
3. Le Genre Séance : ((Une Introduction)); Abdelfatah Kilito, Studio Islamica, 43 (1976), p 29. Russian Formalism History, V Erlch, Mounton & Co. Poris the Houge, 1955, P. 194.
4. C. Day Lewis : The Poetic Image, Cambridge, 1946, P. 18.

Abstract

The thesis is stylistic, applied, and analytic study benefits from the efforts of rhetoricians, grammarians, explainers, and old and modern critics. It takes an important side in the Arabic style which is the rhetoric. It does not take this side in traditional way by describing it as an improving or ornament, instead of describing it as a noticeable charge attracts contextual relations which are investigated in the tongue science, what stimulates meditation toward these relations within the texture of (text) under stylistic standards include phonetic, structure, and the inferential standard of Quran in its Macaism and urbanite suras, what leads us to find pattern of estimation that collects rhetorical aspects on the scientific, artistic, and objective base, and that has ability which gives the study some kind of uniqueness. Preface comes as an attempt to originate the rhetorical aspect between heritage and novelty, thus reveals the coincidence between lexical and idiomatic meaning, and asserts that each aspect has its particular effect and dimensions which establish relations among forms according to elements and articles that regard the language and rhetoric as bridge reaches them to the technical creativity. Then chapter one comes to investigates the aspects of rhetoric according to the techniques of proportion and equivalence, and what these aspects impose from the procedures that are related to the form and the content meanwhile the stylistic effect that these procedures have in the Quran statement through employing the linguistic contexts and achieve new inferential elements. Chapter two entitled with (the aspects of ambiguity and imaginary) to reveal the aspects of illusive deviation, displacement, and contradiction consequent from the combination of two readings or significances according to the requirements of general context. While chapter three entitled with (the aspects of totality and itemization) which achieve inferential and structural connection in the statements of Quran,

and sorts particular results and scientific notes more important of them are:

1- These aspects mentioned in the statements of Quran with high rate what makes it characterizes from others in the level, attitude, and performance.
2- These aspects of modern studies indicate to concepts that have been assigned until they are in scientific objectivity including all fields of knowledge.
3- These aspects confirm the stylistic of combination between articulation and meaning, and they eliminate the idea of dualism by exploring their classifying increase and multiple models to their elementary structures which representing them and do not exceed accordance and contradiction limitations.
4- The aspects of figures of speech are effective in improving sentence structure which is described as the smallest unit in the linguistic speech.
5- The concept of figures of speech is distinct from rhetoric with its two general concept,s and tends to be independent with having third part for the purpose of connecting with originate meanings, and displacement from the formality through the connect between felt form level and unfelt inside level in the field of application of the figures of speech.
6- Stylistic studies estimate the aspects of figures of speech according to their performance in the production of speech and its structure, and absent in the frame of this view the hypothesized separation between articulation improving and lexical improving.
7- The aspects of figures of speech represent artistic techniques that promote statements by selection of meanings and significances to

present them in utterance blocks that attract receivers through his attendance to the generous of form.

8- The process of employing scientific idioms imposes its authority on the researcher and critics because it submit to the changes of inferential development.

9- The study diagnosis the effect of the aspect of figure of speech in the statement of Quran with take into consideration the general context even with the different sides of having and talking of intellectuals.

10- The study confirms the comprehensive and width of the aspects of figures of speech in the statements of Quran, and the process of its conducting is not arbitrary but it is through the objective procedures of stylistic analysis.

11- Some aspects of figures of speech exceed the level of significance in the limitation of one sentence.

12- The effectiveness of the aspects of figures of speech found in the statements of Quran through their proper distribution for its parts according to the standards of phonetic, structure, and significance in accuracy and complete harmony.

Researcher
Huda Saihood

Ministry of higher education and scientific research
Diala university
College of education for humanities
Department of Arabic language

The aspects of figures of speech and their stylistic effects in the Quranic statement

A thesis
Submitted to the council of the college of education for humanities\Diala university
In partial fulfillment of the requirements for the degree of master in the literature of Arabic language and its sciences

Huda Saihood Zrrzor Al-Omari

Supervised by
Prof. Dr. Ayaad Abdulwadood Othman Al-Hamadani